المجمل فى الآثار والحضارة الإسلامية

تأليف

محمد حمزة إسماعيل الحداد

العمارة والآثار والحضارة الإسلامية

كلية الآثار - جامعة القاهرة



المجمــل
فى الآثار والحضارة الإسلامية

تأليف

د. محمد حمزة إسماعيل الحداد
أستاذ الآثار والحضارة الإسلامية
كلية الآثار ـ جامعة القاهرة

الناشر
مكتبة زهراء الشرق
١١٦ شارع محمد فريد القاهرة
تليفون : ٣٩٢٩١٩٢

اسم الكتاب : المجمل في الآثار والحضارة الإسلامية
اسم المؤلف : أ. د. محمد حمزة إسماعيل الحداد
رقم الطبعة : الأولى
السنة : ٢٠٠٦
رقم الإيداع : ١٩٧٧٥
الترقيم الدولي : I.S.B.N
977 - 314 - 262 - 0
اسم الناشر : زهراء الشرق
العنوان : ١١٦ شارع محمد فريد
البلد : جمهورية مصر العربية
المحافظة : القاهرة
التليفون : ٠٠٢٠٢٣٩٢٩١٩٢ /٠٠٢٠٢٣٩٣٠٩٢٢
فاكس : ٠٠٢٠٢٣٩٢٩١٩٢
المحمول : ٠٠٢٠١٢٣١٧٧٥١٠
إخراج فني : أ. محمود حجاج
اسكانر : المنار ديزاينر

الإهــــداء

إلى روح الأخ الحبيب

الدكتور/ رفعت عبد العظيم محمود

مدير متحف الفن الإسلامى

تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جناته

وعلى كل من يقرأ هذا الكتاب وينتفع به أن يدعو له

ولجميع موتانا وموتى المسلمين بالرحمة والمغفرة .

اللهم أمين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

(المائدة آية ٥٤)

﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

(الحديد آية ٢١)

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾

(النساء ، آية ١١٣)

صدق الله العظيم

الفهرس

خطبة الكتاب

بسم الله الذى ما كان فى شيء إلا زانه ولا نزع منه إلا شانه والحمد لله الذى لايحمد على كل شيء إلا هو ، فاسم الله فاتحة كل خير وحمده سبحانه خاتمة كل نعمة .

ثم الصلاة والسلام على الهادى البشير سيدنا محمد بن عبد الله الذى جعله الله خاتم أنبيائه وأشرف رسله الذى بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الناس كافة وجاهد فى سبيل الله حتى أتاه اليقين ، فنسأل الله العلى القدير أن يجزيه خير ما جازى نبيا عن أمته ورسولاً على حُسن أداء رسالته ، وأن يؤتيه الوسيلة والفضيلة وأن يبعثه المقام المحمود الذى وعده ؛ إن ربى لا يخلف الميعاد ... حقًا وصدقًا . وبعد ...،

فإنه منذ بداية التسعينات من القرن العشرين المنصرم بصفة عامة ، وبعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١م بصفة خاصة كثرت كتابات الغربيين عن علاقة الغرب بالإسلام ؛ وجاءت تلك الكتابات تحت عدد من العناوين المتشابهة أو المتضاربة من أمثال « الإسلام والغرب » « صدام الحضارات » و « صراع الحضارات » و « المسلمون خلف الحصار الغربى » و « الأصولية الإسلامية » ، و « نهاية التاريخ » و«الإسلاموفوبيا » وغير ذلك[١].

ولا تفوتنا الإشارة أيضًا إلى تلك الأفكار الخاطئة المغرضة التى باتت تنفث سمومها عبر مختلف وسائل الإعلام الغربية من أحاديث وبرامج ومقالات وأفلام سينمائية ومسرحيات ؛ فضلا عن صفحات عديدة على شبكة الإنترنت وغير ذلك .

والهدف الرئيسى المباشر وراء ذلك كله واضح جلى ولا يختلف عليه إثنان وهو

---

(١) انظر ، على سبيل المثال :

فوكو ياما ، فرانسيس ، نهاية التاريخ ، ترجمة حسين الشيخ ، بيروت ١٩٩٣م ؛ هانتنجتون ، صموئيل، صراع الحضارات أو تصادم الحضارات ، الأهرام ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١١٦ ، إبريل (١٩٩٤م) ؛ توفلر ، الفن ، نحو بناء حضارة جديدة ، القاهرة (١٩٩٦م) ؛ فوللر ، جراهام ، وليسر ، ايان ، الإسلام والغرب بين التعاون والمواجهة أو المسلمون خلف الحصار الغربى ، ترجمة جلال شوقى ، القاهرة (١٩٩٧م) .

تشويه صورة الإسلام ووصمه بالإرهاب والتطرف وبالتالى إثارة زوابع الحقد والكراهية ضد المسلمين والفزع والرعب منهم فى روع المجتمع الغربى بكافة شرائحه وطبقاته .

وعلى ذلك صار التخويف الاستراتيجى من الإسلام وأهله بصورة أكثر شمولاً وإتساعا وتركيزاً غير مسبوق حتى لقد صار الخوف من الإسلام والحساسية المفرطة إزاءه أحد أبرز التقاليع والتقاليد الثقافية فى المجتمع الغربى المعاصر .

ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى أن الكثيرين من الغرب قد تصوروا أو توهموا أن الإسلام قد أصبح يشكل المنافس السياسى والفكرى (الايديولوجى) الرئيسى للغرب بعد سقوط الإتحاد السوفيتى والماركسية الشيوعية عام ١٩٩٠م ؛ وبالتالى فهو - أى الإسلام - بات يمثل العقبة الكبرى أمام السلام العالمى والخطر الأكبر الذى يهدد ما يسمى بالعالم الحر أو بمعنى آخر أنه هو العدو البديل أو الخطر الأخضر الذى حل محل الشيوعية الحمراء ؛ ومن ثم يعد الإسلام المرشح الأرجّح للقيام بذلك الدور المتحدى للنظام العالمى الجديد - وهو ما يعرف أيضًا بعصر العولمة أو الكوننه أو الشملنة - ومن هنا يجب القضاء على الإرهاب الإسلامى والتطرف بكافة الطرق ومختلف الوسائل المشروعة وغير المشروعة .

وقد أخذ بعض العلماء والمفكرين على عاتقهم مهمة مقاومة هذه الحملات الشرسة على الإسلام وأهله عن طريق تحليل إدعاءات هؤلاء المدعين وتفنيدها والرد عليها بالأدلة والبراهين الموضوعية والمنطقية فى مختلف وسائل الإعلام المتاحة أمامهم ؛ فضلاً عن المقالات والكتب والدراسات المختلفة[١].

ولم تقتصر هذه المهمة على عاتق المسلمين وحدهم بل نجد من العلماء الغربيين من يتصدى لدحض هذه الإدعاءات وتفنيدها وحسبنا أن نشير إلى العالم الألمانى شتيبات الذى كان من أوائل الذين انتبهوا إلى خطورة تلك الحملة الشرسة على الإسلام فانتقد ما

---

(١) انظر ، على سبيل المثال ، :

الويشى ، عطية فتحى ، حوار الحضارات ، تقديم محمد عمارة ، القاهرة (٢٠٠١م) ؛ النجار ، زغلول ، الإسلام والغرب فى كتابات الغربيين ، القاهرة (٢٠٠٣م) ؛ زقزوق ، محمود حمدى ، الإسلام والغرب ، القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠٣م ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، إنسانية الحضارة الإسلامية ، سلسلة قضايا إسلامية ، العدد ١٢٣ ، القاهرة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

كتبه هانتنجتون فى صدام أو تصادم الحضارات ودحض أفكاره وانتهى إلى القول بأن الإسلام لا يمثل أى تهديد للعالم بل إن العكس من ذلك هو الصحيح .

بل ذهب إلى ما هو أبعد من ذلك فهو ينفى نفيًا قاطعًا أن يرجع الصراعات الكبرى فى عصرنا إلى الخلافات الدينية ، ويدعو إلى الحوار السمح بين الأديان السماوية وتأكيد أوجه التشابه والتقارب والعناصر المشتركة بينها وضرورة إسهام الباحثين العلميين فى هذا الحوار الذى لا بد أن يعود بالخير على البشرية كافة ، ومن هنا جاء عنوان كتابه وهو « الإسلام شريكا » ليدل على هذه المعانى والدلالات العلمية والإنسانية [(١)].

وهكذا فإن المرحلة الدقيقة الحرجة التى تجتازها الأمة الإسلامية اليوم تحتاج إلى أن نعبئ لها كل طاقاتنا من وعى الذات والتعبير عن وجودنا الحر والطموح إلى حياة أعز وأفضل .

ولقد كان ذلك من أهم الدوافع التى حدت بى لتأليف هذا الكتاب ؛ أما الدافع الآخر الذى حدانى إلى وضع هذا الكتاب فيتمثل فى أننى قد رأيت أن كلا المعلم والمتعلم فى حاجة إلى كتاب أساسى يكون بين يديه مغطيا تاريخ الحضارة والآثار الإسلامية فى اجمال رشيد يمر بالمعالم الرئيسية والمراحل المتباينة ولا يترك شيئا مما تهم دراسته فى مجالى الحضارة والآثار الإسلامية دون دراسة متأنية .

فأما بالنسبة للأستاذ فهذا الكتاب بداية وأما بالنسبة للمتعلم أو القارئ العادى فهو الغاية والنهاية .

ومن ثم إتخذت لهذا الكتاب عنوان « المجمل فى الآثار والحضارة الإسلامية ».

ويتناول هذا الكتاب جوانب الحضارة الإسلامية فى شتى مجالاتها بصورة عامة مجملة وحيوية ووفق صياغة سهلة وميسرة لتمكين المعلم والمتعلم من إستيعاب الموضوع وتمثله . وبذلك يكون بين أيدينا مرجعا أساسيًا موحداً يغطى مفردات مقرر تاريخ الحضارة الإسلامية فى الجامعات المصرية والعربية (وقد كان لى شرف تدريس هذا المقرر

---

(١) شتيبات ، فريتس ، الإسلام شريكا ، دراسات عن الإسلام والمسلمين ، ترجمة عبد الغفار مكاوى ، عالم المعرفة ، العدد ٣٠٢ ، الكويت ، إبريل (٢٠٠٤م) .

وتطوير منهجه خلال العقدين الأخيرين فى كل من جامعة القاهرة وجامعة الملك سعود بالرياض وجامعة الكويت وينطبق عليه نفس المعنى الذي قصد إليه ابن رشد عندما سمي مختصره في الفقه المالكى « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » .

ومهما يكن من أمر فإن هذا الكتاب يهدف إلى تحقيق الغايات التالية :

١ ـ يضع هذا الكتاب أمام الطالب الجامعى الصورة التى رسمها الإسلام للحياة بكل جوانبها وأبعادها والتى إستطاع أن ينشئ على أساسها أمة فريدة يمكن أن تكون مثالاً يحتذى لقيام التجمع الإنسانى على أساس المساواة التامة والعدالة الشاملة ، واستطاع كذلك أن ينشئ حضارة أسهم فيها على قدم المساواة كل الأجناس والأقوام الذين استظلوا براية هذه الأمة الإسلامية ، وقد دفعت هذه الحضارة بالإنسانية إلى مدى بعيد فى التقدم والرقى وقادت العالم قرونا عديدة وكانت من أقوى الركائز التى قامت عليها الحضارة الحديثة .

٢ ـ يشكل هذا الكتاب الأساس أو الأرضية الضرورية اللازمة للبناء المعرفى والحصيلة العلمية والمهارات الفكرية للطالب الجامعى ، وبالتالى فإنه سوف يساهم بدرجة كبيرة فى تكوين شخصيته وتدعيم هويته الثقافية وانتمائه الحضارى .

٣ ـ يحصن هذا الكتاب الطالب الجامعى ضد المحاولات الخبيثة التى تهدف إلى تشويه صورة الإسلام وطمس دوره الرائد عقيدة وفكراً وحضارة . ولكن هيهات فالحقيقة التاريخية أوسع من أن تتأثر بمثل هذه النهشات أو بما يشار من غمز ولمز من قبل المشككين أو المتشككين وغيرهم .

٤ ـ يهيئ هذا الكتاب للطالب الجامعى قاعدة معلوماتية عريضة وواسعة حول تطور الفكر العلمى وأصول وجذور الكثير من العلوم والمعارف الحديثة .

٥ ـ يدعو هذا الكتاب إلى تحقيق التواصل والاستمرارية مع الماضى وهو ما يمكن أن نطلق عليه الأصالة المتجددة والإحياء الحضارى أو فلنقل هى دعوة للتغيير والخروج من الحالة الراهنة التى تمر بها الأمة .

وهذا لا يعنى بحال الانكفاء على الذات فى عملية النهوض والتحديث والتنمية والتجاهل لعمليات التحديث والتنمية عند الغرب (الآخر) وعدم الإفادة من رؤيتها ومنهجيتها ولكن وفق المعايير والقيم الحقيقية التى تتحكم فى عمليتى الأخذ والرد .

أى أننا يجب أن نكون فى مستوى إسلامنا بالنسبة للذات وفى مستوى عصرنا بالنسبة للآخر ، ولو وفقنا فى تحقيق هذه المعادلة لتحققت لنا النهضة الحضارية المنشودة(١).

وعلى الرغم من أن عملية النهوض وردم فجوة التخلف هى عملية جماعية أو مجتمعية إلا أنها تبدأ من عند الفرد فى إطار الدائرة التى يشغلها ويتوسع فيها لتتراكم مجهودات الأفراد وتشكل مجرى كبيراً تنخرط فيه الأمة جميعًا(٢).

ولما كان هذا الكتاب يضم مادة معرفية ضخمة تجمع بين الثقافة العامة الضرورية والتكوين العلمى المتخصص ولذلك كان لا بد أن يغطى هذا الكتاب كافة جوانب الموضوع رغم تشعبه ؛ فضلاً عن صعوبة رصد ظاهراته وتعليلها عبر الزمان والمكان على حد سواء ، ولذلك حرصنا فى هذا الكتاب على الاجمال دون الإغراق فى التفاصيل والتحليل كما سبق القول ، وصدق من قال « ما لم يعلم كله لا يترك كله فإن العلم بالبعض خير من الجهل بالكل » (أبو الفدا - ت٧٣٢هـ) أما الدراسة التحليلية المفصّلة والمتعمقة لكافة جوانب ومفردات الحضارة الإسلامية فسوف نتطرق إليها فى دراستنا التالية الموسومة بـ « المفصّل فى تاريخ الحضارة الإسلامية » والتى سوف تصدر - بمشيئة الله تعالى - فى بضعة مجلدات .

وقد اعتمدت سواء فى هذا الكتاب المجمّل أو موسوعتنا الموسومة بـ « المفصّل » على عدد ضخم من المصادر والمراجع العربية والشرقية والأجنبية .

ولا شك أن هذه المصادر وتلك المراجع كانت النبراس الهادى للدارسين عامة فى مجال دراسة التاريخ والحضارة والآثار الإسلامية ؛ كما كان لها فضلها الذى لا ينكر

---

(١) هناك دراسات كثيرة حول قضية التراجع الحضارى وأزمة التطور الحضارى فى العالم الإسلامى وغير ذلك من القضايا المتصلة بالتراث والأصالة والمعاصرة ، وحسبنا أن نشير ، على سبيل المثال وليس الحصر ، إلى بعضها ومنها :

مصطفى ، شاكر ، (إعداد) ، ندوة أزمة التطور الحضارى فى الوطن العربى ، الكويت (١٩٧٥م)؛ بنت الشاطئ ، عائشة عبد الرحمن ، تراثنا بين ماضٍ وحاضر ، القاهرة ، ط٢ ، (١٩٩١م)؛ محمود ، على عبد الحليم ، التراجع الحضارى فى العالم الإسلامى وطريق التغلب عليه ، (١٩٩٤م) ؛ القرضاوى ، يوسف ، من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا ، بيروت (٢٠٠١م) ؛ حبيب ، رفيق ، فى فقه الحضارة العربية الإسلامية ، إحياء التقاليد العربية ، القاهرة ، ط٢ ، (٢٠٠٣م) ؛ الهنداوى ، حسن إبراهيم ، التعليم وإشكالية التنمية ، تقديم عمر عبيد حسنه ، قطر (٢٠٠٤م) .

(٢) الهنداوى ، التعليم ، ص١٠ - ١٢ .

على صاحب هذا الكتاب الذى بين أيدينا فى كل ما أنجزه من بحوث ودراسات وكتب خلال العقدين الأخرين .

ويضاف إلى ذلك الزيارات الميدانية المتتالية للعديد من المعالم الآثارية فى المدن العربية والإسلامية ؛ فضلا عن المتاحف ودور الكتب والمكتبات التى تغص بالوثائق والتحف الفنية وكنوز التراث الإسلامى المتنوعة .

وحرصا منا على خروج هذا الكتاب المجمّل وفق المنهج العلمى السليم قمنا بتقسيمه إلى مقدمة وتمهيد وبابان وخاتمة . ونستهل المقدمة بدراسة موجزة عن تعريف الحضارة والمفردات الدالة عليها ثم الإلمام بأسس الحضارة الإسلامية وخصائصها .

ويتناول التمهيد دراسة موجزة عن الجغرافيا التاريخية لدار الإسلام وأهم الدول والأسرات الحاكمة .

ويختص الباب الأول بالحضارة الإسلامية وهو يشتمل على خمسة فصول ؛ الأول : نظم الحكم والإدارة ، والثانى : الحياة الاجتماعية ، والثالث : الحياة الاقتصادية ، والرابع : الحياة العلمية والفكرية ، والخامس : أثر الحضارة الإسلامية فى أوروبا .

أما الباب الثانى فقد أفردناه للآثار الإسلامية وهو يشتمل على خمسة فصول أيضًا ؛ الأول : العمارة ، والثانى : الفنون الزخرفية ، والثالث : التصوير الإسلامى وفنون الكتاب ، والرابع: السكة الإسلامية ، والخامس : أثر العمارة والفنون الإسلامية فى أوروبا .

ويلى ذلك الخاتمة فالأشكال واللوحات ثم ثبت المصادر والمراجع .

وبعد ...،

فإذا كنت قد وفقت فلله الحمد وهو من وراء القصد خير معين ، وإن كنت قد قصرت فحسبى أن تكون هذه الدراسة لبنة صغيرة فى خدمة تراث الحضارة الإسلامية بما يحقق الخير لهذه الأمة التى أراد لها الله ـ عز وجل ـ أن تكون خير أمة أخرجت للناس .

والله الموفق

د. محمد حمزة إسماعيل الحداد

القاهرة ـ مدينة نصر فى

١٨/٩/٢٠٠٤م


مقدمة

مقدمة

أولاً ـ تعريف الحضارة :

يمكن القول ، بادئ ذى بدء ، أن الحضارة ظاهرة إنسانية عامة ، فالإنسان هو المخلوق الوحيد الذى يرتقى ويعمل على تحسين أحوال نفسه بفضل ما أنعم عليه الخالق المبدع سبحانه وتعالى من نعمة العقل التى تمكنه من التفكير واختزان المعلومات والربط بينها والإفادة منها ، فكل أجناس البشر متحضرة وما من جماعة أو أمة إلا ولها حضارتها والفرق فى المستويات فالجماعات البدائية والقبائل الرحل وحتى سكان المناطق المنعزلة لها مستواها الحضارى .

فالحضارة إذن صفة للإنسان بوجه عام وهى التى تميزه عن مجتمع الحيوان[١].

وإذا كان الأمر كذلك فما هى إذن الحضارة ؟ وما هى المصطلحات الدالة عليها ؟

وقبل أن نحدد مفهوم كلمة الحضارة علينا أولاً أن نتطرق إلى تلك المصطلحات الدالة على معنى هذه الكلمة سواء فى اللغات الغربية أو فى اللغة العربية .

ففى اللغات الغربية تستعمل للدلالة على معنى الحضارة لفظتان رئيسيتان هما : Culture, Civilization ولكل منها تاريخ طويل متشعب ووجوه مختلفة من التعبير والدلالة يضيق المقام عن استعراضها هنا[٢]، ومن ثم سوف نكتفى بالإشارة إلى ما يهمنا منها فى سبيل تحديد المفهوم الذى تدور عليه دراستنا .

---

(١) زكريا ، فؤاد ، الإنسان والحضارة فى العصر الصناعى ، ط٢ ، د. ت، ص١٠ ـ ١١ ؛ مؤنس ، حسين ، الحضارة ، دراسة فى أصول وعوامل قيامها وتطورها ، عالم المعرفة ، العدد ٢٣٧ ، ط٢ ، الكويت (جمادى الأولى ١٤١٩هـ/ سبتمبر ١٩٩٨م) ، ص٥٢ .

(٢) عن الدراسة الدقيقة المفصّلة لكل من هذين المصطلحين وتطورهما انظر ، على سبيل المثال ، Kroeber., A. L., and Kluckhohn, C., Culture, Acritical Review of Concepts and definitions, Pepers of the peabody, Museum of Amercian Archaeology and Ethnology, Harvard University, vol, XLVII, No. I, Camb ridg (1952) .

إن كلمة Civilization الإنجليزية أو كلمة Civilisation الفرنسية أو كلمة Zivilisation الألمانية مشتقة من كلمة Civis أو Civilis اللاتينية بمعنى مدنى أو ساكن المدينة ثم أخذت تستعمل مجازاً وعنت فى بادئ الأمر اكتساب الصفات المحمودة وبخاصة الألطاف الفردية والجماعية ، وكانت ترد فى الأغلب بصيغة الفعل Civilize أو Civiliser لا بصيغة المصدر دلالة على العملية ذاتها لا على النتيجة الحاصلة منها ثم تطورت لتعبر عن هذه النتيجة - أى عن حالة الرقى والتقدم فى الأفراد وفى المجتمعات - كما تطورت هذه اللفظة لدى البعض وبصفة خاصة علماء الانثروبولوجى فصارت تدل على حياة المجتمع بكاملها سواء أكان هذا المجتمع راقيا أم غير راقٍ[(١)].

أما كلمة Culture فمشتقة كذلك من كلمة Cultura اللاتينية من فعل Colere بمعنى حرث أو نمى ، وقد كانت دلالة الأصل اللاتينى فى العصور القديمة والوسيطة مقصورة على تنمية الأرض وزراعتها تلك الدلالة التى نجدها فى agri - culture و Horti - Culture وأمثالها ومع أن شيشرون استعملها بالمعنى المجازى داعيا الفلسفة Cultura mentis أى فلاحة العقل وتنميته فإن هذا المعنى ظل نادراً فى اللغة اللاتينية.

وفى أوائل العصر الحديث بدأت تستعمل الكلمة فى الإنجليزية والفرنسية بمدلوليها المادى والعقلى مع إضافة الشيء المقصود تنميته ، ثم تطورت هذه الكلمة فى فرنسا أولاً ثم ألمانيا وإنجلترا ثانيا إلى معنى إجمالى مطلق دون إضافة إلى شيء معين فغدت تدل على تنمية العقل والذوق وحصيلة هذا الإنماء فحسب .

ثم لم تلبث أن اكتسبت هذه الكلمة دلالة اصطلاحية جديدة على يد علماء الاجتماع والانثروبولوجيا وعلى رأسهم الألمانى جوستاف كليم والإنجليزى ادواردتايلور وصار يقصد بها جماع حياة أى مجتمع من المجتمعات ويشمل مختلف أشكال هذه الحياة وفاعلياتها ومظاهرها .

---

(١) زريق ، قسطنطين ، فى معركة الحضارة ، بيروت ، ط٤ ، (١٩٨١م) ، ص٣٤ - ٣٥ ؛ صبحى ، أحمد ، فى فلسفة الحضارة ، الإسكندرية ، (١٩٧٥م) ص٣ .

ورغم أن هذه الدلالة الاصطلاحية قد راجت فى ألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية إلا أن ذلك لم ينف عن الكلمة معانيها الأصلية السابقة ولا سيما فى الفرنسية والإنجليزية ولغات أخرى فلا تزال الكلمة تستعمل بمعنى الثقافة الفردية والثقافة بوجه عام .

نخلص من هذا الاستعراض إلى القول أننا لا نجد لهاتين اللفظتين فى اللغات الغربية الحديثة تحديدات مستقرة ولا نلقى تمييزاً واضحًا بينهما مقبولا بوجه عام ومن ذلك على سبيل المثال معجم ويبستر المطول (Webster) يعرف كلا من هاتين اللفظتين بالأخرى(١).

والأكثر من ذلك فإن اتجاهات التمييز بين اللفظتين قد زاد من اضطراب الدلالات ، فالمدرسة الإنجليزية تطلق كلمة Civilization على الحضارات العليا وحدها أما الحضارات البدائية فيطلقون عليها كلمة Culture وهناك من أتباع هذه المدرسة من يطلق هذه الكلمة الأخيرة على الحضارات فى كل مستوياتها بينما يطلق الكلمة الأولى على الحضارات العليا دون تخصيص .

أما المدرسة الألمانية والأمريكية فتطلق كلمة Kultur (Culture بالإنجليزية) على المظاهر المادية والتقنية (التكنولوجيا) للحضارة وكلمة Zivlisation (Civlization بالإنجليزية) على المظاهر العقلية والأدبية ، ومنهم من ذهب إلى عكس هذا تمامًا .

بل إن هناك من إستعمل هاتين الكلمتين للدلالة على دورين مختلفين من الأدوار التى تمر بها كل حضارة ؛ فها هو شبنجلر يطلق Kultur على دور الفتوة والأزدهار والإنتاج الروحى ويطلق Zivlisation على دور الهرم والركود والإنتاج المادى وهذا الدور الأخير هو الذى يسبق إنحلال الحضارة وزوالها .

والمدرسة الفرنسية تطلق كلمة Civilisation على الحضارة فى كل مستوياتها أما

---

(١) زريق ، فى معركة الحضارة ، ص٣٢ ـ ٣٥ .

كلمة Culture فتطلق على الثقافة بالمعنى الشائع عندنا فى العربية[١].

وإذا انتقلنا إلى العربية وجدنا ثمة لفظتين رئيسيتين تستعملان للدلالة على معنى الحضارة وهما : الحضارة والمدنية .

والحضارة (بفتح الحاء أو كسرها) تعنى الإقامة فى الحضر أى الاستقرار فى المدن والقرى وذلك بخلاف البداوة (بفتح الباء أو كسرها) وهى الإقامة المتنقلة فى البوادى ، وعلى ذلك فإن المعنى الأصلى للفظة الحضارة إنما هو سكنى الحواضر رما ينشأ عن هذه السكنى أو يصحبها من فنون الحياة ومظاهرها[٢].

وكان العرب يميزون بين البداوة والحضارة بألفاظ أخرى منها أهل الوبر[٣] وأهل المدر[٤] أو أهل الحدر[٥] وأهل الحجر[٦].

والمدنية كلمة مولدة لم ترد فى المعاجم العربية القديمة ، وإن كانت هناك فى مصادر

---

(١) زريق ، فى معركة الحضارة ، ص٣٥ ـ ٣٧ ؛ محمود ، أحمد حمدى ، الحضارة ، القاهرة (١٩٧٧م) ، ص١٦ ـ ١٨ ؛ الشريف ، أحمد إبراهيم ، دراسات فى الحضارة الإسلامية ، القاهرة ، ط٢ (١٩٨١م)، ص١٣ .

Dennes , W. R., Conceptions of Civilization in Civilization, University of California Press, (1959), P. 149., Spengler, O., the Decline of the west, vol, I, New York (1946), P. 104 .

(٢) انظر المعاجم اللغوية المعروفة ومن أهمها كل من : لسان العرب لابن منظور والقاموس المحيط للفيروزآبادى وتاج العروس للزبيدى وتكملة المعاجم العربية لدوزى والمعجم الوسيط الذى أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى جزئين (١٩٦٠ ـ ١٩٦١م) ، والعديد من المراجع العربية الحديثة التى تناولت الحضارة الإسلامية وهى المذكورة فى هوامش هذا الكتاب وفى ثبت المصادر والمراجع بنهايته .

(٣) يقصد بالوبر الصوف الذى يصنع منه البدوى خيامه وملابسه ومن هنا فأهل الوبر هم أهل البادية أو البوادى .

(٤) يقصد بالمدر قطع الطين المتماسك وهو ما يبنى به فى القرى أو المدن ومن هنا فأهل المدر هم أهل القرى والمدن ولذلك وصف العرب مصر بالمدرة السوداء كناية عن أنها تتكون من قرى ومدن .

(٥) يقصد بالحدر الأرض المنحدرة التى لا يبنى عليها ومن هنا فأهل الحدر هم أهل البادية أو البوادى .

(٦) يقصد بهم أهل المدن ، وكانت توجد فى الجزيرة العربية عدة مدن باسم الحجر .

ماجد ، عبد المنعم ، تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى، القاهرة ، ط٥، (١٩٨٧) ، ص١٠.

التراث الإسلامى لفظة مدنى بمعنى إجتماعى ولفظة التمدن أو التمدين بمعنى الحضارة أو التحضر[1].

وهناك من يرى أن استعمال لفظة المدنية مرادفة للفظة الحضارة لا يعدو أن يكون ضربا من التساهل فى دلالات الألفاظ ذلك لأن الحضارة ـ بمعناها الدقيق ومفهومها العلمى ـ أعم وأشمل من المدنية لأن الحضارة تشتمل على النشاط الاجتماعى من كافة جوانبه الروحية والمادية ، أما المدنية فهى مجرد النشاط المادى للمجتمع وبذلك تكون المدنية جانبا من جوانب الحضارة وفرعا من فروعها[2].

وهنا لا بد لنا من أن نقف وقفة ، ولو قصيرة ، عند المؤرخ والفيلسوف الاجتماعى ابن خلدون (المتوفى ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) لأنه أبرز من تصدى لهذا الموضوع فى اللغة العربية، بل أول من عالج شؤون الحضارة بصورة منظمة فى العالم فاستحق أن يعتبر مؤسس علم الانثروبولوجيا الحضارى أو كما أسماه هو « علم العمران البشرى والاجتماع الإنسانى ».

فالحضارة عند ابن خلدون هى طور طبيعى أو جيل من أجيال طبيعية فى حياة المجتمعات المختلفة ، وهكذا البداوة ولكن البداوة أقدم والبدو أصل للحضر ، والحضارة غاية للبداوة ، وغاية العمران هى الحضارة والترف وإنه إذا بلغ غايته انقلب إلى الفساد وأخذ فى الهرم وعلى ذلك يكون ابن خلدون قد سبق علماء الغرب فيما يتعلق بنظرية انحلال الحضارة وزوالها[3].

أما لفظة الثقافة فهى مشتقة من ثقف فلان أى صار حاذقا فطنا ، وعلى ذلك فهى تعنى العلوم والمعارف والفنون التى يطلب الحذق فيها أى أنها تدل على زيادة الصقل والارتقاء ، أو بمعنى آخر فهى تعنى الجوانب العقلية والوجدانية بالدرجة الأولى أو

---

(١) زريق ، فى معركة الحضارة ، ص٣١ ـ ٣٢ ؛ ماجد ، تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص١٠ .

(٢) الشريف ، دراسات فى الحضارة الإسلامية ، ص١٣ ـ ١٤ .

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ص ٣٨ ، ٤١ ، ١٢٠ ـ ١٢٨ ، ١٥١ ، ١٧٢ ، ٣٧١ ـ ٣٧٤ ؛ زريق ، فى معركة الحضارة ، ص٢٨ ـ ٣٠ ، ٣٦ ـ ٣٧ ؛ ولمزيد من التفاصيل والأراء والمناقشات انظر ، مؤنس ، الحضارة ، ص١٥٤ ـ ١٥٧ ؛ الشامى ، عبد العال ، جغرافية العمران عند ابن خلدون ، الكويت (١٩٨٨م) ؛ النشار ، مصطفى ، فلسفة التاريخ ، القاهرة (٢٠٠٤م) ، ص ٦٦ ـ ٧٠ .

مجموع المعلومات والمعارف والممارسات والقيم الخاصة بشعب ما والتى يعيش بمقتضاها وهى التى تميزه عن غيره من الشعوب لأنها تعبير صادق عن شخصيته وملامح هذه الشخصية وطريقته الخاصة فى الحياة(١).

وعلاوة على ذلك فلفظة الثقافة ليست مرادفة للفظة الحضارة فى العربية لأنها تمثل جانبا من جوانب الحضارة وفرعا من فروعها . ولعلنا لا نبالغ الحقيقة حين نقول إن هذا الجانب ـ أى الثقافة ـ هو أهم جوانب الحضارة لأنه هو الجانب المعبر عن خصوصيتها والدال على هويتها ؛ وبالتالى يمكن من خلاله تمييز الحضارات بعضها عن بعض من جهة بل والتمييز بين الأقطار التى تتشكل منها الحضارة الواحدة من جهة ثانية .

نخلص من كل ما تقدم إلى أن الحضارة هى ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته ، سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداً أم غير مقصود ، وسواء كانت الثمرة مادية أو معنوية . ويرتبط هذا المفهوم للحضارة أشد الارتباط بالتاريخ لأن التاريخ هو الزمن ، والثمرات الحضارية أيا كان مستواها تحتاج إلى زمن لكى تطلع وتظهر ، أى أنها جزء من التاريخ أو نتاج جانبى للتاريخ ، وكما أن ثمار الزروع والأشجار لا يطلع إلا بفعل الزمن ، إذ لا يمكن أن تزرع وتحصد ثمرة ما فى نفس الوقت فإن ثمار الحضارة لا تظهر إلا بإضافة الزمن إلى جهد الإنسان(٢).

أما الألفاظ الأخرى ـ وهى المدنية والثقافة ـ فلا يمكن بأى حال من الأحوال أن تكون مرادفة لمصطلح الحضارة ، لأن كل لفظة منهما إنما تمثل جانبا واحداً من جوانب الحضارة أو فرعا من فروعها كما سبق القول .

ونضيف على ذلك فنقول أن الجانب الأول ـ وهو المدنية ـ قد تشترك أو تشارك فيه كل الحضارات ، أما الجانب الثانى ـ وهو الثقافة ـ فسيظل هو معيار الخصوصية وإثبات الذات بين الحضارات المختلفة بل وبين أقطار الحضارة الواحدة كما سبق القول .

---

(١) محمود ، الحضارة ، ص ٦ ـ ٧ ؛ مؤنس ، الحضارة ، ص ٣٩٤ ـ ٣٩٩ .
(٢) مؤنس ، الحضارة ، ص١٥ .

ثانيًا : أسس الحضارة الإسلامية :

نبعت الحضارة الإسلامية من أصول وأسس كان لكل منها دوره فى نشأتها وخصائصها ومثلها أو خلال مراحل نموها أو حين إزدهارها ، ونستطيع أن نجملها فى النقاط التالية :

١ ـ **القرآن الكريم :** هو المصدر الرئيسى الأول للإسلام وشريعته وحضارته . ولقد نزل القرآن الكريم على سيدنا محمد بن عبد الله منجمًا أى مفرقا على مدار الثلاث والعشرين سنة التى ظل يدعو فيها الرسول الكريم إلى دين الله الخاتم ، ومن هذه السنوات ثلاث عشرة سنة قضاها الرسول الكريم فى مكة المكرمة ولذلك عرفت الآيات القرآنية الشريفة التى نزلت خلال تلك المدة بالآيات المكية وهى تمثل الطور الأول للدعوة الإسلامية ، وهو الطور المكى ، وفيه تمت إقامة العقيدة الجديدة وما يتصل بها من تصورات ، كما تم إعداد النواة الأولى للجماعة الإسلامية التى أقامت هذه العقيدة فى حياتها فى صورة عقيدة وعبادة وسلوك ، ولذلك فإن جميع الآيات المكية ظلت تنزل طيلة هذه المدة لتعالج قضية واحدة لا تتغير ، وهى قضية العقيدة الجديدة ، وإن كان أسلوب عرضها لا يتكرر ، فهو يعرضها بأسلوب يدعها فى كل عرض جديدة حتى لكأنه يطرقها لأول مرة .

أما الآيات القرآنية الشريفة التى نزلت خلال العشر سنوات الأخرى فقد عرفت بالآيات المدنية ، وهى تمثل الطور الثانى للدعوة الإسلامية ، وهو الطور المدنى » وفيه تم إقامة المجتمع الإسلامى وإقامة النظام الإسلامى بإعلان قيام الأمة الإسلامية الجديدة وفيه تم إكمال الشعائر والتشريعات التى تحكم المجتمع الإسلامى وتنظم حياته فى كل شئونها[١] .

وقد بلغت سور القرآن الكريم مائة وأربعة عشر سورة ؛ وهى تنقسم إلى أربعة أقسام هى : الطوال والمثون والمثانى والمفصّل ، وهذا الأخير هو ما يلى المثانى من قصار السور إلى آخر القرآن الكريم وسمى بذلك لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة ، وقد

(١) الشريف ، دراسات فى الحضارة الإسلامية ، ص ٩١ ـ ٩٢ .

اخـتلف العلمـاء فى أوله ، وهو ينقـسـم إلى ثلاثة أقـسـام هى : طواله وأوسـاطه وقصاره[1].

وفى القرآن الكريم يكمن سر أصالة الحضارة الإسلامية[2] وعظمتها فهو كتاب الله سبحانه وتعالى ، يهدى للتى هى أقوم ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فيه خير للبشر سواء روحيا أو عقليا أو اجتماعيًا ، فهو يدعو إلى عقيدة حقة واضحة خالية من التعقيد والغموض والأوهام ، كما أنه ينظم المجتمع على أسس سليمة تضمن له الأمن والرخاء والسعادة فى الدنيا والآخرة ، وهو يضمن حرية الرأى والعقيدة ويدعو إلى التعارف والتحاب وينص على المساواة[3]. ومجمل القول أن القرآن الكريم لم يكن كتاب دعوة ودين فحسب بل هو دستور نظام ومنهج حياة فقد رسم للأمة الإسلامية تصوراتها للحياة فى جوانبها المختلفة ، ومن ذلك التصورات الروحية لظواهر الطبيعة ومشاهد الكون وأسراره ونشأة الحياة واتجاه التاريخ ومضمون المجتمع وما إلى ذلك من سائر المفاهيم التى يحتاج إليها الإنسان بفطرته لتصور الحياة وتفهم مغزاها ومصيرها ، ليكمل بناء الأمة من كل وجه ماديا وروحيا وفلسفيا وتقوم القاعدة اليقينية التى تبنى عليها الأمة حياتها وتؤدى على أساسها دورها فى مجال الحياة الإنسانية .

ويتمثل ذلك الدور الذى أعدت له الأمة الإسلامية فى تحرير الناس والقوامة على الناس والشهادة على الناس[4]؛ ويتجلى ذلك فى قوله عز وجل ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾[5]. صدق الله العظيم.

والحق أنه لمن المتعذر إستقصاء فضائل القرآن الكريم التى قامت على أساسها

---

(١) العسقلانى ، الحافظ أحمد بن حجر ، ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م ، فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، جـ٨ ، تحقيق عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، الرياض ، د. ت ، ص٦٥٩ ؛ السيوطى ، جلال الدين ، ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م ، الاتقان فى علوم القرآن ، جـ١ ، بيروت ، دار الفكر ، د. ت ، ص٦٣ .

(٢) ضيف ، شوقى ، الحضارة الإسلامية من القرآن والسنة ، القاهرة (١٩٩٧م) .

(٣) الباشا ، حسن ، دراسات فى الحضارة الإسلامية ، القاهرة ، ط٢ ، (١٩٩٢م) ، ص٤ ؛ عبد الرازق ، أحمد ، الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، جـ١ ، القاهرة (١٩٩٠م) ، ص٢١ .

(٤) الشريف ، دراسات فى الحضارة الإسلامية ، ص١١٩ ـ ١٢٠ ، ١٣٨ ـ ١٨٩ .

(٥) سورة البقرة (وهى سورة مدنية) آية رقم ١٤٣ .

الحضارة الإسلامية[1]، وحسبنا أن نستشهد بقوله سبحانه وتعالى ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ صدق الله العظيم .

٢ـ السنة النبوية الشريفة :

هى المصدر الثانى من مصادر التشريع فى دين الله الخاتم ، وهى تشمل أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته أو وصف خِلقى أو خُلقى وذلك يشمل ما يعرف بالحديث القدسى وهو ما يرويه النبى صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل .

والإيمان بالنبى صلى الله عليه وسلم هو ثانى شطرى العقيدة الإسلامية « لا إله إلا الله محمد رسول الله » .

ولقد فرض الله فى كتابه العزيز على المؤمنين اتباع الرسول (صلى الله عليه وسلم) وطاعته فى آيات كثيرة كما فى قوله تعالى ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾[2] و﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله]‏[3] و ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ﴾[4] و﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾[5] و ﴿ وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله أن الله شديد العقاب ﴾[6] و ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾[7]. و ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾[8].

---

(١) الباشا ، دراسات ، ص٥ ، عبد الرازق ، الحضارة ، ص٢٢ ؛ ولمزيد من التفاصيل انظر ، شلبى ، أبو زيد ، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى ، القاهرة ، ط٢ (١٩٧٥م) ص٣٧ ـ ٦٣ .

(٢) سورة النساء آية رقم ٥٩ .

(٣) سورة النساء ، آية رقم ٨٠ .

(٤) سورة آل عمران ، آية رقم ٣١ .

(٥) سورة الأحزاب ، آية رقم ٢١ .

(٦) سورة الحشر ، آية رقم ٧ .

(٧) سورة الأحزاب ، آية رقم ٣٦ .

(٨) سورة النور ، آية رقم ٦٣ .

والسنة هي بيان وشرح للقرآن ، فإن أصول الدين وأحكامه وردت فى القرآن الكريم مجملة فى الأعم الأغلب ، والحديث النبوى هو الذى تولى بيانها وتفصيلها عملاً بقوله تعالى ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾[1] . صدق الله العظيم وعلى ذلك فالسنة بالنسبة للقرآن كالمذكرة التفسيرية للدستور فى لغة هذا العصر وكالقوانين التى تعبر عن المبادئ العامة التى يتضمنها الدستور فى الأنظمة المعاصرة[2] .

فقد أمر الله سبحانه وتعالى بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فى مواطن من كتابه ولكنه سبحانه وتعالى لم يبين عدد الصلوات ولا كيفيتها ولا أوقاتها وجاءت السنة ببيان ذلك كله ، وكذلك لم يبين متى تجب الزكاة وفى أى الأموال تجب ، ولا أنصبتها ، ولا تنوع هذه الأنصبة بتنوع الأحوال ، وجاءت السنة ببيان ذلك كله .

وبذلك كانت السنة النبوية الشريفة جزءاً لا يتجزأ من شريعة الإسلام ، له قدسيته، وصارت معرفته والتزامه ضرورة دينية ؛ إذ هو بيان للقرآن ومتمم للشريعة ونصيحة للأمة ولا يستغنى عنه مفسر ولا فقيه ولا واعظ ولا مسلم ولا باحث فى أصول هذه الشريعة أيا كان معتقده . لذلك فقد أوصى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصحابه بأن يأخذوا عنه الحديث كما يأخذون عنه القرآن الكريم ، وأن يعملوا به وأن يبلغوه عنه وحثهم على حسن الأداء ، وحذر من الكذب عليه ، وإستفاضت بذلك نصائحه ووصاياه (صلى الله عليه وسلم). فمن ذلك قوله فى الحديث المشهور بل المتواتر : « نصر الله امرا سمع مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع » وكذلك قوله فى خطبته فى حجة الوداع « ليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع »[3].

وهذا هو السبب الذى جعل الصحابة ومن بعدهم يعتنون بالسنة النبوية عناية كبيرة حفظًا وكتابة وفتوى وقضاءً وعلما وعملا وفهما ومذاكرة ، حتى ظهر علم الحديث وإزدهرت فنونه وبلغت الكتب التى تدور فى فلك السنة والحديث النبوى آلاف المصنفات[4].

---

(١) سورة النحل ، آية رقم ٤٤ .

(٢) المطيرى ، حاكم عبيسات ، تاريخ تدوين السنة وشبهات المستشرقين ، الكويت (٢٠٠٢م)، ص٧ .

(٣) مجمع اللغة العربية ، معجم مصطلح الحديث النبوى ، القاهرة (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م)، تصدير د. شوقى ضيف رئيس المجمع .

(٤) المطيرى ، تاريخ تدوين السنة ، ص٧ ـ ٨ .

وتمتاز السنة النبوية الشريفة بأنها محيطة بجوانب الحياة وأطوارها وأنها مطبقة وليست مجرد نظريات وأراء كما أنها حقيقية وصحيحة وتاريخية وليست أساطير وخرافات ، وبفضلها وتأسى المسلمين بسيرة صاحبها (عليه الصلاة والسلام) طبعت الحضارة الإسلامية بهذا الطابع الإنسانى الذى يتمثل فى حب الخير والعمل الصالح والصدق فى المعاملة والإخلاص فى العمل والتسامح والرفق والحرص على العلم والتعمير والاتزان وغير ذلك من الشمائل العديدة التى جعلت المسلمين خير أمة أخرجت للناس(١).

٣ـ العرب :

من الأسس التى قامت عليها الحضارة الإسلامية الجنس العربى أو العرق العربى فالنبى صلى الله عليه وسلم عربى والصحابة عرب ، وبذلك كان العرب مادة الإسلام فهم أول من تلقى الدعوة الإسلامية وأمن بها وجاهد فى سبيلها ، وعلى يد العرب دخل الإسلام كثيراً من الأقطار وإنتشر بين الناس فى المشرق والمغرب على السواء ، ومن ثم طبعت الحضارة الإسلامية بالطابع العربى حتى أنه يحلو للبعض تسميتها بحضارة العرب أو الحضارة العربية .

ولما كان المقام لا يتسع لدراسة تاريخ العرب وحضارتهم قبل الإسلام ولذلك حسبنا أن نشير إلى أن النظرية التى راجت وإنتشرت بين المستشرقين والعلماء الغربيين ومن نحا نحوهم ، والمعروفة بنظرية الفراغ العربى قبل الإسلام ؛ قد صارت غير مقبولة وبالتالى فإنه لا يعول عليها كثيراً فى الدراسات الحديثة ؛ ومن أهمها بطبيعة الحال تلك الدراسات التى إعتمدت على الحفائر والاكتشافات الآثارية فى الجزيرة العربية بأقسامها المعروفة .

وقد أثبتت تلك الدراسات أنه كان للعرب قبل الإسلام حضارة لم تكن تقل عن حضارة غيرهم من الأمم المجاورة ، وقد تمثلت هذه الحضارة فى عدد من الممالك العربية قبل الإسلام سواء فى جنوب الجزيرة أو وسطها أو شمالها أو شرقيها ، وتجلى ذلك فى العديد من المظاهر الحضارية ومنها تخطيط المدن والعمارة والفنون الزخرفية والتشكيلية

---

(١) الباشا ، دراسات ، ص ٥ ـ ٨ ، عبد الرازق ، الحضارة الإسلامية ، جـ١ ، ص٢٢ ـ ٢٤ .

والسكة واللغة والكتابة والشعر ؛ فضلا عن العادات والتقاليد وغير ذلك .

وكان لموقع بلاد العرب التى تحتل منطقة القلب فى بلاد الشرق الأدنى القديم أثره الكبير فى تجارة القوافل وما لعبته من دور بارز فى التفاعل الحضارى بين مراكز الحضارات القديمة ، وإن الاكتشافات الآثارية الحديثة فى المراكز التجارية العربية القديمة فى الجزيرة العربية لتوضح لنا عمق هذا التفاعل وأبعاده(١).

وهكذا صقل العرب بفضل تاريخهم وخبراتهم وتجاربهم وهيئوا لأن يحملوا رسالة الإسلام وينشروها ، ولو كان العرب همجا كما زعم بعض المغرضين لما استطاعوا القيام بأعباء رسالة الإسلام ولما نجحوا فى نشرها هذا النجاح المذهل ، ولقد كان لهذا كله أثره فى نشأة الحضارة الإسلامية وتكوينها وتطورها . وكان من الطبيعى أن يكون للعرب شأن كبير فى إبداع هذه الحضارة التى نشأت فى حجرهم(٢).

---

(١) حسبنا أن نشير إلى بعض الدراسات التى تناولت تاريخ العرب وحضارتهم قبل الإسلام وذلك على سبيل المثال وليس الحصر ،
الأسد ، ناصر الدين ، مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية ، القاهرة (١٩٧٠م)؛ الأفغانى ، سعيد، أسواق العرب فى الجاهلية والإسلام ، دمشق (١٩٧٣م) ؛ الأنصارى ، عبد الرحمن الطيب ، قرية الفاو ، صورة للحضارة العربية قبل الإسلام ، الرياض (١٩٨٢م) ؛ أثر الفنون العربية قبل الإسلام فى الفن الإسلامى ، اليمن (١٩٧٩م) ؛ بوتس ، د. ت ، مسكوكات ما قبل الإسلام فى شرق الجزيرة العربية، ترجمة صباح عبود الجاسم ، الشارقة (١٩٩٨م) ؛ الشمس ، ماجد عبد الله ، الحضر ، العاصمة العربية ، بغداد (١٩٨٨م) ؛ على ، جواد ، المفصّل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، ١٠ مجلدات ، بيروت (١٩٦٩م)؛ كوزفان بيك ، تاريخ العربية الجنوبية وآثارها ، ترجمة رضا جواد الهاشمى ، التراث، مج٢ ، عدن (١٩٧٨م)، ص٧٧ ـ ١٠٧ ؛ مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية ، إدارة الآثار والمتاحف ، وزارة المعارف السعودية ، الرياض (١٩٧٥م)؛ ندوة دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الأول ، الجزء الأول ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، جامعة الرياض (الملك سعود الآن) (١٩٧٩م) ؛ الهاشمى ، رضا جواد ، المدخل إلى آثار الخليج العربى ، البصرة (١٩٨٠م) ؛ يحيي ، لطفى عبد الوهاب، العرب فى العصور القديمة ، بيروت (١٩٧٨م) ، صالح ، عبد العزيز ، محاضرات فى تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة ، القاهرة ، ط٢ ، د ت ، ديسو ، رنيه ، العرب فى سوريا قبل الإسلام ، ترجمة عبد الحميد الدواخلى ، مراجعة محمد مصطفى زيادة ، القاهرة د ت ؛ نيلسن ، ديتلف ، وآخرون ، التاريخ العربي القديم ، ترجمه واستكمله فؤاد حسنين على ، راجعه زكي محمد حسن ، القاهرة (١٩٥٨م)؛ نامى ، خليل يحيى ، العرب قبل الإسلام ، القاهرة (١٩٨٦)؛ البدر ، سليمان سعدون ، مكان الخليج العربي فى حضارة الشرق الأدني القديم، جامعة الكويت (١٩٨٠م)؛ شاهين ، علاء الدين عبد المحسن ، تاريخ الخليج والجزيرة العربية القديم ، الكويت (١٩٩٧م).

(٢) الباشا ، دراسات ، ص٨ ـ ٩ ؛ عبد الرازق ، الحضارة ، جـ١ ، ص٢٦ ـ ٢٧

٤ ـ اللغة العربية :

تعد اللغة العربية من أهم أسس الحضارة الإسلامية وكانت قد بلغت نضجها عند ظهور الإسلام ، وقد إختارها الله (سبحانه وتعالي) لتكون لغة آياته الكريمة التى نزل بها الروح الأمين على سيد المرسلين (عليه الصلاة والسلام) ومن ثم جاء القرآن الكريم بلسان عربى مبين وشرفت بأن ينطق بها كلام الله جل وعلا إلى يوم الدين(١).

واللغة العربية من أرقى لغات العالم إن لم تكن أرقاها ذلك إنها تتصف بكثرة المترادفات ؛ فضلا عن المرونة والقدرة على صياغة المشتقات من ألفاظها ، مع سهولة التعبير الدقيق داخل إطار من سمو البلاغة وسحر البيان .

ونظراً لسلاسة الألفاظ والجمل العربية ظهر فى اللغة العربية فن العروض كفن كامل أثر فى كثير من اللغات الأخرى .

وبفضل قوة اللغة العربية وغناها وقدرتها على النحت وإشتقاق اللفظ المعبّر إستطاعت أن تكون أداة صالحة للتعبير عن أعظم حضارة عرفها العالم أجمع فى العصور الوسطى ، ذلك أنها لم تقف عاجزة أمام علوم اليونان والفرس والهنود وغيرهم من أصحاب الحضارات السابقة ؛ وإنما عبرت عن علومهم ومعارفهم بما فيها من معانٍ ومصطلحات تعبيراً علميا دقيقًا(٢).

وعنها نقلت الحضارة الإسلامية إلى الشعوب الأخرى فترجم ما حوته من علم ومعرفة وثقافة وآداب إلى الشعوب الأخري(٣).

ويتصل باللغة العربية الخط العربى الذى أخذ شأنه فى الإزدياد منذ ظهور الإسلام: إذ صار إنتشار الخط العربى مصاحبًا لانتشار اللغة العربية بل زاد عليها حين صار يكتب به لغات غير عربية مثل الفارسية والتركية والاردية(٤).

---

(١) الباشا ، دراسات ، ص١٠ .

(٢) عاشور ، سعيد ، وآخرين ، دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ، الكويت ، ط٢ (١٩٨٥م) ، ص٥٤ ـ ٥٥ ؛ عبد الرازق ، الحضارة ، جـ١ ، ص٢٧ .

(٣) الباشا ، دراسات ، ص١١ .

(٤) عبادة ، عبد الفتاح ، انتشار الخط العربى فى العالم الشرقى والعالم الغربى ، القاهرة ، ط٢ ، ، د. ت .

واحتل الخط العربى مكان الصدارة فى العمارة والفنون الإسلامية ، وكان من أهم النقوش الزخرفية الرئيسية فى العمائر والتحف المختلفة ؛ فضلا عن نقوش السكة الإسلامية .

وهكذا كان الخط العربى ، مثله مثل اللغة العربية ، وسيلة التعبير عن الحضارة الإسلامية ، وعاملاً مهما من عوامل الوحدة فيها(١).

٥- شعوب الأقطار المفتوحة :

أسهمت شعوب الأقطار المفتوحة التى إنضوت تحت لواء الإسلام من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب بدور كبير وفعال فى بناء وتشكيل وإزدهار الحضارة الإسلامية . فبفضل هذه الشعوب ذات التراث الحضارى التليد ورثت الحضارة الإسلامية ما توصلت إليه البشرية حتى ذلك الوقت من معارف فى مختلف المجالات ، كما شاركت تلك الشعوب أيضًا فى خلق وابتكار عناصر ومظاهر حضارية جديدة أسهمت فى إنماء وإثراء وإزدهار الحضارة الإسلامية(٢) .

والحق أنهم لم يتركوا علما ولا فنا ولا أدبا ولا ضربا من ضروب النشاط البشرى المفيد إلا أسهموا فيه بسهم كبير وافر كما سنرى فى ثنايا هذا الكتاب .

٦- الإطار الجغرافى :

يعد الإطار الجغرافى أحد الأسس الهامة فى نشأة وتشكيل وإزدهار الحضارة الإسلامية فلو نظرنا نظرة جغرافية شاملة لأقاليم العالم الإسلامى لوجدناها تمتد من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب على شكل شريط يكاد يحزم الأرض من وسطها ، ويقع هذا الحزام الجغرافى الإسلامى بصفة عامة بين خطى عرض ٢٠ و ٤٠ شمال خط الاستواء، ولذلك ليس غريبا إذا لاحظنا أن هذه الأقاليم تكاد تتفق أيضًا فيما بينها من حيث الظروف المناخية ، درجة الحرارة ، كمية ومواسم هطول الأمطار ، مصادر المياه ،

---

(١) الباشا ، دراسات ، ص١٢ ؛ عبد الرازق ، الحضارة ، جـ١ ، ص٢٩ .

(٢) الباشا ، دراسات ، ص١٢ - ١٣ ؛ عاشور ، دراسات ، ص٦ - ٧ ، عبد الرازق ، الحضارة ، جـ١ ، ص٢٩ - ٣١ .

المصادر الطبيعية ، بل وتتشابه تضاريسها الطبيعية التى تتراوح ما بين المرتفعات والصحارى والوديان[١].

وعلى ذلك نرى أن أقاليم العالم الإسلامى يترابط بعضها ببعض برباط آخر غير الرباط الدينى وهو الرباط الجغرافى الذى أدى إلى تحقيق ما يمكن تسميته بالوفاق البيئى ، ومن الطبيعى أن يؤدى هذا الوفاق البيئى إلى زيادة الوفاق الحضارى الذى دعمته وحدة الفكر الدينى الإسلامى المستقى من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة[٢].

ومهما يكن من أمر فإن هذا الإطار الجغرافى قد هيأ للحضارة الإسلامية التى نشأت فى هذه الأقاليم أن تنمو فى بيئة غنية خصبة مكتفية بذاتها مما زادها بطابع الثقة والأصالة ، كما أنه من جهة أخرى جعلها حضارة غير جامدة أو منعزلة أو منغلقة بل دائمة الاحتكاك بالحضارات المعاصرة لها فى الشرق والغرب على السواء ، مما زودها بالحيوية وإمكانيات الرقى والتطور[٣].

٧ـ التأثيرات الأجنبية :

تنفرد الحضارة الإسلامية بعدة مميزات لا تطاولها فيها أية حضارة أخرى ، ومن أهمها فى النقطة التى نتحدث عنها أنها لم تكن مجرد حضارة لشعب واحد وإنما إمتدت على مدى زمنى طويل ومساحة جغرافية شاسعة من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب ؛ ومن ثم ذابت فى بوتقتها حضارات شعوب كثيرة ، وبذلك إستوعبت هذه الحضارة تراث الهند والصين وفارس والعراق والشام واليمن وبلاد العرب فى أسيا ومصر وشمال وغرب أفريقيا والتراث اليونانى اللاتينى فى أوروبا ، وإنعكس هذا على الميراث الحضارى للمسلمين فى مظاهره المادية واللامادية التى ما تزال ماثلة بين ظهرانينا حتى اليوم .

---

(١) البحيرى ، صلاح الدين ، عالمية الحضارة الإسلامية ومظاهرها فى الفنون ، حوليات كلية الآداب ، الحولية ٣ ، الرسالة ١٢ ، الكويت (١٩٨٢م) ، ص٢٥ ـ ٢٦ .

(٢) البحيرى ، عالمية ، ص٢٦ .

(٣) الباشا ، دراسات ، ص١٣ ـ ١٤ ؛ عبد الرازق ، الحضارة ، جـ١ ، ص٣١ ـ ٣٢ .

كذلك لم يحدث فى تاريخ العالم كله أن قامت حضارة على أساس من الدين ثم سمحت لأتباع الديانات الأخرى ، سماوية كانت أم وضعية ، بالإسهام فى بنائها الحضارى ، مثلما حدث فى تاريخ الحضارة الإسلامية : إذ أسهم المسيحيون واليهود والمجوس والصابئة والبوذيون وغيرهم فى شتى جوانب هذه الحضارة العالمية بالمعنى الإنسانى والمعنى الجغرافى على حد سواء(١). والحق فإن نجاح الحضارة الإسلامية كان كبيراً ليس فى الاستفادة والتوفيق بين تلك الحضارات المتنوعة الأصول والمظاهر فحسب؛ بل أيضًا فى حسن إختيار النافع من عناصرها ونبذ ما هو غير نافع .

هذا إلى أن بناة الحضارة الإسلامية نجحوا أيما نجاح فى إبتكار وخلق عناصر ومظاهر حضارية جديدة أسهمت فى الإرتفاع ببناء الحضارة الإنسانية بحيث تركوا هذا البناء أكثر شموخا مما وجدوه عليه(٢).

وهو ما سوف نتطرق إليه فى ثنايا هذا الكتاب .

ثالثًا : خصائص الحضارة الإسلامية :

نستطيع أن نجمل أهم خصائص الحضارة الإسلامية فى النقاط التالية :

١ ـ **إنها حضارة إيمان** : إذ تؤمن بالله الواحد الأحد واليوم الآخر والملائكة والكتاب ورسالاته وأنبيائه عليهم السلام ، وتهتدى بهدى خاتم النبيين وسيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

والحضارة الإسلامية عندما اتخذت من الإيمان ركيزة لها ، إنما إستهدفت أن تحمى كيانها بسياج منيع من القيم الروحية والمثل الكريمة فلا خير فى علم دون خلق ، ومكارم الأخلاق هى جوهر الديانات السماوية كلها ـ والإيمان فى الإسلام لا يتعارض مع العقل لأن الإسلام يقوم على أساس مبدأ تعقل الإيمان ، حتى يكون الإيمان راسخًا ثابتًا لا يتأرجح بتأرجح العاطفة .

---

(١) قاسم ، قاسم عبدة ، مقدمة كتاب التأثير العربى فى أوروبا العصور الوسطى ، ترجمة وتقديم قاسم عبده قاسم ، القاهرة (١٩٩٩م)، ص٣ .

(٢) عاشور ، دراسات ، ص٧ .

هذا إلى أن الحضارة الإسلامية عندما تتصف بالإيمان فإنها لا تهمل المادة ؛ وإنما تعطيها حقها من التقدير لما لها من أهمية فى بناء العمران وسعادة البشر .

ومن ناحية أخرى فإن الإيمان ليس معناه ـ مثلما يدعى المغرضون ـ أن ينصرف المجتمع عن العمل والإنتاج إلى التواكل والغيبيات فالحضارة الإسلامية تحث على العمل لأن العمل مرتبط بالإيمان كما فى قوله تعالى ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ صدق الله العظيم .

وهكذا فإن الحضارة الإسلامية حضارة إيمان وعمل وإنتاج بكل ما يشتمل عليه الإيمان من اخلاص وجدية وحرص على أداء الواجب وتحلى بمكارم الأخلاق .

٢ ـ إنها حضارة تقدمية بكل معانى الكلمة لا جمود فيها ولا رجعية ذلك إن الإسلام الذى ولدت هذه الحضارة وشبت وترعرعت بين أحضانه جاء ثورة ضد الظلم والاستغلال والجمود والنكوص ، والإسلام لا يمنع المسلم من الأخذ بكل جديد طالما أن هذا الجديد لا يتعارض مع روح الدين ومثله وآدابه .

وليس حقيقيا ما يدعيه الهدامون من أن الإيمان يتعارض مع الاشتراكية ، فإذا كان الهدف الأساسى من الاشتراكية هو تحقيق العدالة الاجتماعية ـ كما يزعمون ـ فإن الصورة المثلى للعدالة الاجتماعية لا تتوفر إلا تحت مظلة الإيمان فى الحضارة الإسلامية ؛ فالزكاة فرضا على كل مسلم قادر كما فى قوله تعالى ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾. صدق الله العظيم .

٣ ـ إنها تتصف بالمرونة وسعة الأفق بمعنى أن الحضارة الإسلامية لم تكن أبداً منذ مولدها منغلقة على نفسها وإنما كانت دائمًا مرنة قابلة للأخذ والعطاء ، وحسب هذه الحضارة أنها احترمت تراث الوثنية فى شتى العلوم والفنون ولم تقف من هذا التراث موقفا معاديا ، مثلما فعلت الكنيسة ورجالها فى الشطر الأول من العصور الوسطى الأوروبية ، ولم تجد الحضارة الإسلامية ما يحول دون الإفادة من تراث الحضارات السابقة والمعاصرة ، كل ما هنالك أنها أحسنت الانتقاء فلم تتقبل كل ما صادفته من عناصر ومظاهر الحضارات الأخرى ؛ وإنما تخيرت ما من شأنه أن يساعدها على الاحتفاظ بقيمها ومثلها وطابعها ، ورفضت كل ما لا يقبل التكيف ، وكل ما لا يتفق وروحها ومبادئها .

٤ ـ إنها حضارة محبة وسلام ، ففى ظل السلام يكون الإنشاء والتعمير ، وفى ظل السلام يأمن كل فرد على نفسه وعرضه وماله وأهله فينصرف إلى العمل والإنتاج فى هدوء وطمأنينة .

وحسب الإسلام أن تحيته تحية سلام . على أن حرص الإسلام على التمسك بروح السلام لا يتعارض مع الحفاظ على مصالح المسلمين : ذلك أن الإسلام فرق بين السلام والاستسلام ، وفى الوقت الذى نهى الإسلام عن العدوان ﴿ ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ إذا به يطالب المسلمين بالوقوف موقفا حازما من أى عدوان يوجه إليهم أو إلى مصالحهم ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ صدق الله العظيم .

٥ ـ إنها حضارة تسامح لا حقد فيها ولا كراهية ، وقد أمر الله عز وجل رسوله (عليه الصلاة والسلام) بالصفح والتسامح فى أكثر من موضع ﴿ فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون ﴾ ﴿ وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم ﴾ ﴿ وإن الساعة لأتية فاصفح الصفح الجميل ﴾ .

كذلك طالب الله عز وجل المسلم بالا يجعل فى قلبه غلا لغيره فقال ﴿ ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين أمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ وقال ﴿ ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين ﴾ .

وبهذه الروح الطيبة نظر الإسلام إلى أهل الذمة (المسلمين واليهود) نظرة كلها تسامح فأعطاهم حقوقهم كاملة غير منقوصة الأمر الذى جعلهم تحت مظلة الإسلام وفى كنف الدولة الإسلامية يسهمون إسهامًا جاداً فى بناء الحضارة الإسلامية ، ومنهم من تولى أرفع المناصب وعاشوا فى قصور الخلافة يحظون باحترام الخاصة والعامة ، ولا عبرة هنا ببعض الفترات القصيرة فى التاريخ الإسلامى التى شهدت إختلالاً فى الأوضاع نتيجة لظروف طارئة أو لانحراف حاكم غير ملم بروح الإسلام وتعاليمه(١) .

ومن الأمور الشائعة فى كتب التراجم الإسلامية أن نجد المؤرخ المسلم يكيل المدح

---

(١) عاشور ، دراسات ، ص ١٦ ـ ١٩ .

لأحد أطباء اليهود أو النصارى ويثنى على علمه وخلقه ويصفه بأنه من أهل الفضل مما لا نظير له فى العصور الوسطى[(١)].

٦ - إن الحضارة الإسلامية تتصف بالحيوية والاستمرار والوحدة ، فهذه الحضارة منذ مولدها وحتى اليوم ظلت حية قائمة لم تمت مطلقا ، لئن تعرضت للذبول حينا نتيجة لعوامل طارئة منها الهجمات الاستعمارية الشرسة فى شتى أنحاء العالم الإسلامى ، كالحروب الصليبية والمغول ، فإن مثل هذه العوامل كانت تؤثر فيها تأثيراً موقتا لا يلبث أن يزول بزوال المؤثر ، ويكمن السر فى هذه الحيوية فى أن الحضارة الإسلامية قامت على أسس متينة من الدعائم الروحية والخلقية والفكرية ، مما يكفل لها الثبات فى وجه الأحداث والقدرة على مواجهة التحديات عبر الأيام والعصور ولئن كانت الخلافة الإسلامية قد تفككت فى بعض مراحل التاريخ ؛ فإن تمزق الوحدة السياسية للعالم الإسلامى لم يؤثر مطلقا فى إستمرارية وحدته الحضارية ، وحسب هذه الوحدة الحضارية أنها قامت على أساس دعامتين راسختين هما الإسلام والعروبة .

وعلى ذلك نرى أن الحضارة الإسلامية تعد استثناءاً للحضارات الإنسانية قاطبة لأن أساسها ليس عنصراً بشريا يناله الضعف والبلى ولكن أساسها العقيدة وهى لا تزال تتجدد وتتعاقب على حمل رايتها الأجيال وآداتها هى اللغة العربية لغة القرآن وبفضله عاشت وقدر لها أن تنجو من الضياع .

وبفضل الإسلام والعربية ظلت حضارة الإسلام حية لأن العقيدة لا تبلى ما دام هناك من يؤمنون بها وما دامت العقيدة حية فى عالم الإسلام فاللغة العربية حية أى أن عنصرى الحضارة الإسلامية الاساسيين باقيان لا ينال منهما كر الغداة ومر العشى وتعاقب الأجناس وتغير الظروف [(٢)].

وعلى ذلك فالحضارة الإسلامية ذبلت ولكنها لم تمت فهى كالشجرة الضخمة الممتدة

---

(١) ابن أبى أصيبعة ، موفق الدين أبى العباس أحمد بن القاسم ، ت٦٦٨هـ/ ١٢٦٨م ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، شرح وتحقيق نزار رضا ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، د. ت ، ص١٨٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٤ ، ٢٤٦ .

(٢) مؤنس ، الحضارة ، ص٢٨٠ .

الجذور فى الأعماق لئن جفت أوراقها لافتقارها إلى الغذاء المناسب أو لعدم العناية بها فإنها من الممكن بزوال هذه الأسباب أن تستعيد نضرتها وتعود أعظم مما كانت عليه لتستظل البشرية قاطبة بظلها فى الحاضر والمستقبل مثلما إستظلت به فى الماضى(١).

٧ ـ انها حضارة إنسانية بكل معانى الكلمة ، فهى تستهدف أولاً وأخيراً خير الإنسان فى الدنيا والأخرة والرحمة به والحفاظ على كرامته والنهوض بمستواه الروحى والفكرى والاجتماعى والاقتصادى ، ومنع إستغلال الإنسان لأخيه الإنسان وتجنيبه كل ما من شأنه أن ينزل به الضرر ، ومن أجل ذلك نظم الإسلام حياة الإنسان الخاصة والعامة تنظيما دقيقا يستهدف سعادة الفرد والأسرة والمجتمع ، وحسب الإنسان أن الله عز وجل خلقه فى أحسن تقويم ، وعلمه ما لم يعلم ثم إنه كرم الإنسان تكريما جعله فوق سائر المخلوقات وطالب الملائكة بالسجود لأدم أبى البشر .

ومما لا شك فيه أن جميع خصائص الحضارة الإسلامية فى النقاط السبع المشار إليها إنما تستهدف سعادة الإنسان وخيره فالإنسان هو محور هذه الحضارة وسعادته غايتها وهدفها(٢).

٨ ـ تتصف الحضارة الإسلامية بالأمانة المطلقة وهى صفة ميزتها عن كثير من الحضارات السابقة لها واللاحقة عليها فإن العلماء الذين عكفوا على ترجمة تراث الحضارات السابقة لم ينسبوا ما ترجموه إلى أنفسهم وإنما إلى أصحابه الذين ترجموا عنهم مثل جالينوس وديسقوريدس وبطليموس وارسطو وغيرهم .

---

(١) عاشور ، دراسات ، ص١٤ .

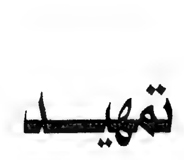
(٢) عاشور ، دراسات ، ص١٩ ـ ٢٠ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن هذه الخصائص وغيرها انظر ، الشريف ، دراسات ، ص١٢٥ ـ ١٨٩ ؛ السباعى ، مصطفى ، من روائع حضارتنا ، القاهرة (١٩٩٨م) ، ص٣٥ ـ ٨٥ ؛ العدوى ، إبراهيم ، السهيل ، نايف عيد ، الحضارة العربية الإسلامية ، الكويت (١٩٩٤م) ، ص٧٤ ـ ٨١ ؛ عرفة ، محمود ، وآخرين ، دراسات فى الحضارة العربية الإسلامية ، الكويت (١٩٩٧م)، ص٣٠ ـ ٤١ ؛ الكروى ، إبراهيم سلمان ، شرف الدين ، عبد التواب ، المرجع فى الحضارة العربية الإسلامية ، الكويت (١٩٨٤م) ، ص ٢٠ ـ ٢٧ ؛ ضيف ، الحضارة الإسلامية من القرآن والسنة ، ص٢٠ ـ ٣٢٧ ، عالمية الإسلام ، القاهرة (١٩٩٦م)، ص١٣ ـ ١١٨ ؛ العقاد ، عباس ، الديمقراطية فى الإسلام ، القاهرة (٢٠٠٤م) ؛ حسن ، حسن على ، أهل الذمة فى المجتمع الإسلامى ، القاهرة (٢٠٠٥م) ؛ الشكعة ، مصطفى ، إسلام بلا مذاهب ، القاهرة (٢٠٠٥م) ، ص٤١ ـ ١١٣ .

وهنا يبدو الفارق واضحا وكبيراً بين رواد الحضارة الإسلامية من ناحية وغيرهم من أصحاب الحضارات الأخرى من ناحية ثانية ، فعلماء اليونان مثلا نقلوا كثيراً عن غيرهم ونسبوه إلى أنفسهم مع أنهم قد إستقوا كثيراً من علومهم عن المصريين القدماء دون أن يشيروا إلى مصدرهم مما جعلها تبدو وكأنها من إبداعهم .

أما علماء المسلمين فقد ضربوا مثلا رائعًا في الأمانة العلمية ونسبة الكتب والحقائق والأفكار إلى أصحابها مما مكن الغرب الأوروبى من الوقوف على بعض الكتابات التى ضاعت أصولها اليونانية والتى تم التعرف عليها من خلال التراجم العربية المنسوبة إلى أصحابها كما هو الحال فى بعض كتابات أرسطو على سبيل المثال(١) .

---

(١) عاشور ، دراسات ، ص٢٠ - ٢١ .


تمهيد

تمهيد

لما كان المقام لا يتسع لدراسة موسعة مطولة تحيط إحاطة شاملة بالجغرافيا التاريخية وكافة الدول والدويلات والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى لبعد ذلك عن إطار الخطة المرسومة أو منهج هذا الكتاب الذى بين أيدينا ، ولذلك حسبنا فى هذه العجالة أن نحيط علما بالنقاط التالية :

أولاً ـ مراحل تأسيس الدولة الإسلامية فى عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم).

ثانيًا : إمتداد الدولة الإسلامية وإتساع رقعة الإسلام[1].

ثالثًا ـ التسلسل التاريخى لعصور الخلافة ومعجم لأهم الدول والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى .

ومن خلال تغطية هذه النقاط ـ ولو بذلك القدر المجمل ـ يستطيع الدارس والقارئ على السواء أن يلم بالخطوط العريضة والملامح العامة والمعالم الرئيسة للتاريخ الإسلامى، وبذلك يقف على خط سير هذه الحضارة ، ويتعرف على القدر الذى أسهمت به كل مرحلة تاريخية فى إضافة لبنة جديدة فى ركب هذه الحضارة وإقامة صرحها حتى بلغت الغاية وأضحت أعظم حضارة عرفها العالم أجمع طوال العصور الوسطى ؛ ومن ثم كانت من أقوى الدعائم والركائز التى تقوم عليها الحضارة الحديثة .

---

(١) مما له دلالته فى هذا الصدد أن الاسلام فى العصر الحديث قد نشر ظلاله على المعمورة كافة فما من دولة أو جزيرة كبر حجمها أو صغر إلا وبها مسلم يقيم عقيدة التوحيد الغراء ، ومن هنا بزغ مصطلح جديد وهو الأقليات المسلمة سواء فى أسيا أو أفريقيا أو أوروبا أو استراليا والأمريكتين والبحر الكاريبى وهو الأمر الذى يؤكد على بساطة تعاليم الإسلام وسهولة فهمه ويسر الدعوة إليه ولا غرو فى ذلك فهو دين الله الخاتم الذى نزل للناس أجمعين ، ومن جهة أخرى يضيف قرينة جديدة على بطلان النظرية الخاطئة القائلة بأن الإسلام قد انتشر بحد السيف فهل هناك سيف الآن ؟؟

ولمزيد من التفاصيل عن الأقليات المسلمة انظر ،

بكر ، سيد عبد المجيد ، الأقليات المسلمة فى أسيا واستراليا ، مكة المكرمة (١٩٨٢م)، الأقليات المسلمة فى أفريقيا ، مكة المكرمة (١٩٨٥م) ؛ الأقليات المسلمة فى أوروبا ، مكة المكرمة (١٩٨٥م) ؛ الأقليات المسلمة فى الأمريكتين والبحر الكاريبى ، مكة المكرمة (١٩٨٥م)؛ وعن أحدث الدراسات المتعلقة بقضية انتشار الإسلام بحد السيف وبطلان هذه القضية انظر ، بباوى ، نبيل لوقا ، (وهو مسيحى أرثوذكسي) ، انتشار الإسلام بحد السيف ، بين الحقيقة والافتراء ، القاهرة ، ط٢ (٢٠٠٢م)، وانظر أيضًا ، الشكعة ، إسلام بلا مذاهب ، ص١٠٣ ـ ١١٣ .

وفيما يلى نسلط الضوء على هذه النقاط كل على حدة :

أولاً ـ مراحل تأسيس الدولة الإسلامية فى عصر الرسول(٢) (صلى الله عليه وسلم) :

بدأت الدعوة الإسلامية فى مكة المكرمة ، وقد قضى بها الرسول (صلى الله عليه وسلم) منذ أن بدأ نزول الوحى عليه وهو فى الأربعين من عمره ثلاث عشرة سنة ظل يدعو الناس إلى الدين الإسلامى الجديد بالحكمة والموعظة الحسنة ، وقد عرفت هذه المرحلة من عمر الدعوة بالطور المكي(٣) كما سبق القول .

---

(٢) مما تجب الإشارة إليه أننا قد أجملنا أحداث عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى الطورين المكى والمدنى حتى تأسست الدولة الإسلامية وشملت كل جزيرة العرب .

ولمن أراد أن يتوسع فليرجع إلى المصادر التاريخية المختلفة ومنها كتب السيرة والطبقات والمغازى والوقائع والفتوح مثل سيرة ابن هشام (ت٢١٤هـ/ ٨٢٩م) وطبقات ابن سعد (ت٢٣٠هـ/ ٨٤٤م) ، ومغازى الرسول للواقدى (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٢م) وكتاب الدرر فى المغازى والسير لابن عبد البر وكتاب ابن سيد الناس (ت٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م) ، وفتوح البلدان للبلازرى (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) ، وكتب السنن النبوية المعروفة ، وكتب الحوليات ومن أهمها تاريخ الطبرى (ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م) والكامل لابن الأثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م).

وهناك أيضًا المراجع الحديثة التى عولت على مثل تلك المصادر ومنها : الأحمدى ، على بن حسين ، مكاتيب الرسول ، قم (١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م) إدريس ، عبد الله عبد العزيز ، مجتمع المدينة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، الرياض ، ط٢ ، (١٩٩٢م) ؛ ارنولد ، توماس ، الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين ، القاهرة ، ط٣ ، (١٩٧٠م) ؛ الخربوطلى ، على حسن ، الدولة العربية الإسلامية ، القاهرة (١٩٦٠م) ؛ العربى ، محمد ممدوح ، دولة الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة ، القاهرة (١٩٨٨م) ؛ العلى ، صالح أحمد ، دولة الرسول فى المدينة ، دراسة فى تكوينها وتنظيمها ، بغداد (١٩٨٥م) ، الشريف ، أحمد إبراهيم ، مكة والمدينة فى الجاهلية وعهد الرسول ، القاهرة (١٩٦٥م) المسرى ، حسين ، تاريخ البحرين وعمان ، من عصر النبوة إلى نهاية العصر الأموى ، الكويت (٢٠٠٠م) ، ص١١ ـ ٦٨ ؛ بيضون ، جميل ، وآخرين ، الخلافة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجرى ، الأردن ، (١٩٩٠م) ، ص٥١ ـ ٩٧ ؛ حميد الله ، محمد ، الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ، بيروت ، ط٣ (١٩٦٩م)؛ سالم ، السيد عبد العزيز ، التاريخ السياسى والحضارى للدولة العربية ، الاسكندرية (١٩٨٨م)؛ص٥٥ ـ ١٦١ . سرور ، محمد جمال الدين ، قيام الدولة العربية الإسلامية فى حياة الرسول (صلى الله عليه وسلم) القاهرة ، (١٩٦٦م) ؛ مونتجمرى وات ، محمد فى مكة ، ترجمة عبد الرحمن الشيخ ، حسين عيسى ، مراجعة أحمد شلبى ، سلسلة الألف كتاب الثانى ، القاهرة (٢٠٠٢م) ؛ حبشى ، حسن ، سرايا الرسول ، القاهرة (٢٠٠٢م). الجميل ، محمد بن فارس ، النبى ويهود المدينة ، الرياض (٢٠٠٠م) .

(٣) كانت مكة عند ظهور الإسلام تقع فى أواسط الطريق بين اليمن والشام ، وهى فى واد ضيق تحيط به الجبال والمرتفعات ، أجرد غير ذى زرع ، والزراعة فيه قليلة جداً ما عدا بعض النباتات الطبيعية التى =

ويمكن أن نجمل أحداث هذه المرحلة في النقاط التالية :

١ ـ الدعوة السرية لمدة ثلاث سنوات من مبعثه (ﷺ) .

٢ ـ الدعوة الجهرية الصريحة والإعلان العام المباشر بأمر الله سبحانه وتعالى وما ترتب على ذلك من المقاومة والاضطهاد سواء للرسول (ﷺ) أو لمن اتبعه من المسلمين .

٣ ـ الهجرة إلى الحبشة فى العام الخامس للبعثة / ٦١٥م على مرحلتين تعرفان بهجرة الحبشة الأولى وهجرة الحبشة الثانية ومحاولات قريش رد المهاجرين المسلمين .

٤ ـ مقاطعة قريش لبنى هاشم (الصحيفة) لمدة ثلاث سنوات ٦١٦ ـ ٦١٩م .

٥ ـ عام الحزن (وفاة السيدة خديجة زوجة الرسول ، وأبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم .

٦ ـ الخروج إلى الطائف وعرض الدعوة على القبائل .

٧ ـ عرض الدعوة على القادمين من الحجاج إلى مكة وانتشار الدعوة بين الأوس والخزرج فى العام الحادى عشر للبعثة والتى كان من نتيجتها بيعة العقبة الأولى فى العام الثانى عشر من البعثة / ٦٢١م وبيعة العقبة الثانية فى العام الثالث عشر من البعثة / ٦٢٢م .

٨ ـ الهجرة إلى يثرب[٤] (المدينة المنورة).

= تنمو فى الجبال ، كما أن المياه فيها قليلا جداً وهى تتكون من الآبار ، وبفضل موقعها صارت مكة قبل الإسلام مركز تجاريا نشطا .

وعلى ذلك فمكة تدخل فى نطاق اقليم الحجاز أحد أقسام جزيرة العرب الخمسة ، والحجاز كلمة عربية صرفة تعنى الحد الفاصل ومن ثم عرفت بهذا الاسم لأنها تفصل بين تهامة وهى السهول الممتدة على ساحل البحر الأحمر وبين نجد وهى الهضبة التى تنحدر تدريجيا من الغرب إلى الشرق .

العلى ، دراسات فى الإدارة فى العهود الإسلامية الأولى ، بغداد (١٩٨٩م)، ص ٦٠ ـ ٦٣؛ الحجاز فى صدر الإسلام ، بيروت (١٩٩٠م) ، ص٦١ ـ ٧٣ ؛ الوهيبى ، عبد الله ، الحجاز كما حدده الجغرافيون العرب ، مجلة كلية الآداب ـ جامعة الرياض ، العدد الأول ، السنة الأولى (١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م) ص٥٣ ـ ٧٠ ؛ الغنيم ، عبد الله يوسف ، أقاليم الجزيرة العربية بين الكتابات العربية القديمة والدراسات المعاصرة ، الكويت (١٩٨١م) ، ص٣٤ ـ ٣٧ .

(٤) تقع يثرب (المدينة) فى نطاق اقليم الحجاز السابق الإشارة إليه ، وهى إلى الشمال من مكة ، وهى عبارة عن واحة خصيبة التربة غزيرة المياه محصورة بين حرتين بركانيتين وهما من الشرق حرة واقم أو الحرة الشرقية ومن الغرب حرة الوبرة أو الحرة الغربية فهى ذات الحرار أو ذات الأحرين ، وهناك أيضًا حرة قباء فى الجنوب ، ومن أشهر جبالها جبل أحد وجبل سلع وجبل عير .

إدريس ، مجتمع المدينة ، ص١٧ ـ ٢١ ؛ آل الشيخ ، نورة عبد الملك إبراهيم ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى المدينة المنورة فى صدر الإسلام ، جدة (١٩٨٣م)، ص١٩ ـ ٢١ .

وبعد الهجرة إلى المدينة تكونت دولة الإسلام الأولى ، وقد توسعت هذه الدولة حتى أصبحت عند وفاته (عليه الصلاة والسلام) تضم كل جزيرة العرب .

وقد عرفت هذه المرحلة الثانية من عمر الدعوة الإسلامية بالطور المدنى كما سبق القول .

ويمكن أن نجمل أحداث هذه المرحلة فى النقاط التالية :

١ ـ بناء المسجد النبوى الشريف .

٢ ـ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار (بين مهاجر ومهاجر ـ بين أنصارى وأنصارى ـ بين أنصارى ومهاجر) .

٣ ـ المعاهدة بين المسلمين واليهود وهى المعروفة باسم الصحيفة وكانت بمثابة أول دستور إسلامى فى المدينة يقرر بوضوح تام مبادئ المسئولية السياسية والاجتماعية .

٤ ـ تحويل القبلة فى منتصف شعبان فى السنة الثانية للهجرة إلى المسجد الحرام وصارت بذلك رمزا آبديا للوحدة الدينية والسياسية للمسلمين .

٥ ـ مشروعية الجهاد بأمر الله .

٦ ـ تأمين الجبهة الداخلية من اليهود والمنافقين فى المدينة .

٧ ـ السرايا الاستطلاعية وتبلغ ٤٧ سرية وقيل ٤٣ سرية وقيل أنها تقرب من ٦٠ سرية .

٨ ـ الغزوات (وقد إشترك الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى ٢٧ غزوة وقاتل فى تسع منها ـ ومن هذه الغزوات بدر وأحد والأحزاب (الخندق) ...) .

٩ ـ صلح الحديبية فى عام ٦هـ/ ٦٢٧م .

١٠ ـ غزوة خيبر فى عام ٧هـ/ ٦٢٨م .

١١ ـ رُسل النبى (صلى الله عليه وسلم) ورسائله إلى الأمراء والملوك فى الجزيرة وخارجها بدءاً من عام ٧هـ/ ٦٢٨م .

١٢ ـ بقية الغزوات (مؤتة فى جمادى الأولى ٨هـ/ ٦٢٩م ، غزوة الفتح (فتح مكة) رمضان ٨هـ/ ٦٢٩م ، غزوة حنين والطائف ، غزوة تبوك ٩هـ/ ٦٣٠م)...).

١٣ ـ عام الوفود (٩هـ/ ٦٣٠م) حيث تواترت وفود العرب لتعلن إسلامها .

١٤ ـ حجة الوداع عام ١٠هـ/ ٦٣١م .

١٥ ـ اعداد بعث أو غزوة أسامة بن زيد بن حارثة فى محرم ١١هـ/ ٦٣٢م .

١٦ ـ إنتقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) للرفيق الأعلى فى يوم الاثنين لاثنتى عشرة من ربيع الأول عام ١١هـ/ ٦٣٢م . بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد فى سبيل الله حتى أتاه اليقين وليس أدل على ذلك من قول الحق سبحانه وتعالى ﴿ اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾[٥] .

وهكذا تأسست الدولة الإسلامية الأولى على يد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وكانت المدينة المنورة قاعدة هذه الدولة ومنها بدأت الدولة تتوسع حتى شملت كل جزيرة العرب عند وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد وإنما قام الرسول (عليه الصلاة والسلام) بوضع التنظيمات الإدارية لهذه الدولة مما إعتبر أساسا للتنظيمات اللاحقة وما أصابها من تطور بعد توسع رقعة الدولة الإسلامية[٦] .

ثانيًا : امتداد الدولة الإسلامية واتساع رقعة الإسلام :

إنتهى بنا القول إلى أنه عند وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) فى ١٢ ربيع الأول ١١هـ/ ٦٣٢م كانت الدولة الإسلامية الناشئة قد شملت كل الجزيرة العربية ، ومن هنا كان حرصه (صلى الله عليه وسلم) عظيما على لفت انتباه المسلمين لتأمين حدود الجزيرة العربية من أى عدوان خارجى ، وهو ما تدلنا عليه غزوة مؤته فى جمادى الأولى ٨هـ/ ٦٢٩م والتى إعتبرها الرسول (عليه الصلاة و،السلام) جولة تعقبها كرة وقال «ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله » ثم غزوة تبوك التى سار هو بنفسه إليها عام ٩هـ/ ٦٣٠م ثم إعداد غزوة أو بعث أسامة بن زيد بن حارثة على مشارف الشام .

وقد أمره (صلى الله عليه وسلم) أن «يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين» وفى رواية أخرى أن «يوطئ من آبل الزيت من مشارف الشام الأرض بالأردن»[٧] إلا أن وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد أجلت إنفاذ هذا البعث أو

---

(٥) سورة المائدة ، آية رقم ٣ .

(٦) العلى ، دراسات فى الإدارة ، ص٧٢ ـ ١٠٩ .

(٧) سالم ، التاريخ السياسى ، ص١٤٣ ـ ١٤٦ ، ١٥٢ ـ ١٦٠ ؛ فيصل ، شكرى ، حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول ، ط٦ ، بيروت (١٩٨٢م)، ص٢٦ ـ ٣٢ ؛ دسوقي ، محمد عزب ، القبائل العربية فى بلاد الشام ، القاهرة (١٩٩٨م)، ص٩٩ ـ ١٠٤ .

هذه الغزوة إلى بداية عهد خليفته أبى بكر الصديق (رضى الله عنه) الذى لم يتمهل فى انفاذ هذا البعث كما أمر به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قبيل وفاته وقد إنتصر جيش أسامة ورجع من حملته ظافراً .

ومن هنا أصبح الصدام والمواجهة مع القوى الكبرى صاحبة السيادة والنفوذ والمهيمنة على حدود الجزيرة العربية والمتمثلة فى الروم والفرس ، والتى ناصبت المسلمين العداء وأعلنت الحرب عليهم حقيقة واقعة وأمر لا مفر منه ، وعلى ذلك يمكن القول أن حركة الفتوح الإسلامية الأولى خارج الجزيرة العربية قد خرجت إلى حيز الوجود تحت ضغط الظروف فهم ـ أى المسلمين ـ قد إضطروا إليها إضطراراً دون تدبير مسبق أو وفقا لخطة موضوعة أو بمعنى آخر لم يكن هناك برنامج للفتح أو للصدام المسلح والمواجهة وإنما جاءت نتيجة لظروف خاصة تحكمت فى خط سير الأحداث أو جاءت إستطراداً على حد قول بعض المؤرخين المحدثين[٨] .

هذا وقد اختلف الباحثون فى تعليل حركة الفتوح الإسلامية الأولى وتفسير دوافعها ، وذهبوا فى هذا التفسير مذاهب شتى فبعضهم يرجعها إلى دوافع اقتصادية وفريق آخر يرى أنها تمت بدافع الجهاد ونشر الإسلام وفريق آخر يرجّح العامل القومى ويضيف فريق آخر العامل النفسى مع ضعف كل من دولتى الفرس والروم (الساسانية والبيزنطية) واضطراب الأحوال فيهما[٩] ، وهناك من يرى أن حركة تاريخية ضخمة مثل حركة الفتوح الإسلامية لا يمكن أن ترتد دائمًا إلى عامل وحيد بل إنها نتيجة مجموعة من العوامل المتداخلة والمتمازجة وأن الإسلام كدين شامل يتسع ليشمل هذه الدوافع كلها وينسج بينها فى منظومته[١٠] .

ومهما يكن من أمر هذه التفسيرات ، إلا أن واقع الحال يشهد أن هذه الحركة لم تكن وفق خطة موضوعة أو لم يكن لها تدبير مسبق أو برنامج للفتح ، وإنما جاءت نتيجة لظروف خاصة تحكمت فى خط سير الأحداث كما سبق القول ، ومع ذلك فإننا لا نستطيع أن ننكر أو نتجاهل القول بأن الإسلام كان بمثابة القوة الدافعة الملهمة لتلك الحركة .

---

(٨) عبد اللطيف ، عبد الشافى محمد ، العالم الإسلامى فى العصر الأموى ، ط٤ ، القاهرة (٢٠٠٢م)، ص٢٢٣ .

(٩) سالم ، التاريخ السياسى ، ص١٩٧ ـ ٢١٤ .

(١٠) شاهين ، حمدى ، الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين ، القاهرة (٢٠٠٣م)، ص٨٧ .

ولسنا هنا بصدد دراسة موسعة مطولة لحركة الفتوح الإسلامية وبالتالى تفصيل أمر المعارك التى دارت رحاها بين جيوش المسلمين وبين أعدائهم ، ولذلك حسبنا أن نقدم صورة واضحة مجمّلة لحركة الفتوح وتعاقبها وما ترتب عليها من إمتداد الدولة الإسلامية واتساع رقعة الإسلام .

وعلى ضوء ذلك يمكن أن نقسم حركة الفتوح الإسلامية إلى أربع مراحل رئيسية على مدار التاريخ الإسلامى كله ؛ ومن ثم كان لكل مرحلة منها دورها فى امتداد الدولة الإسلامية وإتساع رقعة الإسلام وهذه المراحل الأربع هى :

١ ـ المرحلة الأولى : الفتوحات خلال العصر الراشدى ١١ ـ ٤٠ هـ/ ٦٣٢ ـ ٦٦٠م.

٢ ـ المرحلة الثانية : الفتوحات خلال العصر الأموى ٤١ ـ ١٣٢هـ/ ٦٦١ ـ ٧٥٠م.

٣ ـ المرحلة الثالثة : الفتوحات خلال العصر العباسى ١٣٢ ـ ٦٥٦هـ/ ٧٥٠ ـ ١٢٥٨م.

٤ ـ المرحلة الرابعة : الفتوحات خلال العصر العثمانى ٦٩٩ ـ ١٣٤١هـ/ ١٢٩٩ ـ ١٩٢٢م .

وفيما يلى نتناول اسهامات كل مرحلة من هذه المراحل وذلك على النحو التالى :

١ ـ المرحلة الأولى : الفتوحات خلال العصر الراشدى ١١ ـ ٤٠هـ/ ٦٣٢ ـ ٦٦٠م.

تمثل هذه المرحلة قاعدة الإنطلاقة الأولى للفتوحات الإسلامية ، وقد حدد وجهة هذه الإنطلاقة موضع الجزيرة العربية من العالم القديم ومركز الدعوة والدولة الإسلامية من الجزيرة وصلة الجزيرة بالأطراف جغرافيًا وبشريًا ، فإن موضع الجزيرة فى قلب العالم القديم وصلتها بالقارات الثلاث كان يمكن أن يعطى هذه الإنطلاقة وجهات مختلفة ؛ غير أن نشأة الدعوة فى القسم الشمالى من الجزيرة وانبعاثها فى مكة وازدهارها وتأسيس الدولة الإسلامية الأولى فى المدينة ، جعل وجهة هذه الإنطلاقة أقرب إلى الشمال الذى حال بينها وبين مسالك البحر وحجب عنها أمواجه وتلقاها بهذه الطرق التجارية التى كانت تمتد إلى الشمال فوصل بينها وبين العراق وبينها وبين الشام ودفعها منهما إلى المشرق من جهة وإلى مصر والمغرب من جهة ثانية[11].

(١١) فيصل ، حركة الفتح الإسلامى فى القرن الأول ، ص١٧ ، ولمزيد من التفاصيل انظر ، حسونة ، محمد أحمد ، أثر العوامل الجغرافية فى الفتوح الإسلامية ، القاهرة ، د ت .

فالشام تشبه العراق من حيث اتصالهما بالجزيرة العربية جغرافيا وبشريا حيث أن أطراف كل منهما مفتوح للصحراء ولا يوجد حاجز أو حد طبيعى يعيق الاتصال بينهما وبين الجزيرة العربية وكانت هذه الجبهة الواسعة المفتوحة مع الجزيرة العربية عاملاً فى أن يكون لسكان هذين الاقليمين نفس الأسس العرقية واللغوية والثقافية التى لسكان الجزيرة ؛ غير أن ازدهار الزراعة والصناعة والتجارة فى الجهات البعيدة عن أطراف الصحراء أدى إلى نمو المدن وتطور الحياة الحضرية فيها . أما المناطق التى فى أطراف الصحراء فقد كانت منذ أقدم العصور تقيم فيها قبائل عربية لها نظم بدوية لا تختلف عن نظم وحياة أهل شبه الجزيرة العربية ، وقد أسرع الكثير من أهل تلك القبائل القاطنة فى أطراف هذين الإقليمين إلى الانضمام إلى الجيوش العربية الإسلامية والقتال معهم منذ المراحل الأولى التى لم تتم فيها انتصارات باهرة أو حاسمة بعد ، وكان معظم هؤلاء من النصارى كبنى تغلب وعجل وغيرهم ، وهو الأمر الذى إستند إليه أصحاب نظرية الدافع القومى فى تفسير حركة الفتوح الإسلامية المبكرة(١٢) .

وعلى ذلك نستطيع أن نقسم الفتوح خلال هذه المرحلة إلى أربعة أقسام :

أ ـ فتوح الشام ومصر والمغرب .

ب ـ فتوح العراق وفارس .

جـ ـ فتوح الجزيرة وارمينية .

د ـ فتح قبرص .

وفيما يلى نتناول كل منهما على حدة .

أ ـ فتوح الشام ومصر والمغرب(١٣) :

كانت انطلاقة هذه الفتوح من المدينة المنورة فى مستهل صفر عام ١٣هـ/ ٦٣٤م

---

(١٢) العلى ، صالح أحمد ، امتداد العرب فى صدر الإسلام ، بيروت ، ط٢ (١٩٨٣م) ، ص١٦ ـ ١٨ ، ٥٧ ـ ٥٨ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن اشتراك القبائل فى الفتوح ، انظر ، دسوقى ، القبائل العربية فى بلاد الشام ، ص١٢٥ ـ ١٨١ .

(١٣) مما تجب الإشارة إليه أننا قد أجملنا أحداث حركة الفتوح الإسلامية ، ولمن أراد أن يتوسع فى ذكر التفاصيل فليرجع إلى المصادر التاريخية المختلفة ومنها كتب الفتوح (الازدى (ت١٧٨هـ/ ٧٩٤م) =

حيث عقد الخليفة أبي بكر (رضى الله عنه) أربعة ألوية لأربعة من كبار القادة المسلمين، لكل واحد لواء على جيش ، ووجههم إلى الشام ؛ وهم : أبي عبيدة بن الجراح إلى حمص ويزيد بن أبي سفيان إلى دمشق وعمرو بن العاص إلى فلسطين وشرحبيل بن حسنه إلى الأردن ، وألحق أبو بكر الوليد بن عقبة بشرحبيل وألحق علقمة بن مجزر بعمرو بن العاص والحق معاوية بأخيه يزيد بن أبي سفيان ، ثم أمر أبو بكر خالد بن الوليد بأن يترك العراق ويسير إلى الشام .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن ترتيب وقائع فتوح الشام قد إختلف فيه بين مؤرخى الفتوح مما آثار دهشة واستنكار الطبرى فى تاريخه ، وتنحصر أبرز الاختلافات حول تسلسل الأحداث وتاريخ المعارك مثل أجنادين واليرموك وفحل ومرج الصفر فضلا عن فتح دمشق فإيهما يسبق الآخر ؟ وقد إمتد هذا الاختلاف إلى المؤرخين المحدثين الذين عولوا بطبيعة الحال على المصادر التاريخية كالواقدى والبلاذرى والطبرى وغيرهم .

ومهما يكن من أمر ذلك الاختلاف فإن ما يعنينا فى هذا المقام هو أن نشير إلى أن فتوح الشام قد إستغرقت الفترة ما بين عامى ١٣ ـ ١٧هـ/ ٦٣٤ ـ ٦٣٨م ، وقد بدأت الاشتباكات الفعلية مع الروم فى وادى عربه (وهو منخفض عظيم جنوبى البحر الميت) وانتصر يزيد بن أبي سفيان فى عام ١٣هـ/ ٦٣٤م ثم تم فتح بصرى عندما وصل خالد إليها من العراق ، وبعدها حدثت معركة أجنادين (وهى بلدة بين الرملة وبيت جبرين من أرض فلسطين) بقيادة أمراء البعوث مجتمعين فى جمادى الآخر ١٣هـ/ ٦٣٤م ، وبعد ذلك يحاصر الجيش مدينة فحل ثم يطلب أهلها الأمان ، وبعدها يتقدم المسلمون إلى

= فتوح الشام ، الواقدي (ت٢٠٧هـ/ ٨٢٣م) فتوح الشام ، وابن أعثم ، (ت نحو ٣١٤هـ/ ٩٢٦م) كتاب الفتوح ، وابن عبد الحكم (ت٢٥٧هـ/ ٨٧١م) فتوح مصر والمغرب والأندلس ، والبلاذرى (ت٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) فتوح البلدان ، وكتب الحوليات : خليفة بن خياط (ت.٢٤٠هـ/٨٥٤م) تاريخ خليفة، وتاريخ الرسل والملوك للطبري (ت.٣١٠هـ/ ٩٢٢م) والكامل فى التاريخ لابن الأثير (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) وكتب النقولات المتأخرة ، فضلا عن المراجع الحديثة والدراسات المعاصرة التى عولت كثيراً على المصادر التاريخية ومن بينها ، سالم ، التاريخ السياسى ، ص٢١٤ ـ ٢٤٢ ؛ تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى ، الاسكندرية (١٩٨٢م) ، ص٥٥ ـ ٨٨ ؛ فيصل ، حركة الفتح الإسلامى ، ص٣٢ ـ ٥٥ ، ١٠٩ ـ ١٦٠ ؛ شاهين ، الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين ، ص١٠٣ ـ ١١١ ، ١٩٤ ـ ٢٣١ ، مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ط٢ ، القاهرة د ت. ص٥٠ ـ ١٢٧ ؛ معالم تاريخ المغرب والأندلس ، القاهرة (٢٠٠٤م)، ص٣٤ ـ ٣٧ ؛ كحيلة ، عبادة ، المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب ، ط٢ ، القاهرة (٢٠٠٠م)، س ٢١ ـ ٢٣ .

مدينة دمشق ويهزمون الروم فى طريقهم إليها فى معركة مرج الصفر (وهو سهل على بعد ٢٠ ميلا جنوبى دمشق) وبعدها تم فتح دمشق بعد حصار دام ستة أشهر أو سبعة وكان ذلك عام ١٤هـ/ ٦٣٥م ، وبعد ذلك نشبت معركة اليرموك الفاصلة عام ١٥هـ/ ٦٣٦م وبعد تحقيق النصر تتوالى الفتوحات فى الشمال والجنوب على السواء ففى الشمال تم فتح حمص ثم حلب ثم أنطاكية وغيرها من المدن ، وفى الجنوب تم فتح إيليا (بيت المقدس) والرملة فى نفس العام أو العام الذى يليه وهو عام ١٦هـ/ ٦٣٧م كما إفتتحت مدن فلسطينية أخرى ؛ فضلا عن فتح سواحل الشام الجنوبية مثل صيدا وجبيل وبيروت وعرقه وكان ذلك عام ١٧هـ/ ٦٣٨م أما طرابلس فقد إستعصت فى ذلك الوقت، ولم يتم فتحها إلا فى خلافة عثمان بن عفان (رضى الله عنه) على يد القائد الصحابى سفيان بن مجيب الأزدى الذى وجهه والى الشام معاوية بن أبى سفيان لفتحها ففتحها عام ٢٥هـ/ ٦٤٦م (١٤). وقبل ذلك - أى فى خلافة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) - فتح معاوية مدينة قيسارية عام ١٩هـ/ ٦٤٠م أو عام ٢٠هـ/ ٦٤١م.

أما عن فتح مصر فقد أثيرت هذه الفكرة لأول مرة عندما قدم الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) إلى الجابية فى سنة ١٧هـ/ ٦٤٨م للإشراف على آخر ما وصلت إليه الفتوح فى الشام ، وسواء كانت هذه الفكرة من وحى الخليفة نفسه ، أو من وحى قائده عمرو بن العاص فإن الواقع الذى لا مراء فيه يدل على أن هذا الفتح كان ضرورة استراتيجية فى المقام الأول وذلك لحماية خط ظهر المسلمين فى الشام والإفلات من تطويق الروم لهم من جهة الجنوب والغرب ، لا سيما وقد لازت فلولهم إليها ، وعلى ذلك كان فتح مصر تتمة وتكملة لفتوح الشام . أما الدوافع الأخرى لذلك الفتح فتأتى فى المقام الثانى .

وقبل أن نتحدث عن خط سير هذا الفتح وأهم معاركه ينبغى أن نشير ، بادئ ذى بدء ، إلى أن فتح مصر كان من أسهل الفتوح التى حققها العرب فى بلد من البلاد بسبب ترحيب المصريين بهم ومساعدتهم لهم حتى تم تخليص مصر وتحريرها من الحكم البيزنطى البغيض الذى كانوا يكرهونه أشد الكره وهو ما تؤكده المصادر والمراجع قديمها

---

(١٤) سالم ، طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى ، الإسكندرية ، (١٩٦٦م)، ص٣١ - ٣٦ ؛ تدمرى ، عمر عبد السلام ، تاريخ طرابلس ، الجزء الأول ، ط٢ ، بيروت (١٩٨٤م)، ص٨٨ - ٩٤ .

وحديثها ، وكان القائد عمرو بن العاص يعرف ذلك حق المعرفة ولذلك جاء إلى مصر على رأس قوة صغيرة نسبيا ـ أربعة آلاف جندى فى البداية ثم تزايد العدد إلى أن وصل إلى اثنى عشر ألفا ـ وقد شارك عمرو شرف هذا الفتح أربعة من كبار الصحابة هم الزبير بن العوام وعبادة بن الصامت والمقداد بن الأسود ومسلمة بن مخلد ، وقد كان العرب المسلمين عند حسن ظن المصريين بهم فأحسنوا معاملتهم واحترموا عقيدتهم المسيحية ووفروا لهم حرية الدين التى افتقدوها فى أيام البيزنطيين وأعادوا لهم رأس كنيستهم البطريرك بنيامين الذى كان مطارداً ومحكوما عليه بالأعدام من السلطات البيزنطية ، لكن عمرو بن العاص لم يعده إلى كنيسته معززاً مكرمًا فقط ، وإنما جعله أقرب المقربين إليه بل ومستشاره فى شئون مصر الإدارية والمالية . أما عن خط سير هذا الفتح وأهم معاركه فيمكن القول أن القائد عمرو بن العاص قد سار بجيشه من قيسارية بفلسطين فى عام ١٨هـ/ ٦٣٩م مخترقا صحراء سيناء حتى وصل إلى العريش أواخر ذلك العام فاستولى عليها دون مقاومة لضعف حصونها وعدم وجود حامية رومانية هناك، ثم وصل إلى مدينة الفرما المنيعة ـ وهى مفتاح مصر ـ ففتحها ثم واصل تقدمه حتى مدينة بلبيس ففتحها بعد شهر ، ثم واصل تقدمه حتى وصل إلى قرية أم دنين (ميدان رمسيس وما حوله الآن من حى الأزبكية) وكانت موقعا حصينا وقد تم الاستيلاء عليه بعد أن قتلت حاميته مقتلة عظيمة وأسر من بقى فيه حيا ، وبعد ذلك عسكر الجيش فى هليوبوليس (عين شمس) وانتصروا على القوات البيزنطية قرب العباسية الحالية . ولم يبق أمام عمرو إلا أن يخوض معركة فاصلة عند حصن بابليون وهو أهم مركز دفاعى فى البلاد نظراً لموقعه على رأس الدلتا وكونه الطريق الموصل إلى العاصمة البيزنطية آنذاك ـ وهى الاسكندرية ـ وكان هذا الحصن من المناعة والحصانة بحيث لا يمكن اقتحامه بيسر وسهولة؛ ولذلك ضرب حوله الحصار من الشمال والشرق ، وتم فتح الحصن بعد ما يقرب من سبعة أشهر ، وعقدت معاهدة الصلح والتسليم المعروفة بمعاهدة حصن بابليون فى عام ٢٠هـ/ ٦٤١م .

وأصبح المسلمون نتيجة هذا الفتح سادة مصر العليا والسفلى ، ولذا تابع عمرو زحفه على الاسكندرية وخاض عدة معارك فى الدلتا ، إلى أن تم له فتح الاسكندرية عام ٢١هـ/ ٦٤٢م بعد حصار طويل ، وبعد إستكمال بقية الفتوح صارت مصر كلها جزءاً من الدولة الإسلامية الفتية ومركزاً من مراكز الدفاع عن تلك الدولة وسلامتها وتجلت أهمية مصر فى أنها أصبحت قاعدة للفتوح فى بلاد المغرب وهى الفتوح التى أتمها الخلفاء الأمويين كما سنرى .

وكـان من الطبيـعى والمنطقى فى ذات الوقت أن يفكر عـمرو بن العـاص فى تأمين فـتح مـصـر سـواء من الجنوب (النوبة) أو من الغـرب فـفـتح برقـة عـام ٢٢هـ/ ٦٤٣م وطرابلس الغرب عـام ٢٣هـ/ ٦٤٤م ، وأراد عمراً أن يستكمل فتوحه فى الغرب ويسير إلى افريقية (تونس) فكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يستأذنه فى ذلك فلم يأذن له .

وعـاد عـمرو إلى مصر عـام ٢٥هـ/ ٦٤٥م وكانت هذه هى آخر فتوح ذلك القـائد العظيم الذى يعتبر أول أبطال التاريخ الإسلامى لمصر والمغرب[١٥] .

وكـانت الخطوة التـاليـة من فـتـوح المغرب بعـد ذلك بأربع سنوات وتمت فى عـهـد الخليفة عثمان بن عفان (رضى الله عنه) وعلى يدى واليه على مصر عبد الله بن سعد بن أبى سرح وكـان ذلك عـام ٢٨هـ/ ٦٤٩م حيث سار الجيش الإسلامى إلى افـريقـيـة واشتبك مع الروم فى موقعـة سبيطلة الشهيرة وقتل فيها جريجور يوس (جرجير فى المصادر العربية) وأسر وقتل الكثير من رجاله وفر الباقون إلى السواحل ، وبدلاً من أن يعقد بن أبى سرح إتفاقا أو يضم هذه الناحيـة إلى الدولة الإسلاميـة فـيقيم فيها واليا ويترك حامية كما كانت عادة العرب ، نجده يتفق مع أهل البلاد على جزية ، وعاد إلى مصر فى أوائل عام ٢٩هـ/ ٦٤٩م[١٦] .

ولم تستكمل فتوح أفريقية والمغرب فالأندلس إلا خلال العصر الأموى كما سنرى .

ب ـ فتوح العراق والمشرق[١٧] :

كانت إنطلاقة هذه الفتوح فى عهد الخليفة الراشد أبى بكر الصديق (رضى الله

---

(١٥) سالم ، التاريخ السياسى ، ص٢٢٧ ـ ٢٣٤ ؛ شاهين ، الدولة الإسلامية ، ص٢١٠ ـ ٢٣١ ؛ فيصل ، حركة الفتح ، ص١١٨ ـ ١٣٣ ؛ مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص٥٢ ـ ٧١ ؛ العدوى ، إبراهيم ، نهر التاريخ الإسلامى ، القاهرة (١٩٨٩م) ، ص١٦٤ ـ ١٦٥ . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، مصر والإسلام ، القسم الثانى ، القاهرة (٢٠٠٣م)، ص ٦ ـ ٧ (مقدمة بحث الدكتور عبد الشافى محمد عبد اللطيف حول دور المصريين فى إنشاء البحرية الإسلامية ، ص٥ ـ ٤٦) .

(١٦) سالم ، التاريخ السياسى ، ص٢٣٨ ـ ٢٤٢ ؛ شاهين ، الدولة الإسلامية ، ص٢٥٧ ـ ٢٥٨ ؛ فيصل ، حركة الفتح ، ص١٥٧ ـ ١٦٠ ؛ مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص٧٧ ـ ١٠٧ .

(١٧) عن خط سير هذه الفتوح ومراحلها وتفاصيل أحداثها انظر ، سالم ، التاريخ السياسى ، ص٢٤٣ ـ ٢٥٨ ؛ شاهين ، الدولة الإسلامية ، ص٨٨ ـ ١٠١ ، ١٦٤ ـ ١٩٣ ، فيصل ، حركة الفتح ، ص٦٢ ـ ٨٣ ، ١٩٣ ـ ٢٠٧ .

عنه) ثم لم تلبث أن استكملت فى عهد الخليفتين الراشدين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان (رضى الله عنهما).

ونستطيع أن نجمل أحداث حركة الفتوح فى العراق والمشرق فى مراحل ثلاث رئيسية وذلك على النحو التالى :

المرحلة الأولى : - كانت إنطلاقتها فى خلافة أبى بكر الصديق (رضى الله عنه) عقب الفراغ من حروب الردة وفيها تم فتح العراق العربى - أى جنوب العراق - وعن خط سير هذه المرحلة نقول أنها كانت ذات شقين : الأول : وهو أن يسير القائد خالد بن الوليد الذى لم يكد يفرغ من حروب الردة من اليمامة أو من المدينة على اختلاف الروايات ليأتى العراق من أسفله ، على أن يسير القائد عياض بن غنم من المُصَّيخ ليأتى العراق من أعلاه - أى من شماله - والشق الثانى : هو أنه كان على خالد قبل أن يمضى فى فتح فارس أن ينظر أين إنتهى بعياض بن غنم سيره .

وعن خط سير الشق الأول يمكن القول أن خالد قد خاض عدة معارك وهى على التوالى : ذات السلاسل (كاظمة) ثم المذار أو الثنى والولجة ثم اليس الصغرى على صلب الفرات ثم أمفيشيا ثم يوم المقر وفَمَ فرات بادَقْلَى ثم الحيرة والأنبار . أما عن الشق الثانى من هذه المرحلة فإن عياض بن غنم قد شجى وأشجى بدومة فكان لا بد لخالد من إغاثته وأن ينتقذه ويعالج أمره بعد أن إستقام له ما بين الفلاليج إلى أسفل السواد وبعد أن وزع العمال والمسالح وخاض خالد عدة معارك فى عين التمر ودومة الجندل والحُصَيْد والخنافس والمُصَيّخ والبشر والرُّضاب والفراض .

وهكذا تم خلال هذه المرحلة الأولى فى عهد أبى بكر الصديق (رضى الله عنه) وقيادة خالد بن الوليد فتح العراق العربى وكان ذلك عام ١٢هـ/ ٦٣٣م .

وفى الحيرة جاء كتاب الخليفة أبى بكر إلى خالد يأمره بأن يستخلف قائداً آخر ، وأن يسير هو - أى خالد - إلى الشام على النحو المشار إليه سابقا ، واستخلف خالد على العراق المثنى بن حارثة الشيبانى الذى يدين له إستكمال فتح العراق بكثير من الجرأة والقوة والاندفاع .

المرحلة الثانية :

نستطيع القول أن فتح العراق العربى (جنوب العراق) فى المرحلة الأولى كان بمثابة

الجسر الذى عبره المسلمون إلى ما وراءه فى هذه المرحلة الثانية (فتح العراق العجمي) والتى بدأت انطلاقتها مع بداية عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) وكانت القيادة خلالها لثلاثة من القواد على التوالى : وهم أبى عبيد الثقفى والمثنى بن حارثة الشيبانى ، ولما استشهد أبى عبيد فى وقعة الجسر إضطلع المثنى بالأمر حتى كانت وفاته بعد وقعة البويب فاضطلع بالأمر سعد بن أبى وقاص (رضى الله عنه) وهو الذى توج هذه المرحلة بانتصاره الخالد فى معركة القادسية الشهيرة .

وعن خط سير حركة الفتح فى هذه المرحلة نقول أنها بدأت بالانتصار فى معركة النمارق ثم توالت الوقائع والمعارك فى كل من : السَّقاطية بكَسْكر ووقعة باقسياثا ثم وقعة الجسر عام ١٣هـ/ ٦٣٤م ، (وتعرف أيضًا بوقعة القرقس أو قس الناطف أو المروحة) وفيها كان النصر للفرس واستشهد أبى عبيد الثقفى وجُرح المثنى وفر من بقى من المسلمين ، فكان لا بد إذن من أن يثأر المسلمين ليوم الجسر وتحقق لهم النصر العظيم فى البُويَبْ بقيادة المثنى بن حارثة الشيبانى .

واستثمر المسلمون ذلك النصر بانتصارات أخرى فى كل من الخنافس والكباث وغيرها ؛ وبذلك إستقام لهم أمر السواد بين دجلة والفرات ، وانطلقت أيديهم فيه ينالون منه حيث شاءوا .

وتوجت هذه المرحلة بمعركة القادسية عام ١٤هـ/ ٦٣٥م ، وهى إحدى المعارك الفاصلة فى التاريخ ، وكان الخليفة عمر (رضى الله عنه) قد ولى قيادة الجيش لسعد بن أبى وقاص ، وقبيل وصوله إلى مشارف العراق كان المثنى بن حارثة الشيبانى قد لقى ربه ، ونزل سعد القادسية وأقام بها شهراً لم يأته أحد من الفرس ، ثم جرت مفاوضات بين الطرفين لم تسفر عن شيء ، ولم يبق إذن سوى المواجهة والتى أسفرت عن هذا الانتصار الرائع الذى بفضله كسرت كل السدود والحواجز من أمامهم ، ومضوا لا يقفون عند حد ، وانساقوا فى قوة وجرأة يحققون النصر تلو النصر حتى تم فتح العديد من مدن المشرق كما سنرى .

المرحلة الثالثة : كانت هذه المرحلة إستثماراً لذلك الانتصار العظيم الذى تحقق فى القادسية عام ١٤هـ/ ٦٣٥م التى تمثل بداية النهاية لدولة الأكاسرة الفرس وبمقتضاها تقرر مصير العراق نهائيا وأصبح الطريق ممهداً ومفتوحًا أمام المسلمين إلى المشرق .

وعن خط سير هذه المرحلة يمكن القول أنه قد جرت بعد القادسية أيام ووقائع حتى عام ٢٢هـ/ ٦٤٢م فى كل من : بابل وبُهر سُير ثم فتح سعد المدائن أوائل عام ١٦هـ/ ٦٣٧م وفرّ منها كسرى يزدجرد الثالث إلى حلوان ثم وقعة جلولاء وتحقيق النصر أواخر عام ١٦هـ/ ٦٣٧م .

وكان الخليفة عمر (رضى الله عنه) قد رفض أن يأذن لسعد فى متابعة الفرس والانسياح فى بلادهم بعد فتح المدائن ، واكتفى بأن يؤمن المسلمون مواقعهم حول المدائن، ولكن تطور الموقف جعل الخليفة يعدل عن رأيه بعدم الانسياح فى بلاد الفرس ؛ ومن هنا بدأت المواجهات والمعارك تنشب من جديد فكانت معركة نهاوند بقيادة النعمان بن مقرن فى عام ٢١هـ/٦٤٢م على الأرجّح ، وكانت معركة فاصلة أيضًا فقد قررت مصير دولة الأكاسرة نهائيا حيث لم تقم لهم بعدها قائمة ، ولم تجتمع لهم كلمة فهى بالنسبة لهم كانت الضربة القاضية ، أما بالنسبة للمسلمين فقد كانت فتح الفتوح على حد قول المؤرخين .

وبعد هذا الانتصار الباهر أمر الخليفة بالانسياح والتوغل فى أعماق بلاد الفرس فعقد الألوية لعدد من القادة المسلمين ، وقد فتح الله على أيديهم العديد من مدن المشرق صلحا ومنها همدان وخراسان وازربيجان واصبهان وباب الأبواب على بحر الخزر (بحر قزوين) واصطخر (برسيبوليس) وفسا ودار ابجرد وسجستان وكرمان ومكران وغير ذلك .

أما كسرى يزدجرد الثالث فقد منيت محاولاته الأخيرة للمقاومة فى خراسان بالفشل وبالتالى إنتهى أمره وقضى عليه فى مرو عام ٣١هـ/ ٦٥١م ـ أى فى خلافة عثمان رضى الله عنه ـ وعلى ذلك بسط المسلمون سلطانهم على غالبية المقاطعات الفارسية ومدنها دون مقاومة تذكر بل بمعاهدات صلح قامت على الرحمة والتسامح من جانب المسلمين . على أن الشيء اللافت للنظر أن هذا المد الإسلامى الكبير فى المشرق كان يناله جزر وإنحسار نتيجة للكثير من الفتن الداخلية ونقض العهود ، وبالتالى حركات الارتداد والانتقاض مرة أو مرات وهو الأمر الذى كان لا بد من وجود حركة مضادة له لاسترداد ما كان من قبل أو فلنقل إعادة فتح وتثبيت أقدام المسلمين فى مدن المشرق ؛ وعلى ضوء هذه الحقيقة يجب ألا نستغرب عندما تقابلنا فى روايات المؤرخين أن بعض المدن أو الأقاليم فى المشرق التى فتحت فى خلافة عمر (رضى الله عنه) قد

فتحت فى خلافة عثمان (رضى الله عنه) أو بعد ذلك ، فإن المقصود من ذلك هو إعادة فتح هذه المدن أو تلك الأقاليم ، حتى تم تثبيت الفتوحات وإنتشر الإسلام بين أهالى المشرق . بقى أن نشير إلى أنه كان لتمصير البصرة عام ١٤هـ/ ٦٣٥م والكوفة ١٧هـ/ ٦٣٨م آثره الكبير فى حركة الفتوح الإسلامية فى المشرق ؛ فقد كانا بمثابة المنبعان الأصيلان أو المصدران اللذان إنطلقت منهما وتدفقت فتوح المشرق ، ولا ننسى أيضًا أن نضيف منبع أو مصدر ثالث خارج العراق ، وهو البحرين ، كان له دوره فى فتح جنوبى فارس وتطويق العناصر المقاومة فى منطقة الجبال(١٨) .

جـ. فتوح الجزيرة وأرمينية :

كانت المنطقة الواقعة شمال العراق وشمال شرقى بلاد الشام تسمى الجزيرة وهنا كان لا بد من تأمين فتوح الشام والعراق ؛ إذ أن الجزيرة هى المنفذ الذى يمكن أن تهدد منه جيوش الروم بلاد الشام والعراق كما أنها متصلة بارمينية وأذربيجان ؛ ولذلك كان فتح الجزيرة ضرورة استراتيجية وتتمة وتكملة لفتوح الشام والعراق .

وقد إستغرقت فتوح الجزيرة الفترة فيما بين عامى ١٦ ـ ٢٠هـ/ ٦٣٧ ـ ٦٤٠م ، وكانت الجزيرة « أسهل البلدان أمرا وأيسره فتحا » حيث فتحت غالبية مدنها صلحًا وهى نينوى والموصل واربل والرقة والرها وحران ونصيبين وسميساط وقرقيسيا وسنجار وميافارقين وجسر منبج وآمد وماردين وأرزن وبدليس وخلاط وعين الوردة ورأس العين.

وبفتوح الجزيرة تم الاتصال بين فتوح الشام والعراق ولذلك كان لا بد من تأمين السيطرة عليها ووضع قوات من المقاتلة العرب فى مختلف أرجائها(١٩).

أما أرمينية فقد كان فتحها فى خلافة عثمان بن عفان (رضى الله عنه) إذ كتب إلى معاوية ابن أبى سفيان عامله على الشام والجزيرة يأمره أن يوجه حبيب بن مسلمة الفهرى إلى أرمينية ، وقد إستطاع حبيب بما وصل إليه من امدادات من الشام والعراق

---

(١٨) فيصل ، حركة الفتح ، ص١٩٣ ـ ٢٠١ .

(١٩) سالم ، التاريخ السياسى ، ص٢٥٨ ـ ٢٥٩ ؛ شاهين ، الدولة الإسلامية ، ص١٨٥ ـ ١٨٦ ؛ العلى ، امتداد العرب فى صدر الإسلام ، ص٩٦ .

والجزيرة أن يفتح عدة مدن فى أرمينية صالحه أهلها ومنها قاليقالا ودبيل وتفليس والنشوى وجرزان ، وساعده سلمان بن ربيعة الباهلى فى فتح بقية مدن أرمينية .

ويمكن القول أن فتوح الجزيرة وأرمينية قد منحت الدولة الإسلامية الناشئة حدوداً طبيعية مناسبة ؛ فقد أصبحت جبال طوروس وطوروس الداخلية تحدها من الجانب الشمالى الغربى ، فضلا عن أرمينية ذات الطبيعة الجبلية وموقعها الحاجز من جهة أخرى .

وكان لهذا الوضع الاستراتيجى المتميز أثره الكبير فيما بعد ؛ إذ أصبحت هذه المنطقة نقطة إرتكاز للتوغل داخل أسيا الصغرى (الأناضول) عبر دروب جبال طوروس وطوروس الداخلية(٢٠).

د ـ فتح قبرص :

من المعروف أن الخليفة عمر (رضى الله عنه) لم يأذن لمعاوية بن أبى سفيان بركوب البحر لأنه ـ أى الخليفة ـ كان قد أخذ على نفسه عهداً ألا يحمل فى البحر أحداً أبداً بعد تلك المحاولات غير الناجحة فى مجال الفتوحات البحرية ، ولذلك قرر معاوية إحياء فكرته ومشروعه بعد أن ولى الخلافة عثمان (رضى الله عنه) وقد عزز موقفه هجوم الروم على الاسكندرية ، فطلب من عثمان (رضى الله عنه) أن يأذن له بفتح قبرص لقربها من شواطئ المسلمين فى الشام وتهديدها الدائم لها ، ورفض الخليفة فى أول الأمر ثم لم يلبث أن وافق بعد الإلحاح المستمر لمعاوية قائلاً له « فإن ركبت البحر ومعك امرأتك فاركبه مأذونا لك وإلا فلا » ففرح معاوية بإذن عثمان له وبدأ فى إنشاء الأسطول ونزل قبرص عام ٢٨هـ/ ٦٤٨م أو ٢٩هـ/ ٦٤٩م وصالحه أهلها وفرض شروطه عليهم ـ والتى كان من أهمها ألا يكونوا عونا للبيزنطيين على غزو المسلمين ـ ولكن القبارصة نقضوا هذا الشرط وأمدوا البيزنطيين وأعانوهم على المسلمين بمراكب أعطوهم إياها فما كان من معاوية إلا أن قرر أن يلقنهم درسًا قاسيًا وتم له بالفعل فتح الجزيرة عنوة عام ٣٣هـ/٦٥٣م ، ولم يكتف بذلك بل حشد المقاتلة المسلمين فيها فبنوا بها

---

(٢٠) سالم التاريخ السياسى ، ص٢٦٠ ـ ٢٦١ ؛ العبد الغنى ، عبد الرحمن ، الحدود البيزنطية الإسلامية وتنظيماتها الثغرية ٤٠ ـ ٣٣٩هـ/ ٦٦٠ ـ ٩٥٠م، حوليات كلية الآداب ، الحولية ١١، الرسالة ٧١، جامعة الكويت ، مجلس النشر العلمى ، (١٤١٠ ـ ١٤١١هـ/ ١٩٨٨٩م ـ ١٩٩٠م)، ص١٢ ؛ عثمان، فتحى ، الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربى والاتصال الحضارى ، جـ١ ، القاهرة (١٩٦٦م)، ص٢٥٨ ؛ وعن مناقشة الروايات المختلفة فى المصادر العربية والأرمينية حول محاولات فتح أرمينية انظر ، العبد الغنى ، عبد الرحمن محمد ، أرمينية وعلاقاتها السياسية بكل من البيزنطيين والمسلمين ، الكويت (١٩٨٩م) ، ص٤٧ ـ ٥٥ .

المساجد ، كما نقل إليها جماعة من بعلبك وبنى فيها مدينة(٢١) .

وعلى ضوء ما تقدم يمكن القول أن الدولة الإسلامية الناشئة قد إمتدت بفضل حركة الفتوح الأولى خلال عصر الخلفاء الراشدين (رضى الله عنهم) فأصبحت تضم ـ بالإضافة إلى الجزيرة العربية ـ العراق وأراضى دولة الأكاسرة الفرس فى المشرق والشام والجزيرة ومصر وبعض المغرب (برقة وطرابلس الغرب) فهل وقف المد الإسلامى وانتهى عند ذلك الحد ؟ هذا هو ما سوف نبينه فى المراحل التالية .

٢ـ المرحلة الثانية : الفتوحات خلال العصر الأموى ٤١ ـ ١٣٢هـ/ ٦٦١ ـ ٧٥٠م :

لا شك فى أن معظم إنجازات الأمويين الباقية على مر الزمان هى تلك الفتوحات الإسلامية التى تمت فى عهدهم ، والتى شملت مناطق عديدة فى قارات العالم القديم ـ أسيا وافريقيا وأوروبا ـ ففى أسيا فتح الأمويون أقاليم ما وراء النهر ـ وهى المناطق الواقعة بين نهرى سيحون وجيحون (أموداريا وسرداريا) ـ وإقليم السند ؛ بالإضافة إلى تثبيت الفتح فى المناطق التى كانت قد فتحت فى عهد الخلفاء الراشدين ، وبصفة خاصة فى فارس ؛ فقد كانت خراسان وجرجان وطبرستان وأرمينية وأذربيجان وغيرها كثيرة الارتداد والانتقاض كما سبق القول ، فأبلى الأمويون بلاء حسنا فى تثبيت دعائم الإسلام فى هذه البلاد حتى أصبحت من أهم ركائز العالم الإسلامى .

وفى افريقية فتح الأمويون شمال القارة بأكمله من حدود مصر الغربية حتى المحيط الأطلسى ، وفى أوروبا فتحوا الأندلس وأجزاء من جنوب فرنسا كما استولوا على العديد من الجزر فى شرق وجنوب وغرب البحر المتوسط ، ثم واصلوا ضغوطهم على (القسطنطينية) عاصمة الدولة البيزنطية وحاصروها أكثر من مرة ، وحاولوا الاستيلاء عليها ، وإن كانت محاولاتهم لم تنجح فى اسقاطها إلا أنهم نجحوا فى جعل الدولة البيزنطية تعيش فى حالة دفاع عن النفس وهذا مكسب سياسى وعسكرى ونفسى كبير بالنسبة للمسلمين(٢٢) .

غير أن ما يعنينا من كل هذا هو تلك الفتوحات التى بفضلها أضيفت مساحات كبيرة إلى رقعة الدولة الإسلامية التى ورثها الأمويون عن الخلفاء الراشدين .

---

(٢١) عبد اللطيف ، العالم الإسلامى ، ص٢٤١ ـ ٢٤٣ ؛ شاهين ، الدولة الإسلامية ، ص٢٥٣ ـ ٢٥٦ ؛ تدمرى ، تاريخ طرابلس ، ص٩٧ ـ ٩٩ .

(٢٢) عبد اللطيف ، العالم الإسلامى فى العصر الأموى ، ص٢٤٥ .

ومن هذا المنطلق نستطيع أن نقسم الفتوحات الإسلامية خلال العصر الأموى إلى قسمين وهما :

القسم الأول : فتوح الجناح الغربى .

القسم الثانى : فتوح الجناح الشرقى .

وفيما يلى نتناول كل قسم منهما على حدة :

ـ القسم الأول : فتوح الجناح الغربى :

يشتمل الجناح الغربى للدولة الإسلامية على البلاد التى دخلها الإسلام (وبقى فيها أو لم يبق) وينقسم هذا الجناح الغربى إلى الدول الآتية :

١ ـ **دول المغرب العربى :** ويقصد بها دول الشمال الافريقى المختلفة الممتدة من حدود مصر الغربية إلى المحيط الأطلنطى .

٢ ـ **الأندلس :** ويراد بها الأراضى التى فتحها المسلمون من شبه جزيرة أيبريا (اسبانيا والبرتغال) وتتبعها الجزائر الشرقية المعروفة بالبليار .

٣ ـ **الحوضان الأوسط والغربى للبحر المتوسط :** ويدخل فى ذلك كله جزائر البحر المتوسط فى هذين الحوضين مثل صقلية وقوصرة وقرسقه والأراضى الأوروبية القريبة منها مثل جنوب إيطاليا وما قرب منها من الجزر مثل مالطة وسرد ينيا .

٤ ـ دول غرب أفريقيا : ويقصد بها البلاد الواقعة فى افريقيا المدارية والاستوائية وتعرف أيضًا ببلاد السودان الغربى وهى تشغل جغرافيا المنطقة الممتدة من المحيط الأطلنطى غربا إلى بحيرة تشاد شرقا ، والتى اصطلح الأوروبيون فى العصور الوسطى على نعتها باسم بلاد نجرتيا Nigritia نسبة إلى نهر النيجر[٢٣] .

غير أن ما يعنينا من ذلك هو تلك المناطق التى فتحت خلال العصر الأموى مثل المغرب والأندلس وهو ما سنبينه فيما يلى :

١ ـ فتوح المغرب :

من المعروف أن حركة الفتوح الإسلامية قد توقفت بسبب فتنة الخليفة عثمان (رضى الله عنه) ٣٥هـ/ ٦٥٥م ثم الحرب بين الخليفة الراشدى الرابع على بن أبى طالب (رضى

---

(٢٣) مؤنس ، معالم، ص٢٣ ؛ طرخان، إبراهيم ، امبراطورية البرنو الإسلامية ، القاهرة (١٩٧٥م)، ص١٧.

الله عنه) ٣٥ ـ ٤٠هـ/ ٦٥٥ ـ ٦٦٠م وبين معاوية بن أبى سفيان والى الشام وقتئذ ؛ ولم يتجدد نشاط الفتوح مرة أخرى إلا بعد أن إستقر الأمر لمعاوية عام ٤١هـ/ ٦٦١م ، وهو عام الجماعة الأول ، الذى تأسست فيه الخلافة الأموية كما هو معروف .

وعن إستئناف حركة الفتوح فى المغرب يمكن القول أن فتوح المغرب ومن بعدها الأندلس قد إرتبطت بالولاة الأمويين بدءاً بمعاوية بن حديج السكونى وانتهاءاً بموسى بن نصير أى أن هذا الفتح قد استغرق ما يقرب من نصف قرن من عمر الدولة الأموية . ويمكن أن نجمل أحداث هذه الفتوح فيما يلى[٢٤]:

١ ـ غزوة معاوية بن حديج السكونى عام ٤٥هـ/ ٦٦٥م وقد أسفرت عن فتح سوسه وجلولاء كما أنه غزا بنزرت وغنم منها مغانم كثيرة ورجع قافلا إلى قمونيه أو قونيه وبنى بناحية القرن مساكن وسماها قيروانا .

وتعتبر هذه الغزوة من الغزوات التمهيدية التى قام بها العرب فى المغرب ـ أى أنها كانت إستمراراً لما قام به كل من عمرو بن العاص وعبد الله بن سعد بن أبى سرح ـ قبل أن يتخذوا قراراً نهائيا بفتح هذه البلاد فتحًا دائمًا ثابتا وهذا هو ما حدث فى عهود الولاة اللاحقين كما سنرى .

٢ ـ غزوة عقبة بن نافع الأولى وتأسيس مدينة القيروان ٥٠ ـ ٥٥هـ/ ٦٧٠ ـ ٦٧٤م.

كان عقبة بن نافع يعتبر أكثر العرب معرفة بافريقية (تونس) وشئونها فى ذلك الوقت لخبرته الواسعة وطول اقامته فى برقة وزويله وما حولها منذ فتحها أيام عمرو بن العاص ، ولذلك جاء إسناد أمر القيادة إلى عقبة بن نافع خطوة موفقة على طريق فتح المغرب كله ، وقد أدرك بثاقب فكره وبعد نظره أنه لكى يستقر الأمر للمسلمين فى أفريقية ويكف أهلها عن الارتداد ، فلا بد من بناء قاعدة ثابتة ينطلقون منها فى غزواتهم وفتوحاتهم ويعودون إليها ويأمنون فيها على أهلهم وأموالهم .

---

(٢٤) عن خط سير هذه الفتوح ومراحلها وتفاصيل أحداثها انظر ، سالم ، التاريخ السياسى ، ص٣٧٣ ـ ٣٨٢ ؛ تاريخ المغرب ، ص٨٨ ـ ١٧٢ ؛ فيصل ، حركة الفتح الإسلامى ، ص١٦٠ ـ ١٧٩ ؛ مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، ص١١٥ ـ ٢٢٦ ؛ معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص٣٧ ـ ٦٤ ؛ عبد اللطيف ، العالم الإسلامى فى العصر الأموى ، ص٢٧٢ ـ ٣٠٣ .

ومن هنا فإن تأسيس مدينة القيروان ٥٠ - ٥٥هـ/ ٦٧٠ - ٦٧٤م كان أعظم انجازات هذه المرحلة ؛ وما ترتب على ذلك من آثار إيجابية ومن أهمها توجيه حركة الفتوح وتثبيتها فى افريقية ، ثم مواصلة الفتح حتى تم فتح المغرب كله فالأندلس فضلا عن دورها العظيم فى نشر الإسلام فى الغرب الإسلامى ، ولا غرو فى ذلك فقد أصبحت القيروان مركزاً من أهم مراكز الحضارة الإسلامية .

وفى أثناء بناء المدينة التى إستغرق خمس سنوات كان عقبة يغزو ويرسل السرايا ويدعو الناس إلى الإسلام وبذلك دخل كثير من البربر فى الإسلام واتسعت خطة المسلمين وقوى جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان ، واطمأنوا على المقام فثبت الإسلام فيها على حد قول ابن الأثير .

٣- ولاية أبى المهاجر دينار ٥٥- ٦٢هـ / ٦٧٤- ٦٨٢م :

بينما كان عقبة يواصل فتوحاته وينظم مدينته الجديدة إذا بوالى مصر مسلمة بن مخلد يعزله ويولى مكانه مولاه ابا المهاجر دينار عام ٥٥هـ/ ٦٧٤م . ومهما يكن من أمر فإنه من الانصاف القول بأن أبى المهاجر دينار قد قام بدور كبير فى فتح المغرب وتمهيده لقبول الإسلام دينا ونظام حياة ، وقامت سياسته الحكيمة على كسب قلوب البربر من جهة وأن يعزلهم عن الروم من جهة ثانية .

أما عن فتوحاته فقد سار إلى قرطاجنة ونازلهم وشدد الحصار عليها فطلب الروم الصلح فصالحهم فى مقابل إخلاء جزيرة شريك (شرق قرطاجنة العاصمة) لتنزل فيها جنوده وتكون للمسلمين وبذلك يستطيع أن يراقب الروم وتحركاتهم .

ثم اتجه بعد ذلك مسايرا الساحل ناحية الغرب ففتح مدينة ميله (وهى على بعد ٥٠ ميلا من بجاية فى جنوبها الشرقي) وبجعلها مقره وأقام بها نحوا من سنتين نجح خلالها فى اجتذاب البربر ودخول الكثير منهم الإسلام ، وبذلك سكنت تلك النواحى سكون البحر بعد العاصفة ، ثم سار أبو المهاجر بعد ذلك لفتح المغرب الأوسط فانتصر على جيش كسيله من البربر والروم فى معركة تلمسان ، وأسر كسيلة فأحسن إليه أبو المهاجر وقربه وعامله معاملة الملوك وطمع فى إسلامه وأدرك أنه لو أسلم كسيلة فسيكون ذلك سببا فى إسلام قومه وقد تحقق له ما أراد فأسلم كسيله وأقبل البربر على الإسلام .

٤- ولاية عقبة الثانية ٦٢-٦٣هـ/٦٨٢-٦٨٣م :

عاد عقبة بن نافع إلى ولاية افريقية ثانية عام ٦٢هـ/ ٦٨٢م ، بأمر الخليفة يزيد بن معاوية (يزيد الأول) (٦٠ - ٦٤هـ/ ٦٨٠ - ٦٨٤م) وقد إستأنف عقبة نشاطه فى الفتوح والجهاد فأخذ يتنقل من موضع إلى موضع بسرعة لم تمكنه من تثبيت أقدامه فى الموضع الذى سيتركه خلفه حتى وصل إلى المحيط الأطلسى ، وعن خط سير هذه الفتوح الطويلة والسريعة ، يمكن القول أنها شملت مدينتى باغايه وقرطاجنه وما والاهما ومدينة المنستير والزاب ووادى المسيلة وتاهرت وطنجة حتى بلغ السوس الأقصى ، واستطاع أن يهزم كل من يتجمع له من الروم والبربر ، وعندما وصل إلى المحيط الأطلسى أوطأ فرسه مياهه وقال قولته المشهورة « اللهم اشهد أنى بلغت المجهود ولولا هذا البحر لمضيت فى البلاد أقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد دونك » .

وانتهت هذه المرحلة باستشهاد عقبة عند تهوده فى أواخر عام ٦٣هـ/ ٦٨٣م ، وبذلك تحقق لكسيلة، بعد أن تمكن من اغتيال عقبة ، من أن يكون أميراً على كل افريقية حيث أمن كسيلة من بقى بالقيروان من المسلمين ، وأقام بالقيروان أميراً على سائر افريقية والمغرب وعلى من فيه من المسلمين ، إلى أن ولى الخلافة عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ/ ٦٨٤ - ٧٠٥م) فهل هذا يعنى ضياع كل الجهود التى بذلها المسلمون فى فتح هذه البلاد منذ فتوحات عمرو بن العاص الأولى وحتى فتوحات عقبة بن نافع الثانية ؟ هذا هو ما سنبينه فى المراحل التالية .

٥- ولاية زهير بن قيس البلوى :

ولى عبد الملك بن مروان الخلافة عام ٦٥هـ/٦٨٤م ، فلما إشتد سلطانه واجتمع أكابر المسلمين عليه سألوه تخليص أفريقية ومن بها من المسلمين من يد كسيلة وبعد تشاور فى الأمر إجتمع الرأى على زهير بن قيس البلوى صاحب عقبة وأعلم الناس بسيرته وتدبيره وأولاهم بطلب دمه ، فوجه عبد الملك إلى زهير وهو ببرقه يأمره بالخروج لأفريقية واسترداد القيروان وأمده بالخيل والرجال والأموال وكان ذلك عام ٦٩هـ/ ٦٨٨م، وتم لزهير بالفعل تحقيق النصر على كسيلة ومن معه وقتله فى معركة ممس ومن ثم استطاع زهير أن يخلص القيروان وأن يسترد للمسلمين هيبتهم فى افريقية .

وإنتهت هذه مرحلة باستشهاد زهير بن قيس فى برقة ، وكان ذلك فيما بين ٧٠ - ٧١هـ/ ٦٨٩ - ٦٩٠م على الأرجّح .

٦ـ ولاية حسان بن النعمان الغسانى ٧٤ـ ٨٥هـ/ ٦٩٣ـ ٧٠٤م :

سار حسان بن النعمان بجيش كبير لم يدخل افريقية قط جيش مثله فى عام ٧٤هـ/ ٦٩٣م على الأرجّح ـ وذلك عقب القضاء على ثورة ابن الزبير عام ٧٣هـ/ ٦٩٢م ـ وعندما وصل إلى طرابلس الغرب اجتمع إليه بها من كان خرج من افريقية فقاد جيشه وفتح كثيراً من البلاد ، وأصاب غنائم كثيرة ، ثم توجه بعد ذلك إلى قرطاجنة ففتحها عنوة ثم استولى على صطفورة وبنزرت وقابس ونفزاوة وقسطيلية وقفصه وبونه وباجه وترك عماله فى تلك النواحى وعاد إلى القيروان ليستريح جنوده .

وبعد أن استراح حسان وجنده كانت المواجهة مع الكاهنة (وهى امرأة بربرية من قبيلة جراوة البترية) وللأسف لقى حسان هزيمة فادحة فى معركة وادى مسكيانه بالقرب من قصر نينى ، وليس أدل على جسامة الهزيمة من أن حسان قد إنسحب هو وجيشه من افريقية كلها وعاد إلى برقة ، فلما علم الخليفة عبد الملك أمره بالمقام فيها إلى أن يأتيه أمره فأقام بعمل برقه خمس سنين . فلما حانت الفرصة المناسبة أرسل عبد الملك الجنود والأموال إلى حسان ليثأر لهزيمته من الكاهنة ، واستطاع حسان أن يسترد قابس وقفصه وقسطيلية ونفزاوة فى سهولة ؛ ثم لم يلبث أن دارت المعركة الفاصلة بينهما عند مكان يسمى بئر الكاهنة فدارت الدائرة عليها ، وهزم جيشها هزيمة منكرة ولقيت هى حتفها فى المعركة .

وهكذا كان النصر على الكاهنة حاسمًا فى تاريخ المغرب كله ؛ حيث توالت الانتصارات ، وتحققت لأول مرة فى تاريخ المغرب أولى فترات الاستقرار المتصلة فلم يغادر المسلمون هذه الأرض بعد تلك المعركة ؛ وإنما انطلقوا منها لاخضاع ما تبقى من المغرب كما سنرى ، كذلك فشا الإسلام وانتشر بين البربر ، وعاد حسان إلى القيروان ، وأقام بها لا ينازعه أحد ، ومن ثم شرع فى تنظيم البلاد وتدوين الدواوين وإنشاء المدن فأسس مدينة تونس وأنشأ داراً لصناعة السفن بها ، ورغم ذلك فقد عزله والى مصر عبد العزيز بن مروان (٦٥ ـ ٨٦هـ/ ٦٨٤ ـ ٧٠٥م) وولى مكانه موسى بن نصير الذى أخذ على عاتقه مهمة إستكمال فتوح المغرب وما ترتب عليها من فتوح الأندلس .

٧ـ ولاية موسى بن نصير ٨٥ـ ٩٦هـ/ ٧٠٤ـ ٧١٤م :

قدم موسى بن نصير واليا على المغرب فى أواخر عام ٨٥هـ/ ٧٠٤م ، وقد إستهل

فتوحه وغزواته بالاستيلاء على قلعة زغوان وصنهاجة وسجومه فى المغرب الأوسط ثم السوس الأقصى وواصل بعد ذلك غزواته وفتوحاته ، وتوج ذلك بالاستيلاء على طنجة وولى عليها مولاه طارق بن زياد ، وهكذا فقد أخضع موسى بن نصير ورجاله المغرب كله عام ٩٠هـ/ ٧٠٨م ولم تستعص عليه إلا مدينة سبته الساحلية لمناعتها ولأن الإمدادات كانت تأتيها من البحر .

كذلك قام موسى بعدة غزوات بحرية على الجزر الواقعة فى البحر المتوسط قبالة الشواطئ الإفريقية ومنها صقلية وسرقوسه وسردانيه ، ومن الواضح أن الهدف من هذه الغزوات البحرية كان يتمثل فى منع اغارات الروم واغارات حلفائهم القوط على السواحل الإسلامية ، كما أنه من المحتمل جداً أن تكون هذه الغزوات البحرية التى قام بها موسى لتمهيد الطريق لفتح الأندلس .

٢ ـ فتح الأندلس(٢٥) والتوسع فيما وراء البرتات(٢٦) : ـ

إنتهى بنا القول إلى فتح المسلمين للمغرب كله ، وبذلك أصبحت لهم السيادة على الشاطئ الجنوبى للبحر المتوسط قبالة الأندلس ، عدا مدينة سبتة الساحلية التى ربما كان عدم الاستيلاء عليها مقصوداً ، وباتفاق مع حاكمها القوطى يوليان ، الذى كان له دور

(٢٥) عن دوافع هذا الفتح وخط سيره ومراحله وتفاصيل أحداثه انظر ، عبد اللطيف ، العالم الإسلامى فى العصر الأموى ، ص٣٠٨ ـ ٣٢٣ ؛ سالم ، التاريخ السياسى ، ص٣٨٣ ـ ٣٨٥ ؛ تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، الاسكندرية (١٩٦١م) ، ص ٦٦ ـ ١١٥ ؛ مؤنس ، معالم تاريخ المغرب والأندلس ، ص٢٦٨ ـ ٢٧٥ ؛ كحيلة ، المغرب فى تاريخ الأندلس والمغرب ، ص١٥٩ ـ ١٦٥ ؛ الحجي، عبد الرحمن على ، التاريخ الأندلسى من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة ، دمشق ـ بيروت ، دار القلم (١٩٧٦م) ، ص٤٣ ـ ٩٤ ؛ فروخ ، عمر ، العرب والإسلام فى الحوض الغربى من البحر الأبيض المتوسط ، بيروت ، ط٢ (١٩٨١م)، ص٨١ ـ ١٠١ .

(٢٦) البُرْتات ومفردها بُرْت كلمة لاتينية تعنى ممر أو ميناء وهى ذات صلة بالكلمة اللاتينية Porte وتعنى باب أو مدخل واستعمل الكتاب الأندلسيون تسمية الجبل الفرنجية كما سمعوها فقال جبال البرت أو جبال البرتات وأحيانا بتعريب التسمية (الأبواب) وتوجد فى هذه الجبال أربعة ممرات أو خمسة ، وهناك من يرى أن هذه الجبال كانت الحاجز الطبيعى بين فرنسا واسبانيا وتوجد الممرات فى أطرافها الغربية والشرقية . انظر ، الحجى ، التاريخ الأندلسى ، ص٩٦ ـ ٩٨ ؛ المزروع ، وفاء ، جهاد المسلمين خلف جبال البرتات ، القاهرة (٢٠٠٣م)، ص٣٩ ـ ٤١ .

لا ينكر فى فتح الأندلس ومساعدة المسلمين على نجاح مشروعهم لفتحهم .

ومهما يكن من أمر الدوافع التى حدت بالمسلمين لفتح الأندلس ، فإن ما يعنينا فى هذا المقام هو أن نتتبع مراحل هذا الفتح وخط سيره حتى أصبح ذلك الفتح حقيقة واقعة تم بفضلها إمتداد دولة الإسلام وإتساع رقعتها فى الجنوب الغربى من القارة الأوروبية .

ويمكن القول أن الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦ ـ ٩٦هـ/ ٧٠٥ ـ ٧١٥م) عندما عرضت عليه فكرة هذا الفتح قد تردد فى بادئ الأمر ، خوفا على المسلمين من المخاطرة فى مفاوز أو إيقاعهم فى مهالك ، ولكنه بعد أن إقتنع بالأمر كتب إلى واليه موسى بن نصير بأن يخوضها بالسرايا (الحملات الاستطلاعية) حتى يختبرها كما أمره بالا يغرر بالمسلمين فى بحر شديد الأهوال .

وبالفعل أرسل موسى بن نصير فى عام ٩١هـ/ ٧١٠م سرية استكشافية بقيادة طريف بن مالك الملقب بأبى زرعة وجاز طريف ومن معه الزقاق (المضيق) من سبته ونزل قرب أو فى جزيرة بالوما (وعرفت هذه الجزيرة فيما بعد باسم هذا القائد أى جزيرة طريف) ومن هذا الموضع شن طريف ورجاله سلسلة من الغارات على الساحل الجنوبى للأندلس المقابل لساحل سبته فيما بين طريف والجزيرة الخضراء ، وقد عادت هذه السرية بالغنائم الكثيرة والأخبار المطمئنة والمشجعة على مواصلة الفتح .

وعلى الفور اتخذ موسى بن نصير قراره فى تنفيذ مشروع فتح الأندلس ، ونستطيع أن نجمل أحداث هذا الفتح فى أربع مراحل رئيسية وهى :

المرحلة الأولى : وتمتد فيما بين ٥ رجب ٩٢هـ/ ٧١١م وذى القعدة ٩٤هـ/ ٧١٣م وكانت القيادة فيها لطارق بن زياد .

المرحلة الثانية : وتمتد فيما بين رمضان ٩٣هـ/ ٧١٢م وذى القعدة ٩٤هـ/ ٧١٣م وكانت القيادة فيها لموسى بن نصير .

المرحلة الثالثة : وتشغل عام ٩٥هـ/ ٧١٤م وكانت القيادة فيها لموسى وطارق مجتمعين أو منفردين .

المرحلة الرابعة : عصر الولاة واستكمال فتح الأندلس والجهاد والتوسع فيما وراء البرتات : ٩٥ ـ ١٣٨هـ/ ٧١٥ ـ ٧٥٥م .

وعن خط سير المرحلة الأولى يمكن القول أن موسى بن نصير قد عقد لواء القيادة لمولاه طارق بن زياد (وهو من مسلمى البربر من قبيلة نفزه وهى من البتر) وعبر طارق ورجاله المضيق فى ٥ رجب ٩٢هـ/ ٧١١م وتجمعوا فى الطرف الأندلسى على جبل كالبى (جبل طارق فيما بعد) وقد تم إحكام السيطرة على الجبل والمنطقة المحيطة به ومن ثم صارت قاعدة لانطلاقهم ، وهكذا سار الجيش منحدراً إلى جنوب اسبانيا فى الجزيرة الخضراء ، وتم لهم النصر وفتحت الجزيرة واستولوا عليها وعلى البحيرة ، وعندما علم طارق أن لذريق قد زحف إليه كتب إلى موسى يستنجده فأرسل إليه جيشا قرابة خمسة آلاف بقيادة طريف بن مالك وبذلك كملت عدة الجيش الإسلامى اثنى عشر ألفًا جلهم من المسلمين البربر .

وتم اللقاء بين المسلمين والقوط فى معركة وادى برباط أو وادى بكه أو لكه فى رمضان ٩٢هـ/ ٧١١م وإنتصر المسلمون ، ولازت فلول الجيش القوطى بالفرار ، حتى تجمع عند مدينة استجه فزحف طارق إليه فاتحا فى طريقه بعض المدن ، ومنها شذونه ومورور وقرمونه ثم تقدم إلى اشبيلية وفتحها صلحًا ثم اتجه بعدها إلى استجه وفتحها بعد معركة حامية ؛ ومن استجه سارت الجيوش إلى عدة جهات لفتحها ففتحت قرطبة ومالقة وغرناطة قاعدة كورة البيرة واوريوله قاعدة كورة تدمير ، أما طارق نفسه فقد سار إلى مدينة طليطلة عاصمة القوط ماراً بمدينة جيان وفتح طليطلة وبعدها سار شمالاً إلى منطقة وادى الحجارة حتى وصل مدينة المائدة أو بعدها ثم عاد إلى طليطلة قبل حلول الشتاء وكان ذلك فى أوائل عام ٩٣هـ/ أواخر ٧١١م أو خلالها .

أما عن المرحلة الثانية فقد جهز موسى بن نصير جيشًا قوامه ثمانية عشر ألفا وعبر المضيق إلى الأندلس فى رمضان ٩٣هـ/ ٧١٢م ويقال أنه جاز الزقاق من سبته إلى جبل طارق فى قول أو من طنجه إلى الجزيرة الخضراء فى قول آخر ، والرأى الأول هو الأرجّح لأن المسافة بين ضفتى المضيق من هذه المنطقة أقصر مما هى عليه بين طنجة والجزيرة الخضراء .

وعن خط سير هذه المرحلة يمكن القول أن جيش موسى بعد أن تجمع بالجزيرة الخضراء سار نحو شذونه فكانت أول فتوحاته ثم فتح قرمونة ثم فتح اشبيلية ثم فتح لفنت ثم فتح ماردة ، ومن مارده أرسل ابنه عبد العزيز ففتح عدة نواحى ومنها لبله وباجه والبيره ومالقه وقرطاجنه واوريوله قاعدة كورة تدمير ، وقد فتحت صلحًا ، كما أعاد فتح اشبيلية .

وفى بداية ذى القعدة عام ٩٤هـ/ ٧١٣م سار موسى صوب طليطلة والتقى بطارق خارج طلبيرة التى تبعد ١٥٠ كم غرب طليطلة على الأرجّح ، وقد سار الاثنان ودخلا طليطلة ، وأقاما بالجيش الإسلامى فى المدينة فصل الشتاء - أوجله - وخلال تلك المدة تم ترتيب أحوال المدينة وتنظيم شؤونها وضربت العملة ، وأرسل موسى إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك يبشره بالفتح العظيم .

أما عن المرحلة الثالثة فتبدأ بعد انتهاء الشتاء وحلول الربيع - أى أوائل عام ٩٥هـ/ ٧١٤م - وفيها غادر الجيش الإسلامى طليطلة لفتح شمال شبه الجزيرة الايبيرية ويمكن أن نحدد خط سير هذه المرحلة على النحو التالى :

أ- موسى (سوية مع طارق) :

طليطلة ، سرقسطة (فتحت معاقل وحصون حولها). انفرد موسى بجيشه متجها صوب شرقي وشمالي الأندلس : وشقة ، لاردة ، طركونة ، برشلونة ، ربما جيرونه وغيرها [جرى جهاد وراء البرتات - قاده بنفسه أو بالسرايا - عبر ممر باربينيان ، فى منطقة سبتمانيه ووادي رودنه (نهر الرون) ، قرقشونه ، أربونه ، أبنيون ، لوذون (ليون)]. اتجه نحو الشمال الغربى فى منطقة البشكنس (يسار ابره) بموازاة خط سير حملة طارق : بنبلونه ، البه والقلاع (قشتاله)، منطقة جليقية : أشترقه (التقى مع طارق ثم إفترقا) دخل مفازتها : حصن بارو ، لك (حصن ومدينة)، أشتوريس : الصخرة [خيخون ، بنفسه أو بالسرايا ، ربما قام طارق بكلها أو بعضها] كان التحرك نحو الشام من : مدينة لك ، فج موسى (التحق به طارق قادما من الثغر الأعلي)، طليطلة ، قرطبة ، اشبيلية ، الجزيرة الخضراء (جازوا الزقاق)، سبته (نحو الشمال الأفريقي، مارين بالقيروان ثم فسطاط مصر ومنها إلى دمشق مركز الخلافة[٢٧] .

ب- طارق (سوية مع موسى) :

طليطلة ، سرقسطة (ينفرد بجيشه متجها نحو الغرب والشمال الغربى بمحاذاة يمين ابره)، منطقة البشكنس (مجاورين جبال قنتبرية) ، منطقة جليقية : أماية ، أشترقه

---

(٢٧) الحجى ، التاريخ الأندلسى ، ص١١٩ - ١٢٠ .

(التقى به موسى ، ربما ليس لأول مرة بعد سرقسطة) ليون (وربما غيرها ، مباشرة أو بالسرايا فى منطقة الثغر الأعلي) ، يتجه نحو موسى ملتحقا به ـ بناءاً على أوامره ـ للتوجه نحو الشام ، من مكان ما فى الثغر الأعلى ، فج موسى ، طليطلة ، قرطبة ، اشبيلية ، الجزيرة الخضراء (جازوا الزقاق) ، سبته ، بصحبة موسى إلى دمشق (وكان ذلك فى ذى القعدة ٩٥هـ/ ٧١٤م)(٢٨).

وعلى ضوء ما تقدم يكون فتح الأندلس قد إستغرق حتى الآن (أى حتى عودة موسى وطارق إلى دمشق) ثلاث سنوات ونصف (غير سرية طريف) بالنسبة لطارق بن زياد أما مدة جهاد وفتوحات موسى فى الأندلس فتقدر بسنتين وأربعة أشهر .

أما عن المرحلة الرابعة والأخيرة فهى تشمل عصر الولاة ٩٥ ـ ١٣٨هـ/ ٧١٤ ـ ٧٥٥م وما شهده ذلك العصر من استكمال فتح الأندلس ثم الجهاد والتوسع فيما وراء البرتات . ويبدأ هذا العصر بولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير لذى إستخلفه أباه على إمارة الأندلس وأقره بمدينة أشبيلية فى ذى القعدة ٩٥هـ/ ٧١٤م وحتى وفاته فى رجب ٩٧هـ/ ٧١٦م .

وقد أخذ عبد العزيز على عاتقه عبء استكمال فتح الأندلس فى شرقها وغربها فضلا عن تثبيت دعائم السيادة الإسلامية فى شبه الجزيرة الإيبيرية ، وتنظيم البلاد وإدارة شئونها وقد وصفه المؤرخون بأنه ضبط الأمور وسد الثغور وافتتح مدائن كثيرة وكان من خيرة الولاة ـ أى أنه كان خير خلف لخير سلف ـ وعلى ذلك فهو يعتبر ثالث فاتحى الأندلس . وهكذا تم فتح الأندلس وغدت رباط جهاد وموئل حضارة ومنبت إنسانية كريمة سقت أرضها وأفاضت على من حولها برغبة ودية وحرص حنون .

وعلى سبيل الإجمال فإن ذلك الفتح كان بداية لحدث حضارى فريد لاسبانيا وأوروبا على السواء كما سنرى .

هذا ولم يتوقف المد الإسلامى عند ذلك الحد ؛ بل إندفعت قوته حتى بلغت فيما وراء البرتات ـ خلال عهد الولاة الذين جاءوا بعد عبد العزيز بن موسى بن نصير ـ مبلغا عظيما ، ومن هؤلاء السمح بن مالك الخولانى (١٠٠ ـ ١٠٢هـ/ ٧١٨ ـ ٧٢٠م) الذى

---

(٢٨) الحجى ، التاريخ الأندلسى ، ص١٢٠ .

بذل نشاطا واسعا فى جنوبى فرنسا ، وأنفق جهوداً كبيرة فى غاله حتى طرسكونه وطلوشه عاصمة أقيطانية (Aquitania) وقامت ولاية إسلامية فى مقاطعة سبتمانيه (Septimania) جنوب شرق فرنسا (وهى تعنى المقاطعة ذات المدن السبع ومنها أربونه وقرقشونه) وقد إتخذ السمح من مدينة أربونة عاصمة لها وهو الأمر الذى يشير إلى أن المسلمين قد افتتحوا كل ما بين أربونه إلى الجنوب متصلاً بالبرتات والأندلس على طول الشاطئ الشرقى ، وغدت منطقة إسلامية وصارت عاصمتها أربونة قاعدة الإنطلاق والجهاد فيما وراء البرتات .

ولما ولى عنبسه بن سحيم الكلبى (١٠٣ ـ ١٠٧هـ/ ٧٢١ ـ ٧٢٥م) قام بنشاط كبير فيما وراء البرتات ، واستمر فى تقدمه نحو الشمال والشمال الشرقى فى فرنسا وكان أبعد ما وصل إليه عند مدينة سانس (Sens).

وفى ولاية الهيثم بن عبيد الكنانى (أو بن عدى الكلابى)١١١هـ/ ٧٢٩م فتحت منوسه فى قوله ، ومقوشة فى قول آخر، والراجّح أنه يقصد بها مدينة ماسون (Maçon) الفرنسية الواقعة شمال مدينة لوذون (ليون) على وادى رودنه (نهر الرون) .

أما أضخم حملة إسلامية فيما وراء البرتات خلال عصر الولاة الأندلسيين فقد كانت فى أيام الوالى المجاهد عبد الرحمن الغافقى (١١٢ـ ١١٤هـ/ ٧٣٠ ـ ٧٣٢م) وجرت أحداثها فى رمضان ١١٤هـ/ ٧٣٢م وإنتهت بانكسار الجيش الإسلامى وانسحابه من ميدانها ، واستشهاد الغافقى نفسه ، وتعرف هذه المعركة باسم « وقعة البلاط » أو «غزوة البلاط» ، كما عرف موضعها باسم «بلاط الشهداء» فى المصادر العربية ، أما فى المصادر الأوروبية فتعرف باسم بواتييه أو تور أو تور بواتييه ، وقد عثر فى السبعينات من القرن العشرين المنصرم على بعض السيوف الإسلامية فى إحدى القرى الواقعة بين مدينتى تورو بواتييه وهى قرية (Fossé - le - Roi) فلعل موضع هذه القرية يقع ضمن ميدان المعركة .

هذا وقد بقيت للمسلين مواقع فى جنوبى فرنسا ، كما أمكنهم العودة إلى عدد من هذه المناطق فى العام التالى أى ١١٥هـ/ ٧٣٣م ومنها منطقة البروفانس فاستعادوا مدينة آرل وأبنيون ، مما يعنى أن النشاط الجهادى لم يتوقف عقب معركة بلاط الشهداء.

ولما ولى عقبة بن الحجاج السلولى ١١٦هـ/ ٧٣٤م جدد نشاط الفتح والجهاد فجال فى مناطق متعددة ولا سيما المقاطعات الفرنسية فى الجنوب والشمال الشرقى وهى :

مقاطعة سبتمانيه وعاصمتها أربونه وقرقشونه واحدة مِن مدنها ، وتقع هذه المقاطعة جنوبى فرنسا وشرقيها على شاطئ البحر المتوسط بمصاقبة جبال البرتات ، ومقاطعة البروفانس شمال سبتمانية إلى الشرق وعاصمتها إبنيون على وادى رودنه (نهر الرون) ومقاطعة بُرغنديا شمال مقاطعة البروفانس ، ولم يلبث أن إستشهد عقبة فى معركة عند مدينة قرقشونه إحدى مدن مقاطعة سبتمانية فى صفر ١٢٣هـ/ ٧٤٠م .

وعلى ذلك يكون عقبة بن الحجاج هو خاتمة الولاة الأندلسيين الذين أخذوا على عاتقهم عبء الفتح والجهاد فيما وراء البرتات ، فإن الظروف الداخلية بالأندلس بعد ذلك ، والظروف الخارجية التى كانت تمر بها الخلافة الأموية فى الشرق كانت وراء توقف حركة الفتوح والجهاد فيما وراء البرتات(٢٩) .

القسم الثانى : فتوح الجناح الشرقى :

يشتمل الجناح الشرقى للدولة الإسلامية على البلاد التى دخلها الإسلام (وبقى فيها أو لم يبق) وينقسم هذا الجناح إلى الدول الأتية :

١ ـ ايران .
٢ ـ دول أسيا الوسطى .
٣ ـ دول أسيا الصغرى .
٤ ـ دول شبه القارة الهندية .

غير أن ما يعنينا من ذلك هى تلك الأقاليم والمناطق التى فتحت خلال العصر الأموى وهى بلاد ما وراء النهر وبلاد السند وهو ما سنبينه فيما يلى :

١ ـ فتوح بلاد ما وراء النهر فى أسيا الوسطى (٣٠):

قدر لايران بعد فتحها أن تكون الجسر الذى عبره العرب إلى بلاد ما وراء النهر والطريق الذى سلكه الإسلام فى سبيله إلى الإنتشار فى أسيا الوسطى .

---

(٢٩) الحجى ، التاريخ الأندلسى ، ص١٧٢ ـ ٢٠٦ ؛ المزروع ، جهاد المسلمين ، ص٤١ ـ ١٦٣ ؛ سالم ، تاريخ المسلمين ، ص١٣٤ ـ ١٥٢ ، فروخ ، العرب ، ص١١٠ ـ ١٣٧ .

(٣٠) عن خط هذه الفتوح ومراحلها وتفاصيل أحداثها انظر ، سالم ، التاريخ السياسى ، ص٣٦١ ـ ٣٦٦ ؛ فيصل ، حركة الفتح، ص٢٠٨ ـ ٢١٩؛ عبد اللطيف ، العالم الإسلامى فى العصر الأموى، ص٣٣٢ =

وقد بدأ الأحتكاك الأول بين المسلمين وبين الأتراك فى بلاد ما وراء النهر بعد أن فرغ العرب من فتح إيران ٣١هـ/ ٦٥١م ، ففى هذه السنة توطد النفوذ العربى فى خراسان وورثت الدولة الإسلامية الناشئة من دولة الأكاسرة الفرس هذا الخطر التركى ، حيث بدأ مع عبور النهر مرحلة جديدة من مراحل الفتح ؛ ومن هنا كان لا بد من المواجهة الحتمية والاحتكاك المباشر مع الترك حتى تحقق الفتح الإسلامى لبلاد ما وراء النهر .

ونستطيع أن نجمل أحداث هذا الفتح فى مرحلتين رئيسيتين :

المرحلة الأولى : مرحلة الغارات الثغرية .

المرحلة الثانية : مرحلة الفتح المنظم .

وفيما يلى نتناول كل مرحلة منهما على حدة :

المرحلة الأولى : مرحلة الغارات الثغرية : ٤٥ـ ٨٦هـ/ ٦٦٥ـ ٧٠٥م :

يمكن القول أن هذه المرحلة تسبق فى وجودها العصر الأموى الذى بدأ عام ٤١هـ/ ٦٦١م كما هو معروف ، ونستطيع أن نحدد بدايتها عام ٣١هـ/ ٦٥١م ـ إى فى خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه) ـ عندما فرغ العرب من فتح إيران وأصبحت خراسان ثغراً من ثغور المسلمين وقاعدة الإنطلاق إلى بلاد ما وراء النهر ، وبصفة خاصة خلال عهد والى البصرة ، عبد الله بن عامر بن كريز ، من قبل الخليفة عثمان بن عفان (رضى الله عنه) والذى دانت له جميع البلاد الواقعة على الضفة الجنوبية من نهر جيحون بل بدأ العرب فى عبور النهر نفسه كما صالحه دهاقين الأتراك الغربيين .

ولكن أمور خراسان إضطربت ، وكفت القاعدة عن الحركة أثناء فتنة الخليفة عثمان (رضى الله عنه) وخلافة على ولم تزل كذلك حتى مقتل الخليفة علي (رضى الله عنه) عام ٤٠هـ/ ٦٦٠م .

= ٣٥٦ ؛ محمود ، حسن أحمد، الإسلام والحضارة العربية فى أسيا الوسطى بين الفتحين العربى والتركى، القاهرة (١٩٦٨م)، ص١٠٨ ، ١١٥ ـ ١٢٧ ؛ محمد ، محمد أحمد ، بخارى فى صدر الإسلام ، القاهرة (١٩٩٢م) ، ص٣٤ ـ ٦٤ ؛ شاكر ، محمود ، تركستان الغربية ، بيروت ـ دمشق ، ط٢ (١٩٨٧م) ، ص١١ ـ ١٧ ؛ بارتولد ، فاسيلى ڤلاديمير وفتش ، تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولى ، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، الكويت (١٩٨١م)، ص٢٣٨ ـ ٣١٠ ؛ عماش ، صالح مهدى ، قتيبة بن مسلم الباهلى وحركات جيش المشرق الشمالى فيما وراء النهر ، بغداد (١٩٧٨م)؛ السلطانى ، غانم هاشم ، قتيبة بن مسلم الباهلى ، بغداد (١٩٩٠م) .

فلما آلت الخلافة إلى معاوية عام ٤١هـ/ ٦٦١م كان عليه أن يواجه أوضاع خراسان المضطربة وأن يعيد إلى القاعدة فعاليتها ؛ ومن هنا بدأ التنظيم الثغرى فى خراسان يلعب دوراً كبيراً فى التمهيد لمرحلة الفتح المنظم لبلاد ما وراء النهر .

وقد استغرقت هذه المرحلة التمهيدية خلال العصر الأموى الفترة ما بين ٤٥ ـ ٨٦هـ/ ٦٦٥ ـ ٧٠٥م حيث كانت تخرج من خراسان غزوات أو غارات خاطفة فى موسم معين هو موسم الصيف ، ثم تعود إليها إذا كان الشتاء ، وقد اقترنت هذه المرحلة بالأسماء التالية : زياد بن أبى سفيان ، وعبد الله بن زياد ، وسعيد بن عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن زياد ، وسلم بن زياد (وكان أول من قضى الشتاء عبر النهر) وعبد الله بن حازم والمهلب بن أبى صفره وابنه يزيد بن المهلب .

وعلى ذلك يمكن القول بأن هذه المرحلة الثغرية ، رغم أنها لم تضف مساحات جديدة للدولة الإسلامية ، إلا أنها قد مهدت الطريق لنجاح الفتوح الإسلامية فى بلاد ما وراء النهر باشاعة الفرقة بين الإمارات التركية ، وضربها بعضها ببعض ، وإبقاء الجبهة التركية منقسمة مفترقة الكلمة من جهة كما أتاحت للمسلمين الفاتحين أن يكونوا لأنفسهم استراتيجية معينة للقتال من جهة ثانية حيث قد تمرنوا على الطبيعة الجبلية وألفوا القتال فى الجو القارص البرودة .

المرحلة الثانية : مرحلة الفتح المنظم : ٨٦ ـ ٩٦هـ/ ٧٠٥ ـ ٧١٥م :

كان عام ٨٦هـ/ ٧٠٥م نقطة تحول فى فتوح بلاد ما وراء النهر ؛ إذ بدأ الفتح الحقيقى لهذه البلاد ، وبدأ الاقتحام الفعلى لقلب المقاومة التركية . وقد إقترنت هذه المرحلة باسم القائد المجاهد الأمير قتيبة بن مسلم الباهلى الذى آلت إليه ولاية خراسان عام ٨٥هـ/ ٧٠٤م من قبل الحجاج بن يوسف الثقفى بعد عزل المفضل بن المهلب بن أبى صفرة .

وقد إستغرقت فتوح قتيبة لبلاد ما وراء النهر نحواً من عشر سنوات ، ونستطيع أن نجمل أحداث تلك الفتوح فى أربعة مراحل وذلك على النحو التالى :

ـ المرحلة الأولى : ٨٦ ـ ٨٧هـ/ ٧٠٥م :

وهى المرحلة التى أخضع فيها إقليم طخارستان ذلك الإقليم الكبير الذى يقع على ضفتى نهر جيحون ؛ لأن فتح بلاد ما وراء النهر لم يكن ممكنا بدون بسط سيطرة

المسلمين على طخارستان .

المرحلة الثانية : ٨٧ـ ٩٠هـ / ٧٠٦ـ ٧٠٩م :

وفيها فتح قتيبة إقليم بخارى كله .

المرحلة الثالثة : ٩١ـ ٩٣هـ/ ٧١٠ـ ٧١٣م :

وفيها فرض قتيبة السيادة الإسلامية على حوض جيحون وبلاد الصفد ، وتوجت هذه المرحلة بفتح سمرقند أعظم المدائن فى بلاد الصفد ، كما فتح قتيبة خوارزم صلحا .

المرحلة الرابعة ٩٤ ـ ٩٦هـ/ ٧١٣ ـ ٧١٥م :

وفيها تم فتح أقاليم الشاش وفرغانه وأشروسنه ، بل أوغل قتيبة حتى كاشغر على الحدود الصينية .

وهكذا فتحت بلاد ما وراء النهر وإمتدت دولة الإسلام واتسعت رقعتها ، وقد تمكن الأمويون بعد ذلك وإلى أن سقطت دولتهم عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م من تثبيت هذا الفتح والمحافظة عليه ، فضلا عن جهودهم فى نشر الإسلام ، وتوطين القبائل العربية فى المدن الكبرى كبخارى وسمرقند وغير ذلك .

٢ـ فتوح السند [٣١] :

يقع إقليم السند فى شمال غرب شبه القارة الهندية وشرق بلاد فارس الجنوبية مكونا دلتا نهر السند ، وكانت هذه المنطقة تشمل زمن الفتوحات الإسلامية الأولى ثلاث مقاطعات هى : السند والبنجاب (أراضى الأنهار الخمسة) والحدود الشمالية

---

(٣١) عن خط سير هذه الفتوح ومراحلها وتفاصيل أحداثها انظر ، محمود ، الإسلام ، ص١٧٧ ـ ١٨٨ ؛ عبد اللطيف ، العالم الإسلامى ، ص٣٥٧ ـ ٣٦٧ ، فيصل ، حركة الفتح ، ص٢١٩ ـ ٢٢٠ ؛ الغامدي، سعد حذيفة ، الفتوحات الإسلامية لبلاد الهند والسند ، الرياض ، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) ، ص٤٩ ـ ١٠٧ ؛ الساداتى ، أحمد محمود ، تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ، الجزء الأول ، القاهرة (١٩٥٧م)، ص٥١ ـ ٦١ .

الغربية فى باكستان حاليا ، وهناك من يجعل مدينة الملتان ، وهى فى الأراضى الوسطى للسند داخل الإطار العام لوادى السند[٣٢] .

ونستطيع أن نجمل أحداث هذا الفتح فى مرحلتين رئيسيتين :

المرحلة الأولى : مرحلة الغارات الثغرية .

المرحلة الثانية : مرحلة الفتح المنظم .

وفيما يلى نتناول كل مرحلة منهما على حدة .

المرحلة الأولى : مرحلة الغارات الثغرية :

يمكن القول أن هذه المرحلة تسبق فى وجودها العصر الأموى الذى بدأ عام ٤١هـ/ ٦٦١م كما سبق القول ، ونستطيع أن نحدد بدايتها فى عام ١٥هـ/ ٦٣٧م - أى فى خلافة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) - ثم توالت فى عهد كل من الخليفتين عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب (رضى الله عنهما) .

واستمرت هذه الغارات الثغرية تتلاحق خلال العصر الأموى حتى أواخر عهد عبد الملك بن مروان ٨٦هـ/ ٧٠٥م .

وكانت هذه الغارات تخرج من جنوب إيران ومن شمالها فى سجستان ، وقد اقترنت بعدد من القادة : ومنهم عبد الله بن سوار وسنان بن سلمة والمنذر بن الجارود والحكم بن المنذر وعبيد بن زياد الباهلى وسعيد بن أسلم بن زرعة ومجاعة بن سعر التميمى وغيرهم .

وعلى ذلك يمكن القول بأن هذه المرحلة الثغرية رغم أنها لم تضف مساحات جديدة للدولة الإسلامية ، إلا أنها قد مهدت الطريق لنجاح الفتوح الإسلامية فى إقليم السند ، فقد تعرف المسلمون خلال هذه المرحلة على طبيعة البلاد وسكانها وظروف حياتهم وما هم عليه ومدى استعدادهم لتقبل الإسلام . وبالتالى زادتهم هذه المرحلة خبرة ومعرفة ودراية بأحوال السند ، وفى هذه الفترة ، وبخاصة خلال عهد عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ/

---

(٣٢) الغامدى ، الفتوحات ، ص٣٢ .

٦٨٤ ـ ٧٠٥م) ، تعرف العرب على قطاعات من الرأى العام سيكون لها أثرها فى مرحلة الفتح المنظم فقد وضحت جذور التحالف بين العرب وبين الهنود المعروفين بالجات (الزط) والذين اشتركوا فى الفتح فى فرق المرتزقة .

٢ ـ مرحلة الفتح المنظم ٨٩ ـ ٩٦هـ/ ٧٠٨ ـ ٧١٥م :

إقترنت هذه المرحلة باسم القائد المجاهد محمد بن القاسم الثقفى الذى لم يكن قد تجاوز العشرين عاما ؛ إلا أنه أظهر من الشجاعة والبطولة والعبقرية ما يضعه فى مصاف كبار الفاتحين والقادة العسكريين .

هذا وقد زود الحجاج بن يوسف الثقفى جيش الفتح بكل ما يحتاجه من مؤن وذخائر وعدة وعتاد ، وقد سارت الحملة من شيراز إلى اقليم فارس إلى إقليم كرمان ومنها إلى ثغر مكران الذى كان قاعدة الإنطلاقة الكبرى لفتح إقليم السند ، وعلى ذلك تكون هذه القوات البرية قد سارت محازية لمياه البحر العربى ، حتى لا تكون بعيدة عن السفن الإسلامية التى سلكت هى الأخرى البحر (بقيادة محمد بن هارون) بالقرب من اليابسة على مرأى من القوات البرية .

ثم وصل الجيش إلى مدينة الديبل (أو دبل) وتم فتحها بعد حصارها براً وبحراً لمدة ثلاثة أسابيع ، ثم سار باتجاه الشمال الشرقى إلى مدينة نيرون ، ومنها اتجه إلى الشمال الغربى نحو سهوان (سيوستان) التى تبعد عن نيرون بحوالى ١٣٠كم إلى الشمال منها وقد أعلنت إستسلامها ، وكانت بمثابة مفتاح لبقية مدن وادى السند السفلى التى إستسلمت هى الأخرى ؛ وبالتالى لم يقف دون خضوع ما تبقى من المدن سوى وجود داهر متحصنا فى قلعة برهمان آباد وتقع إلى الشرق من نهر السند ، وعلى ذلك كان على محمد بن القاسم بعد أن تقدم شمالاً أن يرجع إلى الجنوب ـ بناءً على أوامر الحجاج بن يوسف الثقفى ـ ليقابل داهر ملك السند وهنا حدثت المعركة الحاسمة والفاصلة فى فتوح السند وهى المعركة المعروفة بمعركة الراور (Rawor) فى رمضان ٩٣هـ/ ٧١٢م وتم النصر للمسلمين وقتل داهر ، وتم بعد ذلك فتح كافة أراضى السند السفلى وعلى رأسها العاصمة برهمان آباد ، وبعد ذلك كان لا بد من السير شمالاً لفتح عاصمة الهندوس الكبرى فى وسط أراضى السند وهى الور (Alor) وقد استسلمت المدينة

للفاتحين ، ودخل المسلمون عاصمة مملكة السند . ولم يبق بعد ذلك سوى فتح أعالى وادى السند وعاصمته الملتان وهى المنطقة المتأخمة لمنطقة ولاية كشمير وهى ولاية إقليم البنجاب فى باكستان الحالية ، وتم دخول المدينة وفتحها بعد حصارها مدة ، وهروب حاكمها إلى ملك كشمير دون علم المحاصرين له . وهكذا فإنه فى أواخر النصف الأول من عام ٩٦هـ/ أوائل عام ٧١٥م تم فتح إقليم السند ، وأضحى محمد بن القاسم على مشارف حدود مملكة كشمير ويطل على حدود راجيبوثان من ناحيته الغربية ومن هناك أخذ يخطط على ما يبدو لحملة يقوم بها ضد أحد الأقليمين ولعل الأخير كان هدفه .

وبينما هو كذلك توفى الخليفة الوليد بن عبد الملك ٩٦/ ٧١٥م وتولى أخوه سليمان الذى بدأ يغير ولاة الحجاج فعين على العراق صالح بن عبد الرحمن الذى قرر عزل محمد بن القاسم عن ولاية السند ، وأمر بالقبض عليه وحبسه فى واسط وأخذ يعذبه حتى مات ، وهكذا انتهت حياة بطل مجاهد وفاتح كبير هذه النهاية الأليمة . ورغم توقف الفتوحات عند الحدود التى وصل إليها محمد بن القاسم ؛ إلا أن الولاة الأمويين قد تمكنوا من تثبيت هذا الفتح والمحافظة عليه ، فضلا عن جهودهم فى نشر الإسلام وتأسيس المدن ومنها المحفوظة (وتقع إلى الشمال الشرقى من مدينة حيدر آباد الحالية وعلى بعد ٦٤كم منها) التى أنشأها الحكم الكلبى ، والمنصورة (وتقع على بعد ١٣كم من مدينة برهمان آباد) التى بناها عمرو بن محمد بن القاسم الثقفى .

مما تقدم يمكن القول أن الفتوحات خلال العصر الأموى ؛ وبخاصة فى عهد الوليد بن عبد الملك (ت٩٦هـ/ ٧١٥م) قد أضافت إلى رقعة الدولة الإسلامية مساحات شاسعة تمتد من كاشغر على حدود الصين فى الشرق الى الأندلس وجنوب فرنسا فى الغرب ، ومن بحر قزوين فى الشمال إلى المحيط الهندى فى الجنوب .

وتضم هذه الأقاليم شعوبا وأجناسا كثيرة ، وفيها العديد من الديانات والمذاهب واللغات والثقافات والعادات والتقاليد والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية المختلفة ويشهد الواقع التاريخى على أن الفتح الإسلامى لهذه الأقاليم ، لم يكن عسكريا وسياسيا فحسب ؛ بل كان فتحا دينيا ولغويا وثقافيا ، أو فلنقل كان بداية لحدث حضارى فريد ليس فقط بالنسبة لهذه الأقاليم بل للعالم أجمع كما سنرى .

٣ ـ المرحلة الثالثة : الفتوحات خلال العصر العباسى ١٣٢ ـ ٦٥٦هـ/ ٧٥٠ ـ ١٢٥٨م

ورث العباسيون عن الأمويين دولة إسلامية واسعة الأرجاء ، ومن ثم فقد بذلوا جهوداً جبارة من أجل تثبيت أركان هذه الدولة والمحافظة عليها .

غير أن ما يعنينا فى هذا المقام هو أن نتناول موضوع إمتداد دولة الإسلام واتساع رقعتها خلال هذا العصر ، سواء من قبل الخلفاء العظام أنفسهم ، أو من قبل أمراء وسلاطين الدول المستقلة فى المشرق والمغرب على السواء .

١ ـ الفتوحات فى عهد الخلفاء العظام (العصر العباسى الأول) ١٣٢ ـ ٢٣٢هـ/ ٧٥٠ ـ ٨٤٧م :

أ ـ تم فى عهد الخليفة أبى جعفر ثانى الخلفاء العباسيين فتح الأجزاء السهلية من بلاد طبرستان (مازندران) وذلك عام ١٤٣هـ/ ٧٦٠م ، أما المنطقة الجبلية وبخاصة جبال شروين الواقعة فى أطراف طبرستان فقد فتحت فى خلافة عبد الله المأمون (١٩٨ ـ ٢١٨هـ/ ٨١٣ ـ ٨٣٣م) وذلك عام ٢١٠هـ/ ٨٢٥م[٣٣].

ب ـ تم فى عهد الخليفة العباسى أبى جعفر أيضًا فتح كشمير[٣٤] .

جـ ـ تم فى عهد الخليفة العباسى المعتصم (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ/ ٨٣٣ ـ ٨٤١م) فتح عمورية ٢٢٣هـ/ ٨٣٨م وكانت تعتبر من أحصن مدن أسيا الصغرى البيزنطية ، فضلا عن أهميتها الدينية حتى إعتبرت عين النصرانية وأشرف من القسطنطينية[٣٥] .

٢ ـ الفتوح فى عهد الدول المستقلة :

أ ـ دولة الأغالبة فى المغرب الأدنى ١٨٤ ـ ٢٩٧هـ/ ٨٠٠ ـ ٩٠٩م .

ـ تم فى عهد هذه الدولة فتح صقلية وجنوب إيطاليا ، وكانت البداية فى عهد زيادة الله الأول بن إبراهيم (٢٠١ ـ ٢٢٣هـ/ ٨١٦ ـ ٨٣٧م) وتحت قيادة أسد بن الفرات عام

---

(٣٣) ماجد ، عبد المنعم ، العصر العباسى الأول أو القرن الذهبى فى تاريخ الخلفاء العباسيين ، الجزء الأول ، القاهرة ، ط٣ ، (١٩٨٤م)، ص١٣٧ ـ ١٤٠ ، ٤٠٧ ـ ٤٠٨ .

(٣٤) ماجد ، العصر العباسى ، ص١٤١ ـ ١٤٢ .

(٣٥) ماجد ، العصر ، ص٤٢٠ ـ ٤٢٤ .

٢١٢هـ/ ٨٢٧م (أى فى خلافة المأمون العباسي) وتم فتح الجزيرة عام ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م (أى فى عهد إبراهيم بن أحمد ٢٦١ ـ ٢٨٩هـ/ ٨٧٤ ـ ٩٠١م) ، عقب سقوط مدينة طبرمين بعد حصار طويل ومن ثم ضمت الجزيرة إلى رقعة الدولة الإسلامية(٣٦) .

ـ تم فى عهد الأمير محمد بن الأغلب الملقب بأبى الغرانيق (٢٥٠ ـ ٢٦١هـ/ ٨٦٤ ـ ٨٧٤م) فتح جزيرة مالطة عام ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م(٣٧) .

ب ـ الدول الإسلامية فى المشرق :

١ ـ استكمال الفتوحات الإسلامية لبلاد السند والهند :

منذ القرن ٤هـ/ ١٠م أصبحت غزنه قاعدة انطلاقة الفتح الإسلامى لبلاد السند والهند بدءاً بالبتكين التركى (ت٣٥٢هـ/ ٩٦٣م) ومروراً بسبكتكين (٣٦٦ ـ ٣٨٧هـ/ ٩٧٧ ـ ٩٩٧م) ومحمود الغزنوى ٣٨٨ ـ ٤٢١هـ/ ٩٩٨ ـ ١٠٣٠م ، وقد قاد هذا الأخير سبعة عشر غزوة فيما بين ٣٩١ ـ ٤١٨هـ/ ١٠٠٠ ـ ١٠٢٧م ورغم ذلك فقد عادت هذه البلاد إلى ما كانت عليه قبل الغزنويين . ولذلك كانت فتوحات الغوريين منذ أواخر القرن ٦هـ/ ١٢م (تحت قيادة شهاب الدين الغورى وقطب الدين أيبك ومحمد بن بختيار الخلجي) هى بداية الفتح الحقيقى والمنظم لهذه البلاد وما ترتب عليه من إستقرار وإدارة ونشر للإسلام ، وقد تم خلال هذه الفترة فتح جميع أراضى إمارة كنوج وبنارس وفتح أجمير ومملكتى بيانا وكواليور وإقليم الكجرات وإقليم بيهار والبنغال(٣٨) .

ويبدأ بعد ذلك عصر الدول الإسلامية المستقلة بالهند بدولة سلاطين المماليك ، ثم الدولة الخلجية فدولة بنى تغلق ثم الغزو التيمورى وما أعقبه من عهد ملوك الطوائف بالهند ، وأخيراً عصر الدولة المغولية الهندية التى سطرت فى شبه القارة الهندية حضارة

---

(٣٦) سالم ، تاريخ المغرب ، ص٢٩٩ ـ ٣٠٦ ؛ ماجد ، العصر العباسى ، ص٤٢٥ ؛ غانم ، حامد زيان ، تاريخ الحضارة الإسلامية فى صقلية وأثرها على أوروبا ، القاهرة (١٩٧٧م)، ص١٨ ـ ٢٧ ؛ رسلان، عبد المنعم ، الحضارة الإسلامية فى صقلية وجنوب إيطاليا ، جدة (١٩٨٠م)، ص١٨ ـ ١٩ .

(٣٧) مؤنس ، معالم ، ص١٠٥ ، ماجد ، العصر ، ص٤٢٥ ـ ٤٢٦ .

(٣٨) عن مراحل هذه الفتوح وتفاصيل أحداثها انظر ، الغامدى ، الفتوحات الإسلامية لبلاد الهند والسند ، ص١٢٥ ـ ١٤٥ ، ١٥٣ ـ ١٦٤ ، ١٨٣ ـ ٢٦٦ ، ٣٩٦ ـ ٤٤٢ ؛ الفقى ، عصام عبد الرؤوف ، الدول الإسلامية المستقلة فى الشرق ، القاهرة (١٩٨٧م)، ص١١٧ ـ ١٣١ ، ٣٤١ ـ ٣٤٨ ، ٣٦١ ـ ٣٦٢ ؛ وانظر أيضًا لنفس المؤلف كتابه الموسوم بـ « بلاد الهند فى العصر الإسلامى »، القاهرة (١٩٨٠م)، (البابان الأول والثانى) ؛ الساداتى ، تاريخ المسلمين ، جـ١ ، ص٧٥ ـ ٨٩ ، ١٠٠ ـ ١٠٨ .

رائعة قوية ومدنية مزدهرة بزت باجماع الثقات من المؤرخين نظائرها عند أرقى الدول لذياك الوقت .

٢ـ دولة سلاجقة الروم :

كان قيام الدولة السلجوقية فى المشرق عام ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م حدثا جديداً فى التاريخ الإسلامى بعامة وفى المشرق بخاصة ؛ إذ سرعان ما لعبت هذه الدولة الفتية دوراً رئيسيا فى توجيه سير الأحداث فى العالم الإسلامى وفى بلاد جيرانها من غير المسلمين ، ولا سيما الدولة البيزنطية ، ولم تلبث أن سيطرت على جانب كبير من العالم الإسلامى فى عصرها ومن ذلك أسيا الوسطى وإيران والعراق والشام ، وإذا كانت هذه الأقاليم قد خضعت لسلطان السلاجقة فإنها أقاليم إسلامية أى أنها لا تمثل امتداداً لدولة الإسلام وإتساع رقعتها ، ورغم ذلك فإنه يحسب للسلاجقة أنهم نجحوا أيما نجاح فى تحقيق الوحدة الإسلامية لهذه الأقاليم(٣٩) .

وهنا يثور سؤال مهم وهو هل نجح السلاجقة (إلى جانب ذلك) فى إضافة رقعة جديدة إلى الدولة الإسلامية أم لا ؟

وللإجابة على ذلك السؤال يكفى القول بأنهم قد نجحوا فى دق أول مسمار فى نعش الدولة البيزنطية ، وذلك بتحقيق الانتصار العظيم فى معركة ملاذكرد (الرهوه)

---

(٣٩) عن تاريخ السلاجقة انظر المصادر التالية : تاريخ دولة آل سلجوق للعماد الأصفهانى (وقد اختصره الفتح بن على البندارى) وراحة الصدور وآية السرور للراوندى ، وتاريخ سلاجقة كرمان لمحمد بن إبراهيم وتاريخ سلاجقة الروم لابن البيبى (ترجمة محمد السعيد جمال الدين ـ الدوحة ١٩٩٤م ، وترجمة محمد علاء الدين منصور ـ القاهرة (١٩٩٤م) وحسبنا أن نشير كذلك إلى بعض المراجع العربية ومنها : الفقى ، الدول الإسلامية ، ص١٥٢ ـ ١٧٦ ؛ محمود ، حسن ، الشريف ، أحمد إبراهيم ، العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، القاهرة (١٩٨٠م) ، ص٥٤٢ ـ ٦١٧ ؛ حمدى ، حافظ أحمد ، الشرق الإسلامى قبيل الغزو المغولى ، القاهرة (٢٠٠٠م) ، ص٢٩ ـ ٦٠ ؛ عبد الهادى ، محمد عبدالباسط ، الشرق الإسلامى من ظهور السلاجقة حتى زوال الخلافة العباسية ببغداد ، مكة المكرمة (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م) ، ص٧ ـ ٨٩ ؛ الغامدى ، الفتوحات الإسلامية ، ص٣٢٩ ـ ٣٨٦ . حسنين ، عبد النعيم ، سلاجقة إيران والعراق ، القاهرة ١٩٥٩م ، السلاجقة ، القاهرة ، ط٢ ، د ت ؛ إدريس ، محمد محمود ، رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية ، القاهرة ١٩٨٣م ؛ تاريخ العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول ، القاهرة ١٩٨٥م .

عـام ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م على الامبـراطور البيـزنطى رومـانوس ديو جـينوس الذى أسـر وافتـدى نفسـه ، وأطلق سراحـه ، وما ترتب عـلى ذلك من تأسيس دولة سلاجقـة الروم باسيا الصـغرى (الأناضـول) فيـما بين عـامى (٤٧٠ ـ ٧٠٧هـ/ ١٠٧٧ ـ ١٣٠٧م) مما يعنى أن الأناضول قد أصبحت داخل نطاق الدولة الإسلاميـة(٤٠) ، وقد ورث السلاجقة فى حكم الأناضـول ملوك الطوائف أو البكوات ومنهم الدولة العثمانيـة التى إستطاعت بعد ذلك توحيد الأناضـول ، مثلما كان عليـه الحال أيام السلاجقة ، ثم القـضاء على الدولة البيزنطية نهائيا وفتح القسطنطينية عام ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م ولم يقف العثمانيون عند ذلك الحد ؛ بل كان لهم دوراً بارزاً فى حركة الجهاد والفتوحات الإسلامية فى أوروبا (البلقـان) وهـو ما سنشير إليه فـى المرحلة التالية .

٤ـ المرحلة الرابعة : الفتوحات الإسلامية خلال العصر العثمانى ٦٩٩ـ ١٣٤١هـ/ ١٢٩٩ـ ١٩٢٢م :

من المعروف أن الدولة العـثمانيـة قد نشأت مجرد إمارة حدودية صغيرة فى غرب الأناضول (أسيـا الصغرى) فى عـام ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م ، ولـم تلبث هذه الإمـارة أن نمت واتسعت بدرجة كبيرة وأصبحت دولة إسلامية عظمى ، استحقت لقب الإمبراطورية(٤١)؛ إذ خضعت لهـا ووقعت تحت هيمنتـها ولايات عـديدة فى قـارات ثلاث هى : آسيـا ، وأوروبا ، وأفريقـيا ، وهكذا قدر لهذه الدولة أو تلك الإمبراطورية المتراميـة الأطراف أن توجه وجهـة التـاريخ العـالمى لمدة تربو على خمسـة قرون . غيـر أن ما يعنينا ، فى هذا المقام ، هو ما يتعلق بدور هذه الدولة فى حركة الجهاد والفتح الإسلامى فى جنوب أوروبا والنجاح الكبير الذى حققته فى نشر الإسلام وانتشار الحضارة الإسلامية فوق الكثير من

---

(٤٠) الغامدى ، الفتوحات ، ص٣٤٦ ـ ٣٥٦ ؛ الفقى ، الدول الإسلامية ، ص١٦٤ ـ ١٦٥ .

(٤١) مما له دلالته فى هذا الصدد أن إطلاق مصطلح الإمبراطورية على الدولة العثمانية له معنى يخالف لدى العثمانيين التعبير الأوروبى المتأخر ، فلا تعنى الإمبراطورية معنى الامبريالية أو الاستعمار ، ولكنه يشير فقط إلى أن الدولة العثمانية كانت دولة مترامية الأطراف فوق قارات ثلاث ، وقد أطلق المؤرخون العثمانيون على دولتهم اسم « الدولة العلية العثمانية ».
أوغلى ، أكمل الدين (إشراف وتقديم) ، الدولة العـثمانية ، تاريخ وحضارة ، المجلد الأول ، ترجمة صالح سعداوى ، استانبول ، (١٩٩٩م)، مج١ ، ص٢٣ ، مج٢ ، صXXXI .

أراضى هذا الإقليم ، بل والأرضى المتأخمة له ، وهو ما يحسب للعثمانيين(٤٢) .

هذا ويمكن أن نقسم تاريخ الفتوحات العثمانية فى أوروبا إلى مرحلتين رئيسيتين تشتمل كل مرحلة منهما على مراحل فرعية بحسب قوة الدولة وضعفها من جهة وظروف وأوضاع الدول الأوروبية نفسها من جهة ثانية .

وهاتان المرحلتان هما :

المرحلة الأولى : مرحلة التوسع والانتشار .

المرحلة الثانية : مرحلة التقلص والانحسار .

وفيما يلى نتناول كل مرحلة منهما على حدة :

---

(٤٢) مما له دلالته فى هذا الصدد أنه ثبت أن الإسلام قد وصل إلى البلقان قبل الفتوحات العثمانية بوقت طويل ، حيث انتقل الإسلام مع قبائل البلغار إلى بلغاريا ومع قبائل البوشناق إلى البوسنة ، ودليل ذلك ورد ذكره فى المصادر التاريخية ، وبخاصة كتب الجغرافيا والرحلات ، ومنها رحلة ابن فضلان زمن الخليفة المقتدر بالله العباسى (٢٩٥ ـ ٣٢٠هـ) الموسومة بـ « رسالة ابن فضلان فى وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة ، وقد حققها سامى الدهان ، بيروت ، ط٢ ، (١٩٨٧م)؛ ومنها معجم البلدان لياقوت الحموى (ت٦٢٦هـ) مادة باشغرد ، كذلك وصل إلى هذه المنطقة مسلمون من الغرب والأندلس عملوا على نشر الإسلام كما ذكر أبو حامد الغرناطى (ت٥٦٥هـ/ ١١٦٩م) فى كتابه (تحفة الألباب ونخبة الآداب) عند زيارته لبشغرديا عام ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م. شاكر ، كوسوفو ، ص ص ٢٨ ـ ٣٦ ، ٥٨ ـ ٥٩ ، الصقار ، سامى ، المسلمون فى يوغسلافيا ، الرياض ، دار الشواف (١٩٩٢م)، ص ص ١٥ ـ ١٨ ؛ قاروط ، المسلمون فى يوغسلافيا ، ص ص٤٩ ـ ٥١ ؛ الدغيم ، البوسنة ، ص ص ٢٥٦ ، ٢٥٩ ـ ٢٧٢ . ويرى آخرون أن الإسلام قد وصل إلى هذه المناطق عن طريق التجارة تارة ، وعن طريق الدعاة المسلمين تارة أخرى ، أو على أيدى مغول القبيلة الذهبية أو خلال عهدهم ولا سيما فى منطقة دو بريجة بين البحر الأسود ونهر الدانوب (وهى تقع فى رومانيا حاليًا)، وممن حل بهذه المنطقة أيضًا الشيخ صارى سلتق دده فى عام ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م أو عام ٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م ، ولهذا الشيخ تكايا تنسب إليه فى البلقان ، قاروط ، المسلمون ، ص ص ٤٨ ، ٥٣ ؛ الصقار ، المسلمون ، ص ص ١٧ ـ ١٨ ؛ يونس ، السيد محمد ، الإسلام والمسلمون فى ألبانيا ، سلسلة دعوة الحق ، مكة المكرمة ، رابطة العالم الإسلامى ، السنة ١٢، العدد ١٤٣ ، (ذو القعدة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م)، ص ص ٢٦ ـ ٢٧ ؛ حسون ، على ، محنة المسلمين فى البلقان ، بيروت ، دمشق ، عَمّان ، المكتب الإسلامى (١٩٩٧م) ، ص٢٩ .

ومهما يكن من أمر فإن تأثير هذه المرحلة لم يكن بالدرجة الكبيرة التى وصل إليها الإسلام والثقافة الإسلامية عقب الفتوحات العثمانية فى البلقان والأراضى المتاخمة لها .

المرحلة الأولى : مرحلة التوسع والانتشار :

تشمل هذه المرحلة الفترة الممتدة من منتصف القرن ٨هـ/ ١٤م إلى أواخر الربع الثالث من القرن ١٠هـ/ ١٦م ، وعلى ذلك فإن هذه المرحلة تشمل عهود كل من أورخان غازى ٧٢٥ ـ ٧٦٤هـ/ ١٣٢٤ ـ ١٣٦٢م ، ومراد الأول ٧٦٤ ـ ٧٩٢هـ/ ١٣٦٢ ـ ١٣٨٩م ، وبايزيد الأول الملقب بالصاعقة (يلد ريم) ٧٩٢ ـ ٨٠٥هـ/ ١٣٨٩ ـ ١٤٠٢م، ومحمد الأول ٨١٦ ـ ٨٢٤هـ/ ١٤١٣ ـ ١٤٢١م ، ومراد الثانى ٨٢٤ ـ ٨٤٨/١٤٢١ ـ ١٤٤٤م ، ٨٥٠ ـ ٨٥٥هـ/ ١٤٤٦ ـ ١٤٥١م، ومحمد الثانى الملقب بالفاتح ٨٤٨ ـ ٨٥٠هـ/ ١٤٤٤ ـ ١٤٤٦م ، ٨٥٥ ـ ٨٨٦هـ/ ١٤٥١ ـ ١٤٨١م ، وبايزيد الثانى ٨٨٦ ـ ٩١٨هـ / ١٤٨١ ـ ١٥١٢م ، وسليم الأول الملقب بـ ياووز ٩١٨ ـ ٩٢٦هـ/ ١٥١٢ ـ ١٥٢٠م، وسليمان الأول الملقب بالقانونى (لدى الأتراك)، والمعظم (لدى الأوروبيين) ٩٢٦ ـ ٩٧٤هـ/ ١٥٢٠ ـ ١٥٦٦م .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه المرحلة التى استغرقت ما يقرب من قرنين ونصف هى نفسها مرحلة القوة والازدهار للدولة العثمانية بصفة عامة التى نمت وتوسعت ، وانتشرت فتوحاتها فى آسيا وأوروبا وأفريقيا كما سبق القول .

على أننا يجب أن نأخذ فى الاعتبار ونحن نتناول حركة الجهاد والفتوحات العثمانية فى أوروبا أنه يصعب فى كثير من الأحيان أن نفصل بين جنوب أوروبا وبين الأراضى المتأخمة لها فى شرق أوروبا ، أو أوروبا الوسطى الشرقية والغربية وبصفة خاصة دول الدانوب[٤٣] ، (الأفلاق والبغدان (رومانيا) وهنغاريا (المجر) والنمسا) ، ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى أن بعض دول جنوب أوروبا فى شبه جزيرة البلقان ، وبصفة خاصة البرتغال ويوغوسلافيا السابقة ، كانت بمثابة قاعدة الإنطلاق ، أو نقطة الارتكاز، ومفتاح الدخول إلى تلك الأراضى المتأخمة لها ، كما سنشير فيما بعد ، وينطبق نفس الكلام مع الجمهوريات الإيطالية وبصفة خاصة البندقية ذات المصالح التجارية فى حوض البحر المتوسط .

---

(٤٣) عرفت بذلك لأنها تقع ضمن نطاق حوض نهر الدانوب الذى يعتبر الحد الشمالى لشبه جزيرة البلقان . وعن جغرافية هذه الدول بالتفصيل انظر : الجمل ، أوروبا فى مجرى التاريخ ، ص ص ٣٥٩ ـ ٣٩٥ .

ويمكن أن نقسم هذه المرحلة إلى مرحلتين فرعيتين : الأولى نطلق عليها مرحلة ما قبل فتح القسطنطينية ، والثانية مرحلة ما بعد فتح القسطنطينية .

وفيما يلى نتناول حركة الجهاد والفتوحات العثمانية فى كل من هاتين المرحلتين .

ـ مرحلة ما قبل فتح القسطنطينية ٧٥٣ ـ ٨٥٧هـ/ ١٣٥٢ ـ ١٤٥٣م :

كانت نقطة البداية والإنطلاق لهذه المرحلة فى عهد أورخان غازى وبالتحديد فى عام ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م حين منح الإمبراطور البيزنطى كنتا كوزينوس سليمان باشا ابن أورخان قلعة چيمپى Çimpi بالقرب من بولاير Bolayir ، ليستخدمها قاعدة له ضد صهره حنا باليولوجس ، ولم تلبث هذه القاعدة أن صارت نقطة ارتكاز مهمة فتحت الطريق أمام العثمانيين للسيطرة على غاليبولى عقب حدوث زلزال دهمها عام ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م(٤٤) ، وتم بعد ذلك فتح بعض مدن تراقيا فى الشمال حتى لولى بورغاز وفى الغرب حتى حدود نهر مريج (الماريتزا)، وذلك عام ٧٥٨هـ/ ١٣٥٧م(٤٥) .

وأعقب ذلك عملية هجرة واستيطان لأتراك الأناضول إلى تلك المدن الجديدة بغية أسلمتها وتتريكها ، والحيلولة دون تمكن البيزنطيين من طرد العثمانيين ، وهى العملية التى تكررت كثيراً عقب فتوحات البلقان كما سنشير فيما بعد .

وعندما تولى مراد الأول الحكم واصل سياسة أبيه فى الجهاد والفتوحات ، وتم خلال عهده ٧٦٤ ـ ٧٩٢هـ / ١٣٦٢ ـ ١٣٨٩م فتح الكثير من المدن والقلاع والمراكز العمرانية المهمة ، ومن أهمها مدينة ادرنه (Adrianople) التى نجح فى فتحها عقب جلوسه على العرش عام ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م، ولم يقف الأمر عند ذلك ، بل نقل العاصمة إليها من بروصة (أو بورصة) العاصمة العثمانية الأولى التى فتحها والده أورخان غازى عام ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م ، وأصبحت تلك العاصمة الجديدة قاعدة الإنطلاق والفتوحات حتى صارت تعرف باسم مدينة الغزاة ، وعلى ذلك يمكن القول بأن فتح هذه المدينة المهمة

---

(٤٤) أوغلى ، الدولة العثمانية ، المجلد الأول ، ص١٣ .

(٤٥) أوزتونا ، يلماز ، تاريخ الدولة العثمانية ، المجلد الأول ، ترجمة عدنان محمود سلمان ، مراجعة وتنقيح محمود الأنصارى ، إستانبول ، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل (١٩٨٨م)، ص ٩٦ ؛
Yügel, Y, Sevim, A, Türkiye Tarihi, II, Osmanli Dönemi (1300 - 156b), Ankara (1990), S. 22 - 23 .

قد ضاعف من قوة العثمانيين ، وبدأت بذلك مرحلة جديدة فى تاريخ البلقان ، وبالتالى فى تاريخ أوروبا[٤٦] ، وتوالت بعد ذلك الفتوحات فى العديد من المدن البلقانية فى بلغاريا واليونان وألبانيا ، ومنها كده ده آغاج ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م ، وفيلبه (بلوفديف) واسكى زغرا وكمولجينه ٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م ، وساماكوف ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م، وقوله ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م ، ودراما ٧٧٣هـ/ ١٣٧١م، وفى هذا العام الأخير وقعت معركة جيرمن ، ومن أهم نتائجها أنها كفلت للعثمانيين تبعية أمراء الصرب فى مقدونيا والإمبراطور البيزنطى وملك البلغار[٤٧].

وتم بعد ذلك فتح كل من كارافيرا ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م، وكوستنديل ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م، ونيش (صربيا الجنوبية) ٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م، وصوفيا ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م، ومناستر (بيتولا) وكورتزه ، وأوخرى ودبره ٧٨٧هـ/ ١٣٨٥م، وترنوفا ولوفچه وبلونه وزشتوى وروسجق وتتراكان وسيلستره ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م[٤٨] .

وفى هذا العام الأخير ـ أى ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م ـ هاجمت القوات العثمانية البوسنة ، ولكنها منيت بالهزيمة فى معركة بلوتشنيك ، وكان من نتيجة ذلك قيام حلف البلقان الذى ضم كُلاً من الصرب والبوسنة وبلغاريا وألبانيا وولاشيا والمجر وبولنده بهدف طرد العثمانيين منها نهائيًا .

---

(٤٦) أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص١٣ ؛ حسون ، الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية . المكتب الإسلامى (١٩٨٠م)، ص١٥ ؛ العثمانيون والبلقان ، المكتب الإسلامى ، ط٢ ، (١٩٨٦م)، ص٤٩ ؛ مصطفى ، أحمد عبد الرحيم ، فى أصول التاريخ العثمانى ، القاهرة ، دار الشروق ، ط٢ (١٩٩٣م)، ص٤٨ ؛ الصلابى ، على محمد ، الدولة العثمانية ، بيروت ، عمان ، دار البيارق ، (١٩٩٩م)، ص ص ١٠١ ـ ١٠٢ .

(٤٧) أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ٩٨ ـ ٩٩ ؛ أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص١٦ ؛ مصطفى ، فى أصول ، ص٤٨ ؛ رضوان ، نبيل عبد الحى ، القوة العثمانية بين البر والبحر ، مكة المكرمة ، دار الثقافة (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ص ٣٢ ؛ مانتران ، روبير (اشراف)، تاريخ الدولة العثمانية ، ج١ ، ترجمة بشير السباعى ، القاهرة ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع (١٩٩٣م)، ص ص ٥٠ ـ ٥٨ .

(٤٨) أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ٩٨ ـ ٩٩ ؛ كولز ، بول ، العثمانيون فى أوروبا ، ترجمة عبد الرحمن الشيخ ، سلسلة الألف كتاب الثانى ، العدد ١٢٦ ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٣م)، ص ٣٣ .

فما كان من مراد الأول إلا أن أخذ أهبة الاستعداد وتجييش الجيوش لضرب هذا التحالف ، وتم له النصر الحاسم فى تلك المعركة الشهيرة المعروفة بمعركة قوصوه (كوسوفا) الأولى عام ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م(٤٩). وعلى الرغم من استشهاد مراد الأول عقب تلك المعركة فإن نتائجها كانت عظيمة للغاية ؛ إذ حققت للعثمانيين على المدى القصير مكاسب سياسية وعسكرية جمة ؛ فلم تعد فى المناطق الباقية فى جنوب نهر الدانوب قوة يمكنها التصدى للعثمانيين عدا الهنغاريين (المجريين)، وانفتح أمام العثمانيين طريق صربيا الشمالية ، وتحولت الإمارة الصربية إلى إقطاع عسكرى ، أما على المدى الطويل فقد شكلت الفتوح التى قدر لها أن تمتد إلى البوسنة نقطة البداية فى التحولات المهمة التى طرأت على التركيب العرقى والاجتماعى والسياسى والثقافى فى تلك المنطقة ، حتى إن البوسنة اصطبغت بصبغة الإسلام بشكل لم تشهده المناطق الأخرى فى البلقان(٥٠) . وعلى ذلك يمكن القول بأنه قد تم فى عهد مراد الأول فتح الأراضى حتى تساليا ، ووصلوا شمالاً إلى نهر الدانوب وجنوبًا إلى أتيكا وغربًا إلى ألبانيا ، وفى الشمال الغربى إلى البوسنة(٥١) .

وعندما تولى بايزيد الأول الملقب بالصاعقة (يلد ريم) واصل سياسة الجهاد والفتوحات ، وتم خلال عهده ٧٩٢ـ٨٠٥هـ/ ١٣٨٩ ـ ١٤٠٢م محاصرة مدينة القسطنطينية أكثر من مرة ، إلا أنه لم يتمكن من فتحها(٥٢) واستطاع بايزيد الصاعقة أن يقضى على مملكة البلغار ، وعلى إمارة دوبريجا ، ونجح فى أن يحطم النفوذ المجرى

---

(٤٩) أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ١٠٠ ـ ١٠١ ؛ حسون ، العثمانيون والبلقان ، ص ص ٥٠ ـ ٥٢ ؛ مصطفى ، فى أصول ، ص ص ٤٩ ـ ٥٠ ؛ رضوان ، القوة العثمانية ، ص ٣٣ ؛ الصلابى ، الدولة العثمانية ، ص ص ١٠٢ ـ ١٠٤ ؛ العمرى ، عبد العزيز إبراهيم ، الفتوح الإسلامية عبر العصور ، الرياض ، دار اشبيليا (١٩٩٧م)، ص ص ٣٨٩ ـ ٣٩١ ؛
Yügel, Türkiye, S. 38 - 40 .

(٥٠) أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص١٦ .

(٥١) أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، مج ١ ، ص٩٩ .

(٥٢) أوزوتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ؛ الصلابى ، الدولة العثمانية ، ص ص ١١٥ ـ ١١٦ ؛ هريدى ، محمد عبد اللطيف ، الحروب العثمانية الفارسية وأثرها فى انحسار المد الإسلامى عن أوروبا ، القاهرة ، دار الصحوة (١٩٨٧م)، ص ص ٢٥ ـ ٢٦ ؛
Yügel, Türkiye, S. 46 - 47 , 45 - 55 .

فى الأفلاق (جنوب رومانيا) وفتح بعض المدن الألبانية واليونانية مما أثار رعبًا عامًا فى أوروبا وبذلك انتعشت الروح الصليبية من جديد بتأييد من البابا لطرد العثمانيين من البلقان وتخليص القسطنطينية من الحصار المفروض عليها (الحصار الثانى عام ٧٩٨هـ/ ١٣٩٥م)، غير أن القوات الصليبية التى احتشدت فى بودا (بودابست) قد إمكن إبادتها خلال فترة قصيرة عند مشارف نيكوبولى على الضفة الغربية لنهر الدانوب عام ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م[٥٣] ، وكانت القوات الصليبية خلال زحفها نحو هذه الأماكن تحرق ، وتهدم ما يصادفها فى الطريق وتمارس الكثير من المظالم مع السكان المحليين فلما منيت بالهزيمة الساحقة تأكد الرأى القائل باستحالة طرد العثمانيين من البلقان ، وعملت هذه المعركة أيضًا على ذيوع شهرة بايزيد الصاعقة فى العالم الإسلامى على أنه مجاهد كبير، وأصبح فتح القسطنطينية قريب المنال[٥٤]، وعلى الرغم من حدوث كارثة أنقرة الشهيرة عام ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م، وهزيمة الجيش العثمانى ، وأسر بايزيد الصاعقة على يد تيمور لنك[٥٥] ، وما ترتب على ذلك من حالة التردى والتفكك والخلافات الداخلية خلال العهد المعروف بدور الفترة (Fetret Devri) ٨٠٥ ـ ٨١٦هـ/ ١٤٠٢ ـ ١٤١٣م[٥٦] فإنه سرعان ما أثبتت الأحداث أنها ليست سوى مجرد أزمة طارئة تجاوزها، وتغلب عليها بنو عثمان عندما انفرد محمد الأول الملقب بـ چلبى سلطان بالحكم فى هذا العام الأخير ـ أى ٨١٦هـ/ ١٤١٣م ـ ذلك السلطان الذى وفق فى لَمِّ شتات

---

(٥٣) أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ١٠٦ ـ ١٠٨ ؛ حسون ، العثمانيون والبلقان ، ص ص ٥٥ ـ ٥٧ ؛ مصطفى ، فى أصول ، ص ص ٥٣ ـ ٥٤ ؛ رضوان ، القوة العثمانية ، ص ص ٣٤ ـ ٣٥ ؛ الصلابى ، الدولة العثمانية ، ص ص ١١٢ ـ ١١٤ ؛ العمرى ، الفتوح الإسلامية ، ص ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣ ؛ مانتران ، تاريخ الدولة العثمانية ، ج١ ، ص ص ٦٥ ـ ٧٠ .

Yügel, Türkiye, S. 50 - 54 .

(٥٤) أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص١٩ .

(٥٥) أوزتونا ، تاريخ ، مج١ ، ص ص ١٠٩ ـ ١١١ ؛ مصطفى ، فى أصول ، ص ص ٥٥ ـ ٥٩ ؛ هريدى ، الحروب العثمانية الفارسية ، ص ص ٢٦ ـ ٢٧ ، الصلابى ، الدولة العثمانية ، ص ص ١١٨ ـ ١١٩ ؛ مانتران ، تاريخ ، ج١ ، ص ص ٧٥ ـ ٧٦ .

Yügel, Türkiye, 2, S. 63 - 66 .

(٥٦) أوزتونا ، تاريخ ، مج١ ، ص ص ١١٢ ـ ١١٥ ؛

Yügel, Türkiye, 2, S. 69 - 76 .

الدولة وإقالتها من عثرتها الطارئة على الرغم من قصر فترة حكمه ٨١٦ ـ ٨٢٤هـ/ ١٤١٣ ـ ١٤٢١م ولذلك فقد اعتبره المؤرخون بمثابة « نوح الذى حافظ على سفينة الدولة حين هددها طوفان الغزوات التترية »[٥٧].

ومن الفتوحات التى تمت فى عهده فتح سلوفانيا وسراييفو (بوسنة سراي) عام ٨١٨هـ/ ١٤١٥م على يد الغازى إسحاق بك ، كما أن سلطان چلبى محمد اجتاز نهر الدانوب نحو الشمال فى العام التالى ـ أى ٨١٩هـ/ ١٤١٦م ـ ودخل رومانيا وشيد قلعتى تورنوو يركوى ، وتم فتح أولونيا عام ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م، وأرسلت ثلاث حملات إلى أردل (ترانسلفانيا) كان آخرها عام ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م[٥٨]. ومما ينسب إلى عهده أيضًا أنه قام بنقل العاصمة من أدرنة (مدينة الغزاة) إلى بروسه (أو بورصة) العاصمة الأولى للعثمانيين ، والتى اشتهرت باسم مدينة الفقهاء[٥٩] ، إلا أن ذلك لم يمنع الفتوحات والحملات العسكرية خلال عهده . وعندما تولى مراد الثانى الحكم استؤنفت حركة الجهاد والفتوحات العثمانية بعد أن قام بنقل العاصمة إلى أدرنة مرة ثانية ، وتم خلال عهده ٨٢٤ ـ ٨٥٥هـ/ ١٤٢١ ـ ١٤٥١م فتح كل من سلانيك ٨٣٤هـ/ ١٤٣٠م ويانيا ٨٣٥هـ/ ١٤٣١م وسمندره جنوب بلغراد ٨٤٣هـ/ ١٤٣٩م، وفى العام التالى ـ أى ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م ـ حوصرت بلغراد مفتاح وسط أوروبا ، ولكن مُنِيَ الجيش العثمانى بالهزيمة ، وبالتالى تزعزع موقف العثمانيين فى البلقان حتى وجدوا أنفسهم فى حرب دفاعية ضد الغارات المباغتة التى كان يقوم بها المجريون . وخلال هذه الفترة الحرجة اضطر مراد الثانى للعودة إلى اتباع سياسة الوفاق فى الأناضول والبلقان على السواء وأبرمت اتفاقية للصلح بينه وبين المجر عرفت بمعاهدة سكدين (Segedin) عام ٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م بل إنه تخلى عن العرش مؤقتا لابنه محمد الذى عرف فيما بعد بالفاتح ، وذلك فيما بين عامى ٨٤٨ ـ ٨٥٠هـ/ ١٤٤٤ ـ ١٤٤٦م ، مما أنعش الأمل فى نفوس الأوروبيين ـ حيث كان ابنه محمد لا يزال صغيراً لم يتجاوز بعد ١٣ عامًا ؛ فرجع مراد الثانى عن عزلته ، وقاد الجيش العثمانى ، وحقق انتصاراً باهراً على البوسنة والصرب والتحالف الأوروبى فى معركة وارنا Varna على ساحل البحر الأسود فى نفس العام ـ أى ٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م ـ وكانت هذه المعركة نقطة تحول مهمة فى تقرير مصير

---

(٥٧) مصطفى ، فى أصول ، ص٦٢ .

(٥٨) أوزتونا ، تاريخ ، مج١ ، ص١١٧ ، مانتران ، تاريخ ، ج١ ، ص ص ٨٢ ـ ٨٦ .

(٥٩) مصطفى ، فى أصول ، ص٦٣ .

العثمانيين فى البلقان لا سيما أنه أعقب هذا الانتصار بنحو أربع سنوات انتصار حاسم آخر فى معركة قوصوه (كوسوفو) الثانية عام ٨٥٢هـ/ ١٨٤٨م وهو ما ساعد على تقوية نفوذ العثمانيين داخل البلقان ، ومهد السبيل لإحباط عام فى أوروبا ، وقرّب من موعد فتح القسطنطينية[٦٠] ، وهو ما تحقق فى المرحلة التالية على يدى ابنه محمد الثانى الملقب بالفاتح .

- مرحلة ما بعد فتح القسطنطينية ٨٥٧ - ٩٧٤هـ/ ١٤٥٣ - ١٥٦٦م ، جلس السلطان محمد الثانى الملقب بالفاتح على العرش للمرة الثالثة والأخيرة - إذ سبق أن تنازل له والده مراد الثانى عن العرش مرتين قبل معركة وارنا وبعدها فيما بين عامى ٨٤٨ - ٨٥٠هـ/ ١٤٤٤ - ١٤٤٦م، كما سبق القول - وهو يعد بحق المؤسس الحقيقى للإمبراطورية العثمانية التى بلغت أوج عظمتها فى عهد السلطان سليمان القانونى أو المعظم (ت٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م) .

واستطاع محمد الفاتح خلال فترة حكمه ٨٥٥ - ٨٨٦هـ/ ١٤٥١ - ١٤٨١م أن يحقق الكثير من الإنجازات والإصلاحات والفتوحات ، ويكفيه من هذه الأخيرة نجاحه لأول مرة فى فتح مدينة القسطنطينية عام ٨٥٧ هـ/ ١٤٥٣م ، وبذلك كتب بيده شهادة وفاة الإمراطورية البيزنطية إلى الأبد[٦١] . وكان لهذا الفتح صدى عظيم ووقع مُدوٍّ فى

(٦٠) أوزتونا ، تاريخ ، مج١ ، ص ص ١٢٢ - ١٢٩ ؛ حسون ، العثمانيون والبلقان ، ص ص ٥٨ - ٦١ ، مصطفى ، فى أصول ، ص ص ٦٤ - ٦٥ ؛ أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص٢٢ ؛ شاكر ، كوسوفا ، ص ص ٤٧ - ٥٠ ، الصلابى ، الدولة العثمانية ، ص ص ١٣٣ - ١٣٧ ؛ مانتران ، تاريخ ، ج١ ، ص ص ٩٢ - ١٠٨ .

Yügel, Türkiye, 2, S. 104 - 113, 116 - 121 .

(٦١) أوزتونا ، تاريخ ، مج١ ، ص ص ١٣١ - ١٤١ ؛ حسون ، العثمانيون والبلقان ، ص ص ٨١ - ١٠٣ ؛ الصلابى ، الدولة العثمانية ، ص ص ١٤٣ - ١٨٠ ؛ العمرى ، الفتوح الإسلامية ، ص ص ٣٥٥ - ٣٨٥ ، فهمى ، عبد السلام عبد العزيز ، السلطان محمد الفاتح فاتح القسطنطينية وقاهر الروم ، دمشق ، بيروت ، دار القلم ، (١٩٧٥)، ص ص ٧٧ - ١٤٣ ، على ، سيد رضوان ، السلطان محمد الفاتح بطل الفتح الإسلامى فى أوروبا الشرقية ، جدة ، الدار السعودية للنشر والتوزيع (١٩٨٢م)، ص ص ١٩ - ٣٩ ؛ الرشيدى ، سالم ، محمد الفاتح ، طنطا ، دار البشير (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، ص ص ٦٧ - ١٢٣ ، كولز ، العثمانيون ، ص ص ٣٤ - ٣٦ ؛

Yügel, Türkiye, S, S. 131 - 140 .

جميع أنحاء العالم آنذاك [٦٢]، كما ترتبت عليه آثار إيجابية كثيرة من أبرزها توطد السيادة العثمانية فى البلقان فيما بين عامى ٨٥٧ ـ ٨٨٤هـ/ ١٤٥٣ ـ ١٤٧٩م ؛ إذ تم فتح انز Enez ـ ، وهو مرفأ جنوبى على مصب نهر مريج ـ وبعض جزر بحرايجه والجزر اليونانية (مثل لمنوس ولسيوس ومسنبوس) ٨٦٠ ـ ٨٦٧هـ/ ١٤٥٥ ـ ١٤٦٢م ، وأثينا ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م، والمورة ٨٦٤هـ/ ١٤٥٨م، وصربيا ٨٦٤هـ/ ١٤٥٩م، والبوسنة ٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م، والهرسك ٨٧٠ ـ ٨٨٧هـ/ ١٤٦٥ ـ ١٤٨٢م ، والبانيا ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م، والأفلاق والبغدان (رومانيا)، وغير ذلك[٦٣] .

وعلى الرغم من ذلك فشل الفاتح فى حصار رودس الأول ٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م، وحصار بلغراد ٨٦١هـ/ ١٤٥٦م، كذلك نشبت الحرب العثمانية البندقية التى استمرت لمدة ستة عشر عامًا ٨٦٨ ـ ٨٨٤هـ/ ١٤٦٣ ـ ١٤٧٩م، وانتهت بعقد الصلح ، وارغام البنادقة على دفع مبلغ كبير من المال نظير السماح لهم بالتجارة والمرور فى الأراضى العثمانية[٦٤].

وفشل أيضًا حصار رودس الثانى عام ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م، وعلى الرغم من ذلك نزلت القوات العثمانية على الساحل الإيطالى ، واستولت على قلعة أوترانتو بالقرب من برنديزى ، وكانت بمثابة رأس جسر مهم نحو فتح إيطاليا نفسها غير أن وفاة الفاتح

---

(٦٢) أوزتونا ، تاريخ ، مج١ ، ص ص ١٤٢ ـ ١٤٥ ؛ أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ٢٣ ـ ٢٤، الصلابى ، الدولة العثمانية ، ص ص ١٨٩ ـ ١٩٨ ؛ الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ص ١٣٧ ـ ١٥٦ ؛ مانتران ، ج١ ، ص ص ١٢٥ ـ ١٢٧ ؛ على ، السلطان محمد الفاتح ، ص ص ٣٨ ـ ٣٩ .
Yügel, Türkiye, S, S. 140 - 141 .

(٦٣) أوزتونا ، تاريخ ، مج١ ، ص ص ١٤٩ ـ ١٥٤ ، ١٦٧ ـ ١٦٩ ؛ حسون ، العثمانيون والبلقان ، ص ص ١١٤ ـ ١٢٢ ؛ الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ص ١٥٩ ـ ٢١٢ ؛ قاروط ، المسلمون فى يوغسلافيا ، ص ٢٢٠ ؛ يونس ، الإسلام والمسلمون فى ألبانيا ، ص ص ٣٨ ـ ٥٣ ؛ على ، السلطان محمد الفاتح ، ص ص ٣٩ ـ ٤٩ ؛ مانتران ، تاريخ ، ج١ ، ص ص ١٣٠ ـ ١٣٣ .
Yügel, Türkiye, S, S. 141 - 170 .

(٦٤) أوزتونا ، تاريخ ، مج١ ، ص ص ١٧٣ ، أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص٢٥ ؛ الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ص ٢٤٠ ـ ٢٤٦ ، ٢٥٣ ـ ٢٦٠ ، ٢٧٣ ـ ٢٩٧ ؛ مصطفى ، فى أصول ، ص ص ٧١ ـ ٧٢، على ، السلطان محمد ، ص ص ٥٥ ـ ٥٩ ؛ مانتران ، تاريخ ، ج١، ص ص ١٣٥ ـ ١٣٩.

فجأة عام ٨٨٦هـ/ ١٤٨١م حالت دون تحقيق ذلك ويقال : إن الفاتح كان يعد حملة كبيرة لا يعرف أحد وجهتها قبل وفاته مباشرة ، ومن الصعب بطبيعة الحال التنبؤ بما كان يمكن أن تسفر عنه الأحداث لو امتد به العمر عاماً آخر ، فهل كان من الممكن الاستيلاء على تفاحة روما الحمراء ؟ وعلى ذلك يمكن القول بأن وفاة محمد الفاتح المفاجئة قد أنقذت أوروبا(٦٥).

وعندما جلس بايزيد الثانى على العرش واصل سياسة الجهاد والفتوحات ، وتم خلال عهده ٨٨٦ ـ ٩١٨هـ/ ١٤٨١ ـ ١٥١٢م القيام بحملة فى المورة وضم الهرسك عام ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م ، ثم حملة البغدان (مولدافيا) عام ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م واستطاع أن يضم إلى الأراضى العثمانية منطقة كيلى Kilye واق كرمان Akkerman التى كانت ذات مكانة مهمة جداً فى التجارة مع السهوب الشمالية ، وبذلك نجح العثمانيون فى إغلاق الطرق النازلة من الشمال إلى البحر الأسود الذى صار بحيرة عثمانية ، وفيما بين عامى ٨٩٩ ـ ٩٠٢هـ/ ١٤٩٣ ـ ١٤٩٦م أصبح العثمانيون وجهًا لوجه مع لهستان (بولونيا) ، وكان النصر لصالح العثمانيين(٦٦) .

ومهما يكن من أمر فإن بايزيد الثانى قد اضطر فى سياسته الخارجية إلى اتباع سياسة اللين والمهادنة فى كثير من الأحيان بسبب أخيه جم سلطان الذى كان فى أيدى الأوروبيين ، وكان بمثابة رقعة الشطرنج فى لعبة السياسة الدولية آنذاك (٦٧)، حيث كان فرسان رودس والبابا والفرنسيون والمجريون يحاولون الاستفادة من وجوده تحقيقا لغايات

---

(٦٥) أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص٢٦ ؛ مصطفى ، فى أصول ، ص٧٢ ؛ على ، السلطان محمد ، ص ص ٥٩ ـ ٦٠ ؛ الرشيدى ، محمد الفاتح ، ص ص ٣٠٩ ـ ٣٢٨ .

(٦٦) أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، مج١ ، ص١٨٧ ، أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ٢٨ ـ ٢٩ ، مانتران ، تاريخ ، ج١ ، ص ص ١٥٥ ـ ١٥٧ .

(٦٧) دراج ، أحمد السيد ، جم سلطان والدبلوماسية الدولية ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ٨، القاهرة ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية (١٩٥٩م)، ص ص ٢٠١ ـ ٢٤٢ . وعن لجوء جم إلى السلطان المملوكى الأشرف قايتباى (٨٧٢ ـ ٩٠١هـ) انظر : عبد التواب ، عبد الرحمن ، قايتباى المحمودى ، سلسلة الإعلام ، العدد ٢٠ ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٧٨م)، ص ص ١٦٧ ـ ١٦٨؛ عبد الدايم ، عبد العزيز محمود ، مصر فى عصرى المماليك والعثمانيين ، القاهرة ، مكتبة زهراء الشرق (١٩٩٦م)، ص١٥٥ .

مختلفة ومصالح متنوعة مادية كانت أم سياسية ، إلا أنه عندما توفى ـ أى جم سلطان ـ فى عام ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م اندفعت بشدة السياسة الخارجية لبايزيد الثانى ، واستطاعت قواته الاستيلاء على أهم قواعد البندقية فى شبه جزيرة المورة عام ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م ، وهى مودون وكورون ولبانت ، وكان ذلك بمساعدة القوات البحرية ، وتم بناء قلعتين بهدف السيطرة على خليج بتراس .

ومما أسفرت عنه المعارك العثمانية البندقية فى ذلك الوقت أنها وضعت البداية للتفوق البحرى العثمانى كما أقرت لهم مكانة جديدة فى عملية توازن القوى ، وعقدت معاهدة للصلح بين الطرفين فى عام ٩٠٩ هـ/ ١٥٠٣م[٦٨] .

أما عهد سليم الأول الملقب بـ « ياووز » وتعنى الشديد أو القاسى ٩١٨ ـ ٩٢٦هـ/ ١٥١٢ ـ ١٥٢٠م فعلى الرغم من أنه أجل حركة الجهاد والفتوحات العثمانية فى أوروبا إلا أنه تميز بمواجهة خطر الدولة الصفوية فى إيران ودعم السيادة العثمانية فى شرق الأناضول وجنوبه الشرقى[٦٩] من جهة والمواجهة مع سلطنة المماليك وفتح الشام ومصر ، وبالتالى بدأت السيادة العثمانية على بلدان العالم العربى من جهة ثانية[٧٠] .

وخلال فترة حكم السلطان سليمان القانونى أو المعظم فيما بين عامى ٩٢٦ ـ ٩٧٤هـ/ ١٥٢٠ ـ ١٥٦٦م بلغت الإمبراطورية العثمانية أوج اتساعها وذروة عظمتها ،

---

(٦٨) أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص٢٩ ، أوزتونا ، تاريخ ، مج١ ، ص ص ١٩٨ ـ ٢٠٠ ؛ مصطفى ، فى أصول ، ص ص ٧٣ ـ ٧٤ ؛ مانتران ، تاريخ ، ج١ ، ص ص ١٦١ ـ ١٦٢ .

(٦٩) هريدى ، الحروب العثمانية الفارسية ، ص ص ٥١ ـ ٥٨ ؛ أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ٢١٥ ـ ٢١٨ ؛ أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ٣٠ ـ ٣٢ ؛ الصلابى ، الدولة العثمانية ، ص ص ٢٩٣ ـ ٣٠٤ ؛ حسون ، الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية ، ص ص ٤٧ ـ ٤٨ ، مانتران ، تاريخ ، ج١ ، ص ص ٢٠٨ ـ ٢١٢ .

(٧٠) أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، ص ص ٢٢٠ ـ ٢٣٦ ؛ أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ٣٢ ـ ٣٥ ؛ الراقد ، محمد عبد المنعم السيد ، الغزو العثمانى لمصر ونتائجه على الوطن العربى ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة (١٩٦٨م)، ص ص ٨٧ ـ ١٠٩ ؛ إيفانوف ، نيقولاى ، الفتح العثمانى للأقطار العربية ١٥١٦ ـ ١٥٧٤م ، ترجمة يوسف عطا الله ، راجعه وقدم له مسعود ضاهر ، بيروت ، دار الفارابى (١٩٨٨م)؛ حسون ، الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية ، ص ص ٤٨ ـ ٥٩ ؛ مانتران ، تاريخ ، ج١ ، ص ص ٢١٢ ـ ٢١٥ .

وتميز عهده الطويل بكثرة النشاط السياسى والعسكرى المكثف مما جعل الدولة العثمانية إحدى ثلاث دول عالمية فى أوروبا (إمبراطورية الهابسبورج وقيصرية موسكو والإمبراطورية العثمانية)، ومن ثم أصبحت الدولة آنذاك عنصر توازن جديد فى السياسة العالمية[(٧١)] .

وعن حركة الجهاد والفتوحات العثمانية خلال عهد القانونى يمكن القول بأن الحملات العثمانية قد توجهت براً وبحراً إلى أوروبا ، وقد نجحت فى فتح بلغراد عام ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م[(٧٢)] وفتح جزيرة رودس ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م[(٧٣)] ، وفى عام ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م وقعت الحرب العثمانية المجرية ، وانتصر العثمانيون فى معركة مُهاج (موهاكس) الشهيرة ، وبذلك وضعت نهاية المملكة البلغارية ، وتم كسر أهم خط دفاع للمسيحية ضد العثمانيين فى أوروبا الوسطى ، وخطوا فى الوقت ذاته الخطوة الأولى فى معارك سوف تسفر عن تمزيق الأراضى المجرية ، ثم ضمها تدريجيًا إلى الأراضى العثمانية[(٧٤)] . وفى عام ٩٣٣هـ/ ١٥٢٧م تم استكمال فتح البوسنة ، وفى عام ٩٣٥هـ/ ١٥٢٩م خرجت حملة أخرى إلى المجر لم يكن يقصد منها الاستيلاء على فيينا غير أن الجيش العثمانى لم يجد جيشًا يحاربه ، ولذلك تقدم حتى مشارف فيينا وراح يحاصرها ، وقد ترتب على ذلك الحصار قيام الاتحاد المسيحى فى أوروبا مما اضطر العثمانيون إلى رفع الحصار بسبب قلة الاستعداد ونقص الإمدادات وصعوبة المناخ ،

---

(٧١) أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص٣٥ .

(٧٢) الأرناؤوط ، محمد موفق ، تاريخ بلغراد الإسلامية ، الكويت ، مكتبة دار العروبة (١٩٨٧م)، ص١٩؛ الإسلام فى يوغسلافيا من بلغراد إلى سراييفو ، عمان ، دار البشير (١٩٩٣م)، ص ٢٥ ؛ مانتران ، تاريخ ، ج١ ، ص ص ٢١٧ ـ ٢١٨ .

(٧٣) العباسى ، عبد الرحيم بن عبد الرحيم ، ت٩٦٣هـ/ ١٥٥٦م، منح رب البرية فى فتح رودس الأبية ، دراسة وتحقيق فيصل عبد الله الكندرى ، حوليات كلية الآداب ـ الحولية ١٨ ، الرسالة ١٢٢ ، جامعة الكويت (١٤١٧ ـ ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧ ـ ١٩٩٨م)، ص ص ٥٧ ـ ٨١ (مقدمة التحقيق)، ص ص ٩٣ ـ ١٣٢ (متن الكتاب نفسه) .

(٧٤) أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ٢٦١ ـ ١٧٢ ؛ الصلابى ، الدولة العثمانية ، ص ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠ ؛ مصطفى ، فى أصول ، ص ص ٨٩ ـ ٩٠ ؛ حسون ، الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية ، ص ص ٣٦ ـ ٣٧ ؛ كلو ، أندرى ، سليمان القانونى ، ترجمة البشير بن سلامة ، بيروت ، دار الجيل (١٩٩١م)، ص ص ٧٧ ـ ٨٩ ؛ ١٠٣ ـ ١١٦ ، كولز ، العثمانيون ، ص ص ٨٥ ـ ٨٦ .

وعلى ذلك تكون أراضى المجر القديمة قد انقسمت إلى ثلاثة أقسام ، أحدها مع فرديناند الذى يحمل تاج بوهيميا والمجر ، والثانى مع زابوليانى ومركزه يودين ، والثالث مع العثمانيين ، ويشكل سنجقًا فى سيرم يقع بين نهرى الدانوب وساوا (السافا) .

وفى عام ٩٤٩هـ/ ١٥٤١م تم الضم النهائى لبودين وحولت إلى بكّلريكّية عثمانية ربطت بعاصمة الدولة مباشرة ، ثم قامت حملة جديدة فى عام ٩٥١هـ/ ١٥٤٣م لتأمين بودين ، وتم الاستيلاء على بعض المواقع الاستراتيجية المهمة مثل سيكلوش واسترغون وايستولنى - بلغراد ، وفى عام ٩٥٢هـ/ ١٥٤٤م قام بگلربگى بودين بمواصلة تلك الفتوح ، واستطاع توسيع الحدود عن ذى قبل . وفى عام ٩٥٥هـ/ ١٥٤٧م عقدت معاهدة صلح بين العثمانيين وآل هايسبورج ، وتم بمقتضاها اعتراف فرديناند بالتفوق العثمانى فى أوروبا الوسطى واستمراره فى تأدية الجزية عن الأراضى المجرية الواقعة تحت يده(٧٥) .

وهكذا انضوت البلقان تحت لواء الدولة العثمانية ، ورفرف الهلال فوق ربوعها وترتب على هذا الوضع الجديد أن أصبحت شبه الجزيرة البلقانية جزءاً من إمبراطورية كبيرة مترامية الأطراف فوق قارات ثلاث هى آسيا وأوروبا وأفريقيا . فهل سيستمر الوضع على ذلك الحال عقب وفاة السلطان سليمان القانونى أو المعظم عام ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م أم لا ، وهذا هو ما سوف نسلط الضوء عليه فى المرحلة التالية .

- المرحلة الثانية : مرحلة التقلص والانحسار :

تشمل هذه المرحلة الفترة المتتدة من الربع الأخير من القرن ١٠هـ/ ١٦م إلى الربع الأول من القرن ١٤هـ/ ٢٩م .

وعلى الرغم من أن الدولة العثمانية قد وصلت إلى أوج اتساعها وذروة عظمتها فى عصر السلطان سليمان القانونى أو المعظم (٩٢٦ - ٩٧٤هـ/ ١٥٢٠ - ١٥٦٦م) كما سبق القول ، إلا أن مظاهر الانحطاط كانت قد بدأت تتسرب خلال ذلك العصر ذاته

---

(٧٥) أوغلى ، الدولةالعثمانية ، مج١ ، ص ص ٣٦ - ٣٩ ؛ كلو ، سليمان القانونى ، ص ص ١١٦ - ١٢٢ ، ١٩٧ - ٢٠٢ ؛ مانتران ، تاريخ ، ج١ ، ص ص ٢١٨ - ٢٢٩ .

لا سيما فى أواخره ، ثم لم تلبث أن تكشفت خلال عصر السلطان مراد الثالث ٩٨٢ ـ ١٠٠٣هـ/ ١٥٧٤ ـ ١٥٩٤م .

والحق أن العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى أثرت بقوة فى كافة عناصر النظام الذى يحكم الدولة العثمانية ، وكذلك فترة التحول التى هيأت لها تلك العوامل إنما كانت تنبئ عن مرحلة سوف تفقد فيها فلسفة الجهاد والفتوحات فى أوروبا تأثيرها(٧٦) ، كما لا يمكن أن نغفل هنا أثر الحروب العثمانية الإيرانية بخصوص هذا الموضوع (٧٧)، وهو الأمر الذى جعل الدولة تفكر فى حماية وجودها نفسه سواء فى داخل أوروبا أو فى آسيا وأفريقيا .

ومهما يكن من أمر فإنه يمكن القول أن ما حققته الدولة العثمانية من نجاحات عسكرية فى القرن ١١هـ/ ١٧م ، وبخاصة على يد عائلة كوبريلى من جهة وحركات الإصلاح والتجديد والتنظيمات من جهة ثانية لم يؤت ثماره المرجوة ، وبدأت الدولة تخوض مرحلة من التراجع المستمر والتفكك والانحطاط ، أو فلنقل التقلص والانحسار حتى وصفت بأنها الرجل المريض ، وأخذت الولايات البلقانية وقبرص تنسلخ عنها شيئًا فشيئًا حتى تحقق لها الاستقلال أو وقعت تحت السيطرة الاستعمارية الأوروبية .

وعلى ضوء هذا وذاك نستطيع أن نقسم هذه المرحلة إلى مرحلتين فرعيتين وهما :

- المرحلة الأولى ٩٧٤ ـ ١٢١٩هـ/ ١٥٦٦ ـ ١٨٠٤م .
- المرحلة الثانية ١٢١٩ ـ ١٣٤٠هـ/ ١٨٠٤ ـ ١٩٢٢م .

وفيما يلى نحاول أن نرسم صورة صادقة لملامح كل مرحلة منهما على حدة :

المرحلة الأولى : ٩٧٤ـ ١٢١٩هـ/ ١٥٦٦ـ ١٨٠٤م :

بدأت هذه المرحلة عقب وفاة السلطان سليمان القانونى أو المعظم (ت٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م) واعتلاء ابنه وخليفته سليم الثانى العرش (٩٧٤ ـ ٩٨٢هـ/ ١٥٦٦ ـ ١٥٧٤م)، وانتهت عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م عندما اندلعت ثورات الصرب ، واشتعلت

---

(٧٦) أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ٤٨ ـ ٥٠ .

(٧٧) هريدى ، الحروب العثمانية الفارسية وأثرها فى انحسار المد الإسلامى عن أوروبا ، ص ص ٦٩ ـ ٨٨ .

فى البلقان فى أواخر عصر السلطان سليم الثالث (١٢٠٤ ـ ١٢٢٢هـ/ ١٧٨٩ ـ ١٨٠٧م) الذى شهد حركة الإصلاح والتجديد المعروفة بالنظام الجديد . وعلى الرغم مما شهدته هذه المرحلة من تحقيق بعض النجاحات فى حركة الفتوحات العسكرية فى أوروبت ومنها فتح قبرص[٧٨] ٩٧٩هـ/ ١٥٨١م ، وفتح كريت[٧٩] ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م ، وما ترتب على ذلك من ضمان الأمن لطريق التجارة البحرية فى أحيان كثيرة . ومنها فتح قلعة يانق على يد الصدر الأعظم سنان باشا ١٠٠٣هـ/ ١٥٩٤م، ولذلك اشتهر بلقب فاتح يانق[٨٠] وفتح قلعة أكرى ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦م ، وهى الحملة التى اعتبرها المؤرخون الحملة الهمايونية الوحيدة فيما بين عامى ٩٧٤ ـ ١٠٣١هـ/ ١٥٦٦ ـ ١٦٢١م ـ أى : خلال ما يزيد عن نصف قرن عقب وفاة السلطان سليمان القانونى وحتى عهد السلطان عثمان الثانى ـ ولذلك اشتهر السلطان محمد الثالث (١٠٠٤ ـ ١٠١٢هـ/ ١٥٩٥ ـ ١٦٠٣م) الذى قاد هذه الحملة بنفسه بلقب فاتح اگرى[٨١] ، ومنها فتح أويوار Uyvar ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٣م ومن الحملات الناجحة فى هذه المرحلة أيضًا حملة قانيجة عام ١٠١٠هـ/ ١٦٠١م وحملة استرغون ١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م وحملة خوتين ١٠٣١هـ/ ١٦٢١م، وفى عام ١١٢٧هـ/ ١٧١٥م دخل العثمانيون المورة واستولوا على القسم الأعظم منها ، ولم يكن اليونانيون فى المورة راضين عن حكم البنادقة الكاثوليك ، بل إن قسمًا منهم هاجر مع الأهالى المسلمين عقب غزوها إلى جزر بحر إيجه وسواحل الأناضول الغربية ، وسوف تستمر هذه الهجرات نتيجة لبعض العوامل الاقتصادية فى القرنين ١٢ ـ ١٣هـ/ ١٨ ـ ١٩م لتكون سببًا فى زيادة عدد السكان اليونانيين فى غرب الأناضول ، وأخيراً تم القضاء على البنادقة بمقتضى معاهدة كامبوفورميا التى عقدت فى عام ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م ، والتى تقاسمت فرنسا بموجبها مع النمسا أراضى جمهورية البندقية ، ثم استولت على أراضى البندقية القديمة الواقعة على سواحل دالماشيا فى

---

(٧٨) أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ٣٦٨ ـ ٣٧١ ؛ عاشور ، سعيد ، قبرص والحروب الصليبية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، (١٩٥٧م)، ص ص ١٦٩ ـ ١٧٨ ؛ يحيي ، جلال ، التطور التاريخى لجزيرة قبرص ، ضمن كتاب مشكلة قبرص ، القاهرة ، دار المعارف (١٩٨١م)، ص ص ٧٢ ـ ٧٤ ؛ شاكر ، محمود ، المسلمون فى قبرص ، بيروت ، دمشق ، المكتب الإسلامى ، (١٩٨٨م) ، ص ص ٢٦ ـ ٢٧ ؛ وعن تاريخ قبرص منذ أن افتتحها المسلمون عام ٢٨هـ/ ٦٤٨م إلى الفتح العثمانى لها ، انظر : عاشور ، قبرص ، ص ص ٤ ـ ١٨٦ ؛ يحيي ، التطور التاريخى ، ص ص ٣٩ ـ ٦٣ ، شاكر ، المسلمون فى قبرص ، ص ص ١٤ ـ ٢٤ .

الشريط الساحلى لألبانيا وعلى مجموعة من الجزر مثل كورفووزنتا وآيامورا وكفالونيا، ومن ثم أصبحت فرنسا جارة للدولة العثمانية التى كانت تشعر بعدم الارتياح إزاء فرنسا من جراء الأفكار الثورية ، فلما وقع ذلك الاعتداء لم تشأ الدولة العثمانية تصديقه ، ثم لم يلبث أن تحول إلى عداء سافر وصدام مسلح(٨٢) . إلا أن هذه المرحلة شهدت فى المقابل كثيراً من الانتكاسات والهزائم ، وهو الأمر الذى يفسره كثرة المعاهدات والاتفاقيات فى تلك الفترة ، وبالتالى ضياع الكثير من الولايات العثمانية فى أوروبا .

أمّا الهزائم التى منيت بها الجيوش العثمانية فى تلك المرحلة فحسبنا أن نشير إلى كل من هزمة ليانتو (اينابختي) Inebahti ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م، وهزيمة فيينا عقب الحصار الثانى الفاشل لها فى عام ١٠٩٥هـ/ ١٦٨٣م، وهزيمة أويوار Uyvar ، وضياعها فى عام ١٠٩٧هـ/ ١٦٨٥م، وسقوط بودين عام ١٠٩٨هـ/ ١٦٨٦م، واگرى عام ١٠٩٩هـ/ ١٦٨٧م، وبلغراد عام ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م، وقانيجه ١١٠٢هـ/ ١٦٩٠م، وهزيمة سلانكامن Salankamen عام ١١٠٣هـ/ ١٦٩١م، وهزيمة زنتا(٨٣) Zenta عام

---

(٧٩) أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ٥٠٨ ـ ٥١٥ ، أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص٥٧ ؛ مصطفى ، فى أصول التاريخ العثمانى ، ص١٥٤ .

(٨٠) الحداد ، محمد حمزة ، عمائر الوزير قوچه سنان باشا (المتوفى ١٠٠٤هـ/ ١٥٩٥م) الباقية فى القاهرة ودمشق ، مجلة العصور ، المجلد التاسع ـ الجزء الأول ، الرياض ، دار المريخ ، (يناير ١٩٩٤م)، ص١٣٦ حاشية ١ (وما بها من مصادر ومراجع عربية وتركية وأجنبية) (وقد أعيد نشر هذا البحث ضمن كتاب للمؤلف ، حوى بعض بحوثه بعنوان بحوث ودراسات فى العمارة الإسلامية ، القاهرة ، مكتبة نهضة الشرق ، ط١ (١٩٩٦م)، ط٢ ، (٢٠٠٤م) ص ٩٥ حاشية ٤ (وما بها من مصادر ومراجع عربية وتركية وأجنبية) .

(٨١) أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ٤٧ ـ ٤٨ ؛ أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ٤٣٨ ـ ٤٤٠ ، ٤٤٣ .

(٨٢) أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ٥٧ ، ٦٢ ـ ٦٣ ، ٨٣ ـ ٨٤ ؛ أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ٤٤١ ـ ٤٤٥ ، ٤٥٦ ـ ٤٥٧ ، ٥٩٨ ـ ٦٠٠ .

(٨٣) أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ٤٤ ـ ٤٥ ، ٥٨ ـ ٥٩ ؛ أوزتونا ، تاريخ ، مج١ ، ص ص ٣٧١ ـ ٣٧٦ ، ٥٢٩ ـ ٥٣٦ ، ٥٤٣ ـ ٥٤٩ ، ٥٥٧ ـ ٥٦٠ ، ٥٦٢ ـ ٥٦٧ ، ٥٧٥ ـ ٥٧٨ .

١١٠٩هـ/ ١٦٩٧م ، وكانت هزيمة زنتا النهاية لكل شيء وبدأ يتضح للعثمانيين أنه لا حيلة أمامهم سوى طلب الصلح ، فانعقدت معاهدة قارلوفچه عام ١١١١هـ/ ١٦٩٩م، واعترف العثمانيون من خلالها بسيادة آل هابسبورج على المجر وأصبحت بلغراد بعد ذلك منطقة فاصلة بين الحدود وبقيت طمشوار بيد العثمانيين ، بينما تركت المورة ودالماشيا للبنادقة ، أما قمانيجه وبودوليا فقد أخذتهما لهستان ، وعلى ذلك النحو تكون الأراضي التي دار حولها الصراع منذ عام ٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م قد تخلى عنها العثمانيون وانمحى تمامًا شريط الأمن الذي أقيم حول الأفلاق والبغدان (رومانيا)، ومن ثم لم يجد العثمانيون أمامهم إلا زيادة اهتمامهم بهاتين الإمارتين عن ذي قبل(٨٤) .

ولما كانت بلغراد هي صمام الأمان لمنطقة البلقان ومفتاح أوروبا الوسطى في الوقت ذاته ؛ ولذلك فإن سقوطها وضياعها إنما يعرض وجودهم للخطر ، ومن هنا كان لا بد من استعدادات عثمانية كبيرة ومواجهات متصلة حتى يمكن الاحتفاظ بها ، ولكن ظروف الدولة العثمانية في ذلك الوقت لم تمكنها من ذلك الاحتفاظ لفترات طويلة متصلة ، ولعل في استعراض تاريخ بلغراد ما يكفي لتأكيد ذلك ، ففيما بين عامي ١٦٨٨ - ١٦٩٠م خضعت للحكم النمساوي ، ثم عادت للعثمانيين فيما بين ١٦٩٠ - ١٧١٧م، ثم خضعت للحكم النمساوي مرة ثانية ١٧١٨ - ١٧٣٩م، ثم العثماني ١٧٣٩ - ١٧٨٨م، ثم النمساوي ١٧٨٩ - ١٧٩١م، فالعثماني ١٧٩١ - ١٨٠٦م، ثم الحكم الصربي ١٨٠٦ - ١٨١٣م، فالعثماني ١٨١٣ - ١٨٦٢م، وهكذا حتى أصبحت عاصمة صربيا فيما بين عامي ١٨٧٦ - ١٩١٨م(٨٥). وتعرضت كذلك البوسنة والأفلاق للهجوم النمساوي ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م، إلا أن بگلربگی البوسنة حكيم أوغلي علي باشا ردّ هذا الهجوم ، ثم لم تلبث أن عقدت معاهدة ساروفچه عام ١١٥٢هـ/ ١٧٣٩م، وبمقتضاها تخلت النمسا عن الأراضي التي اكتسبتها - ومنها بلغراد كما سبق القول - وجرى الاعتراف بالحدود التي تقررت في البوسنة عقب معاهدة قارلوفچه التي سبقت الإشارة إليها ، وهكذا تكون الأفلاق والبغدان قد تخلصتا من الخطر الذي حاق بهما ، كما ترك الروس أيضًا ما استولوا عليه من أراضٍ ، وأعقب هذه المعاهدة - أي ساروفچه - فترة من

---

(٨٤) أوغلي ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ٥٩ - ٦٠ ؛ أوزتونا ، تاريخ ، مج١، ص ص ٥٧٥ - ٥٨٧.

(٨٥) الأرناؤوط ، تاريخ بلغراد الإسلامية ، ص ص ٦١ - ٩٧ ؛ الإسلام في يوغسلافيا، ص ص ٦٧ - ١٠٣.

اللاحرب لمدة ثلاثين سنة عرفت باسم الاسترخاء السلطاني ، وبرزت في ذلك الوقت أهمية الدبلوماسية في مسألة توازن القوى في أوروبا ، وظهر بوضوح أن الحروب ليست وحدها هي الحاسمة في كل وقت(٨٦) .

وقرب نهاية مرحلة السلام أو الاسترخاء السلطاني اندلعت الحرب العثمانية الروسية عام ١١٨٢هـ/ ١٧٦٨م، وفيها توغلت الجيوش الروسية في الأراضي العثمانية في نهر الدانوب ، واستولت على مناطق الحدود ، ثم دخلت الأفلاق والبغدان (رومانيا)، كما مدت الحرب إلى البحر المتوسط ، واستطاعت بمساعدة الإنجليز أن تحرق الأسطول العثماني عند جشمه عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م فضلاً عن احتلال القرم عام ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م، وعقب فشل الهدنة الموقعة بين الطرفين عام ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م عبر الروس مرة ثانية الدانوب ، ودخلوا قصبة حاجي أوغلي يازاري ، وألحقوا الهزيمة بالعثمانيين في موقعة قوزلوچة بالقرب من وارنا Varna آخر المواقع العثمانية ، ومن ثم لم تجد الدولة مفراً من قبول شروط الصلح الجائرة التي عرضتها روسيا ، وانعقدت معاهدة الصلح في قينارجة الصغرى عام ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م، والتي تعد أقسى المعاهدات التي أجبرت الدولة العثمانية ـ بسبب حالة التردي التي وصلت إليها ـ على توقيعها بعد معاهدة قارلوفچه التي سبقت الإشارة إليها ، فكان نهر آقصو (بوغ) هو الحد الفاصل الجديد بين أراضي الدولتين ، كما كفلت المعاهدة لسفن التجارة الروسية حق المرور من المضايق التركية ، فضلاً عن بعض المواد التي تمنح للروس حق حماية الأقليات الارثوذكسية ، وهو الأمر الذي أدى إلى تدخل روسيا في شئون الدولة العثمانية ، إلى جانب خروج القرم عن الحماية العثمانية ، وجعلها منطقة مستقلة ، وهو الأمر الذي أدى فيما بعد إلى قيام روسيا بضم القرم إلى أراضيها وغير ذلك(٨٧) ، وعقب هذا الصلح الفادح قامت النمسا عام ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م باقتطاع قطعة أرض من إمارة البغدان وهي بوكوفينا ، ولم تفعل الدولة العثمانية شيئًا وإنما وقفت كالمتفرجة ، وهو الأمر الذي يدل على مدى الضعف الذي سيطر عليها وقتذاك(٨٨) ، ولم تمض سنوات قلائل حتى اندلعت

---

(٨٦) أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ٦٠٩ ـ ٦١٢ ؛ أوغلي ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ٦٥ ـ ٦٨ .

(٨٧) أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ٦٢٣ ـ ٦٣١ ، أوغلي ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ٧١ ـ ٧٢ .

(٨٨) أوغلي ، الددولة العثمانية ، مج١ ، ص٧٢ .

الحرب العثمانية ضد روسيا والنمسا ١٢٠٢ ـ ١٢٠٣هـ/ ١٧٨٧ ـ ١٧٨٨م، واحتلت روسيا الأفلاق والبغدان (رومانيا) ، واستطاعت القوات النمساوية بحركاتها المتقدمة الجديدة أن تحقق نجاحًا عظيمًا فى صربيا والبوسنة ، ثم تستولى على بلغراد عام ١٢٠٤هـ/ ١٧٨٩م، غير أن بعض الأحداث السياسية المهمة التى برزت على الساحة آنذاك مهدت السبيل لعقد الصلح بين الأطراف الثلاثة ، فعقدت معاهدة عثمانية نمساوية فى زشتوى Zistovi عام ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م، وبمقتضاها عادت الدولة العثمانية إلى حدودها التى كانت عليها قبل الحرب ، واستعادت جميع المناطق التى فقدتها بما فى ذلك بلغراد مع استثناء بعض التعديلات البسيطة على الحدود وبعض الأراضى ، ثم لم تلبث أن عقدت معاهدة عثمانية روسية فى ياش Yas ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٢م ، وبمقتضاها أعادت روسيا من جديد مناطق الأفلاق والبغدان وكيلى واق كرمان وغيرها من الأماكن التى استولت عليها فى أثناء الحرب مع الدولة العثمانية ، فضلا عن زحزحة حدود الدولة العثمانية إلى الوراء من نهر آقصو (بوغ) حتى نهر طورله (دينيستر) فى مقابل أن تتخلى الدولة العثمانية عن أملها نهائيًا فى استعادة القرم ، وفى التخلى عن اوزى لروسيا وغير ذلك مما يتعلق بالوضع فى القوقاز ، وهو ما لا يعنينا فى هذا المقام(٨٩) .

ولا شك أن حالة التردى التى وصلت إليها الدولة العثمانية فى ذلك الوقت والهزائم التى منيت بها وإجبارها على قبول الصلح بشروط جائرة قاسية قد كشفت بجلاء أن الدولة العثمانية لن تتمكن من حماية وجودها ذاته فى مواجهة الدول الأوروبية، وهو الأمر الذى ولّد الشعور بضرورة التجديد والإصلاح حتى تستطيع الدولة أن تقف على قدميها من جديد ، ومن هنا ظهرت حركة الإصلاحات فى عهد السلطان سليم الثالث (١٢٠٤ ـ ١٢٢٢هـ/ ١٧٨٩ ـ ١٨٠٧م) التى عرفت بحركة «النظام الجديد» ، والتى كان هدفها الشامل هو إعادة النظر فى جميع المؤسسات داخل كيان الدولة وتنظيمها وتجديدها تبعًا لحاجة العصر وظروفه بما يتفق مع الأساليب الأوروبية الأكثر تقدمًا وصلاحية ويواكبها فى الوقت ذاته .

---

(٨٩) أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، مجـ١ ، ص ص ٦٣٩ ـ ٦٤٢ ؛ أوغلى ، الدولة العثمانية ، مجـ١ ، ص ص ٧٣ ـ ٧٨ .

غير أن الانتفاضات والحروب الداخلية فى أنحاء الدولة العثمانية عامة والبلقان خاصة ولا سيما من قبل أهالى الصرب والجبل الأسود ممن شاءوا الاستقلال عن الدولة ، ولجأوا إلى استخدام السلاح لتحقيق هدفهم ، فضلاً عن تكاثر الأعيان (اعيانلك) الأقوياء المتسلطين ، كانت عاملاً مهمًا فى فشل الإصلاحات المطلوبة مع عدم كفاية الكوادر القادرة على تنفيذ تلك الإصلاحات[٩٠]، وهو الأمر الذى ترتب عليه اندلاع ثورات الصرب فى البلقان عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م، وهو ما سوف نتطرق إليه فى المرحلة التالية.

ـ المرحلة الثانية ١٢١٩ ـ ١٣٤٠هـ/ ١٨٠٤ ـ ١٩٢٢م :

بدأت هذه المرحلة باندلاع ثورات الصرب فى البلقان عام ١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م مروراً بالثورات التى اشتعلت فى اليونان ومقدونيا وكريت والبوسنة والهرسك وثورات البلغار والألبان ، وما ترتب على ذلك من عقد المؤتمرات لمناقشة أزمة البلقان ، وتصفية الوجود العثمانى ، واقتسام إرثه فى أوروبا ، واندلاع الحرب البلقانية ، فالحرب العالمية الأولى، وانتهاءً بإلغاء السلطنة العثمانية فى عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م .

وعن تفاصيل هذه الأحداث التى أجملناها يمكن القول بأن بداية الثورات داخل البلقان قد ظهرت أولاً فى صربيا ، وقد بدأت انتفاضة الصرب حركةً للمقاومة ضد الانكشارية المحلية والأعيان المتسلطين الذين سبقت الإشارة إليهم ، ومع انهم لقوا تأييداً من الباب العالى نفسه ، إلا أن انتفاضتهم سرعان ما تحولت إلى حركة ثورية وطنية منظمة تزعمها قره يورغى بتروفيتش عام ١٨٠٤م، وقد أخذت هذه الانتفاضات الصربية أشكال حرب العصابات ، وكان للمساعدات العسكرية الروسية للصرب فى أثناء الحرب العثمانية الروسية (١٢٢١ ـ ١٢٢٧هـ/ ١٨٠٦ ـ ١٨١٢م) أثره الكبير فى اشتداد تلك الانتفاضات ، وقد مهدت عوامل كثيرة فى ذلك الوقت لقبول الدولة العثمانية منح الصرب الحكم الذاتى فى عام ١٢٣٢هـ/ ١٨١٦م، وتم التصديق على ذلك فى الاتفاقات التى عقدت مع روسيا فى آق كرمان ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م وأدرنة

---

(٩٠) أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ٦٤٣ ـ ٦٤٨ ؛ أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ٧٨ ـ ٧٩ ، ٨٣ ، ٨٦ ؛ مصطفى ، فى أصول التاريخ العثمانى ، ص ص ١٧٣ ـ ١٨٧ .

١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م، وبموجب وثيقة مؤرخة عام ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م تأكد رسميًا أن صربيا منطقة ذات حكم ذاتي ينتقل بالوراثة في أولاد وأحفاد ميلوش أوبرونوفيتش الذي كان قد انتخب أميراً لأمراء صربيا في عام ١٢٣١هـ/ ١٨١٥م[٩١]، كذلك انفجرت أولى حركات الثورة اليونانية عام ١٢٣٧هـ/ ١٨٢١م في إمارتي الأفلاق والبغدان (رومانيا) ذات الحكم الذاتي، ثم اشتعلت ثورة أخرى في المورة لم تلبث أن انتشرت خلال فترة وجيزة في وسط اليونان وجنوبه، واضطرت الدولة العثمانية لطلب العون من محمد علي باشا والي مصر لإخماد الثورة في أقرب وقت ممكن، ونجحت القوات المصرية في تحقيق ذلك عام ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م[٩٢]، غير أن روسيا وإنجلترا اتفقتا حول رأي واحد في ذلك الموضوع وهو ما عرف ببروتوكول بطرسبرج عام ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م؛ إذ كانتا تهدفان إلى تحقيق استقلال اليونان حتى ولو كان من خلال حكم ذاتي في البداية، ثم لم تلبث فرنسا هي الأخرى أن شاركت في ذلك البروتوكول، وهو ما عرف ببروتوكول لندن عام ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٧م، ومن ثم سارت اليونان نحو الاستقلال وراح يتأكد استقلالها من خلال مساعدة الدول الكبرى الأوروبية وضغوطها على الدولة العثمانية، ولما نظرت الدولة العثمانية إلى قرارات التحالف الثلاثي على أنه تدخل في شئونها الداخلية ورفضتها قامت معركة نوارين، واندلعت الحرب العثمانية الروسية في عام ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٨م، واستطاعت الجيوش الروسية أن تتقدم حتى أدرنة، وتحتل شرقي الأناضول، كذلك أدى التدخل الإنجليزي الفرنسي إلى نجاح اليونانيين في دعواهم، ومن هنا انعقدت معاهدة أدرنة ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م، وبمقتضاها أجبرت الدولة العثمانية على الاعتراف باليونان دولة مستقلة[٩٣]. ومع حل المسألة المصرية في عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م تم حل مشكلة المضايق التي كانت المسألة

---

(٩١) أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مج١، ص ص ٦٥٥ - ٦٥٦، ٦٦٧ - ٦٦٨؛ أوغلي، الدولة العثمانية، مج١، ص ص ٩٠ - ٩١.

(٩٢) أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مج١، ص ص ٦٧١ - ٦٧٥؛ أوغلي، الدولة العثمانية، مج١، ص ص ٩١ - ٩٤. ولمزيد من التفاصيل عن حروب محمد علي في اليونان، انظر عبيد، جميل، قصة احتلال محمد علي لليونان (١٨٢٤ - ١٨٢٧م) سلسلة تاريخ المصريين، العدد ٣٩، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٠م).

(٩٣) أوغلي، الدولة العثمانية، مج١، ص ص ٩٣ - ٩٥؛ أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مج٢، إستانبول، (١٩٩٠م)، ص ص ٩ - ١٤.

المصرية وراء ظهورها ، وذلك بموجب معاهدة المضايق فى لندن عام ١٢٥٧هـ/ ١٨٤١م، وفيها أجمعت الأطراف كلها على قاعدة عامة تحظر على السفن الحربية لجميع الدول العبور من المضايق فى وقت السلم ، غير أن عملية التدويل التى تقررت للوضع القانونى على المضايق قد جاءت معها أيضًا بتحجيم للحقوق العثمانية[٩٤] .

هذا وقد أدت ثورات عام ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م إلى اضطرابات عامة فى أوروبا لم تلبث أن تحولت إلى أحداث دامية نتيجة لثورات الشعوب التى تعرضت للتشتت والاضطهاد ، غير أن الذى يعنينا منها هو انتشار تلك الثورات فى الأفلاق والبغدان (رومانيا) ضد روسيا وليس الدولة العثمانية نظراً لتحكم الروس الذى ساد بوجه خاص عقب معاهدة أدرنة ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م، التى سبقت الإشارة إليها ، وهب الأهالى لمقاومة لائحة النظام الأساسى التى وضعها الروس وفرضوا تنفيذها بالقوة بل ومقاومة حكم الإمارة التى تقوم على تنفيذها ، وهو الأمر الذى أوجد مشكلة للدولة العثمانية نفسها بصفتها الدولة صاحبة السيادة ، ومن هنا اندلعت الحرب العثمانية الروسية من جديد عام ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م، وقد وقفت الحكومات الأوروبية المتحررة والرأى العام إلى جانب العثمانيين ، وقد أمكن التوصل إلى حل لمشكلة اللاجئين من خلال وفاق جرى التوصل إليه فحواه منح الإذن لمن شاء الاستقرار فى الأراضى العثمانية ، والسماح لمن يريدون الهجرة إلى الدولة التى يختارونها ، أما التطورات فى الإمارتين (الأفلاق والبغدان) فقد أمكن وضع حل لها فى نهاية المفاوضات العثمانية الروسية غير أن النفوذ الروسى وتدخلهم فى شئون هاتين الإمارتين قد أخذ فى الزيادة بينما بدأ النفوذ العثمانى فى التلاشى . ولم تلبث روسيا أن احتلت الإمارتين فى عام ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م، ومن ثم اندلعت الحرب العثمانية الروسية من جديد ووقفت إنجلترا وفرنسا عقب رفض روسيا الجلاء عن الإمارتين بجانب العثمانيين ، بل واشتركتا فى حرب القرم عام ١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م، وعلى الرغم من الخسائر الفادحة فقد انتهت الحرب بالنصر ، وجرت مفاوضات الصلح فى باريس ، واتفقوا على فرمان الإصلاح عام ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م وكأنه وثيقة قام بإعدادها سفراء الدول المتحالفة فى استانبول ، وبمقتضاه حصل رعايا الدول

---

(٩٤) أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، مج٢ ، ص ص ٣٦ ـ ٤١ ؛ أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ٩٦ ـ ٩٧ ، ١٠١ ـ ١٠٢ .

العثمانية من غير المسلمين على المساواة التامة والمطلقة فى الحقوق السياسية مع المسلمين ، وقد ترتب على إعلان فرمان الإصلاح هذا حدوث اضطرابات عامة وأحداث دامية فى أنحاء مختلفة من الدولة العثمانية ، ومنها البوسنة والهرسك وبلغاريا ، وقد انتشرت فيهما حركات السخط وكثرت المصادمات فى أنحاء متفرقة من البلاد[٩٥] .

ولم يلبث الوضع القانونى لإمارتى الأفلاق والبغدان الذى نصت عليه معاهدة باريس عام ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م أن دخل مرحلة جديدة بانتخاب أمير واحد على الإمارتين ، وهو الكسندر جوزا ، وهو الانتخاب الذى مثل الخطوة الأولى نحو الوحدة ، وقد أيدته فرنسا ، واعترفت به الدولة العثمانية هى الأخرى فى فرمان عام ١٢٧٨هـ/ ١٨٦١م، وتطورت الأحداث ، وأعلن عن قيام كنيسة رومانية مستقلة وطنية عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م[٩٦] . واستطاعت صربيا التى تمتعت بالحكم الذاتى منذ عام ١٢٣٢هـ/ ١٨١٦م أن تستغل فرصة الحروب العثمانية الروسية ، وتقوم بتحسين وضعها ، وتقوية موقفها حتى ضعف ارتباطها القانونى بالدولة العثمانية إلى أدنى المستويات ، ففى عام ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م تخلت الدولة العثمانية لصربيا عن قلعتى سكود واسكيشهر (Ujitsa) ، كما جرى سحب الحاميات العثمانية المرابطة فى قلاع بلغراد ويوكردلن (Sabaç) وسمندره وفتح الإسلام (Gladova) فى عام ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م، وبذلك انفتح الباب أمام صربيا لتصبح دولة مستقلة من الناحية القانونية[٩٧] .

ولم تشأ اليونان التى حصلت على استقلالها عقب معاهدة أدرنة عام ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٩م ، أن تتطلع إلى تحقيق حلمها فى اليونان الكبرى والحلم البيزنطى ، فأخذت تتوسع فى أراضيها على حساب أراضى الدولة العثمانية ، ولم تلبث إنجلترا أن قامت بتسليمها الجزر السبع التى كانت قد استولت عليها عام ١٢٣١هـ/ ١٨١٥م، وذلك فى عام ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م، كما حاولت اليونان ضم جزيرة كريت مستغلة فى ذلك الثورات التى اندلعت فى الجزيرة عام ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م، ولم تهدأ ثورة كريت إلا بعد القيام بعملية عسكرية وجهود دبلوماسية وذهاب الصدر الأعظم على باشا بنفسه إلى الجزيرة

---

(٩٥) أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، مج٢ ، ص ص ٤٦ ـ ٥٨ ؛ أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ١٠٣ ـ ١٠٦ .

(٩٦) أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص١٠٧ .

(٩٧) أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ١٠٨ ـ ١٠٩ .

وقيامه بإصلاحات واسعة فيها ، وصدر فرمان الإصلاح المؤرخ عام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م بمنح الجزيرة الحكم الذاتى[٩٨] .

وتطورت الأحداث تطوراً سريعًا فى البلقان ، فقامت ثورة البلغار الذين نجحوا فى إقامة كنيسة وطنية مستقلة خاصة بهم عام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م[٩٩]، وثورات البوسنة والهرسك عام ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م، وثورة البلغار الثانية عام ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م، وثورة الجبل الأسود وإعلانه الحرب على الدولة العثمانية فى نفس العام (أى ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م). ولم يقف الأمر عند ذلك الحد ، بل قامت روسيا باحتلال البلقان وشرق الأناضول عام ١٢٩٤هـ/ ١٨٧٧م، وقد مهدت كل تلك التطورات السبيل لعقد مؤتمر دولى فى اياستفانوس (يشيل كوى بالتركية) عام ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م لبحث ومناقشة أزمة البلقان ، وعلى الرغم من أن هذه المعاهدة قد انهت الحرب العثمانية الروسية فإنها كانت ببنودها القاسية الجائرة المكونة من ٢٩ مادة تؤمن التفوق الروسى فى البلقان على حساب العثمانيين والنمسا ، ومن ثم قامت الدبلوماسية العثمانية من قبل السلطان عبد الحميد الثانى (١٢٩٣ ـ ١٣٢٧هـ/ ١٨٧٦ ـ ١٩٠٩م) بدور بارز لتعديل تلك المعاهدة وكأنها لم تكن ، ومن هنا أمكن التوصل ، بعد أقل من خمسة أشهر من نفس العام (أى ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م) إلى عقد مؤتمر برلين ومعاهداتها ، والتى نصت على تعديل جزئى المعاهدة الأولى وراعت مصالح الدول الأخرى ، وحالت دون تحول الميراث العثمانى الذى استولت عليه روسيا وحدها إلى ذريعة لنشوب حرب أوروبية عامة كما حدث فى حرب القرم عام ١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م ، التى سبقت الإشارة إليها .

وعلى الرغم من أن هذه المعاهدة قد أطالت الوجود العثمانى فى بعض دول البلقان لمدة ٣٥ سنة أخرى فإنه يمكن القول بأنها تمثل المرحلة الثانية المهمة بعد معاهدة قارلوفچه عام ١١١١هـ/ ١٦٩٩م فى تصفية الوجود العثمانى فى أوروبا عامة والبلقان خاصة[١٠٠]، وسوف تستكمل تلك التصفية معاهدة لندن التالية فى عام ١٣٣٢هـ/

---

(٩٨) أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص١٠٩ .

(٩٩) أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص١١٠ .

(١٠٠) أورتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، مج٢ ، ص ص ١٠٧ ـ ١١٦ ، ١٢١ ـ ١٢٣ ؛ أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ١١٠ ، ١١٢ .

١٩١٣م كما سنشير فيما بعد .

وبمقتضى معاهدة برلين تم استقلال كل من صربيا والجبل الأسود (قره داغ أومونتنجرو) ورومانيا ، وتأسست إمارة بلغاريا تتمتع بالحكم الذاتى بين نهر الطونه (الدانوب) وجبال البلقان إلا أنها تظل تابعة للعثمانيين ، وتأسست فى جنوب جبال البلقان ولاية الروملى الشرقية ، ويكون مركزها مدينة فيلبه (بلوفديف حاليا) إلا أن الإمارة البلغارية سرعان ما قامت بضم هذه الولاية ضمن أراضيها فى عام ١٣٠٣هـ/ ١٨٨٥م، ومن ثم ضعفت السيطرة على تلك المنطقة تماما .

وبالنسبة للبوسنة والهرسك فقد تركتا للاحتلال والحكم النمسوى المجرى بعد تحطيم المقاومة التى قام بها شعبها المسلم ، وتضع النمسا جنوداً لها فى لواء ينى بازار (بالصربية نوفابازار (Novibazar) الذى يفصل صربيا عن الجبل الأسود ويحول دون حصولهما على حدود مشتركة ، وغير ذلك من القرارات الجائرة[١٠١] . ومع التنازل عن بعض الأراضى للجبل الأسود ومعها مدن الموانئ مثل بار (Bar)، ظهرت أزمات جديدة ؛ فانتهزت اليونان هى الأخرى تلك الفرصة ، ووسعت حدودها بالاستيلاء على ابيروتساليا ، وتحقق الارتباط البرى من جديد مع مقدونيا التى أعيدت للدولة العثمانية ومع الأراضى الباقية فى الروملى فى حوذة الدولة العثمانية ، وبالتالى مع ألبانيا التى كانت تسعى هى الأخرى لتسوية أمورها بنفسها فى خضم هذا التشتت وتحاول ترسيخ آمالها القومية[١٠٢].

وقد ترتب على هذه الأوضاع الجديدة هجرات جماعية من قبل المسلمين نحو الأماكن الآمنة تاركين خلفهم أموالهم وعقاراتهم خوفًا على أرواحهم وهربًا من المجازر الوحشية التى أعملها فيهم هؤلاء المحتلون الجدد من الصرب والبلغاريين والنمساويين والمجريين وغيرهم ، وقد أدى ذلك إلى حدوث مشكلات كثيرة سوف يستغرق حلها أعوامًا طويلة ، وهو الأمر الذى كان يشكل أهم الأحداث القومية فى القرن ١٣هـ/١٩م[١٠٣].

---

(١٠١) أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، مج٢ ، ص ص ١٢٣ ـ ١٢٥ .

(١٠٢) أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص١١٢ .

(١٠٣) أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص١١٣ .

وقامت إنجلترا بالاستيلاء على جزيرة قبرص عام ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م أيضًا[١٠٤]، وبرزت فى نفس العام المشكلة المقدونية التى جعلت مرجل البلقان الذى كان يغلى حتى عشية الحرب العالمية الأولى يأتى إلى نقطة الإنفجار . ومهما يكن من أمر فقد اشتعلت الثورات فى مقدونيا خلال عامى ١٣١٨ ـ ١٣١٩هـ/ ١٩٠١ ـ ١٩٠٢م، وهو الأمر الذى مهد إلى حصولها على الحكم الذاتى تحت الرقابة الدولية عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٣م[١٠٥]. كذلك اشتعلت الثورات فى كريت عام ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م، وانتهى الأمر بحصولها على الحكم الذاتى عام ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م مما سيسفر بعد ذلك عن ضمها إلى اليونان عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م[١٠٦].

وفى عام ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م قامت النمسا والمجر بضم البوسنة والهرسك رسميًا إلى أراضيهما بعد أن كانت تديرها منذ عام ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٨م، وفى نفس العام بل وفى نفس اليوم ـ وهو ٥ أكتوبر ١٩٠٨م ـ قامت بلغاريا بإعلان استقلالها ونظامها القيصرى[١٠٧].

وكان للسياسات الخاطئة التى اتبعتها حكومات الاتحاد والترقى أثرها فى اشتعال الثورات فى البلقان من جديد ، ومن ذلك ثورة الألبان (الارناؤوط) عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م مطالبين بحقهم فى الحكم الذاتى أو الاستقلال ، وجرى إخماد الثورة بالقوة بل وقام السلطان العثمانى محمد رشاد (وهو محمد الخامس ١٣٢٧ ـ ١٣٣٦هـ/ ١٩٠٩ ـ ١٩١٨م) بزيارة للمنطقة فى نفس العام ، طاف خلالها فى الولايات التى تضم أعداداً كثيرة من الألبان مثل (اسكوب وقوصوه ومناستر وبرشتينه) غير أن ذلك لم يكف لإصلاح الأوضاع الجارية وتحقيق المصالحة بين الألبان والاتحاد والترقى ، ومن ثم ثار الألبان مرة أخرى عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م، وأعلنت ألبانيا استقلالها فى نفس العام ،

---

(١٠٤) أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، مج٢ ، ص ص ١٣٢ ـ ١٣٤ ؛ يحيى ، التطور التاريخى لجزيرة قبرص ، ص ص ١٣٥ ـ ١٣٦ ؛ شاكر ، المسلمون فى قبرص ، ص ص ٢٩ ـ ٣٠ .

(١٠٥) أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ١١٣ ، ١٢١ ـ ١٢٤ ؛ أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية، مج٢ ، ص ص ١٦٠ ـ ١٦٢ .

(١٠٦) أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ١٢٠ ـ ١٢١ ، ١٢٨ .

(١٠٧) أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص١٢٨ ؛ أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، مج٢ ، ص ص ١٧٨ ـ ١٧٩ .

وتحديداً فى ٢٩ نوفمبر ، واعترفت الدول الكبرى بذلك فى ١٧ ديسمبر من نفس العام[١٠٨] .

وكان للحرب العثمانية الإيطالية (١٣٢٩ ـ ١٣٣٠هـ/ ١٩١١ ـ ١٩١٢م) من جهة والسياسات الخاطئة التى اتبعتها حكومات الاتحاد والترقى وقانون الكنائس والمدارس الشهير من جهة ثانية أثرها فى تحالف دول البلقان (اليونان وصربيا والجبل الأسود وبلغاريا) وبالتالى اندلاع حرب البلقان الأولى عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م التى دارت رحاها فى ألبانيا ومقدونيا وتراقيا وانتهت بهزيمة فادحة ، واستولى البلغار على أدرنة وتقدموا حتى جتالجة ، أما الصرب فقد أخذوا مناستر بينما استولت اليونان على سلانيك ، وبذلك فقدت الدولة العثمانية آخر ما كان لها من أراضى البلقان ، بل وأولى الأماكن التى فتحتها بها ، وأعقب تلك الهزيمة الفادحة موجة من الهجرة الواسعة ، وعاش الناس مرة أخرى كارثة « هزيمة عام ثلاثة وتسعين »، واضطر مئات الآلاف من أهالى الروملى المسلمين إلى ترك ديارهم ، وتعرض الكثيرون منهم لعمليات الإبادة الوحشية ، وفتكت ببعضهم الآخر الأمراض ، وبدأ الناس يعيشون أيامًا قاسية مريرة وتطورت أحداث الحرب البلقانية بدرجة كبيرة ، وهو الأمر الذى مهد السبيل إلى عقد معاهدة لندن عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣ ، وعلى الرغم من أن هذه المعاهدة أنهت الحرب البلقانية الأولى إلا أنها تمثل المرحلة الأخيرة فى تصفية الوجود العثمانى فى البلقان ، وعلى ذلك يعتبرها البعض إحدى أقسى المعاهدات التى وقع عليها الأتراك طوال تاريخهم[١٠٩] .

ولما اضطربت الأحوال فى استانبول نتيجة لما أسفرت عنه الحرب البلقانية الأولى وما أعقبها من مؤتمر لندن ، تحول التحالف بين دول البلقان إلى صدام مسلح فيما بينهما لاقتسام الإرث العثمانى ، وكانت بلغاريا هى صاحبة النصيب الأكبر فى تلك القسمة ، فلما عارضها الحلفاء الثلاثة الآخرين بما فيهم رومانيا اشتعلت الحرب البلقانية الثانية

---

(١٠٨) أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ١٣٠ ـ ١٣٣ .
(١٠٩) أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، مج٢ ، ص ص ٢٠٨ ـ ٢٢١ ؛ أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ١٣١ ـ ١٣٢ .

بين الدول المتحالفة فى نفس العام ـ أى ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م ـ وانتهزت الدولة العثمانية الفرصة ، واستردت أدرنه وقرقلر ايلي دون أن تواجه بمقاومة تذكر ، وانتهت حرب البلقان الثانية بمعاهدة بوخارست فى عام ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م، وبالتحديد فى العاشر من شهر أغسطس واستردت الدولة العثمانية قسمًا كبيراً من أراضيها التى استولت عليها بلغاريا ، وعقدت عدة معاهدات فى ذلك الوقت ، ومنها معاهدة الصلح بين العثمانيين والبلغار فى استانبول فى ٢٩ سبتمبر ١٩١٣م، ومعاهدة الصلح مع اليونان فى أثينا فى ١٤ نوفمبر ١٩١٣م، ومعاهدة الصلح مع صربيا فى استانبول فى ١٤ مارس ١٩١٤م، وبذلك أمكن التوصل إلى صلح عام مع دول البلقان [١١٠]، على الرغم من فقدان الدولة العثمانية لأراضيها فى أوروبا باستثناء الجزء المعروف بتركيا الأوروبية أو تراقيا الغربية. ولم تلبث أن قامت الحرب العالمية الأولى (١٣٣٢ ـ ١٣٣٦هـ/ ١٩١٤ ـ ١٩١٨م)[١١١] ، وخيمت سحبها الداكنة فوق أجواء البلقان ، وانكفأ الوجود العثمانى المتبقى فوق هذه الأرض إثر الهزيمة التى حلت بالجنود الأتراك والألمان وحلفائهما ومع انتصار الحلفاء ، أعداء الدولة العثمانية ، ترك المسلمون فى تلك البلاد فريسة سهلة بأيديهم وهم يصارعون ذئاب المستقبل الضارية ، وقد كشرت عن أنيابها واتجهت لتصفية حساباتها القديمة معهم .

وازدادت حدة المأساة ولوعة الأسى ألمًا بعد الفراق ، فراق الفرع للأصل ، إذ تطورت الأحداث فى تركيا بصورة كبيرة عقب انتهاء الحرب وهو الأمر الذى مهد السبيل إلى إعلان انتهاء السلطنة العثمانية وإلغائها إلى الأبد فى عام ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م، ثم إعلان قيام الجمهورية التركية الحديثة برئاسة أتاتورك مصطفى كمال باشا فى العام التالى ـ أى ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م ـ مما أسفر عن إلغاء منصب الخلافة الإسلامية فى عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٤م، وبذلك أجبر الخليفة العثمانى الأخير ـ وهو عبد المجيد الثانى (١٣٤٠ ـ ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٢ ـ ١٩٢٤م) وبقية أفراد الأسرة العثمانية على مغادرة البلاد نهائيًا[١١٢].

---

(١١٠) أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، مج٢ ، ص ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ؛ أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص١٣٣ .

(١١١) أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، مج٢ ، ص ص ٢٢٥ ـ ٢٤٠ ؛ أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص ص ١٣٣ ـ ١٤٤ .

(١١٢) أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية ، مج٢ ، ص ص ٢٦٠ ـ ٢٦٣ .

وهكذا غربت شمس الدولة العثمانية بعد أن عمرت فترة طويلة تقدر بنحو ٦٤٢ عامًا هجريا (٦٩٩م - ١٣٤١هـ) ويقابلها ٦٢٣ عاما ميلاديا ١٢٩٩ - ١٩٢٢م وعلي ذلك كانت أطول دول الترك بقاءً وحكمت شعوبا ومللا ونحلا غير متجانسة فوق قارات ثلاث : أسيا وأوروبا وأفريقيا ، وخطب لسلاطينهم منذ عهد السلطان سليم الأول فى الولايات العربية طوال ٤١٩ عاما هجريا (ويقابلها ٤٠٦ عاما ميلاديا) .

ثالثًا : التسلسل التاريخي لعصور الخلافة ومعجم لأهم الدول والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامى(١١٣) :

ينبغى أن يكون واضحًا ، بادئ ذى بدء ، إلى أننا لا نسعى فى هذه العجالة إلى

---

(١١٣) اعتمدنا بدرجة رئيسية على قوائم وجداول الكتب المتعلقة بدراسة الأنساب والأسر الحاكمة فى التاريخ الإسلامى مع إجراء التعديلات والتصحيحات والتصويبات فى ضوء الدراسات الحديثة ، ومن هذه الكتب Lane Poole, S, The Mohammadan dynasties : Chronalogical and genelogical tables with historical introduction, London (1893) . (الأسرات الحاكمة الإسلامية - قوائم فى التاريخ والأنساب - لندن ١٨٩٣م) ، وقام بترجمته إلى اللغة الروسية وأضاف إليه قائمة قيمة بتصويباته المستشرق الروسى الكبير بارتولد Bartold, W, Musulmanskiya dynasity st Petersburg, (1899) (الأسرات الحاكمة الإسلامية - سانت بطرسبرج ١٨٩٩م) ثم قام بترجمته إلى اللغة التركية الأستاذ خليل أدهم عام ١٩٢٧م Edem. H., Duvel - i Islamiya, Istanbul 1345/ 1927 . (الدولة الإسلامية - استانبول ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٧م) وقد تمت ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية ثلاث ترجمات ، الأولى قام بها مكى طاهر الكعبى بعنوان سلاطين الإسلام بغداد ١٩٦٨م، والثانية أحمد السعيد سليمان فى جزئين تحت عنوان تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، القاهرة ١٩٦٩م، والثالثة محمد صبحى فرزات تحت عنوان الدول الإسلامية فى قسمين، إشراف وتعليق محمد أحمد دهمان ، دمشق ١٩٧٣م. وقام ادوارد سخاو بوضع كتاب عنوانه الأسرات الحاكمة الإسلامية عام ١٩٢٣م . Sachau, E., Ein Verzeichnis Mohammedanische Dynastien, Phil. Hist. K I. (1923) . (ولم يترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية بعد ، فضلا عن أنه قد اعتمد فى تأليفه بصفة رئيسية على كتاب منجم باشى المتوفى ١١١٣هـ/ ١٧٠٢م) وفيه إضافات على ما ورد فى لين بول). ثم قام المستشرق النمساوى أدوارد فون زمباور بوضع كتاب مهم عنوانه : Vonzambaur, E., Manuel de genelogie et de chronologie Pour :'histoire de L'islam, Honover, 1927 . وقد تمت ترجمته تحت عنوان « معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى » - ترجمة زكى محمد حسن وآخرين ، القاهرة (١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م)، بيروت ، ط٢ (١٩٨١م) .ثم قام =

تقديم إحاطة كاملة أو تغطية شاملة لكافة الدول والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى على نحو ما ظهر فى دراسات أخرى مهمة مثل لين بول وزامباور وسخاو وبوزورث وغيرهم ، فإن مثل هذا الموضوع ، فضلا عن كونه يخرج عن إطار خطة هذا الكتاب أو المنهج المرسوم له ، يحتاج إلى مشروع ضخم يضطلع به فريق عمل من المتخصصين فى شتى مجالات التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية حتى يمكن تصحيح العديد من الأخطاء وسد الثغرات واضافة الكثير من الحقائق الجديدة .

ولكن الهدف الذى نسعى إليه هو مجرد تتبع التسلسل التاريخى لعصور الخلافة وأهم الدول والأسرات الحاكمة التى كان لها دور بارز فى ركب مسيرة الحضارة الإسلامية على النحو الذى سنشير إليه فى هذا الكتاب أو فى المفصل إن شاء الله ؛ وبالتالى يستطيع القارئ العام أو الدارس المبتدئ أن يربط الاسهامات والإنجازات الحضارية بالفترة التاريخية التى ترجع إليها بصفة عامة ، وفى عهد أى من حكام هذه الفترة بصفة خاصة ؛ وهو الأمر الذى يؤدى فى النهاية إلى إبراز موضع هذه الفترة والقدر الذى أسهمت به بين مختلف فترات التاريخ الإسلامى من جهة ، بل وإبراز مكانة حكامها ورجالاتها من جهة أخرى .

= بوزورث بوضع كتاب عنوانه : Bosworth, C. E., Islamic Dynasties a Chronoligical and geneogolical handbook, (1967). وتمت ترجمته إلى العربية تحت عنوان « الأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى دراسة فى التاريخ والأنساب ـ ترجمة حسين على اللبودى ، مراجعة سليمان إبراهيم العسكرى ـ الكويت ـ القاهرة ـ ط٢ (١٩٩٥م) وانظر أيضًا مقدمة الكتاب ـ ص٧ ـ ١٤) . كذلك إعتمدنا على بعض الدراسات الحديثة ولا سيما دراسة النقوش الكتابية على مختلف أنواع الآثار الإسلامية الباقية كالعمارة والفنون الزخرفية والتشكيلية والمسكوكات (وهو المشروع الذى أسهمنا فى الكتابة فيه بدراسة عنوانها « النقوش الكتابية الإسلامية وقيمتها التاريخية ، الرياض ، (٢٠٠٠م) ، النقوش الأثارية مصدراً للتاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، المجلد الأول ، القاهرة (٢٠٠٢م)؛ الحسينى ، محمد باقر ، تحقيقات واستدراكات وإضافات على ما ورد فى معجم الأنساب والأسرات الحاكمة لزامباور على ضوء نقود الدول الإسلامية فى الهند ما بين القرنين الخامس والعاشر الهجريين (١١ ـ ١٦م) مجلة اليرموك للمسكوكات ، المجلد ٨ (١٩٩٦م) وغير ذلك .

أولاً : عصور الخلافة :

أ ـ الخلفاء الراشدون[114] (رضى الله عنهم) (٤ خلفاء) ١١ ـ ٤٠هـ/ ٦٣٢ ـ ٦٦١م

١ ـ أبو بكر الصديق ١١ ـ ١٣هـ/ ٦٣٢ ـ ٦٣٤م .

٢ ـ عمر بن الخطاب ١٣ ـ ٢٣هـ/ ٦٣٤ ـ ٦٤٣م .

٣ ـ عثمان بن عفان ٢٣ ـ ٣٥هـ/ ٦٤٤ ـ ٦٥٥م .

٤ ـ على بن أبى طالب ٣٥ ـ ٤٠هـ/ ٦٥٥ ـ ٦٦٠م

ب ـ الخلفاء الأمويون[115] (١٤ خليفة) ٤١ ـ ١٣٢هـ/ ٦٦١ ـ ٧٥٠م :

١ ـ معاوية بن أبى سفيان ٤١ ـ ٦٠هـ/ ٦٦١ ـ ٦٨٠م .

٢ ـ يزيد بن معاوية (يزيد الأول) ٦٠ ـ ٦٤هـ/ ٦٨٠ ـ ٦٨٣م .

٣ ـ معاوية بن يزيد (معاوية الثانى) ٦٤هـ/ ٦٨٣م .

٤ ـ مروان (مروان الأول) بن الحكم ٦٤ ـ ٦٥هـ/ ٦٨٤ ـ ٦٨٥م .

٥ ـ عبد الملك بن مروان ٦٥ ـ ٨٦هـ/ ٦٨٥ ـ ٧٠٥م .

---

(١١٤) عن عصر الخلفاء الراشدين (رضى الله عنهم) وأحداثه الداخلية والخارجية والنقود السائدة انظر ، شاهين ، حمدى ، الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين ، القاهرة ٢٠٠٣م ؛ رمضان ، عاطف منصور ، موسوعة النقود فى العالم الإسلامى ، الجزء الأول ، نقود الخلافة الإسلامية ، القاهرة (٢٠٠٤م)، ص٤٦ ـ ٥٨ ؛ شلبى ، أبو زيد ، الخلفاء الراشدون ، القاهرة ، د ت ؛ بخيت ، عبد الحميد، عصر الخلفاء الراشدين ، القاهرة ، ط٣ (١٩٦٧م)؛ بن سلم ، أحمد سعيد ، حروب الردة وبناء الدولة الإسلامية ، القاهرة (١٩٩٤م) ؛ فوزى ، فاروق عمر ، وآخرين ، عصر النبوة والخلافة الراشدة ، بغداد (١٩٨٦م).

(١١٥) عن عصر الخلفاء الأمويين وأحداثه الداخلية والخارجية حتى سقوط الدولة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م انظر ، النجار ، محمد الطيب ، الدولة الأموية فى الشرق بين عوامل البناء ومعاول الفناء ، القاهرة (١٩٦٢م)؛ أحمد ، محمد حلمى محمد ، الخلافة والدولة فى العصر الأموى ، القاهرة (١٩٧١م)؛ عاقل ، نبيه ، خلافة بنى أمية ، دمشق (١٩٧٢م)؛ شعبان ، محمد عبد الحى ، صدر الإسلام والدولة الأموية ، بيروت (١٩٨٣م)؛ العش ، يوسف ، الدولة الأموية ، دمشق (١٩٨٥م) ؛ القسوس ، نايف ، مسكوكات الأمويين فى بلاد الشام ، عمان (١٩٩٦م)؛ طقوش ، محمد سهيل ، تاريخ الدولة الأموية ، بيروت (١٩٩٦م)؛ شاهين ، حمدى ، الدولة الأموية المفترى عليها ، القاهرة (٢٠٠١)؛ عبد اللطيف عبد الشافى محمد ، العالم الإسلامى فى العصر الأموى ، القاهرة ، ط٤ (٢٠٠٢م)؛ رمضان ، موسوعة النقود فى العالم الإسلامى ، الجزء الأول ، ص٦١ ـ ١٢٦ ؛ شلبى ، أبو زيد ، تاريخ الدولة الأموية بالمشرق ، القاهرة ، د ت .

٦ ـ الوليد بن عبد الملك (الوليد الأول) ٨٦ ـ ٩٦هـ/ ٧٠٥ ـ ٧١٥م .
٧ ـ سليمان بن عبد الملك ٩٦ ـ ٩٩هـ/ ٧١٥ ـ ٧١٧م .
٨ ـ عمر بن عبد العزيز بن مروان ٩٩ ـ ١٠١هـ/ ٧١٧ ـ ٧٢٠م .
٩ ـ يزيد بن عبد الملك (يزيد الثاني) ١٠١ ـ ١٠٥هـ/ ٧٢٠ ـ ٧٢٤م .
١٠ ـ هشام بن عبد الملك ١٠٥ ـ ١٢٥هـ/ ٧٢٤ ـ ٧٤٣م .
١١ ـ الوليد بن يزيد بن عبد الملك (الوليد الثاني) ١٢٥ـ ١٢٦هـ/ ٧٤٣ ـ ٧٤٤م.
١٢ ـ يزيد بن الوليد بن عبد الملك (يزيد الثالث) ١٢٦هـ/ ٧٤٤م .
١٣ ـ إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ١٢٦هـ/ ٧٤٤م .
١٤ ـ مروان بن محمد بن مروان (مروان الثاني أو مروان الحمار) ١٢٧ ـ ١٣٢هـ/ ٧٤٥ ـ ٧٥٠م .

جـ ـ الخلفاء العباسيون[(١١٦)] (٣٧ خليفة) ١٣٢ ـ ٦٥٦هـ/ ٧٥٠ ـ ١٢٥٨م :

العصر العباسى الأول ١٣٢ ـ ٢٣٢هـ/ ٧٥٠ ـ ٨٤٧م :

١ ـ أبو العباس عبد الله السفاح ١٣٢ ـ ١٣٦هـ/ ٧٥٠ ـ ٧٥٤م .

---

(١١٦) عن عصر الخلفاء العباسيين بمراحله الخمس وأحداثه الداخلية والخارجية حتى سقوط الدولة على أيدى المغول ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م انظر ، الدورى ، عبد العزيز ، العصر العباسى الأول ، بغداد (١٩٤٥م)؛ دراسات فى العصور العباسية المتأخرة ، بغداد (١٩٤٥م)؛ أحمد ، محمد حلمى ، الخلافة والدولة فى العصر العباسى ، القاهرة (١٩٥٩م)؛ الزبيدى ، محمد حسين ، العراق فى العصر العباسى ، القاهرة (١٩٥٩م)؛ العراق فى العصر البويهى ، القاهرة (١٩٦٩م)؛ فوزى ، فاروق عمر ، العباسيون الأوائل، جـ١ ، بيروت (١٩٧٠م) ، جـ٢ ، دمشق (١٩٧٢م)؛ الخلافة العباسية ، جزءان ، عمان (١٩٩٨م)؛ الناصر لدين الله الخليفة الداهية ، بغداد (١٩٨٩م)؛ مصطفى ، شاكر ، دولة بنى العباس ، جزءان ، الكويت (١٩٧٣م)؛ الباشا ، حسن ، دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، القاهرة (١٩٧٥م)؛ محمود ، حسن أحمد ، الشريف ، أحمد إبراهيم ، العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، القاهرة ، ط٤ ، (١٩٨٠م) ماجد ، عبد المنعم ، العصر العباسى الأول أو القرن الذهبى فى تاريخ الخلفاء العباسيين ، التاريخ السياسى ، الجزء الأول ، القاهرة ، ط٣ (١٩٨٤م)؛ طقوش ، محمد سهيل ، تاريخ الدولة العباسية ، بيروت (١٩٩٦م)؛ رمضان ، موسوعة النقود ، ص١٧١ ـ ٢٩٨ ؛ العوفى ، محمد سالم ، العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية فى العصر السلجوقى (١٩٨٢م)؛ الزهرانى ، محمد مسفر ، نفوذ السلاجقة السياسى فى الدولة العباسية ٤٤٧ ـ ٥٩٠هـ ، بيروت (١٩٨٢م) ؛ السهيل ، نايف عيد ، السياسة الخارجية للدولة العباسية فى العصر العباسى الأول ، الكويت ط٢ (١٩٩٤م)؛ العدوى ، إبراهيم ، المجتمع العربى ومناهضة الشعوبية ، القاهرة (١٩٦١م)؛ الحينى ، محمد جابر ، الشيعة المتطرفين وأثرهم فى الحياة الاجتماعية والأدبية لمدن العراق ابان العصر العباسى الأول ، القاهرة ، ط٢ ، (١٩٦٧م). اللميلم ، عبد العزيز محمد ، العلاقات بين العلويين والعباسيين من سنة ٩٨ إلى سنة ٢٣٢هـ، بيروت ، ط٤ (١٩٩٢م) ؛ بدر ، مصطفى طه ، محنة الإسلام الكبرى أو زوال الخلافة العباسية من بغداد على أيدى المغول ، القاهرة ، ط٢ (١٩٩٩م).

٢ ـ أبو جعفر عبد الله المنصور ١٣٦ ـ ١٥٨هـ/ ٧٥٤ ـ ٧٧٥م .
٣ ـ محمد المهدى ١٥٨ ـ ١٦٩هـ/ ٧٧٥ ـ ٧٨٥م .
٤ ـ موسى الهادى ١٦٩ ـ ١٧٠هـ/ ٧٨٥ ـ ٧٨٦م .
٥ ـ هارون الرشيد ١٧٠ ـ ١٩٣هـ/ ٧٨٦ ـ ٨٠٩م .
٦ ـ محمد الأمين ١٩٣ ـ ١٩٨هـ/ ٨٠٩ ـ ٨١٣م .
٧ ـ عبد الله المأمون ١٩٨ ـ ٢١٨هـ/ ٨١٣ ـ ٨٣٣م .
٨ ـ أبو إسحق المعتصم بالله ٢١٨ ـ ٢٢٧هـ/ ٨٣٣ ـ ٨٤٢م .
٩ ـ الواثق بالله ٢٢٧ ـ ٢٣٢هـ/ ٨٤٢ ـ ٨٤٧م .

العصر العباسى الثانى (العصر التركى فى الدولة العباسية) (٢٣٢ـ ٣٣٤هـ/ ٨٤٧ـ ٩٤٥م)

١٠ ـ المتوكل على الله ٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ/ ٨٤٧ ـ ٨٦١م .
١١ ـ المنتصر بالله ٢٤٧ ـ ٢٤٨هـ/ ٨٦١ ـ ٨٦٢م .
١٢ ـ المستعين بالله ٢٤٨ ـ ٢٥١هـ/ ٨٦٢ ـ ٨٦٥م .
١٣ ـ المعتز بالله ٢٥١ ـ ٢٥٥هـ/ ٨٦٥ ـ ٨٦٩م .
١٤ ـ المهتدى بالله ٢٥٥ ـ ٢٥٦هـ/ ٨٦٩ ـ ٨٧٠م .
١٥ ـ المعتمد على الله ٢٥٦ ـ ٢٧٩هـ/ ٨٧٠ ـ ٨٩٢م .
١٦ ـ المعتضد بالله ٢٧٩ ـ ٢٨٩هـ/ ٨٩٢ ـ ٩٠٢م .
١٧ ـ المكتفى بالله ٢٨٩ ـ ٢٩٥هـ/ ٩٠٢ ـ ٩٠٨م .
١٨ ـ المقتدر بالله ٢٩٥ ـ ٣٢٠هـ/ ٩٠٨ ـ ٩٣٢م .
١٩ ـ القاهر بالله ٣٢٠ ـ ٣٢٢هـ/ ٩٣٢ ـ ٩٣٤م .
٢٠ ـ الراضى بالله ٣٢٢ ـ ٣٢٩هـ/ ٩٣٤ ـ ٩٤٠م .
٢١ ـ المتقى لله ٣٢٩ ـ ٣٣٣هـ/ ٩٤٠ ـ ٩٤٤م .
٢٢ ـ المستكفى بالله ٣٣٣ ـ ٣٣٤هـ/ ٩٤٤ ـ ٩٤٥م .

العصر العباسى الثالث (العصر البويهى الشيعى فى الدولة العباسية) ٣٣٤ـ٤٤٧هـ/ ٩٤٦ـ١٠٥٥م :

٢٣ ـ المطيع لله ٣٣٤ ـ ٣٦٣هـ/ ٩٤٦ ـ ٩٧٤م .

٢٤ ـ الطائع لله ٣٦٣ ـ ٣٨١هـ/ ٩٧٤ ـ ٩٩١م .

٢٥ ـ القادر بالله ٣٨١ ـ ٤٢٢هـ/ ٩٩١ ـ ١٠٣١م .

٢٦ ـ القائم بأمر الله ٤٢٢ ـ ٤٤٧هـ/ ١٠٣١ ـ ١٠٥٥م .

العصر العباسى الرابع (العصر السلجوقى فى الدولة العباسية ٤٤٧ـ ٥٩٠هـ/ ١٠٥٥ـ١١٩٤م :

ـ القائم بأمر الله (عودته للخلافة بعد القضاء على البساسيرى والنفوذ الفاطمى) : ٤٥١ـ٤٦٧هـ/ ١٠٥٩ـ١٠٧٥م :

٢٧ ـ المقتدى بأمر الله ٤٦٧ ـ ٤٨٧هـ/ ١٠٧٥ ـ ١٠٩٤م .

٢٨ ـ المستظهر بالله ٤٨٧ ـ ٥١٢هـ/ ١٠٩٤ ـ ١١١٨م .

٢٩ ـ المسترشد بالله ٥١٢ ـ ٥٢٩هـ/ ١١١٨ ـ ١١٣٥م .

٣٠ ـ الراشد ٥٢٩ ـ ٥٣٠هـ/ ١١٣٥ ـ ١١٣٦م .

٣١ ـ المقتفى لأمر الله ٥٣٠ ـ ٥٥٥هـ/ ١١٣٦ ـ ١١٦٠م .

٣٢ ـ المستنجد بالله ٥٥٥ ـ ٥٦٦هـ/ ١١٦٠ ـ ١١٧٠م .

٣٣ ـ المستضئ بأمر الله ٥٦٦ ـ ٥٧٥هـ/ ١١٧٠ ـ ١١٨٠م .

ـ العصر العباسي الخامس والأخير (عصر الصحوة أو افاقة الموت للدولة العباسية) ٥٧٥ـ٦٥٦هـ/ ١١٨٠ـ١٢٥٨م .

٣٤ ـ الناصر لدين الله (أسد بنى العباس) ٥٧٥ ـ ٦٢٢هـ/ ١١٨٠ ـ ١٢٢٥م .

٣٥ ـ الظاهر بأمر الله ٦٢٢ ـ ٦٢٣هـ/ ١٢٢٥ ـ ١٢٢٦ م .

٣٦ ـ المستنصر بالله ٦٢٣ ـ ٦٤٠هـ/ ١٢٢٦ ـ ١٢٤٢م .

٣٧ ـ المستعصم بالله ٦٤٠ ـ ٦٥٦هـ/ ١٢٤٢ ـ ١٢٥٨م .

د ـ الخلفاء الفاطميون[١١٧] (١٤ خليفة) ٢٩٧ـ٥٦٧هـ/ ٩١٠ـ ١١٧١م :

---

(١١٧) عن عصر الخلفاء الفاطميين بمرحلتين المغربية والمصرية حتى سقوط الدولة ٥٦٧هـ/ ١١٧١م انظر، داود ، مايسة محمود ، المسكوكات الفاطمية فى ضوء مجموعة متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، =

فى المغرب

١ ـ عبد الله المهدى ٢٩٧ ـ ٣٢٢هـ/ ٩١٠ ـ ٩٣٤م :

٢ ـ القائم بأمر الله ٣٢٢ ـ ٣٣٤هـ/ ٩٣٤ ـ ٩٤٥م .

٣ ـ المنصور بالله ٣٣٤ ـ ٣٤١هـ/ ٩٤٥ ـ ٩٥٢م .

٤ ـ المعز لدين الله ٣٤١ ـ ٣٦٢هـ/ ٩٥٢ ـ ٩٧٢م .

ـ فى مصر

ـ المعز لدين الله ٣٦٢ ـ ٣٦٥هـ/ ٩٧٢ ـ ٩٧٥م :

٥ ـ العزيز بالله ٣٦٥ ـ ٣٨٦هـ/ ٩٧٥ ـ ٩٩٦م .

٦ ـ الحاكم بأمر الله ٣٨٦ ـ ٤١١هـ/ ٩٩٦ ـ ١٠٢٠م .

٧ ـ الظاهر لاعزاز دين الله ٤١١ ـ ٤٢٧هـ/ ١٠٢٠ ـ ١٠٣٥م .

٨ ـ المستنصر بالله ٤٢٧ ـ ٤٨٧هـ/ ١٠٣٥ ـ ١٠٩٤م .

٩ ـ المستعلى بالله ٤٨٧ ـ ٤٩٥هـ/ ١٠٩٤ ـ ١١٠١م .

١٠ ـ الأمر بأحكام الله ٤٩٥ ـ ٥٢٤هـ/ ١١٠١ ـ ١١٢٩م .

ـ (٥٢٤ ـ ٥٢٦هـ/ ١١٢٩ ـ ١١٣١م سيطر على الخلافة الوزير أبو على بن الأفضل ودعى للإمام محمد أبو القاسم المنتظر لأمر الله) .

١١ ـ الحافظ لدين الله ٥٢٦ ـ ٥٤٤هـ/ ١١٣١ ـ ١١٤٩م .

١٢ ـ الظافر بأمر الله ٥٤٤ ـ ٥٤٩هـ/ ١١٤٩ ـ ١١٥٤م .

١٣ ـ الفائز بنصر الله ٥٤٩ ـ ٥٥٥هـ/ ١١٥٤ ـ ١١٦٠م .

١٤ ـ العاضد لدين الله ٥٥٥ ـ ٥٦٧هـ/ ١١٦٠ ـ ١١٧١م .

= القاهرة (١٩٩١م)؛ الدشراوى ، فرحات ، الخلافة الفاطمية بالمغرب ، ترجمة حمادى الساحلى ، بيروت (١٩٩٤م)؛ ماجد ، عبد المنعم ، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر ، القاهرة ، ط٢، (١٩٩٤م)؛ سيد ، أيمن فؤاد ، الدولة الفاطمية فى مصر تفسير جديد ، القاهرة ، ط٢ ، (٢٠٠٠م)؛ طقوش ، محمد سهيل ، تاريخ الفاطميين ، بيروت (٢٠٠١م)؛ رمضان ، موسوعة النقود ، جـ١ ، ص٣٠١ ـ ٤٤٩ ؛ حسن ، حسن إبراهيم ، تاريخ الدولة الفاطمية ، القاهرة ، ط٤ (١٩٨١م) ؛ أحمد ، نريمان عبد الكريم ، المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى ، القاهرة (١٩٩٣م)؛ كيره ، نجوى ، العامة فى مصر فى العصر الفاطمى ، القاهرة (٢٠٠٤م) .

هـ ـ الخلفاء الأمويون[118] في الأندلس (٩ خلفاء) : ٣١٦ ـ ٤٢٢هـ/ ٩٢٩ ـ ١٠٣١م:

١ ـ عبد الرحمن الناصر ٣١٦ ـ ٣٥٠ هـ/ ٩٢٩ ـ ٩٦١م .

٢ ـ الحكم المستنصر بالله ٣٥٠ ـ ٣٦٦هـ/ ٩٦١ ـ ٩٧٦م .

٣ ـ هشام الثانى المؤيد بالله ٣٦٦ ـ ٣٩٩هـ/ ٩٧٦ ـ ١٠٠٩م .

٤ ـ محمد (للمرة الأولى) بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر الملقب بالمهدى بالله (محمد الثاني) ٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م .

٥ ـ سليمان (للمرة الأولى) بن الحكم بن سليمان بن الناصر الملقب بالمستعين بالله ٤٠٠ / ١٠٠٩م.

ـ محمد الثانى المهدى بالله (للمرة الثانية) ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م .

ـ هشام الثانى المؤيد بالله (للمرة الثانية) ٤٠٠ ـ ٤٠٣هـ/ ١٠١٠ ـ ١٠١٣م .

ـ سليمان المستعين بالله (للمرة الثانية) ٤٠٣ ـ ٤٠٧هـ/ ١٠١٣ ـ ١٠١٦م .

ـ (على بن حمود الملقب بالناصر لدين الله ٤٠٧هـ/ ١٠١٦م وهو من بنى حمود) .

٦ ـ عبد الرحمن بن عبد الملك بن الناصر (عبد الرحمن الرابع) الملقب بالمرتضى ٤٠٨هـ/ ١٠١٨م .

ـ (سيطرة بنى حمود ٤٠٨ ـ ٤١٤هـ/ ١٠١٨ ـ ١٠٢٣م .

٧ ـ عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار (عبد الرحمن الخامس) الملقب بالمستظهر بالله ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م .

٨ ـ محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله الناصر (محمد الثالث) الملقب بالمستكفى بالله ٤١٤ ـ ٤١٦هـ/ ١٠٢٤ ـ ١٠٢٥م .

---

(١١٨) عن عصر الأمويين فى الأندلس بمرحلتيه (الإمارة ـ الخلافة) وأحداثه الداخلية والخارجية حتى سقوط الدولة ٤٢٢هـ/ ١٠٣١م انظر ، سالم ، السيد عبد العزيز ، قرطبة حاضرة الخلافة ، جزءان ، بيروت (١٩٧١ ـ ١٩٧٢م)؛ تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، بيروت (١٩٨١م)؛ الحجى ، عبد الرحمن ، التاريخ الأندلسى من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة ، دمشق (١٩٨١م) ؛ أبا الخيل ، محمد ، الأندلس فى الربع الأخير من القرن الثالث الهجرى ، الرياض (١٩٩٥م) ؛ كحيلة ، عبادة ، المغرب فى تاريخ المغرب والأندلس ، القاهرة ، ط٢ (٢٠٠٠م) ؛ مؤنس ، حسين ، معالم تاريخ المغرب والأندلس ، القاهرة ، ط٢ ، (٢٠٠٤م) ؛ رمضان ، موسوعة النقود ، جـ١ ، ص٤٥٣ ـ ٥٠٧ .

٨ - (يحيي بن على بن حمود الملقب بالمعتلى بالله ٤١٦ - ٤١٨هـ/ ١٠٢٥ - ١٠٢٧م) .

٩ - هشام بن محمد بن عبد الملك (هشام الثالث) الملقب بالمعتد بالله ٤١٨ - ٤٢٢هـ/ ١٠٢٥ - ١٠٣١م .

ثانيًا : معجم لأهم الدول والأسرات الحاكمة

١ - فى مصر :

أ - الدولة الطولونية[١١٩] ٢٥٤ - ٢٩٢هـ/ ٨٦٨ - ٩٠٥م :

١ - أحمد بن طولون ٢٥٤ - ٢٧٠هـ/ ٨٦٨ - ٨٨٤م .

٢ - خمارويه ٢٧٠ - ٢٨٢هـ/ ٨٨٤ - ٨٩٦م .

٣ - جيش ٢٨٢ - ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م

٤ - هارون ٢٨٣ - ٢٩٢هـ/ ٨٩٦ - ٩٠٥م .

٥ - شيبان ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م .

(عودة مصر لحظيرة الخلافة العباسية ٢٩٢ - ٣٢٣هـ/ ٩٠٤ - ٩٣٤م .

ب - الدولة الإخشيدية[١٢٠] ٣٢٣ - ٣٥٨هـ/ ٩٣٥ - ٩٦٩م :

١ - محمد بن طغج الإخشيد ٣٢٣ - ٣٣٤هـ/ ٩٣٥ - ٩٤٥م .

---

(١١٩) عن عصر الطولونيين وأحداثه الداخلية والخارجية حتى سقوط الدولة ٢٩٢هـ/ ٩٠٥م انظر ، كاشف سيدة إسماعيل ، أحمد بن طولون ، القاهرة (١٩٦٥م)؛ محمود ، حسن أحمد ، حضارة مصر فى العصر الطولونى ، القاهرة ١٩٧٧م ؛ محمود ، محمود رزق ، المجتمع المصرى فى العصر الطولونى ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، آداب عين شمس (١٩٨٥م).

Hassan, Z. M., Les Tulunides, Paris, 1937 .

(١٢٠) عن عصر الاخشيديين وأحداثه الداخلية والخارجية حتى سقوط الدولة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م انظر كاشف ، سيدة إسماعيل ، مصر فى عصر الاخشيديين ، القاهرة ، ط٢ (١٩٧٠م)، كاشف ، محمود ، حسن أحمد ، مصر فى عصر الطولونيين والأخشيديين ، القاهرة د ت ؛ زيود ، محمد أحمد ، العلاقات بين الشام ومصر فى العهدين الطولونى والأخشيدى ، دمشق (١٩٨٩م)؛ السيد ، أميمة أحمد ، سياسة مصر الخارجية فى عصر الاخشيديين ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، أداب سوهاج ، جامعة أسيوط (١٩٩٤م).

٢ ـ أبو القاسم أونوجور ٣٣٤ ـ ٣٤٩هـ/ ٩٤٥ ـ ٩٦٠م .
٣ ـ على بن الاخشيد ٣٤٩ ـ ٣٥٥هـ/ ٩٦٠ ـ ٩٦٥م .
٤ ـ كافور الاخشيدى ٣٥٥ ـ ٣٥٧هـ/ ٩٦٥ ـ ٩٦٨م .
٥ ـ أحمد ٣٥٧ ـ ٣٥٨هـ/ ٩٦٨ ـ ٩٦٩م .

(الخلافة الفاطمية فى مصر ٣٥٨ ـ ٥٦٧هـ/ ٩٦٩ ـ ١١٧١م) :

جـ ـ الدولة الأيوبية [١٢١]

ـ فى مصر (٥٦٧ ـ ٦٤٨هـ/ ١١٧١ ـ ١٢٥٠م) :
١ ـ صلاح الدين ٥٦٧ ـ ٥٨٩هـ/ ١١٧١ ـ ١١٩٣م .
٢ ـ العزيز عثمان ٥٨٩ ـ ٥٩٥هـ/ ١١٩٣ ـ ١١٩٨م .
٣ ـ المنصور ناصر الدين محمد ٥٩٥ ـ ٥٩٦هـ/ ١١٩٨ ـ ١٢٠٠م .
٤ ـ العادل الأول سيف الدين أبو بكر ٥٩٦ ـ ٦١٥هـ/ ١٢٠٠ ـ ١٢١٨م .
٥ ـ الكامل محمد ٦١٥ ـ ٦٣٥هـ/ ١٢١٨ ـ ١٢٣٨م .
٦ ـ العادل الثانى بن الكامل ٦٣٥ ـ ٦٣٧هـ/ ١٢٣٨ ـ ١٢٤٠م .
٧ ـ الصالح نجم الدين أيوب ٦٣٧ ـ ٦٤٧هـ/ ١٢٤٠ ـ ١٢٤٩م .
٨ ـ المعظم تورانشاه ٦٤٧ ـ ٦٤٨هـ/ ١٢٤٩ ـ ١٢٥٠م .

---

(١٢١) عن عصر الأيوبيين فى مصر وأحداثه الداخلية والخارجية حتى سقوط الدولة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م انظر : بيومى ، على ، قيام الدولة الأيوبية فى مصر ، القاهرة (١٩٥٢م)؛ ربيع ، حسنين ، النظم المالية فى مصر زمن الأيوبيين ، القاهرة (١٩٦٤م) ؛ العرينى ، السيد الباز ، تاريخ الدولة الأيوبية ، القاهرة ١٩٦٠م ؛ الجعيدى ، شلبى إبراهيم ، العامة فى مصر فى العصر الأيوبى ، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد ٢١٢ ؛ سيد ، أحمد فؤاد ، تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بنى أيوب ، القاهرة (٢٠٠١م)؛ Etbehairy, S., Les Institutions de L'Egypte au Temps des Ayyubidees, Paris (1971) .

د ـ الدولة المملوكية[١٢٢] ٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م :

ـ الدولة المملوكية الأولى المعروفة بدولة المماليك البحرية ٦٤٨ ـ ٧٨٤هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٣٨٢م :

١ ـ السلطانة شجر الدر ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م .

٢ ـ المعز أيبك ٦٤٨ ـ ٦٥٥هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٢٥٧م .

٣ ـ المنصور على ٦٥٥ ـ ٦٥٧هـ/ ١٢٥٧ ـ ١٢٥٩م .

٤ ـ المظفر قطز ٦٥٧ ـ ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩ ـ ١٢٦٠م .

٥ ـ الظاهر بيبرس البندقدارى (بيبرس الأول) ٦٥٨ ـ ٦٧٦هـ/ ١٢٦٠ ـ ١٢٧٧م .

٦ ـ السعيد بركة ٦٧٦ ـ ٦٧٨هـ/ ١٢٧٧ ـ ١٢٨٠م .

٧ ـ بدر الدين سلامش ٦٧٨هـ/ ١٢٨٠م .

٨ ـ المنصور قلاوون ٦٧٨ ـ ٦٨٩هـ/ ١٢٨٠ ـ ١٢٩٠م .

٩ ـ الأشرف خليل ٦٨٩ ـ ٦٩٣هـ/ ١٢٩٠ ـ ١٢٩٣م .

١٠ ـ الناصر محمد (للمرة الأولى) ٦٩٣ ـ ٦٩٤هـ/ ١٢٩٣ ـ ١٢٩٤م .

١١ ـ العادل كتبغا ٦٩٤ ـ ٦٩٦هـ/ ١٢٩٤ ـ ١٢٩٦م .

١٢ ـ حسام الدين لاجين ٦٩٦ ـ ٦٩٨هـ/ ١٢٩٦ ـ ١٢٩٨م .

ـ (الناصر محمد (للمرة الثانية) ٦٩٨ ـ ٧٠٨ هـ/ ١٢٩٨ ـ ١٣٠٨م) .

---

(١٢٢) عن عصر المماليك بدولتيه البحرية والجركسية وأحداثه الداخلية والخارجية حتى سقوط الدولة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م انظر ، طرخان ، إبراهيم ، مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ، القاهرة (١٩٦٠م)؛ عاشور ، سعيد ، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، القاهرة (١٩٦٢م)؛ العصر المماليك فى مصر والشام ، القاهرة ط٢ (١٩٧٦م) ؛ حسن ، على إبراهيم ، دراسات فى تاريخ المماليك البحرية ، القاهرة ، ط٣ (١٩٧٦م)؛ العبادى ، أحمد مختار ، قيام دولة المماليك الأولى فى مصر والشام ، بيروت ، ط٢ (١٩٨٥م)؛ الحجى ، حياة ناصر ، أحوال العامة فى حكم المماليك ، الكويت (١٩٩٤م)؛ أنماط من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى سلطنة المماليك ، الكويت (١٩٩٥م)؛ عبد الدايم ، عبد العزيز ، مصر فى عصرى المماليك والعثمانيين ؛ القاهرة (١٩٩٦م)؛ الغامدى ، عبد الله ، جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين ، مكة المكرمة ١٤١٠هـ ؛ الحداد ، محمد حمزة إسماعيل ، السلطان المنصور قلاوون ، القاهرة ، ط٢ (٢٠٠٦م) ؛ عبد السيد ، حكيم أمين ، قيام دولة المماليك الثانية ، القاهرة ١٩٦٧م ؛ ضومط ، انطوان خليل ، الدولة المملوكية ، التاريخ السياسى والاقتصادى والعسكرى ، بيروت (١٩٨٠م) .

١٣ ـ بيبرس الجاشنكير (بيبرس الثاني) ٧٠٨ ـ ٧٠٩هـ/ ١٣٠٨ ـ ١٣٠٩م .
ـ الناصر محمد (للمرة الثالثة والأخيرة) ٧٠٩ ـ ٧٤١هـ/ ١٣٠٩ ـ ١٣٤٠م .
١٤ ـ المنصور أبو بكر ٧٤١ ـ ٧٤٢هـ/ ١٣٤٠ ـ ١٣٤١م .
١٥ ـ الأشرف كجك ٧٤٢ ـ ٧٤٣هـ/ ١٣٤١ ـ ١٣٤٢م .
١٦ ـ الناصر شهاب الدين أحمد ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م .
١٧ ـ الصالح إسماعيل ٧٤٣ ـ ٧٤٦هـ/ ١٣٤٢ ـ ١٣٤٥م .
١٨ ـ المظفر حاجى الأول ٧٤٧ ـ ٧٤٨هـ/ ١٣٤٦ ـ ١٣٤٧م .
١٩ ـ الناصر حسن (للمرة الأولي) ٧٤٨ ـ ٧٥٢هـ/ ١٣٤٧ ـ ١٣٥١م .
٢٠ ـ الصالح صالح ٧٥٢ ـ ٧٥٥هـ/ ١٣٥١ ـ ١٣٥٤م .
ـ الناصر حسن (للمرة الثانية) ٧٥٥ ـ ٧٦٢هـ/ ١٣٥٤ ـ ١٣٦١م .
٢١ ـ المنصور محمد ٧٦٢ ـ ٧٦٤هـ/ ١٣٦١ ـ ١٣٦٣م .
٢٢ ـ الأشرف شعبان ٧٦٤ ـ ٧٧٨هـ/ ١٣٦٣ ـ ١٣٧٦م .
٢٣ ـ المنصور على ٧٧٨ ـ ٧٨٣هـ/ ١٣٧٦ ـ ١٣٨١م .
٢٤ ـ الصالح حاجى الثانى (للمرة الأولى) ٧٨٣ ـ ٧٨٤ هـ/ ١٣٨١ ـ ١٣٨٢م .
ـ وعاد مرة ثانية فيما بين ٧٩١ ـ ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩ ـ ١٣٩٠م وتلقب بالمظفر (المنصور) .

الدولة المملوكية الثانية المعروف بدولة المماليك البرجية أو الجراكسة ٧٨٤ ـ ٩٢٣هـ/ ١٣٨٢ ـ ١٥١٧م .

١ ـ الظاهر برقوق ٧٨٤ ـ ٨٠١هـ/ ١٣٨٢ ـ ١٣٩٩م (باستثناء الفترة التى عاد فيها حاجى الثانى السابق الإشارة إليها) .
٢ ـ الناصر فرج (للمرة الأولي) ٨٠١ ـ ٨٠٨هـ/ ١٣٩٩ ـ ١٤٠٥م .
٣ ـ المنصور عبد العزيز ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م .
ـ الناصر فرج (للمرة الثانية) ٨٠٨ ـ ٨١٥هـ/ ١٤٠٥ ـ ١٤١٢م (ونصب الخليفة العباسى المستعين سلطانا فى نفس العام) .
٤ ـ المؤيد شيخ ٨١٥ ـ ٨٢٤هـ/ ١٤١٢ ـ ١٤٢١م .
٥ ـ المظفر أحمد ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م .

٦ ـ الظاهر ططر ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م .
٧ ـ الصالح محمد ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م .
٨ ـ الأشرف برسباى ٨٢٥ ـ ٨٤١هـ/ ١٤٢٢ ـ١٤٣٧م .
٩ ـ العزيز يوسف ٨٤١ ـ ٨٤٢هـ/ ١٤٣٧ ـ ١٤٣٨م .
١٠ ـ الظاهر جمقق ٨٤٢ ـ ٨٥٧هـ/ ١٤٣٨ ـ ١٤٥٣م .
١١ ـ المنصور عثمان ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م .
١٢ ـ الأشرف اينال ٨٥٧ ـ ٨٦٥هـ/ ١٤٥٣ ـ ١٤٦١م .
١٣ ـ المؤيد أحمد ٨٦٥هـ/ ١٤٦١م .
١٤ ـ الظاهر خوشقدم ٨٦٥ ـ ٨٧٢هـ/ ١٤٦١ ـ ١٤٦٧م .
١٥ ـ الظاهر تمربغا ٨٧٢هـ/ ١٤٦٨م .
١٦ ـ خاير بك (سلطان ليلة) ٨٧٢هـ/ ١٤٦٨م .
١٧ ـ الأشرف قايتباى ٨٧٢ ـ ٩٠١هـ/ ١٤٦٧ ـ ١٤٩٥م .
١٨ ـ الناصر محمد بن قايتباى ٩٠١ ـ ٩٠٣هـ/ ١٤٩٥ ـ ١٤٩٧م .
١٩ ـ الظاهر قانصوه ٩٠٣ ـ ٩٠٥هـ/ ١٤٩٧ ـ ١٤٩٩م .
٢٠ ـ الأشرف جانبلاط ٩٠٥ ـ ٩٠٦هـ/ ١٤٩٩ ـ ١٥٠٠م
٢١ ـ العادل طومانباى ٩٠٦هـ/ ١٥٠١م .
٢٢ ـ الأشرف قانصوه الغورى ٩٠٦ ـ ٩٢٢هـ/ ١٥٠١ ـ ١٥١٦م .
٢٣ ـ الأشرف طومانباى ٩٢٢ ـ ٩٢٣هـ/ ١٥١٦ ـ ١٥١٧م .

(العصر العثمانى[١٢٣] ٩٢٣ ـ ١٢١٣هـ/ ١٥١٧ ـ ١٧٩٨م) :

---

(١٢٣) عن مصر العثمانية انظر : حراز ، السيد رجب ، المدخل إلى تاريخ مصر الحديث ١٥١٧ ـ ١٨٨٢م ، القاهرة (١٩٧٠م)؛ الراقد ، محمد عبد المنعم ، الغزو العثمانى لمصر ونتائجه على الوطن العربى ، القاهرة (١٩٧٢م)؛ عبد اللطيف ، ليلى ، الإدارة فى مصر فى العصر العثمانى ، مطبعة جامعة عين شمس (١٩٧٨م)؛ المجتمع المصرى فى العصر العثمانى ، القاهرة (١٩٨٧م)؛ مغيث ، كمال ، مصر فى العصر العثمانى ١٥١٧ ـ ١٧٩٨م ، القاهرة (١٩٩٧م)؛ عبد الرحيم ، عبد الرحمن ، فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى ، مجلدان ، ط٢ (٢٠٠٣م)؛ عفيفى ، محمد، الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمانى ، سلسلة تاريخ المصريين ، القاهرة (١٩٩١م).

هـ ـ أسرة محمد علي[124] (١٢٢٠ ـ ١٣٧٢هـ/ ١٨٠٥ ـ ١٩٥٣م) .

١ ـ محمد علي باشا ١٢٢٠ ـ ١٢٦٤هـ/ ١٨٠٥ ـ ١٨٤٨م .

٢ ـ إبراهيم باشا ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٨م .

٣ ـ عباس باشا الأول ١٢٦٤ ـ ١٢٧٠هـ/ ١٨٤٨ ـ ١٨٥٤م .

٤ ـ سعيد باشا ١٢٧٠ ـ ١٢٨٠هـ/ ١٨٥٤ ـ ١٨٦٣م .

٥ ـ إسماعيل ١٢٨٠ ـ ١٢٩٦هـ/ ١٨٦٣ ـ ١٨٧٩م (وقد اتخذ لقب الخديوى فى ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م) .

٦ ـ الخديوى توفيق ١٢٩٦ ـ ١٣٠٩هـ/ ١٨٧٩ ـ ١٨٩٢م .

٧ ـ عباس حلمى الثانى ١٣٠٩ ـ ١٣٣٣هـ/ ١٨٩٢ ـ ١٩١٤م .

٨ ـ حسين كامل ١٣٣٣ ـ ١٣٣٥هـ/ ١٩١٤ ـ ١٩١٧م (اتخذ لقب السلطان) .

٩ ـ أحمد فؤاد الأول ١٣٣٥ ـ ١٣٥٥هـ/ ١٩١٧ ـ ١٩٣٦م (إتخذ لقب الملك فى ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م) .

١٠ ـ الملك فاروق الأول ١٣٥٥ ـ ١٣٧١هـ/ ١٩٣٦ ـ ١٩٥٢م .

١١ ـ أحمد فؤاد الثانى ١٣٧١ ـ ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣م .

(الغاء النظام الملكى وقيام النظام الجمهوري) .

٢ ـ الشام

١ ـ الدولة الطولونية .

ـ العودة إلى حظيرة الخلافة العباسية ٢٩٢ ـ ٣٢٣هـ/ ٩٠٤ ـ ٩٣٤م .

---

(١٢٤)عن عصر محمد علي وأسرته انظر ،

يحيي ، جلال ، مصر الحديثة ، ٣ أجزاء ، الاسكندرية (١٩٨٣م) ؛ إبراهيم ، سمير عمر ، الحياة الاجتماعية فى مدينة القاهرة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ، القاهرة (١٩٩٢م) ؛ فارجيت ، جى ، محمد علي مؤسس مصر الحديثة ، ترجمة محمد رفعت عواد ، القاهرة (٢٠٠٣م)؛ السيد ، عفاف لطفى ، مصر فى عهد محمد علي ، ترجمة عبد السميع عمر زين الدين ، مراجعة السيد أمين شلبى ، القاهرة (٢٠٠٤م) ؛ حلمى ، سهير ، أسرة محمد علي ، القاهرة (٢٠٠٣م) ، البطريق ، عبد الحميد ، عصر محمد علي ونهضة مصر فى القرن التاسع عشر ١٨٠٥ ـ ١٨٨٣م ، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد ١٥٥ .

٢ ـ الدولة الإخشيدية :

ـ الدولة الحمدانية فى حلب ٣٣٣ ـ ٣٩٤هـ/ ٩٤٤ ـ ١٠٠٣م[١٢٥] .

٣ ـ الخلافة الفاطمية :

ـ الدولة المرداسية فى حلب ٤١٤ ـ ٤٧٢هـ/ ١٠٢٣ ـ ١٠٧٩م .

٤ ـ دولة سلاجقة الشام[١٢٦] :

ـ فى دمشق ٤٧١ ـ ٤٩٧هـ/ ١٠٧٨ ـ ١١٠٣م .

ـ فى حلب ٤٧١ ـ ٥١١هـ/ ١٠٧٨ ـ ١١١٧م .

٥ ـ أتابكة الشام :

أ ـ الدولة البورية[١٢٧] فى دمشق ٤٩٧ ـ ٥٤٩هـ/ ١١٠٣ ـ ١١٥٤م .

ب ـ الدولة الزنكية[١٢٨] :

١ ـ فى دمشق ٥٤٩ ـ ٥٧٧هـ/ ١١٥٤ ـ ١١٨١م .

ـ السلطان نور الدين محمود ٥٤١ ـ ٥٦٩هـ/ ١١٤٦ ـ ١١٧٤م .

ـ السلطان الصالح إسماعيل ٥٦٩ ـ ٥٧٧هـ/ ١١٧٤ ـ ١١٨١م .

٢ ـ فى حلب ٥٢١ ـ ٦٣١هـ/ ١١٢٧ ـ ١٢٣٣م

ـ عماد الدين زنكى بن أق سنقر (مؤسس الدولة) ٥٢١ ـ ٥٤١هـ/ ١١٢٧ ـ ١١٤٦م .

---

(١٢٥) السامر ، فيصل ، الدولة الحمدانية فى الموصل وحلب ، بغداد (١٩٧٠م) ؛ الكيالى ، سامى ، سيف الدولة وعصر الحمدانيين ، دار المعارف بمصر ، د ت ؛ فاعور ، أحمد صالح ، الدولة الحمدانية فى حلب ودورها فى التاريخ الإسلامى ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة (١٩٨٢م) .

(١٢٦) يوسف ، أرشيد ، سلاجقة الشام والجزيرة ، عمان (١٩٨٨م) ، ص٧٢ ـ ١٠٧ .

(١٢٧) يوسف ، سلاجقة الشام والجزيرة ، ص١٤٦ ـ ١٥٩ .

(١٢٨) يوسف ، سلاجقة الشام والجزيرة ، ص١٧٥ ـ ٢٠٠ ؛ خليل ، عماد الدين ، عماد الدين زنكى ، الموصل (١٩٨٥م)، مؤنس ، حسين ، نور الدين محمود ، القاهرة (١٩٥٩م) ؛ الديوه جى ، سعيد ، الموصل فى العهد الاتابكى ، بغداد (١٩٨٥م)؛ الجميلى ، رشيد ، دولة الأتابكة فى الموصل ، بيروت (١٩٧٠م)، الحسينى ، محمد باقر ، العملة الإسلامية فى العهد الأتابكى ، بغداد (١٩٦٦م) . حبشى، حسن ، نور الدين والصليبيون ، القاهرة ، ط٢ (١٩٥٩م) .

- ناصر الدين محمود (آخر الحكام) ٦١٦ - ٦٣١هـ/ ١٢١٩ - ١٢٣٣م .

٦ - الدولة الأيوبية فى بلاد الشام[١٢٩] :

- فى دمشق ٥٨٩ - ٦٥٨هـ/ ١١٩٣ - ١٢٦٠م .
- فى حلب ٥٨٢ - ٦٥٨هـ/ ١١٨٦ - ١٢٦٠م .
- فى حماه ٥٨٧ - ٦٨٣هـ/ ١١٩١ - ١٢٨٤م.
- فى حمص ٥٨٢ - ٦٤٦هـ/ ١١٨٦ - ١٢٤٨م .
- فى بعلبك ٥٧٨ - ٦٥٨هـ/ ١١٨٢ - ١٢٦٠م .
- فى الكرك ٥٨٤ - ٦٥٨هـ/ ١١٨٨ - ١٢٦٠م .

٧ - الدولة المملوكية (البحرية والبرجية)

٨ - الدولة العثمانية .

٣- العــراق :

١ - الدولة الحمدانية فى الموصل ٢٩٣ - ٣٨٩هـ/ ٩٠٥ - ٩٩٨م .

٢ - الدولة البويهية[١٣٠] (العصر العباسى الثالث) ٣٣٤ - ٤٤٧هـ/ ٩٤٥ - ١٠٥٥م .

٣ - الدولة السلجوقية[١٣١] (سلاجقة العراق) ٤٤٧ - ٥٩٠هـ/ ١٠٥٥ - ١١٩٤م .
أتابكة الموصل ٥١٦ - ٦٦٠هـ/ ١١٢٢ - ١٢٦٢م .

---

(١٢٩) الغامدى ، على ، بلاد الشام قبيل الغزو المغولى ٥٨٩ - ٥٦٧هـ/ ١١٩٣ - ١٢٥٩م ، مكة المكرمة (١٩٨٨م) ؛ سبانو ، أحمد غسان ، مملكة جماه الايوبية ، دمشق (١٩٨٤م) ؛ غوانمة ، يوسف درويش، امارة الكرك الايوبية ، عمان (١٩٨٢م) ؛ البخيت ، محمد عدنان ، مملكة الكرك فى العهد الأيوبى ، عمان (١٩٧٦م) .

(١٣٠) الزبيدى ، محمد حسين ، العراق فى العصر البويهى ، القاهرة (١٩٦٩م) .

(١٣١) حسنين ، عبد النعيم ، دولة السلاجقة ، القاهرة (١٩٧٥م) ؛ حلمى ، أحمد كمال الدين ، السلاجقة فى التاريخ والحضارة ، الكويت (١٩٧٥م)، أمين ، حسين ، تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ، بغداد (١٩٦٥م) ؛ بدوى ، عبد المجيد ، التاريخ السياسى والفكرى للمشرق الإسلامى من القرن الخامس إلى سقوط بغداد ، القاهرة (١٩٨٨م) .

٤ ـ الدولة الإيلخانية [١٣٢] ٦٥٦ ـ ٧٣٦هـ/ ١٢٥٨ ـ ١٣٣٥م : ومن حكامها :

ـ قازان (غازان) خان بن أرغون ٦٩٤ ـ ٧٠٣هـ/ ١٢٩٤ ـ ١٣٠٣م.

ـ اولجايتو محمد خان خدانبده ٧٠٣ ـ ٧١٦هـ/ ١٣٠٣ ـ ١٣١٦م .

ـ أبو سعيد بهادر خان بن خدانبده ٧١٦ ـ ٧٣٦هـ/ ١٣١٦ ـ ١٣٣٥م .

٥ ـ الدولة الجلائرية[١٣٣] ٧٤٠ ـ ٨٣٥هـ/ ١٣٣٩ ـ ١٤٣١م .

١ ـ الشيخ حسن الجلائرى ٧٤٠ ـ ٧٥٧هـ/ ١٣٣٩ ـ ١٣٥٦م

٢ ـ السلطان أويس بن حسن ٧٥٧ ـ ٧٧٦هـ/ ١٣٥٦ ـ ١٣٧٤م

٣ ـ السلطان حسين بن أويس ٧٧٦ ـ ٧٨٤هـ/ ١٣٧٤ ـ ١٣٨٢م .

٤ ـ السلطان أحمد بن أويس ٧٨٤ ـ ٧٩٥هـ/ ١٣٨٢ ـ ١٣٩٢م . ـ الاحتلال التيمورى الأول ٧٩٥ ـ ٧٩٧هـ/ ١٣٩٢ ـ ١٣٩٤م .

ـ عودة السلطان أحمد بن أويس ٧٩٧ ـ ٨٠٣هـ/ ١٣٩٤ ـ ١٤٠٠م . ـ الاحتلال التيمورى الثانى ٨٠٣ ـ ٨٠٨هـ/ ١٤٠٠ ـ ١٤٠٥م . ـ عودة السلطان أحمد بن اويس ٨٠٨ ـ ٨١٤هـ/ ١٤٠٥ ـ ١٤١١م .

٥ ـ السلطان محمود بن شاه ولد ٨١٤ ـ ٨١٥هـ/ ١٤١١ ـ ١٤١٢م .

٦ ـ السلطان أويس الثانى بن شاه ولد ٨١٥ ـ ٨١٩هـ/ ١٤١٢ ـ ١٤١٦م .

٧ ـ تندو بنت حسين بن أويس ٨١٩ ـ ٨٢٢هـ/ ١٤١٦ ـ ١٤١٩م .

٨ ـ السلطان محمد بن شاه ولد ت ٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م .

٩ ـ السلطان حسين بن علاء الدولة بن السلطان أحمد ٨٢٧ ـ ٨٣٥هـ/ ١٤٢٣ ـ ١٤٣١م .

(ثم استولى قراقيونلو ـ أصحاب الشاة أو الخراف السوداء) .

---

(١٣٢) الفقى ، عصام عبد الرؤوف ، الدول الإسلامية المستقلة فى الشرق ، القاهرة (١٩٨٧م) ، ص٣١٩ ـ ٣٣١ ؛ عبد الحليم ، رجب محمد ، انتشار الإسلام بين المغول ، القاهرة (١٩٨٦م) ، ص١٧٥ ـ ٢٢٦ .

(١٣٣) طرطور ، شعبان ، الدولة الجلائرية ، القاهرة (١٩٨٧م) ؛ رضوان ، يمنى ، الدولة الجلائرية ، القاهرة (١٩٩٣م) . الاشتيانى ، عباس اقبال ، تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية ، ترجمة محمد علاء الدين منصور ، مراجعة السباعى محمد السباعى ، القاهرة (١٩٨٩م)، ص ٥٥٣ ـ ٥٦٠ .

٤ ـ الجزيرة العربية وشرق أفريقية

أ ـ اليمن(١٣٤) : من بين الدول الإسلامية نذكر كل من :

ـ الدولة الزيادية انتهت عام ٤٣١هـ/ ١٠٣٩م أو بعدها بقليل .

ـ الدولة الصليحية (شيعية) ٤٣٩ ـ ٥٣٢هـ/ ١٠٤٧ ـ ١١٣٧م . ومن حكامها :

ـ علي بن محمد ٤٣٩ ـ ٤٥٩هـ .

ـ المكرم أحمد بن علي ٤٥٩ ـ ٤٧٧هـ .

ـ السيدة أروى ٤٩٢ ـ ٥٣٢هـ .

ـ دولة بني زريع في عدن ٤٧٠ ـ ٥٦٩هـ/ ١٠٧٨ ـ ١١٧٤م .

ـ دولة بني حاتم في صنعاء ٤٩٢ ـ ٥٩٩هـ/ ١٠٩٩ ـ ١٠٧٤م .

ـ دولة بني مهدي ٥٣٣ ـ ٥٦٩هـ/ ١١٣٩ ـ ١١٧٤م .

ـ الدولة الأيوبية ٥٦٩ ـ ٦٢٦هـ/ ١١٧٣ ـ ١٢٢٨م .

ـ الدولة الرسولية ٦٢٦ ـ ٨٥٨هـ/ ١٢٢٨ ـ ١٤٥٤م . ومن حكامها :

ـ الملك المنصور عمر الأول ٦٢٦ ـ ٦٤٧هـ .

ـ الملك المظفر يوسف الأول ٦٤٧ ـ ٦٩٤هـ .

ـ الملك المؤيد داود ٦٩٦ ـ ٧٢١هـ .

---

(١٣٤) عن الدول الإسلامية في اليمن انظر ،

أحمد ، محمد عبد العال ، بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما ، الاسكندرية (١٩٨٠م) ؛ دولة بني أيوب في اليمن ، الاسكندرية (١٩٦٨م) ؛ عسيري ، محمد علي ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في العصر الأيوبي ، جدة (١٩٨٥م) ؛ الهمداني ، حسين ، فيض الله ، ومحمود ، حسن سليمان ، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ، بيروت ، ط٣ (١٩٨٦م) ؛ سيد ، أيمن فؤاد ، مصادر تاريخ اليمن في العهد الإسلامي ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة (١٩٧٤م)، الملحق الثاني (قوائم الملوك والسلاطين) ص٣٧٩ ـ ٤١٦ ؛ الفيفي ، محمد يحيى، الدولة الرسولية في اليمن ، دراسة في أوضاعها السياسية والحضارية ، بيروت (٢٠٠٥م) ؛ الحريري ، محمد عيسى ، معالم التطور السياسي في دولة بني نجاح باليمن وعلاقتهم بالصليحيين ، الكويت (١٩٨٤م) ؛

- الملك المجاهد على ٧٢١ - ٧٦٤هـ .
- الملك الأفضل ٧٦٤ - ٧٧٨هـ .
- الملك الأشرف إسماعيل الأول ٧٧٨ - ٨٠٣هـ .
- الملك الناصر أحمد ٨٠٣ - ٨٢٧هـ .
- الملك الظاهر يحيى ٨٣١ - ٨٤٢هـ .
- الدولة الطاهرية ٨٥٨ - ٩٣٣هـ/ ١٤٥٤ - ١٥٢٦م .
- الدولة العثمانية

ب- فى شرقى الجزيرة

- القرامطة[١٣٥] ٢٨١ - ٣٦٦هـ/ ٨٩٤ - ٩٧٧م

جـ- فى الحجاز[١٣٦]

- إمارة مكة المكرمة : الأشراف الحسنية (وهم ذرية الحسن السبط بن الإمام على كرم الله وجهه) .
- إمارة المدينة المنورة : الأشراف الحسينية (وهم ذرية الحسين الشهيد بن الإمام على كرم الله وجهه) .

---

(١٣٥) تامر ، عارف ، القرامطة ، بيروت ، د ت ، كتاب أخبار القرامطة فى الاحسام والشام والعراق واليمن، جمع وتحقيق ودراسة سهيل زكار ، دمشق (١٩٨٠م) .

(١٣٦) عن امارات مكة فى العصر الإسلامى انظر ، دحلان ، أحمد بن زينى ، خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام ، القاهرة (١٣٠٥هـ/١٨٨٧م) ؛ آل زيد ، الشريف مسعود محمد ، تاريخ مكة المكرمة فى عهد الأشراف آل زيد ١٠٤١ - ١٢٩٩هـ/ ١٦٣١ - ١٨٨١م ، القاهرة (٢٠٠٥م) ص ٩ - ٢٠ ؛ السليمان ، على حسين ، العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك ، القاهرة (١٩٧٣م) ؛ محمود ، جميل حرب ، الحجاز واليمن فى العصر الأيوبى ، جدة (١٩٨٥م) ؛ باقاسى ، عائشة عبد الله ، بلاد الحجاز فى العصر الأيوبى ، مكة المكرمة (١٩٨٠م)؛ الزيلعى ، أحمد عمر ، مكة وعلاقاتها الخارجية ٣٠١ - ٤٨٧هـ، الرياض (١٩٨١م) ؛ مورتيل ، ريتشارد ، الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة فى العصر المملوكى ، الرياض (١٩٨٥م) ؛ جار شلى ، إسماعيل حقى ، أشراف مكة وأمرائها فى العهد العثمانى ، ترجمة خليل على مراد ، بيروت (٢٠٠٣م) .

إلا أنهم فى بعض الأحيان تناوبوا إمارة الحرمين الشريفين والتى كانت غالبًا بيد الأشراف الحسنية .

وقد قسم بعض المؤرخين الأشراف من الأسر الحاكمة إلى طبقات وحسبنا أن نشير إلى الأشراف الحسنيين وهم :

- الأشراف الجعافرة (الموسويون) .
- الأشراف السليمانيون .
- الأشراف الهواشم ٤٥٥ - ٥٩٧هـ .
- الأشراف القتاديون ٥٩٧ - ١٠٤٠هـ .
- الأشراف آل زيد ١٠٤١ - ١٢٩٩هـ/ ١٦٣١ - ١٨٨١م .

د - فى عمان(١٣٧) :

توالت على عمان خلال العصر الإسلامى عدة أسر حاكمة ومنها بنى جلندى وبنى سامه وبنى وجيه وبنى مكرم (الموالين للبويهيين الشيعة) وبنى نبهان ٥٤٩ - ٨٠٩هـ ، ودولة الأئمة ٨٣٩ - ٩٦٨هـ وبنى يعرب ١٠٢٤ - ١١٥١هـ فى عمان وساحل شرق افريقية ، ثم الدولة البوسعيدية فى عمان وزنجبار (شرق افريقية) .

---

(١٣٧) ابن رزيق ، حميد بن محمد ، الفتح المبين فى سيرة السادة البوسعيديين ، تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد موسى عبد الله ، سلطنة عمان (١٩٨٢م) ؛ العانى ، عبد الرحمن النجم ، عمان فى العصور الإسلامية الأولى ، بغداد (١٩٧٧م) ؛ السالمى ، عبد الله بن حميد ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، الكويت (١٩٨٤م)، عمر ، فاروق ، الخليج العربى فى العصور الإسلامية ، دبى (١٩٨٣م) ؛ تاريخ الخليج العربى فى العصور الإسلامية الوسطى ، بغداد (١٩٨٥م)؛ كاشف ، سيدة ، عمان فى فجر الإسلام ، سلطنة عمان ، ط٣ (١٩٨٩م) ؛ المسرى ، حسين على ، تاريخ البحرين وعمان من عصر النبوة إلى نهاية العصر الأموى ، الكويت (٢٠٠٠م) ؛ السهيل ، نايف ، الأباضية فى الخليج العربى فى القرنين الثالث والرابع الهجريين ، مسقط ، ط٢ (١٩٩٨م) ؛ العش ، محمد أبو الفرج ، النقود العمانية من خلال التاريخ الإسلامى ، عمان (١٩٨٤م) ؛ باثورست ، أردى ، أسرة اليعاربة العمانية ، أوكسفورد (١٩٦٧م)؛ ولكنسون ، ج . س ، بنو الجلندى فى عان ، سلطنة عمان (١٩٨٢م) ؛ كتاب العمانيون وقلعة ممباسا ، سلسلة تراثنا ، العدد ٩ ، سلطنة عمان ، ط٢ (١٩٨٥م) .

هـ ـ فى السودان وشرق افريقية[١٣٨] :

رصدت المصادر التاريخية حركة الهجرات العربية إلى السودان وشرق افريقية والمنافذ والمداخل التى تسربت منها سواء عن طريق وادى النيل (مصر والسودان) أو عن طريق الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر والمحيط الهندى .

ولم يقتصر الأمر على الهجرات العربية وإنما هاجر إلى شرق افريقية أيضًا بعض مسلمى فارس من شيراز ومن ثم عرفت بالهجرة الشيرازية .

كذالك يجب ألا تنسى ما ترتب على اتساع نطاق التجارة المتبادلة والتوسع فى تجارة الرقيق بصفة خاصة من كثرة الوافدين على شرق افريقية من التجار والمغامرين والوسطاء وهو الأمر الذى ساعد على ظهور الساحلية واستقرار الكثير من الجماعات الإسلامية المهاجرة بها كما هو الحال فى أرخبيل دهلك وزيلع وسواكن وبربره وغيرها .

ولما كان المقام لا يتسع لدراسة تفصيلية حول هذه الهجرات والعوامل التى دفعت إليها من جهة أو الحركة التجارية النشطة من جهة ثانية ولذلك حسبنا أن نشير إلى أنه قد ترتب على انتشار الإسلام فى شرق افريقية قيام عدة دول أو إمارات إسلامية ومنها شوه وعدل وموره وهوبت وأوفات وسلطنة كلوه الشيرازية ؛ بل وإمتدت هذه الإمارات إلى هرر وبلاد أروسى جنوبا حتى البحيرات مطوفة بذلك الحبشة من الجنوب والشرق .

ومن الدول والممالك التى قامت فى السودان الشرقى دولة أو مملكة العبدلاب ، ومملكة الفونج فى سنار ، وسلطنة دارفور وممالك كردفان: تقلى (بفتح التاء) والمسبعات.

وسوف نتحدث فى هذا الكتاب عن مظاهر الحضارة الإسلامية فى شرق إفريقية عامة وفى مدنها الساحلية والداخلية ومنها مقديشيو ولامو ومالندى وممبسه وبمبا وزنجبار وبربرة وكلوه وباضع وسواكن وزيلع وعيذاب وغيرها خاصة .

---

(١٣٨) عبد الجليل ، الشاطر بصيلى ، تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط ، القاهرة (١٩٧٢م)؛ فضل ، يوسف ، مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية فى السودان الشرقى ، الخرطوم ، ط٢ (١٩٧٢م)؛ الحفناوى ، أحمد ، سودان وادى النيل فى ظل الإسلام ، القاهرة (١٩٨٢م)، الحويرى ، ساحل شرق افريقيا من فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالى ، القاهرة (١٩٨٦م) ؛ عبد الحليم ، رجب محمد ، العروبة والإسلام فى دارفور فى العصور الوسطى ، القاهرة (١٩٩١م) ؛ الغنيمى ، عبد الفتاح مقلد ، الإسلام والمسلمون فى شرق افريقية ، القاهرة (١٩٩٨م) ؛ تريمنجهام ، سبنسر ، الإسلام فى السودان ، ترجمة فؤاد محمد عكود ، القاهرة (٢٠٠١م) ؛ شبيكة ، مكى ، مملكة الفونج الإسلامية ، القاهرة (١٩٦٣م).

٥ـ الجناح الشرقى للدولة الإسلامية :

أولاً : إيران واسيا الوسطى :

١ ـ الدولة الطاهرية[١٣٩] ٢٠٥ ـ ٢٥٩هـ/ ٨٢٠ ـ ٨٧٣م (وهى أول دولة شبه مستقلة فى الشرق الإسلامى وكان مقرها فى خراسان وعاصمتها نيسابور) .

٢ ـ الدولة الصفارية ٢٥٤ ـ ٢٩٠هـ/ ٨٦٧ ـ ٩٠٣م (وكانت فى سجستان ومعظم أرجاء فارس) .

٣ ـ الدولة السامانية ٢٦١ ـ ٣٩٥هـ/ ٨٧٤ ـ ١٠٠٥م (وكانت فى خراسان وبلاد ما وراء النهر) . ومن حكامها :

- إسماعيل الأول بن أحمد ٢٧٩ ـ ٢٩٥هـ/ ٨٩٢ ـ ٩٠٧م .
- أحمد بن إسماعيل ٢٩٥ ـ ٣٠١هـ/ ٩٠٧ ـ ٩١٣م .
- نصر الثانى بن أحمد ٣٠١ ـ ٣٣١هـ/ ٩١٣ ـ ٩٤٢م .
- نوح الأول بن نصر ٣٣١ ـ ٣٤٣هـ/ ٩٤٢ ـ ٩٥٤م .
- عبد الله بن نوح ٣٤٣ ـ ٣٥٠هـ/ ٩٥٤ ـ ٣٦١ م.
- منصور بن نوح ٣٥٠ ـ ٣٦٦هـ/ ٣٦١ ـ ٩٧٦م .
- إسماعيل الثانى ٣٩٠ ـ ٣٩٥هـ/ ٩٩٩ ـ ١٠٠٤م .

٤ ـ الدولة البويهية[١٤٠] (شيعية) ٣٣٤ ـ ٤٤٧هـ/ ٩٤٥ ـ ١٠٥٥م ، وكانت فى العراق (العصر العباسى الثالث) وفارس والرى وهمدان واصبهان وبلاد الجبل) ومن حكامها :

- عماد الدولة أبو الحسن على ٣٢٢ ـ ٣٣٨هـ/ ٩٣٣ ـ ٩٤٩م .
- عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو ٣٣٨ ـ ٣٧٢هـ/ ٩٤٩ ـ ٩٨٢م .

---

(١٣٩) عن الدولة الطاهرية والصفارية والسامانية انظر ، الفقى ، الدول الإسلامية المستقلة ، ص٥ ـ ٢٠ ؛ الاشتيانى ، تاريخ إيران ، ص١٣ ـ ١٨ ، ٩٧ ـ ١٣٢ ، ١٣٣ ـ ١٦٧ ؛ أبو سيف ، فتحى ، خراسان ، تاريخها السياسى والحضارى فى سقوط الحكم الطاهرى إلى بداية الحكم الغزنوى ، القاهرة ، ط٢ (١٩٩٤ ـ ١٩٩٥م) .

(١٤٠) الفقى ، الدول الإسلامية المستقلة ، ص٢٠ ـ ٢٢ ؛ الأشتيانى ، تاريخ إيران ، ص٥٧ ـ ٩٥ .

ـ شرف الدولة أبو الفوارس ٣٧٢ ـ ٣٨٠هـ/ ٩٨٢ ـ ٩٩٠م .

ـ صمصام الدولة أبو كاليجار ٣٨٠ ـ ٣٨٨هـ/ ٩٩٠ ـ ٩٩٨م .

٥ ـ الدولة الغزنوية[١٤١] ٣٦٦ ـ ٥٨٢هـ/ ٩٧٧ ـ ١١٨٦م ، (وكانت فى خراسان وأفغانستان وشمال الهند) ومن حكامها :

ـ ناصر الدولة سبكتكين ٣٦٧ ـ ٣٨٧هـ/ ٩٧٧ ـ ٩٩٧م .

ـ إسماعيل بن سبكتكين ٣٨٧ ـ ٣٨٩هـ/ ٩٩٧ ـ ٩٩٨م .

ـ يمين الدولة محمود بن سبكتكين ٣٨٩ ـ ٤٢١هـ/ ٩٩٨ ـ ١٠٣٠م .

ـ مسعود الأول بن محمود ٤٢١ ـ ٤٣٣هـ/ ١٠٣٠ ـ ١٠٤١م .

ـ مسعود الثانى بن مودود ٤٤١هـ/ ١٠٥٠م .

ـ مسعود الثالث بن إبراهيم ٤٩٢ ـ ٥٠٨هـ/ ١٠٩٨ ـ ١١١٤م .

٦ ـ الدولة القره خانية[١٤٢] ٣١٥ ـ ٦٠٨هـ (وكانت فى بلاد ما وراء النهر والتركستان الشرقية) . ومن حكامها :

ـ أحمد الأول أرسلان قره خان ٣٨٨ ـ ٤٠٦هـ/ ٩٩٨ ـ ١٠١٥م .

ـ منصور أرسلان خان ٤٠٦ ـ ٤١٥هـ/ ١٠١٥ ـ ١٠٢٤م .

ـ إبراهيم الأول ٤٤٤ ـ ٤٦٠هـ/ ١٠٥٢ ـ ١٠٦٧م .

ـ نصر بن إبراهيم ٤٦٠ ـ ٤٧٤هـ/ ١٠٦٧ ـ ١٠٨٢م .

٧ ـ الدولة السلجوقية[١٤٣] ٤٢٩ ـ ٥٩٠هـ/ ١٠٣٨ ـ ١١٩٤م . (وكانت فى إيران والعراق (العصر العباسى الرابع ٤٤٧ ـ ٥٩٠هـ/ ١٠٥٥ ـ ١١٩٤م) وكرمان

---

(١٤١) الفقى ، الدول الإسلامية المستقلة ، ص٦٩ ـ ١٥١ ؛ الاشتيانى ، تاريخ إيران ، ص١٦٩ ـ ٢٠٨ .

(١٤٢) المحيميد ، على صالح ، القرخانيون وجهودهم فى نشر الإسلام ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد ١٦ ، صفر ١٤١٧هـ/ يونية (١٩٩٦م) ، ص٢٧٣ ـ ٣٣١٨ ؛ رمضان ، عاطف منصور ، نقود القرخانيين ، القاهرة (٢٠٠٦م) .

(١٤٣) الفقى ، الدول الإسلامية المستقلة ، ص١٥٢ ـ ١٧٦ ؛ الاشتيانى ، تاريخ إيران ، ص٢٢٧ ـ ٣٠٨ ؛ إدريس ، محمد محمود ، رسوم السلاجقة ونظمهم الاجتماعية ، القاهرة (١٩٨٣م) ؛ تاريخ العراق والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى الأول ، القاهرة (١٩٨٥م) ، (فضلاً عن المراجع المذكورة فى الحاشية رقم ٣٩ من هذا الكتاب) .

والشام وأسيا الصغرى (الروم) ...) .

ومن سلاطين السلاجقة حسبنا أن نشير إلى السلاطين العظام وهم :

- طغرلبك ٤٢٩ ـ ٤٥٥هـ/ ١٠٣٨ ـ ١٠٦٣م .
- الب ارسلان ٤٥٥ ـ ٤٦٥هـ/ ١٠٦٣ ـ ١٠٧٢م .
- ملكشاه ٤٦٥ ـ ٤٨٥هـ/ ١٠٧٢ ـ ١٠٩٢م .
- محمود الأول ٤٨٥ ـ ٤٨٧هـ/ ١٠٩٢ ـ ١٠٩٤م .
- بركياروق ٤٨٧ ـ ٤٩٨هـ/ ١٠٩٤ ـ ١١٠٥م
- ملكشاه الثانى ٤٩٨ ـ ٥١١هـ/ ١١٠٥ ـ ١١١٨م .
- سنجر ٥١١ ـ ٥٥٢هـ/ ١١١٨ ـ ١١٥٧م .

٨ ـ الدولة الخوارزمية[١٤٤] ٤٧٠ ـ ٦٢٨هـ/ ١٠٧٧ ـ ١٢٣١م (وكانت فى إيران وأسيا الوسطي)

ومن حكامها :

- أنوشتكين التركى ٤٧٠ ـ ٤٩٠هـ/ ١٠٧٧ ـ ١٠٩٧م .
- قطب الدين محمد ٤٩٠ ـ ٥٢١هـ/ ١٠٩٧ ـ ١١٢٧م .
- علاء الدين أتسزخوارزم شاه ٥٢١ ـ ٥٥١هـ/ ١١٢٧ ـ ١١٥٦م .
- علاء الدين محمد خوارزم شاه ٥٩٦ ـ ٦١٧هـ/ ١١٩٩ ـ ١٢١٩م .
- جلال الدين منكبرتى ٦١٧ ـ ٦٢٨هـ/ ١٢١٩ ـ ١٢٣١م .

٩ ـ الدولة الإيلخانية (مغول فارس) انتهت عام ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م كما سبقت الإشارة ، ومنها أيضًا مغول القفجاق (القبيلة الذهبية) .

١٠ ـ الدولة المظفرية[١٤٥] ٧١٨ ـ ٧٩٥هـ/ ١٣١٨ ـ ١٣٩٣م (وكانت فى فارس وكرمان وعاصمتها شيراز) .

١١ ـ الدولة الجلائرية وكانت فى العراق وأزربيجان وكانت عاصمتها بغداد ثم تبريز) وقد سبقت الإشارة إلى أسماء حكامها .

---

(١٤٤) الفقى ، الدول الإسلامية المستقلة ، ص٢٩٧ ـ ٣١٠ ؛ الاشتيانى ، تاريخ إيران ، ص٣١٩ ـ ٣٤٢ ؛ العبود ، نافع توفيق ، الدولة الخوارزمية ، بغداد (١٩٨٧م)؛ حمدى ، حافظ ، الدولة الخوارزمية والمغول ، القاهرة (١٩٤٩م) .

(١٤٥) الاشتيانى ، تاريخ إيران ، ص٥٠٧ ـ ٥٤٤ .

١٢ ـ دولة آل كورت[١٤٦] (فى شرق خراسان وعاصمتها هراة) ٦٤٣ ـ ٧٨٤هـ/ ١٢٤٥ ـ ١٣٨٢م .

١٣ ـ دولة السربداريون[١٤٧] ٧٣٧ ـ ٧٨٣هـ/ ١٣٣٧ ـ ١٣٨١م (وكانت فى خراسان حيث إقتسموها مع دولة آل كورت) .

١٤ ـ دولة القراقيونلو[١٤٨] (أصحاب الشاة أو الخراف السوداء) ٧٨٢ ـ ٨٧٤هـ/ ١٣٨٠ ـ ١٤٦٩م . (وكانت فى أذربيجان والعراق) .

١٥ ـ دولة الآق قيونلو[١٤٩] (أصحاب الشاة أو الخراف البيضاء) ٧٨٠ ـ ٩١٤هـ/ ١٣٧٨ ـ ١٥٠٨م . (وكانت فى أذربيجان وديار بكر وشرق الأناضول) .

١٦ ـ الدولة التيمورية[١٥٠] ٧٧١ ـ ٩٠٦هـ/ ١٣٦٩ ـ ١٥٠٠م (وكانت فى إيران وأسيا الوسطى وعاصمتها سمرقند ثم هراة ، وكانت تمتد من دهلى إلى دمشق ومن بحيرة آرال إلى خليج البصرة ؛ ولم يستطع خلفاء تيمور الاحتفاظ بهذا الملك العريض طويلاً) ومن حكامها :

١ ـ تيمور لنك ٧٧١ ـ ٨٠٨هـ/ ١٣٧٠ ـ ١٤٠٥م .

٢ ـ شاه رخ ٨٠٨ ـ ٨٥٠هـ/ ١٤٠٥ ـ ١٤٤٧م .

٣ ـ اولوغ بك ٨٥٠ ـ ٨٥٣هـ/ ١٤٤٧ ـ ١٤٤٩م .

٤ ـ أبو سعيد بن محمد بن ميرانشاه ٨٥٥ ـ ٨٧٣هـ.

٥ ـ أحمد بن أبى سعيد ٨٧٣ ـ ٨٩٩هـ /

٦ ـ حسين ميرزا بايقرا ٨٧٣ ـ ٩١٢هـ/ ١٤٦٨ ـ ١٥٠٦م .

١٧ ـ الدولة الصفوية[١٥١] ٩٠٧ ـ ١١٤٨هـ/ ١٥٠٢ ـ ١٧٣٦م (وكانت فى إيران وأحيانا العراق وبعض نواحى أسيا الوسطى ومذهبها الإمامية (الاثنى

---

(١٤٦) الاشتيانى ، تاريخ إيران ، ص

(١٤٧) الاشتيانى ، تاريخ إيران ، ص ٥٦١ ـ ٥٦٧ .

(١٤٨) الاشتيانى ، تاريخ إيران ، ص٦٢٩ ـ ٦٣٣ .

(١٤٩) الأشتيانى ، تاريخ إيران ، ص٦٣٣ ـ ٦٣٧ .

(١٥٠) الاشتيانى ، تاريخ إيران ، ص٥٨٩ ـ ٦٢٧ .

(١٥١) الاشتيانى ، تاريخ إيران ، ص٦٣٩ ـ ٧٠٨ ؛ جمعة ، بديع ؛ الشاه عباس الكبير ، القاهرة (١٩٨٠م) ؛ جمعه ، بديع ، الخولى ، أحمد ، تاريخ الصفويين وحضارتهم ، جـ١ ، القاهرة (١٩٧٦م)؛ الخولي، أحمد ، الدولة الصفوية ، تاريخها السياسى والاجتماعى وعلاقتها بالعثمانيين ، القاهرة (١٩٨١م).

عشرية) وانتقلت العاصمة من تبريز إلى قزوين ثم أصفهان) . ومن حكامها :
- الشاه إسماعيل الأول ٩٠٧ - ٩٣٠هـ/ ١٥٠٢ - ١٥٢٤م .
- الشاه طهماسب الأول ٩٣٠ - ٩٨٤هـ/ ١٥٢٤ - ١٥٧٦م .
- الشاه إسماعيل الثانى ٩٨٤ - ٩٨٥هـ/ ١٥٧٦ - ١٥٧٧م .
- الشاه محمد خدانبده ٩٨٥ - ٩٩٥هـ/ ١٥٧٨ - ١٥٨٧م .
- الشاه عباس الأول (عباس الكبير) ٩٩٦ - ١٠٣٨هـ/ ١٥٨٨ - ١٦٢٨م .
الشاه صفى الأول ١٠٣٨ - ١٠٥٢هـ/ ١٦٢٨ - ١٦٤٢م .
- الشاه عباس الثانى ١٠٥٢ - ١٠٧٧هـ/ ١٦٤٢ - ١٦٦٦م .

١٨ - الدولة الافشارية[١٥٢] ١١٤٨ - ١٢١٠هـ/ ١٧٣٦ - ١٧٩٥م (وكانت فى إيران) ومن أشهر حكامها نادرشاه ١١٤٨ - ١١٦٠هـ/ ١٧٣٦ - ١٧٤٧م) .

١٩ - الدولة القاجارية[١٥٣] ١١٩٣ - ١٣٤٢هـ/ ١٧٧٩ - ١٩٢٤م . (وكانت فى إيران) ومن حكامها :
- اقا محمد شاه ١١٩٣ - ١٢١٢هـ/ ١٧٧٩ - ١٧٩٧م .
- فتح على شاه ١٢١٢ - ١٢٥٠هـ/ ١٧٩٧ - ١٨٣٤م .
- محمد شاه ١٢٥٠ - ١٢٦٤هـ/ ١٨٣٤ - ١٨٤٨م .
- ناصر الدين شاه ١٢٦٤ - ١٣١٣هـ/ ١٨٤٨ - ١٨٩٦م .
- أحمد شاه بن محمد على (آخر الحكام) ١٣٢٧ - ١٣٤٣هـ/ ١٩٠٩ - ١٩٢٤م .

(ثم تأتى الأسرة أو الدولة البهلوية ١٩٢٤ - ١٩٧٩م ومنذ هذا التاريخ الأخير قامت الجمهورية الإسلامية الحالية فى إيران) .

أما الدول الإسلامية التى أعقبت الدولة التيمورية فى أسيا الوسطى[١٥٤] فهى على النحو التالى :

١ - الشيبانيون ٩٠٧ - ١٠٠٧هـ/ ١٥٠٠ - ١٥٩٩م . (وكانت فى سمرقند

(١٥٢) الاشتيانى ، تاريخ إيران ، ص٧٠٨ - ٧٢٤ .
(١٥٣) الاشتيانى ، تاريخ إيران ، ص٧٤١ - ٨٥٥ .
(١٥٤) عن تاريخ الدولة الإسلامية التى أعقبت التيموريين فى أسيا الوسطى انظر : فاميرى ، ارمينوس ، تاريخ بخارى ، ترجمة أحمد محمود الساداتى ، مراجعة وتقديم يحيي الخشاب ، القاهرة (١٩٦٥م) =

وبخاری وطشقند وبلخ) ومن حكامها الذين تولوا عرش الخانية (الخان الأعظم) :

- محمد شيبانى خان ٩٠٦ ـ ٩١٦هـ/ ١٥٠٠ ـ ١٥١٠م .
- كوچكونجى ٩١٨ ـ ٩٣٧هـ/ ١٥١٢ ـ ١٥٣١م .
- مظفر الدين أبو سعيد ٩٣٧ ـ ٩٤٠هـ/ ١٥٣١ ـ ١٥٣٤م .
- عبد الله الأول ٩٤٦ ـ ٩٤٧هـ/ ١٥٣٩ ـ ١٥٤٠م .
- عبد اللطيف ٩٤٧ ـ ٩٥٩هـ/ ١٥٤٠ ـ ١٥٥٢م .
- نوروز أحمد ٩٥٩ ـ ٩٦٣هـ/ ١٥٥٢ ـ ١٥٥٦م .
- بير محمد الأول ٩٦٣ ـ ٩٦٨هـ/ ١٥٥٦ ـ ١٥٦١م .
- اسكندر ٩٦٨ ـ ٩٩١هـ/ ١٥٦١ ـ ١٥٨٣م .
- عبد الله الثانى بن اسكندر ٩٩١ ـ ١٠٠٦هـ/ ١٥٨٣ ـ ١٥٩٨م .
- عبد المؤمن ١٠٠٦ ـ ١٠٠٧ هـ/ ١٥٩٨م .
- بير محمد الثانى ١٠٠٧هـ/ ١٥٩٩م .

أ ـ الحكام فى بخارى :

- عبيد الله خان ٩١٨ ـ ٩٤٦هـ .
- عبد العزيز بن عبيد الله ٩٤٦ ـ ٩٥٧هـ.
- يار محمد بالاشتراك مع برهان ٩٥٧ ـ ٩٦١هـ .
- اسكندر ٩٦٤ ـ ٩٩١هـ (وكان ابنه عبد الله هو الحاكم الفعلى) .
- عبد الله بن اسكندر ٩٩١ ـ ١٠٠٦هـ .
- عبد المؤمن بن عبد الله ١٠٠٦هـ/ ١٥٩٨م .

ب ـ الحكام فى سمرقند ومنهم :

- محمد شيبانى خان ٩٠٧ ـ ٩١٦هـ .
- محمد تيمور بالاشتراك مع كوچكونجي ٩١٨ ـ ٩٢٠هـ .

= جابر ، مصطفى ، مدرسة بخارى فى التصوير الإسلامى ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية الآثار، جامعة القاهرة (٢٠٠٥م) ؛ الساداتى ، أحمد محمود ، تاريخ الدول الإسلامية باسيا وحضارتها ، القاهرة ، ط٢ (١٩٩٧م)، ص ٢٠٨ ـ ٢٢٣ .

- كوچكونجي ٩٢٠ ـ ٩٣٧هـ .
- أبو سعيد بن كوچكونجي ٩٣٧ ـ ٩٤٠هـ .
- عبد الله الأول بن كوچكونجى ٩٤٠ ـ ٩٤٧هـ .
- عبد اللطيف بن كوچكونجى ٩٤٧ ـ ٩٥٩هـ .

جـ ـ فى طشقند : ومنهم :

- سيونج ٩١٧ ـ ٩٣١هـ .
- سلطان محمد بهادر بن سيونج ٩٣١ ـ ٩٣٩هـ/
- نوروزا حمد (براق خان) ٩٣١ ـ ٩٦٣هـ .

د ـ فى بلخ : ومنهم :

- پير محمد ابن جانى بك ٩٥٥ ـ ٩٦٨هـ .

٢ ـ دولة خانات استراخان ١٠٠٧ ـ ١٢٠٠هـ/ ١٥٩٩ ـ ١٧٨٥م . ومن حكامها :

- باقى محمد ١٠٠٧ ـ ١٠١٤هـ/ ١٥٩٩ ـ ١٦٠٥م .
- ولى محمد ١٠١٤ ـ ١٠٢٠هـ/ ١٦٠٥ ـ ١٦١١م .
- إمام قلى ١٠٢٠ ـ ١٠٥١هـ/ ١٦١١ ـ ١٦٤٢م .
- عبد الله ١٠٥٥ ـ ١٠٩١هـ/ ١٦٤٥ ـ ١٦٨٠م .
- سبحان قلى ١٠٩١ ـ ١١١٤هـ/ ١٦٨٠ ـ ١٧٠٢م .
- عبد العزيز الأول ١١١٤ ـ ١١٢٣هـ/ ١٧٠٢ ـ ١٧١١م .
- أبو الفيض ١١٢٣ ـ ١١٦٠هـ/ ١٧١١ ـ ١٧٤٧م .
- أبو الغازى (آخر الحكام) ١١٧١ ـ ١٢٠٠هـ/ ١٧٥٨ ـ ١٧٨٥م .

٣ ـ دولة المنغيت ١٢٠٠ ـ ١٣٣٨هـ/ ١٧٨٥ ـ ١٩٢٠م . ومن حكامها :

- مير معصوم شاه مراد ١٢٠٠ ـ ١٢١٥هـ/ ١٧٨٥ ـ ١٨٠٠م .
- حيدر توره (أمير سعيد بن معصوم شاه) ١٢١٥ ـ ١٢٤٢هـ/ ١٨٠٠ ـ ١٨٢٦م .
- مظفر الدين بن نصر الله ١٢٧٧ ـ ١٣٠٤هـ/ ١٨٦٠ ـ ١٨٨٦م.
- عبد الأوحد بن مظفر الدين ١٣٠٤ ـ ١٣٢٨هـ/ ١٨٨٦ ـ ١٩١٠م .
- مير عليم بن عبد الأوحد ١٣٢٨ ـ ١٣٣٨هـ/ ١٩١٠ ـ ١٩٢٠م (وهو آخر الحكام ثم الاحتلال الروسي) .

٤ ـ دولة خانات خيوه (أو خانات خوارزم) ٩٢١ ـ ١٣٣٧هـ/ ١٥١٥ ـ ١٩١٩م)
وعددهم ٣٦ خانا ثم الاحتلال الروسى) .

٥ ـ دولة خانات خوقند أو خانات فرغانه ١١١٢ ـ ١٢٩٣هـ/ ١٧٠٠ ـ ١٨٧٦م
(وعددهم ١٧ خانًا ثم الاحتلال الروسي) .

ثانيًا : أسيا الصغرى (الأناضول)

١ ـ دولة سلاجقة الروم[١٥٥] ٤٧٠ ـ ٧٠٧هـ/ ١٠٧٧ ـ ١٣٠٧م . ومن حكامها :

- قليج أرسلان الأول ٤٨٥ ـ ٥٠٠هـ/ ١٠٩٢ ـ ١١٠٧م .
- عز الدين قليج ارسلان الثانى ٥٥١ ـ ٥٨٨هـ/ ١١٥٦ ـ ١١٩٢م .
- غياث الدين كيخسرو الأول (للمرة الأولي) ٥٨٨ ـ ٥٩٢هـ/ ١١٩٢ ـ ١١٩٦م وللمرة الثانية ٦٠١ ـ ٦٠٧هـ/ ١٢٠٤ ـ ١٢١٠م .
- عز الدين كيكاوس الأول ٦٠٧ ـ ٦١٦هـ/ ١٢١٠ ـ ١٢١٩م .
- علاء الدين كيقباد الأول ٦١٦ ـ ٦٣٤هـ/ ١٢١٩ ـ ١٢٣٧م .

(وسقطت هذه الدولة نهائيا على يد المغول ، عام ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م ويبدأ بعد ذلك عهد ملوك الطوائف أو البكوات (بكلربگى بالأناضول ؛ إلى أن يتم توحيد الأناضول ثانية تحت سيادة واحدة على يد العثمانيين ومنها ينطلقون إلى أوروبا أولاً فالأقطار العربية ثانية) .

٢ ـ الدولة الدانشمندية[١٥٦] (كانت فى وسط وشرق الأناضول)

أ ـ فى سيواس ٤٧٧ ـ ٥٧٠هـ/ ١٠٨٤ ـ ١١٧٤م ومن حكامها :

- كمشتكين أحمد الدانشمند ٤٧٧ ـ ٤٩٩هـ/ ١٠٨٤ ـ ١١٠٤م .
- ملك غازى بن دانشمند ٤٩٩ ـ ٥٢٩هـ/ ١١٠٥ ـ ١١٣٥م .
- ملك محمد بن ملك غازى ٥٢٩ ـ ٥٣٧هـ/ ١١٠٥ ـ ١١٤٢م .

---

(١٥٥) رايس ، تامارا تالبوت ، السلاجقة تاريخهم وحضارتهم ، ترجمة لطفى الخورى وإبراهيم الداقوقى ، بغداد (١٩٦٨م) ؛ عبد اللطيف ، أحمد تونى ، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى دولة سلاجقة الروم ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية دار العلوم ، جامعة المنيا (١٩٨٦م) ؛
Cahen, C., Pre Ottoman Türkey, 1071 - 1330, London, (1968) .

(١٥٦) الغامدى ، على محمد ، المجاهد المسلم كمشتكين بن دانشمند ، الطائف ١٤١١هـ ؛ المحيميد ، على بن صالح ، الدانشمنديون وجهادهم فى الأناضول ، الاسكندرية (١٩٩٤م).

- ملك نظام الدين ياغى بسان بن ملك غازى ٥٣٧ - ٥٦٠هـ/ ١١٤٢ - ١١٦٤م .

ب - فى ملطية ٥٣٧ - ٥٧٣هـ/ ١١٤٢ - ١١٧٧م ، ومن حكامها :

- عين الدولة بن ملك غازى ٥٣٧ - ٥٤٧هـ/ ١١٤٢ - ١١٥٢م .
- ذو القرنين بن ملك غازى ٥٤٧ - ٥٥٦هـ/ ١١٥٢ - ١١٦١م .
- ناصر الدين محمد بن ذى القرنين (للمرة الأولي) ٥٥٦ - ٥٦٥هـ/ ١١٦١ - ١١٦٩م وللمرة الثانية ٥٧١ - ٥٧٣هـ/ ١١٧٥ - ١١٧٧ م

٣ - دولة بنى أرتق[١٥٧] (فى حصن كيفا وآمد (ديار بكر) وماردين وميافارقين).

أ - فى حصن كيفا وآمد ٤٩١ - ٦٢٩هـ/ ١٠٩٨ - ١٢٣٢م . ومن حكامها :

- معين الدين سكمن الأول ٤٩١ - ٤٩٨هـ/ ١٠٩٨ - ١١٠٥م .
- ركن الدولة داود ٥٠٢ - ٥٣٩هـ/ ١١٠٩م - ١١٤٤م .
- فخر الدين قره أرسلان ٥٣٩ - ٥٦٢هـ/ ١١٤٤ - ١١٦٧م .
- قطب الدين سكمن الثانى ٥٨١ - ٥٩٧هـ/ ١١٨٥ - ١٢٠١م .

(ثم استولى الأيوبيون عام ٦٢٩هـ/ ١٢٣٢م) .

ب - فى ماردين وميافارقين ٤٩٧ - ٨١١هـ/ ١١٠٤ - ١٤٠٨م . ومن حكامها :

- نجم الدين ألبى ٥٤٧ - ٥٧٢هـ/ ١١٥٢ - ١١٧٦م .
- قطب الدين ايلغازى الثانى ٥٧٢ - ٥٨٠هـ/ ١١٧٦ - ١١٨٤م .
- حسام الدين يولاق أرسلان ٥٨٠ - ٥٩٧هـ/ ١١٨٤ - ١٢٠١م .
- نصير الدين ارتق أرسلان ٥٩٧ - ٦٣٧هـ/ ١٢٠١ - ١٢٣٩م .
- قره أرسلان المظفر ٦٥٨ - ٦٩١هـ/ ١٢٦٠ - ١٢٩٢م .

(ثم إستولى الآق قيونلو عام ٨١١هـ/ ١٤٠٨م) .

---

(١٥٧) خليل ، عماد الدين ، الإمارات الارتقية فى الجزيرة والشام ٤٦٥ - ٨١٢هـ/ ١٠٧٢ - ١٤٠٩م .

٤ ـ دول ملوك الطوائف أو البكوات[(١٥٨)] (بكلربكى) :

ومن بينها :

١ ـ بنى قرامان (بوسط الأناضول) ٦٥٤ ـ ٨٨٨هـ/ ١٢٥٦ ـ ١٤٨٣م .

٢ ـ بنى صاروخان (فى مغنيسة) ٧٠٠ ـ ٨١٣هـ/ ١٣٠٠ ـ ١٤١٠م .

٣ ـ بنى آيدين (فى سلجوق) ٦٩٩هـ أو ٧٠٠هـ/ ١٢٩٩م أو ١٣٠٠م إلى ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م .

٤ ـ بنى منتشا ٧٠٠ ـ ٨٢٩هـ/ ١٣٠٠ ـ ١٤٢٥م .

٥ ـ بنى ذى لغادر (فى مرعش والبستان وفيما حولهما) ٧٤٠ ـ ٩٢٨هـ/ ١٣٣٩ ـ ١٥٢١م .

٦ ـ بنى رمضان (فى أذنه) ٧٨٠ ـ ١٠١٧هـ/ ١٣٧٨ ـ ١٦٠٨م .

٧ ـ الاق قيونلو (أصحاب الشاة أو الخراف البيضاء) فى ديار بكر وشرق الأناضول وآذربيجان) ٧٨٠ ـ ٩١٤هـ/ ١٣٧٨ ـ ١٥٠٨م .

٥ ـ الدولة العثمانية[(١٥٩)] ٦٩٩ ـ ١٣٤٢هـ/ ١٢٩٩ ـ ١٩٢٤م ومن حكامها :

١ ـ عثمان بن ارطغرل ٦٩٩ ـ ٧٢٤هـ/ ١٢٩٩ ـ ١٣٢٤م .

٢ ـ أورخان ٧٢٤ ـ ٧٦١هـ/ ١٣٢٤ ـ ١٣٦٠م .

٣ ـ مراد الأول ٧٦١ ـ ٧٩١هـ/ ١٣٦٠ ـ ١٣٨٩م .

٤ ـ بايزيد يلدريم ٧٩١ ـ ٨٠٤هـ/ ١٣٨٩ ـ ١٤٠٢م .

٥ ـ محمد چلبى (محمد الأول) ٨٠٥هـ/ ١٤٠٣م(فى الأناضول فقط) وبعد ٨١٦هـ/ ١٤١٣م فى الروملى .

٦ ـ سليمان الأول (فى روملى فقط) ٨٠٦ ـ ٨١٣هـ/ ١٤٠٣ ـ ١٤١٠م .

٧ ـ مراد الثانى (للمرة الأولى) ٨٢٤ ـ ٨٤٨هـ/ ١٤٢١ ـ ١٤٤٤م .

٨ ـ محمد الثانى (الفاتح) (للمرة الأولى) ٨٤٨ ـ ٨٥٠هـ/ ١٤٤٤ ـ ١٤٤٦م .

---

(١٥٨) Cahen, C., Pre Ottoman Türkey, 1071 - 1330, London, (1968) ; Yücel, Y and Sevin, A., Türkiye Tarihi, I, Ankara (1990)., Yücel, Y., Anadolu Beylikleri Hakkinda Arastirmalar, I - II, Ankara, (1989, 1991)., Uzuncarsili, I, H., Anadolu Beylikeleri ve Akkayunlu - Karakoyunlu Devletleri, Ankara, (1969).

(١٥٩) انظر المصادر والمراجع الواردة فى الهوامش أرقام ٤١ ـ ١١٢ فى الدراسات التمهيدية من هذا الكتاب .

ـ مراد الثاني (للمرة الثانية) ٨٥٠ ـ ٨٥٥هـ/ ١٤٤٦ ـ ١٤٥١م .
ـ محمد الفاتح (للمرة الثانية) ٨٥٥ ـ ٨٨٦هـ/ ١٤٥١ ـ ١٤٨١م .
٩ ـ بايزيد الثاني ٨٨٦ ـ ٩١٨هـ/ ١٤٨١ ـ ١٥١٢م .
١٠ ـ سليم الأول (ياووز) ٩١٨ ـ ٩٢٦هـ/ ١٥١٢ ـ ١٥٢٠م .
١١ ـ سليمان الثاني القانوني أو المعظم ٩٢٦ ـ ٩٧٤هـ/ ١٥٢٠ ـ ١٥٦٦م .
١٢ ـ سليم الثاني ٩٧٤ ـ ٩٨٢هـ/ ١٥٦٦ ـ ١٥٧٤م .
١٣ ـ مراد الثالث ٩٨٢ ـ ١٠٠٣هـ/ ١٥٧٤ ـ ١٥٩٥م .
١٤ ـ محمد الثالث ١٠٠٣ ـ ١٠١٢هـ/ ١٥٩٥ ـ ١٦٠٣م .
١٥ ـ أحمد الأول ١٠١٢ ـ ١٠٢٦هـ/ ١٦٠٣ ـ ١٦١٧م .
١٦ ـ مصطفى الأول (للمرة الأولي) ١٠٢٦ ـ ١٠٢٧هـ/ ١٦١٧ ـ ١٦١٨م .
١٧ ـ عثمان الثاني ١٠٢٧ ـ ١٠٣١هـ/ ١٦١٨ ـ ١٦٢٢م .
ـ مصطفى الأول (للمرة الثانية) ١٠٣١ ـ ١٠٣٢هـ/ ١٦٢٢ ـ ١٦٢٣م .
١٨ ـ مراد الرابع ١٠٣٢ ـ ١٠٤٩هـ/ ١٦٢٣ ـ ١٦٤٠م .
١٩ ـ إبراهيم ١٠٤٩ ـ ١٠٥٨هـ/ ١٦٤٠ ـ ١٦٤٨م .
٢٠ ـ محمد الرابع ١٠٥٨ ـ ١٠٩٩هـ/ ١٦٤٨ ـ ١٦٨٧م .
٢١ ـ سليمان الثالث ١٠٩٩ ـ ١١٠٢هـ/ ١٦٨٧ ـ ١٦٩١م .
٢٢ ـ أحمد الثاني ١١٠٢ ـ ١١٠٦هـ/ ١٦٩١ ـ ١٦٩٥م .
٢٣ ـ مصطفى الثاني ١١٠٦ ـ ١١١٥هـ/ ١٦٩٥ ـ ١٧٠٣م .
٢٤ ـ أحمد الثالث ١١١٥ ـ ١١٤٣هـ/ ١٧٠٣ ـ ١٧٣٠م .
٢٥ ـ محمود الأول ١١٤٣ ـ ١١٦٨هـ/ ١٧٣٠ ـ ١٧٥٤م .
٢٦ ـ عثمان الثالث ١١٦٨هـ ـ ١١٧١هـ/ ١٧٥٤ ـ ١٧٥٧م .
٢٧ ـ مصطفى الثالث ١١٧١ ـ ١١٨٧هـ/ ١٧٥٧ ـ ١٧٧٤م .
٢٨ ـ عبد الحميد الأول ١١٨٧ ـ ١٢٠٣هـ/ ١٧٧٤ ـ ١٧٨٩م .
٢٩ ـ سليم الثالث ١٢٠٣ ـ ١٢٢٢هـ/ ١٧٨٩ ـ ١٨٠٧م .
٣٠ ـ مصطفى الرابع ١٢٢٢ ـ ١٢٢٣هـ/ ١٨٠٧ ـ ١٨٠٨م .
٣١ ـ محمود الثاني ١٢٢٣ ـ ١٢٥٥هـ/ ١٨٠٨ ـ ١٨٣٩م .

٣٢ ـ عبد المجيد الأول ١٢٥٥ ـ ١٢٧٧هـ/ ١٨٣٩ ـ ١٨٦١م .
٣٣ ـ عبد العزيز ١٢٧٧ ـ ١٢٩٣هـ/ ١٨٦١ ـ ١٨٧٦م .
٣٤ ـ مراد الخامس ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م .
٣٥ ـ عبد الحميد الثانى ١٢٩٣ ـ ١٣٢٧هـ/ ١٨٧٦ ـ ١٩٠٩م .
٣٦ ـ محمد (الخامس) رشاد ١٣٢٧ ـ ١٣٣٦هـ/ ١٩٠٩ ـ ١٩١٨م .
٣٧ ـ محمد (السادس) وحيد الدين ١٣٣٦ ـ ١٣٤١هـ/ ١٩١٨ ـ ١٩٢٢م .
٣٨ ـ عبد المجيد الثانى (كخليفة فقط) ١٣٤١ ـ ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٢ ـ ١٩٢٤م .

ثالثا : الهند(١٦٠) :

أ ـ دول سلطنة دهلى الإسلامية :

١ ـ دولة المماليك ٦٠٢ ـ ٦٨٩هـ/ ١٢٠٦ ـ ١٢٨٧م ومن حكامها :
ـ قطب الدين أيبك التركى ٦٠٢ ـ ٦٠٧هـ/ ١٢٠٦ ـ ١٢١٠م .
ـ شمس الدين التمش ٦٠٧ ـ ٦٣٣هـ/ ١٢٠٦ ـ ١٢٣٦م .

٢ ـ الخلجيون ٦٨٩ ـ ٧٢٠هـ/ ١٢٩٠ ـ ١٣٢٠م ومن حكامها :
ـ جلال الدين فيروز شاه ٦٨٩ ـ ٦٩٥هـ/ ١٢٩٠ ـ ١٢٩٦م .
ـ علاء الدين محمد شاه ٦٩٥ ـ ٧١٦هـ/ ١٢٩٦ ـ ١٣١٦م .
ـ قطب الدين مبارك شاه ٧١٦ ـ ٧٢٠هـ/ ١٣١٦ ـ ١٣٢٠م .

٣ ـ التغلقيون ٧٢٠ ـ ٨١٥هـ/ ١٣٢٠ ـ ١٤١٢م ومن حكامها :
ـ غياث الدين تغلق شاه الأول ٧٢٠ ـ ٧٢٥هـ/ ١٣٢٠ ـ ١٣٢٥م .
ـ محمد الثانى بن تغلق ٧٢٥ ـ ٧٥٢هـ/ ١٣٢٥ ـ ١٣٥١م .

---

(١٦٠) عن تاريخ الدول الإسلامية بالهند انظر :
الفقى ، الدول الإسلامية المستقلة ، ص٣٣٤ ـ ٤٣٦ ؛ الساداتى ، تاريخ الدول الإسلامية بأسيا وحضارتها ، ص ٥٧ ـ ٩٩ ؛ تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ، جزءان ، القاهرة ، ط٢ (١٩٨٠م) ؛ العبد ، محمد عبد المجيد ، الإسلام والدول الإسلامية فى الهند ، القاهرة (١٩٣٩م)؛ البشبيشى ، أحمد إبراهيم ، الهند خلال العصور ، اجرا ، (١٩٥٨م) ؛ الندوى ، عبد الحى الحسنى ، الهند فى العهد الإسلامى ، حيدر آباد (١٩٧٠م)؛ النمر ، عبد المنعم ، تاريخ الإسلام فى الهند ، القاهرة ، ط٣ (١٩٩٠م) .

- محمود شاه الثانى (للمرة الأولي) ٧٩٦ - ٧٩٧هـ/ ١٣٩٤م (وللمرة الثانية) ٨٠٢ - ٨١٥هـ/ ١٣٩٩ - ١٤١٢م .

٤ - اللوديون ٨٥٥ - ٩٣٢هـ/ ١٤٥١ - ١٥٢٦م ومن حكامها :

- بهلول اللودى ٨٥٥ - ٨٩٤هـ/ ١٤٥١ - ١٤٨٨م .
- اسكندر بن بهلول ٨٩٤ - ٩٢٣هـ/ ١٤٨٨ - ١٥١٧م .
- إبراهيم بن اسكندر ٩٢٣ - ٩٣٢هـ/ ١٥١٧ - ١٥٢٦م .

ب- الدول التى قامت فى الأقاليم الهندية :

١ - ولاة بنغالة وملوكها ٥٩٩ - ٩٨٤هـ/ ١٢٠٢ - ١٥٧٦م .

٢ - الملوك الشرقيون فى جونبور ٧٩٦ - ٩٠٥هـ/ ١٣٩٤ - ١٥٠٠م .

٣ - ملوك مالوه ٨٠٤ - ٩٣٧هـ/ ١٤٠١ - ١٥٣٠م .

٤ - ملوك كشمير ٧٣٥ - ٩٩٥هـ/ ١٣٣٤ - ١٥٨٧م .

٥ - ملوك الكجرات ٧٩٩ - ٩٨٠هـ/ ١٣٩٦ - ١٥٧٢م .

٦ - ملوك خانديش (الفاروقيون) ٨٠١ - ١٠٠٨هـ/ ١٣٩٩ - ١٦٠٠م .

٧ - دول الدكن: الملوك البهمنية (ملوك كلبركه) ٧٤٨ - ٩٣٣هـ/١٣٤٧ - ١٥٢٧م.

٨ - ورثة الملوك البهمنية فى الدكن :

١ - أسرة عماد شاه فى برار ٨٩٦ - ٩٨٣هـ/ ١٤٩١ - ١٥٧٥م .
٢ - أسرة نظام شاه فى أحمد نكر ٨٩٦ - ١٠٠٨هـ/ ١٤٩١ - ١٥٩٩م .
٣ - أسرة بريد شاه في بيدر ٨٩٧ - ١٠١٨هـ/ ١٤٩٢ - ١٦٠٩م .
٤ - أسرة عادل شاه فى بيجابور ٨٩٥ - ١٠٩٧هـ/ ١٤٨٩ - ١٦٨٦م .
٥ - أسرة قطب شاه في كلكنده ٩١٨ - ١٠٩٨هـ/ ١٥١٢ - ١٦٨٧م .

٩ - الدولة المغولية ٩٣٢ - ١٢٧٤هـ/ ١٥٢٦ - ١٨٥٨م . ومن حكامها :

- ظهير الدين بابر ٩٣٢ - ٩٣٧هـ/ ١٥٢٦ - ١٥٣٠م .
- همايون (للمرة الأولي) ٩٣٧ - ٩٤٧هـ/ ١٥٣٠ - ١٥٤٠م - (٩٤٧ - ٩٦٢هـ/ ١٥٤٠ - ١٥٥٥م سيطرة الأفغان على مقاليد الحكم وأولهم شيرشاه السورى وآخرهم اسكندر شاه الثالث) .
- همايون (للمرة الثانية) ٩٦٢ - ٩٦٣هـ/ ١٥٥٥ - ١٥٥٦م .

- جلال الدين أكبر الأول ٩٦٣ - ١٠١٤هـ/ ١٥٥٦ - ١٦٠٥م .
- جيهانجير ١٠١٤ - ١٠٣٧هـ/ ١٦٠٥ - ١٦٢٧م .
- شاه چيهان الأول ١٠٣٧ - ١٠٦٨هـ/ ١٦٢٨ - ١٦٥٧م .
- اورنگزيب عالمكير الأول ١٠٦٨ - ١١١٨هـ/ ١٦٥٨ - ١٧٠٧م .
- آخرهم هو سراج الدين بهادرشاه الثانى ١٢٥٣ - ١٢٧٤هـ/ ١٨٣٧ - ١٨٥٨م.

(ثم بدأ الاحتلال الإنجليزى حتى عام ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م وبعدها قسمت شبه القارة الهندية إلى الهند وباكستان الشرقية والغربية وفى عام ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م انفصل القسم الشرقى عن نظيره الغربى وأضحى الأول يعرف الآن بـ « جمهورية بنگلادش (بنجالاديش) الإسلامية » والثانى بـ« جمهورية باكستان الإسلامية ») .

٦- الجناح الغربى للدولة الإسلامية :

أولاً : دول المغرب العربى (الشمال الافريقي) :

١ - دولة بنى مدرار[١٦١] : ١٤٠ - ٣٥٤هـ/ ٧٥٧ - ٩٦٥م ، وكانت قاعدتها مدينة سجلماسة (تافيلالت فى جنوب المغرب الأقصي) وكانت فى غالبية عهدها من الخوارج الصفرية ، ومن حكامها محمد بن الفتح بن مدرار (٣٣٢ - ٣٤٧هـ/ ٩٤٣ - ٩٥٨م) وقد تحول إلى مذعب أهل السنة (وخاصة المذهب المالكي) وشق عصا الطاعة وقطع الخطبة للخليفة الفاطمى ودعا لنفسه وتسمى بأمير المؤمنين وتلقب بالشاكر لله وضربت بذلك الدنانير والدراهم ، وأقدم المعروف منها حتى الآن ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م (وربما يعثر فى المستقبل على نماذج من بداية فترة حكمه) ، وتمكن القائد الفاطمى جوهر الصقلى من هزيمته عام ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م وتم القبض عليه بعد ذلك وسجنه برقادة حتى وفاته .

---

(١٦١) الحداد ، النقوش الأثارية مصدراً للتاريخ والحضارة الإسلامية ، المجلد الأول ، ص
جلال ، نيرة رفيق ، نقود سجلماسة فى العصر الإسلامى ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية الآثار - جامعة القاهرة (٢٠٠٥م) ؛ سالم ، السيد عبد العزيز ، تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى ، ص

٢ ـ دولة بني رستم[١٦٢] : ١٤٤ ـ ٢٩٦هـ/ ٧٦١ ـ ٩٠٩م ، وكانت من الخوارج الأباضية في المغرب الأوسط وقاعدتها تاهرت (في موضع تيارت الحالية بولاية وهران غربي الجزائر) ، ومؤسس هذه الدولة عبد الرحمن بن رستم الفارسي الأصل (ت١٦٨هـ/ ٧٨٤م أو١٧١هـ/ ٧٨٧م) وخلفه ابنه عبد الوهاب (ت٢٠٨هـ/ ٨٢٣م أو ٢١١هـ/ ٨٢٦م) وفي عهده وصلت الدولة إلى درجة كبيرة من الاتساع .

٣ ـ دولة الأدارسة [١٦٣]: المرحلة الأولى ١٧٢ ـ ٣١٣هـ/ ٧٨٨ ـ ٩٢٥م وقاعدتها فاس (وهي أول دولة للأشراف العلويين) ومن حكامها :

- إدريس الأول (ت١٧٥هـ/ ٧٩١م أو ١٧٧هـ/ ٧٩٣م) .
- إدريس الثاني (ت٢١٣هـ/ ٨٢٨م) .
- محمد بن إدريس الثاني ت ٢٢١هـ/ ٨٣٦م (وقد أسند حكم الولايات إلى أخوته واكتفى هو بفاس حاضرته وأقام فيها) .
- يحيي الأول بن محمد تولي عام ٢٣٤هـ/ ٨٤٩م ، وفي عهده (رغم قصره) بلغت فاس أوجَهَا أيام الأدارسة .
- يحيي الرابع بن إدريس بن عمر ٢٩٢ ـ ٣٠٥هـ/ ٩٠٤ ـ ٩١٧م (وكانت وفاته بالمهدية ٣٣٢هـ/ ٩٤٣م) ولم يبلغ أحد من الأدارسة مبلغه في السلطان والدولة على حد قول ابن خلدون .

٤ ـ دولة الأغالبة[١٦٤] : ١٨٤ ـ ٢٩٦هـ/ ٨٠٠ ـ ٩٠٩م : وكانت في المغرب الأدنى (طرابلس وتونس (افريقية) وجزء من المغرب الأوسط (هو اقليم الزاب) ؛ فضلا عن صقلية وجنوب إيطاليا) . ومن حكامها :

---

(١٦٢) الحريري ، محمد عيسى ، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي ، ١٦٠ ـ ٢٩٦هـ ، الكويت ، ط٣ ، (١٩٨٧م) ؛ سالم ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، ص .

(١٦٣) العربي ، إسماعيل ، دولة الأدارسة ، بيروت (١٩٨٣م) ؛ سعدون ، عباس نصر الله ، دولة الأدارسة في المغرب ، العصر الذهبي ١٧٢ ـ ٢٢٣هـ/ ٧٨٨ ـ ٨٣٥م ، بيروت (١٩٨٧م) ؛ إسماعيل ، محمود ، الأدارسة في المغرب الأقصى ، حقائق جديدة ، ١٧٢ ـ ٣٧٥هـ ، الكويت (١٩٨٩م) ؛ سالم ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي .

(١٦٤) سالم ، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي ، ص ؛ الطالبي ، محمد ، الدولة الأغلبية ، التاريخ السياسي ، ترجمة المنجي العبادي ، بيروت (١٩٨٥م) .

- إبراهيم بن الأغلب ١٨٤ ـ ١٩٦هـ/ ٨٠٠ ـ ٨١١م .
- أبو العباس عبد الله بن إبراهيم ١٩٦ ـ ٢٠١هـ/ ٨١١ ـ ٨١٦م .
- زيادة الله الأول بن إبراهيم ٢٠١ ـ ٢٢٣هـ/ ٨١٦ ـ ٨٣٧م .
- أبو عقال الأغلب الملقب بخزر ٢٢٣ ـ ٢٢٦هـ/ ٨٣٧ ـ ٨٤٠م .
- أبو العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم ٢٢٦ ـ ٢٤٢هـ/ ٨٤٠ ـ ٨٥٦م .
- أبو إبراهيم أحمد بن محمد ٢٤٢ ـ ٢٤٩هـ/ ٨٥٦ ـ ٨٦٣م .
- أبو محمد زيادة الله الثانى بن محمد ٢٤٩ ـ ٢٥٠هـ/ ٨٦٣ ـ ٨٦٤م .
- أبو الغرانيق محمد بن أحمد ٢٥٠ ـ ٢٦١هـ/ ٨٦٤ ـ ٨٧٤م .
- إبراهيم بن أحمد ٢٦١ ـ ٢٨٩هـ/ ٨٧٤ ـ ٩٠١م .
- أبو العباس عبد الله بن إبراهيم ٢٨٩ ـ ٢٩٠هـ/ ٩٠١ ـ ٩٠٢م .
- زيادة الله الثالث بن عبد الله (آخر أمراء الأغالبة) ٢٩٠ ـ ٢٩٦هـ/ ٩٠٢ ـ ٩٠٩م .

٥ ـ الخلافة الفاطمية ٢٩٧ ـ ٣٦٢هـ/ ٩٠٩ ـ ٩٧٣م .

- دولتا بنى زيرى الصنهاجيين فى المغربين الأوسط والأدنى :

أ ـ دولة بنى زيرى[١٦٥] فى المغربين الأدنى والأوسط أو أجزاء منه فيما بين ٣٦٢ ـ ٥٤٣هـ/ ٩٧٣ ـ ١١٤٨م ومن حكامها :
- أبو الفتوح بلكين بن زيرى ٣٦٢ ـ ٣٧٤هـ/ ٩٧٣ ـ ٩٨٤م .
- أبو الفتوح المنصور بن يوسف ٣٧٤ ـ ٣٨٦هـ/ ٩٨٤ ـ ٩٩٦م .
- نصير الدولة باديس بن أبى الفتح ٣٨٦ ـ ٤٠٦هـ/ ٩٩٦ ـ ١٠١٥م .
- المعز بن باديس ٤٠٦ ـ ٤٥٣هـ/ ١٠١٥ ـ ١٠٦٢م وآخرهم الحسن بن على ٥١٥ ـ ٥٤٣هـ/ ١١٢١ ـ ١١٤٨م .

ب ـ دولة بنى حماد (وهم من بنى عمومتهم وقد استقلوا بالمغرب الأوسط داخل جبال الأوراس وتحصنوا بقلعتهم المنيعة وهى قلعة بنى حماد) ٤١٩ ـ ٥٤٧هـ/ ١٠٢٨ ـ ١١٥٢م . ومن حكامها :

---

(١٦٥) إدريس ، الهادى روجى ، الدولة الصنهاجية ، تاريخ افريقية فى عهد بنى زيرى من القرن ١٠م إلى القرن ١٢م ، ترجمة حمادى الساحلى ، بيروت ١٩٩٢م ؛ عويس ، عبد الحليم ، دولة بنى حماد ، القاهرة ، ط٢ ، (١٩٩١م) ؛ العربى ، إسماعيل ، دولة بنى حماد ملوك القلعة وبجاية ، الجزائر (١٩٨٠م) ؛؛ بن قربة ، صالح ، المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامى إلى سقوط دولة بنى حماد ، الجزائر (١٩٨٦م) ؛ سالم ، تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى ، ص

ـ حماد بن يوسف (بلكين) بن زيرى ٤١٩ ـ ٤٤٦هـ/ ١٠٢٨ ـ ١٠٥٤م .
ـ بلكين بن محمد بن حماد ٤٤٦ ـ ٤٥٤هـ/ ١٠٥٤ ـ ١٠٦٢م .
ـ الناصر بن علناس ٤٥٤ ـ ٤٨١هـ/ ١٠٦٢ ـ ١٠٨٨م (وفى عهده صارت بجاية عاصمة للدولة منذ عام ٤٦١هـ واتسع ملكه اتساعا كبيراً) .
ـ المنصور بن الناصر ٤٨١ ـ ٤٩٨هـ/ ١٠٨٨ ـ ١١٠٤م (وكان مولعا بالبناء والتأنق فى اختطاط المبانى وتشييد القصور وإجراء المياه) .
ـ وآخرهم يحيي بن العزيز بن المنصور ٥١٥ ـ ٥٤٧هـ/ ١١٢١ ـ ١١٥٢م (وفى هذا التاريخ الأخير دخل الجيش الموحدى بجاية واستولوا كذلك على قلعة بنى حماد) .

٦ ـ الدولة المرابطية [١٦٦] ٤٤٨ ـ ٥٤١هـ/ ١٠٥٦ ـ ١١٤٦م وكانت دولتهم تمتد من بجاية شرقا إلى السوس الأقصى غربا ومن السودان الغربى جنوبا إلى سرقسطة والثغر الأعلى فى الأندلس شمالاً وكانت مراكش قاعدة دولتهم الكبرى . ومن حكامها :
ـ يوسف بن تاشفين ٤٥٤ ـ ٥٠٠هـ/ ١٠٦٢ ـ ١١٠٦م .
ـ على بن يوسف ٥٠٠ ـ ٥٣٣هـ/ ١١٠٦ ـ ١١٣٨م .

٧ ـ الدولة الموحدية[١٦٧] ٥٢٤ ـ ٦٦٨هـ/ ١١٣٠ ـ ١٢٦٩م (وكانت تعد أكبر دولة فى تاريخ المغرب فقد امتدت من خط الوادى يانه فى الأندلس إلى وادى درعه فى جنوب المغرب وترامت من المحيط إلى أحواز طرابلس أى أنها شملت الأندلس

---

(١٦٦) سالم ، تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى ، ص ؛ محمود ، حسن أحمد ، قيام دولة المرابطين ، القاهرة (١٩٥٧م)، ص ؛ مراد ، حسين سيد عبد الله ، المتصوفة في المغرب الأقصي فى عصرى المرابطين والموحدين ، القاهرة (٢٠٠١م) ؛ عنان ، محمد عبد الله ، عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس ، قسمان ، القاهرة (١٩٦٤م) ؛ مكى ، محمود على ، وثائق تاريخية جديدة عن عصر المرابطين ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلد السابع ، العددان ١ ـ ٢ ، مدريد (١٩٥٩م)؛ مؤنس ، حسين ، سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وأيامهم فى الأندلس ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد ، المجلد الثانى ، مدريد (١٩٥٤م) .

(١٦٧) الغناى ، مراجع عقيلة ، قيام دولة الموحدين ، بنغازى ، (١٩٧١م) ؛ أبو رميله ، هشام ، علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية فى الأندلس ، عمان (١٩٨٤م) ؛ سالم ، تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى ، ص ؛ خلف الله ، ابتسام مرعى ، العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامى ٥٢٤ ـ ٩٣٦هـ/ ١١٣٠ ـ ١٥٢٩م، القاهرة (١٩٨٥م)؛ علام ، عبد الله على ، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن على ، القاهرة (١٩٦٨م)؛ ملين ، محمد الرشيد ، عصر المنصور الموحدى ، الرباط ، ط٢ (١٩٩٦م)؛ المنونى ، محمد، حضارة الموحدين ، الرباط (١٩٨٩م).

والمغرب الأقصى والمغرب الأوسط والمغرب الأدني) ومن حكامها :
- عبد المؤمن بن على ٥٢٤ - ٥٥٨هـ/ ١١٣٠ - ١١٦٣م .
- أبو يعقوب يوسف الأول ٥٥٨ - ٥٨٠هـ/ ١١٦٣ - ١١٨٤م .
- أبو يوسف يعقوب المنصور ٥٨٠ - ٥٩٥هـ/ ١١٨٤ - ١١٩٩م . (ويمثل عهده (رغم قصره) العصر الذهبى للدولة الموحدية) .
- أبى محمد عبد الله الناصر لدين الله بن يعقوب المنصور ٥٩٥ - ٦١٠هـ/ ١١٩٩ - ١٢١٣م .
- وآخرهم : أبو العلا الواثق بالله ٦٦٥ - ٦٦٨هـ/ ١٢٦٦ - ١٢٦٩م .

٨ - الدول التى ورثت الموحدين فى بلاد المغرب العربى[١٦٨] :

أ - دولة بنى حفص فى تونس ٦٢٥ - ٩٨١هـ/ ١٢٢٨ - ١٥٧٣م ومن حكامها:
- أبو زكريا يحيي ٦٢٥ - ٦٤٧هـ/ ١٢٢٨ - ١٢٤٩م .
- أبو عبد الله محمد بن أبى زكريا الملقب بالمستنصر ٦٤٧ - ٦٧٥هـ/ ١٢٤٩ - ١٢٧٦م .
- أبو العباس أحمد الثانى : ٧٧٢ - ٧٩٦هـ/ ١٣٧٠ - ١٣٩٤م .
- أبو فارس عبد العزيز المتوكل بن أحمد الثانى ٧٩٦ - ٨٣٧هـ/ ١٣٩٤ - ١٤٣٣م .

ب - دولة بنى زيان أو بنى عبد الواد فى المغرب الأوسط وقاعدتها تلمسان ٦٣٣ - ٩٦٢هـ/ ١٢٣٦ - ١٥٥٤م . ومن حكامها :
- أبى يحيي يغمراسن بن زيان ٦٣٣ - ٦٨١هـ/ ١٢٣٦ - ١٢٨٢م .
- أبى سعيد عثمان الأول ابن يغمراسن ٦٨١ - ٧٠٣هـ/ ١٢٨٣ - ١٣٠٤م .

جـ - دولة بنى مرين فى المغرب الأقصى وقاعدتها فاس ٥٩٢ - ٩٥٧هـ/ ١١٩٦ - ١٥٥٠م . ومن حكامها :

---

(١٦٨) عن تاريخ الدول التى ورثت الموحدين فى المغرب انظر ،
عامر ، أحمد ، الدولة الحفصية ، تونس (١٩٧٢م) ؛ الحريرى ، محمد عيسى ، تاريخ المغرب والأندلس فى العصر المرينى ، الكويت ، ط٢ (١٩٨٧م) ؛ المنونى ، محمد ، ورقات عن حضارة المرينيين ، الرباط ، ط٢ (١٩٩٦م) .

- أبى يحيي أبو بكر بن عبد الحق ٦٤٢ - ٦٥٦هـ/ ١٢٤٤ - ١٢٥٨م .
- أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق ٦٥٦ - ٦٨٥هـ/ ١٢٥٨ - ١٢٨٦م .
- أبى الحسن على بن عثمان ٧٣١ - ٧٥٢هـ/ ١٣٣١ - ١٣٥١م .
- أبى عنان فارس المتوكل بن على ٧٤٩ - ٧٥٩هـ/ ١٣٤٨ - ١٣٥٨م .
- أبو العباس أحمد المستنصر بالله ٧٧٥ - ٧٨٦هـ/ ١٣٧٣ - ١٣٨٤م و ٧٨٩ - ٧٩٦هـ/ ١٣٨٧ - ١٣٩٣م .

٩ - الدولة العثمانية(١٦٩) فى المغربين الأدنى والأوسط (ليبيا وتونس والجزائر)

أ - الجزائر :

١ - فترة حكم أمير الأمراء (بيكلربك) ٩٢٤ - ٩٩٦هـ/ ١٥١٨ - ١٥٨٧م .
٢ - فترة حكم الباشوات ٩٩٦ - ١٠٧٠هـ/ ١٥٨٧ - ١٦٥٩م .
٣ - فترة حكم الأغوات (رؤساء الجند) ١٠٧٠ - ١٠٨٢هـ/ ١٦٥٩ - ١٦٧١م .
٤ - فترة حكم الدايات ١٠٨٢ - ١٢٤٦هـ/ ١٦٧١ - ١٨٣٠م (ثم الاحتلال الفرنسى ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م) .

ب - طرابلس الغرب (ليبيا) :

١ - العصر العثمانى الأول ٩٥٩ - ١١٢٣هـ/ ١٥٥١ - ١٧١١م (فترة الولاة أو الباشوات) .

---

(١٦٩) يحيي ، جلال ، المغرب العربى الحديث والمعاصر ، جـ١ ، الاسكندرية (١٩٨٣م)، ص٩٥ - ١٩٥ ، ٢١٧ - ٢٣١ ؛ الجمل ، شوقى عطاالله ، المغرب العربى الكبير فى العصر الحديث ، القاهرة (١٩٧٧م)؛ رياض ، زاهر ، شمال افريقيا فى العصر الحديث ، القاهرة (١٩٦٧م)؛ الحصرى ، ساطع ، الدولة العثمانية والبلاد العربية ، بيروت (١٩٦٥م)، الدجاني، أحمد صدقى ، ليبيا قبل الاحتلال الإيطالى ، القاهرة (١٩٧١م)؛ سامح ، عزيز ، الأتراك العثمانيون فى افريقيا الشمالية ، ترجمة عبد السلام أدهم ، القاهرة (١٩٦٩م)؛ فيرو ، شارل ، الحوليات الليبية منذ الفتح العربى حتى الغزو الإيطالى ، ٣ أجزاء ، ترجمة عبد الكريم الوافى ، طرابلس (١٩٧٣م)؛ روسو ، البارون الفونص، الحوليات التونسية منذ الفتح العربى حتى احتلال فرنسا للجزائر ، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، بنغازى (١٩٩٢م)؛ زبيس ، سليمان مصطفى ، الدولة الحسينية فى القطر التونسى ، تونس (١٩٥٥م)، مزالى ، محمد الصالح ، الوراثة على العرش الحسينى ومدى احترام نظامها ، تونس (١٩٦٩م)؛ ميكاكى ، رودلفو ، طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانللى ، ترجمة طه فوزى ، القاهرة (١٩٦١م) .

٢ ـ فترة حكم الأسرة القره مانلية ١١٢٣ ـ ١٢٥١هـ/ ١٧١١ ـ ١٨٣٥م .
٣ ـ العصر العثمانى الثانى ١٢٥١ ـ ١٣٢٩م / ١٨٣٥ ـ ١٩١١م .

جـ. تونس :

١ ـ بكوية تابعة لأمير الأمراء فى الجزائر ٩٨٢ ـ ٩٩٩هـ/ ١٥٧٤ ـ ١٥٩٠م

٢ ـ فترة حكم الدايات (رجال الحامية من رجال القوات البرية ، بينما كان لقب الداى فى الجزائر يمنح لرؤساء البحر) ومنهم عثمان داى ويوسف داى .

٣ ـ فترة حكم البكوات أو البايات (وكانوا يلقبون غالبا بلقب باشا باى) .

أ ـ الأسرة المرادية :

ب ـ الأسرة الحسينية (حسين بن على وهو من أصل أرناؤوطى (ألبانى)) ١١١٧ ـ ١٣٧٧هـ/ ١٧٠٥ ـ ١٩٥٧م (ثم قيام الجمهورية التونسية ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م) .

١٠ ـ الدول الإسلامية بالمغرب الأقصى :

أ ـ دولة الأشراف السعديين[١٧٠] ٩١٧ ـ ١٠٦٩هـ/ ١٥١١ ـ ١٦٥٩م . ومن حكامها :

ـ محمد القائم بأمر الله ٩١٧ ـ ٩٢٣هـ/ ١٥١١ ـ ١٥١٧م .

ـ محمد المهدى بن محمد القائم ٩٢٣ ـ ٩٦٤هـ/ ١٥١٧ ـ ١٥٥٧م .

ـ أحمد المنصور الذهبى ٩٨٦ ـ ١٠١٢هـ/ ١٥٧٨ ـ ١٦٠٣م .

(وفى عهده بلغت دولة الأشراف السعديين أوجها كما قضى على دولة صنغى الإسلامية) .

---

(١٧٠) حركات ، إبراهيم ، المغرب عبر التاريخ ، جـ٢ ، من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين ، دار الرشاد الحديثة ، ط٣ (١٩٩٢م) ؛ السياسة والمجتمع فى العصر السعدى ، الدار البيضاء (١٩٨٧م)؛ حجي، محمد ، الحركة الفكرية فى المغرب فى عهد السعديين ، الدار البيضاء (١٩٧٩م)؛ كريم ، عبد الكريم ، المغرب فى عهد الدولة السعدية ، الدار البيضاء (١٩٧٧م) ؛ يحيى ، المغرب العربى ، جـ١، ص١٩٧ ـ ٢١٤ .

(١٧١) الضعيف الرباطى ، تاريخ الدولة العلوية السعيدة من نشأتها إلى أواخر عهد مولاى سليمان ١٠٤٣ ـ ١٢٣٨هـ/ ١٦٣٣ ـ ١٨١٢م ، دراسة وتحقيق محمد البوزيدى الشيخى ، الدار البيضاء (١٩٨٨م) ؛ أوسطاش ، دانييل ، الجامع فى المسكوكات العلوية (مجموعة بنك المغرب ومجموعات أخرى عالمية عمومية وشخصية) ، ٣ مجلدات ، الرباط ، بنك المغرب (١٩٨٤م)؛ يحيى ، المغرب العربى ، جـ١، ص٢٣٣ ـ ٣٠٨ ؛ إبراهيم ، شحاتة حسن ، أطوار العلاقات المغربية العثمانية ، قراءة فى تاريخ المغرب عبر خمسة قرون ١٥١٠ ـ ١٩٤٧م ، الاسكندرية (١٩٨١م) .

ب ـ دولة الأشراف العلويين الفلاليين[١٧١] : منذ ١٠٧٧هـ/ ١٦٦٦م حتى الآن . ومن حكامها :

ـ المولى الرشيد بن المولى محمد الشريف بن على ١٠٧٥ ـ ١٠٨٢هـ/ ١٦٦٤ ـ ١٦٧٢م .

ـ المولى إسماعيل بن المولى محمد الشريف ١٠٨٢ ـ ١١٣٩هـ/ ١٦٧٢ ـ ١٧٢٧م .

ـ فى عام ١٣٣٠هـ/ ١٩١٢م كان إعلان الحماية الفرنسية .

ـ محمد الخامس (للمرة الأولي) ١٣٤٥ ـ ١٣٧٢هـ/ ١٩٢٧ ـ ١٩٥٣م وللمرة الثانية ١٣٧٥ ـ ١٣٨١هـ/ ١٩٥٥ ـ ١٩٦٢م .

ـ وفى عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م تمت الاطاحة بنظام الحماية الفرنسية وتمتعت البلاد باستقلالها من جديد فى ظل الأسرة العلوية الفيلالية وتولى الملك الحسن الثانى الحكم عام ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م ثم ابنه الملك محمد السادس وهو الملك الحالى للمملكة المغربية) .

ثانيًا : الدول الإسلامية بالأندلس :

١ ـ الدولة الأموية بالأندلس[١٧٢] ١٣٨ ـ ٤٢٢هـ/ ٧٥٥ ـ ١٠٣١م .

أ ـ عصر الإمارة ١٣٨ ـ ٣١٦هـ/ ٧٥٥ ـ ٩٢٨م .

ـ عبد الرحمن الأول (الداخل) بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الملقب بصقر قريش ١٣٨ ـ ١٧٢هـ/ ٧٥٥ ـ ٧٨٨م .

ـ هشام الأول (المرتضي) ١٧٢ ـ ١٨٠هـ/ ٧٨٨ ـ ٧٩٧م .

---

(١٧٢) عن التاريخ الإسلامى فى الأندلس انظر ، العبادى ، عبد الحميد ، المجمل فى تاريخ الأندلس ، القاهرة (١٩٥٨م)؛ عنان ، محمد عبد الله ، دولة الإسلام فى الأندلس ، ٨ أجزاء ، القاهرة (٢٠٠١م) ؛ سالم ، السيد عبد العزيز ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، بيروت (١٩٨١م)؛ مؤنس ، حسين ، فجر الأندلس ، القاهرة (١٩٥٩م)؛ الحجى ، عبد الرحمن ، التاريخ الأندلسى من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة ، دمشق (١٩٨١م) ؛ أبا الخيل ، محمد ، الأندلس فى الربع الأخير من القرن الثالث الهجرى ، الرياض (١٩٩٥م) ؛ دندش ، عصمت ، الأندلس فى نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ، بيروت (١٩٨٨م) ؛ فرحات ، يوسف شكرى ، غرناطة فى ظل بنى الأحمر ، بيروت (١٩٨٢م) ؛ الطوخى ، أحمد ، مظاهر الحضارة فى الأندلس فى عصر بنى الأحمر ، الاسكندرية (١٩٩٧م) ؛ الحسينى ، محمد باقر ، تحقيقات واستدراكات واضافات على ما ورد فى معجم الأنساب لزامباور على ضوء نقود المغرب والأندلس ما بين القرنين ٤ ـ ١٠هـ/ ١٠ ـ ١٦م ، مجلة المؤرخ العربى ، العددان ٤١ ـ ٤٢ ، السنة ١٦ ، بغداد (١٩٩٠م) ، ص ٢٠٩ ـ ٢٢٧ .

- الحكم الأول (الربضي) ١٨٠ - ٢٠٦هـ/ ٧٩٦ - ٨٢٢م) .
- عبد الرحمن الثانى (الأوسط) ٢٠٦ - ٢٣٨هـ/ ٨٢٢ - ٨٥٢م .
- محمد الأول ٢٣٨ - ٢٧٣هـ/ ٨٥٢ - ٨٨٦م .
- المنذر بن محمد ٢٧٣ - ٢٧٥هـ/ ٨٨٦ - ٨٨٨م .
- عبد الله بن محمد ٢٧٥ - ٣٠٠هـ/ ٨٨٨ - ٩١٢م .
- عبد الرحمن الثالث (الناصر) ٣٠٠ - ٣١٦هـ/ ٩١٢ - ٩٢٨م .

(ومنذ عام ٣١٦هـ/ ٩٢٨م تتحول الإمارة الأموية إلى الخلافة الأموية ؛ رعلى ذلك فإن عبد الرحمن الثالث هو آخر أمير أموى بالأندلس ، وأول الخلفاء الأمويين بالأندلس . وقد ذكرنا هؤلاء الخلفاء ضمن الحديث عن عصور الخلفاء) .

٢ - دول ملوك الطوائف : (أو أمــــراء النواحي) من ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م أو ٤٢٢هـ/ ١٠٣١م إلى ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م .
- آل حمود فى مالقة والجزيرة ٤٠٠ - ٤٤٩هـ/ ١٠١٠ - ١٠٥٧م .
- آل عباد فى اشبيلية ٤١٤ - ٤٨٤هـ/ ١٠٢٣ - ١٠٩١م .
- آل زيرى فى غرناطة ٤٠٣ - ٤٨٣هـ/ ١٠١٢ - ١٠٩٠م .
- آل جهور فى قرطبة ٤٢٢ - ٤٦١هـ/ ١٠٣١ - ١٠٦٩م .
- بنو الأفطس فى بطليوس ٤١٣ - ٤٨٧هـ/ ١٠٢٢ - ١٠٩٤م .
- بنو ذو النون فى طليطلة ٤١٩ - ٤٧٨هـ/ ١٠٢٨ - ١٠٨٥م .
- بنو هود فى سرقسطة ٤٣٠ - ٥٣٦هـ/ ١٠٣٩ - ١١٤٢م .

٣ - الدولة المرابطية فى الأندلس ٤٨٤ - ٥٣٩هـ/ ١٠٩١ - ١١٤٤م .
٤ - الدولة الموحدية فى الأندلس ٥٤٠ - ٦٤١هـ/ ١١٤٥ - ١٢٤٣م .
٥ - دولة بنى نصر أو بنى الأحمر (مملكة غرناطة) ٦٣٥ - ٨٩٧هـ/ ١٢٣٨ - ١٤٩٢م (بعد نجاح حركة الاسترداد الاسبانية فى إسقاط قواعد الأندلس الكبرى لم يتبق بيد المسلمين سوى مملكة غرناطة وبسقوطها ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م إنتهت الدولة الإسلامية فى الأندلس بعد حكم دام ما يقرب من ثمانية قرون منذ فتوحات موسى بن نصير وطارق بن زياد السابق الإشارة إليها) . ومن حكامها :
- أبو عبد الله محمد الأول بن نصر الغالب بالله ٦٢٩ - ٦٧١هـ/ ١٢٣٢ - ١٢٧٢م (،وهو المؤسس الفعلى للدولة) .

- محمد بن محمد الملقب بالفقيه ٦٧١ - ٧٠١هـ/ ١٢٧٢ - ١٣٠٢م .
- أبو الوليد إسماعيل الأول ٧١٣ - ٧٢٥هـ/ ١٣١٤ - ١٣٢٥م .
- أبو الحجاج يوسف الأول ٧٣٣ - ٧٥٥هـ/ ١٣٣٣م - ١٣٥٤م .
- محمد الخامس الغنى بالله (للمرة الأولي) ٧٥٥ - ٧٦٠هـ/ ١٣٥٤ - ١٣٥٩م، وللمرة الثانية ٧٦٣ - ٧٩٣هـ/ ١٣٦٢ - ١٣٩١م .
- أبو الحجاج يوسف الثانى ٧٩٣ - ٧٩٧هـ/ ١٣٩١ - ١٣٩٤م .
- محمد بن أبى الحسن على ويعرف بأبى عبد الله أو بو أبديل (Boabdil) فى المصادر الأسبانية للمرة الأولى (٨٨٧ - ٨٨٨هـ/ ١٤٨٢ - ١٤٨٣م) وللمرة الثانية ٨٩٢ - ٨٩٧هـ/ ١٤٨٦ - ١٤٩٢م) وفى هذا العام الأخير استسلم أبو عبد الله وسلم غرناطة للملكين الكاثوليكيين فرديناند وايزابيل).

ثالثًا : الدول الإسلامية فى غرب افريقية[١٧٣] :

لم يقف إنتشار الإسلام عند حد بلاد المغرب (الشمال الافريقي) فحسب بل

---

(١٧٣) عن تاريخ الدول الإسلامية فى غرب أفريقية انظر ،
السعدى ، عبد الرحمن ، ت ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٦م ، تاريخ السودان ، نشره هوداس ، باريس ، ط٢ (١٩٦٤م) ؛ بللو ، محمد بن عثمان ، انفاق الميسور فى تاريخ بلاد التكرور ، القاهرة (١٩٦٤م)؛ التنبكتي ، محمود كعت ، تاريخ الفتاش فى أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور ، نشره هوداس ودلافوس ، باريس ١٩١٣م ؛ زكى ، عبد الرحمن ، تاريخ الدول الإسلامية السودانية بافريقيا الغربية ، القاهرة (١٩٦١م) ؛ يونس ، إبراهيم صالح ، تاريخ الإسلام وحياة العرب فى امبراطورية كانم وبرنو ، الخرطوم (١٩٧٠م) ؛ بوفيل ، الممالك الإسلامية فى غرب افريقيا ، ترجمة زاهر رياض ، القاهرة (١٩٦٨)؛ الدالى ، الهادى المبروك ، مملكة مالى الإسلامية وعلاقاتها مع المغرب وليبيا ، بيروت (١٩٩٣م)؛ زبادية ، عبد القادر ، مملكة سونغاى فى عهد الاسقيين ، الجزائر (١٩٧١م)؛ أبو شعيشع ، مصطفى ، برنو فى عهد الأسرة الكانمية ، دار العلوم (١٩٨٤م) ؛ محمود ، حسن أحمد ، الإسلام والثقافة العربية فى افريقيا ، القاهرة ، ط٣ (١٩٨٦م)؛ حسن ، حسن إبراهيم ، انتشار الإسلام فى القاهرة الافريقية ، القاهرة ، ط٣ ، (١٩٨٤م) ، طرخان ، إبراهيم على ، امبراطورية غانة الإسلامية ، القاهرة (١٩٧٠م) ؛ دولة مالى الإسلامية ، القاهرة (١٩٧٣م)؛ امبراطورية البرنو الإسلامية ، القاهرة (١٩٧٥م) ؛ امبراطورية الفولانيين الإسلامية ، مجلة كلية الآداب - جامعة الملك سعود ، المجلد ٦ ، الرياض (١٩٧٩م) ، ص ٩٥ - ١٥٥ ؛ إبراهيم ، عبد الله عبد الرازق ، الإسلام والحضارة الإسلامية فى نيجيريا ، القاهرة (١٩٨٤م) ؛ عوض الله ، الشيخ الأمين محمد ، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربى =

إمتد فشمل غرب افريقية أيضًا ، وكان وراء ذلك عدة عوامل سلمية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معانٍ ومنها هجرات العرب والبربر عقب الفتوح الإسلامية فى بلاد المغرب ، ومنها التجارة فرغم أن الصحراء الكبرى كانت تمثل بحراً من الرمال وعقبة طبيعية يصعب اجتيازها إلا أن الإسلام قد قطع فيها حيث مثلت طرق القوافل عبر الصحراء الكبرى محاوراً ربطت بين شاطئ هذا الخضم المقفر ، ومنها أيضًا الطرق الصوفية كالقادرية والتيجانية والسنوسية ، ولا ننسى كذلك دور الدول الإسلامية فى المغرب العربى ؛ وبخاصة دور المرابطين فى نشر الإسلام فى غرب افريقية .

ولما كان المقام لا يتسع لدراسة هذه العوامل بالتفصيل ، ولذلك حسبنا أن نشير إلى أنه قد ترتب على إنتشار الإسلام فى غرب افريقية تأسيس عدة دول أو ممالك إسلامية ومنها :

١ ـ دولة غانة وقد إنتهت عام ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م .

٢ ـ دولة مالى (دولة الماندنجو أو مملكة التكرور) ٦٢٨ ـ ٩٥٧هـ/ ١٢٣٠ ـ ١٥٥٠م . ومن حكامها :

- سندياتا ويلقب بمارى وجاطه ٦٨٢ ـ ٦٥٣هـ/ ١٢٣٠ ـ ١٢٥٥م .
- منساولى (السلطان علي) ٦٥٣ ـ ٦٦٩هـ/ ١٢٥٥ ـ ١٢٧٠م .
- منسا موسى ٧١٢ ـ ٧٣٨هـ/ ١٣١٢ ـ ١٣٣٧م وهو أعظم سلاطينهم وفى عهده بلغت الدولة ذروة مجدها ، ورحلة حجه وموكبه صارت حديث الناس كما سنشير فيا بعد.
- منسا سليمان ٧٤٢ ـ ٧٦٢هـ/ ١٣٤١ ـ ١٣٦٠م وفى عهده وصل الرحالة ابن بطوطة مرسلا من قبل السلطان المرينى أبى عنان فارس المتوكل ٧٤٩ ـ ٧٥٩هـ/ ١٣٤٨ ـ ١٣٥٨م .

٣ ـ دولة صنغى : ٧٣٧ ـ ١٠٠٠هـ/ ١٣٣٦ ـ ١٥٩١م ومن حكامها :

- سنى على ٨٧٠ ـ ٨٩٨هـ/ ١٤٦٥ ـ ١٤٩٢م .
- اسكيا محمد الأول ٨٩٩ ـ ٩٣٥هـ/ ١٤٩٣ ـ ١٥٢٨م ، وهو من أعظم حكامها وقد نسجت حوله الأساطير لعدله وكرمه وقوته حتى قيل أنه يصلح حتى لحكم دولة بنى العباس على حد قول صاحب الفتاش ، ورحلة حجة

= فى عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغى ، جدة (١٩٧٩م)؛ الغربى ، محمد ، بداية الحكم المغربى فى السودان الغربى ، بغداد (١٩٨٢م).

وموكبه لا تقل فى العظمة عن رحلة وموكب منسا موسى كما سنشير فيما بعد .

- اسكيا موسى ٩٣٥ ـ ٩٣٨هـ/ ١٥٢٨ ـ ١٥٣١م .
- اسكيا محمد الثانى ٩٣٨ ـ ٩٤٤هـ/ ١٥٣١ ـ ١٥٣٧م .
- اسكيا إسحاق الأول ٩٤٦ ـ ٩٥٦هـ/ ١٥٣٩ ـ ١٥٤٩م .
- اسكيا داود ٩٥٦ ـ ٩٩٠هـ/ ١٥٤٩ ـ ١٥٨٢م .
- اسكيا إسحاق الثانى ٩٩٧ ـ ١٠٠٠هـ/ ١٥٨٨ ـ ١٥٩١م . وهو آخر حكام سنغى قبل سقوط الدولة فى يد جيش الأشراف السعديين فى المغرب الأقصي.

٤ ـ دولة البرنو : ينقسم تاريخ هذه الدولة إلى عصرين :

١ ـ الأول : العصر الكانمى : ويمتد من قيام الدولة فى اقليم كانم إلى أواخر القرن ٨هـ/ ١٤م .

٢ ـ الثانى : العصر البرنوى : ويبدأ من أواخر القرن ٨هـ/ ١٤م إلى نهاية الدولة فى غمرة الاستعمار الأوروبى الحديث فى مطلع القرن ٢٠م المنصرم . (وعلى أنقاض هذه الدولة قامت الدول الافريقية التالية : تشاد والنيجر ونيجيريا والكاميرون وافريقيا الوسطى)[١٧٤] .

٥ ـ دولة الفولانيين أو الفلاتا : أنشئت هذه الدولة بفضل جهود الشيخ عثمان بن فودى وقد اتخذ من سكوتو عاصمة لها وعمرت هذه الدولة فيما بين ١٨١٧ ـ ١٩٠٣م .

وحكم خلال هذه المدة أحد عشر خليفة وقد حاول كل واحد منهم أن يحافظ على الكيان الذى تركه مؤسس الدولة الشيخ عثمان بن فودى[١٧٥] .

وسوف نتحدث فى هذا الكتاب عن مظاهر الحضارة الإسلامية فى غرب افريقية عامة وفى مدنها مثل جنى واودغست وتمبكتو وسوكوتو وغيرها خاصة .

---

(١٧٤) طرخان ، امبراطورية البرنو ، ص٤٣ ـ ٤٤ .

(١٧٥) إبراهيم ، الإسلام والحضارة الإسلامية فى نيجيريا ، ص ٦٥ .

الفصل الأول

النظم الإسلامية

الباب الأول

الحضــارة الإسلاميــة

مقدمــة :

تظهر شخصية الأمة فى النظم التى تسير عليها وتنكشف حيويتها ومقدرتها على البقاء والنمو بتطور أنظمتها خلال تاريخها فالنظم والمؤسسات المختلفة تبين لنا الحلول التى وضعتها الأمة لتدبير شئونها ولمجابهة أزماتها وحاجتها كما أنها تكشف لنا عن جوهر الأمة وعبقريتها ..؟

والحق أن دراسة النظم الإسلامية مهمة جداً لفهم العناصر الخفيه والتيارات المهمة التى أثرت فى المجتمع الإسلامى ، فالبحث إذن فى الأنواع المختلفة لهذه النظم حكومية أو شعبية ، اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية أو ثقافية يكشف لنا سر كثير من الحركات والتطورات الإجتماعية والفكرية . فهل نستطيع فهم نشوء الفرق الإسلامية بدون معرفة لمشكلة الخلافة وما ترتب عليها من إختلاف فى الرأى ؟ أو هل باستطاعتنا أدراك الحروب الأهلية فى الإسلام وفوضى العهد والانقسامات الكثيرة أن لم ندرك تطور نظام الخلافة ؟ أو هل باستطاعتنا إدراك السر فى كثير من الحركات الإجتماعية التى إصطبغت بصبغة دينية ان لم نفهم السياسة المالية ونظم الضرائب التى سار عليها المسلمون ؟ أيمكننا فهم الازدهار الثقافى ان لم ندرس المؤسسات التعليمية ونعرف نشوء المدارس فى الإسلام ؟ أنشعر بوجود أثر للعامة فى تاريخ المسلمين ان لم ندرس حركات النقابات والأصناف وحركات العيارين والشطار والفتيان؟ أليست الحوادث السياسية والفتن مظاهر لما للنظم المالية والسياسية والإجتماعية من تأثير ؟

ومن ناحية أخرى لايمكننا فهم النظم إذا أعددناها ثابتة جامدة فكما أنها تؤثر أثرا بليغا فى مجرى التاريخ ، كذلك نراها فى تبدل وتطور فهى تجتاز أدواراً ومراحل مختلفة، ولايمكننا فهمها إلا إذا حاولنا تتبع نموها خلال العصور المختلفة وهذه نقطة جوهرية أغفلها الباحثون عامة فأهملوا بذلك سر الحياة فى التاريخ والحضارة الإسلامية[1].

هذا وقد أفردت العديد من البحوث والدراسات لدراسة النظم الإسلامية وأصولها ونشأتها ومراحل نموها وتطورها سواء كانت نظما سياسية أو إدارية أو اقتصادية أو

---

(١) الدورى ، عبدالعزيز ، النظم الإسلامية ، بغداد (١٩٨٨م) ، ص ٩ .

اجتماعية أو عسكرية [٢]؛ وهو الأمر الذى سوف نتطرق إليه تفصيلا فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) ؛ ولكن حسبنا أن نركز فى هذه العجالة ـ ووفقا للخطة الموضوعة لكتابنا المجمل الذى بين أيدينا ـ على بعض هذه النظم ومن أهمها الخلافة والوزارة والدواوين والقضاء والشرطة والحسبة والجيش .

وقبل أن نتحدث عن هذه الأنظمة ينبغى أن نشير أولاً إلى أن الأنظمة الإسلامية لم تنشأ عند ظهور الإسلام ولم تنضج فى وقت قصير بل ترجع أصولها الى عصر ما قبل الإسلام [٣] وحين جاء الرسول ﷺ وضع أسس دولة مستقرة راسخة الكيان قام عليه الصلاة والسلام بوضع التنظيمات الإدارية لهذه الدولة مما أعتبر أساسا للتنظيمات اللاحقة وما أصابها من تطور بعد توسع رقعة الدولة الإسلامية[٤] .

وفيما يلى تسلط الضوء على هذه الأنظمة التى أثرنا أن نركز عليها فى هذا

---

(٢) هناك دراسات كثيرة أفردت للنظم الإسلامية ؛ فضلا عن تلك الفصول التى أفردت لتلك النظم أو بعضها ضمن كتب التاريخ الإسلامى العام أو الحضارة الإسلامية ، أو تلك الكتب الخاصة بدراسة التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية فى عصر أو قطر معين ، ومن هذه وتلك حسبنا أن نشير إلى كل من : الدورى ، النظم الإسلامية ، بغداد (١٩٨٨م) ، عمر ، فاروق ، وآخرين ، النظم الإسلامية ، بغداد (١٩٨٧م) ؛ الضحيان ، عبدالرحمن إبراهيم ، الإدارة فى الإسلام الفكر والتطبيق ، جدة (١٩٨٦م) ؛ النبراوى ، فتحية، تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ، القاهرة ، ط ٢ (١٩٨١م) ، الرفاعى ، أنور ، النظم الإسلامية ، دمشق (١٩٧٣م) ؛ القاسمى ، ظافر ، نظم الحكم فى الشريعة والتاريخ الإسلامى ، بيروت (١٩٧٤م) ، الصالح ، صبحى ، النظم الإسلامية ، بيروت ، ط٦ ، ١٩٨٢م ؛ حسن ، حسن إبراهيم ، حسن ، على إبراهيم ، النظم الإسلامية ، القاهرة ، ط ٤ (١٩٧٠م) حسينى ، س.أ.ق، الإدارة العربية، ترجمة إبراهيم العدوى ، مراجعة وتقديم عبدالعزيز عبدالحق ، القاهرة ط٢ (١٩٧٣م) ؛ الشبانى ، محمد عبدالله ، نظام الحكم والإدارة فى الدولة الإسلامية منذ صدور الإسلام إلى سقوط الدولة العباسية، الرياض ، ط ٣ (١٩٩١م) ؛ ماجد ، عبد المنعم ، نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، جزءان ، القاهرة (١٩٨٣ ، ١٩٥٥م) ؛ طرخان ، ابراهيم ، النظم الأقطاعية فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى ، القاهرة (١٩٦٨م) ، أما كتب الحضارة الإسلامية التى تضمنت فصولا عن النظم الإسلامية فقد أشرنا الى بعضها فى الصفحات السابقة ، وسوف نشير إلى بعضها الأخر فيما يستقبلنا من صفحات هذا الكتاب .

(٣) عن هذه الأصول ، انظر ، الدورى ، النظم ، ص ١٣ ـ ١٩ ؛

(٤) العلى ، دراسات فى الإدارة فى العهود الإسلامية الأولى ، بغداد (١٩٨٩م) ص ٧٢ ـ ١١٩ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن دولة الرسول ﷺ وتنظيماته انظر ، العربى ، محمد ممدوح ، دولة الرسول ﷺ فى المدينة ، القاهرة (١٩٨٨م) .

الكتاب إجمالاً على أن تعود إليها ولغيرها من أنظمة الحكم والإدارة تفصيلا فى كتابنا المفصّل (بمشيئة اله تعالى) .

المبحث الأول : النظم السياسية :

أولاً : نظام الخلافة :

من المعروف أن الرسول ﷺ قد أسس الدولة الإسلامية بأمر من الله سبحانه وتعالى، وكان الله عز وجل يوحى إليه بمجملات ومفصلات من أمور الحكم ويأمر المسلمين أن يأخذوا عن رسول الله ويطيعوه : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر آية ٧) ويبين لهم أنهم ﴿لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾، (النساء آية ٦٥) .

كذلك أمر الله سبحانه وتعالى الرسول أن يشاور المسلمين فى الأمر بنص صريح فى القرآن الكريم ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾ (آل عمران آية ١٥٩) ، كما وصف الله سبحانه المسلمين فى تقرير أمورهم فقال ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى آية ٣٨) .

وكان النبى ﷺ يشاور أصحابه فى كل ما يعرض لهم من شئون وهو ما يمكن أن يستدل عليه فى كتب السيرة النبوية الشريفة والسنن والتاريخ .

وبذلك أصبحت الشورى هى القاعدة المحددة للحكم بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة [٥].

وفى ضوء ذلك يمكن القول أن نظام الخلافة فى الدولة الإسلامية نظام مستحدث حتمته الظروف بعد وفاة الرسول ﷺ دون أن يعين للمسلمين خليفة لهم وكأنما أراد بذلك أن يترك الأمر شورى للمسلمين ليختاروا من يصلح لها [٦].

---

(٥) الشريف ، دراسات فى الحضارة الإسلامية ، ص ٢١٥ ـ ٢١٧ ، ولمزيد من التفاصيل انظر ، ضيف ، الحضارة الإسلامية من القرآن والسنة ، ص ٧٤ ـ ٨٦ ؛ العربى ، دولة الرسول فى المدينة ، ص ٢٩٩ ـ ٣٠٣ .

(٦) عبدالرازق ، الحضارة الإسلامية ، جـ ١ ، ص ٤٥ ـ ٤٦ .

.الأصل اللغوى:

اختلف فى اشتقاق لفظة خليفة فقيل أنه فعيل بمعنى مفعول كجريح بمعنى مجروح أى أن المعنى «أن يخلفه من بعده» ومن هنا حملت الآية الكريمة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة آية ٣٠) على قول من قال «ان آدم أول من عمر الأرض وخلفه فيها بنوه» ، ومن جهة أخرى قيل فعيل بمعنى فاعل ويكون المعنى «أن يخلف من قبله» وعليه حملت الآية عند من قال أنه كان قبل آدم فى الأرض الجن وأنه خلفهم فيها وعليه خوطب أبوبكر الصديق (رضى الله عنه) بخليفة رسول الله ﷺ أما الهاء فى خليفة فقيل لتأنيث الصيغة وقيل للمبالغة وربما حذفت ، وتجمع خليفة على خلفاء وخلائف ، والنسبة الصحيحة منه خلفى ولو أن بعض الكتاب يقول خليفتى (٧).

الدلالة الاصطلاحية : يقصد بالخلافة فى الاصطلاح الرياسة العامة فى أمور الدين والدنيا نيابة عن النبى ﷺ ، وهو ما عبر عنه الماوردى (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) بقوله «إن الله جلت قدرته ندب للأمة زعيما خلف به النبوة وحاط به الملة وفوض إليه السياسة ليصدر التدبير عن دين مشروع وتجتمع الكلمة على رأى متبوع، فكانت الإمامة أصلا عليه استقرت قواعد الملة وانتظمت به مصالح الأمة حتى إستثبتت بها الأمور العامة وصدرت عنها الولايات الخاصة» (٨).

وعرّف ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) الخلافة بأنها «حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعى فى مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها ؛ اذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة فهى فى الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع فى حراسة الدين وسياسة الدنيا به»(٩) .

ـ الشروط الواجب توافرها فيمن يلى أمر الخلافة : (لدى أهل السنة) :

١ ـ العدالة على شروطها الجامعة .

---

(٧) الباشا ، دراسات فى الحضارة ، ص ٣٣ ؛ ولمزيد من التفاصيل انظر ، عبدالرازق ، الحضارة ، ص ٤٥ ؛ حسن ، حسن علىّ ، محمد ، التوم الطالب ، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، القاهرة (١٩٨٦م) ، ص ١٢ ـ ١٣ .

(٨) الماوردى ، أبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى ، ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م ، الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط٢ ، د ت ، ص ٣ ـ ٤ .

(٩) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م ، مقدمة ابن خلدون ، وهى الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ، تصحيح وفهرسة أبو عبد الله السعيد المندوه ، المجلد الأول ، مكة المكرمة ـ بيروت (١٩٩٤م) ، ص٢٠٢ .

٢ ـ العلم المؤدى إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام .
٣ ـ سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان ليصح معها مباشرة ما يدرك بها.
٤ ـ سلامة الأعضاء من نقص يمنع عن استيفاء الحركة وسرعة النهوض .
٥ ـ الرأي المفضى الى سياسة الرعية وتدبير المصالح .
٦ ـ الشجاعة والنجدة المؤدية إلى حماية البيضة وجهاد العدو .
٧ ـ النسب القرشى [١٠]: وهذا الأخير عليه خلاف بين الفقهاء [١١] أما الشيعة فيرون قصر الخلافة على أسرة معينة وهى أسرة النبى ﷺ أى حصر الخلافة بعد الرسول فى الإمـام على بن أبى طالب (رضى الله عنه) ثم أولاده من بعـده عن طريق الوراثة على أساس أن عليا يستحق الخلافة بالكفاية وبالنص عليه من قبل الرسول ﷺ ، كما سنشير فيما بعد .

وبالنسبة للخوارج فهم يرون عدم حصر الخلافة فى بيت معين كالبيت النبوى أو في جنس معين كالجنس العربي فالخلافة فى نظرهم لله أى للأمة فهى التى تختار الشخص الصالح بغض النظر عن جنسه أو لونه مادام مستوفيا لشروط الخلافة ، وقد انتشر هذا المذهب بصفة خاصة بين البربر فى المغرب لأنه يناسب وضعهم السياسى والإجتماعى كما هو الحال فى دولة بنى مدرار الصفرية فى سجلماسة ١٤٠ ـ ٣٤٩هـ / ٧٥٧ ـ ٩٦٠م ، ودولة بنى رستم الأباضية فى تاهرت (حاليا تياريت فى ولاية وهران غرب الجزائر) ١٤٤ ـ ٢٩٦هـ / ٧٦١ ـ ٩٠٩م .

ـ شارات الخلافة[١٢] :

١ ـ الخطبة : ويقصد بها الدعاء للخليفة على المنابر فى نهاية خطبة الجمعة فى

---

(١٠) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص ٦ .
(١١) الضحيان ، الإدارة فى الإسلام ، ص ٢٠١ ـ ٢٠٢ ، الشبانى ، نظام الحكم والإدارة ، ص ١١٠ ، العربى ، دولة الرسول فى المدينة ، ص ٣٠٩ ـ ٣١١ . شلبى ، أبو زيد ، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى ، القاهرة ، ط ١٠ ، (٢٠٠٠م) ، ص ٧٨ ؛ العبد الغنى ، عبدالرحمن ، وآخرين ، دراسات في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، الكويت (١٩٩٩م) ، ص ٨٢ ـ ٨٣ ؛ محمود ، محمود عرفة ، وآخرين ، دراسات فى الحضارة العربية الإسلامية ، الكويت (١٩٩٧م) ، ص ٨٢ ـ ٨٣.
(١٢) العبادى ، أحمد مختار ، نظم الحكم والإدارة فى الدولة الإسلامية ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ، الكويت ، ط ٢ (١٩٨٦م) ، ص ١٣٦ ، ١٤٠ ـ ١٤١ ؛ وعن الخوارج انظر اسماعيل ، محمود ، الخوارج فى بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجرى ، الدار البيضاء (١٩٧٦م) ؛ النجار ، عامر ، الأباضية ومدى صلتها بالخوارج ، القاهرة ، (١٩٩٣م)؛ السهيل ، نايف عيد جابر ، الأباضية فى الخليج العربى فى القرنين الثالث والرابع الهجريين ، مسقط (١٩٩٨م) .

جميع مساجد الأمصار والولايات التابعة للخلافة .

٢ ـ **السكة :** ويقصد بها نقش اسم الخليفة على النقود المتعامل بها بين الناس .

٣ ـ **الطراز :** ويقصد بها نقش اسم الخليفة على المنسوجات التى تنسج فى دور الطراز (طراز العامة وطراز الخاصة) .

ـ علامات الخلافة(١٣) :

١ ـ البردة : ويقصد بها بردة الرسول ﷺ التى خلعها على الشاعر كعب بن زهير بعد توبته ومدحه للرسول بقصيدته «بانت سعاد فقلبى اليوم متبول» وظلت بيد ورثة كعب ثم اشتراها منهم معاوية بن أبى سفيان وبقيت لدى بنى أمية حتى إنتقلت إلى بنى العباس الذين كانوا يحرصون على ارتدائها فى المناسبات الخاصة كصلاة الجمعة والعيدين كرمز لسلطتهم الدينية وفى ذلك يقول الشاعر البحترى فى مدح الخليفة المتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ):

ووقفت فى برد النبى مذكرا   لللـه تنذر تارة وتبشر(١٤)

هذا ويحتفظ متحف تاريخ الفن بفينا بمسكوكة صلة من الفضة مؤرخة بعام ٢٤١هـ/ ٨٥٥م ويتضمن مركز الوجه نقشا يمثل الخليفة المتوكل على الله وهو يرتدى بردة الرسول ﷺ (١٥) .

٢ ـ الخاتم : وقد اتخذه الخلفاء الراشدين تشبها بالرسول ﷺ إلى أن سقط من الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه فى بئر أريس وصنع له آخر على مثله ، ومن ثم صارت عادة لكل من يلى أمر الخلافة وينقش عليه بعض الحكم والمواعظ أو اسم الخليفة.

٣ ـ القضيب أو السيف : وهو رمز الإمامة عند المسلمين توارثه الخلفاء عن

---

(١٣) عبدالرازق ، الحضارة ، ص ٤٩ ـ ٥٣ ؛ ماهر ، سعاد ، شارات الخلافة فى الفن الإسلامى ، مجلة الدارة، العدد ٣ ، الرياض ، سبتمبر (١٩٧٧م) ، ص ٦٠ ـ ٦٣ .

(١٤) عن : العبادى ، نظم الحكم والإدارة ، ص ١٣٨ .

(١٥) حميد ، عبدالعزيز ، بردة رسول الله على مسكوكة المتوكل المصورة ، مجلة المسكوكات ، العددان ٨ ـ ٩ ، بغداد (١٩٧٧ ـ ١٩٧٨م) ، ص ٢٨ ـ ٣٠ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن أهمية هذه المسكوكة التاريخية انظر كتابنا «النقوش الآثارية مصدراً للتاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، المجلد الأول ، القاهرة (٢٠٠٢م) ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .

الرسول ﷺ أو قلدوه فى حمله (١٦).

هذا وتوجد مسكوكات أموية (دنانير ودراهم وفلوس)(١٧) ترجع إلى عهد الخليفة عبدالملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦هـ) وهى تمثل المرحلة الثانية من مراحل تعريب النقود الى الطراز الإسلامى الخالص فى المرحلة الثالثة والأخيرة ؛ غير أن الذى يعنينا من أمر هذه المرحلة الثانية ، هو أنها تتميز بنقش صورة الخليفة عبدالملك واقفا وهو يمسك بمقبض سيفه يهم باستلاله وترجع هذه المرحلة الثانية إلى ما بين عامى ٧٤ ـ ٧٧هـ / ٦٩٤ ـ ٦٩٧م فى ضوء الأدلة الأثارة المتوافرة حتى الآن .

ألقاب الخلافة :

١ ـ **عبدالله :** وأول من تلقب بذلك من الخلفاء عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) وتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك ولزموه حتى أن المأمون (الخليفة العباسى ١٩٨ ـ ٢١٨هـ) كان اسمه عبدالله فكان يكرر فى كتبه وعهوده لفظ عبدالله مرتين ، الأولى منهما اللقب والثانية الاسم الخاص ثم أحدث الخلفاء الفاطميون بالديار المصرية أيام قيامهم بها بعد ذلك «وولية» فكان يكتب فى كتب خلفائهم : من عبدالله ووليه فلان أمير المؤمنين ، ويستثنى من ذلك أخر الخلفاء الفاطمين وهو العاضد حيث كان اسمه عبدالله ولذلك كان يكتب عنه : من عبدالله ووليه عبدالله إلى آخره ، ثم تبعهم على ذلك الخلفاء العباسيين بعد انتقال الخلافة إلى القاهرة على يد السلطان الظاهر بيبرس كما سنشير فيما بعد .

٢ ـ **الإمام :** وهو من الألقاب المستجدة للخليفة فى العصر العباسى ، والأصل فى ذلك أن الشيعة كانوا يعبرون عمن يقوم بأمرهم بالإمام من حيث أن الإمام فى اللغة هو الذى يقتدى به وهم بأئمتهم مقتدون وعند أقوالهم وأفعالهم واقفون لاعتقادهم فيهم العصمة ، ويضيف القلقشندى فيذكر أن إبراهيم بن محمد بن على بن عبدالله بن العباس قد تلقب حين أخذت له البيعة بالخلافة بالإمام نسجا على هذا المنوال(١٨) .

---

(١٦) عبدالرازق ، الحضارة ، ص ٤٩ ؛ الباشا ، دراسات ، ص ٣٤ .

(١٧) رمضان ، موسوعة النقود ، جـ ١ ، ص ٨٩ ـ ٩٥ .

(١٨) القلقشندى ، أحمد بن عبدالله ، ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨م ، مآثر الانافة فى معالم الخلافة ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، الكويت ، ط ٢ (١٩٨٥م) ، ص ٢٠ ـ ٢١ .

ونتفق مع ما ذهب إليه الباشا أن اللقب فى هذه الحالة لم يكن لقبا عاما بل كان نعتا خاصا له [١٩]، ونضيف على ذلك فنقول أن هذا اللقب لم يصبح لقبا عاما للخلفاء العباسين إلا فى أواخر القرن ٢هـ / ٨م وهو ما سوف نعود إليه فى دراسة لاحقة (بمشية الله تعالى)[٢٠] .

٣ ـ **لقب الخلافة الخاص بها** كالمنصور والهادى والرشيد والمأمون والمعتصم بالله والمتوكل على الله ونحو ذلك .

هذا ويعد الخليفة العباسى المعتصم بالله (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ) هو أول من أضيف فى لقبه اسم الله تعالى وجرى الأمر على ذلك فيمن بعده من الخلفاء العباسيين فضلا عن الخلفاء الفاطميين ، والخلافة الأموية بالأندلس (٣١٦ ـ ٤٤٢هـ) منذ عهد عبد الرحمن الناصر أول الخلفاء الأمويين وليس عبدالرحمن بن محمد بن عبدالملك بن عبدالرحمن الناصر الملقب بالمرتضى بالله (٤٠٨هـ / ١٠١٨م) كما يذكر القلقشندى[٢١] .

٤ ـ **أمير المؤمنين :** [٢٢] وأول من لقب به الخليفة الراشدى الثانى عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) و ولزم هذا اللقب من ولى الخلافة بعده من الخلفاء الراشدين

---

(١٩) الباشا ، دراسات فى الحضارة ، ص ٣٩ ؛ الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والأثار ، القاهرة ، ط٢ (١٩٧٨م) ، ص ١٦٧ .

(٢٠) ناقشنا هذا الموضوع فى دراستنا الموسومة بـ «النقوش الآثارية مصدراً للتاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، المجلد الأول ، القاهرة (٢٠٠٢م) ، ص ٦٩ ـ ٧١ ؛ وبما أنه قد ظهرت دراسة حديثة عام ٢٠٠٤م بعنوان موسوعة النقود في العالم الإسلامي ـ الجزء الأول ، نقود الخلافة الإسلامية للدكتور عاطف منصور محمد رمضان ص ٢١٣ ـ ٢١٤ ، ٢١٩ ، ٢٣٣ ، ولذلك أثرنا أن نعود إلى طرح هذه القضية للمناقشة تفصيلاً لنحلل ونفند ما إنتهت اليه هذه الدراسة حول هذه القضية بصفة خاصة وحول ما ورد فى الكتاب بصفة عامه ، حيث أن لدينا مآخذ كثيرة ودراسة نقدية مطولة له فى ضوء المنهج العلمى السليم والتفكير المنطقى وما يرتبط بهما من تحليل مدعم وموثق ، وما نرمى إليه هو الوصول إلي الحقيقة العلمية البحته التى هى الغاية من البحث العلمى ـ وعنوان دراستنا هو «دراسة نقدية تحليلية حول الجزء الأول من كتاب موسوعة النقود في العالم الإسلامى» ، (قيد النشر) .

(٢١) القلقشندى ، مآثر الانافة ، ص ٢٥ .

(٢٢) القلقشندى ، مآثر الانافة ، ص ٢٥ .

فالأمويين فالعباسيين والفاطميين فالأمويين فى الأندلس منذ عهد عبدالرحمن الناصر ٣١٦ ـ ٣٥٠هـ وغيرهم وهو ما سنشير إليه تفصيلا فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

هذا ويعد سد الخليفة معاوية بن أبى سفيان (٤١ ـ ٦٠هـ/ ٦٦١ ـ ٦٧٩م) بالطائف المعروف بسد سيسد المؤرخ بعام ٥٨هـ / ٦٧٧م أول دليل مادى آثارى تتضمن نقوشه لقبين من ألقاب الخلافة الأربعة المشار إليها وهما عبدالله وأمير المؤمنين وذلك بصيغة «هذا السد لعبد الله معوية أمير المؤمنين ... اللهم اغفر لعبد الله معوية أمير المؤمنين...» (٢٣).

وتكرر ذلك أيضاً فى نقوش الخليفة الأموى عبدالملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦هـ) ومن أهمها نقوش الصوى أو الأميال التى لاتزال باقية حتى الآن (٢٤).

واستمر ذلك فى نقوش الخلفاء العباسيين المبكرة لكل من السفاح والمنصور سواء كانت نقوش السكة ولاسيما الفلوس أو نقوش انشائية ؛ ومن المرجّح أن لفظ عبدالله الموارد فى هذه النقوش المبكرة إنما يشير إلى اسم كل من الخليفتين العباسيين الأول والثانى (٢٥) ويعزز ذلك ويؤكده نقوش مسجد البيعة بمنى وأحدهما مؤرخ بعام ١٤٤هـ/ ٧٦١م والآخر غير مؤرخ اذ يتضمن هذان النقشان مايلى «أمر عبدالله عبدالله أمير المؤمنين...» (٢٦).

وعلى ذلك يتضح أن تكرار لفظة «عبدالله» مرتين اشارة إلى اللقب والاسم انما يرجع إلى صدر الدولة العباسية (الخليفة الثانى أبى جعفر) وليس إلي الخليفة المأمون على حد قول القلقشندى ومن نقل عنه .

التطور التاريخى للخلافة الإسلامية :

شعر المسلمون عند وفاة الرسول ﷺ بالحاجة إلى رئيس يحفظ كيان الأمة الجديدة ويوجهها في هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الأمة الإسلامية وهو ما عبر عنه أبو بكر

---

(٢٣) الحداد ، محمد حمزة ، النقوش الأثارية ، المجلد الأول ، ص ١٤٦ ـ ١٤٧ .

(٢٤) الحداد ، النقوش الأثارية ، المجلد الأول ، ص ٢٨ ، شكلا ٣ ـ ٤ .

(٢٥) الحداد ، النقوش ، ص ٢٥؛ رمضن موسوعة ، ص ١٧٧ ، ١٨١ .

(٢٦) الحداد ، النقوش ، ص ٢٣ ـ ٢٥ (ومابهما من مراجع) ، شكلا ١ ـ ٢ .

الصديق بقوله « لابد لكم من رجل يلى أمركم ويصلى بكم ويقاتل عدوكم»(٢٧) .

ورغم ما أسفرت عنه الأحداث السريعة من حدوث انقسام بين المسلمين حول من سيخلف الرسول ﷺ ، إلا أن اجتماع سقيفة بنى ساعده قد حسم الأمر وانتهى إلى تقرير قيام الخلافة تقريراً نهائيا وأصبح سابقة قابلة للتطبيق ؛ وقد تقرر فى هذا الاجتماع أن تكون الخلافة في المهاجرين من صحابة الرسول ﷺ وعلى هذا الأساس تمت مبايعة أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) واختياره خليفة لرسول الله ﷺ.

وهكذا قامت الخلافة الإسلامية وتحدد مفهوم الحكم تحديداً عمليا ، وكان حل مشكلة الخلافة علي هذه الصورة ومسارعة الناس إلى الرضا به دليلاً على أنهم كانوا يسلمون بأن النظام الذى وضع أسسه النبى عليه الصلاة والسلام واجب البقاء وأنه - أى النبى - وان مات فإنه خلف فيهم دينا وكتابا وسنة يسيرون على هديهما فرضاء الناس يومئذ يعبر عن ارادة الاستمرار فى ظل النظام الذي أنشأه النبى ﷺ (٢٨) .

هذا وقد مرت الخلافة الإسلامية بمراحل من التطور نجملها فى النقاط التالية :

أ- مرحلة الخلافة الكاملة : ويقصد بها مرحلة عصر الخلفاء الراشدين وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى (رضى الله عنهم أجمعين) (١١ - ٤٠هـ) .

وتتميز هذه المرحلة بأن اختيار الخلفاء كان يتمشى مع الشورى التى دعا إليها القرآن الكريم وندبت اليها السنة النبوية المطهرة ، كما أنها لم تكن خلافة وراثية ، بل انحصرت فى فئة معينة من صحابة الرسول ﷺ من المهاجرين لأسبقيتهم إلى الإسلام من صحابة الرسول ﷺ بأموالهم وأنفسهم وغير ذلك ، وعلى هذا الأساس تم اختيار أبى بكر الصديق (البيعة الخاصة ثم البيعة العامة) ؛ ثم رشح أبو بكر الصديق في آخر حياته عمر بن الخطاب بعد أن استشار كبار الصحابة وعرض الأمر على المسلمين

---

(٢٧) الدورى : النظم ، ص ٢٨ ، عمر ، النظم ، ص ١٤ - ١٥ .
(٢٨) الشريف ، دراسات فى الحضارة ، ٢٢٠ - ٢٢١ .

فقبلوا وبذلك تمت البيعة الخاصة قبيل وفاة أبى بكر وتمت له البيعة العامة بعد وفاته .

ورشح عمر قبيل وفاته سته من كبار الصحابة ممن كان الناس ينظرون إليهم وتم اختيار عثمان بن عفان من بينهم ثم تمت له البيعة العامة بعد ذلك ، وبعد وفاة عثمان بن عفان اختار الصحابة على بن أبى طالب ثم تمت له البيعة العامة بعد ذلك[٢٩] .

ونظراً لما حرص عليه الخلفاء الراشدين من الالتزام الشديد بمنهج القرآن والسنة النبوية المطهرة فى جميع أعمالهم مع توجه المسلمين لما فيه أمنهم وعزة دولتهم صارت هذه المرحلة انموذجاً صادقاً للخلافة الكاملة وغدت قدوة يتطلع المسلمون - إلى اليوم - إلى نماذجها الصالحة وحياتها المستقيمة [٣٠].

هذا وقد تلقب أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) فى البداية بلقب خليفة الله ولكنه أنكر إطلاق هذ التسمية عليه وقال «لست خليفة الله ولكنى خليفة رسول الله» ومن ثم صار يلقب بخليفة رسول الله ، وعندما ولى عمر بن الخطاب الخلافة لقبه الناس بخليفة خليفة رسول الله بيد أنه استثقله لكثرته وطول اضافته ، واتفق أن دعاه بعض الصحابة بأمير المؤمنين فاستحسن الناس هذا اللقب ودعوه به بدلا من اللقب الأول منعا للبس والتعقيد ، ولأنه كان مناسبا لظروف الفتوح الإسلامية التى تمت فى عهد عمر (رضى الله عنه) [٣١].

٢ـ مرحلة الخلافة الأموية ٤١ ـ ١٣٢هـ .

لم يصل معاوية بن أبى سفيان مؤسس الدولة الأموية إلى الخلافة بطريق الاختيار كما حدث فى عصر الراشدين ، وانما بايعه الناس بعد استشهاد الإمام على بن أبى

---

(٢٩) شلبى ، تاريخ الحضارة ، ص٨١ ـ ٨٢ ، ٨٤ ـ ٨٨ ، الشريف ، دراسات ، ص ٢٢٠ ـ ٢٢٢ ، الدورى ، النظم ، ص ٢٨ ـ ٣٧ ؛ عمر النظم ، ص ١٤ ـ ٢٣ ؛ الناطور ، الخلافة الإسلامية ، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٤ ؛ حسن ، تاريخ الحضارة ، ص ١٤ ـ ٤٣ ؛ شاهين ، الدولة الإسلامية فى عصر الخلفاء الراشدين ، ص ١٥ ـ ٥٣ ، ١١٧ ـ ١٣٠ ، ٢٣٣ ـ ٢٤٠ ، ٢٩٤ ـ ٢٩٨ . سرور ، محمد جمال الدين ، الحياة السياسية فى الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثانى بعد الهجرة ، القاهرة ، ط ٢ (١٩٧٩م) ، ص ١١ ـ ١٨ ، ٥٦ ـ ٥٨ ، ٦٨ ـ ٦٩ .

(٣٠) العدوى ، إبراهيم ، السهيل ، نايف ، الحضارة العربية الإسلامية ، الكويت (١٩٩٤م) ، ص ١٠٩ ـ ١١٠ .

(٣١) عبدالرازق ، الحضارة ، ص ٤٨ .

طالب (رضى الله عنه) وتنازل ابنه الحسن (رضى الله عنه) خوفا من الفتنة وحسما للخلاف بين المسلمين وذلك عام ٤١هـ / ٦٦١م وهو العام الذى عرف واشتهر بعام الجماعة الأول[٣٢].

إلا أن معاوية لم يلبث أن خطا بالخلافة خطوة أخرى غير مسبوقة لم يرض عنها كثير من المسلمين وبخاصة أهل الحجاز فى مكة المكرمة والمدينة المنورة وعلى الأخص أبناء كبار الصحابة ، ذلك أنه ـ أى معاوية ـ قد عزم على تولية ابنه يزيد العهد ليكون خليفة بعده وأخذ له البيعة مستخدما فى ذلك وسائل الوعد والوعيد .

وهكذا استحدث معاوية مبدأ التوريث فى الخلافة الإسلامية وأصبحت الخلافة عصبا قيصريا وملكا كسرويا على حد قول الجاحظ وغيره [٣٣].

ومن الملاحظ أن التوارث خلال العصر الأموى لم يكن مطابقاً للوراثة المطلقة المعهودة بل كان الخليفة في حياته يختار ولى العهد أو يختار اثنين أحدهما بعد الآخر، ولايشترط أن يكون ولى العهد هو الابن الأكبر للخليفة بل أحيانا لايكون واحداً من أبنائه فقد يختار الخليفة أخاه أو ابن عمه أى واحداً من أبناء الأسرة ، ومن جهة ثانية فإنه يلاحظ أيضاً أن ولاية العهد كانت تتم بالصورة التى كانت تتم بها الخلافة بمعنى أن الترشيح كان يتم عن طريق مبايعة أهل الحل العقد وهذا هو (البيعة الخاصة) ويعرض الأمر على الأمة فإذا أقرته بايعت (البيعة العامة)، ويتمثل أهل الحل والعقد فى العصر الأموى فى الخليفة نفسه وأهل البيت الحاكم وولاة الدولة وقوادها والفقهاء[٣٤].

ويشبه البعض الخليفة الأموى بشيخ القبيلة الذى يستمد سلطاته من القوى المادية، ومن رضى رؤساء القبائل العربية [٣٥].

ومهما يكن من أمر فان نظام الوراثة لم يستقر فى العصر الأموى فقد كان ذلك العصر عصر نزاع مستمر بين مبادئ ثلاثة :

---

(٣٢) الشريف ، دراسات ، ص ٢٣٥؛ عبداللطيف ، العالم الإسلامى فى العصر الأموى ، ص ١٠٤ ـ ١١١، ولمزيد من التفاصيل انظر ، العقيلى، عمر ، خلافة معاوية بن أبى سفيان ، الرياض (١٩٨٤م).

(٣٣) الجاحظ ، رسالة ، ص .

(٣٤) الشريف ، دراسات ، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٧ ؛ عبداللطيف ، العالم الإسلامى ، ص ١٢٩ ـ ١٣٤ ؛ عمر ، النظم ، ص ٢٣ ـ ٢٥ .

(٣٥) العبادى ، نظم الحكم ، ص ١٣٦ .

١ ـ المبدأ الإسلامى الذى يؤكد اختيار أصلح المسلمين وأفضلهم وهو ما يتجلى فى الحركات المعادية للأمويين كابن الزبير والخوارج والعلويين والعباسيين .

٢ ـ المبدأ القبلى الذى يعترف بسيادة القبيلة أو الفخذ ويقبل باختيار أقدر أفرادها وأكثرهم حنكة وأكبرهم سنا وأكثرهم خدمة (وهو ما يتجلى فى اختيار مروان بن الحكم، كذلك فان عهد سليمان بن عبدالملك الى عمر بن عبدالعزيز وعهد يزيد الثانى إلى أخيه هشام ثم إلى ابن الوليد كان نصراً للمبدأ القبلى ثم ان مجئ مروان بن محمد أخر الخلفاء الأمويين كان نصراً للمبدأ القبلى وغير ذلك) .

٣ ـ مبدأ الوراثة المباشر من الأب إلى الابن وقد أخفق هذا المبدأ فى حالات كثيرة خلال العصر الأموى وعلى ذلك يمكن القول أن المبدأ القبلى كان أكثر المبادئ أثرا فى بنى أمية بينما كان المبدأ الإسلامى السبب الدافع للحركات التى قامت ضدهم(٣٦) .

٣ ـ مرحلة الخلافة العباسية ١٣٢ ـ ٦٥٦هـ/ ٧٥٠ ـ ١٢٥٨م

إنتهت الثورة العباسية(٣٧) بالقضاء على الخلافة الأموية وقيام الخلافة العباسية عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م فهل كان لذلك أثره فى تطور نظام الخلافة ؟

والحق أن نظام الخلافة قد تطور على يد العباسيين تطوراً ملحوظًا وكان وراء ذلك تلك الأسس التى إستندوا عليها لدعم حقهم فى الخلافة وهى : حق القرابة وحق الحرمة وحق القوة .

ويتجلى الحق الأول ، وهو حق القرابة ، من قول أبو العباس الخليفة الأول فى خطبته الافتتاحية بمسجد الكوفة « وخصنا الله برحم رسول الله ﷺ وانبتنا من شجرته وأنزل بذلك كتابا قال فيه { قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى ... }

---

(٣٦) الدورى ، النظم ، ص ٣٨ ـ ٤٤ ؛ وعن الحركات المناهضة والثورات المعادية للأمويين انظر ، معروف ، نايف محمود ، الخوارج فى العصر الأموى ، بيروت (١٩٧٧م)؛ قنديل ، محمد السيد ، ثورة ابن الأشعث بالمشرق الإسلامى وأثرها على الخلافة الأموية ، القاهرة (١٩٨٧م)؛ سلطان ، عبد المنعم عبد الحميد ، آل المهلب فى المشرق الإسلامى ودورهم السياسى والحربى حتى سقوط الدولة الأموية ، الاسكندرية (١٩٩٩م) ؛ الشريف ، عبد الله حسين، الدولة الأموية فى عهد الخليفة يزيد بن عبدالملك ، القاهرة (٢٠٠٥م)، ص٧٨ ـ ١٧٧ .

(٣٧) عن الثورة العباسية بالتفصيل انظر ، عمر ، فاروق ، طبيعة الدعوة العباسية ، بيروت (١٩٧٠م)، (٣٤٦ صفحة)؛ الثورة العباسية ، بغداد (١٩٨٩م)، (١٧٠ صفحة)؛ شعبان ، محمد عبد الحى ، الثورة العباسية ، ترجمة عبد المجيد حسيب القيسى ، أبو ظبى (١٩٧٧م) ؛ محمود ، العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص٥ ـ ٦١ .

وكان الخليفة يهدف من ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد فرض على المسلمين أن يرث رسوله أقرباؤه فكانت هذه الآية عنوان الحق الشرعى فى الحكم للعباسيين ، وهو ما تتفق على إثباته وتأكيده المصادر التاريخية والنقوش الآثارية على السكة العباسية على السواء .

وعلى ذلك فإن العباسيين قد استندوا على نظام الوراثة ولكن بشكل يختلف تمام الاختلاف عن نظام الوراثة فى العصر الأموى ، فقد ادعوا بأنهم ورثوا الرسول ﷺ عن طريق عمه العباس بن عبد المطلب وهكذا ضرب العباسيون التقاليد القبلية ضربة قوية. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل اتهموا الأمويين بالظلم والاغتصاب فها هو أبو العباس يشير إلى عدل الخلفاء الراشدين ثم يقول « ثم وثب بنو حرب (الفرع السفيانى) وبنو مروان (الفرع المروانى) فابتزوها ـ أى الخلافة ـ واستأثروا بها ظلما لأهلها ثم رد الله الحق لأهله أخيراً »(٣٨).

أما حق الحرمة فيتجلى فى قول الخليفة المنصور « إن مكرمتنا فى الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم وولاية زمزم فصارت للعباس من بين اخوته ... فلم نزل نليها فى الجاهلية والإسلام ... ولقد علمت أنه لم يبق أحد من بنى عبد المطلب بعد النبى (ﷺ) غيره فكان وارثه من عمومته ، ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بنى هاشم فلم ينله إلا ولده : فالسقاية سقايته وميراث النبى له والخلافة فى ولده ... »(٣٩).

أما بالنسبة إلى حق القوة فيتجلى فى جواب المنصور على رسالة محمد النفس الزكية والذى أكد فيه ـ أى المنصور ـ على الفشل العلوى والانتصار العباسى فرغم أن بنى هاشم من علويين وعباسيين لهم نفس الحق بالخلافة إلا أن انتصار العباسيين وانتزاعهم الخلافة بالقوة من الأمويين إنما يبرر حصولهم عليها ـ أى الخلافة ـ على عكس العلويين الذين ثاروا عدة مرات ، ولكن ثوراتهم فشلت المرة تلو الأخري(٤٠).

هذا وتتمثل أبرز مظاهر تطور نظام الخلافة فى العصر العباسى فى اضفاء القداسة على الخليفة العباسى وأنه يستمد سلطانه من الله سبحانه وتعالى فها هو المنصور يخطب فى مكة قائلا « إيها الناس إنما أنا سلطان الله فى أرضه أسوسكم بتوفيقه

---

(٣٨) عمر ، النظم الإسلامية ، ص٣٠ ؛ الدورى ، النظم الإسلامية ، ص٤٥ .

(٣٩) عمر ، طبيعة الدعوة العباسية ، ص٢٨١ .

(٤٠) عمر ، طبيعة الدعوة العباسية ، ص٣١٣ ـ ٣١٨ .

وتسديده فارغبوا إلىّ وسلوه أن يوفقني للرشاد والصواب وأن يلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم ».

وقال المنصور في مناسبة أخرى « السلطان حبل الله الممدود »، كذلك وصف العباسيون أنفسهم بأنهم « ظل الله وعروته الوثقى »(٤١).

وترتب على ذلك أن إزدادت قدسية الخليفة حتى صار يدعى خليفة الله وذلك لتأكيد معنى الخلافة عن الله سبحانه وتعالى فالخليفة العباسي هو خليفة الله على خلقه وهو المفوض من الله سبحانه وتعالى لاقرار دينه في الأرض ونشر الإسلام .

وظهرت مترادفات أخرى لهذا اللقب مثل « خليفة الله على كافة أهل الإسلام » وقد أطلق على الخليفة الناصر لدين الله في نقش مؤرخ بعام ٥٨٤هـ/ ١١٨٨م، و«خليفته في أرضه ونائبه في خلقه » وقد أطلق على الخليفة المستنصر بالله في نقش مؤرخ بعام ٦٢٤هـ/ ١٢٢٦م(٤٢).

كذلك بدأت تظهر الألقاب الخلافية المضافة إلى لفظ الجلالة ومنها المعتصم بالله والواثق بالله والمتوكل على الله والمعتمد على الله والمطيع لله والطايع لله والمسترشد بالله والراشد بالله والمقتفي لأمر الله والناصر لدين الله والمستنصر بالله والمستعصم بالله وغير ذلك(٤٣).

وعلى ضوء ما تقدم نظر البعض إلى الخلافة العباسية على أنها خلافة ثيوقراطية ويرون أنه كان وراء ذلك تأثر العباسيين بنظرية الحق الالهي في الحكم التي كانت سائدة بين الفرس قبل الإسلام(٤٤)، على حين يرى آخرون أن ذلك يرجع إلى أن الخليفة كان هو الإمام في ذات الوقت ومن ثم تعتبر معرفته فرضا من الفروض ؛ بل أن مناصرته والوفاء له فريضة أوجبها الله على العباد وهو ما يتجلى في رسائل التقريظ التي فسر

---

(٤١) الدوري ، النظم ، ص٤٧ ؛ عمر ، النظم ، ص٣٠ ـ ٣١ .

(٤٢) الباشا ، الألقاب ، ص٢٧٧ ـ ٢٧٨ .

(٤٣) انظر قائمة الخلفاء العباسيين ص   من هذا الكتاب .

(٤٤) العبادي ، نظم ، ص١٣٦ ـ ١٣٧ ؛ ماجد ، العصر العباسي الأول ، ص١٠٩ ؛ الكروى ، إبراهيم سلمان ، شرف الدين ، عبد التواب ، المرجع في الحضارة العربية الإسلامية ، الكويت (١٩٨٤م)، ص٣٧ ـ ٣٨ .

بها أنصار الخلافة ما قاموا به من تبرير لأعمالهم(٤٥).

ومهما يكن من أمر فقد اندمجت هذه النظرية فى نفوس المسلمين حتى صارت عقيدة يؤمنون بها والفضل فى ذلك يرجع إلى الدعاية الناجحة التى قام بها العباسيون لتدعيم هذه الفكرة لدرجة أنهم استخدموا فى سبيل تدعيمها وترويجها أحاديث نبوية لم تثبت صحتها تبرر لهم هذا الحق إلى يوم القيامة . كما بثوا بين الناس منذ البداية أن الخلافة باقية فى أيديهم إلى الأبد ، ومن ذلك قول داودين على عم الخليفة أبى العباس مخاطبا أهل الكوفة « واعلموا أن هذا الأمر فينا وليس خارجا منا حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم »؛ وقبل ذلك فإن إبراهيم الإمام أرسل إلى أبى مسلم راية اسمها الظل ، وفى ذلك إشارة لا تخفى إلى أن الأرض لا تخلو من خليفة عباسى أبد الدهر مثلما هى لا تخلو من الظل أبداً(٤٦).

وحتى يؤكد الخلفاء العباسيون سلطتهم الدينية أعلنوا منذ البداية فى أكثر من مناسبة عن عزمهم على اتباع كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام ، ومن ثم تقربوا إلى أصحاب السنة والحديث وقربوا الفقهاء ليجعلوا حكمهم يستند إلى الشريعة وبالتالى يظهر تمسكهم بالدين ؛ فها هو المنصور يوصى المهدى بقوله « وأهل الدين فليكونوا أعضادك » كما صاروا يرتدون البردة النبوية الشريفة عند توليهم الخلافة وعند حضور المظالم وفى المناسبات الدينية كصلاة الجمعة والعيدين أو حين يعلن الجهاد كما فعل المعتمد حين حارب الصفار والمقتدر حين حارب مؤنسا (٤٧).

ولكى يزيد الخلفاء العباسيون فى مهابتهم اتبعوا بعض عادات الأكاسرة الفرس ومنها الاحتجاب عن الرعية والظهور فى وسط ستار كثيف من الأتباع ، ونشأت نتيجة لذلك وظيفة الحجابة وصاحب الستر أو الستارة ولم يعد الخليفة يرى كما كان الحال من قبل إلا بعد برنامج محكم دقيق (بروتوكول) عند مقابلته ومن ذلك الانحناء أمام الخليفة وتقبيل الأرض بين يديه وإذا قرب منه الداخل قبل طرف رداءه وهذا شرف

---

(٤٥) حسن ، النظم الإسلامية ، ص٤٩ ، ٢٨٠ ؛ محمود ، العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص١٢٢ ـ ١٢٣ .

(٤٦) الدورى ، النظم ، ص٤٧ ـ ٤٨ ، عمر ، النظم ، ص٣١ .

(٤٧) الدورى ، النظم ، ص٤٦ ؛ عمر ، طبيعة الدعوة العباسية ، ص١١٧ ـ ١١٨ ، ٢٨٢ .

كبير لا يناله إلا المقربون(٤٨).

ولعل هذا كله هو السر فى بقاء الخلافة العباسية مدة طويلة وفى تمتعها بمركز الزعامة الروحية فى العالم الإسلامى حتى بعد زوالها من بغداد على أيدى المغول ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م ، وفى ذلك يذكر السيوطى أنه « خيل للمسلمين أن العالم على وشك الانحلال وأن الساعة آتية عن قريب ، وصاروا يؤولون كل ظاهرة على أنها تعبير عن سخط الله واتخذوها أدلة على ما سيحدث فى العالم من انقلاب سيء لخلوه من خليفة »(٤٩).

ومن الظواهر الملفتة للنظر أن اسم آخر الخلفاء العباسيين وهو المستعصم بالله (ت٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) ظل ينقش على السكة لمدة تربو على نصف القرن فى بعض الأقطار الإسلامية فى المشرق ؛ فضلاً عن اليمن فى عصر الدولة الرسولية (٦٢٦ ـ ٨٥٨هـ/ ١٢٢٨ ـ ١٤٥٤م) رغم إحياء الخلافة العباسية فى القاهرة منذ عام ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م ، وهو الأمر الذى يستحق أن تفرد له دراسة مستقلة لاحقة بمشيئة الله تعالى .

وإذا كان العصر العباسى الأول (١٣٢ ـ ٢٣٢هـ/ ٧٥٠ ـ ٨٤٦م) يمثل الرمز الحقيقى للتاريخ العباسى ، فضلا عن كونه عصر القوة والازدهار ، فإن العصور التالية ٢٣٢ ـ ٦٥٦هـ/ ٨٤٦ ـ ١٢٥٨م لم تظهر فيها بصفة عامة هيبة الخلافة ولا سلطة الدولة ونفوذها ، وإنما كانت الكلمة العليا بيد الأمراء المتسلطين من القادة العسكريين الترك أو البويهيين أو السلاجقة ، ويستثنى من ذلك بعض الفترات القليلة التى حقق فيها بعض الخلفاء نجاحا ملموسا ، رغم كونه وقتيا ، فى استعادة نفوذ الخلافة والدولة كما هو الحال فى عهد المعتمد (بفضل أخيه الموفق طلحة) والمعتضد والمكتفى (٢٥٦ ـ ٢٩٥هـ/ ٨٦٩ ـ ٩٠٧م) وعهد المسترشد بالله ٥١٢ ـ ٥٢٩هـ/ ١١١٨ ـ ١١٣٤م) والمقتفى لأمر الله ٥٣٠ ـ ٥٥٥هـ/ ١١٣٥ ـ ١١٦٠م وعهد الناصر لدين الله ٥٧٥ ـ ٦٢٢هـ/ ١١٨٠ ـ ١٢٢٥م ، وهذا العهد الأخير كان أشبه بصحوة أو

---

(٤٨) العبادى ، نظم الحكم ، ص١٣٨ ـ ١٣٩ ؛ الكروى ، المرجع ، ص٣٨ .

(٤٩) السيوطى ، الحافظ جلال الدين ، ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة (١٩٦٩م)، ص٢٥٨ .

افاقة الموت للدولة العباسية(٥٠). وسوف نتحدث عن وضع الخليفة العباسى ومحاولات استعادة هيبة الخلافة ونفوذها خلال العصور العباسية المتأخرة تفصيلا فى كتابنا المفصّل بمشيئة الله تعالى .

وعلى ضوء ما تقدم يتبين لنا كيف خلط العباسيين السياسة بالدين ومزجوا بينهما مزجا موفقا وفى ذلك يذكر ابن طباطبا « إن هذه الدولة قد ساست العالم سياسة ممزوجة بالدين والملك فكان خيار الناس يطيعونها تدينا والباقون يطيعونها رهبة أو رغبة »(٥١).

وإزاء هذه المكانة المقدسة التى تمتعت بها الخلافة العباسية فى العالم الإسلامى حرص السلطان المملوكى البحرى الظاهر بيبرس البندقدارى على إحيائها من جديد سنة ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م فى القاهرة باعتبارها ضرورة لا غنى عنها للأمة الإسلامية وباعتبارها رمزاً لوحدتهم ؛ هذا بالإضافة إلى رغبة المماليك فى إضفاء صفة الشرعية لحكمهم ومن ثم اكتساب تأييد المسلمين(٥٢).

وظلت القاهرة مركزاً للخلافة العباسية حتى تم للعثمانيين الاستيلاء على مصر سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م وهو ما ترتب عليه نقل الخلافة والخليفة ـ بعد أن تنازل عنها الأخير ـ وهو المتوكل ـ للسلطان سليم الأول العثمانى ـ إلى استانبول كما سنشير فيما بعد .

---

(٥٠) فوزى ، فاروق عمر ، النهوض العربى فى العراق والأقاليم المجاورة فى العصور العباسية الأخيرة ، بغداد (١٩٨٩م) ص٥٥ ـ ٧٤ ، ٩٦ ـ ٩٩ ، ١٢٩ ـ ١٤٤ ؛ الخلافة العباسية ، جـ١ ، عمان (١٩٩٨م)، ص٢٨٧ ـ ٢٩٢ ، ٣١٤ ـ ٣١٥ ، جـ٢ عمان (١٩٩٨م)، ص٢١ ـ ٢٣٧ ، الدورى ، النظم الإسلامية ، ص٥٠ ـ ٦٧ ، عمر ، النظم الإسلامية ، ص٣٢ ـ ٤٠ ؛ محمود ، العالم الإسلامى فى العصر العباسى ، ص٣١١ ـ ٣١٢ ، ٣٢٦ ـ ٣٢٨ ، ٣٤٥ ـ ٣٨٤ ، ٥١٩ ـ ٥٢٦ ، ٥٨٤ ـ ٥٩٠ ، ٦٢٨ ـ ٦٣٢ ؛ الباشا ، حسن ، دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، القاهرة ، ط٢ (١٩٩٠م)، ص٦٨ ـ ٧٠ ، ٧٣ ـ ٧٧ ، ٩٣ ـ ٩٧ ، ١٢٧ ـ ١٣٢ ؛ النقيب ، أحلام حسن مصطفى ، سياسة الخليفة الناصر لدين الله الداخلية ، ٥٧٥ ـ ٦٢٢هـ/ ١١٧٩ ـ ١٢٢٥م ، بغداد (٢٠٠٠م) .

(٥١) ابن طباطبا ، محمد بن على المعروف بابن الطقطقى ، الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، بيروت (١٩٦٦م) ، ص .

(٥٢) العبادى ، نظم الحكم ، ص١٣٧ ؛ عبد الرازق ، الحضارة ، ص٤٧ .

(٤) مرحلة الخلافة الفاطمية :

في عام ٢٩٧هـ/ ٩٠٩م نجحت الحركة الإسماعيلية في إقامة دولة قوية في افريقية هي الخلافة الفاطمية ، وبعد مرور ستة عقود انتقلت هذه الخلافة إلى مصر وذلك في عام ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م وأسست مدينة القاهرة كعاصمة لهذه الخلافة حتى كتب صلاح الدين الأيوبي بيده شهادة وفاة هذه الخلافة عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م . غير أن الذي يعنينا من أمر هذه الخلافة في هذه العجالة هو أن نركز على الأسس التي استندت عليها هذه الخلافة بوصفها خلافة شيعية إسماعيلية إستطاعت أن تثبت أقدامها وتسطر لنفسها صفحات خالدة في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية .

ويمكن القول أن الخلافة الفاطمية تعد نموذجا واضحا للدولة الشيوقراطية في التاريخ الإسلامي ، وقد استندوا - أي الفاطميين - في دعم حقهم في الخلافة على أساسين هامين : الأول : هو العلم اللدني أو الإلهي الموروث عن النبي (ﷺ) عن طريق علي بن أبي طالب ثم أولاده من بعده إلى الفاطميين ، فالإمام الفاطمي هو خليفة من سبقه بموجب الحق الالهي ويختار ليكون وصيا للنبي (ﷺ) ولعلي بن أبي طالب (ﷺ). والإمام أيضًا هو مستودع العلم الشرعي .

أما الأساس الثاني للإمامة الفاطمية فهو مسألة الوصية أو النص على ولاية العهد من الإمام السابق ، والمعروف في ذلك أن الخلافة الفاطمية ترى كما يرى الشيعة عموما أن عليا يستحق الخلافة بعد النبي (ﷺ) لا عن طريق الكفاية وحدها - أي سلامة الرأي - بل عن طريق النص عليه بالاسم ، فالإمامة عندهم ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة ، وإنما هي ركن من أركان الدين ولا يمكن للنبي أن يتركها للأمة ؛ بل كان عليه تعيين إمام لهم معصوما من الخطأ ؛ وأن عليا هو الذي عينه النبي إماما بعده ومن هنا نشأت فكرة الوصية ولُقب الإمام علي بالوصي بينما لقب من جاء بعده بالأئمة ، ومرتبة الوصاية أعلى من مرتبة الإمامة ، وتلي مرتبة النبوة ، وقد اعتمد الشيعة على تأويل بعض الآيات القرآنية ، فضلا عن الأحاديث التي نسبوها إلى الرسول (ﷺ) لتأكيد هذه الفكرة وترويجها حتى باتت لديهم حقيقة مؤكدة ، وهو ما نشير إليه تفصيلا في كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) ، ومهما يكن من أمر فقد انتشرت الوصية بين الشيعة عامة والفاطميين خاصة فقالوا : إن الإمامة تنتقل من الأباء إلى الأبناء ولا تنتقل من أخ إلى أخ بعد إنتقالها من الحسن

إلى الحسين (رضى الله عنهما)، ولا يقوم النص فى الإمامة على أساس تولية الابن الأكبر ، فالإمام يستطيع أن ينص على أى ابن له ؛ فهذا أمر يخصه وحده لأنه يتلقى علمه ووحيه من الله(٥٣).

وكان من الممكن للإمام أن يخص وصيته عن مجموع المؤمنين به ، ولا يُعلم بها إلا بعض الثقات لا غير ، الذين عليهم أن يكشفوا عنها فقط فى الوقت المناسب ، وقد أدى هذا النظام إلى وصول عدد كبير من الأطفال والمراهقين إلى منصب الإمامة مما مكن لرجال القصر ونسائه وللوزراء وقادة الجيش السيطرة التامة على الدولة وأن تكون بأيديهم السلطة الحقيقية(٥٤)، ومع ذلك هناك خرق لهذه القاعدة سوف نشير إليه فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

وقد تلقب الفاطميون فى سجلاتهم وعلى نقودهم بـ « الإمام » وبـ « أمير المؤمنين » ولم يتلقبوا فى الوثائق الرسمية بالخليفة حرصا منهم على اظهار صفتهم الروحية وسلطتهم الدينية(٥٥).

وفى عهد الخليفة الفاطمى الرابع المعز لدين الله (٣٤١ ـ ٣٦٥هـ/ ٩٥٢ ـ ٩٧٥م) نقشت على النقود العبارات الشيعية الاسماعيلية ومنها « وعلى بن أبى طالب وصى الرسول ونائب الفضول وزوج الزهراء البتول » وعبارة « محيي ـ أى المعز ـ سنة محمد سيد المرسلين ووارث مجد الأئمة المهديين » وعبارة « وعلى أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين » وعبارة « دعا الإمام معد لتوحيد الاله الصمد »(٥٦) وغير ذلك.

هذا وقد تدهورت سلطة الإمام (الخليفة) قرب نهاية القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى وأصبح الوزراء الأقوياء أرباب السيوف هم أصحاب السلطة الفعلية بعد انقسام الدعوة الاسماعيلية أكثر من مرة واتيان الوزراء بالإمام الذى يريدونه دون اعتبار لشروط الإمامة عند الاسماعيلية(٥٧).

---

(٥٣) العبادى ، نظم ، ص١٤٤ ـ ١٤٥ ؛ عبد الرازق ، الحضارة ، ص٤٧ .

(٥٤) سيد ، أيمن فؤاد ، الدولة الفاطمية فى مصر تفسير جديد ، القاهرة ، ط٢ ، (٢٠٠٠م)، ص٣١٦ ـ ٣١٨ ؛ ولمزيد من التفاصيل انظر ، ماجد ، عبد المنعم ، نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، جـ١ ، القاهرة (١٩٥٣م)، ص٥١ ـ ٧٧ .

(٥٥) سيد ، الدولة الفاطمية ، ص٣٢٠ .

(٥٦) رمضان ، موسوعة النقود ، جـ١ ، ص٣٣٦ ـ ٣٥١ .

(٥٧) سيد ، الدولة الفاطمية ، ص٣٢٠ .

٥ ـ مرحلة الخلافة الأموية فى الأندلس ٣١٦ ـ ٤٢٢هـ/ ٩٢٩ ـ ١٠٣١م :

فى عام ٣١٦هـ/ ٩٢٩م أعلن الأمير عبد الرحمن الناصر قيام الخلافة الأموية فى الأندلس وتلقب بأمير المؤمنين الناصر لدين الله فما هى إذن الدوافع التى كانت وراء إعلان قيام خلافة ثالثة فى العالم الإسلامى ؟

وقبل أن نحدد هذه الدوافع ينبغى أن نشير ، بادئ ذى بدء ، إلى أن نظرية الخلافة السنية كانت تقوم فى بادئ الأمر على أن الخلافة وحدة لا تتجزأ ولا تتعدد ، وأن الخروج عنها عصيان ، وأن الخليفة الشرعى هو حامى حمى الحرمين الشريفين أى المسيطر على الحجاز أصل العرب والملة ومركز العصبية ؛ غير أن مصلحة العمل ومقتضيات السياسة وتغيرات الظروف فيما بعد حتمت الخروج عن ذلك الأصل النظرى ووضعه محل الاجتهاد ، ومن ثم أجاز الفقهاء تعدد الخلافة ما دامت هناك مصلحة تقضى بذلك ؛ بل وإعترفوا بشرعية امامين يتوليان الحكم فى وقت واحد على شرط أن تكون بينهما مسافة كبيرة ومساحة واسعة لمنع الاصطدام والفتنة بين المسلمين .

وهكذا يتضح أن نظرية الخلافة السنية قد تكيفت تكيفا جديداً تبعا للواقع وللضرورة السياسية ، والنظريات الناجحة دائمًا تتبع الواقع وتتأثر به(٥٨).

أما عن الدوافع التى حدت بعبد الرحمن الناصر لإعلان قيام الخلافة الأموية بالأندلس فيمكن أن نجملها فى النقاط التالية :

١ ـ ضعف الخلافة العباسية أيام الخليفة المقتدر واستبداد القواد الأتراك بها وعجزها عن حماية العالم الإسلامى .

٢ ـ قيام خلافة شيعية فتية معادية فى المغرب الإسلامى وهى الخلافة الفاطمية التى كانت ترنو إلى الأندلس بعين لا تخلو من طمع .

٣ ـ الاستجابة لرغبة الأندلسيين أنفسهم فى أن يكون خليفة للمسلمين ، ويؤيد ذلك ما رواه صاحب كتاب الحلل الموشية من أن الأندلسيين أنفسهم هم الذين بايعوا وحملوا الأمير عبد الرحمن بن محمد على حمل هذين اللقبين : أمير المؤمنين والناصر لدين الله وصاروا يخاطبونه بلقب الخليفة قبل اعلانه رسميا ٣١٦هـ/ ٩٢٩م .

---

(٥٨) العبادى ، نظم الحكم ، ص١٤٧ ـ ١٤٨ .

وهكذا تحولت الإمارة الأموية بالأندلس منذ عام ٣١٦هـ/ ٩٢٩م إلى خلافة سنية تقوم على أساس التوريث فى ذرية عبد الرحمن الناصر حتى سقوط الخلافة نهائيا عام ٤٢٢هـ/ ١٠٣١م(٥٩).

٦ ـ مرحلة الخلافة العثمانية :

ساعد القضاء على السلطنة المملوكية فى عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م السلطنة العثمانية فى أن ترث نظام الخلافة الإسلامية ، ومن المعروف أن الرواية القائلة بأن السلطان سليم الأول العثمانى قد صحب معه آخر الخلفاء العباسيين بمصر ـ وهو الخليفة المتوكل ـ إلى استانبول فتنازل له هذا الأخير عن الخلافة فى احتفال أقيم فى جامع أيا صوفيا قد ظهرت ـ أى هذه الرواية ـ فى القرن ١٨م ؛ رغم أن المصادر المعاصرة لأحداث النصف الأول من القرن ١٠هـ/ ١٦م لم تذكر هذه الرواية بل ولم تشر إلى هذا الموضوع من قريب أو بعيد .

غير أن عدم وقوع حادثة كهذه لا يعنى أن السلاطين العثمانيين الذين خلفوا السلطان سليم الأول لم يقبلوا الخلافة ، فقد ذكرت الدراسات الحديثة أن العثمانيين لم يروا الخلافة فى شكلها الوراثى ؛ بل فهموها على أنها حق طبيعى كما يدل عليه معناها ، تماما كما استخدم لقب الخليفة عند بعض حكام الدول الإسلامية الأخرى وعند العثمانيين أيضًا منذ عهد السلطان مراد الأول (٧٦١ ـ ٧٩١هـ/ ١٣٦٠ ـ ١٣٨٩م)(٦٠).

ومع ذلك فإن الوجود العثمانى فى مصر قد شكل ركيزة أقوى بالنسبة لهم ، وقد حمل سليم لقب خادم الحرمين أى تكفل بحماية المدينتين المقدستين (مكة المكرمة والمدينة المنورة) وعلى ذلك فقد قام ـ تصديقا لتلك الصفة ـ بنقل الخليفة العباسى فى القاهرة والأمانات المقدسة إلى استانبول ورفع بذلك من مكانته فى نظر الحكام المسلمين والرعايا ، وقد كشف هذا الأمر عن نفسه بشكل أكثر حيوية فى عهد السلطان سليمان

---

(٥٩) العبادى ، نظم ، ص١٤٨ ـ ١٤٩ ؛ الحجى ، عبد الرحمن على ، التاريخ الأندلسى من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة ، دار القلم (١٩٧٦م)، ص٣٠٠ ـ ٣٠١ ؛ سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، ص ٢٧٩ ـ ٢٩١ .

(٦٠) أوغلى ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ، المجلد الأول ، ترجمة صالح سعداوى ، استانبول (١٩٩٩م)، ص٣٥ .

القانونى فقد استخدمت فى تلك الفترة ألقاب للسلطان مثل « صاحب الخلافة الكبرى » ، و«الإمامة العظمى» و « خليفة المسلمين » وهذه الألقاب كانت إنعكاسا لفهم الخلافة بمعناها العالمى الشامل ، حيث رأى العثمانيين فيها تكليفا من الله سبحانه وتعالى ، وكان مفهوم الخلافة عند العثمانيين قد اكتسب مغزى جديداً يختلف إلى حد ما عن مفهومها فى العصر العباسى ؛ ويتجلى هذا المغزى فى تأمين طرق الحج وحماية الأماكن المقدسة والدفاع عن الإسلام والمسلمين ووضعهم تحت مظلة الحماية ؛ وامتزج ذلك المغزى بتقاليد مبدأ الجهاد ، والتمسك بمبادئ الشريعة الإسلامية بشكل صارم فضلا عن السعى لايجاد مبررات للقوانين والنظم المالية من خلال الشريعة الإسلامية[٦١].

ومهما يكن من أمر فإن العثمانيين - إبان قوتهم - لم يهتموا كثيراً باللقب وإنما بدأ اهتمامهم به فى القرن ١٨م .

واشتد خلال القرن ١٩م وأوائل القرن ٢٠م المنصرم وذلك حين أصاب دولتهم التصدع والانهيار والضعف فاتخذوا من الخلافة واحياء مجدها واسترداد ما كان لها من الهيبة والنفوذ والمكانة وسيلة لمقاومة ضغط الدول الأوروبية ، وكان السلاطين يهددون بتحريك هؤلاء الرعايا ضد حكومات الدول الأوروبية عن طريق إعلان الجهاد الدينى .

وليس آدل على تمسك السلاطين العثمانيين بلقب الخلافة فى أواخر القرن ١٩م من الإشارة إلى المادة الرابعة من دستور مدحت باشا الصادر فى ٢٤ ديسمبر ١٨٧٦م والتى نصت على أن حضرة صاحب العظمة السلطان بصفته خليفة المسلمين قد أصبح حامى الدين الإسلامى . وفى ٢٦ رجب ١٣٤٣هـ/ ٣ مارس ١٩٢٤م أصدر مصطفى كمال أتاتورك القانون رقم ١٥٦ بشأن الغاء الخلافة وابعاد الأسرة العثمانية إلى خارج بلاد الجمهورية التركية وهو يشتمل على ١٣ مادة[٦٢].

---

(٦١) أوغلى ، الدولة العثمانية ، المجلد الأول ، ص٣٤ - ٣٥ ؛ ولمزيد من التفاصيل انظر :
Gibb, H., Lutfi Pasha on the attoman Caliphate , Oriens, XV, (1962), PP. 287 - 295., Inalcik, H., The Ottomans and the Caliphate, the cambridge History of Islam , I, (1970), PP. 320 - 323 .

٧- الخلافة الإسلامية فى غرب افريقيا فى القرن التاسع عشر الميلادى(٦٣):

استطاع الشيخ عثمان بن فودى (ت١٨١٧م) أن يتزعم تلك الحركة الاصلاحية الكبرى فى غرب افريقيا والتى كان لها الأثر الأكبر فى انتشار الإسلام هناك ثم تأسيس امبراطورية إسلامية كبرى فى بلاد الهوسا (شمال نيجيريا الحالية) هى امبراطورية الفولانيين (١٨١٠ - ١٩٠٣م) وقد طبقت هذه الدولة مبادئ الشريعة الإسلامية فى كل منحى من مناحى الحياة حتى قضى عليها البريطانيون عام ١٩٠٣م، ودخلت أجزاء هذه الدولة ضمن دولة نيجيريا الحالية ، وحملت اسم الاقليم الشمالى للدولة .

وبفضل جهاد الشيخ عثمان بن فودى قامت هذه الدولة ، وفى عام ١٨٠٩م وزع الشيخ المسئوليات على ابنه محمد بللو وأخيه عبد الله بن فودى ، واقتصر دور الشيخ على النصح وتقديم المشورة للحكام والأمراء وكرس بقية عمره للدراسة والتأليف والتأمل حتى وفاته عام ١٨١٧م(٦٤).

غير أن ما يعنينا فى هذا المقام من أمر هذه الدولة هو أن نركز على نظام الخلافة كنظام للحكم فى هذه الدولة التى اتخذت مدينة سوكو تو عاصمة لها فيما بين ١٨١٧ - ١٩٠٣م وقد حكم خلالها أحد عشر خليفة ، ويمكن القول بأنه كان هناك تشابه بين

---

(٦٢) بركات مصطفى ، الألقاب والوظائف العثمانية ، دراسة فى تطور الألقاب والوظائف منذ الفتح العثمانى لمصر حتى الغاء الخلافة العثمانية ، القاهرة (٢٠٠٠م)، ص٢٣ - ٣١ ، ٤١١ - ٤١٢ (الملحق ١) .

(٦٣) اعتمدنا بصفة رئيسية فى صياغة هذا المبحث على كتاب إبراهيم ، عبد الله عبد الرازق ، الإسلام والحضارة الإسلامية فى نيجيريا ، القاهرة (١٩٨٤م) ، (٣٥٣ صفحة) وهو فى الأصل رسالة الدكتوراة للمؤلف ، وقد اعتمد المؤلف على عدد كبير من الوثائق والمصادر ؛ فضلا عن الدراسات الحديثة عربية كانت أم أجنبية .

(٦٤) إبراهيم ، الإسلام ، ص٦١ ؛ وانظر أيضًا ، زكى ، عبد الرحمن ، تاريخ الدول الإسلامية السودانية بافريقيا الغربية ، القاهرة (١٩٦١م)، ص١٩٩ - ٢٠٣ ؛ بوفيل ، الممالك الإسلامية فى غرب افريقيا وأثرها فى تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى ، ترجمة زاهر رياض ، القاهرة (١٩٦٨م)، ص٢٨٥ - ٢٩٩ ؛ محمود ، حسن أحمد ، الإسلام والثقافة العربية فى افريقيا ، القاهرة ، ط٣ (١٩٨٦م)، ص٢٦٠ - ٢٦٨ .

نظام الخلافة هنا وبين نظام الخلافة العباسية مع بعض الاختلافات في التطبيق ، فالعباسيون اتجهوا إلى الأخذ بالنظام الاتحادى أو الفيدرالى ورضوا بمجرد الإشراف والتوجيه وهذا هو ما فعله خلفاء هذه الدولة ، كما أن الخلافة العباسية استجابت للمتغيرات فى الدولة وجمع الخليفة بين الخلافة والإمامة فلقد تحول الإمام الداعية إلى خليفة يحكم وهذا هو ما فعله خلفاء هذه الدولة أيضًا . كذلك كانت الخلافة العباسية قاصرة على البيت العباسى دون غيره يتولاها أفضلهم بشرط بيعة الناس له ، وهذا هو ما سار عليه خلفاء هذه الدولة حيث اقتصر اختيار الخلفاء على سلالة الشيخ عثمان بن فودي، وكانت الخلافة العباسية للأقدر منهم وليست وراثية مستقرة فى الأبناء وهو ما طبق أيضًا فى هذه الدولة .

وكان الخليفة فى العصر العباسى عام الولاية ، عام الاختصاص فحكمه يسرى على كل أنحاء الدولة وهو يمارس حكمه فى كل مجال من الأمور الدينية والسياسية والمدنية والحربية وله الحق فى تفويض من يشاء من الاختصاصات ، وهذه الأحكام العامة سارت عليها الخلافة فى هذه الدولة أيضًا .

وقد جرى العرف عند العباسيين على أن يتخذ الخليفة وزيراً للتنفيذ يتلقى الأوامر من الخليفة وينفذها (هذا فى فترة سيطرة الخلفاء وقوتهم) وهو ما سارت عليه الخلافة فى هذه الدولة أيضًا ؛ ولكن مع اعطاء الوزير سلطات أكثر مما كان لدى العباسيين .

ومن الاختلافات أن الهيئة المختصة باختيار الخليفة فى هذه الدولة ويمثلها مجلس الاختيار كانت تتكون من أعضاء من خارج أسرة الشيخ عثمان بن فودى ، وكان الوزير صاحب الكلمة النهائية فى الاختيار .

كذلك لم تطبق هذه الدولة نظام ولاية العهد مثل العباسيين - وقبلهم الأمويين - ومن ثم كان اختيار الخليفة الجديد يتم بعد وفاة الخليفة الحاكم عن طريق مجلس الاختيار الذى يعين الخليفة حسب قواعد عامة منها صلة القرابة بالشيخ عثمان بن فودى ومنها مسألة السن بالإضافة إلى صفات أخرى .

وبعد اختيار الخليفة الجديد فإنه يحمل لقب أمير المؤمنين وهو اللقب الذى حمله الشيخ عثمان فى بداية الجهاد ، ونظراً لاتساع الدولة فقد استعان الخليفة بمجلسين

أحدهما استشاري ويتكون من أهم أعوانه ومساعديه والآخر مجلس تنفيذي ويعين الخليفة معظم أعضائه من الوزير والأعيان والجلاديما ، وكان هذا المجلس الأخير يتولى تنفيذ تعليمات أمير المؤمنين طبقا للشريعة الإسلامية[٦٥].

ثانيًا : نظام الوزارة :ـ

من المتفق عليه بين المؤرخين أن نظام الوزارة استحدث فى العصر العباسى الأول ، ولكن الباحث فى تاريخ الوزارة فى الدولة الإسلامية يواجه صعوبات جمة منها ما يتعلق بأصل اصطلاح وزير ومنها ما يعود إلى بداية نشأة منصب الوزير وتطوره ومنها ما يلاحظ من عدم تحديد صلاحيات الوزير مما أدى إلى نوع من التصادم بين سلطته وسلطة الخليفة . فمن الأسئلة التى تبحث عن جواب ... متى أصبحت الوزارة احدى المؤسسات الرسمية فى الدولة الإسلامية ؟ وما هى نظمها ؟ أليس من الدقة أن يتحدث مؤرخ الوزارة عن شخصيات وزارية تتمتع بصلاحيات معينة تتفاوت درجاتها بحسب قابلية الوزير وحذقه السياسى ، وبمعنى آخر هل هناك منصب إدارى واضح المعالم يطلق عليه الوزارة أم أن الخليفة إختار شخصًا من مواليه أو صحابته ليحمل عنه بعض أعباء الحكم ومسئولياته ، أو ليعينه فى المشورة والتدبير وغير ذلك[٦٦].

غير أن ما يعنينا فى هذا المقام ، ووفقا للخطة الموضوعة لهذا الكتاب المجّمل ، هو أن نركز على بعض النقاط المتعلقة بنظام الوزارة فى الحضارة الإسلامية ، على أن نتحدث تفصيلا عن كل ما يتعلق بخُطة الوزارة فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى).

الأصل اللغوى :ـ

اختلف فى أصل لفظة الوزير هل هى فارسية أم عربية فمن قائل إنها فارسية الأصل من كلمة وتشير أو فشير الفارسية وتعنى الرئيس الذى يحكم أو القاضى ، وفى قول آخر أن كلمة وزير تعنى فى البهلوية مستند قانونى أو قرار وبالتالى لا تعنى وظيفة أو مرتبة أو رجل ، وقيل أن أصل هذه الكلمة أيضًا من كلمة جزيريات

---

(٦٥) إبراهيم ، الإسلام ، ص٦٥ ، ١١١ ـ ١٢٢ .

(٦٦) عمر ، فاروق ، الجذور التاريخية للوزارة العباسية ، بغداد (١٩٨٦م)، ص٨ ـ ١٣ .

Gezirpat الدخيلة على الفارسية والتى وردت فى التلمود البابلى بمعنى لقب لموظف بسيط الدرجة فى القرية(٦٧). ولكن رغم أن الغالبية قد اتفقت على أنها عربية ومع ذلك فقد اختلفوا فى اشتقاقها فقيل انها مشتقة من الوزر بفتح الواو والزاى وهو الملجأ ، سمى الوزير بذلك لأن الرعية يلجأون إليه فى حوائجهم ، وقيل مشتقة من الأوزار بمعنى الأمتعة لأنه متقلد بخزائن الملك وأمتعته ، وقيل مشتقة من الوزر بكسر الواو وسكون الزاى وهو الثقل لأنه يتحمل أثقال الملك ، وقيل من الأزر وهو الظهر سمى بذلك لأنه يقوى الحاكم الأعلى كما يقوى الظهر البدن(٦٨).

أ ـ نشأة الوزارة فى الدولة الإسلامية :

رغم أن وظيفة وزير قد عرفت بصفة غير رسمية عند العرب قبل ظهور الإسلام وكذلك فى صدر الإسلام وحتى نهاية العصر الأموى ١٣٢هـ/ ٧٥٠م غير أنها كانت تعنى المساعدة والمشاورة والمؤازرة بالرأى والعمل قد تصل فى بعض الأحيان إلى المشاركة الفعلية فى الحكم كما ورد فى القرآن الكريم ﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ [سورة طه من الآية ٢٩ إلى الآية ٣٢] وفى حديث زيد بن ثابت حيث قال لأحد خطباء بنى تميم « نحن أنصار الله ووزراء رسوله » وفى مناقشة أبى بكر الصديق (رضى الله عنه) للأنصار فى اجتماع سقيفة بنى ساعده « نحن الأمراء وأنتم الوزراء » ، أو قد لا تتعدى المشاركة الفعلية فى الحكم كما يتضح من قول الإمام على بن أبى طالب حين عرض عليه بعض الصحابة الخلافة عقب مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان (٣٥هـ/ ٦٥٥م) قال

---

(٦٧) العبادى ، نظم الحكم ، ص١٥١ ؛ الكروى ، المرجع ، ص٤٠ ؛ الصالح ، النظم الإسلامية ، ص٢٩٤ ؛ عمر ، النظم الإسلامية ، ص٤٧ ؛ جواتياين ، س . د ، دراسات فى التاريخ الإسلامى والنظم الإسلامية ، ترجمة وتحقيق عطية القوصى ، الكويت (١٩٨٠م)، ص٨٢ .

(٦٨) الباشا ، دراسات فى الحضارة ، ص٤٠ ؛ الكروى ، المرجع ، ص٣٩ ـ ٤٠ ؛ الدورى ، النظم الإسلامية ، ص١٥٩ ؛ عبد الرازق ، الحضارة ، ص٥٣ ؛ العبد الغنى ، دراسات فى تاريخ الحضارة ، ص٨٨ ؛ محمود ، دراسات فى الحضارة ، ص٨٧ ـ ٨٨ ؛ جواتياين ، دراسات ، ص٨٢ .

«التمسوا غيرى فأنا لكم وزيراً خير منى لكم أميراً »(٦٩).

وفى العصر الأموى اطلق لقب الوزير على بعض الشخصيات التى كانت تشارك عمليا فى السياسة والحرب والإدارة ومنهم زياد بن أبيه فى خلافة معاوية بن أبى سفيان وروح بن زنباع الجذامى فى خلافة عبد الملك بن مروان ورجاء بن حيوة فى خلافة سليمان بن عبد الملك وعبد الحميد الكاتب فى خلافة مروان بن محمد أخر خلفاء بنى أمية (١٢٧ ـ ١٣٢هـ/ ٧٤٤ ـ ٧٥٠م)(٧٠) وغيرهم .

ب ـ الوزارة فى العصر العباسى ١٣٢ ـ ٦٥٦هـ/ ٧٥٠ ـ ١٢٥٨م

على ضوء ما تقدم يتضح أن الوزارة « لم تتمهد قواعدها وتتقرر قوانينها إلا فى دولة بنى العباس فأما قبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد ولا مقررة القوانين بل كان لكل واحد من الملوك أتباع وحاشية فإذا حدث أمر استشار بذوى الحجا والأراء الصائبة فكل منهم يجرى مجرى وزير »(٧١).

ومع ذلك فإننا لا بد أن نشير إلى أن نظام الوزارة لم يتبلور مع مجئ العباسيين إلى كرسى الخلافة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م بل أخذ بعض الوقت ومن ثم يمكن القول بأن المفهوم الأموى للوزير بقى ساريا ردحا من الزمن من العصر العباسى الأول فلم يكن أبو سلمة الخلال فى البداية وزيراً لدولة بل وزيراً للدعوة العباسية فكان يلقب «بوزير آل محمد» كما كان المختار الثقفى وزيراً لمحمد بن الحنفية وحين تأسست الدولة العباسية لم يعط ـ أى الخلال ـ لقب وزير بصورة رسمية من قبل الخليفة أبو العباس وكانت صلاحياته خلال فترة تواجده القصيرة قبل مقتله محدودة وتتضارب مع صلاحيات الخليفة بل وأبى مسلم الخراسانى أحيانا(٧٢).

---

(٦٩) الكروى ، المرجع ، ص٤١ ـ ٤٩ ؛ الباشا ، دراسات فى الحضارة ، ص٤٠ ـ ٤١ ؛ عمر ، الجذور ، ص١٤ ـ ١٦ .

(٧٠) الباشا ، دراسات فى الحضارة ، ص٤١ ؛ الكروى ، المرجع ، ص٥٠ ـ ٥١ ؛ عمر ، الجذور ، ص١٥ ـ ١٦ ؛ العبادى ، نظم ، ص١٥١ .

(٧١) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص١٥٢ ـ ١٥٣ .

(٧٢) عمر ، الجذور ، ص١٦ ـ ١٧ .

وكذلك استمر ورود اصطلاح الوزراء فى بدايات العصر العباسى الأول بمعنى المستشارين والمساعدين فى السياسة العامة للدولة من صحابة الخليفة ، وكان الوزير يعقوب بن داود السلمى هو أول من حصل على لقب الوزارة بصورة رسمية من قبل الخليفة العباسى محمد المهدى عام ١٦٣هـ/ ٧٧٩م(٧٣).

ويذكر ابن طباطبا أنه فى عهد المهدى « ظهرت أبهة الوزارة بسبب كفاية وزرائه »(٧٤).

ـ أنواع الوزارة :ـ

تعد الوزارة « أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية لأن اسمها يدل على مطلق الإعانة على حد قول ابن خلدون ، ولذلك عد الوزير « وسيط بين الملك ورعيته »؛ بل قيل أنه « لا يستطاع السلطان إلا بالوزراء والأعيان »(٧٥).

أما من حيث التصنيف فقد صنفت الوزارة إلى نوعين أو صنفين هما وزارة تفويض ووزارة تنفيذ .

ويقصد بوزارة التفويض « أن يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور برايه وامضاءها على اجتهاده وليس يمتنع جواز هذه الوزارة كما ورد فى القرآن الكريم (سورة طه آيات ٢٩ ـ ٣٢)... وبكل ما صح من الإمام صح من هذا الوزير فيستفيد الوزير بهذه الولاية بسط اليد ونفاذ الحكم فى أمور المملكة والتصرف فى أحوال الدولة بما يقتضيه نظره واجتهاده من تولية وعزل واطلاق وبذل واستخدام وقطع عطاء ، كما يجوز لهذا الوزير أن يحكم بنفسه وأن يقلد الحكام وأن ينظر فى المظالم ويستنيب فيها وأن يتولى الجهاد بنفسه ، ويجوز أن يباشر تنفيذ الأمور التى دبرها وأن يستنيب فى تنفيذها لأن شروط الرأى والتدبير معتبرة فيها(٧٦).

وسلطة وزير التفويض مقيدة بسلطة الإمام إذ عليه « مطالعة الإمام لما أمضاه من

---

(٧٣) عمر ، الجذور التاريخية ، ص١٤ ، ١٧ ـ ١٨ ، ٦٥ ؛ النظم الإسلامية ، ص٤٨ ـ ٥١ .

(٧٤) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص١٣٣ .

(٧٥) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، مج١ ، ص٢٤٩ ؛ عمر ، الجذور ، ص١٦ .

(٧٦) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص٢٥ ـ ٢٨ ؛ الدورى ، النظم ، ص١٧١ ـ ١٧٢ .

تدبير وأنفذه من ولاية وتقليد لئلا يصير بالاستبداد كالإمام » ؛ وعلى الإمام « أن يتصفح أفعال الوزير وتدبير الأمور ليقر منها ما وافق الصواب ويستدرك ما خالفه لأن تدبير الأمة إليه موكول وعلى اجتهاده محمول ».

أما وزارة التنفيذ فحكمها أضعف وشروطها أقل « لأن النظر فيها مقصور على رأى الإمام وتدبيره وهذا الوزير وسط بينه وبين الرعايا والولاة يؤدى عنه ما أمر وينفذ عنه ما ذكر ويمضى ما حكم ويخبر بتقليد الولاة وتجهيز الجيوش ويعرض عليه ما ورد من مهمّ وتجدد من حدث ملمّ ليعمل فيه ما يؤمر به فهو معين فى تنفيذ الأمور وليس بوال عليها ولا متقلدا لها فإن شورك فى الرأى كان باسم الوزارة أخص وإن لم يشارك فيه كان باسم الواسطة والسفارة أشبه .. »(٧٧).

ويضيف الماوردى فيذكر فى صفات وزارة التفويض « ويعتبر تقليد هذه الوزارة شروط الإمامة إلا النسب وحده لأنه - أى الوزير - ممضى الآراء ومنفذ الاجتهاد فاقتضى أن يكون على صفات المجتهدين ويحتاج فيها إلى شرط زائد على الإمامة وهو أن يكون من أهل الكفاية فيما أوكل إليه من أمرى الحرب والخراج خبرة بهما ومعرفة بتفصيلهما فإنه مباشر لهما تارة ومستنيب فيهما أخرى ... وعلى هذا الشرط مدار الوزارة وبه تنتظم السياسة ».

أما فى وزارة التنفيذ فتراعى فيها سبعة صفات :

١ - الأمانة حتى لا يخون فيما قد أوتمن عليه ولا يغش فيما قد استنصح فيه .

٢ - صدق اللهجة حتى يوثق بخبره فيما يؤديه ويعمل على قوله فيما ينهيه .

٣ - قلة الطمع حتى لا يرتشى فيما يلى ولا ينخدع فيتساهل .

٤ - أن يسلم فيما بينه وبين الناس من عداوة وشحناء فإن العداوة تصد عن التناصف وتمنع من التعاطف .

٥ - أن يكون ذكوراً لما يؤديه إلى الخليفة وعنه لأنه شاهد له وعليه .

٦ - الذكاء والفطنة حتى لا تدلس عليه الأمور فتشتبه ولا تموه عليه فتلتبس فلا

---

(٧٧) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص٢٨ - ٣٠ ؛ الدورى ، النظم ، ص١٧٢ .

يصح مع اشتباهها عزم ولا يصلح مع التباسها حزم .

٧ ـ ألا يكون من أهل الأهواء فيخرجه الهوى من الحق إلى الباطل ويتدلس عليه المحق من المبطل فإن الهوى خادع الألباب وصارف له عن الصواب(٧٨).

ويضيف الماوردى وصفا ثامنا وهو « الحنكة والتجربة التى تؤديه إلى صحة الرأى وصواب التدبير فإن التجارب خبرة بعواقب الأمور » وهذا فى حالة إذا ما كان الوزير مشاركا فى الرأى ، أما ان لم يشارك فى الرأى فإنه ليس بحاجة إلى هذا الوصف الثامن وإن كان ينتهى إليه مع كثرة الممارسة(٧٩).

وعن الوزارة ومهامها وتطورها فى العصر العباسى يذكر ابن خلدون « فلما جاءت دولة بنى العباس واستفحل الملك وعظمت مراتبه وارتفعت وعظم شأن الوزير وصارت إليه النيابة فى انفاذ الحل والعقد تعينت مرتبته فى الدولة وعنت لها الوجوه وخضعت لها الرقاب وجعل لها النظر فى ديوان الحسبان لما تحتاج إليه خُطته من قسم الاعطيات فى الجند فاحتاج إلى النظر فى جمعه وتفريقه وأضيف إليه النظر فيه ثم جعل له النظر فى القلم والترسيل لصون أسرار السلطان ولحفظ البلاغة لما كان اللسان قد فسد عند الجمهور وجعل الخاتم لسجلات السلطان ليحفظها من الذِّيَاع والشِّيَاع ودفع إليه فصار اسم الوزير جامعا لخطتى السيف والقلم وسائر معانى الوزارة والمعاونة ، حتى لقد دعى جعفر بن يحيي بالسلطان أيام الرشيد إشارة إلى عموم نظره وقيامه بالدولة ولم يخرج عنه من الرتب السلطانية كلها إلا الحجابة التى هى القيام على الباب فلم تكن له لاستنكافه عن مثل ذلك »(٨٠).

ثم يضيف ابن خلدون قائلا « فانقسمت الوزارة حينئذ إلى وزارة تنفيذ وهى حال ما يكون السلطان ـ أى الخليفة ـ قائمًا على نفسه والى وزارة تفويض وهى حال ما يكون الوزير مستبداً عليه ثم استمر الاستبداد وصار الأمر لملوك العجم وتعطل رسم الخلافة ، ولم يكن لأولئك المتغلبين أن ينتحلوا ألقاب الخلافة واستنكفوا من مشاركة الوزراء فى اللقب لأنهم خول لهم فتسموا بالامارة والسلطان وكان المستبد على الدولة

---

(٧٨) الماوردى ، الأحكام ، ص٢٥ ، ٣٠ ، الدورى ، النظم ، ص١٧٢ .

(٧٩) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص٣١ .

(٨٠) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، مج١ ، ص٢٥١ ـ ٢٥٢ .

يسـمى أمـير الأمـراء أو بالسلطان إلى مـا يحليـه به الخليـفـة من ألقـابه كـمـا تراه فى القابهم وتركوا اسم الوزارة إلى من يتولاها للخليفة فى خاصته »[٨١].

وعلى ذلك يمكن القول أنه حينما تكون الخلافة قوية مرهوبة الجانب تكون الوزارة وزارة تنفـيـذ ، بينمـا تصبح وزارة تفـويض عندمـا تضـعف الخـلافـة وتقل هيـبتـهـا فى النفـوس ؛ وبالتـالى ينعـدم نفـوذ الخليـفـة أو بمعنى آخر أنه بعـد أن كـان الخليـفـة يأمـر والوزير ينفذ صار الخليفة يفوض إلى وزيره تصريف أمـور الدورة كلهـا بينمـا بقى هو كالمحجور عليه ، وها هو شاعر يصف ما آل إليـه حال الخليفة العباسى المستعين (٢٤٨ ـ ٢٥٢هـ/ ٨٦٢ ـ ٨٦٦م)[٨٢].

خليفة فى قفص   بين وصيف وبغا

يقول ما قالا له   كما تقول الببغـا

هذا ويلاحظ أن معظم وزراء العبـاسـيين كـانوا من أسر فـارسـيـة كـالبرامكة وبنى سهل وبنى طاهر وبنى الفرات وبنى الجراح وبنى خاقان وبنى وهب وغيرهم[٨٣].

أما عن مراحل تطور خُطة الوزارة وتدهورها خلال العصر العبـاسى فسوف نتطرق إليها تفصيلا فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

جـ ـ الوزارة فى العصر الفاطمى : ٣٥٨ ـ ٥٦٧هـ/ ٩٦٩ ـ ١١٧١م :

من الثابت والمتفق عليـه أن منصب الوزير لم تعرفه الدولـة الفاطمـية فى مرحلتها الافريقية[٨٤] (٢٩٧ ـ ٣٦٢هـ/ ٩٠٩ ـ ٩٧٢م)، وبعـد فـتح مـصـر على يد جـوهر الصـقلى ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م ظل ـ أى جوهر ـ يصرف أمـور مـصـر حتى قدم الخليـفـة المعز لدين الله فى رمضان ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م وكـان المعز « يبـاشر التـدبير بنفسه ولا يعـول فـيه على غيره »[٨٥] ومع ذلك فقد أوجد ما أطلق عليه الوساطة لأن صاحبها كان يتوسط

---

(٨١) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، مج١ ، ص٢٥٢ .

(٨٢) الباشا ، دراسات فى تاريخ الدولة العباسية ، ص٦٨ .

(٨٣) العبادى ، نظم ، ص١٥٣ .

(٨٤) سيد ، أيمن ، الدولة الفاطمية ، ص٠٣٢ .

(٨٥) ابن الصيرفى ، أبو القاسم على بن منجب ، ت٥٤٢هـ/ ١١٤٨م ، الإشارة إلى من نال الوزارة ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، القاهرة (١٩٩٠م) ، ص٤٧ .

بين الخليفة والرعية[٨٦].

ولما ولى الخلافة العزيز بالله الفاطمى عام ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م كانت أركان الدولة قد توطدت ودعائمها قد أرسيت ومن ثم بدأ الخليفة يتنازل عن شيء من سلطاته لأحد خلصائه وهو يعقوب بن كلس الذى منحه لقب الوزير الأجل فى رمضان ٣٦٨هـ/ ٩٧٩م وأصبح بذلك أول وزراء الدولة الفاطمية[٨٧]، ولم يثبت هذا اللقب رسميا إلا فى عهد الخليفة الفاطمى الرابع الظاهر لاعزاز دين الله (٤١١ ـ ٤٢٧هـ/ ١٠٢٠ ـ ١٠٣٥م) بتولى الوزير أبى القاسم على بن أحمد الجرجرائى وزارة التنفيذ فى سنة ٤١٨هـ/ ١٠٢٨م حيث أصبحت الوزارة منذ هذا التاريخ منصبا وتكليفا ويطلق عليها رتبة وكانت مسئوليات الوزير مسئوليات إدارية فقط فلا يشير سجل توليته إلى أية مسئوليات عسكرية أو قضائية[٨٨].

ومهما يكن من أمر فإن الوزارة فى العصر الفاطمى كانت تنقسم أيضًا إلى وزارة تنفيذ ووزارة تفويض ، فقد كان وزراء العصر الفاطمى الأول وزراء تنفيذ حيث كان للخليفة كل السلطة على الوزير ويراجع جميع أفعاله وكان الوزير الحسن بن على اليازورى (٤٢٢ ـ ٤٥٠هـ/ ١٠٥٠ ـ ١٠٥٨م) هو آخر وزراء التنفيذ الأقوياء الذى أضيف إلى مسئولياته القضاء والدعوة والنظر فى ديوان أم الخليفة المستنصر وكان ينعت بـ « الناصر للدين غياث المسلمين الوزير الأجل المكرم سيد الرؤساء تاج الأصفياء قاضى القضاة وداعى الدعاة »[٨٩].

وعندما قدم بدر الجمالى والى عكا إلى مصر عام ٤٦٦هـ/ ١٠٧٤م واستطاع أن يقضى على المعارضين وأن يعيد النظام إلى الدولة وينقذها حتى وصف فى السجلات المستنصرية بأنه « الذى أعاد إلى الدولة العلوية ريق شبابها »، و « الذى جدد الله تعالى به وعلى يده معالم الدولة الفاطمية بعد دروسها وأقام بسيفه أعلامها بعد طموسها » وغير ذلك .

---

(٨٦) سيد ، الدولة الفاطمية ، ص٣٢٠ .

(٨٧) المناوى ، محمد حمدى ، الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى ، القاهرة (١٩٧٠م)، ص٣٥ .

(٨٨) سيد ، الدولة الفاطمية ، ص٣٢٠ ـ ٣٢١ .

(٨٩) سيد ، الدولة الفاطمية ، ص٣٢١ .

وكان النتيجة الطبيعية لذلك أن فوض الخليفة المستنصر بدر الجمالى فى جميع سلطاته ومنحه اشرافا عاما على شئون الدولة ؛ وهكذا أصبح بدر الجمالى أول قائد عسكرى يوليه الفاطميون الوزارة التى أصبحت منذ هذا التاريخ ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م تقوم مقام السلطنة(٩٠).

وبذلك بدأ عصر وزراء التفويض ببدر الجمالى وهو ما أكده المقريزى بقوله «فصارت الوزارة من حينئذ وزارة تفويض ويقال لمتوليها أمير الجيوش وبطل اسم الوزارة »(٩١).

ويضيف المقريزى فيذكر أن بدر الجمالى هو « أول وزراء السيوف الذين حجروا على الخلفاء بمصر »(٩٢).

وهكذا خضعت جميع شئون الدولة دون استثناء لسلطة وزراء التفويض ولم يبق للخليفة معهم أية سلطة ؛ بل إنهم جميعا حملوا ألقابا خاصة بهم لتأكيد قوة منصبهم ومنها أمير الجيوش ، الافضل والمأمون والمفضل والعادل ، السيد الأجل ، سيف الإسلام ، ناصر الإمام ، كافل قضاة المسلمين ، وهادى دعاة المؤمنين ، وسيف الإسلام تاج الملوك ، وكان الوزير رضوان بن ولخشى هو أول من لقب من وزراء التفويض بالملك مضافا إلى بقية الألقاب ، ومن أشهر الوزراء فى المرحلة الأخيرة للدولة الفاطمية الوزير طلائع بن رزيك الملقب بالملك الصالح ، وكذلك وصل الأمر بالخليفة الفاطمى العاضد ـ وهو آخر الخلفاء الفاطميين ٥٥٥ ـ ٥٦٧هـ/ ١١٦٠ ـ ١١٧١م أن يعهد بالوزارة إلى وزيرين سنيين هما أسد الدين شيركوه ثم صلاح الدين الأيوبى ، وتلقب الأول « بالسيد الأجل الملك المنصور سلطان الجيوش ولى الامة فخر الدولة ... »، وتلقب الثانى بـ « الملك الناصر » وعلى يديه كانت نهاية الدولة الفاطمية عام ٥٦٧هـ/ ١١٧١م(٩٣).

---

(٩٠) سيد ، الدولة الفاطمية ، ص٣٢١ .

(٩١) المقريزى ، تقى الدين أحمد بن على ، ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م ، المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار، المجلد الثانى ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، لندن ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى (٢٠٠٢م)، ص٤٤٤ .

(٩٢) المقريزى ، الخطط ، مجلد ٢ ، ص٢٧٨ .

(٩٣) سيد ، الدولة الفاطمية ، ص٣٢٢ ـ ٣٢٧ .

ويجمل المقريزى خصائص عهد وزراء التفويض فى العصر الفاطمى الثانى بقوله « وصار وزير السيف من عهد أمير الجيوش بدر إلى آخر الدولة هو سلطان مصر وصاحب الحل والعقد وإليه الحكم فى الكافة من الأمراء والأجناد والقضاة والكتاب وسائر الرعية وهو الذى يولى أرباب المناصب الديوانية والدينية.. »(٩٤).

د ـ الوزارة فى عهد الدولة الأموية بالأندلس : ١٣٨ ـ ٤٢٢هـ/ ٧٥٥ ـ ١٠٣١م :

وجدت خُطة الوزارة منذ قيام الدولة الأموية بالأندلس ، وكان منصب الوزير فى بادئ الأمر يشبه فى مدلوله ما كان سائداً فى بقية أنحاء العالم الإسلامى ، ثم جاء الأمير عبد الرحمن الثانى (الأوسط) ٢٠٦ ـ ٢٣٨هـ/ ٨٢٢ ـ ٨٥٢م فأعاد ترتيب الجهاز الحكومى فى الإمارة ، وأجرى تعديلات فى الوظائف العامة ومن أهمها خطة الوزارة التى خصها بعنايته وقسمها إلى عدة وزارات مختلفة ، وهو ما يستدل من المصادر التاريخية المختلفة ، فها هو ابن عذارى يشير إلى أن وزراء عبد الرحمن الثانى كانوا تسعة وأن رزق (راتب) كل واحد منهم فى الشهر كان ثلاثمائة دينار(٩٥)، ويزودنا ابن حيان بتفاصيل أكثر فيقول « والأمير عبد الرحمن الثانى أول من الزم الوزراء على الاختلاف إلى القصر كل يوم والتكلم معهم والمشورة لهم فى النوازل ، وأفرد لهم بيتا رفيعا داخل قصره مخصوصا بهم يقصدون إليه ويجلسون فيه فوق أرائك قد نضدت لهم فكان يستدعيهم إلى مجلسه جماعة وأشتاتا ويخوض معهم فيما يطالع به من أمور مملكته ويفحص معهم الرأى فيما يبرمه من أحكامه ، وإذا قعدوا فى بيتهم ـ أى دار الوزارة ـ أخرج رقاعه ورسائله إليهم بأمره ونهيه فينظرون

---

(٩٤) المقريزى ، الخطط ، المجلد ٢ ، ص٤٤٥ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن الوزارة فى العصر الفاطمى انظر ، المناوى ، الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى (٣٣٢ صفحة) ؛ مشرفة ، عطية مصطفى ، نظم الحكم فى عصر الفاطميين ، القاهرة (١٩٤٨م)، ص٩٦ ـ ١٢٠ ؛ ماجد ، نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ، جـ١ ، ص٧٨ ـ ٩٣ ؛ الشيال ، جمال الدين ، مجموعة الوثائق الفاطمية ، القاهرة (١٩٥٨م)، ص١٢٧ ـ ١٧٨ ؛ إسماعيل ، تاريخ الحضارة ، ص٦٨ ـ ٦٩ .

(٩٥) ابن عذارى ، أبو العباس أحمد بن محمد ، ت بعد ٧١٢هـ/ ١٣١٢م ، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، جـ٢ ، تحقيق كولان وبروفنسال ، بيروت ، ط٢ (١٩٨٣م)، ص١٢٠ ـ ١٢٢ .

فيما يصدر إليهم من عزائمه وجرى على ذلك من تلاهم »(٩٦).

أما ابن خلدون فيجدد لنا اختصاصات ومهام هؤلاء الوزراء ودارهم فيقول « ... ثم قسموا - أي بني أمية - خُطته - أي الوزارة - أصنافا وأفردوا لكل صنف وزيراً فجعلوا لحسبان المال وزيرا والترسيل وزيرا وللنظر في حوائج المتظلمين وزيراً وللنظر في أحوال الثغور وزيراً ، وجعل لهم بيت يجلسون فيه على فرش منضدة لهم وينفذون أمر السلطان هناك كل فيما جعل له ، وأفرد للتردد بينهم وبين الخليفة واحد منهم إرتفع عنهم بمباشرة السلطان في كل وقت فارتفع مجلسه عن مجالسهم وخصوه باسم الحاجب ولم يزل الشأن هذا إلى آخر دولتهم فارتفعت خطة الحاجب ومرتبته على سائر الرتب حتى صار ملوك الطوائف ينتحلون لقبها فأكثرهم يومئذ يسمى الحاجب ... »(٩٧).

مما تقدم يتضح أنه كان يوجد بالأندلس خلال عصر الدولة الأموية مجلس للوزراء، كما هو الحال الآن ، حيث كانت توجد عدة وزارات ذات اختصاصات مختلفة ؛ فضلا عن رئيس للوزراء وهو الحاجب الذى كان على اتصال مباشر بالأمير ثم بالخليفة ، وهذا النظام المتطور لا نجده فى نظام الوزارة بالمشرق حيث كانت السلطة مركزة في يد وزير واحد فقط كما سبق القول ، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد فحسب ؛ بل كان هناك بيت خاص لانعقاد مجلس الوزراء فى قصر الأمير أو الخليفة (٩٨).

ومن المعروف أن مناصب الوزارة فى الأندلس كانت لأهميتها تتوارث عندهم فى الأسر المعروفة ومنها : بني شهيد ، وبنى حدير ، وبنى فطيس وغيرهم .

ومن أشهر هؤلاء الوزراء أحمد بن عبد الملك بن شهيد الذى لقبه الخليفة عبد الرحمن الناصر بلقب ذى الوزارتين ، أما أشهر الحجاب وأقواهم فى الأندلس فمنهم جعفر المصحفى ثم المنصور محمد بن أبى عامر ، وقد إستبد هؤلاء الحجاب بكل

---

(٩٦) ابن حيان ، أبو مروان حيان بن خلف ، ت٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م ، المقتبس من أنباء أهل الأندلس ، تحقيق محمود على مكى ، بيروت (١٩٧٣م)، ص   ، وانظر أيضًا ابن القوطية ، أبو بكر محمد بن عمر، ت٣٦٧هـ/ ٩٧٧م، تاريخ افتتاح الأندلس ، تحقيق إبراهيم الأبيارى، بيروت(١٩٨٢م)، ص٦٠.

(٩٧) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، المجلد الأول ، ص٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٩٨) العبادى ، نظم الحكم ، ص١٥٤ - ١٥٦ ؛ الكروى ، المرجع ، ص٥٢ - ٥٣ ؛ محمود ، دراسات فى الحضارة ، ص٩٤ ؛ إسماعيل ، تاريخ الحضارة ، ص٦٩ .

الأمور دون الخليفة ، ومنذ ذلك الوقت أخذت مكانة الوزير أيضًا تضعف نتيجة لازدياد سلطة الحاجب فى الدولة وصارت كلمة وزير تمنح للطبقة الوسطى من الموظفين والكتاب وشيوخ القرى حتى سقوط الخلافة الأموية بالأندلس ٤٢٢هـ/ ١٠٣١م(٩٩).

أما عن خُطة الوزارة فى عهود الدول الإسلامية الأخرى فسوف نتطرق إليها تفصيلا فى كتابنا المفصّل بمشيئة الله تعالى .

المبحث الثانى : النظم الإدارية :

قبل أن نتحدث عن النظم الإدارية الإسلامية ينبغى أن نشير إلى أن العديد من المتخصصين فى الإدارة فى عصرنا هذا يتجاهلون الفكر الإدارى الإسلامى ويبدأون بدراسة الفكر الإدارى اعتباراً من القرن التاسع عشر ، فى الوقت الذى كان الفكر الإدارى الإسلامى مصدراً أساسيا لوضع مفاهيم ونظريات فى الإدارة تستوعب واقع المجتمع وتستشرف تطلعاته ، كما أنه كان سبيلاً لاغناء الفكر العالمى بنماذج ومبادئ إدارية متميزة(١٠٠).

كذلك لا تفوتنا الإشارة إلى أن هناك العديد من الكتب فى التراث الإسلامى تبحث فى رجال الإدارة وأسمائهم وتراجمهم وفى الوظائف وأحوالها وفى المناطق الإدارية وفى المبادئ التى تراعى فى الإدارة وغير ذلك (١٠١)، وهو الأمر الذى يشير إلى أهمية الفكر الإدارى فى الحضارة الإسلامية . وهذا يستلزم من جميع العلماء والباحثين التكاتف من أجل وضع هذا الفكر فى موضعه الصحيح فى منظومة تطور الفكر الإدارى العالمى والذى يقصره الغالبية على دراسة الفكر الغربى الحديث بدءاً من القرن ١٩م كما سبق القول .

وإذا ربطنا بين المفاهيم الإدارية الحديثة وبين مفهوم الإدارة فى الدولة الإسلامية لوجدنا تطابقًا كبيراً ، فالإدارة العامة بمفهومها الموضوعى المطلق يقصد بها سياسة الدولة وريادة مجتمعها فى المعترك الإنسانى بشتى مناهجه ومناشطه ، من حيث

---

(٩٩) العبادى ، نظم ، ص١٥٦ ـ ١٥٧ .

(١٠٠) عمر ، النظم الإسلامية ، ص٧١ ـ ٧٢ .

(١٠١) عن هذه المصادر انظر ، العلى ، دراسات فى الإدارة فى العهود الإسلامية الأولى ، ص١٠ ـ ٥٤ .

ممارسة السلطات العامة التى تتولى حكم المجتمع وحمايته وتدبير مرافقه والحفاظ على تقاليده ورعاية صوالحه وتنظيم معاملاته وتقنين علاقاته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بحيث تستوعب الإدارة المركزية وما يدور فى فلكها من إدارات تدين لها بالتبعية ؛ وبذلك تضم الهيئة التى تتولى الإدارة العامة جماع الأجهزة الوظيفية التى تمارس سلطات الدولة بدءاً برئيسها على القمة منها وانتهاءاً بالاصاغر من العاملين فى أدنى مراتب السلك الوظيفى .

وبالنظر إلى تعدد المهام التى تمارسها الإدارة العامة وتباين المستويات الوظيفية للقائمين بها فقد إصطلحت النظريات الإدارية الحديثة على تقسيمها إلى ثلاثة مستويات أساسية متفاوتة : عليا وتنفيذية ومباشرة ، يتواءم فيها الاختصاص الوظيفى فى ماهيته ومسئولياته ومداه مع مراتب القائمين عليها فى السلك الوظيفى وسلطاتهم وكفاياتهم الإدارية والثقافية(١٠٢).

فالإدارة العليا هى مجمع السلطات العامة التى تضع للدولة سياستها وتسن تشريعاتها ومناهجها المسيطرة على شئونها الداخلية والخارجية ، وإذا كانت الإدارة العليا تمثل الحكومة المركزية فإن الإدارة التنفيذية تليها مباشرة وهى تمثل الأجهزة الإدارية التى تتولى الإشراف على تنفيذ ما تمليه الإدارة العليا من سياسات ونظم ويمثل القائمون على هذه الأجهزة الإدارة التنفيذية فى التنظيم الإداري(١٠٣).

وهذه المستويات الثلاثة للإدارة الحديثة وجدت فى الدولة الإسلامية منذ عصر صدر الإسلام وما تلاه فالإدارة العليا كانت تتمثل فى شخص الرسول (ﷺ) والخلفاء من بعده : كما تشمل الولاة المفوضين فى نطاق ولاياتهم فهؤلاء بيدهم مقاليد الحكم ويمثلون الحكومة المركزية وجماع السلطات الإدارية .

كذلك وجدت الإدارة التنفيذية وكانت تتمثل فى الأجهزة الإدارية فى الأمصار والولايات المختلفة والتى يقع عليها عبء تنفيذ ما تمليه الإدارة العليا من سياسات ونظم .

---

(١٠٢) الهراوى ، عبد السميع سالم ، لغة الإدارة فى صدر الإسلام ، القاهرة ، ط٢ (٢٠٠٥م)، ص٢٦٢ - ٢٦٣ ؛ لغة الإدارة العامة فى مصر فى القرن التاسع عشر ، القاهرة (١٩٦٣م)، ص٢٧ - ٣٤ .

(١٠٣) الهراوى ، لغة الإدارة ، ص٢٦٥ - ٢٦٦ .

أما الإدارة المباشرة فلم تكن هناك إدارة مباشرة - أى خلال عصر صدر الإسلام - فى الحكومة المركزية بمعناها المتميز المحدود وانحصر وجودها فى الأقاليم المفتوحة فحسب وكانت تتكون عادة من أهل تلك الأقاليم .

أما عن نشأة النظم الإدارية فى الدولة الإسلامية فيمكن القول أن الرسول (ﷺ) كان هو أول من وضع أساس التنظيم الإدارى فى الدولة الإسلامية وقد بدأ أولاً فى المدينة ثم عمّ ثانيًا أنحاء الجزيرة بعد أن دانت كلها بالإسلام .

هذا ويتجلى تنظيم الرسول (ﷺ) الإدارى للمدينة فى الصحيفة التى أصدرها (دستور المدينة الذى يشتمل على ٤٧ مادة) ووضع فيها أحكامًا تبين الخطوط الرئيسية لتنظيم الدولة والمجتمع ولتنسيق العلاقة بينهما وهى توضح الأحوال الجديدة حيث أصبح المسلمون أمة واحدة يؤمنون بالله واحد ويخضعون لأوامر دينية واحدة ويطيعون رسولاً واحداً أى أن رابطة العقيدة الدينية هى أساس الأمة وقد رسمت هذه الصحيفة أسلوب العمل بين فئات المجتمع فى المدينة كما أنها أوجبت على أفراد الأمة تنظيم العمل بينهم من أجل صيانة الأمن ومطاردة المفسدين والامتناع عن حماية المخلين بالأمن حتى ولو كان ولدهم ، فضلا عن ما يتعلق بأمور العدالة والقضاء والأمن العام وأحوال الحرب والسلام وضمان الحرية الدينية ليهود المدينة وما يتعلق بالالتزامات المالية الناجمة من الحروب وغير ذلك(١٠٤) .

أما عن الإدارة فى أنحاء الجزيرة العربية فيمكن القول أن الرسول (ﷺ) قد أناب فى حياته ومنذ السنة التاسعة للهجرة على وجه التحديد (عام الوفود) نظراً لنمو الدولة واتساع سلطانها فى أنحاء الجزيرة بعض العمال فى بعض مدن الجزيرة ، وكذلك عند بعض القبائل المهمة « ليؤمهم فى الصلاة ويجبى الزكاة ويفصل فى شؤونهم اليومية » ؛ كما استخلف الرسول (ﷺ) عمالاً على المدينة حين خروجه فى الغزوات مثل سعد بن عباد سيد الخزرج وسعد بن معاذ سيد الأوس ، وفى السنة الثامنة

---

(١٠٤) العلى ، دراسات فى الإدارة ، ص٧٨ - ٨٦ ؛ عمر ، النظم ، ص٧١ ؛ العربى ، دولة الرسول (ﷺ) فى المدينة ، ص١٦٧ - ١٧٨ .

للهجرة عقب فتح مكة المكرمة استخلف الرسول (ﷺ) عليها أبا بكر الصديق (رضى الله عنه)(١٠٥).

وكان من الطبيعى أن تتطور التنظيمات الإدارية بعد امتداد دولة الإسلام وتوسع رقعتها خارج الجزيرة العربية خلال عصر الخلفاء الراشدين وما تلاه .

ولما كان المقام لا يتسع لابراز كافة معالم هذا التطور الإدارى فى دار الإسلام ولذلك حسبنا ، ووفقا للخطة الموضوعة لهذا الكتاب ، أن نشير إلى بعض هذه المعالم؛ على أن نعود إلى غيرها من المعالم الإدارية تفصيلا واسهابا فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

أ ـ الولايات :ـ

قسمت الدولة السلامية بعد أن امتدت خارج الجزيرة العربية وتوسعت رقعة دار الإسلام إلى مجموعة من الولايات أو الإمارات صار يعين عليها الخليفة ولاة أو عمال يستمدون سلطانهم منه ويتبعونه يطلق على الواحد منهم اسم الأمير بمعنى قائد الجيش أو عامل الخليفة أو العامل فقط ، وفى البداية كان يتم اختيارهم من الصحابة سواء من قواد الجيش الفاتحين أو من أماثل القوم وأفضلهم جريا على سنة الرسول (ﷺ) فى اختيار الأصلح للولاية(١٠٦).

ويمكننا أن نقرر القواعد الإدارية التالية فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب)رضى الله عنه) الذى تطورت على يديه أسس النظم الإدارية فى الدولة الإسلامية كنتيجة طبيعية لحركة الفتوح الإسلامية وتمصير الأمصار .

١ ـ كان الخليفة عمر يختار الأفضل إداريا وذا الكفاءة فى تصريف الأمور كعامل أو وال ويشير ابن الجوزى إلى ذلك قائلا « كان عمر بن الخطاب يستعمل قوما ويدع أفضل منهم لبصرهم بالعمل » ،، كذلك كان عمر يفضل الوالى القوى الشخصية

---

(١٠٥) فوزى ، النظم ، ص٧٢ . وعن عمال الصدقات ، انظر العلى ، دراسات فى الإدارة ، ص٩٥ ـ ٩٩ . وعن العمال أو الولاه انظر العبد الغنى ، دراسات فى تاريخ الحضارة ، ص٩٥ ؛ محمود ، دراسات فى الحضارة ، ص٩٥ .

(١٠٦) عبد الرازق ، الحضارة الإسلامية ، الجزء الأول ، ص٧٥ .

ذلك لأن الإدارة تحتاج إلى الرجل القوى بشخصيته وإرادته وعزمه على تنفيذ الأمور ، ويشير الطبرى إلى أن عمر حين عزل شرحبيل عن السواحل قال « ... إنى والله ما عزلت شرحبيل عن سخطه ولكنى أردت رجلا أقوى من رجل » .

٢ - سار عمر سيرة الرسول (ﷺ) فى الأخذ برأى الرعية فى تعيين واليهم أو عاملهم فحين اعترض قوم من بجيلة على تعيين وال عليهم قائلين لعمر « إستعمل علينا رجلا منا » قبل عمر الاعتراض بعد أن أخذ كذلك برأى الوالى المعين ولم يستبد الخليفة برأيه .

٣ - أدرك الخليفة ببعد نظره ضرورة أخذ الاعراف الاجتماعية بعين الاعتبار عند تعيين الوالى على اقليم معين ففى رواية للطبرى أن عمر كان لا يستعمل رجلا من أهل الوبر (سكان البادية) على أهل المدر (سكان الحضر) والعكس صحيح .

٤ - أكد عمر على الاختصاص فى العمل الإدارى وضرورة توزيع الواجبات على من يصلح لها من الأشخاص ففى رواية تاريخية أن عمر كتب إلى سعد بن وقاص بالعراق « إن شاور طلحة الأسدى وعمرو بن معد يكرب فى أمر حربك ولا تولهما من الأمر شيئا فإن كل صانع هو أعلم بصنعته ».

٥ - ابتكر عمر منصب صاحب العمال وواجبه التفتيش على العمال والتحقيق فى الشكاوى التى تأتى ضدهم ففى رواية تاريخية أن عمر أرسل محمد بن مسلمة (صاحب العمال) إلى العراق للتحقيق فى شكوى ضد سعد بن أبى وقاص أمير الجيش بالعراق رغم صعوبة الموقف العسكرى واستعداد المسلمين للمعركة الحاسمة مع الفرس ؛ بل والأكثر من ذلك أن عمر كان يقوم بالتفتيش والتحقيق بنفسه حيث قام بالتحقيق مع أبى موسى الأشعرى حين شكاه ضبه العنزى وبعد التحقيق قال عمر « الا أن ضبه العنزى غضب على أبى موسى فصدق عليه وكذب فأفسد كذبه صدقه فأياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى النار » .

كذلك قام عمر بعزل عمار بن ياسر عن الكوفة سنة ٢٢هـ/ ٦٤٢م بعد أن شكاه أهلها .

٦ - وضع عمر شروطا معينة لعماله عليهم ألا يتركوها أو ينتهكوها ومنها « أن يركب دابة ولا يلبس رقيقا ولا يأكل نقيا ولا يغلق بابه عن حوائج الناس وما

يصلحهم »، وقد أنب عمر واليه على مصر (أى عمرو بن العاص) حين خالف هذه الشروط واستدعاه إلى المدينة وهدده بأنه يستعمله راعيا على الشاة بدلا من ولاية مصر عقوبة تأديبية له وعبرة لمن اعتبر من الولاة ، بل قام عمر أيضًا بتوبيخ واليه على مصر لأنه حابى وجامل عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب ابن الخليفة ، كذلك كان عمر يراقب عماله وامراؤه وقواده ، ومن الأمثلة المشهورة الدالة على ذلك ما فعله مع خالد بن الوليد الذى كان يجتهد برأيه دون استشارة الخليفة أحيانا ، وكانت الانتصارات التى حققها سيف الله المسلول تجعل الجند يقبلون عليه ويتعلقون به فما كان من عمر إلا أن عزل خالداً فى الوقت المناسب قائلا له « ما عزلتك لريبة فيك ولكن افتتن به الناس فخفت أن تفتتن بالناس ».

٧ ـ كان عمر يجتمع بوفود الأمصار الإسلامية ويستدعيهم إلى المدينة لسماع رأيهم فى واليهم أو أميرهم ، ففى رواية تاريخية « كان الوفد إذا قدموا على عمر سألهم عن أميرهم .. هل يعود مرضاكم ؟ هل يعود العبد ؟ كيف صنيعه بالضعيف هل يجلس على بابه ؟ فإن قالوا لخصلة منها لا عزله ».

٨ ـ كان عمر يقاسم عماله إذا إقتنع بأن الزيادة فى أموالهم كانت اساءة لاستعمال مراكزهم كولاة للدولة وفى ذلك يذكر ابن الجوزى « كان عمر إذا بعث عاملا كتب له ، وبعد انقضاء فترة عزله قارن بين السجل وبين الأموال الشخصية فإذا وجد زيادة قاسمه ورد النصف إلى بيت المال ، فالمقاسمة إذن كانت عقوبة تأديبية إذا اقتنع الخليفة بأن لها ما يبررها .

وختاما حسبنا أن نشير إلى تلك القصة المشهورة بين الخليفة عمر مع واليه على مصر عمرو بن العاص حيث طلب ـ أى الخليفة عمر ـ من المتظلم أن يضرب عمرو بن العاص ثم قال له « ايه عمرو ؛ متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم أحراراً »(١٠٧).

وكان الخليفة عثمان بن عفان (رضى الله عنه) لا يتردد فى عزل من يشتكيه أهل عمله ؛ ومع ذلك فقد أخذ عليه تولية أقرباءه وأهل بيته فى السنوات الست

(١٠٧) عمر ، النظم الإسلامية ، ص٧٣ ـ ٧٦ .

الأخيرة من خلافته الذين أساءوا السيرة وتجاوزوا الحدود .

ورغم حرص بنو أمية على اختيار ولاتهم من بين العرب إلا أنهم ساروا على سياسة عثمان بن عفان (رضى الله عنه) من حيث اسناد الولايات فى الغالب إلى آل بيتهم وأنصار دولتهم تعلقا منهم بالسلطان والحفاظ عليه . ولم يخرج العباسيون عن سياسة الأمويين فى اختيار الولاة وإن كانوا قد أكثروا من الاستعانة بغير العرب سواء من الفرس أو من الترك .

كما شهد العصر العباسي أيضًا ظاهرة أخرى ترتبت عليها عواقب وخيمة فقد عمد بعض الولاة إلى ارسال رجال لإدارة الولايات نيابة عنهم فى حين بقوا هم فى حاضرة الخلافة حرصا منهم على مصالحهم ومكانتهم لدى الخليفة هذا بالإضافة إلى استبداد بعض الولاة بأمور ولاياتهم بعد أن دب الضعف فى جسد الخلافة ونجاح بعضهم فى الاستقلال بأعمالهم عن تبعية الخلافة وتكوين أسرات حاكمة(١٠٨)، وقد عرفت هذه الظاهرة باسم عصر الدول المستقلة أو الدول الاقليمية فى التاريخ الإسلامى فى المشرق والمغرب على السواء .

وقد ترتب على هذه الأوضاع الجديدة فى الدولة الإسلامية أن صنف الفقهاء الامارة إلى صنفين « عامة وخاصة ، فأما الإمارة العامة فعلى ضربين : إمارة استكفاء بعقد عن اختيار ، وإمارة استيلاء بعقد عن اضطرار ، فإمارة الاستكفاء التى تنعقد عن اختياره فتشتمل على عمل محدود ونظر معهود والتقليد فيها أن يفوض إليه الخليفة إمارة بلد أو اقليم ولاية على جميع أهله ونظراً فى المعهود من سائر أعماله فيصير عام النظر فيما كان محدوداً من عمل ومعهوداً من نظر فيشتمل نظره فيه على سبعة أمور : أحدها النظر فى تدبير الجيوش وترتيبهم فى النواحى وتقدير أرزاقهم ... والثانى النظر فى الأحكام وتقليد القضاة والحكام والثالث جباية الخراج وقبض الصدقات وتقليد العمال فيهما وتفريق ما استحق منها والرابع حماية الدين والذب عن الحريم ومراعاة الدين من تغيير أو تبديل والخامس اقامة الحدود فى حق الله وحقوق الأدميين والسادس الإمامة فى الجمع والجماعات حتى يؤم بها أو يستخلف عليها والسابع تسيير الحجيج من عمله ومن سلكه من غير أهله حتى يتوجهوا معانين عليه،

---

(١٠٨) عبد الرازق ، الحضارة الإسلامية ، ص٧٥ ـ ٧٦ .

فإن كان هذا الاقليم ثغراً متاخما للعدو اقترن بها ثامن وهو جهاد من يليه من الاعداء وقسم غنائمهم فى المقاتلة وأخذ خمسها لأهل الخمس ... »[(١٠٩)]. وكان صاحب هذا النوع من الإمارة يعرف بالأمير المستكفى وهو يشبه وزير التنفيذ لأنه يدين بالطاعة المطلقة للخليفة الذى كان يضع له بعض الضوابط ليحد من سلطانه وليحول دون استبداده منها السماح له بتعيين وزير التنفيذ دون وزير التفويض .

والحق ان امارة الاستكفاء كانت فى الواقع من جملة الأسباب التى أفضت إلى تشعب الخلافة العباسية إلى مجموعة من الدول المستقلة أو الاقليمية لأن الوالى كان يقيم فى ولايته كأنه ملك مستقل إلا فيما يتعلق بارسال فضلات الخراج إلى الخليفة والخطبة له وضرب السكة باسمه بالاضافة إلى أمور أخرى لا تضغط على ارادته[(١١٠)].

أما إذا كان تقليد هذا الأمير عن الوزير ولم يصرح فيه بأنه عن الخليفة فاللوزير الحق فى أن ينفرد هو بعزل الأمير ومتى إنعزل الوزير أو مات انعزل هذا الأمير[(١١١)].

أما عن الضرب الثانى من هذه الإمارة وهو إمارة الاستيلاء التى تعقد عن اضطرار فهى أن يستولى الأمير بالقوة على بلاد يقلده الخليفة امارتها ويفرض إليه تدبيرها وسياستها فيكون الأمير باستيلائه مستبداً بالسياسة والتدبير »[(١١٢)] ولذلك يعرف هذا الأمير بالأمير المستولى ، وفى هذه الحالة كان الخليفة يضطر إلى منح الأمير المستولى تقليداً صوريا للحفاظ على هيبة الخلافة واستدعاء لطاعة الأمير ودفعا لمشاقته ومخالفته وحسما لمعاندته وحرصا على اجتماع الكلمة على الألفة والتناصر ووحدة الأمة ، ومن ثم فإن الأمير المستولى تكون إمارته شاملة لكل البلاد التى استولى عليها ونظره نافذ فى جميع أمورها وهو فى ذلك يشبه وزير التفويض ، وكان يقوم بنقش اسمه على السكة والطراز ويدعى له على المنابر بعد الخليفة مباشرة[(١١٣)].
وإذا إنتقلنا إلى الصنف الثانى من الإمارة وهو الإمارة الخاصة فهى أن يقتصر عمل

---

(١٠٩) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص٣٥ .
(١١٠) عبد الرازق ، الحضارة ، جـ١ ، ص٧٦ ـ ٧٧ .
(١١١) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص٣٦ ـ ٣٧ .
(١١٢) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص٣٩ ـ ٤١ .
(١١٣) عبد الرازق ، الحضارة ، جـ١ ، ص٧٧ .

الأمير فيها على « تدبير الجيش وسياسة الرعية وحماية البيضة والذب عن الحريم وليس له أن يتعرض للقضاء والأحكام وجباية الخراج والصدقات ... ويعتبر فى ولاية هذه الإمارة الشروط المعتبرة فى وزارة التنفيذ وزيادة شرطين عليها : هما الإسلام والحرية ... وشروط الإمارة الخاصة تقصر عن شروط الإمارة العامة بشرط واحد وهو العلم لأن لمن عمت إمارته أن يحكم وليس ذلك لمن خصت إمارته ... »(١١٤).

ب ـ الدواوين :ـ

كانت الإدارة الحكومية فى الدولة الإسلامية موزعة على عدد من الدواوين سواء فى عاصمة الخلافة أو الولايات حيث وجدت دواوين محلية ويثير الأصل اللغوى لكلمة الديوان بعض الخلاف فمن قائل أن لفظة الديوان عربية اذ يقال دونه بمعنى أثبته وفى قول آخر أتها لفظة فارسية : إذ كان يقال للكتاب والحساب فى الفارسية ديوان أى شياطين لحذقهم بالأمور وسمى موضعهم باسمهم(١١٥).

هذا وقد ظهرت الدواوين فى الدولة الإسلامية نتيجة إلى حاجة المسلمين إلى التنظيم العسكرى والمالى ، وبدأت بطبيعة الحال بسيطة ومحدودة فى عهد عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ثم سرعان ما نمت وتعددت وتفرعت وتطورت حسب تطور الضرورات والأحوال فى العصور اللاحقة .

ويمكن القول أن الخليفة عمر بن الخطاب كان أول من دون الدواوين فى الدولة الإسلامية وكان الدافع المباشر لانشاء الديوان الأول هو كثرة الأموال الواردة من الفتوحات والحاجة إلى تنظيم توزيعها على المقاتلة ، وعلى ذلك كان ديوان الجند أو ديوان العطاء هو أول ديوان فى دار الإسلام وكان هذا الديوان لا يعد أن يكون سجلا يحوى أسماء المقاتلة ومقدار أعطياتهم وارزاقهم ، ولعل الخليفة عمر كان أول من سار على مبدأ تصنيف المسلمين إلى مراتب حسب القرابة من الرسول (ﷺ) والاسبقية إلى الإسلام والخدمة للإسلام ثم الحاجة(١١٦).

---

(١١٤) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص٣٧ ـ ٣٩ .

(١١٥) الباشا ، دراسات فى الحضارة ، ص٥٤ .

(١١٦) عمر ، النظم ، ص٧٨ ـ ٧٩ ؛ الدورى ، النظم ، ص١٣٩ ـ ١٤٦ .

وقد كثرت الدواوين فى الدولة الإسلامية كثرة كبيرة وتنوعت وذلك نظراً لما وصلت إليه أنظمة الدولة من تنميق وتفريع وتخصص ، ومن الملاحظ أنه ربما أبطل بعضها فى وقت من الأوقات وربما استمر بعضها الآخر وكان لكل من هذه الدواوين مهماته الخاصة وتقاليده وأنظمته(١١٧).

ولما كان المقام لا يتسع فى هذا الكتاب المجمّل لدراسة الدواوين وأنواعها وما يختص بكل منها من مهام ؛ ولذلك حسبنا أن نشير إلى بعض هذه الدواوين ، على أن نعود لها ولغيرها من الدواوين تفصيلا فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

١ ـ ديوان الجند :

استمر معمولا به فى العصر الأموى على نفس الأساس الذى وضعه عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ففيه يحفظ أسماء الجند وأوصافهم وأنسابهم وأعطياتهم ، وفى العصر العباسى أصبح هذا الديوان يضم مجلسان هما مجلس التقرير ويختص بتقرير استحقاقات الجند ومعرفة أوقات اعطياتهم وتقدير أرزاقهم والثانى هو مجلس المقابلة ويقتصر عمله على السجلات وتصفح الأسماء وما إلى ذلك ، أما فى العصر الفاطمى فقد تطور هذا الديوان ، وصار يتألف من ثلاثة دواوين تكمل بعضها البعض الأول عرف بديوان الجند ويقتصر عمله على التعرف على أحوال الجند وأخبارهم وأعدادهم والثانى عرف بديوان الرواتب ويختص بتسجيل عطاء الجند بل وجميع موظفى الخلافة من المستخدمين فى القصور وغيرهم أما الثالث فديوان الاقطاع ويقتصر عمله على ما هو مقطع للأجناد(١١٨).

٢ ـ ديوان البريد :

البريد جمع برد وهى لفظة تطلق على الرسول وهى أيضًا مسافة قدرها ١٢ ميلا (حوالي ٢٤ كم) وغلب استعمال البريد للدلالة على عملية نقل الأخبار .

---

(١١٧) الباشا ، دراسات فى الحضارة ، ص٥٦ .

(١١٨) الدورى ، النظم ، ص١٤٦ ؛ عمر ، النظم ، ص٨٠ ؛ عبد الرازق ، الحضارة الإسلامية ، جـ١ ، ص٨١ .

واختلف فى أصلها اللغوى فقيل عربى مشتق من بردت الحديد أى أرسلت ما يخرج منه ومن أبردته أى أرسلته أو من برد إذا ثبت لأنه يأتى بما تستقر عليه الأخبار .

وقيل أنها لفظة فارسية معرّبة أصلها بالفارسية بريده دم أى مقصوص الذنب وسمى بذلك لأن بغل البريد عند الفرس كان يقص ذنبه علامة على أنه من بغال البريد(١١٩).

وفى قول آخر أنها لفظة لاتينية معرّبة أصلها باللاتينية Veridus بمعنى خيل أو Veredarü وهم نقلة الأخبار الذين يركبون الخيل وكانوا يمدون القيصر البيزنطى بالأخبار(١٢٠). ومهما يكن من أمر فإن هذا الديوان أنشأه معاوية بن أبى سفيان وكان له مهمتان رئيسيتان ، الأولى نقل الرسائل من دار الخلافة واليها سواء كانت هذه الرسائل داخلية أو خارجية ، وفى الحقيقة أن أصل هذا الديوان وجوهر عمله كان موجوداً منذ عهد الرسول (ﷺ) فقد كان يرسل رسلا ومبعوثين يحملون منه رسائل إلى الملوك والأمراء المعاصرين له كما حدث بعد صلح الحديبية حين أرسل إلى كسرى وهرقل والنجاشى والمقوقس وغيرهم يدعوهم إلى الإسلام . والجديد فى الأمر هو أن معاوية أنشأ لهذا النوع من العمل ديوانا خاصا له موظفون مخصوصون يقومون على العمل فيه وهو ما لم يكن موجوداً قبل معاوية .

أما المهمة الثانية التى كان يقوم بها ديوان البريد فى العصر الأموى فهى أن موظفى هذا الديوان كانوا عيونا للخليفة يراقبون له الولاة والعمال وأعمالهم ومسلكهم ويرفعون إليه تقارير بكل ما يصل إلى علمهم من ذلك حتى يكون الخلفاء على علم بأحوال الولايات وبكل ما يدور فيها ، ومعنى ذلك أن ديوان البريد كان يقوم فى العصر الأموى بدور ما يسمى بالرقابة الإدارية فى الوقت الحاضر وهو دور خطير جداً ، وليس أدل على أهمية هذا الدور من أن الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان كان يوصى حاجبه ألا يحجب عنه رجل البريد فى أى ساعة جاء وكان يقول تأخير البريد

---

(١١٩) الباشا ، دراسات فى الحضارة ، ص٦٣ .

(١٢٠) العبادى ، نظم ، ص١٦٩ ؛ عبد الرازق ، الحضارة ، جـ١ ، ص٨٥ ـ ٨٦ ؛ محمود ، دراسات فى الحضارة ، ص١٠٧ ـ ١٠٨ ؛ العدوى والسهيل ، الحضارة العربية الإسلامية ، ص١٢٨ ـ ١٢٩ .

ساعة قد يفسد عمل سنة[١٢١].

٣ ـ ديوان الخراج :ـ

وهو من أهم الدواوين فى الدولة ويتولى تنظيم الخراج وجبايته والنظر فى مشكلاته وهو عماد الشئون المالية ، وقد بقى هذا الديوان على ما هو عليه فى كل من الشام والعراق ومصر إلى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ٦٥ ـ ٨٦هـ/ ٦٨٤ ـ ٧٠٥م الذى أمر بنقله إلى العربية بعد أن صارت الخلافة فى مسيس الحاجة إليه لاحصاء خراج البلاد المفتوحة وما ترتب على ذلك من زيادة الموارد ووجوه الانفاق الأمر الذى استلزم وجود ديوان الخراج المركزى فى عاصمة الخلافة ووجود فروع محلية فى كل ولاية من الولايات[١٢٢].

وقد بدأ تعريب ديوان الخراج فى عهد عبد الملك فى كل من ديوان الشام والعراق ، واستمرت عملية التعريب بعد عهد عبد الملك فعرب ديوان مصر فى ولاية عبد الله بن عبد الملك بن مروان ٨٥ ـ ٩٠هـ/ ٧٠٤ ـ ٧٠٨م ، وديوان خراسان فى ولاية نصر بن سيار حوالى سنة ١٢٤هـ/ ٧٤١م .

ولم يقتصر أثر عملية التعريب على النواحى السياسية والإدارية فحسب بل كانت لها آثاراً عظيمة أخرى فى النواحى الاجتماعية والحضارية[١٢٣]، وهو ما سوف نعود إلى مناقشته تفصيلا فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

٤ ـ ديوان الخاتم :

يعد الخليفة الأموى معاوية بن أبى سفيان هو أول من أنشأ هذا الديوان على أثر تزوير حصل فى رسالة إلى زياد بن أبيه أمر فيها باعطاء حاملها مائة ألف درهم فبدل حاملها المقدار إلى مائتى ألف درهم وفى هذا الديوان تحفظ نسخة من رسائل وأوامر

---

(١٢١) عبد اللطيف ، العالم الإسلامى فى العصر الأموى ، ص٥٦٢ ـ ٥٦٣ .

(١٢٢) الدورى ، النظم ، ص١٤٦ ؛ عبد الرازق ، الحضارة ، ص٨٢ .

(١٢٣) عبد اللطيف ، العالم الإسلامى فى العصر الأموى ، ص٢٦٧ ـ ٢٦٨ ؛ حلاق ، حسان ، تعريب النقود والدواوين فى العصر الأموى ، بيروت (١٩٨٨م)، ص١٨٣ ـ ٢٠٣ .

الخليفة الإدارية والعسكرية بعد أن تختم النسخة الأصلية بالشمع وتحزم(١٢٤).

وهناك من ينسب نشأة هذا الديوان إلى زياد بن أبيه عامل معاوية بن أبى سفيان على الكوفة(١٢٥).

٥ ـ ديوان الرسائل :ـ

وكان مختصا بصياغة الكتب والرسائل والعهود التى كانت تصدر عن الخلافة إلى الولاة والعمال فى داخل الدولة ويتلقى المكاتبات التى تصل منهم ويقوم موظفوه بعرضها على الخليفة ، ولم تقتصر مهمة هذا الديوان على المكاتبات الداخلية فحسب بل امتدت فشملت أيضًا المكاتبات الخارجية(١٢٦).

وعلى الرغم من أن بداية التراسل تعود أصلا إلى عصر الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين من بعده ؛ إلا أن إنشاء هذا الديوان يرجع إلى العصر الأموى وهناك من ينسبه إلى زياد بن أبيه فى خلافة معاوية بن أبى سفيان(١٢٧) بينما ينسبه آخرون ـ وهم الأغلبية ، إلى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان(١٢٨).

وفى أوائل العصر العباسى كان الديوان يعرف باسم ديوان الرسائل أو ديوان المكاتبات وربما قيل له أيضًا الديوان العزيز ، وعرف كذلك ولا سيما فى العصرين السلجوقى والمملوكى بديوان الانشاء وغير ذلك(١٢٩). وهو ما سنعود إليه تفصيلا فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

---

(١٢٤) الكروى ، المرجع ، ص٨٤ ؛ العبد الغنى ، دراسات فى تاريخ الحضارة ، ص١٠٤ ؛ الدورى ، النظم ، ص١٤٧ ؛ عمر ، النظم ، ص٨٠ ؛ حسن ، تاريخ الحضارة ، ص٩٤ ؛ عبد الرازق ، الحضارة ، جـ١ ، ص٨٣ ؛ عبد اللطيف ، العالم الإسلامى فى العصر الأموى ، ص٥٦٤ ـ ٥٦٥ .

(١٢٥) الخيرو ، رمزية عبد الوهاب ، إدارة العراق فى صدر الإسلام ، بغداد (١٩٧٨م)، ص١٥٣ ـ ١٥٤ .

(١٢٦) عبد اللطيف ، العالم الإسلامى فى العصر الأموى ، ص٥٦٥ ـ ٥٦٦ .

(١٢٧) الخيرو ، إدارة العراق فى صدر الإسلام ، ص١٥٥ ـ ١٥٦ .

(١٢٨) الدورى ، النظم ، ص١٤٧ ؛ عمر ، النظم ، ص٨٠ ـ ٨١ ؛ عبد الرازق ، الحضارة ، جـ١ ، ص٨٣ ـ ٨٤ .

(١٢٩) الباشا ، دراسات فى الحضارة ، ص٦٠ ـ ٦٣ .

المبحث الثالث : النظم القضائية والأمنية :-

أ- القضاء :-

إعتبر القضاء فى الدولة الإسلامية من الوظائف الدينية المتصلة مباشرة برأس الدولة وربما كان الاسم الرسمى للقاضى هو الحاكم .

ويشير الاشتقاق اللغوى للفظة بعض الاختلاف فمن قائل أن القضاء هو أحكام الشيء والفراغ منه ويستدل على ذلك بما ورد فى القرآن الكريم ﴿ وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب ﴾ أى أخبرناهم بذلك وفرغنا لهم منه وفى قول آخر أن القضاء معناه القطع يقال قضى الشيء إذا قطعه ومنه قوله تعالى ﴿ **فاقض ما أنت قاض** ﴾ وسمى القاضى بذلك لأنه يقطع الخصومة بين الخصمين بالحكم .

وقيل أن القاضى سمى قاضيا لأنه يقال قضى بين الخصمين إذا فصل بينهما وفرغ(١٣٠) .

وكان القاضى هو المنفذ لأحكام الشريعة والدين ، وقد اعتمد القضاة فى تقرير أحكامهم على أدلة الشريعة وخصائصها ، وتنقسم هذه الأدلة إلى قسمين : الأدلة الأصلية وهى الكتاب (القرآن الكريم) والسنة النبوية المطهرة والاجماع والقياس ، وهذا القسم قد اتفق عليه جمهور العلماء فى الجملة ، أما القسم الثانى فيشمل الأدلة الفرعية المختلف فيها فمنهم من يرى أن مصادر التشريع هى ما فى القسم الأول ولا يرى مصدراً آخر غير الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، ومن العلماء من يرى أن هناك مصادر سميت بالمصادر الفرعية وأهمها العرف والاستصحاب والمصالح المرسلة والاستحسان وقول الصحابى وشرع من قبلنا(١٣١) .

وسوف نعالج هذه المصادر التشريعية الأصلية والفرعية على السواء فضلا عن تطور خُطة القضاء فى الدولة الإسلامية فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

---

(١٣٠) الباشا ، دراسات فى الحضارة ، ص٦٥ ؛ ولمزيد من التفاصيل انظر ، الانبارى ، عبد الرزاق على ، منصب قاضى القضاة فى الدولة العباسية منذ نشأته حتى نهاية العهد السلجوقى ، بيروت (١٩٨٧م) ، ص٢١ - ٢٢ .

(١٣١) عن هذا الموضوع بالتفصيل وحجية المصادر الأصلية والفرعية انظر ، كريمة ، أحمد محمود ، معالم الشريعة الإسلامية ، القاهرة (٢٠٠٤م) ، ص٢٥ - ٩٦ .

ب- الشرطـة :-

يقصد بالشرطة الجند المكلفون بحفظ النظام وإقرار الأمن الداخلى فى البلاد ليل نهـار وذلك لمنع وقـوع الجـرائم والقـبض على الجناة وعـمل التـحريات اللازمـة وتنفـيـذ العقوبة التى يحكم بها القضاة وإقامة الحدود .

وقد اختلف فى اشتقاق لفظة الشرطة فقيل أنها مشتقة من الشرط بفتح الشين والراء بمعنى العلامة لأن الشرطة كانوا يتخذون علامات يتميزون بها وقيل إنها مشتقة من الشرط بفتح الشين وسكون الراء بمعنى الدون اللئيم السافل لأن الشرطة يحتكون بأراذل الناس وسفلتهم من اللصوص ونحوهم(١٣٢).

وهناك من يرى إنها مشتقة من الكلمة اللاتينية Chort وهى كلمة تتصل بالقضايا العسكرية وما شابهها أو الكلمة اللاتينية Securitas وهى كلمة تتصل بنظام الأمن عند البيزنطيين ، وهناك من يرى أن المصطلح اللاتينى الأول يظل أكثر تقبلا من المصطلح اللاتينى الثانى(١٣٣).

---

(١٣٢) الباشا ، دراسات فى الحضارة ، ص٦٩ ؛ عبد الرازق ، الحضارة ، جـ١ ، ص١١٦ - ١١٧ ؛ الحسيني، عباس حسن ، دستور المهن فى الإسلام ، القاهرة ، ط٢ (٢٠٠٥م)، ص٢٢٥ .

(١٣٣) العبادى ، نظم ، ص١٦٥ ؛ رشيد ، أرسن موسى ، الشرطة فى العصر الأموى ، ترجمة أحمد مبارك البغدادى ، الكويت (١٩٩٠م)، ص١٥ - ١٧ .

جـ. الحسبة :.

الحسبة لغة مأخوذة من الاحتساب فيقال كما فى المحكم لابن سيده احتسب فلان على فلان أنكر عليه قبيح عمله ومدارها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وقد فرضها الله سبحانه وتعالى فى كتابه ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران آية ١٠٤].

فأمر بها وحض على القيام بها بأساليب مختلفة فكان اختلاف الأساليب وتعددها دليل ظهور فرضيتها وارتفاعها فى المكانة إلى مصاف الفروض التى قام الإسلام عليها .

وفى الحديث « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ».

وقد تخرج إلى معان أخرى منها : الكفاية والاستعداد وحسن التدبير والعد والحساب والانكار على الشيء والاعتداد بالشئ فيقال احتسب بالشئ أى إعتد به وجعله بالحساب(١٣٤).

وقيل أن لفظة الحسبة مشتقة من قولهم « حسبك » بمعنى اكفف لأن وظيفة المحتسب الكف عن الظلم ؛ وقيل من قولهم أحسبه إذا كفاه لأنه يكفى الناس مؤنة من يبخسهم حقوقهم(١٣٥).

أما الحسبة فى الاصطلاح فهى مصطلح من مصطلحات النظم الإدارية يطلق على معان تطورت بمرور الزمن تطوراً لا ينفصل عن المعنى اللغوى الرئيسى وهو ابتغاء وجه الله على العمل وطلب ثوابه ولكن المؤلفين الذين كتبوا فيها استعملوهابمعنى وظيفة تتولى حفظ المجتمع المدنى وتصونه وترعى الآداب العامة فيه وتسهر على وجودها بعين ثاقبة أمرة بالمعروف إذا اختفى واستتر وناهية عن المنكر إذا فشا وانتشر ويتسع هذا المعنى ليشمل كثيراً عن الجوانب الحياتية حتى أصبح معنى الحسبة يطلق فى العرف

---

(١٣٤) مركز إحياء التراث العلمى ، دراسات فى الحسبة والمحتسب عند العرب ، جامعة بغداد (١٩٨٨م)، ص٤٧ ـ ٤٨ .

(١٣٥) الباشا ، دراسات فى الحضارة ، ص٧٣ .

فى القرن ٦هـ/ ١٢م على أمور كثيرة من بينها تقويم الموازين واصلاح الشوارع وغير ذلك فقد ذكر منها السنامى أربعة وأربعين أمراً[١٣٦].

وعلى الرغم من أصالة نظام الحسبة الإسلامية [١٣٧]، فإن هناك من يذهبون إلى القول بأن نظام الحسبة يرجع إلى أصل بيزنطى وإنها امتداداً لوظيفة الأجورانوم Agoranome أى عامل السوق التى انتشرت فى المدن البيزنطية[١٣٨].

ومهما يكن من أمر فإن نظام الحسبة نشأ بسيطًا فى عصر الرسول (ﷺ) بل ومارس الرسول الكريم نفسه مهمات الحسبة ، كما عين عمر بن الخطاب عاملا على سوق المدينة المنورة وعين سعيد بن سعيد بن العاص على سوق مكة المكرمة بعد فتحها عام ٨هـ. وفى عصر الخلفاء الراشدين مارس الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) مهام الحسبة بنفسه فكان يراقب الأسواق ويطوف فيها ويتفقد أحوالها وكثيراً ما عاقب من يقعد فى السوق ويجهل أحكامه وأعرافه ، كما عين السائب بن زيد عاملاً على سوق المدينة وكذلك عين عبد الله بن عتبة وبعدئذ اختار لهذه المهمة سليمان بن أبى خثمه ، وانتدب الخليفة عمر للمهنة نفسها فى بعض أسواق المدينة أمرأة هى الشفاء ابنة عبد الله بن عبد شمس العدوية ، واستمر الاشراف على الأسواق وتطبيق نظام الحسبة ابان خلافة عثمان (رضى الله عنه) فقد كان الحارث بن العاص عاملا على السوق فى زمنه ويشرف على المبيع والمشترى فيه ويرى الموازين ويأخذ العشور كما أن الخليفة على بن أبى طالب (رضى الله عنه) كان يراقب الأسواق بنفسه وحث التجار والباعة على ألا يظلموا الناس وأن يبتعدوا عن الغش والتطفيف بالكيل والميزان[١٣٩].

وبعد ذلك ولا سيما خلال العصر العباسى وما تلاه تطور نظام الحسبة وتحددت

---

(١٣٦) مركز إحياء التراث العلمى العربى ، دراسات فى الحسبة ، ص٤٨ .

(١٣٧) الكبيسى ، حمدان ، أصالة نظام الحسبة العربية الإسلامية ، بغداد (١٩٨٩م)، ص٧ ـ ١٢ .

(١٣٨) عن هذا الموضوع انظر عبد الرازق ، الحضارة ، جـ١ ، ص١١٢ ؛ أبو زيد ، سهام مصطفى ، الحسبة فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى نهاية العصر المملوكى، القاهرة (١٩٨٦م)، ص٤٩ ـ ٥٠ ؛ ديمومبين ، جودفرى ، النظم الإسلامية ، ترجمة فيصل السامر وصالح الشماع ، بغداد ((١٩٥٢م)، ص٢١٠ .

(١٣٩) الكبيسى ، أصالة نظام الحسبة ، ص١٠ ـ ١٢ .

معالمه وتنوعت مهام المحتسب واختصاصاته على النحو الذى ورد فى كتب الحسبة من اصلاح الشوارع والحسبة على الحمامات وفى منكرات الأسواق والحسبة على الاخلاق العامة فى الطرق والحسبة على الزروع والحسبة على المساجد وعلى خطط المدن والاحياء والساحات والحسبة على المثاقيل والأوزان والبيوع المحرمة والحسبة على الخبازين والطباخين وباعة الأطعمة والاحتساب على اللعب والاحتساب على القضاة والأمراء والحسبة على الدور والمساكن والحسبة على الحرف والصناعات بل والحسبة على تركيب مواد البناء والحسبة على حماية الطير والحيوان عند البناء وغير ذلك(١٤٠).

وهو ما سوف نتطرق إليه تفصيلا فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

هذا ويجمل ابن خلدون أهمية نظام الحسبة واختصاصاته فيذكر أنها « وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى هو فرض على القائم بأمور المسلمين يعين لذلك من يراه أهلا له فيتعين فرضه عليه ويتخذ الأعوان على ذلك ويبحث عن (المنكرات ... ويؤدب على المصالح العامة فى المدينة ... »، ثم يضيف ابن خلدون فيذكر أن خطة الحسبة « كانت فى كثير من الدول الإسلامية مثل العبيديين

---

(١٤٠) ابن الاخوة ، معالم القربة فى أحكام الحسبة ، تحقيق محمد شعبان وصديق المطيعى ، القاهرة (١٩٧٦م)، ابن بسام ، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، بيروت (١٩٩٠م)؛ السقطى ، فى آداب الحسبة ، تحقيق حسن الزين ، بيروت (١٩٧٨م)؛ السنامى ، عمر بن محمد ، نصاب الاحتساب ، تحقيق مريزن عسيرى ، مكة المكرمة ١٩٨٥م - ١٩٨٦م ، الشيزرى ، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، تحقيق السيد الباز العرينى ، بيروت (١٩٦٢م)؛ يحيى بن عمر ، أحكام السوق ، تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب ، راجعه فرحات الدشراوى ، تونس (١٩٧٥م) ؛ ومن الدراسات الحديثة (بالاضافة إلى ما ذكر فى الهوامش السابقة (حسبنا أن نشير إلى : المنيس ، وليد عبد الله ، الحسبة على المدن والعمران ، حوليات كلية الآداب ، الحولية ١٦ ، الرسالة ١٠٦ ، جامعة الكويت (١٩٩٥ - ١٩٩٦م)؛ خلاف ، محمد عبد الوهاب ، تسع وثائق فى شئون الحسبة على المساجد فى الأندلس ، حوليات كلية الآداب ، الحولية الخامسة ، الرسالة ٢٢ ، جامعة الكويت (١٩٨٤م) ؛ الفاسى ، عبد الرحمن ، خطة الحسبة فى النظر والتطبيق والتدوين ، الدار البيضاء (١٩٨٤م) ؛ حسينى ، الإدارة العربية ، ص٣٤١ - ٣٤٣ ؛ جرونيباوم ، جوستاف ، حضارة الإسلام ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، القاهرة ، ط٢ (١٩٩٤م)، ص٢١٢ - ٢١٤ ؛ السحيبانى ، حمد بن صالح ، الحالة الأمنية فى قرطبة خلال الفتنة البربرية (٣٩٩ - ٤٢٢هـ/ ١٠٠٩ - ١٠٣١م) بحوث تاريخية ، الإصدار الرابع ، الجمعية التاريخية السعودية - جامعة الملك سعود (جمادى الأولى ١٤٢٠هـ/ أغسطس ١٩٩٩م)، (انظر ما يتعلق بخطة السوق ص٨٢ - ٨٧) .

ـ أى الفاطميين ـ بمصر والمغرب والأمويين بالأندلس داخله فى عموم ولاية القاضى يولى فيها باختياره ثم لما إنفردت وظيفة السلطان عن الخلافة وصار نظره عاما فى أمور السياسة اندرجت فى وظائف الملك وأفردت بالولاية »(١٤١).

وكان يقال لمتولى هذه الوظيفة المحتسب ومتولى الحسبة وصاحب الحسبة وناظر الحسبة ووالى الحسبة(١٤٢)، أما فى المغرب والأندلس فكان يطلق على ولاية الحسبة فى بادئ الأمر اسم ولاية السوق أو أحكام السوق ويقال لمتوليها والى السوق ثم أصبح يقال لها ولاية الحسبة أو خطة الاحتساب ولمتوليها المحتسب أو صاحب الحسبة ، ويرى البعض أن اصطلاح المحتسب قد أصبح شائعا فى الغرب الإسلامى منذ أواخر القرن ٥هـ/ ١١م(١٤٣).

وقد انتقلت لفظة المحتسب إلى الاسبانية تحت اسم Almotacen كذلك لفظة صاحب السوق قد انتقلت إلى الاسبانية تحت اسم Zabazoqoque .

ولعل أحسن دليل على أهمية المحتسب فى الأندلس من الناحية العملية أن ملوك اسبانيا المسيحيين كانوا كلما استردوا من المسلمين اقليما أبقوا فيه المحتسب ولهذا رأينا لفظ المحتسب يدخل فى اللغة الاسبانية كما سبق القول ويطلق على الوالى المكلف بضبط الموازين والمكاييل ، أما فى المغرب فالدليل على أهمية وظيفة المحتسب وشدة الحاجة إليها أنها ما زالت باقية مستمرة إلى اليوم فى المدن المغربية بينما زالت من المشرق(١٤٤).

---

(١٤١) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، المجلد الأول ، ص٢٣٨ .

(١٤٢) الباشا ، دراسات فى الحضارة ، ص٧٣ .

(١٤٣) الفاسى ، خطة الحسبة ، ص١٧ ـ ١٩ .

(١٤٤) العبادى ، نظم ، ص١٦٨ ـ ١٦٩ .

المبحث الرابع : النظم المالية :

تعد النظم المالية جزءاً من النظام الإدارى العام للدولة الإسلامية ويقصد بالنظم المالية إيرادات الدولة الإسلامية (موارد بيت المال) أى دخلها العام ؛ وأوجه الانفاق المختلفة التى ازدادت بامتداد دار الاسلام واتساع رقعتها .

هذا وقد تعددت أبواب ايرادات بيت مال المسلمين من أموال الغنائم والفئ والخراج والجزية والعشور والركاز والزكاة والصدقات(١٤٥).

وسوف نركز فى هذا الكتاب المجّمل على أصل التشريع الخاص بكل منها ثم تتبع ما طرأ عليه من تطورات حسب تطور الحياة السياسية والاجتماعية فى الدولة الإسلامية .

- النظام المالى فى عصر الرسول (ﷺ) :

وضعت أسس النظام المالى للدولة الإسلامية وتقررت قواعده فى عصر الرسول (ﷺ) ، وهى الأسس التى بنى عليها نظام الخراج كله وهذه الأسس تقوم على ما جاء بالقرآن الكريم من تشريع وأحكام تتعلق بالزكاة والصدقات والجزية والغنيمة والفئ وما قام به الرسول (ﷺ) من تطبيقات عملية لتنفيذ تلك الأحكام ، فقد اتبع الرسول

---

(١٤٥) تناولت العديد من المصادر التاريخية والفقهية وكتب السيرة والمعاجم اللغوية موارد بيت مال المسلمين وتحديد مدلول كل منها وحسبنا أن نشير إلى بعضها فمن بينها كتاب الأموال لابن سلام (ت٢٠٦هـ) والسيرة النبوية لابن هشام والأحكام السلطانية لكل من الماوردى (ت٤٥٠هـ) وأبى يعلى الفراء وكتاب الخراج لكل من أبي يوسف (ت١٨٣هـ) ويحيي بن أدم (ت٢٠٣هـ) وكتب الفتوح والحوليات والمعاجم اللغوية ، ومن الدراسات الحديثة التى عولت على ذلك الكثير من المراجع ويأتى على رأسها كتاب الريس ، محمد ضياء الدين ، الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية ، القاهرة، ط٥ (١٩٨٥م) وهو من أهم وأشمل الكتب فى موضوعه ، وكتاب العلى ، صالح أحمد ، الخراج فى العراق فى العهود الإسلامية الأولى ، بغداد (١٩٩٠م)، وكتاب صالح ، محمد أمين ، النظام المالى والاقتصادى فى الإسلام ، القاهرة (١٩٨٤م) وغير ذلك كثير ، فضلا عن الكتب المتعلقة بالنظم الإسلامية خاصة والحضارة الإسلامية عامة وهى الكتب التى أشرنا إليها فى الصفحات السابقة وسوف نشير إليها فى ما يستقبلنا من صفحات هذا الكتاب .

الكريم مجموعة تدابير عملية تتصف بالمرونة وبمراعاة مقتضى الحال فقد راعى طريقة خضوع البلاد له بالقوة (عنوة) أو بغير القوة (صلحا)، وراعى أهلها عربا أو غير عرب، كما لاحظ حالتهم المعاشية أكانت لهم أراض أم لا(١٤٦).

هذا ويمكن القول، بادئ ذى بدء، أن الله سبحانه وتعالى قد أنزل أول تشريع مالى خاص بغنيمة الحرب من الأسرى والسبئ والأموال والأرض وذلك عقب الانتصار فى غزوة بدر الكبرى؛ وتنازع المسلمين فيما بينهم حول ما جمعوه من معسكر العدو فنزل قوله سبحانه وتعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأنفال آية ١].

وعلى هذا قام الرسول عليه الصلاة والسلام بتقسيم غنيمة بدر على جميع من حضرها من المسلمين بأنصبة متساوية وقال الرسول (ﷺ) «الغنيمة لمن شهد الواقعة».

ولم يلبث أن نزل تشريع الغنيمة بقول الحق عز وجل ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة الانفال آية ٤١].

وعلى هذا قام الرسول (ﷺ) بتقسيم غنيمة خيبر فكان خمس خيبر لله فأعطى الرسول منه لنسائه ولذوى القربى وكانت الحاجة فى بنى عبد المطلب أكثر ولذا أعطاهم أكثر وكذلك لليتامى والمساكين من المسلمين رجالا ونساءً وكذلك لرجال مشوا بين الرسول وبين أهل فدك بالصلح ولرجل من أهل الحديبية (جابر بن عبد الله بن عبد بن حزام) غاب عن خيبر، أما الأربعة أخماس الباقية فقسمت بين المسلمين الذين فتحوا خيبر لكل فرس سهمان ولفارسه سهم ولكل راجل سهم أى أنه أعطى الفارس ثلاثة أسهم والراجل سهما واحداً على أن الضرورة جعلت الرسول (ﷺ) يعدل فى هذا

---

(١٤٦) الدورى، النظم الإسلامية، ص٦٨.

التدبير ويعطى الأرض لأصحابها بالمقاسمة على النصف وذلك لقلة الأيدى العاملة وخبرة أهل خيبر بالزراعة(١٤٧).

وفى ذلك يقول ابن هشام « فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله (ﷺ) أن يعاملهم فى الأموال على النصف وقالوا نحن أعلم بها منكم وأعمر لها »(١٤٨).

ويعطى ابن سلام تفاصيل أكثر فيقول « فلما صارت الأموال فى يدى رسول الله (ﷺ) لم يكن لهم من العمال ما يكفونه عمل الأرض فدفعها رسول الله إلى اليهود يعملونها على نصف ما خرج منها »(١٤٩).

وفى غزوة يهود بنى النضير أنزل الله عز وجل تشريع الفئ فى قوله تعالى ﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٧ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٩ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة الحشر الآيات ٦ ـ ١٠] .

---

(١٤٧) الدورى ، النظم ، ص ص ٦٨ ـ ٧٠ ؛ عمر ، النظم ، ص١٠٠ ؛ الريس ، الخراج ، ص٩١ ـ ٩٢ ؛ النبراوى ، تاريخ النظم ، ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .

(١٤٨) ابن هشام ، السيرة ، جـ٢ ، ص٣٥٢ .

(١٤٩) ابن سلام ، الأموال ، ص٥٦ .

وعلى ذلك فإنه لما فتح الرسول (ﷺ) وادى القرى عنوة وأصاب المسلمون منها أثاثا ومتاعا فما كان من رسول الله (ﷺ) إلا وأن خمس ذلك وترك النخل والأرض فى أيدى اليهود وعاملهم على نحو ما عامل أهل خيبر(١٥٠).

أما أراضى العرب التى فتحت عنوة فقد اتبع فيها الرسول (ﷺ) سياسة خاصة ذلك لأنه وضع عليها العشر وفى ذلك هدف سياسى فالخراج يحمل معنى الخضوع والذلة وهو يريد للعرب وحدة سياسية قوية وكريمة ففى اليمن مثلا أقر السكان على أراضيهم وفرض عليهم دفع عشر انتاج ما سقى بصورة طبيعية ونصف العشر على ما سقى بآلة وفى البحرين تركت الأرض لسكانها العرب على أن يقاسموا الدولة الثمر ؛ أما فى المدن العربية الشمالية فقد فرضت عليها الجزية فقط ومنها تيماء فقد فرضت عليهم الجزية مقابل بقائهم فى أرضهم وكذلك صالح الرسول أهل تبوك على الجزية ، كما صالح أهل أذرح على مائة دينار فى كل رجب ، وفرض الرسول كذلك جزية مقدارها دينار على رؤوس الأشخاص مع ضيافة من يمر بالمنطقة من المسلمين كما هو الحال مع أهل تبالة وجرش وصاحب آيله ، وهذه الحالة اقتضتها الواجبات العسكرية الملقاة على المقاتلة فى تلك الفترة حيث كان الإسلام ينتشر وحدود الدولة تتوسع .

أما بالنسبة لأهل الذمة فقد فرض الرسول الجزية على من كان منهم فى الحجاز وقصرها أول الأمر على الرجال دون النساء والصبيان وكان على الرجل أن يدفع ديناراً واحداً أو نحوه ، وكان أهل الذمة من اليهود والنصارى أولاً ثم الحق بهم الرسول المجوس فقد روى أن رسول الله « قد قبل من مجوس البحرين الجزية وأقرهم على مجوسيتهم » وكذلك نفس الشئ مع مجوس اليمن . وقرر الرسول (ﷺ) الملكية العامة للماء والكلأ والنار وقال « الناس شركاء فى الماء والكلأ والنار »، والكلأ مما لم ينصب فيه أحد بحرث ولا غرس ضرورى للمواشى والأغنام وكذلك الماء ضرورته عامة ولعل المقصود بالنار الحطب الذى يستعمل للوقود(١٥١).

وبالنسبة للركاز فقد حدده الرسول (ﷺ) فى قوله « ... وفى الركاز الخمس فقيل وما الركاز يا رسول الله ؟ قال : الذهب والفضة الذى خلقه الله فى الأرض يوم

---

(١٥٠) الريس ، الخراج ، ص٩٣ ـ ٩٤ ، ٩٧ ؛ الدورى ، النظم ، ص٧٠ ؛ عمر ، النظم ، ص١٠١ .

(١٥١) الدورى ، النظم ، ص٧٠ ـ ٧٢ ؛ عمر ، النظم ، ص١٠٠ ـ ١٠١ ؛ الريس ، الخراج ، ص٩٦ ـ ٩٩ .

خلقت » وقد عرف الماوردى الركاز بأنه « كل مال وجد مدفونا من ضرب الجاهلية فى موات أو طريق سابل يكون لواجده وعليه خمسه يصرف فى مصرف الزكاة ... »(١٥٢).

وهناك اختلاف بين الفقهاء والعلماء فى الركاز حسب التعريف المعطى له وهو ما سوف نناقشه فى كتابنا المفصّل بمشيئة الله تعالى ، ومهما يكن من أمر هذا الاختلاف سواء اعتبر أنه المال المدفون فقط أو اعتبر أنه يشمل المعادن المختلفة فان أصل السنة فى الركاز أخذ الخمس ويكون حكمه للإمام يضعه حيث يرى مثل خمس الغنيمة(١٥٣).

وفى ضوء ما تقدم نستطيع أن نستخلص بعض القواعد والتنظيمات المالية التى سنها الرسول (ﷺ) وذلك على النحو التالى :

١ ـ قسم الرسول خيبر ووادى القرى التى فتحها عنوة بين المسلمين أو سلم بمبدأ تقسيم هذه الأراضى غنائم .

٢ ـ عد بلاد العرب أراضى عشر .

٣ ـ خصص الجزية الشخصية بدينار وفرضها على أهل الكتاب والحق بها المجوس وأعفى النساء والصبيان منها .

٤ ـ اكتفى بفرض الجزية على أراضى الصلح وحدها .

٥ ـ أدخل مبدأ ضيافة المسلمين للضرورة التى صارت عسكرية .

٦ ـ جعل الماء والكلأ والنار مشاعا أو ملكية عامة .

وعلى ذلك تعد التنظيمات النبوية سوابق هامة للخلفاء الراشدين الذين أخذوا بها واسترشدوا بالاتجاهات التى تهدف إليها ولكن مهمتهم كانت شاقة لأن الفتوحات فى عصرهم شملت أراضى لها نظمها وتقاليدها المالية(١٥٤).

---

(١٥٢) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص١٥٣ .

(١٥٣) صالح ، النظام المالى ، ص٢٣ .

(١٥٤) الدورى ، النظم ، ص٧٣ .

ـ النظام المالى فى عصر الخلفاء الراشدين :

فى خلافة أبى بكر الصديق (رضى الله عنه) فتح خالد بن الوليد بصرى واتفق مع أهلها على أن يؤدوا عن كل حالم ديناراً أو جرب حنطة وفى هذا الاتفاق نرى بداية ضريبة الخراج .

كذلك صالح خالد أهل الحيرة على جزية معينة فكان على الرجل أن يؤدى أربعة عشر درهما فى السنة من وزن خمسة دوانيق (عشرة دراهم من وزن سبعة) . وأعفى المرضى المزمنين وكان عددهم ألف رجل ، كما صالح أحد أفراد خالد أهل بانقيا (قرب الكوفة) على ألف درهم وطيلسان سنويًا [(١٥٥)].

وهكذا حصلت فى خلافة أبى بكر سوابق تخص أرض الصلح ـ أى التى تبقى ملكية أرضها بيد أصحابها ولا تعد ملكا للمسلمين) ، وسابقة أخذ ضريبة من الحاصل بالاضافة إلى الضريبة النقدية كما فى بصري[(١٥٦)].

فماذا فعل الخليفة الثانى عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) عندما اتسعت الدولة الإسلامية فى عهده ؟

ويمكن القول أنه فى عهد عمر (رضى الله عنه) تم فتح العراق وبلاد الشام ومصر وغيرهما ولذلك طالب بعض المقاتلة المسلمين بتوزيع الأراضى المفتوحة عليهم باعتبارها غنيمة حرب وفقا لما جاء فى تشريع الغنيمة السابق الإشارة إليه فى عصر الرسول (ﷺ) ولكن عمر رفض ذلك قائلا « فما لمن جاء بعدكم من المسلمين وأخاف أن قسمته أن تفاسدوا بينكم فى المياه »[(١٥٧)].

وفى رواية أخرى أنه قال « فكيف بمن يأتى من المسلمين ليجدون الأرض بعلوجها قد إقتسمت وورثت عن الآباء وجيزت فإذا قسمت أرض العراق وأرض الشام بعلوجها فما يسد به الثغور وما يكون للذرية والأرامل بهذا البلد وبغيره من أرض الشام والعراق ... أرأيتم هذه الثغور لا بد لها من رجال يلزمونها ، أرايتم هذه المدن العظام

---

(١٥٥) البلاذرى ، فتوح البلدان ، جـ١ ، ص١١٩ ، ٢٥٢ .

(١٥٦) الدورى ، النظم ، ص٧٤ ـ ٧٥ .

(١٥٧) ابن سلام ، الأموال ، ص٥٧ .

كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر لا بد لها من أن تشحن بالجيوش وإدرار العطاء عليهم فمن أين يعطى هؤلاء إذا قسمت الأرض والعلوج »(١٥٨).

وفى رواية ثالثة أنه قال « تريدون أن يأتى أخر الناس ليس لهم شئ »(١٥٩).

وكان ذلك موقف بعض الصحابة أيضًا فها هو معاذ بن جبل يقول لعمر « والله إذا ليكونن ما تكره : إنك إن قسمتها صار الربع العظيم فى أيدى القوم ثم يبيدون فيصير ذلك للرجل الواحد أو المرأة ثم يأتى بعدهم قوم يسدون من الإسلام مسداً وهم لا يجدون شيئًا فانظر أمراً يسع أولهم وآخرهم »(١٦٠).

وعلى الفور قرر عمر (رضى الله عنه) عدم توزيع الأراضى المفتوحة على أفراد المقاتلة وحبسها لصالح المسلمين وعزّز قراره بحكم وتشريع ورد فى القرآن الكريم عن الأراضى التى غنمها المسلمون بعد اقصاء بنى النضير فلم توزع كالغنائم (الآيات ٦ - ١٠ المتعلقة بالفئ من سورة الحشر والسابق الإشارة إليها) ، كذلك أبقى عمر من لم يهرب من الفلاحين فى أراضيهم يعملون فيها ، وهكذا فإنه بموجب هذا القرار الذى اتخذه الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) أصبحت أراضى الأقاليم المفتوحة ملكًا للمصلحة العامة تقوم الدولة بإدارتها والنظر فى مصالحها وجباية أموالها ولتصرف على المسلمين ومصالحهم وللدولة الحق فى وضع ما تراه من الضرائب والشروط، وقد استثنى من هذا القرار ثلاثة أصناف من الأراضى هى : أراضى الصلح وأراضى المدن والصوافى(١٦١).

والصوافى هى الأراضى التى كات لكسرى أو لأهله أو لرجل قتل فى الحرب أو لحق بأرض الحرب وما كان لبيوت النار ثم استصفاها عمراً (رضى الله عنه) فصارت فيئا لمن أفاء الله عليه ، ويتبين من بعض الروايات أن هذه الأراضى كان يعطيها الإمام بالمزارعة بالنصف أو الثلث إلى العشر(١٦٢).

---

(١٥٨) أبو يوسف ، الخراج ، ص٢٤ - ٢٦ .

(١٥٩) ابن سلام ، الأموال ، ص٥٨ ، بن أدم ، الخراج ، ص٤٨ .

(١٦٠) ابن سلام ، الأموال ، ص٥٩ .

(١٦١) العلى ، الخراج فى العراق ، ص٥٥ - ٦٢ ؛ الدورى ، النظم ، ص٧٦ - ٧٧ ؛ صالح ، النظام المالى ، ص٣٩ - ٥٠ .

(١٦٢) العلى ، الخراج ، ص٦٢ - ٦٥ ؛ عمر ، النظم ، ص١٠٢ - ١٠٣ ؛ الدورى ، النظم ، ص٨٥ - ٨٦ .

وعلى ذلك فإن عمراً (رضى الله عنه) بعد أن حبس الأراضى المفتوحة لصالح المسلمين وجعلها ملكا عامًا للدولة فرض على أهلها وحائزيها الخراج والجزية فكان الخراج على الأرض والجزية على الرؤوس ، وهى - أى الجزية - لا تجب إلا على الرجال من أهل الذمة : اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم من المجوس والصابئة والسامرة ، ولا تؤخذ من المسكين الذى يتصدق عليه ولا من مقعد ولا من أعمى لا حرفة له ولا من الرهبان وأهل الصوامع إن لم يكونوا ذوى يسار ، ولا جزية أيضًا على صبى ولا امرأة ولا شيخ فان(١٦٣) .

أما عن مقدار الجزية فقد كان على قدر الطاقة من أهل الذمة بلا حمل عليهم ولا اضرار بفئ المسلمين وقد اختلف مقدارها باختلاف الاقاليم فقد وضع عمر على أهل السواد (جنوب العراق) ٤٨ درهما بالنسبة للموسر و ٢٤ درهما بالنسبة للوسط و١٢ درهما بالنسبة للمحتاج ، وعلى أهل الشام ٤ دنانير وأرزاق المسلمين من الحنطة مدين وثلاثة أقساط زيت لكل إنسان كل شهر ، وعلى أهل الورق ٤٠ درهما وخمسة عشر صاعا لكل إنسان ومن كان من أهل مصر فأردب كل شهر لكل إنسان(١٦٤) .

ومهما يكن من أمر فإن الفرق بين الجزية والخراج ينحصر لدى الفقهاء فى ثلاثة أوجه وهى :

١ - أن الجزية نص وأن الخراج اجتهاد .

٢ - أن أقل الجزية مقدر بالشرع وأكثرها مقدر بالاجتهاد ، والخراج أقله وأكثره مقدر بالاجتهاد .

٣ - أن الجزية تؤخذ مع بقاء الكفر وتسقط بحدوث الإسلام والخراج يؤخذ مع الكفر والإسلام(١٦٥) .

كذلك كان عمر (رضى الله عنه) هو أول من وضع العشور ويقصد بها تلك الرسوم أو الضرائب التى تؤخذ على أموال وعروض تجارة أهل الحرب (أعداء دار

---

(١٦٣) صالح ، النظام المالى ، ص٢٦ .

(١٦٤) صالح ، النظام المالى ، ص٢٦ - ٢٧ ؛ النبراوى ، تاريخ النظم ، ص١٣٦ - ١٣٧ .

(١٦٥) الريس ، الخراج ، ص١٢٥ - ١٢٦ ؛ صالح ، النظام المالى ، ص٢٧ - ٢٨ .

الإسلام) وأهل الذمة المارين بها على ثغور المسلمين وكان زياد بن حدير هو أول من بعثه عمر على العشور فى العراق والشام وقد أمره ألا يفتش أحداً وأن لا يأخذ العشور إلا مرة واحدة فى السنة .

على أنه يلاحظ أن عشور التجارة ليست كلها فيئا لأن منها ما يدفعه تجار المسلمين (وهو ربع العشر) فحكمه أن يكون صدقة أما ما يؤخذ من أهل الذمة جميعا (نصف العشر) وأهل الحرب (العشر) فحكمه حكم الخراج[١٦٦].

وبالنسبة إلى الزكاة فهى من أركان الإسلام الخمسة وقد فرضها الله سبحانه وتعالى على كل مسلم قادر عليها فأنزل الله سبحانه وتعالى آية الزكاة ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ... ﴾ (سورة التوبة آية ١٠٣) . ومن المعروف أن الزكاة تؤخذ من أموال المسلمين القادرين إذا بلغت نصابا معينا ومضى عليها سنة وتدفع بنسبة ربع العشر ٢٫٥٪ وتؤخذ من الذهب والورق والابل والبقر والغنم والحب والثمار والبضائع التجارية حيث يؤخذ منها ربع العشر أيضًا .

وتأتى الصدقة أحيانًا مرادفة للزكاة ، بالرغم من أن معنى الصدقة العام هو اعطاء جزء من المال لأعمال الخير حسب تقدير الشخص فمقدار الصدقة غير محدد بينما الزكاة محدد والزكاة فريضة بينما الصدقة اختيارية .

وتصرف الزكاة (حسب ما ورد فى الآية القرآنية رقم ٦٠ من سورة التوبة) ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

ولا يدخل مال الصدقة فى مال الخراج كما أن جباتها يختلفون عن جباة الخراج ، ويأخذ جباة الزكاة رزقهم من مال الزكاة نفسه ، وتصرف زكاة كل بلد فى أهله ولا يجوز نقل صدقات بلد إلى غيره إلا سهم فى سبيل الله ، وكانت الزكاة تؤخذ من كل مسلم قادر عليها لا سيما المسجلين فى ديوان العطاء بل واستمر أخذ الزكاة من الأعطية فى

---

(١٦٦) صالح ، النظام المالى ، ص٢٨ ـ ٢٩ ؛ النبراوى ، تاريخ النظم ، ص١٣٧ ـ ١٣٩ ؛ عمر ، النظم ، ص١٠٧ .

خلافة الراشدين وردحا من العصر الأموى[١٦٧].

أما عن ملامح تطور النظم المالية خلال العصرين الأموى والعباسى والعصور الإسلامية الأخرى سواء فى قلب العالم الإسلامى أو الجناح الشرقى والجناح الغربى لدار الإسلام فسوف نتطرق إليها وإلى أوجه الانفاق المختلفة خلال تلك العصور المتعاقبة فى كتابنا المفصّل بمشيئة الله تعالى .

المبحث الخامس : النظم العسكرية :.

تعد دراسة النظم العسكرية الإسلامية على جانب كبير من الأهمية فهى تشكل جانبا مهما من جوانب الحضارة الإسلامية أسهم فيه المسلمون اسهاما كبيراً فى تطوير فنون الحرب والقتال فى العصور الوسطى ، ولا نبالغ الحقيقة إذا قلنا أن دور المسلمين فى هذا الجانب لا يقل أهمية عما أحدثوه من تطور فى مختلف الجوانب والاسهامات الحضارية الأخرى على النحو الذى أبرزتاه بهذا القدر المجّمل فى كتابنا هذا ، على أن نعود إليه تفصيلا واسهابا فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى).

ولما كان الإسلام دين دعوة ودولة فى ذات الوقت ، فرسالته رسالة عالمية للناس كافة حيث لا تقتصر على العرب وحدهم وإنما تشمل جميع الشعوب فى مشارق الأرض ومغاربها لإعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى ، ولذلك كان لا بد من وجود قوة مادية تقاوم القوة المادية للاعداء الذين يصدون عن سبيل الله ومن هنا شرع الجهاد فى سبيل الله .

وحسبنا أن نستشهد بالآيات القرآنية الشريفة الدالة على ذلك ومن بينها ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (سورة الحج آية ٣٩ ـ ٤٠) ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا

---

(١٦٧) عمر ، النظم الإسلامية ، ص١٠٤ ـ ١٠٥ .

تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ (سورة البقرة آية ١٩٠ ـ ١٩١).

وقوله سبحانه وتعالى ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة التوبة آية ٤١].

وقوله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة البقرة آية ٢١٨).

وقوله عز وجل ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُو ﴾ (سورة التوبة آية ٢٠) .

وقوله عز وجل ﴿ واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ .

وكذلك ما ورد فى السنة النبوية المطهرة ومن ذلك قول الرسول الكريم (عليه الصلاة والسلام) « جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم والسنتكم » .

أولاً : الجيش الإسلامى البرى :-

- عناصر الجيش :

أ- عصر الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين :

من المعروف أن العرب هم مادة الإسلام ولذلك كانوا يشكلون العنصر الغالب والرئيسى فى تكوين الجيش فى صدر الإسلام وحتى أواخر العصر الأموي[(١٦٨)]؛ وإن كان هذا لم يمنع إشتراك بعض العناصر غير العربية التى دخلت الإسلام فى هذه الفترة

(١٦٨) الجنابى ، خالد جاسم ، تنظيمات الجيش العربى الإسلامى فى العصر الأموى ، بغداد ، ط٢ (١٩٨٦م)، ص ١٥ ـ ٤٦ .

سواء كانوا من الفرس أو الروم أو الأحباش أو البربر فمن عصر الرسول (ﷺ) سلمان الفارسي وبلال الحبشي وصهيب الرومي ، وفي عصر الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) نجد أن الخليفة عمر بن الخطاب يسوي بين العرب ومواليهم في العطاء كما فرض لبعض نبلاء الفرس في العطاء بسبب ما قدموه من خدمات للدولة الإسلامية وليكونوا مثلا يحتذي به بقية أهل فارس وحسبنا أن نستشهد بما أمر به عمر (رضي الله عنه) أمراء الأجناد قائلا « من اعتقتم من الحمراء فاسلموا فألحقوهم بمواليهم لهم ما لهم وعليهم ما عليهم وإن أحبوا أن يكونوا قبيلة وحدهم فاجعلهم اسوتهم في العطاء »؛ بل إن الاساورة وهم من الخيالة الفرس الذين انضموا إلى المسلمين في جبهة العراق جعلوا اسوة بالعرب في العطاء والحق بعضهم « في أفضل العطاء وأكثر شئ أخذه أحد من العرب » وذلك من أجل كسبهم إلى جانب المسلمين [١٦٩].

ومن هؤلاء الفارسيين الذين شاركوا في فتح مصر « وهم بقايا جند باذان عامل كسرى على اليمن قبل الإسلام ، أسلموا بالشام ورغبوا في الجهاد فنفروا مع عمرو بن العاص إلى مصر فاختطوا بها » واختطوا خطة الفارسيين في المنطقة التي كانت تعرف بالأرض الصفراء وهي من جملة العسكر .

ووجدت بالفسطاط أيضًا خطط الحمراوات الثلاث وكانت عبارة عن ثلاث خطط : الحمراء الدنيا والحمراء الوسطى والحمراء القصوى ، والحمراء الوسطى منها « خطة بني ينه وهم قوم من الروم حضر الفتح منهم مائة رجل ». والحمراء القصوى وهي خطة بني الأزرق وكان روميا حضر الفتح منهم أربع مائة »[١٧٠].

ومن هؤلاء الأعاجم أيضًا الحمراء وهم حمراء ديلم من الفرس المحاربين وكان عددهم أربعة الاف جندي فارسي يرأسهم رجل اسمه ديلم فسموا حمراء ديلم وقد نزلوا بالكوفة وتحالفوا مع قبيلة اياد (السبع السابع) .

ومنهم الأساورة من الأعاجم أيضًا وقد استسلموا عندما فتحت الأهواز وكان عددهم الفين وخمسمائة ، وقد فرض لهم في العطاء واحتفظوا بتنظيماتهم وبنيت لهم

---

(١٦٩) البلاذري ، فتوح البلدان ، جـ١ ، ص   ؛ عمر ، النظم ، ص١٤٢ .

(١٧٠) المقريزي ، الخطط ، المجلد الثاني ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، ص٣٦ ، ٣٨ ـ ٣٩ ؛ ناجي ، عبد الجبار ، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية ، بيروت (٢٠٠١م)، ص٢٢٠ ـ ٢٢٢ .

خطط خاصة بهم وقد تحالفوا مع بنى تميم فى البصرة (خمس بنى تميم»[(١٧١)].

ومهما يكن من أمر فإن عدد الموالى قد ازداد فى الجيش وبصورة تدريجية حتى أواخر العصر الأموى ، ويقال أن اعدادهم كانت كبيرة للغاية فى المشرق والمغرب على السواء ، كما برز منهم قادة عسكريون متميزون أمثال حيان النبطى ومغيث الرومى وطارق بن زياد البربرى ؛ بل تميز بعضهم بأرائه فى الحرب والتعبئة للقتال مثل البخترى بن مجاهد مولى بنى شيبان والفضل بن مسلم مولى بنى ليث ويوسف بن بخت وأمية بن يزيد وعبد الله بن أبى عبد الله مولى بنى سليم وغيرهم[(١٧٢)].

ويرجع الفضل إلى عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) فى أنه أنشأ للمقاتلة ديوانا خاصا بهم تسجل فيه أسماءهم ومقدار العطاء الذى يفرض لهم سنويا والرزق الشهرى الثابت وهو ما عرف باسم ديوان الجند أو ديوان العطاء وقد سبق أن تحدثنا عنه اجمالاً فى مبحث النظم الإدارية من هذا الباب ، وسوف نتطرق إليه تفصيلاً فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

أما عن اعداد المقاتلة وتجنيدهم فمن المعروف أن الإسلام جعل الأمة كلها عدة للحرب ؛ وبمعنى آخر فإن كل فرد فى المجتمع وليس الدولة وحدها مسؤولاً عن الاستعداد فى حالة الحرب ، فلم يكن يتخلف عن الجهاد إلا من له عزر مشروع ، وفى هذه الحالة كان يتعرض إلى لوم الرسول (ﷺ) وأصحابه ، وإذا تبين أنه كان متعمداً فكان يعاقب ويقاطع ويتجنبه الناس فلا يكلمه أحد .

وهكذا كانت الأمة الإسلامية كلها أمة مقاتلة أو أمة مسلحة تطبق النفير العام تطبيقا عمليا ، إلى أن نزلت الآية الكريمة ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلا نَفَرَ

---

(١٧١) البلاذرى ، فتوح البلدان ، جـ١ ، ص٢٧٩ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ؛ العلى ، صالح أحمد ، خطط البصرة ومنطقتها ، بغداد (١٩٨٦م)، ص٤٨ ؛ ماسينيون ، لويس ، خطط الكوفة وشرح خريطتها ، ترجمة تقى محمد المصعبى ، تحقيق كامل سلمان الجبورى ، النجف الأشرف (١٩٧٩م)، ص٤٧ ـ ٤٨ ؛ ناجى ، عبد الجبار، دراسات فى تاريخ المدن العربية الإسلامية ، بيروت (٢٠٠١م)، ص١٦ ، ١٩٦.

(١٧٢) عمر ، النظم ، ص١٤٧ ـ ١٤٨ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن دور الموالى فى الجيش الإسلامى ، انظر ، الجنابى ، خالد جاسم ، تنظيمات الجيش العربى الإسلامى فى العصر الأموى ، بغداد ، ط٢ (١٩٨٦م)، ص٤٦ .

من كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (سورة التوبة الآية ١٢٢).

ولذلك اقتضى الأمر حدوث تطور جديد فى عملية تهيئة واستنفار المقاتلة ويتمثل ذلك التطور فى أن لا يخرج عدد كبير من المقاتلة للجهاد ؛ بل تخرج طائفة كما ورد فى هذه الآية الكريمة ؛ فضلاً عن العمل على دعم الجبهة الداخلية التى تكون القاعدة الراسخة للمقاتلة ، وعلى ذلك أصبحت هذه الطائفة تشكل نواة الجيش الإسلامي(١٧٣).

واستمر هذا الأسلوب من التجنيد فى عهد الخليفة أبى بكر (رضى الله عنه) وفق الأسس التى وضعها الرسول (عليه الصلاة والسلام) والقائمة على مبدأ التطوع والانتداب المبنى على نية الجهاد واعلاء كلمة الله ؛ إلا ن ظروف حركة الردة وعدم تغلغل الإيمان فى قلوب الذين دخلوا الإسلام حديثا جعلت الخليفة أبا بكر لا يلزم أحد بالقتال إلا من ثبت إسلامه ولم يرتد .

وفى خلافة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) حدث تطور جديد فى اعداد المقاتلين وتجنيدهم لمواجهة الجيوش الفارسية والرومية ولذلك أصدر أوامره إلى قواده وعماله على الاقاليم والقبائل بالإلزام ، ومن هنا ظهر ما يعرف بالتجنيد الاجبارى إلى جانب التطوع وكان ينال كل من يتخلف عن القتال من أصحاب الديوان (ديوان الجند) العقاب الأدبى الصارم فتنزع عمامته ويقام فى الناس ويشهر به ؛ وواصل الخليفة عثمان بن عفان (رضى الله عنه) نفس السياسة التى استنها عمر وطلب من أمراء الاجناد الالتزام بها دون تغيير ولا تبديل وذلك قبل أحداث الفتنة(١٧٤).

ب ـ العصر الأموى :

أصبحت عملية إعداد الجند وتهيئة المقاتلة تأخذ الحيز الأكبر من سياسة الخلفاء الأمويين وولاتهم الأكفاء ومنهم زياد بن أبيه والمغيرة بن شعبة والحجاج بن يوسف

---

(١٧٣) الجنابى ، تنظيمات الجيش ، ص٥٧ ـ ٥٩ .

(١٧٤) الجنابى ، تنظيمات الجيش ، ص٦٠ ـ ٦٢ .

الثقفى أما الخلفاء فمن بينهم معاوية بن أبى سفيان وعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك ، وقد أثمرت هذه السياسة التى مزجت بين الترهيب والترغيب مزجا موفقا فى تجنيد الأعداد الهائلة من المقاتلة لمواصلة حركة الفتوح التى بلغت ذروتها خلال ذلك العصر ؛ فضلا عن حروب الأمويين مع الحركات المعارضة والمضادة التى قامت ضدهم(١٧٥).

ورغم أن الأمويين قد قاموا بتنظيم ديوان الجند وإقامة القواعد والحصون وطبقوا نظام التجنيد الاجباري(١٧٦) ولا سيما فى العراق والشام والأقاليم الشرقية ؛ بل وحاولوا محاولات جادة لتغيير التنظيم العسكرى وإصلاحه وذلك عن طريق مزج القبائل العربية وربطها برابطة جديدة أكثر قوة من رابطة العشيرة أو القبلية كما حدث فى خلافة هشام بن عبد الملك على سبيل المثال ؛ إلا أن عدم تكوينهم لجيش نظامى قوى ودائم مرتبط بالدولة وموال لها ومدافع عن قضيتها كان من أهم نقاط الضعف فى الخلافة الأموية بحيث جعل السلطة المركزية عرضة لأهواء وميول شيوخ القبائل والمتنفذين فى أقاليم الدولة الواسعة ولعل فى حركة يزيد بن المهلب فى خلافة يزيد بن عبد الملك ما يوضح ذلك أحسن توضيح ، كما أن الأزمة التى حدثت فى خراسان فى أواخر العصر الأموى كشفت عن نقاط الضعف هذه بوضوح ولم يكن هناك من شئ يمكن عمله لانقاذ الموقف فكانت النتيجة الطبيعية والمباشرة لذلك هى سقوط الدولة بسقوط آخر خلفائها مروان بن محمد عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م.

ومع ذلك فإننا لا بد أن نشير إلى بروز بوادر وحدات شبه نظامية دائمة فى العصر الأموى منها كتيبة الحرس الخاص بالخليفة بقيادة صاحب الحرس وقد أطلق معاوية على كتيبته اسم الغمامة ، كما نظم الأمويون مسالح وهى كتائب ترابط فى المدن غير المستقرة أو المهمة وكانت تحت قيادة صاحب المسلحة كما ظهرت فى أواخر العصر الأموى كتائب بأسماء قادتها وكانت أقرب إلى فرق عسكرية نظامية مثل الصحصحية والذاكوافية والأسدية والدوكانية أو باسم راياتها مثل المحمرة ، كما أدخل مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين (١٢٧ ـ ١٣٢هـ) نظام الكراديس فى تعبئة المقاتلة فكان جيشه فى الجزيرة الفراتية من أقوى الجيوش(١٧٧).

---

(١٧٥) عن تفاصيل هذه السياسة انظر الجنابى ، تنظيمات الجيش ، ص٦٢ ـ ٧٦ .

(١٧٦) العبادى ، نظم الحكم ، ص١٧٢ .

(١٧٧) عمر ، النظم ، ص١٥٠ ـ ١٥٢ .

جـ ـ العصر العباسى :

حدثت تطورات كبيرة فى الجيش خلال العصر العباسى الأول وبالتحديد حتى عام ٢١٨هـ/ ٨٣٣م ويمكن القول أنه كان يتكون حتى هذه السنة من العرب والخراسانية والموالى والأبناء ، فضلا عن عناصر أخرى سنشير إليها فيما بعد .

وفى البداية لا بد أن نشير إلى ما انتهت إليه الدراسات الحديثة من أن مصطلح أهل خراسان كان لا يعنى الفرس وإنما يعنى العرب وغير العرب معا وعلى ذلك فإن الفرق الخراسانية فى الجيش العباسى كانت تتكون من المقاتلة العرب (من ربيعة ومضر واليمن) من أهل خراسان(١٧٨) ، فضلا عن الخراسانيين أنفسهم وهو ما يشير إلى غلبة العنصر العربى فى الجيش العباسى ليس خلال الثورة العباسية التى أسقطت الخلافة الأموية عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م فحسب وإنما خلال العصر العباسى الأول بصفة عامة وبالتحديد حتى عام ٢١٨هـ/ ٨٣٣م كما سبق القول .

هذا وقد تم تسجيل أفراد المقاتلة فى الفرق الخراسانية فى ديوان شيعة بنى العباس حسب قراهم ومدنهم وأقاليمهم التى عاشوا فيها بخراسان لا حسب قبائلهم وأنسابهم ، وعلى ذلك فإن الجيش العباسى كان يعد أول جيش محترف منظم فى تاريخ الدولة الإسلامية لأن عناصره كانوا ينتظمون كأفراد وليس كقبائل وكان ولاؤهم للدولة التى تعنى بتدريبهم وتموينهم المستمر وتجهيزهم شهريا بعطائهم(١٧٩) .

وبالنسبة لاصطلاح الموالى فى الجيش العباسى فإنه لا يقصد به الإشارة إلى كتلة

---

(١٧٨) عن استيطان العرب فى خراسان ودورهم فى الثورة العباسية والقضاء على الخلافة الأموية انظر ، على سبيل المثال ، عمر ، طبيعة الدعوة العباسية ، بيروت (١٩٧٠م)؛ الخليفة المقاتل مروان بن محمد ، عرض وتحليل لقراءة دينت فى شخصيته ودوره فى سقوط الأمويين ، بغداد (١٩٨٥م)، ص٧٦ ـ ١٩٩ ؛ فيصل ، شكرى ، المجتمعات الإسلامية فى القرن الأول ، بيروت ، ط٥ (١٩٨١م)، ص٢١٢ ـ ٢٢٠ ؛ العلى ، صالح أحمد ، امتداد العرب فى صدر الإسلام ، بيروت ، ط٢ (١٩٨٣م)، ص٤٩ ـ ٥٦ ؛ استيطان العرب فى خراسان ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد الثانى (١٩٥٩م)؛ ص ؛ إدارة خراسان ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بغداد ، العدد ١٥ ، (١٩٧٢م)، ص٣١٣ ـ ٣٣٠ ؛ وعن التقسيمات الإدارية لخراسان انظر ، الحديثى ، قحطان عبد الستار ، أرباع خراسان ، البصرة (١٩٩٠م)، (٥٨٩ صفحة) .

(١٧٩) عمر ، النظم ، ص١٥٣ ـ ١٦٠ .

عنصرية مكونة في الأغلب من الفرس ولكن كتلة عبارة عن مزيج من أجناس عديدة يربطها بالخليفة رباط الولاء الذى تضعه فوق كل اعتبار ، كما أن ارتباطها بالدولة العباسية كان أقوى من أى ارتباط آخر مع وجود حالات استثنائية بطبيعة الحال ، وفى الجيش فإن كتلة الموالى كانت تتكون فى غالبيتها من عناصر غير عربية مرتبطة بأمير يرتبط هو أيضًا برباط الولاء للخليفة أو تربط هذه الكتلة بالخليفة مباشرة ، ويرجع الفضل إلى الخليفة المنصور فى تنظيم هذه الكتلة سواء فى الجيش أو فى الإدارة أو البلاط وليس أدل على أهمية هذه الكتلة من أن المنصور قد أوصى ولى عهده المهدى بالموالى قائلا له أنه ترك له ثلاثة أشياء مهمة هى : المال والموالى ومدينة السلام وقد اعتمد عليهم المهدى اعتماداً كبيراً .

وكان للموالى ديوان خاص بهم فى بغداد يعرف بديوان الموالى والغلمان . أما الأبناء فقد ظهر هذا الاصطلاح فى أواخر عهد المهدى وفى أيام الهادى والرشيد وكان يقصد به الإشارة إلى أبناء وأحفاد أهل خراسان جند الدعوة العباسية الذين ثاروا فى وجه الأمويين وزحفوا نحو العراق والشام وأقاموا خلافة بنى العباس ١٣٢هـ/ ٧٥٠م ، وكما أن أهل خراسان كانوا عربا وعجما فالابناء دون شك سيكونون مزيجا من الجنسين ولذلك أطلق عليهم بعض المؤرخين اسم « أبناء خراسان المولدين » ومن أبرز العرب من الأبناء عبد الله بن حميد بن قحطبة الطائى ومن أبرز العجم من الأبناء يحيي بن خالد البرمكي(١٨٠).

وفى عهد الخليفة هارون الرشيد كان الجيش العباسى يتشكل من ثلاثة عناصر رئيسية : الأبناء وهم الجيل الثانى من أهل خراسان الذين استقروا فى العراق ، ثم العرب وهم يشكلون قوات القبائل العربية الجزرية والسورية ثم الجند العباسية وهم المجندون الجدد الذين جلبهم الفضل بن يحيي البرمكى من المشرق .

كذلك وجدت فى الجيش العباسى عناصر أخرى من السودان والزنوج والعبيد(١٨١).

أما الخليفة المعتصم (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ/ ٨٣٣ ـ ٨٤٢م) فقد كان عسكريا محترفا ورجل حرب أكثر من كونه رجل سياسة قضى معظم أوقاته مع الجيش ، ولعل أبرز ما

---

(١٨٠) عمر ، النظم ، ص١٦٠ ـ ١٦٣ .

(١٨١) عمر ، النظم ، ص١٦٤ ـ ١٦٦ .

يميز سياسته العسكرية هو اكثاره من استخدام العناصر المجندة من المشرق والتى سميت خطأ باسم الترك ؛ وذلك لأن الأكثرية من جند المعتصم لم تكن من الأتراك وهو الأمر الذى كان معروفا فى الجيش العباسى والبلاط العباسى قبل عهد المعتصم .

ومن المتفق عليه أن المعتصم لم يبتدع بدعة جديدة أو تقليداً جديداً وإنما سار على سياسة الاستزادة والاستكثار من هذه العناصر وفتح لهم باب التطوع اما على شكل مجموعات تحت قيادة رؤسائهم أو أفراد فكانوا نواة لجند الشاكرية فى العراق حيث بدأوا يظهرون كقوة فى الجيش العباسى وغدا رؤسائهم موالى للخليفة وسجلوا فى ديوان سمى « ديوان الجند والشاكرية ». وكان من النتائج المباشرة لما قام به المعتصم انشاء مدينة سامرا لهؤلاء المقاتلة الجدد واسقاط العرب من ديوان الجند وقطع أعطياتهم .

ولم يتوقف المعتصم عند هذا الحد بل أضاف فرقة عسكرية جديدة سماها المغاربة وفيها الكثير من أهل مصر من الحوف وكذلك من المغرب ؛ كذلك كانت هناك كتائب من عناصر أخرى مثل الموالى والأرمن والزط والفراغنة والسودان(١٨٢).

هذا ويعد عام ٢٤٧هـ/ ٨٦١م منعطفا مهما فى تاريخ الجيش فى العصر العباسى نظراً لقيام الجيش بأول انقلاب عسكرى ضد خليفة عباسى - وهو المتوكل على الله - ونجح فى قتله والتخلص من سياساته هذا من جهة ومن جهة ثانية بروز دور القادة العسكريين فى سياسة الدولة وإدارتها بل اختيار وعزل الخلفاء ورؤساء الدولة ، ومن جهة ثالثة فشل جهود الدولة فى الابقاء على جيش نظامى موحد موال لها وتابع بصورة مباشرة لسلطة الخليفة(١٨٣).

وسوف نتطرق إلى دراسة الجيش فى العصر العباسى الثانى والعصور التالية تفصيلاً فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى). وكل ما يمكن قوله فى هذا المقام ، ووفقا للخطة الموضوعة لهذا الكتاب المجمّل الذى بين أيدينا ، هو أن مظاهر الضعف والتفكك الذى وصلت إليه أمور الخلافة العباسية فى ظل سيطرة القواد العسكريين من الترك ثم البويهيين فالسلاجقة كانت له أثاره السلبية على فقدان هيبة الخلافة وضياع

---

(١٨٢) عمر ، النظم ، ص١٦٦ ـ ١٧٢ ؛ الخلافة العباسية ، جـ١ ، ص٢٥٩ ـ ٢٦٣ .

(١٨٣) عمر ، النظم ، ص١٧٦ ؛ الخلافة العباسية ، جـ٢ ، ص٢١ ـ ٢٤ .

سلطة الخليفة ؛ وان كان ذلك لم يمنع من محاولات استرداد هذه الهيبة واستعادة تلك السلطة من قبل بعض الخلفاء كما سبق القول .

غير أن ما يعنينا فى هذا المقام هو أن نشير إلى ظاهرة مهمة انتشرت فى العديد من الدول المستقلة أو الدول الاقليمية التى ظهرت فى المشرق الإسلامى ألا وهى ظاهرة احلال الاقطاع محل العطاء أو الرواتب للمقاتلة فى الجيش الإسلامى .

وقبل أن نتحدث عن هذه الظاهرة ينبغى أن نشير أولاً إلى أن هذه الدول المستقلة أو الاقليمية فى المشرق قد اعتمد جيشها على المماليك الأتراك بدرجة كبيرة ؛ وقد اتبعت هذه الدول نظاما تربويا وعسكريا إسلاميا دقيقا فى تربيتهم واعدادهم ولعل من أبرز هذه الدول الدولة السامانية التى أسست فى بلاد ما وراء النهر (   ) وكانت عاصمتها مدينة بخارى[١٨٤] ، وقد اعتمدت هذه الدولة على المماليك الأتراك ، رغم أصلهم الفارسى ، حتى صاروا عماد جيشها ولذلك اهتموا بتربيتهم واعدادهم وفق نظام دقيق نسج على منواله فيما بعد ، ولحسن الحظ فقد أعطانا الوزير السلجوقى الشهير نظام الملك (ت٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م) وصفا دقيقا لهذا النظام بقوله «إن هذا النظام ما يزال قائمًا فى ظل السامانيين الذين يرفعون من مرتبة الغلام - أى المملوك - تدريجيا بحسب خدماته وكفايته ولياقته ، فهم حين يشترون الغلام يضعونه فى خدمة الركاب العالى راجلا بقباء زندنجى (نسبة إلى قرية زندنه من قرى بخارى) وموزج (أى حذاء ذو ساق) لسنة كاملة لا يسمح له فى خلالها بركوب الخيل سراً أو علانية وإذا ما فعل يعاقب على ذلك ، ولما تنتهى السنة يكلم رئيس عنبره الحاجب فى أمره فيخبر الحاجب الملك الذى يأمر له حينئذ بمهر (فرس) تركى بسرج غير مدبوغ ولجام جلدى عادى ، وبعد خدمة سنة بمهر وسوط فقط ، ويعطى فى السنة الثالثة سيفا معقوفا يشده على وسطه ، ويعطى فى الرابعة جعبة وكناية سهام يرتديهما عندما يمتطى جواده أما فى الخامسة فيعطى سرجا أحسن ولجاما مكوكبا وقباء ودبوسا وفى السادسة يولى السقاية ويوكل بالماء فيعلق فى وسطه قدحا وفى السابعة يوكل باللباس وفى الثامنة يعطى خيمة من عمود واحد فى ستة عشر وتداً ويضاف إلى فوجه ثلاثة غلمان (مماليك) صغار ممن اشتروا حديثا ، ويلبس قلنسوة لباد سوداء محلاة بخيوط

---

(١٨٤) العبادى ، نظم ، ص١٧٣ - ١٧٤ .

فضية وقباء جنزيا (نسبة إلى مدينة جنزه) ، وهكذا ظل يزاد فى البستة والاته وعدده وعدد أفراده ومقامه سنويا إلى أن يصبح قائد فوج ، وهكذا دواليك إلى أن يصير حاجبا وحين تبدو كفاءته وجدارته وشجاعته للجميع وتتم على يديه الأعمال العظيمة ثم يصبح محط أنظار صحبه ومحبا لمولاه فى ذلك الوقت ينبغى ألا يولى الإمارة أو الولاية ما لم يبلغ الخامسة والثلاثين أو الأربعين من عمره »[(١٨٥)].

ويضيف نظام الملك قائلاً « ينبغى الحفاظ على العبيد والغلمان الذين يربون منذ صغرهم ويترعرعون ويكبرون لأنه قلما يجود الزمان بغلام لائق متمرس ، وقد قيل « الخادم والعبد الكفء المتمرس خير من الابن »؛ وقيل « عبد مطواع واحد خير من ثلاثمائة ولد لأن هؤلاء يبغون موت الأب والعبد ينشد عزه »[(١٨٦)].

أما عن الاقطاع العسكرى أو الحربى فقد اختلفت الأقوال حول نشأته بين المؤرخين القدامى والمحدثين فها هو البندارى يذكر « وكانت العادة جارية بجباية الأموال من البلاد وصرفها إلى الأجناد ولم يكن لأحد من قبل اقطاع فرأى نظام الملك أن الأموال لا تحصل من البلاد لاختلالها ولا يصح منها ارتفاع لاعتلالها ففرقها على الأجناد اقطاعا وجعلها لهم حاصلا وارتفاعا فتوفرت دواعيهم على عمارتها وعادت فى أقصر مدة إلى أحسن حال من حليتها »[(١٨٧)].

أما المقريزى فيقول « اعلم أنه كانت عادة الخلفاء من بنى أمية وبنى العباس والفاطميين من لدن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) أن تجبى أموال الخراج ثم تفرق من الديوان فى الأمراء أو العمال والأجناد على قدرتهم وبحسب مقاديرهم وكان يقال لذلك فى صدر الإسلام العطاء ، وما زال الأمر كذلك إلى أن كانت دولة العجم فغير هذا الاسم وفرقت الأراضى اقطاعات على الجند وأول من عرف أنه فرق الاقطاعات على الجند نظام الملك أبو على الحسن بن على بن اسحق بن العباس

---

(١٨٥) الطوسى ، الخواجة نظام الملك ، سياست نامة سير الملوك ، ترجمة يوسف حسين بكار ، بيروت ، ص١٣٠ - ١٣١ .

(١٨٦) الطوسى ، سياست نامه ، ص١٤٢ .

(١٨٧) البندارى ، الفتح بن على بن محمد ، تاريخ دولة آل سلجوق ، بيروت ، ط٣ (١٩٨٠م)، ص٦٠ .

الطوسى (الوزير السلجوقى المتوفى ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م) وذلك أن مملكته اتسعت فرأى أن يسلم إلى كل مقطع قرية أو أكثر أو أقل على قدر اقطاعه لأنه رأى أن فى تسليم الأراضى إلى المقطعين عمارتها لاعتناء مقطعها بأمرها بخلاف ما إذا شمل جميع أعمال المملكة ديوان واحد فإن الخرق يتسع ويدخل الخلل فى البلاد ففعل نظام الملك ذلك وعمرت به البلاد وكثرت به الغلات واقتدى بفعله من جاء بعده من الملوك من أعوام بضع وثمانين وأربع مائة إلى يومنا هذا (أى حتى زمن المقريزى المتوفى ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) ... »(١٨٨).

أما المؤرخين المحدثين فمنهم من يرى أن بذور الاقطاع الحربى أو العسكرى قد غرست فى عصر الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين من بعده ، ومنهم من يرى أن الاقطاع العسكرى يرجع إلى العصر الغزنوى فى عهد السلطان محمود الغزنوى ومنهم من يرجعه إلى عصر الدولة البويهية ومنهم من يرى أنه يرجع إلى العصر السلجوقى على يد الوزير نظام الملك الطوسى بل وأصبح منذ ذلك الوقت نمطا يحتذى فى العالم الإسلامى وتم تعميمه فى العديد من الدول الإسلامية فى المشرق والمغرب على السواء، وهو ما سوف نعود إلى مناقشته تفصيلا واسهابا فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى)(١٨٩) .

---

(١٨٨) المقريزى ، الخطط ، المجلد الأول ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، ص٢٥٦ .

(١٨٩) لمزيد من التفاصيل عن هذه الأراء المختلفة وحجة أصحاب كل منها انظر ، طرخان ، إبراهيم على ، النظم الاقطاعية فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى ، القاهرة (١٩٦٨م)، ص٢١ ـ ٤٨ ؛ إسماعيل ، محمود ، الاقطاع فى العالم الإسلامى ، حوليات كلية الآداب ، الحولية ١١ ، الرسالة ٦٩، جامعة الكويت ، مجلس النشر العلمى (١٩٨٩ ـ ١٩٩٠م)، ص١١ ـ ٦٥ ؛ أبو الجدايل ، عائشة سعيد ، الاقطاع الحربى الإسلامى جذوره وخصوصيته وضوابطه مع مقارنة ذلك بما استجد عليه من أمور دخيلة وعلاقتها بالاقطاع الغربى ، مجلة العصور ، المجلد ١٥، جـ١ ، (ذو القعدة ١٤٢٥هـ/ يناير ٢٠٠٥م)، ص٢٩ ـ ٥٣ ؛ الانصهار والاندماج فى الاقطاع الحربى ، دراسة مقارنة ، حوليات مركز البحوث التاريخية ، الحولية ٣ ، الرسالة الأولى ، كلية الآداب ـ جامعة القاهرة (جمادى الأولى ١٤٢٥هـ/ يوليو ٢٠٠٤م) وهذا البحث الأخير يفيد فى الدراسة المقارنة للاقطاع الإسلامى والغربي؛ ربان ، محمد رجائى ، الاقطاع العسكرى فى العهدين المملوكى والعثمانى ، الدارة ، العدد ٢ ، السنة ١٤ ، الرياض (١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م)، وانظر أيضًا مجلة الاجتهاد ، العدد الأول ، بيروت، دار الاجتهاد (١٩٨٨م) (وبهذا العدد مقالات عن الاقطاع الإسلامى وتطوره لكلود كاهن ولامبتون وحسن منيمنه ... ».

د ـ العصر الفاطمى :

كان الجيش فى العصر الفاطمى فى بادئ الأمر ذا صبغة بربرية صقلبية[١٩٠]، فقد كان يتشكل فى المرحلة الافريقية (٢٩٧ ـ ٣٥٨هـ/ ٩٠٩ ـ ٩٦٩م) من أربعة عناصر أساسية هى : الكتاميون من البربر والصقالبة والزويليون (العبيد السود) والجنود العرب ، وبعد انتقالهم إلى مصر أضيفت عناصر جديدة إلى الجيش الفاطمى ولا سيما فى خلافة العزيز بالله وكانت هذه العناصر من المشارقة ولا سيما الأتراك والفرس الديالمة ، أما الخليفة المستنصر بالله فقد استكثر من العناصر السودانية فى الجيش الفاطمى حتى بلغوا نحواً من خمسين ألف أسود ، وبعد أن قدم بدر الجمالى والى عكا إلى مصر ٤٦٦هـ/ ١٠٧٤م ظهر الأرمن بدرجة كبيرة فى الجيش الفاطمي[١٩١].

ومهما يكن من أمر فإن الدولة الفاطمية تعتبر الدولة الإسلامية الوحيدة التى جمعت على نطاق واسع بين الأتراك والصقالبة أى بين مماليك المشرق والمغرب[١٩٢].

هـ ـ الجيش الإسلامى فى المغرب والأندلس :ـ

كانت جيوش المغرب والأندلس فى بادئ الأمر تقوم على أساس نظام القبائل والعشائر من العرب والبربر وكانت الدولة تستمد منهم القوة الحربية على أساس النظام الاقطاعي العسكرى السابق الإشارة إليه ، حيث وزعت القبائل العربية والبربرية على القرى والبوادى والمدن المغربية والأندلسية وأبيح لها حق استغلالها وجباية الأموال من

---

(١٩٠) أطلق الجغرافيون المسلمون فى العصور الوسطى لفظة صقلب وصقالبة على الشعوب السلافية لأن الجرمان دأبو على سبى تلك الشعوب وبيع رجالها ونسائها إلى المسلمين بالأندلس ، ولذا أطلق عليهم اسم الصقالبة وهو تعريب للكلمة الأوربية اسكلاف Esclave أو سلاف Slave ومعناها عبد أو رقيق وهى الكلمة التى سميت بها الشعوب السلافية ، ثم عم اطلاقه على الأرقاء الذين جلبوا صغاراً من مختلف نواحي أوروبا بصفة عامة ومن شمال اسبانيا بصفة خاصة ، وكانت توجد فى مدينة بلرم فى صقلية حارة الصقالبة وقد وصفها الرحالة ابن حوقل ، والراجح أن هذه الحارة كانت بمثابة مركز تجمع واعداد للرقيق الصقلبى قبل ارساله إلى الأندلس والمغرب ؛ العبادى ، نظم ، ص١٧٥ ، ١٧٨ .

(١٩١) سيد ، أيمن فؤاد ، الدولة الفاطمية ، ص٦٥٧ ـ ٦٧٣ ؛ أبو زيد ، سهام مصطفى ، تاريخ الأرمن فى مصر الإسلامية فى مائة عام ٤٦٦ ـ ٥٦٦هـ/ ١٠٧٣ ـ ١١٧١م ، القاهرة (١٩٩١م)، ص١١٣ ـ ١٤٧ .

(١٩٢) العبادى ، نظم ، ص١٧٩ .

أهلها فكانت تأخذ عطاءها من هذه الأموال وترسل الفائض إلى خزانة الدولة ، وفى مقابل هذا الاقطاع كان على كل قبيلة أن تساهم بعدد من أبنائها فى حالة الحرب .

وظل هذا النظام العسكرى هو النظام المتبع فى الأندلس حتى عهد الأمير الحكم بن هشام الملقب بالحكم الربضى (١٨٠ ـ ٢٠٦هـ/ ٧٩٦ ـ ٨٢٢م) فقد رأى هذا الأمير أن يقيم إلى جانب هذا النظام الاقطاعى نظاما عسكريا دائمًا يعتمد عليه فى كل وقت ويتقاضى جنوده مرتبا ثابتا من الدولة وكان ذلك عقب قضائه على ثورة الربض التى اقترن اسمه بها بعد نجاحه فى القضاء عليها ، واتخذ لنفسه فرقة من الحرس الخاص عرفوا بالصقالبة ، وهكذا وجد فى الأندلس فى عصر هذا الأمير نظام الجيش الدائم ومقره قرطبة ونظام القبائل والعشائر التى كانت تقيم فى البوادى والولايات . غير أن هذا الوضع الجديد قد أثار الحسد والتنافس بين هذه العناصر المختلفة ويتجلى ذلك بوضوح فى الهزيمة التى لحقت بالجيش الأموى أمام الاسبان فى موقعة شلمنقه ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م (شمال مدريد) وكان سبب ذلك هو أن الخليفة عبد الرحمن الناصر منح قيادة الجيش لمملوكه نجده الصقلبى مما آثار غضب القواد العرب فما كان منهم إلا أن تخلوا عنه إبان المعركة مما أدى إلى هزيمته بل وقتل نجده الصقلبى نفسه[١٩٣].

ولما جاء الحاجب المنصور بن أبى عامر وقبض على زمام الأمور فى الأندلس (٣٧١ ـ ٣٩٢هـ/ ٩٨١ ـ ١٠٠١م) ، قام بالغاء النظام الاقطاعى العسكرى وإلغاء العنصرية فى ترتيب الجيش وجعل الجيش نظاميا يتشكل من فرق متعددة وكل فرقة تتألف من العناصر المختلفة كالعرب والبربر والصقالبة ، ويتقاضى كل جندى منهم مرتبا شهريا حسب رتبته بدلا من استغلاله للاقطاع كما كان الحال من قبل ، ولقد أفاد هذا النظام الجديد فى بادئ الأمر إذ زالت العصبية العنصرية بين فرق الجيش واستطاع المنصور أن يفرض على الجيش نفوذه وسلطانه وأن يحقق به انتصاراته الحربية المشهورة ضد الاسبان .

وفى عصر المرابطين تمت إعادة النظام الاقطاعى العسكرى من جديد [١٩٤].

---

(١٩٣) العبادى ، نظم ، ص١٧٦ ـ ١٧٧ .

(١٩٤) العبادى ، نظم ، ص١٧٧ ـ ١٧٨ .

و ـ العصر المملوكى :

كان الجيش الإسلامى فى العصر المملوكى يضم عناصر مختلفة من ترك وجركس وأكراد وروم وتركمان وعرب ومغول وغيرهم ، غير أن ما يعنينا فى هذا المقام ، ووفقا للخطة الموضوعة لهذا الكتاب المجمّل ، أن نتحدث عن تشكيل الجيش الإسلامى خلال ذلك العصر .

ويمكن القول أن الجيش المملوكى كان يتشكل من ثلاث فرق رئيسية وهى : المماليك السلطانية ، وأجناد الحلقة ، وأجناد الأمراء .

أولاً : المماليك السلطانية :

كانوا « أعظم الأجناد شأنا وأرفعهم قدراً وأشدهم إلى السلطان قربا وأوفرهم اقطاعا ومنهم تؤمر الأمراء رتبة بعد رتبة ... » .

وينقسم المماليك السلطانية إلى عدة فئات :

١ ـ الخاصكية وهم الذين يلازمون السلطان فى كل تحركاته ويقومون بالمهمات الشريفة ويمتازون عن بقية المماليك السلطانية بأن السلطان نفسه يشرف على تربيتهم وعتقهم ولذلك كانوا أكثر قربا منه عن غيرهم من المماليك ومن بينهم كان الترشيح للامارة ونيابة الاقاليم والقلاع .

٢ ـ الأجلاب أو المشتروات : وهم مماليك يشتريهم السلطان ويضعهم فى الطباق ويشرف على تربيتهم الطواشية ومقدمى المماليك الذين عرفوا بالصرامة والورع وشدة الانضباط ، وبعد أن تتم تربيتهم فى الطباق كانوا يعتقون وينعم عليهم بالخيل والقماش بالاضافة إلى السلاح والجامكية والاقطاعات .

٣ ـ المماليك السيفية وهم على نوعين : مماليك ينسبون إلى السلطان السابق ومماليك ينسبون إلى الأمراء ، وقد نقلوا إلى الديوان الشريف .

٤ ـ القرانيص وهم مماليك السلاطين السابقين وكانوا فئتين : الأولى مماليك السلاطين المتوفين من فترة طويلة والثانية مماليك السلاطين الذين لم تمض على وفاتهم فترة طويلة .

ثانيًا : أجناد الحلقة : وكانوا يعتبرون قلب الجيش المملوكي والأصل في التوزيع الاقطاعي ، وهم الذين كان ينشئهم السلاطين دون فئات مماليك الأمراء ، ثم ازداد عدد أجناد الحلقة بمن انضم إليهم من التتار والوافدية ، كما انضم إليهم بعض أرباب الصنائع والحرف على أثر الضعف الذى أصاب الجيش حين أصبح أفراده يبيعون اقطاعاتهم إلى أهالي البلاد ، وأضيف إلى أجناد الحلقة أحيانا مماليك الأمراء الذين انحلت اقطاعات أساتذتهم ، كما اعتبر من أجناد الحلقة العربان والأكراد والتركمان بحيث تركز عملهم فى حماية أطراف الدولة والاشترك بفرسانهم فى الحرب عندما كانت تدعو الحاجة إلى ذلك . ومن الجدير بالذكر أنهم كانوا يأمرون بأمر السلطان القائم دون أن يكونوا ملكا له ومعنى هذا أنهم كانوا بمثابة الجيش الدائم للدولة .

ثالثا : أجناد الأمراء : وكانوا يتبعون أمراءهم مباشرة وكان جيش الأمير يتوقف في عدده على حسب الحالة المادية لهذا الأمير أو ذاك ، وليس أدل على أهمية أجناد الأمراء من قول المقريزى « ان مقام الأمراء بمماليكهم ».

ومن مجموع هؤلاء الأمراء وأجنادهم والمماليك السلطانية وأجناد الحلقة تشكل الجيش الإسلامي فى العصر المملوكي[(١٩٥)].

ولما كان المقام لا يتسع لذكر كل التفاصيل المتعلقة بالجيش فى العصر المملوكى (وهو ما سنعود إليه تفصيلا واسهابا فى كتابنا المفصّل بمشيئة الله تعالى) ولذلك حسبنا أن نشير إلى ذلك الدور البارز للجيش الإسلامى فى العصر المملوكى فى جهاده ضد المغول والصليبيين فى عهد قطز وبيبرس وقلاوون والأشرف خليل بن قلاوون والناصر محمد بن قلاوون من سلاطين عصر المماليك البحرية[(١٩٦)].

---

(١٩٥) عدوان ، أحمد محمد ، العسكرية الإسلامية فى العصر المملوكى ، الرياض (١٩٨٥م)، ص٣٣ - ٣٦؛ ولمزيد من التفاصيل ، انظر ، طرخان ، النظم الاقطاعية ، ص١٤٨ - ١٧٤ ؛ الغامدى ، جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين ، ص٣١٢ - ٣١٧ .

(١٩٦) الغامدى ، جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين ، ص ١٠٥ - ٢٨٥ ؛ سليمان ، نعمان الطيب ، جهود المماليك فى تصفية الوجود المغولى بالشام ، القاهرة (١٩٨٨م)، (٢٠٧ صفحة) ؛ جهود المماليك فى تصفية الوجود الصليبى بالشرق الإسلامى ، القاهرة (١٩٨٤م).

ز- العصر العثمانى :

لم يكن للإمارة العثمانية عند قيامها جيش نظامى تعتمد عليه ، فكانت عند الحاجة تجمع فى مكان عن طريق المنادين قوات العشائر المكونة من المجاهدين (الغزاة) الذين كانوا جميعا من الفرسان ثم يخرجون إلى الحرب فإذا انتهت تفرقت جموعهم وعاد كل واحد إلى عمله الأصلى . فكانت قوات الحدود تلك هى التى حققت الفتوح الأولى ، كما استعانت هذه الإمارة الحدودية بجماعة الدراويش التى تشكلت تحت أسماء : غازيان روم (أى مجاهدى الروم) وآخيان روم (أى الأخية الروم) وأبدالان روم (أى دراويش الروم) ولعبت تلك الطوائف دوراً فعالاً فى تتريك الأراضى المفتوحة .

وبعد فتح مدينة بورصة (أو بروصة) جرى تشكيل أولى الوحدات النظامية على عهد أورخان الغازى من المشاه (يايا) والفرسان (مُسَلَّم) وكان عددهم الفين من فتيان الترك الأشداء ألف للمشاه وألف للفرسان ، فلما ازداد عدد المشاه والفرسان مع مرور الوقت كانوا يذهبون إلى الحرب بالتناوب ، وينقسم جنود المشاه إلى جماعات تضم عشرة جنود وبلوكات تضم مائة جندى وكان يوجد على رأس كل جماعة قائد اسمه أونباشى (أى رئيس العشرة) وعلى رأس البلوك قائد اسمه يوزباشى (أى رئيس المائة) بينما يقود الجميع قائد اسمه بيكباشى (أى رئيس الألف)، أما جنود الفرسان فقد انقسموا إلى أوجاقات تضم كل منها ثلاثين فارسا ، كما كانت تشارك فى الفتوح العثمانية الأولى قوات أخرى دائمة ومؤقتة تحت أسماء مثل عزب وجانباز وغريب وجراخور ، وهؤلاء المشاة والفرسان الذين استخدموا بالفعل فى الأعمال العسكرية حتى أواسط القرن ٩هـ/ ١٥م ، قد جرى استخدامهم بعد تشكيل وحدات القبو قولية (قابى قولى أو جاقلر) فى عمليات النقل وتشغيل المناجم وبناء القلاع ، وفى الترسانة وغيرها من الأعمال بين وحدات الخدمة فى المؤخرة .

أولاً : اوجاقات القبو قولية :-

١ - أوجاقات القبو قولية المترجلة وتشمل أوجاق العجمية الذى تأسس لأول مرة فى غاليبولى وكان ينقسم إلى ثمانية بلوكات ويضم ٤٠٠ جندى ، وبعد فتح القسطنطينية جرى تشكيل جديد لاوجاق العجمية أكبر وأكثر تنظيما .

وأوجاق الانكشارية وكان أكبر الاوجاقات وأعظمها نفوذاً وجرى تشكيله عقب

فتح أدرنة على عهد السلطان مراد الأول ، وكان هذا الأوجاق عصب الجيش العثماني حتى أواخر القرن ١٠هـ/ ١٦م عندما بدأ الخلل يتسرب إلى نظم الانكشارية وما ترتب على ذلك في القرنين التاليين من اعلان التمرد والعصيان وكثرة الثورات وقتل السلاطين ورجال الدولة الذين أقدموا على اصلاح ما فسد من أمورهم ، ومهما يكن من أمر فقد الغى هذا الأوجاق عام ١٨٢٦م .

ومن الاوجاقات الأخرى أوجاق الجبجية بقسميه (بلوك وجماعة) وكانت وظيفتهم الأساسية هي تأمين الأسلحة للانكشارية والمحافظة عليها فضلاً عن نقلها أثناء الحرب وتوزيعها على الانكشارية واصلاح المعطوب منها ، ومنها أوجاق المدفعية وكان يتولى صب المدافع وتصنيعها ثم استخدامها بعد ذلك ، ومنها أوجاق رماة القُمْبَر (الخمبرجية) وهم الذين كانوا يستخدمون هذا النوع من القنابل التى تقذف باليد أو بمدافع الهاون ومنهم أوجاق حَفَّارى الأنفاق (اللغمجية) وكانت مهمتهم حفر الأنفاق تحت الأرض ووضع المواد المتفجرة فيها ثم تفجيرها لتسهيل عملية الاختراق والفتح .

٢ ـ أوجاقات القبو قولية الراكبة (الفرسان) وكان يتشكل فى بادئ الأمر من بلوكات السباهية والسلحدارية ثم لم يلبث أن ارتفع عددها إلى ستة بلوكات (آلتى بلوك) وكانت قوات الخيالة أرفع منزلة من جنود القبو قولية المترجلة ، ومع ذلك كانت تأتى بعدها من حيث النفوذ .

ثانيًا : قوات الايالات :

وكانت تشكل القوة الحربية الأساسية فى الدولة العثمانية ، وقد تشكلت فى أوائل عهد الدولة من وحدات مختلفة هى السپاهية أصحاب التيمارات تيمارلى سپاهي)، والمشاه (يايا) والمسلم واليوروك والأجيره (جراخور) والفدائية (جانباز) والمغيرة (اقينجي) والدلاة (دلى) والعزب والمتطوعة (كوكللو) والبشلو .

وكانت القوات التى تلى السپاهية أصحاب التيمارات (تيمارلى سپاهى) تعد من القوات المعاونة ضمن القوات المرابطة فى الايالات ، وكانت هذه القوات المعاونة تنقسم إلى ثلاث مجموعات :

أ ـ قوات الطلائع مثل المغيرة والدلاة والمشاة .

ب ـ قوات المؤخرة المشاة واليوروك والمسلم والاجيرة والفدائية .

جـ ـ قوات حماية القلاع مثل العزب والكوكللو والبشلو[١٩٧] .

وفى كتابنا المفصّل سوف نتطرق تفصيلاً واسهابا إلى العديد من تشكيلات الجيش العثمانى السابقة ثم نتطرق إلى دراسة العوامل التى كانت وراء تدهور حالة هذه التشكيلات ، وما ترتب على ذلك من إجراء محاولات الاصلاح فى عهد السلطان سليم الثالث (النظام الجديد) ثم فى عهد السلطان محمود الثانى (السكبانية الجدد) أو جيش العساكر المنصورة المحمدية عقب القضاء على اوجاق الانكشارية ١٨٢٦م الرافض للإصلاح وغير ذلك من التطورات العسكرية بعد إعلان التنظيمات .

ـ أسلحة الجيش :ـ

استخدم المسلمون جميع أنواع الأسلحة المعروفة فى العصور الوسطى وأوائل العصور الحديثة ويمكن أن نقسم هذه الأسلحة إلى نوعين رئيسيين هما :

١ ـ الأسلحة التقليدية سواء أكانت أسلحة دفاعية (وقائية) أو هجومية أو أسلحة فردية أو جماعية خفيفة ، كانت أم ثقيلة ، ومن هذه وتلك حسبنا أن نشير إلى السيوف والرماح والنشاب أى السهام ذات النصول المثلثة ، كما استخدموا أقواس اليد والرجل وأقواس اللولب التى تشد بواسطة لولب وأقواس الركاب التى تشد من ركاب الخيل ، واستخدموا كذلك اللتوت وهى أعمدة ذات رؤوس حديدية مستطيلة ومضرسة ، والدبابيس وهى تشبه اللتوت إلا أن رؤوسها مدورة ومضرسة والطبر أو الطبرزين (الفأس) والدرق اللمطية لاتقاء ضربات العدو وسهامه وهى مغطاة بجلد اللمط (وهو حيوان يعيش فى الصحراء) كذلك لبسوا الخوذات أو البيضات لحماية رؤوسهم كما لبسوا الجواشن التى تحمى صدورهم والدروع المسبلة ذات المغافر الملثمة التى تغطى جميع أجزاء الجسم . أما الأسلحة الثقيلة فتشمل المنجنيقات والدبابات والكباش والضبور والعرادات والأبراج والحسك[١٩٨] .

---

(١٩٧) اوغلى ، الدولة العثمانية ، مج١ ، ص٣٨١ ـ ٤٠٥ .

(١٩٨) العبادى ، نظم ، ص١٧٩ ـ ١٨٠ ؛ عبد الرؤوف ، الهندسة العسكرية فى الفتوحات الإسلامية ١١ ـ ١٣٢هـ/ ٦٣٢ ـ ٧٤٩م ، بغداد (١٩٩٧م)، ص٦٢ ـ ٨٢؛ الجنابى ، تنظيمات الجيش العربى =

٢ ـ الأسلحة المتطورة :ـ

أ ـ القدور الكفيات :

وهى عبارة عن قدور خزفية فى حجم الرمانة محشوة بالجير والنشادر والبول ، وكانت تلقى على العدو بالكف أو اليد مثل القنابل اليدوية ، فإذا اصطكت بجسم العدو المدرع بالحديد انكسرت وخرجت رائحتها فى خياشيمه وسببت له اختناقا .

ب ـ قوارير النفط أو نيم النفط أو جلل النفط :

وكانت هى الأخرى عبارة عن قدور فى حجم ثمرة الرمان وشكلها وتملأ بمادة حارقة سريعة الالتهاب أساسها النفط والكبريت وبعض الراتنجات والأدهان السائلة ، فإذا القيت على هدف من الأهداف أشعلت النار فيه ، ولحسن الحظ فقد أمدتنا الحفائر الآثارية بكميات كبيرة منها(١٩٩) (لوحة ٢٥٦).

أما أشهر المدن الإسلامية التى أحرقت بهذه القوارير فهى مدينة الفسطاط ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م وفى ذلك يذكر المقريزى « وبعث شاور إلى مصر بعشرين الف قارورة

= الإسلامى فى العصر الأموى ، ص١٤٢ ـ ١٥٩ ؛ عمر ، النظم ، ص١٨٢ ـ ١٨٣ ؛ عبد الرازق ، الحضارة ، ص١٩٦ ـ ٢٠٢ ؛ العمرى ، عبد العزيز إبراهيم ، الحرف والصناعات فى الحجاز فى عصر الرسول (ﷺ) ، الرياض (١٩٨٥م)، ص٢٤٣ ـ ٢٦٩ ؛ ومما له دلالته فى هذا الصدد أن المتاحف العالمية والمجموعات الخاصة لا تزال تحتفظ بأعداد كبيرة من الأسلحة الإسلامية ، فضلاً عن الآثار الإسلامية الباقية وبخاصة زخارف الفنون التطبيقية وبعض العمائر والنقود الإسلامية والمخطوطات المصورة والصور الشخصية وغير ذلك وهو الأمر الذى بدأ يلتفت إليه العلماء والباحثين فى العقود الخمسة الأخيرة ، وحسبنا أن نشير إلى بعض هذه الدراسات ، على سبيل المثال وليس الحصر ، ومنها : زكى ، عبد الرحمن ، السيف فى العالم الإسلامى ، القاهرة (١٩٥٦) ؛ عليوه ، حسين ، السلاح المعدنى للمحارب المصرى فى عصر المماليك ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية الآداب ـ جامعة القاهرة (١٩٨٤م) ، ياسين ، عبد الناصر محمد حسن ، الأسلحة الهجومية فى العصر الإسلامى (بالتطبيق على زخارف الفنون التطبيقية والعمائر) ، مجلة كلية الآداب بسوهاج ، جامعة جنوب الوادى ، العدد ٢٤ ، جـ٢ ، اصدار خاص : دراسات آثارية (أكتوبر ٢٠٠١م)، (١٨١ صفحة فضلا عن الأشكال واللوحات)؛ الأسلحة الدفاعية « الجنن الواقية » فى العصر الإسلامى (بالتطبيق على زخارف الفنون التطبيقية والعمائر) .

(١٩٩) العبادى نظم ، ص١٨٠ ـ ١٨١ ؛ عبد الرازق ، الحضارة ، جـ١ ، ص٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

نفط وعشرة الاف مشعل نار فرق ذلك فيها فارتفع لهب النار ودخان الحريق إلى السماء فصار منظراً مهولا فاستمرت النار تأتى على مساكن مصر من اليوم التاسع والعشرين من صفر لتمام أربعة وخمسين يوما ... »(٢٠٠).

جـ - المدافع والأسلحة النارية :-

توصل المسلمون منذ منتصف القرن ٧هـ/ ١٣م إلى اكتشاف خاصية جديدة للنفط كمادة هادمة متفجرة إذا اختلطت بملح البارود (نترات البوتاسيوم) أو النشادر والفحم والكبريت بنسبة ١٠ : ٢ : ٥ر١ ، وهذا الاكتشاف أدى إلى ظهور المدافع والأسلحة النارية (٢٠١)، وقد شاع هذا السلاح الجديد فى العصر المرينى وفى ذلك يذكر ابن خلدون عندما تحدث عن هجوم السلطان يعقوب المرينى على مدينة سجلماسة (تافيلالت الحالية فى الجنوب) عام ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م) أنه - أى السلطان - « نصب عليها هندام (آلة) النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزانة أمام النار الموقدة فى البارود بطبيعة غريبة ترد الأفعال إلى قدرة بارئها »(٢٠٢).

كذلك استخدم هذا السلاح فى عصر سلاطين بنى الأحمر أو بنى نصر فى غرناطة وفى ذلك يذكر ابن الخطيب « وفى سنة ٧٢٤هـ/ ١٣٢٤م نازل السلطان - أى السلطان إسماعيل بن الأحمر - بلدة أشكر Huescar (وشقة) ونشر عليها الحرب ورمى بالآلة العظمى المتخذة بالنفط كرة محماة طاقة البرج المنيع فعاثت عياث الصواعق السماوية ونزل أهلها قسراً على حكمه »(٢٠٣).

ومن الطريف أن المصادر الاسبانية المعاصرة فى وصفها لأحداث هذه الحرب أشارت إلى هذا السلاح الجديد ، ففى حوليات ثوريتا zurita (جـ٤ ، ص٣١) نجد هذه العبارة

---

(٢٠٠) المقريزى الخطط ، مج ٢ ، ص١٤٥ ؛ سيد ، أيمن فؤاد ، الدولة الفاطمية ، ص٢٩٦ .

(٢٠١) العبادى ، نظم ص١٨١ ، عبد الرازق ، الحضارة ، جـ١ ، ص٢٠٣ .

(٢٠٢) ابن خلدون ، العبر ، جـ٧ ، ص١٨٨ ؛ بنعبيد الله ، عبد العزيز ، الجيش المغربى عبر العصور ، الرباط (١٩٨٦م)، ص٤٩ ، ٨١ .

(٢٠٣) ابن الخطيب ، لسان الدين ، ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م، اللمحة البدرية فى الدولة النصرية ، بيروت ، ط٢ (١٩٨٠م)، ص٧٢ ؛ بنعبد الله ، الجيش المغربى ، ص٨١ .

« واتشرت الاشاعات فى مدينة لقنت أن ملك غرناطة يمتلك سلاحا جديداً مبيداً »(٢٠٤).

وعلى ذلك يرجع الفضل إلى المسلمين فى اكتشاف هذا السلاح الجديد قبل ظهوره فى أوروبا لأول مرة فى معركة كريسى Creasy ١٣٤٢م فى حرب المائة عام بين انجلترا وفرنسا والتى انتصرت فيها انجلترا بفضل استخدامها لهذا السلاح الجديد . هذا ولا يزال يوجد فى المغرب وفى مدينة العرائش بالذات مدافع أثرية يرجع تاريخها إلى عصر السعديين ، وقد نقش عليها « أمر بصنع هذا النفط السعيد السلطان ... ». وهو الأمر الذى يشير إلى أن لفظة النفط لم يعد يقصد بها النار الحارقة فحسب بل يقصد بها كذلك المدفع المدمر الهادم الذى يحدث فرقعة مثل الصواعق السماوية(٢٠٥).

كذلك عرف سلاطين المماليك المدافع أو المكاحل وهو ما يستدل عليه من المصادر التاريخية المختلفة فضلاً عن الأدلة الآثارية الباقية كما سنشير إلى ذلك تفصيلا واسهابا فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

ـ التعبئة وأساليب القتال :

التعبئة اصطلاح معروف فى النظام العسكرى عند المسلمين ، ووردت لفظة التعبئة فى المعاجم اللغوية بمعني فن ترتيب الجند في مواضعهم وتهيئتهم للحرب وتعتبر الآية الكريمة ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ (سورة الانفال آية ٦٠). المرتكز الأول التى استندت إليه التعبئة الإسلامية وهو يعنى الاستخدام الأفضل للأسلحة فى المعركة مع حشد جميع الطاقات المادية والمعنوية اللازمة لتحقيق النصر ، وشملت التعبئة بهذا المفهوم كل المصطلحات العسكرية التى ظهرت فى العصر الحديث ومنها الاستراتيجية والتكتيك وغير ذلك(٢٠٦) .

(٢٠٤) عن : العبادى ، نظم ، ص١٨٢ ، ٣٥٢ .

(٢٠٥) العبادى ، نظم ، ص١٨٢ ـ ١٨٣ ، ٣٥٢ .

(٢٠٦) الجنابى ، تنظيمات الجيش ، ص١٦٣ ؛ العدوى ، النظم الإسلامية ومؤسساتها التنفيذية فى صدر الإسلام والعصر الأموى ، القاهرة (١٩٧٢م) ، ص٣٢٨ .

هذا وقد تطورت أساليب القتال فى الإسلام تطوراً كبيراً فبعد أن كان العرب ومثلهم البربر فى المغرب يجيدون القتال باسلوب الكر والفر ظهر أسلوب جديد أمر به الله سبحانه وتعالى فى كتابه المحكم بقوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ (سورة الصف آية ٤) .

وبفضل هذا الأمر الالهى تحول القتال من أسلوب الكر والفر إلى اسلوب الصفوف أو الزحف حيث « ترتب فيه الصفوف وتسوى كما تسوى القداح أو صفوف الصلاة ويمشون بصفوفهم إلى العدو قُدُمًا فلذلك تكون أثبت عند المصارع وأصدق فى القتال وأرهب للعدو لأنه كالحائط الممتد أو القصر المشيد لا يطمع فى ازالته »[٢٠٧].

والترتيب القتالى فى نظام الصفوف أو الزحف كانت تقسم فيه القوات إلى خمسة أقسام : المقدمة والقلب والجناح الأيمن والجناح الأيسر والمؤخرة وكان اسلوب القتال هو ترتيب المقاتلين بصفوف مستوية متعاقبة وكان رجال الصف الأول وهم المسلحون بالرماح الطويلة يجثون على ركبهم ويحمون أنفسهم بالتروس من نبال الاعداء ورماحه ويغرسون رماحهم الطويلة فى الأرض موجهين رؤوسها باتجاه تقدم العدو ويتمركز النبالون خلف المشاة حاملى الرماح ويرمون العدو المهاجم من فوق رؤوسهم[٢٠٨].

وكان عدد الصفوف يتوقف على عدد المقاتلين وعلى رأى القائد وما تتطلبه ظروف المعركة ففى القادسية واليرموك كان عددها ثلاثة صفوف ، ووصلت فى بعض المعارك الأخرى إلى خمسة أو سبعة ، وهناك أنواعا لأسلوب القتال بالصفوف بحسب ما تمليه طبيعة المعركة أو تتحكم فى ذلك طبيعة الأرض نفسها ومنها الصفوف المستوية والصفوف الهلالية والصفوف المعطوفة (الهلال المقلوب)[٢٠٩].

كذلك استخدم المسلمون اسلوب آخر خلال عصر الخلفاء الراشدين وهو اسلوب القتال بالكراديس وهى كلمة يونانية Khortos معناها الكتائب أو الوحدات أو الكتل، حيث كان الجيش المحارب يقسم إلى عدة كتل دعيت كل كتلة منها كردوسا

---

(٢٠٧) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، مج١ ، ص٢٨٨ .

(٢٠٨) الجنابى ، تنظيمات الجيش ، ص١٦٥ ـ ١٦٦ .

(٢٠٩) الجنابى ، تنظيمات الجيش ، ص١٦٦ ـ ١٦٨ ؛ عبد الرؤوف ، الهندسة العسكرية فى الفتوحات الإسلامية ، ص١٣٤ ـ ١٣٦ .

يتألف من الف جندى وجعلوا لكل كردوس قائده وبين الكردوس والآخر فرجات مناسبة تتحكم بسعتها طبيعة الأرض وسلاح العدو(٢١٠).

ويقال أن هذا الاسلوب فى القتال قد عرفه العرب قبل الإسلام وطبقوه فى معركتهم الشهيرة مع الفرس المعروفة بيوم ذى قار ، أما فى العصر الإسلامى فالثابت تاريخيا أن هذا الاسلوب قد استخدم فى عهد عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) فى كل من معركة اليرموك ومعركة القادسية الشهيرتين ، كذلك إستخدم خلال العصر الأموي(٢١١).

وكما برع المسلمون فى ممارسة مختلف أساليب القتال كذلك برعوا فى استحداث أساليب تعبوية جديدة دلت على عبقريتهم وامكانياتهم القتالية الكبيرة وقوة صبرهم وذلك خلال المراحل المختلفة للمعارك التى خاضوها من الاستطلاع والهجوم والدفاع والانسحاب والمطاردة وهو ما سوف نتطرق إليه ولغيره مما لم نذكره هنا لضيق المقام تفصيلا واسهابا فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

ثانيًا : الجيش الإسلامى البحرى (البحرية الإسلامية) :-

بعد الفتوح الإسلامية لكل من الشام ومصر وافريقية وجد المسلمون أنفسهم مطلين على شواطئ البحر المتوسط ومن ثم بات عليهم مواجهة أعداء الداء مثل البيزنطيين الذين دأبوا على شن الغارات على هذه الشواطئ الإسلامية ؛ ولذلك ركب كلا الفريقين البحر ليعلو خصمه وكان النصر حليف المسلمين بفضل إنشاء(٢١٢)

---

(٢١٠) العبادى ، نظم ، ص١٨٣ ؛ الجنابى ، تنظيمات الجيش ، ص١٦٨ ؛ عبد الرؤوف ، الهندسة العسكرية ، ص١٣٨ .

(٢١١) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، مج١ ، ص٢٩٠ ؛ ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، جـ١ ، ص٢٤٥ ؛ العبادى ، نظم ، ص١٨٣ ؛ عبد الرازق ، الحضارة ، جـ١ ، ص١٩٥ ؛ الجنابى ، تنظيمات، ص١٧٠ - ١٧١ ؛ عبد الرؤوف ، الهندسة العسكرية ، ص١٣٩ - ١٤٠ .

(٢١٢) الأسطول (وجمعه اساطيل) كلمة يونانية الأصل تطلق فى اللغة العربية على المراكب الحربية مجتمعة أو على السفينة الواحدة وقد يقال المراكب الاسطولية ، كذلك يقال للجندى الذى يعمل فى الاسطول «اسطولى». النخيلى ، درويش ، السفن الإسلامية على حروف المعجم ، القاهرة ، ط٢ (١٩٧٩م) ، ص٢ - ٤ .

الاسطول الإسلامى فى عهد الخليفة عثمان بن عفان (رضى الله عنه) وعلى يدى معاوية بن أبى سفيان والى الشام ، ونجح هذا الاسطول فى أول غزوة بحرية للمسلمين فى البحر المتوسط وهى قبرص عام ٢٨هـ/ ٦٤٨م ، ثم لم يلبث الاسطول الإسلامى أن حقق أعظم انتصاراته الحربية فى هذه الفترة فى معركة ذات الصوارى الشهيرة عام ٣٤هـ/ ٦٥٤م التى كانت حداً فاصلاً فى تاريخ البحر المتوسط حيث قوض المسلمون اسطورة التفوق البحرى للبيزنطيين وصاروا بحق أصحاب السيادة البحرية فى البحر المتوسط .

وفى العصر الأموى أنشئت دوراً لصناعة السفن فى عكا بأمر معاوية بن أبى سفيان ثم نقلت إلى صور فى خلافة هشام بن عبد الملك ، كذلك تأسست داراً لصناعة السفن فى جزيرة الروضة بمصر عام ٥٤هـ/ ٦٧٤م وفى تونس (ترشيش) عام ٨٩هـ/ ٧٠٨م[(٢١٣)] .

هذا وقد انتقلت كلمة دار الصناعة إلى اللغات الأوروبية مثل دارسانا Darsana وارسنال Arsenal وتعنى المكان الذى تصنع فيه السفن ؛ ومن الطريف أننا الآن نطلق على هذا المكان اسم ترسانة وهو تعريب للكلمة الأوروبية العربية الأصل[(٢١٤)]!!

ولما كان المقام لا يتسع لذكر تفاصيل نشأة الأسطول الإسلامى ومراحل تطوره فى العصور الإسلامية المتلاحقة ، وهو ما سوف نعود إليه تفصيلا واسهابا فى كتابنا المفصّل بمشيئة الله تعالى ، ولذلك حسبنا أن نشير فى هذا المقام إلى بعض أنواع السفن الحربية فى الاسطول وذلك على النحو التالى :

- بارجة : والجمع بوارج : وهى من مراكب الهند عربها العرب عن لفظة بيرة الهندية وهى سفينة حربية كبيرة مكشوفة .

- بطسه : ويقال أحيانا بطشه وقد تحرف إلى بسطة والجمع بطسات وبطس وبطشات وبطش وهى سفن كبيرة الحجم كثيرة القلوع قد يصل عدد القلوع فى البطسة الواحدة إلى أربعين قلعا ، وكانت تختص بنقل الجنود فضلاً عن الأزواد والزخيرة

(٢١٣) عبد الرازق ، الحضارة ، جـ١ ، ص٢٠٤ - ٢٠٧ .
(٢١٤) العبادى ، نظم ، ص١٨٧ - ١٨٨ .

وكانت البطسة العظيمة تشتمل على عدة طبقات يشغل كل طبقة منها فئة معينة من الجند بأسلحتها .

ـ الجاسوس : نوع من المراكب الذى قد يكون استعماله فى عمليات التجسس والاستطلاع والكشف .

ـ حديدى (والجمع حديديات) : وهو نوع من الزوارق الحربية التى كانت تستعمل فى القتال النهرى .

ـ حراقة (والجمع حراقات وحراريق) : نوع من السفن الحربية التى ترمى بالنيران ، وتوصف بأنها من السفن الخفيفة المر .

ـ خيطى (والجمع خياطى وخيطيات) : ـ وهى مراكب تصنع من خشب الساج ولا يدخل فى تثبيت الواحها مسمار واحد ولكنها مخيطة ، وكان هذا النوع من المراكب يكون جزءاً من قطع الاسطول المملوكى الذى يخرج للغزو والجهاد .

ـ السميرية (والجمع سميريات) : ضرب من السفن تعددت استعمالاته غير أن ما يعنينا منها هو استخدامها فى القتال والحرب فكانت تعد لحمل آلات الحرب والسلاح والمقاتلة والرماة والملاحين وكان منها الصغير الذى لا يزيد عدد مجاديفه عن الأربعة ، والكبير الذى يبلغ عدد مجاديفه الأربعين مجدافا .

ـ شلندى (والجمع شلنديات) : وهى مراكب حربية كبيرة مسطحة لحمل المقاتلة والسلاح .

ـ شينى (والجمع شواني) : وهى السفن الحربية الكبيرة وكانت من أهم القطع الكبيرة التى يتكون منها الاسطول فى الدول الإسلامية ، ويستدل من النصوص التاريخية أن الشينى هو الأصل الذى يتفرع منه أسماء السفن الحربية الأخرى ولواحقها فكل سفينة حربية شينى تحمل اسما معينا يدل على وظيفتها فمنها الغراب والطريدة والجفنه والحراقة وغير ذلك .

ـ الطريدة (والجمع طرائد وطرادات) : وهى سفينة صغيرة سريعة السير والجرى وكانت مفتوحة المؤخرة بأبواب تفتح وتغلق معدة لحمل الخيل بسبب الحرب وأكثر ما يحمل فيها ٤٠ فرسا .

- الغراب (والجمع أغربة وغربان) : وهى من المراكب الحربية شديدة البأس .

- مرمة (والجمع مرمات) : نوع من السفن الحربية الكبيرة فى العصور الوسطى .

- مسطح (والجمع مسطحات) : نوع من السفن الحربية الكبيرة[٢١٥].

(٢١٥) إعتمدنا بصفة رئيسية على معجم النخيلى المشار إليه فى الحاشية رقم ١٤٨ ، ص ص ١٠ ـ ١١ ، ١٤ ـ ١٧ ، ٢١ ، ٣١ ـ ٣٧ ، ٤٣ ـ ٤٤ ، ٦٧ ـ ٧٠ ، ٧٨ ـ ٨١ ، ٨٣ ـ ٨٥ ، ٨٩ ـ ٩٢ ، ١٠٤ ـ ١١٢ ، ١٤٠ ـ ١٤٤٣ ؛ ولمزيد من التفاصيل انظر ، العدوى ، ابراهيم ، الأساطيل العربية فى البحر الأبيض المتوسط ، القاهرة ، د ت ، ماهر ، سعاد ، البحرية فى مصر الإسلامية وآثارها الباقية ، القاهرة ، د ت ؛ عبد الرازق ، الحضارة ، جـ١ ، ص٢١٥ ـ ٢١٦ ؛ عبد العليم ، أنور ، الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، الكويت (١٩٧٩م)، ص١١٠ ـ ١١٣ ؛ شهاب ، حسن صالح ، المراكب العربية ، تاريخها وأنواعها ، الكويت (١٩٨٧م)، ص٥٠ ـ ٥١ ، ٥٣ ـ ٥٤ .

الفصل الثانى

الحياة الاجتماعية

إمتازت الحياة الاجتماعية فى الدولة الإسلامية بأنها حياة متعددة الألوان والاتجاهات مختلفة المظاهر واسعة النشاط متباينة المؤسسات والمرافق والمنشآت مما أضفى عليها قدراً من الحيوية ليس له مثيل فى بقية أنحاء العالم المعاصر .

ومن الواضح أنه مهما تنوعت الظروف فى أنحاء الدولة الإسلامية باختلاف جذورها الحضارية قبل الإسلام وتباين أوضاعها الجغرافية فإن هناك قدراً كبيراً واحداً مشتركًا بين مختلف هذه الانحاء جعل بينها عنصراً واضحا من عناصر الوحدة استمد أصوله من روح الإسلام وقيمه وتقاليده من ناحية ومن الظروف والملابسات العامة التى أحاطت بتطور الحضارة الإسلامية على مر القرون وكر الدهور من ناحية أخري[1].

وعلى ضوء ذلك فإنه من الصعوبة بمكان ، ووفقا للخطة الموضوعة لهذا الكتاب المجّمل ، أن نلم بجميع أطراف الحياة الاجتماعية فى الدولة الإسلامية من حيث نشأتها وتتبع مراحل تطورها وازدهارها بصفة عامة أو فى كل قطر من الأقطار الإسلامية التى تشكلت منها دار الإسلام بصفة خاصة فقد امتزجت الحياة الاجتماعية بالحياة الدينية والسياسية والاقتصادية والفكرية فى كل مرحلة من مراحل الدولة الإسلامية حتى أصبح من العسير الفصل بين كل جانب منها إذ أمتزجت هذه العوامل كلها وتفاعلت وأثرت كل حياة فيها فى الجوانب الأخري[2] (ايجابيا وسلبيا) ، ولذلك أثرنا فى هذا الكتاب أن نركز على دراسة بعض مظاهر الحياة الاجتماعية والأنشطة المختلفة فى الدولة الإسلامية ؛ على أن نعود للإلمام بجميع أطراف الحياة الاجتماعية والعوامل المختلفة التى أثرت فيها تفصيلا واسهابا وتحليلا فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

وقبل أن نتحدث عن مظاهر الحياة الاجتماعية ينبغى أن نشير ، بادئ ذى بدء ،

---

(١) عاشور ، دراسات فى تاريخ الحضارة ، ص٣٠٣ ؛ بحوث فى تاريخ الإسلام وحضارته ، القاهرة (١٩٨٧م)، ص٢٥٤ ؛ زيود ، محمد أحمد ، التاريخ الاقتصادى والاجتماعى للعالم الإسلامى ، جامعة دمشق (٢٠٠١ ـ ٢٠٠٢م) ، ص٤٥١ .

(٢) هناك بعض الدراسات التى ركزت على ابراز هذه الجوانب والعوامل المختلفة سواء فى دراسة المدن الإسلامية عامة أو مدينة بعينها خاصة . انظر على سبيل المثال ، عثمان ، المدينة الإسلامية ، الكويت (١٩٨٨م)، ص٣٢٣ ـ ٣٧٦ ؛ الأطرقجى ، رمزية ، الحياة الاجتماعية فى بغداد منذ نشأتها حتى نهاية العصر العباسى الأول ، بغداد (١٩٨٢م)، (٣٨١ صفحة) .

إلى أن الحياة الاجتماعية فى الدولة الإسلامية قد اتصفت فى صدر الإسلام بالحرص الشديد على التمسك بتعاليم الدين الإسلامى ، ولذلك اتسم المجتمع الإسلامى حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين (رضى الله عنهم) بالبساطة المطلقة التى هى أقرب إلى الزهد والمساواة بين المسلمين جميعًا بحيث لم توجد فجوة بين حاكم ومحكوم ولا بين قوى وضعيف ولا بين عربى وأعجمى وكان المقياس الوحيد لتفضيل مسلم على آخر هو مقياس التقوى بمعناها الكبير الواسع[٣]، كذلك عمل الرسول (ﷺ) على رسم الخطوط العريضة للعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين من خلال دستور المدينة أو الصحيفة السابق الإشارة إليها .

ولم يكن منتظراً مع بداية حركة الفتوح الإسلامية أن يحدث تغير سريع مفاجئ فى الحياة الاجتماعية للمسلمين لأنهم كانوا عندئذ قريبى عهد بالرسول (ﷺ) والتمسك بسنته وتعاليمه ، وها هو ابن خلدون وهو يتحدث عن انتقال الدول من البداوة إلى الحضارة يشير إلى هذه المرحلة بقوله « وأهل الدول أبداً يقلدون فى طور الحضارة وأحوالها للدولة السابقة قبلهم فأحوالهم يشاهدون ومنهم فى الغالب يأخذون ، ومثل هذا وقع للعرب لما كان الفتح وملكوا فارس والروم واستخدموا بناتهم وأبناءهم، ولم يكونوا لذلك العهد فى شئ من الحضارة فقد حكى أنه قدم لهم المرقق فكانوا يحسبونه رقاعا وعثروا على الكافور فى خزائن كسرى فاستعملوه فى عجينهم ملحا ومثال ذلك كثير »[٤].

وعلى الرغم من الغنائم الضخمة التى أصابها العرب المسلمون الأوائل فى فتوحهم وقد أخذت الأموال والغنائم تسيل إلى المدينة عاصمة الدولة الإسلامية بفضل حركة الفتوح ، ويكفى فى تصوير ذلك ما تركه كبار الصحابة من ثروات ، فطلحة ابن عبيد الله خلف ثلثمائة بهار من ذهب وفضة والبهار مزود من جلد عجل؛ والزبير خلف خمسين ألف دينار وديون وعقارات قيمتها ثلثمائة ألف دينار وبلغ الربع فى تركة عبد الرحمن بن عوف أربعة وثمانين ألف دينار، أما عثمان فقد خلف خمسين ألف دينار وألف ألف درهم وعقارات قيمتها مائة ألف دينار ، وقد عقب المسعودى بعد ذكره لهذه

---

(٣) عاشور ، دراسات ، ص٢٥١ ـ ٢٥٢ .

(٤) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، مج١ ، ص١٨٢ .

التركات بقوله « وهذا باب يتسع ذكره ويكثر وصفه فيما تملك من الأموال فى أيام عثمان ولم يكن مثل ذلك فى عصر عمر بن الخطاب ... وحج عمر فأنفق فى ذهابه ومجيئه إلى المدينة ستة عشر ديناراً وقال لولده عبد الله : قد أسرفنا ... »(٥).

ورغم ذلك فإن بساطة الإسلام وبساطة المنبت ظلت غالبة عليهم حتى عهد عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) « فكان الفارس الواحد يقسم له فى بعض الغزوات ثلاثون الف من الذهب أو نحوها فاستولوا من ذلك على مالا يأخذه الحصر وهم مع ذلك على خشونة عيشهم ، فكان عمر يرقع ثوبه بالجلد وكان على بن أبى طالب يقول : ياصفراء! ويا بيضاء ! غرى غيرى !! وكان أبو موسى الأشعرى يتجافى عن أكل الدجاج لأنه لم يعهدها للعرب لقتلها يومئذ ، وكانت المناخل مفقودة عندهم بالجملة وإنما كانوا يأكلون الحنطة بنخالها(٦).

وهناك قصة أوردها الجهشيارى تؤكد مدى البساطة والتقشف فى عهد عمر (رضى الله عنه) « ولما استحضر عمر زياداً ، قال زياد : فأتيتُه وعليّ ثياب كتان ؛ وعليّ خفان ساذَجان وفى يده مخصره (ما يتوكأ عليه كالعصا) على رأسها حديد ، فغمزها فى خُفى حتى خرقه وأدمى رجلى ، فلما كان من الغد ، رجعت إليه فى خفين غليظين وعليّ ثوبان من قطن ، فلما رأنى قال : هكذا يا زياد ! هكذا يا زياد ! ثم قال لى : بكم أخذت هذين الخفين ؟ قلت بوافٍ - يريد درهما وافيا - فاعطانى درهما وقال :، اشتر لى مثلهما »(٧).

فهل هناك بساطة وتقشف بل زهد أكثر من ذلك ؟؟

أما فى عهد عثمان (رضى الله عنه) فقد اتسع الثراء ، كما سبق القول ، وبالتالى اتسعت معه الرفاهية أو فلنقل أخذت تظهر الرفاهية وكان من مظاهرها الواضحة اتخاذ القصور وبناؤها بالأجر والجص واتخاذ أبوابها من خشب الساج ووضع الشرفات أعلاها وغير ذلك(٨).

---

(٥) ابن عبد ربه ، العقد ، جـ٢ ، ص٢٧٩ ؛ المسعودى ، مروج الذهب ، جـ٤ ، ص٢٥٣ - ٢٥٤ ؛ ضيف ، شوقى ، الشعر والغناء فى المدينة ومكة لعصر بنى أمية ، القاهرة ، طـ٥ ، (١٩٩٢م)، ص٢٦ - ٢٧ .

(٦) عاشور ، دراسات ، ص٢٥٢ - ٢٥٣ .

(٧) الجهشيارى ، كتاب الوزراء والكتاب ، ص١٩ .

(٨) المسعودى ، مروج الذهب ، جـ٤ ، ص٢٥٤ - ٢٥٥ .

ولم يقتصر الأمر على ذلك بل اقتنى الكثيرين منهم الضياع ، ورغم ذلك يمكن القول أن ذلك كله قد تم داخل اطار الدين ، ولم يكن فيما فعلوه خرقا لتعاليم الإسلام، لأنه مال حلال جاء عن طريق الغنائم والفئ التى أحلها الله سبحانه وتعالى ، ثم أنهم أدوا ما وجب عليهم من الزكاة ولم يتصرفوا فى مالهم بعتو واسراف .

وهكذا فإن الثروة الكبيرة المفاجئة فى عهد عثمان (رضى الله عنه) نتيجة لحركة الفتوح لم تفلح فى تلك المرحلة فى تغيير الملامح العامة الأساسية للمجتمع الإسلامى الوليد[٩].

ولم تلبث الحياة الاجتماعية فى الدولة الإسلامية أن تغيرت وتبدلت أوضاعها بانقضاء عصر الخلفاء الراشدين (رضى الله عنهم) إذ دخلت الدولة الإسلامية فى طور جديد من أطوارها أملته الظروف الجديدة والعوامل المختلفة التى أحاطت بالدولة الإسلامية بدءاً من العصر الأموى وما تلاه من عصور من اتساع وثراء وتنوع فى بنيتها العنصرية وما حدث من تفاعل بعيد المدى بين طبقات المجتمع وفئاته المتباينة فانغمس الناس ولا سيما طبقة الخاصة ومن نسج على منوالهم من طبقة العامة ـ بياض العامة ـ فى البذخ والترف والصبغة المادية التى اصطبغت بها حياتهم الاجتماعية ، وكلما تقدم بهم الزمن ازدادوا فى الأخذ بمظاهر الرفاهية والترف أكثر وأكثر وهو ما يستدل من المصادر التاريخية المختلفة فضلا عن الأدلة المادية الآثارية الباقية سواء كانت أثاراً ثابتة أو منقولة كما سنرى فى الباب الثانى من هذا الكتاب المجّمل .

وقد صور ابن خلدون خصائص المرحلة تصويراً بديعا إذ قال « فلما استعبدوا أهل الدول قبلهم واستعملوهم فى مهنهم وحاجات منازلهم واختاروا منهم المهرة فى أمثال ذلك والقومة عليهم أفادهم علاج ذلك والقيام على عمله والتفنن فى أحواله فبلغوا الغاية فى ذلك وتطوروا بطور الحضارة والترف فى الأحوال واستجادة المطاعم والمشارب والملابس والمبانى والأسلحة والفرش والأبنية وسائر الماعون والخُرْثى وكذلك أحوالهم فى أيام المباهاة والولائم وليالى الأعراس فأتوا من ذلك وراء الغاية ... »[١٠].

---

(٩) عاشور ، دراسات ، ص٢٥٣ .

(١٠) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، مج١ ، ص١٨٢ ـ ١٨٣ .

والحق أنه يجب علينا القول بأن هذا الطور الجديد من أطوار الحياة الاجتماعية فى الدولة الإسلامية لا نستطيع أن نتخذه ـ بأى حال من الأحوال ـ قاعدة عامة أو مقياسا نحكم به على جميع مراحل التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية ، حقا ان هناك من الحكام من ابتزوا ملكهم واستباحوا دنياهم على حد قول بعض المؤرخين ؛ فإن هناك فى المقابل حكاما آخرين احتفظوا بمكانتهم السامية وانموذجهم المثالى فى الدولة الإسلامية هذا من جهة ومن جهة ثانية علينا أن نذكر أن الإسلام كان دائمًا بعيداً عن روح التزمت والحرمان والكبت ؛ فالله سبحانه وتعالى طالب المسلم بالا ينسى نصيبه من الدنيا وأن يتمتع بكل ما خلقه الله له من ضروب المتعة بشرط أن يلتزم بالحلام ويبتعد عما حرمه الله سبحانه وتعالى « وابتغ فيما أتاك الله الدار الأخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا » وبشرط ألا يسرف حتى فى متعته بالحلال « إنه لا يحب المسرفين »، وذلك حفاظا على الفرد الذى هو عماد المجتمع وأساس تكوينه .

ومن الصنف الأول حسبنا أن نشير إلى الخليفة الأموى يزيد بن معاوية فقد كان «صاحب طرب وجوارح وكلاب وقرود وفهود ومنادمة على الشراب ... وغلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق »[(١١)].

ومن الصنف الثانى حسبنا أن نشير إلى الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز الذى تعتبر فترة حكمه إمتداداً لعصر الخلفاء الراشدين ومن هنا استحق أن يلقب بخامس الخلفاء الراشدين كذلك لا تفوتنا الإشارة إلى فئة العلماء ورجال الدين الذين قاموا ببث المثل الاجتماعية والخلقية والدينية فضلاً عن تصديهم للمنكر ومقاومتهم للإنحرافات الخلقية والفكرية التى كانت تظهر بين حين وآخر ، بل ان هناك من العلماء من لم يرضوا عن انحرافات وتصرفات الحكام فتصدوا لهم فى شجاعة وحرضوا العامة ضدهم عن طريق مباشر أو غير مباشر مما ظهر أثره أحيانا فى الاوضاع السياسية [(١٢)].

كذلك لا ننسى دور الأوقاف فى الحضارة الإسلامية بصفة عامة وفى الحياة الاجتماعية بصفة خاصة ، والتى ان دلت على شئ فإنما تدل على غلبة الوازع الدينى المستمد من مبادئ الدين الإسلامى وتعاليمه السامية ، ولم تقتصر دور هذه الأوقاف

---

(١١) المسعودى ، مروج الذهب ، جـ٤ ، ص

(١٢) عاشور ، دراسات ، ص ٢٦٥ ـ ٢٦٦ .

وأهميتها على الحياة الاجتماعية فحسب بل امتد فشمل أيضًا الحياة الدينية والسياسية والاقتصادية وهو ما سوف نشير إلى بعض جوانبه فى هذا الكتاب المجّمل والى جميع جوانبه فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

وفيما يلى نتطرق إلى دراسة بعض مظاهر الحياة الاجتماعية فى الدولة الإسلامية وذلك على النحو التالى :

ـ مجالس الغناء والطرب واللهو والموسيقى :ـ

من الثابت أنه ظهرت خلال العصر الأموى (٤١ ـ ١٣٢هـ/ ٦٦١ ـ ٧٥٠م) مسحة قوية من الترف والبذخ أدت إلى تسرب تيار من الاسراف بعيد عن روح الإسلام ومبادئه السامية ، ومن ثم أخذت مجالس الغناء والطرب واللهو والموسيقى بل الغرور والخيلاء تأخذ حيزاً كبيراً لدى بعض الخلفاء الأمويين ومنهم يزيد بن معاوية ـ وقد سبقت الإشارة إلى أفعاله هو وأصحابه وعماله ـ والخليفة يزيد بن عبد الملك (١٠١ ـ ١٠٥هـ/ ٧٢٠ ـ ٧٢٤م) الذى يروى أنه سار على نهج الخليفة عمر بن عبد العزيز أربعين يوما ثم ترك ذلك إلى اللهو والشرب والملذات وقصته مع جاريتيه سلامة القس وحبابه وما أثير حول حبه لهما وكلفه بهما وحظوتاهما عنده من الأمور المبسوطة فى العديد من المصادر التاريخية ، وعن موت حبابه يقال إنها ماتت على أثر شرقها بحبة عنب فما كان من يزيد إلا وأن حزن عليها حزنا شديداً وعمل على تأخير دفنها حتى جيفت ومات بعد موتها بفترة وجيزة بالطاعون وقيل بل بالسل وقيل بل مات كمدا وأسفا على فقده حبابه(١٣).

كذلك كان حال ابنه الوليد بن يزيد عندما جلس على كرسى الخلافة (١٢٥ ـ ١٢٦هـ/ ٧٤٣ ـ ٧٤٤م) فوصف بانه «صاحب شراب ولهو وطرب وسماع للغناء وهو أول من حمل المغنين من البلدان إليه وجالس الملهين وأظهر الشراب والملاهى والعزف...» وفى رواية أخرى «أنه تمادى فى الشراب وطلب الملذات فأفرط...»(١٤).

---

(١٣) عن الروايات المختلفة ونقدها انظر ، الشريف ، الدولة الأموية فى عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ، ص٤٣ ـ ٧٤ ؛ شاهين ، الدولة الأموية المفترى عليها ، ص٢١١ ـ ٢١٢ .

(١٤) الطبرى ، تاريخ الرسل والملوك ، جـ٧ ، ص٢٥٣ ـ ٢٥٤ ؛ المسعودى ، مروج الذهب ، جـ٣ ، ص٢٢٨ ـ ٢٢٩ ؛ وعن درء الشبهات انظر ، شاهين ، الدولة الأموية المفترى عليها ، ص٢١٤ ـ ٢١٨ .

وكان بعض خلفاء بنى أمية لا يظهرون للندماء بل كان بينهم حجاب حتى لا يطلع الندماء على ما يفعله الخليفة إذا طرب فقد تأخذه نشوة الطرب وهو سكران فيقوم بحركات لا يطلع عليها إلا خواص جواريه ؛ هذا فى حين بالغ البعض الآخر - مثل يزيد بن عبد الملك - فى المجون بحضرة الندماء وأذن لهم فى الكلام والضحك والهزل فى مجلسه[١٥].

ويقال أن الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك (٩٦ - ٩٩هـ/ ٧١٥ - ٧١٧م) قد بالغ فى التفنن فى زينته وملبسه حتى أنه فى يوم جمعة من خلافته لبس الفاخر من الثياب وتعطر وأمسك بالمرآة وجمع الجمعة وخطب خطبته وقد أعجب بنفسه فوقف على المنبر يردد « أنا الملك الشاب السيد المهاب الكريم الوهاب ... »[١٦].

ولم يقتصر هذا التطور على حاضرة الخلافة الأموية - أى دمشق - فحسب بل امتد فشمل أيضًا المدن المختلفة فى الولايات التابعة وحسبنا أن نشير إلى ما أصاب أهل الحجاز - مكة المكرمة والمدينة المنورة - من ترف واسع فعرفوا كثرة الألوان فى الأطعمة وأكلوا فى أوانى الذهب والفضة ، كما عرفوا التنعم فى الملبس والاكثار من الطيب ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل ملأت حياتهم فنون من اللهو المختلفة وكان الغناء على رأس هذه الفنون وقد شغفوا به شغفا شديداً بل كانت له دوراً خاصة يقصدها الناس لسماعه ، ووصل الأمر إلى أنه صار فى مكة مذهب (لون خاص) فى الغناء وللمغنين فى المدينة مذهب آخر وبين اللونين مفاخرة يسر الناس لمشاهدتها . ومن أشهر المغنين بالمدينة طويس ومعبد وسائب خاثر ابن عائشة ويونس الكاتب ومالك الطائى ، أما المغنيات فمن أشهرهن عزة الميلاء وجميلة وسلامة القس وسلامة الزرقاء ، أما فى مكة فمن أشهر المغنين ابن مسجح وابن محرز وابن سريج والغريض والآبجر والهذلى ومن المغنيات المكيات بغوم وأسماء وسمية وغيرهن[١٧].

وازدانت قصور العباسيين بمجالس الغناء والطرب والموسيقى واللهو ، وكان

---

(١٥) عاشور ، دراسات ، ص٢٥٥ .

(١٦) عاشور ، دراسات ، ص .

(١٧) ضيف ، الشعر والغناء ، ص٣٠ - ٣٦ ، ٤٦ - ٦٩ ، ١٨٣ - ٢٠٧ ؛ عاشور ، دراسات ، ص٢٥٥ - ٢٥٦ ؛ زيود ، التاريخ ، ص٤١١ - ٤١٢ .

الخلفاء يقدرون المغنين ويشجعونهم بالمنح والعطاء ومن أشهر هؤلاء المغنين إبراهيم بن المهدى وعلية ابنة المهدى وإبراهيم الموصلي واسحق ومخارق وزمام الزامر وعرب . ومن الجوارى اللائى اشتهرن بالغناء والعزف على الآلات الموسيقية دنانير وبذل وعريب وشاجية جارية عبد الله بن طاهر وعبيدة الطنبورية ، وكثيراً ما كانت مجالس الغناء تقترن بالشراب وان كانت هناك مجالس خاصة بالشراب [١٨] .

فالخليفة العباسى محمد المهدى كان « يحب القيان وسماع الغناء » أما الخليفة محمد الأمين فكان قصره مجالا للهو واللعب والمجون وفي ذلك يذكر الطبرى « ولما ملك محمد الأمين وجه إلى جميع البلدان فى طلب الملهين وضمهم إليه وأجرى عليهم الأرزاق ... وأمر ببناء مجالس لمتنزهاته ومواضع خلوته ولهوه ولعبه بقصر الخلد ... وأمر بعمل خمس حراقات (سفن) فى دجلة على خلقة الاسد والفيل والعقاب والحية والفرس وانفق فى عملها مالا عظيما وكلها للنزهة والابهة »[١٩] .

ولم تقتصر مجالس الغناء والطرب والموسيقى على قصور الحكام فحسب وإنما شغف بهما غالبية الناس على اختلاف فئاتهم ، وقد وصف بعض العلماء ورجال الدين فى المصادر التاريخية بالميل « إلى سماع المغانى » بل حكى عن أحد الفقهاء أنه سمع بمغنية شهيرة تغنى فى مكان ما فترك شيخه بعد الصلاة وتسلل خفية لسماعها فلما عرف شيخه سبب غيابه قال له عند عودته « أمرها عندى خفيف »[٢٠] .

ونال الكثير من المغنين والمغنيات حظوة كبيرة عند أهل الدولة كما ترجم لبعضهم فى المصادر التاريخية وهو ما سوف نتطرق إليه عند دراسة هذه المجالس تفصيلا واسهابا فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

---

(١٨) عاشور ، دراسات ، ص٢٦٣ ـ ٢٦٤ ؛ زيود ، التاريخ ، ص٤١٥ .

(١٩) الطبرى ، تاريخ ، جـ٧ ، ص٢١٠ ؛ الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ٣ ، ص٢٠٨ ، الاطرقجى ، الحياة ، ص١٩٨ ، ٢٠٣ .

(٢٠) عاشور ، دراسات ، ص٢٦٧ ـ ٢٦٨ .

ـ مجالس القصاص والوعاظ :

كان من هذه المجالس ما يعقد داخل القصور ومنها ما يعقد فى الأماكن العامة وكان المفروض أن يكون الهدف منها الحث على اتباع الطريق القويم بترديد القصص الدينى وأخبار السلف الصالح ، غير أن القصاص لم يلبثوا أن انحرفوا عن هذا الهدف وصار هدفهم الأول تحقيق الكسب المادى عن طريق ترديد القصص الخرافى الذى يرضى أذواق المستمعين وكثيراً ما كان يجلس القصاص فى المساجد أو الطرقات أو الأسواق أو المقابر يرددون قصصا لا تخلو من نزعة ماجنة الأمر الذى أغضب العلماء ورجال الدين فنادوا بوقف نشاط القصاص وقد استجاب لهذه الدعوة بعض الخلفاء العباسيين فالخليفة المعتضد أمر بمنع القصاص من الجلوس فى المساجد والطرقات والخليفة القادر بأمر الله أمر عام ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م بضرب القصاص واتخذ إجراءات مشددة للقضاء عليهم [٢١].

أما عن مجالس الوعاظ فكان المفروض فيها أن تكون ذا صبغة دينية بناءة يشرح فيها الوعاظ المسائل الشرعية ويجيبون الحاضرين على أسئلتهم ، وفى بادئ الأمر نهضت هذه المجالس برسالتها الصحيحة وقامت بها خير قيام ، ولكنها لم تلبث فى القرنين الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين أن تحولت هى الأخرى إلى مجرد وسيلة للكسب فانحط المستوى الفكرى للوعاظ واحترفوا نشر الخرافات والبدع؛ بل لقد لجأ بعضهم إلى استثارة الفرق والمذاهب الإسلامية بعضها ضد بعض ، وربما استغلهم بعض الحكام للدعاية له ضد خصومه مما صبغ مجالسهم بصبغة سياسية ، ولما أحست الدولة بخطورة هذا الوضع صدرت الأوامر من الخليفة العباسى القادر بالله بتحديد مجال الوعاظ فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر[٢٢].

ـ وسائل التسلية والترفيه :ـ

أ ـ خيال الظل : يعد من أهم وسائل الترفيه والتسلية فقد كانت التسلية العامة المفضلة لجميع طبقات المجتمع منذ العصر الفاطمى ـ وما تلاه ـ حيث عرفت مصر خيال

---

(٢١) عاشور ، دراسات ، ص٢٦٤ ؛ زيود ، التاريخ ، ص٤١٦ .

(٢٢) عاشور ، دراسات ، ص٢٦٥ ، زيود ، التاريخ ، ص٤١٦ .

الظل الذى يتوسل بالصورة والضوء معا ويحتاج تبعا لذلك إلى مكان محكم حتى يمكن أن يركز الضوء فيه على التمثيل فقد كان يتسم بنوع من المرونة فى الحركة بحيث يمكن أن يؤدى فى فناء الدار أو داخل فسطاط (خيمة) معين لذلك أصبح فيما يعد من وسائل احياء المواسم وحفلات الزواج والختان (الطهور) وما إليها ومن السلاطين الذين شغفوا بخيال الظل السلطان صلاح الدين الأيوبى والسلطان المملوكى الناصر محمد وابنه الناصر حسن والسلطان الأشرف شعبان الذى حمله معه عندما حج عام ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م، والسلطان الناصر محمد بن قايتباى ، وعندما كانت تحدث المفاسد كان السلاطين يأمرون بابطال اللعب به ومن هؤلاء السلطان جقمق الذى أمر فى سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م بابطال اللعب بخيال الظل واحراق شخوصه وكتب على اللاهين العهود بألا يعودوا إليه[٢٣].

وعندما دخل السلطان العثمانى سليم الأول القاهرة عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م وشاهد خيال الظل بحضرته بمقياس النيل ، وقيل أن المخايل صنع صفة باب زويلة وصفة السلطان طومان باى لما شنق عليه وقطع به الحبل مرتين فانشرح السلطان لذلك وأنعم على المخايل بثمانين ديناراً وخلع عليه قفطانا مخملاً مذهبا وقال له « إذا سافرنا إلى اسطنبول فامض معنا حتى يتفرج ابنى على ذلك »[٢٤].

أما عن صفة اللعب بالخيال فإن شخوصه كانت تتخذ من الجلود أو الورق المقوى وتحرك بعصى من وراء ثوب ابيض مشدود (ستار) فيظهر خيال الدمى فيه حيث يقوم اللاعبون بادراج دمى الخيال خلف الستارة البيضاء بواسطة سيقان خشبية يحركها أحد اللاعبين ، يختص بتحريك جميع ما يقدم على المسرح من شخوص فى حين يقوم اثنان من اللاعبين بالعزف على آلات موسيقية ، وأشهر من تفوق فى هذا الفن التمثيلى خلال العصر المملوكى ابن دانيال الموصلى وتمثيلياته الشهيرة (البابات) (وسنتطرق

---

(٢٣) عن خيال الظل انظر ، تيمور ، أحمد ، خيال الظل ، القاهرة (١٩٥٧م)، ص١٩ - ٢٣ ؛ يونس ، عبد الحميد ، خيال الظل ، القاهرة (١٩٦٥م)، ص٩ - ٥٩ ؛ حمادة ، إبراهيم ، خيال الظل وتمثيليات ابن دانيا ، (٤٢٦ صفحة) ؛ أبو زيد ، على إبراهيم ، تمثيليات خيال الظل ، القاهرة ، ط٥ (١٩٩٩م)، (٣٠٧ صفحة) ؛ نصار ، لطفى أحمد ، وسائل الترفيه فى عصر سلاطين المماليك فى مصر ، القاهرة (١٩٩٩م)، ص٣٣٣ - ٣٥٤ ؛ عاشور ، دراسات ، ص٢٦٨ .

(٢٤) ابن إياس ، بدائع الزهور ، جـ٢ ، ص١٣٥ .

إليها تفصيلا واسهابا فى كتابنا المفصّل بمشيئة الله تعالى) ولم يقتصر دور هذا الفن التمثيلى على التسلية والترفيه فحسب بل كان له مواقف نقدية رمزية تثير السخرية والضحك فى نفوس الجماهير من السلطان وحاشيته أى أنه عالج الكثير من الأوضاع السياسية والاجتماعية السلبية فى المجتمع وقتئذ . هذا وقد تزامن مع خيال الظل خاصة فى أواخر العصر المملوكى فن شعبى آخر شاع بين الناس باسم الاراجوز أو قرقوز وهى كلمة تركية الأصل ويمثل الأراجوز بواسطة دمى من الخشب أو الجص متحركة الأعضاء وهى تتحرك بواسطة خيوط تشد إلى أسفل المنضدة الموضوعة عليها تلك الدمى ويصاحب حركاتها حوار يلقيه صاحب الأراجوز الذى ينغم صوته تبعا لمقتضيات الموقف(٢٥)؛ وفى كتابنا المفصّل سوف نتطرق لدراسة أبرز الفروق والخصائص بين خيال الظل والأراجوز .

ـ الخروج إلى المتنزهات :ـ

إزدانت العديد من المدن الإسلامية بمواضع النزهة ومن ثم كان يخرج إليها الناس للتسلية والترفيه والترويح عن النفس ، وفى مثل هذه المتنزهات اعتاد أن يلتقى الرجال بالنساء فيختلطون فى غير كلفة أو حجاب فتحدث المفاسد والرزائل ومن ثم كانت تصدر الأوامر والعقوبات .

ولما كان المقام لا يتسع لدراسة كافة المتنزهات فى المدن الإسلامية فحسبنا أن نشير إلى أشهرها ولا سيما فى الشام والقاهرة .

ففى الشام كانت غوطة دمشق من أجل المتنزهات فقد اعتاد الشاميون فى مختلف المناسبات خاصة فى فصل الربيع ومطلع فصل الصيف الذهاب إلى مشاهده الغوطة ومنتزهاتها ويكفى استقراء ما ورد من أوصاف فى كتاب نزهة الأنام فى مجالس الشام للبدرى للدلالة على ذلك(٢٦). كما حرص ابن عساكر على ذكر بساتين دمشق ومروجها وما إشتهرت به من محاسن ومتنزهات(٢٧).

---

(٢٥) نصار ، وسائل الترفيه ، ص٣٣٥ ـ ٣٣٦ ، ٣٥٣ ـ ٣٥٤ .

(٢٦) زعرور ، إبراهيم ، الحياة الاجتماعية فى بلاد الشام فى العصرين الأيوبى والمملوكى ، دمشق (١٩٩٣م)، ص١٧٩ ـ ١٨١ .

(٢٧) عاشور ، بعض أضواء جديدة على ابن عساكر والمجتمع الدمشقى فى عصره ، ضمن أعمال ندوة ابن عساكر ، دمشق (١٩٧٩م)، ص٢٣٢ .

أما عن مواضع النزهة بمدينة القاهرة فمن أشهرها نهر النيل والبرك والقرافة (الجبانة) والميادين ، حيث اعتاد الناس الخروج إلى هذه المواضع التى كانت من المتنزهات كما يستدل من المصادر التاريخية ومشاهدات الجغرافيين والرحالة فها هو ابن دقماق يصف جزيرة الروضة بأنها غدت « فرجا ومتنزهات »[(٢٨)] ووصفها الرحالة المغربى ابن بطوطة بأنها « مكان النزهة والتفرج »[(٢٩)].

ومن أشهر البرك التى كان لها دورها فى الحياة الاجتماعية كموضع من مواضع النزهة كل من بركة الحبش (البساتين وأثر النبى حاليا) وبركة الرطلى وبركة الأزبكية[(٣٠)].

أما الميادين فمن أشهرها أيضًا ميدان الرميلة (ميدان صلاح الدين أسفل القلعة بحى الخليفة جنوب القاهرة) والميدان الناصرى على النيل (ويمثل موقعه الآن جزء من حى جاردن سيتى بالقاهرة)[(٣١)].

وكما اهتم المصريين بنهر النيل وفيضانه لارتباط حياتهم به كذلك حرصوا على أن يقيموا الأعياد المختلفة فى مواسم معينة من السنة بعضها لاعتقادهم أنها تجلب فيضانا مناسبا والبعض الآخر احتفالاً بالوفاء وتمام الزيادة المطلوبة ومن هذه وتلك ورد فى المصادر التاريخية المختلفة ذكر أربعة أعياد منها عروس النيل وليلة الغطاس (وهو من الأعياد المسيحية ومع ذلك كان من الاحتفالات الكبيرة لجميع المصريين من مسلمين ونصاري)[(٣٢)] وقد وصف ابن أبى السرور البكرى هذه الليلة بأنها « أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سروراً ولا تغلق فيها الدروب ويغطس أكثرهم فى النيل

---

(٢٨) ابن دقماق ، الانتصار ، ق٤ ، ص١١٠ .

(٢٩) ابن بطوطة ، الرحلة ، ص٧٠ ؛ عاشور ، المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، القاهرة (١٩٦٢م)، ص١٠٢ - ١٠٣ .

(٣٠) المقريزى ، الخطط ، ؛ كيلانى ، محمد سيد ، فى ربوع الأزبكية ، دار الفرجانى ، ط٢ (١٩٨٥م)، (١٢٠ صفحة)، ولمزيد من التفاصيل انظر ، الششتاوى ، محمد ، متنزهات القاهرة فى العصرين المملوكى والعثمانى ، القاهرة (١٩٩٨م) .

(٣١) الششتاوى ، ميادين القاهرة فى العصر المملوكى ، القاهرة (١٩٩٩م)، ص٣٤ - ٣٧ ، ٧٣ .

(٣٢) المناوى ، محمد حمدى ، نهر النيل فى المكتبة العربية ، القاهرة (١٩٦٦م)، ص١٥٤ - ١٦٥ .

ويزعمون أن ذلك أمان من المرض ونشرة من الدواء »[٣٣].

ومنها عيد الشهيد وكان من أنزه فرج مصر وقد أبطل نهائيا عام ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م وأحرق التابوت الذى به الأصبع وذرى رماده فى النيل .

أما أعظم هذه الاحتفالات فهو الاحتفال بوفاء النيل وكسر السد وتخليق مقياس النيل بجزيرة الروضة[٣٤].

ولم يقف الأمر عند ذلك الحد بل نرى الناس قد اهتموا اهتماما بالغا باستغلال النيل والتنعم بمناظره وهوائه فزرعوا على شواطئه الحدائق الغناء الغنية بأشجارها ولجأ بعضهم ولا سيما أيام الفيضان صيفا - إلى استئجار القوارب والسفن واستصحاب المغانى وجوقات العوالم معهم ، وتمتعت بولاق أيضًا بشهرة واسعة فى ميدان اللهو والتنزه فقصدها الناس وأقاموا فيها الأخصاص (وتقوم مقامها فى أيامنا الشاليهات والكبائن) وزرعوا حولها الرياحين وزينوها بالرخام وأنواع الدهانات حتى بلغ ما ينفق على الخص الواحد منها بين ألفين وثلاثة ألاف درهم ، وهناك اعتاد أن يزدحم المتنزهون من الرجال والنساء ويتبعهم عدد عظيم من الباعة فيختلط الناس فى غير كلفة أو حجاب[٣٥] حيث ينكشف ستر الحياء ؛ وهو الأمر الذى أثار الفقهاء ورجال الدين فنادوا بمنع النساء من الخروج على ذلك الوجه السافر سواء فى مواضع النزهة أو فى الأسواق أو غيرها كما حدث فى سنوات كثيرة[٣٦].

أما القرافة (الجبانة) فقد كانت هى الأخرى من مواضع النزهة فيخرج إليها العامة والخاصة فى مختلف المناسبات ، فكان الناس يجتمعون عند جوسق المادرانى فى الأعياد ، وكانت الناس تهرع أيضًا إلى مسجد النارنج بالقرافة للتنزه كما كان

---

(٣٣) ابن أبى السرور البكرى ، قطف الأزهار من الخطط والآثار ، (مخطوطة محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٥٧ جغرافيا) ، ورقة ٤٣ ب .

(٣٤) ابن دقماق ، الانتصار ، ق٤ ، ص١١٥ ؛ سليم ، محمود رزق ، النيل فى عصر المماليك ، القاهرة (١٩٦٥م) ، ص٥٣ - ٦٧ ؛ قاسم ، قاسم عبده ، النيل والمجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، القاهرة (١٩٧٨م)، ص٤٣ - ٤٩ ؛ عاشور ، دراسات ، ص٢٧٠ .

(٣٥) عاشور ، المجتمع ، ص١٠٣ .

(٣٦) عبد الرازق ، أحمد ، المرأة فى مصر المملوكية ، القاهرة ، ط٢ ، (١٩٩٩م)، ص

مسجد تاج الملوك بالقرافة الكبرى مجتمع أهل مصر عنده في الأعياد والمواسم وليالي الوقود [٣٧].

ويذكر ياقوت الحموى أن القرافة « من نزه أهل القاهرة ومصر ومتفرجاتهم في أيام المواسم »[٣٨].

ويذكر ابن عبد الظاهر عن والده « كنا نطلع إليها ـ أى القلعة ـ قبل أن تسكن في ليالي الجمع نبيت متفرجين كما يبات في جواسق الجبل والقرافة »[٣٩].

ونظراً لاجتماع الرجال بالنساء أثناء زيارتهن للقرافة كانت تحدث الكثير من الرزائل والمفاسد وهو الأمر الذى أثار كثيراً من الفقهاء وحسبنا أن نشير إلى ابن الحاج فقد عاب على النساء أثناء ذهابهن إلى القرافة « ركوبهن على الدواب في الذهاب والرجوع ومس المكارى لهن وتحضينه للمرأة في اركابها وانزالها وحين مضيها يحصل يده على فخدها وتجعل يدها على كتفه مع أن يدها ومعصمها مكشوفان لا ستر عليهما سيما مع ما ينضاف إلى ذلك من الخواتم والأساور من الذهب والفضة أو هما معا مع الخضاب (الحنة) في الغالب وتقصد مع ذلك اظهار ذلك كله)[٤٠].

كما عاب ـ أى ابن الحاج ـ عليهن « مشيهن بالليل مع الرجال وكثرة الخلوات هناك وكثرة الدور المتيسرة وكشفهن لوجوهن وغيرها حتى كانهن مع أزواجهن خاليات في بيوتهن ، وينضم إلى ذلك محادثتهن مع الرجال الأجانب ومزحهن وملاعبتهن وكثرة الضحك مع الغناء في موضع الخشوع والاعتبار والذل »[٤١].

---

(٣٧) الحداد ، محمد حمزة ، موسوعة الجبانات المصرية في العصر الإسلامي ، المجلد الأول ، قرافة القاهرة ، الجزء الأول من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر المملوكي ، القسم الأول ، الدراسة الحضارية ، القاهرة (٢٠٠٣م)، ص٢١٧ ـ ٢٢٣ .

(٣٨) الحموى ، معجم البلدان ، مج٧ ، ص٤٣ .

(٣٩) ابن عبد الظاهر ، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، بيروت (١٩٩٦م)، ص١٣١ .

(٤٠) ابن الحاج ، المدخل ، مج١ ، ص٢٦٧ .

(٤١) ابن الحاج ، المدخل ، مج١ ، ص٢٦٧ ـ ٢٦٨ .

وقد صدق من قال :

تعجبـــت مـــن أمـــر القرافـــة

اذ غدت على وحشة الموتى قلبنا لها يصبو

إن القرافـــة قـــد حـــوت ضديـــن

من دنيا وأخـــرى فهـــى نعـــم المنـــزل

- دور المرأة فى الحياة العامة فى المجتمع الإسلامى :

المرأة هى الشطر الثانى فى المجتمع كما يقولون ، ولأمر يعلمه الله سبحانه وتعالى كانت الوصية بها خيراً أمًا وأختًا وبنتًا وزوجًا ، وبلغ الأمر مداه عندما أكد الرسول (ﷺ) ذلك مثنى وثلاث .

والحق ان المرأة المسلمة لم تكن غائبة عن الحياة وإنما شاركت الرجل فى بناء المجتمع ومارست دورها ضمن اطار القيم الإسلامية والرؤية الإسلامية الشاملة ؛ ولم تكن مجرد سلعة رخيصة للاستهلاك تنتهى إلى التحلل واهدار الكرامة باسم التحرر.

والحق ان المرأة المسلمة فى مرحلة صدر الإسلام قد بايعت وجاهدت رهاجرت ومرّضت وعلمت وكانت من رواة الأحاديث واستدركت أم المؤمنين عائشة (رضى الله عنها) على الصحابة ، وقدمت أم المؤمنين أم سلمة (رضى الله عنها) المشورة والرأى والحكمة للرسول (ﷺ) - الموحى إليه المستغنى عن الشورى بالوحى - فى صلح الحديبية عندما اختلطت الرؤية وكادت أن توقع فى الهلكة الأمر الذى شكل منعطفا تاريخيا وكانت له أبعاده الممتدة فى التاريخ الإسلامي[٤٢].

وهناك عدد كبير من الدراسات العربية الحديثة التى أبرزت دور المرأة فى الحياة

---

(٤٢) قرداش ، آمال ، دور المرأة فى خدمة الحديث فى القرون الثلاثة الأولى ، قطر (١٩٩٩م)، ص١٩ ، ١٧ (ومما له دلالته أن هذا الكتاب يعد من الكتب المهمة التى أبرزت بالأدلة الثبوتية دور المرأة فى خدمة الحديث النبوى الشريف خلال القرون الثلاثة الأولى بعد الهجرة) .

الإسلامية العامة خلال العصور التاريخية المتعاقبة[٤٣].

ولعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا أن هذا الدور ما يزال بحاجة إلى المزيد والمزيد من الدراسات التحليلية المتعمقة ولا سيما تلك التى تعنى بابراز الدور الإيجابى للمرأة فى التاريخ الإسلامي بدلا من التركيز على الدور السلبى للمرأة والذى لم يكن سوى استثناءاً للقاعدة .

ويمكن القول أنه رغم القيود الاجتماعية التى فرضتها التقاليد على المرأة فانها أسهمت بدور بارز يدل عليه ذلك العدد الضخم من تراجم النساء الذى تحتويه المصادر التاريخية وبخاصة كتب التاريخ المحلي والرحالة وكتب التراجم والطبقات من ذكر لنساء شهيرات أسهمن فى مختلف ألوان النشاط السياسي والفكرى والدينى والاجتماعي وخلدن أسماءهن ضمن مشاهير العصر ، وحسبنا أن المؤرخ السخاوى وحده أفرد جزءاً كاملا فى كتابه للنساء ذكر فيه ما يزيد عن الألف ترجمة لامرأة من شهيرات النساء اللائى توفين فى القرن ٩هـ/ ١٥م[٤٤].

فمن بين النساء اللائى تدخلن فى شئون الحكم وشاركن فى توجيه سياسة الدولة

---

(٤٣) حسبنا أن تشير إلى أحدث هذه الدراسات ومن بينها : حسن ، على إبراهيم ، نساء لهن فى التاريخ الإسلامي نصيب ، القاهرة (١٩٨١م)؛ عبد الرازق ، أحمد ، المرأة فى مصر المملوكية ، القاهرة (١٩٩٩م)؛ حبشى ، حسن ، صحابيات صنعن التاريخ ، القاهرة (٢٠٠٢م)؛ على ، وفاء محمد ، نفوذ النساء فى الدولة الإسلامية فى العراق ومصر ، القاهرة (١٩٨٦م)، عبد الكريم ، نريمان ، المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى ، القاهرة (١٩٩٣م)؛ على ، على السيد ، المرأة المصرية والشامية فى عصر الحروب الصليبية ، القاهرة (٢٠٠٢م) ؛ وهناك دراسات ركزت على موضوعات معينة منها ، محمود ، على السيد ، الجوارى فى مجتمع مصر المملوكية ، القاهرة (١٩٨٨م) ؛ الوكيل ، فايزة ، الشوار جهاز العروس فى مصر فى عصر سلاطين المماليك ، القاهرة (٢٠٠١م)؛ الحفنى ، محمود أحمد، ثلاثة أعراس أودت بخزانة الدولة إلى الافلاس ، القاهرة (١٩٦٨م)؛ المزينى ، عبد الرحمن سليمان ، الحياة العلمية فى القرنين السابع والثامن الهجريين ، المدينة المنورة (٢٠٠٣م)، ص٢٧٧ - ٢٨٦ ؛ العبيكان ، طرفة عبد العزيز ، الحياة العلمية والاجتماعية فى مكة فى القرنين السابع والثامن للهجرة ، الرياض (١٩٩٦م)، ص١٥٥ - ١٦٤ ؛ وهناك دراسة مطولة عن أعلام المكيات خلال العصر المملوكى قمنا بتحكيمها للنشر بمركز دراسات الخليج والجزيرة العربية بجامعة الكويت (قيد النشر) .

(٤٤) عاشور ، دراسات ، ص٢٧٥ ؛ السخاوى ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، المجلد ١٢، القاهرة (١٩٥٥م) .

أم البنين زوجة الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك والخيزران زوجة الخليفة العباسى محمد المهدى وأم الهادى والرشيد وزبيدة زوجة الرشيد وأم الأمين ، وقبيحة زوجة المتوكل وأم المعتز ، وشجى والدة الخليفة المقتدر بالله (العصر العباسي). وصبح أم هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر فى الأندلس (العصر الأموى فى الأندلس) وست الملك أخت الخليفة الفاطمى العزيز بالله وعمة الخليفة الحاكم بأمر الله (العصر الفاطمى).

وهناك نساء حاكمات ضربن النقود بأسمائهن أو بالقابهن ومنهن الملكة أروى الصليحية (فى اليمن) والسلطانة شجر الدر (فى مصر).

كذلك شاركت النساء بسهم وافر فى الحياتين العلمية والدينية كما هو الحال فى الفقه والحديث والرواية والسماع والاملاء والتدريس والنحو والوعظ ونظم الشعر والتصوف وتفيض المصادر التاريخية بأسماء الكثيرات منهن فى هذه المجالات جميعها ، وليست أدل على مكانة المرأة العلمية من الإشارة إلى أن الكثير من كبار المحدثين والفقهاء لم يروا حرجا فى الاعتراف بأنهم سمعوا من فلانة وفلانة من المحدثات وأن بعضهن أجزن لهم ، فالحافظ ابن عساكر فى دمشق يروى أنه سمع عن ملكه بنت داود وأنها أجازت له جمع حديثها والحافظ ابن حجر العسقلانى يذكر أنه حصل على اجازتين : الأولى من شمس بنت ناصر الدين محمد والثانية من خديجة بنت العماد الصالحية .

ولعل مما يبرز دورهن فى اثراء الحركة العلمية والتغلغل فيها قول السخاوى مترجما سارة بنت جماعة « ... ونزل أهل مصر بموتها فى الرواية درجة ».

وتلك المراسلات المدونة فى الضوء اللامع والتى كانت متبادلة بين مؤلفه ـ أى السخاوى ـ وفاطمة ابنة محمود الحنفية بم احتوت عليه من المطارحات الأدبية شعراً ونثراً(٤٥).

---

(٤٥) عاشور ، دراسات ، ص٢٧٥ ـ ٢٧٧ ؛ عز الدين ، محمد كمال الدين ، الحركة العلمية فى مصر فى دولة المماليك الجراكسة ، بيروت (١٩٩٠م) ، ص٩٤ ـ ٩٥ ؛ السلمى ، أبى عبد الرحمن (ت٤١٢هـ/ ١٠٢١م) ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ، تحقيق محمود محمد الطناحى ، القاهرة (١٩٩٩م) ؛ المزينى ، الحياة العلمية ، ص٢٧٧ ـ ٢٨٦ ؛ العبيكان ، الحياة العلمية ، ص١٥٥ ـ ١٦٤ .

أما عن بقية التفاصيل المتعلقة بدور المرأة وما يتصل بذلك من الموضوعات الأخرى كالشوار والزينة وابراز المفاتن والمستحدثات (الموضة) فى الملابس والزينة وغير ذلك فسوف نتطرق إليه تفصيلا واسهابا وتحليلا فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى).

ـ المؤسسات والمنشآت الاجتماعية :ـ

ازدانت المدن الإسلامية المتعددة بالعديد من المؤسسات والمنشآت التى نهضت بدور بارز جليل الشأن فى الحياة الاجتماعية فى دار الإسلام ، وحسبنا أن نركز فى هذا المقام على منشآت الرعاية الاجتماعية من الأسبلة ومكاتب السبيل والحمامات والبيمارستانات (المستشفيات) ولعل الظاهرة الواضحة هى أن هذه المنشآت قد استطاعت البقاء والاستمرار طويلا دون أن تتوقف عن أداء رسالتها عقب وفاة منشئيها وذلك بفضل نظام الأوقاف الذى ازدهر مع ازدهار الحضارة الإسلامية ، وقد هيأت هذه الأوقاف لتلك المنشآت صفة الاستمرار والدوام فقد ضمن لها دخلا ثابتا ومستمراً ، كما أن أداء هذه المنشآت كان مقننا تحكمه شروط الواقف والعرف السائد مما خرج بهذه المنشآت عن طابع الإحسان الفردى إلى التزام المجتمع والدولة .

ونضيف على ذلك فنقول أن هذه المنشآت الإسلامية كانت لها كل صفات وخصائص منشآت الرعاية الاجتماعية الحديثة وذلك من خلال انطباق المقاييس الحديثة لمنشآت الرعاية الاجتماعية وممارستها على الأنشطة والخدمات التى قدمتها المنشآت الإسلامية ، وعلى ذلك فقد كان للحضارة الإسلامية فضل السبق فى رفع شعار التكافل الاجتماعى ونجاحها فى تطبيقه تطبيقا ناجحا ومستمراً قبل أن تعرفه أوروبا وتطبقه بقرون عديدة(٤٦).

---

(٤٦) أبو الفتوح ، محمد سيف ، منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة حتى نهاية عصر المماليك ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، آداب سوهاج ، جامعة أسيوط (١٩٨٠م)، ص٤٦٣ ؛ ولمزيد من التفاصيل انظر ، محمد محمد ، الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر ٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٥١٧م، القاهرة (١٩٨٠م)، ص١٣١ ـ ١٧٧ .

ـ الأسبلة :ـ

تعد الأسبلة فرعا مهما من أفرع العمائر المدنية فى الحضارة الإسلامية وفى العمارة الإسلامية خاصة ويندرج ذلك الفرع تحت ما يمكن أن يطلق عليه اصطلاحا اسم العمائر أو المنشآت الخيرية وهو ما سوف نشير إليه فى الباب الثانى من هذا الكتاب المجّمل الذى بين أيدينا .

وكانت أسبلة الماء وهى التى كانت تعرف بالسقايات خلال القرون الخمسة الأولى للهجرة النبوية الشريفة قد انتشرت فى أقطار العالم الإسلامى انتشاراً كبيراً كما يستدل من خلال ما ورد فى المصادر التاريخية فضلا عن مشاهدات الجغرافيين والرحالة والأدلة الآثارية الباقية فى العديد من المدن الإسلامية حتى الآن .

فها هو الإمام الشافعى (ت٢٠٤هـ/ ٨١٩م) يذكر أنه « كان يشرب من سقايات كان يضعها الناس بين مكة والمدينة »(٤٧).

ويضيف المؤرخ الفاكهى فيقول « وبمكة فى فجاجها وشعابها من باب المسجد إلى منى ونواحيها ومسجد التنعيم نحو مائة سقاية منها لأبى أحمد الموفق بالله ثلاث سقايات فى ظهر جبل العيرة ومنها سقايتان لابن أبى الشوارب ، ومنها سقاية للحارث بن عيسى أبى غانم ومنها لأبى سهل محمد بن أحمد سقايتان ومنها سقاية للسلطان عند مسجد الشجرة وأخرى عند مسجد عائشة (رضى الله عنها) بالتنعيم وسائر ذلك للغرباء ولغيرهم من أهل مكة »(٤٨).

وعن سقايات صنعاء يذكر ابن رسته « وبقرب كل مسجد من مساجدهم إلا القليل منها سقاية فيها ماء السبيل ومغتسل ومتوضئ كلٌ مصهرج وفيه طاق كبير قد عقد من حجارة بقرب الجزارين ... »(٤٩).

---

(٤٧) الشافعى ، أبى عبد الله محمد بن إدريس ، كتاب الأم ، جـ٣ ، طبعة بولاق (١٩٠٣م)، ص٢٧٩ .

(٤٨) الفاكهى ، أبى عبد الله محمد بن إسحاق ، من علماء ق٣هـ/ ٩م ، أخبار مكة فى قديم الدهر وحديثه، جـ٣ ، تحقيق عبد الملك بن دهيش ، مكة المكرمة (١٩٨٧م)، ص٩٧ ؛ ولمزيد من التفاصيل انظر كتابنا الأسبلة فى العمارة الإسلامية بمكة المكرمة والمدينة المنورة (وهو الجزء الرابع من سلسلة العمارة الإسلامية فى الجزيرة العربية)، القاهرة (٢٠٠٤م)، (صفحة فضلا عن الأشكال واللوحات) .

(٤٩) ابن رسته ، أبى على أحمد بن عمر ، الاعلاق النفيسة ، بيروت (١٩٨٨م)، ص١٠٧ ؛ ومما له دلالته أن هذه السقايات قد اشتهرت فى اليمن باسم المحسنة . الحجرى ، مساجد صنعاء ، ص٦ ، ٣٠ .

وعن القدس يذكر المقدسى « وقلّ دار ليس بها صهريج أو أكثر وقل حارة إلا وفيها جب مسبل »[٥٠].

وعن القيروان يذكر البكرى « وخارج القيروان خمسة عشر ماجلا للماء سقايات لأهلها منها من بنيان هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥هـ/ ٧٢٣ - ٧٤٢م) وغيرها وأعظمها شأنا ما جل إبراهيم الأغلبى ... »[٥١].

وعن سبتـه يذكر الأنصارى السبتى « وعدد السقايات خمس وعشرون سقاية... »[٥٢].

وعن دمشق يذكر ابن عساكر أن بها « إحدى وعشرين سقاية داخل السور وسبعا فى أرباض دمشق خارج السور »[٥٣].

وعن بغداد يذكر الرحالة التركى أوليا چلبى أن بها مائة سبيل ومائتى چشمة ولم يتبق منها سوى ٤٣ ترجع كلها إلى العصر العثماني[٥٤].

وعن سمرقند يذكر الجغرافيين والرحالة ما نصه « وقلّ ما رأيت خانا أو طرف سكة أو محلة أو مجمع ناس فى الحائط بسمرقند يخلو من ماء جمد مسبّل وقد أخبرنى من يرجع إلى خبره أن بسمرقند فى المدينة وحيطانها فيما يشتمل عليه السور الخارجى زيادة على الفى مكان يسقى فيها ماء الجمد مسبلا ما بين سقاية مبنية وجباب نحاس منصوبة وقلال خزف مثبتة فى الحيطان مبنية »[٥٥].

---

(٥٠) المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص١٦٧ .

(٥١) البكرى ، المغرب ، ص .

(٥٢) الأنصارى السبتى ، محمد بن القاسم ، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبته من سنى الآثار ، تحقيق عبد الوهاب بن منصور ، الرباط (١٩٩٦م)، ص٣٩ - ٤٠ .

(٥٣) عاشور ، بعض أضواء جديدة ، ص٢٢٥ .

(٥٤) عن : رؤوف ، عماد عبد السلام ، تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة فى بغداد ، بغداد (١٩٧٩م)، ص٧٩ ؛ وعن الأسبلة البغدادية انظر ، رؤوف ، معالم بغداد فى القرون المتأخرة ، بغداد (٢٠٠٠م)، ص٢٦٧ - ٢٧٣ .

(٥٥) الاصطخرى ، أبى اسحق إبراهيم بن محمد ، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر الحينى ، القاهرة ، ط٢ (٢٠٠٤م)، ص١٦٣ ؛ بن حوقل ، أبى القاسم ، صورة الأرض ، القاهرة ، ط٢ ، د ت ، ص٣٨٦؛ متز ، الحضارة الإسلامية ، جـ٢ ، ص٢٧٧ - ٢٧٨ .

أما فى مصر فقد انتشرت هذه الأسبلة انتشاراً كبيراً ولا سيما خلال العصرين المملوكى والعثمانى وعهد أسرة محمد على وهو ما يستدل عليه من المصادر التاريخية المختلفة ووثائق الوقف الكثيرة التى ترجع إلى هذه العصور فضلاً عن الأدلة المادية الآثارية التى لا تزال باقية بمدينة القاهرة حتى الآن فضلاً عن بعض المدن المصرية الأخرى ومنها طنطا ورشيد(٥٦).

ولعل فى هذا القدر ما يكفى للدلالة على مدى انتشار هذه الأسبلة أو السقايات فى المدن الإسلامية المختلفة بدار الإسلام وأنها لم تكن تقتصر على الاقطار الحارة فحسب كما هو شائع فى العديد من الدراسات المنشورة وإنما انتشرت فى الأقطار الباردة كذلك .

وعن تسبيل الماء وتوزيعه فى أسبلة القاهرة فقد كان يتولى ذلك المزملاتى ، ويعاونه عدد من السبلجية ولا سيما خلال العصر العثمانى وكان يشترط فيمن يتولى أمر هذه الوظيفة شروطا خلقية وخُلقية كأن يكون سالما من العاهات والأمراض وأن يسهل الشرب على الناس ويعاملهم بالحسنى والرفق ليكون أبلغ فى ادخال الراحة على الواردين صدقة دائمة وحسنة مستمرة(٥٧) .

كذلك يلاحظ ثمة مواقيت حددت لتسبيل الماء فكانت عملية التسبيل تستمر غالبا طوال النهار من شروق الشمس حتى غروبها ؛ وربما استمرت فى بعض المدن من بعد الغروب إلى أن تمضى حصة من الليل عندما يأوى الناس إلى مساكنهم وتنقطع الرجل عن الطرقات ، أما فى شهر رمضان فكان تسبيل الماء يستمر من وقت الغروب إلى ما بعد صلاة التراويح ثم من وقت التسبيح إلى الفجر .

---

(٥٦) نويصر ، حسنى محمد ، مجموعة سبل السلطان قايتباى بمدينة القاهرة ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة القاهرة (١٩٧٠م)؛ زكى ، عبد الرحمن ، الأسبلة الأثرية فى مدينة القاهرة ، مجلة كلية الآثار ـ جامعة القاهرة (١٩٧٧م)؛ الحسينى ، محمود حامد ، الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة ، القاهرة (١٩٨٨م)؛ أبو طربوش، محمد هاشم ، أسبلة القرن التاسع عشر فى القاهرة، رسالة ماجستير، غير منشورة ، آداب سوهاج ، جامعة جنوب الوادى (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)؛ فضلاً عن دراساتنا عن أسبلة القاهرة فى العصرين المملوكى والعثمانى فى كل من ندوة الفيوم وندوة أندريه ريمون (٢٠٠٤م) وموسوعتنا عن العمارة الإسلامية فى مصر من الفتح العثمانى إلى نهاية عصر محمد على.

(٥٧) عاشور ، دراسات ، ص٢٩٢ ؛ أمين ، الأوقاف ، ص١٥١ ـ ١٥٢ ؛ الحسينى ، الأسبلة العثمانية ، ص٣٠٣ ـ ٣٠٧ ، ٣٥٤ ؛ أبو الفتوح ، منشآت الرعاية الاجتماعية ، ص٤٤١ ـ ٤٤٢ .

أما عن عمارة هذه الأسبلة وطرزها وأنماطها وسماتها المعمارية والفنية فسوف نتطرق إليها اجمالا فى الباب الثانى من هذا الكتاب المجّمل الذى بين أيدينا ؛ على أن نعود إليها تفصيلا واسهابا وتحليلا فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

ـ مكاتب السبيل :ـ

تعد من أبرز منشآت الرعاية الاجتماعية فى الحضارة الإسلامية ، وقد انتشرت فى الأقطار الإسلامية انتشاراً كبيراً ، وقد عرفت بمكاتب الصبيان أو مكاتب الأيتام أو الكتاتيب أو مكاتب السبيل ، أما فى الغرب الإسلامى فقد عرفت باسم المحاضر (ومفردها محضرة) فها هو ابن جبير يصف ما قام به السلطان صلاح الدين الأيوبى بقوله « ومن مأثره ـ أى صلاح الدين ـ الكريمة المعربة عن اعتنائه بأمور المسلمين كافة أنه أمر بعمارة محاضر (مكاتب أو كتاتيب) الزمها معلمين لكتاب الله عز وجل يعلمون أبناء الفقراء والأيتام خاصة وتجرى عليهم الجراية الكافية لهم »[٥٨].

وقام ابن جبير بزيارة مدينة دمشق وشاهد فيها مكتبا للأيتام وصفه بقوله «وللأيتام من الصبيان محضرة كبيرة بالبلد لها وقف كبير يأخذ منها المعلم ما يقوم به وينفق منه على الصبيان ما يقوم بهم ويكسوتهم وهذا أيضًا من أغرب ما يُحدَّث به من مفاخر هذه البلاد ...»[٥٩].

ويذكر صاحب الفتاش أنه كانت بمدينة تمبكت فى عهد (اسكيا) مائة وخمسون أو ثمانون مكتبا لتعليم الصبيان القرآن الكريم وتارة يسميها المدارس ولكن السعدى يعبر عنها فى كتابه تاريخ السودان باسم محضر (وهى التسمية الشائعة فى الغرب الإسلامى كما سبق القول) وكان التلميذ يعرف باسم المحضرى[٦٠].

ومن أمثلة مكاتب السبيل بالقاهرة المكتب الذى أمر بانشائه السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى بجانب مدرسته بين القصرين (المدرسة الظاهرية العتيقة) وقرر لمن

---

(٥٨) رحلة ابن جبير ، تحقيق حسين نصار ، القاهرة (١٩٩٢م)، ص٤٩ .

(٥٩) رحلة ابن جبير ، ص٣٤٢ .

(٦٠) انظر بحثنا عن تاريخ الثقافة الإسلامية والتعليم فى السودان الغربى ، مجلة الدارة ، العدد ٢ ، السنة ١٩ ، محرم ـ ربيع الأول ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م ، ص٢٤٨ ، ٢٥٨ .

فيه من أيتام المسلمين الخبز فى كل يوم والكسوة فى فصلى الشتاء والصيف(٦١)، ولا تزال بقايا هذا المكتب قائمة بل وتعد الجزء الوحيد الباقى من المدرسة الظاهرية وهو الجزء الذى يرى البعض خطأ أنه سبيل الظاهر بيبرس كما سنشير فيما بعد .

ومنها مكتب السبيل الذى أنشأه السلطان المنصور قلاوون ومنها مكتب السبيل الذى أنشأه الأمير صرغتمش بدهليز مدرسته بشارع الخطيرى بالصليبية(٦٢).

وكانت بعض هذه المكاتب تخصص لتعليم الأناث ومنها المكتب أعلى سبيل حسن أغا كوكليان بشارع سوق السلاح بالقاهرة المعد لتعليم الإناث(٦٣).

ولم يقف الأمر عند حد توفير الطعام والكسام والمعلوم الشهرى للأيتام فحسب وإنما تعدى ذلك إلى توفير أدوات الكتابة نفسها من أقلام ومداد وأوراق وغير ذلك .

وكان يقوم بتعليم الأيتام معلم يطلق عليه عادة المؤدب أو الفقيه وكان يشترط فيه شروطا خلقية واجتماعية منها أن يكون خيراً دينا ذا عقل وعفة متزوجا أمينا على أطفال المسلمين ، صحيح العقيدة حافظا لكتاب الله العزيز ، وكان يساعد المؤدب العريف وتشترط فيه نفس الشروط التى يجب توافرها فى المؤدب .

وكان هؤلاء الأطفال يتعلمون فى المكاتب القرآن الكريم والخط العربى والهجا والاستخراج والآداب(٦٤).

---

(٦١) ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر ، ص٩٠ ؛ المقريزى ، السلوك ، جـ١ ، ق٢ ، القاهرة ، ط٢ (١٩٥٧م)، ص٥٠٤ .

(٦٢) بيبرس المنصورى ، التحفة المملوكية ، ص١١١ ؛ الحداد ، محمد حمزة ، السلطان المنصور قلاوون ، ص٥٤ ـ ٥٥ ؛ أمين ، الأوقاف ، ص٢٦٢ ـ ٢٦٣ .

(٦٣) حجة وقف حسن اغا كوكليان الشهير ببليفيا ، (أوقاف رقم ٢٢٤٣) .

(٦٤) عاشور ، دراسات ، ص٢٨٣ ؛ أمين ، الأوقاف ، ص٢٦٣ ـ ٢٧٥ ؛ ولمزيد من التفاصيل انظر ، صبرة، آدم ، الفقر والإحسان فى مصر عصر سلاطين المماليك ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، القاهرة ، (٢٠٠٣م)، ص ١٣٦ ـ ١٤٢ ؛ الحجى ، حياة ناصر ، صور من الحضارة العربية الإسلامية فى سلطنة المماليك ، الكويت (١٩٩٢م)، ص١٨٧ ـ ١٩٠ ؛ عبد العاطى ، عبد الغنى محمود ، التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك ، القاهرة ، ط٢ (٢٠٠٢م) ، ص٩١ ـ ١١٢ .

كذلك كان على المؤدب أن يعامل هؤلاء الأطفال بالاحسان والتلطف والاستعطاف فيما يرغبهم به في الاشتغال ومن أتى منهم بما لا يليق أدبه بفعل ما أباحه له الشرع الشريف ولا يضرب الضرب المبرح وغير ذلك مما ورد في وثائق الوقف المختلفة وهو ما سوف نعود إليه ولغيره مما يرتبط بموضوع مكاتب السبيل في كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى).

أما عن عمارة مكاتب السبيل الباقية حتى الآن فسوف نتطرق إليها اجمالاً في الباب الثاني من هذا الكتاب ؛ على أن نعود إليها تفصيلا واسهابا وتحليلا في كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

ـ الحمامـات :ـ

قامت الحمامات العامة بدور بارز جليل الشأن في الحياة الاجتماعية في الأقطار الإسلامية في المشرق والمغرب على السواء ، ويمكن أن نجمل أهمية الحمامات في ذلك الوقت في النقاط التالية :

١ ـ لم تكن الحمامات مجرد مكان أو منشأة لنظافة البدن وطهارته مع لذلك من معانٍ ودلالات اجتماعية .

٢ ـ كان دخول المريض الحمام ايذانا بشفائه أو دليلا على برئه .

٣ ـ كانت زفة العروس لا بد أن تخرج من الحمام وهو ما يعد احتفالا عائليا لا ينسى للعروسين والأهل والأحباب ، فضلا عن حفلات الختان للأطفال .

٤ ـ كان الحمام موضعا لعلاج الكثير من الأمراض كالبرص والجذام والروماتيزم .

٥ ـ كانت الحمامات بمثابة الأندية الاجتماعية الحالية حيث تحرص غالبية النساء على الذهاب إليها بمفردها أو مع صويحباتها فيتناقلن أخبار الحي والناس ، ويقصصن على بعضهن كثيراً من أخبارهن وحياتهن المنزلية ، وإلى الحمام كانت تتجه المرأة بأفخر ثيابها وأنفس حليها لتلبسها بعد الاستحمام حتى يراها غيرها فتقع المفاخرة والمباهاة ، فضلا عن أن النساء كن يحرصن على أن يأخذن الشعر الزائد في الوجه والجسد بالتحفيف وشعر الحاجب بالمساواة والزينة على يد البلانة والنساء في هذا المقام أشد تهالكا من الرجال على حد قول ابن الأخوة . والحمامات في هذه

الحالة كانت أشبه بمعاهد التجميل والنوادى الصحية الحالية[٦٥].

٦ ـ كانت الحمامات موضعا ملائما ومكانا مناسبا بعيداً عن أعين الرقباء لوضع الخطط وتدبير المؤامرات والاغتيالات وفى المصادر التاريخية اشارات كثيرة حول هذا الموضوع فى المشرق والمغرب على السواء وهو ما سوف نعود إليه دراسة لاحقة (بمشيئة الله تعالى) .

هذا وقد انتشرت الحمامات فى الأقطار الإسلامية في المشرق والمغرب على السواء فابن جبير يذكر عن حمامات بغداد ما نصه « وأما حماماتها فلا تحصى عدة ، ذكر لنا أحد أشياخ البلد أنها بين الشرقية والغربية نحو الألفى حمام وأكثرها مطلية بالقار مسطحة به فيخيل للناظر أنه رخام أسود صقيل ، وحمامات هذه الجهات أكثرها على هذه الصفة لكثرة القار عندهم لأن شأنه عجيب يُجلب من عين بين البصرة والكوفة وقد أنبط الله ماء هذا العين ليتولد منه القار فهو يصير فى جوانبها كالصلصال فيجرف ويجلب وقد انعقد فسبحان خالق ما يشاء لا إله سواه »[٦٦].

ويذكر ابن جبير عن دمشق « وبهذه البلدة أيضًا قرب مئة حمام فيها وفى أرباضها »[٦٧].

أما ابن عساكر فقد أشار إلى أن حمامات دمشق فى عهده تبلغ نحو سبعة وخمسين حمامًا .

ومن الثابت أن حمامات الشام بوجه عام قد استرعت أنظار الفرنج ودهشتهم واعجابهم بها فى عصر الحروب الصليبية فتردد بعضهم عليها للاستحمام على نحو

---

(٦٥) عاشور ، دراسات ، ص٢٩٦ ـ ٢٩٧ ؛ عبد الرازق ، المرأة ، ص١٤٣ ـ ١٤٤ ؛ أبو الفتوح ، منشآت الرعاية الاجتماعية ، ص١٦١ ـ ١٦٩ .

(٦٦) رحلة ابن جبير ، ص٢٨٣ ؛ وعن حمامات بغداد فى العصر العباسي وما قيل فيها من أقوال ومبالغات، انظر ، الصابى ، هلال (ت٤٤٨هـ/ ١٠٥٦ م)، رسوم دار الخلافة ، بغداد (١٩٦٤م)، ص١٩ ـ ٢١ ؛ عواد ، ميخائيل ، صور مشرقة من حضارة بغداد فى العصر العباسي ، بغداد ، ط٢ (١٩٨٦م)، ص١٠٥ ـ ١٠٩ ؛ ناجي ، عبد الجبار ، البهادلي ، حسين داخل ، بغداد فى كتابات الرحالة العرب والأجانب ، بغداد (٢٠٠٣م)، ص١٨١ ـ ١٨٢ ؛ وعن الحمامات البغدادية فى القرون الأخيرة . انظر ، رؤوف ، معالم بغداد ، ص٢٦٠ ـ ٢٦٦ .

(٦٧) رحلة ابن جبير ، ص٣٦٥ .

ما ورد فى كتاب الاعتبار لاسامة بن منقذ ، وعن طريق الفرنج فى بلاد الشام انتقلت هذه الظاهرة إلى الغرب الأوروبي(٦٨).

وفى قرطبة بلغ عدد الحمامات العامة فى عهد عبد الرحمن الناصر ثلاثمائة حمام ثم زاد زيادة كبيرة فى عهد المنصور محمد بن أبى عامر فبلغ سبعمائة حمام فى قول وتسعمائة حمام فى قول آخر و ٣٩١١ حمامًا فى قول ثالث ، وأيا ما كان الرقم الصحيح فإن هذه الأرقام تعبر عن كثرة الحمامات العامة وتسابق الناس على بنائها فى قرطبة(٦٩).

أما مصر فقد انتشرت فيها هى الأخرى الحمامات بدرجة كبيرة فالفسطاط كان يوجد بها ألف ومائة وسبعون حماما وكان من بينها حمام جنادة فى القرافة الذى ما كان « يتوصل إليه إلا بعد عناء من الزحام وإن قبالة الحمام فى كل يوم جمعة خمسمائة درهم التى تساوى اثنين وأربعين ديناراً إلا ثلثا لأن الدينار كان صرفه يوم ذاك اثنى عشر درهما »(٧٠).

وليس أدل على عظمة الحمامات المصرية فى العصر الأيوبى من وصف الرحالة والطبيب العراقى عبد اللطيف البغدادى بقوله « وأما حماماتهم فلم أشاهد فى البلاد أتقن منها وصفا ولا أتم حكمة ولا أحسن منظراً ومخبراً ... جاماته مختلفة الألوان صافية الأصباغ بحيث إذا دخله الإنسان لم يؤثر الخروج منه لأنه إذا بالغ بعض الرؤساء أن يتخذ داراً لجلوسه وتناهى فى ذلك لم تكن أحسن منه »(٧١).

وهناك عدد من العاملين فى الحمام من بينهم الحمامى والوقاد والقيم والسقاء والزبال والناطور والمزين ، وحسبنا أن نشير فى هذا المقام إلى الشروط التى يجب أن

---

(٦٨) عاشور ، دراسات ، ص٢٩٤ ـ ٢٩٥ ؛ ابن منقذ ، أسامة ، الاعتبار ، القاهرة (٢٠٠٢م)، ص١٣٥ ـ ١٣٦ .

(٦٩) العنانى ، كمال ، حمامات الأندلس ، ضمن أعمال المؤتمر الدولى الرابع للحضارة الأندلسية ، القاهرة (١٩٩٨م)، ص٦٨٤ ـ ٦٨٥ .

(٧٠) المقريزى ، الخطط ، جـ١ ، ص٣٣٠ ؛ ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ١ ، ص٤٣ ـ ٤٤ ، الحداد ، محمد حمزة ، قرافة القاهرة ، ص٥٧ .

(٧١) البغدادى ، عبد اللطيف ، الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، تحقيق بول غليونجى ، أعلام العرب ، القاهرة (١٩٨٥م)، ص١١٨ ـ ١١٩ .

تتوافر فى المزين فمنها أن يكون خفيفا رشيقا بصيرا بصنعته وأن يكون حديدة (الأمواس) رطبا قاطعا ولا يأكل ما يغير نكهته كالبصل والثوم والكرات فى يوم نوبته لئلا يتضرر الناس برائحة فيه عند الخلافة ، وأن لا يحلق شعر صبى إلا بإذن وليه وأن لا يحلق عذار أمرد ولا لحية مخنث(٧٢).

هذا ولا تزال الكثير من الحمامات الآثارية باقية فى المدن العربية والإسلامية فى اسيا وافريقيا وأوروبا ، وبعضها ما يزال يعمل ويؤدى دوره فى الحياة الاجتماعية ولا سيما فى الأحياء الشعبية ؛ ويحرص بعض الأثرياء فضلا عن السياح الأجانب على ارتيادها حتى اليوم .

أما عن عمارة الحمام وطرزها وأنماطها وسماتها المعمارية والفنية فسوف نتطرق إليها اجمالاً فى الباب الثانى من هذا الكتاب المجّمل ؛ على أن نعود إليها ولغيرها مما يتعلق بالحمام وأهميته وأرباب وظائفه فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى).

ـ البيمارستانات :ـ

البيمارستان (بفتح الراء وسكون السين) كلمة فارسية مركبة من مقطعين (بيمار) بمعنى مريض و عليل أو مصاب و (ستان) بمعنى مكان أو دار فهى إذاً دار المرضى ثم اختصرت فى الاستعمال فصارت مارستان ، وكانت البيمارستانات مستشفيات عامة تعالج فيها جميع الأمراض والعلل من باطنية وجراحية ورمدية وعقلية إلى أن أصابتها الكوارث ودار بها الزمن وحل بها البوار وهجرها المرضى فأقفرت إلا من المجانين حيث لا مكان لهم سواها ، ومن ثم صارت كلمة مارستان (أو مورستان) إذا سمعت لا تنصرف ، إلا إلى مأوى المجانين(٧٣) (وهو يعرف اليوم بمستشفى الأمراض العقلية والعصبية).

وقد نهضت هذه البيمارستانات بدور بارز جليل الشأن فى الحياة الاجتماعية فى الحضارة الإسلامية .

---

(٧٢) الشيزرى ، نهاية الرتبة ، ص٨٨ ؛ ابن الأخوة ، معالم القربة ، ص١٥٦ ؛ عاشور ، دراسات ، ص٢٩٦؛ أبو الفتوح ، منشآت ، ص١٨٣ ـ ١٨٥ .

(٧٣) عيسى ، أحمد ، تاريخ البيمارستانات فى الإسلام ، بيروت ، ط٢ (١٩٨١م)، ص٤ .

وكانت البداية بسيطة متواضعة تتناسب مع بساطة الدولة الإسلامية الناشئة فى عصر الرسول (ﷺ) إذ يذكر البخارى « ولما أصيب سعد بن معاذ (رضى الله عنه) فى اكحله فى يوم الخندق أو رسول الله أن تضرب له خيمة فى المسجد ليعوده من قريب ».

ويضيف ابن اسحاق فيذكر أن الذى كان يقوم على تمريضه وعلاجه امرأة اسمها رفيده من قبيلة أسلم وكان لها خيمة فى المسجد وكانت تداوى الجرحى ، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ويقول : وكان رسول الله (ﷺ) قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق : اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب »(٧٤).

وعلى ذلك تعد هذه الخيمة أول بيمارستان فى دار الإسلام وإن لم يطلق عليه هذا الاسم فى هذه المرحلة المبكرة من تاريخ الحضارة الإسلامية ، ويضيف أحمد عيسى فيذكر أن الرسول (ﷺ) هو أول من أمر بالبيمارستان الحربى المتنقل(٧٥).

أما أول بيمارستان حقيقى فى الحضارة الإسلامية فهو الذى أمر بانشائه الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك فى دمشق عام ٨٨هـ/ ٧٠٦م وجعل فيه الأطباء وأجرى لهم الأرزاق وأمر بحبس المجَذَّومين لئلا يخرجوا وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق(٧٦).

وانتشرت البيمارستانات فى الأقطار الإسلامية المختلفة ؛ وحسبنا أن نشير إلى بعضها فمنها فى مصر بيمارستان المعافر بالفسطاط وكان « فى خطة المعافر التى موضعها ما بين العامر من مدينة مصر وبين مصلى خولان التى بالقرافة بناه الفتح بن

---

(٧٤) صحيح البخارى ، جـ١ ، ص١١٩ ، جـ٥ ، ص٥١ ؛ ابن هشام ، السيرة ، جـ٣ ، ص١٤٥ ؛ الطبرى ، تاريخ الرسل ، جـ٢ ، ص٥٨٦ ؛ الكتانى ، التراتيب الإدارية ، جـ١ ، ص٤٥٣ ـ ٤٥٤ ؛ كحالة ، أعلام النساء ، جـ١ ، ص٤٥١ ، جـ٤ ، ص٢٤٥ ـ ٢٤٦ ؛ الوكيل ، محمد السيد ، الحركة العلمية فى عصر الرسول وخلفائه ، جده ، ط٥ (١٩٨٩م)، ص٩١ ـ ٩٢ ؛ السامرائى ، خليل إبراهيم، محمد، ثائر حامد ، المظاهر الحضرية للمدينة المنورة فى عصر النبوة ، الموصل (١٩٨٤م)، ص٦٩ .

(٧٥) عيسى ، تاريخ البيمارستانات ، ص٩ ـ ١٠ ؛ الديوه جى ، الموجز فى الطب الإسلامى ، ص٣٢ .

(٧٦) المقريزى ، الخطط ، المجلد الرابع ، جـ٢ ، ص٦٩١ .

خاقان فى أيام أمير المؤمنين المتوكل على الله (٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ) وقد باد أثره »[٧٧].

وأمر كافور الاخشيدى وهو قائم بتدبير دولة الأمير أبى القاسم أنوجور بن محمد الأخشيدى ببناء بيمارستان بمدينة مصر فى سنة ٣٤٦هـ/ ٩٧٨م إلا أنه لم يبق له أثر .

أما أشهر البيمارستانات التى أقيمت بمصر فى القرون الأربعة الأولى للهجرة فهو بيمارستان الأمير أحمد بن طولون ٢٥٩هـ/ ٨٧٣م إلا أنه لم يبق له أثر . وقد أنفق على هذا البيمارستان ومستغله ستين ألف دينار ، ولما «فرغ منه حبس عليه دار الديوان ودوره إلى الأساكفه والقيسارية وسوق الرقيق ، وشرط أن لا يعالج فيه جندى ولا مملوك وعمل فيه حمامين : احداهما للرجال والأخرى للنساء وحبسهما على البيمارستان وغيره ، وشرط أنه إذا جئ بالعليل تنزع ثيابه ونفقته وتحفظ عند أمين البيمارستان ثم يلبس ثيابا ويفرش له ويغدى عليه ويراح بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ فإذا أكل فروجا ورغيفا أمر بالأنصراف وأعطى ماله وثيابه »[٧٨].

هذا وقد بلغ من عناية ابن طولون بهذا البيمارستان أنه كان يتفقده بنفسه « فى كل يوم جمعة ، ويتفقد خزائن المارستان وما فيها والأطباء وينظر إلى المرضى وسائر الاعلاء والمحبوسين من المجانين » وظل على هذا الحال حتى غافله أحد المجانين ذات مرة ورماه برمانة عريشية ـ كان قد أمر له بها من ساعته ـ فى صدره فنضحت على ثيابه ولو تمكنت منه لأتت على صدره ، فلم يعاود البيمارستان بعد ذلك [٧٩].

ومما يحسب لابن طولون أيضًا أنه قد عمل فى مؤخر جامعه الشهير « ميضأة وخزانة شراب (صيدلية) فيها جميع الشرابات والأدوية وعليها خدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة »[٨٠].

---

(٧٧) المقريزى ، الخطط ، المجلد الرابع ، جـ٢ ، ص٦٩٢ .

(٧٨) المقريزى ، الخطط ، مج ٢ ، جـ١ ، ص٦٩١ ـ ٦٩٢ .

(٧٩) المقريزى ، الخطط ، مج٢ ، جـ١ ، ص٦٩١ ـ ٦٩٢ ؛ عيسى ، تاريخ البيمارستانات ، ص٧٠ ؛ أمين الأوقاف ، ص١٥٥ ـ ١٥٦ ؛ كاشف ، أحمد ابن طولون ، ص٢٥٣ .

(٨٠) المقريزى ، الخطط ، مج٢ ، جـ١ ، ص٦٩١ .

وعندما سقطت الدولة الطولونية عام ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م أخذ الشعراء على عاتقهم رثاء هذه الدولة وما تركت من جلائل الآثار ومنهم من رثى البيمارستان بقوله :

ولا تنس مارستانــه واتساعــه

وتوسعة الأرزاق للحول والشهـر

وما فيه مــن قُوَّامـه وكفاتــه

ورفقهم بالمعتفيـن ذوى الفقـر

فاللميت المقبـور حســن جهــازه

وللحى رفق فى علاج وفى جبر[٨١]

أما عن بيمارستانات بغداد فمنها بيمارستان للخليفة الرشيد وآخر للبرامكة عرف باسمهم ، وأنشأ الوزير على بن عيسى بن الجراح بيمارستانا فى محلة الحربية قرب مقبرة الإمام أحمد بن حنبل وأنفق عليه من ماله الشئ الكثير .

واشتهر البيمارستان الذى أسسه بدر غلام الخليفة المعتضد بالله العباسى بمحلة المخرم ، ومن طريف ما يحكى عن هذا البيمارستان أن النفقة عليه نقصت فى سنة من السنين فلما علم الوزير بذلك كتب إلى صاحب بيت المال قائلا « إنه لا بد من تعديل الحال فيه بل هو أحق بالتقدم على غيره لضعف من يلجأ إليه وعظيم النفع به إلى أن قال : وفى هذا الوقت خاصة مع الشتاء واشتداد البرد فاحتل بكل حيلة لما يطلق لهم ويعجل حتى يدفأ من فى البيمارستان من المرضى بالدثار والكسوة والفحم ويقام لهم القوت ويفصل لهم العلاج والخدمة وأجبنى بما يكون منك فى ذلك »[٨٢].

ومن البيمارستانات الأخرى بيمارستان الخليفة المقتدر بالله فى محلة باب الشام بالجانب الغربى من بغداد وقد عرف بالبيمارستان المقتدرى وكان ينفق عليه من ماله فى كل شهر مائتى دينار؛ وكذلك بيمارستان والدة الخليفة المقتدر فى سوق يحيي على شاطئ دجلة وكانت تنفق عليه بسخاء حتى بلغت النفقة ستمائة دينار فى كل شهر .

---

(٨١) الكندى ، الولاة ، ص٢٥٧ ؛ المقريزى ، الخطط ، مج٢ ، ص١٠٧ .

(٨٢) عواد ، صور مشرقة ، ص١١٢ ـ ١١٣ .

وأنشأ الوزير ابن الفرات بيمارستانا بدرب المفضل وكان ينفق عليه من ماله مائتى دينار فى كل شهر .

وأنشأ الأمير بجكم (ت٣٣٤هـ/ ٩٤٥م) بيمارستانا فى عام ٣٢٩هـ/ ٩٤١م فوق رابية جميلة على الشاطئ الغربى لدجلة كان فى موضعها قصراً للخليفة الرشيد من قبل ، وقد جدد هذا البيمارستان عضد الدولة البويهى فى عام ٣٦٨هـ/ ٩٧٨م وسمى باسمه وافتتحه وزوده بالأطباء والمعاجين والخُزان والبوابين والوكلاء والناطورين وغيرهم ونقل إليه من الأدوية والأشربة والعقاقير الشئ الكثير ، كما جمع إليه الأطباء من كل موضع فاجتمع فيه أربعة وعشرين طبيبا بينهم الطبائعى والجراح والكحال والمجبر ، وكان هذا البيمارستان ملجأ الكثير من المرضى والمساكين فى بغداد ثم قام باصلاحه وتجديده وتجهيزه الوزير عميد الملك[٨٣] (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) وأثناء زيارة الرحالة ابن جبير لبغداد عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م شاهد هذا البيمارستان ووصفه بقوله « المارستان الشهير ببغداد وهو على دجلة وتتفقده الأطباء كل يوم اثنين وخميس ويطالعون أحوال المرضى به ويرتبون لهم أخذ ما يحتاجون لأخذه وبين أيديهم قومه لذلك يتناولون طبخ الأدوية والأغذية وهو قصر كبير فيه المقاصير والبيوت وجميع مرافق المساكن الملوكية والماء يدخل إليه من دجلة »[٨٤].

ومن الملاحظ أن بيمارستانات بغداد العباسية كان يتم اختيار أحسن المواضع لبنائها فكانوا يختارون المواضع النزهة تحف بها الرياض والحدائق وكذلك الروابى المطلة على السهول الفسيحة ولذلك كانت أكثر البيمارستانات البغدادية تتوسط شاطئ دجلة فإن هذه المواضع موصوفة برقة الهواء وحسن المستشرف[٨٥].

وإذا ما انتقلنا إلى دمشق يقابلنا البيمارستان النورى الشهير ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م نسبة إلى السلطان نور الدين محمود بن السلطان عماد الدين زنكى .

وقد وصفه ابن جبير بأنه أكبر وأحفل من البيمارستان القديم ثم يضيف قائلا

---

(٨٣) عواد ، صور مشرقة ، ص١١٣ ـ ١١٦ ؛ عاشور ، دراسات ، ص٢٨٦ ـ ٢٨٧ .

(٨٤) رحلة ابن جبير ، ص٢٧٨ ؛ ناجى ، بغداد فى كتابات الرحالة ، ص٢٠٩ .

(٨٥) عواد ، صور ، ص١١٦ .

« وجرايته في اليوم نحو الخمسة عشر ديناراً وبه قومه بايديهم الأزمة المحتوية على أسماء المرضى وعلى النفقات التي يحتاجون إليها في الأدوية وغير ذلك والأطباء يبكرون إليه كل يوم ويتفقدون المرضى ويأمرون باعداد ما يصلحهم من الأدوية والأغذية حسبما يليق بكل إنسان منهم ... »[٨٦].

وكان السلطان نور الدين محمود قد وقف هذا البيمارستان على الفقراء دون الاغنياء اللهم إذا لم يجد الأغنياء الدواء اللازم لهم إلا في هذا البيمارستان مما يؤكد الأهمية الاجتماعية لهذا البيمارستان ، ومن هذا المنطلق شرب السلطان نور الدين نفسه من دواء هذا البيمارستان[٨٧].

وأمر السلطان نور الدين محمود بانشاء بيمارستان آخر في حماه ومثله في حلب[٨٨].

ويقابلنا بيمارستان صلاح الدين الأيوبي بمدينة القاهرة وقد وصفه ابن جبير في رحلته بقوله « ومما شاهدناه أيضًا من مفاخر هذا السلطان المارستان الذى بمدينة القاهرة وهو قصر من القصور الرائقة حسنا واتساعا ، أبرزه لهذه الفضيلة تأجراً واحتسابا وعين له قيما من أهل المعرفة وضع لديه خزائن العقاقير ومكنه من استعمال الأشربة واقامتها على اختلاف أنواعها ووضعت في مقاصير ذلك القصر أسرة يتخذها المرضى مضاجع كاملة الكسى وبين يدى ذلك القيم خدمة يتكفلون تفقد أحوال المرضى بكره وعشية فيقابلون من الأغذية والأشربة بما يليق بهم وبازاء هذا الموضع موضع مقتطع للنساء المرضى ولهن أيضًا من يتكفلهن ويتصل بالموضعين المذكورين موضع آخر متسع الفناء فيه مقاصير عليها شبابيك الحديد اتخذت محابس للمجانين ولهم أيضًا من يتفقد في كل يوم أحوالهم ويقابلها بما يصلح لها ، والسلطان يتطلع هذه الأحوال كلها

---

(٨٦) رحلة ابن جبير ، ص٣٥٧ .

(٨٧) عاشور ، دراسات ، ص٢٨٧ .

(٨٨) عن هذه البيمارستانات النورية انظر ، عيسى ، تاريخ البيمارستانات ، ص٢٠٦ ـ ٢٢٩ ؛ شحادة ، كامل ، من مآثر نور الدين الزنكى العمرانية في حماه (البيمارستان النورى) ، الحوليات الأثرية العربية السورية ، المجلد ١٧ ، جـ١ ـ ٢ ، دمشق (١٩٦٧م)، ص٧٩ ـ ٩٤ .

بالبحث والسؤال ويؤكد في الاعتناء بها والمثابرة عليها غاية التأكيد[٨٩].

ووصف ابن جبير أيضًا بيمارستان صلاح الدين بالاسكندرية قائلا « ونصب لهم - أى السلطان صلاح الدين - مارستانا لعلاج من مرض منهم ووكل به أطباء يتفقدون أحوالهم وتحت أيديهم خدام يأمرونهم بالنظر فى مصالحهم التى يشيرون بها من علاج وغذاء وقد رتب أيضًا فيه أقوام برسم الزيارة للمرضى الذين يتنزهون - أى يترفعون - عن الوصول إلى المارستان المذكور من الغرباء خاصة وينهون إلى الأطباء أحوالهم ليتكفلوا بمعالجتهم »[٩٠].

أما أشهر البيمارستانات الإسلامية عامة والمصرية خاصة فهو البيمارستان المنصورى الذى أمر بانشائه السلطان المملوكى البحرى المنصور قلاوون بخط بين القصرين (شارع النحاسين سابقا والمعز لدين الله حاليا) بالقاهرة وذلك فيما بين ربيع الآخر ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م وشوال ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م ، وهذا يعنى أن بناءه قد إستغرق خمسة أشهر فحسب . وقد أشاد به عدد كبير من المؤرخين والرحالة ، ومن بين هؤلاء وأولئك حسبنا أن نشير إلى كل من ابن عبد الظاهر الذى ذكر أنه « مارستان عظيم الشأن لا تصل همة ملك إلى ابتناء مثله »، وابن شاكر الكتبى « البيمارستان العظيم الذى لم يكن مثله » والقلقشندى « المعروف العظيم الذى ليس له نظير فى الدنيا » وابن شاهين الملطى « ما بنى مثله فى الإسلام » من المؤرخين[٩١] .

أما الرحالة المسلمين فحسبنا أن نذكر ابن بطوطة ووصفه بقوله « يعجز الواصف عن محاسنه وقد أعد فيه من المرافق والأدوية ما لا يحصر ويذكر أن مجباه ألف دينار كل يوم »[٩٢].

---

(٨٩) رحلة بن جبير ، ص٤٨ .

(٩٠) رحلة ابن جبير ، ص٣٢ - ٣٣ .

(٩١) ابن عبد الظاهر ، تشريف الأيام ، ص٥٦ ؛ ابن شاكر الكتبى ، فوات الوفيات ، جـ٢ ، ص٢٧٠ ؛ القلقشندى ، صبح الأعشى ، جـ٣ ، ص٣٧٠ ، ابن شاهين الملطى ، نزهة الاساطين ، ص٧٩ ؛ الحداد ، محمد حمزة ، السلطان المنصور قلاوون ، ص١٣٣ - ١٣٤ .

(٩٢) رحلة ابن بطوطة ، ص٣٣ .

والبلوى المغربى ووصفه بقوله « ولو لم يكن للقاهرة ما تذكر به إلا المارستان وحده لكفاها وهو قصر عظيم من القصور الرائعة حسنا وجمالا واتساعا لم يعهد مثله بقطر من الأقطار أحسن بناء ولا أبدع إنشاء ولا أكمل انتهاء من الحسن والجمال »(٩٣).

ووصفه الرحالة التركى أوليا چلبى بقوله « مستشفى عظيم فى سرة القاهرة ... بناء عجيب لا نظير له فى بلاد الترك (الروم) والعرب والعجم فقد بنى على أسلوب لو اختل عقل امرئ عالجه الحكماء فارتد عاقلا ... ». ويضيف قائلا « وموجز القول أننا ما رأينا فى البلاد التى جبناها (زرناها) مستشفى عظيم البناء كهذا المستشفى »(٩٤).

ومما له دلالته أن هذا الرحالة التركى كان قد ألم به مرض نتيجة لحادث وقع له عقم بسببه واستمر على ذلك سبعة وعشرين عاما حتى جاء القاهرة وزار البيمارستان المنصورى وشرب من الترياق الفاروقى الذى يحضر به فتم شفاؤه وصح جسمه وقوى لحمه وشحمه حتى كان زملاؤه يكسرون عليه البندق ، وكان هذا الترياق يستخرج من سم الثعابين ويصنع مرة واحدة فى العام ويصدر من مصر إلى الخارج(٩٥).

هذا وقد وقف السلطان قلاوون هذا البيمارستان لعلاج جميع المسلمين من مختلف الطبقات العليا والدنيا على حد سواء ويتساوى فى الانتفاع منه الملك والمملوك والكبير والصغير والحر والعبد والذكر والانثى وهو ما تؤكده وثيقة الوقف بما نصه «وهذا البيمارستان ... لمداواة مرضى المسلمين الرجال والنساء من الأغنياء والمثرين والفقراء المحتاجين بالقاهرة ومصر وضواحيهما من المقيمين بهما والواردين إليها من البلاد والأعمال على اختلاف أجناسهم وأوصافهم وتباين أمراضهم وأوصابهم من أمراض الأجسام قلت أو كثرت اتفقت أو اختلفت وأمراض الحواس خفيت أو ظهرت واختلال العقول التى حفظها أعظم المقاصد والأغراض وأول ما يجب الاقبال عليه دون

---

(٩٣) البلوى ، خالد بن عيسى البلوى ، تاج المفرق فى تحلية علماء أهل المشرق ، (مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٠٥٣ جغرافيا)، ورقة ٤٥ ب، الحداد ، السلطان المنصور قلاوون ، ص١٣٤ - ١٣٥ .

(٩٤) أوليا چلبى ، سياحتنامة مصر ، ص٣٤٦ ، ٣٤٨ .

(٩٥) اوليا چلبى ، سياحتنامة مصر ، ص ٣٥٦ - ٣٥٨ ؛ الحداد ، السلطان المنصور قلاوون ، ص١٣٦.

الانحراف عنه والأعراض وغير ذلك مما تدعو حاجة الإنسان إلى صلاحه واصلاحه بالأدوية والعقاقير المتعارفة عند أهل صناعة الطب ... ».

وزيادة على ذلك تؤكد الوثيقة أن البيمارستان للجميع : « يدخلونه جموعا ووحدانا شيوخا وشبانا وبلغا وصبيانا وحرما وولدانا ، يقيم به المرضى الفقراء من الرجال والنساء لمداواتهم إلى حين برئهم وشفائهم ويصرف ما هو معد فيه للمداواة ويفرق للبعيد والقريب والأهلى والغريب والقوى والضعيف والدانئ والشريف والعلى والحقير والغنى والفقير والمأمور والأمير والأعمى والبصير والمفضول والفضل والمشهور والخامل والرفيع والوضيع والمترف والصعلوك والمليك والمملوك من غير اشتراط لعوض من الأعواض ولا تعريض بانكار على ذلك ولا اعتراض بل لمحض فضل الله العظيم ».

وكانت الرعاية الصحية لمرضى البيمارستان على أعلى مستوى بل ويفوق ما نراه فى الكثير من المستشفيات الاستثمارية الحديثة فى عصرنا الحاضر وهو ما يتضح فى النقاط التالية :

١ ـ يهيئ لكل مريض ما يلائمه من سرير وفرش حسب الحالة الصحية .

٢ ـ تزويد المريض يوميا بالمشموم .

٣ ـ يخصص لكل مريض أوانى فخارية لطعامه وأقداح زجاج لشرابه وأباريق فخار مع سرج وقناديل وزيت للوقود من أجل الاضاءة .

٤ ـ ضرورة صرف مراوح من الخوص ليستخدمها المرضى فى التخفيف من حرارة الصيف .

٥ ـ كان لكل مريض قائمة طعام خاصة لغذائه وعشائه حسب أوامر الطبيب المعالج .

٦ ـ ضرورة أن يكون هناك غطاء للأوانى التى يقدم فيها غذاء المرضى لمنع التلوث ، ويختص كل مريض باناء منفرد لغذائه دون مشاركة أحد من أجل الوقاية الصحية .

٧ ـ العلاج بالموسيقى حيث اشترط الواقف أن يحضر فى كل ليلة من أرباب الآلات أربعة يضربون بالعود حتى يساهروا الضعفاء وأجريت عليهم الجوامك (الرواتب) فى كل شهر .

٨ ـ تمت ممارسة الطب السريرى (الاكلينيكى) فى هذا البيمارستان حيث خصص فيه مكانًا لتدريس الطب ويقوم رئيس الأطباء بتدريس الطب لهم وهو نفس النظام المعروف حاليا بالمستشفيات الجامعية الحديثة .

٩ ـ تم فى هذا البيمارستان تطبيق نظام المناوبة (الوردية) بين الأطباء «يباشرون المرضى والمختلين الرجال والنساء بهذا البيمارستان مجتمعين ومناوبين باتفاقهم على التناوب أو باذن الناظر فى التناوب ». كما كان الأطباء يلتزمون بالمبيت فى كل ليلة بالبيمارستان مجتمعين أو متناوبين لمواجهة حالات الطوارئ .

١٠ ـ لم تستقر منفعة هذا البيمارستان على رعاية المرضى المقيمين فيه بل امتدت فشملت كذلك مرضى العيادة الخارجية والمرضى المستقرين فى منازلهم، وقد بلغ عدد المترددين فى قسم العيادة الخارجية حوالى أربعة ألاف نفس ، أما مرضى المنازل فقد تمتعوا بالرعاية الطبية والدواء والشراب والغذاء حتى زاد عدد مرضى المنازل فى بعض الأوقات على مائتى مريض .

١١ ـ كانت تصرف لمن يخرج معافى من هذا البيمارستان كسوة ، ومن مات جهز وكفن ودفن(٩٦).

والحق ان هذا البيمارستان كان علامة حضارية وانجازاً إنسانيًا مبكراً فى مجال الرعاية الاجتماعية والصحية قل أن يجود الزمان بمثلها .

وإذا ما انتقلنا إلى الغرب الإسلامى يقابلنا بيمارستان مراكش الذى أمر بانشائه السلطان أبى يوسف يعقوب (المنصور) بن يوسف بن عبد المؤمن وقد وصفه عبد الواحد المراكشى بقوله « وبنى بمدينة مراكش بيمارستانا ما أظن أن فى الدنيا مثله

---

(٩٦) الحداد ، محمد حمزة ، السلطان المنصور قلاوون ، ص١٢١ ـ ١٣٩ ؛ أمين ، محمد محمد ، وثائق وقف السلطان قلاوون على البيمارستان المنصورى (ملحق بكتاب تذكرة النبيه لابن حبيب ، جـ١ ، مطبعة دار الكتب القاهرة ، (١٩٧٦م)؛ الأوقاف ، ص١٥٧ ـ ١٧٠ ؛ عيسى ، تاريخ البيمارستانات ، ص١٣٤ ـ ١٤٩ ؛ الحجى ، صور من الحضارة العربية الإسلامية فى عصر سلاطين المماليك ، ص٢٠٩ ـ ٢٤٤ ؛ أبو الفتوح ، منشآت الرعاية الاجتماعية ، ص٨١ ـ ١٢٥ ، ١٤٤ ـ ١٥٤ .

وذلك أنه تخير ساحة فسيحة بأعدل موضع فى البلد وأمر البنائين باتقانه على أحسن الوجوه وأتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخارف المحكمة ما زاد على الاقتراح ... وأجرى له ثلاثين ديناراً فى كل يوم برسم الطعام وما ينفق عليه خاصة خارجا عما جلب إليه من الأدوية وأقام فيه من الصيادلة لعمل الأشربة والأدهان والأكحال وأعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء فإذا نقه (برئ) المريض فان كان فقيراً أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريثما يستقل وان كان غنيا دفع إليه ماله وتركته وسيبه ».

ويضيف المراكشى فيقول أن هذا البيمارستان لم يقتصر على الفقراء دون الأغنياء بل كل من مرض بمراكش من غريب حمل إليه وعولج الا أن يستريح أو يموت»(٩٧).

وفى الأندلس يقابلنا بيمارستان غرناطة وقد أمر بانشائه السلطان محمد الغنى بالله وقد وصفه ابن الخطيب بقوله « ومن مواقف الصدق والاحسان من خارق جهاد النفس بناء المارستان الأعظم حسنة هذه التخوم القصوى ومزية المدينة الفضلى ، لم يهتد إليه غيره من الفتح الأول مع توفر الضرورة وظهور الحاجة فأغرى به همة الدين ونفس التقوى فأبرزه موقف الأخذان ورحلة الأندلس وفذلكة الحسنات ، فخامة بيت وتعدد مساكن ورحب ساحة ودرور مياه وصحة هواء وتعدد خزائن ومتوضآت وانطلاق جراية وحسن ترتيب أبر على مارستان مصر بالساحة العريضة والأهوية الطيبة وتدفق المياه من فوارات المرمل وأسود الصخر وتموج البحر وانسدال الأشجار إلى موافقته اياى - أى ابن الخطيب نفسه - وتسويفه ما اخترعته باذنه ... »(٩٨).

---

(٩٧) المراكشى ، عبد الواحد بن على ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، مطبعة السعادة بمصر (١٣٢٤هـ)، ص١٩٠ - ١٩١ ؛ عيسى ، تاريخ البيمارستانات ٢٨٠ - ٢٨١ ؛ المنونى ، حضارة الموحدين ، الدار البيضاء (١٩٨٩م)، ص٩٢ - ٩٣ ؛ ملين ، محمد الرشيد ، عصر المنصور الموحدى ، الرباط ، ط٢ (١٩٩٦م)، ص١٧٨ .

(٩٨) ابن الخطيب ، الاحاطة ، جـ٢ ، ص٥٠ - ٥١ ؛ المغراوى ، رابح عبد الله ، تاريخ الأوضاع الحضارية لمملكة غرناطة من خلال كتاب الإحاطة فى أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب (٧١٣ - ٧٧٦هـ)، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، الرسالة ١٤٠ ، الحولية ٢٠ ، جامعة الكويت ، مجلس النشر العلمى (١٩٩٩ - ٢٠٠٠م)، ص٩٦ - ٩٨ .

أما عن بقية البيمارستانات فى دار الإسلام وغير ذلك مما يتصل بأهميتها فى الحياة الاجتماعية فى الحضارة الإسلامية فسوف نتطرق إليها تفصيلاً واسهابًا وتحليلاً فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

وبالنسبة لعمارة البيمارستانات الباقية وطرزها وأنماطها وسماتها المعمارية والفنية فسوف نتطرق إليها اجمالاً فى هذا الكتاب المجمل ؛ على أن نعود إليها تفصيلاً وتحليلاً فى كتابنا المفصّل المشار إليه (بمشيئة الله تعالى) .

الفصل الثالث

الحيـــاة الاقتصاديـــة

المبحث الأول : الزراعــة :

عنى الإسلام بالأرض وزراعتها واستصلاحها وهو ما يستدل عليه من المصدرين الرئيسيين للحضارة الإسلامية وهما القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ففى القرآن الكريم آيات كثيرة تتعلق بأهمية الماء والأرض والزرع والحرث والثمرات ومن بينها على سبيل المثال قول الحق سبحانه وتعالى ﴿ الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وأنتم تعلمون ﴾، وقوله عز وجل ﴿ أفرءيتم ما تحرثون أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون ﴾ .

وقوله عز من قائل ﴿ وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخيل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وأتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ﴾.

أما السنة النبوية الشريفة فقد اهتمت هى الأخرى بأهمية الأرض واحيائها وزراعتها ومن ذلك قول الرسول (ﷺ) « من أحيا أرضا ميته فهى له فان مات فهى لورثته وله أن يبيعها ان شاء »، وقوله (ﷺ) « ما من مؤمن يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طيراً أو بهيمة الا كان له به صدقة » .

كذلك لا تفوتنا الإشارة إلى الهدى النبوى الكريم الذى كان يوصى به قادة الفتوح ومن ذلك « انطلقوا باسم الله ... لا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا ولا صغيراً ولا امرأة ولا تغلو وضموا غنائمكم واصلحوا واحسنوا ان الله يحب المحسنين ... ولا تغورا عينا ولا تقطعوا شجرا الا شجراً ليضركم ولا تمثلوا بآدمى ولا بهيمة ولا تظلموا ولا تعتدوا ... »[(١)].

واستمر الهدى النبوى خلال عصر الخلفاء الراشدين فها هو الخليفة الأول أبو بكر

---

(١) عن الزراعة والأغذية فى المدينة المنورة فى عهد الرسول (ﷺ) انظر ، إدريس ، عبد الله عبد العزيز ، مجتمع المدينة فى عصر الرسول (ﷺ) الرياض ، ط٢ (١٩٩٢م)، ص٢٠٣ - ٢٠٨ ؛ آل الشيخ ، نورة عبد الملك إبراهيم ، الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى المدينة المنورة فى صدر الإسلام ، جدة (١٩٨٣م)، ص١١٨ - ١٣٣ ؛ وانظر أيضًا نصيف ، عبد الله ادم ، القنوات والقوانين الزراعية فى المدينة المنورة ، الكويت (١٩٨٨م)، ص٦٤٧ - ٦٧٣ ؛ الجميل ، محمد فارس ، الأطعمة والأشربة فى عصر الرسول (ﷺ) ، حوليات كلية الآداب ، الحولية ١٧ ، الرسالة ١١٤ ، جامعة الكويت (١٩٩٦ - ١٩٩٧م)، (١٣٨ صفحة) .

الصديق (رضى الله عنه) يوصى قادة الفتوح بقوله « لا تخونوا ولا تعلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا صغيراً ولا شيخًا كبيراً ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكله » .

ومن أقوال الخليفة الثانى عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) « اتقوا الله فى الفلاحين »[٢].

وعلى ضوء ما تقدم برزت أهمية الزراعة فى الحضارة الإسلامية نظراً لأهميتها فى الحياة الاقتصادية للدولة والرعية على السواء فها هو الماوردى يؤكد على ذلك بقوله «فأما المزارع فهى أصول المواد التى يقوم بها أود الملك وتنتظم بها أحوال الرعايا فصلاحها خصب وثراء وفسادها جدب وخلاء »[٣].

هذا وتزخر المصادر التاريخية المختلفة باشارات كثيرة تبين مدى اهتمام الحكام والأمراء ومن نهج نهجهم بتشجيع الزراعة وبذل الجهود الكبيرة لتطويرها وهو ما سوف نتطرق إليه اجمالا فى هذا الكتاب المجمّل ؛ على أن نعود إليه ولغيره مما يتصل بموضوع الزراعة وأهميته فى الحضارة الإسلامية فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

ومما له دلالته فى هذا الصدد أن التراث العلمى للحضارة الإسلامية يزخر بعدد كبير من المصادر العربية المتعلقة بالفلاحة والمياه والرى والنبات[٤]، وفيها شرح واف للأسس التى قامت عليها زراعة الأراضى وكيفية تنظيمها فى كافة الأقطار التى انضوت تحت رايات الحضارة الإسلامية سواء من حيث طرق استغلال الأرض أو الأساليب الزراعية أو عمال الزراعة أو الثروة الحيوانية أو الأدوات الزراعية [٥]؛ أو

---

(٢) زبود ، التاريخ ، ص ٧ ـ ٨ .

(٣) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص .

(٤) انظر على سبيل المثال ، صالحية ، محمد عيسى ، فليح ، عبد الله ، فهرس مخطوطات الفلاحة ـ النبات ـ المياه والرى ، الكويت (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، (٤٣٦ صفحة) ؛ اسهامات العرب فى علم الفلاحة ، الكويت (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، اسهامات العرب فى علم المياه والرى ، الكويت (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) اسهامات العرب فى علم النبات ، الكويت (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) وجميع هذه الدراسات هى نتاج الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب التى عقدت بالكويت من ١٠ ـ ١٤ ديسمبر ١٩٨٣م .

(٥) السبع ، محمد مروان ، أسس الزراعة ونظمها عند العرب ، ص٩٣ .

من حيث ما يتعلق بانباط المياه من باطن الأرض بواسطة الامارات الدالة على وجوده وهو ما عرف عند العرب بعلم الريافة الذى كان يعد من فروع علم الفراسة من جهة معرفة وجود المياه ومن فروع علم الهندسة من جهة حفر الآبار واصعاد مائها إلى أعلي[٦].

ومما يتصل بالزراعة ويرتبط بها أشد الارتباط العمل على اصلاح طرق الرى لتأمين مرافقها ومنابع ثروتها ويتجلى ذلك فى حفر الترع والأنهار والقنوات واقامة السدود والجسور وغير ذلك مما تفيض بذكره المصادر التاريخية المختلفة .

ولما كان المقام لا يتسع لذكر أمثلة كثيرة من هذه وتلك ولذلك حسبنا أن نشير إلى بعضها ، ولتكن البداية فى الحجاز حيث نشأت أولا الدولة الإسلامية ومن ذلك أن عثمان بن عفان (رضى الله عنه) فتح من وادى العقيق بالمدينة المنورة خليجا يسمى خليج بنات نائلة ليسقى الأرض التى امتلكتها بناته من زوجته نائلة ، وقيل أنه استعمل فيه ثلاثة الاف من سبى بعض الأعاجم .

وأنشأ عبد اللهٰ بن عمرو بن عثمان سداً على رانونا ليرفع الماء ويسقى مزارعه[٧].

وفى العصر الأموى أنشأ معاوية بن أبى سفيان سدوداً فى المدينة منها سد عنتر وسد الصهباء وسد الخنق ، كما اتخذ معاوية فى مكة عشرة حيطان ((بساتين) لكل منها عين ومشرعة وفى هذه الحيطان النخل والزرع ، فضلا عن سد معاوية بالطائف الذى ما يزال باقيا حتى اليوم ويعرف بسد سيسدو يؤرخ بعام ٥٨هـ/ ٦٧٧م[٨].

---

(٦) صالحية ، بحوث ومقالات فى الحضارة الإسلامية ، بيروت ، الكويت (١٩٨٨م)، ص٥ ـ ٦ .

(٧) العلى ، الحجاز فى صدر الإسلام ، دراسة فى أحواله العمرانية والإدارية ، بيروت (١٩٩٠م)، ص١٥٥ ـ ١٥٦ .

(٨) الأزرقى ، أبى الوليد محمد بن عبد الله ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، جـ٢ ، تحقيق رشدى الصالح ملحس ، بيروت (١٩٦٩م)، ص٢٢٧ ـ ٢٣٠ ؛ طراوى ، حجازى حسن ، مظاهر الاهتمام بالحج والحرمين الشريفين فى العصر الأموى ، القاهرة (٢٠٠٣م)، ص١٨٧ ـ ١٨٩ ؛ السيف ، عبد الله ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى نجد والحجاز فى العصر الأموى ، بيروت (١٩٨٣م)، ص٤٧ ـ ٥٨؛ الحداد ، محمد حمزة ، النقوش الآثارية ، المجلد الأول ، ص١٤٦ ـ ١٤٧ .

ولا شك أن ما قام به معاوية وغيره من خلفاء بني أمية وولاتهم من حفر الأبار والعيون وشق الطرق واقامة السدود فى العديد من المدن الحجازية انما يدل على مدى حرصهم على تشجيع الزراعة وبذل المحاولات الجادة لنموها وتحسينها وهو الأمر الذى نتج عنه فى النهاية توسع الرقعة الزراعية وزيادة الاقطاعات والملكيات الزراعية خاصة[٩].

أما عن مشاريع الرى فى المدن الإسلامية فنذكر منها ما تم فى العراق خلال عصر الخلفاء الراشدين من حفر الانهار وشق الجداول وفتح القنوات والترع وانشاء القناطر والجسور والعناية الفائقة بخصوبة التربة من حيث ازالة الشوائب والملوحة عنها وهو ما يطلق عليه فى الوقت الحاضر عمليات البزل ، ويمكن القول أن هذه المشاريع قد شملت مختلف أنحاء سهول الرافدين من شماله إلى جنوبه .

ومن ذلك ما حدث فى خلافة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) من انشاء قناطر على نهر دجلة على يدى حذيفة بن اليمان ، وقام أبو موسى الأشعرى بحفر أنهار عديدة فى البصرة .

وفى خلافة عثمان (رضى الله عنه) تم انجاز حفر نهر الأبلة فى البصرة ، كما اتخذ جسر منبج فى الجزيرة الفراتية ، وأقام جابر المزنى قنطرة فى سواد العراق (الجزء الجنوبى من العراق).

وفى خلافة على بن أبى طالب (رضى الله عنه) تم حفر الأنهار بل وأمر واليه قرضة بن كعب الأنصارى بحفر نهر لأهل الذمة .

وشهد العصر الأموى نشاطا واسعا فى هذا المجال تجلى فى حفر الأنهار وشق القنوات والجداول والسدود والمسنيات وأحواض المياه وانشاء القناطر والجسور واستصلاح التربة وتخليصها من الشوائب ومن أهمها سد حصن مسلمة الذى أقامه على نهر البليخ ومنها نهر يزيد ونهر عدى ونهر المبارك ونهر عمر فى البصرة ونهر

---

(٩) الاصفهانى ، الحسن بن عبد الله ، ت ق٣هـ/ ٩م ، بلاد العرب ، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلى ، الرياض (١٩٦٨م)، ص٤٠١ ، الحربى ، المناسك ، ص ص ٣٣٠ ، ٤٥٦ ؛ السمهودى ، وفاء الوفا ، جـ٣ ، ص١٠٤٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٧٢ ، جـ٤ ، ص١٢٣١ ، ١٢٣٩ ، ١٣٠٩ ؛ الحداد ، النقوش الآثارية ، مج١ ، ص١٤٦ .

المكشوف فى الموصل ، فضلاً عن حفر المرغاب والسواقى والمعترضات بالتغلب على الماء فى البصرة .

ويمكن القول أن مشاريع الرى الأموية المتعددة بالعراق لم تقتصر على سهول وادى الرافدين الجنوبية بل امتدت لتشمل كذلك سهوله الشمالية ؛ فضلا عن الجزيرة الفراتية وحتى الثغور الجزرية فى أعالى نهر الفرات [١٠].

وفى العصر العباسى بذل الخلفاء الأوائل جهدهم فى المحافظة على نظام الرى بأحسن صورة وأضافوا قنوات جديدة وأعادوا حفر القنوات القديمة ، وكانت النتيجة الطبيعية والمباشرة لذلك أن أصبحت العراق أغنى بلاد العالم المعروف آنذاك[١١] .

وفى مصر تمثلت مشروعات الرى فى الجسور والخلجان والترع ، وكان الغرض من الجسور هو تحصيل المنفعة بسوق الماء إليها أو صرفه عنها ومن هذه الجسور ما هو عام وخاص وقد سميت الجسور العامة بالسلطانية والخاصة بالبلدية ، والجسور السلطانية هى العامة النفع وكان يجب على السلطان الاهتمام بعمارتها أما الجسور البلدية فهى الخاصة النفع أى خاصة ببلد دون بلد أو بناحية دون ناحية ويتولى عمارتها المقطعون بالبلاد من الأمراء والأجناد وغيرهم .

ومن بين هذه الجسور جسر أم دينار ٧١٣هـ/ ١٣١٢م وجسر شبين القصر ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م .

وكان الاهتمام باقامة الجسور وحفظها وصيانتها يؤدى إلى امكانية زيادة رقعة المساحة الزراعية كما حدث فى عهد السلطان المملوكى البحرى الناصر محمد بن قلاوون .

---

(١٠) الأعظمى ، عواد مجيد ، تاريخ الرى فى سهول الرافدين فى عصرى صدر الإسلام والخلافة الأموية ، الكويت (١٩٨٨م)، ص٢٧٩ ـ ٣١٤ .

(١١) الفيل ، محمد رشيد ، نظام الرى فى العراق ابان الدولة العباسية ، الكويت (١٩٨٨م)، ص٣٥١ ـ ٣٨٤ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن استصلاح الأراضى ومشاريع الرى المختلفة فى العراق ، انظر ، الكبيسى ، حمدان عبد المجيد ، الزراعة والرى فى العراق فى العصور الإسلامية ، بغداد (٢٠٠٢م)، (١٤٥ صفحة) .

كذلك كان لا بد لتحسين سبل الاستفادة من نهر النيل وما يتفرع منه من العمل على ضرورة شق مجار مائية كالخلجان والترع الجديدة والتى تستمد مياهها من النهر وفروعه ومنها بحر يوسف وسد اللاهون وخليج الفيوم وخليج أمير المؤمنين (خليج القاهرة ويحتل موضعه الآن شارع بور سعيد) وخليج سردوس وبحر أبو المنجا وخليج مليج وخليج المحلة وخليج ابيار وخليج الاسكندرية وغير ذلك [(١٢)].

أما نظام الرى فى مصر فقد كان النظام السائد فيها هو نظام الرى الحوضى ، فضلا عن نظام الرى الدائم عند توافر ماء الرى فى موسم الزراعة الصيفية وذلك بالاستفادة بالمجارى المائية دائمة الجريان سواء أكان الرى سيحا (بالراحة) أم برفع المياه بالدواليب (على أعناق البقر) ، وقد قام نظام الرى الحوضى - الذى يمثل النسيج العام للرى فى مصر - على أساس الاستفادة من ظاهرة فيضان النيل ، وكان يقاس النيل فى الخامس والعشرين من بؤونة وينادى به أو فى اليوم التالى (٢٦ بؤونة) ويتم القياس من مقياس النيل بجزيرة الروضة ، فكان المقدار اللازم لرى جميع أراضى مصر هو ١٦ ذراعًا وذلك فى القرون الأربعة الأولى للهجرة وبعد ذلك تغيرت الأحوال واختلفت أحكام الأعمال ، فقد انتهى إلى ٢٠ ذراعًا فى القرن ٩هـ/ ١٥م وإلى ٢٢ ذراعا فى ق ١٠هـ/ ١٦م وإلى ٢٣ ذراعا فى القرن ١١هـ/ ١٧م .

وكان الرى الحوضى يقوم نظامه على أساس تقسيم الأراضى الزراعية إلى حياض تفصلها جسور وتغذيها ترع[(١٣)].

وفى المشرق الإسلامى أقيمت السدود والسكور والقنوات : علاوة على الاستفادة من مياه الأمطار والأنهار والبحيرات المتوافرة فى الاقليم ، وكان لماء الرى بمرو خلال العصر العباسي ديوانا سمي بديوان الماء ويشرف على هذا الديوان موظف كبير يعاونه أكثر من عشرة الاف عامل وتودع فى سجلاته مقادير خراج الأراضى على حسب نوع

---

(١٢) الشامى ، عبد العال عبد المنعم ، نظم الرى والزراعة فى مصر فى الكتابات العربية ، القاهرة (١٩٩٢م) ، ص٣١٣ - ٣٥٩ ؛ عدوان ، التاريخ الاقتصادى لدولة المماليك ، الرياض (١٩٩٨م) ، ص٥٩ - ٦٥ ؛ سيد ، أيمن فؤاد ، الدولة الفاطمية ، ص٤٦٧ - ٤٧١ ؛ سالم حلمى محمد ، اقتصاد مصر الداخلى وانظمته فى العهد المملوكى ، الاسكندرية ، د. ت . ص١٥ - ٢٩ .

(١٣) الشامى ، نظم الرى ، ص٢٩٧ - ٣١٣ .

ريها ، كما كانت تقام المقاييس على الأنهار للوقوف على معرفة مقدار ارتفاع الماء أو انخفاضه لكى يأخذوا ذلك فى الحسبان عند تقدير الضرائب[١٤].

وفى الغرب الإسلامى أبدع أهل الأندلس فى هندسة الرى وما زالت آثارهم باقية حية إلى الآن وأكبر مثال على ذلك محكمة المياه التى ما زالت تعقد فى بلنسية شرق اسبانيا لتقسيم المياه على الفلاحين كما كان يفعل أهل الأندلس فى ظل الحكم الإسلامى بها فى العصور الوسطى ، وهى محكمة أهلية لا دخل للحكومة فيها وحكمها نافذ ويحرم المخالف من المياه وهذه المحكمة من التراث العربى الإسلامى بالأندلس وما زالت تعقد كل يوم خميس عند الظهر فى نفس المكان الذى كانت تجتمع فيه خلال العصر الإسلامى فى الفضاء المجاور لمسجد هناك تحول الأن إلى الكنيسة الكبرى فى المدينة[١٥].

ـ طرق استغلال الأرض :ـ

أ ـ **المزارعة :** وهى دفع الأرض إلى من يزرعها أو يعمل فى استنباتها والمردود يقسم بينهما مناصفة وأحيانا بالربع أو بالثلث .

ب ـ **المساقاة :** وهى أن يسمح صاحب الأرض بتقديم شجرة إلى آخر ليقوم بسقيه ورعايته وسائر العمليات الزراعية مقابل جزء معلوم من ثمره كالنصف أو الثلث أو الربع[١٦].

وهناك أساليب أخرى سوف نتطرق إليها وإلى حكمها الشرعى فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

ـ الأساليب الزراعية :

أ ـ **طريقة تبوير الأرض** حيث يترك نصفها أو قسم منها دون ذراعة حولا

---

(١٤) الجبر ، حصة عبد الرحمن ، الحياة الاقتصادية فى فارس (٢٣٢ ـ ٣٣٤هـ/ ٨٤٦ ـ ٩٤٥م)، الرياض (٢٠٠٤م) ، ص١٩٣ ـ ١٩٧ .

(١٥) العبادى ، دراسات فى الحضارة ، ص٣٧٧ .

(١٦) السبع ، أسس الزراعة ، ص٩٤ ـ ٩٥ .

كاملا وفى السنة الثانية يزرعون الأرض المبورة ويتركون الأرض المزروعة بوراً وهكذا دواليك .

ب- التسميد : والهدف منه هو زيادة انتاجية الأرض الزراعية عن طريق اخصابها بالمواد الغذائية والمعدنية ، وفى كتب الفلاحة لابن وحشية وابن العوام وابن الحجاج وغيرهم أبوابا خاصة بالأسمدة تحت عناوين مختلفة مثل الأزبال وفوائدها فى اصلاح الأراضى والزراعة ، وتشمل الأسمدة على روث الحيوانات ونجيعها وفضلاتها وزرق الطيور وفضلات الناس كما استعمل الرماد والتبن كسماد ويرى ابن وحشية أن أفضل أنواع السماد زرق الطيور وفضلات الناس وهو ما اكدته الدراسات العلمية الحديثة .

جـ- التقليم : وقد اتبعت هذه الطريقة بشكل متقن عبر كافة العصور لتشذيب الاغصان وازالة التالف والزائد والغليظ والمهترئ والمكسور منها عن الأشجار ويجرى التقليم بالمنشار ، ويذكر ابن الحجاج أن نشر الأغصان لا يجرى إلا من الأسفل للأعلى حتى لا ينسلخ قشر الشجرة ويكون سببا فى فساد الجذع .

د- التطعيم : ويقصد به تطعيم أصول الأشجار المثمرة وقد تمت ممارسته بجميع أشكاله وكان بالغوطة أشجار تحمل الواحدة منها أربع أنواع من الفاكهة وكذلك الكرمة الواحدة تحمل العنب الأبيض والأسود والأحمر .

هـ- الترقيد : وتعرف أيضًا بالتكبيس وهى أن يعمد المزارع إلى الفروع النابتة من أصل الشجرة فتطمر فى جورة قربها على هيئة قناة وتغطى بالتراب على أن يترك رأس الفرع من الناحية الأخرى حراً ، وكلما كان الفرع طويلا وامتد فى الحفرة التى أعدت له كان أحسن . وتترك الفروع المرقدة فى هذه الحفر مدداً مختلفة قد تصل إلى عامين ، ثم تنتقل بعد ذلك إلى المكان الذى يراد غرسها فيه بعد أن تقطع عن الشجرة الأصل ويكون قد تشكل لها جذور كثيرة خاصة بها وتنقل مع التراب المحيط بالجزء المرقد .

و- مكافحة الآفات الزراعية : قاوم الفلاحون الآفات الزراعية ومن ذلك دودة شجرة العنب عندما تتكون العناقيد بواسطة مادة تعرف بالحمرية تدهن بها سيقان الكروم لمنع الدودة من الصعود إلى الأشجار وكانت هذه المادة تجمع من ضفاف البحر

الميت وهذه الطريقة هى التى تعرف الأن بطريقة التكليس[١٧].

وكانت نتيجة هذه الجهود المبذولة أن نمت الأراضى والثروة الزراعية على طول امتداد دار الإسلام من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب بحيث لا يقع البصر فيها إلا على خضرة يتصل خضارها بلون السماء الأزرق وقد أثارت هذه المناظر الخلابة كوا من المشاعر واستوحى منها الشعراء تلك الروضات الشعرية الرائعة فى وصف الطبيعة وهو ما سوف نعود إليه فى دراسة لاحقة (بمشيئة الله تعالى) وحسبنا أن نشير إلى ما ذكره ابن حوقل عن بخارى بقوله « لم أر ولم أسمع فى الإسلام ظاهر بلد أحسن من ظاهر بلد بخارى لأنك إذا علوت مرتفعاتها لم يقع بصرك من جميع النواحى إلا على مغارس تتصل خضرتها بلون السماء وكأن السماء مكبة زرقاء على بساط أخضر تلوح القصور ما بين ذلك كالتراس اللمطة أو كالكواكب العلوية بياضا ونوراً من أراضى ضياع مقومة بالاستواء كوجه المرأة »[١٨].

أما المنتوجات الزراعية فكثيرة ومتنوعة ، ويمكن تصنيفها إلى نوعين منتوجات غذائية ومنتوجات صناعية ، ويندرج تحت الأولى جميع الحاصلات الغذائية المعروفة فضلا عن الأشجار المثمرة وغير المثمرة ومن بين هذه وتلك حسبنا أن نشير إلى كل من القمح والأرز والشعير والذرة والفول والحمص والزيتون وقصب السكر والفاكهة على اختلاف أنواعها كالعنب والتفاح والرمان والموز والبلح والتين والمشمش والخوخ والبرقوق والبطيخ وغير ذلك كثير .

ومن بين المنتوجات الصناعية القطن والعنب والكتان والسمسم والنيلة والقرمس (القرمز) والزعفران والورد فضلا عن الأشجار غير المثمرة وما توفره من الأخشاب اللازمة فى مختلف مناحى الحياة كما لا يخفى[١٩].

---

(١٧) السبع ، أسس الزراعة ، ص٩٧ ـ ١٠٠ .

(١٨) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص٣٩١ .

(١٩) لمزيد من التفاصيل عن هذه المنتوجات الزراعية وأماكن زراعتها وأهميتها انظر ، زيود ، التاريخ الاقتصادى ، ص٣٩ ـ ٦٠ ؛ سالم ، حلمى محمد ، اقتصاد مصر الداخلى ، ص٩ ـ ١٥ ؛ الجبر ، الحياة الاقتصادية فى فارس ، ص٢٠٠ ـ ٢٢٤ ؛ عدوان ، التاريخ الاقتصادى ، ص٦٦ ـ ٨٥ ؛ البكرى ، خالد عبد الكريم ، النشاط الاقتصادى فى الأندلس فى عصر الإمارة ، الرياض (١٩٩٣م) ، ص١٢٥ ـ ١٣٨ ؛ متز ، الحضارة الإسلامية ، مج٢ ، ص٣٠٢ ـ ٣١٢ .

المبحث الثانى : الصناعة :-

من المعروف أنه كان لدى العرب فى العصر الجاهلى بعض الأعراف والعادات التى ساروا عليها والتى أثرت عليهم فى حياتهم الاجتماعية والاقتصادية ومن جملة هذه الاعراف احتقارهم لبعض الحرف وابتعادهم عنها وقبولهم لبعض الحرف الأخرى فقد كانوا لا يأنفون من الرعى ولا من التجارة ، أما الزراعة فقد كانت محترمة إلى حد ما عند الحضر وأما البادية فكانوا يحتقرون الزراعة ويأنفون منها .

أما الصناعة فتختلف فمنها ما هو مقبول عندهم ويمتهنها الكثير منهم كالغزل والنسيج الذى ينتشر فى الحاضرة والبادية على السواء دون أدنى احتقار لمن يعمل ذلك عندهم . وكانوا يحتقرون من يمتهن بعض الصناعات الأخرى كالحدادة ويطلقون على من يمتهنها القين ، ولذلك ابتعد أشراف العرب عن الصناعات وسيطر عليها الموالى واليهود مما جعل هذه الحرف حكراً عليهم مما أكسبهم الأموال الوفيرة [٢٠].

وعندما جاء الإسلام تغيرت تلك النظرة الخاطئة عن بعض الحرف والصناعات فقد حض الإسلام على العمل وأكد على حرمته وجعل من الانتاج عبادة وتقربا إلى الله بل وجهاداً فى سبيله ، ومن ذلك قول الحق سبحانه وتعالى ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾ و ﴿ أعدوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ والمقصود هنا القوة فى الحرب والقوة فى العمل والانتاج ؛ وقوله عز وجل ﴿ فاستجاب لهم ربهم انى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض ﴾ ، و ﴿ ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون ﴾ و ﴿ وأما من أمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى ﴾ و ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزيه الجزاء الأوفى ﴾[٢١].

كذلك حاول الرسول (ﷺ) تغيير المفهوم الخاطئ لدى العرب عن الحرف والصناعات سواء بالتوجيه الكريم من الرسول (ﷺ) أم بتطبيق الرسول لبعض الأمور التى تخالف هذا المفهوم حتى يرى أصحابه منه ذلك وبالتالى يقتدون به وينقلون ذلك

---

(٢٠) العمرى ، الحرف والصناعات ، ص٥٥ - ٥٦ .

(٢١) العبادى ، دراسات ، ص٣١٦ ؛ زيود ، التاريخ الاقتصادى ، ص٧٣ .

إلى الناس فقد كان الناس لا يستجيبون لصانع إذا دعاهم إلى طعام ولكن الرسول خالف ذلك واستجاب لدعوة خياط فى المدينة .

ومن منطلق سلوك الرسول (ﷺ) فى تغيير مفاهيم الناس الخاطئة فإن الرسول (ﷺ) دفع ابنه إبراهيم إلى زوجة أبى سيف وهو قين ـ أى حداد ـ فى المدينة لكى ترضعه فكان الرسول يأتى إلى منزل أبى سيف الحداد وهو ينفخ من كيره وقد امتلأ البيت بالدخان .

والرسول بذا العمل يريد أن يرفع من نظر الناس إلى المحترفين الصناع حيث أسند إلى زوجة أحدهم ارضاع ولده الوحيد إبراهيم فى الوقت الذى كان الناس يتخيرون لأولادهم المرضعات من القبائل الشريفة فى البوادى . كما أن الرسول الكريم (ﷺ) كان يعمل بيده الشريفة مع أصحابه (رضى الله عنهم) كما هو الحال عند بناء مسجد قباء ومسجده الشريف وفى حفر الخندق .

ومن الملاحظ أن معظم كتب الحديث النبوى الشريف كالبخارى وسنن ابن ماجة وسنن أبى داود وغيرها قد وضعت أبوابا عن الكسب والعمل باليد والصناعات(٢٢).

وهكذا تغيرت نظرة العرب إلى الحرف والصناعات فبعد أن كان يأنف من العمل فى الحرف وينظر إلى العاملين بها نظرة ازدراء لأنها فى عرفهم حرف وضيعة خلقت للعبيد والموالى ولا تليق بالحر ، وجدنا العرب يقبلون على العمل فى الحرف والصناعات المختلفة وينخرطون فيها كغيرهم من المسلمين بل بدأوا يقبلوا أسماء وكنى تدل على الصنعة ؛ وازداد اقبال العرب على ممارسة الحرف والصناعات بعد أن أسقط الخليفة العباسى المعتصم بالله (٢١٨ ـ ٢٢٧هـ) العرب من ديوان العطاء وهكذا بدأت اسهامات العرب فى تطوير الصناعات المختلفة كغيرها من العلوم والمعارف التى قاموا بتطويرها والاضافة إليها بل والابتكار كما سنرى فى الفصل الرابع من هذا الكتاب المجّمل .

هذا وقد ساعد على ارتقاء الصناعة وتقدمها فى الحضارة الإسلامية توفر المواد الأولية اللازمة والضرورية للصناعات المختلفة فى أقطار العالم الإسلامى ؛ وبالتالى

---

(٢٢) العمرى ، الحرف والصناعات ، ص٥٦ ـ ٦٠ .

كانت هذه الاقطار تكمل بعضها بعضا من حاجتها لمثل هذه المواد ومنها المعادن الثمينة كالذهب والفضة ؛ فضلا عن الحديد والنحاس والقصدير ، والجواهر والأحجار النفيسة والبللور الصخرى والرخام وغير ذلك(٢٣).

ويضاف إلى ذلك المنتوجات الزراعية الكثيرة والمتنوعة (بنوعيها الغذائية والصناعية) والتى أشرنا إلى عدد منها من قبل .

كذلك لا تفوتنا الإشارة إلى الطوائف المهنية أو النقابات أو الأصناف والتى كان لها دور كبير فى رفع المستوى المادى والفنى لأرباب الحرف والصناعات المختلفة وبالتالى تقدم وتطور وارتقاء الصناعات المختلفة وهو ما تدل عليه وتؤكده الأدلة المادية الآثارية الباقية للعديد من نماذج الصناعات المختلفة والتى تحتفظ بها المتاحف ودور الكتب والمجموعات الفنية فى أقطار العالم المختلفة .

كذلك فقد لعب أرباب الحرف والصناعات المختلفة دوراً هامًا فى الثورات الشعبية والجمعيات السرية والفرق الدينية والطرق الصوفية ؛ فضلا عن الاحتفالات والمواكب المختلفة(٢٤).

ولما كان المقام لا يتسع لابراز ذلك الدور ولذلك حسبنا أن نشير إلى انضمامهم إلى جماعة الشطار والعيارين أو الفتيان فى بغداد(٢٥).

وكذلك كان لهم دورهم فى القاهرة الفاطمية وذلك فى الفرقة التى اشتهرت باسم الصِّبيان الحُجَرية والتى كانت حُجَرهم بجوار دار الوزارة (فيما بين خانقاة بيبرس الجاشنكير وقبة القاصد بشارع باب النصر بحى الجمالية بالقاهرة) وفى ذلك يذكر المقريزى نقلا عن ابن أبى طئ أن الخليفة المعز لدين الله « وجعل كل ماهر فى صنعة

---

(٢٣) زيود ، التاريخ ، ص٧٤ - ٩٠ .

(٢٤) عن هذه الطوائف أو الأصناف وأهميتها انظر ، العبادى ، دراسات ، ص٣٢١ - ٣٢٧ ؛ لويس ، برنارد ، النقابات الإسلامية ، ترجمة عبد العزيز الدورى ، مجلة الرسالة ، العدد ٨ ، القاهرة (١٩٤٠م) ، ص٦٩٦ - ٦٩٨ ، ٧٣٥ - ٧٣٧ ، ٧٨٦ - ٧٨٨ ، ٩٧٣ - ٩٧٥ ؛ الشيخلى ، صباح إبراهيم ، الأصناف فى العصر العباسى نشأتها وتطورها ، بغداد (١٩٧٦م).

(٢٥) لمزيد من التفاصيل عن هؤلاء الشطار والعيارين انظر الدراسة القيمة للدكتور محمد رجب النجار تحت عنوان «حكايات الشطار والعيارين فى التراث العربى»، الكويت (١٩٨١م)، (٤٦٠ صفحة) .

صانعا للخاص وأفرد لهم مكانا برسمهم وكذلك فعل بالكتاب والأفاضل وشرط على ولاة الأعمال عرض أولاد الناس بأعمالهم فمن كان ذا شهامة وحسن خلقه أرسله ليخدم فى الركاب فسيروا إليه عالما من أولاد الناس فأفرد لهم دوراً وسماها الحجر »[٢٦].

هذا وقد تعددت الصناعات فى المدن الإسلامية المختلفة فى المشرق والمغرب على السواء حتى صارت مظهراً من مظاهر ازدهارها الاقتصادى ويكفى لتأكيد هذه الحقيقة أن نقرأ ما كتبه الرحالة والمؤرخين فى وصفها أو أن نشاهد النماذج العديدة التى بقيت منها والمحفوظة فى المتاحف ودور الكتب والمجموعات الفنية الخاصة فى العالم . ومن بين هذه الصناعات صناعة المنسوجات والسجاد والخشب والعاج والزجاج والبللور الصخرى والمعادن والفخار والخزف وسوف نتطرق إلى دراستها اجمالاً فى الباب الثانى من هذا الكتاب ؛ على أن نعود إليها ولغيرها من الصناعات تفصيلاً واسهابًا فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

ومن الصناعات المهمة فى الحضارة الإسلامية صناعة الخبز وقد كان له ـ أى الخبز ـ دور كبير فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وقد اهتم المسلمون به وأسهموا فى تقدم صناعته ذلك التقدم الذى يتمثل فى تعدد أصنافه وبيان مزايا كل صنف منها غذائيًا وصحيًا ، كما يتجلى فى حرص الدولة على توافره والحيلولة دون ارتفاع أسعاره ومراقبة صنعه للالتزام بمراعاة الشروط الصحية ومنع الغش مما ينم على تقدم حضارى كبير فى ذلك الوقت .

وليس أدل على أهمية الخبز لدى المسلمين من قول الجاحظ أنه « قوام أهل الأرض وأصل الأقوات وأمير الأغذية »[٢٧]. وقول داود الأنطاكى « انه فى الغالب قوام الأبدان وعين ما أحكمته الصناعة من الحبوب المقيتة »[٢٨].

هذا وتشمل عملية صنع الخبز طحنه ونخله وعجنه وخبزه وبيعه فضلا عن مراقبة ما يجرى من هذه العمليات فى المطاحن العامة والمخابز العامة والأسواق من قبل

---

(٢٦) المقريزى ، الخطط ، مج٢ ، ص٤٥٣ ؛ العبادى ، دراسات ، ص٣٢٨ ـ ٣٢٩ .

(٢٧) الجاحظ ، البخلاء ، تحقيق طه الحاجرى ، سلسلة ذخائر العرب ، القاهرة د ت ، ص١٢٦ .

(٢٨) الأنطاكى ، داود بن عمر ، ت١٠٠٨هـ/١٥٩٩م، تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب ، جـ١، بيروت ، د ت ، ص١٣٦ .

المحتسب وهو ما أفردت له كتب الحسبة أبوابا خاصة مثل الحسبة على الطحانين أو الدقاقين الذين يحولون الحبوب إلى دقيق والحسبة على نخل الدقيق والحسبة على العجانين والحسبة على خبز العجين وبيع الخبز لمنع التلاعب والغش .

وقد تنوعت وسائل تأديب المحتسب للذين يخالفون أصول صنعة الخبز وقواعدها فمن ثبت عليه منهم تطفيف الميزان أو زاد على سعر السوق كان يجرس بمصر وذلك بأن تعلق فى أنفه كعكة بطول الشبر وعرض الاصبع أو يضرب ضربا موجعًا كما حدث عام ٤١٥هـ/١٠٢٤م على نحو ما ذكر المسبحى .

ومن أنواع الخبز المصنوعة من الحبوب خبز القمح أو الحنطة أو البرُّ ومنه خبز الحّوارى وخبز السميذ وخبز الخشكار وخبز الذرة وخبز الأرز وغير ذلك .

وهناك أنواع أخرى من الخبز كانت تصنع من بزور وجذور وثمار متنوعة ويخلط معظمها بحبوب أخرى تجعلها أكثر ملائمة للأكل ومنها خبز الآس وخبز البلوط وخبز الترمس وخبز الشوم وخبز التوت وخبز الجزر وخبز الخشخاش وخبز النخل (من طلع النخل وجماره) وغير ذلك[(٢٩)] .

ومن الصناعات المهمة أيضًا صناعة السفن وصناعة السكر وصناعة العسل وصناعة العطور وصناعة الصابون وغير ذلك[(٣٠)].

أما صناعة الورق فقد كانت من أهم الصناعات الإسلامية التى كان لها دورها العظيم ليس فى الحضارة الإسلامية فحسب بل وفى الحضارة الإنسانية كلها ، ولا غرو فى ذلك فقد كانت هذه الصناعة « من توابع العمران واتساع نطاق الدولة ونفاق أسواق ذلك لديهما فكثرت التآليف العلمية والدواوين وحرص الناس على تناقلهما فى الأفاق والأعصار فانتسخت وجلدت وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين واختصت بالأمصار العظيمة العمران... »[(٣١)].

---

(٢٩) اعتمدنا بصفة رئيسية فى صناعة الخبز على ذلك البحث القيم للدكتور إحسان صدقى العمد ، وموضوعه « الخبز فى الحضارة الإسلامية » ، حوليات كلية الآداب ، الحولية ١٢ ، الرسالة ٧٦ ، الكويت (١٩٩١م - ١٩٩٢م) (١٤٩ صفحة) .

(٣٠) زيود ، التاريخ الاقتصادى ، ص٩٠ - ١١٧ .

(٣١) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، مج٢ ، ص٩٤ - ٩٥ .

هذا ويكاد يجمع كل من كتب فى صناعة الكاغد (الورق) أن الصينين هم أول من صنعوه فى القرن الأول الميلادى . بيد أن هناك بعض الدراسات التى ترجع صناعته إلى قرنين قبل هذا التاريخ .

ومنهم تعلمه المسلمون وذكروا حكاية الأسرى الصينيين الذين بدأوا بصناعته فى سمرقند فى سنة ١٣٤هـ/ ٧٥٢ م ، ولما كانت صناعة الكاغد الصينية تعتمد على لحاء شجر التوت وقصب الخيزران أو قصب الغار والخرق القديمة وشباك الصيد القديمة وألياف القنب ، ولما كانت شجرة التوت لا تنمو فى سمرقند فقد لجأ الصناع الصينيون إلى سيقان نبات الكتان والخرق القديمة والقنب لصناعته ولهذا يقول النديم ان الورق الخراسانى كان يصنع من الكتان . ومن أنواع هذا الورق التى ذكرها النديم السليمانى (نسبة إلى سليمان بن راشد صاحب بيت المال فى خراسان زمن هارون الرشيد) ، والطلحى (نسبة إلى طلحة بن طاهر حاكم خراسان) والنوحى (نسبة إلى نوح السامانى حاكم خراسان ٣٣١ ـ ٣٤٣هـ) والجعفرى (نسبة إلى جعفر بن يحيي بن خالد البرمكي) والطاهرى (نسبة إلى طاهر الثانى من أسرة عبد الله بن طاهر) والفرعونى (وقد صنع ليشبه ورق البردى وتوجد منه عينات تحمل كتابة عربية مؤرخة ما بين ١٨٠هـ و ٢٠٠هـ)[٣٣] .

ولم يقتصر المسلمون على صناعة ورق الكتابة بأنواعه المذكورة بل تفننوا فى صناعة الكواغد الملونة التى تشيع البهجة فى نفس القارئ ، فقد اكتشفت أكوام من أنواع الورق الملون بألوان مختلفة فى كيمان الاشمونين والفيوم والفسطاط بمصر .

كذلك نجح المسلمون فى صنع الورق النَّشاف والورق الشفاف والورق الخفيف الجرم جداً وهو الذى يسمى ورق البطائق الذى كان يستعمل فى ارسال الرسائل العاجلة تحت أجنحة الحمام الزاجل[٣٤] .

وانتقلت صناعة الورق من العالم الإسلامى إلى أوروبا عبر مسارب متعددة وهو ما سوف نتطرق إليه عند دراسة أثر الحضارة الإسلامية فى أوروبا فى الفصل الخامس من هذا الباب .

---

(٣٢) السامرائى ، قاسم ، علم الاكتناه العربى الإسلامى ، الرياض (٢٠٠١م) ، ص٢٥٧ .

(٣٣) النديم ، محمد بن إسحاق ، الفهرست ، اعتنى بها وعلق عليها الشيخ إبراهيم رمضان ، بيروت (١٩٩٤م) ، ص٣٦ ؛ السامرائى ، علم الاكتناه ، ص٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

(٣٤) السامرائى ، علم الاكتناه ، ص٢٦٥ ـ ٢٦٨ .

المبحث الثالث : التجــارة :ـ

إزدهرت التجارة فى الدولة الإسلامية أيما إزدهار وكان وراء ذلك عوامل عدة من أهمها الموقع الاستراتيجى العام للدولة الإسلامية فبعد أن انتشر الإسلام وإمتدت رقعة دولته من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب صارت دار الإسلام تشغل موقعها الاستراتيجى المتميز فى قلب العالم المعروف آنذاك ومن ثم استطاعت الدولة الإسلامية أن تتحكم فى مفاتيح التجارة العالمية والمنافذ الواصلة بين الغرب والشرق أو بمعنى آخر أن تربط الخيوط والشرايين التجارية فى العالم أجمع .

وكان الحج إلى الحرمين الشريفين فى مكة المكرمة والمدينة المنورة من بين العوامل التى أسهمت مساهمة فعالة فى نقل السلع التجارية والنشاطات التجارية وعمليات التبادل التجارى بين أقاليم العالم الإسلامى .

كما كان للعناية بطرق القوافل وحمايتها وحفر الآبار وإنشاء الرباطات والفنادق والخانات والأسواق الكبيرة وبناء الأساطيل لحماية الشواطئ وإقامة الجسور والقناطر على الأنهار لتسهيل الحركة والتنقل ؛ فضلا عن الوسائل الأخرى التى أسهمت فى حفظ ممتلكات التجار وأمنت الأموال من الوقوع فى أيدى اللصوص وقطاع الطرق كالسفاتج والصكوك والحوالات والسندات من العوامل التى اسهمت اسهامًا فعالاً فى ازدهار النشاط التجارى وتطويره[٣٥] ، وإذا كنا قد ذكرنا بعض هذه العوامل اجمالاً فى هذا الكتاب المجّمل ؛ فإننا سنعود إليها ولغيرها من العوامل تفصيلا واسهابا وتحليلا فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

---

(٣٥) زيود ، التاريخ الاقتصادى ، ص٢٠٧ ـ ٢١٣ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن التجارة فى الدولة الإسلامية انظر ، متز ، الحضارة الإسلامية ، ص٣٦٩ ـ ٣٩١ ؛ عثمان ، شوقى عبد القوى ، التجارة بين مصر وافريقيا فى عصر المماليك ، القاهرة (٢٠٠٠م) ؛ لويس ، ارشيبالد ، القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال ، القاهرة (١٩٦٠م)؛ حورانى ، جورج فاضلو ، العرب والملاحة فى المحيط الهندى ، ترجمة يعقوب بكر ، تصدير يحيي الخشاب ، القاهرة (١٩٥٨م)، ص١٧١ ـ ٢٣٨ ؛ فهمى ، نعيم زكى ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطي)، القاهرة (١٩٧٣م)؛ العسكرى ، سليمان ، التجارة والملاحة فى الخليج العربى فى العصر العباسى ، القاهرة (١٩٧٢م)؛ الجبر ، الحياة الاقتصادية ، ص٣١٧ ـ ٣٩١ ؛ سالم ، اقتصاد مصر الداخلى ، ص٢٠٥ ـ ٢٥٧ ؛ عدوان ، التاريخ الاقتصادى ، ص٢٦٥ ـ ٢٨٥ .

هذا ولم يقتصر الأثر الحضارى للتجارة على الحياة الاقتصادية والاجتماعية بل والسياسية فحسب بل امتد أثرها إلى ما هو أبعد من ذلك فقد كانت التجارة من أهم العوامل التى أدت إلى انتشار الإسلام واللغة العربية فى العديد من الأقطار كما هو الحال فى جنوب شرق أسيا وفى شرق افريقيا وغربها (٣٦)؛ فضلا عن دورها الهام فى انتقال العديد من التأثيرات الحضارية الإسلامية إلى أوروبا كما سنشير فيما بعد .

الطرق والمسالك التجارية :.

١ ـ **الطريق البحرى إلى الهند والصين :** وكان يبدأ من مدينة البصرة فى جنوب العراق ثم تسير السفن فى الخليج العربى إلى ميناء سيراف (جنوب شيراز على الساحل الفارسى قبالة البحرين) وكانت تعد من الموانئ التجارية الإسلامية الهامة إذ اشتهرت بتجارة اللؤلؤ والبهار Spices وكانت مرسى للسفن الكبيرة التى تنقل تجارة المسلمين إلى بلاد الهند والصين ، وقد وصف سليمان التاجر هذا الطريق من سيراف ، إلى خانفوا (كانتون الحالية) أكبر موانئ الصين وكانت هذه الرحلة من البصرة إلى ميناء كانتون بالصين تستغرق ستة أشهر تقريبا .

٢ ـ **الطريق البرى إلى الهند والصين :** ويعرف بطريق الحرير العظيم أو طريق خراسان وكان يبدأ من بغداد ويمر شرقا عبر خراسان من نيسابور إلى مرو ومنها إلى بخارى وسمرقند ويستمر شرقا إلى بلاد الشاش (طشقند) وفرغانة من بلاد الترك إلى أن يصل إلى كاشغر عند حدود الصين ومنها يدخل التجار إلى الصين .

---

(٣٦) حسن ، حسن إبرهيم ، انتشار الإسلام فى القارة الافريقية ، القاهرة ، ط٣ (١٩٨٤م)، ص٧٣ ـ ٧٥؛ محمود ، حسن أحمد ، الإسلام والثقافة العربية فى افريقيا ، القاهرة ، ط٢ (١٩٨٦م)، ص٥٥ ـ ٥٩؛ السامر ، فيصل ، الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية فى الشرق الأقصى ، بغداد ، ط٢ (١٩٨٦م)، ص١٣ ـ ١٦ ؛ عوض الله ، الشيخ الأمين ، تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربى وآثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر الميلادى ؛ ضمن كتاب تجارة القوافل ودورها الحضارى حتى نهاية القرن التاسع عشر ، بغداد (١٩٨٤م)، ص٩٤ ـ ٩٦ ؛ عثمان ، التجارة بين مصر وافريقيا فى عصر المماليك ، ص٣٨ ـ ٦٢ .

ومن هذا الطريق البرى المشهور كانت تتفرع شعب أخرى يتجه بعضها جنوبا إلى بلاد الهند والسند والملتان ويتجه البعض الآخر شمالا إلى بلاد خوارزم والبلغار حيث أنواع الفرو والرقيق التركى والصقلبى وقد اكتشفت نقودا إسلامية كثيرة فى هذه المناطق الشمالية فى روسيا وحوض نهر الفولجا وحوض بحر البلطيق .

٣ ـ **الطريق البحرى بين دار الإسلام وأوروبا :** وكان يستغل هذا الطريق تجار اليهود الذين أطلق عليهم المسلمون اسم « تجار البحر » وكانوا يتكلمون عدة لغات من بينها العربية والفارسية والاسبانية والفرنسية وتبدأ الرحلة من بروفانس فى جنوب فرنسا ويعبرون بسفنهم البحر المتوسط إلى ميناء الفرما (قرب بور سعيد) ثم يحملون تجارتهم على ظهور الدواب إلى القلزم (السويس) ومن هناك تنقل عبر البحر الأحمر مارة بموانيه الهامة مثل جدة ثم يخرجون إلى بحر العرب متجهين إلى ميناء عدن ثم يتجهون إلى السند والهند والصين ، وفى طريق العودة إلى أوروبا كانوا يحملون معهم سلع المشرق ، فإذا وصلوا القلزم اتجهوا إلى الفرما أو الفسطاط والاسكندرية ومنها يبحرون إلى بروفانس وأحيانا كانوا يتجهون إلى انطاكية أهم ميناء تجارى فى الشام وكذلك إلى القسطنطينية (عاصمة البيزنطيين) ليبيعوا بضائعهم .

٤ ـ **الطريق البرى بين دار الإسلام وأوروبا :** وكان يبدأ من شرق المانيا إلى إيطاليا وفرنسا ومنها إلى الأندلس (اسبانيا الإسلامية) عن طريق نهر الرون ومر قطلونية ثم يستمر من الأندلس إلى طنجة عبر مضيق جبل طارق مجتازاً المغرب الكبير من أقصاه إلى أدناه حتى يصل إلى مصر ثم يتجه إلى بلاد الشام ماراً بالرملة ودمشق ثم إلى العراق ماراً بالكوفة وبغداد والبصرة ثم إلى فارس ماراً بالأهواز (خوزستان أو عربستان) ثم إلى كرمان والهند والصين(٣٧).

---

(٣٧) العبادى ، دراسات ، ص٣٦٠ ـ ٣٦٧ .

٥ـ طرق القوافل بالصحراء الكبرى حتى القرن ١٩م : شهدت الصحراء الكبرى الافريقية خلال العصور الوسطى مدا إسلاميا واسعا ومكثفا عن طريق بلدان المغرب العربي فى الشمال الافريقي وعن طريق صعيد مصر ، والساحل الارتيرى وبلاد الحبشة والصومال في الشرق ، ولعب المرابطون والموحدون دوراً هامًا وبارزاً فى نشر الإسلام إلى أعماق الصحراء الكبرى خلال القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى وما بعده إلى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى .

وقامت بالصحراء الكبرى مراكز عمرانية وحضارية هامة من أبرزها تنبكتو وجاو وجنى ، كما قامت مجموعة من الممالك والامارات فيما بين القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى والقرن الثالث عشر الهجرى / التاسع عشر الميلادى ، اختلفت أعمارها فى غرب افريقيا وشرقها .

ففى غرب افريقيا برزت ملكة غانا (٣٠٠ ـ ١٠٧٦م) ومملكة صوصو غرب مالى (ما بين القرن ١٢ ومنتصف القرن ١٤م) ومملكة مالى ١٢٢٥ ـ ١٦٧٠م)، ومملكة صنغى (١٣٢٦ ـ ١٥٩٤م) ومملكة الحوصة شمال نيجيريا التى بقيت حتى القرن ١٩م ومملكة اليوربا شمال نيجيريا وبقيت حتى سيطر عليها البريطانيون فى أواخر القرن ١٩م . ومملكة بورنو شرق نيجيريا (من القرن ١٥ إلى أواخر القرن ١٩م) ومملكة كانم شمال شرق بحيرة تشاد بوسط الصحراء واماراتموس وداجونيه بين نهر الفولتا ومنحنى نهر النيجر ومملكة الكامبارا فى سيحو وكارتا غرب مملكة الحوصة التى قضى عليها الفرنسيون فى أواخر القرن ١٩م .

وفى شرق افريقيا قامت مملكة النوبة بدنقلة جنوب مصر ، ومملكة الفونج فى سنار بالسودان (١٥٠٥ ـ ١٨٢٠م) ومملكة دارفور (١٦٣٧ ـ ١٨٧٥م) ومملكة تقلى وغيرها. وقد لعبت التجارة دوراً بارزاً فى ربط العلاقات وتحديد طابعها بين هذه الممالك والامارات الصحراوية طوال العصر الوسيط والعصر الحديث حتى قضى عليها الأوروبيون جميعا خلال القرن ١٩م واحدة بعد أخرى .

ويمكن أن نحدد طرق القوافل بالصحراء الكبرى على النحو التالى :

أ ـ طريق مراكش إلى تنبكتو : ويمر علـى تارودانت وتاويرت وتيندوف ..

ويخترق رمال ايقيدى وعرق شيش ويتجه إلى تاودينى كما يخترق صحراء الجوف شرقا ويمر باونان واروان ليتجه إلى تنبكتو وقد سلكه الدكتور اوسكار لينز عام ١٨٨٠م .

ولهذا الطريق فرع من تيندوف يتجه إلى الجرف الأصغر واوقلت العزل وقرونه وزمورو الفلته وسما ميت وحاس بوتلان ومن هناك يتجه فرع إلى تنبكتو وفرع إلى قصر البرشاف وعطار وأوجيفت وتيوروت على شاطئ المحيط الأطلسى .

ب - **طريق فاس ومكناس إلى تنبكتو** : ويمر بقصة المخزن وأم دريبينه ويتبع حوض وادنمير إلى ايجلى ثم حوض واد أم الساورة إلى توات وكابلى وبيرتير يشومين ووالسن وعين زنان ومبروك وتنبكتو . وهناك طريق آخر يخرج من مراكش ليتصل بهذا الطريق فى توات ويمر على مسينه والمسيتر والمعسف وتامنتيت إلى اكابلى وبئر تير يشومين وقد سلك هذا الطريق رونى كامى ١٨٢٧ - ١٨٢٨م .

جـ - **طريق وهران وارزيو إلى تنبكتو** : ويمر على خيشو ومشريه وعين الصفراء وفيقيق ويتبع مجرى واد زوزفانه إلى ايجلى حيث يلتقى بطريق فاس إلى تنبكتو . ولهذا الطريق فرع آخر إلى شرق الأول ، مستقيم يبدأ من خيشر إلى البيض والأبيض سيدى الشيخ والمنقب وتوات حيث يلتقى بطرق : وهران وفاس ومكناس إلى تنبكتو . وقد سلكه الضابط كولونيو ١٨٦٠م .

د - **طريق مدينة الجزائر إلى تنبكتو** : ويمر على البليده وبوغار والأغواط وغردايه والقليعه وعين صالح واكابلى وبئر تير يشومين حيث يلتقى بطريق توات إلى تنبكتو وقد سلكه الضابط بالا . ولهذا الطريق فرع آخر من عين صالح إلى بئر عسيو وتنتيلو ست حيث يتفرع إلى فرعين كذلك : فرع إلى أقادم وماو شرق بحيرة تشاد إلى أقادم وكوكه جنوبها ، وفرع إلى الجنوب الغربى نحو أقاديس حيث يتفرع هو الآخر إلى فرعين : فرع إلى سوكوتو وفرع إلى كاتسنا .

هـ - **طريق سكيكده وقسنطينه إلى أمقيد والهقار وتنبكتو** : ويمر على

باتنه وبسكره وتفرت وورفله والبيوض وأمقيد ويتمبيساد وايفروان إلى مبروك وتنبكتو أو إلى شط بوروم (برنوح) وقد مر على جانب من هذا الطريق الضابط فلاتر عبر حوض ايفرعر عام ١٨٨٠ ـ ١٨٨١م . ولهذا الطريق فرع يبدأ من جنوب بسكره ويتجه إلى الواد بسوف ومن هناك إلى غدامس وغات وجبادو وبلمه وأقاديم وماو ، وفرع آخر من البيوض إلى عين صالح وفرع ثالث إلى غات .

و- **طريق طرابلس إلى تنبكتو :** ويمر على سناون وغدامس وتيما سينين والبيوض حيث يتصل بطريق قسنطينه إلى تنبكتو ، ولهذا الطريق فرع من غدامس إلى غات وبيرعسيو وأفاديس ثم إلى سوكوتو وكاتسنه غربا وإلى أقاديم وماو شرقا .

ز- **طريق طرابلس إلى مرزق :** عبر سبها ثم إلى بئر بكر وتيجرى وتومود (واحات كاوار) حيث يتفرع إلى فرعين : فرع إلى بلمه وأقاديم وماو وكوكه ، بالتشاد ، وفرع إلى أبشر شرقا بوادى . وهذا الطريق سلكه كل من فوجيل ١٨٥٤م وبارت ١٨٥٥م وبورمان ١٨٦٢م وروهلف ١٨٦٦م وناشتيفال ١٨٧٠م . ولهذا الطريق فرع من مسيده وسلكه كل من بارت ١٨٥٠م وبارى ١٨٧٦م ، وفرع من سكنه وسلكه كل من فوجيل ١٨٥٤م ودوفيرى ١٨٦٤م . وناشتيفال ١٨٦٩م وروهلف ١٨٧٩م .

ح- **طريق طرابلس إلى جغبوب ، وسيوه ، والفرافرة ، والاقصر بصحراء مصر** ويتصل بهذا الطريق عدة طرق أخرى أتية من مراكز العمران الشمالية الساحلية مثل سرت وبنغاذى ودرنه والقصر الجديد .

ط- **طريق بنغاذى إلى وادى :** ويمر على اوجله وجالو وسرهن وكيانو وتاهينه حيث يتفرع إلى فرعين : فرع إلى ماو وفرع إلى ابشى وهو الذى سلكه روهلف ١٨٦٤م .

ى- **طريق اسيوط واسنا وأسوان إلى دارفور بالسودان** (وهو المعروف بدرب الأربعين) ويمر على سليمه والفاشر ، وعندما يصل إلى الفوجة يتفرع إلى فرعين : فرع إلى دنقلة القديمة عبر مجرى وادماليه وفرع إلى سنار أو الخرطوم ويمتد فرع الخرطوم إلى بربره وسواكن على سواحل البحر الأحمر شرقا.

وقـد سلك هذا الطريق كل من براون وكـونى ١٨٥٨م وناشـتـيـقـال ١٨٧٤م ومـوسـون عـامى ١٨٧٦م و١٨٧٧م وأنسـور الامـريكى ١٨٧٥م و ١٨٧٦م ومارسارى ١٨٨٠م(٣٨).

أمـا عن السلع التـجـارية فى السـودان الغـربى فكانت الذهب والرقـيق والفـول السـودانى والكولا والعـاج . وبطبيعـة الحال فقد لعبت تجارة الذهب دوراً كبيراً فى نمو العلاقات بين المغرب والسودان الغربى لعدة قرون وساعدت على ازدياد اتصال شعوبهما وانتشار الإسلام والحضارة الإسلامية فى السودان الغربى ، غير أن الصراع على الذهب أدى إلى تحطيم سلطنة سنغى عـام ١٥٩٠م على يد الأشـراف السـعـديين بالمغـرب الأقصي؛ كما ساعد الذهب فى تنشيط حركة الكشوف الجغرافية فى غرب افريقية وإلى استعماره فيما بعد بواسطة الأوروبيين . والحق ان السودان الغربى كان منذ القرن الثامن الميلادى وحتى اكتشاف أمريكا هو المصدر الرئيسى لتمويل العالم بالذهب وليس أدل على وفرة الذهب من أن التجار المغاربة كانوا يبادلون الملح بالذهب وزنا بوزن فقد كان الملح معدوما فى السودان الغربى وبالتالى كان عندهم أهم من الذهب الذى يتوفر بكثرة لديهم ، حتى أنهم قاموا باتخاذ الملح عملة شرائية حيث كانوا يقطعون الملح قطعا ويتبايعون بها .

ويأتى الرقيق فى الدرجة الثانية بعد الذهب وكان يصدر إلى المغرب ومنها إلى بعض البلاد الإسلامـيـة وإلى أوروبا ، وقد زاد إقبال الأوروبيين على الرقيق بعد اكتشاف الامريكتين لاستخدامهم كأيدى عاملة فى الزراعة والتعدين ونشأت بذلك تجارة الرقيق كتجارة رابحة .

وكان الفول السودانى والكولا يعد من سلع التصدير المهمة وكان الفول هو الآخر يبادل بالملح .

أما العاج فقد كان من أهم الصادرات إلى المغرب ومصر وأوروبا .

أمـا السلع التى كانت ترد إلى السودان الغربى فمن أهمها الأقمشة والحلى الزجاجية والعطور والكتب والودع والنحاس والملح وهذا الأخير كانت تتم مبادلته بالذهب ؛ فضلاً عن الفول السودانى كما سبق القول .

---

(٣٨) بوعزيز ، يحيي ، طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوروبيون خلال القرن التاسع عشر ، ص١٢٥ ـ ١٣٠ .

ومن أهم المراكز التجارية فى السودان الغربى مدينة ينى أو نيانى ومدينة تنبكتو ومدينة جاو ومدينة جني[(٣٩)].

كذلك ينبغى أن نشير إلى مدينة أودغست (فى موريتانيا الحالية) التى تعد مثالاً واضحا للمدن الإسلامية التى نشأت وتطورت عمرانيا نتيجة موقعها الجغرافى على مسلك تجارى شهير ، وبدأت تدب فيها عوامل الهرم وأخذت طريقها نحو الانحدار لما فقد هذا المسلك أهميته أو وقع التحول عنه فازدهار هذه المدينة ارتبط بازدهار مدينة سجلماسة فقد كانت تمثل محط رجال قوافل التجارة الكبرى بين سجلماسة باعتبارها آخر مدينة مغربية فى اتجاه الجنوب وبلاد غانة هدف القوافل لتوريد الذهب والرقيق ، ولكنها لم تكن محط رحال القوافل لمجرد الاستراحة ثم مواصلة السير ، فذلك أمر لا يكفى لخلق حركة تجارية دائبة وازدهار عمرانى بل كان سوقها نقطة لقاء يغير فيها تجار قوافل الشمال بضائعهم بالبضائع المستوردة إلى أودغست من بلاد غانة لا سيما الذهب [(٤٠)].

أما سجلماسة فهى أولا وقبل كل شئ مدينة تجارية ويعود الفضل فى ازدهارها وتقدمها المعمارى ومظاهر الترف فى حياتها الاجتماعية وهجرة الناس إليها إلى نشاطها التجارى ومركزها البارز فى مفترق مسالك تجارية شهيرة فى تاريخ التجارة المغربية فى العصر الإسلامى الوسيط .

والحق ان سجلماسة لم تكن تمثل خاتمة المطاف بالنسبة للقوافل فهى تتجه إليها باعتبارها مركزاً تجاريا نشطا مع بلاد السودان فهى إذن باب لمعدن التبر أو ميناء صحراوى تتجمع فيه بضاعتان ثمينتان من بضائع العصر هما الذهب والرقيق ، وعلى ذلك فإن جميع القوافل التجارية المتجهة نحو بلاد السودان الغربى أو العائدة منها كانت تمر بسجلماسة ومن ثم كانت سجلماسة مركزاً تجاريًا عالميا عصرئذ[(٤١)].

---

(٣٩) عوض الله ، تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربى ، ص٨٤ ـ ٨٩ .

(٤٠) الجنحانى ، الحبيب ، المجتمع العربى الإسلامى ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، الكويت (٢٠٠٥م)، ص١٦٧ ـ ١٦٨ .

(٤١) الجنحانى ، المجتمع العربى ، ص١٥٨ ـ ١٦٠ ؛ وعن الطريق من سجلماسة إلى مصر . انظر ، موسى ، عز الدين عمر ، دراسات إسلامية غرب افريقية ، بحوث تاريخية ، الإصدار الثانى ، الرياض (١٩٩٩م)، ص٤١ ـ ٥٦ .

الفصل الرابـــع

الحيـــاة العلميـــة والفكريـــة

مقدمـــة :-

إختلف تعريف الناس للعلم على مر العصور ، كما إختلفت مفاهيمه وقيمه عندهم ، علماء وعامة على حد سواء ، وإذا كان الأمر كذلك فما هو المفهوم الذى يتجلى فى أذهاننا عند سماع كلمة علم بمعنى Science .

إن هناك علوما محددة كالفيزياء والكيمياء نستطيع تعريفها وتمييزها حسب موضوعاتها وحقولها الخاصة والعامة فهل العلم هو مجموعة المعارف التى تشملها هذه العلوم مجتمعة ؟

ان قبولنا هذا التعريف للعلم يخرج من نطاقه دراسات قيمة كالتاريخ والآثار وفقه اللغة والنقد الأدبى . إن الجامعات تجرى على تقليد تاريخى يقسم الجامعة إلى كليات متميزة منها كلية الآداب وكلية العلوم وموضوعات كلية الآداب تضم التاريخ والجغرافيا والفلسفة وموضوعات أخرى لا تعنى بها كلية العلوم إلا حيث يدرس تاريخ العلوم وفلسفتها فهل تبعد هذه الموضوعات عن حقل العلم لمجرد أنها تبعد عن كليات العلوم ؟

ومهما يكن من أمر تعريفنا للعلم والمنهج العلمى فإن مناهج البحث فى العلوم النظرية والتطبيقية لا تختلف فى جوهرها عن مناهج البحث فى كثير من موضوعات كليات الآداب كبحث علماء الآثار الذين ينقبون فى الأطلال سعيا لاكتشاف شئ عن التاريخ القديم ، وهى أيضًا لا تختلف فى جوهرها عن منهج البحث عند المؤرخ الذى يؤمن بأن الكلمة المكتوبة - أى المستندات والوثائق التى بين يديه - قد لا تعطى الحقائق كما وقعت ، وإنما كما أريد لها أن تعرف ، سياسات خاصة أو أهواء خاصة ، ومن ثم فالمؤرخ يكدّ ليقرأ ما بين السطور كما يجدُّ ليستقرئ العوامل الخفية التى قد تجلو الحقيقة . إنه يخضع الوثائق والمستندات والنصوص التاريخية إلى نقد علمى رصين .

ومنهجه فى هذا لا يختلف عن منهج الناقد الأدبى والدارس لفقه اللغة والباحث فى آثار الفن وعوامل تطوره . وكما تتفق مناهج البحث فى هذه الحقول ، كذلك تتفق الطبائع العامة للمعارف التى تضمها . فإذا جرى العرف الأكاديمى على استبعاد هذه الحقول عن نطاق كليات العلوم فهل يحق لنا نحن الذين ندرس المنهج العلمى أن نساير

هذا العرف ونحن نعرف أن المنهج الذى ندرسه يسرى فى حقول العلم كما يسرى فى غير ما جرى العرف الأكاديمى على اعتباره علما .

والعلم هو مجموعة الخبرات والمعارف الإنسانية التى تشملها العلوم المختلفة التى تجعل الإنسان قادراً على التنبؤ والتقدير والفهم من حيث ربط الأسباب بالمسببات ، وعلى ضوء ذلك قسم العلم إلى فرعين : العلوم التجريبية والعلوم التجريدية ، ولكل علم منهما طبقات متعددة .

فالعلوم التجريبية تبدأ بالعلوم الفيزيائية وتنتهى بالعلوم الاجتماعية وبين البداية والنهاية تنضوى كل هذه المعارف التى نحصل عليها بالدراسات التجريبية ، وترتيب المعارف التجريبية بهذا النظام الطبقى يقتضى أن يكون العالم المبدع فى موضوعه ذا المام بالعلوم التى هى دونه ترتيبا ، فالعالم الكيميائى ينبغى أن يلم بحقول الفيزياء والعالم الاجتماعى ينبغى أن يلم بجميع حقول العلوم التجريبية .

وغنى عن البيان فإن هذا الترتيب الطبقى لم يعد يؤخذ مأخذ الجد لأن العلوم فى عصرنا قد اتسعت بحيث صار العالم الفيزيائى مثلا غير قادر على اللحاق بالتطوير العلمى فى حقل تخصصه المحدود بل الالمام بكل حقول الفيزياء .

أما العلوم التجريدية فيجرى السعى وراء الحقيقة فيها عن طريق التفكير المجرد أكثر مما يجرى عن طريق التجارب العملية ، وهذه قسمت من قديم إلى طبقات ثلاث أدناها العلوم الرياضية وفوقها الفلسفة والفكر الأدبى وفوقها الفقه والروحانيات .

ويضع العلماء هذه الطبقات التجريدية فوق صرح الطبقات التجريبية على اعتبار أن العالم المختص فى أى منها هو بحاجة إلى الالمام بما هو دون طبقته من معارف إذا هو تطلع إلى أن يكون مبدعا ذا رسالة وذا رأى .

وهكذا فإن حقول المعرفة الإنسانية لا يمكن أن يقوم أى منها بمعزل عن الآخر إذا أريد لها أن تبقى معرفة بناءة متطورة خلاقة ، ومن ثم فلا بد للعلم من أن يقف على أرض صلبة من العلوم التجريبية والعلوم التجريدية على حد سواء ، والا كان كمن يسبح فى فراغ أو يصرخ فى خواء ، فالعلم هو سبيلنا إلى النصر فى معركة البقاء ، انه روح العصر الحاضر والعصر المقبل وطابعهما به تقرر مصائر الأمم والشعوب ، وربما كانت الخطيئة الكبرى التى ارتكبها رجال التربية فى الدول النامية (أو دول العالم

الثالث) أنهم وضعوا برزخا بين العلم والأدب لا يبغيان[1].

أما عن الحركة العلمية فى الحضارة الإسلامية فيمكن القول أن الحياة العلمية والفكرية فى دار الإسلام قد إزدهرت أيما ازدهار بحيث صارت اللغة العربية لغة عالمية للعلم والمعرفة فى العصور الوسطى وبدايات العصر الحديث .

هذا وقد كان وراء هذا الازدهار العلمى والفكرى فى دار الإسلام عدة عوامل نستطيع أن نجملها فى عدة نقاط :

ويأتى على رأس هذه النقاط الإسلام نفسه فقد حث على العلم والتعلم ، وكان أول لفظ نزل فى القرآن الكريم هو « اقرأ » والقراءة ليست غاية فى حد ذاتها وإنما هى وسيلة لطلب العلم من أوسع أبوابه ، كما حث الإسلام على النظر والتأمل فى ملكوت السموات والأرض ، ورفع من قدر العلم والعلماء وأكد على تحرير الإنسان وانطلاق تفكيره والاستفادة من مواهبه وملكاته والاهتداء بمداركه البشرية إلى دراسة الظواهر الطبيعية وكشف أسرارها وقوانينها وهناك آيات كثيرة فى القرآن الكريم تدل على هذا وذاك وهو الأمر الذى يشير إلى أن النشاط العلمى لا بد أن يشكل جزءاً لا يتجزأ من حياة المجتمع الإسلامى .

والأحاديث النبوية الشريفة أيضًا كثيرة وتدعو إلى أهمية العلم والتعلم منها قوله (ﷺ) « اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد » وقوله (ﷺ) « غدوة فى طلب العلم أحب إلى الله من مائة غزوة » و « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدماء الشهداء » و « انما العلماء ورثة الأنبياء » و « لا خير فيمن كان من أمتى ليس بعالم ولا متعلم» و « لكل شئ عماد وعماد الإسلام العلم » و « من علّم علما فله أجر ما علم به » و « خير العلم خير من خير العبادة » و « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

وليس أدل على اهتمام الرسول (ﷺ) بالعلم والتعلم من أنه فرض على كل أسير من أسرى المشركين عقب معركة بدر الكبرى يجيد القرأة والكتابة ولا يستطيع أن يفدى نفسه أن يعلم عشرة من أبناء المسلمين ، كما حث الصحابة على تعلم اللغات غير العربية حين بعث دعاته ورسله إلى الملوك والأمراء المعاصرين له فنصح زيد بن

---

(١) سعيدان ، أحمد سليم ، مقدمة لتاريخ الفكر العلمى فى الإسلام ، الكويت (١٩٨٨م)، ص١٢ ـ ٢١ .

ثابت (رضى الله عنه) بأن يتعلم كتابة اليهود لأنه لا يأمن جانبهم وقال « من عرف لغة قوم أمن شرهم »[٢].

كذلك أشاع الإسلام جواً من الحرية والتسامح لم يعرفهما العالم من قبل فأباح الاستفادة بالعناصر البناءة فى تراث السابقين يهوداً كانوا أو نصارى أو وثنيين ، عربا كانوا أو أعاجم ـ ولم يمانع فى أن يتعلم المسلم علما نافعا على يد أستاذ غير مسلم أو فى أن يقوم طبيب غير مسلم بعلاج مريض مسلم كما سنشير فيما بعد .

وفى ظل الدولة الإسلامية التى اتسعت رقعتها وامتدت حدودها من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب تم تحقيق قدر كبير من الأمن والأمان لم يعرفه أى جزء من أجزاء العالم من قبل وهو الأمر الذى يسر الرحلة فى طلب العلم بحيث غدا الانتقال من بلد إلى آخر فى المشرق والمغرب من الأمور المألوفة والشائعة ، وعلى ذلك كانت الرحلة فى طلب العلم عاملاً آخر من عوامل ازدهار الحركة العلمية والفكرية فى الحضارة الإسلامية[٣].

كذلك كانت حركة الترجمة من أهم العوامل التى أدت إلى ازدهار الحركة العلمية والفكرية كما سنشير فيما بعد .

ويضاف إلى ما سبق تشجيع الخلفاء والسلاطين والأمراء والوزراء وكبار رجال الدولة ومن نهج نهجهم من ذوى الجاه واليسار ، فضلا عن النساء ، للعلم والتعلم بالاكثار من انشاء دور العلم المختلفة وترجمة الكتب وتأليفها ووقف الأوقاف الكثيرة المغلة دوره البارز والمهم فى ازدهار الحركة العلمية والفكرية فى الحضارة الإسلامية فى المشرق والمغرب على السواء[٤].

---

(٢) عاشور ، دراسات ، ص٢٣ ؛ فؤاد باشا ، أحمد ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، القاهرة (١٩٨٣م)، ص٢٧ ـ ٢٨ .

(٣) عاشور ، دراسات ، ص٢٣ ـ ٢٥ .

(٤) مما له دلالته فى هذا الصدد أن نشير إلى أنه لا يخلو كتاب من الكتب التى تناولت الحضارة الإسلامية من دراسة الحركة الفكرية والعلمية وابراز العوامل التى كانت وراء ازدهارها بصفة عامة وهى تلك الكتب التى يراها القارئ فى هوامش الكتاب ، ومن جهة أخرى هناك بعض الدراسات التى ركزت على دراسة الحركة العلمية فى قطر بعينه أو مدينة بعينها إما خلال عصر معين أو خلال قرن أو أكثر أو من خلال المصادر التاريخية أو أبرزت دور الأوقاف فى ازدهارها وحسبنا أن نشير إلى بعض ما صدر من هذه الدراسات ومنها ، الوكيل ، الحركة العلمية فى عصر الرسول وخلفائه ، جده ، ط٢ (١٩٨٩م) ؛ العبيكان ، طرفه عبد العزيز ، الحياة العلمية والاجتماعية فى مكة فى القرنين السابع والثامن للهجرة ، الرياض (١٩٩٦م)؛ شهاب ، على منصور نصر ، الحياة العلمية فى القدس فى القرن الثامن الهجرى (فى ضوء كتاب الدرر الكامنة لابن حجر) ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، الرسالة ١٦٩ ، =

ولما كان المقام لا يتسع ، ووفقا للخطة الموضوعة لهذا الكتاب المجّمل ، لابراز كافة التفاصيل والمفردات المتعلقة بموضوع الحركة العلمية والفكرية فى دار الإسلام والعوامل المختلفة التى كانت وراء تطورها وازدهارها بصفة عامة أو فى كل عصر من العصور التاريخية المتعاقبة فى المشرق والمغرب بصفة خاصة ، ولذلك أثرنا أن نخصص هذا الفصل لدراسة حركة الترجمة وأهم العلوم الإسلامية فى الحضارة الإسلامية على أن نعود إلى دراسة كل ما يتعلق بهذا الموضوع تفصيلاً واسهاباً وتحليلاً فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

المبحث الأول : حركة الترجمة :-

بفضل حركة الفتوح وما أسفرت عنه من اتساع دولة الإسلام واستقرار المسلمين فى الأقطار المفتوحة ؛ تلك الأقطار التى كانت مراكز حضارية مهمة قبل الإسلام من جهة وما آثاره الإسلام فى المسلمين من حماسة للعلم وما حثهم عليه من تسامح ازاء أهل الديانات والثقافات الأخرى من جهة أخرى نشأت حركة الترجمة إذ كان لا بد للفاتحين الجدد من التزود بقسط نافع من تلك الحضارات التى التقوا بها ووجدوا بين ظهرانيها ولا سبيل إلى ذلك بطبيعة الحال إلا بترجمتها إلى لغتهم .

هذا وقد مرت حركة الترجمة بمراحل مختلفة من النضج والكمال فالترجمة فى القرن الأول الهجرى هى غير الترجمة فى القرن التالى أى أن التباين كائن بينهما فى أمور عدة منها : ثقافة المترجم ومعرفته بالمادة المترجمة ودرجة اتقانه للغات التى

= الحولية ٢٢ ، الكويت (٢٠٠٠ - ٢٠٠١م)؛ المزينى ، عبد الرحمن سليمان ، الحياة العلمية فى القرنين السابع والثامن الهجريين ، المدينة المنورة (٢٠٠٣م)، عسيرى ، مريزن سعيد ، الحياة العلمية فى العراق فى العصر السلجوقى ، مكة المكرمة (١٩٨٧م)؛ العرينى ، يوسف على ، الحياة العلمية فى الأندلس فى عصر الموحدين ، الرياض (١٩٩٥م)؛ أمين ، محمد محمد ، الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر (٦٤٨ - ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م)، القاهرة (١٩٨٠م)، ص٢٢٣ - ٢٧٥ ؛ عبد العاطى، عبد الغنى محمود ، التعليم فى مصر زمن الأيوبيين والمماليك ، القاهرة ، ط٢ (٢٠٠٢م)؛ الحجى ، حياة ناصر ، صور من الحضارة العربية الإسلامية فى سلطنة المماليك ، الكويت (١٩٩٢م) ؛ عز الدين، محمد كمال الدين ، الحركة العلمية فى مصر فى دولة المماليك الجركسة ، بيروت (١٩٩٠م) ؛ الزور ، خليل داود ، الحياة العلمية فى الشام فى القرنين الأول والثانى للهجرة ، بيروت (١٩٧١م)؛ عبد العزيز ، محمد الحسينى ، الحياة العلمية فى الدولة الإسلامية ، الكويت (١٩٧٣م)؛ حسين ، كرم عجيل ، الحياة العلمية فى مدينة بلنسية الإسلامية ٩٢ - ٤٩٤هـ، بيروت (١٩٧٦م) .

يترجم منها وإليها وعدد تلك اللغات التى يتقنها والمحيط الذى يترجم فيه والمصادر التى يترجم عنها ... إلى غير ذلك من أمور هى من صفات ومميزات الترجمة ، كان القرن الثانى فيها قد جاوز القرن الأول كثيراً أى أن عامل الزمن هنا كان يمضى لصالح تطور هذه الحركة .

وهكذا فإن ما ينطبق على القرنين الأول والثانى فى هذا الباب ، ينطبق أيضًا على القرنين التاليين وهما القرن الثالث والرابع الهجريين .

ولكى نقف على حقيقة هذا التطور وأهميته فى حركة الترجمة عبر تاريخها لا بد لنا من جعلها ضمن مراحل زمنية ابتداء من مرحلة قيامها وحتى مرحلة انتهائها وذلك للوقوف على مقدار تطورها ضمن كل مرحلة من تلك المراحل .

ومن هذا المنطلق اختلف الباحثون المحدثون حول تقسيم الأدوار أو المراحل التى مرت بها حركة الترجمة فمنهم من يجعل هذه الحركة فى مرحلتين من التطور مقتصراً فى ذلك على العصر العباسى دون الرجوع إلى العصر الأموى ، ومنهم من يجعلها فى مرحلتين رئيستين هما الترجمة فى العصر الأموى والترجمة فى العصر العباسى ، ومنهم من يجعل تطورها فى ثلاث مراحل هى مرحلة ما قبل الرشيد والمأمون ومرحلة الرشيد والمأمون والبرامكة ومرحلة ما بعد المأمون ، ومنهم من يجعل هذه الحركة فى العصر العباسى فى ثلاث أدوار هى من خلافة المنصور إلى أواخر عهد الرشيد ، ومن عهد المأمون إلى نهاية القرن الثالث الهجرى ثم المرحلة الأخيرة من أوائل القرن الرابع الهجرى .

وهناك من يجعل حركة الترجمة فى مرحلتين رئيسيتين تبدأ الأولى منها بالعصر الأموى وتنتهى باعتلاء المأمون عرش الخلافة ، أما المرحلة الثانية فإنها تبدأ بخلافة المأمون وتستمر فى عهد خلفائه من بنى العباس .

وهناك من يجعل حركة الترجمة فى أربعة مراحل رئيسية هى :

١ ـ الترجمة فى العصر الأموى .

٢ ـ الترجمة فى عهد المنصور والرشيد .

٣ ـ الترجمة فى عهد المأمون .

٤ ـ الترجمة فى عصر ما بعد المأمون(٥).

---

(٥) الجميلى ، رشيد ، حركة الترجمة فى المشرق الإسلامى فى القرنين الثالث والرابع للهجرة ، بغداد (١٩٨٦م)، ص٢٧ ـ ٢٩ .

والحق ان الجذور الأولى لحركة الترجمة ترجع إلى عصر الرسول (ﷺ) فقد كان يكلف بعض الصحابة بتعلم بعض اللغات الأخرى كالعبرية والسريانية ومنهم زيد بن ثابت (رضى الله عنه) الذى يقال أنه تعلم السريانية فى سبعة عشر يوما.

ويروى عن زيد أنه قال « قال لى النبى (ﷺ) أنى اكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا على أو أن ينقصوا فتعلم السريانية فتعلمها فى سبعة عشر يوما » وفى رواية أخرى «وكانت ترد على رسول الله (ﷺ) كتب بالسريانية فأمر زيداً فتعلمها وكتب بعد النبى (ﷺ] لأبى بكر وعمر وكتب لهما معه معيقب الدوسى أيضًا(٦).

كما أن بعض الصحابة كانوا ينتمون إلى أصول غير عربية (أعاجم) ومنهم سلمان الفارسى وصهيب الرومى وبلال الحبشى.

ومن الطبيعى أن أهمية الترجمة فى تلك الفترة كانت محدودة للغاية إذ إقتصرت على ترجمة الرسائل التى بعثها الرسول (ﷺ) إلى الملوك والأمراء المعاصرين له (ومنهم كسرى الفرس وقيصر الروم ونجاشى الحبشة والمقوقس عظيم القبط بمصر وغيرهم) وكان كل رسول من الرسل المكلفين بحمل هذه الرسائل يتكلم بلسان القوم الذين بعث إليهم(٧).

كذلك كان على هؤلاء الرسل ترجمة الردود المختلفة من قبل هؤلاء الملوك والأمراء إلى الرسول (ﷺ).

وقد استمرت الترجمة تسير فى نفس الاتجاه خلال عصر الخلفاء الراشدين ولا سيما بعد أن إتسعت رقعة الإسلام بفضل حركة الفتوح فى العراق والشام ومصر وفارس

---

(٦) ابن الأثير، أسد الغابة فى معرفة الصحابة، جـ٢، بيروت، د ت، ص١٢٦ - ١٢٧؛ حمد، محمد عبد الحميد، اسهام الرقة وديار مضر فى الترجمة، ضمن أعمال المؤتمر السنوى السادس لتاريخ العلوم عند العرب، حلب (١٩٨٤م)، ص١٠٦، النملة، على إبراهيم، مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين، الرياض (١٩٩٢م)، ص٥٦ - ٥٩؛ الباشا، دراسات فى الحضارة. ص٨٤؛ عبد الرازق، الحضارة الإسلامية، جـ٢، ص١٤.

(٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ١، ص٢٥٨ - ٢٥٩؛ ومما له دلالته فى هذا الصدد أنه لا تزال توجد نسخ عربية من رسائل الرسول (ﷺ) محفوظة فى عدة أماكن وهناك اختلاف بين العلماء والباحثين حول مدى أصلية النسخ الباقية لهذه الرسائل من عدمه. انظر فى ذلك، حميد الله، محمد، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة، بيروت، ط٣ (١٩٦٩م)؛ المنجد، صلاح الدين، دراسات فى تاريخ الخط العربى منذ بدايته حتى نهاية العصر الأموى، بيروت (١٩٧٢م)، ص٣٢ - ٣٥؛ الفعر، محمد فهد عبد الله، تطور الكتابات والنقوش فى الحجاز منذ فجر الإسلام حتى منتصف القرن السابع الهجرى، جدة (١٩٨٤م)، ص١٠٧ - ١١٥؛ التل، صفوان، تطور الحروف العربية على آثار القرن الهجرى الأول، عمان (١٩٨٠م)، ص١٥ - ٢٤.

فكان لا بد من وجود مترجمين بين الفاتحين وأهالى الأقطار المفتوحة سواء كانوا من العرب أنفسهم أو من أهالى تلك الأقطار ، وتؤكد الأدلة الآثارية الباقية ذلك إذ توجد بعض البرديات التى تحتوى على نص واحد ولكنه مكتوب بلغتين مختلفتين هما العربية واليونانية والذى إن دل على شئ فإنما يدل على وجود مترجمين فى هذه الفترة وترجع أقدم هذه البرديات إلى عصر الخليفة الثانى عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ومنها بردية أهناسيا المحفوظة فى مجموعة راينر فى فيينا والمؤرخة بشهر جمادى الأولى عام ٢٢هـ/٦٤٢م[(٨)] .

وبعد انتقال الخلافة الإسلامية إلى دمشق على يد الأمويين وبلغت الدولة الإسلامية أقصى إتساعها بعد أن أدركت الفتوح الإسلامية - برا وبحراً - أقصى مداها شرقا وغربا كان لا بد أن تحظى الترجمة بمزيد من العناية والاهتمام فى ذلك المجتمع الجديد - أى مجتمع دمشق عاصمة الخلافة الأموية - الذى ينطق كل أثر فيه بمختلف النواحى الحضارية التى إزدهرت قبل الإسلام فى ظل الدولة البيزنطية . غير أن ما يعنينا من هذه النواحى الحضارية فى هذا المقام هو ما يتصل بالحركة العلمية .

ومن هذا المنطلق نظر البعض إلى حركة الترجمة فى العصر الأموى فيرون أنها تمثل حجر الأساس لحركة الترجمة عموما بل إنها كانت المنطلق الأول لها فى أنحاء العالم الإسلامى مشرقه ومغربه[(٩)] .

هذا وقد اختلفت الآراء حول أول ترجمة تمت فى العصر الأموى بين المؤرخين القدامى والمحدثين فالنديم وغيره يرون أن خالد بن يزيد بن معاوية الملقب بالحكيم أو حكيم آل مروان (المتوفى ٨٥هـ/ ٧٠٤م وقيل ٩٠هـ/ ٧٠٩م) هو أول من أمر بترجمة كتب الصنعة (الكيمياء) والطب وغيرها[(١٠)] .

---

(٨) صالح ، عبد العزيز حميد ، وآخرين ، الخط العربى ، بغداد (١٩٩٠م)، ص٤٩ - ٥٠ ؛ الحسن ، صالح إبراهيم ، الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط ، الرياض (٢٠٠٣م)، ص٥٥ ؛ الجبورى ، يحيي وهيب ، الخط والكتابة فى الحضارة العربية ، بيروت (١٩٩٤م)، ص٥٠ - ٥١ ؛ المنجد ، دراسات ، ص٣٧ . ومما له دلالته فى هذا الصدد أن نشير إلى رواية مهمة فحواها أنه قامت علاقة وطيدة بين الوالى عمير بن سعد (المتوفى ٢٦هـ/ ٦٤٦م) وبين البطريق يوحنا الثانى (٦٣١ - ٦٤٨م) الذى قام بناءً على طلب الوالى بترجمة الأناجيل إلى العربية فندب لهذه المهمة مترجمين من بنى عقيل وتنوخ وطئ وتمت أول ترجمة عربية للعهد الجديد فى أديرة الرقة والجزيرة عام ١٤٣هـ/ ٧٦٠م. (وهناك من يرى أن هذه الرواية تحتاج إلى مزيد من التثبيت فى النسبة والعلاقة) . حمد ، اسهام الرقة وديار مضر ، ص١٠٩ ؛ النملة ، مراكز الترجمة ، ص٥٨ - ٦٠ حاشية ١٤٧ .

(٩) الجميلى ، حركة الترجمة ، ص٣٠ .

(١٠) النديم ، الفهرست ، ص٣٠٠ ، ٤٣٤ ؛ الجاحظ ، البيان والتبيين ، جـ١ ، ص١٢٦ ؛ ابن خلكان =

ويرى بعض المستشرقين أن أول كتاب ترجم إلى العربية تمت ترجمته عام ١٢٥هـ/ ٧٤٢م ، أى فى أواخر العصر الأموى[11].

ويذكر رأى ثالث أن أول ترجمة ترجع إلى معاوية بن أبى سفيان مؤسس الدولة الأموية وأول خلفائها (٤١ ـ ٦٠هـ/ ٦٦١ ـ ٦٧٩ م) فقد كان مغرما بالاطلاع على سير الملوك وسياستهم فترجمت له كتب متصلة بهذا الموضوع[12]، وقد استنبط صاحب هذا الرأى ذلك من خلال ما ذكره المسعودى عن برنامج معاوية الخاص فيقول « يدخل ـ أى معاوية ـ فينام ثلث الليل ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها والحروب والمكايد فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون وقد وكلوا بحفظها وقراءتها فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات »[13].

ويرى البعض أن تلك الكتب كانت باللغتين اليونانية واللاتينية وفيها أخبار اليونان والرومان ، وأضاف البعض اللغة الصينية على أثر استلام معاوية لهدية من ملك الصين كانت كتابا ترجم فى عهده أو بعيد عهده .

وعلى ذلك كان دور هؤلاء الغلمان ينحصر فى تفسير هذه الكتب لمعاوية باللغة العربية ، ولكن هل كانت هذه الترجمة فورية ؟ أم انها كانت معدة مسبقًا وكان الغلمان يقرأون ما ترجموه سابقا ؟ والأصح هو الرأى الأخير لأن الترجمة الفورية فى هذا الموضوع عملية مملة ولا يمكن أن يستوعبها عقل[14].

كذلك ينسب البعض الترجمة إلى الخليفة الأموى مروان بن الحكم فقد أمر بترجمة

= وفيات الأعيان ، مج١ ، ص٢٣٧ ـ ٢٣٨ ؛ (ومن الكتب التى نسبت ترجمتها إلى خالد بن يزيد غير الصنعة والطب كتب النجوم والكيمياء والحروب والآداب والآلات والصناعات والفلك)؛ الكتانى ، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية ، مج٢ ، ص٢٦٧ ـ ٢٦٩ ؛ عاشور ، دراسات، ص٨٥ ـ ٨٦؛ عبد الرازق ، الحضارة ، جـ٢ ، ص١٤ .

(١١) عن : قارى ، لطف الله ، نشأة العلوم الطبيعية عند المسلمين فى العصر الأموى ، الرياض (١٩٨٦م)، ص٩٢ ؛ حماد ، محمد رفيق ، علم الكيمياء عند العرب وأعلامه ، الكويت (٢٠٠٠)، ص٩٢ .

(١٢) قارى ، نشأة العلوم ، ص٦٦ ـ ٦٧ ؛ بدايات الترجمة فى العهد الأموى ، ضمن أعمال المؤتمر السنوى السادس لتاريخ العلوم عند العرب ، حلب (١٩٨٤م)، ص٢٨٥ ـ ٣٠٠ ؛ النملة ، على إبراهيم ، مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين ، الرياض (١٩٩٢م)، ص٦٢ .

(١٣) المسعودى ، مروج الذهب ، جـ٣ ، ص٣٨ .

(١٤) قارى ، نشأة العلوم الطبيعية ، ص٦٧ ؛ بدايات الترجمة ، ص٢٨٧ ـ ٢٨٨ ؛ النملة ، مراكز الترجمة ص٦٢ ؛ حماد ، علم الكيمياء ، ص٩٥ ؛ زيدان ، جورجى ، تاريخ آداب اللغة العربية ، جـ١ ، بيروت، ط٢ (١٩٨٣م)، ص٢٢٥ .

كتاب الكناش (وكان عبارة عن ثلاثين مقالة) لأهرن بن اعين المعروف بـ «أهرن القس» على يد الطبيب ماسرجيس أو ماسرجويه (Masarjuaih)، وكان أهرن من الأطباء الذين عاشوا فى الاسكندرية فى عهد هرقل (٦١٠ ـ ٦٤١م) ووضع كتابا باليونانية ثم نقله إلى السريانية ويقال أن الكتاب أصلاً كان مؤلفا باللغة السريانية ، وظل هذا الكتاب المترجم محفوظا فى خزائن الكتب بالشام حتى خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩ ـ ١٠١هـ) « فحرضه بعضهم على اخراجه إلى المسلمين للانتفاع به فاستخار الله فى ذلك أربعين يوما ثم أخرجه إلى الناس وبثه فى أيديهم »[١٥].

وعلى ضوء ما تقدم يتضح أن المصادر التاريخية تكاد تجمع كلها على أن خالد بن يزيد بن معاوية هو أول من أمر بترجمة الكتب إلى اللغة العربية ، وكان خالد الذى اطل على الخلافة ثلاثة أشهر ثم أثر التفرغ للعلم مولعا بالصنعة (الكيمياء) لا سيما وأنه قد ورث عن جده معاوية مكتبة كبيرة وتلقى علوم الأوائل على يد معلمه ماريوحنا الدمشقي ويسمى أحيانا مريانوس وكان صديقا لوالد خالد (يزيد بن معاوية المتوفى ٦٤هـ) ونديمه فى صباه ، وقد ترجم مريانوس لخالد بن يزيد ، وممن ترجم له أيضًا اصطفن (ويقال له اصطفن الحصرى أو القديم) وترجم له أيضًا بعض الكتب عن الفارسية جبلة بن سالم ، ومن الكتب التى ترجمت لخالد بن يزيد كتاب مفتاح النجوم أو مفتاح أسرار النجوم لهرمس الحكيم[١٦]. (وهناك من يذكر أن هذا الكتاب قد ترجم عام ١٢٥هـ) .

ويضيف النديم فيذكر عن خالد بن يزيد أنه كان خطيبا شاعراً فصيحا ذا رأى وأن له « عدة كتب ورسائل ، وله شعر كثير فى هذا المعنى رأيت منه ـ أى النديم ـ نحو خمسمائة ورقة ورأيت من كتبه : كتاب الحرارات ، كتاب الصحيفة الكبير ، كتاب الصحيفة الصغير ، كتاب وصيته إلى ابنه فى الصنعة (الكيمياء) ... »[١٧].

---

(١٥) النديم ، الفهرست ، ص٣٥٨ ؛ ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، ص١٥٨ ؛ زيدان، تاريخ آداب العربية ، جـ١ ، ص٢٣٣ ؛ الكتانى ، نظام الحكومة النبوية ، ص٢٦٩ ـ ٢٧٠ ؛ حماد ، علم الكيمياء ، ص٩٣ ـ ٩٤ ؛ ابن جلجل ، أبو داود سليمان ، طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق محمد سيد كيلانى ، القاهرة (١٩٥٥م) ، ص٦٣ ؛ قارى ، بدايات الترجمة ، ص٢٩٣ ـ ٢٩٥؛ النملة ، مراكز ، ص٧١ .

(١٦) النملة ، مراكز الترجمة ، ص٦٢ ـ ٦٥ .

(١٧) النديم ، الفهرست ، ص٤٣٤ .

أما ابن خلدون فقد كان من أوائل من شككوا فيما نسب إلى خالد بن يزيد وقد برر موقفه هذا بقوله « ومن المعلوم البين أن خالداً من الجيل العربى والبداوة إليه أقرب فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالجملة فكيف له بصناعة غريبة المنحى مبنية على معرفة طبائع المركبات وأمزجتها وكتب الناظرين فى ذلك من الطبيعيات والطب ولم تظهر بعد ولم تترجم اللهم إلا أن يكون خالد بن يزيد آخر من أهل المدارك الصناعية تشبه باسمه فممكن »(١٨).

وفى عهد الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز تم نقل مدرسة الطب من الاسكندرية إلى انطاكية ثم إلى حران على يد طبيبه وصديقه عبد الملك بن أبجر الكنانى الذى قام بتنفيذ أمر الخليفة وكان عمر بن عبد العزيز « يستطب ابن ابجر ويعتمد عليه فى صناعة الطب »(١٩).

وفى عهد الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك (١٠٥ ـ ١٢٥هـ) ترجمت بضعة كتب منها كتاب فى السياسة عن الفارسية وكتب فى البيزرة منها ما نسب إلى خاقان ملك الترك وكان لدى هشام من يترجم أو يراجع الترجمات مثل أبى العلا سالم بن عبد الملك ونقل له من رسائل « ارسطاليس إلى الاسكندر» وله مجموع رسائل وقد ترجمها عن اليونانية ومنهم جبلة بن سالم الذى نقل عن الفارسية كتاب رستم واسفنديار وكتاب

---

(١٨) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، مج٢ ، ص٢٠٢ . ومما له دلالته فى هذا الصدد أن هذا القول كان دافعًا قويا لبعض المستشرقين للتشكيك فيما نسب لخالد بن يزيد ، والواقع أن هذا الاسلوب صار مألوفا لدينا فنرى بين الحين والآخر بعض الغربيين من يشكك فى عمل بارز يرفع من شأن الإسلام وحضارته ورجاله والغرض من ذلك واضح وجلى فهم يهدفون إلى غمز الإسلام وطمس دوره فى ظهور أعظم حضارة عرفتها البشرية فى العصور الوسطى ، ومن ذلك أنهم شككوا فى شخصية جابر بن حيان أبو الكيمياء فى العصور الوسطى ، وشككوا فى شخصية قسطنطين الافريقى الذى ترجم كتب الطب العربية إلى اللاتينية مما أدى إلى مولد مدرسة سالرنو الطبية بل لقد ذهب الكاتب السوفيتى السابق لوتسيان كاسيموفتش إلى التشكيك فى شخصية محمد عليه الصلاة والسلام فكتب كتابا عنوانه « لم يكن هناك محمد اطلاقا » ؛ عاشور ، دراسات ، ص٨٦ ؛ عبد الرازق ، الحضارة ، جـ٢ ، ص١٥ .

(١٩) ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء ، ص١٧١ ؛ النملة ، مراكز الترجمة ، ص٧١ ؛ الخالد ، صلاح الدين ، السريان ونقلهم التراث العلمى اليونانى الى الحضارة الإسلامية ، ضمن أعمال المؤتمر السنوى السادس لتاريخ العلوم عند العرب ، ص١٣٢ .

بهرام شوس وهما فى التاريخ والسياسة [٢٠].

ويذكر المسعودى « أنه رأى فى عام ٣٠٣خ/ ٩١٥م بمدينة أصطخر « ... كتابا عظيما يشتمل على علوم كثيرة من علومهم - أي علوم الفرس - وأخبار ملوكهم وأبنيتهم وسياستهم لم أجدها فى شئ من كتب الفرس ... وكان تاريخ هذا الكتاب أنه كتب مما وجد فى خزائن ملوك الفرس للنصف من جمادى الأخرة سنة ثلاث عشرة ومائة ونقل لهشام بن عبد الملك من الفارسية إلى العربية »[٢١].

وعن أهمية حركة الترجمة التى تمت خلال العصر الأموى (٤١ - ١٣٢هـ) يرى الكثير من العلماء والباحثين أن هذه الحركة رغم أنها كانت تمثل حجر الأساس لحركة الترجمة عموما بل والمنطلق الأول لها فى أنحاء العالم الإسلامى كما سبق القول ، إلا أنها كانت حركة بدائية وضعيفة المستوى إذا ما قورنت بالترجمات الأخرى فى العصر العباسى أو أنها كانت مجرد محاولات فردية ضيقة محدودة لم تلق اهتمام الدولة وإنما اعتمدت على الجهود الخاصة والرغبة الفردية وأنها وإن كانت قد انتعشت على يد الأشخاص المهتمين بها والقائمين عليها إلا أنها ماتت بموتهم ، ودليل ذلك أنه لم يصلنا ما وضع أو ترجم فى هذا العصر ويعزى ذلك لانشغال الأمويين بالحروب وتثبيت أركان الدولة التى اتسعت فى عهدهم . وفضلا عن ذلك كانت هذه الترجمة مقصورة على بعض العلوم كالصنعة والطب والنجوم دون أن تتعدى ذلك إلى العلوم العقلية كالمنطق والفلسفة وما وراء الطبيعة وغير ذلك[٢٢].

أما فى العصر العباسى فقد أخذت حركة الترجمة تتسع وتزداد قوة وصارت أوسع أفقا بل وغدت تمثل ركنا من أركان سياسة الدولة وحكامها[٢٣].

---

(٢٠) النملة ، مراكز الترجمة ، ص٧٢ - ٧٣ ، حماد ، علم الكيمياء ، ص٩٦ - ٩٧ ؛ قارى ، بدايات الترجمة، ص٢٩٨ .

(٢١) المسعودى ، التنبيه والإشراف ، بيروت (١٩٨١م) ص١٠٨ - ١٠٩ ؛ حماد ، علم الكيمياء ، ص٩٧ .

(٢٢) الجميلى ، حركة الترجمة ، ص٢٠ ؛ حماد ، علم الكيمياء ، ص٩٧ - ٩٨ ؛ عبد الرحمن ، حكمت نجيب ، دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب ، الموصل ، ص١٦ ؛ العمرى ، عبد الله ، تاريخ العلم عند العرب ، الأردن (١٩٩٠م)، ص٥٠ ؛ سليمان ، مصطفى محمود ، تاريخ العلوم والتكنولوجيا فى العصور القديمة والوسطى ، القاهرة (١٩٩٥م)، ص١٨٣ .

(٢٣) عاشور ، دراسات ، ص٨٨ .

ويمكن القول بأنه قد تضافرت خلال العصر العباسى عوامل كثيرة عملت مجتمعة على تشجيع وتنشيط هذه الحركة العلمية ، ونستطيع أن نجمل هذه العوامل فى النقاط التالية[٢٤] :

١ ـ كانت رعاية الخلفاء العباسيين للترجمة من أهم هذه العوامل التى دفعت حركة الترجمة خطوات واسعة إلى الأمام ، وقد استخدموا فى ذلك شتى السُبل والوسائل المادية منها والمعنوية ومن هؤلاء الخلفاء الذين رعوا هذه الحركة ـ رغم وجود تفاوت بين وعظيم بين واحد وآخر ـ كل من المنصور والرشيد والمأمون والمتوكل ، وكان المأمون أبرزهم فى رعاية هذه الحركة واحتضانها فقد سخر كل الامكانيات وطرق كل السبل ليعثر على الكنوز الفكرية الحبيسة فى مكتبات القسطنطينية وفى ذلك يذكر النديم ان المأمون « كان بينه وبين ملك الروم مراسلات ؛ وقد استظهر عليه المأمون فكتب إليه يسأله الإذن فى انفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم فأجاب إلى ذلك بعد امتناع فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلما صاحب بيت الحكمة وغيرهم فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا فلما حملوه إليه أمرهم بنقله ـ أى ترجمته إلى العربية ـ فنقل ... »[٢٥].

٢ ـ رعاية بعض الأسر للترجمة :

اهتمت بعض الأسر بحركة الترجمة اهتمامًا كبيراً مما كان له الأثر الفعال فى تشجيع وتنشيط هذه الحركة ولعل أشهر هذه الأسر هى أسرة البرامكة وأسرة موسى بن شاكر والتى كانت مصدراً ماليًا رئيسيًا لأبرز المترجمين فى ذلك الوقت .

٣ ـ رعاية بعض الأطباء والوزراء :

كان لرغبة بعض الأطباء والوزراء فى الحصول على ترجمات لشتى المصنفات ومن مصادرها المختلفة لا سيما الاغريقية منها أثرها فى تنشيط هذه الحركة ورعايتها ومن هؤلاء يحيي بن خالد البرمكى (ت١٩٠هـ/ ٨٠٥م) وزير الرشيد ، ومحمد بن عبد الملك

---

(٢٤) الجميلى ، حركة الترجمة ، ص٤٨ ـ ٦٤ .

(٢٥) النديم ، الفهرست ، ص٣٠١ .

الزيات (ت٢٣٣هـ/ ٨٤٦م) وزير المعتصم والواثق والمتوكل ، والطبيب يوحنا بن ماسوية (ت٢٤٣هـ/ ٨٥٦م) والطبيب سلمويه بن بنان (ت٢٢٥هـ/ ٨٣٨م) وغيرهم .

٤ ـ حاجة المسلمين إلى تراث الحضارات القديمة :

كانت حاجة المسلمين إلى تراث الأمم الأخرى التى سبقتهم فى ميدان الحضارة أثرها القوى والفعال ، ومن المعروف أن مرحلة الحاجة تسبق مرحلة التشوق والاستمتاع العقلى وهذا هو ما يفسر اقبال العرب على ترجمة بعض المعارف والعلوم مثل الطب دون غيرها من الآداب اليونانية والاساطير فاقبلوا على ترجمة الطب والفلسفة والمنطق ولم يترجموا الياذة هوميروس .

٥ ـ طبقات النقلة والمترجمين :

تعتبر جماعة النقلة من العوامل الفعالة والمكمل الرئيسى لمجموع العوامل الأخرى التى أدت إلى قيام حركة الترجمة ، لقدكان هؤلاء النقلة والمترجمين ينتمون إلى جنسيات وأديان مختلفة فهناك العربى والفارسى والهندى وهناك المسلم والمسيحى واليهودى والصابئى والمجوسى ، ولقد كان هناك اختلاف بين هؤلاء جميعا سواء فى معرفة عدد اللغات التى يتقنها كل منهم وأصلها ودرجة نقله بها وثقافته التى يتميز بها وأهميته بالنسبة لمترجمى عصره .

٦ ـ حركة الشعوبية :

كان التنافس بين العرب والشعوبيين من العوامل المهمة فى ازدهار حركة الترجمة، إذ كان من نتائج هذه الحركة العنصرية أن عكف الفرس على ترجمة تراثهم إلى العربية لا لشئ سوى لسبب واحد هو اظهار المجد الفارسى القديم ووضعه أمام العرب ليسألوهم وبصورة غير مباشرة : هذا تراثنا فماذا عندكم من تراث أيها العرب ؟ ومن أشهر هؤلاء ابن المقفع[٢٦] .

---

(٢٦) لمزيد من التفاصيل عن الشعوبية وأثرها ، انظر ، قدورة ، زاهية ، الشعوبية وأثرها الاجتماعى والسياسى فى الحياة الإسلامية فى العصر العباسى الأول ، بيروت (١٩٧٢م).

٧ـ ظهور صناعة الورق :ـ

كان لظهور صناعة الورق السابق الإشارة إليها فى الفصل السابق أثرها الكبير ليس فى ازدهار حركة الترجمة فحسب بل فى كل الجوانب الثقافية المتعلقة بهذه الحركة سواء كان ذلك فى التأليف والنسخ أو ـ وهو الأهم ـ فى كتابة علوم ومعارف المصنفات المترجمة من مصادرها المختلفة إلى اللغة العربية وما تمخضت عنه من نتائج كثيرة ظهرت أثارها فيما بعد فى شتى مضامين العلوم والآداب والفنون .

٧ـ الفرق الإسلامية :

كان لظهور الفرق الاسلامية الأثر الكبير فى ازدهار حركة الترجمة ولا سيما الفلسفة اليونانية خاصة ، حيث حاولت كل فرقة أن تدعم اراءها وأفكارها أولاً ثم دحض أراء وأفكار خصومهم ثانيا مما كان دافعا إلى شدة الاقبال على طلب الكتب الفلسفية ومن أبرز هذه الفرق المعتزلة الذين كانوا يشعرون بمدى حاجتهم إلى مجادلة خصومهم المسيحيين واليهود والمجوس بالحجج والبراهين ذاتها التى كان هؤلاء يستندون إليها ونعنى بذلك قواعد المنطق ومبادئ الفلسفة اليونانية .

وبمعنى آخر كانت هذه الفرق الإسلامية فى حاجة إلى قوالب علمية منطقية تصب فيها أفكارهم فتزداد أسلحتهم ويزداد تفكيرهم انطلاقا فكان الاقبال على تراث المناطقة والمفكرين الاغريق عن طريق الترجمة[٢٧].

ووصل الأمر إلى أنهم ذهبوا فى تفسيرهم لمعانى القرآن إلى حد تحميله مالا يطيق لدعم حججهم واقحام خصومهم .

٨ـ اللغة العربية :

استطاعت اللغة العربية بما وهبها الله (سبحانه وتعالى) من مرونة فى مادتها وثراء فى اللفظ والمعنى وكثرة مترادفاتها وقدرتها على دقة التعبير أن تكون وسيلة ناجحة لهذه الترجمة دون عناء فاستوعبت اللغة العربية كل هذه المعارف والعلوم بكل يسر ورحابة صدر .

---

(٢٧) محمود والشريف ، العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ص٢٧٠ .

واستطاع المترجمون أن يجدوا فى مواردها الخصبة أداة غنية بالتعبير والمترادفات والأدب العربى بطبعه أدب غنى بالتعابير الدقيقة التى يستطيع الكاتب أن يستغلها فى وصف أدق الحالات وأعقدها[٢٨].

ولا أدل على مرونة اللغة العربية وقدرتها على التعبير العلمى من أن المسلمين عندما بدءوا حركة الترجمة عن اليونانية أخذوا كثيراً من المصطلحات اليونانية بألفاظها العربية فقالوا : انالوطيقا وسوفسطيقا وقاطاغورياس وارثماطيقا وابيذيميا ولكنهم سرعان ما اكتشفوا أن لغتهم العربية قادرة على أن تعبر عن هذه المصطلحات بألفاظ عربية خالصة فتركوا الألفاظ السابقة وقالوا عنها بالترتيب : التحليل والمغالطة والمقولات العشر والرياضيات والوافدة ، وبذلك أظهرت اللغة العربية مقدرة عجيبة على مسايرة الاوضاع الجديدة والتطور [٢٨].

أما عن مراحل حركة الترجمة فى العصر العباسى فقد قسمها العلماء والباحثين إلى ثلاثة أدوار وهى :

١ - الترجمة فى عهد المنصور والرشيد ١٣٦ - ١٩٣هـ/ ٧٥٣ - ٨٠٨م :

يعتبر المنصور أول خليفة عباسي يقوم على رعاية حركة الترجمة ويعمل على تشجيعها وترجمت فى عهده الكتب عن اليونانية والسريانية والفارسية والسنسكريتية ومنها كتب النجوم على يد نوبخت المجوسى وإبراهيم الفزاوى وعلى بن عيسى الاسطرلابى ومن الكتب المترجمة فى عهده كتاب السند الهند (وهو أحد المذاهب الهندية فى علم النجوم) وكتاب ارسطوطاليس وكتاب المجسطى لبطليموس وكتاب اقليدس المسمى كتاب الأصول وكتاب الأركان وكتاب الارثماطيقى وعن الفارسية كتاب كليلة ودمنه لعبد الله بن المقفع[٢٩] .

أما الرشيد فيعد عهده من أزهى العصور التى مرت بها حركة الترجمة حتى مطلع عصر ابنه المأمون ، فقد وصلت الترجمة فى عهده حداً من التطور الكمى والنوعى لم تصل إليه من قبل ، ولا نغفل فى عهد الرشيد أيضًا دور البرامكة فى رعاية حركة الترجمة وعلى رأسهم يحيي بن خالد البرمكى .

---

(٢٨) الجميلي ، حركة الترجمة ، ص٤٨ - ٦٤ .

(٢٩) عاشور ، المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوروبية ، القاهرة (١٩٦٣م)، ص ١١ .

٢ - الترجمة فى عهد المأمون ١٩٨ - ٢١٨هـ/ ٨١٣ - ٨٣٣م :

ويمثل عهده العصر الماسى لحركة الترجمة وبرزت فى هذه الفترة ظاهرة التخصص فى الترجمة من اللغات المختلفة (الاغريقية والفارسية والسريانية) إلى العربية وقبل أن ينتهى عهد المأمون أصبح هناك إلمام جيد بعلوم الطب والفلسفة والرياضيات والتاريخ الطبيعى والفلك ، كما أصبح فى حوزة المسلمين أفضل ترجمات لمصنفات ابقراط وجالينوس وبطليموس واقليدس وارسطوطاليس .

وكان عهد المأمون هو أزهى عصور بيت الحكمة[٣٠] الذى كان أول مكتبة عامة ذات شأن فى العالم الإسلامى أنفقت عليها الدولة العباسية بسخاء .

ان بيت الحكمة هذا كان أكاديمية علمية بالمعنى الصحيح ولم تكن حركة النسخ داخل بيت الحكمة بأقل أهمية من حركة الترجمة ذاتها بل هما عمليتان متلازمتان تكمل احداهما الأخرى للدلالة على أهمية وجود بيت الحكمة فما أن يكون الكتاب المترجم قد تمت ترجمته حتى يتناوله النساخ بالنسخ وبأكثر من نسخة وذلك لتبقى النسخة الأصلية داخل بيت الحكمة ولتوزع النسخ الأخرى على المشاهير من الوزراء والعلماء ، وبعد عملية النسخ تأتى المرحلة الثالثة من مراحل انجاز الكتاب وهى مرحلة التجليد للمحافظة على الكتاب واعطائه منظراً جميلاً ، أما المرحلة الرابعة والأخيرة من مراحل انجاز الكتاب فهى مرحلة التوزيع .

٣ - الترجمة بعد عهد المأمون :

من أهم الخلفاء الذين جاءوا بعد المأمون وكان لهم دور فى رعاية حركة الترجمة الخليفة المتوكل على الله ٢٣٢ - ٢٤٧هـ / ٨٤٦ - ٨٦١م ، الذى أعاد للترجمة بعض ما كانت عليه فى عصر المأمون ، كذلك فإن النصف الأول من القرن ٤هـ/ ١٠م كان المكمل المباشر لنظيره النصف الأول من القرن ٣هـ/ ٩م ، ورغم ذلك فإنه خلال هذه الفترة انبثقت حركة واسعة فى التدوين والتأليف على حساب حركة الترجمة وكنتيجة مباشرة لها ، كما أن القرن ٤هـ/ ١٠م كان هو العصر الذهبى للمترجمين العرب الذين أثبتت ترجماتهم ما كانوا يتمتعون به من مقدرة وكفاءة فى هذا المجال فنافسوا بذلك أقرانهم التراجمة من غير العرب ومن أشهر هؤلاء ، على سبيل المثال ، سنان بن ثابت بن قرة وعيسى بن اسحق بن زرعة .

---

(٣٠) عن بيت الحكمة انظر ، الديوه جى ، سعيد ، بيت الحكمة ، الموصل (١٩٥٤م)؛ ناجى ، معروف ، أصالة الحضارة العربية ، بيروت ، ط٣ (١٩٧٥م)، ص٤٤١ - ٤٤٩ .

ومن ناحية أخرى فان عدداً كبيراً من الترجمات فى هذا القرن كان من الاغريقية مباشرة ، وكثيراً ما وضع المترجم نفسه ترجمتين من الاغريقية إحداهما بالسريانية والأخرى بالعربية ومن هؤلاء المترجمين الذين سلكوا هذا السبيل عيسى بن أسحق بن زرعة(٣١).

أما عن المترجمين فى العصر العباسى فحسبنا أن نشير إلى كل من عبد الله بن المقفع (ت١٤٢هـ/ ٧٥٩م) وجورجيس بن جبريل بن بختيشوع وبختيشوع بن جورجيس ويوحنا بن ماسويه ويوحنا بن البطريق والحجاج بن مطر وعمر بن الفرخان الطبرى وجبريل بن بختييشوع وبختيشوع بن جبريل وعبيد الله بن بختيشوع وحنين بن اسحاق (ت٢٦٠هـ) ويعقوب بن اسحق الكندى (ت٢٥٢هـ) واسحق بن حنين (ت٢٩٨هـ) وحبيش بن الاعسم وهو ابن أخت حنين بن اسحق وثابت بن قره الحرانى (ت٢٨٨هـ) وقسطا بن لوقا البعلبكى (ت٣٠٠هـ) ومتى بن يونس (ت٣٢٨هـ) وسنان بن ثابت بن قرة (ت٣٣١هـ) ويحيي بن عدى (ت٣٦٤هـ) وعيسى بن اسحق بن زرعة (ت٣٩٨هـ) وجبريل بن عبيد الله بن بختيشوع (ت٣٩٦هـ) وعبيد الله بن جبريل (ت٤٥٠هـ). ومن المترجمين الذين نقلوا عن الهندية منكه وابن دهن الهندى وإبراهيم الفزاوى وغيرهم(٣٢).

ولما كان المقام لا يتسع ، وفقا للخطة الموضوعة لهذا الكتاب المجمّل ، أن نتحدث عن أسماء الكتب التى قام بترجمتها هؤلاء ودوركل منهم ؛ ولذلك حسبنا أن نركز فقط على أشهرهم، وهو حنين بن اسحق ، على أن نعود لهم جميعا بالتفصيل والاسهاب فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

هذا ويعد حنين بن اسحق (١٩٤ ـ ٢٦٠هـ/ ٨٠٩ ـ ٨٧٣م) أشهر مترجم عرفته

(٣١) الجميلي ، حركة الترجمة ، ص٣١ ـ ٣٦ ، ٧٧ ـ ١٣٩ ؛ وانظر أيضًا ، النملة ، مراكز الترجمة ، ص٧٧ ـ ٩٧ .

(٣٢) عن هؤلاء المترجمين واسهاماتهم في حركة الترجمة انظر ، الجميلي ، حركة الترجمة ، ص٢٤٣ ـ ٣٣١ ؛ حماد ، علم الكيمياء ، ص١٠٠ ـ ١١٥ ؛ النجار ، عامر ، حركة الترجمة وأهم أعلامها في العصر العباسي ، القاهرة (١٩٩٣م)، ص٢٣ ـ ٤٧ ؛ أوليري ، دي لاسي ، مسالك الثقافة الاغريقية إلي العرب ، ترجمة تمام حسان ، القاهرة (١٩٥٧م) ، ص٢٣٣ ـ ٢٦٣ ؛ معروف ، أصالة الحضارة العربية ، ص٤٣٥ ـ ٤٤٠ .

حركة الترجمة فى تاريخها عبر أربعة قرون من القرن الأول إلى القرن الرابع الهجري/ ٧ ـ ١٠ م ، وليس أدل على أهمية حنين من ذلك الآجر الذى كان يحصل عليه من الخليفة المأمون فقد كانت ترجماته توضع فى كفة ميزان ويوضع ما يعادلها ذهبا فى الكفة الأخرى ، ولعمرى فانه لا يوجد ثمن أعلى من ذلك الذى دفع به إلى حنين قديما وحديثا ، واتفق مع ما ذكره الجميلى من أنه لو كان هناك ما هو أغلى من الذهب عند المأمون لما تراجع أو بخل به على حنين بن اسحق لأن تحقيق الهدف يبرر سبل تجسيده .

أما أهم الترجمات التى اضطلع بها حنين بن اسحق فمنها بعض مصنفات أرسطوطاليس وأبقراط وجالينوس وكانت غالبية ترجماته إلى اللغة السريانية أولاً ثم العربية ثانيًا(٣٣). وهو ما سنشير إليه فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

ولا تفوتنا الاشارة فى هذا المقام إلى المراكز التى ساهمت فى نقل تراث الأمم التى اعتمدت عليها الحضارة الإسلامية ابان نشأتها ، وعلى الرغم من تعدد هذه المراكز واختلاف أهمية بعضها عن البعض الآخر فى عملية الاسهام فى نقل ذلك التراث القديم إلا أنها كانت فى مجموعها ذات أثر فعال ومباشر فى ذلك الازدهار الذى تميزت به حركة الترجمة فى بعض الفترات من تاريخها .

ومن هذه المراكز مدرسة الاسكندرية ومدرسة انطاكية ومدرسة حران ومدرسة نصيبين ومدرسة الرها ومدرسة جنديسابور ومما له دلالته أن هذه المراكز كانت موجودة بالفعل قبل ظهور الإسلام وظلت أعمالها ومهامها الأصلية قائمة بعد ظهور الإسلام وتمت الاستفادة منها فائدة كبيرة فى حركة الترجمة(٣٤) (وهو ما سنشير إليه تفصيلا

---

(٣٣) الجميلي ، حركة الترجمة ، ص٥٣ ـ ٥٤ ؛ ٢٣٣ ـ ٢٦٣ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن حنين واسهاماته ومدرسته انظر ، سزكين ، فؤاد ، مكانة حنين فى تاريخ الترجمة من الاغريقي والسريانى إلى العربية ، بغداد (١٩٧٤م)؛ الحلوجى ، عبد الحميد ، السامرائى ، عامر ، آثار حنين بن اسحق ، بغداد (١٩٧٤م)؛ الدبيان، أحمد محمد ، حنين بن اسحق دراسة تاريخية ولغوية ، مجلدان ، الرياض (١٩٩٣م)؛ كار ، مريم سلامة ، الترجمة فى العصر العباسى ، مدرسة حنين بن اسحاق وأهميتها فى الترجمة ، ترجمة بخيت غزاوى ، دمشق (١٩٩٨م) ؛ زيود ، مدرسة آل حنين وآثرها في التراث العلمي العربي ، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطي ، اتحاد المؤرخين العرب (٢٠٠٢م)، ص ٣٦٥ ـ ٣٩٤ .

(٣٤) عن هذه المراكز انظر ، الجميلي ، حركة الترجمة ، ص١٩٧ ـ ٢٤٠ ؛ عاشور ، دراسات ، ص٨٢ ـ ٨٥؛ أوليرى ، مسالك الثقافة الاغريقية إلي العرب ، (الفصل الثالث والخامس) ؛ معروف ، أصالة الحضارة العربية ، ص٤١٨ ـ ٤٢٢؛ النملة ، مراكز الترجمة ، ص٢٠ ـ ٢٨ ، ٤٢ ـ ٥٥ .

واسهابا فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

وهكذا استطاع المسلمون عن طريق حركة ترجمة واسعة الأطراف أن يقفوا على تراث كبرى الحضارات البشرية القديمة وأن يفيدوا من هذا التراث فى بناء حضارتهم .

والحق ان استفادة المسلمين من تراث الحضارات السابقة لا يقلل من شأن الحضارة الإسلامية لأن دور العلماء المسلمين لم يقتصر على النقل والترجمة وإنما تخطى ذلك إلى الدراسة والنقد والتحليل والتصحيح ثم الابتكار والإضافة(٣٥).

وهو ما سوف نلمسه فيما يستقبلنا من صفحات هذا الفصل .

المبحث الثانى : فى تصنيف العلوم عند المسلمين :

من المعروف أن أى تصنيف للعلوم يتم انجازه فى فترة ما من فترات التطور العلمى لهو بمثابة مرآة عاكسة لطبيعة العلم وحدوده ونماذجه المقررة ولما وصل إليه من تطور واكتمال ـ وذلك فى ضوء علاقته بالأنساق المعرفية الأخرى ـ وعاكسة أيضًا للإطار الاجتماعى الذى تحددت من خلاله على العموم بنية المعرفة العلمية ذاتها . فنحن فى تصنيف العلوم ـ إذن ـ مع عقل الفترة التاريخية وروحها ومناخها العام ومع الفلسفة التى الهمت العلم واستلهمته كذلك : المؤثرة فيه والمتأثرة به على السوء .

هذا وقد مرّ العلم الإسلامى بمراحل متعاقبة من الارتقاء تعددت معها صور الاحصاء أو التصنيف أو التقسيم والترتيب النسقى فكانت تظهر تباعا أية على التطور المستمر الحاصل فى قلب العلوم ذاتها كما تعددت كذلك محاولات التفسير لطبيعة العلاقة المنطقية بين مختلف المعارف ، وعلى تعدد هذه المحاولات ظلّ مفهوم الوحدة ـ بتأثير من العقيدة الإسلامية ـ هو المفهوم الحاكم والأكثر بروزاً وتوجيها(٣٦).

ولما كانت محاولات تصنيف العلوم كثيرة فى الحضارة الإسلامية (جابر بن حيان والكندى والفارابى والخوارزمى وابن سينا وابن حزم وأبو حيان التوحيدى وابن

---

(٣٥) عاشور ، دراسات ، ص٩٣ ؛ عبد الرازق ، الحضارة ، جـ٢ ، ص٢٠ ـ ٢١ .

(٣٦) عبد الغني ، مصطفي لبيب ، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ، (١) مقدمات وبحوث ، القاهرة ، ط٢ (٢٠٠١م)، ص٦٩ ـ ٧٠ .

الأكفانى والطوسى والبيضاوى وابن خلدون وطاش كبرى زاده وحسن صديق خان وغيرهم[٣٧]. وهو ما لا يتسع له هذا الكتاب المجّمل وفقا للخطة الموضوعة له ولذلك حسبنا أن نشير إلى بعض هذه المحاولات على أن نعود لبقيتها فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

ومنها محاولة الفارابى (ت٣٣٩هـ/ ٩٥٠م) التى تعتبر من أنضج المحاولات المبكرة فى بداية القرن ٤هـ/ ١٠م لتصنيف العلوم ويتمثل ذلك فى كتابه احصاء العلوم وهو « كتاب لم يسبق إليه ولا ذهب أحد مذهبه فيه ولا يستغنى طلاب العلوم كلها عن الاهتداء به وتقديم النظر فيه »[٣٨].

ويضيف محققه فيقول « وهو - أى الكتاب - مختصر لعلوم زمانه ومرشد موجز لمن أراد الوقوف عليها أو التبحر فيها معطيا اياه فكرة واضحة عامة عن موضوع كل علم ومنفعته النظرية والعلمية »[٣٩].

أما الفارابى فيوضح مقصده من احصاء العلوم بقوله « قصدنا فى هذا الكتاب أن نحصى العلوم المشهورة علمًا علمًا ، ونعرف جمل ما يشتمل عليه كل واحد منها ، وأجزاء كل ما له منها أجزاء وجعل ما فى كل واحد من أجزائه ونجعله فى خمسة فصول - على نحو ما هو وارد فى الجداول التالية - ... ».

أما الغرض من هذا الاحصاء فيحدده الفارابى بقوله « ان الإنسان إذا أراد أن يتعلم علما من هذه العلوم وينظر فيه ... ماذا يقدم وفى ماذا ينتظر وأى شيء سيفيد بنظره وما غناء ذلك وأى فضيلة تنال به ليكون اقدامه على ما يقدم عليه من العلوم على معرفة وبصيرة لا على عمى وغرور ، وبهذا الكتاب يقدر الإنسان أن يقايس بين العلوم فيعلم أيها الفضل وأيها أنفع وأيها أتقن وأوثق وأقوى وأيهما أوهن وأوهى

---

(٣٧) عن بعض هذه المحاولات انظر ، دياب ، مفتاح محمد ، مقدمة في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية، بنغازي (١٩٩٢م)، ص١٢٩ - ١٦٥ ؛ سليمان ، عباس ، وحلاق ، حسان ، دراسات في تاريخ العلوم عند المسلمين ، الاسكندرية (١٩٩٨م)، ص٢٥ - ٥٤ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن العلوم أو الفنون المدونة في أمهات كتب موضوعات العلوم انظر ، خوري ، يوسف ، العلوم عند العرب ، تبويب وتعاريف ونصوص ، بيروت (١٩٨٣م)، (٥١٠ صفحة) .

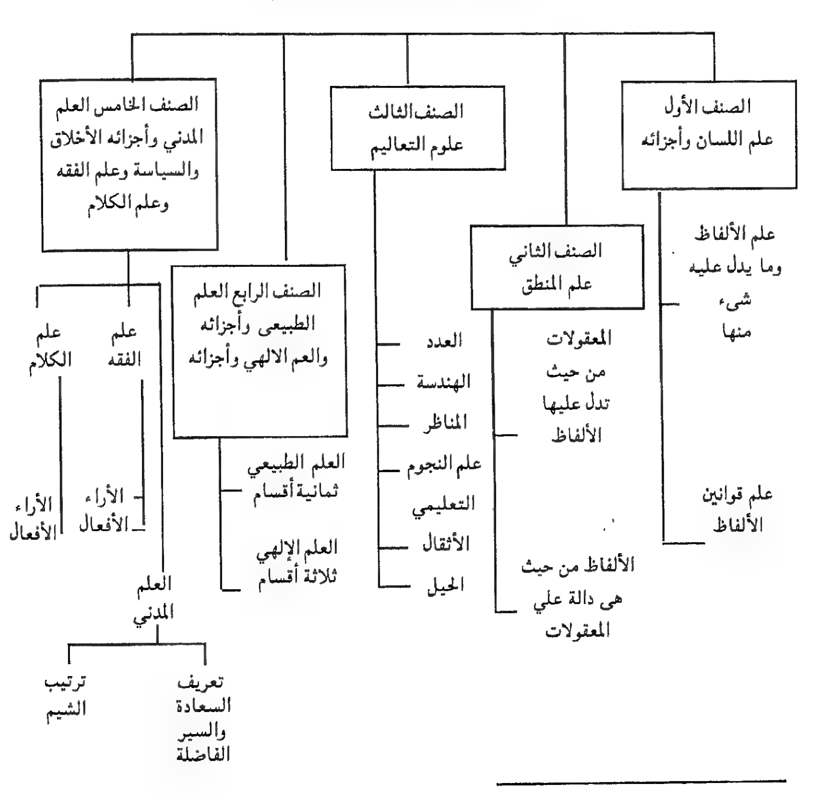
(٣٨) صاعد الأندلسي ، طبقات الأمم ، بيروت ، ط٢ ، د ت ، ص١٦١ - ١٦٢ .

(٣٩) الفارابي ، احصاء العلوم ، تحقيق عثمان أمين ، القاهرة ، ط٣ (١٩٦٨م)، مقدمة التحقيق .

وأضعف ، وينتفع به أيضًا فى تكشيف من ادعى البصر بعلم من هذه العلوم ولم يكن كذلك ... وبه يتبين أيضًا فيمن يحسن علما منها هل يحسن جميعه أو بعض أجزائه وكم مقدار ما يحسنه وينتفع به المتأدب المتفنن الذى قصده أن يشدو جمل كل ما فى كل علم ومن أحب أن يتشبه بأهل العلم ليظن به أنه منهم »[٤٠].

ويمكن أن نوضح جملة مراتب « الإحصاء » على النحو التالى[٤١] :

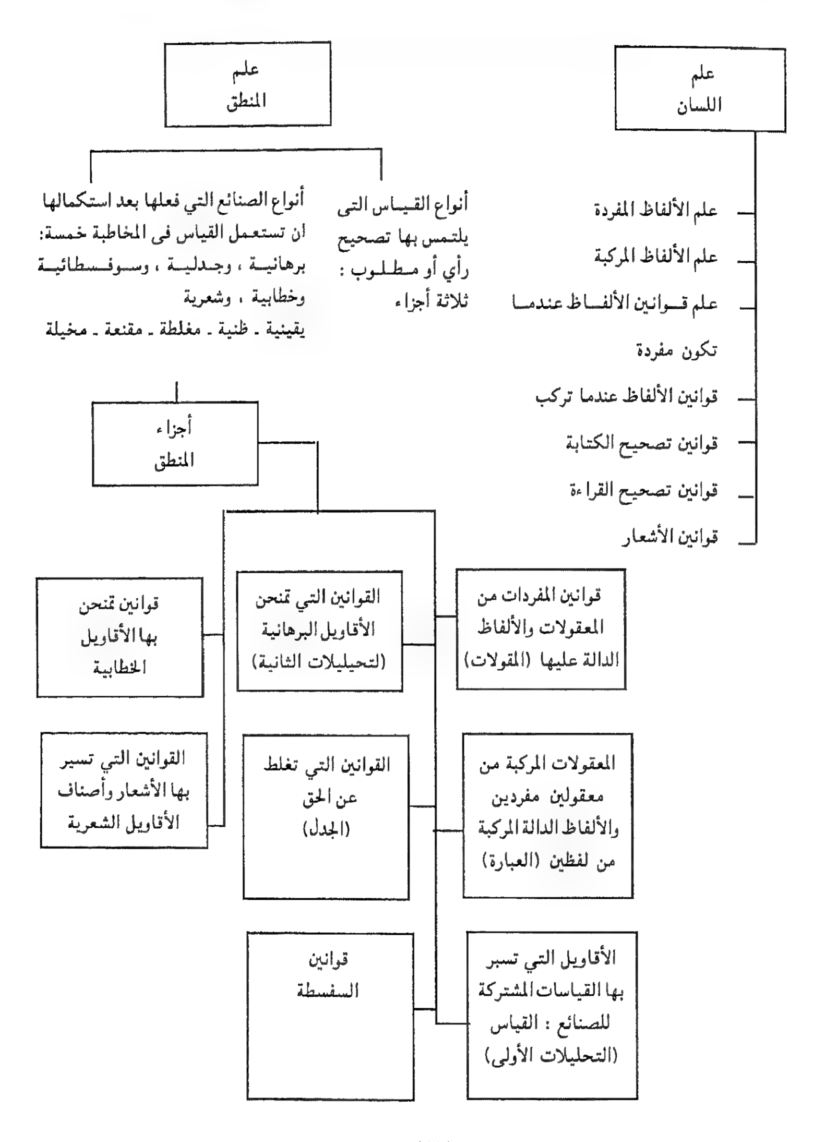
أولاً : جُملة أصناف العلوم



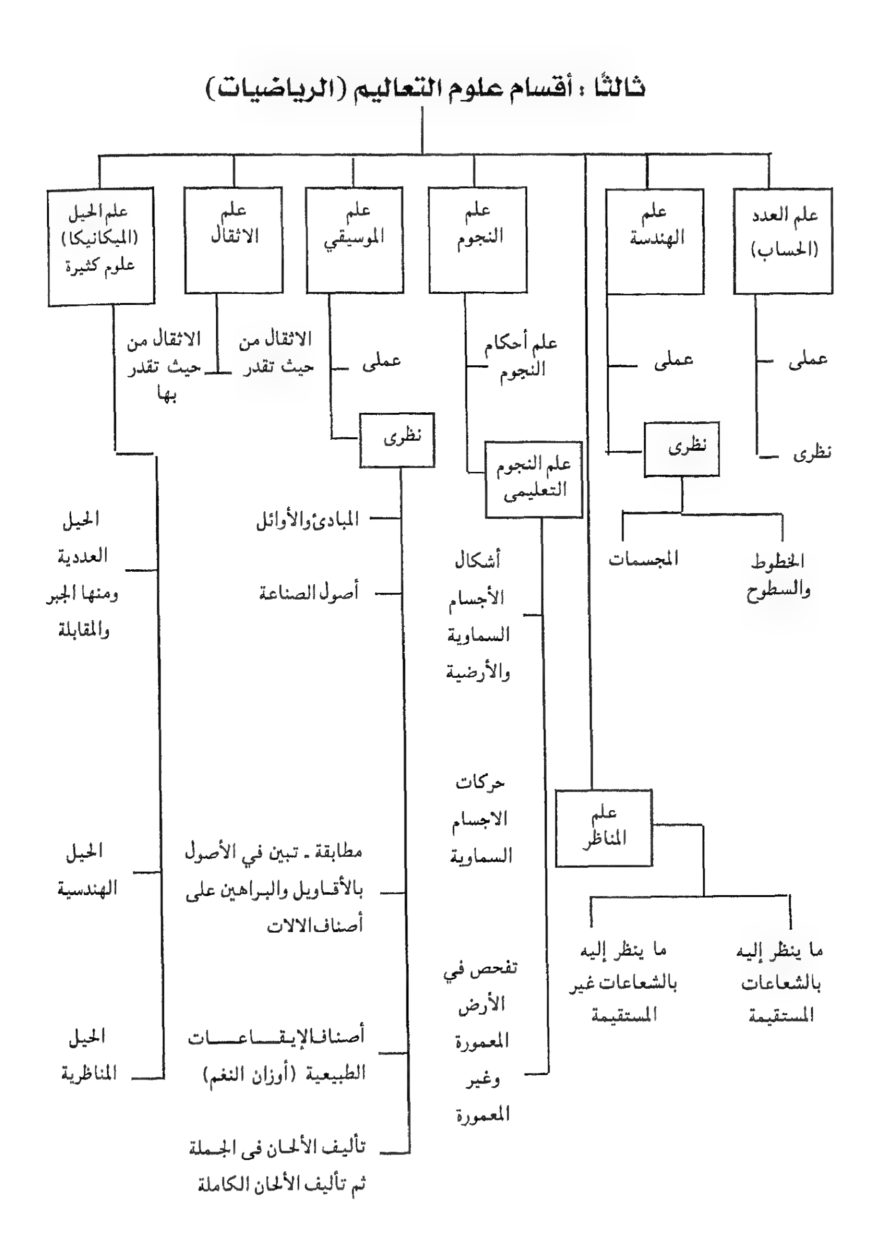
(٤٠) الفارابي ، احصاء العلوم ، ص٥٣ ـ ٥٥ ؛ عبد الغني ، دراسات ، ص٧١ ـ ٧٢ .

(٤١) الفارابي ، احصاء العلوم ؛ عبد الغني ، دراسات ، ص٧٢ ـ ٧٦ ؛ دياب ، مقدمة ، ص١٣٥ ـ ١٤٤ .

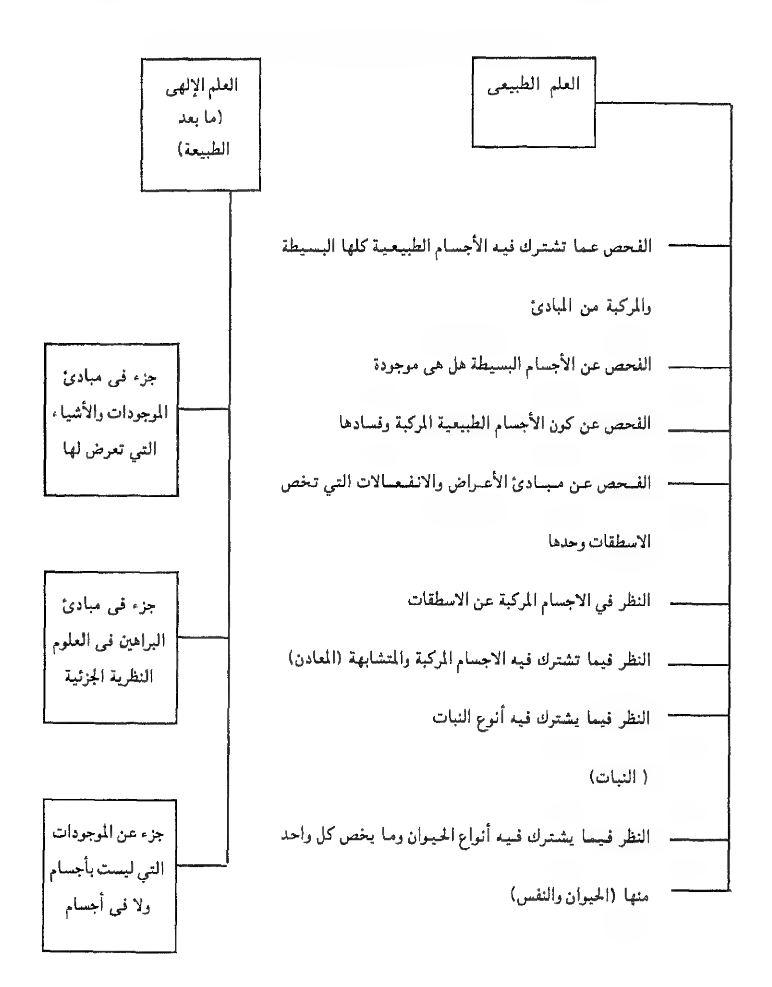
ثانيًا : أقسام علم اللسان وأجزائه وعلم المنطق وأجزائه



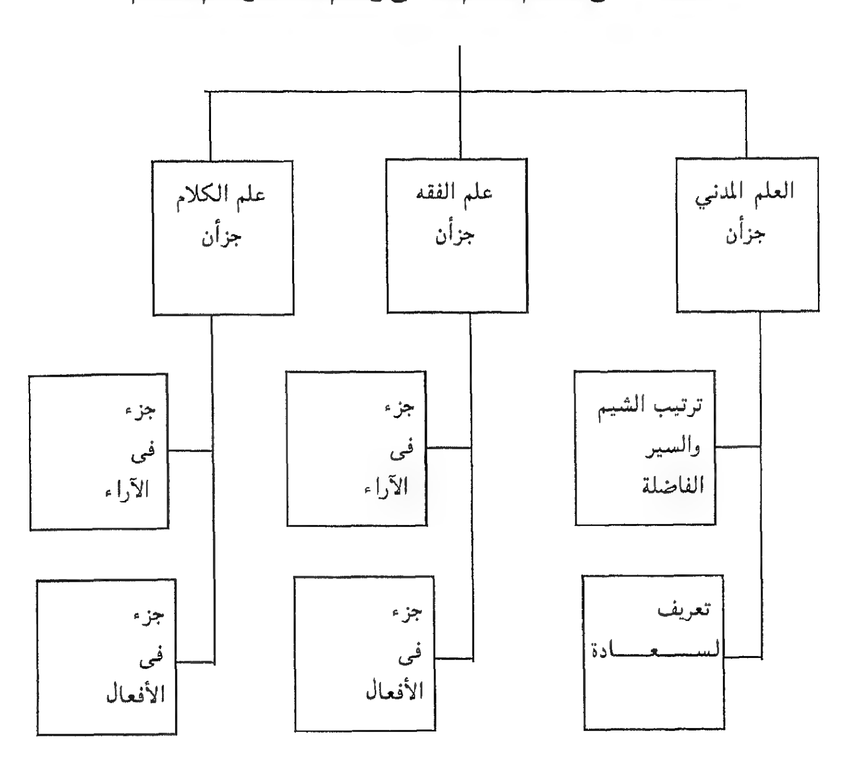
ثالثًا : أقسام علوم التعاليم (الرياضيات)



رابعًا : أقسام العلم الطبيعى والعلم الآلهي



خامسًا : فى أقسام العلم المدنى وعلم الفقه وعلم الكلام



والمحاولة الثانية التى نذكرها هى محاولة أبى عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمى الكاتب (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م) وكتابه يسمى « مفاتيح العلوم »، وعن دوافع تأليفه لهذا الكتاب يذكر الخوارزمى « ... دعتنى نفسى إلى تصنيف كتاب باسمه النابه ـ أى الشيخ أبى الحسن عبيد الله بن أحمد العتبى وزير نوح بن منصور الساماني ـ أعلاه الله يكون جامعا لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات مضمنا ما بين كل طبقة من العلماء من المواصفات والاصطلاحات التى خلت منها أو من جلها الكتب الحاصرة ...

وقد جمعت فى هذا الكتاب أكثر ما يحتاج إليه من هذا النوع متحريا للايجاز والاختصار ومتوقيا للتطويل والاكثار والغيت ذكر المشهور والمتعارف بين الجمهور ... وسميت هذا الكتاب مفاتيح العلوم إذ كان مدخلا إليها ومفتاحا لأكثرها فمن قرأه وحفظ ما فيه ونظر فى كتب الحكمة هذها هذاً وأحاط بها علما وان لم يكن زاولها ولا جالس أهلها ...»(٤٢).

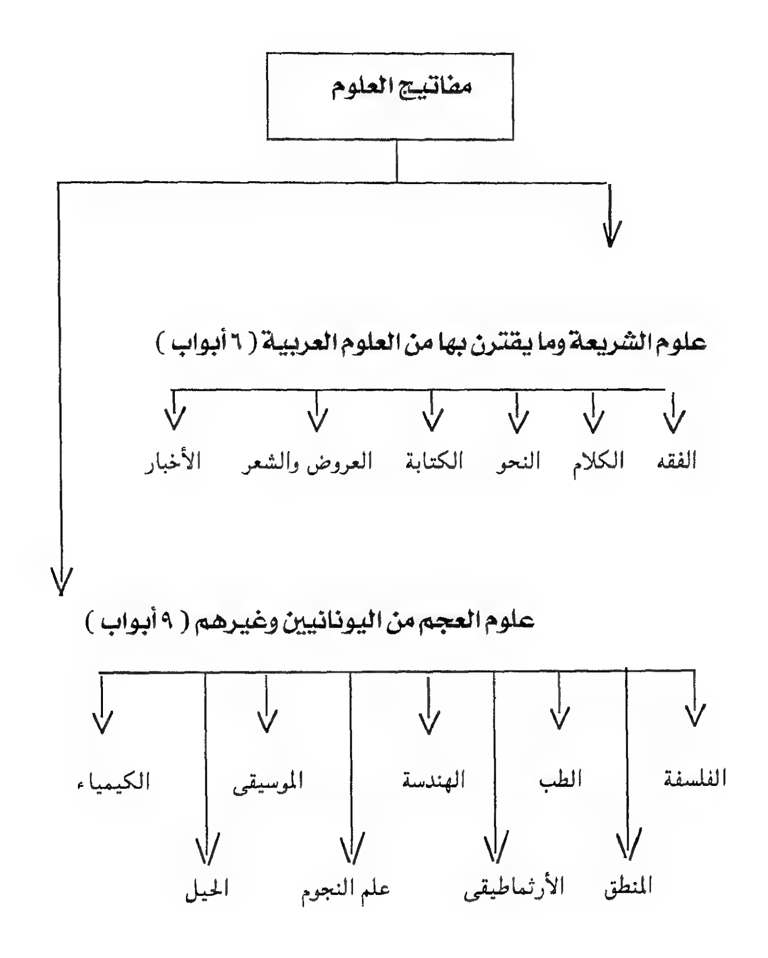
ويرى البعض أن كتاب مفاتيح العلوم يعد موسوعة مختصرة للعلوم كما فعل بروكلمان فى تاريخه ؛ بينما يرى آخرين أنه يعد من بين المعاجم المتخصصة لأن الخوارزمى اقتصر فيه على احصاء المصطلحات وتعريفها وهذا هو أساس المعجم المتخصص ، ولعل الذى مال ببعضهم إلى أنه موسوعة أنه يتوسع أحيانا ببعض المعارف الخاصة ببعض المصطلحات ، بيد أن عنايته بالتأصيل اللغوى للمصطلحات عربية أو معربة وبيان حدودها يجعله أقرب إلى المعجم المتخصص ، وعلى ذلك فهذا الكتاب هو من قبيل المعجم المتخصص بمصطلحات العلوم وحدودها وتبلغ مصطلحاته فى نشرة المستشرق فان فلوتن ٢٣٨٢ مصطلحا موزعة فى مقالتين : الأولى فى العلوم الشرعية وما يقترن بها من العلوم العربية وفيها ستة أبواب تتفرع إلى اثنين وخمسين فصلا والثانية : فى علوم العجم اليونانيين وغيرهم من الأمم ، وفيها خمسة عشر بابا تتفرع إلى ثلاثة وتسعين فصلاً(٤٣).

---

(٤٢) الخوارزمي ، مفاتيح العلوم ، تحقيق فان فلوتن ، ط٢ ، (قدم هذه الطبعة محمد حسن عبد العزيز)، القاهرة (٢٠٠٤م)، ص٢ ـ ٥ .

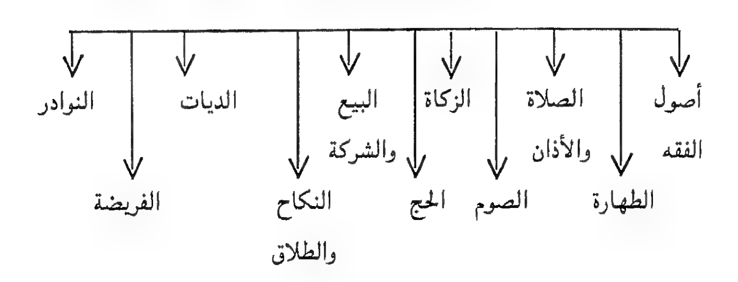
(٤٣) عبد العزيز ، محمد حسن ، مقدمة الطبعة الثانية لكتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي ، ص٣٧ ـ ٤٤ .

وهذا مخطط لأبواب الكتاب وفصوله وعنوان ما بها من مصطلحات

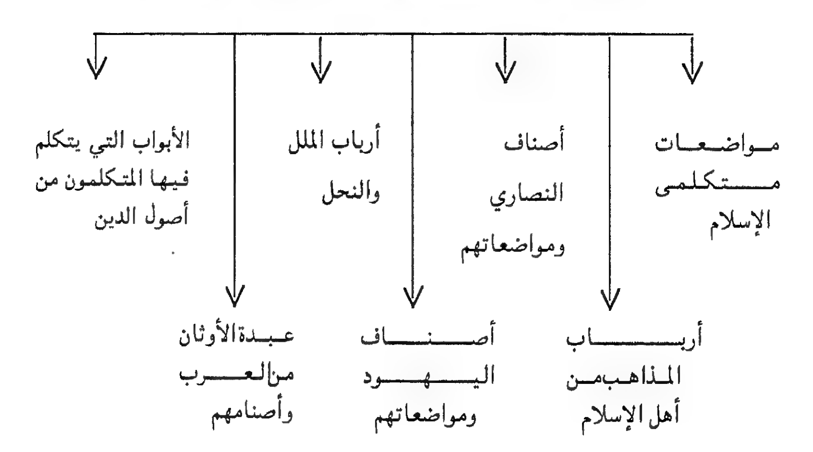


علوم الشريعة وما يقترن بها

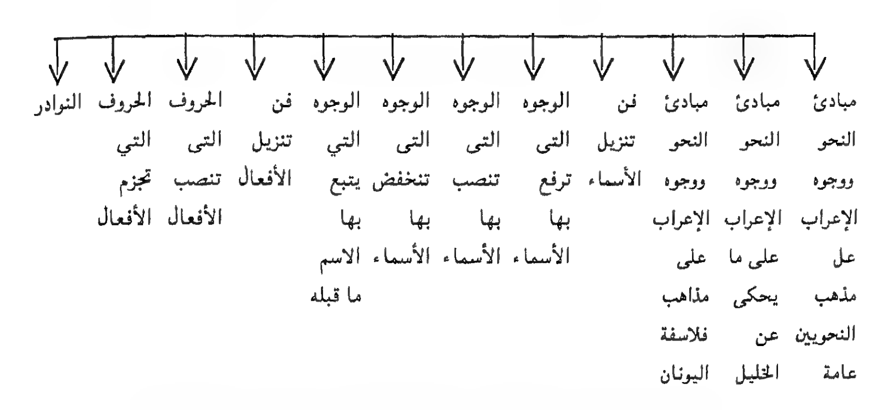
الباب الأول : الفقه ويضم الفصول الآتية (١١ فصلاً) :



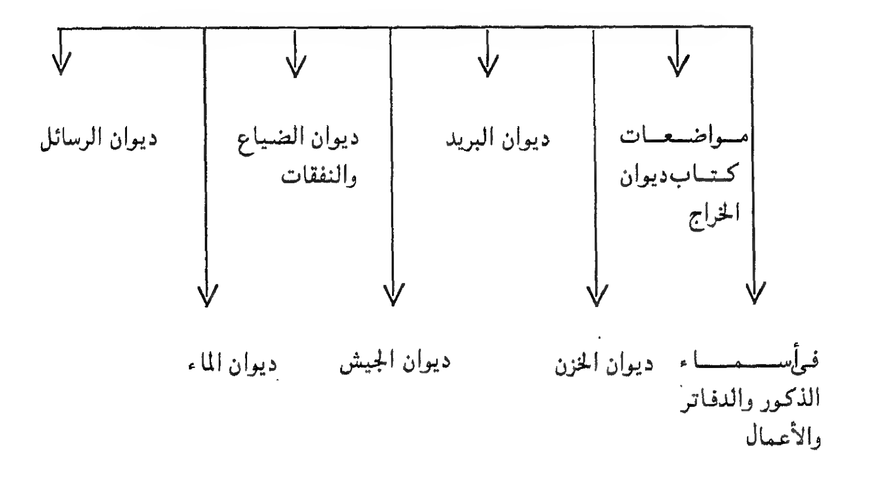
الباب الثانى : الكلام ويضم الفصول الآتية (٧ فصول) :



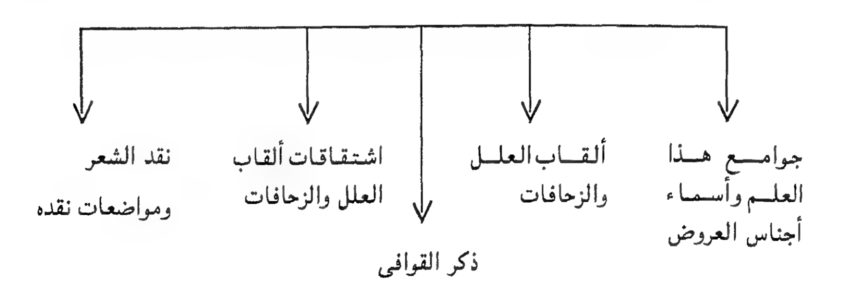
الباب الثالث : النحو ، ويضم الفصول الآتية (١٢ فصلاً) :



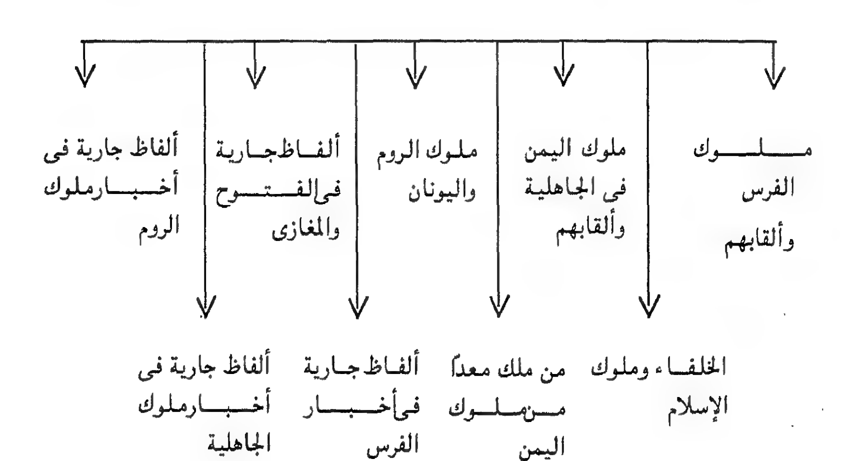
الباب الرابع : الكتابة ، ويضم الفصول الآتية (٨ فصول)



الباب الخامس : الشعر والعروض ، ويضم الفصول الآتية (٥ فصول)

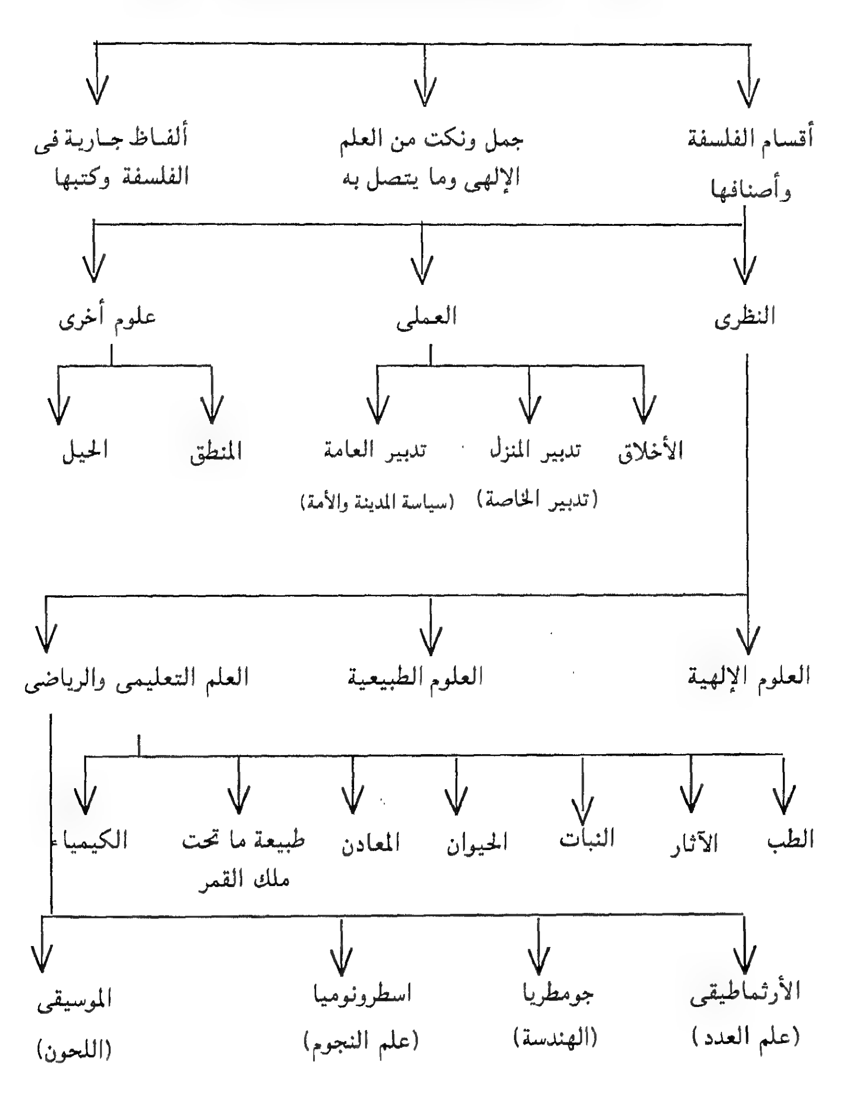


الباب السادس : الأخبار ، ويضم الفصول الآتية (٩ فصول)

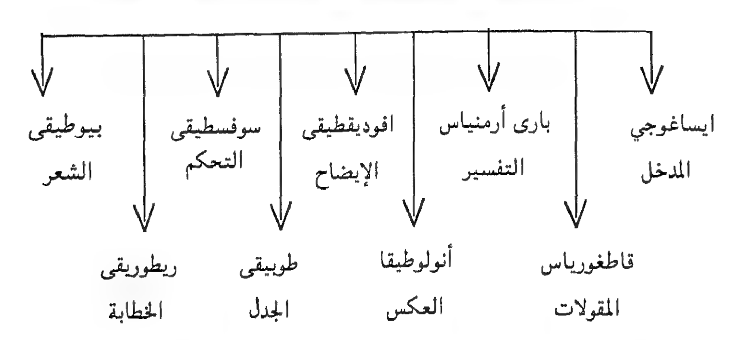


علوم العجم واليونانيين وغيرهم

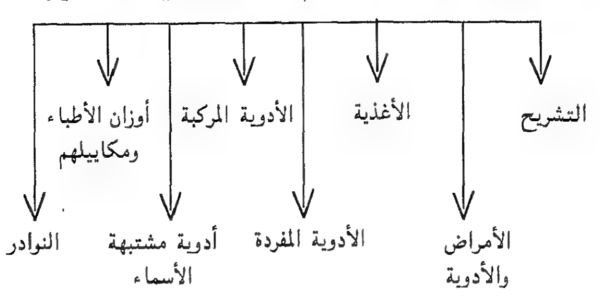
الباب الأول : الفلسفة ويضم الفصول الآتية (٣ فصول)



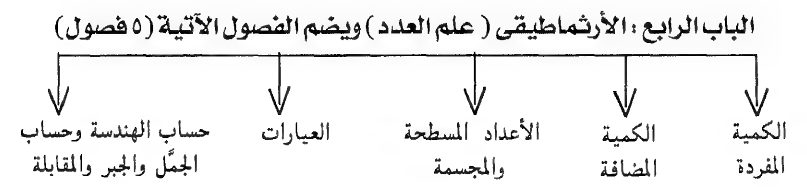
الباب الثانى : المنطق ، ويضم الفصول الآتية (٩ فصول)



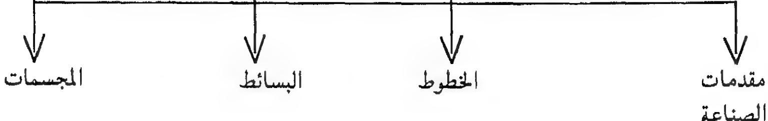
الباب الثالث : الطب ، ويضم الفصول الآتية (٨ فصول)



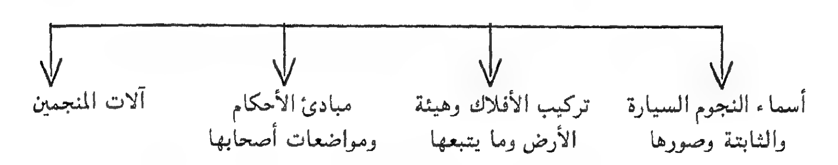
الباب الرابع : الأرثماطيقى (علم العدد) ويضم الفصول الآتية (٥ فصول)



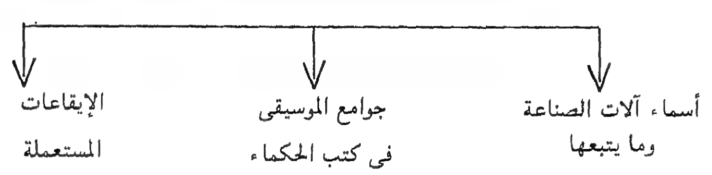
الباب الخامس : الهندسة ، ويضم الفصول الآتية (٤ فصول)



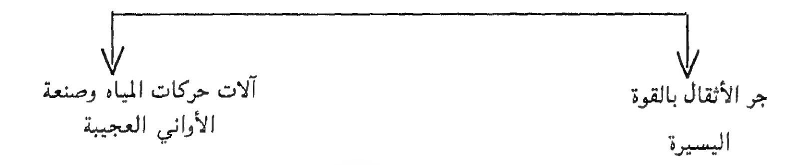
الباب السادس : علم النجوم ، ويضم الفصول الآتية (٤ فصول)



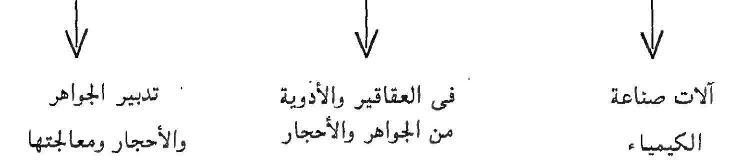
الباب السابع : الموسيقى ، ويضم الفصول الآتية (٣ فصول)



الباب الثامن : الحيل ، ويضم الفصلين الآتيين



الباب التاسع : الكيمياء ، ويضم الفصول الآتية (٣ فصول)



وفى المقابلة بين كتاب الخوارزمى والفارابى نلاحظ :

١ ـ لم يذكر الفارابى من بين العلوم التى أحصاها علم الطب والكيمياء على حين جعلهما الخوارزمى من العلوم الطبيعية .

٢ ـ لم يفرق الفارابى بين ما سماه الخوارزمى علوم الشريعة وما يقترن بها من العلوم العربية وعلوم العجم من اليونانيين وغيرهم ،

ومع ذلك فقد جعل الفقه وعلم الكلام ، وهما من علوم الشريعة علمين مفردين من بين العلوم الثمانية التى أحصاها .

أما ما ذكره عن علم اللسان وهو ما يمكن أن يقابل علم النحو عند الخوارزمى فيعنى به موضوعًا أوسع من موضوع النحو الذى قصره الخوارزمى على الإعراب .

والفارابى يقصد بعلم اللسان ضربين : أحدهما : حفظ الألفاظ الدالة عند أمة ما، وعلم ما يدل عليه كل لفظ منها ، والثانى علم قوانين تلك الألفاظ ، وهى نظرة أعم وأوسع من نظرة الخوارزمى وأقرب أن تكون شاملة لكل اللغات الإنسانية .

٣ ـ الكتابة عند الفارابى مختلفة تمامًا عما يعنيه الخوارزمى ، فهى عند الفارابى جزء من علم اللسان يعنى بها قواعد الإملاء . وهى عند الخوارزمى علم مستقل يدور حول إدارة الدواوين والمواضعات المتداولة بين الكُتاب .

٤ ـ علم الأثقال وعلم الحيل علمان عند الفارابى من علوم التعليم ، وعلم واحد عند الخوارزمى .

٥ ـ من علوم التعاليم عند الفارابى علم الهندسة وعلم المناظر ، وإن كان الثانى يدخل فى موضوع الأول . وهما علم واحد عند الخوارزمى .

٦ ـ علوم المنطق عند الفارابى ثمانية ـ على ما يقتضيه المنقول عن أرسطو فيما يسمى (الأورجانون). وقد أضاف إليها الخوارزمى (ايساغوجى) وهو لفرفريوس الصورى والذى جعله مدخلا ضروريًا للمنطق الأرسطى .

٧ ـ لم يذكر الفارابى من بين العلوم علم الأخبار أو التاريخ على حين عده الخوارزمى من بين علوم الشريعة .

ونستخلص مما سبق :

ان إحصاء العلوم يعكس رؤية أرسطو فى المقام الأول . فالعلوم الطبيعية ، وهى

ثمانية أجزاء تبحث كلها فى كتب أرسطو عن : السماع الطبيعى ، والسماء والعالم ، والكون والفساد ، والآثار العلوية ، وكتاب النبات ، وكتاب الحيوان ، وكتاب النفس .

كما أن أبواب المنطق الثمانية هى بعينها تجئ وفقًا لأورجانون أرسطو أو قانونه الذى يتألف من ثمانية أبواب .

ويشير الفارابى إلى أنه يتابع أرسطو - فيما يتصل بالعلم الالهى أو الميتافيزيقا - فى كتابه المسمى (ما بعد الطبيعة) .

أما ما ذكره عن العلم المدنى فيعترف أنه تابع فيه آراء أفلاطون فى كتاب (الجمهورية) وآراء أرسطو فى كتاب السياسة .

وأعتقد أن تقسيم الخوارزمى للعلوم لا يعكس موقفًا فلسفيًا محدداً فلم يكن فيلسوفًا له نظرية فى الاحصاء ، بل يسجل ما يشيع فى عصره بين العلماء والفلاسفة بغض النظر عن موقف فلسفى محدد(٤٤).

والمحاولة الثالثة التى نذكرها هى محاولة محمد بن إسحق النديم الكاتب (المتوفى عام ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) وكتابه يسمى « الفهرست » ويذكر النديم فى مقدمته أن هذا الكتاب هو « فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم الموجود منها بلغة العرب وقلمها فى أصناف العلوم وأخبار مصنفيها وطبقات مؤلفيها وأنسابهم وتاريخ مواليدهم ومبلغ أعمارهم وأوقات وفاتهم وأماكن بلدانهم ومناقبهم ومثالبهم منذ ابتداء كل علم اخترع إلى عصرنا هذا وهو سنة سبع وسبعين وثلثمائة للهجرة / ٩٨٧م »(٤٥).

ويبدو أن ما ذكره فى كتابه من الأغراض أقل مما كان لديه ، إذ رأى - أى النديم - ألا يُطول على قارئه فى العبارة ويصل إلى النتائج دون المقدمات حيث يقول «النفوس تشرئب إلى النتائج دون المقدمات وترتاح إلى الغرض المقصود دون التطويل فى العبارات »(٤٦).

---

(٤٤) عبد العزيز ، مقدمة الطبعة الثانية لكتاب مفاتيح العلوم ، ص٦٠ - ٦١ .

(٤٥) النديم ، الفهرست ، ص٧ .

(٤٦) النديم ، الفهرست ، ص ٧ .

وهذه المقابلة بين أصناف العلوم عنده موزعة على مقالات كتابه وفنون (فصول) كل باب وذلك على النحو التالى :

المقالة الأولى : وهى ثلاثة فنون :

الفن الأول : فى وصف لغات الأمم من العرب والعجم ، ونعوت أقلامها ، وأنواع خطوطها ، وأشكال كتاباتها .

الفن الثانى : فى أسماء كتب الشرائع المنزلة على مذاهب المسلمين ومذاهب أهلها .

الفن الثالث : فى نعت الكتاب الذى ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[٤٧]، وأسماء الكتب المصنفة فى علومه ، وأخبار القراء ، وأسماء رواتهم ، والشواذ من قرأتهم .

المقالة الثانية : وهى ثلاثة فنون فى النحويين واللغويين :

الفن الأول : فى ابتداء النحو وأخبار النحويين البصريين ، وفصحاء الأعراب وأسماء كتبهم .

الفن الثانى : فى أخبار النحويين واللغويين من الكوفيين ، وأسماء كتبهم .

الفن الثالث : فى ذكر قوم من النحويين خلطوا المذهبين وأسماء كتبهم .

المقالة الثالثة : وهى ثلاثة فنون فى الأخبار والآداب والسير والأنساب:

الفن الأول : فى أخبار الأخباريين والرواة والنسابين وأصحاب السير والأحداث وأسماء كتبهم .

الفن الثانى : فى أخبار الملوك والكتاب ، والمترسلين ، وعمال الخراج وأصحاب الدواوين وأسماء كتبهم .

---

(٤٧) سورة فصلت الآية ٤٢ .

الفن الثالث : فى أخبار الندماء والجلساء ، والمغنيين ، والصفادمة ، والصفاعنة، والمضحكين وأسماء كتبهم .

المقالة الرابعة : وهى فنان فى الشعر والشعراء :

الفن الأول : فى طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين ممن لحق الجاهلية ، وصناع دواوينهم وأسماء رواتهم .

الفن الثانى : فى طبقات شعراء الإسلاميين وشعراء المحدثين إلى عصرنا هذا .

المقالة الخامسة : وهى خمسة فنون فى الكلام والمتكلمين :

الفن الأول : فى ابتداء أمر الكلام والمتكلمين من المعتزلة والمرجئة ، وأسماء كتبهم .

الفن الثانى : فى أخبار متكلمى الشيعة والإمامية ، والزيدية ، وغيرهم من الغلاة والإسماعيلية وأسماء كتبهم .

الفن الثالث : فى أخبار متكلمى المجبرة والحشوية ، وأسماء كتبهم .

الفن الرابع : فى أخبار متكلمى الخوارج وأصنافهم ، وأسماء كتبهم .

الفن الخامس : فى أخبار السياح والزهاد والعباد والمتصوفة والمتكلمين على الوساوس والخطرات وأسماء كتبهم .

المقالة السادسة : وهى ثمانية فنون فى الفقه والفقهاء والمحدثين :

الفن الأول : فى أخبار مالك وأصحابه وأسماء كتبهم .

الفن الثانى : فى أخبار أبى حنيفة النعمان وأسماء كتبهم .

الفن الثالث : فى أخبار الإمام الشافعى وأصحابه وأسماء كتبهم .

الفن الرابع : فى أخبار داود وأصحابه وأسماء كتبهم .

الفن الخامس : فى أخبار فقهاء الشيعة وأسماء كتبهم .

الفن السادس : فى أخبار فقهاء أصحاب الحديث والمحدثين وأسماء كتبهم .

الفن السابع : فى أخبار أبى جعفر الطبرى وأصحابه وأسماء كتبهم .

الفن الثامن : فى أخبار فقهاء الشراة وأسماء كتبهم .

المقالة السابعة : وهى ثلاثة فنون فى الفلسفة والعلوم القديمة :

الفن الأول : فى أخبار الفلاسفة الطبيعيين والمنطقيين وأسماء كتبهم ونقولها وشروحها والموجود منها وما ذكر ولم يوجد وما وجد ثم عدم .

الفن الثانى : فى أخبار أصحاب التعاليم والمهندسين والأرثماطيقيين والموسيقيين والحساب والمنجمين وصناع الآلات وأصحاب الحيل والحركات .

الفن الثالث : فى ابتداء الطب وأخبار المتطببين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم ونقولها وتفاسيرها .

المقالة الثامنة : وهى ثلاثة فنون : فى الأسماء والخرافات والعزائم والسحر والشعوذة :

الفن الأول : فى أخبار المسامرين والمخرفين والمصورين وأسماء الكتب المصنفة فى الأسماء والخرافات .

الفن الثانى : فى أخبار المعزمين والمشعبذين والسحرة وأسماء كتبهم .

الفن الثالث : فى الكتب المصنفة فى معانى شتى لا يعرف مصنفوها ولا مؤلفوها .

المقالة التاسعة : وهى فنان فى المذاهب والاعتقادات .

الفن الأول : فى وصف مذاهب الحرانية الكلدانيين المعروفين فى عصرنا بالصابئة ومذاهب الثنوية من المنانية والديصانية والخرمية والمرقيونية والمزدكية وغيرهم وأسماء كتبهم .

الفن الثانى : فى وصف المذاهب الغريبة الطريقة كمذاهب الهند والصين وغيرهم من أجناس الأمم .

المقالة العاشرة : تحتوى على أخبار الكيميائيين والصنعويين من الفلاسفة القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم .

المقابلة بين العلوم المصنفة عند الخوارزمي والنديم

الخوارزمي	النديم
علوم الشريعة وما يقترن بها من العلوم العربية ، وهي ستة أبواب : الباب الأول : الفقه ويضم أحد عشر فصلاً	المقالة السادسة " وهي ثمانية فنون (فصول) في الفقه والفقهاء والمحدثين .
الباب الثاني : الكلام ويضم سبعة فصول .	المقالة الخامسة : في فنون الكلام والمتكلمين .
	الفن الثاني : في أسماء كتب الشرائع المنزلة علي مذهب المسلمين ومذاهب أهلها .
	المقالة التاسعة : الفن الأول في وصف مذاهب الحرَّانية الكلدانيين المعروفين بالصابئة ، ومذاهب الثنوية.
	الفن الثاني : في المذاهب والاعتقادات .
الباب الثالث : النحو ويضم اثني عشر فصلاً .	المقالة الثانية : وهي ثلاثة فنون في النحويين واللغويين .
الباب الرابع : الكتابة ، ويضم ثمانية فصول . الباب السادس : الأخبار ويضم تسعة فصول .	المقالة الثالثة : وهي ثلاثة فنون في الأخبار والسير والأنساب وفي أخبار الملوك والكُتاب والمترسلين وعمال الخراج وأصحاب الدواوين وأسماء كتبهم ... إلخ .
الباب الخامس : العروض والشعر ، ويضم أربعة فصول .	المقالة الرابعة : وهي فنان في الشعر والشعراء .

علوم العجم من اليونانيين ، وهي تسعة أبواب :

الباب الأول : الفلسفة ويضم ثلاثة فصول .

الباب الثاني : المنطق ، ويضم تسعة فصول .

الباب الثالث : الطب ويضم ثمانية فصول

الباب الرابع : الأرثماطيقي (علم العدد) ويضم خمسة فصول .

الباب الخامس : الهندسة ، ويضم خمسة فصول .

الباب السادس : علم النجوم ، ويضم ثلاثة فصول .

الباب السابع : الموسيقى ويضم ثلاثة فصول .

الباب الثامن : الحيل ويضم فصلين .

الباب التاسع : الكيمياء ، ويضم ثلاثة فصول .

المقالة السابعة : الفن الأول في أخبار الفلاسفة الطبيعيين والمنطقيين وأسماء كتبهم .. وترتيب كتب أرسطو في المنطقيات والطبيعيات والإلهيات والخلقيات .

المقالة السابعة : الفن الثالث في أخبار المتطببين القدماء والمحدثين ، وأسماء ما صنفوه من الكتب .

المقالة السابعة : الفن الثاني في أخبار أصحاب التعاليم والارثماطيقيين والموسيقيين والمنجمين وصناع الآلات ، وأصحاب الحيل والحركات .

المقالة العاشرة : أخبار الكيميائيين والصنعويين .

وفى المقابلة بين كتابى الخوارزمى والنديم نلاحظ :

١ ـ أن عدَّة العلوم فى الفهرست تكاد تطابق عدتها فى المفاتيح فيما عدا المقالة الثامنة وموضوعها (فى الأسماء والخرافات والعزائم والسحر والشعوذة) . وما أظن هذا الموضوع معدوداً بين العلوم بالمعنى المتعارف عليه للعلم فضلا أن يكون له مصطلحات وحدود .

٢ ـ المقالة الأولى فى الفهرست فى وصف لغات الأمم ومن العرب والعجم ونعوت

أقلامها وأنواع خطوطها وأشكال كتاباتها ، وفى أسماء كتب الشرائع المنزلة، وفى نعت القرآن الكريم وأسماء الكتب الخاصة فى علومه - لا نظير له أيضًا فى كتاب الخوارزمى ، ومع ذلك فمن اليسير إلحاق موضوعها بموضوعات المقالة الأولى عند الخوارزمى الخاصة بعلوم الشريعة وما يقترن بها من علوم العربية .

٣ - النديم كاتب كالخوارزمى يسجل فحسب ما هو متداول بين القراء من مصنفات العلوم وما هو فى دكاكين الوراقين وخزائن الكتب . وليس فيلسوفًا كالفارابى له نظرية فى تقسيم العلوم وبيان موضوعاتها [٤٨].

وبعد فان المؤلفون الثلاثة يكاد يجتمعون على أنهم وضعوا كتبهم للأديب والكاتب وطالب العلم الناشئ (انظر مقدمة إحصاء العلوم ص٤٣ ، ٤٤ ومقدمة مفاتيح العلوم ص١ - ٥ ومقدمة الفهرست ص٧) .

فإذا ما نظرنا فى هذه الكتب وجدنا أنها تكاد تتفق أيضًا على عدة العلوم التى تحدثوا عنها وعلى ما يتضمنه كل علم منها من موضوعات .

والكتب الثلاثة - مع اتفاقها فى عد العلوم - تختلف فى الغرض من عدها .

فالفارابى يحصى العلوم ، ويحدد موضوع كل علم والغاية من تعلمه . والخوارزمى يحصى العلوم ويحدد مصطلحاتها ، ويبين حدود كل مصطلح منها .

والنديم يحصى العلوم ويبين ما ترجم منها وما ألف ، ويتحدث عن أخبار مصنفيها وطبقاتهم وأنسابهم ، وتاريخ مواليدهم ، ومبلغ أعمارهم وأوقات وفاتهم ، وأماكن بلادهم ، ومناقبهم .

وهكذا تتكامل الكتب الثلاثة لتقدم للأديب والكاتب وطالب العلم ما يحتاج إليه من العلوم وموضوعاتها ، وبمصطلحاتها وحدودها وبالمؤلفين ومؤلفاتهم[٤٩].

والمحاولة الرابعة والأخيرة التى نذكرها فى هذا الكتاب المجّمل هى محاولة محمد بن إبراهيم بن ساعد شمس الدين الأنصارى المعروف بابن الأكفانى (المتوفى ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) وكتابه يسمى « ارشاد القاصد إلى أسنى المقاصد فى أنواع العلوم »، ويحدد ابن الأكفانى فى مقدمة كتابه أن الغرض من تصنيفه هو « فان بنا حاجة إلى

---

(٤٨) عبد العزيز ، مقدمة الطبعة الثانية لكتاب مفاتيح العلوم ، ص٦٣ - ٦٦ .

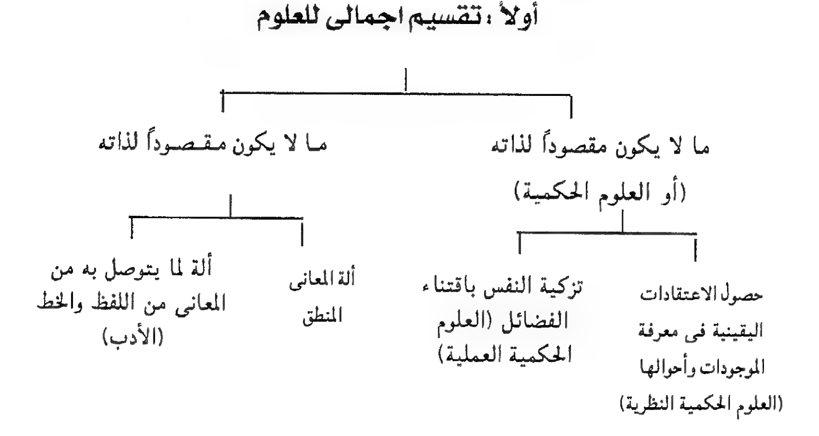
(٤٩) عبد العزيز ، مقدمة الطبعة الثانية لكتاب مفاتيح العلوم ، ص٥٥ - ٥٦ .

تكميل نفوسنا البشرية فى قواها النظرية والعملية إذ كان ذلك هو الوسيلة إلى السعادة الأبدية ، ولما كان هذا انما يتم بالعلم بحقائق الأشياء على ما هى عليه ليعتقد الحق ويفعل الخير وجب علينا أن نعلم العلم المتكفل بتحقيق الحقائق وما هو إليه كالوسائل وما يشتمل على بيان ما يجب أن يقصد من الفضائل ويجتنب من الرزائل»(٥٠).

ومن أهداف تصنيفه التى بيّنها أيضًا « أن يُعلم حال كل من العلوم فى نفسه ومرتبته بالنسبة إلى غيره من العلوم ، وحال العالم به ، وهل يستفاد به كمال نافع فى المعاد أو أدب يفيد فى المعاش أو غير ذلك ... وأن يُقايس بين العلوم فيعلم أيها أفضل وأشرف ، وأيها أتقن وأوثق ، وأيها أوهن وأوهى .. ومعرفة حال من يدعى علما من العلوم وكشف دعواه ، وهل يخبر خبراً تفصيليا عن موضوع ذلك العلم وغايته ، ومبادئه ومسائله ومرتبته فى العلوم فيُحْسَنُ الظن به فيما ادعاه »(٥١)، وذلك على نحو يذكرنا بما ذهب إليه الفارابى من قبل .

ويمكن أن نوضح ما ذهب إليه ابن الأكفانى من تقسيم للعلوم على النحو التالي(٥٢):

أولاً : تقسيم اجمالى للعلوم



(٥٠) ابن الأكفانى ، ارشاد القاصد ، تحقيق عبد المنعم محمد عمر ، مراجعة أحمد حلمى عبد الرحمن ، القاهرة (١٩٩٠م)، ص٩١ ؛ عبد الغنى ، دراسات ، ص٨٣ - ٨٤ .

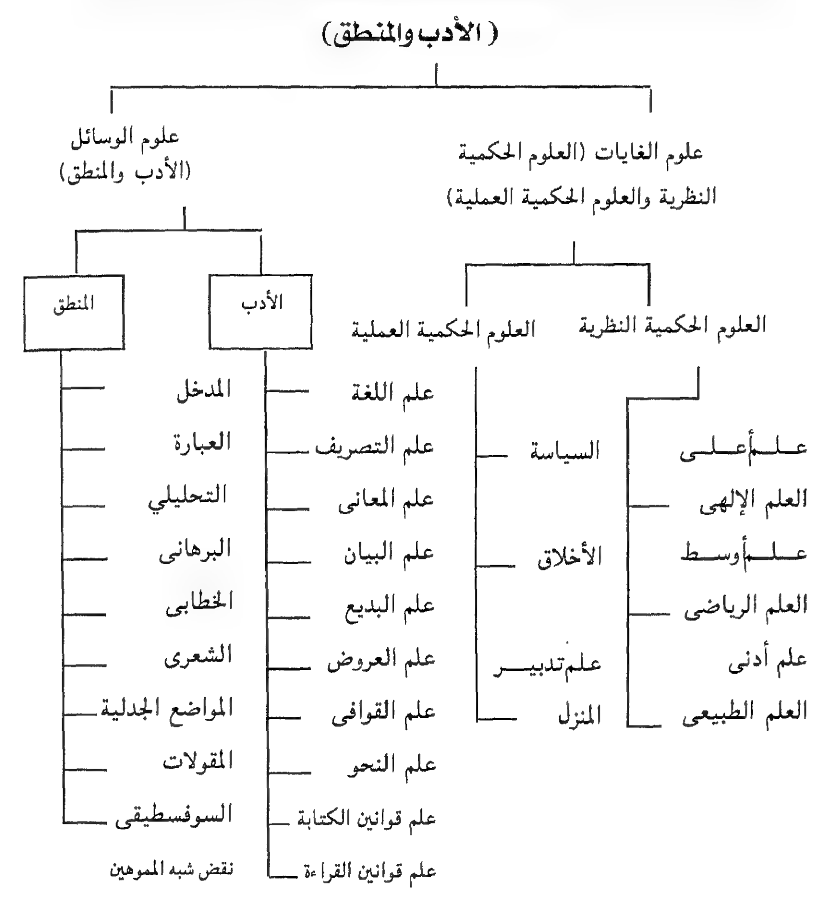
(٥١) ابن الأكفانى ، ارشاد القاصد ، ص٩٢ .

(٥٢) ابن الأكفانى ، ارشاد القاصد ، عبد الغنى ، دراسات ، ص٨٦ - ٩١ .

ثانيًا : تقسيم العلوم إلى علوم الغايات

العلوم الحكمية النظرية والعلوم الحكمية الأدبية وعلوم الوسائل

(الأدب والمنطق)



ثانيًا : أقسام العلوم الحكمية النظرية

العلم الالهى

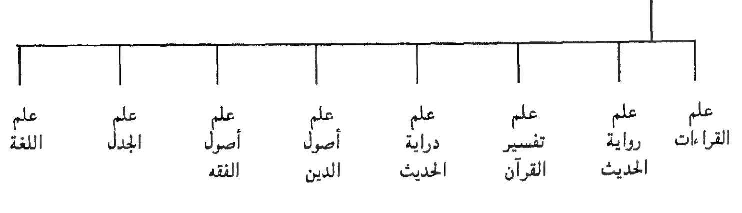
- النظر في الأمور العامة مثل الوجود والماهية والوحدة والكثرة والوجوب والامكان والقدم والحدوث والأسباب والمسببات
- النظر فى مبادئ العلوم
- النظر فى إثبات وجود الإله الحق الواحد
- النظر فى إثبات الجواهر المجردة
- أحوال النفوس البشرية بعد مفارقتها للهياكل الإنسانية
- علم النواميس (العلوم الشرعية)

العلوم الطبيعية

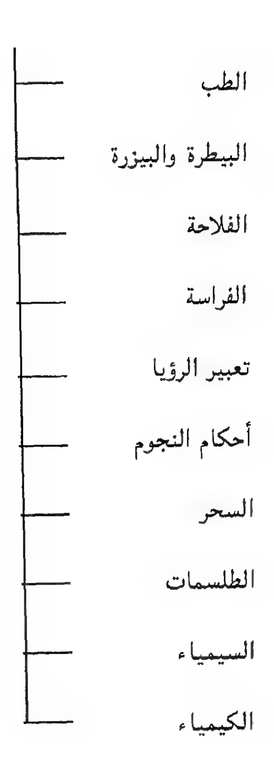
- السماع الطبيعى
- السماء والعالم
- الكون والفساد
- الآثار العلوية
- المعادن
- النبات
- الحيوان
- الحس والمحسوس

العلوم الرياضية

- الهندسة
- الهيئة وعلوم النجوم
- العدد
- الموسيقى

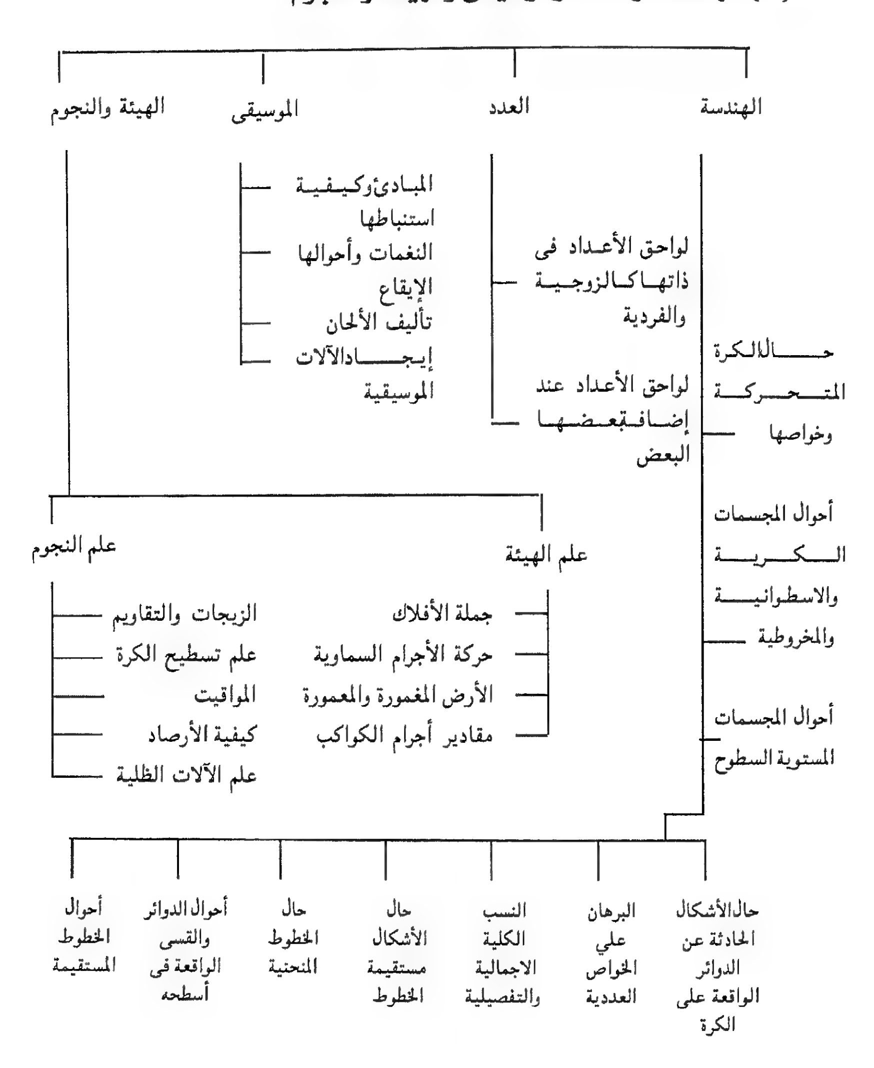


رابعًا : أقسام العلوم الطبيعية



خامسًا : أقسام العلوم الرياضية

(أ) الهندسة والعدد والموسيقى والهيئة والنجوم :



خامسًا : أقسام العلوم الرياضية

(ب) أقسام علم العدد (الحساب) وأقسام علم الهندسة :

تصنيف علم العدد	تصنيف علم الهندسة
علم الحساب المفتوح	علم عقود الأبنية
علم حساب التخت والميل	علم المناظر
علم الجبر والمقابلة	علم المرايا المحرقة
علم حساب الخطأين	علم مراكز الاثقال
علم الدور والوصايا	علم المساحة
علم حساب الدرهم والدينار	علم إنباط المياه
	علم جر الاثقال
	علم البنكامات
	علم الآلات الحربية
	علم الآلات الروحانية

وهكذا نجد أن ابن الأكفانى قد عرض فى كتابه ستين علمًا وذيل تصنيفه بتفسير للألفاظ المستخدمة التى يحتاج المبتدئ فى العلوم إلى تفسيرها لئلا يحتاج الناظر فى هذه الرسالة إلى كتاب آخر فى فهمها وهذه الألفاظ هى : العلم والحد والرسم والكليات الخمس والمقولات العشرة[٥٣]

(٥٣) ابن الأكفانى ، ارشاد القاصد ، ص٢٢٤ ؛ عبد الغنى ، دراسات ، ص٨٥ ؛ ولمزيد من التفاصيل انظر، عباس ، صالح مهدى ، تصنيف العلوم العربية وتعريفها عند شمس الدين ابن الأكفانى ، ضمن أعمال الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب ، جـ١ ، بغداد (١٩٨٩م)، ص٥٩٨ ـ ٦٢٨ .

المبحث الثالث : العلوم في الحضارة الإسلامية :

لما كان المقام لا يتسع لدراسة كل العلوم فى الحضارة الإسلامية فى هذا الكتاب المجّمل ، ولذلك أثرنا أن نركز على اسهامات العلماء المسلمين فى تقدم بعض العلوم التجريدية والتجريبية على أن نعود إليها ولغيرها من أنواع العلوم التى لم نذكرها (ومنها العلوم الدينية والعلوم اللغوية والأدبية وعلم التاريخ والفلسفة وعلم الحيوان وعلم النبات وغير ذلك) تفصيلاً واسهابا وتحليلاً فى كتابنا المفصّل بمشيئة الله تعالى.

١ ـ علم الجغرافيا :

علم المسلمون علم الجغرافيا وأدركوا خطورته وأهميته بين العلوم نظراً للحاجة إليه فى الحل والترحال ، فى العبادة والحج وطلب العلم فى الزراعة والتجارة وفى ذلك يذكر المقدسى ان الجغرافيا علم « لا بد منه للتاجر والمسافر والملوك والكبراء والقضاة والفقهاء »[٥٤].

وإذا كان انتقال المعرفة من حضارة إلى أخرى يتطلب بالضرورة أن يأخذ اللاحق عن السابق ما وصل إليه ، فان جغرافى المسلمين قد نقلوا عن الحضارات القديمة ما وصل إليهم من كتابات قرءوها بلغاتها الأصلية أو مترجمة ، واستطاعوا بذلك المحافظة على التراث الجغرافى العالمى فى تطوره ، ثم أضافوا ـ وهم الأهم ـ إلى المعارف الجغرافية خلال العصر الوسيط ـ ما نقل الجغرافية والخرائط من مرحلة العصور القديمة إلى مرحلة أكثر تقدمًا واقترابا من عصر النهضة[٥٥].

هذا وتمثل الملاحظة الشخصية أهم مصدر من مصادر المعرفة الجغرافية ، إلى جانب المصادر الأخرى كالاعتماد على تراث السلف والحساب الرياضى والرصد الفلكى ... إلخ ، وكنتيجة لاتساع الدولة الإسلامية غدت المعطيات الجغرافية لدى المسلمين أعظم بكثير مما كانت لدى أسلافهم من اليونان والرومان .

ولقد امتدت معرفتهم الجغرافية إلى جزر اليابان (واق واق) وكوريا

---

(٥٤) المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص   ؛ عاشور ، دراسات ، ص٧٤ .

(٥٥) الشامى ، جهود الجغرافيين المسلمين فى رسم الخرائط ، الكويت (١٩٨١م)، ص٦ .

(سيلا أوشيلا) شرقا ومعظم أسيا بما فيها كتلة انجارا وجزر الهند الشرقية ، أما فى افريقيا فقد عرفوا جيداً شمال افريقيا حتى خط عرض ١٠ شمالاً ، كما تاجروا مع الساحل الشرقى لافريقيا حتى موزمبيق (سفالة) بل وصلوا حتى الناتال جنوبا ، ويعتقد البعض أنهم داروا حول رأس الرجاء الصالح منذ القرن ٤هـ/ ١٠م ، كما عرفوا جزر كنارى (الخالدات والسعادات) وفى أوروبا عرفوا جنوب أوروبا ووسطها كما عرفوا بريطانيا وايرلنده والدول الاسكندنافية ومعظم روسيا[٥٦]. كذلك عرفوا أمريكا قبل كريستوفر كولمبوس بخمسة قرون على الأقل كما سنشير فيما بعد .

هذا وقد كان وراء تقدم علم الجغرافيا وازدهاره فى الحضارة الإسلامية عدة عوامل منها اتساع أراضى دار الإسلام فقد امتدت الدولة الإسلامية من حدود الصين الغربية شرقا حتى المحيط الأطلسى غربا وجميع جزر البحر المتوسط واسبانيا ... إلخ ، ومنها الحج والرحلة فى طلب العلم والتجارة واستعداد العرب الفطرى وواقع حياتهم فى جزيرتهم ومنها حب الاستطلاع والرحلات من أجل البحث الجغرافى وغيره من العلوم فضلا عن الاتصال بالثقافات الأجنبية (نتيجة حركة الترجمة السابق الإشارة إليها) .

ولقد طرق المسلمون جميع الفروع الجغرافية والوصفية والطبيعية والإدارية والاقتصادية والتاريخية والمدن والسكان ، وهناك من عنى بأقطار العالم الإسلامى كالبلخى والاصطخرى وابن حوقل والمقدسى ، ومنهم من تخصص فى قطر واحد كالهمدانى فى صفة جزيرة العرب ، والبيرونى فى الهند .

ومنهم من وضع المعاجم الجغرافية كمعجم ما استعجم للبكرى ومعجم البلدان لياقوت الحموى .

ومنهم من وضع الموسوعات الجغرافية التى بلغت ذروتها فى القرنين ٨ ـ ٩هـ/ ١٤ ـ ١٥م ومنها مباهج الفكر ومناهج العبر للوطواط (ت٧١٨هـ/ ١٣١٨م) ونهاية الارب للنويرى (ت٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) ومسالك الأبصار فى ممالك الأمصار لابن فضل الله العمرى (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) وصبح الأعشى فى صناعة الانشا للقلقشندى

---

(٥٦) الفيل ، أثر التجارة والرحلة فى تطور المعرفة الجغرافية عند العرب ، الكويت (١٩٧٩م)، ص٥ ـ ٦ .

(ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م)(٥٧). وها هو كرا تشكوفسكى يعترف بأهمية علم الجغرافيا الإسلامية بقوله « ... الا أن عدداً من فروع الأدب العربى قد اكتسبت أهمية تجاوزت بكثير حدود اختصاصاته الضيقة . ولعل هذا يصدق قبل كل شيء على الأدب التاريخى والجغرافى العربى الذى اعترف العلماء به منذ عهد بعيد بأنه المصدر الأساسى والموثوق به فى دراسة ماضى العالم الإسلامى ؛ اذ تتوفر فيه مادة لا ينضب معينها لا للمؤرخ أو الجغرافى فحسب بل أيضًا لعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخى الأدب والعلم والدين واللغويين وعلماء الطبيعة ، ولا يقتصر محيط الأدب الجغرافى العربى على البلاد العربية وحدها بل يمدنا بمعلومات من الدرجة الأولى عن جميع البلاد التى بلغها العرب أو التى تجمعت لديهم معلومات عنها وذلك بنفس الصورة المتنوعة التى وصفوا بها بلاد الإسلام »(٥٨).

وحسبنا فى هذه العجالة أن نركز على بعض اسهامات الجغرافيين المسلمين وانجازاتهم ومن بينها أنهم صححوا كثيراً من الأخطاء التى وقع فيها بطليموس السكندرى وغيره من السابقين ، وأضافوا معلومات جديدة غزيرة عن طبيعة الأرض وشكلها كما فسروا العديد من الظواهر الطبيعية والجغرافية تفسيراً علميا يتفق مع ما

---

(٥٧) عن نشأة علم الجغرافيا الإسلامية وتطوره انظر الدراسة القيمة للمستشرق الروسى كراتشكوفسكى ، اغناطيوس يوليانوفتش ، وعنوانها « تاريخ الأدب الجغرافى العربى » نقله عن الروسية صلاح الدين عثمان هاشم ، ط٢ ، بيروت (١٩٨٧م) (١١١١ صفحة) ؛ وانظر أيضًا ، علوى ، س . م . ضياء الدين ، الجغرافيا العربية فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين (الثالث والرابع الهجريين) ترجمة وتحقيق عبد الله يوسف الغنيم وطه محمد جاد ، القاهرة (١٩٨٤م)؛ شوكه ، إبراهيم ، الجغرافيا العربية حتى نهاية القرن العاشر الميلادى ، ترجمة صالح فليح حسن الهيتى وخلدون داؤد صبرى القيسى ، بغداد (١٩٩٠م)؛ نفيس ، أحمد ، جهود المسلمين فى الجغرافيا ، ترجمة فتحى عثمان ، مراجعة على أدهم، القاهرة د. ت ؛ خصباك ، شاكر ، فى الجغرافيا العربية ، بغداد (١٩٧٥م)؛ حميدة ، عبد الرحمن ، أعلام الجغرافيين العرب ، دمشق (١٩٨٠م)؛ التراث الجغرافى ، جامعة دمشق (١٩٨٨ ـ ١٩٨٩م) ؛ مينورسكى ، الجغرافيون والرحالة المسلمون ، ترجمة عبد الرحمن حميدة ، الكويت (١٩٨٥م)؛ مؤنس، حسين ، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الأندلس ، القاهرة ، ط٢ (١٩٨٦م)؛ محمدين ، محمد محمود ، التراث الجغرافى العربى ، الرياض (١٩٨٤م)؛ محمد ، صباح محمود ، دراسات فى التراث الجغرافى العربى ، بغداد (١٩٨١م) ؛ بارتولد ، جهود العلماء العرب المسلمين فى علم الجغرافية ، ترجمة وتعليق عبد الجبار ناجى بغداد (٢٠٠٠م) ، (٨٣ صفحة) ؛ فرحات ، كرم حلمى ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية فى الشام والعراق خلال القرن الرابع الهجرى ، القاهرة (٢٠٠٤م)، ص٤٨٧ ـ ٥١٤ .

(٥٨) كراتشكوفسكى ، تاريخ الأدب الجغرافى ، ص١٩ .

أقـره العلمـاء المحـدثون ومن ذلك أنهم تمسكوا بفكرة كـروية الأرض وبنوا على هذه الفكرة كثيراً من الاستنتاجات الصحيحة كما يتجلى فى كتابات ابن خرداذبة وابن رسته والمقدسى والمسعودى والإدريسى ، وقد استندوا فى اثبات كروية الأرض إلى نفس الأسانيد التى يرددها المعلمون والمتكلمون حتى اليوم وهى أن الشمس لا تطلع على جميع بلاد العالم فى وقت واحد ولا تغرب عنها فى وقت واحد « بل يرى طلوعها عن المواضع المشرقية قبل غيبوتها عن المغربية » على حد قول ابن رسته(٥٩).

أما المسعودى فيذكر أن الشمس إذا غابت فى أقصى الصين كان طلوعها على الجزائر العامرة المذكورة التى فى بحر أو قيانوس الغربى وإذا غابت فى هذه الجزائر كان طلوعها فى أقصى الصين ... »(٦٠).

والإدريسى هو أعظم جغرافى فى الإسلام ، فقد نظر إلى الجغرافية كعلم قائم بذاته لا يختلط بالتاريخ ولا تمتزج مادته بالأساطير ولا تتعلق حقائقه بمسائل الفلك ، فهو جغرافى موضوعى يذكر الحقائق كما تصورها واضحة مجردة ويصوغها فى اسلوب بسيط منطقى لا تكلف فيه ولا تظاهر بالعلم ولا دعوى برحلات طويلة أو قراءات مستبحرة ، ومن ثم جاء كتابه نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق جغرافية طبيعية وبشرية كاملة للعالم أجمع ، فقد أورد وصف كل جزء من جغرافيته بطريقة علمية موضوعية خالصة كما يكتب أى باحث جغرافى اليوم وهو بذلك يقدم لنا مفهوما علميا كاملاً سليما للجغرافيا(٦١). أما خريطته فسوف نشير إليها عند الحديث عن جهود المسلمين فى رسم الخرائط .

أما بالنسبة إلى جهود الجغرافيين المسلمين فى رسم الخرائط الجغرافية فنلاحظ وجود اتجاهين واضحين :

---

(٥٩) ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص   ؛ ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، ص١٣ ـ ١٤ ؛ المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص٦٢ ـ ٦٣ ؛ الإدريسى ، نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ، مج١ ، ص٧ ؛ عاشور ، دراسات ، ص٧٨ .

(٦٠) المسعودى ، مروج الذهب ، جـ١ ، ص٨٩ ؛ الخربوطلى ، المسعودى ، القاهرة ، ط٢ (١٩٨٠م)، ص٧٨ .

(٦١) مؤنس ، تاريخ الجغرافية ، ص ٢١٥ ـ ٢٣١ ؛ إسلام ، أحمد مدحت ، علماء العرب والمسلمين وانجازاتهم فى بناء الحضارة الإنسانية ، القاهرة (١٩٩٩م)، ص١٣٣ ـ ١٣٧ .

أولهما : اتجاه عام متأثر بالجهود السابقة فى الجغرافية والخرائط بمعنى أن عدداً من الجغرافيين المسلمين قد اعتمدوا على الخرائط السابقة ونقلوها وأضافوا إليها ما وصلت إليه معارفهم وصححوا ما وقفوا عليه فيهما من أخطاء وحين رسموا خرائطهم الإسلامية وقعوا عليها ما تمت معرفته عن أطراف المعمورة خلال العصر الوسيط وما استجد من مراكز عمرانية حادثة فى الإسلام ويطلق على أصحاب هذا الاتجاه اسم المدرسة التقليدية فى رسم الخرائط ومن أمثال هؤلاء الخوارزمى والزهرى والإدريسى وابن سعيد وابن فضل الله العمرى والقزوينى والدمشقى .

وثانيهما : اتجاه خاص قام فى ظل الجهود الجغرافية الإسلامية المجددة التى لم تتأثر بالفكر الجغرافى اليونانى وخرائطه ويطلق على أصحاب هذا الاتجاه اسم المدرسة المجددة لأن خرائطهم نمط فريد ومتفرد جاء وليد جهودهم الخاصة أى من ابتكارهم وابتداعهم ، وتعرف مجموعة خرائط أصحاب هذه المدرسة اسم « أطلس الإسلام » لأنها تغطى أقاليم العالم الإسلامى بسلسلة من الخرائط التى تتمشى مع التقسيم الجغرافى الذى ابتدعه هؤلاء مخالفين بذلك التقسيم السباعى للمعمورة الذى كان سائداً من قبل فى الفكر الجغرافى القديم (قبل الإسلام) وعند أصحاب المدرسة التقليدية (الاتجاه الأول فى العصر الإسلامي). ومن هؤلاء البلخى والاصطخرى وابن حوقل والمقدسى (٦٢).

غير أن ما يعنينا فى هذا المقام هو أن نركز على الإدريسى من أعلام الاتجاه الأول أو المدرسة التقليدية فى رسم الخرائط فإنه إذا كان الإدريسى هو أعظم جغرافى الإسلام كما سبق القول ، فإنه قد نال هذه المكانة على وجه الخصوص بفضل ملكاته المختارة فى رسم الخرائط ، وقد اعتبر أطلسه أهم أثر للخرائط فى العصور الوسطى ويمثل فى الوقت نفسه القمة التى بلغها المسلمون فى رسم الخرائط .

ومهما يكن من أمر التفاصيل فإن الإدريسى قد رسم لنا صورة الأرض مرتين :
الأولى : فى صورة كرة أو دائرة هى من الناحية الخرائطية أقرب للدقة من الصورة .

والثانية : وهى المبسوطة على مسقط مركاتور وهى المشهورة .

---

(٦٢) الشامى ، جهود ، ص٦ ـ ٥٦ .

ومن المعروف أن الرسم على سطح الكرة يختلف فى قواعده عن الرسم على مسطح منبسط أو مبسوط ، ولذا فإن الإدريسى هو أول من وضع أصول الرسم على مسطح كروى مما كان له أثره جغرافيا فى تحديد معالم الكرة الأرضية تحديداً واقعيا سليما .

وهكذا كانت خرائط الإدريسى نقطة تحول فى تطور علم الخرائط فقد تغيرت نوعية الخرائط وبدأ الاهتمام بتقسيم خط نصف النهار وخط الاستواء وضبط درجات الطول والعرض للمدن والبلدان بدقة كما فى الخرائط الحديثة(٦٣).

وليس أدل على أهمية خرائط الإدريسى من أنه ظل الاعتماد عليها فى أوروبا حتى القرن السادس عشر الميلادى كما سنشير فى الفصل الخامس من هذا الباب .

ولا تفوتنا الإشارة كذلك إلى استخدام الألوان فى التمييز بين الظاهرات الجغرافية على الخرائط ؛ كما كانت هناك رموز أو صور اصطلاحية لتمثيل الظاهرات الطبيعية والبشرية على الخرائط كالجبال والمحيطات والبحار والأنهار والنطاقات ذات التكوينات الرملية وتوقيع بعض النباتات والطيور وتصويرها على الخرائط ومراكز الاستقرار البشرى والطرق وتوقيع العجائب والمبانى المهمة ، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد فحسب بل سجلت معلومات على الخرائط تتعلق بالظاهرات الطبيعية والبشرية(٦٤).

ولا ننسى كذلك ما تزخر به مصادر التراث العربى الإسلامى عامة والجغرافى خاصة بالعديد من المصطلحات المتعلقة بأشكال سطح الأرض والمصطحات المناخية وما يرتبط بالحرات والحمات والبراكين وغير ذلك(٦٥).

وفيما يتعلق بموضوع الطواف حول الكرة الأرضية وأن المسلمين هم أول من حاولوا ذلك ومن ثم عرفوا أمريكا قبل كولمبوس بخمسة قرون على الأقل ، فإن ذلك يتضح

---

(٦٣) الشامى ، جهود ، ص٢١ ـ ٢٣ ؛ عاشور ، دراسات ، ص٧٩ .

(٦٤) الشامى ، جهود ، ص٥٧ ـ ٦٥ .

(٦٥) الغنيم ، عبد الله يوسف ، المصادر العربية لمصطلحات الأشكال العربية ، الكويت (١٩٨٣م)؛ منتخبات من المصطلحات العربية لأشكال سطح الأرض ، الكويت (١٩٨٤م) ؛ البراكين والحرات والحمات فى التراث العربى ، الكويت (١٩٨٨م)؛ أحمد بدر الدين يوسف محمد ، المصطلحات المناخية فى التراث العربى ، الكويت (١٩٩٥م) .

من خلال ما ذكره البكرى عند حديثه عن رجال البحر الأندلسيين وما قاموا به من محاولات ومغامرات فى المحيط الأطلسى لكشف غياهبة وظلماته فى منتصف القرن ٣هـ/ ٩م ، ومن هؤلاء خشخاش بن سعيد بن أسود الذى خاطر مع جماعة من الأحداث فركبوا المراكب ودخلوا المحيط وغابوا فيه مدة ثم عادوا بغنائم واسعة وأخبار مشهورة ، وكان بيت بنى أسود من البيوت المشهورة فى بلدة بجانة ولهم رباط على ساحلها عرف بقابطة بنى الأسود ومكانه اليوم Cabo de Gata على ساحل المرية .

وكذلك حديث الفتية المغرورين أو المغربين من أهل لشبونة الذين اقتحموا المحيط الأطلسى ليعرفوا ما فيه وإلى اين انتهاؤه ولهم بلشبونة موضع بقرب الحمة منسوب إليهم يعرف بدرب المغرورين ، وقد أورد خبرهم الإدريسى ونقله عنه كل من أبو حامد الغرناطى والقزوينى والحميرى ، وخلاصته أن ثمانية رجال كلهم أبناء عم أعدوا مركبا وأدخلوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم لأشهر ، وقد قضوا فى المحيط الأطلسى ٣٨ يومًا (١١ يوم + ١٢ يوم + ١٢ يوم + ٣ يوم) قطعوا فيها قرابة ٣٨٠٠ كيلو متراً فى مياه هذا المحيط وهذه أطول مسافة قطعت فيه إلى ذلك الحين(٦٦) .

وهناك أدلة أخرى أشار إليها عدد من العلماء والباحثين سوف نتطرق إليها ونقوم بتحليلها فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

٢ ـ علم الملاحة وعلوم البحار :

من المعلوم أن التراث اليونانى القديم لم يترك لنا علما بهذا الاسم ـ أى علم البحر ـ كما أن هذا الاسم لم يرد ذكره فى علوم العرب فى القرون الأولى كعلم مستقل وإنما كان يعالج من نواحيه المختلفة ضمن العلوم الأخرى كالجغرافيا أو فى كتب العجائب ـ عجائب البر والبحر ـ وعلى ذلك يعد أحمد بن ماجد ت٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م هو أول من أطلق هذا المصطلح ويتجلى ذلك فى اسم كتابين له وهما :

---

(٦٦) الإدريسى ، المغرب والأندلس وافريقيــة ، ص١٨٤ ـ ١٨٥ ؛ أبو حامد الغرناطى ، تحفة الألباب ، ص٢٣٣ ـ ٢٣٤ ، الحميرى ، الروض المعطار ، ص١٧ ـ ١٨ ؛ القزوينى ، عجائب المخلوقات ، جـ١ ، ص١٢٤ ـ ١٢٥ ؛ مؤنس ، تاريخ الجغرافية ، ص٢٧٥ ـ ٢٧٨ ؛ عاشور ، دراسات ، ص٨٠ ـ ٨١ ، ١٩٨ ـ ١٩٩ ؛ الفيل ، أثر التجارة والرحلة ، ص٦ ـ ٧ حاشية ٤ ؛ عزب ، خالد ، المسلمون واكتشاف الامريكتين ، القاهرة (١٩٩٣م)، (٧٨ صفحة) .

« كتاب الفوائد فى اصول علم البحر والقواعد »(٦٧) و « حادية الاختصار فى اصول علم البحار » وقد ضمنها المؤلف كل ما عرف عن البحر على أيامه من الناحية التكنيكية التى تفيد الملاح وتيسر له سبل السير فى أودية البحر ودخول الموانى ، فإلى جانب القياسات الفلكية للنجوم الملاحية المختلفة ومواعد فتح البحر وغلق البحر يتكلم المؤلف عن السواحل والجزر والتيارات والمد والجزر والرياح وطبيعة القاع وما إليها من إشارات تفيد تعين الملاح على أداء مهمته بنجاح ولم يهمل تطعيمها كذلك بمادة اجتماعية تاريخية أدبية ، وتعرف مثل هذه الكتب فى العصر الحديث باسم المرشدات الملاحية Sailing Directions وعلى ذلك فابن ماجد هو مؤسس علم البحر وليس لو يجى فرناندو مرسيلى (١٦٥٨ ـ ١٧٣٠م) أو السيرجون مرى (١٨٧٢ ـ ١٨٧٥م) أو ماتيوس فونتين ماورى (+ ١٨٧٣م)(٦٨).

أما عن الملاحة وعلم البحر قبل ابن ماجد فيمكن القول أن الاتصال التجارى الذى كان بين جزيرة العرب والهند منذ الألف الثانى قبل الميلاد (كما دلت على ذلك الاكتشافات والدراسات الآثارية) قد استمر فى العصر الإسلامى بل انه ازداد عن ذى قبل (ويستثنى من ذلك الفترات التى انقطعت فيها الملاحة عن بعض الموانئ لوجود قلاقل أمنية وسياسية بها)، ومع تطور العلوم واتصال المسلمين بغيرهم من الأمم وأخذهم عنهم نجد أن الالات الفلكية كالاسطرلاب والربع المجيب وبيت الابرة (البوصلة) من الالات المستعملة(٦٩) ـ كما سنشير فيما بعد ـ ونجد كذلك كتب الارشادات البحرية التى كانت تسمى رهمانجات (مفردها رهمانج وهى مأخوذة من اللغة الفارسية «راه نامه» أى كتاب الطريق .

ومن الذين ألفوا فى ذلك قبل ابن ماجد محمد بن شاذان وسهل بن أبان وليث بن كهلان (العصر العباسى) وأشار إلى ذلك أيضًا المقدسى والمسعودى وابن المجاور(٧٠).

---

(٦٧) قام بتحقيق هذا الكتاب إبراهيم خورى وعزت حسن ، دمشق (١٩٧١م)، والطبعة الثانية ، رأس الخيمة (١٩٨٩م)، وعلى هذا التحقيق دراسة نقدية لحسن صالح شهاب ، الكويت (١٩٨٩م) .

(٦٨) عبد العليم ، الملاحة وعلوم البحار ، ص ٧ ـ ٩ .

(٦٩) قارى ، لطف الله ، القمباص والخرائط البحرية العربية ، الكويت (١٩٩٦م)، ص٤ ـ ٥ .

(٧٠) المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص٢٤ ـ ٢٥ ؛ المسعودى ، مروج الذهب ، جـ١ ، ص١٤٦ ؛ ابن المجاور ، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماه تاريخ المستبصر ، تحقيق اوسكر لو فغرين ، ليدن (١٩٥١م)، ص٢٦٧ ؛ شهاب ، علوم العرب البحرية من ابن ماجد إلى القطامى ، (دراسة مقارنة) ، الكويت (١٩٨٤م)، ص٩ .

هذا وقد حرفت لفظة رهمانج إلى الرحمانى ، ولدينا عدد من هذه الرحمانيات أو المرشدات البحرية العربية من أواخر القرن ٩هـ/ ١٥م وأوائل ق ١٠هـ/ ١٦م ومنها «الفوائد فى علم أصول البحر والقواعد» و «حادية الاختصار فى أصول علم البحار» لابن ماجد ، و «العمدة المهرية فى حفظ العلوم البحرية» لسليمان بن أحمد المهرى وتقدم هذه المرشدات معلومات غزيرة عن طرق الملاحة والموانى الشهيرة والجزر المتناثرة فى عرض البحار ومواسم الرياح وأساليب قياس خطوط الطول والعرض وتحديد موقع السفينة ، إلى جانب الإشارات النافعة لربابنة السفن عن كيفية الابحار ودخول الموانئ واتقاء الأخطار وتحديد المعالم التى يهتدى بها نواخذة السفن ليعرفوا اين هم من البر ومن الموانى التى يقصدونها إلى غير ذلك من المعلومات المفيدة[٧١].

كذلك فان المرشدات البحرية التالية لا تختلف فى محتوياتها عن المرشدات المتقدمة عنها إلا فى الجانب الفلكى خاصة فى قياس العرض[٧٢]. وهو ما سوف نشير إليه فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

وهناك خرائط بحرية إسلامية (عربية وتركية) ومنها خرائط كل من إبراهيم بن أحمد الكاتبى التونسى ٨١٦هـ/ ١٤١٤م وإبراهيم المرسى ٨٦٥هـ/ ١٤٦١م وبيرى ريس وعلى مجر ريس وأطلس على بن أحمد بن محمد الشرفى الصفاقسى (وبه خمس خرائط بحرية وخارطة واحدة للعالم) وغير ذلك ، وكانت خرائط البحر المتوسط تعرف

---

(٧١) شهاب ، رحمانى يوسف بن ناصر الخرافى « مرشد بحرى » تحقيق وشرح ، الكويت (٢٠٠٤م)، ص٧ (التصدير للدكتور عبد الله يوسف الغنيم) .

(٧٢) عن هذه الكتب انظر ، شهاب ، علوم العرب البحرية من ابن ماجد إلى القطامى ، الكويت (١٩٨٤م)، (٣٤٣ صفحة) ؛ بحار مجهول ، فرجة الهموم والغموم فى العلامات والمسافات والنجوم ، شرح وتحقيق حسن صالح شهاب ، الكويت (١٩٨٤م)، (١٠٨ صفحة)؛ شهاب ، قواعد علم البحر (شرح وتحقيق لمخطوطين فى فن الملاحة البحرية)، الكويت (١٩٨٦م)، (٢٣٨ صفحة)؛ الدليل البحرى عند العرب ، الكويت (١٩٨٣م)، (٨٩ صفحة) ؛ رحمانى يوسف بن ناصر الخرافى ، الكويت (٢٠٠٤م)، (١١٦ صفحة) . وعن طرق الملاحة فى الخليج العربى والمحيط الهندى انظر ، شهاب ، طرق الملاحة التقليدية فى الخليج العربى ، الكويت (١٩٨٣م) (١١٨ صفحة) ؛ أسطورة هبيالوس والملاحة فى المحيط الهندى ، الكويت (١٩٨٧م) (٤٣ صفحة) ؛ حورانى ، العرب والملاحة فى المحيط الهندى ، ص١٧١ - ٢٣٨ .

فى المصادر الإسلامية باسم القمباص وتعنى احداثيات خرائط البورتولانو الأوروبية وليس البوصلة (بيت الابرة) كما ذهب إلى ذلك بعض العلماء والباحثين[٧٣].

وحسبنا أن نختتم هذه العجالة بالإشارة إلى الرحالة البحرى ابن فاطمة (حوالى ق٦ أو ٧هـ/ ١٢ أو ١٣م) ويظن أنه من أهل غرب افريقيا وقد قدم إلينا كمية وافرة من المعلومات حول سواحل افريقيا حيث دار ابن فاطمة هذا حول القارة حتى وصل إلى مدغشقر التى وصف سكانها وصف عالم محيط بأحوالها ، كما وصف بعض الجزر القريبة من السواحل والخلجان الضحلة التى لا تسلكها السفن الكبيرة وذلك بمنطقة غرب افريقيا التى تسمى بلاد السنغال حاليا ، وتمثل كشوفه فى سواحل ووسط افريقيا فتحا جديداً فى الجغرافيا بحيث كانت معلوماته مجهولة لدى الأوروبيين إلى مائتى عام بعده [٧٤].

هذا وقد أشار الرحالة البرتغال P. Da Covilha فى رسالة كتبها من القاهرة إلى الملك جوان الثانى ١٤٨٧م إلى أن العرب يعرفون رأس الرجاء الصالح معرفة جيدة ، وهذا قبل أن يعرفه الغربيون الذين لم يعرفوه إلا بعد رحلات بارثليمو دياز وفاسكو دى جاما فى السنوات التى تلت الرسالة المذكورة[٧٥].

٣ - علم الفلك :

اختلف مفهوم علم الفلك الذى كان يعرف قديما باسم علم الهيئة بين الأمس واليوم ، كما تنوعت مجالاته وتعددت ميادينه عما كان سابقًا ولكنه فى كافة العصور كان هو العلم الذى يتوجه إلى السماء ليدرس ما فيها من أجرام سماوية تبدو للناظر إليها بالعين المجردة أو باستخدام الأجهزة المقربة ؛ غير أن نظرة الإنسان إلى الكون إختلفت ما بين القديم والحديث واختلفت معها أيضًا نظرته إلى الأجرام السماوية القريبة منا نحن سكان الأرض .

وبصورة عامة فإن علم الفلك لم يعرف بهذا الاسم إلا فى العصر الحديث ، إذ كان

---

(٧٣) قارى ، القمباص ، ص٧ - ٢٦ ؛ وعن بيرى ريس انظر ، الكندرى ، فيصل ، الملاح والجغرافى بيرى ريس (ت٩٦١هـ/ ١٥٥٤م)، الكويت (١٩٩٩م)، (٧٥ صفحة) .

(٧٤) قارى ، القمباص ، ص٧ .

(٧٥) قارى ، القمباص ، ص٧ ؛ ولمزيد من التفاصيل انظر ، جلال ، السيد حسين ، فضل المسلمين فى كشف الطريق البحرى إلى الهند (١٤١٥ - ١٤٩٨م)، القاهرة (١٩٩٥م)، (١٦٤ صفحة) .

سابقا مجموعة من العلوم التى تتجه جميعا اتجاها واحداً لدراسة الوحدات السماوية نفسها وانعكاساها على العالم الأرضي[٧٦].

أما عن تسمية هذا العلم بعلم الهيئة فترجع إلى كونه يبحث فيه عن هيئة الأجرام العلوية والسفلية وكيفيتها .

وليس أدل على أهميـة هذا العلم من قـول الإمام الغـزالى « من لم يعـرف الهيـئة والتشريح فهو عنين فى معرفة الله تعالى ».

وهذا يعنى مدى أهميـة هذا العلم وضرورة تحصيله كوسيلة من وسائل المعرفـة وبالتـالى فى التـفكيـر فى خلق السـموات والأرض قـال الله تعـالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عـمـران ١٩٠ ـ ١٩١) ومن المعـروف أن التـفكيـر فى خلق السموات والأرض يحتـاج إلى التعـمق وعلم الهيئة هو العلم الوحيد فى القيام بهذه المهمة ،يضاف إلى ذلك أهمية علم الفلك بالنسبة إلى العلوم الإسلامية الأخرى ومنها علم التفسير وعلم الفقه وعلم البلاغة وتـتجلى هذه الأهميـة فى تفسير الآيات القرآنيـة ومن بينهـا ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ الرحـمن أية ١٧ ، و﴿ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ المعارج آية ٤٠ . ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾ البروج آية ١ .

ومن القضايا الفقهية التى تحتاج إلى علم الهيئة قضية الطلوع والغروب وظهور الأحمرار فى الأفق ومعرفة الصبح الصادق والصبح الكاذب والفرق بينهما ، وقضيـة توقيت الصلاة فى المناطق التـى يكون أطول أيامهـا ٢٤ سـاعـة والمناطق التى يزيد على ذلك إلى أن يصل أطول أيامـهـا إلى سـتـة أشـهـر تقريبـا ، ومنهـا قـضيـة الصـوم برؤية الهـلال والأفطار برؤيته ومنهـا تعيين سمت القبلة ومعرفة جهة الاتجاه فى الصلاة وغيـر ذلك[٧٧].

---

(٧٦) موسى ، على حسن ، علم الفلك فى التراث العربى ، دمشق (٢٠٠١م)، ص١٩ ـ ٢٠ .

(٧٧) ابلاغ ، عناية الله ، علم الهيئة «الفلك» وصلته بالعلوم الإنسانية ، الكويت (١٩٩٣م)، ص٣ ـ ٢٩ .

ولمزيد من التفاصيل عن علم الفلك والمجتمع الإسلامى انظر ، موسوعة تاريخ العلوم العربية ، جـ١ ، بيروت (١٩٩٧م)، ص١٧٣ ـ ٢٣٨ ؛ هيل ، دونالد ، العلوم والهندسة فى الحضارة الإسلامية ، ترجمة أحمد فؤاد باشا ، الكويت (يوليو ٢٠٠٤م)، ص٦٢ ـ ٦٥ .

هذا وقد اشتبه الفرق بين علم الهيئة وعلم النجوم حتى اعتقد البعض أن علم الهيئة هو علم النجوم ومن ثم نادوا بتحريم تعلمه مستندين فى ذلك إلى بعض الأحاديث النبوية ومنها « من اقتبس علما من النجوم اقتبس بابا من السحر » أخرجه ابن ماجة فى كتاب الأدب ؛ ومنها حديث رواه الطبرانى من حديث ابن مسعود باسناد حسن « إذا ذكر القدر فامسكوا وإذا ذكرت النجوم فامسكوا وإذا ذكر أصحابى فامسكوا » ولا شك أن علم النجوم له صلة بعلم الهيئة (الفلك) لا أن علم النجوم هو نفس علم الهيئة ويدل على ذلك ما ذكره علماء الهيئة (الفلك) من أن علم الفلك يبحث عن الفلكيات كما ووضعا وحركة وعن العناصر أيضًا تبعا للفلكيات .

أما علم النجوم فيقوم على التنبؤ بشخصية ومستقبل الشخص من طالعه ؛ أى من الأوضاع النسبية للشمس والقمر والكواكب والنجوم عند مولده أو عند الحمل فيه أى عند ٢٧٩ يوما قبل مولده وهذا يتطلب من المنجم أن يكون على معرفة بدائرة البروج السماوية وكوكباتها البروجية الاثنى عشر ومسارات الكواكب وأوضاعها بالنسبة إلى تلك الكواكب البروجية وإلى بعضها ، وعلى ذلك فعلم النجوم هو فى اساسه ذو طبيعة دينية حيث يؤمن بأن الكواكب ذات طبيعة مقدسة تؤثر على الحياة على ظهر الأرض وتستطيع تغيير مجرى الأمور ومن ثم ارتبطت النجوم والكواكب بالكائنات الحية والأشياء غير الحية على الأرض بروابط غير مرئية .

وقد حرم الإسلام التنجيم لأن معرفة الغيب هى من قدرات الله سبحانه وتعالى { قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله } ورغم ذلك اعتقد الكثير من المسلمين - حكاما ومحكومين - فى التنجيم وهو ما ترتب عليه ظهور أعداد كبيرة من المنجمين الحاذقين الماهرين الذين شقوا طريقهم إلى بلاط الخلفاء والسلاطين والأمراء وغيرهم(٧٨) .

غير أن هناك قسما فى علم النجوم ليس بمذموم وهو القسم الحسابى الذى يرتبط بحساب الليل والنهار ، مصداقا لقول الحق سبحانه وتعالى ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ الرحمن آية ٥ .

---

(٧٨) موسى ، علم الفلك ، ص١٩٣ - ١٩٥ ؛ ابلاغ ، علم الهيئة ، ص٣٠ - ٣٨ ؛ هيل ، العلوم والهندسة، ص٤٤ - ٨٦ .

وقوله عز وجل ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ (سورة يس آية ٣٩).

ومهما يكن من أمر فقد فرق علماء المسلمين بين التنجيم وعلم الهيئة (الفلك) فنادى معظمهم بعدم تأثير الكوكب فى الإنسان ونفوا أن يكون للكواكب والنجوم صفات معينة من النحس أو السعد ومن هؤلاء الكندى والفارابى وابن سينا وغيرهم ممن سفهوا أثر الكواكب على الناس من خير وشر(٧٩).

هذا وقد كان وراء تقدم علم الفلك فى الحضارة الإسلامية عدة عوامل منها القرآن الكريم وما ورد به من آيات كثيرة حول النظر فى السموات والتفكر فى خلقها وغير ذلك من الظواهر الفلكية والأجرام السماوية وارتباط ذلك بالعلوم الإسلامية الأخرى السابق الإشارة إليها .

ومن هذه العوامل الظروف الطبيعية والخيال العربى والموقع الجغرافى المتميز للدولة الإسلامية وغير ذلك(٨٠).

وترجع بداية ترجمة الكتب المرتبطة بعلم الفلك إلى العصر الأموى وبالتحديد إلى الأمير خالد بن يزيد بن معاوية حكيم آل مروان الذى أمر بنقل الكتب إلى العربية ومنها كتب النجوم كما سبق القول .

وقيل أن الوزير أبى القاسم على بن أحمد الجرجرائى وجد فى خزانة الكتب بالقاهرة فى عام ٤٣٥هـ/١٠٤٣م كرة سماوية نحاسية من عمل بطليموس وعليها نقش كتابى بصيغة « حملت هذه الكرة من الأمير خالد بن يزيد بن معاوية »، كما وجد كرة أخرى من عمل أبى الحسين الصوفى لعضد الدولة البويهى وزنها ثلاثة الاف درهم قد اشتريت بثلاثة الاف دينار(٨١).

---

(٧٩) عاشور ، دراسات ، ص١١٠ .

(٨٠) موسى ، علم الفلك ، ص٣٣ - ٣٦ ؛ نلينو ، كرلو ، علم الفلك ، تاريخه عند العرب فى القرون الوسطى ، بيروت ، ط٢ (١٩٩٣م)، ص ٢٢٩ - ٣٣٧ ؛ الدفاع ، على عبد الله ، أثر علماء العرب والمسلمين فى تطوير علم الفلك ، بيروت ، ط٢ (١٩٨٣م)، ص١٥ - ١٦ .

(٨١) القفطى ، أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، القاهرة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م، ص٢٨٦ ؛ موسى ، علم الفلك، ص٣٧ - ٣٨ .

وفى أواخر العصر الأموى وبالتحديد عام ١٢٥هـ/٧٤٢م تمت ترجمة كتاب عرض مفتاح النجوم المنسوب إلى هرمس الحكيم وهو كتاب موضوع على تحاويل سنى العالم وما فيها من الأحكام النجومية ومن هذا الكتاب نسخة محفوظة فى مكتبة الامبروز يانو فى ميلانو بايطاليا وعليها تاريخ ترجمتها(٨٢).

وفى العصر العباسي الأول ترجمت الكتب الفلكية ومنها السندهانتا الذى أمر الخليفة أبو جعفر المنصور بترجمته من اللغة السنسكريتية إلى العربية وقام محمد بن إبراهيم الفزارى بترجمة هذا الكتاب وأسماه كتاب السند هند الكبير .

كذلك قام أبو يحيي البطريق بترجمة كتاب الأربع مقالات لبطليموس فى أحكام النجوم(٨٣).

وهكذا نجد أن علماء المسلمين لم يبدأوا دراساتهم الفلكية من نقطة الصفر ؛ وإنما استفادوا من معارف اليونان والفرس والهنود والكلدان والسريان عن طريق حركة الترجمة والتى كانت الكتب الفلكية من بينها ، ولكن علماء المسلمين لم يقفوا عند حد اضفاء الصيغة العلمية على الدراسات الفلكية وتنقيتها من هواجس التنجيم وعلم الغيب والتنبؤ فحسب ، وإنما يرجع إليهم الفضل فى تصحيح كثير من الأخطاء الحسابية التى وقع فيها السابقون واكتشاف معلومات جديدة والتوصل إلى نتائج غير مسبوقة(٨٤). وكان لتفوق المسلمين فى العلوم الرياضية والطبيعية على نحو ما سنرى فيما يستقبلنا من صفحات هذا الكتاب - أثره البارز فى تحقيق ذلك التفوق فى علم الفلك .

ولما كان المقام لا يتسع ، وفقا للخطة الموضوعة لهذا الكتاب المجّمل ، لذكر كل التفاصيل المتعلقة باسهامات العلماء وانجازاتهم فى علم الفلك ، ولذلك حسبنا أن نشير هنا إلى بعض هذه الاسهامات وأعلام العلماء فى هذا المجال ؛ على أن نعود إلى

---

(٨٢) نلينو ، علم الفلك ، ص١٤٢ - ١٤٣ ؛ طوقان ، قدرى حافظ ، علماء العرب وما أعطوه للحضارة ، نابلس ، الأردن ، د ت ، ص٦٥ .

(٨٣) موسى ، علم الفلك ، ص٣٨ - ٣٩ ؛ طوقان ، علماء العرب ، ص٦٥ - ٦٦ ؛ خليل ؛ ياسين ، العلوم الطبيعية عند العرب ، بغداد (١٩٨٠م)، ص٩٢ - ٩٣ .

(٨٤) عاشور ، دراسات ، ص١١٠ - ١١١ .

تلك الاسهامات والانجازات تفصيلا واسهابا وتحليلا فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

ومن النتائج غير المسبوقة لعلماء المسلمين أنهم كانوا أول من عرف أصول الرسم على سطح الكرة وقالوا باستدارة الأرض وبدورانها على محورها ، وهم أول من أوجدوا بطريقة علمية طول درجة من خط نصف النهار ، وهم الذين ضبطوا حركة أوج الشمس وتداخل فلكها فى أفلاك أخر ، وعملوا الأزياج (الجداول الفلكية) الكثيرة العظيمة النفع .

كذلك اختلف علماء الغرب فى نسبة اكتشاف بعض أنواع الخلل فى حركة القمر إلى البوزجانى أو (تيخوبراهى) ؛ ولكن ظهر حديثا أن اكتشاف هذا الخلل يرجع إلى أبى الوفا البوزجانى لا إلى غيره .

وهم ـ أى علماء الحضارة الإسلامية ـ الذين حسبوا الحركة المتوسطة للشمس فى السنة الفارسية ، وحسب البتانى ميل فلك البروج على فلك معدل النهار فوجده ٢٣ درجة و ٣٥ دقيقة وظهر حديثا أنه أصاب فى رصده إلى حد دقيقة واحدة ودقق فى حساب طول السنة الشمسية وأخطأ فى حسابه بمقدار دقيقتين و ٢٢ ثانية والبتانى من الذين حققوا مواقع كثيرة من النجوم ، وقالوا بانتقال نقطة الرأس والذنب للأرض ورصدوا الاعتدالين الربيعى والخريفى وكتبوا عن كلف الشمس وعرفوها قبل أوروبا .

وانتقد أبو محمد جابر بن الأفلح المجسطى فى كتابه المعروف بكتاب اصلاح المجسطى ودعم انتقاده عالم آخر هو نور الدين أبو اسحق البطروجى الاشبيلى فى كتابه الهيئة الذى يشتمل على مذهب حركات الفلك الجديد ، ويذكر جورج سارتون أنه على الرغم من نقص هذه المذاهب الجديدة فإنها مفيدة جداً ومهمة جداً لأنها سهلت الطريق للنهضة الفلكية الكبرى التى لم يكمل نموها قبل القرن ٤هـ/ ١٠م وأوحت بحوثهم الفلكية لكبلر أن يكتشف الحكم الأول من أحكامه الثلاثة الشهيرة وهى اهليليجية فلك السيارات » وعملوا جداول دقيقة لبعض النجوم الثوابت فقد وضع الصوفى مؤلفا فيها وعمل لها الخرائط المصورة جمع فيها أكثر من ألف نجم ورسمها كوكبات فى صوره الأناسى والحيوان ، وأثبت البتانى النجوم الثوابت لسنة ٢٩٩هـ/٩١١م ، ولهذا وغيرها من الجداول شأن عند علماء الفلك ـ فى هذا العصر ـ إذ لا يستغنون عنها عند البحث فى تاريخ بعض الكواكب ومواقعها

وحركاتها ، وبلغ من شدة ولوع المسلمين بهذا العلم درجة جعلت بعضهم يضع فى بيته هيئة السماء وخيل للناظرين فيها النجوم والغيوم والبروق والرعود ...»[٨٥].

ولا شك أن علماء الحضارة الإسلامية لم يصلوا بعلم الفلك إلى ما وصلوا إليه إلا بفضل المراصد ومن بينها مرصد الخليفة المأمون على جبل قاسيون بدمشق وفى الشماسية ببغداد ، ومرصد بنى موسى ببغداد على طرف الجسر ومرصد شرف الدولة فى بستان دار المملكة والمرصد الحاكمى على جبل المقطم بالقاهرة ومرصد ابن الشاطر بالشام ومرصد الدينورى باصبهان ومرصد البيرونى ومرصد أولوغ بك بسمرقند ومرصد البتانى بالشام ومرصد المراغة لنصير الدين الطوسى الذى كان من أشهر المراصد وأكبرها واشتهر بالاته الدقيقة وتفوق المشتغلين فيه ، وليس أدل على أهمية هذا المرصد من أن علماء أوروبا فى عصر النهضة وما بعده قد اعتمدوا على أرصاد هذا المرصد فى بحوثهم الفلكية، ومرصد استانبول وغير ذلك[٨٦].

وكان للرصد آلات وهى على أنواع وتختلف بحسب الغرض منها وهناك أسماء بعضها : اللبنة والحلقة الاعتدالية وذات الأوتار وذات الحلق وهى خمسة دوائر متخذة من نحاس (الأولى دائرة نصف النهار وهى مركوزة على الأرض ودائرة معدل النهار ودائرة منطقة البروج ودائرة العرض ودائرة الميل) وذات السمت والارتفاع والآلة الشاملة

---

(٨٥) طوقان ، علماء العرب ، ص٦٧ ـ ٦٨ ؛ ولمزيد من التفاصيل انظر طوقان ، تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ، القاهرة ، بيروت (١٩٦٣م)، ص١١٥ ـ ١٣٨ ؛ موسى ، علم الفلك ، ص٤٢ ـ ١٨٩ ؛ سليمان وحلاق ، دراسات فى تاريخ العلوم عند العرب ، ص١٧١ ـ ١٧٥ ؛ خليل ، العلوم الطبيعية عند العرب ، ص٨٣ ـ ١١٤ ؛ عاشور ، دراسات فى الحضارة ، ص١١١ ـ ١١٤ ، الميدانى ، محمود عصام ، خطوط الطول والعرض وقياس محيط الأرض فى الجغرافيا العربية ، الكويت (١٩٩٣م)، (٦٢ صفحة)؛ الدفاع ، أثر علماء ، ص٢٠ ـ ٢١ ؛ مجموعة علماء ، موسوعة تاريخ العلوم العربية ، الجزء الأول ، علم الفلك النظرى والتطبيقى ، بيروت ، (١٩٩٧م)، (١ ـ ٢ من الجزء الأول .) ؛ فؤاد باشا ، أحمد ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، القاهرة (١٩٨٣م)، ص٩٤ ـ ١٠٧ ؛ صالحية ، محمد عيسى ، بحوث ومقالات فى الحضارة العربية الإسلامية ، بيروت ، الكويت (١٩٨٨م)، ص١٧١ ـ ١٩٥ .

(٨٦) طوقان ، علماء العرب ، ص٦٨ ـ ٦٩ ؛ ولمزيد من التفاصيل انظر الكتاب القيم الموسوم بـ « المراصد الفلكية فى العالم الإسلامى » لمؤلفه أيدين صاييلى ، ترجمة عبد الله العمر ، مراجعة عبد الحميد صبره ، الكويت (١٩٩٥م)، (٧٠٠ صفحة فضلا عن سبع لوحات) وهو أوفى كتاب فى بابه ، موسى، علم الفلك ، ص٢٣٥ ـ ٢٤٦ ؛ هيل ، العلوم والهندسة ، ص٨٢ ـ ٨٤ .

وذات الشعبتين وذات الجيب وذات المشتبهة بالناطق ، والاسطرلاب وأنواعه المتعددة ، وقد اعترف علماء الغرب بأن المسلمين أتقنوا صنعة هذه الآلات وثبت أن الاصطرلاب ، ذات السمت ، والارتفاع والآلة الشاملة ، والرقاص ، وذات الأوتار ، والمشتبهة بالناطق، وكل هذه من مخترعات المسلمين عدا ما اخترعوه من البراكير والمساطر ، فضلا عن التحسينات التي ادخلوها على كثير من آلات الرصد المعروفة قبل الإسلام .

وفي هذه المراصد أجرى المسلمون أرصاداً كثيرة ووضعوا الأزياح القيمة الدقيقة (وهي جداول حسابية على قوانين عددية فيما يخص كل كوكب من طريق حركته وما أدى إليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك) ومن خلالها يعرف مواضع الكواكب في افلاكها وقواعد معرفة الشهور والأيام والتواريخ الماضية ومعرفة الأوج والحضيض والميول وأصناف الحركات واستخراج بعضها من بعض.

ومن أشهر الأزياج زيج إبراهيم الفزاري وزيج الخوارزمي وزيج البتاني وأزياج المأمون وابن السمح وابن الشاطر وأبي حماد الأندلسي وابن يونس المصري وأبي حنيفة الدينوري وأبي معشر البلخي والايلخاني وعبد الله المروزي البغدادي والشامل والصغاني لأبي الوفا البوزجاني والشاهي لنصير الدين الطوسي وشمس الدين وملكشاهي والمقتبس لأبي العباس أحمد وغير ذلك(٨٧).

وبامعان النظر في كتاب الزيج الصابئ للبتاني نجده دائرة معارف فلكية ضخمة وضع فيها البتاني دائرة الفلك وارتفاع القطب الشمالي ومعرفة زيادة النهار ومعرفة سمت الارتفاع والظل من دائرة الافق ومعرفة عروض البلدان ومعرفة ارتفاع الشمس وقت انتصاف النهار ومعرفة ارتفاع الكواكب وطول السنة الشمسية وأفلاك القمر والكواكب ومعرفة كسوف الشمس ومطالع البروج وغير ذلك من المعلومات الهامة المدعمة بجداول رياضية غاية في الدقة والوضوح(٨٨).

أما عن أعلام الفلك فحسبنا أن نشير إلى بعضهم ومنهم البتاني (أبي عبد الله

---

(٨٧) طوقان ، علماء العرب ، ص٦٩ ـ ٧٠ ؛ الدفاع ، أثر علماء ، ص٣٢ ؛ موسى ، علم الفلك ، ص٢٩١ ـ ٣١١ ؛ هيل ، العلوم والهندسة ، ص٧٤ ـ ٨٢ .

(٨٨) عاشور ، دراسات ، ص١١٢ .

محمد بن جابر بن سنان المتوفى ٢١٧هـ/ ٨٣٢م) وقد حرف الأوروبيون اسمه إلى Al-bateyni أو الباتاغانيوس ومن مؤلفاته الزيج الصابئ ورسالة فى عمليات التنجيم الدقيقة وكتاب تعديل الكواكب وكتاب فى معرفة مطالع البروج فيما بين أرباع الفلك وكتاب عن دائرة البروج والقبة الشمسية وغير ذلك .

والصوفى (وهو أبو الحسن عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن سهل الصوفى المتوفى ٣٧٦هـ/ ٩٨٦م) ومن مؤلفاته كتاب الكواكب الثابتة وكتاب صور الكواكب الثمانى والأربعين وكتاب العمل بالاسطرلاب وغير ذلك .

والبوزجانى (وهو أبو الوفاء محمد بن يحيي ين إسماعيل بن العباس الحاسب المتوفى (٣٨٨هـ/ ٩٩٨م) ومن مؤلفاته كتاب فى الفلك ورسالة فى حركة الكواكب ورسالة فى الأمور التى تعرف حركات الكواكب وكتاب الزيج الشامل وكتاب الكامل وغير ذلك .

وابن يونس المصرى (وهو على بن عبد الرحمن أحمد بن يونس الصدفى المتوفى ٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م ومن مؤلفاته كتاب الزيج الحاكمى وكتاب الظل وكتاب الميل وكتاب عن الرقاص وغير ذلك ؛ ويرجع الفضل إلى ابن يونس فى اختراع الرقاص (الموار) المعروف عند الغرب بالبندول لمعرفة الزمن وليس جاليليو ؛ ومع ذلك فإنه يحسب للأخير أنه صاغ قانون البندول فى صورته الرياضية المعروفة .

المجريطى (وهو أبو القاسم مسلمة أحمد المرحيط المعروف بالمجريطى المتوفى (٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م) ومن مؤلفاته رسالة فى الاسطرلاب وكتاب اختصار تعديل الكواكب من زيج البتانى وغير ذلك .

والبيرونى (وهو أبو الريحان محمد بن أحمد المتوفى (٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م) ومن مؤلفاته رسالة فى علم الفلك وعنوانها القانون المسعودى فى الهيئة والنجوم وكتاب علم الهيئة وكتاب عن النجوم وكتاب منازل القمر وكتاب جلاء الاذهان فى زيج البتانى وكتاب عن حركة الشمس وكتاب العمل بالاسطرلاب ورسالة « افراد المقال فى أمر الظلال »، ورسالة تمهيد المستقر لمعنى الممر وغير ذلك .

والعرضى (وهو مؤيد الدين بن بريك المهندس العرضى العامرى المتوفى

(٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م) ومن مؤلفاته كتاب الهيئة (وقد تم تحقيقه مؤخراً)[٨٩]. ورسالة فى كيفية عمل آلات الرصد وكيفية استعمالها ورسالة العمل فى الكرة الكاملة ورسالة برهان الشكل الرابع فى تاسعة المجسطى وغير ذلك .

وابن الشاطر (وهو أبو الحسن علاء الدين على بن إبراهيم بن محمد الأنصارى المتوفى (٧٧٧هـ/ ١٣٧٥م) ومن مؤلفاته الزيج الجديد ورسالة عن صنع الاسطرلاب وكتاب المختصر فى عمل الاسطرلاب ورسالة فى تعليق الأرصاد ومقالة عن النفع العام فى العمل بالربع التام ورسالة فى العمل بالربع الهلالى ورسالة فى الربع العلائى وغير ذلك[٩٠].

وفى كتابنا المفصّل سوف نتطرق بالتفصيل إلى دراسة اسهامات هؤلاء العلماء وغيرهم فى مجال علم الفلك .

كذلك لا تفوتنا الاشارة إلى أن تقدم علم الفلك كان له أثره الكبير فى تطور وتقدم الملاحة وعلوم البحار فى الحضارة الإسلامية[٩١]. (وهو ما سنعود إلى تفاصيله فى كتابنا المفصّل بمشيئة الله تعالى) .

---

(٨٩) العرضى ، مؤيد الدين ، ٦٦٤هـ/ ١٢٦٦م، كتاب الهيئة ، تحقيق وتقديم جورج صليبا ، ضمن سلسلة تاريخ العلوم عند العرب (٢) تاريخ علم الفلك العربى ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٣ (٢٠٠١م)، (٤٠٨ صفحة) .

(٩٠) الدفاع ، أثر علماء العرب والمسلمين فى تطوير علم الفلك ، ص٤٣ - ١٣١ ؛ رواد علم الفلك فى الحضارة العربية والإسلامية ، الرياض (١٩٩٣م)، ص٤١ - ١٣٣ ؛ العلوم البحتة فى الحضارة العربية والإسلامية ، بيروت ، ط٢ (١٩٨٣م)، ص٣٦٥ - ٤٣٠ ؛ طوقان ، تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ، (من الفصل الأول إلى الفصل التاسع)؛ عرابى ، سمير ، علوم الفلك والرياضيات والجغرافيا عند علماء العرب والمسلمين ، القاهرة ، الكويت ، الجزائر (١٩٩٩م)، ص١١ - ٢٩ ؛ إسلام، علماء ، ص٦٨ - ٧٢ ، ٨٦ - ٨٧ ، ٩١ - ٩٤ ، ٩٨ - ١٠٤ ، ١٠٩ - ١١٢ .

(٩١) عبد العليم ، الملاحة وعلوم البحار عند العرب ، ص١٦٩ - ١٨٠ ؛ شهاب ، حسن صالح ، الملاحة الفلكية عند العرب ، الكويت (٢٠٠١م)، (١٢٣ صفحة)؛ مجموعة علماء ، موسوعة تاريخ العلوم العربية ، جـ١ ، بيروت (١٩٩٧م)، ص٢٩٣ - ٣٣٧ .

٤ ـ علم الرياضيات :

للرياضيات دور أساسى خطير فى خدمة كافة العلوم فالفلك والفيزياء والكيمياء والطب والصيدلة وغيرها من العلوم لا غنى لها جميعا عن الرياضيات .

وقد برع المسلمون فى العلوم الرياضية وأجادوا فيها وأضافوا إليها اضافات هامة أثارت الدهشة والاعجاب لدى علماء الغرب فاعترفوا بفضل علماء الحضارة الإسلامية وأثرهم الكبير فى التقدم العلمى .

ونستطيع أن نجمل اسهامات العلماء وانجازاتهم فى العلوم الرياضية فى النقاط التالية :

١ ـ نظام الترقيم : ـ اطلع المسلمين على حساب الهنود فأخذوا عنه نظام الترقيم إذ أنهم رأوا أنه أفضل من النظام الشائع بينهم (نظام الترقيم وفق حساب الجمل ـ ابجد هوز حطى كلمن سعفص قرشت ثخذ ضظغ ـ .. » وكان لدى الهنود أشكال عديدة للأرقام هذب العرب بعضها وكونوا من ذلك سلسلتين عرفت احداهما بالأرقام الهندية وهى التى تستعملها أكثر الأقطار العربية والإسلامية وعرفت الثانية بالأرقام الغبارية وقد انتشر استعمالها فى الغرب الإسلامى (بلاد المغرب والأندلس) وعن طريق الأندلس والتجارة دخلت هذه الأرقام إلى أوروبا وعرفت فيها باسم الارقام العربية Arabic Numerals ، وليس المهم هنا هو تهذيب المسلمين للأرقام وتوفيقهم فى اختيار هاتين السلستين أو ادخالهما إلى أوروبا ، بل المهم إيجاد طريقة جديدة لها وهى طريقة الاحصاء العشرى واستعمال الصفر لنفس الغاية التى نستعملها الآن .

ومن مزايا الأرقام العربية أنها تقتصر على عشرة أشكال بما فيها الصفر ومن هذه الأشكال يمكن تركيب أى عدد مهما كان كبيراً[٩٢] . فى حين أن الأرقام الرومانية تتصف بالتعقيد الشديد والصعوبة البالغة فى إجراء العمليات الحسابية بحيث كان لا يمكن فى ظله أن يرتقى علم الحساب ذلك أن قيمة الرقم فى هذا النظام الرومانى لا يمكن أن تتغير بنقله من منزل أو خانة إلى منزل أو خانة أخرى فالخمسة لا تغنى سوى خمسة ولا يمكن نقلها إلى خانة أخرى لتعنى خمسين أو خمسمائة أو خمسة ألاف ، هذا

---

(٩٢) طوقان ، علماء العرب ، ص٥٢ ـ ٥٣ .

إلى أن الأرقام الرومانية محدودة العدد تنحصر فيما يلى :

I = ١	C = ١٠٠
V = ٥	D = ٥٠٠
X = ١٠	M = ١٠٠٠
L = ٥٠	

فـإذا أردا أن نكتب ٣٨٣ بالأرقـام الرومـانيـة فـإنهـا تكتب على هذا النحـو CCCLXXXIII فما بالنالإذا أردنا أن نكتب رقما يعبر عن بضعة ملايين أو مليارات أو أن نجرى بتلك الأرقام عملية حسابية معقدة فيها من الضرب والقسمة والجذور والكسـور بعض الشئ ، لذلك كـان من المتـعـذر أن يرتقى علم الحسـاب فى ظل هذا النظام[٩٣].

أما الأرقام العربية فمن مزاياها أنها تقوم على النظام العشرى وعلى أساس القيم الوضعية بحيث يكون للرقم قيمتان : قيمة فى نفسه ، وقيمة بالنسبة إلى المنزلة التى يقع فيـهـا ، ولعل من أهم مزايا هذا النظام ادخال الصفر فى الترقيم واستعمـاله فى المنازل الخالية من الأرقام ، ولا تقتصر هذه المزايا على تسهيل الترقيم وحده بل تعدته إلى تسهيل جميع الأعمال الحسابية ، وعلى ذلك يمكن القول أنه لولا الصفر واستعماله فى الترقيم لما فـاقت الأرقام العربيـة غيرها من الأرقـام ولما كـان لهـا أية ميـزة بل لما فضلتـها الأمم المختلفة على الأنظمة الأخرى المستعملة فى الترقيم . وللصفر فوائد أخرى ـ هى من عظم الشـأن فى مكان لا يقل خطرها عن التى المحنا إليـهـا ـ فلولاه لما استطعنا أن نحل كثيراً من المعادلات الرياضية من مختلف الدرجات بالسهولة التى نحلها بها الآن ولما تقدمت فروع الرياضيات تقدمها المشهود ، وكذلك لما تقدمت المدنية هذا التقدم العجيب[٩٤].

---

(٩٣) عاشور ، دراسات ، ص١٠٣ ـ ١٠٤ .

(٩٤) طوقان ، علماء ، ص٥٣ ـ ٥٤ ؛ ولمزيد من التفاصيل انظر ، طوقان ، تراث العرب العلمى ، ص٤٧ ـ ٥١ ؛ سليمان وحلاق ، دراسات فى تاريخ العلوم ، ص١٨٣ ـ ١٨٥ ؛ سليمان ، مصطفى محمود ، تاريخ العلوم ، ص٣١٧ ـ ٣٢١ ؛ الخورى ، موسى ديب ، قصة الأرقام عبر حضارات الشرق القديم ، دمشق (٢٠٠٢م)، ص٢٢٦ ـ ٢٣٥ ؛ حيدر ، غريتا ، الأرقام العربية ، مصدرها وتطورها ، الكويت (١٩٩٩م)، ص١١٩ ـ ١٤٠ ؛ سعيدان ، أحمد سليم ، قصة الأرقام والترقيم ، عمان (١٩٨٣م)، ص٦٧ ـ ٨٨ ؛ سعد ، قاسم على ، الأرقام العربية ، الأحمدية ، العدد الثانى ، دبى ، أغسطس (١٩٩٨م) ، ص٢٥٤ ـ ٣٠٩ .

٢ ـ يرجع الفضل إلى هؤلاء العلماء فى أنهم عرفوا الكسر العشرى ووضعوا علامته على يد غياث الدين الكاشى .

٣ ـ يرجع إليهم الفضل فى تحديد النسبة بين محيط الدائرة وقطرها وهى النسبة التى يرمز إليها بحرف (ط) ، وقسموا الأعداد إلى زوجية وفردية وقالوا ان الواحد أصل الاعداد جميعا فردية كانت أو زوجية ووضعوا الطرق العديدة لإجراء العمليات الحسابية وتوسعوا فى بحوث النسبة والتناسب ، وغير ذلك من المباحث التى ارتفعت بعلم الحساب والتى لولاها ما وصل هذا العلم إلى ما وصل إليه اليوم .

٤ ـ اشتغل هؤلاء العلماء بالجبر واتوا فيه بالعجب والعجاب وهم أول من أطلق لفظة جبر على العلم المعروف الآن بهذا الاسم وعنهم أخذ الغرب هذه اللفظة (Algebra) وكذلك هم أول من ألف فيه بصورة علمية منظمة ، وأول من ألف فيه محمد بن موسى الخوارزمى فى عهد الخليفة العباسى المأمون وكان كتابه الجبر والمقابلة منهلاً نهل منه علماء العرب والغرب على السواء واعتمدوا عليه فى بحوثهم وأخذوا عنه كثيراً من النظريات ، وقد أحدث هذا الكتاب أكبر الأثر فى تقدم علمى الجبر والحساب بحيث يصح القول بأن الخوارزمى وضع علم الجبر وعلم الحساب للناس أجمعين.

٥ ـ قسم هؤلاء العلماء المعادلات إلى ستة أقسام ووضعو حلولا لكل منها وحلوا المعادلات الحرفية واستخدموا الجذور الموجبة ، ولم يجهلوا أن المعادلة ذات الدرجة الثانية لها جذران ، كما استخرجوا جذرى المعادلة إذا كانا موجبين ، وحلوا كثيراً من معادلات الدرجة الثانية بطرق هندسية ، كما وضعوا حلولاً جبرية وهندسية لمعادلات ابتدعوها مختلفة التركيب واستعملوا منحنى نيكوميدس (Conchoid) فى تقسيم الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية ، وكذلك استعملوا الطريقة المعروفة الآن فى إنشاء الشكل الاهليلجى .

٦ ـ استعملوا الرموز (قبل فيتا وستيفنس وديكارت) ومن ذلك استعمالهم لعلامة الجذر الحرف الأول من كلمة جذر (جـ) وللمجهول الحرف الأول من كلمة شئ (ش) يعنى (س) ولمربع المجهول الحرف الأول من كلمة مال (م) يعنى س^{٢} ، ولمكعب المجهول الحرف الأول من كلمة كعب يعنى س^{٣} ، ولعلامة المساواة حرف (ل) وللنسبة ثلاث نقط (.·.)، وكان لاستعمال الرموز أثر بليغ فى تقدم الرياضيات العالية .

٧ ـ حلوا معادلات الدرجة الثالثة وقد أجادوا فى ذلك وابتكروا ابتكارات قيمة هى محل اعجاب علماء الغرب مثل كاجورى وبول ؛ فيكونون بذلك قد سبقوا ديكارت وبيكر وغيرهما فى هذه البحوث ، كما حلوا بعض أوضاع المعادلات ذات الدرجة الرابعة واكتشفوا النظرية القائلة بأن مجموع مكعبين لا يكون مكعبا وهذه أساس نظرية فرما Fermat .

٨ ـ وضعوا أساس الهندسة التحليلية عن طريق الجمع بين الهندسة والجبر فاستخدموا الجبر فى بعض الأعمال الهندسية كما استخدموا الهندسة محل بعض الأعمال الجبرية .

٩ ـ مهدوا لعلم التفاضل والتكامل وعلم اللوغاريتمات عن طريق بحوثهم فى المتواليات العددية والهندسية .

١٠ ـ يرجع الفضل الأكبر لهؤلاء العلماء فى أنهم وضعوا علم حساب المثلثات بشكل علمى منظم مستقل عن الفلك وفى الاضافات الأساسية الهامة التى جعلت الكثيرين يعتبرونه علما إسلاميا كما اعتبروا الهندسة علما يونانيا ، ولا يخفى ما لعلم حساب المثلثات من أثر فى الاختراع والاكتشاف وفى تسهيل كثير من البحوث الطبيعية والهندسية والصناعية .

١١ ـ استعملوا الجيب بدلا من وتر ضعف القوس الذى كان يستعمله اليونان ولهذا أهمية كبرى فى تسهيل حلول الأعمال الرياضية وهم أول من أدخل المماس فى عداد النسب المثلثية ، وبرهنوا على أن نسبة جيوب الأضلاع بعضها إلى بعض كنسبة جيوب الزوايا الموتره بتلك الأضلاع بعضها إلى بعض فى أى مثلث كروى واستعملوا المماسات والقواطع ونظائرها فى قياس الزوايا والمثلثات ، كما عملوا الجداول الرياضية للمماس وتمامه والقاطع وتمامه وأوجدوا طريقه لعمل الجداول الرياضية للجيب ، واكتشفوا العلاقة بين الجيب والمماس والقاطع ونظائرها وتوصلوا إلى القاعدة الأساسية لمساحة المثلثات الكروية ، كما اكتشفوا القانون الخامس من القوانين الستة التى تستعمل فى حل المثلث الكروى القائم الزاوية .

١٢ ـ اخترعوا حساب الأقواس التى تسهل عمليات قوانين التقويم وتريح من استخراج الجذور المربعة .

١٣ ـ وإذا كان العرب قد ترجموا كتاب اقليدس فى الهندسة وسموه كتاب

الأصول ، وأفادوا منه وألفوا كتبا على نسقه ولكنهم لم يقفوا عند هذا الحد بل أدخلوا قضايا جديدة غير مسبوقة ، وصححوا وأضافوا وابتكروا بحيث خلقوا هذا العلم خلقا جديداً ، ومن ذلك أنهم بينوا كيفية إيجاد نسبة محيط الدائرة إلى قطرها ، وقد أوجدوا تلك النسبة إلى درجة كبيرة من التقريب كانت محل اعجاب العلماء الغربيين . كذلك استطاع الطوسى اصلاح نظرية اقليدس فعدل عن نظريته القائمة على الخطين المتوازيين على أساس الفراغ المدرك ، وبذلك وضع الطوسى لأول مرة أساس نظرية الحيز الزائد وهى النظرية التى تضيف احداثيا رابعا ـ وهو الزمان ـ إلى الاحداثيات أو الابعاد الثلاثة فى نظرية اقليدس .

ومهما يكن من أمر فان مؤلفات علماء المسلمين فى الهندسة كثيرة فى المساحات والحجوم وتحليل المسائل الهندسية واستخراج المسائل الحسابية بجهتى التحليل الهندسى والتقرير العددى وفى التحليل والتركيب الهندسيين على جهة التمثيل للمتعلمين وفى موضوعات أخرى لتقسيم الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية ورسم المضلعات المنتظمة وربطها بمعادلات جبرية وفى محيط الدائرة وغير ذلك مما يتعلق بالموضوعات التى تحتاج إلى استعمال الهندسة ، كما طبقوا الهندسة على المنطق وألف ابن الهيثم كتابا فى ذلك(٩٥).

---

(٩٥) طوقان ، علماء ، ص٥٤ ـ ٦٤ ؛ عاشور ، دراسات ، ص١٠٥ ـ ١٠٩ ؛ ولمزيد من التفاصيل انظر ، طوقان ، تراث العرب العلمى ، ص٥١ ـ ١٠٨ ؛ سليمان وحلاق ، دراسات فى تاريخ العرب ، ص١٨٥ ـ ١٨٩ ؛ سليمان ، مصطفى محمود ، تاريخ العلوم ، ص٣٢٢ ـ ٣٢٥ ؛ الدفاع ، العلوم البحتة ، ص١١١ ـ ١٤٨ ؛ الموجز فى التراث العلمى العربى الإسلامى ، نيويورك (١٩٧٩م)، ص٦٢ ـ ٨٠ ؛ شربل ، موريس ، الرياضيات فى الحضارة الإسلامية ، طرابلس ـ لبنان (١٩٨٨م)، ص٧٧ ـ ٢٢٥ ؛ هيل ، العلوم والهندسة ، ص٣٤ ـ ٥٢ ؛ فرحات ، التراث العلمى ، ص٦٤١ ـ ٦٦٣ ؛ فؤاد باشا ، التراث العلمى ، ص٤٨ ـ ٦٦ ؛ منتصر ، عبد الحليم ، تاريخ العلم ودو العرب فى تقدمه ، القاهرة ، ط٨ ، (١٩٩٠م) ، ص٦١ ـ ٧٣ ؛ صالحية ، بحوث ومقالات ، ص٢٦٧ ـ ٢٩٠ . ولمن أراد أن يتوسع فى بعض الموضوعات فلينظر فى المؤلفات التالية من مصادر ومراجع : الكرجى ، أبى بكر محمد بن الحسن ، الكافى فى الحساب ، تحقيق ودراسة سامى شلهوب ، معهد التراث العلمى ، جامعة حلب (١٩٨٦م)، (٣١٧ صفحة) ؛ ابن الهائم المقدسى ، الحاوى فى الحساب ، تحقيق رشيد الصالحى وخضير المنشداوى ، جامعة بغداد (١٩٨٨م)، (١٢٤ صفحة)؛ البوزجانى ، أبى الوفا محمد بن محمد، ما يحتاج إليه الصانع من علم الهندسة ، تحقيق صالح أحمد العلى ، جامعة بغداد (١٩٧٩م) (١٧٧ صفحة)؛ منظومات أبو الياسمين فى أعمال الجبر والهندسة تحقيق ودراسة جلال شوقى (١٩٨٨م)، (٢٠٦ صفحة)؛ سعيدان، أحمد سليم تاريخ علم الجبر فى العالم العربى دراسة مقارنة =

أمـا عن أعلام علم اریاضیات فحسبنا أن نشیر إلى بعضـهم ومنهم الخوارزمى (وهو مـحـمـد بن موسى الخوارزمى المتـوفى (٢٣٥هـ/ ٨٥٠م) ومن مؤلفاته كـتـاب حساب الجبر والمقابلة وكتاب الجمع والتفريق وكتاب جمع فيه بين الحساب والهندسة ورسالة عن النسبة التقريبية وقيمتها الرياضية ورسالة وضع فيها معنى الوحدة المستعملة فى المساحات والحجوم وغير ذلك . والكندى (وهو أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندى المتوفى (٢٥٢هـ/ ٨٦٧م) ومن مؤلفاته كتاب فى مبادئ الحساب وكتاب فى استعمال الحساب الهندى ورسالة فى تناسق الأعداد ورسالة فى استعمال الخط المستقيم لتسهيل عملية الضرب (وهى الطريقة المستعملة الآن فى الرياضيات المعاصرة) ورسالة فى علم الهندسة الكروية ورسالة فى الهندسة المستوية ورسالة فى تقسيم المثلث والمربع وعملهما ، ورسالة فى كيفية عمل دائرة متساوية لسطح اسطوانة مفروضة ورسالة فى قسمة الدائرة ثلاثة أقسام وغير ذلك .

وثابت بن قرة (وهو أبو الحسن ثابت بن قرة بن عرفان الحرانى الصابئى المتوفى (٢٨٨هـ/ ٩٠٠م) وهو أول من مهد تمهيداً عمليا لعلم التفاضل والتكامل وله فى الهندسة محاولة البرهنة على فرضية التوازى المعروفة باسم الموضوعة أو المصادرة الخامسة لاقليدس وكان نتيجة هذه المحاولة والمحاولات التالية لها لابن الهيثم وعمر الخيام والطوسى ظهور هندسة جديدة تعرف بالهندسة الفوقية (اللااقليدية) .

وابتكر ثابت قوانين للاعداد المتحابة وعمم نظرية مثلث قائم الزاوية القائلة أن مساحة المربع المنشأ على الوتر تساوى مجموع مساحة المربعين المنشائين على الضلعين الآخرين ولم يكتف فى المربع المنشأ على الوتر ولكنه استخدم كذلك المستطيل ومتوازى الاضلاع بدلاً من المربع وهذا يعنى أنه تناول النظرية من جميع الجوانب كما هو الحال فى الرياضة الحالية .

= مع تحقيق لأهم كتب الجبر العربية ، جزءان ، الكويت (١٩٨٦م) ؛ ابن سنان ، أبو اسحق إبراهيم ، ت٣٣٥هـ/ ٩٤٦م ، رسائل ابن سنان ، تحقيق أحمد سليم سعيدان ، الكويت (١٩٨٣م)، (٣٧٥ صفحة) ، مجموعة علماء ، سلسلة تاريخ العلوم العربية ، جـ١ ، تاريخ الرياضيات العربية بين الجبر والحساب ، بيروت (١٩٨٨٩م)، (٣٩٤ صفحة)؛ جـ٢ ، الرياضيات والعلوم الفيزيائية ، بيروت (١٩٩٧م)، (الأبحاث ذات الأرقام من ١٠ إلى ١٥)؛ جـ٥ ، الجبر والهندسة فى القرن الثانى عشر ، مؤلفات شرف الدين الطوسى ، بيروت (١٩٩٨م)، (٦٩٧ صفحة) .

والبتاني المتوفى (٣١٧هـ/ ٩٢٩م) واسهاماته فى علم حسابات المثلثات ونظريات الجيب الذى ابتكره من فكرة الأوتار كما ابتكر مفاهيم جيب التمام والظل وظل التمام فضلا عن تطبيق القوانين والعمليات الجبرية على المعادلات المثلثية .

واليوزجانى المتوفى (٣٨٨هـ/ ٩٩٨م) ومن مؤلفاته كتاب حساب اليد وكتاب فى الأشكال الهندسية عموما ورسالة فى الرسم الهندسى واستعمالات الات الرسم وكتاب عن علم حساب المثلثات وكتاب استخراج الأوتار وكتاب فى الهندسة ورسالة فى استخراج ضلع المربع .

والكرخى (وهو أبو بكر محمد بن الحاسب الكرخى المتوفى (٤٢١هـ/ ١٠٢٠م) ومن مؤلفاته العدد الذى لو أضيف إليه مربعه لكان الناتج مربعًا ولو طرح منه مربعه لكان الناتج مربعا وعددان مجموع مكعبهما يساوى مربع العدد الثالث وتطوير القانون العام المعروف لحل معادلات الدرجة الثانية ، واستنباط قانونا جديداً لايجاد الجذر التربيعى ودراسة مفصلة للمتواليات العددية والهندسية والتوافقية وغير ذلك .

وابن الهيثم (وهو أبو على الحسن بن الحسن بن الهيثم المتوفى ٤٣٠هـ/ ١٠٣٩م) ومن مؤلفاته المختصر فى علم الهندسة والكتاب الجامع فى أصول الحساب وكتاب فى الجبر والمقابلة ورسالة عن المخروط وكتاب مساحة المجسمات المكافئة وكتاب حل شكوك اقليدس فى الأصول وكتاب فيه حلول مسائل من الكتاب الخامس لاقليدس ورسالة تحتوى على دراسة نظرية الخطوط المتوازية ومحاولة لبرهان المسلمة الخامسة لاقليدس .

ورسالة فى حساب الخطأين ومقالة فى علم الهندسة والمثلثات وحساب المعاملات وغير ذلك .

والبيرونى (وهو أبو الريحان محمد بن أحمد المتوفى ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م) ومن مؤلفاته رسالة فى استخراج الأوتار فى الدائرة بخواص الخط المنحنى فيها وكتاب فى طرق الحساب وكتاب جمع الطرق السائرة فى معرفة أوتار الدائرة ورسالة فى الهندسة وجداول رياضية للجيب والظل وكتاب حساب المثلثات وكتاب المسائل الهندسية وغير ذلك .

وعمر الخيام (وهو أبو الفتوح عمر بن إبراهيم الخيام السمرقندى المتوفى

(٥١٧هـ/١١٢٣م) واسهاماته كثيرة فى حل معادلات الدرجة الثالثة وتطوير علم الجبر وعلم الهندسة التحليلية وحاول البرهنة على فرضية التوازى لاقليدس وقدم فيها برهانا جديداً فضلا عن منهجه المدهش فى دراسة المعادلات الجبرية من الدرجة الأولى والثانية والثالثة والرابعة وهو أول من ذكر أن المعادلات الجبرية من الدرجة الثالثة لها جذران كما حصل على الجذور التكعيبية والتربيعية بطرق رياضية بحتة .

ويرجع إليه الفضل فى ابتكار التقويم الجلالى (نسبة إلى السلطان السلجوقى جلال الدين ملكشاه) وهو أدق وأضبط من التقويم الجريجورى المتبع الآن فى العالم ذلك أن هذا التقويم الأخير يؤدى إلى فرق يوم كل ٣٣٣٠ سنة فى حين أنه فى التقويم الجللى لا يبلغ يوما إلا كل ٥٠٠٠ سنة .

والكاشى (وهو غياث الدين جمشيد بن مسعود الكاشى (نسبة إلى مدينة قاشان) المتوفى (٨٢٩هـ/ ١٤٣٦م) ؛ ومن مؤلفاته استخراج جيب الدرجة الأولى وكتاب مفتاح الحساب ويرجع إليه الفضل فى ابتكار الكسر العشرى وفى تعميم نظرية ذات الحدين لأى أس حقيقى (كسراً كان أو عدداً صحيحا موجبا أو سالبا) وهى النظرية التى تنسب خطأ إلى اسحاق نيوتن .

والقلصادى (وهو أبو الحسن على بن محمد المتوفى (٨٩١هـ/ ١٤٩٦م) ومن مؤلفاته كشف الأسرار عن علم الغبار وكتاب قانون الحساب وكتاب كشف الجلباب عن علم الحساب ، ويرجع إليه الفضل فى ابتكار الرموز والإشارات الجبرية [٩٦](السابق الإشارة إليها).

وفى كتابنا المفصّل سوف نتطرق بالتفصيل إلى اسهامات هؤلاء العلماء وغيرهم فى مجال علم الرياضيات .

---

(٩٦) الدفاع ، رواد العلوم الرياضية فى الحضارة العربية والإسلامية ، منشورات نادى جازان الأدبى ، السعودية (١٩٩٣م)، ص٥٩ ـ ٢٠٢ ؛ العلوم البحتة ، ص١٤٨ ـ ٢٩٥ ؛ موسوعة نوابغ العرب والمسلمين فى العلوم الرياضية ، الرياض ، ط٢ (١٩٩٨م)، ص ٥٩ ـ ٢٠٢ . (ومما له دلالته أن هذا الكتاب هو نفسه كتاب رواد العلوم الرياضية ولكن العنوان فقط هو الذى تم تغييره) ؛ عاشور ، دراسات ، ص١٠٥ ـ ١٠٩ ؛ عرابى ، علوم الفلك والرياضيات ، ص٤٤ ـ ٦٢ ؛ إسلام ، علماء العرب والمسلمين ، ص٤٢ ـ ٤٥ ، ٦٨ ـ ٧٢ ، ٩١ ـ ٩٤ ، ١٠٥ ـ ١١٢ ، ١٢٥ ـ ١٢٧ ، ١٨٦ ، ١٨٩ .

٥- علم الفيزياء أو الطبيعة :-

يهتم هذا العلم بدراسة الكثير من الظواهر الطبيعية المرتبطة بطبيعة المواد والصوت والضوء والمغناطيسية والحركة والروافع وغير ذلك من الظواهر التى تفسر كثيراً من طبيعة الكون وخصائص المواد والتى تخدم الإنسان فى حياته الخاصة .

وقد كان هذا العلم من العلوم المعروفة قبل ظهور الإسلام ويرجع الفضل إلى علماء اليونان فى اكتشاف كثير من مبادئه الأولية ولهم مؤلفات عديدة تمت ترجمة الكثير منها إلى اللغة العربية ، غير أن المسلمين لم يقفوا عند حد النقل والترجمة بل توسعوا فيها وأضافوا إليها اضافات هامة تعتبر أساسا لبعض المباحث الطبيعية ، وهم الذين وضعوا أساس البحث العلمى الحديث وقد قويت عندهم الملاحظة وحب الاستطلاع ورغبوا فى التجربة والاختبار فأنشأوا المعامل ليحققوا نظرياتهم وليستوثقوا فى صحتها .

وبذلك ابتكروا وتوصلوا إلى ما لم يتوصل إليه من قبل وعلى ضوء هذا المنهج أصبح علم الفيزياء أو الطبيعة بفضل المسلمين علمًا متكاملاً يستند إلى ركائز وأسس علمية تجريبية وليس إلى فروض نظرية وأوهام غير واقعية .

وعن اسهامات علماء الحضارة الإسلامية وانجازاتهم فى هذا العلم حسبنا أن نشير إلى بعضها ومنها فى البصريات أو علم الضوء الذى وصل إلى أعلى درجة من التقدم والازدهار بفضل الحسن بن الهيثم ويعد كتابه المناظر من أهم الكتب فى العصور الوسطى ومن أكثرها استيفاءً لبحوث الضوء ، وابن الهيثم هو الذى أضاف القسم الثانى من قانون الانعكاس القائل بأن زاويتى السقوط والانعكاس واقعتان فى مستوى واحد ، وأثبت خطأ نظرية بطليموس القائلة بأن النسبة بين زاويتى السقوط والانكسار ثابتة بينما أثبت ابن الهيثم أن هذه النسبة لا تكون ثابتة بل تتغير .

وقام بحل معادلة من الدرجة الرابعة باستعمال القطع الزائد وكتب فى الزيغ الكرى وفى تقليل الشفق وهو أول من كتب عن أقسام العين وأول من رسمها بوضوح تام وبين كيف ننظر إلى الأشياء بالعينين فى آن واحد وأن الأشعة من النور تسير من الجسم المرئى إلى العينين ومن ذلك تقع صورتان على الشبكية فى محلين متماثلين ، وله أيضًا معرفة بخاصيات العدسات اللامة والمفرقة والمرايا فى تكوين الصور ، ومهما

يكن من أمر فإن مؤلفات ابن الهيثم ومباحثه كانت المرجع المعتمد فى أوروبا حتى القرن ١٠هـ/ ١٦م .

كما بحث هؤلاء العلماء فى ظاهرة قوس قزح وفى المرايا المحرقة كما بحثوا فى سرعة الضوء وأنها إذا قيست بسرعة الصوت كانت عظيمة جداً على حد قول البيروني، وعلى ذلك قالوا إن الضوء يسبق الصوت وأنه أسرع منه وعللوا ذلك برؤية البرق قبل سماع الصوت « واعلم أن الرعد والبرق يحدثان معا لكن يرى البرق قبل أن يسمع الرعد ؛ لأن الرؤية تحصل بمراعاة البصر وأما السمع فيتوقف على وصول الصوت إلى الصماخ وذلك يتوقف على نموذج الهواء وذهاب النظر (أى سير الضوء) أسرع من وصول الصوت» .

وكان لهم اسهاماتهم فى مجال المغناطيسية وعمل بعض التجارب عليها ، وقالوا ان الصوت ينتشر على شكل موجات تتسع دائرتها وتضعف كلما ابتعدت عن مركز صدور الصوت « فإذا صدم جسم جسما آخر انسل ذلك الهواء بينهما وتدافع وتموج إلى جميع الجهات وحدث من حركته شكل كروى واتسع كما تتسع القارورة من نفخ الزجاج فيها وكلما اتسع ذلك الشكل ضعفت حركته وتموجه إلى أن يسكن ويضمحل » وعللوا صدى الصوت بأنه يحدث لانعكاس الموجات الصوتية عند اصطدامها بحاجز مثل جبل أو حائط . وقد طبقوا نظرياتهم فى الصوت وغيره على الموسيقى وبرعوا فى هذا الفن وقطعوا فيه شوطا بعيداً ، فقد قاموا بتطوير الالات الموسيقية المعروفة واخترعوا آلات جديدة بل والفوا كتبا نفيسة فى الموسيقى بلغ بعضها الذروة وكانت ولا تزال من المصادر المعتبرة جداً فى تاريخ الموسيقى وتطورها .

واستعملوا موازين غاية فى الدقة والتطور فقد ثبت أن فرق الخطأ فى الوزن كان أقل من أربعة أجزاء من ألف جزء من الجرام وكان لديهم موازين أدق من ذلك ، وقاموا بتأليف الكتب فى أنواع الموازين وعملها ، ويرتبط بذلك بحثهم فى الروافع وأنواعها وآلاتها وعملها ومنافعها وكلها مبنية على قواعد ميكانيكية تمكنهم من جر الأثقال بقوى يسيرة ومن هذه الالات المحيط والمخل والبيرم والاسفين واللولب والاسقاطولى وغيرها .

وكان لهم الفضل فى علم السوائل وضغطها وتوازنها وطبقوا نظرية الأوانى المستطرقة تطبيقا عمليا وفسروا فى ضوئها اندفاع الماء من العيون والفوارات إلى

أعلى ، كما شرحوا تجمع مياه الآبار بالرشح من الجوانب حيث يكون مأخذها من المياه القريبة إليها وتكون سطوح ما يجتمع منها موازية لتلك المياه .

وقد استنبطوا طرقا واخترعوا آلات تمكنوا بواسطتها من حساب الوزن النوعى لعدد من السوائل والمواد الصلبة والمعادن والأحجار الكريمة .

وقام علماء المسلمين ببحوث ضافية فى الجاذبية وعالجوا العلاقة بين سرعة الجسم والبعد الذى يقطعه والزمن الذى يستغرقه وأثبتوا أن قوى التثاقل تتجه دائمًا إلى مركز الأرض وبذلك مهدوا لفكرة الجازبية قبل نيوتن ويرجع الفضل إلى هذا الأخير فى أنه وضع قوانين الجازبية بالشكل االذى نعرفه .

كذلك بحثوا فى الضغط الجوى وأثبتوا أن وزن الجسم فى الهواء ينقص عن وزنه الحقيقى اعتماداً على أن الهواء كالماء يحدث ضغطا من أسفل إلى أعلى على أى جسم مغمور وكان ذلك من الأسس التى بنى عليها علماء الغرب بعض الاختراعات كالبارومتر ومفرغات الهواء(٩٧) .

هذا وينبغى ألا تفوتنا الاشارة إلى علم الحيل أو الميكانيك فى الحضارة الإسلامية ذلك العلم الذى عنى به العلماء عناية كبيرة وينقسم هذا العلم إلى قسمين : الأول يبحث فى جر الأثقال الكبيرة بالقوة اليسيرة ؛ والثانى فى الات الحركة وصفة الأوانى العجيبة(٩٨) .

---

(٩٧) طوقان ، علماء ، ص٣٦ ـ ٥١ ؛ عاشور ، دراسات ، ص١١٥ ـ ١١٦ ؛ سليمان ، مصطفى محمود ، تاريخ العلوم ، ص٤٠٤ ـ ٤٠٧ ؛ خليل ، العلوم الطبيعية عند العرب ، (الفصل الرابع والخامس والثامن) ؛ الدمرداش ، أحمد سعيد ، علم الفيزيا عند العرب ، سوسة ، تونس (١٩٩٤م)، ص٩ ـ ٥٧ ؛ هيل ، العلوم والهندسة ، ص٨٧ ـ ١٠٨ ؛ فؤاد باشا ، التراث العلمى ، ص٦٧ ـ ٦٨ ، ٧٢ ـ ٩٣ ؛ مشعل ، محمد شاكر ، الدور العربي فى التراث العلمى العالمى ، القاهرة (١٩٨٣م)، ص١٨٨ ـ ٢٠٨ . ولمن أراد أن يتوسع فى بعض الموضوعات فلينظر ، هيل ، العلوم والهندسة ، ص٨٧ ـ ١٠٨ ؛ موسوعة تاريخ العلوم العربية ، جـ٢ ، الرياضيات والعلوم الفيزيائية ، بيروت (١٩٩٧م)، (الأبحاث ذات الأرقام من ١٧ إلى ٢٠)؛ مجموعة علماء ، على الهندسة والمناظر فى القرن الرابع الهجرى (ابن سهل ـ القوهى ـ ابن الهيثم)، بيروت (١٩٩٦م)، (٥٢٧ صفحة). وعن الموسيقى انظر ، على سبيل المثال، اللاذقى محمد بن عبد الحميد، (كان حيا ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م)، الرسالة الفتحية فى الموسيقا ، شرح وتحقيق الحاج هاشم محمد الرجب ، الكويت (١٩٨٦م)، (٢٧٨ صفحة)؛ رشيد ، صبحى أنور ، الآلات الموسيقية فى العصور الإسلامية ، بغداد (١٩٧٥م) ؛ النقشبندى ، أسامة ناصر ، مخطوطات الموسيقى والغناء والسماع فى مكتبة المتحف العراقى ، بغداد (١٩٧٩م)؛ فارمر ، هنرى جورج ، تاريخ الموسيقى العربية حتى القرن الثالث عشر الميلادى ، ترجمة جرجيس فتح الله المحامى ، بيروت (١٩٧٢م) ، (٤٦٩ صفحة) .

(٩٨) عاشور ، دراسات ، ص١٠٩ .

وفى البداية تمت ترجمة الكتب اليونانية فى هذا المجال ومنها كتاب أو طولوقس Autolycus وكتاب فيلون البيزنطى المسمى الحيل الروحانية ومخانيقا الماء[٩٩].

ومن علماء المسلمين الذين اسهموا فى هذا العلم وأضافوا فيه أبناء موسى بن شاكر (وهم محمد وأحمد وحسن) ، ولهم كتاب فى هذا العلم يسمى كتاب الحيل وهو يحتوى على مائة حيلة يمكن تقسيمها إلى خمسة أنواع هى :

١ ـ النوع الأول : فى صنعة الأوانى العجيبة وهى ٨٧ شكلا . (الأشكال من ١ ـ ٨٧) .

٢ ـ النوع الثانى : فى عمل الفوارات وهى سبعة أشكال (الأشكال من ٨٨ ـ ٩٤).

٣ ـ النوع الثالث : فى أنواع من السراج وهى أربعة أشكال (الأشكال من ٩٥ ـ ٩٨) .

٤ ـ النوع الرابع : آلة الآبار (شكل ٩٩) .

٥ ـ النوع الخامس : آلة استخراج الأشياء من البحر (شكل ١٠٠)[١٠٠].

ومن العلماء ابن الرزاز الجزرى ت ٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م وكتابه الموسوم بـ « كتاب الجامع بين العلم والعمل النافع فى صناعة الحيل» .

وقد رتب الجزرى كتابه على ستة أنواع هى :

١ ـ النوع الأول : فى عمل بناكيم ـ وقيل فناكين ـ أى ساعات يعرف منها ما مضى ساعات مستوية وزمانية وهو عشرة أشكال .

٢ ـ النوع الثانى : فى عمل أوان وصور تليق بمجالس الشراب وهو عشرة أشكال.

٣ ـ النوع الثالث : فى عمل أباريق وطاس للفصد والوضوء وهو عشرة أشكال .

٤ ـ النوع الرابع : فى عمل فوارات فى برك تتبدل وآلات الزمر الدايم وهو عشرة أشكال .

---

(٩٩) شوقى ، جلال ، أصول الحيل الهندسية فى الترجمات العربية ، الكويت (١٩٩٥م)، (٢٥٧ صفحة) .

(١٠٠) شوقى ، جلال ، العلوم والمعارف الهندسية فى الحضارة الإسلامية ، الكويت (١٩٩٥م)، ص٢٥٨ ـ ٢٦٢ ؛ بنى موسى بن شاكر ، كتاب الحيل ، تحقيق أحمد يوسف الحسن وآخرين ، معهد التراث العلمى العربى ، جامعة حلب (١٩٨١م) (٤٦٤ صفحة) .

٥ ـ النوع الخامس : فى عمل الات ترفع ماء من غمرة وبئر ليست بعميقة ونهر جار وهو خمسة أشكال .

٦ ـ النوع السادس : فى عمل أشكال مختلفة غير متشابهة وهو خمسة أشكال .

وبذلك تبلغ عدة أشكال هذا الكتاب خمسين شكلاً .

ومما له دلالته أنه توجد من هذا الكتاب مخطوطات مزوقة بالتصاوير من فترات مختلفة وهو ما سنشير إليه فى فصل التصوير من الباب الثانى من هذا الكتاب .

ومهما يكن من أمر فان هذا الكتاب يعد أعظم انجاز هندسى ليس فى الحضارة الإسلامية فحسب بل فى العصور الوسطى عامة(١٠١).

ومن العلماء أيضًا بن معروف الدمشقى المتوفى ٩٩٣هـ/ ١٥٨٥م وكتابه الموسوم بـ « الطرق السنية فى الالات الروحانية» ويشتمل هذا الكتاب على ستة أبواب وهى :

١ ـ الباب الأول : فى البنكامات (الساعات) وهو أربعة أشكال بنكام الفيل ـ بنكام القمر ـ بنكام السراج ـ بنكام رملى .

٢ ـ الباب الثانى : فى آلات جر الاثقال (بالدواليب المتداخلة ـ بتعداد البكر وتمشية الخيط الجاذب فيها ـ بالجر باللولب) .

٣ ـ الباب الثالث : فى حيل اخراج الماء إلى جهة العلو وهو أربعة أشكال وهى (المضخة ذات الاسطوانتين المتقابلتين ـ والمضخة الحلزونية التى تدار بدولاب مائى ـ ومضخة الحبل ذى اكر القماش ـ والمضخة ذات الاسطوانات الست) .

٤ ـ الباب الرابع : فى عمل الزمر الدايم والنقارات وغير ذلك من الفوارات المختلفة الأشكال والأوضاع (قسم يشتمل على ثلاث الات ـ وقسم ثان فيه أربع فوارات).

---

(١٠١) شوقى ، العلوم والمعارف الهندسية ، ص٢٦٤ ـ ٢٦٦ ؛ الشمس ، ماجد عبد الله ، مقدمة لعلم الميكانيك فى الحضارة العربية ، بغداد (١٩٧٧م)، ص٩١ ـ ٢٣٢ ؛ ابن الرزاز الجزرى ، كتاب الجامع بين العلم والعمل النافع فى صناعة الحيل ، تحقيق أحمد يوسف الحسن وآخرين ، معهد التراث العلمى العربى ، جامعة حلب (١٩٧٩م) (٦٧٦ صفحة) .

٥ ـ الباب الخامس : أنواع شتى من الملح واللطائف وتضم ١١ حيلة .

٦ ـ الباب السادس : فى عمل السيخ الذى يوضع فيه اللحم على النار فيدور بنفسه من غير حركة حيوان .

وبذلك تبلغ عدة الحيل والالات والطرائف فى هذا الكتاب ثلاثين حيلة(١٠٢).

ولما كان المقام لا يتسع لدراسة اسهامات المسلمين وانجازاتهم فى علم الحيل ولذلك حسبنا أن نشير إلى بعض هذه الحيل ؛ على أن نعود إليها ولغيرها تفصيلا واسهابا فى كتابنا المفصّل بمشيئة الله تعالى .

فمن بين حيل صنعة الأوانى العجيبة نذكر ما يلى :

١ ـ عمل كأس يصب فيه مقدار من الشراب أو الماء فإن زيد عليه زيادة بقدر مثقال من الشراب أو الماء خرج كل شئ فيه .

٢ ـ عمل ابريق له بلبلة إذ ملئ لا يمكن أن يتوضأ به أكثر من واحد .

٣ ـ عمل تماثيل من الوحش يصب لها الماء فى جامات يكون فيها فلا تشرب منه، ومعها تمثال أسد فإذا صب للأسد الماء فى جامة يشرب وتشرب الوحوش كلها من الماء الذى فى جاماتها فمتى انقطع شرب الأسد لا يشرب الوحش ، فان شرب الأسد ثانية شربت الوحوش معه وهكذا لا يزال .

٤ ـ عمل ابريق يصب فيه ماء حار وماء بارد من ثقب واحد فى رأسه ولا يختلطان فإذا أخذه الغلام ليوضى به فان شاء أن يصب على إنسان ماءً بارداً صب وان شاء أن يصب ماءً حاراً صب وان شاء ممزوجا ـ أى الاثنين ـ فعل ذلك ويحسب القوم أجمعين أنهم توضوا بماء واحد .

٥ ـ عمل قفل يقفل على صندوق بحروف اثنى عشر من حروف المعجم ويدل هذا العمل على تمكن الجزرى وتميزه وسبقه وطول باعه فى إنشاء الآليات واحداث الحركات والتحكم فيها .

---

(١٠٢) شوقى ، العلوم والمعارف الهندسية ، ص٢٦٨ ـ ٢٧٢ ؛ ابن معروف الدمشقى ، الطرق السنية فى الالت الروحانية ، دراسة تحليلية ، لـ منى سنجقدار شعرانى ، د ت ، (٢٢٨ صفحة)؛ الحسن ، أحمد يوسف ، تقى الدين والهندسة الميكانيكية العربية مع كتاب الطرق السنية فى الالات الروحانية ، معهد التراث العلمى العربى ، جامعة حلب (١٩٧٦م).

هذا ولا تفوتنا فى هذا الصدد الإشارة إلى آلات رفع المياه وطواحين المياه المائية والهوائية[١٠٣] (وهو ما سنعود إلى دراسته تفصيلا فى كتابنا المفصّل بمشيئة الله تعالى) .

٦ـ علم الكيمياء :

مرت الكيمياء فى تطورها كغيرها من العلوم الإسلامية بمرحلة الترجمة أولاً فقد تمت ترجمة كتب الصنعة بأمر خالد بن يزيد بن معاوية (ت٨٥هـ أو ٩٠هـ) كما سبق القول ؛ ومن ثم إنحصرت البداية فى اتباع نفس الممارسات السابقة من حيث تعدد المحاولات لكشف اكسير الحياة (Elexir) الذى يحمى شاربه من الشيخوخة ويحفظ له شبابه وحيويته ، فضلا عن محاولاتهم كذلك معرفة حجر الفلاسفة الذى يحول المعادن الخسيسة إلى معادن ثمينة (الذهب).

ويرى بعض العلماء أن هذه المحاولات هى التى دفعت العلماء المسلمين وقادتهم إلى معرفة العديد من العمليات الكيميائية كالتقطير والتصعيد والتبلور والملغمة والتذويب وغيرها ، كما أدت إلى اكتشاف فهم العديد من العناصر والمركبات الكيميائية مثل الزئبق والخارصين والأثمد والنشادر والزاج النقى وماء الفضة وماء الذهب والدهنج والفيروزج والشب والبورق والسليمانى وغير ذلك مما سنشير إليه فيما يستقبلنا من صفحات .

وعلى ذلك استطاع هؤلاء العلماء أن يخلصوا الكيمياء من أوهامها وخرافاتها وأساطيرها ؛ وصنعوا بذلك أسس الكيمياء الحديثة بتجاربهم العلمية المتقنة وملاحظاتهم الدقيقة ومستحضراتهم الهامة[١٠٤].

وقد تمت ممارسة العديد من العمليات الكيميائية على يد هؤلاء العلماء ومنها

---

(١٠٣) شوقى ، العلوم والمعارف الهندسية ، ص٣١٢ ـ ٣٨٨ (بما فى ذلك الأشكال المختلفة التى تتضمنها هذه الصفحات)؛ هيل ، العلوم والهندسة ، ص١٢٧ ـ ١٥٥ (بما فى ذلك الأشكال المختلفة التى تتضمنها هذه الصفحات) .

(١٠٤) طوقان ، علماء ، ص٢٩ ـ ٣٠ ؛ فؤاد باشا ، التراث العلمى ، ص١٤٩ ؛ هيل ، العلوم ، ص١١٦ ـ ١١٧ ؛ حماد ، علم الكيمياء ، ص١١٩ ـ ١٢٥ ؛ عاشور ، دراسات ، ص١١٦ ـ ١١٧ ؛ مشعل ، الدور العربى ، ص١٦٨ ـ ١٨٧ .

التقطير والتصعيد (التسامى) والتبلور والملغمة والتكليس والترشيح والتشميع والتصويل (الغسل) والتشويه والتحليل والتخمير والاقامة والتذويب (الصهر) .

وكان لا بد لإجراء هذه العمليات الكيميائية المتعددة فى المعامل من وجود الأدوات والمعدات اللازمة ومن هذه وتلك الموقد نافخ نفسه والهاوى والبوتقة والمنفاخ (الزق) وبوط بربوط (Descansory) والأثال والانبيق فضلا عن الكرة والقمع والقدم والقارورة والقابلة والسكرجة والحريرة والمقص والمغرفة والمبرد والماسك والمرجل والقدور وغير ذلك ، ولا تفوتنا الإشارة كذلك إلى الموازين والمكاييل ذات الدقة المتناهية لتقدير الوزن النوعى للعناصر وفحص المعادن الثمينة[١٠٥].

هذا ولا يزال العديد من هذه الأدوات مستعملا حتى اليوم[١٠٦].

هذا ويمكن أن نجمل اسهامات هؤلاء العلماء وانجازاتهم فى علم الكيمياء فى النقاط التالية :

١ - يرجع إليهم الفضل فى التوصل إلى ما يعرف اليوم باسم الكيمياء الصناعية - أى إستخدام المواد والعمليات الكيميائية فى خدمة الصناعة (الصناعات الثقيلة والخفيفة على السواء) - ومن هذه وتلك صناعة المدافع والأسلحة النارية (على نحو ما سبقت الاشارة إليه عند الحديث عن أسلحة الجيش الإسلامى المتطورة) ونضيف هنا إلى أن تأثير البارود على العلم كان كبيراً فان تحضير المادة الأساسية فى تركيبه (وهى نترات البوتاسيوم) تحتاج إلى دراسة دقيقة لفصل الأملاح وتنقيتها وهو الأمر الذى لفت الأنظار إلى ظاهرتى التحليل والتبلور ، كما كانت قوة الانفجار ذاتها وقذف الكرة من فوهة المدفع دليلاً قويا على امكانية الاستخدام العلمى للقوة الطبيعية ، كما كانت الملهم لظهور المحرك البخارى ، كذلك كانت حركة المدفع فى الهواء هى المحرك للدراسة الجديدة فى الديناميكا ؛ فضلاً عن أن استخدام البارود قد ساعد على اتمام كثير من المشروعات العمرانية الجبارة كشق الطرق والممرات بين الجبال وتفتيت الصخور وغيرها .

---

(١٠٥) عن هذه العمليات والأدوات والمعدات اللازمة ، انظر حماد ، علم الكيمياء ، ص١٢٦ - ١٤١ .
(١٠٦) هيل ، العلوم ، ص١١٨ - ١١٩ .

ومن الصناعات الأخرى صناعة الزجاج وقد استخدموا فى صناعته العديد من المركبات الكيميائية لتحسينه وتجويده ومنها ثانى أكسيد المنجنيز وكربونات الصوديوم وكذلك البلور (الكريستال) فقد برعوا فى صناعته ، وممن برع فى صناعته عباس بن فرناس (ت٢٧٤هـ/ ٨٨٧م) وذلك بعد أن قام بمعايرة العناصر التى تدخل فى صنع الزجاج واضافة الرصاص . ومنها صناعة الورق وصناعة المداد (الحبر) والأصباغ النباتية والمعدنية والطبيعية واستخدموا الأملاح المثبتة كالشب (كبريتات اليوناسيوم أو الالمنيوم) لتثبيت الألوان فى الصباغة وهى مادة لا تزال تستخدم فى عمليات الصباغة حتى اليوم ، ومن أهم الأصباغ التى استعملت الكركم والزعفران والنيلة والفوة[١٠٧].

٢ ـ ابتكروا المواد العازلة للحريق وفى ذلك يذكر ابن الأثير ضمن حوادث عام (٢٦٩هـ/ ٨٨٢م) أن جيش العباسيين قد إستخدم « أدوية إذا طلى بها الخشب امتنع احتراقه »[١٠٨].

والمقصود بالدواء هنا هى طلى الخشب بمادة كيميائية من أصل معدنى أو نباتى لها خاصية الالتصاق على سطح المواد التصاقًا تامًا بالاضافة إلى خاصية اطفاء النار ، وربما كان هذا الدواء مركبا خليطا من مواد مختلفة كان الزيت أحد مكوناتها إذ أن الزيت لديه خاصية الالتصاق بمواد كثيرة وهو كثير الاستخدام لمواد الطلى إلى الوقت الحاضر[١٠٩].

٣ ـ ومن الصناعات الأخرى صناعة العطور والصابون ومواد التجميل وصناعة الشموع ودباغة الجلود ؛ فضلا عن استخلاص الزيوت النباتية والحيوانية بأحسن وأدق الطرق الكيميائية .

٤ ـ درسوا المعادن دراسة علمية وقدموا فى مؤلفاتهم الأسس العلمية الأولية لعلم المعادن كالسفافية والمخدش ووزنها النوعى ، كما برعوا فى تركيب المعادن وصقلها وتنقيتها وتفتيت معدن بآخر ومن ذلك أنهم مزجوا الذهب بالفضة واستخدموا القصدير فى طلاء الأوانى النحاسية لمنع التأكسد وحدوث الصدأ ومزجوا النحاس

---

(١٠٧) عاشور ، دراسات ، ص١١٨ ـ ١١٩ ؛ حماد ، علم الكيمياء ، ص١٤٢ ـ ١٧٩ .
(١٠٨) ابن الأثير ، الكامل ، مج٣ ، ص٣٧٨ .
(١٠٩) حماد ، علم الكيمياء ، ص١٨٠ .

بالقصدير للحصول على النحاس الأصفر وأدخلوا طرق فصل الذهب عن الفضة بالحل بواسطة حمض النيتريك وهذه الطريقة لا تزال مستخدمة حتى الآن ولها شأن فى تقدير عيارات الذهب فى المشغولات الذهبية والسبائك ونحوها .

كما عرفوا طرق حفظ الحديد من الصدأ وذلك بالطرق الكيميائية ومعاملة الحديد بمواد معدنية وغير معدنية بما يكسبه الصلابة والمتانة ويحول دون تأثير الماء والاكسجين عليه[110] .

أما عن اسهاماتهم الأخرى فسوف نشير إلى بعضها عن دراسة أعلام علم الكيمياء ؛ على أن نعود لها ولغيرها تفصيلاً واسهابًا وتحليلاً فى كتابنا المفصّل بمشيئة الله تعالى .

ويأتى على رأس هؤلاء الأعلام جابر بن حيان (ت١٦٠هـ/ ٧٧٦م كيميائى المسلمين الأول ويعد من أكبر العلماء فى العصور الوسطى بل وأعظم علماء عصره فقد كان حجة فى الكيمياء لا ينازعه فى ذلك منازع وإليه يرجع الفضل فى جعل عصبة من التلاميذ المجتهدين على متابعة البحوث عدة قرون فمهدوا بذلك لعصر العلم الحديث . ويرجع الفضل إلى جابر بن حيان فى أنه جعل الكيمياء علمًا يقوم على التجربة وعدم التعويل إلا عليها مع دقة الملاحظة والاستنتاج واتباع التعليمات فى إجراء التجارب لأن لكل صنعة أساليبها .

وعرف جابر الأحماض العضوية من خليك وليمونيك وطرطيط كما ميز بين الأحماض والقلويات وقال بأنها تتعامل مع بعضها بعضا لتنتج الأملاح ، وحضر من مركبات النحاس الزاج الأزرق (الزاج القبرصى) وهو كبريتات النحاسيك وخلات النحاسيك أو الزنجار ، والماء الذهبى أى كبريتيد النحاسيك (مادة براقة تستعمل فى الكتابة) وكلس النحاس الأحمر . ومما حضره جابر الأسرنج الأحمر (السلقون) والزاج الأخضر كبريتات الحديدوز) والسليمانى (ثانى كلوريد الزئبق والزنجفر (كبريتيد الزئبق) وعرف كثيراً من مركبات البوتاسيوم والصوديوم وبين أوجه الشبه بين الكبريت والزرنيخ مما جعله يسميهما بالتوأمين كلاهما يتسامى بالتسخين . كما أن ظاهرة التأصل معروفة فى كليهما .

---

(١١٠) حماد ، علم الكيمياء ، ص١٧٥ ـ ١٧٦ ، ١٨٢ ـ ١٨٥ .

وعرف جابر طريقة فصل الذهب عن الفضة بواسطة حمض النيتريك ، والحصول على الزرنيخ والأثمد من كبريتيدهما وزاول ما يسمى الآن بالكيمياء الصيدلية وقال بزيادة المعادن فى الوزن بعملية التكليس أو التأكسد ، وقد تمكن جابر من تحضير مداد (حبر) مضئ من بيرين الحديد ينفع فى كتابة المخطوطات والمصاحف الثمينة وصنع ورقا غير قابل للاحتراق وحضر طلاء يقى الثياب من البلل ويمنع صدأ الحديد واستطاع أن يصل إلى طرق لصبغ الأقمشة ودباغة الجلود ، كما استطاع تقطير الخل لاستخراج حمض الخليك المركز وأعد أحماض الكبريتيك والنيتريك ، وله نظرياته فى تكوين المعادن ورفضه لنظرية أرسطو ، ونظرية الاتحاد الكيميائى (الزئبق والكبريت) وغير ذلك . ومن بين مؤلفاته كتاب الاستتام وكتاب الخواص وكتاب التصريف وكتاب الزئبق وكتاب الموازين وكتاب كشف الأسرار أو أسرار الكيمياء وكتاب خواص اكسير الذهب وكتاب السموم ودفع مضارها وبذلك يكون جابر قد ربط بين الكيمياء والطب ، وقد ترجمت معظم أعماله إلى اللاتينية فأثرت فى ازدهار الحركة العلمية فى عصر النهضة(١١١) .

ومن العلماء المشهورين أيضًا فى الكيمياء الرازى (وهو أبو بكر محمد بن زكريا المتوفى فيما بين ٣١١ ـ ٣٢٠هـ/ ٩٢٣ ـ ٩٣٢م) ومنهجه فى الكيمياء لا يختلف عن منهج جابر بن حيان إلا أن منهجه كان أكثر علمية ودقة ويتميز هذا المنهج بأربع قواعد أساسية وهى الوضوح والتحليل والتدرج والإعادة والاستقصاء ، وقد قسم المواد الكيميائية إلى مواد معدنية (ترابية) من ستة أقسام (الأرواح والأجساد والأحجار والزاجات والبوارق والأملاح) ومواد حيوانية (الشعر والقحف والبيض والصدف والقرون وغيرها) ومواد نباتية (الأشنان) ، كما قسم الآلات والأدوات الكيميائية إلى قسمين : الالات لاذابة المعادن والالات لتدبير المواد الكيميائية ، ويرجع إليه الفضل فى اختراع الميزان الطبيعى (المكثاف) لقياس الأوزان النوعية للسوائل ومعرفة كثافتها .

وكذلك ربط الرازى بين الكيمياء والطب كغيره من أطباء عصره واستخدم

---

(١١١) حماد ، علم الكيمياء ، ص٢٣٨ ـ ٢٦٠ ؛ طوقان ، علماء ، ص٩٧ ـ ١٠٣ ، فؤاد باشا ، التراث العلمى ، ص١٥٢ ـ ١٥٤ ؛ غنيمة ، عبد الفتاح مصطفى ، جابر بن حيان ، القاهرة (٢٠٠٤م)، ص١٧ ـ ١٠٢ ؛ إسلام ، علماء ، ص٣٣ ـ ٤١ ؛ فياض ، محمد محمد ، الكيميائيون العرب ؛ جابر بن حيان وخلفاؤه ، القاهرة ، ط٤ ، (١٩٩٨م) ، (١٢٤ صفحة) .

الكيميـاء الصناعية والتطبيقية حيث استعمل لأول مرة الفحم الحيوانى فى قصر الألوان ولا يزال هذا النوع من الفحم مستعملا حتى الآن فى ازالة الألوان والروائح من المواد العضوية ، كما حضر حمض الكبريتيك بتقطير الزاج الأخضر وسماه (زيت الزاج) وغير ذلك .

ومن مؤلفاته كتاب سر الأسرار وكتاب فى أن صناعة الكيمياء إلى الوجوب أقرب منها إلى الامتناع وكتاب شرف الصناعة وفضلها وكتاب الاكسير وكتاب الأحجار وكتاب الاثبات وغير ذلك(١١٢).

٧ـ الطب :ـ

الإسلام دين الرحمة ومن دواعى الرحمة مداواة المريض والتخفيف عنه وعلاج ما يشكو منه من الام لذلك اهتم الاسلام منذ مولده بالطب اهتمامًا بالغًا ، فقد تحدث الرسول (ﷺ) فى الطب والصحة والمرض والوقاية من العدوى وفى فضائل الأطباء حتى تجمعت للرواة ثلاثمائة من أحاديث الشريفة بهذا الموضوع سميت بعدئذ : الطب النبوى، وهى تشمل وصايا صحية فى الوقاية من الأمراض واختيار الأطعمة النافعة وطب البيئة والطب الوقائى والطب العلاجى وأصول عيادة المرضى ولزوم استشارة الطبيب ، والتركيز على أهمية النظافة والرياضة للصحة فقال (عليه الصلاة والسلام) « النظافة من الإيمان »، كذلك قال (ﷺ) « إن المعدن بيت الداء » والحمية رأس كل دواء » وقال « إنما الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء » وقال فى العدوى « إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض فلا تخرجوا منها فراراً منه ».

كذلك قال (ﷺ) « العلم علمان : علم الابدان وعلم الاديان » وفى ذلك اشارة لا تخفى على أهمية العلوم الطبية والعلوم الشرعية على السواء .

وفى محيط التسامح الذى أحاط بالدولة الإسلامية ، لم يوجد ما يحول دون تداوى المسلم على يد طبيب غير مسلم، أو دون أن يتعلم المسلم أصول مهنة الطب على يد طبيب غير مسلم الأمر الذى ترك الباب مفتوحا فى الدولة الإسلامية أمام عديد من

---

(١١٢) حماد ، علم الكيمياء ، ص٢٦٩ ـ ٢٨٠ ؛ فؤاد باشا ، التراث العلمى ، ص١٥٤ ـ ١٥٥ .

أطباء أهل الذمة ليزاولوا مهنة الطب ويداووا مرضى المسلمين وغير المسلمين وهؤلاء في نشاطهم هذا انما كانوا يعبرون عن سمو روح الإسلام وعظمة حضارته .

وكان الرسول (ﷺ) هو أول من استن هذه السنة حينما قال لسعد بن أبي وقاص وكان يعوده أثناء مرضه بمكة « ادع له الحارث بن كلده فانه رجل يتطبب »(١١٣) فما أعظم المغزى من هذا الحديث الشريف إذ أن الرسول (ﷺ) لم يلتفت إلى كون الحارث وثنيا أي من غير الكتابيين أو أهل الذمة طالما لديه من العلم ما ينتفع منه الناس(١١٤).

وليس أدل على أهمية مهنة الطب من الإشارة إلى ما حدث في عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله وبالتحديد عام ٣١٩هـ/ ٩٣١م حيث عقد امتحان للأطباء وفي ذلك يذكر ابن أبي اصيبعة عن ثابت بن سنان « ولما كان في سنة تسع عشرة وثلثمائة اتصل بالمقتدر أن غلطًا جرى على رجل من العامة من بعض المتطببين فمات الرجل فأمر إبراهيم بن محمد بن بطحا بمنع سائر المتطببين من التصرف إلا من امتحنه والدى سنان بن ثابت وكتب له رقعة بخطه بما يطلق له من الصناعة فصاروا إلى والدى وامتحنهم وأطلق لكل واحد منهم ما يصلح أن يتصرف فيه وبلغ عددهم في جانبي بغداد ثمانمائة رجل ونيفا وستين رجلاً سوى من استغنى عن محنته باشتهاره بالتقدم في صناعته وسوى من كان في خدمة السلطان»(١١٥).

هذا وقد مر الطب كغيره من العلوم الإسلامية الأخرى بمرحلة الترجمة أولاً ثم جاءت مرحلة الدراسة النقدية وتصحيح الأخطاء فالاضافة والابتكار ، وكان منهج العلماء يقوم دائمًا على أساس التجربة والمشاهدة والملاحظة الدقيقة فالحقوا دراسة الطب بالبيمارستانات (المستشفيات) ـ الطب السريري أو الاكلينيكي ـ ليتمكن المعلمون والمتعلمون من تشخيص الحالات المرضية ومتابعتها والوقوف على تطور

(١١٣) ابن أبي أصيبعة ، عيون الانباء ، ص١٦١ ؛ القفطي ، تاريخ العلماء ، ص١٦٢ .

(١١٤) عاشور ، دراسات ، ص١١٩ ـ ١٢٠ ؛ السامرائي ، كمال ، مختصر تاريخ الطب العربي ، جـ١ ، بغداد (١٩٨٤م)، ص٢٦٣ ـ ٢٦٦ ؛ هندي ، أمجد ، دور العرب في تقدم علوم الطب ، الكويت (١٩٩٧م)، ص٢٠ ـ ٢٥ ؛ الديوه جي ، سعيد ، الموجز في الطب الإسلامي ، الكويت (١٩٨٩م) ، ص١٧ ـ ١٨ ؛ منتصر ، تاريخ العلم ، ص٧٨ .

(١١٥) ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ص٣٠٢ .

المرض وأغراضه وإجراء الفحوص اللازمة ، وفى جميع الحالات يبدأ الطبيب بالوقوف على حالة نبض القلب وفحص بول المريض ، وكان على الطبيب أن يكتب نسخة أى تقريراً أو صحيفة ـ بحالة المريض ، ويرتب له قانونا أى نظاما يتبعه فى الطعام والدواء والراحة والحركة ؛ فإذا انتقل علاج المريض من طبيب إلى آخر وجب على الطبيب الثانى أن يبدأ بالاطلاع على الصحيفة العلاجية للمريض والوقوف على الأدوية التى تعاطاها ، وقد حدث أن استحضر طبيب لعلاج الخليفة الناصر لدين الله العباسى عام ٥٩٨هـ/ ١٢٠٢م فرفض الطبيب أن يصف له دواء إلا بعد أن يقف على الصحيفة العلاجية للخليفة وقال « السمع والطاعة ؛ ولكنى أحتاج أن أعرف من الطبيب المتقدم مبادئ المرض وأحواله وتغيراته وما عالج به منذ أول المرض إلى الآن »[١١٦] .

ولما كان المقام لا يتسع ، وفقا للخطة الموضوعة لهذا الكتاب المجّمل ، على دراسة علم الطب ومراحل نشأته وتطوره وازدهاره وأعلامه ولذلك آثرنا أن نركز على دراسة اسهامات العلماء وانجازاتهم فى هذا العلم ؛ على أن نعود إليها تفصيلا واسهابًا وتحليلاً فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

هذا ويمكن أن نجمل أهم اسهامات هؤلاء العلماء وانجازاتهم فى علم الطب فى النقاط التالية :

١ ـ الكشف عن أمراض جديدة .

اكتشف الأطباء فى الحضارة الإسلامية من خلال بحوثهم ودراساتهم وممارستهم لمهنتهم مجموعة من الأمراض الجديدة التى لم يسبق إليها من قبل لدى أبقراط وارسطو وروفوس وجالينوس ، وفى حالات أخرى هناك أمراض تحدث عنها بعض هؤلاء ولكن الأطباء العرب والمسلمين حددوا أسبابها وأعراضها بشكل أفضل أو وصلوها بأمراض أخرى غير معروفة أو ميزوها عن غيرها .

ومن بينها :

أ ـ فى مجال الحميات : اكتشف الرازى عدة أنواع من الحميات غير معروفة مثل الحمى الفارسية ، وعرف الداء الذى يتسلط على نسج الأدمغة الداخلية تعريفا كاملا ،

---

(١١٦) عاشور ، دراسات ، ص١٢١ .

وكان ابن سينا هو أول من فرق بين التهاب الدماغ والالتهابات الأخرى ووصف بشكل دقيق مرض التهاب السحايا .

ب ـ الأمراض الوبائية : كان ابن سينا هو أول من اكتشف الفرق بين البيرقان الناتج بسبب انحلال كريات الدم واليرقان الناتج عن انسداد القنوات الصفراوية ، وكان أول من أشار إلى وجود حيوانات دقيقة لا ترى بالعين يتناولها الإنسان مع الماء فتسبب له الأمراض ؛ ولذلك ينصح بالشرب من مياه العيون والينابيع حصراً ، وكان أول من فصّل الكلام عن مرض السل الرئوى وميز بين مراحله الثلاث وبين أنه مرض مُعدٍ للآخرين عن طريق الماء والتراب ولذلك فمن الأفضل للمسلول وللمحيطين به عزله عن غيره ، ونجد كذلك ابن زهر يتحدث فى تصانيفه الطبية عن الحميات والأمراض الوبائية أما الزهراوى فيتحدث باستفاضة عن الأمراض الدموية ومنها بعض الأمراض الوبائية .

جـ ـ الأمراض الوراثية : كان الرازى رائداً فى اكتشاف بعض الأمراض التى تنتقل عن طريق الوراثة ولعل هذا هو السبب الذى جعل الرسول (ﷺ) يقف ضد زواج الأقارب فقال « اغتربوا ولا تضووا » .

د ـ الأمراض الجلدية : كان للأطباء قصب السبق فى كشف بعض هذه الأمراض ومنها مرض الجذام وذكر ثابت بن قرة أنه من الأمراض المعدية وأوصى بعدم اقامة علاقات جنسية مع أى شخص يحمل أعراضه ، ومنها حكة الجرب التى وصفها الطبرى وكشف عن الطفيلى المسمى عث الجرب الذى ينقل هذا المرض وميز بين هذا المرض وبين مرض الجذام .

أما ابن الأشعث الموصلى فقد اختص بالأمراض الجلدية والكتابة عنها فأصدر كتابيه الشهيرين « فى الجدرى والحصبة والحميقاء » « والبرص والبهاق ومداواتهما » وكان الرازى قد سبقه فى التمييز بين مرض الجدرى والحصبة ، وكذلك وصف على بن العباس مرض الجدرى والجمرة الخبيثة (النار المقدسة) بشكل جعل من الممكن التمييز بينهما من حيث الأعراض والعلاج ، واهتم نجيب الدين السمرقندى بالأمراض الجلدية وخاصة بمرض البهاق وشدد على أهمية العلاج بالمجمرات والكاويات .

٢ ـ الكشف عن طرق جديدة فى التشخيص والعلاج : كان علم الطب فى الحضارة

الإسلامية يعتمد على المنهج التجريبي في دراسة الأمراض وتشخيصها ثم علاجها وذلك من خلال التقيد بعدد من القواعد العلمية وأهمها :

أ ـ رفض الاعتماد على صيت الأسماء الكبيرة مثل ابقراط وارسطو وجالينوس عندما يتعلق الأمر بالحقيقة العلمية .

ب ـ الدعوة إلى اعمال العقل أو كما يقول الرازى « اعمال الماهر الحكيم لرأيه ».

جـ ـ تفضيل التجربة العملية على المرويات النظرية التى تحويها الكتب لأن «الحس أصدق من السمع» على حد قول موفق الدين البغدادى .

ويطالب الرازى فى هذا المجال بتجريب العقار على الحيوان قبل صرفه لبنى الإنسان .

د ـ اخضاع النظريات العلمية المتوارثة للمعاينة (أى للتجربة) والاعتبار (أى القياس) فإن حصل التوافق قبلت وان لم يحصل لفظت وهو ما فعله ابن سينا عندما كشف أخطاء أبقراط وجالينوس وكما فعل من بعده ابن النفيس عندما اكتشف أخطاء النظرية اليونانية القائلة بمرور الدم مباشرة بين البطين والأذين . وبفضل تطبيق هذه القواعد اكتشف العلماء أساليب التشخيص والعلاج الجديد ومنها مرض الحلو (السكرى) واستدلوا عليه بوجود السكر فى البول ، وقد ابتكر الرازى طريقة للتأكد من وجود السكر فى بول المريض من عدمه ، وذلك بأن يجعل المريض يبول فوق بقعة من الرمل فإذا قصدت أسراب النمل بقايا البول دل ذلك على وجود السكر حتمًا وإذا لم تفعل ذلك كان البول خاليا منه .

هـ ـ نادوا بتطبيق نظام العزل فى حالة الأوبئة وقد طبقوه أخيراً لعزل المجذومين والمجانين والعجزة .

و ـ توصلوا إلى امكانية التغذية الصناعية للمريض الذى لا يستطيع تناول غذائه بالطريقة الطبيعية وذلك عن طريق الفم أو الشرج بواسطة محقنة تصنع من النحاس أو الفضة .

ز ـ قاموا بفحص البصاق للاستدلال على الأمراض الصدرية وخاصة السل .

ح ـ استخدم الرازى الزئبق ومركباته فى مداواة الأمراض الجلدية .

ط ـ كان ابن سينا أول من استخدم الثلج بدلا من الماء كنوع من الكمادات لمعالجة

الحميات .

ى ـ تمكنوا من معرفة نوع المرض انطلاقا من النظر إلى دم المريض فحسب ، ففى مخطوط عنوانه « غاية الامنيات فى معرفة الحميات » تم نسخه عام ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م) نجد شرحا مبدئيًا لكيفية التعرف على نوع الحمى من خلال النظر إلى دم المريض(١١٧).

٣ـ علم وفن الجراحة :

من المسلم به أن الجراحة علم لا يمكن اتقانه نظريا لأنه يحتاج إلى ربط النظر بالعمل أو بمعنى آخر لا بد أن يمارس الطبيب الجراحة عمليا حتى يصبح جراحا ماهراً ولذلك عرفت الجراحة فى بادئ الأمر « علم الصنعة اليدوية »، ومعرفة الجراحة عمليا تحتاج إلى اتقان التشريح ، وهذا الأمر من الأهمية بمكان حيث أن الأطباء الأوائل تهيبوا من ممارسة التشريح ، لأنهم كانوا يرون ذلك حراما شرعا على اعتبار إنه يشكل مساسا بحرمة الموتى، ولهذا اقتصرت العمليات الجراحية فى القرن الأول الهجرى على العمليات التقليدية البسيطة مثل الحجامة والفصد والكىّ وبتر الأطراف الصغرى .

ومع تقدم علم الطب وضغط الحاجة للاعتناء بجرحى المسلمين فى الحروب بدأ الأطباء بممارسة التشريح على الحيوانات أولاً ثم على جثث الموتى لمعرفة تركيبها الدقيق معرفة تؤهل لإجراء التدخل الجراحى فيما بعد .

وقد مارس الرازى وعلى بن العباس وابن سينا التشريح ، وان لم يقروا بذلك صراحة ، وكان الزهراوى أول من تجرأ على المناداة بأن التشريح لا يتنافى مع الدين ، كذلك اعتبر ابن رشد أن التأمل فى تشريح بدن الإنسان من الإيمان ، لأنه يدل على عظمة الله فى خلقه ، ونادى ابن النفيس بضرورة القيام بعمليات التشريح بالرغم من أنه نفى ذلك فى مقدمة كتابه « شرح تشريح القانون لابن سينا » . وليس أدل على ما بلغته الجراحة فى الحضارة الإسلامية من تقدم وازدهار كبيرين سواء من حيث العمليات الجراحية نفسها أو من حيث المواد والأدوات المستخدمة فى الجراحة ، من

---

(١١٧) هندى ، دور العرب ، ص١٢٢ ـ ١٢٩ .

أنها قد تركت أثراً بعيداً فى الجراحة لدى الأوروبيين كما سنشير فيما بعد .

ومن العمليات الجراحية الصغيرة ما يتعلق بالجروح والكسور ومن ذلك عمليات التحكم فى النزف وقد استخدموا فى ذلك الضغط بالابهام والرباط والاسفنج والتبريد بالماء والثلج وربط أماكن النزف بالخيوط الجراحية والكيّ فى بعض الحالات وفى كتاب التصريف للزهراوى تفاصيل فنية لهذه الطرق .

وكذلك علاج الجروح بالمطهرات مثل ماء الورد ونوع من المساحيق (الذرور) الصفراء اللون وقد أطلق ابن سينا اسم الخيار الجاف على الجروح ، ومنها ما يتعلق بصرف الخراريج وقد استخدموا أحيانا ما يسمى الطريقة المغلقة فى العناية بالجروح المتقيحة أى استخدام التقيح نفسه لشفاء الجروح .

وبرع الزهراوى فى علاج بتر الأطراف وكيفية وصل الشرايين ببعضها قبل الجراح الفرنسى شولياك بأربعة قرون .

كذلك مارس العديد من الأطباء ومنهم على بن العباس وابن سيناء والزهراوى وابن القف الجراحة البولية فنجحوا فى عمليات تفتيت الحصاة المترسبة فى الحالب أو الاحليل أو المثانة وأوصى الزهراوى بضرورة إزالة الجلطات الدموية من المثانة كذلك . وتكلم الرازى وعلى بن العباس عن ضرورة استئصال أورام المعدة والأمعاء عن طريق الجراحة ، وعرف ابن زهر الأورام السرطانية ووصفها وصفا دقيقا وهو أول من بحث فى الفرق بين القرحة المعدية وسرطان المعدة .

وعالجوا كذلك البواسير بالجراحة أو بدونها وينظر فى ذلك كتاب العمدة لابن القف وكتاب البواسير لابن ميمون وكتاب زاد المسير فى علاج البواسير لابن محمود المتوفى ٥٢٥هـ/ ١١٣٦م. أما العمليات الجراحية الكبرى فمنها جراحة العمود الفقرى والجمجمة، وقد بحث الزهراوى فى التصريف وابن القف فى العمدة فى جراحة العمود الفقرى وكيفية وصل العروق ببعضها بعد ذلك .

وفى مجال جراحة الدماغ والجمجمة فقد اهتموا بها وشرحوا بعضها وقد قسموا الكسور فى الجمجمة إلى نوعين مغلقة ومفتوحة فالمغلقة هى التى لا تصاحبها جروح وهى الأخطر لأنها قد تؤدى إلى تورم فى الدماغ كما ذكر ابن سينا ، أما الكسور المفتوحة فهى التى تصاحبها جروح وهى أقل خطراً من الأولى حيث يتم تنظيفها

وتعقيمها ثم خياطتها مع الانتباه لضرورة انقاص المياه فى الجسم قبل الشفاء لتخفيف الضغط داخل الجمجمة .

أما عمليات جراحة الجمجمة التى قام بها الزهراوى فقد كانت نقطة البداية فى الجراحة الأصلية للجمجمة فى اسبانيا ودول أوروبا الغربية على حد قول الطبيب الأسبانى جارسيا بالستر .

ويكفى القول أن عمليات شق الجمجمة التى وصفها الزهراوى لا تزال تمارس وتجرى بنفس الطريقة حتى اليوم . ومن الاحتياطات الواجب اتخاذها عند اجراء عمليات جراحية فى الجمجمة ضرورة تليين الطبيعة (أى الحقن الشرجية) وفصد العرق بغرض انقاص ضغط السوائل على الدماغ على نحو ما فعل نجيب الدين السمرقندى ، ولا تزال هذه الطريقة مستخدمة ولكن باستعمال مدرات البول بدلا من المسهلات أو الملينات .

أما عن المواد والأدوات المستخدمة فى العمليات الجراحية فقد استخدموا المواد المخدرة ومنها السُيلم والزوان والسيكران ، وبعد ذلك اكتشفوا خواص الافيون والقنب الهندى (الحشيش) فى هذا المجال . وكانت تستخدم هذه المواد عن طريق الفم كما فعل ابن سينا والزهراوى ، وكان بن زهر أول من استخدم التخدير عن طريق الاستنشاق بالفم . واستخدموا الخيوط الجراحية المستخرجة من أمعاء الحيوانات والتى كانت تستخدم أوتاراً لآلتى العود والرباب حتى ذلك الوقت وقد سميت هذه الخيوط (القصاب) وكان الرازى هو أول من استخدمها وتابعه على بن العباس . واخترع ابن سينا أداة سماها القاتاتير لمعالجة مرض الأسر - أى حصر البول - ومنها جاءت كلمة القثطرة أو القسطرة المستخدمة حاليا .

كذلك اخترع الزهراوى العديد من الأدوات الجراحية ومنها (انبوب البروينج) الذى يصنع من الذهب والفض ويستخدم فى علاج أمراض البلعوم والأداة المسماة الملقط أو الجفت التى تستخدم فى حالات تعسر الولادة وأداة تفتيت الحصى فى المثانة ، وقد وضع الزهراوى فى كتابه التصريف لمن عجز عن التأليف ٢٧٨ رسمًا منها رسوم لأكثر من مائتى آلة وأداة جراحية بعضها من اختراعه هو وبعضها الآخر كان معروفا قبله، وقد شرح استخدامها جميعًا (شكل ٣٧٧). وقد أكد الزهراوى على أهمية أن تكون

هذه الالات جاهزة بشكل دائم لاستخدامها فى حالات الطوارئ ؛ فضلا عن تعقيمها عن طريق تحميتها على النار قبل استخدامها(١١٨).

٤ ـ فروع الطب فى الحضارة الإسلامية :

أ ـ الأمراض النفسية والعقلية :

يعد أبو الحسن على بن سهل بن ربن الطبرى حسب الرأى السائد حتى الآن هو أول من بحث فى الطب النفسى بشكل مستقل عن الطب العادى وكان ذلك فى القرن ٣هـ/ ٩م ، وتابعه بعد ذلك ابن سينا ومن وسائله من حيث التشخيص والعلاج طريقة (تداعى الأفكار) فى التشخيص وطريقة (الابهام) فى العلاج ، فضلا عن بعض العوامل المساعدة لتهدئة أعصاب المريض ومنها الحمامات الساخنة وسماع الموسيقى وتناول بعض المشروبات .

ومن أشهر الأطباء فى هذا المجال اسحاق بن عمران (عصر الأغالبة فى تونس) الذى نجح فى علاج حالات نفسية مستعصية ، وألف مؤلفا شهيراً فى الطب النفسى هو « رسالة فى الماليخوليا » وهى كلمة يونانية الأصل وقد أوجد مرادفا لها وهو تعبير (الوسواس السوداوي) ولا يزال هذا التعبير مستخدما حتى الآن .

ويصف هذا المرض بأنه « مرض يحل فى الجسم وتلحق أعراضه وأضراره بالنفس ، فأما أعراضه فى النفس فالخوف والحزن وهما شر عوارض النفس وأسقامها... »(١١٩).

أما أبى زيد البلخى (المتوفى ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م) فهو نفسانى سبق عصره بعشرة

---

(١١٨) هندى ، دور العرب ، ص١٢٩ ـ ١٣٨ ؛ ولمزيد من التفاصيل انظر ، قاسم ، محمود الحاج ، الطب عند العرب والمسلمين ، تاريخ ومساهمات ، جدة ـ الدمام (١٩٨٧م)، ص١٠٥ ـ ١٥٣ ؛ حسين ، محمد كامل ، الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، د ت ، ص٩٧ ـ ١٤٧ ؛ خليل ، ياسين ، الطب والصيدلة عند العرب ، بغداد (١٩٧٩م)، ص١٢٣ ـ ١٥٧ ؛ موسوعة تاريخ العلوم العربية ، جـ٣ ، بيروت (١٩٩٧م) ص١٢٠١ ـ ١٢١١ .

(١١٩) هندى ، دور العرب ، ص١٣٩ ـ ١٤٠ ؛ ولمزيد من التفاصيل انظر ، قاسم ، الطب ، ص٢١٧ ـ ٢٢٣.

قرون فقد استطاع البلخى التفريق بين المرض النفسى أو العصاب Neurosis والمرض العقلى أو الجنون كما هو متعارف عليه Psy Chosis ثم ركز تركيزاً شديداً على دور العوامل النفسية فى الصحة والمرض النفسى والجسمى ، وكأنه من متخصصى الطب السيكوسوماتى والشمولى الحديث Psy Chosomatic and Holistc Medicine .

وقد سبق البلخى بعلاجه للمخاوف (الفوبيا كما تعرف الآن) بتعريض الخائف تدريجيا إلى المصدر الذى يخافه مثل الثعابين والعناكب وغيرها رواد المدرسة السلوكية ورواد مدرسة التعلم الاجتماعى فى هذا المجال . كذلك سبق البلخى رواد علاج الضعف الجنسى عن طريق الجمع بين العلاج النفسى والجسمانى فى علاجه علاجا عمليا - أى سلوكيا - وهذا النوع من العلاج لم يعرف إلا بعد الخمسينات من القرن العشرين المنصرم .

ومهما يكن من أمر فان البلخى وغيره من علماء المسلمين كانوا هم الرواد للعلاج السلوكى Behavior Therapy وللثورة المعرفية الحديثة فى ميدان العلاج النفسى Cognitive Therapy [١٢٠].

ومن الأطباء الذين برعوا فى علاج الأمراض النفسية العضوية (السيكوسوماتيك) الرازى وابن سينا وكانوا يركزون دائما على أن القوة الداخلية للجسم هى التى تساعد فى اتمام عملية الشفاء وهى القوة التى يطلق عليها اليوم فى الطب الحديث المناعة[١٢١].

جـ - طب الأسنان :

بدأت المرحلة الأولى لطب الأسنان فى الحضارة الإسلامية مبكراً ، وذلك عن طريق شد الأسنان السائبة بواسطة أسلاك لتثبيتها وأول من شدوا أسنانهن بالذهب

---

(١٢٠) البلخى ، أبى زيد ، مصالح الابدان والأنفس ، تقديم ودراسة مالك بدرى ، ومصطفى عشوى ، الرياض ، (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ص ٢٦ - ١٠٧ .

(١٢١) هندى ، دور العرب ، ص١٤٠ - ١٤١ .

عثمـان بن عفان (رضى الله عنه) وعبد الملك بن مروان وأبو مسلم الهراء [(١٢٢)].

ومن الوسائل التاليـة لعلاج الأسنان سد الحفر والنخرات السنيـة بالمسك والشاب بعد تنظيمها على نحو ما فعل الرازى ، وكان يوصى فى بعض الحالات بتشبيط اللثة وتسكين الألام بالافيـون أو عطر الورد ، فضلا عن تحاشى الحوامض لتأثيرها فى عناصر السن . وكذلك كان ابن سينا يشير على الشخص السليم بتجنب استخدام المساحيق الكاوية وكان ابن سرابيون يوصى باستعمال المقبضات ويدعم الأسنان بربط بعضها ببعض بخيوط من الذهب والفضة ، أما الزهراوى فقد أبدع فى ما يسمى اليوم جراحات الأسنان وفى كتابه التصريف صور لالات قلع الأسنان وأصولها أو لجردها وتنظيفها أو آلات قطع اللحم الزائد فى اللثة (الناسور اللثوي) وشرح أساليب العمل وطرق العلاج ، ومع ذلك نادى الزهراوى بعدم قلع الأسنان وخلعها إلا بعد استنفاذ جميع الوسائل لحفظها وهو نفس الاتجاه الطبى الحالى .

وفى مجال تسكين الألم السنى نصح الأطباء باستعمال بزر البطيخ المدقوق المزوج مع القرنفل وملح الطعام على شكل معجون أو سائل وهذه المواد الثلاث لا تزال مستخدمة حتى الآن للتخفيف من ألم الأسنان كما أوصوا باستخدام مستحضرات معينة لتنظيف الأسنان والعناية بها مثل العسل والملح المحروق ومسحوق الفحم[(١٢٣)].

د ـ طب العيون (الكحالة) :

من اسهامات الأطباء فى هذا المجال ابتكار آلات متخصصة فى جراحة العين على يد الزهراوى ومنها آلة المسبار وكانت تستخدم فى علاج مرض تزحزح العدسة وهو المرض المعروف اليوم باسم (القدح أو الساد)، وكان ابن سينا هو أول من اكتشف تركيب العين وهو أول من قال بأن مركز الابصار هو العصب البصرى وليس الجسم البلورى للعين مصححًا بذلك أراء الأقدمين ، ووصف الرازى جراحة معينة لاستخراج

---

(١٢٢) المسعودى ، التنبيه والإشراف ، ص٢٥٤ ؛ ابن قتيبة ، المعارف ، ص١٠٢ ، ١٥٦ ؛ ابن الأثير ، الكامل ، جـ٦ ، ص١٨٩ ؛ ابن الجوزى ، المنتظم ، جـ٦ ، ص٧٨ ـ ٧٩ .

(١٢٣) هندى ، دور العرب ، ص١٤٢ ـ ١٤٤ ؛ ولمزيد من التفاصيل انظر ، حسين ، الموجز ، ص١٩٧ ـ ٢٢٣ ؛ خطاب ، فرات فائق ، الكحالة عند العرب ، بغداد (١٩٧٥م)، (١٠٢ صفحة) .

الماء الأزرق من العين ، وقد أوصى بتمزيق قشرة العدسة (تشطيبها) إذا لم يمكن زحزحة الماء ، كما تعرض لذكر بعض الطرق لإزالة الضغط على العين أو تخفيضه عن طريق الفصد أو التدخل الجراحي . وكان على بن عيسى هو أول من وصف التهاب الشريان الصدغي والقحفي ولاحظ العلاقة بين الشرايين الملتهبة واضطراب الرؤية فى مرض الشقيقة ، فضلا عن أنه كان أول من استخرج الماء الأزرق من العين بواسطة ابرة مجوفة وذلك عبر عملية تسمى الشفط Succion وهى الطريقة المستخدمة حاليا وتعرف هذه العملية بالكاتراكت (Cataracte) ويوجد وصف دقيق لهذه العملية فى كتابه المعروف (تذكرة الكحالين) .

ونجح عمار الموصلى فى ابتكار طريقة لسلخ القزحية مع محافظة العين على قدرة الابصار[١٢٤] .

هـ- طب الأنف والأذن والحنجرة :

ومن اسهامات الأطباء فى هذا المجال العمليات الجراحية لعظم الفك وجراحة الحلق ومضاعفات استئصال اللوزتين والأورام على يد الزهراوى وابن القف ، واستخدم الزهراوى انبوبة للتنفس الاصطناعى فى حالة اصابة الحنجرة بالورم ويقال إنه أول من أجرى استئصال للغدة الدرقية عام ٩٥٢م .

ومن العمليات الجراحية الأخرى ما يتعلق بعلاج التشوهات الولادية فى منطقة الأنف والأذن والحنجرة مثل شقاق الشفة ووصل رباط اللسان وسدّة الأذن[١٢٥] .

و- طب النساء والأطفال :

ومن اسهامات الأطباء فى هذا المجال ما أشار إليه على بن العباس من أن سبب الطلق الذى تعانى منه المرأة يعود لتقلص الرحم وليس ناجما عن حركة الجنين ذاته وهو

---

(١٢٤) هندى ، دور العرب ، ص١٤٤ - ١٤٦ ؛ ولمزيد من التفاصيل انظر ، قاسم ، الطب ، ص٢٩٩ - ٣١١؛ حسين ، الموجز ، ص١٧٣ - ١٩٤ ؛ خليل ، الطب ، ص١٥٩ - ١٨٦ ؛ موسوعة تاريخ العلوم، جـ٣ ، ص١٢١١ - ١٢١٥ .

(١٢٥) هندى ، دور العرب ، ص١٤٦ - ١٤٧ .

ـ على بن العباس ـ أول من قال ذلك .

ووضع الطبيب البلدى (ت٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) كتاب يسمى « كتاب تدبير الحبالى »، وبحث الزهراوى أوضاع الجنين الطبيعية وغير الطبيعية عند الولادة ووصف آلة تشبه الملقط ، وتسمى الجفت ، وتستخدم للمساعدة فى خروج الجنين من الرحم ، ولا تزال هناك آلة تشبهها حتى اليوم تستخدم فى حالات الولادة المتعسرة .

كما وصف الزهراوى عملية فغر الجمجمة بواسطة آلة سماها (هارس الرأس) لتسهيل مرور الجنين من فوهة الرحم إذا كان الجنين ميتا أو مصابا بمرض الاستسقاء مما يعرض حياة الأم للخطر فى حالة بقائه ضمن الرحم . ومارس الأطباء كذلك العملية القيصرية كما تعرف اليوم إلا أنهم لم يمارسوها إلا فى حالة موت الأم وبقاء الجنين فى رحمها على قيد الحياة ، وكان ابن زهر أول من استعان بالمساعدات الطبيات القابلات (Sage - Femmes) لمساعدته فى توليد نساء الملوك والوزراء ، وقد نبغ منهن ابنته الشهيرة بلقب أخت الحفيد .

وقد سمح ابن الخطيب جهاراً لأول مرة بممارسة الاجهاض فى حالة كون بقاء الحمل يعرض حياة الأم للخطر(١٢٦).

أما طب الأطفال فلدينا العديد من المؤلفات فى طب الأطفال ومن اسهامات الأطباء فى هذا المجال حسبنا أن نشير إلى أن الرازى كان أول من فصل بين طب الأطفال والأمراض النسائية وجعله يأخذ شكلا مستقلا بذاته عندما ألف رسالته فى طب الأطفال فى حدود سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م ، وقد بحثوا فى صفات الطفل الطبيعى والخديج (الناقص) والمريض ، والعناية بالمولود حديث الولادة وأدوار حياة الطفل وتطوره الطبيعى وتغذية الطفل ، فضلا عن أمراض الأطفال وطرق معالجتها سواء أمراض الجهاز الهضمى أو الجهاز التنفسى أو الجهاز العصبى أو الجهاز البولى والتناسلى والأمراض المعدية والأمراض الجلدية وأمراض الفم والأنف والاذن والحنجرة وأمراض العين والأمراض الوراثية والتشوهات الخلقية .

ولما كان المقام لا يتسع لدراسة اسهامات هؤلاء الأطباء فى علاج أمراض الأطفال

---

(١٢٦) هندى ، دور العرب ، ص١٤٧ ـ ١٤٨ ؛ ولمزيد انظر ، حسين ، الموجز ، ص١٥١ ـ ١٧٢ ؛ قاسم ، الطب ، ص١٥٥ ـ ١٧٢ .

جميعها ؛ ولذلك حسبنا أن نشير إلى بعض الاسهامات فى مجال جراحة الأطفال ومنها علاج بعض النشويهات الخلقية البسيطة ومنها شقاق الشفة (الرازى والزهراوى) وقطع الرباط تحت اللسان والذى يمنع الكلام وسدة الأذن وتشوهات الأصابع (الزهراوى) والمقعدة غير المثقوبة وانسداد مجرى البول الولادى (الزهراوى) والخنثى (ابن سينا) وتجمع الماء فى رؤوس الصبيان والشتره (قصر الجفن) Ectropion (الزهراوى) والرتقة (الرازى) .

ومن الجراحات العامة جراحة المجارى البولية والختان والفيلة المائية Hydrocele والحصى المتولد فى مثانات الأطفال والفتوق ، فضلا عن جراحات الرأس والرقبة والفقرات وغير ذلك(١٢٧).

ز- علم الصيدلة (الاقربازين) :

أصاب علم الصيدلة فى الحضارة الإسلامية تطوراً كبيراً نتيجة لتطور المعرفة الطبية - بفصل حركة الترجمة والممارسات والابتكارات الطبية - من جهة وزيادة المعرفة بالأدوية والعقاقير من جهة أخرى . وعلى الرغم من ارتباط الصيدلة بالطب إلا أننا نلمس فى الوقت نفسه اتجاها واضحا للفصل بين المعرفة الطبية والمعرفة الصيدلانية وبين مهنة الصيدلة ، بحيث يمكن القول أن التخصص فى معرفة الأدوية والعقاقير النباتية والحيوانية والمعدنية كان من نصيب الصيدلى ؛ ولكن ذلك لم يمنع الطبيب نفسه من تحضير الأدوية لعلاج الأمراض . كما نلمس بوضوح تام ظهور الصيدلية باعتبارها دكانا أو حانوتا (خزانة شراب أو أجزاخانة) للأدوية يديرها من له معرفة جيدة بالأدوية والعقاقير بحيث يمكن القول أن المسلمين هم أول من وضعوا الأساس المتين لعلم الصيدلة وأول من أسسوا الصيدلية ووضعوا لها الشروط الصحية . والشروط الواجب توافرها فى من يديرها . ونظراً لأهمية الصيدلية بالنسبة للأطباء والمرضى على السواء وما يمكن أن يؤديه الدواء الخطأ أو الفاسد وغير ذلك من أخطار على صحة المرضى ، وما يجوز للأشخاص من ادعاء معرفة بأمور الصيدلة فقد وضعت

---

(١٢٧) قاسم ، الطب ، ص٢٣٥ - ٢٧٧ ؛ تاريخ طب الأطفال عند العرب ، بغداد ، ط٣ (١٩٩٣م) ، (٢٤٠ صفحة) .

شروطًا وامتحانات لمن يزاول مهنة الصيدلة فكان نظام الحسبة هو الجهاز الذى يراقب الأدوية ويمنعها ويراقب أعمال الصيدلى وأفعاله لكى يجنب الناس الأخطار ويكشف الغش فى الدواء(١٢٨).

وليس أدل على أهمية هذا العلم من وضع المؤلفات المستقلة عنه ومن ذلك كتاب الصيدلة فى الطب للبيرونى ، وكتاب « المغنى فى الأدوية المفردة » و « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » لابن البيطار ، وكتاب « تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب » لداود الأنطاكى ، وكتاب « أصول تركيب الأدوية » للسمرقندى وغير ذلك(١٢٩).

يضاف إلى ذلك ما ورد فى المؤلفات الطبية نفسها عن الأدوية والعقاقير .

ومهما يكن من أمر فقد ازدهرت الصيدلة وتطورت تطوراً كبيراً فى الحضارة الإسلامية سواء من حيث العناية بمفردات الأدوية والعقاقير وانتقاؤها ومواصفاتها وأعمارها وتصنيفها أو من حيث المبادئ التى يقوم عليها فعل الأدوية ومنها معرفة قوى الأدوية والأفعال الكلية والجزئية للأدوية والأفعال التى للأدوية فى نفسها واختلاف قوى الأدوية وغير ذلك أو من حيث تحضير الأدوية ومراحلها المختلفة من الطبخ والسحق والاحراق والغسل والجمود والمجاورة والتنقية والتنظيف والتحميص (التشويه) والتلغيم أو الالغام والتصعيد والتكليس والتصدية والتشميع والحل والتحليل والعقد والتبلور وتذهيب الحبوب وتفضيضها ، فضلا عن الأجهزة والألات والأوزان والمكاييل وأنواع التركيبات (المستحضرات) الصيدلية وأشكالها وغير ذلك(١٣٠).

وحسبنا أن نشير فى هذا المقام إلى انهم اخترعوا كثيراً من المعاجين والمربيات

---

(١٢٨) خليل ، الطب الصيدلة ، ص١٩١ ؛ حسين ، الموجز ، ص٣١٤ - ٣٢٣ .

(١٢٩) انظر ، دراسات عن ابن البيطار وأثره فى الطب والصيدلة ، بغداد (١٩٨٨م) (١٢١ صفحة)؛ عواد ، كوركيس ، مصادر النباتات الطبية عند العرب ، بغداد (١٩٨٦م)، (١٨٢ صفحة)؛ السمرقندى ، محمد بن على ، أصول تركيب الأدوية ، دراسة وتحقيق لجلاء قاسم عباس ، بغداد (١٩٨٩م)، (١٤٩ صفحة)؛ حسين ، الموجز ، ص٣٢٤ - ٣٢٥ .

(١٣٠) حسين ، الموجز ، ص٣٢٨ - ٣٨٢ .

والخلاصات والمشاريب ومنها شراب برء الساعة المنسوب إلى داود الانطاكى (البصير) والذى قالوا عنه : انه يقطع الاسهال فى ساعة والصداع فى يوم والمفاصل فى جمعة والبخار فى شهر والاستسقاء فى سنة (١٣١).

هذا ولا تفوتنا الاشارة إلى الكتب المتعلقة بصناعة الطب وكيفية تعليمه وأدب الطبيب وأخلاقه والتأكيد على سمو مهنة الطب وعلميّة مهنة الطب وبعدها عن التقاليد البالية والخرافات والسحر والشعوذة وغير ذلك(١٣٢).

أما عن مؤلفات الأطباء والصيادلة الذين كانت لهم اسهامات وانجازات متميزة فى علم الطب والصيدلة على نحو ما بينا فى هذه العجالة ، فحسبنا أن نشير إلى أشهرهم ؛ على أن نعود لهم ولغيرهم اسهابا وتفصيلا وتحليلا فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

ومن هؤلاء أبو الحسن على بن سهل بن ربن الطبرى القرن ٣هـ/ ٩م وكتابه فردوس الحكمة الذى يعد مدخلا لدراسة الطب فى الحضارة الإسلامية .

وأبو بكر محمد بن زكريا الرازى (ت فيما بين ٣١١ - ٣٢٠هـ/٩٢٣ - ٩٣٢م) ومن مؤلفاته رسالة فى طب الأطفال وهى أول مؤلف مستقل فى طب الأطفال كما سبق القول ، ورسالة فى الجدرى والحصبة ، والكتاب المنصورى وكتاب الحاوى وكتاب منافع الأغذية ومضارها وكتاب المرشد أو الفصول ، ويحسب للرازى أنه كان أول من أدخل

---

(١٣١) هندى ، دور العرب ، ص١٥٠ - ١٥١ .

(١٣٢) ابن رضوان ، على ، الكتاب النافع فى كيفية تعليم صناعة الطب ، تحقيق كمال السامرائى (١٩٨٦م)؛ (١٧٢ صفحة)؛ قطاية ، سلمان ، الطبيب العربى على بن رضوان رئيس أطباء مصر ، تونس (١٩٨٤م)، ص٩٨ - ١٠٤ ؛ ابن بطلان ، المختار بن الحسن ، دعوة الأطباء ، صفحات من الأدب الطبى العربى ، تحقيق ودراسة عزت عمر ، دمشق (٢٠٠٣م)، (٢٠٦ صفحة)؛ عوض ، محمد مؤنس ، من تاريخ الطب العربى فى العصور الوسطى أبو اسحاق بن على الرهاوى ومخطوطته أدب الطبيب ، القاهرة (١٩٩٣م)، (٩١ صفحة) ؛ عسيرى ، مريزن سعيد ، تعليم الطب فى المشرق الإسلامى نظمه ومناهجه حتى نهاية القرن السابع الهجرى ، مكة المكرمة (١٤١٢هـ/ ١٩٩١م) (١٠٩ صفحة)؛ الرازى ، أبو بكر محمد بن زكريا ، أخلاق الطبيب ، تحقيق عبد اللطيف العبد ، القاهرة (١٩٧٧م)؛ السامرائى ، كمال ، محنة الطبيب ، ضمن كتاب دراسات فى تاريخ الطب والعلوم العربية ، بغداد (١٩٩٣م)، ص٥٣ - ٦١ .

المستحضرات الطبية فى مداواة المرضى وعلاجهم .

وعلى بن أبى العباس وكتابه الملكى أو الكامل فى الصناعة الطبية (العصر البويهى) .

وعلى بن عيسى الكحال ويعتبره البعض مؤسس طب العيون فى العالم وكتابه تذكرة الكحالين .

وأبو القاسم خلف بن عباس الزهراوى أشهر الأطباء فى الأندلس وأول اسم فى عالم الجراحة فى العصور الوسطى وكتابه الأشهر الموسوم بـ « التصريف لمن عجز عن التأليف ».

وعماد الدين عمار الموصلى وكتابه المنتخب فى أمراض العيون .

وأبو جعفر أحمد بن إبراهيم المعروف بابن الجزار القيروانى (ت٣٩٦هـ/ ١٠٠٥م) ومن مؤلفاته « زاد المسافر وقوت الحاضر » و « طبيب الفقراء والمساكين » و « الاعتماد فى الأدوية المفردة » وغير ذلك .

وأبو على حسين بن عبد الله الشهير بلقب ابن سينا وهو شخصية فذة وعبقرية نادرة قل أن يجود الزمان بمثلها ، فى حين يعتبره أخرين ظاهرة فكرية ، ومن مؤلفاته الطبية القانون فى الطب و « ارجوزة فى الطب » و « التصريح فى فن التشريح و«كتاب الأدوية القلبية» أى أمراض القلب و « الاستبصار فى علاج الابصار » ورسائل فى المتانة وشقاق البواسير والفصد والأغذية والأدوية وفى الطب النفسى تحمل عنوان الفصول وغير ذلك .

والطبيب المصرى على بن رضوان (ت٤٦٠هـ/ ١٠٦٨م) ومن مؤلفاته « الأصول فى الطب و « كفاية الطبيب فى ما صح لدىّ من التجاريب» وكتاب « النافع فى تعليم صناعة الطب » وغير ذلك .

وأبو مروان عبد الملك بن أبى العلاء زهر بن أبى مروان بن زهر (ت٥٦٠هـ/ ١١٦٥م ودفن باشبيلية) ومن مؤلفاته « التيسير فى المداواة والتدبير » وكتاب «الأغذية والأدوية» وكتاب « القانون المقتضب» « ورسالة فى البرص والبهق» وغير ذلك .

وأبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت٥٩٤هـ/ ١١٩٨م) ومن مؤلفاته موسوعته الطبية الشهيرة (الكليات) فى سبعة مجلدات .

وأبو عمران موسى بن ميمون (ت٦٠١هـ/ ١٢٠٤م) ومن مؤلفاته « الفصول فى الطب» و «مقالة فى تدبير الصحة» و «مقالة فى البواسير وعلاجها».

وعبد اللطيف البغدادى (ت٦٢٩هـ/ ١٢٣١م) وكتابه الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة فى أرض مصر »، وقد اشتهر البغدادى بمنهجه التجريبى الذى طبقه على دراسة الهياكل العظيمة والجماجم فى مصر ، وقد أثبت خطأ جالينوس فى كلامه عن الفك السفلى عندما وصفه بأنه مكون من قطعتين من العظم يشدهما مفصلان من جهة الحنك ، أما البغدادى فقد أثبت أنه عظم واحد ليس فيه مفصل ولا درز أصلاً .

وأبو محمد عبد الله المالقى الأندلسى المعروف بابن البيطار (ت٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م) وقد صنف أهم مؤلف فى علم العقاقير وهو « الكتاب الجامع فى الأدوية المفردة » ووصف فيه ما ينوف عن ١٤٠٠ عقار منها ٣٠٠ عقار لم يرد ذكرها فى المؤلفات الأخرى .

وعلاء الدين أبو الحسن على القرشى المعروف بابن النفيس ت٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م أو ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م، وهو مكتشف الدورة الدموية الصغرى أو الدورة الرئوية قبل وليم هارفى (١٥٧٨ ـ ١٦٥٧م) بعدة قرون . ومن مؤلفاته كتاب « شرح تشريح القانون لابن سينا » و « قواعد علم التشريح » وغير ذلك .

وأبو الفرج موفق الدين يعقوب بن اسحاق الكركى الشهير بابن القف (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) ومن مؤلفاته عمدة الاصلاح فى عمل الجراح المعروف اختصاراً باسم العمدة ، وقد اكتشف ابن القف الشعيرات الدموية وتوصل لمعرفة وظيفتها .

وداود بن عمر الأنطاكى (ت١٠٠٨هـ/ ١٥٩٩م) ومن أهم مؤلفاته « تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب » ويعرف إختصاراً باسم التذكرة أو تذكرة داود(١٣٣).

---

(١٣٣) لمزيد من التفاصيل عن هؤلاء وغيرهم من الأطباء والصيادلة انظر ، قاسم ، الطب ، ص٧١ ـ ٩٢ ؛ هندى ، دور العرب ، ص٤٤٨ ـ ١١٩ ؛ حسين ، الموجز ، ص٣٨٣ ـ ٤١٧ ؛ عبد القادر ، ماهر ، دراسات وشخصيات فى تاريخ الطب العربى ، الاسكندرية (١٩٩٦م)، ص٢٢٥ ـ ٢٩٢ ؛ النجار ، عامر ، فى تاريخ الطب فى الدولة الإسلامية ، القاهرة ، ط٣ (١٩٩٤م)، ص٩٠ ـ ٢٢٩ ؛ السامرائى ، مختصر تاريخ الطب العربى ، جـ١ ، ص٤٦٧ ـ ٦٠٣؛ عرابى ، سمير ، علوم الأدوية والصيدلة عند علماء العرب والمسلمين ، القاهرة (١٩٩٩م)، (٦٥ صفحة)؛ الشيخ ، عادل محمد على ، ابن الجزار القيروانى ، بغداد (١٩٨٩م)، (٤٣ صفحة)؛ أعمال ندوة أبو بكر الرازى وأثره فى الطب ، بغداد (١٩٨٨م)، (١٧٤ صفحة)؛ ابن البيطار وأثره فى الطب والصيدلة (١٢١ صفحة)؛ قطاية ، الطبيب العربى على بن رضوان، (١٤٥ صفحة)؛ صالحية ، بحوث ومقالات فى الحضارة العربية الإسلامية، ص١٥٤ ـ ١٦٩ .

الفصل الخامس

أثر الحضارة الإسلامية فى أوروبا

أثر الحضارة الإسلامية في أوروبا :

يمكن القول ، من خلال ما تقدم عرضه ، أن الحضارة الإسلامية قد قامت بدورها في خدمة الحضارة الإنسانية خير قيام ؛ ورغم ذلك فان هناك كثيرين ممن يجهلون هذا الدور البارز للحضارة الإسلامية ولولاه لتأخرت النهضة الحديثة عدة قرون .

حقا قد يكون هناك أسباب لهذا الجهل ... وقد يكون تحامل بعض المستشرقين والعلماء الغربيين على التراث الإسلامى ، بل واهمال المسلمين أنفسهم لتراثهم وتاريخه فترة طويلة من عوامل وجود ذلك الاعتقاد .

وعن جذور هذا التحامل يمكن القول أنه كاد ينعقد الرأى عند جمهرة المستشرقين فى القرن التاسع عشر الميلادى على الاستخفاف بدور العرب فى بناء الحضارة الإنسانية ، والاصرار على أن الحضارة الأوروبية لا تدين بالفضل لغير أجدادهم من اليونان والرومان ، والادعاء بأن العرب بطبيعتهم لم يخلقوا للتفكير الأصيل المبتكر، وجاء هذا فى وقت اشتد فيه التعصب الدينى وقوى فيه الشعور بالتحزب الجنسى الذى يؤكد تفوق الجنس الآرى الأبيض على غيره من الأجناس ، وسبق أوروبا فى الخلق الحضارى على غيرها من القارات ، والارتفاع بالمسيحية فوق غيرها من الديانات ! وهكذا تمزقت العلاقات بين الحضارات الإنسانية بعضها والبعض الآخر ، واستقلت كل ثقافة عالمية عن غيرها من الثقافات . وفى هذا الجو نمت الاحقاد بين الشعوب بعضها والبعض وتهيأت الظروف لاستعمار الأقوياء للضعفاء .

ومنذ أواخر القرن ١٩م وأوائل القرن العشرين المنصرم قدر للتعصب الدينى والتحزب الجنسى أن تخف حدته وأن يعالج موضوع الحضارات الكبرى والثقافات العالمية ـ فى كثير من الحالات ـ بموضوعية وأمانة علمية . وعندئذ كشف العلماء والباحثون فى مؤتمراتهم العالمية وندواتهم الدولية وبحوثهم ودراساتهم الموضوعية عن نصوص ووثائق رفعت الحواجز التى كانت تقوم بين الحضارات بعضها والبعض ؛ وأثبتت هذه وتلك أن الحضارة الإنسانية متنوعة الينابيع متعددة المصبات وأن الحضارات الكبرى تتفاعل بعضها مع بعض وخلال عمليتى الأخذ والعطاء يزداد مضمونها خصوبة وثراءً ، وبالتالى فان حضارة اليوم فى أعلى مستوياتها ليست إلا

حصيلة جهود سبقت إليها حضارات عالمية تركت بصماتها فى تاريخ البشرية وتقدمها وهذا خير تمهيد للوحدة الإنسانية التى تنتفى معها الأحقاد وتتلاشى الاطماع وتتحقق الدعوة إلى السلام .

غير أن ما يعنينا فى هذا المقام هو أنه كان من دلالات هذا التحول من التعصب الدينى والتحزب الجنسى فى القرن التاسع عشر إلى السماحة والانصاف عند الكثيرين فى القرن العشرين المنصرم ما نراه من أحكام موضوعية صدرت فى تقييم الدور البارز للحضارة الإسلامية التى حملت مشعل النور والحضارة فى العالم كله خلال العصور الوسطى .

وليس أدل على اتصال حلقات الفكر الإنسانى عبر تاريخه الطويل من الإشارة إلى أن عميد مؤرخى العلم جورج سارتون (+ ١٩٥٦م) كان يسفه الرأى الذى يجعل العلم ـ أى علم ـ من خلق مفكر واحد لم يسهم فى انشائه أحد قبله ؛ أو يجعل الحضارة ـ أية حضارة ـ من صنع شعب واحد لم يسبقه إليها شعب آخر ، ومن أقواله « إن من الضلال أن يقال ان اقليدس هو أبو علم الهندسة أو أن أبقراط هو أبو علم الطب أو ... فان تاريخ العلم لا يعرف من الآباء الذين لم يولدوا الا أبانا الذى فى السموات ! ... ».

وبالنسبة للحضارة الإسلامية فان سارتون يؤكد أن ما حققته المعجزة العربية ويقصد الحضارة الإسلامية فى عصرها الذهبى ـ فى المجال العلمى يكاد يتجاوز حد التصديق[١].

ويؤكد ذلك أيضًا العالم كويلر يونج فى بحثه الذى القاه فى مؤتمر الثقافة الإسلامية الذى عقد برعاية جامعة برنستون ومكتبة الكونجرس فى واشنطن عام ١٩٥٣م حيث يذكر فى ختام بحثه الموسوم بـ « أثر الثقافة الإسلامية فى الغرب المسيحى » ما نصه « وبعد ، فهذا عرض تاريخى قصد به التذكير بالدين الثقافى

---

(١) الطويل ، توفيق ، العرب والعلم فى عصر الإسلام الذهبى ، القاهرة (١٩٦٨م)، ص٨٦ ـ ٩٠ ؛ فى تراثنا العربى الإسلامى ، الكويت (١٩٨٥م)، ص٥٨ ـ ٦١ .

الذى ندين به للإسلام ، منذ أن كنا نحن المسيحيين ـ داخل هذه الألف سنة نسافر إلى العواصم الإسلامية والى المعلمين المسلمين ندرس عليهم العلوم والفنون وفلسفة الحياة الإنسانية، وفى جملة ذلك تراثنا الكلاسيكى الذى قام الإسلام على رعايته خير قيام حتى استطاعت أوروبا مرة أخرى أن تتفهمه وترعاه ، كل هذا يجب أن يماذج الروح التى نتجه بها ـ نحن المسيحيين ـ نحو الإسلام نحمل إليه هدايانا الثقافية والروحية فلنذهب إليه ـ إذن ـ فى شعور بالمساواة نؤدى الدين القديم ، ولن نتجاوز حدود العدالة إذ نحن أدينا ما علينا بربحه ولكننا سنكون مسيحيين حقا إذا نحن تناسينا شروط التبادل واعطينا فى حب واعتراف بالجميل »[٢].

ومن هؤلاء أيضًا كراوثر الذى عرض فى كتابه موجز تاريخ العلم الصادر فى لندن ١٩٦٩م للدور الخلاق الذى قام به المسلمون والذى يتجاوز حدود النقل إلى التطوير والإضافة والإبداع واكتسب العلم على أيديهم وربما لأول مرة فى التاريخ صفة العالمية[٣].

أما توماس جولدشتاين الذى أفرد دراسة مهمة حول المقدمات التاريخية للعلم الحديث من الاغريق القدماء إلى عصر النهضة (نيويورك ـ ١٩٩٥م) فقد أطلق على الفصل الذى عقده لدراسة اسهامات العصر الإسلامى اسم « هبة الإسلام » فهل هناك عنوان أجمل من هذا يعبر عن الدور البارز للحضارة الإسلامية فى نشأة وتقدم العلم الحديث ؟ ، وقد ختم هذا الفصل بقوله « لم تستقبل أوروبا العلم العربى من أجل رصانته وحدها بأى حال بل استقبلته بدرجة كبيرة كجزء من حركة ثقافية كانت أوروبا مستعدة لها وكل طاقاتها موجهة باتجاهها . ثمة وميض وتألق وتوهج وبهاء ينبعث من البلدان الإسلامية عبر أوروبا خلال القرون الوسيطة الأخيرة له علاقة أكبر بتحرير الحواس مما له بمجرد الدراسة المجتهدة للبصريات أو الحساب ، لكن بالنسبة لقلة من العقول التى لا تزال منعزلة ومستوحدة فى العادة تصادف أن يعنى العلم بالضبط ما عناه بالنسبة إلى علماء الإسلام نمطا من البحث الشديد التخصص كانوا مستعدين

---

(٢) أحمد ، محمد خلف الله ، الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة ، بحوث ودراسات إسلامية ، القاهرة (١٩٥٥م)، ص٢٥٧ .

(٣) قام بترجمة هذا الكتاب إلى العربية يمنى طريف الخولى وبدوى عبد الفتاح تحت عنوان قصة العلم ، القاهرة (١٩٩٨م)، ص٩ ، ٥٦ ـ ٦٣ .

لمواصلته من حيث انتهى المسلمون وللتقدم به بشروطه المدققة والمضنية »(٤).

ويذكر جيوم « وقد قضى جهل أسلافنا ـ من أهل الغرب ـ بلغة العرب ألا يتذوقوا إلا القليل من هذه الحياة الخصبة المنوعة ، ولهذا فإن الامبراطورية الإسلامية فى أوروبا حين غابت شمسها واندحر البربر ضاعت باندحارهم كل الوان العلم الذى لم يكن الغربيون قد تمثلوه من قبل ، ورغم هذا فقد بقيت الحالة العقلية فى الشرق والغرب إلى القرن الثالث عشر على اتصال لم يكن له نظير منذ ذلك العهد ... وسوف نرى عندما تخرج إلى النور الكنوز المودعة فى دور الكتب الأوروبية أن تأثير العرب الخالد فى حضارة العصور الوسطى كان أجل شأنا وأكبر خطراً مما عرفناه حتى الآن »(٥).

ومهما يكن من أمر فقد إتضحت الرؤية الصائبة لأسبقية الحضارة الإسلامية فى العديد من المجالات فى العصور الوسطى مما مهد لقيام الحضارة الأوروبية الحديثة .

ويمكن القول أن المسلمين قد تسلموا القبس من بناة الحضارات السابقة بفضل حركة الترجمة السابق الإشارة إليها ، وأنه قد ظل فى أيديهم بضعة قرون من الزمان يضيئون بنوره حياتهم وحياة من إتصل بهم أو عاش فى ظلهم ، وفى الوقت الذى أوقد فيه العرب شعلة الحضارة الوضاءة كانت أوروبا ـ منذ سقوط الدولة الرومانية الغربية فى أيدى القبائل الجرمانية المتوحشة ٤٧٦م ـ فى حالة مزرية من البداوة والجهالة والتخلف ، وحين أخذت تستيقظ بعد سبات عميق دام بضعة قرون من الزمان (٦) ارتدت إلى تراث الحضارة الإسلامية التى كانت تحمل وحدها مشعل النور وراحت تنهل

---

(٤) جولدشتاين ، توماس ، المقدمات التاريخية للعلم الحديث ، من الاغريق القدماء إلى عصر النهضة ، ترجمة أحمد حسان عبد الواحد ، الكويت (٢٠٠٣م)، ص١٠٩ ـ ١٤٤ ؛ ط٢ ، القاهرة (٢٠٠٤م)، ص١٠٩ ـ ١٤٤ .

(٥) جيوم ، الفرد ، الفلسفة والالهيات ، ترجمة وتعليق توفيق الطويل ، ضمن كتاب تراث الإسلام ، جـ١ ، القاهرة (١٩٣٦م)، ط٢ ، (١٩٨٣م)، ص٣٢٣ .

(٦) كانت الفترة الوافقة بين عامى ٤٧٦ ـ ١٠٠٠م ، هى فترة العصور المظلمة فى أوروبا عامة وبالنسبة للمدن الأوروبية ومكانتها وما صاحبها من تدهور فى التجارة والصناعة وغير ذلك ؛ نسيم ، جوزيف ، تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وحضارتها ، بيروت ، ط٢ (١٩٨٧م)، ص٢٢١ .

من معينه وتسقى ظمأها من ينابيعه(٧).

وإذا كان الأمر كذلك فما هى إذن المعابر اتى انتقلت من خلالها الحضارة الإسلامية إلى الغرب الأوروبى ؟

ها علماء الغرب بعض الاختراعات

يمكن القول أن الاتصال الحضارى بين العالم الإسلامى وبين الغرب الأوروبى قد تم من خلال عدة معابر وهى :

١ ـ اسبانيا وصقلية وجنوب إيطاليا .

٢ ـ التجارة .

٣ ـ الحروب الصليبية .

٤ ـ حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية .

٥ ـ الدولة العثمانية .

ولما كان المقام لا يتسع لابراز أثر كل معبر من هذه المعابر على حده ، وفقا للحظة الموضوعة لهذا الكتاب المجمّل ؛ على أن نعود إليها تفصيلا واسهابا وتحليلا فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) ولذلك حسبنا أن نؤكد على عدة حقائق تتعلق بهذا الموضوع :

١ ـ ان اسبانيا أصبحت منذ الفتح العربى للأندلس عام ٩٢هـ/ ٧١١م نقطة التقاء حضارتين متضادتين قام بينهما صراع مرير طال أمده وانتهى بتفوق احداهما على الأخرى فى نهاية القرن ٩هـ/ ١٥م وبالتحديد عام ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م عندما تغلب الملكان الكاثوليكيان على غرناطة وأطفئت بذلك آخر جذوة لحضارة الإسلام فى الأندلس . وعلى هذا الأساس كانت اسبانيا تنقسم خلال ثمانية قرون إلى شطرين متعاديين منفصلين جغرافيا وعنصريا ، على أن ذلك لا يعنى أنه لم تكن هناك خلال تلك القرون الطويلة اتصال بينهما سوى قرعات السلاح ، بل كانت هناك اتصالات أخرى وتقاليد مشتركة بطبيعة الحال .. إذ كانت التأثيرات الحضارية تتسرب من أكثر هذين الشطرين تقدمًا وحضارة إلى أشدهما تأخراً ـ كالماء يندفع من أعلى المناطق إلى أشدها انخفاضًا ـ وذلك عن طريق المستعربين والمسالمة فى اسبانيا الإسلامية والمدجنين

---

(٧) الطويل ، فى تراثنا ، ص٦٢ .

ومتنصرة العرب أو الموريسكيين فى اسبانيا المسيحية ، ومن هنا أضحت أسبانيا معبراً رئيسياً لانتقال التأثيرات الحضارية الإسلامية إلى أوروبا(٨).

أما صقلية فقد انضوت تحت لواء الحضارة الإسلامية فيما بين ٢١٢ ـ ٤٨٤هـ/ ٨٢٧ ـ ١٠٩١م، وظل المسلمون بها من ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م ، حتى تم نفيهم إلى جنوب ايطاليا ثم القضاء عليهم نهائيا عام ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م، ورغم ذلك فقد ازدهرت الحضارة الإسلامية فى ظل رعاية وتشجيع ملوك النورمان بها ، وهو الأمر الذى جعل من صقلية معبراً أساسيا من معابر الحضارة الإسلامية إلى إيطاليا ومنها إلى بقية الغرب الأوروبى(٩).

٢ ـ كان للتجارة أثر بارز فى الاتصال الحضارى بين العالم الإسلامى والغرب

---

(٨) سالم ، فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس ، الاسكندرية (١٩٨٥م)، ص٣٠٥ ؛ وعن أهمية هذا المعبر انظر ، عاشور ، المدنية الإسلامية ، ص٤٩ ـ ٥٣ ؛ الملا ، أحمد على ، أثر العلماء المسلمين فى الحضارة الأوروبية ، بيروت (١٩٩٦م)، ص١٢٦ ـ ١٣٠ ؛ وات ، مونتجومرى ، فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، ترجمة حسين أحمد أمين ، القاهرة (١٩٨٣م)، ص٨ ـ ١١ ، ٢٣ ـ ٢٥ ، ٤٣ ـ ٤٥؛ القاضى ، مختار ، آثر المدنية الإسلامية فى الحضارة الغربية ، القاهرة (١٩٧٢م)، ص٦٧ ـ ٨٠ ؛ أبو خليل ، شوقى ، علماء الأندلس ابداعاتهم المتميزة وأثرها فى النهضة الأوروبية ، دمشق (٢٠٠٤م)، (٩٦ صفحة) ؛ مظهر ، جلال ، مآثر العرب على الحضارة الأوروبية ، القاهرة (١٩٦٠م)، ص٤٧ ـ ٥١ ؛ غوميز ، مارغريتا لوبيز ، اسهامات حضارية للعالم الإسلامى فى أوروبا عبر الأندلس ، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية فى الأندلس ، جـ٢ ، بيروت ، ط٢ (١٩٩٩م) ، ص١٤٧٧ ـ ١٤٨١؛ مكى ، محمود ، تاريخ الأندلس السياسى ٩٢ ـ ٨٩٧هـ/ ٧١١ ـ ١٤٩٢م ، دراسة شاملة ، ضمن الموسوعة المشار إليها سابقا ، جـ١ ، ص٥٥ ـ ١٥٠ ؛ نتنج ، انتونى ، العرب ، انتصاراتهم وامجاد الإسلام ، ترجمة راشد البرواى ، القاهرة (١٩٧٤م)، ص٢٠٧ ـ ٢١٢ .

(٩) عن تاريخ صقلية الإسلامية وأهميتها انظر ، عاشور ، المدنية الإسلامية ، ص٥٣ ـ ٥٦ ؛ رسلان ، عبد المنعم ، الحضارة الإسلامية فى صقلية وجنوب ايطاليا ، جده (١٩٨٠)، ص١٧ ـ ٢٥ ؛ غانم ، حامد زيان ، تاريخ الحضارة الإسلامية فى صقلية وأثرها على أوروبا ، القاهرة (١٩٧٧م)، (وهو من الكتب المهمة فى هذا الشأن)؛ الجندى ، جمعة محمد مصطفى ، علاقة نورمان صقلية بالقوى الإسلامية فى شمال افريقية خلال القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسالة ١٩٤ ، الحولية ٢٣ ، الكويت (٢٠٠٢ ـ ٢٠٠٣م)، (١١٢ صفحة)؛ المدنى ، أحمد توفيق ، المسلمون فى جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا ، الجزائر (١٩٦٩م)؛ مورينو ، مارتينوماريو ، المسلمون فى صقلية ، بيروت (١٩٦٨م)؛ الطيبى ، أمين توفيق ، دراسات فى تاريخ صقلية الإسلامية ، =

الأوروبى المسيحى فى العصور الوسطى وكان للمدن التجارية الإيطالية ومن أهمها البندقية وجنوه وبيزا دور كبير فى هذا المجال(١٠).

٣ـ **الحروب الصليبية** : مهما كانت الدوافع التى كانت وراء تلك الحملات التى خرجت من أوروبا إلى الشرق والمعروفة باسم الحروب الصليبية فيما بين ٤٩٠ ـ ٦٩٠هـ/ ١٠٩٦ ـ ١٢٩١م ؛ إلا أن ما يعنينا منها فى هذا المقام هو ما تمخض عنها من توسيع دائرة الاتصالات والعلاقات بين الشرق والغرب ، وبالتالى حدوث التأثيرات

= ليبيا (١٩٩٠م)، أحمد ، عزيز ، تاريخ صقلية الإسلامية ، ترجمة أمين توفيق الطيبى ، طرابلس الغرب ، تونس (١٩٨٠م)؛ أمارى ، ميخائيل ، المكتبة العربية الصقلية ، نصوص فى التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع ، ليبسك (١٨٥٧م)، بيروت ، دار صادر ، ط٢ ، د ت (٧٤٠ صفحة) ؛ نتنج ، العرب ، ص٢١٢ ـ ٢١٤ ؛ عباس ، احسان ، العرب فى صقلية ، القاهرة (١٩٥٩م) ؛ الدوري، تقى الدين ، صقلية وعلاقتها بدول البحر المتوسط ، بغداد (١٩٨٠م)؛ محمد ، عمر يحيي ، السياسة الفاطمية فى صقلية وجنوب ايطاليا ، وقائع تاريخية ، مركز البحوث والدراسات التاريخية ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة (يناير ٢٠٠٥م)، ص٥ ـ ٣٥ .

(١٠) وات ، فضل الإسلام ، ص٢٩ ـ ٣٢ ؛ لويس ، القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ، ص١ ، ١٨٩ ، ١٩١ ، ٢٦٦ ـ ٢٧١ ؛ القاضى ، أثر المدنية الإسلامية ، ص١٧٥ ـ ١٧٧ ؛ عطية ، عزيز سوريال ، الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب ، القاهرة (١٩٩٠م)، ص١٥٠ ـ ١٩٤ ؛ اليوسف ، عبد القادر أحمد ، علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادى عشر والخامس عشر ، صيدا ، بيروت (١٩٦٩م)، ص٢٥٩ ـ ٢٦٤ ؛ ديل ، شارل ، البندقية جمهورية ارستقراطية ، ترجمة أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق اسكندر ، القاهرة (١٩٤٧م)، (٢٥٢ صفحة)؛ عاشور ، فايد حماد ، العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى الإسلامى فى العصر الأيوبى ، القاهرة (١٩٨٠م)، (٣٣٦ صفحة) ؛ نسيم ، جوزيف ، علاقات مصر بالممالك التجارية الإيطالية فى ضوء وثائق صبح الأعشى ، الاسكندرية (١٩٧١م)؛ عبد النبى ، ناجلا محمد ، مصر والبندقية ، العلاقات السياسية والاقتصادية فى عصر المماليك ، القاهرة (٢٠٠١م)، (٢٥٧ صفحة)؛ غابرييلى ، فرانشيسكو ، الإسلام فى عالم البحر المتوسط ، تراث الإسلام ، جـ١ ، الكويت ، ط٢ (١٩٨٨م)، ص١٠١ ـ ١٥٩ ؛ أبو العافية ، داود ، دور التجارة فى الاتصال الإسلامى / المسيحى خلال العصور الوسطى ، ضمن كتاب التأثير العربى فى أوروبا العصور الوسطى ، ترجمة قاسم عبده قاسم ، القاهرة (١٩٩٩م) ، ص١٥ ـ ٤٢ ؛ كونستيل ، اوليفيا ريمى ، التجار المسلمون فى تجارة الأندلس الدولية ، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية فى الأندلس ، جـ٢ ، ص١٠٦٣ ـ ١٠٨٦ .

الحضارية فى شتى المجالات[١١].

٤ ـ حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية :

قامت حركة الترجمة من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية بدور بارز جليل الشأن فى النهضة الأوروبية ، وكانت اسبانيا وصقلية من أهم مراكز حركة الترجمة ؛ ومن بين هؤلاء المترجمين روبرت الشسترى ، وأديلارد الانجليزى وهوغو الشنتالى وقسطنطين الافريقى وجيرارد الكريمونى (ايطاليا) وهرمان الألمانى من كارنثيا (شرقى التيرول وشمالى البندقية) وبطرس الفونس وحنا الاشبيلى وإبراهيم بن عزرا والفرد الانجليزى وفرج بن سالم اليهودى وايوجنيوس البالرمى (من بالرمو بصقلية) وغيرهم[١٢].

وليس أدل على أهمية حركة الترجمة من الإشارة إلى ما ذكره جرونيباوم بقوله « كان العلماء العرب ... مصدر الهام قوى للغرب ابان العصر الوسيط ، ولم يكن

---

(١١) عاشور ، الحركة الصليبية ، جزءان ، القاهرة (١٩٧١م) ؛ المدنية الإسلامية ، ص٥٦ ـ ٦٠ ؛ القاضي، أثر المدنية الإسلامية ، ص١٧١ ـ ١٧٤ ؛ عطية ، الحروب الصليبية ، (٢٧٢ صفحة) ؛ الحويرى ، محمود محمد ، الأوضاع الحضارية فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر من الميلاد ، القاهرة (١٩٧٩م)، (٢٩٢ صفحة)؛ العرينى ، السيد الباز ، الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، القاهرة (١٩٦٣م)؛ رنسيمان ، ستفن ، تاريخ الحروب الصليبية ، ٣ أجزاء ، ترجمة السيد الباز العرينى ، بيروت (١٩٦٧ ـ ١٩٦٩م) ؛ باركر ، ارنست ، الحروب الصليبية ، ترجمة العرينى ، بيروت، ط٤ ، (١٩٦٧م) ؛ حلاق ، حسان ، العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى ، بيروت (١٩٨٦م) ؛ لويس ، برنارد ، السياسة والحرب ، ضمن تراث الإسلام ، جـ١ ، ط٢، (١٩٨٨م)، ص٢٧٠ ـ ٢٧٧ ؛ اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب ، ص١٥٥ ـ ١٨٨ ، ٢١٣ ـ ٢٣٠ ، ٢٦٢ ـ ٢٦٤ .

(١٢) عاشور ، المدنية الإسلامية ، ص٦٠ ـ ٦٧ ؛ القاضى ، أثر المدنية ، ص١٧٨ ؛ وات ، فضل الإسلام ، ص٨٣ ـ ٨٧ ؛ بيرنيت ، تشارلز ، حركة الترجمة من العربية فى القرون الوسطى فى اسبانيا ، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية فى الأندلس ، جـ٢ ، ص١٤٣٩ ـ ١٤٧٥ ؛ السامرائى ، كمال ، الطب العربى فى أوروبا اللاتينية ، ضمن كتاب فضل العرب فى الطب على الغرب ، بغداد (١٩٨٩م) ، ص٨٣ ـ ٩٥ ؛ على ، سيد رضوان ، العلوم والفنون عند العرب ودورهم فى الحضارة العالمية ، الرياض (١٩٨٧م)، ص١٠٧ ـ ١٢٠ ؛ الطويل ، فى تراثنا العربى الإسلامى ، ص٢٠٩ ـ ٢١٨ ؛ النجار ، زغلول ، الدفاع ، على ، اسهام علماء المسلمين الأوائل فى تطور علوم الأرض ، الرياض ، مكتب التربية العربى لدول الخليج (١٩٨٨م)، ص٢٠ ـ ٢٢ .

الغرب فى بعض الاحيان يكتفى بالتلهف على قبول المادة التى يقدمها المسلمون والتى أصبح فى المستطاع الوصول إليها بما تم من تراجم واسعة النطاق نظمت فى أول الأمر فى طليطلة على معيار ضخم وبمساعدة علماء من اليهود فى أوليات القرن الثانى عشر ؛ بل كان الغرب يتبنى كذلك الشروح التى وضعها مفكرو العرب لهذه المادة ففى القرن الرابع عشر لم تقبل جامعة باريس ادخال دراسة أرسطو إلا مفسرة فى شروح ابن رشد وكان كبار علماء المسلمين ينظر إليهم بعين الرهبة وربما أوتو ثقة وسلطانًا لا سبيل إلى تحديهما »(١٣).

٥ـ الدولة العثمانية :

كانت علاقة الدولة العثمانية بأوروبا ولا سيما خلال القرنين ٩ ـ ١٠هـ/ ١٥ ـ ١٦م تقوم على أساس أنها الدولة العظمى التى تستجلب ما تحتاج إليه من خارج نطاق عالمها ودائرة نفوذها ؛ ولذلك كان يشعر العثمانيون بأنهم أقوى من خصومهم الأوروبيين فى كافة المجالات العسكرية والاقتصادية ؛ إذ كانوا يسيطرون على المناجم الغنية ويتحكون فى طرق التجارة ، ويخرجون من كافة المعارك التى يخوضونها بالنصر مما جعلهم يشعرون بالتفوق المادى ، أضف إلى ذلك ايمانهم العميق بأن الدين الذى يعتنقونه هو خاتم الأديان وأصدقها وبأنهم ورثة الحضارة الإسلامية الزاهرة فى القرون السابقة ، وقد كان هذا الاحساس المادى والمعنوى هو الذى يوجه نظرتهم إلى أوروبا ثم لم يلبثوا أن أدركوا مدى تفوق أوروبا فى مجال التقنية العسكرية أو القوة الاقتصادية وحاولوا اللحاق بها(١٤).

وعلى ذلك يمكن القول بأن التأثير الإسلامى على أوروبا خلال تلك الفترة لا يمكن مقارنته بتأثير المرحلة السابقة ؛ ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى اختلاف الأوضاع الحضارية فى أوروبا عن ذى قبل ؛ ففى المرحلة الأولى كانت أوروبا لا تزال تستيقظ من سباتها العميق ومن ثم ارتمت فى أحضان الحضارة الإسلامية لتنهل من معينها وترتوى من ينابيعها ، أما الآن ـ أى خلال المرحلة الثانية المعاصرة للدولة العثمانية فى القرنين

---

(١٣) جرونيباوم ، حضارة الإسلام ، ص٤٣٢ .

(١٤) اوغلى ، الدولة العثمانية ، جـ٢ ، ص٤٩٥ ـ ٤٩٦ .

٩ ـ ١٠هـ/ ١٥ ـ ١٦م وما بعد ذلك ـ فقد أصبحت الحال غير ذات الحال ؛ إذ صارت أوروبا تعيش عصر نهضتها وعصر الاصلاح ، وقد اكتسبت وعيا بذاتها وتملكها حب استطلاع عقلى لم يكن له أى نظير فى العالم الإسلامى المعاصر آنذاك ، والذى كان هو نفسه مهدداً بالنزعة التوسعية السياسية والاقتصادية للأوروبيين(١٥).

ولذلك فقد شهدت هذه المرحلة نوعا من التأثيرات المتبادلة فى بادئ الأمر ، ثم لم تلبث أن غلبت التأثيرات الأوروبية وأصابت الناس حمى التفرنج ولا سيما خلال القرن ١٩م وما تلاه .

وفى ضوء ذلك فإن معالجة التأثيرات الحضارية فى تلك المرحلة الثانية تحتاج إلى نظرة تحليلية أكثر شمولاً وهو ما سوف نعود إليه فى دراسة لاحقة (بمشيئة الله تعالى) .

أما عن مظاهر آثر الحضارة الإسلامية فى أوروبا فنستطيع أن نجملها فى النقاط التالية :

أ ـ فى الأدب : يختلف أثر العرب فى النهضة الأوروبية فى ميدان الأدب عنه فى أى ميدان آخر نظراً إلى طبيعة المادة نفسها وإلى ظروفها ، فالشعر العربى لم يكن كالفلسفة والطب نتاج حضارات سابقة حملها العرب بأمانة وأضافوا إليها فى أصالة ولعبوا فيها الدور الأخير والأساسى قبل أن يسلموها إلى عصر النهضة ؛ وإنما الشعر العربى كان عربيا خالصا لم يتأثر بأدب حضارات سابقة ، ومن ثم فإن الشعر العربى كان شعراً عربيًا خالصًا لم يسهم فى تطوره وفى مراحله الأخيرة إلا قوم استظلوا بالحضارة الإسلامية وتأثروا بها ، وتفريعا من هذه الحقيقة نجد أن الشعر لم ينتقل عن طريق الترجمة وإنما انتقل من خلال عملية معقدة متأثرة بهذه الحقائق . كان لا بد إذن من انصهار سكان جنوبى اسبانيا وصقلية وجنوب غرب فرنسا فى بوتقة الحضارة الإسلامية حتى يستسيغوا النماذج العربية فى فن الآدب ، كما أنه كان لا بد لشكل هذا الفن ومضمونه من أن يتطور بفضل هذا الشعب الخليط الجديد لتوحيد النماذج المؤثرة فى شكل متجدد متطور ليس من السهل رصد حلقاته ، ولقد أخذ الدارسون المدققون يستخرجون نصوص هذه النماذج حديثا ليدلوا بالبرهان العملى على عملية

---

(١٥) غابرييلى ، الإسلام فى عالم البحر المتوسط ، ص١٥٨ ـ ١٥٩ .

التأثير والعطاء العربيين لشعر النهضة وآدابها لأن الأدب لا بد فيه من النماذج : من الأصل ومن التقليد معًا لتدل على الأخذ والعطاء(١٦).

وكان أهم ميدان لهذا الالتقاء والامتزاج فى مجال الأدب هو ما حدث فى الأندلس أولاً ثم صقلية ثانيًا .

هذا وقد تأثرت الآداب الأوروبية فى العصور الوسطى وبداية العصر الحديث تأثراً واضحا بموضوعات الأدب العربى وقد اعترف بذلك عدد كبير من العلماء والمستشرقين وحسبنا أن نشير إلى بعضهم فها هو المستشرق جب يقول « ... ربما كان خير ما أسدته الآداب الاسلامية لآداب القرون الوسطى أنها أثرت بثقافتها العربية وفكرها العربى فى كلا شعر القرون الوسطى ونثرها سواء أظهرت فى هذا الشعر أو النثر مواد أخذت عن مصادر عربية أم لم تظهر ... ».

ويضيف جب فيذكر « وهكذا نجد أن تشرب العصور الوسطى بموضوعات الأدب العربى كان فى الحقيقة يؤلف مظهراً من مظاهر حركة فكرية عامة شملت تلك العصور، فقد كانت النظم الدينية الضيقة التى اتصفت بها العصور الوسطى لا تتسع للحضارة اللاتينية وبات الناس يتشوقون إلى معرفة مسائل كانت إلى هذا الحين تمليها عليهم السلطات العليا فيقبلونها فى غير مشقة ، ولما لم يجدوا مقنعا فيما لديهم من الآداب اللاتينية على ضيقها وجدبها وافتقارها إلى قوة الإبداع ، كان لا بد لهم من أن يولوا وجوههم شطر جهة أخرى لعلهم أن يظفروا بما كانوا يرغبون فيه ، ولقد كانوا إلى ذلك الحين يعترفون على مضض بتفوق العالم الإسلامى فى الناحية الحربية فحسب ، ولكنهم لم يلبثوا يومئذ أن لاحظوا فى شئ من الخجل أنه يبزهم فى الحياة العقلية أيضًا(١٧).

ويؤكد ذلك ما ذكره أيضًا جرونيباوم بقوله « ... وإن نفس وجود العالم الإسلامى كان له أثر كبير فى صوغ التاريخ الأوروبى والحضارة العربية ... ذلك أن القصص الإسلامى والأخيلة الشعرية وفلسفة الغيبيات الإسلامية وجراءة المذاهب الصوفية

---

(١٦) القلماوى ، سهير ؛ مكى ، محمود على ، أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوروبية (الفصل الأول ـ فى الأدب)، ص٢١ ـ ٢٢ .

(١٧) جب ، الأدب ، ضمن تراث الإسلام ، جـ١ ، ص١٨٩ ـ ١٩٠ .

الإسلامية قد تركت جميعا آثارها ببلاد الغرب فى القرون الوسطى ، ولا شك أن أعظم رجال اللاهوت وأعظم الشعراء فى القرون الوسطى الأوروبية مدينون للإسلام بأكبر الفضل فى ناحيتى الالهام والمادة ... »[١٨].

وتتجلى مظاهر هذا التأثير فى مجالى الشعر والنثر على السواء .

ففى الشعر نجد أن الشعر الأوروبى المعروف بشعر التروبادور (وهناك من يرى أن هذه اللفظة تتركب من مقطعين (هما دور طرب) قدمت فيه الصفة على الموصوف)، قد تأثر بالشعر العربى الأندلسى الذى امتاز بالرومانتيكية البالغة فى الغزل الرقيق والرثاء الباكى وغير ذلك كما هو الحال فى الموشحات (باللغة الفصحى) والأزجال (بالعامية) وما يمتاز به من صدق تمثيله لنفسية الإنسان وخواطره وانفعالاته .

وكان المستشرق الاسبانى دون خوليان ريبيرا هو أول من تنبه إلى وجود تماثل فى تركيب الأبيات وتعاقب القوافى بين الشعر العربى الأندلسى وأغانى التروبادور الاكيتانية والبروفانسية وكان جيوم التاسع دوق اكيتانيا هو أول شاعر غنائى معروف كتب بلغة رومانسية وكانت له علاقة وثيقة باسبانيا المسيحية ؛ فقد زار اسبانيا وساعد الفونسو المحارب ، كذلك فان التروبادور ماركو برو رحل إلى قشتاله واشترك مع الفونسو السابع فى إحدى حملاته على اسبانيا الإسلامية وهكذا تغلغل الشعر الشعبى الأندلسى فى الشعر الغنائى البروفانسى فظهر فى جنوب فرنسا ووسطها ثم انتشر فى شمال شبه جزيرة ايبيريا وايطاليا بعد ذلك .

أما الأثر العربى فى النثر الأوروبى فليس فيه مجال للشك أيضًا ، فقد أثرت القصص العربية الشهيرة فى الآداب الغربية ومنها قصص ألف ليلة وليلة وقد تأثر بها الكاتب الايطالى الشهير بوكاشيو فى كتابه الموسوم بـ « الأيام العشرة » ويحوى هذا الكتاب مائة قصة ، أبطالها سبع سيدات وثلاث رجال عاشوا فى مكان منعزل وخصص لكل واحد منهم قصة يرويها على رفاقه لمقاومة ما يعتريهم من ملل فى وحدتهم ، وقد ظهر هذا الأثر أيضًا فى قصص شوسر المعروفة بـ « قصص كانتو

---

(١٨) جرونيباوم ، حضارة الإسلام ، ص٤٣٥ .

بوري »[19].

ولا تفوتنا الإشارة إلى دانتي اليجييري (+ ١٣٢١م) الذى تأثر أكثر من غيره بالأدب العربي والتراث الفلسفي والديني الإسلامي وهو ما يتجلى في الكوميديا الالهية التي تعكس بوضوح تأثر دانتي بالثقافة الإسلامية ومنها قصة الإسراء والمعراج ورسالة الغفران لأبي العلاء المعرى والفتوحات المكية لمحيي الدين ابن عربي ولا سيما الفصل المعروف بكيمياء السعادة وأضاف البعض أيضًا منظومة سير العباد إلى المعاد للشاعر الفارسي الكبير سنائي (المتوفى ٥٢٦هـ/ ١١٣١م)[20].

أما في إيطاليا فإنه يكفي لفهم مدى تأثير العرب الأدبي عليها أن نذكر هذه المقاطع من شعر بترارك شاعر ايطاليا الأكبر (+ ١٣٧٤م) حيث قال « ماذا ؟.. أيحل شيشرون محل ديموستين ويضحى فيرجيل شاعراً بعد هوميروس ثم لا يبقى بعد العرب من هو قادر على الكتابة؟ ؛ ... نحن متعادلون مع الاغريق في أكثر الأحيان وأحيانا تجاوزناهم ، بل تجاوزنا جميع الأمم ولكن قل لي هل تجاوزنا العرب ، ياللجنون ، ياللرحمة ، يا عبقرية ايطاليا انهضى أو فلتنطفى »[21].

كذلك كان للقصص الخيالية والخرافية ذات المغزى الأخلاقي أو التي تتخذ الحيوان

---

(١٩) عاشور ، المدنية الإسلامية ، ص٧٢ ـ ٧٨ ؛ القلماوى ومكى ، أثر ، ص٣١ ـ ٦٢ ؛ سالم ، فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس ، ص٢٠٧ ـ ٢١٣ ؛ ولمزيد من التفاصيل انظر ما كتبه جيوم فى تراث الإسلام (جـ١) السابق الإشارة إليه ، يعقوب ، جورج ، أثر الشرق فى الغرب ، ترجمة فؤاد حسنين على ، القاهرة (١٩٤٦م)، ص٨٢ ـ ٨٦ ؛ بروفنسال ، ليفى ، الشعر العربى فى الأندلس وأثره فى الشعر الأوروبى فى العصر الوسيط ، مجلة الكتاب (مايو ١٩٤٧م)، ص١٠٤٠ ـ ١٠٤١ ؛ ومن الدراسات الحديثة : ولستان ، دافيد ، الغلمان والنساء والسكارى : هل هناك تأثير اسبانى ـ موريسكى على الأغنية الأوروبية ؟ ضمن كتاب التأثير العربى فى أوروبا العصور الوسطى ، ص١٥٩ ـ ١٩٠ ؛ الجيوسى ، سلمى الخضراء (تحرير)، الحضارة العربية الإسلامية فى الأندلس ، جـ١ ، بيروت ، ط٢ (١٩٩٩م)، ص٦٥٧ ـ ٦٩٦ ، ٧٢٧ ـ ٧٩٩ .

(٢٠) آسين ، ميجيل ، أثر الإسلام فى الكوميديا الالهية ، ترجمة جلال مظهر ، القاهرة (١٩٨٠م)، (٢٧٢ صفحة)؛ فضل ، صلاح ، تأثير الثقافة الإسلامية فى الكوميديا الالهية لدانتى ، القاهرة ، ط٣ ، (١٩٨٦م)، (٣٩٢ صفحة) .

(٢١) عن : بهنسى ، عفيف ، أثر الجمالية الإسلامية فى تكوين الفن الحديث ، القاهرة ، دمشق (٢٠٠٠م)، ص٦٦ .

محوراً لها أثرها فى الأدب الأوروبى بعد أن تمت ترجمة العديد من هذه القصص الى اللغة اللاتينية وغيرها ، ومن القصص الأوروبية التى نتلمس فيها هذا التأثير قصة ايزولد ذات اليد البيضاء وقصة فلورا والزهرة البيضاء وقصة القاسم ونيقوليت وقصة أماديس دى جولاء وغيرها ، وقد اعترف المستشرق جب بأنه لولا قصص ألف ليلة وليلة لما عرف الأوروبيون قصة روبنسون كروزو أو قصة رحلات جلفر ، بل ويضيف البعض فيذكر أن قصة روبنسون كروزو مأخوذة عن قصة حى بن يقظان للفيلسوف الأندلسى ابن طفيل (المتوفى ٥٨١هـ/ ١١٨٥م) والتى ترجمت إلى اللاتينية ١٦٧١م وإلى الإنجليزية سنة ١٧٠٨م[٢٢].

ولا تفوتنا الإشارة إلى أثر فن المقامات العربية ومنها مقامات الحريرى والهمذانى فى الأدب الأوروبى أيضاً[٢٣].

٢ ـ فى الموسيقي :

من المعروف أن المشتغل بالموسيقى لا بد أن يلم بالكثير من العلوم والفنون ليكون أهلا لاحتراف هذا الفن ؛ إذ لا بد له من اكتمال ثقافته فى نواحيها حتى يكون مرآة صادقة لعصره وصورة مترجمة لزمانه : يجيد العزف بالالات وعلى معرفة أكيدة بفنون الشعر والأدب والقصص وأدب السلوك والمؤانسة ، ليتمتع من يريد الاستمتاع فى مجالس الغناء بجميع هذه النواحى مجتمعة .

هذا ولم يكن افتتان العرب فى الموسيقى مقصوراً على ضبط فنون الغناء والعزف

---

(٢٢) عاشور ، المدنية الإسلامية ، ص٧٩ ـ ٨٣ ؛ جب ، الأدب ، ضمن تراث الإسلام ، جـ١ ، ص٢٠٢ ؛ يعقوب ، أثر الشرق ، ص٨١ ؛ وعن قصة حى بن يقظان انظر ، بيرغل ، ج. ك ، ابن طفيل وكتابه «حى بن يقظان» نقطة تحول فى الكتابة الفلسفية العربية ، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية فى الأندلس ، جـ١ ، ص١١٥٥ ـ ١١٧٦ .

(٢٣) عاشور ، المدنية الإسلامية ، ص٨٢ ـ ٨٣ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن أثر الأدب الإسلامى فى مثيله الأوروبى انظر البحث القيم لكل من القلماوى ومكى فى كتاب أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوروبية، ص٢٧ ـ ١٢٠ .

والتعرف إلى أصول الموسيقى وقواعدها واستكمال الآلات الموسيقية وتطوير صناعتها فحسب ، بل افتتنوا كذلك فى ألوان التأليف الموسيقى وتطوروا بأساليب الشعر والغناء .

وقد كان للموسيقى العربية أثرها فى الموسيقى الأوروبية بعد أن تمت ترجمة الكثير من الكتب فى الموسيقى للكندى وثابت بن قرة والرازى والفارابى وابن سينا واخوان الصفا وابن باجة وصفي الدين عبد المؤمن الأرموي[٢٤]. ولا تفوتنا الإشارة هنا إلى الدور البارز الذى لعبه أبو الحسن على بن نافع الملقب بزرياب (غلب عليه هذا اللقب من أجل سواد لونه مع فصاحة لسانه وحلاوة شمائله وشبه بطائر أسود غرد فى العراق قبل أن ينتقل إلى الأندلس) بعد أن قدم إلى قرطبة فى عهد أميرها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ؛ غير أن ما يعنينا فى هذا المقام هو أن زرياب قد جدد فى الألحان تجديداً لم يعرفه أحد من معاصريه ، ولم يكتف بذلك بل أسس مدرسة فى الغناء والموسيقى فى قرطبة كان لها أثرها الكبير فى وضع الأسس القوية التى قامت عليها الموسيقى العربية فى الأندلس ؛ وهى التى تركت آثارها البعيدة فى الموسيقى الأوروبية[٢٥].

هذا وتدين أوروبا للعرب فى أكثر الاتها الموسيقية فقد انتشرت فى جنوب وغرب أوروبا منذ القرن ٣هـ/ ٩م آلات الموسيقى العربية وكثير من هذه الآلات انتقل إليها بأسماء تنم عن اشتقاقها من أصلها العربى ومن أشهرها العود ومعناه الخشب فقد انتقلت التسمية العربية بلغتها إلى جميع اللغات الأوروبية وحسبنا أن نسجل هنا أسماء العود فى اللغات المختلفة : الاسبانية Laud ـ السويدية Luito ـ البرتغالية Alaude ـ الانجليزية Lute ـ الفرنسية Luth ـ الايطالية Luito ـ الألمانية Laute ـ الدانماركية Lut ـ الروسية Ljutnja ـ البولونية Lutnia ـ الفنلندية Luuto ـ الصربية Lutnja ـ المجرية Laut ـ الرومانية Leuta وهكذا ...

ومن الآلات الأخرى الرباب Rebec والنقارة nakers ، والصنوج Sonajas ،

---

(٢٤) الحفنى ، محمود أحمد ، أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوروبية (الموسيقى)، ص٤١٨ ـ ٤١٩ .

(٢٥) سالم ، فى تاريخ وحضارة ، ص١٥١ ـ ١٥٣ .

والدف adufe والطبل atabal والنفير anafil والبوق ablogue والقيثارة Guitarra والجيتار Guitar والشقير Echiquier . وما كاد العود ينتقل من الأندلس إلى فرنسا حتى أصبح فى القرن ٦هـ/ ١٢م من ألاتها الشائعة ، كما لاقى رواجا كبيراً فى ألمانيا ثم فى ايطاليا ثم فى بقية البلاد الغربية(٢٦).

وكما هو معروف فى علم الآلات ، ان الآلات الموسيقية حين تنتقل من بلد إلى آخر لا بد أن تنتقل معها موسيقاها أيضًا ، وهكذا نجد أن أوروبا عن طريق انتقال العود إليها سرعان ما اهتدت إلى التدوين الجدولي المعروف باسم تابولاتور Tabulatur ، وترجع بداية هذا التدوين إلى ما كان العرب يصنعونه من الدساتين (ومفردها دستان) على رقبة العود وما شابهه مثل الآت الطنابير والجيتار لبيان مواضع عفق الأصابع على الأوتار لتحديد مواقع النغمات وفى كتاب الموسيقى الكبير للفارابى ذكر دساتين العود ودساتين الطنبور البغدادى ودساتين الطنبور الخراساني(٢٧).

وتؤكد المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه على ذلك بقولها « وبينما كان العازفون فى الغرب يعزفون على الهارب والسيتار والسنطور معتمدين على السماع فقط - أى أن ضبط هذه الآلات الوترية كان يعتمد على الاذن فقط - كان الطلبة فى مدرسة زرياب يعزفون باتقان على العود والجيتار بالعفق على الدساتين لتحديد درجة كل نغمة ولهذا لقيت الموسيقى العربية فى الشرق رواجا كبيراً وخاصة العود منها ... »(٢٨).

وكان أول ظهور التدوين الجدولى فى أوروبا هو التدوين الجدولى للعودذى الأوتار الخمسة ثم العود ذى الأوتار الستة فى فرنسا وإيطاليا .

وهذا التدوين الجدولى على اختلاف أنواعه يبنى على أساس التعبير عن النغمات ومواقعها بالحروف الهجائية والأرقام الحسابية ، ولم تستخدم أوروبا هذا النوع قبل القرن ٩هـ/ ١٥م(٢٩)، ويرجع الفضل إلى صفى الدين عبد المؤمن الأرموى (ت٦٩٤هـ/

---

(٢٦) الحفنى ، أثر العرب والإسلام ، ص٤٢٢ ، ٤٢٤ ؛ رايت ، أوين ، الموسيقى فى الأندلس ، دراسة شاملة ، ضمن كتاب الحضارة العربية الإسلامية فى الأندلس ، جـ١ ، ص٨٢٠ .

(٢٧) الفارابى ، كتاب الموسيقى الكبير ، تحقيق وشرح غطاس عبد الملك خشبة ، مراجعة وتصدير محمود أحمد الحفنى ، القاهرة (١٩٦٧م)، ص٤٩٨ - ٥٠٢ ، ٦٣٢ ، ٦٥٣ - ٦٥٤ ، ٦٩٨ - ٧٠١ ، ٧٢٠ .

(٢٨) هونكه ، شمس العرب ، ص٤٩٣ .

(٢٩) الحفنى ، أثر العرب والإسلام ، ص٤٢٢ - ٤٢٣ .

١٢٩٤م) فى أنه كان أول من سجل التدوين اللحنى للنغمات باستخدام الحروف الهجائية فى بيان اختلاف حدة الأصوات مقرونة بالأرقام الحسابية لبيان تقديرها الزمنى .

وكان هذا التدوين الجدولى الجديد البداية التى أضاءت طريق أوروبا إلى استكمال التدوين الذى تحدد به النغمات وتضبط الموسيقى زمنها وايقاعها[٣٠].

وكذلك عرفت أوروبا الآلات الوترية ذات القوس حوالى القرن ٥هـ/ ١١م حين انتقل إليها الرباب العربى من الأندلس إلى فرنسا وايطاليا ، ثم البلاد الأوروبية الأخرى ، كما أنه ترتب على انتشار آلة الشقير Echiquier فى أوروبا آثرها فى ظهور وانتشار آلة البيانو التى تعتمد فى بنائها على تعدد التصويت (الهارمونى) .

على أن أهم أثر للموسيقى العربية فى أوروبا هو ظهور السلم الموسيقى الكبير (الماجير) ثم السلم الصغير (المينير) والسلم الكروماتى على يد الموسيقار تسارلينو فى القرن ١٠هـ/ ١٦م الذى يعتبر أول مؤسس لعلم الهارمونى والكونتر بونيت فى رأيهم .

والحق أن العرب قد عرفوا أبعاد هذا السلم الموسيقى قبل ذلك بعدة قرون وأسهب العلماء فى توضيح نسب هذه التجنيسات الصوتية واستعملت عمليا فى العزف والتوقيع بالآلات كما يتضح لدى الفارابى وابن سينا وصفى الدين عبد المؤمن الأرموى وعندما انتقلت إلى أوروبا الدساتين الموضوعة على رقبة الآلات الوترية العربية كالعود والجيتار وأصناف الطنابير تعرفت على هذه الأبعاد فى الموسيقى العملية ، وبالتالى فإن ما نسب للموسيقار تسارلينو فى القرن ١٦م ليس ابتكاراً ؛ وإنما هو يعبر عن أثر الموسيقى العربية فى تطوير الموسيقى الأوروبية التى كانت تعتمد قبل ذلك على السلم الموسيقى المعروف بسلم فيثاغورس .

أما عن تآليف الأصوات وانسجامها وهو ما يعبر عنه الغربيون باسم الهارمونى

---

(٣٠) فارمر ، تاريخ الموسيقى العربية ، ص٣٢٢ ـ ٣٢٥ ، والصورة الزنكوغرافية المنشورة فيما بين صفحتى ٣٢٠ ـ ٣٢١ ؛؛ وانظر أيضًا كتاب الأدوار للارموى ، تحقيق وشرح الحاج هاشم محمد الرجب ، بيروت (١٩٨٠م) .

فقد كان الأساس فى ذلك راجعًا أيضًا إلى ما سبقهم إليه العرب فى هذا الميدان ويكفى مراجعة ما ذكره ابن سينا فى كتاب النجاة تحت عنوان محاسن اللحن ما يؤكد ذلك[٣١].

كذلك فإن المقاطع الصولفائية : فا (Fa) مى (Mi) رى (Re) دو (Do) سى (Si) لا (La) صول (Sol) والتى يقال أن الموسيقى الايطالى جيدفون أرينزو قد أخذها عام ١٠٢٦م عن نشيد يوحنا ، إنما هى مأخوذة عن الأحرف العربية دال ، راء ، ميم ، فاء ، صاد ، لام ، سين التى نجدها مع غيرها فى مقطوعات من الموسيقى اللاتينية فى القرن ١١م[٣٢].

٣ ـ فى اللغة :ـ

كان لا بد أن تؤثر اللغة العربية فى لغات الغرب الأوروبى ، وليس أدل على ذلك من آلاف الألفاظ التى يزخر بها قاموس هذه اللغات ، ومما له دلالته أن هذه الألفاظ لا تقتصر على العلوم كالطب والفلسفة والفلك والرياضة والكيمياء والموسيقى وغيرها فحسب ، وإنما تتجاوز ذلك إلى الحياة الاجتماعية والسياسية والتقاليد العسكرية ونظم الزراعة والتجارة والصناعة والعمارة والعمران . وعلى ذلك فان هذه

---

(٣١) الحفنى ، أثر العرب والإسلام ، ص٤٢٤ ـ ٤٢٧ .

(٣٢) هونكه ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ص٤٩٤ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن الموسيقى العربية وأثرها فى أوروبا انظر ، فارمر (تاريخ الموسيقى العربية) وهونكه (شمس العرب تسطع على الغرب) وهما من المراجع السابق الإشارة إليها ، وانظر أيضًا المصادر والمراجع الآتية :

الفارابى ، كتاب الموسيقى الكبير ، تحقيق غطاس عبد الملك خشبة ، القاهرة (١٩٦٧م)؛ الارموى ، الأدوار ، تحقيق الحاج هاشم محمد الرجب ، بيروت (١٩٨٠م)، الكندى ، مؤلفات الكندى الموسيقية ، تحقيق زكريا يوسف ، بغداد (١٩٦٤م)، اللازقى ، الرسالة الفتحية فى الموسيقى ، تحقيق الحاج هاشم محمد الرجب ، الكويت (١٩٨٦م)؛ رشيد ، صبحى أنور ، الآلات الموسيقية فى العصور الإسلامية ، بغداد (١٩٧٥م) ؛ رايت ، الموسيقى فى الأندلس ، ص٨٠٣ ـ ٨٣٥ ؛ الحجى ، على ، تاريخ الموسيقى الأندلسية ، بيروت (١٩٦٩م)؛ الجرارى ، آثار الأندلس على أوروبا فى مجال النغم والايقاع، الرباط (١٩٨٢م)؛ الطنجى ، محمد تاويت ، الطرائق والألحان الموسيقية فى افريقيا والأندلس ، الأبحاث ، السنة ٢١ ، الاعداد ٢ ـ ٤ ، بيروت (١٩٦٨م)؛ الحفنى ، زرياب ، موسيقار الأندلس ، أعلام العرب ، العدد ٥٤ ، القاهرة د ت .

الألفاظ العربية هي أبلغ سجل باق خلدت فيه الحضارة الإسلامية في الغرب الأوروبي .

وإذا بدأنا باللغتين الاسبانية والبرتغالية نجد أن عدد الألفاظ العربية فيهما أضخم مما يتصوره العقل ، وقد عمل المستشرق المعروف دوزى معجما للألفاظ ذات الأصل العربى الشائعة فى هاتين اللغتين ، ورغم ضخامة هذا المعجم فإنه يعترف بأنه يمكن إضافة ألفاظ أخرى .

ونجد كذلك العديد من الألفاظ فى اللغة الانجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية .

وحسبنا فى هذه العجالة أن نشير إلى بعض هذه الألفاظ(٣٣) :

فى الاسبانية :

ساقية	Acequia
ناعورة	Noria
الرياض	Arriate
الريحان	Arrayan
الأرز	Arroz
القبة	Alcoba
الطاحونة	Atahona
العود	Alaud

(٣٣) انظر ، عاشور ، دراسات ، ص١١٤ ؛ المدنية ، ص٨٣ ـ ٨٦ ؛ سالم ، فى تاريخ ، ص٣١٦ ـ ٣٢٢ ؛ تراث الإسلام ، جـ١ ، ط٢ (١٩٨٨م)، ص١٢٦ ، ١٣٥ ـ ١٣٩ ؛ وات ، فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، ص١١٥ ـ ١٢٥ ؛ ميسنز ، ديتر ، مزيد من المفردات العربية وتصنيفاتها فى اللغات الرومانسية ـ الأيبيرية ، ضمن الحضارة العربية الإسلامية فى الأندلس ، جـ١ ، ص٦٥١ ـ ٦٩٦ ؛ هونكه ، زيغريد ، شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقى ، بيروت ، ط٩ (٢٠٠٠م)، ص٥٥٢ ـ ٥٥٩ ؛
Taylor, W., Arabic Words in English, London, (1933) .

الطنبور	Tambore	
الطبل	Atabale	
البوق	Alboque	
الدف	Adoufe	
الازار	Alizar	
المئزر	Almaizer	

فى الإيطالية :

البوصلة	Bossala	
دكان	Dogana	وتعني جمارك أو دار الجمارك
مخزن	Magazzion	
معونة	Maona	(شركة تجارية)
مخاطرة	Moatra	(نوع من القروض بفائدة)
الزير	Ziro	
الجرة	Giara	
الجبة	Giubba	
القفطان	Caffatanuk	

فى الانجليزية :

أمير البحر	Admiral	
الطوب	Adobe	
القائد	Alcaide	
الكحول	Alcohol	
الجبر	Algebra	
اللوغاريتم	Algorithm	
	(نسبة إلى اسم الخوارزمى).	
الصفر	Chiffre - Cipher	

دار الصناعة	Arsenal
أطلس (قماش ناعم الملمس)	Atlas
خليفة	Caliph
جمل	Camel
كيمياء	Chemistry
صك	Cheque
قطن	Cotton
خلعة	Gala
هودج	Howda
جرة	jar
حناء	Henna
مطرح	Mattress
صقر	Sacre
سكر	Sugar
شُرب	Shrub
قرون (تاج)	Crown

أسماء الكواكب والأبراج فى علم الفلك

الغول	Algol
الغراب	Algorab
العقرب	Akrab
الكف	Caph
الراقص	El-Rakis
صدر الدجاجة	Sadr
قرن الثور	Tauri
كرسي الجوزاء	Cursa

٤ ـ فى صناعة الورق :

إنتقلت صناعة الورق من العالم الإسلامى إلى أوروبا عبر مسارب متعددة فدخلت صناعته إلى الأندلس فى القرن ٤هـ/ ١٠م ويرجع الفضل فى استعمال الطواحين المائية فى تفتيت مواد الكاغد الأولية إلى العرب الأندلسيين فى شاطبة وذلك فى حوالى ٥٤٦هـ/ ١١٥١م بدلا من استعمال القوة البدنية أو مطارق الهاون إذ سرعان ما قلدها صناع الكاغد الأوروبيين فأنشأوا أمثال على الأنهار واستمروا يستعملونها حتى أواخر ق١٢هـ/ ١٨م .

وفى سنة ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م أنشئ فى ايطاليا أول معمل للورق ويسمى طاحون الورق لأن صناعته اعتمدت على الطواحين التى كانت تسير بقوة اندفاع التيار المائى ، وبعد إيطاليا انتشرت صناعة الورق فى أكثر الأقطار الأوروبية ومنها هولندا التى استعملت الطواحين الهوائية بدلا من المائية .

كذلك قلد الصناع الأوروبيون الخطوط والعلامات المائية فى الكاغد الإسلامى وأضافوا إليها علامة خاصة بمصانعهم وترجع أقدم علامة مائية فى الورق الأوروبى إلى عام ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م وبعد ذلك تطورت هذه العلامات وأتقنت[٣٤] .

٥ ـ فى قواعد المنهج العلمى الحديث :

من المعروف أن الفكر العلمى العربى لم يكن ناقلا للفكر اليونانى ـ وغيره ـ ومقلداً له بل كان على الدوام فكراً نقديا يتحرى الحقيقة ويطلبها متوسلا بالشك المنهجى العلمى من أجل التثبت من الأراء والفروض والنظريات ، فتصدى الكثير من العلماء للكثير من المعارف القديمة بالتحليل والنقد دون التسليم بها لمجرد أنها مطروحة من قبل أساطين الفكر ، وكان الهدف من ذلك التمييز بين الحق والباطل من جهة والابقاء على ما أيدته الشواهد والوقائع واختبرته التجربة من جهة أخرى .

وقد طور الفكر العربى منهجا نقديا مستخدما بشقة الشك العلمى والتحليل الاختبارى للمعلومات النظرية والمعارف الكلية أو العامة من أجل تطوير المعرفة

---

(٣٤) السامرائى ، علم الاكتناه العربى الاسلامى ، ص٢٦٨ ـ ٢٧١ ، ٢٩٥ ـ ٢٩٦ .

العلمية وتقدمها بعد أن وطد الأسس القويمة التى يقوم عليها البناء العلمى ، وكان ذلك السبيل الأمثل الذى تعلمه الإنسان العربى بفضل عقيدته أن يميز بين الحق والباطل والذى طوره فى التحرى عن الأقوال والأخبار الصائبة فيما يتصل بالرسول الكريم (عليه الصلاة والسلام) وصحابته فإذا بهذا المنهج النقدى (الجرح والتعديل وهو مذهب أهل الحديث) ، يأخذ طريقه فى التحرى عن صدق الأراء والفروض العلمية التى أخذوها عن اليونان .

وقد تميز الفكر العلمى العربى باحلال المنهج العلمى التجريبى محل هذا المنهج النقدى لأهل الحديث (الجرح والتعديل)، وبذلك فهم قد خالفوا الفكر اليونانى السابق الذى تميز فى الغالب بالصورية والبحث عن المبادئ والأصول ، ولم يكن المنهج التجريبى الإسلامى بسيطا وساذجا ؛ بل كان قائما على قواعد وأسس سليمة من المشاهدة والملاحظة للحالات والأشياء ؛ فضلا عن اعتماد التجارب المختبرية والتوسع فيها لكشف العلاقات القانونية بين الحالات أو الأشياء واستقراء الحالات والنظر فيها من أجل الوصول إلى الأحكام الكلية أو القوانين ، ويمكن للمرء أن يلمس الاتجاه التجريبى فى الفكر العلمى العربى إذا ما راجع المعلومات الفلكية الكثيرة التى جمعت عن طريق الرصد والارصاد والمعلومات الكيميائية والنباتية والحيوانية وما يتصل بالمعادن والأحجار فكانت الأساس لتطوير هذه العلوم ؛ كما ساعدت المعلومات التجريبية والمختبرية فى حقل البصريات والميكانيكا والمعادن والكيمياء إلى تغيير كثير من الآراء الصائبة التى نقلها العرب عن اليونان لتحل محلها أراء وفروض وقوانين علمية أساسها التجارب المختبرية والتدابير العلمية .

وبذلك تميز الفكر العلمى بالأصالة والابتكار والإضافة من جهة واستغلال المعرفة العلمية وما تزوده من عناصر تطبيقية فى الحياة العملية سواء فى السلم أو الحرب من جهة أخرى .

ولا يقصد بالأصالة هنا الابداع العلمى من لا شئ ؛ إذ لا يوجد ابداع من دون مقدمات وجذور يعتمد عليها ، والفكر العلمى العربى أخذ عن غيره من العلوم السابقة ـ بفضل حركة الترجمة ـ فرسم حدودها بدقة ووضع بعضها فى المكان المناسب والطريق الصحيح وتوصل إلى قوانين علمية وكشف خصائص جوهرية لا تزال صحيحة حتى يومنا هذا ، وربط بين المعارف للإفادة منها وتسليط الضوء على بعض المجهولات فيها وأسس قواعد البحث العلمى وطرق البرهنة على صحة الآراء والفروض بالنظر

البحث والتجارب المختبرية وأضاف معلومات علمية هائلة كان من شأنها أحداث تغييرات كبيرة فى نظرتنا إلى المعرفة والكون مؤكدة الأصالة والابتكار(٣٥).

وهكذا وضع العلماء فى الحضارة الإسلامية قواعد وأسس المنهج العلمى التجريبى الذى يعتبر أهم المراحل التى مر بها منهج البحث فى العلوم الطبيعية ، ولا يزال هو حجر الزاوية فى تعريف المنهج العلمى الحديث القائم على الجمع بين كل من المنهج الاستنباطى والمنهج التجريبى الاستقرائى بدرجة تختلف من علم إلى آخر .

ويمكن القول أنه بفضل هذا المنهج بشقيه النظرى والتطبيقى تقدمت العلوم فى العصور الوسطى تقدما كبيراً على نحو ما أشرنا إليه اجمالا فى الفصل الرابع من هذا الباب (وسوف نتطرق إليه تفصيلا واسهابا وتحليلا فى كتابنا المفصّل بمشيئة الله تعالى) وهو التقدم الذى كان الأساس الراسخ للتطور العلمى فى عصر النهضة الأوروبية وما تلاه .

وهكذا تأثر علماء أوروبا بالتقدم العلمى فى الحضارة الإسلامية بعد أن قاموا بترجمة العديد والعديد من الكتب العلمية من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية عبر حركة الترجمة التى ألمعنا إليها من قبل .

وليس أدل على أهمية العلوم العربية من أن الكثير من اسهامات وانجازات العلماء ظلت تدرس فى جامعات أوروبا حتى القرن السابع عشر الميلادى بل ان بعضها ظل حتى أوائل القرن العشرين المنصرم .

غير أن هناك حقيقة ينبغى الا تفوتنا الإشارة إليها وهى أن العلماء فى الحضارة الإسلامية قد ضربوا مثلا رائعا فى الأمانة العلمية ونسبة الكتب والأفكار والحقائق والآراء إلى أصحابها ، وذلك عندما قاموا بترجمة الكتب السابقة من لغاتها المختلفة

---

(٣٥) خليل ، العلوم الطبيعية ، ص٢٦ ـ ٢٨ ؛ ولمزيد من التفاصيل ، خليل ، ياسين ، منطق البحث العلمى ، بيروت (١٩٧٤م)؛ فؤاد باشا ، التراث العلمى ، ص٤١ ـ ٤٥ ؛ منتصر ، تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ، ص٥٣ ـ ٦٠ ؛ الطويل ، فى تراثنا ، ص٣٥ ـ ٥٨ ؛ سعيدان ، مقدمة لتاريخ الفكر العلمى فى الإسلام ، ص٨٣ ـ ١٠٠ ؛ صليبا ، جورج ، الفكر العلمى العربى ، نشأته وتطوره ، جامعة البلمند (١٩٩٨م)، (٢٠٥ صفحة) .

إلى العربية ، أما العلماء فى الحضارة الغربية فقد كانوا على عكس ذلك تماما حيث أغفلوا الكثير من نسبة الحقائق والاكتشافات والنظريات إلى أصحابها من علماء الحضارة الإسلامية مما جعلها تبدو وكأنها من ابداعاتهم واكتشافاتهم ؛ وهو الأمر الذى كان من نتيجته رسوخ الاعتقاد فى نسبة الكثير من الحقائق والاكتشافات والنظريات العلمية إلى هؤلاء العلماء الغربيين ؛ رغم أن الأدلة المادية والعلمية تؤكد أن العكس هو الصحيح ، وحسبنا أن نشير إلى بعض الأمثلة التى تؤكد أسبقية علمائنا لعلماء الغرب فى الكثير من المجالات العلمية المختلفة من ذلك :

- البتانى سبق كنج وكوبرنيق فى علم الفلك .
- الكاشى سبق نيوتن فى نظرية ذات الحدين .
- الكاشى سبق كبلر فى أن مسار الكواكب اهليلجى وليس دائرى .
- القلصادى سبق العالم الفرنسى فييت فى اكتشاف الرموز الجبرية .
- ابن الهيثم وجابر بن حيان سبقا بيكون فى القول بالمنهج العلمى التجريبى .
- ابن سينا سبق نيوتن فى قانون الحركة .
- الخازن والهمدانى والبيرونى سبقوا نيوتن فى نظرية الجاذبية وأن هناك علاقة بين السرعة والثقل والمسافة .
- الخوارزمى هو مؤسس علم الجبر .
- الكرخى ابتكر مثلث معاملات نظرية ذات الحدين وقد سبق بذلك باسكال .
- الخازن سبق فى علم الميكانيكا والهيدروستاتيكا تورشيلى .
- مهد علماء الحضارة الإسلامية لحساب التفاضل والتكامل وعلم اللوغاريتمات والهندسة التحليلية .
- ابن النفيس سبق وليم هارفى فى كشف الدورة الدموية الصغرى .
- ابن يونس المصرى كشف الرقاص (البندول) قبل جاليليو .
- الجاحظ والتشريح المقارن قبل علماء أوروبا .
- البغدادى مكتشف القانون الثالث للحركة لكل فعل رد فعل مساو له فى المقدار ومضاد له فى الاتجاه وقد سبق بذلك نيوتن .

- ابن خلدون هو مؤسس علم الاجتماع .
- أبو بكر الرازى هو أول من طرح نظرية الشك العلمى كوسيلة للوصول إلى الحقيقة قبل ديكارت بثمانية قرون على الأقل فى كتابه الشكوك على جالينوس ومن ثم وضع قاعدة عدم تصديق الاما ثبت بالتجربة والقياس .
- أبو بكر الرازى هو أول من ميز بين الجدرى والحصبة .
- على بن ربن الطبرى هو أول من بحث فى الطب النفسى وأول من وصف حكة الجرب وميز بين هذا المرض والجذام .
- المقريزى (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) وضع القاعدة الاقتصادية القائلة بأن النقود الرديئة تطرد النقود الجيدة من السوق (ويقصد بالنقود الرديئة النقود التى تقومها الدولة بأكثر من قيمتها فى السوق العالمية كسلعة أما النقود الجيدة فهى نقود المعدن المقوم قانونا بأقل من قيمته التجارية كسلعة) وقد سبق بذلك جريشام فى القرن ١٠هـ/ ١٦م. (فهمى ، ص٩٦) .
- زين الدين على بن أحمد الآمدى (حوالى ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م) ابتدع الكتابة البارزة للعميان وقد سبق بذلك برايل الفرنسى الذى لا تزال تعرف هذه الطريقة باسمه منذ عام ١٨٢٩م وحتى يومنا هذا (عواد ، ص ٧٥ ـ ٧٧) .
- عرف العرب ومنذ فترة مبكرة لا تتجاوز ٢٤٧هـ/ ٨٦١م طريقة التنظيف بالبخار (Dryclean) وهى الطريقة المنتشرة والشائعة الآن (صالحية ، ص٢٤٧) .
- سبق ابن العوام الاشبيلى (ق٦هـ/ ١٢م) علماء الغرب فى ابتكار فكرة الرى بالتنقيط باستخدام جرار فخارية مملوءة بالماء وفى أسفل كل جرة ثقب يجرى منه الماء إلى أصل الشجرة المغروسة جريا لطيفا أى نقطة نقطة وهذه الطريقة هى المستخدمة فى عصرنا هذا ولكن مع فارق واحد هو استعمال المواد البلاستيكية بدلا من الجرار الفخارية (العمامى ١٠٩ ـ ١١٠) .
- الادريسى هو أول من وضع أصول الرسم على مسطح كروى وظل الاعتماد على خرائطه فى أوروبا حتى القرن السادس عشر الميلادى .
- أحمد ابن ماجد (ت٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م) هو أول من أنشأ علم البحر كعلم مستقل

وقد سبق بذلك لويجى فرناندو مرسيلى (١٦٥٨ ـ ١٧٣٠م) أو السيرجون مرى (١٨٧٢ ـ ١٨٧٥م) أو ماتيوس فونتين ماورى (+ ١٨٧٣م).

- البوزجانى هو أول من اكتشف بعض أنواع الخلل فى حركة القمر وقد سبق بذلك تيخوبراهى .

- سبق العلماء فى الحضارة الإسلامية غيرهم من العلماء الغربيين فى معرفة الكيمياء الصناعية .

وبعد هذا غيض من فيض وقليل من كثير يثبت أسبقية علمائنا لعلماء الغرب فى الكثير من المجالات العلمية ، ويضاف إلى ذلك العديد من التصويبات والاضافات والنظريات والقواعد والأسس العلمية الحديثة التى تمت معالجة بعضها اجمالاً فى الفصل الرابع من هذا الباب (وسوف نعود إلى دراستها ـ هى وغيرها ـ تفصيلاً واسهابًا وتحليلاً فى كتابنا المفصّل بمشيئة الله تعالى) .

الباب الثانى

الآثـــار الإسلاميـــة


تمهيد

تمهيد

تحتل الآثار الإسلاميـة مكانة فريدة بين الآثار الأخرى ، سواء السابقة لها أم اللاحقة عليها . وقد لفت القرآن الكريم الأنظار لأخذ العبرة والعظة فى النظر إلى آثار السابقين ، وكيف كانت عاقبتهم لما أسرفوا وبطروا وأساءوا استعمال ما خولهم الله من نعمة وأشركوا له فى آيات كثيرة . ومن المعروف أن العبرة الكاملة والفائدة من السير فى الأرض إنما تكون بعد مشاهدة ورؤية جميع ما ترك الأولون من آثار . ومن هنا وضحت عناية المسلمين بالآثار والكتابة عنها ونذكر من بين هؤلاء الهمدانى والأزرقى والمقريزى والقضاعى وابن عبد الحكم والكندى ، فضلاً عن العديد من البلدانيين والرحالة ومن أهمهم اليعقوبى والمقدسى وابن جبير والهروى والنابلسى وابن بطوطة والبلوى والورثيلانى والعبدرى والأدريسى وأوليا چلبى وغيرهم كثير .

وقبل أن تبدأ الدراسة العملية للآثار الاسلامية فى القرن ١٨م كان الغرب الأوروبى قد أدرك مكانة تلك الآثار فتأثرت بها فنونه المختلفة .

وقد خط الغرب للشرق خطوات البحث فى ميدان الآثار الإسلامية ولقد برزت من بين رجالاته شخصيات لامعة وضعت اللبنة الأولى فى نشأة ودراسة الآثار الإسلامية وأرست أبحاثهم دعائم هذا العلم ، ومن بين هذه الأسماء البارزة التى كانت أبحاثهم حجر الزاوية فى تثبيت الأسس العلمية لدراسة الآثار الإسلامية علماء عديدون منهم : كرابتشك ـ فان برشم ـ جايية ـ سلادين ـ لين بول ـ كازانوفا ـ سالمون ـ كريزول ـ بريجز ـ جاسنون فبيت ـ ماير ـ روفيلر ـ جرابار وغيرهم(١) .

---

(١) كان للعلماء الغربيين فضل السبق فى دراسة علم الآثار الإسلامية ومراحل تطوره المختلفة على يد الرواد من المستشرقين والعلماء الأجانب ويأتى على رأس هؤلاء العالم اليهودى ماير فى مؤلفه نشأة الآثار الإسلامية وتطورها (بالعبرية)، القدس (١٩٣٥م) ثم العالم ريتشارد اتنجهاوزن فى بحثه المهم الموسوم بـ «الفنون والآثار الإسلامية» (برنستون ١٩٥١م) ترجمة محمد مصطفى زيادة ، القاهرة (١٩٥٣م) ، ص٦٣ ـ ١٠٧ ، وتوجد ترجمة أخرى لذات البحث عنوانها « الفن الإسلامى والآثار الإسلامية » ترجمة عبد الرحمن محمد أيوب، مراجعة أبو العلا عفيفى ومحمد محمود الصياد ، القاهرة (١٩٥٧م) ص٢٠ ـ ٧٤ ؛ كما كان لبعض العلماء العرب إسهاماتهم المحمودة فى هذا المجال ومنهم أحمد فكرى ؛ مساجد القاهرة ومدارسها ، المدخل ، القاهرة ١٩٦١م، ص٦ ـ ٢١ ؛ عبد الرحمن زكى ، دراسة الآثار الإسلامية ، مجلة كلية الآثار ، العدد ٢ (١٩٧٧م) ، ص٧٣ ـ ٨٣ ؛ حسن الباشا ، مدخل إلى الآثار الإسلامية ، =

وقد اتجه الاهتمام بدراسة الآثار الإسلامية فى اتجاهين رئيسيين : .

(١) الاتجاه الأول : وصفى تسجيلى يهدف إلى وصف ودراسة الآثار الإسلامية بفروعها المختلفة سواء الظاهرة فوق الأرض أو المحفوظة فى المتاحف ودور العرض العامة والخاصة .

(٢) الاتجاه الثانى : تطبيقى كشفى يهدف إلى إجراء الحفائر المختلفة للكشف عن العديد من المدن الإسلامية التى تردد ذكرها كثيراً فى ثنايا المصادر التاريخية المختلفة وكتب الرحالة العرب والأجانب على حد سواء .

* أما عن الأتجاه الأول فقد مر بعدة مراحل خلال القرون الثلاثة الماضية نوجزها فى النقاط التالية :

١ ـ مرحلة دراسة المسكوكات والنقوش الكتابية .

٢ ـ مرحلة الدراسات العامة المتعلقة بالفن الإسلامى « المرحلة شبه الموسوعية » .

٣ ـ مرحلة الدراسات المتخصصة « العمارة ـ الفنون الزخرفية ـ فنون الكتاب ».

● **المرحلة الأولى :** دراسة المسكوكات والنقوش الكتابية :

بدأت هذه المرحلة فى الربع الأول من القرن ١٨م، وبالتحديد فى سنة ١٧٢٤م حينما ظهر كتاب جورج جاكوب كير[٢] الذى يعد أول مؤلف فى المسكوكات الإسلامية بصفة خاصة وفى الآثار الإسلامية بوجه عام . وقد امتاز هذا المؤلف بصحة كتابة وقراءة النقوش المسكوكة ودقة التعليق عليها[٣] ، وفى أعقاب دراسة المسكوكات[٤] الإسلامية

= القاهرة ط٢ ، (١٩٩٠م) ، ص١٠ ـ ١٤ ؛ وعبد القادر الريحاوى ، تقييم البحوث الأجنبية فى الآثار الإسلامية ، تونس (١٩٨٥م)، ص٢٢٩ ـ ٢٥٤ ؛ ومحمد حمزة إسماعيل الحداد ، المستشرقون والآثار الإسلامية (ضمن أعمال مؤتمر الاستشراق وحوار الحضارات ـ مركز الدراسات الشرقية بجامعة القاهرة ـ أكتوبر ١٩٩٥م) ، وفى هذا البحث اضافات على ما ورد فى الدراسات السابقة المشار إليها والتى اعتمدنا عليها فى كتابة هذا التمهيد .

(٢) Kehr, G. J., Monarchiae Asiatice saracenicae status qualis VIII et ix . (هذا وتوجد نسخة من هذا الكتاب النادر فى مكتبة الكونجرس) .

(٣) اتنجهاوزن ، الفن الإسلامى ، ص٢٧ ؛ الفنون ، ص٦٨ ـ ٦٩ .

(٤) نشرت فى أواخر القرن ١٩م والنصف الأول من القرن العشرين المنصرم كتالوجات للمسكوكات الإسلامية فى المتاحف والمكتبات المختلفة مثل المتحف البريطانى ومتحف برلين ومتحف استانبول والمكتبة الأهلية فى باريس . وهى من المصادر الرئيسية التى لا يزال يعول عليها حتى الآن فى دراسة المسكوكات الإسلامية (فضلاً عن الكتالوجات الحديثة والمجموعات الخاصة) .

أنبثقت فروع أخرى تتعلق بدراسة النقوش الكتابية وكانت تلك الدراسة فى البداية ذات صلة ما بالدراسات التاريخية وهى فرعان متميزان هما :

أحدهما يتناول الدراسات التحليلية لتلك النقوش الأثرية من مناقشة الخط العربى وأنواعه ونسبه ومدارسه المختلفة ، وهو ما يطلق عليه اصطلاحًا اسم « علم الباليوجرافي » .

ومن أشهر علماء هذا الفرع من الدراسات الأثرية كل من كرابتشك وڤان برشم وتلاميذه من بعده أمثال كومب ـ سوڤاجيه ـ جاستون فييت وغيرهم .

والفرع الآخر يتناول قراءة النقوش الأثرية المسجلة على العمائر والتحف المختلفة وهو ما يطلق عليه اصطلاحًا علم الايبجرافى .

وفى عام ١٩٣٩ قام ماير بوضع أول مؤلف يعد بمثابة سجل شامل لأهم المؤلفات التى تناولت دراسة المسكوكات الإسلامية منذ بدايتها حتى عام ١٩٣٤م .

● **المرحلة الثانية :** مرحلة الدراسات العامة « المرحلة شبه الموسوعية ».

بدأت هذه المرحلة في أوائل القرن ١٩ واضطردت فى الزيادة خلال ذلك القرن ثم فى النصف الأول من القرن العشرين ، وقد كانت مصر وأسبانيا من أوائل البلاد التى بعثت هذا الاهتمام ودفعت إلى انتاج المؤلفات الكبيرة ويعد كتاب وصف مصر الذى أعده علماء الحملة الفرنسية فيما بين ١٧٩٨ ـ ١٨٠١م « وقد صدرت طبعته الأولى سنة١٨٠٩ ـ ١٨١٣م والثانية ١٨٢٢م ـ ١٨٢٩م » (٢٦ مجلد بخلاف اللوحات) أقوى أساس تقوم عليه معرفتنا بالآثار الإسلامية فى مصر .

ويأتى بعد ذلك كتاب باسكال كوست المسمى العمارة العربية وقد كتبه المؤلف فيما بين ١٨١٨ ـ ١٨٢٥م ولكنه لم يظهر إلا فى سنة ١٨٣٩م .

وزاد الأهتمام بعد ذلك كما يتجلى فيما كتبه كل من برجوان ١٨٧٣ ـ ١٨٩٣م وبريس دافين ١٨٨٧م وفى أسبانيا تقابلنا مؤلفات كل من لابورد (١٨٠٦ ـ ١٨٢٠م) وميرفى ١٨١٣م وبرانجى (١٨٣٢ ـ ١٨٣٩م) . كذلك لم يكن من نتائج غزو فرنسا للجزائر ١٨٣٠م رحلة لاكروا إلى مراكش سنة ١٨٣٢م ورسومه الرائعة التى تصور الحياة الإسلامية فيها ، بل كان من نتائجها نشر كتاب اكتشافات علمية فى الجزائر سنة

١٨٤٠ ـ ١٨٤٣م وهو من تأليف رافوازيه . وتبع كتاب باسكال كوست عن العمارة العربية سلسلة من المؤلفات عن العمارة الفارسية للمؤلف ذاته عاونه فى اخراجها الفنان فلاندين وقد صدرت هذه السلسلة فيما بين سنة ١٨٥١ ـ ١٨٦٧م ، كذلك كتاب رحلة فى تركيا وفارس لدى هيل المنشور سنة ١٨٥٩م .

ولهذه المجلدات الضخمة أهمية عظمى فى دراسة الآثار الإسلامية فهى تحوى صوراً رائعة جذابة أنيقة المظهر والمخبر للآثار الإسلامية(٥) . تفيد العلماء والباحثين فى معرفة ما أصاب هذه الآثار من تخريب وتدمير وتلف ، فضلاً عن الآثار التى اندثرت كلية .

ومنذ أواخر القرن ١٩م والنصف الأول من القرن العشرين الميلادى زادت الكتابات العامة ومن أبرزها كتابات الرواد مثل لين بول ، وزرة ، وجاييه ، وفييت ، وفاجو ، وسلادين ، وميجون ، ومارسيه ، وكونل ، وهرتزفلد ، وكريزول ، وهوتكير وماير وغيرهم .

ومن بين العلماء العرب الذين نحو هذا المنحى فى الدراسة المرحوم الدكتور زكى محمد حسن فى مؤلفه الجامع المانع المسمى فنون الإسلام ، ثم معالجته للآثار الإسلامية فى ايران فى مؤلفه المعروف الفنون الايرانية فى العصر الإسلامى .

• مرحلة الدراسات المتخصصة :

أ ـ العمارة : بدأت هذه المرحلة منذ أواخر القرن ١٩م وإضطردت فى الزيادة على مرور القرن العشرين المنصرم ويمكن تقسيم هذه المرحلة إلى مراحل فرعية .

١ ـ الدراسات العامة : من أمثلتها العمارة الإسلامية الأولى : كريزول .

- جرابار : العمارة الإسلامية .
- ريشموند : العمارة الإسلامية
- أرنست ديز : العمارة الإسلامية .
- هيلنبراند : العمارة الإسلامية .

---

(٥) اتنجهاوزن ، الفن الإسلامى ، ص٢٩ ـ ٣٧ ؛ الفنون ص٧١ ـ ٧٦ .

٢ـ الدراسات الخاصة بأقليم أو منطقة أو مدينة أو عصر أو جنس معين :

ـ كريزول : العمارة الإسلامية فى مصر (مجلدان) .
ـ مارسيه : العمارة الإسلامية فى المغرب .
ـ براون : العمارة الإسلامية فى الهند .
ـ جابرييل : العمارة الإسلامية فى الأناضول .
ـ أونسال : العمارة الإسلامية فى تركيا .
ـ جودوين : تاريخ العمارة العثمانية .
ـ هرتزفلد : العمارة فى دمشق .
ـ فلز نجر وفتزنجر : دمشق .
ـ كازانوفا : الفسطاط ـ قلعة الجبل .
ـ كوبياك : الفسطاط .
ـ بالباس : الفن المرابطى والموحدى .
ـ مالدونادو : الفن الطليطلى الاسلامى والمدجن .
ـ آصلان ابا : فنون الترك وعمائرهم .
ـ كيل : العمارة الإسلامية فى البلقان .

٣ـ البحوث المتخصصة بموضوع معين :

ـ هوتكير وفييت ، مساجد القاهرة .
ـ اردمان : محطات القوافل والخانات فى الأناضول .
ـ ايكوشار : الحمامات فى دمشق .
ـ بوتى : حمامات القاهرة .
ـ ديفز : مساجد القاهرة .
ـ ديز : المسجد .
ـ ڤان برشم : المسجد .
ـ كونل : المسجد .
ـ مالدونادو : عمارة المياه فى الأندلس .
ـ كوران : المسجد فى العمارة العثمانية المبكرة .
ـ تحسين اوز : جوامع استانبول .

٤ـ بحوث متخصصة لبناء بمفرده :

ـ سوڤاچيه : مسجد الرسول فى المدينة ـ قلعة دمشق .

ـ كازانوفا : قلعة القاهرة .

ـ جابرييل : مسجد الجمعة فى أصفهان .

ـ تيراس : جامع القرويين فى فاس ـ جامع الأندلسيين فى فاس .

ـ جرابار : قبة الصخرة .

ـ كريزول : مسجد عمرو .

ـ كريزول : قلعة الجبل .

إيلى لامبير : مسجد قرطبة .

ـ سلادين : مسجد سيدى عقبة .

ـ ديولافوا : مسجد حسان .

ـ ماسينيون : الأخيضر .

٥ـ البحوث الخاصة بالعناصر المعمارية والزخرفية :

ـ مارجريت ڤان برشم : فسيفساء قبة الصخرة .

ـ كونل : الأرابسك .

ـ جوفيل ، كريزول ، تيرش : المآذن .

ـ مارسيه : القباب والسقوف .

ـ روزنتال ، ديز ، هوتكير : المقرنصات .

ـ مالدونادو : الزخارف الهندسية فى الفن الإسلامى بالأندلس ، الزخارف النباتية فى الفن الإسلامى بالأندلس .

٦ـ الفنون الزخرفية :

ـ ديماند : الفنون الإسلامية .

ـ كونل : الفن الإسلامى .

ـ ميجون : الفنون والصناعات .

ـ مارسيه : الفن الإسلامى .

ـ مارسيه : الفن الإسلامى .

٧ـ الدراسات حسب المادة :

ـ زره : التجليد الإسلامى .

- آرثرلين : الخزف الإسلامى المبكر ، الخزف الإسلامى المتأخر .
- بتلر : الخزف الإسلامى .
- هوبسن : الخزف الإسلامى « المرشد إلى الخزف الإسلامى » .
- أولمير : شبابيك القلل .
- Carsweell : خزف أزنيق .
- Venetia Porter : البلاطات الخزفية الاسلامية .
- راشل وورد : المعادن الاسلامية .
- ماير : الملابس المملوكية .

٨- الدراسات الخاصة بالرمزية فى الفن الإسلامى (الايقونو غرافيا) :

- هارتنر ، الأشكال الفلكية لمنازل القمر فى التصاوير الهندية والإسلامية .
- هاتنر وايتنجهاوزن ، الأسد المظفر قصة حياة رمز .
- ايتنجهاوزن ، الكأس الطويلة العنق فى متحف كليفلاند للفن ، أصله وزخرفته .
- باير ، سفنكس (أبو الهول) فى الفن الإسلامى الوسيط .
- دود ، صورة الكلمة : ملاحظات حول الرموز الدينية (الايقونوغرافيا).
- أوكين ، الأيقونوغرافيا فى الفن الإسلامى (٢٠٠٥م).

ومن أبرز الباحثين المصريين الذين أفردوا عدة بحوث فى مثل هذا النوع من الدراسات فى الفن الإسلامى الزميل الدكتور / حسين رمضان وسوف نشير إلى بعض بحوثه فيما بعد .

٩- الدراسات المتعلقة بأثر الفن الإسلامى فى أوروبا :

كان للمستشرقين والعلماء الغربيين فضل السبق فى دراسة آثر الفن الإسلامى فى أوروبا منذ الربع الأول من القرن ١٩م ومن بينهم سميث ١٨٢٠م وفيلمان ١٨٣٠م ولونجيريه ١٨٤٦م واميل برتو ١٨٩٥م ؛ واميل مال ١٩١١م ، ١٩٢٣م ؛ ومورينو ١٩١٩م ، وجلوك ١٩٢١م، وسوليه ١٩٢٤م ، وديلاتوريت ١٩٢٣م ، وديفونشير ١٩٢٨م ، ثم تتابعت الدراسات حول هذا الموضوع الحيوى المهم ، وحسبنا أن نشير إلى بعضها ومنها :

- جروبيه : عناصر إسلامية فى عمارة البندقية فى العصور الوسطى (١٩٦٦م) .
- زره : رسوم رمبرانت نقلا عن منمنمات هندية إسلامية (١٩٠٤م) .

- بورن : الات الحركة الذاتية الأوروبية الأولى (١٩٣٧م) .
- اردمان : أوروبا والسجاد الشرقى .
- فولباخ : المخلفات المقدسة وأوعيتها الشرقية (١٩٣٧م) .
- ايتنجهاورن : جلود الكتب الشرقية وتأثيرها على فن التجليد فى أوروبا (١٩٥٩م) .
- بوختال : ملاحظات على المعادن الإسلامية المطلية بالمينا وأثرها على الغرب اللاتينى (١٩٤٦م) .
- ماتكوفسكى : تأثير الفن الإسلامى فى بولندا .
- دى لونجيريه : استخدام الحروف العربية فى الزخرفة عند الشعوب المسيحية الغربية (١٨٤٥م) .
- رايخ : نقش مملوكى فى رسم إيطالى من القرن الخامس عشر (١٩٤٠م) .
- جيراز بهوى ، التأثيرات الشرقية فى الفن الغربى (١٩٦٥م) .
- تراث الإسلام (الكتاب الأول) ١٩٣١م (أرنولدوكريستى وبريجز) ترجمة زكى محمد حسن ، القاهرة ١٩٣٦م .
- تراث الإسلام (الكتاب الثانى) ١٩٧٣م (شاخت وبوزورث) ترجمة حسين مؤنس وآخرين ، الكويت ، ط٢ (١٩٨٨م) .

كذلك كان هو الحال فى معالجة التصوير الإسلامى الذى درس فى البداية ضمن كتب الفن الإسلامى العامة ؛ ثم أصبحت هناك دراسات متخصصة إما حسب المدارس الفنية التى اصطلح عليها العلماء ، واما حسب الاقليم كالتصوير الفارسى والتصوير الهندى أو حسب العصر كالتصوير العثمانى والتصوير المغولى ، وإما حسب نوع التصوير ذاته سواء فى المخطوطات أو جدارى «فسيفساء » صور مائية (فرسكو) ، والتصوير فى المخطوطات نفسه خضع للعديد من الدراسات سواء المخطوطات الأدبية أو العلمية أو دراسة صور خاصة بحادثة معينة أو ذات طبيعة واحدة مثل التى عكف على دراستها سنة ١٩٤٨م . بشر فارس . (وهى عن تصويرة دينية من مدرسة بغداد العربية) أو دراسة الصور الشخصية أو المصورين أو غير ذلك .

ومن ذلك على سبيل المثال :

- ارنولد : التصوير فى الإسلام .

- بلوشيه : التصوير الإسلامى .
- رايس : التصوير الإسلامى .
- روبنسون : التصوير الإسلامى وفنون الكتاب - المنمنات الفارسية المصورة من المجموعات الموجودة فى الجزر البريطانية .
- ايتنجهاوزن : التصوير عند العرب . - التصاوير السلطانية على الطريقة الفارسية .
- Canby : التصوير الفارسى .
- ساكسيان : التصوير الفارسى .
- مارتن : تصاوير المنمنات والمصورين الفرس والهنود والأتراك .
- رايس : مخطوطات كتاب الأغانى والتصوير الدينى فى الإسلام .
- باريت وجراى : التصوير الهندى .
- بنيون وولكنسون وجراى : تصاوير المنمنات الفارسية .
- شرودر : التصوير الفارسى .

• الأتجاه الكشفى التطبيقى « الحفائر الإسلامية » .

- أوائل الحفائر الإسلامية كانت فى حفائر قلعة بنى حماد فى الجزائر سنة ١٨٩٨م ثم سنة ١٩٠٨م، ثم إستمرت فى عدة مواسم متتالية حتى الآن .
- حفائر الزهراء بالأندلس سنة ١٩١٠م ثم فى عدة مواسم متتالية .
- حفائر الفسطاط فى مصر سنة ١٩١٢م ، ثم فى عدة مواسم متتالية ولا تزال تجرى بها الحفائر حتى الآن .
- حفائر سامراء بالعراق سنة ١٩١٨م .
- حفائر إيران قامت بها بعثة سويدية فى سنة ٣٢ - ١٩٣٣م وحفائر نيسابور التى قام بها متحف المتروبوليتان(٦) ، فضلا عن الرى وترمزواصطخر وخراسان وغير ذلك.

* وبالنسبة للحفائر الاسلامية فى الفسطاط بمصر فقد بدأت سنة ١٩١٢م وتلتها فى مواسم أخرى لاحقة ، وكانت هذه الحفائر تحت إشراف على بهجت فى هذه المرحلة ومعه جابرييل ، ثم حسن الهوارى فى المرحلة الثانية ، ثم جمال محرز ، ثم عبد الرحمن

---

(٦) الباشا ، مدخل إلى الآثار الإسلامية ، ص١٣ .

عبد التواب ولا تزال الحفائر تجرى فى الفسطاط باشراف المجلس الأعلى للآثار ، وممن أجرى حفائر فيها أيضًا مركز البحوث الأمريكى واكتشفوا مكتشفات عديدة وذلك فى الستينات وأسفرت عن نتائج هامة ، ثم الحفائر اليابانية والفرنسية فى الفسطاط (اصطبل عنتر) .

• الحفائر الإسلامية فى بلاد الشام :

حفائر الرصافة الأموية ، حفائر قصر الحير الغربى وقصر الحير الشرقى ، حفائر الرقة، حفائر جبل سيس ، حفائر اريحا ؛ فضلاً عن العديد من الحفائر بالمدن الشامية المختلفة فى سوريا وفلسطين والأردن ولبنان .

• الحفائر الإسلامية بالعراق :

أجريت فى العديد من المدن الشهيرة المختلفة منها تل المحيسن فى تكريت ـ حفائر دار الامارة بالكوفة ـ حفائر تلول الشعبية القريبة من البصرة واكتشفوا قصر زياد الأموى ثم حفائر قسم الآثار بآداب بغداد سنة ١٩٦٨م فى منطقة العطوفية فى الجانب الغربى من بغداد الحالية بهدف البحث عن مدينة المنصور المدورة .

• الحفائر الإسلامية فى ليبيا :

حفائر مدينة سرت القديمة ، وهى أول حفائر من نوعها فى ليبيا ، حفائر مدينة أجدابية.

• الحفائر الإسلامية فى تونس :

الحفائر فى مدينة القيروان وتونس والمهدية وحفائر مدينة رقادة (للأستاذ محمد الشابى) وغير ذلك .

• الحفائر فى الجزائر :

بالإضافة إلى استمرار الحفائر فى عدة مواسم فى قلعة بنى حماد كما سبق القول ، أجريت حفائر فى مواقع أخرى عديدة منها حفائر سيدراتا الواقعة فى صحراء الجزائر الجنوبية وحفائر مدينة ميله شمال قسطنطينة ـ حفائر حى القصبة بالجزائر العاصمة .

• حفائر المغرب :

أجريت حفائر فى مدن مغربية عديدة فى فاس والرياط ومكناس ؛ فضلاً عن اكتشاف قصر مصمودة فى شمال المغرب ، وحفائر شاله المغربية وغير ذلك .

- **حفائر السعودية :**

تعد المملكة العربية السعودية أول دولة عربية تقوم باعداد أول خريطة أثرية شاملة كافة المواقع الأثرية والتاريخية بدءً من عصور ما قبل التاريخ حتى العصور الحديثة ، ومن أشهر تلك الحفائر حفائر الريذة الاسلامية والمسوحات الآثارية فى درب زبيدة ومدينة عشم ووادى حلى وحفائر تيماء وغير ذلك .

- **حفائر مصر :**

بالإضافة إلى استمرار الحفائر فى مدينة الفسطاط من قبل مصلحة الآثار أو البعثات الأجنبية مثل مركز البحوث الأمريكى والبعثة اليابانية والفرنسية أجريت حفائر عديدة فى عدة مواقع من الفسطاط قام بها على بهجت ، ثم قام بها على التوالى حسن الهوارى ، محمد عبد العزيز مرزوق ، جمال محرز ، عبد الرحمن عبد التواب ومن الأجانب جورج سكانلون وكوبياك .

كذلك أجريت عدة حفائر فى أجزاء مختلفة من القرافة شرقى الفسطاط ، وأجريت مصلحة الآثار حفائر فى المناطق القائمة ومن أشهرها حفائر المصلحة (هيئة الآثار المصرية) فى مدرسة المنصور قلاوون بشارع المعز ، وأسفرت عن نتائج غاية فى الأهمية، وأجريت الحفائر فى أجزاء مختلفة من مصر مثل تل القلزم بالسويس ، وحفائر سيناء وأخميم والقصير والبهنسا ، الاسكندرية ، رشيد ، فوة وغير ذلك من المواقع الأثرية الهامة فى مصر ، فضلاً عن حفائر كلية الآثار فى ظاهر الفسطاط تحت إشراف أ. د. سعاد ماهر محمد ، (١٩٧٦م) وفى قصر العينى تحت إشراف أ. د. حسن الباشا (١٩٧٩م).

- **الحفائر الإسلامية فى غرب أفريقيا :**

ومن أشهرها حفائر مدينة تجداوست (مدينة أودغست القديمة) عاصمة دولة غانا وهى أول الدول الإسلامية فى افريقية كما سبق القول .

- **الحفائر الإسلامية فى شرق افريقيا:**

الصومال : مقديشيو ، مركا ، براوة جنوب مقديشيو ؛ ساحل كينيا : لامو ، بات ، فازه ، ماندا ، تندوا ، تكوا ، الجوانا ، موانا ، مالندى ، جيدى ، كليفى متوانا لاجومبى ، متوابا ، ممباسا ، فومبا جنوب ممباسا ؛ ومن أشهرها حفائر مدينة جيدى بالقرب من مالندى التى اكتشفها العلامة كيركمان .

تنزانيا : جزيرة زنجبار ، جزيرة بمبا ، جزيرة تومباتشو . وحفائر مدينة كلوه للعلامة نيفل تشيتك .

• الحفائر الإسلامية فى باكستان وأفغانستان :

ومن أشهرها الحفائر التى أجريت فى مدينة بنبهور تلك المدينة التى تبعد أربعة أميال عن كراتشى على الطريق المؤدى إلى حيدر آباد ، فضلا عن المسوحات الأثرية والحفائر فى غزنة وقصر لشكرى بازار والمسجد الكبير فى لشكرى بازار ورباط ماهى وغير ذلك.

ويضاف إلى ذلك العديد من الحفائر الإسلامية فى تركيا (أسيا الصغرى أو الأناضول) ومنها حفائر سيواس وقيصرية وديار بكر ، والحفائر الإسلامية فى بلاد ما وراء النهر كما هو الحال فى حفائر خوارزم واوزبكستان ؛ ومنها أيضًا حفائر مدينة بركة سراى على نهر الفولجا وهى عاصمة مغول القبيلة الذهبية (القفجاق) وغير ذلك .

أما فيما يتعلق بالدراسات العربية الحديثة التى تطرقت إلى شتى مجالات الآثار الاسلامية فيمكن القول أنها قد نهجت نفس النهج فى الدراسات الأجنبية ، وعلى ذلك نستطيع أن نقسمها إلى مرحلتين هما :

أولاً ـ مرحلة الدراسات العامة :ـ

وفى هذه المرحلة تمت دراسة الآثار الإسلامية فى جميع مجالاتها سواء تحت مسمى الفن تارة أو مسمى الآثار تارة أخرى ومن هذه الدراسات ما يلى :

- زكى محمد حسن : فنون الاسلام (القاهرة ١٩٤٨م ـ بيروت ، ط٢ (١٩٨١م) .
- محمد عبد العزيز مرزوق : بين الآثار الاسلامية فى العالم ـ الفن الاسلامى تاريخه وخصائصه (بغداد ١٩٦٥م).
- حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الاسلامية (ط٢ ـ ١٩٩٠م) .
- أبو صالح الألفى : الفن الاسلامى ، أصوله ، فلسفته ، مدارسه .
- نعمت إسماعيل علام : فنون الشرق الأوسط فى العصور الإسلامية .
- حسنى محمد نويصر : الآثار الاسلامية .
- سعد زغلول عبد الحميد : العمارة والفنون فى دولة الاسلام .

- عبد الرحمن زكى : الفن الاسلامى .
- نجده خماش : دراسات فى الآثار الاسلامية .
- عفيف بهنسى : الفن الاسلامى .

ومن هذه الدراسات العامة ما خصص لدراسة اقليم أو قطر معين تحت نفس المسمى أى الفنون تارة أو الآثار تارة أخرى ، أو تحت مسمى العمارة والفنون ومن بينها :

- زكى محمد حسن : الفنون الايرانية فى العصر الإسلامى (القاهرة ١٩٤٦م - بيروت ، ط٢ (١٩٨١م) .
- مصطفى عبد الله شيحة : مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية فى الجمهورية العربية اليمنية .
- سعد الراشد : دراسات فى الآثار الإسلامية المبكرة بالمدينة المنورة .
- على حامد غبان : الآثار الإسلامية فى شمال غرب المملكة العربية السعودية مدخل عام .

ثانيًا : مرحلة الدراسات المتخصصة :

١ - العمارة الاسلامية .

- دراسات عامة :

- فريد شافعى : العمارة العربية الاسلامية ماضيها وحاضرها ومستقبلها .
- سعاد ماهر محمد : العمارة الاسلامية على مر العصور .
- ثروت عكاشة : القيم الجمالية فى العمارة الاسلامية .
- عبد القادر الريحاوى : العمارة فى الحضارة الاسلامية .
- إيناس يحيى أحمد مرسى : فن العمارة الاسلامية وأشهر معالمها .

- دراسات خاصة باقليم أو منطقة أو مدينة أو عصر معين :

- فريد شافعى : العمارة العربية الإسلامية - المجلد الأول - عصر الولاة .
- كمال الدين سامح ، العمارة فى صدر الإسلام - العمارة الاسلامية فى مصر .
- عبد القادر الريحاوى : العمارة العربية الاسلامية خصائصها وآثارها فى سوريا .
- طاهر مظفر العميد : العمارة العباسية فى سامرا .

- عيسى سلمان وآخرين : العمارة العربية الاسلامية فى العراق (مجلدان) .
- حسنى محمد نويصر ، العمارة الإسلامية فى مصر عصر الايوبيين والمماليك.
- أحمد عبد الرازق أحمد ، العمارة الاسلامية فى العصرين العباسى والفاطمى .
- سوسن سليمان يحيي : العمارة فى صدر الاسلام والعصر العباسى الأول .
- محمد حمزة إسماعيل الحداد : موسوعة العمارة الاسلامية فى مصر من الفتح العثمانى إلى نهاية عهد محمد على (١٣مجلد) ـ العمارة الاسلامية فى أوروبا العثمانية .
- منظمة العواصم والمدن الإسلامية : أسس التصميم المعمارى والتخطيط الحضرى فى العصور الاسلامية المختلفة بالعاصمة القاهرة .
- مختار الكسبانى والعربى صبره ، العمارة الإسلامية فى القاهرة ودمشق عصر دولة المماليك البحرية .
- طاهر مظفر العميد ، العمارة العباسية فى سامرا .
- سوسن سليمان يحيي : منشآت السيف والقلم فى الجهاد الإسلامى ، العمارة الأيوبية (١٩٩٤م) .
- السيد عبد العزيز سالم : العمارة الإسلامية فى الأندلس وتطورها .
- صالح لمعى مصطفى : التراث المعمارى الاسلامى فى مصر .

- دراسات خاصة بموضوع معين :

- أحمد عيسى بك : تاريخ البيمارستانات فى الاسلام .
- محمد عبد العزيز مرزوق : مساجد القاهرة قبل عصر المماليك .
- حسن عبد الوهاب : تاريخ المساجد الأثرية ـ الرسومات الهندسية فى العمارة الاسلامية .
- أحمد فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها (مدخل + ٢ مجلد) .
- عطا الحدينى ، هناء عبد الخالق : القباب المخروطية فى العراق .
- القاضى إسماعيل الأكوع : المدارس الاسلامية فى اليمن .
- سيد كمال جوادى ـ مساجد ايران ـ الجزء الأول .

- سعاد ماهر محمد ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون (٥ مجلدات) .
- أحمد رجب محمد على ، تاريخ وعمارة المساجد الأثرية فى الهند ، تاريخ وعمارة المزارات والأضرحة الأثرية الإسلامية فى الهند .
- محمد الباجى بن مامى : جوامع تونس فى العهد الحفصى .
- محمد محمد مرسى الكحلاوى : مساجد المغرب والأندلس فى عصر الموحدين ـ المدارس المغربية ـ السقايات المغربية ـ مقاصير الصلاة .
- محمود حامد الحسينى : الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة .
- محمد حمزة إسماعيل الحداد : القباب فى العمارة المصرية الاسلامية
- طراز المسجد القبة فى المدينة المنورة والهفوف ـ الرواق فى العمارة الإسلامية بمكة المكرمة ـ الأسبلة فى العمارة الاسلامية بمكة المكرمة والمدينة المنورة . ـ الأسبلة السليمانية بالقدس الشريف ـ المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية .
- يحيي وزيرى : العمارة الاسلامية والبيئة .
- محمد عبد الستار عثمان : نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة . ـ نظرة جديدة لتفسير بناء قبة الصخرة .
- عبد المنصف سالم نجم : قصور الأمراء والباشوات فى مدينة القاهرة فى القرن التاسع عشر (مجلدان) .
- رفعت موسى محمد : الوكالات والبيوت الإسلامية فى مصر العثمانية .
- رشيد بورويبه والدكالى ، المساجد فى الجزائر .
- كمال عنانى ، حمامات الأندلس .
- نجوى عثمان : مساجد القيروان .
- غادة الجميعى : مساجد أصفهان فى العصر الصفوى ، عهد الشاه عباس الأول والشاه عباس الثانى (ماجستير) .
- لمياء الجاسر : مدارس حلب الأثرية .
- محمد السيد أبو رحاب : مدارس المغرب الأقصى فى عهد بنى مرين (ماجستير) ـ العمارة الدينية والجنائزية الباقية للأشراف السعديين بالمغرب الأقصى (دكتوراه) .

- نللى حنا : بيوت القاهرة فى القرنين السابع عشر والثامن عشر .
- غزوان مصطفى ياغي : منازل القاهرة ومقاعدها فى العصرين المملوكى والعثمانى .
- محمد حسام الدين إسماعيل : الأصول المملوكية للعمائر العثمانية .

- دراسات خاصة بالمدن الإسلامية عامة أو مدينة بعينها خاصة :

- محمد عبد الستار عثمان : المدينة الاسلامية - مدينة سدوس - مدينة ظفار .
- طاهر مظفر العميد ، تخطيط المدن العربية الاسلامية - بغداد مدينة المنصور المدورة .
- أحمد على إسماعيل : المدينة العربية والاسلامية توازن الموقع والتركيب الداخلي.
- عبد الجبار ناجى : دراسات فى تاريخ المدن العربية الاسلامية .
- صالح لمعى مصطفى : المدينة المنورة - تطورها العمرانى وتراثها المعمارى .
- هشام جعيط : الكوفة : نشأة المدينة العربية الاسلامية .
- صالح أحمد العلى : خطط البصرة ومنطقتها - معالم بغداد الإدارية والعمرانية ، دراسة تخطيطية .
- سعد محمد الغامدى : مدينة الفتح الاسلامى فى سيكرى .
- وليد عبد الله المنيس : التفسير الشرعى للتمدن - المنهاج فى احياء التمدن الاسلامى .
- محمد حسام الدين إسماعيل : مدينة القاهرة من ولاية محمد على إلى إسماعيل.
- أيمن فؤاد سيد ، التطور العمرانى لمدينة القاهرة منذ نشأتها وحتى الآن .
- محمود الحسينى ، التطور العمرانى لعواصم مصر الإسلامية (دكتوراه) .
- السيد عبد العزيز سالم : تخطيط مدينة الاسكندرية وعمرانها فى العصر الاسلامى .
- عبد القادر الريحاوى : دمشق : تراثها ومعالمها التاريخية .
- عبد العزيز الدولاتلى ، مدينة تونس فى العهد الحفصى (مترجم) .

ـ دراسات خاصة ببناء بمفردة :

ـ محمود أحمد : جامع عمرو .

ـ عفيف بهنسي : الجامع الأموى بدمشق .

ـ محمود عكوش ، تاريخ ووصف الجامع الطولونى .

ـ محمد هزاع الشهرى : عمارة المسجد النبوى الشريف (مجلدان) .

ـ محمد حمزة إسماعيل الحداد : دراسة جديدة لعمارة المسجد النبوى الشريف فى ضوء مشاهدات ابن عبد ربه القرطبى الأندلسى ـ مصلى المؤمنى بالقاهرة .

ـ أحمد فكرى : قبة الصخرة ـ المسجد الجامع بالقيروان ـ جامع الزيتونة .

ـ السيد عبد العزيز سالم : مسجد المدجنين فى طليطلة .

ـ سامى عبد الحليم إمام : مسجد الأمير آق سنقر .

ـ خالد خليل الاعظمى : المدرسة المستنصرية فى بغداد .

ـ أحمد رجب : المسجد الحرام بمكة المكرمة ـ المسجد النبوى بالمدينة المنورة .

ـ سليمة عبد الرسول : القصر العباسى فى بغداد .

ـ محمد نادر العطار : قلعة حلب .

ـ شوقى شعث : قلعة حلب .

ـ عبد القادر الريحاوى : قلعة دمشق .

ـ عبد المنصف سالم نجم : قصر إسماعيل صديق باشا المفتش بلاظ أوغلى .

ـ محمد حمزة إسماعيل الحداد : مصلى المؤمنى بالقاهرة .

ـ عبد الهادى التازى : جامع القرويين (٣ مجلدات) .

ـ آمال العمرى : مسجد عبد الباقى جوربجى بالاسكندرية .

ـ دراسات خاصة بالمفردات والعناصر المعمارية والزخرفية ومواد البناء .

ـ كمال الدين سامح : تطور القبة فى العمارة الاسلامية .

ـ فريد شافعى : مئذنة ابن طولون ورأى فى تكوينها المعمارى .

ـ كامل حيدر : العمارة العربية الاسلامية : الخصائص التخطيطية للمقرنصات .

ـ نجاة يونس الحاج محمد التوتونچى : المحاريب العراقية .

ـ حسين مصطفى حسين رمضان : المحاريب الرخامية فى قاهرة المماليك البحرية (ماجستير) .

- جمال عبد الرحيم : الزخارف الجصية فى عمائر القاهرة الدينية الباقية فى العصر المملوكى البحرى (ماجستير) .
- محمد حمزة إسماعيل الحداد : الزخارف الخطية فى العمارة الاسلامية .
- محمد محمد مرسى الكحلاوى : القباب المقرنصة فى المغرب الأقصى - قبة الضلوع المتقاطعة فى المغرب والأندلس فى عصر المرابطين .
- السيد عبد العزيز سالم : المآذن المصرية .
- عبد الله كامل : تطور المئذنة المصرية (دكتوراه) .
- صالح بن قربه : المئذنة المغربية الأندلسية فى العصور الوسطى .
- سامى عبد الحليم إمام : الحجر المشهر - الخط الكوفى الهندسى .
- أسامة طلعت عبد النعيم ، المآذن الأندلسية بين النصوص التاريخية والدلائل الأثرية من الفتح الإسلامى حتى نهاية عصر الخلافة .

٢ - الفنون الزخرفية الإسلامية :"

دراسات عامة :

- سعاد ماهر محمد : الفنون الاسلامية .
- عبد العزيز حميد وآخرين : الفنون الزخرفية الاسلامية .
- صلاح حسين العبيدى : الفنون الزخرفية العربية الاسلامية .
- محمد عبد العزيز مرزوق : قصة الفن الاسلامى .

- دراسات خاصة باقليم أو مدينة أو عصر أو موضوع معين :

- محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الاسلامية (قبل الفاطميين - فى المغرب والأندلس - فى العصر العثماني) - العراق مهد الفن الاسلامى .
- فريد شافعى : الزخرفة الكأسية فى الفن الاسلامية (E) .
- ربيع حامد خليفة : فنون القاهرة فى العهد العثمانى - الفنون الزخرفية اليمنية فى العصر الاسلامى - الفنون الاسلامية فى العصر العثمانى .
- أحمد عبد الرازق أحمد : الفنون الاسلامية حتى نهاية العصر الفاطمى - الفنون الاسلامية فى العصرين الايوبى والمملوكى - الرنوك الاسلامية .
- محمود إبراهيم حسين : الفنون الاسلامية فى العصر الفاطمى - موسوعة الفنانين المسلمين .

- أبو الحمد فرغلي : الفنون الزخرفية الاسلامية فى عصر الصفويين بايران .
- جمال عبد الرحيم : الفنون الزخرفية الاسلامية فى العصرين الايوبى والمملوكى .
- عبد الناصر ياسين : الفنون الزخرفية الاسلامية فى مصر منذ الفتح الاسلامى حتى نهاية العصر الفاطمى (دراسة آثارية حضارية للتأثيرات الفنية الوافدة - الفنون الزخرفية الاسلامية فى العصر الأيوبى . - الرمزية الدينية فى الزخرفة الاسلامية (دراسة فى ميتافيزيقا الفن الاسلامي) - الأسلحة الهجومية فى العصر الاسلامى (بالتطبيق على زخارف الفنون التطبيقية والعمائر) - وسائل السفر عند المسلمين تاريخها وآثارها ، دراسة عن الهودج وشاكلاته فى ضوء المصادر المكتوبة والأثرية - قسمان (القاهرة ٢٠٠٥م) .
- حسين مصطفى حسين رمضان : سيمرغ « العنقاء » فى الفن الاسلامى - جريفين فى الفن الاسلامى - الزخرفة النباتية ذات الكائنات الحية فى الفن الاسلامى المعروفة بالواق واق - جوزهر فى الفن الاسلامى - تكوينات الحركة الدوارة ذات الكائنات المائية فى الفن الاسلامى .
- على أحمد الطايش : الفنون الزخرفية الاسلامية المبكرة (فى العصرين الأموى والعباسى) .
- فايزة الوكيل : الشوار جهاز العروس فى مصر فى عصر سلاطين المماليك .

- **دراسات حسب المادة :**
- سعاد ماهر محمد - الخزف التركى - النسيج الاسلامى - خزف الرقة - الحصير فى الفن الاسلامى .
- أحمد عبد الرازق : شبابيك القلل الفخارية فى دار الآثار الاسلامية .
- هناء عبد الخالق : الزجاج الاسلامى .
- فريال داود المختار : المنسوجات العراقية الاسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة العباسية .
- محمود إبراهيم حسين : الخزف الاسلامى فى مصر .
- سامى عبد الحليم : المنسوجات الأثرية القبطية والاسلامية المحفوظة فى متحف جاير اندرسون بالقاهرة .
- محمد مصطفى : الخزف الاسلامى - سجاجيد الصلاة التركية - خزف الاناضول وزجاج مموه بالمينا .

- صلاح حسين العبيدى : التحف المعدنية الموصلية فى العصر العباسى .
- عبد العزيز صلاح سالم : التحف المعدنية فى العصر الأيوبى .
- عبد الرؤوف على يوسف : طبق غبن والخزف الفاطمى المبكر - الخزف الايرانى .
- فريد شافعى : الأخشاب المزخرفة فى الطراز الاموى - مميزات الأخشاب المزخرفة فى الطرازين العباسى والفاطمى فى مصر - زخارف وطرز سامرا .
- شادية الدسوقى : الأخشاب فى العمائر الدينية بالقاهرة العثمانية - فن الصدفكارى .
- محمد أبو الفرج العش : الزجاج السورى المموه بالمينا والذهب فى العصر الوسيط .
- السيد عبد العزيز سالم : تحف العاج الأندلسية فى العصر الإسلامى .
- محمد عبد العزيز مرزوق : الزخرفة المنسوجة فى الأقمشة الفاطمية - فخار العراق وخزفة فى العصر الاسلامى - صفحات من الفن الاسلامى فى الأندلس : التحف المصنوعة من العاج - الطنافس اليدوية فى العصر الاسلامى .
- آمال العمرى : الشماعد المصرية فى العصر العربى (ماجستير) .
- فايزة محمود عبد الخالق الوكيل : آثاث المصحف فى مصر فى عصر المماليك .
- آمال المصرى : أزياء المرأة فى العصر العثمانى .
- حسن محمود نور : تحف زجاجية وبللورية من عصر الأسرة القاجارية .

٣ - التصوير الاسلامى :

- دراسات عامة :

- أحمد تيمور : التصوير عند العرب .
- أبو الحمد فرغلى : التصوير الإسلامى نشأته وموقف الإسلام منه وأصوله ومدارسه .
- ثروت عكاشة : التصوير الاسلامى الدينى والعربى .
- محمود إبراهيم حسين : المدخل فى دراسة التصوير الاسلامى - المدرسة فى التصوير الاسلامى .

- **دراسات خاصة باقليم أو منطقة أو مدينة أو عصر أو جنس أو المصورين أو موضوع معين :**

- زكي محمد حسن : مدرسة بغداد فى التصوير الاسلامى ـ التصوير فى الإسلام عند الفرس .
- حسن الباشا : فنون التصوير الاسلامى في مصر .
- ثروت عكاشة : التصوير الفارسي والتركى ـ فن الواسطى من خلال مقامات الحريرى ـ التصوير الإسلامى المغولى فى الهند .
- جمال محرز : الرسوم الشخصية فى التصوير الاسلامى ـ التصوير بالأندلس .
- حسن محمد نور : صور المعارك الحربية فى المخطوطات العثمانية .
- ربيع حامد خليفة : فن الصور الشخصية فى مدرسة التصوير العثمانى ـ فن التصوير عند الأتراك الاويغور وأثره على التصوير الاسلامى .
- محمود إبراهيم حسين : أعلام المصورين المسلمين وأشهر أعمالهم الفنية ـ دراسة للصور الشخصية فى المدرسة المغولية الهندية من خلال مجموعة من الصور تنشر لأول مرة .
- مصطفى جابر : مدرسة بخارى فى التصوير الإسلامى ، (ماجستير ـ ٢٠٠٥م).
- منى سيد على حسن : التصوير الاسلامى فى الهند (الصور الشخصية فى المدرسة المغولية الهندية ـ تسليات البلاط وحياة الشعوب فى التصوير المغولى الهندي) .
- خالد الجادر : المخطوطات العراقية المرسومة فى العصر العباسى .
- أبو الحمد فرغلى : تصاوير المخطوطات فى عصر الايوبيين (ماجستير) ـ صور مخطوطات الشاهنامة المحفوظة بدار الكتب المصرية (دكتوراه) .
- عبد الناصر ياسين : الاعلام البحرية فى تصاوير المخطوطات الاسلامية .
- منى محمد بدر : الاعلام الاسلامية بالتطبيق على صور المخطوطات الاسلامية .
- صلاح أحمد البهنسى : مناظر الطرب فى التصوير الايرانى فى العصرين التيمورى والصفوى .
- عيسى سلمان: الواسطى : رسام وخطاط ومذهب ومزخرف.
- محمد عبد الجواد الأصمعى : تصوير وتجميل الكتب العربية فى الاسلام ونوابغ المصورين والرسامين من العرب فى العصور الاسلامية .

- محمد مصطفى : بهزاد ـ التصوير الايرانى فى العصرين التيمورى والصفوى ـ تصاوير قاهرية .
- سمية حسن : المدرسة القاجارية فى التصوير الاسلامى (ماجستير) ـ صور الاحتفالات فى المخطوطات العثمانية (دكتوراه) .

ـ التجليد والتذهيب :ـ

- محمد عبد العزيز مرزوق : المصحف الشريف .
- اعتماد القصيرى : فن التجليد عند المسلمين .
- عبد اللطيف إبراهيم : جلدة مصحف بدار الكتب المصرية .
- عبد العزيز مؤذن : فن الكتاب المخطوط فى العصر العثمانى (دكتوراه ـ جامعة أم القرى) .
- فريد شافعى : زخارف مصحف .
- سامى نوار : فن صناعة المخطوط الفارسى .
- شادية الدسوقى : فن التذهيب العثمانى فى المصاحف الأثرية .
- عبد الله المنيف : دراسة فنية لمصحف مبكر .
- سهام محمد المهدى : تجليد الكتب فى مصر فى العصر المملوكى .

٥ ـ النقوش الآثارية والخط العربى (الشكل والمضمون) :

- حسن الباشا : الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ـ الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية (٣ مجلدات) ـ الخط الفن العربى الأصيل .
- حسن محمد نور : شواهد قبور من تربة البايات بتونس العاصمة دراسة فى الشكل والمضمون .
- حسين عليوة : الكتابات الأثرية العربية : دراسة فى الشكل والمضمون .
- مايسة محمود داود : الكتابات العربية على الآثار الإسلامية منذ القرن الأول حتى أواخر القرن الثانى عشر للهجرة .
- حسين مصطفى حسين : الاعجام فى ضوء الكتابات الأثرية .
- أحمد الزيلعى : تطور الكتابات الاسلامية فى إمارات مكة الجنوبية ـ الخلف والخليف آثارهما ونقوشهما الاسلامية .

- سعد الراشد : كتابات اسلامية غير منشورة من « رواوه » المدينة المنورة - كتابات اسلامية من مكة المكرمة .
- ناصر الحارثى : النقوش العربية المبكرة بالطائف .
- مجاهد توفيق الجندى : الخط العربى وأدوات الكتابة .
- مصطفى بركات : النقوش الكتابية على عمائر مدينة القاهرة فى القرن التاسع عشر (دكتوراه) .
- محمد حسام الدين إسماعيل ، الكتابات العربية حتى القرن السادس الهجرى .
- محمد حمزة إسماعيل الحداد : النقوش الآثارية مصدراً للتاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية (٣ مجلدات) .
- محمد فهد الفعر : تطور الكتابات والنقوش فى الحجاز منذ فجر الاسلام حتى منتصف القرن السابع الهجرى .
- محمد يوسف صديق ، رحلة مع النقوش الكتابية الإسلامية فى بلاد البنغال - دراسة تاريخية حضارية (٢٠٠٤م) .
- محمود شكر الجبورى : نشأة الخط العربى وتطوره .
- سهيلة ياسين الجبورى : أصل الخط العربى وتطوره حتى نهاية العصر الأموى - الخط العربى وتطوره فى العصور العباسية .
- عبد الرحمن الزهرانى ، كتابات إسلامية من مكة المكرمة (ق ١ - ٧هـ/ ٧ - ١٣م) .
- عبد الفتاح عبادة : انتشار الخط العربى .
- محمد طاهر الكردى : تاريخ الخط العربى وآدابه .
- صلاح الدين المنجد : دراسات فى تاريخ الخط العربى حتى نهاية العصر الاموي.
- يوسف أحمد : الخط الكوفى .
- عبد العزيز حميد وآخرين : الخط العربى .
- يحيى وهيب الجبورى : الخط والكتابة فى الحضارة العربية .
- خير الله ، جمال عبد العاطى ، دراسة أثرية لشاهدى قبرين من دهلك محفوظين بالمتحف البريطانى فى لندن (يناير ٢٠٠٣م) ، دراسة أثرية فنية لشاهدى قبرين من تركيا العثمانية محفوظين بالمتحف البريطانى فى لندن (يناير ٢٠٠٤م).

٦- السكة الاسلامية :

- عبد الرحمن فهمى محمد : النقود العربية ، ماضيها وحاضرها - موسوعة النقود العربية وعلم النميات .

- رأفت النبراوى : النقود الاسلامية فى مصر : عصر دولة المماليك الجراكسة - النقود الصليبية فى مصر والشام - الصنج الزجاجية للسكة الفاطمية - النقود الاسلامية .
- العش والجابر : النقود العربية الاسلامية فى متحف قطر الوطنى (مجلدان) .
- حامد العجابى : جامع المسكوكات العربية بافريقية .
- خلف الطراونه ، المسكوكات الأيوبية .
- صالح بن قربة : المسكوكات المغربية من الفتح الاسلامى إلى سقوط دولة بنى حماد .
- مايسة محمود داود : المسكوكات الفاطمية بمجموعة متحف الفن الاسلامى بالقاهرة .
- نايف القسوس : مسكوكات الأمويين فى بلاد الشام .
- ناهض دفتر عبد الرازق القيسى : موسوعة النقود العربية والإسلامية - النقود فى العراق .
- سمير شما ، أحداث عصر المأمون كما ترويها النقود .
- سامح عبد الرحمن فهمى : القيم النقدية فى الوثائق المملوكية .
- ناصر النقشبندى : الدرهم الاسلامى .
- أحمد الصاوى : النقود المتداولة فى مصر العثمانية .
- وليم قازان : المسكوكات الاسلامية .
- نايف الشرعان : نقود الدولة العيونية فى بلاد البحرين .
- نيرة رفيق جلال : نقود سجلماسة فى العصر الإسلامى (ماجستير ٢٠٠٥م) .
- عاطف منصور رمضان : موسوعة النقود فى العالم الاسلامى ، الجزء الأول : نقود الخلافة الاسلامية .

وقد اعتمدنا فى كتابنا هذا على البحوث والدراسات الأجنبية والعربية المشار إليها ، وغيرها مما لم نذكرها هنا لضيق المقام ، ومن ثم سوف نشير إلى هذه وتلك فى هوامش الكتاب وثبت المصادر والمراجع .

وختاما فانه يحسن بنا أن نشير إلى أنه يجب الرجوع إلى ببليوغرافيا العمارة

والفنون والحرف فى الاسلام للعلأمة الكابتن كريزول ، وتعتبر هذه الببليوغرافيا أشمل ما صدر حتى الآن عن المراجع المتعلقة بالآثار الاسلامية وقد صدرت فى ثلاثة مجلدات : الأول عام ١٩٦١م ، والثانى عام ١٩٧٢م ، والثالث عام ١٩٨٤ ، وقد شارك فى اعداد المجلدين الثانى والثالث كل من بيرسون ومواينكه وسكانلون من أساتذة الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، والمجلد الأول يشتمل على ١٢٣٠٠ مؤلف فى الآثار الاسلامية حتى أواخر عام ١٩٥٩م ، والثانى يشتمل على ٤٠٠٠ مؤلف أخرى حتى أواخر عام ١٩٧١م ، والثالث يشتمل على ١١٠٠٠ مؤلف حتى أواخر عام ١٩٨٠م ، ورغم هذا العدد الضخم من المؤلفات التى صدرت عن الآثار الاسلامية فى هذه الببليوغرافيا بمجلداتها الثلاثة إلا أنه ينقصها الكثير ولا سيما المؤلفات والبحوث المنشورة باللغة العربية[٧] ، ولذلك يجب العمل على اعداد قوائم للمراجع المتعلقة بالآثار الاسلامية وتحديثها كل خمس سنوات على الأقل ، ولا شك أن التقنيات العلمية الحديثة تساعد كثيراً بل وتيسر مثل هذا الأمر .

وعلى ضوء ما تقدم نستطيع أن نقسم الآثار الإسلامية إلى مجالين رئيسيين وهما :

١- **الآثار الثابتة** : ويقصد بها تلك العمائر أو الأبنية التى لا تزال باقية فى موضعها منذ أن أنشئت وحتى الآن سواء بقيت على حالتها الأصلية أو مرت عليها مراحل التوسعة والإضافة والزيادة والتجديد والزخرفة ، ويضاف إليها أيضًا تلك الأبنية أو العمائر التى يعثر على بقاياها فى الحفائر الأثارية المختلفة .

٢- **الآثار المنقولة** : ويقصد بها آثار الفنون الإسلامية المختلفة سواء كانت فنونا زخرفية (تطبيقية أو صناعية أو فنون صغري) كالفخار والخزف والخشب والعاج والنسيج والسجاد والزجاج والبللور الصخرى والمعادن أو التصوير وفنون الكتاب كالخط والتذهيب والتجليد ، فضلا عن السكة الإسلامية (الدنانير الذهبية والدراهم الفضية والفلوس النحاسية أو البرونزية) وما يرتبط بها من مفردات علم النميات ، ومجمل القول فإن هذه الآثار المنقولة بأنواعها هى مما تحفظ فى المتاحف ودور الكتب وأماكن

---

(٧) الباشا ، قاعة بحث فى العمارة والفنون الإسلامية ، القاهرة (١٩٨٨م) ، ص١١٨ - ١٢٤ .

الحفظ المختلفة وبعضها فى الكنائس والكاتدرائيات ، وبعضها الآخر فى مجموعات خاصة .

ويشمل هذا الباب على خمسة فصول :

الأول : العمارة الإسلامية . والثانى : الفنون الزخرفية الإسلامية ، والثالث : التصوير الإسلامى وفنون الكتاب ، والرابع : السكة الإسلامية ، والخامس : آثر الآثار الإسلامية فى أوروبا .

الفصل الأول

العمارة الإسلامية

كانت العمارة الإسلامية ولا تزال تحتل مكانة مرموقة بين طرز العمارة التى عرفتها الحضارة الإنسانية عامة ؛ فقد استطاعت العمارة الإسلامية التى إنتشرت فى أقطار عديدة من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب أن تحقق لنفسها طرازاً فريداً بين تلك الطرز فمن جهة أضافت العمارة الإسلامية إلى التراث المعمارى العالمى نظماً تخطيطية لم تكن معروفة من قبل كالمساجد والمدارس والخانقاوات والزوايا وغير ذلك ، ومن جهة ثانية أدخلت على نظم العمارة الجنائزية والمدنية والحربية أنظمة جديدة جعلت لها طابعا فريداً مميزاً ، وما تاج محل فى أجرا (بالهند) وطوبقابى سراى باستانبول (تركيا) وقصر الحمراء بغرناطة (اسبانيا) إلا خير شواهد مادية حية باقية تكفى للتدليل على ذلك .

وفضلاً عن هذه وتلك ابتكرت العمارة الإسلامية أيضًا عناصر معمارية وزخرفية عديدة إتسمت بالمهارة والتنوع والدقة البالغة وبقيمتها الفنية والجمالية التى لا تخطئها العين .

ويكفى للدلالة على مكانة هذا الطراز وعلو شأنه أن نشير إلى أنه قد أثر تاثيراً واضحاً فى العمارة والفنون الأوروبية على حد سواء كما هو معروف وهو ما سوف نسلط عليه الضوء فى الفصل الخامس من هذا الباب .

ومن الحقائق المعروفة فى تاريخ العمارة والفنون أن الطرز المختلفة تكاد تتشابه كلها فى مراحل تطورها من حيث الخضوع لعدد من العوامل العامة التى يتأثر بها كل طراز بطريقته الخاصة فتوجهه وتؤثر عليه عند نشأته وفى أثناء خطوات تطوره وتساعد على خلق شخصيته وطابعه وملامحه ؛ وقد ساهمت فى نشأة وتطور طراز العمارة الإسلامية عدة عوامل دينية وبيئية واقتصادية وسياسية . ويمكن القول بأن هذه العوامل تكاد تكون متشابهة فى معظم أقطار العالم الإسلامى مما زاد من الروابط التى تربطها ببعضها توثيقا ، وهو الأمر الذى أضفى على الطراز الإسلامى طابعه العام الذى يتسم به وهو طابع الوحدة الظاهرة التى لا مجال لانكارها أو التشكك فيها على الرغم من احتفاظ كل قطر بطابع محلى مميز له خاص به[1].

---

(١) شافعى ، فريد ، العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، المجلد الأول ، عصر الولاة ، القاهرة (١٩٧٠م) ، ص٢٣١ ـ ٢٩٢ ؛ فكرى، أحمد ، عوامل الوحدة فى الآثار الإسلامية بالبلاد العربية ، ضمن كتاب دراسات فى الآثار الإسلامية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، القاهرة (١٩٧٩م) ، ص١ ـ ٧.

وفى ضوء ما تقدم يمكن القول بأنه يوجد طراز إسلامى عام إنبثقت منه أو تفرعت عنه طرز محلية ؛ إذ أن كل قطر من الأقطار الإسلامية قد أخذ يتخذ لنفسه سمات خاصة وشخصية مستقلة يتميز بها فى قليل أو كثير عن بقية الأقطار الأخرى متأثراً فى ذلك بعوامل البيئة المحلية ، وغير ذلك من العوامل المشار إليها ، ويستطيع المتخصص وغير المتخصص أن يتبين بوضوح هذا الطراز الإسلامى بطابعه العام الذى لا يمكن أن تخطئه العين ، وهذه الطرز المتفرعة عنه بطابعها المحلى التى تنضوى كلها تحت لوائه .

ومن هذه الطرز الفرعية أو المحلية نذكر كلا من : طراز الجزيرة العربية والطراز العراقى والطراز الشامى والطراز الايرانى وطراز أسيا الوسطى والطراز الأناضولى (أو طراز أسيا الصغري) والطراز الهندى والطراز المصرى والطراز المغربى والطراز الأندلسى وطراز شرق أفريقيا وطراز غرب أفريقية .

ونضيف على ما تقدم فنذكر أنه إذا كانت هذه الطرز الفرعية أو المحلية قد إرتبطت فى نشأتها ومراحل تطورها بعوامل البيئة المحلية من جهة ، فإنها من جهة ثانية قد ارتبطت أيضًا بالدول الإسلامية التى حكمت كل قطر - أو عدة أقطار - وما تعتنقه من مذاهب دينية ، فضلا عن إستقرار الأحوال السياسية والاقتصادية ، وما كان يصاحب هذه وتلك من إستقرار الأوضاع الاجتماعية وتحسن العلاقات الخارجية التى كان لها أثرها البالغ فى تبادل التأثيرات المعمارية والفنية وبالتالى فى إثراء كل طراز من هذه الطرز .

ومما له دلالته فى هذا المقام أن نشير إلى أنه بالاضافة إلى وجود هذا الطراز الإسلامى العام والطراز المحلى الخاص فقد يشترك فى بعض الخصائص والسمات قطران أو أكثر متجاورين أولهما خصائص بيئية مشتركة أو خضعا لحكم دولة واحدة ، ومن أمثلة ذلك الجناح الشرقى لدولة الإسلام كما هو الحال فى ايران وأسيا الوسطي وأسيا الصغرى والهند أو قلب العالم الإسلامى كما هو الحال في مصر والشام والحجاز بالجزيرة العربية ، أو الجناح الغربى للدولة الإسلامية كما هو الحال فى المغرب والأندلس فى عصرى المرابطين والموحدين.

كذلك ينبغى ألا تفوتنا الإشارة فى هذا المقام إلى أن المدن الرئيسية التى تنتمى إلى كل طراز من تلك الطرز الفرعية أو المحلية كانت لها سماتها الخاصة وطابعها العام الذى تتميز به فى قليل أو كثير عن بقية المدن الأخرى ، ولكن دون أن تفقد صلتها وارتباطها بالطراز الأم الذى تنتمى إليه والتى هى فرع منه وامتداد له .

وينطبق ذلك الأمر على جميع طرز العمارة الإسلامية فالطراز المصرى ، على سبيل

المثال ، تتضح شخصيته وخصائصه وسماته وملامحه فى مدينة القاهرة والمدن المصرية فى الوجهين القبلى والبحرى ، ومع ذلك فإن لكل مدينة من تلك المدن مميزاتها العامة وسماتها الخاصة التى تنفرد بها عن غيرها من المدن كما هو الحال فى مدينة القاهرة ـ التى تعد بمثابة الطراز الأم للعمارة المصرية الإسلامية ـ وكل من الاسكندرية ودمياط والمحلة الكبرى ورشيد وفوه فى طراز الدلتا ، والفيوم وجرجا وأخميم وقوص واسنا واسوان فى طراز الصعيد .

وفى الطراز الشامى نجد أن لكل مدينة من المدن التى تنتمى إلى هذا الطراز سماتها الخاصة ومميزاتها العامة كما هو الحال فى صيدا وصور وطرابلس وبيروت بالجمهورية اللبنانية ، والقدس وغزة فى فلسطين ، ودمشق وحماه وبصرى وحلب فى سوريا وغير ذلك . وفى الطراز العراقى ينطبق نفس الشىء على العديد من المدن كما هو الحال فى البصرة والكوفة وواسط وبغداد وسامرا والموصل وغير ذلك .

وفى الطراز الأناضولى (أسيا الصغرى) كما هو الحال فى ديار بكر وقيصريه ومغنيسه (أو مانيسا) وسيواس وبورصه (أو بروسه) وأزنيق واستانبول وغير ذلك .

وفى الطراز الايرانى كما هو الحال فى أصفهان وكرمان ومشهد والرى وخراسان وطوس وقزوين وغير ذلك .

وفى طراز أسيا الوسطى كما هو الحال فى بخارى وسمرقند وخيوه وبلخ وهراة وغزنه وغير ذلك .

وفى الطراز المغربى كما هو الحال فى القيروان والمهدية وسوسة والمنستير وطرابلس الغرب وبجاية وتاهرت وتلمسان وفاس ومراكش والرباط وغير ذلك .

وفى الطراز الأندلسى كما هو الحال فى قرطبة واشبيلية وغرناطة وطليطلة وسرقسطة وغير ذلك .

وفى طراز الجزيرة العربية كما هو الحال فى مكة المكرمة والمدينة المنورة والهفوف والمدن العمانية المختلفة وصنعاء وتعز وجبلة وعدن وغير ذلك .

هذا وتشتمل العمارة الإسلامية على أربعة أنواع رئيسية وهى :

أولاً : العمارة الدينية : وتشمل المساجد والجوامع والمدارس والخوانق والزوايا والأربطة فى مرحلتها الثانية بعد أن صارت تقام فى داخل المدن .

ثانيًا : العمارة الجنائزية : وتشمل المدافن والترب والقباب والمشاهد والعتبات المقدسة سواء كانت مستقلة ـ أى منفردة بذاتها ـ أو ملحقة بغيرها من العمائر الدينية غالبا ، والمدنية والحربية أحيانا .

ثالثًا : العمارة المدنية : وتشتمل هى الأخرى على الأنواع التالية :

١ ـ العمائر الخيرية : وتشمل الأسبلة (السقايات) وأحواض السبيل ومكاتب السبيل .

٢ ـ العمائر الصحية : وتشمل البيمارستانات (المستشفيات) .

٣ ـ العمائر المتعلقة بالنظافة والصحة العامة : وتشمل الحمامات العامة .

٤ ـ العمائر السكنية : وتشمل الدور والرباع والقصور .

٥ ـ العمائر التجارية : وتشمل الخانات والفنادق والقيساريات والسماسر والوكالات .

٦ ـ العمائر الصناعية : وتشمل الأفران والمعامل والمصانع والمعاصر والطواحين .

٧ ـ عمائر المنافع العامة : وتشمل المقاييس والسدود والجسور والقناطر والصهاريج والبرك والمواجل .

رابعًا : العمارة الحربية :

وتشمل القلاع والحصون والقصبات وما يرتبط بها من أسوار وبوابات وأبراج ومرافق ومنافع متعددة .

أما قبة الصخرة فهى نوع خاص جداً حيث ارتبط بناؤها بتخليد ذكر حادثة بعينها لم تحدث سوى مرة واحدة فى التاريخ ـ ولن تحدث بطبيعة الحال مرة ثانية ـ وهى حادثة ليلة الإسراء والمعراج للرسول الكريم سيدنا محمد (ﷺ) ولذلك فإن هذه القبة التى بنيت فوق الصخرة المقدسة إنما كانت أشبه بخزانة محكمة الغلق لحفظ هذه الصخرة من أيدى العابثين ، ولما كانت قبة الصخرة هى نوع خاص يصعب أن ندرجه تحت أى نوع من أنواع العمارة الإسلامية المشار إليها ، ومن ثم سوف نفرد لها دراسة موجزة لابراز أهميتها وخصائصها المعمارية والفنية .

وفيما يلى نسلط الضوء على كل نوع من الأنواع الأربعة الرئيسية المشار إليها ، وذلك حسب الخطة الموضوعة لهذا الكتاب .

قبة الصخرة(٢)

قبل أن نتحدث عن العمائر الإسلامية وأنواعها المشار إليها ، ينبغى ، بادئ ذى بدء ، أن نقف وقفة قصيرة عند نموذج معمارى نادر فى العمارة الإسلامية عامة وفي بلاد الشام خاصة ألا وهو قبة الصخرة المقدسة بالقدس الشريف حتى نبرز فى عجالة أهميتها الدينية والتاريخية والمعمارية والفنية .

وبعد فإن قبة الصخرة مبنى فريد فى العمارة الإسلامية وتقع فى منطقة الحرم القدسى الشريف ، وهى منطقة أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، فى أعلى جبل موريا . وقد أمر ببنائها الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان (٦٥ ـ ٨٦هـ/ ٦٨٤ ـ ٧٠٥م) بعد أن عهد إلى اثنين من رجاله بالإشراف على عملية البناء وهما :

ـ رجاء بن حيوة الكندى .

ـ يزيد بن سلام .

وقد تم الانتهاء من بنائها سنة ٧٢هـ/ ٦٩١م حيث خصص لها عبد الملك خراج

---

(٢) قام بدراسة قبة الصخرة عدد كبير من المستشرقين والعلماء والباحثين الغربيين والعرب وأبرزوا أهميتها الدينية والتاريخية والأثرية (المعمارية والفنية)، فضلاً عن تلك الدراسات التى عنيت بتفسير كيفية بنائها والأصول المعمارية والفنية لها ، وهو ما سوف نقوم بمناقشته فى كتابنا المفصل (بمشيئة الله تعالى) ، وحسبنا الآن أن نشير إلى عدد من الدراسات التى عولنا عليها ومنها : بدر ، محمد عباس ، قبة الصخرة ضمن كتاب دراسات فى الآثار الإسلامية ،، القاهرة ١٩٧٩م ، ص٨٥ ـ ٨٢ ؛ بن نايف ، وجدان على ، سلسلة التعريف بالفن الإسلامى (١) الأمويون العباسيون الأندلسيون ، عمان (١٩٨٨م) ، ص ٢٧ ـ ٣٢ ؛ الباشا ، مدخل إلى الآثار الإسلامية ، القاهرة ، ط٢ (١٩٩٠م) ، ص١٠٧ ـ ١٠٨ ؛ التصوير الإسلامى فى العصور الوسطى ، القاهرة ، ط٢ (١٩٧٨م)؛ ص٢٤ ـ ٣٠ ، الريحاوى ، عبد القادر ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، جدة (١٩٩٠م) ، ص٤٠ ـ ٥٣ ؛ فان برشم ، مارجريت ، واورى ، سولانج ، القدس الإسلامية فى أعمال ماكس فان برشم ، ترجمة عطاالله دهينة وآخرين ، دمشق (١٩٩٤م)، ص٤١ ـ ٦٩ ؛ يحيي ، سوسن سليمان ، آثارنا الإسلامية ، العمارة فى صدر الإسلام والعصر العباسى الأول ، القاهرة (١٩٩٧م)، ص ٨٣ ـ ٨٥ ؛ سامح ، كمال الدين ، العمارة فى صدر الإسلام ، القاهرة (٢٠٠٠م) ، ص١٧ ـ ٢٦ ؛ كريزول ، ك . أ . س . الآثار الإسلامية الأولى ، ترجمة عبد الهادى عبلة ، دمشق (١٩٨٤م) ، ص٣٣ ـ ٦١ ؛ عبده ، عبد الله كامل ، الأمويون وآثارهم المعمارية ، القاهرة (٢٠٠٣م)، ص٥٤ ـ ٥٩ ؛ نويصر ، حسنى محمد ، الآثار الإسلامية ، القاهرة ، ط٢ (٢٠٠٤م) ، ص ٧٤ ـ ٨٢ ؛ مرسى ، إيناس يحيى أحمد ، فن العمارة العربية وأشهر معالمها ، الكويت (٢٠٠٠م) ، ص ٩٣ ـ ٩٨ .

مصر لسبع سنوات متصلة ، وهذا يعنى أن البناء بدأ سنة ٦٥هـ/ ٦٨٤م وقيل أنه تبقى مائة ألف دينار فأمر عبد الملك بصرفها مكافأة سخية للرجلين ، لكنهما رفضا معللين ذلك أنهم أولى أن يزيدوه من حلى نسائهم فيصرفها فى أحب الأشياء إليه ، فأمر بصهرها وتفريغها على القبة والأبواب والشبابيك . ولهذه القبة التى شبهناها بخزانة محكمة الغلق ، كما سبق القول ، أهمية :

- دينية . - تاريخية . - معمارية . - فنية .

• الأهمية الدينية :

تتجلى الأهمية الدينية لقبة الصخرة فى ارتباطها بليلة الإسراء والمعراج ، فإلى المسجد الأقصى اسرى بالرسول (ﷺ) ومن فوق هذه الصخرة عرج به إلى السماوات العليا ، وبذلك بلغ مبلغا كبيرا لم يصل إليه ملك مقرب ولا نبى كريم ، وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك بقوله تعالى : ﴿ ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ . صدق الله العظيم .

• الأهمية التاريخية :

تعد هذه القبة أقدم مبنى أثرى إسلامى باقٍ فى الحضارة الإسلامية ؛ بالإضافة إلى ذلك يحتوى هذا المبنى على أقدم دليل لأول سرقة تاريخية وانتحال فى العصر الإسلامى، حيث قام النقاش فى عهد الخليفة العباسى المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ/ ٨١٣ - ٨٣٣م) بمحو اسم الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان وإحلال اسم الخليفة المأمون محله ، لكن فات على النقاش أن يغير التاريخ ليتناسب مع فترة حكم المأمون ، وبالتالى فان بقاء التاريخ الأصلى كما هو أضحى دليلاً ماديا أو قرينة آثارية مهمة على هذه السرقة.

• الأهمية المعمارية (شكلا ٥٩ - ٦٠ ، لوحات ٩ - ١١) :

تتمثل هذه الأهمية فى روعة تخطيطها وحسن تصميمها وإبداع شكلها ، بحيث اعتبرها كثير من المستشرقين والعلماء الأجانب أعظم بناء معمارى فى العصور الوسطي، فضلا عن أنه نموذج لم يتكرر بعد ذلك ؛ مما جعل منه نموذج فريد بل ونادر فى العمارة الإسلامية .

• التصميم المعمارى (شكلا ٥٩ ـ ٦٠) :

يتكون التصميم العام لقبة الصخرة من مثمن خارجي مصمت ؛ إذ لا يحوى سوى أربعة أبواب محورية تواجه الجهات الأصلية الأربعة ، وتبلغ أبعاد الأبواب ٤ر٣م ارتفاعا و٦ر٢م عرضا ، ولم تتغير مقاييس الأبواب منذ عهد عبد الملك . ويتقدم هذه الأبواب سقيفة محمولة على أعمدة من الرخام . يلى ذلك مثمن داخلى مفرغ ـ مفتوح من جميع الجوانب ـ يتكون من الأعمدة والدعامات بواقع ثمانية دعامات فيما بينها ستة عشر عموداً ـ أى عمودين بين كل دعامتين ـ يلى ذلك دائرة وسطى مفرغة تتكون أيضًا من الدعامات والأعمدة ، بواقع أربع دعامات فيما بينها اثنتى عشر عمودا ـ أى ثلاثة أعمدة بين كل دعامتين . وهذه الدائرة هى التى تحيط بالصخرة المقدسة ، وهى التى أقيمت فوقها القبة . أما عن الصخرة نفسها فهى معلقة إذ أنها ترتفع عن أرض الهضبة من ثلاثة جوانب بواقع ٥ر١م وهى مساحة غير منتظمة الشكل حيث تبلغ أبعادها ٥ر١٧م × ٥ر١٣م .

وقد ترتب على هذا التصميم ـ مثمن خارجى ثم آخر داخلى ثم دائرة وسطى ـ ممرين داخليين أحدهما يحيط بمنطقة الصخرة والآخر مجاور إليه باتجاه الخارج ، وكان المهندس بارعا فى هذا التصميم حيث وضع الدعامات المحيطة بالصخرة بشكل ملفوف بعض الشيء حتى لا يحجب الرؤية عن الصخرة من أى اتجاه . وقد تم تغطية السقف بواسطة سطح مائل يستند أحد طرفيه على الدائرة الوسطى ، وهو الطرف الأعلى ، ويستند الطرف الآخر على المثمن الخارجى ، وهو الطرف الأدنى ، ومحمول فى الوسط على المثمن الداخلى .

• القبة : (لوحات ٩ ـ ١١) :

ذات قشرتين أو طبقتين ، أحداهما داخلية والأخرى خارجية ، وهى من الخشب المكسو بألواح الرصاص ومغطى برقائق الذهب . وتقوم هذه القبة على رقبة اسطوانية ـ فتحت بها ست عشرة نافذة والتى تستند بدورها على الدائرة الوسطى ، ويبلغ قطر هذه القبة ٤٤ر٢٠م .

• الأهمية الفنية (لوحات ٣٣٨ ـ ٣٣٩) :

تعد قبة الصخرة أقدم العمائر الاسلامية الباقية التى نقشت بالفسيفساء متنوعة

المواد ، لكن أشهرها الفسيفساء الزجاجية والذهبية والفضية ، وكلها عبارة عن مناظر طبيعية بحتة تمثل الأشجار والأعناب والنخيل وغير ذلك مما ورد فى القرآن الكريم عن وصف الجنة التى وعد بها المتقون . وسوف نتحدث عن هذه الفسيفساء عند الحديث عن التصوير الجدارى فيما بعد .

هذا يوجد بالجزء العلوى من المثمن الداخلى شريط كتابى من الفسيفساء المذهبة على أرضية بيضاء طوله ٢٤٠م مكتوب بالخط الكوفى البسيط ، ومضمون الكتابة آيات من القرآن الكريم تنتهى بنقش تأسيس : « بنى هذه القبة عبد الله الإمام المأمون أمير المؤمنين فى سنة اثنتين وسبعين ». وقد ناقشنا من قبل مسألة التغيير الذى ادخل على النقش حيث اسم المأمون مكتوب بخط يختلف عن بقية النقش وكذلك سنة ٧٢هـ/ ٦٩١م ، لا تقع فى فترة حكم المأمون .

أما عن الدراسة التفصيلية والتحليلية والنظريات المتعلقة بكيفية بناء هذه القبة فسوف نعرض لها تفصيلاً فى كتابنا المفصّل بمشيئة الله تعالى .

أولاً : العمائر الدينية :-

تحتل العمائر الدينية المكانة الأولى والمقام الأسمى بين أنواع العمائر الإسلامية الأخرى كما هو معروف ، ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى أن العاطفة الدينية والرغبة فى التقرب إلى الله سبحانه وتعالى التى صاحبت إنشاء هذه العمائر كانت من أهم العوامل التى ساعدت على بقاء الكثير منها بحالة جيدة حتى الآن ، وهو الأمر الذى يمكن فى ضوئه دراسة طرز هذه العمائر وتخطيطها من جهة ، ودراسة وحداتها ومفرداتها وعناصرها المعمارية ونقوشها الكتابية والزخرفية من جهة ثانية ، ودراسة الأصول والتأثيرات المتبادلة من جهة ثالثة . وتشمل العمارة الدينية المساجد والجوامع والمدارس والخوانق والزوايا والأربطة فى مرحلتها الثانية بعد أن صارت تقام داخل المدن ، وينبغى قبل أن نتناول طرز هذه العمائر الدينية أن نحدد أولاً مدلول بعض المصطلحات المرتبطة بتخطيط تلك العمائر حتى لا يحدث اللبس أو الخلط أو التضارب بين الدارسين والقراء على السواء .

- **البائكة** (Arcade) هى صف من الأعمدة أو الدعامات تحمل فوقها عقود (أقواس) Arches يرتكز عليها السقف (لوحات ١ - ٣ ، ١٥ ، ١٩، ٣٢ ، ٨ ، ٥٨ ، ٨٨، ٩٠ ، ٩٣) وأحيانا يرتكز السقف على الأعمدة أو الدعامات دون وساطة العقود .

- **الرواق (البلاطة) Aisle** : تعد الأروقة من أهم مفردات العمارة الإسلامية عامة وعصب الطراز التقليدى الذى صممت على أساسه غالبية المساجد فى دار الإسلام خاصة ، وكان مصطلح الرواق هو المصطلح السائد والمتداول فى الجزيرة العربية والعراق والشام ومصر وأقطار المشرق الإسلامى ، بينما يقابله ويرادفه فى أقطار الغرب الإسلامى مصطلح آخر هو البلاطة ؛ وقد عبر بذلك المصطلح الأخير - أى البلاطة - جميع رحالة الغرب الإسلامى من المغاربة والأندلسيين عند مشاهداتهم للعمائر المختلفة التى شاهدوها خلال رحلاتهم فى الأقطار الإسلامية ، كذلك لم تغب هذه الحقيقة عن المؤرخين المسلمين فها هو السمهودى مؤرخ المدينة المنورة يعلق على وصف ابن جبير للمسجد النبوى الشريف قائلاً « ... هذا ما ذكره ابن جبير إلا أنه عبر فى الجميع بالبلاطات بدل الأروقة وكذا صنع ابن عبد ربه فى العقد ... »؛ وفى موضع آخر يذكر « ... وهو مراد

بن جبير فى رحلته بعد أن ذكر أن فى الجهة القبلية من المسجد خمس بلاطات يعنى أروقة... »[٣].

ورغم ذلك غابت تلك الحقيقة عن العلماء والباحثين المحدثين ممن فضلوا المصطلحات المعروفة والمتداولة فى الغرب الإسلامى وعملوا على ذيوعها وانتشارها وبصفة خاصة كل من مصطلحى البلاطة والاسكوب ، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد ؛ بل فسر المصطلح الأول منها ـ وهو البلاطة ـ تفسيرا أدى إلى حدوث الخلط والتضارب فى الدراسات المنشورة[٤].

غير أن ما يعنينا فى هذا المقام هو أن نشير إلى ما انتهت إليه دراستنا حول هذا الموضوع وفحواها أنه لا فرق بين مدلول كل من الرواق والبلاطة والاسكوب ، وأن المصطلحات الثلاثة مرادفة لبعضها ، وأن المصطلح الأول منها ـ وهو الرواق ـ قد اختصت به الجزيرة العربية والعراق والشام وأقطار المشرق ؛ بينما اختصت بالمصطلح الثانى ـ وهو البلاطة ـ أقاليم الغرب الإسلامى[٥]، أما مصطلح الاسكوب فهو مصطلح محلى دارج فى تونس بصفة خاصة .

وعلى ذلك نستطيع أن نضع تعريفا جديداً وهو أنه يقصد بتلك المصطلحات الثلاثة صفوف البائكات والمساحات المسقوفة المحصورة بينها سواء كانت عقودها موازية لجدار القبلة فحسب ، أو عمودية على ذلك الجدار فحسب ، أو كانت عقوداً متقاطعة أى تتجه موازية وعمودية على جدار القبلة فى ذات الوقت ، وهذه الحالة الأخيرة لا تكون إلا فى العمائر المغطاة بالقباب أو الأقبية أو الاثنين معًا .

---

(٣) السمهودى ، نور الدين على بن أحمد ، ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، جـ٢ ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، بيروت ، ط٤ ، (١٩٨٤م) ، ص٥١٢ ، ٦٧٢ .

(٤) فكرى ، أحمد مساجد القاهرة ومدارسها ، المدخل ، القاهرة (١٩٦١)، ص٩٢ ؛ مسجد القيروان ، القاهرة (١٩٣٦م)، ص١٩ ؛ الكحلاوى ، محمد محمد مرسى ، القيم الدينية وأثرها فى تخطيط عمارة المساجد، مجلة دراسات فى علم الآثار والتراث ، العدد الأول ، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية ، الرياض (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ص١٩١ ـ ١٩٣ ؛ الحداد ، عبد الله عبد السلام ، مقدمة فى الآثار الإسلامية ، صنعاء (٢٠٠٣م)، ص ٢٢ ـ ٢٣ .

(٥) الحداد ، محمد حمزة ، المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية ، القاهرة ، ط١ (١٩٩٦م)، ط٢ (٢٠٠١م)، ص ٤٠ ـ ٦٩ ، ٨٥ ؛ سلسلة العمارة الإسلامية فى الجزيرة العربية ، جـ٣، الرواق فى العمارة الإسلامية بمكة المكرمة ، القاهرة (٢٠٠٤م) ، ص٧ ـ ١١ .

ولا شك أن هذا التعريف الجديد من شأنه أن يمنع حدوث اللبس والخلط والتضارب لو إقتصر كل باحث على المصطلح السائد والمتداول فى القطر الذى يتحدث عنه، على أن يضع المصطلحين الأخرين أو أحدهما بين قوسين ، وبالتالى يحسن الانتفاع بما ينشر من دراسات عن العمارة الإسلامية عامة والمساجد خاصة فى الأقطار العربية والإسلامية فضلا عن الدراسات الأجنبية .

وهو الأمر الذى طبقناه فى دراساتنا العديدة المنشورة ، وسوف نطبقه فى كتابنا هذا .

ونضيف على ما تقدم فنقول أنه فى حالة وجود الأروقة (البلاطات) فى عمارة المساجد يستطيع المرء أن ينتقل عبر أجزاء المسجد المختلفة (المقدم والمؤخر والمجنبتين) دون أن تطأ قدمه صحن المسجد .

ـ الإيوان Iwan أو **Liwan** : هو عبارة عن مساحة مستطيلة أو مربعة ذات ثلاثة جدران ، واحد فى الصدر واثنان جانبيان ، أما الجدار الرابع والأخير فمفتوح الوجه ، ويطل على المساحة الوسطى (الصحن أو الدرقاعة) بعقد أيا كان نوعه ، وأحيانا بهيئة مسطحة، (لوحات ٦ ، ٦١ ـ ٦٢ ، ١٤٢ ـ ١٤٣) .

ونضيف على ذلك فنقول أن هناك بعض الإيوانات التى تقسم من داخلها إلى أروقة (بلاطات) قد تكون موازية لجدار القبلة فحسب مثل إيوان القبلة بجامع المؤيد شيخ بالقاهرة (شكل ١٥٠)، أو عمودية على جدار القبلة فحسب كما هو الحال فى إيوان القبلة بكل من مدرسة المنصور قلاوون ومدرسة الظاهر برقوق بالنحاسين (شارع المعز) بالقاهرة أشكال ١٣٧ ـ ١٣٧مكرر ، ١٤٢ ، لوحة ٥٢) أو تكون أروقة متقاطعة ـ أى تتجه عقودها عمودية وموازية لجدار القبلة فى ذات الوقت ـ كما هو الحال فى خانقاة الناصر فرج بن برقوق (شكل ١٥٣ ، لوحة ٦٦) بالقاهرة .

وفى أحيان أخرى يكون الإيوان على هيئة رواق واحد يطل على الصحن أو الدرقاعة ببائكة ثلاثية العقد كما هو الحال فى مدرسة الأشرف برسباى (بقرافة صحراء المماليك شرق القاهرة) (شكلا ١٥٤ ـ ١٥٤ مكرر) ومدرسة أبو بكر مزهر وغير ذلك ، أو ببائكة ثنائية العقد كما هو الحال فى الإيوانين الجانبيين بمسجد أحمد المهمندار بالقاهرة[٦].

---

(٦) الحداد ، بحوث ودراسات فى العمارة الاسلامية ، (الكتاب الأول) القاهرة ، ط٢ (٢٠٠٤م) ، أشكال ١٥٤ ، ٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٩ ، ١٩٠ ، ١٩٦ ، ٢٠٦ ـ ٢٠٨) .

والمهم هو أنه فى حالة وجود الإيوانات ، بأنماطها المشار إليها ، لا يستطيع المرء أن ينتقل من إيوان لآخر داخل المنشأة نفسها دون المرور بالصحن أو الدرقاعة .

ـ الصحن : Court Yard أو Open Court

يقصد به المساحات المكشوفة التى تتوسط المساجد التى صممت وفق التخطيط التقليدى العربى المتأثر بتخطيط المسجد النبوى الشريف ، وقد أطلقت على هذه المساحة المكشوفة عدة مصطلحات من أشهرها الصحن ، وهو مصطلح متعارف عليه قديما وحديثا ، ولهذا المصطلح مترادفات أخرى كثيرة منها الفناء والساحة والرحبة والباحة والصرحة (أو الصوح أو الشماسى فى اليمن) والحائر (بالنسبة للمشاهد والمراقد المقدسة فى العراق وإيران) وحياط (فى إيران) والدرقاعة (فى مصر) كذلك أطلق على الجزء المكشوف الذى يتقدم الجزء المغطى فى التخطيط التقليدى أو الكلاسيكى التركى للمساجد الإسلامية خلال العصر العثمانى مصطلح الحرم (Avlu, Harim) (أشكال ٢٧٤ ـ ٢٧٥ ، ٢٧٨ ـ ٢٨٦ ، لوحتا ٤٧ ، ١٨٩) .

---

(٧) الحداد ، المدخل إلى دراسة المصطلحات ، ص٣٣ ـ ٣٥ وما بها من هوامش ؛ أما بالنسبة للدرقاعة فقد كان يعتقد حتى وقت قريب أن هذا المصطلح يقتصر على الفناء الأوسط المغطى الذى يتوسط المدارس المملوكية المتطورة ؛ ولكن ثبت بعد الدراسة التاريخية والوثائقية والأثرية للعمائر الباقية أن مدلول هذا المصطلح أوسع من ذلك بكثير فهو يطلق أيضًا على الصحون الصغيرة أو الكبيرة مكشوفة كانت أم مغطاة كما أطلق على بعض المجازات أو الاستطراقات الأرضية المستطيلة كما هو الحال فى قلاوون والسلطان حسن والمؤيد شيخ والأشرف برسباى وجانم البهلوان وغير ذلك .
الحداد ، بحوث ودراسات ، (الكتاب الأول) ، ص٢٧٧ ـ ٢٧٨ .

١ ـ طرز العمائر الدينية فى العمارة الإسلامية :ـ

ـ المبحث الأول : المساجد :ـ

من المعروف أن عمارة المساجد[٨] تأتى على رأس النظم التخطيطية فى العمارة الإسلامية عامة والعمارة الدينية منها خاصة ؛ ولا غرو فى ذلك فالمساجد تحتل المكانة الأولى فى الإسلام ؛ فهى بيوت الله وتعميرها من أفضل القربات إلى الله عز وجل وأسس المسجد لتقام فيه الصلاة : عماد الدين ؛ ومن ثم علت منزلة المسجد عند المسلمين ، ولم تقتصر وظيفة المسجد فى أول الأمر على الصلاة بل كان المسجد مركزاً للحكم والإدارة والدعوة والتشاور فى ذلك كله ، كما كان محل القضاء والافتاء والعلم والإعلام وغير ذلك من أمور الدين والدنيا ، ومن جانب آخر فقد ارتبطت الفنون الإسلامية على اختلافها بالمسجد وبعمارته وآثاثه وشعائره[٩].

هذا وقد كان الشائع والمعتقد حتى وقت قريب أن العمائر الدينية عامة وعمارة المساجد خاصة قد اقتصر تخطيطها على أربعة طرز فحسب[١٠] وهى :

١ ـ **الطراز الأول** : ويعرف بالطراز النبوى أو الطراز العربى أو طراز الأروقة أو الظلات حول صحن أوسط ، ونفضل نحن مصطلح الطراز العربى التقليدى .

---

(٨) تجدر الإشارة إلى أن مصطلح المسجد المتداول فى هذه الدراسة يقصد به المساجد فى العمارة الإسلامية بصفة عامة سواء كانت مساجد للصلوات الخمس اليومية (مساجد الأوقات) أو مساجد جامعة (تقام فيها صلاة الجمعة والعيدين) وذلك من باب الحرص على التمسك والالتزام بما ورد فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة التى أشارت إلى المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال بصيغة المسجد فحسب أو المساجد فحسب رغم إنها مساجد جامعة كبيرة كما هو معروف .

(٩) الباشا ، مدخل إلى الآثار الإسلامية ، ص٢٥ ـ ٢٦ ، ١٠٨ ـ ١٠٩ .

(١٠) الباشا ، مدخل ، ص١٠٩ – ١١١ ؛ شافعى ، فريد ، العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، ص١٢٥ ، ١٢٧ ، ٢٣٧ ، ٢٤٨ ؛

العمارة العربية الإسلامية ، ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، الرياض (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م)، ص٨١ ـ ٨٣ ، ١٤٠ ـ ١٤١ .

٢ ـ **الطراز الثانى :** ويعرف بالطراز السنى أو الطراز الإيوانى أو طراز الإيوانات حول صحن أو درقاعة ، ونفضل نحن مصطلح الطراز الايوانى .

٣ ـ **الطراز الثالث :** وهو الطراز الذى يجمع بين الإيوانات والأروقة ولم يقدر لهذا الطراز الذيوع والانتشار فى جميع الأقطار العربية والإسلامية وإنما اقتصر ظهوره على المشرق الإسلامى بصفة عامة .

٤ ـ **الطراز الرابع :** ويعرف بالطراز التركى أو العثمانى وفيه يتكون تخطيط المسجد من قسمين رئيسيين أحدهما مغطى والآخر مكشوف ويعرف هذا الجزء المكشوف فى الاصطلاح باسم الحرم (Avlu, Harim) كما سبق القول ، ونفضل نحن مصطلح الطراز التقليدى (أو الكلاسيكى) التركي .

ولكن الدراسات الحديثة قد أثبتت وجود طرز أخرى ذاعت وإنتشرت فى العديد من الأقطار العربية والإسلامية .

وفيما يلى نتناول الخصائص العامة والسمات الرئيسية وملامح التخطيط العام لغالبية الطرز التى صممت على أساسها المساجد فى العمارة الإسلامية وذلك على النحو التالى :

ـ **الطراز الأول :** الطراز العربى التقليدى : وهو أهم طرز عمارة المساجد فى دار الإسلام حيث إنتشر فى غالبية الأقطار الإسلامية ؛ وكانت نواته الأولى الرئيسية فى عمارة المسجد النبوى الشريف سواء فى مرحلته الأولى : وفيها كان المسجد عبارة عن صحن أوسط (رحبة) ومقدم جهة الشمال (أى جهة بيت المقدس قبلة المسلمين الأولى وذلك قبل تحويل القبلة إلى المسجد الحرام فى منتصف شعبان ٢هـ/ ٦٢٣م)؛ أو مرحلته الثانية : وفيها صار المسجد عبارة عن صحن أوسط ومقدم جهة الجنوب (أى جهة المسجد الحرام بمكة المكرمة وذلك بعد تحويل القبلة فى منتصف شعبان ٢هـ/ ٦٢٣م) ومؤخر جهة الشمال (حيث كانت القبلة الأولى وقد أصبح موضعًا لأهل الصفة)، وقد استمرت هذه المرحلة الثانية حتى إنتقل الرسول الكريم (ﷺ) إلى الرفيق الأعلى فى يوم

الاثنين ١٢ ربيع الأول ١١هـ/ ٦٣٢م)، وكان مقدم المسجد يشتمل على ثلاث بائكات تتكون كل بائكة منها من تسعة أساطين (أعمدة) وتحصر هذه البائكات فيما بينها ثلاثة أروقة (بلاطات) موازية لجدار القبلة ، والمؤخر مثله مثل المقدم(١١). (شكل ١٨) أو مرحلته الثالثة والأخيرة وفيها اكتمل تخطيط المسجد النبوى الشريف وإتخذ شكله النهائى فصار يشتمل على صحن أوسط ومقدم ومؤخر ومجنبتين (جناحان) وذلك فى عمارة الخليفة الراشدى عثمان بن عفان (رضى الله عنه) ٢٩هـ / ٦٤٩م ترجيحًا(١٢) (شكل ١٩) أو فى عمارة الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك على يدى واليه على المدينة عمر بن عبد العزيز فيما بين عامى ٨٨ ـ ٩١هـ/ ٧٠٦ ـ ٧٠٩م يقينا(١٣). (شكل ٢٠) .

وعلى ذلك صار تخطيط المسجد النبوى الشريف(١٤) بمراحله الثلاث هو النموذج

---

(١١) عن تفاصيل عمارة المسجد النبوى الشريف فى عصر النبى (ﷺ) وفى عصر الخلفاء الراشدين من بعده وبخاصة عمر وعثمان (رضى الله عنهم) انظر :

الشهرى ، محمد هزاع ، عمارة المسجد النبوى منذ إنشائه حتى نهاية العصر المملوكى ، القاهرة (٢٠٠١م) ، ص٢٣ ـ ١٠١ ؛ كامل ، عبد الله ، المسلمون وآثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين ، القاهرة ، (٢٠٠٣م) ، ص٦٥ ـ ٧٧ .

(١٢) شافعى ، العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، المجلد الأول ، ص٦٦ .

ومما له دلالته أن شافعى قد بنى ترجيحه على أنه لما كان عثمان (رضى الله عنه) هو أول من اتخذ الأروقة فى المسجد الحرام (لوحة ١)، وبالتالى فإنه من المنطقى أنه أمر باضافة أروقة (بلاطات) جانبية ـ أى فى مجنبتى المسجد النبوى الشريف الشرقية والغربية (شكل ١٩) ولم يوافق على هذا الرأى صالح لمعى والشهرى لعدم وجود أى سند لهذا الرأى فى المصادر التاريخية التى أرخت لعمارة المسجد النبوى الشريف .

الشهرى ، عمارة المسجد النبوى ، ص٩٩ ؛ لمعى ، صالح ، المدينة المنورة تطورها العمرانى وتراثها المعمارى ، بيروت (١٩٨١م)، ص٦٣ .

(١٣) الحداد ، سلسلة العمارة الإسلامية فى الجزيرة العربية ، جـ١ ، عمارة المسجد النبوى الشريف فى العصرين الأموى والعباسى ، القاهرة ، ط٢ ، (٢٠٠٤م) ، ص٢٨ ـ ٦١ .

(١٤) يرى الباشا أن عمارة عثمان (رضى الله عنه) فى المسجد الحرام حين وسعه وزاد فيه وأقام الأروقة فى جميع جوانبه عام ٢٦هـ/ ٦٤٦م (لوحة ١) كان لها أثرها فى تطور عمارة المساجد التى صممت وفق الطراز التقليدى بصورته النهائية التى ذاعت وانتشرت فى الشرق والغرب على السواء ، ومن أقدم النماذج المؤكدة لذلك الطراز مسجد الكوفة بعد عمارته وإعادة بنائه بأمر زياد بن أبيه عام ٥١هـ/ ٦٧١م. (شكل ٣١) .
=

الذى نسج على منواله فى تخطيط المساجد فى دار الإسلام ؛ ولكن مع الاختلاف فى بعض التفاصيل والعناصر والمفردات ؛ ومن بينها كبر المساحة التى يشغلها المسجد أو صغرها ؛ وفيما إذا كان جدار القبلة يشغل المحور الطولي أو المحور العرضي لهذه المساحة ، واختلاف عدد الأروقة (البلاطات) سواء فى مقدم المسجد أو فى مؤخره أو المجنبتين ؛ فضلا عن اختلاف اتجاه صفوف البائكات التى تفصل بين الأروقة (البلاطات) ووجود زيادات تحيط بالمسجد من عدمه وطرق التسقيف والتغطية ، فضلا عن طبيعة الطراز المعمارى السائد فى كل عصر من العصور الذى ينعكس بطبيعة الحال على عمارة المسجد وعناصره ومفرداته ونقوشه الكتابية والزخرفية . ومجمل القول انه إذا كانت المساجد التى صممت وفق هذا الطراز تتفق مع بعضها البعض فى المميزات الرئيسية والتخطيط العام ، إلا إنها تختلف من حيث التفاصيل والعناصر والمفردات حسب الطراز المعمارى والفنى السائد ، وبمعنى آخر فإن لكل مسجد منها شخصية قائمة بذاتها وطابع مميز له خاص به .

على أنه ينبغى قبل أن نتحدث عن أنماط هذا الطراز فى العمارة الإسلامية أن نشير إلى حقيقة مهمة فحواها أن الصحن الأوسط المكشوف هو العنصر المميز الغالب على هذا الطراز ، سواء بصورته الأولى ـ أى غير النهائية ـ (مقدم فحسب أو مقدم ومؤخر فحسب أو مقدم ومجنبتين فحسب) أو بصورته الثانية ـ أى الصورة النهائية أو المكتملة ـ (مقدم ومؤخر ومجنبتين) وبالتالى فإنه يصعب أن نتصور أى نمط من أنماط هذا الطراز بدون وجود الصحن . أما عن أنماط المساجد التى صممت وفق هذا الطراز فنستطيع أن نحصرها فى الأنماط التالية :

أولاً : النمط الأول :

ويتمثل جوهر التخطيط فى هذا النمط فى أن جميع عقود البائكات فى مقدم المسجد فحسب أو فى مقدم المسجد ومؤخره تسير موازية لجدار القبلة (ويستثنى من ذلك بعض النماذج التى نشاهد فيها الرواق الأوسط العمودى (البلاطة الوسطى العمودية)

= الباشا ، أثر عمارة عثمان بن عفان فى المسجد الحرام فى تخطيط المساجد وفى العمارة الاسلامية ، ضمن دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الثالث (الجزيرة العربية فى عصر الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين) جـ٢ ، الرياض (١٤٠١هـ/ ١٩٨٩م) ص٢٣٩ ـ ٢٤٥ .

المعروف خطأ بالمجاز القاطع الذى يقطع صفوف البائكات الموازية لجدار القبلة وهو يمتد من الصحن إلى أن ينتهى على جانبى المحراب بجدار القبلة (أشكال ٢٠ ـ ٢١، ٦١ ، ١٠٨ ـ ١١١ ، ٢٣٢) .

وقد ساد هذا النمط وانتشر بصفة رئيسية فى مصر والشام والعراق والجزيرة العربية وأقطار المشرق الإسلامى ؛ على أن ذلك لا يعنى عدم وجود نماذج له فى الغرب الإسلامى ؛ إلا إنها قليلة بل ونادرة كما سنشير فيما بعد .

أما عقود بائكات كل من المجنبتين فتتجه فى نماذج هذا النمط عمودية على جدار القبلة غالبا، وموازية له أحيانا كما سنشير فيما بعد .

ونستطيع أن نحصر نماذج هذا النمط فى نموذجين رئيسيين وهما :

أ ـ النموذج الأول : وهو الذى يشتمل على الرواق الأوسط العمودى (البلاطة الوسطى العمودية) المعروف خطأ بالمجاز القاطع ، وتعد أمثلته الباقية فى العمارة الإسلامية قليلة، ومن أقدمها المسجد الأموى بدمشق (٨٦ ـ ٩٦هـ/ ٧٠٥ ـ ٧١٥م) وهو عبارة عن صحن أوسط مكشوف ومقدم ومؤخر ومجنبتين ، والمقدم يشتمل على ثلاثة أروقة (بلاطات) موازية لجدار القبلة يقطعها رواق أوسط عمودى (بلاطة وسطى عمودية) يعلو قسمه الأوسط القبة المعروفة بقبة النسر ، والمؤخر يشتمل على رواق واحد يتجه هو الآخر موازيا لجدار القبلة ، أما المجنبتين فبكل مجنبة منهما رواق واحد أيضًا ، ولكن عقود بائكته تتجه عمودية على جدار القبلة[١٥] . (شكلا ٦١ ـ ٦٢، لوحات ١٣ ـ ١٦) .

ومنها المسجد الملحق بقصر الحير الشرقى ١١٠هـ/ ٧٢٨م وهو يعد صورة مصغرة

---

(١٥) سامح ، العمارة فى صدر الإسلام ، ص٢٧ ؛ شافعى ، العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، ص٢٤٣؛ الريحاوى ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، ص٥٤ ـ ٦٠ ؛ العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها فى سورية ، دمشق (١٩٧٩م) ، ص٤٧ ـ ٥٣ ؛ كريزويل ، الآثار الإسلامية الأولى ، ص٧٥ ـ ٨٢ ؛

Creswell, K. A. C., and Allan, J. W., Ashort Account of Early Muslim Architecture, A. U. C. (1989), P. 51 - 55., Hillenbrand , R., Islamic Architecture, A. U. C. (2000), P. 70 - 73 .

من المسجد الأموى (شكلا ٦٣ ، ٩٢) وإن كان هناك اختلاف بطبيعة الحال فى بعض المفردات والتفاصيل[١٦] .

ومن النماذج الباقية بالعمارة المصرية الاسلامية الجامع الأزهر (٣٥٩ - ٣٦١هـ/ ٩٦٩ - ٩٧١م) وكان تخطيطه فى مرحلة إنشائه الأولى عبارة عن صحن أوسط مكشوف ومقدم ومجنبتين فقط ، والمقدم يشتمل على خمسة أروقة (بلاطات) موازية لجدار القبلة يقطعها الرواق الأوسط العمودى (البلاطة الوسطى العمودية) المعروف خطأ بالمجاز القاطع ، ويعلو مربعة المحراب بنهاية الرواق الأوسط العمودى قبة ، فضلا عن وجود قبتين أخريتين بطرفى الرواق الأول (البلاطة الأولي) مما يلى جدار القبلة ، أما المجنبتين فبكل مجنبة منهما أحد عشر رواقا (بلاطة) تتجه عقود بائكاتها العشر موازية لجدار القبلة[١٧] . (شكل ١٠٨) .

وقد أضاف الخليفة الحافظ لدين الله أربعة أروقة حول الصحن بواقع رواق (بلاطة) بكل جانب ، وبذلك إكتمل الشكل النهائى للطراز العربى التقليدى بالجامع الأزهر ، ومن الملاحظ أن الرواق القبلى المضاف يتميز عن الأروقة الثلاثة الأخرى بأنه تعلوه عند

---

(١٦) الريحاوى ، العمارة العربية ، ص٧٥ ؛ كريزول ، الآثار ، ص١٦١ - ١٦٤ .

Creswell , Ashort , P. 156 - 157 .

ولعل ما أشرنا إليه بالنسبة لتخطيط المسجد ينفى ما أشار إليه عبد الله كامل من أن ظلة القبلة - أى مقدم المسجد - تنقسم إلى ثلاث بلاطات تمتد من الشرق إلى الغرب موازية لجدار القبلة . كامل ، عبد الله ، الأمويون وآثارهم المعمارية ، القاهرة (٢٠٠٣م) ، ص١١٥ . فأين الرواق الأوسط العمودى المعروف خطأ بالمجاز القاطع إذن ؟

(١٧) كريزول ، العمارة الإسلامية فى مصر ، المجلد الأول الاخشيديون والفاطميون ، ترجمة عبد الوهاب علوب ، راجعه واستخرج نصوصه وقدم له وعلق عليه محمد حمزة إسماعيل الحداد ، القاهرة (٢٠٠٤م)، ص٦٧ - ٦٨ ؛ فكرى ، أحمد ، مساجد القاهرة ومدارسها ، الجزء الأول العصر الفاطمى ، القاهرة (١٩٦٥م) ، ص٤٨ - ٥٠ ؛ فهمى ، عبد الرحمن ، الجامع الأزهر ، ضمن كتاب القاهرة ، تاريخها فنونها آثارها ، مؤسسة الأهرام (١٩٧٠م)، ص٤٥٤ - ٤٤٥٥ ؛ العمرى ، آمال ، الطايش ، على ، العمارة فى مصر الإسلامية (العصرين الفاطمى والأيوبى)، القاهرة (١٩٩٦م)، ص٧٢ - ٧٣ ؛ عبد الرازق ، أحمد ، العمارة الإسلامية فى العصرين العباسى والفاطمى ، القاهرة (١٩٩٩م)، ص١٤٦ - ١٤٨ ؛ الريحاوى ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، ص٢٣٨ - ٢٣٩ .

بداية الرواق الأوسط العمودى من جهة الصحن القبة المعروفة بقبة البهو[١٨] (شكل ١٠٨، لوحة ٣٨) .

ومنها جامع الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله (٣٨٠ ـ ٤٠٣هـ/ ٩٩٠ ـ ١٠١٣م) ويتكون تخطيطه من صحن أوسط مكشوف ومقدم ومؤخر ومجنبتين ، والمقدم يشتمل على خمسة أروقة (بلاطات) موازية لجدار القبلة يقطعها الرواق الأوسط العمودى (البلاطة الوسطى العمودية) المعروف خطأ بالمجاز القاطع ، ويعلو الرواق الأول (البلاطة الأولي) مما يلى جدار القبلة ثلاث قباب غير متجاورات ، وهما قبة مربعة المحراب بنهاية الرواق الأوسط العمودى المعروف خطأ بالمجاز القاطع وقبتين بطرفى الرواق ، بواقع قبة بكل طرف أو ركن ، والمؤخر يشتمل على رواقين موازيين لجدار القبلة ، أما المجنبتين فبكل مجنبة ثلاثة أروقة (بلاطات) عمودية على جدار القبلة [١٩](شكل ١٠٩) .

ومنها جامع السلطان المملوكى البحرى الظاهر بيبرس البندقدارى (بيبرس الأول) المعروف بجامع الظاهر (٦٦٥ ـ ٦٦٧هـ/ ١٢٦٧ ـ ١٢٦٩م) بحى الظاهر بالقاهرة ، ويتكون تخطيطه من صحن ومقدم ومؤخر ومجنبتين ، والمقدم يشتمل على ستة أروقة (بلاطات) موازية لجدار القبلة يقطعها الرواق الأوسط العمودى (البلاطة الوسطى العمودية) المعروف خطأ بالمجاز القاطع ، وقد صمم هنا بطريقة غير مسبوقة فى العمارة المصرية الإسلامية حيث قسم إلى قسمين : القسم الأول يتقدم المحراب ويمثل المقصورة وكانت تعلوها قبة ضخمة على قدر قبة الإمام الشافعى على حد قول المقريزى فى خططه. وليس أدل على ضخامة هذه القبة من القول بأن قاعدتها المربعة قد شغلت مساحة تسعة عقود من عقود بائكات الأروقة (البلاطات) الثلاثة الأولى مما يلى جدار القبلة ، والقسم الثانى يتقدم القسم الأول ويطل على الصحن ، وقد قسم من داخله إلى ثلاثة أروقة (بلاطات) عمودية ، ويشتمل المؤخر علي رواقين موازيين لجدار القبلة

---

(١٨) كريزول ، العمارة ، ص٢٦٩ ـ ٢٧٣ ؛ فكرى ، مساجد القاهرة ، جـ١ ، ص٥٠ ؛ الريحاوى ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، ص٢٣٩ .

(١٩) كريزول ، العمارة ، ص٧٩ ، ٨٦ ـ ٩٥ ؛ العمرى ، العمارة ، ص٧٧ ـ ٧٨ ، ٨١ ـ ٨٤ ؛ عبد الرازق ، العمارة ، ص١٧٠ ـ ١٧٣ ؛ فكرى ، مساجد القاهرة ، جـ١ ، ص٦٥ ـ ٦٧ ؛ الريحاوى ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، ص٢٤٠ ـ ٢٤١ .

Bloom, J. M., The Mosque of Al-Hakim in Cairo, Muqarnas, vol 1, (1983), PP. 15 - 36 .

يقطعهما عند المدخل (على محور المحراب) رواق أوسط عمودى ، أما المجنبتين فبكل مجنبة منهما ثلاثة أروقة (بلاطات) عمودية على جدار القبلة يقطعها عند المدخل رواق موازى لجدار القبلة(٢٠) (شكلا ١١٠ ـ ١١١) .

ومنها مسجد السلطان الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة ٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م (لوحة ٥٨) ويتكون تخطيطه من صحن ومقدم ومؤخر ومجنبتين ، والمقدم يشتمل على أربعة أروقة (بلاطات) موازية لجدار القبلة يقطعها الرواق الأوسط العمودى (البلاطة الوسطى العمودية) المعروف خطأ بالمجاز القاطع ، وهو يمثل مقصورة السلطان ، وتعلوه قبة ضخمة شغلت هى الأخرى مساحة تسعة عقود من عقود بائكات الأروقة (البلاطات) الثلاثة الأولى مما يلى جدار القبلة ؛ حيث أن عقود البائكتين العموديتين اللتين تشكلان الرواق الأوسط العمودى لا تمتد حتى تنتهى عند الصحن كما هو المألوف ، وهو الأمر الذى سوف يقابلنا فى بعض المساجد فى المشرق الإسلامى كما سنشير فيما بعد(٢١) .

ومن النماذج الباقية فى اليمن مسجد الملكة الحرة السيدة بنت أحمد الصليحية فى مدينة ذى جبلة ٤٦٠ ـ ٤٦١هـ/ ١٠٦٧ ـ ١٠٦٨م(٢٢) .

ومنها فى ليبيا كل من مسجد أجدابية ومسجد مدينة سلطان(٢٣) (سرت) . ومنها فى فاس بالمغرب الأقصى كل من مسجد القرويين ومسجد الأندلسيين(٢٤) ، وقد صمم

---

(٢٠) الريحاوى ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، ص٣٠٢ ؛ نويصر ، حسنى ، العمارة الإسلامية فى مصر عصر الأيوبيين والمماليك ، القاهرة (١٩٩٦م) ، ص١٣٨ ـ ١٣٩ ، ١٤١ ـ ١٤٣ ؛ الحداد ، محمد حمزة ، وآخرين ، اسس التصميم المعمارى والتخطيط الحضرى فى العصور الإسلامية المختلفة ، دراسة تحليلية على العاصمة القاهرة ، منظمة العواصم والمدن الإسلامية ، جدة (١٩٩٠م) ، ص٨٩ ـ ٩٣ .

(٢١) الحداد ، أسس التصميم ، ص١٠٥ ـ ١١٠ .

(٢٢) فنستر ، بربارة ، حول بعض المبانى الإسلامية فى اليمن ، ضمن كتاب تقارير أثرية من اليمن ، جـ١ ، ترجمة عبد الفتاح البركاوى ، المعهد الألمانى للآثار ـ صنعاء (١٩٨٢م) ، ص٥٣ ـ ٦٣ ؛ كامل ، عبد الله ، الفاطميون وآثارهم المعمارية فى افريقية ومصر واليمن ، القاهرة (٢٠٠١م) ، ص١٦٩ ـ ١٧١ ؛ شيحة ، مصطفى ، مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية فى الجمهورية اليمنية ، القاهرة (١٩٨٧م) ، ص٦٠ ـ ٦٤ .

(23) Hillenbrand, Islamic , P. 86, Figs, 2. 144 , 2. 148 .

(٢٤) سالم ، تاريخ المغرب ، ص٦٦٦ ـ ٦٧٦ ، ٧٦٤ ـ ٧٦٨ ؛ الريحاوى ، العمارة فى الحضارة ، ص٣٦٧ ؛ الكحلاوى ، مساجد المغرب والأندلس فى عصر الموحدين ، ص٢٩٤ ـ ٣١٦ .

فى كليهما بطريقة غير مألوفة فى عمارة المساجد الإسلامية عامة ومساجد الغرب الإسلامى والمغرب الأقصى خاصة (أشكال ١٨٩ ـ ١٩١) (لوحة ٩٧) .

وفى المشرق الإسلامى تقابلنا عدة نماذج ومن بينها مسجد ديار[٢٥] بكر ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م (شكل ٢٣٢) ومسجد دنيصر[٢٦] (قزيل تبه) ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م (شكل ٢٣٣) وإن كان يلاحظ هنا أن الرواق الأوسط العمودى (البلاطة الوسطى العمودية) المعروف خطأ بالمجاز القاطع يقطع فقط الرواقين الأول والثانى مما يلى جدار القبلة ؛ أى أنه لا يمتد حتى ينتهى عند الصحن كما هو المألوف .

ومثله فى ذلك مسجد ماردين[٢٧] . ومسجد علاء الدين[٢٨] فى قونية وبصفة خاصة مرحلته الأولى ٥٥٠هـ/ ١١٥٥م (شكل ٢٣٤) .

أما مسجد عيسى بك فى سلجوق قرب أفسوس ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م (عصر[٢٩] بنى أيدين بالأناضول) فيتميز الرواق الأوسط العمودى (البلاطة الوسطى العمودية) المعروف خطأ بالمجاز القاطع الذى يقطع رواقى مقدم المسجد بأنه مغطى بقبتين طوليتين متماثلتين (شكل ٢٣٥) .

ب ـ النموذج الثانى : وهو الذى يخلو من وجود الرواق الأوسط العمودى (البلاطة الوسطى العمودية) المعروف خطأ بالمجاز القاطع ، وتعد أمثلته كثيرة ولا سيما فى مصر والشام والعراق والجزيرة العربية ، ومنها المسجد النبوى الشريف قبل عمارة الوليد بن عبد الملك على يدى عمر بن عبد العزيز فيما بين ٨٨ ـ ٩١هـ/ ٧٠٦ ـ ٧٠٩م (شكل ١٨) وأثناء عمارته فى العصرين المملوكى والعثمانى (شكل ٢٣) .

ومنها مسجد الكوفة[٣٠] عقب عمارة زياد بن أبيه له عام ٥١هـ/ ٦٧١م

---

(٢٥) آصلان آبا ، أوقطاى ، فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، استانبول (١٩٨٧م)، ص٦٣ ـ ٦٤ ، تخطيط ١ .

(٢٦) آصلان آبا ،، فنون الترك ، ص٦٧ ـ ٦٩ ، تخطيط ٦ ؛ الريحاوى ، العمارة فى الحضارة ، ص٢٠١ .

(٢٧) آصلان آبا ، فنون الترك ، ص٦٦ ـ ٦٧ .

(٢٨) آصلان آبا ، فنون الترك ، ص٧٨ ـ ٨٠ ، تخطيط ١٢ .

(٢٩) آصلان آبا ، فنون الترك ، ص ١٦٠ ـ ١٦١ ، تخطيط ٣٧ .

(٣٠) الطبرى ، أبى جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبرى ، جـ٤ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة (١٩٦٣م)، ص٤٤ ، ٤٦ ، ابن جبير ، الرحلة، ص١٥٣ ؛ فكرى ، المدخل ، ص٢٠٠ ـ ٢٠٣ ؛ شافعى ، العمارة العربية ، ص٢٣٩ ـ ٢٤١ ؛رجب ، غازي، العمارة العربية فى العصر الإسلامى فى العراق، بغداد (١٩٨٩م)، ص٥٨ ـ ٦٠ .

(٥×٢×٢×٢) (شكل ٣١) ؛ ومسجد[٣١] واسط ٨٣ ـ ٨٦هـ/ ٧٠٢ ـ ٧٠٥م (٥×١×١×١) .

ومنها مسجد صنعاء[٣٢] الأموى (عصر الوليد ٨٦ ـ ٩٦هـ/ ٧٠٥ ـ ٧١٥م) (٥×٣×٣×٣) (شكل ٢٤) . ومسجد بصرى[٣٣] ١٠٢هـ/ ٧٢٠م (٢×١×٢×٢) .

ومنها مسجد[٣٤] حران ١٢٧ ـ ١٣٢هـ/ ٧٤٥ ـ ٧٥٠م (٤×١×١×١) (شكل ٦٤) .

ومنها مسجد بغداد[٣٥] ١٤٩هـ/ ٧٦٦م، (شكل ٣٤) (٥×٢×٢×٢) ومنها مسجد الرقة[٣٦] ١٥٥هـ/ ٧٧٢م (٣×٢×٢×٢).

ومنها المسجد الملحق بقصر الأخيضر[٣٧] الشهير بالعراق حوالى ١٦١هـ/ ٧٧٨م ، وهو عبارة عن صحن أوسط مكشوف ومقدم ومجنبتان ، والمقدم يشتمل على رواق (بلاطة) واحد موازى لجدار القبلة ويطل على الصحن ببائكة ذات خمسة عقود ، ويسقف المقدم قبو برميلى ينتهى من جانبيه بنصفى قبتين منطقة انتقال كل منهما عبارة عن حنيتين ركنيتين ، أما المجنبتين فبكل مجنبة رواق (بلاطة) واحد أيضًا ولكنه عمودى

---

(٣١) رجب ، العمارة ، ص٦٤ ـ ٦٧ ؛ سلمان ، عيسى ، وآخرين ، العمارات العربية الإسلامية فى العراق ، جـ١ ، بغداد (١٩٨٢م)، ص٧٦ ـ ٧٧ .

(٣٢) شيحة ، مصطفى ، مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية فى الجمهورية اليمنية ، القاهرة (١٩٨٧م)، ص٢٩ ـ ٣٦ ؛

Creswell, Ashort, PP. 83 - 88, Fig 54 .

(٣٣) فكرى ، المدخل ، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

Creswell, Ashort, PP. 121 - 130

(٣٤) ابن جبير ، الرحلة ، ص١٧٥ ؛ فكرى ، المدخل ، ص٢٢٥ ـ ٢٢٧ ؛

Creswell, Ashort, PP. 218 - 221 .

(٣٥) رجب ، العمارة العربية ، ص١٠٠ ـ ١٠٢ ؛ سلمان ، العمارات ، جـ١ ، ص٨٧ ـ ٨٨ ؛

Creswell, Ashort, PP. 240 - 242 .

(٣٦) الريحاوى ، العمارة فى الحضارة ، ص١١٩ ـ ١٢٠ ؛

Creswell, Ashort, PP. 247 - 248 .

(٣٧) الريحاوى ، العمارة فى الحضارة ، ص١١٦ ؛ رجب ، العمارة العربية ، ص١١٨ ؛ سلمان ، العمارات العربية ، جـ١ ، ص١٠٥ ـ ١٠٨ ؛

Creswell, Ashort, P. 255 .

على جدار القبلة ، ويطل على الصحن ببائكة ذات ثلاثة عقود . (شكل ٥١) ، (لوحتا ٢ ـ ٣) .

ومنها في مصر كل من : مسجد أحمد بن طولون [٣٨] ٢٦٣ ـ ٢٦٥هـ/ ٨٧٦ ـ ٨٧٨م) (٥×٢×٢×٢) ويتميز بوجود زيادة عبارة عن ثلاثة أروقة مكشوفة تحيط بالجامع من ثلاث جهات عدا جهة القبلة . (شكلا ١٠٢ ـ ١٠٣) ومسجد الصالح[٣٩] طلائع خارج باب زويلة (بوابة المتولي) بالقاهرة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م (٣×١×١×١) ويتميز بوجود رواق خارجي أو سقيفة تتقدم مدخله الرئيسي بالجهة البحرية (الشمالية الغربية) وتطل على الشارع من خلال بائكة ذات خمسة عقود . (شكل ١٠٤) (لوحتا ٤٠ ـ ٤١) .

ومن العصر المملوكي كل من جامع الماس الحاجب وجامع لاجين السيفي وجامع سودون من زادة وغير ذلك .

ومن العصر العثماني كل من الجامع اليوسفي بملوى (في المنيا) ١٠٢٧هـ/ ١٦١٧م وجامع الأمير محمد باخميم قبل ١١١٦هـ/ ١٧٠٤م والجامع العمري ببهجورة ١١٣٣هـ/ ١٧٢٠م وجامع عثمان بك الجرجاوي (بجرجا) ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م وجامع الأمير همام بفرشوط ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م بالصعيد ؛ وكلا من جامع الجندي وجامع المحلي برشيد وجامع عبد الله العمري البرلسي بفوة والجامع العمري بمحلة مرحوم (مركز طنطا ـ محافظة الغربية) .

وهناك بضعة نماذج تتبع هذا النمط ، ولكن صحونها مغطاة وليست مكشوفة ، ومنها بالقاهرة كلا من جامع مصطفى جوربجي ميرزه ببولاق ١١١٠هـ/ ١٦٩٨م وجامع

---

(٣٨) الريحاوي ، العمارة في الحضارة ، ص١٢٣ ـ ١٣٠ ؛ شافعي ، العمارة العربية في مصر الإسلامية ، ص٤٦٣ ـ ٤٩٧ ؛ الياور ، طلعت ، العمارة العربية الإسلامية في مصر ، بغداد (١٩٨٩م) ، ص٤٩ ـ ٧٤ ؛ عبد الرازق ، أحمد ، العمارة الإسلامية في العصرين العباسي والفاطمي ، القاهرة (١٩٩٩م) ، ص١٠٢ ـ ١١٨ ؛

Creswell, Ashort, PP. 392 - 406 .

(٣٩) الريحاوي ، العمارة في الحضارة ، ص٢٤٦ ـ ٢٥٠ ؛ عبد الرازق ، العمارة الإسلامية ، ص١٩٥ ـ ٢٠٢ ؛ العمري ، العمارة في مصر ، ص٩٤ ـ ١٠٠ ؛ كريزول ، العمارة الإسلامية في مصر ، المجلد الأول ، ص٢٩٧ ـ ٣١٠ .

الأمير عثمان كتخدا المعروف بجامع الكيخيا (على رأس شارع قصر النيل عند تقاطعه مع شارع الجمهورية بميدان الأوبرا القديمة) ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م (شكل ١٠٧) وجامع الفكهاني بالعقادين ١١٤٨هـ/ ١٧٣٥م، وفي الفيوم جامع الأمير سليمان الشهير بالمعلق ٩٦٦هـ/ ١٠٥٦م(٤٠) .

وفي المشرق الإسلامي تقابلنا عدة نماذج ومنها مسجد سيراف في مرحلتيه الأولى والثانية على السواء(٤١) (شكل ٢٢٠) . ومسجد سوسه(٤٢) (خوزستان) (شكل ٢٢١). ومنها المرحلة الثانية بمسجد علاء الدين في قونية(٤٣) ٦١٦هـ/ ١٢١٩م (شكل ٢٣٤) .

ثانيًا : النمط الثاني :

ويتمثل جوهر التخطيط في هذا النمط في أن جميع عقود البائكات في مقدم المسجد فحسب ، أو في مقدم المسجد ومؤخره ومجنبتيه ، تسير عمودية على جدار القبلة ، ويكون الرواق الأوسط (البلاطة الوسطي) أوسع الأروقة (البلاطات) وأكثرها إرتفاعا غالبا ، ويستثنى من ذلك بعض النماذج التي نشاهد فيها عقود بائكة (أو بائكات) رواق المؤخر أو المجنبتين تسير موازية لجدار القبلة .

وقد ساد هذا النمط وإنتشر بصفة رئيسية في المغرب والأندلس ؛ على أن ذلك لا يعني عدم وجود نماذج له في العراق والجزيرة العربية والمشرق الإسلامي إلا أنها قليلة ؛ فضلا عن أنها ذات سمات خاصة وشخصية قائمة بذاتها . ويعد المسجد الأقصى المبارك في القدس الشريف ١٦٣هـ/ ٧٧٩م أقدم انموذج معروف لهذا النمط من التخطيط (شكلا ٦٦ - ٦٧) (لوحة ١٢) .

ويشتمل المقدم على ١٤ بائكة عمودية على جدار القبلة تحصر فيما بينها ١٥ رواقا (بلاطا) أوسعها وأكثرها إرتفاعا الرواق الأوسط (البلاطة الوسطي)، ومن الظواهر الملفتة للنظر هنا وجود بائكتان عرضيتان - أي موازيتان لجدار القبلة - تسيران

---

(٤٠) الحداد ، بحوث ودراسات ، (الكتاب الأول)، ص٢٧٨ - ٢٧٩ ؛ موسوعة العمارة الإسلامية في مصر، المدخل ، ص٧٨ - ٨٠ .

(41) Creswell, Ashort, PP. 346 - 347 . .

(42) Creswell, Ashort, PP. 222 - 224 .

(٤٣) أصلان آبا ، فنون الترك وعمائرهم ، ص٨٠ ، تخطيط ١٢ .

قرب جدار القبلة وتوازيانه[٤٤] كما سبق القول ، ولا يخفى أن الغرض من ذلك هو تمهيد قاعدة مربعة لحمل القبة التى تعلو المربعة التى تتقدم المحراب بنهاية الرواق الأوسط (البلاطة الوسطي) .

وقد وصفه المقدسى فذكر أنه يتكون من جزئين هما المغطى والصحن وأن للمغطى - أى المقدم - « ... ستة وعشرون بابا .. وعلى الخمسة عشر رواق على أعمدة رخام ... وعلى الصحن من الميمنة أروقة على أعمدة رخام وأساطين ، وعلى المؤخر أروقة أزاج من الحجارة وعلى وسط المغطى جمل - أى سقف جمالونى - عظيم خلف قبة حسنة ... وليس على الميسرة أروقة ، والمغطى لا يتصل بالحائط الشرقى ... »[٤٥]. (شكلا ٦٧ - ٦٨).

أما مجير الدين الحنبلى مؤرخ القدس الشهير المتوفى ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م فقد وصفه بقوله « ... المسجد الأقصى يشتمل على بناء عظيم به قبة مرتفعة مزينة بالفصوص الملونة وتحت القبة المنبر والمحراب وهذا الجامع ممتد من جهة القبلة إلى جهة الشمال وهو سبع أكوار - أى أروقة - متجاورة مرتفعة على العمد الرخام والسوارى ... »[٤٦]. (شكل ٦٦).

ولهذا النص أهمية خاصة فهو يسجل ما كان عليه تخطيط المسجد الأقصى فى أواخر ق٩هـ/ ١٥م أى وقت وصف مجير الدين الحنبلى الذى فرغ من تأليف كتابه عام ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م وبما أن هذا الوصف يكاد يتطابق مع التخطيط الحالى للمسجد الأقصى (شكل ٦٦ ، لوحة ١٢) ولذلك يمكن القول بأن تخطيط المسجد الأقصى لم يتغير منذ ذلك الوقت وحتى الآن[٤٧] .

---

(٤٤) شافعى ، العمارة العربية ، ص٢٤٣ ؛ كريزول ، الآثار الإسلامية ، ص٢٨٠ - ٢٨٢ ؛ رجب ، غازى ، المسجد الأقصى بالحرم الشريف ببيت المقدس ، سومر ، المجلد ٢٨ ، جـ١ - ٢ ، بغداد (١٩٧٢م)، ص١٤١ - ١٤٢ .

(٤٥) المقدسى ، شمس الدين أبو عبد الله محمد ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، تحقيق محمد مخزوم، بيروت (١٩٨٧م)، ص١٤٥ - ١٤٦ .

(٤٦) الحنبلى ، القاضى مجير الدين أبو اليمن ، ت٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، جـ٢ ، مصر ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٦م، ص٣٦٥ - ٣٦٦ .

(٤٧) الحداد ، المدخل إلى دراسة المصطلحات ، ص٧١ - ٧٢ .

ـ النماذج الباقية فى المغرب والأندلس :

لما كان هذا النمط قد ذاع وانتشر فى المغرب والأندلس حتى صار سمة رئيسية لعمارة المساجد فى المغرب الإسلامى ولذلك حسبنا أن نشير إلى أشهر نماذجه الباقية وأهمها ومنها كل من : مسجد القيروان[٤٨] بتونس الذى إتخذ شكله النهائى فى عهد الأمير الأغلبى إبراهيم بن أحمد عام ٢٦١هـ/ ٨٧٥م ، وجوهر تخطيطه عبارة عن صحن أوسط مكشوف ومقدم ومؤخر ومجنبتان ، والمقدم يشتمل على ١٦ بائكة عمودية على جدار القبلة تحصر فيما بينها ١٧ بلاطًا (رواقا) أوسعها وأكثرها ارتفاعا البلاط الأوسط (الرواق الأوسط) وتعلو بدايته ونهايته قبتان هما قبة مربعة المحراب وقبة البهو على مدخل البلاط (الرواق) الأوسط مما يلى الصحن وقد وصفها البكرى بقوله « ... القبة المعروفة بباب البهو على آخر بلاط المحراب »[٤٩] .

ومن الظواهر الملفتة للنظر هنا وجود أربع بائكات عرضية ـ أى موازية لجدار القبلة ـ وهى البائكة الأولى (وتمثل واجهة مقدم المسجد) والثالثة والسابعة والعاشرة (وهى البائكة الأخيرة التى يقف عندها امتداد البائكات العمودية ولا يتعداها حتى نهاية جدار القبلة باستثناء عقود البلاطة الوسطى (الرواق الأوسط) التى تمتد طولاً حتى نهاية جدار القبلة عن يمين المحراب ويساره) مما يلى صحن المسجد ، ولا يخفى أن الغرض من ذلك ولا سيما بالنسبة لكل من البائكة الأولى والثالثة والعاشرة مما يلى الصحن هو تمهيد قواعد مربعة عند تقاطع هذه البائكات مع البلاطة الوسطى (الرواق الأوسط) لحمل القبتين اللتين ببداية ونهاية هذه البلاطة الوسطى (وهما قبة مربعة المحراب وقبة البهو السابق الإشارة إليهما) (شكلا ١٨٦ ـ ١٨٦مكرر) (لوحات ٨٨ ـ ٩٢) .

ويعد ذلك تطويراً لنمط المسجد الأقصى فقد استطاع المعمار من جهة أن يوجد بلاطة (رواقا) عرضية ـ أى موازية ـ متسعة تتقدم جدار القبلة (حيث أنها أوسع من

---

(٤٨) فكرى ، مسجد القيروان ، القاهرة (١٩٣٦م)، ص١٩ ـ ٢٦ ، ٦٣ ـ ٨٤ ؛ مساجد القاهرة ومدارسها ، المدخل ، القاهرة (١٩٦١م) ، ص٢٠٧ ـ ٢٠٩ ؛ سالم ، تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى ، ص٣٣٦ ـ ٣٤٥ ؛ العميد ، طاهر مظفر ، آثار المغرب والأندلس ، بغداد (١٩٨٩م) ، ص٦٥ ـ ٨١ ؛ عثمان ، نجوى ، مساجد القيروان ، دمشق (٢٠٠٠م)، ص٦٥ ـ ١٣٤ .

Creswell, Ashort, PP. 315 - 329 .

(٤٩) البكرى ، أبى عبيد ، ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م ، المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك ، بغداد ، ط٢ ، د ت ، ص٢٤ .

البلاطات (الأروقة) العمودية باستثناء البلاطة الوسطى (الرواق الأوسط) التى تمتد عقود بائكتيها طولاً حتى نهاية جدار القبلة عن يمين المحراب ويساره كما سبق القول) وهو مالا نجده فى المسجد الأقصى ، ومن جهة ثانية استطاع أن يضيف قبة ثانية على مدخل البلاط الأوسط (الرواق الأوسط) مما يلى الصحن وهى القبة المعروفة بقبة البهو . وكان لهذا التطور أثره الكبير على تخطيط المساجد التالية فى المغرب والأندلس على السواء .

والمؤخر يشتمل على بلاطتين (رواقين) موازيين لجدار القبلة ، أما بالنسبة لكل من المجنبتين فبكل مجنبة منهما بلاطتان (رواقان) عموديان على جدار القبلة . (شكلا ١٨٦ ١٨٦مكرر) ، (لوحات ٨٨ - ٩٢) .

ومن المساجد التالية التى اتبعت هذا النمط مسجد الزيتونة(٥٠) بتونس ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م ولكن على مقياس أصغر ، فضلا عن الأختلاف فى بعض التفاصيل والمفردات الأخرى فلكل مسجد منهما شخصية مستقلة وطابع خاص به .

ومن النماذج التالية مسجد المهدية الفاطمى بتونس ٣٠٣ - ٣٠٥هـ/ ٩١٥ - ٩١٧م وهو الآخر له شخصيته المستقلة وطابعه الخاص - إلا أن اهم ما يميزه هو المدخل التذكارى البارز الذى يظهر لأول مرة فى العمارة الإسلامية عامة (شكل ١٨٧) ، ومن الملاحظ أنه لا توجد فيه قبة البهو ، كما يرى البعض أنه كان يشتمل على ثلاثة صحون ، الصحن الأوسط الرئيسى وصحنان على جانبى بلاطات (أروقة) مقدم المسجد التسعة من الداخل وتظهر المساقط الهندسية للمسجد فى عام ١٩٦٠م ، هذان الصحنان الجانبيان ؛ بالإضافة إلى الصحن الأوسط الرئيسى(٥١) . وإذا ما انتقلنا إلى الأندلس يقابلنا مسجد قرطبة الذى إتخذ شكله النهائى عام ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م - أى عقب زيادة المنصور بن أبى

---

(٥٠) فكرى ، مسجد الزيتونة الجامع فى تونس ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلد الرابع ، العدد الثانى القاهرة (١٩٥٢م) ، ص ٦٥ - ١١٢ ؛ سالم ، تاريخ المغرب فى العصر الإسلامى ، ص٣٤٩ - ٣٥٧ ؛ العميد ، آثار المغرب ، ص ١٠٣ - ١٠٩ ؛ عثمان ، مساجد القيروان ، ص١٥١ - ١٦٠ .

(٥١) كريزول ، العمارة الإسلامية ، المجلد الأول ، ص٧ - ١١ ؛
Hillenbrand, Islamic, P. 80., Lézine, A., Mahdiya, Paris, (1965), PP. 65 - 136, Figs, 30, 36, 39, 42, 47, 52 - 57 .,
Golvin, L., Mahdiya, a la Période Fatimide, Romm, XXVII, (1979), PP. 75 - 89 .

عامر وهى الزيادة الخامسة والأخيرة للمسجد ـ وقد تمت هذه الزيادة شرقى مقدم المسجد وبذلك أصبح مقدم المسجد يشتمل على ١٩ بلاطة (رواقا) عمودية على جدار القبلة (شكل ١٨٨) . أما عن تخطيط المسجد منذ انشائه وحتى زيادة المنصور بن أبى عامر(٥٢) المشار إليها فيمكن القول أن المسجد كان فى بادئ أمره ـ أى فى عهد منشئه الأول الأمير عبد الرحمن الداخل ـ ١٧٠هـ/ ٧٨٦م عبارة عن صحن ومقدم فحسب ، وكان المقدم يشتمل على ٩ بلاطات عمودية على جدار القبلة ، ثم لم يلبث أن زاد فيه الأمير عبد الرحمن الأوسط زيادتين : الأولى ٢١٨هـ/ ٨٣٤م وفيها أضيفت بلاطتان (رواقان) واحدة شرقية وأخرى غربية ـ أى على جانبى البلاطات التسع السابقة فصارت أحد عشر بلاطة ـ وأضيفت فى هذه المرحلة إلى الصحن مجنبتان واحدة شرقية والأخرى مقابلة لها فى امتداد البلاطتين (الرواقين) الجديدتين .

أما الزيادة الثانية لعبد الرحمن الأوسط فتمت عام ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م وفيها تم هدم جدار القبلة وزيد المسجد من جهتها سبع بائكات على نفس امتداد البائكات السابقة وبذلك ظل عدد بلاطاته (أروقته) كما هو ١١ بلاطة (رواقا) إلا أن المسجد قد إمتد طولاً أكثر من ذى قبل .

والزيادة الرابعة تمت فى عهد الخليفة الحكم المستنصر عام ٣٥١ ـ ٣٥٤هـ/ ٩٦١ ـ ٩٦٥م وفيها هدم جدار القبلة مرة ثانية وزيد المسجد من جهتها ١١ بائكة على نفس

---

(٥٢) البكرى ، جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق عبد الرحمن الحجى ، بيروت (١٩٦٨م) ، ص١٠١ ـ ١٠٣ ؛ ابن عذارى المراكشى ، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، جـ٢ ، تحقيق كولان ، ج. س ، وبروفنسال ، ليفى ، بيروت ، ط٣ (١٩٨٣م) ، ص٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ ، ٢٨٧ ؛ المقرى ، نفح الطيب ، جـ٢ ، ص٨٤ ـ ٨٦ ؛ فكرى ، المدخل ، ص٢٤٤ ـ ٢٤٧ ؛ سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، الاسكندرية ((١٩٦١م)، ص٣٧٧ ـ ٣٩٧ ؛ الريحاوى ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، ص٣٤٩ ـ ٣٥٩ ؛ بالباس ، ليوبولدو توريس ، تاريخ اسبانيا الإسلامية ، المجلد الثانى ، الجزء الثانى ، الفن والعمارة حتى سقوط الخلافة القرطبية ، ترجمة على إبراهيم منوفى وآخرين ، القاهرة (٢٠٠٢م) ، ص ٢٨ ـ ٤٧ ، ٧٢ ـ ٩٥ ، ١٦١ ـ ١٧٠ ، ١٧٧ ـ ٢٢٢ ، ٢٣٧ ـ ٢٤٢ .

Barrucand, M, Bednorz, A., Moorish Architecture in Andalusia, italy (1992) P. 39 - 46 .

إمتداد البائكات السابقة ؛ ومن ثم فإن عدد بلاطات (الأروقة) مقدم المسجد ظلت كما هى - أى ١١ بلاطة - إلا أن المسجد قد إمتد طولاً أكثر من ذى قبل حتى صار جدار القبلة قريبا من الوادى الكبير ، وهو الأمر الذى حال دون زيادة المسجد من هذه الجهة فيما بعد. وبهذه الزيادة «كملت محاسن هذا الجامع وصار فى حد يقصر الوصف عنه»(٥٣) ولعل أبرز ما فى هذه الزيادة هو القباب الأربع والمقصورة والمحراب والمنبر وهو ما سنشير إليه فيما بعد . (لوحات ١٠٢ - ١١٠) .

وتمت بعد ذلك الزيادة الخامسة والأخيرة على يدى المنصور بن أبى عامر ، وكانت من الجهة الشرقية كما سبق القول ، وفيها أضيفت ٧ بائكات تمتد بطول المسجد من أوله إلى آخره وتحصر هذه البائكات فيما بينها ٨ بلاطات (أروقة) وبذلك صار مقدم المسجد يشتمل على ١٩ بلاطة (رواقا) عمودية على حدار القبلة .

وإذا كانت هذه الزيادة الأخيرة قد أضافت الى مسطح المسجد مساحة جديدة تعادل نصفه تقريبا وتمتد بطوله من أوله إلى آخره - أى من الجنوب إلى الشمال - إلا أنها قد أفقدت المسجد تناسقه واتزانه وتعادل أجزائه وأصبح المحراب متطرفا عن وسط جدار القبلة ، بعد أن كان يقع فى محور الجامع(٥٤) . (شكل ١٨٨)،(لوحات ١٠٢ - ١١٠).

ومنها مسجد مدينة الزهراء(٥٥) الذى أمر بإنشائه الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر ٣٢٩هـ/ ٩٤١م (٥×١×١ ×١) ومن الملاحظ عدم وجود قبتى مربعة المحراب والبهو ، فضلا عن أن عقود بائكة رواق المؤخر تسير موازية لجدار القبلة . وقد إستمر هذا النمط فى المغرب والأندلس بل وتطور فى بعض النماذج وبصفة خاصة خلال عصرى المرابطين والموحدين وحسبنا أن نشير إلى كل من : مسجد تلمسان بالجزائر ٤٧٥ - ٥٣٠هـ/ ١٠٨٢ - ١١٣٦م (العصر المرابطى - يوسف ابن تاشفين وابنه على - ثم كانت

---

(٥٣) المقرى ، نفح الطيب ، جـ٢ ، ص٩٧ .
(٥٤) سالم ، تاريخ المسلمين ، ص٣٩٧ .
(٥٥) المقرى ، نفح الطيب ، جـ٢ ، ص١٠٠ ؛
Hillenbrand, Islamic, P. Fig, 2. 125, 2. 126., Maldonado, B. P., las excavacions de la mezquita de Medinat al-zahra, Madrid, (1966), P. 136 - 137 .

المرحلة الأخيرة لهذا المسجد على يدى يغمراسن ابن زيان من سلاطين بنى عبد الواد أو بنى زيان)(٥٦)، (شكل ١٩٢).

ومسجد الجزائر ٤٧٣ ـ ٤٧٥هـ/ ١٠٨٠ ـ ١٠٨٢م (الأمير يوسف بن تاشفين المرابطي)(٥٧) .

ومن المساجد الموحدية(٥٨) كل من : مسجد تازا ٥٢٩هـ/ ١١٣٥م ، ومسجد الكتبية فى مراكش ٥٤١هـ/ ١١٤٦م ، ومسجد تنمل ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م ، ومسجد قصبة اشبيلية بالأندلس ٥٦٧ ـ ٥٧٧هـ/ ١١٧٢ ـ ١١٨٢م ومسجد القصبة فى مراكش ٥٩٠هـ/ ١١٩٥م ومسجد حسان بالرباط ٥٩٠هـ/ ١١٩٥م وغير ذلك . (أشكال ١٨٩ ، ١٩٣ ـ ١٩٥ ، لوحتا ٩٩ ـ ١٠٠ ، ١١٨) .

وبعض هذه المساجد يتكون تخطيطها من صحن ومقدم ومجنبتين ولا يشتمل تخطيطها على المؤخر ومنها مسجد تازا ومسجد تنمل ، وتتميز بلاطة (رواق) المحراب العرضية (الموازية لجدار القبلة) بوجود ثلاث قباب بواقع قبة تعلو مربعة المحراب وقبة بكل من الركنين الجانبيين للبلاطة وهو نفس عدد القباب التى شاهدناها فى الأزهر والحاكم بالقاهرة . (أشكال ١٠٨ ـ ١٠٩) ، (لوحة ٩٨) .

أما مسجد الكتبية فى مراكش فيشتمل مقدمه على ١٦ بائكة عمودية على جدار

---

(٥٦) الريحاوى ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، ص٣٦٤ ـ ٣٦٦ .

(٥٧) الريحاوى ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، ص٣٦٨ .

(٥٨) عن المساجد الموحدية وأهميتها التاريخية والمعمارية والفنية فى العمارة الإسلامية عامة وفى الغرب الإسلامى خاصة انظر ، على سبيل المثال : الريحاوى ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، ص٣٧١ ـ ٣٧٦ ؛ سالم ، تاريخ المغرب ، ص٧٥٢ ـ ٧٦٤ ، ٧٦٨ ـ ٧٧٢ ؛ الكحلاوى ، محمد محمد مرسى ، مساجد المغرب والأندلس فى عصر الموحدين ، القاهرة (١٩٩٩م)، ص٩٩ ـ ٣٧٦ ؛ بالباس ، الفن المرابطي والموحدى ، ترجمة سيد غازى ، الاسكندرية (١٩٧٦م)، ص١٦ ـ ٢٣ ؛ لومبير ، ايلى ، تطور العمارة الإسلامية فى اسبانيا والبرتغال وشمال افريقيا ، ترجمة عطاالله جليان ، بيروت (١٩٨٥م)، ص١٩٩ ـ ٢٢٥ (الأشكال ١٩٣ ـ ١٩٦)؛ إسماعيل ، عثمان عثمان ، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى ، ج٣ ، (عصر دولة الموحدين)، (١٩٩٣م)، أما الدراسات الأجنبية فكثيرة ومنها دراسات تيراس وباسيه ومارسيه وهوج ومونيه وماسلو وكاييه وهيلنبراند وسوف نشير إليها تفصيلا فى كتابنا المفصّل إن شاء الله تعالى .

القبلة تحصر فيما بينها ١٧ بلاطة (رواقا)، ويتميز مقدم هذا المسجد بأنه يعلو بلاطة المحراب العرضية (الموازية لجدار القبلة) خمس قباب بنهاية البلاطات (الأروقة) العمودية التى تمتد طولاً حتى نهاية جدار القبلة وهى البلاطات : الأولى والخامسة والتاسعة (وهى البلاطة الوسطي) والثالثة عشرة والبلاطة السابعة عشر والأخيرة ، ولا يخفى أنه لولا وجود البائكة المستعرضة التى تقف عندها غالبية بلاطات (أروقة) مقدم المسجد باستثناء البلاطات الخمس المشار إليها لما إستطاع المعمار (عريف البناء) أن يمهد للقواعد المربعة التى أقيمت فوقها هذه القباب الخمس ؛ والمؤخر بلاطة واحدة (رواق واحد) موازية لجدار القبلة ، أما كل من المجنبتين فبكل مجنبة ٤ بلاطات (أروقة) عمودية على جدار القبلة ؛ ومن الملاحظ أن عقود البائكات الأربع لبلاطات المجنبتين تمثل فى ذات الوقت امتداداً للبائكات الأربع بطرفى مقدم المسجد . (شكل ١٨٩ ، لوحة ٩٩) .

أما مسجد القصبة فى مراكش فإنه يبدو للوهلة الأولى أنه يشبه كل من مسجدى تازا وتنمل من حيث التخطيط العام إلا أنه يتميز عنهما بوجود خمسة صحون : الصحن الرئيسى فى الوسط ، وأربعة صحون جانبية بواقع صحنين بكل مجنبة ، كذلك يتميز هذا المسجد عن المساجد الموحدية الأخرى بأنه يلى المداخل الثلاثة المحورية التى تتوسط أضلاع المؤخر والمجنبتين ثلاثة مجازات : مجاز المؤخر منها على هيئة مربع تعلوه قبة على محور قبة مربعة المحراب ، أما كل من مجازى المجنبتين فكل منهما على هيئة رواق مستطيل تسير عقود بائكتيه موازية لجدار القبلة ، ومن الملاحظ أن مدخل المجنبة اليسرى (الشمالية الشرقية) قد سد موضعه (شكل ١٨٩) .

أما مسجد حسان بالرباط فهو وإن كان ينتمى من حيث تخطيطه العام إلى طراز المساجد الموحدية ، الا أنه يتميز عنها بشخصية مستقلة قائمة بذاتها وطابع مميز له خاص به فهو من جهة يتكون من صحن ومقدم ومؤخر ومجنبتين الا أن المقدم يمتد ليشغل أكثر من ثلثى مساحة المسجد ، ويشتمل المقدم على ٢١ بلاطة (رواق) عمودية على جدار القبلة البلاطة الوسطى (البلاطة ١١) فضلا عن البلاطتين المتطرفتين (وهما البلاطة الأولى والبلاطة الواحدة والعشرون) هما أكثر البلاطات (الأروقة) اتساعًا .

ومن الملاحظ أن عقود بائكات هذه البلاطات (الأروقة) لا تمتد طولاً حتى تنتهى عند جدار القبلة ؛ وإنما تقف عند بائكة مستعرضة تتقدم بلاطة المحراب العرضية - أى

الموازية لجدار القبلة ـ وقد إشتملت هذه البلاطة العرضية لأول مرة فى الغرب الإسلامى على بائكتين آخريتين تسير عقودهما موازية لجدار القبلة ، وتحصر هذه البائكات فيما بينها ثلاث بلاطات (أروقة) موازية لجدار القبلة .

ويتميز هذا المسجد كذلك بوجود ثلاثة صحون : الصحن الرئيسى يتقدم مقدم المسجد وقد اتخذ هو الآخر محوراً عرضيا أى موازيا لجدار القبلة ، أما الصحنان الأخران فيشغلان طرفى مقدم المسجد من أعلاه حيث قطع وجودهما فى ذلك الموضع إمتداد عقود ثلاث بائكات من بائكات البلاطات الثالثة والرابعة (من اليمين) والثامنة عشر والتاسعة عشر (من اليسار) ، والمؤخر يشتمل على ١١ بلاطة (رواق) عمودى على جدار القبلة ، ومن الملاحظ أن وجود كتلة الصومعة (المئذنة) التى تبرز عن سمات جدار الواجهة الشمالية الغربية قد أثر على شكل ثلاث بلاطات (أروقة) من بلاطات المؤخر ؛ وهى البلاطات الخامسة والسادسة والسابعة . وتشتمل كل مجنبة من المجنبتين على خمس بلاطات (أروقة) عمودية على جدار القبلة ، وعقود بائكات هذه البلاطات تمثل إمتداداً لمثيلتها بطرفى مقدم المسجد . (شكلا ١٨٩ ، ١٩٤) (لوحة ١٠٠) .

وبالنسبة إلى مسجد قصبة اشبيلية الموحدى فهو يشبه مسجد حسان من حيث التخطيط العام ، حيث أن المقدم يمتد ليشغل أكثر من ثلثى مساحة المسجد ، أما من حيث التفاصيل فإنه يقتصر على صحن واحد ، ويشتمل المقدم على ١٧ بلاطة (رواق) عمودية على جدار القبلة ، البلاطة الوسطى (البلاطة ٩) فضلا عن البلاطتين المتطرفتين (وهما البلاطة رقم ١ ورقم ١٧) هما أكثر البلاطات (الأروقة) اتساعا ، ويعلو بلاطة المحراب العرضية ـ الموازية لجدار القبلة ـ ثلاث قباب : قبة مربعة المحراب فى الوسط وقبتان بطرفى البلاطة (بواقع قبة بكل طرف) وهو ما لا نجده بمسجد حسان بالرباط والمؤخر يشتمل على بلاطة (رواق) موازية لجدار القبلة ، أما المجنبتين فبكل مجنبة بلاطتان (رواقان) عموديتان على جدار القبلة ، وتمثل بائكتيهما فى ذات الوقت إمتداداً لمثيلتهما بطرفى مقدم المسجد وهو النمط السائد فى المساجد الموحدية غالبا .

وهناك من يرى أن كل مجنبة كانت تشمل بلاطة واحدة فحسب ، وأن بلاطة المحراب العرضية ـ الموازية لجدار القبلة ـ كانت تعلوها خمس قباب[٥٩] . (شكلا ١٨٩ ،

(59) Terrasse, H., L'art Hispano, Mouresque, Paris (1932), P. 311, Fig, 52 .

١٩٥) على أن أهم ما يميز عمارة هذا المسجد صومعته الشهيرة المعروفة بالخيرالدا[٦٠] (دوارة الرياح أو الدوارة) والتى يصل ارتفاعها إلى حوالى ٩٦م وسوف نشير إلى طرازها وسماتها المعمارية والفنية فيما بعد (لوحة ١١٨) .

وقد استمر هذا النمط خلال العصر المرينى مع ما أصابه من تطور فى بعض النماذج، وحسبنا أن نشير إلى كل من : مسجد سيدى بومدين بتلمسان فى الجزائر ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م (٥×١×١×١) ومسجد سيدى الحلوى ٧٥٤هـ/ ١٣٥٣م (٥×١×١×١). ومسجد المنصورة بتلمسان فيما بين ٧٠٣ ـ ٧٣٧هـ/ ١٣٠٣ ـ ١٣٣٦م[٦١].

وهذا المسجد الأخير ـ أى مسجد المنصورة ـ يعد تخطيط مقدمه تطوراً لتخطيط مقدم مسجد حسان بالرباط رغم أنه يخلو من وجود الصحنين الجانبيين بطرفى المقدم ، ويتمثل ذلك التطور بصفة خاصة فى تخطيط بلاطة المحراب العرضية التى تشتمل على ثلاث بلاطات موازية لجدار القبلة تقطعها بلاطة وسطى (رواق أوسط عمودي) تمثل مقصورة السلطان وقد غطيت بقبة ؛ وهو ما لا نجده فى مسجد حسان بالرباط ، والمقدم بصفة عامة يشتمل على ١٣ بلاطة (رواق) عمودية على جدار القبلة ، والمؤخر بلاطة واحدة موازية لجدار القبلة ، وبكل مجنبة من المجنبتين ثلاث بلاطات (أروقة) عمودية على جدار القبلة ، وتمثل عقود البائكات الثلاث بكل مجنبة امتداداً لما يماثلها بطرفى مقدم المسجد .

أما عن بقية التفاصيل والعناصر والمفردات والسمات المعمارية والفنية للمساجد التى عرضنا لنمطها التخطيطى على سبيل الاجمال وفقا للخطة الموضوعة لهذا الكتاب فسوف نتطرق إليها تفصيلا فى كتابنا المفصّل بمشيئة الله تعالى .

النماذج الباقية فى المشرق الإسلامى :

بقيت فى المشرق الإسلامى عدة نماذج صممت وفق ذلك النمط وكان لكل مسجد

---

(٦٠) سالم ، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار ، القسم الثاني ، بيروت (١٩٩٢م)، ص٢٦١ ـ ٢٦٨ .

(٦١) عن هذه المساجد انظر ، الريحاوي ، العمارة في الحضارة الإسلامية ، ص٣٨٨ ـ ٣٩٨ .

منها شخصيته المستقلة وطابعه المميز الخاص به ؛ فضلا عن سمات الطراز المعماري والفني السائد خلال الفترة التي شيدت فيها تلك المساجد ، وهو الأمر الذي يساعد في تأريخ بعض المساجد التي تخلو من نقوشها التأسيسية . ومن بين هذه المساجد حسبنا أن نشير إلى كل من : مسجد تاريخانه[٦٢] (طارق خانه) بدمغان الذي يؤرخ بالفترة فيما بين ١٣٠ ـ ١٧٠هـ/ ٧٤٨ ـ ٧٨٦م في قول أو النصف الثاني من القرن ٢هـ/ ٨م في قول آخر . (شكل ٢٣٠) (٧×٥×٦×٦) ومن الملاحظ أن أروقة كل من المجنبتين تسير عقود بائكاتها موازية لجدار القبلة ، أما عقود بائكات المقدم والمؤخر فعمودية على جدار القبلة .

ومنها مسجد بقرية فهرج باقليم كرمان في إيران ويشتمل المقدم على أربع بائكات تحصر فيما بينها خمسة أروقة (بلاطات) عمودية على جدار القبلة ، وهي مغطاه بأقبية برميلية ، وبكل مجنبة رواق (بلاطة) واحد تمثل عقود بائكته امتداداً لما يماثلها بطرفي مقدم المسجد ، ويؤرخ هذا المسجد اعتماداً على تخطيطه وخصائصه المعمارية بالنصف الثاني من القرن ٣هـ/ ٩م[٦٣] .

ومنها الجامع الكبير (اولو جامع) في سيواس[٦٤] ٥٩٣هـ/ ١١٩٧م وهو يتكون من صحن ومقدم فحسب ، والمقدم يشتمل على ١٠ بائكات تحصر فيما بينها ١١ رواقا (بلاطة) عموديا على جدار القبلة ، ومما يتميز به هذا المسجد هو أنه يتقدم مقدمه رواق خارجي (أو سقيفة) يطل على الصحن ، ويوجد بصدر هذا الرواق محرابان صغيران (شكل ٢٣١) .

---

(٦٢) شافعي ، العمارة العربية الإسلامية ، ص٩٦ ؛ فكري ، المدخل ، ص٢٨٤ ؛ جوادي ، سيد كمال ، مساجد إيران ، جـ١ ، طهران (١٣٧٥هـ. ش/ ١٤١٧هـ . ق/ ١٩٩٦م) ، ص٧٦ ـ ٨٤ ؛ الريحاوي ، العمارة في الحضارة الإسلامية ، ص ، قباديان ، وحيد ، بررسي اقليمي أبنية سنتي إيران ، تهران (١٩٩٤م) ، ص٢٠٥ ـ ٢٠٦ ؛

Pope, A. U., Asurvey of Persian, Art, Vol2, Oxford, (1939), P. 933 - 934, Fig 314 .

Creswell , Ashort, P. 264 - 266 .

(63) Creswell, Ashort, P. 410 - 413 .

(٦٤) أصلان آبا ، فنون الترك وعمائرهم ، ص٧٠ ـ ٧١ تخطيط ٨ .

ومن النماذج المتميزة لهذا النمط فى المشرق مسجد وزيرى خان[٦٥] بلاهور فى باكستان ١٠٥٣هـ/ ١٦٤٣م، وتخطيطه عبارة عن صحن كبير مستطيل الشكل يمتد من الشرق إلى الغرب ومقدم يشغل الضلع الغربى للصحن ، وهو عبارة عن رواق واحد (بلاطة واحدة) قسم إلى خمسة مربعات بصدر كل مربع منها محراب ، ويغطى هذا الرواق خمس قباب أكبرها القبة الوسطى التى تعلو المربع الذى يتقدم المحراب الرئيسى ، ويتميز هذا المسجد باشتماله على أربع مآذن فى الأركان الأربعة ، بواقع مئذنة بكل ركن، كما أنه يشغل المؤخر والمجنبتين حجرات أو خلوات للتدريس ، وهذه من السمات المميزة للمساجد فى شبه القارة الهندية ، كذلك يوجد على جانبى كتلة المدخل الرئيسى بالجانب الشرقى للمسجد سوق مسقوف تتوزع الحوانيت (الدكاكين) على جانبيه من الداخل والخارج . (شكل ٢٢٤) .

وإذا ما إنتقلنا إلى الأقطار العربية لوجدنا بضعة نماذج صممت وفق ذلك النمط الثانى ومنها فى العراق مسجد سامرا[٦٦] الجامع ٢٣٤ ـ ٢٣٧هـ/ ٨٤٩ ـ ٨٥٢م وتخطيطه عبارة عن مقدم ومؤخر ومجنبتين ، والمقدم يشتمل على ٢٥ رواقا (بلاطة) عموديا على جدار القبلة أوسطها أوسعها وأكثرها ارتفاعا ، والمؤخر يماثل المقدم فى عدد أروقته ونظامها ، أما المجنبتين فبكل مجنبة ٢٣ رواقا (بلاطة) موازياً لجدار القبلة (لوحة ٤) . ومن مميزات هذا المسجد أنه كانت تحيط به زيادة من ثلاث جهات عدا جهة القبلة مثل الجامع الطولونى بالقاهرة فيما بعد . إلا أن أهم ما يميز هذا المسجد هو مئذنته الشهيرة المعروفة بالملوية وسوف نتحدث عنها فيما بعد . (شكلا ٣٥ ـ ٣٦) ، (لوحتا ٤ ـ ٥) .

---

(٦٥) رجب ، أحمد ، تاريخ وعمارة المساجد الأثرية بالهند ، القاهرة (١٩٩٧م)، ص١٧٥ ـ ١٧٧ ؛ الريحاوي، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، ص٥٧١ ـ ٥٧٢ .

Khan, A, N., Monuments of islamic civilization in Islamic Republic of Pakistan, Isesco (2000), P. 67, Fig 21 .

(٦٦) كريزول ، الآثار الإسلامية الأولى ، ص٣٦١ ـ ٣٦٨ ؛ سامح ، العمارة فى صدر الإسلام ، ص١٠٥ ـ ١٠٩ ؛ العميد ، طاهر مظفر ، العمارة العباسية فى سامرا فى عهدى المعتصم والمتوكل ، بغداد (١٩٧٦م)، ص١٢٩ ـ ١٦٤ ؛ سلمان ، عيسى ، وآخرين ، العمارات العربية الإسلامية فى العراق ، جـ١ ، بغداد (١٩٨٢م)، ص١١٠ ـ ١٢٥ ؛ رجب ، غازى ، العمارة العربية فى العصر الإسلامى فى العراق، بغداد (١٩٨٩م)، ص١٤١ ـ ١٥٥ ؛ الريحاوى ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، ص١٠٠ ـ ١٠٣ .

ومنها بسامرا أيضًا مسجد أبى دلف[٦٧] الجامع ٢٤٧هـ/ ٨٦١م والمقدم يشتمل على ١٧ رواقا (بلاطة) عموديا على جدار القبلة أوسطها أوسعها ، إلا أن عقود هذه البائكات لا تمتد طولاً حتى تنتهى بجدار القبلة ، وإنما تقف عند بائكة عرضية (أى موازية لجدار القبلة) وهو الأمر الذى أدى إلى وجود رواق عرضى (بلاطة عرضية) عمقه ٦٠ر١٠م يتقدم جدار القبلة ، ويشغل هذا الرواق ١٨ قاعدة دعامة اثنتان منهما ملتصقتان بجدارى المسجد الجانبيين ، والمؤخر يشتمل على ١٣ رواقا (بلاطة) عموديا على جدار القبلة أوسطها أوسعها ، أما المجنبتين فبكل مجنبة رواقان (بلاطتان) عموديان على جدار القبلة ، وتمثل عقود بائكتيهما إمتداداً لما يماثلهما بطرفى مقدم المسجد (أى على نفس النمط الذى ساد وانتشر فى المساجد المغربية والأندلسية السابق الإشارة إليها. (شكلا ٣٧ ـ ٣٨) .

وفى اليمن تقابلنا بضعة نماذج ومنها مسجد سليمان بن داود فى مأرب ومسجد ظفار ذى بين ومسجد ذى أشرق ٤١٠هـ/ ١٠١٩م[٦٨] .

ثالثًا : النمط الثالث :

ويتميز هذا النمط بأنه يغلب عليه طراز الأروقة (البلاطات) المتقاطعة أى التى تتجه عقود بائكاتها عمودية على جدار القبلة وموازية له فى ذات الوقت ، ولا سيما فى المساجد التى تغطى بالقباب أو الأقبية أو الاثنين معًا ، سواء فى مقدم المسجد فحسب أو فى مقدمه ومؤخر ومجنبتيه أو فى مقدمه ومجنبتيه .

وتعد النماذج الباقية التى صممت وفق هذا النمط من الطراز التقليدى العربى قليلة فى العمارة الإسلامية بصفة عامة ؛ ومن جهة أخرى فإن أكثر ما بقى منها يوجد فى شبه القارة الهندية .

---

(٦٧) كريزول ، الآثار ، ص٣٦٩ ـ ٣٧٤ ؛ العميد ، العمارة العباسية ، ص١٧٩ ـ ٢١٢ ؛ سلمان ، العمارات العربية ، جـ١ ، ص١٢٦ ـ ١٤٣ ؛ رجب ، العمارة العربية ، ص١٥٨ ـ ١٦٦ ؛ الريحاوى ، العمارة فى الحضارة ، ص١٠٤ ـ ١٠٦ ؛ فكرى ، المدخل ، ص٢٤٠ ، شكل ٩٨ .

(٦٨) فنستر ، حول بعض المبانى الإسلامية فى اليمن ، ص٤٥ ـ ٥٢ ، ٧٩ ـ ٨٦ ؛ شيحة ، مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية فى الجمهورية اليمنية ، ص٦٤ ـ ٧٠ ؛ هاشم ، أحمد محمد ، من معالم الحضارة الإسلامية فى الجمهورية اليمنية ، ايسيسكو (١٩٩٩م)، ص٤٢ ـ ٤٣ ، ١٢٦ ـ ١٢٨ .

وحسبنا أن نشير إلى عدد من هذه النماذج ومنها مسجد سوسه[٦٩] الجامع ٢٣٦هـ/ ٨٥١م وهو يجمع فى تسقيفه بين الأقبية البرميلية (بالنسبة للمسجد الأصلى) والأقبية المتقاطعة (بالنسبة للزيادة) فضلا عن قبة مربعة المحراب الأصلى وقبة مربعة محراب الزيادة . (لوحة ٩٣). ومنها فى مصر مسجد الأقمر[٧٠] بالقاهرة ٥١٩هـ/ ١١٢٥م (لوحة ٣٩) وتسقيفة يعتمد على القباب الضحلة المقامة على مثلثات كروية ، ويستثنى من ذلك سقف الرواق الأول (البلاطة الأولي) مما يلى جدار القبلة بمقدم المسجد فهو سقف خشبى مسطح .

ومنها أيضًا الأروقة المتقاطعة بخانقاة الناصر[٧١] فرج بن برقوق بالقاهرة ٨٠١ - ٨١٣هـ/ ١٣٩٨ - ١٤١٠م (شكل ١٥٣)، ومنها مسجد الأمير آق سنقر[٧٢] المعروف بالجامع الأزرق (بشارع باب الوزير) بالقاهرة ٧٤٧ - ٧٤٨هـ/ ١٣٤٦ - ١٣٤٧م ؛ وبصفة خاصة مقدم المسجد ويعتمد تسقيفه على الأقبية المتقاطعة ، ويستثنى من ذلك مربعة المحراب التى تغطيها قبة . (شكل ١٠٥) .

وفى بلاد الشام يقابلنا الجامع المنصورى[٧٣] الكبير بطرابلس الشام ٦٩٣هـ/

---

(٦٩) كريزول ، الآثار الإسلامية ، ص٣٥٤ - ٣٦٠ ؛ سامح ، العمارة فى صدر الإسلام ، ص١٥١ - ١٥٣ ؛ شافعى ، العمارة العربية ، ص ٢٤٥ ، شكل ١٦٨ ؛ الريحاوى ، العمارة فى الحضارة ، ص١٤٣ - ١٤٥ .

(٧٠) عبد الرازق ، العمارة الإسلامية ، ص١٨٣ - ١٩٢ ؛ العمرى ، العمارة فى مصر ، ص٨٦ - ٩٣ ؛ فكرى ، مساجد القاهرة ، جـ١ ، ص٩٥ - ١٠٢ ؛ كريزول ، العمارة الإسلامية فى مصر ، المجلد الأول ، ص٢٥٣ - ٢٥٧ ؛

Williams, C., The Cult of Alid Saints in the Monuments of Cairo, Part I : The Mosque of al-Aqmer, Muqarnas, vol 1, New Haven and London, (1983), PP. 37 - 52 .

(٧١) نويصر ، العمارة الإسلامية فى مصر ، ص٣١٦ - ٣٢٥ ؛ الحداد ، أسس التصميم المعمارى ، ص١٧٣ - ١٨٠ .

(٧٢) إمام ، سامى عبد الحليم ، مسجد الأمير آق سنقر الناصرى ، مجلة كلية الآداب - جامعة المنصورة ، العدد الثالث والرابع ، (مايو ١٩٨٢م)، ص٢٨٩ - ٢٩٧ .

(٧٣) سالم ، طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى ، الإسكندرية (١٩٦٦م)، ص٤٠٠ - ٤٠٧ ؛ تدمرى ، عمر عبد السلام ، آثار طرابلس الإسلامية ، طرابلس (١٩٩٤م)، ص١٩ - ٧٢ .

Liebich, H, S., The Architecture of the Mamluk city of tripoli, Harvard Unwersity (1983) PP .

١٢٩٣م و٧١٥هـ/ ١٣١٥م ويعتمد التسقيف هنا على الأقبية المتقاطعة . ويستثنى من ذلك القبة التى تعلو مربعة المحراب (شكل ٦٥) .

وإذا ما انتقلنا إلى المشرق الإسلامى يقابلنا مسجد نايين(٧٤) بإيران وقد ارخه فلورى بأواخر ق٣هـ/ ٩م أو أوائل ق٤هـ/ ١٠م بينما أرخه بوب بمنتصف ق٤هـ/ ١٠م. (شكل ٢٢٢). وفى شبه القارة الهندية تقابلنا عدة نماذج ومنها مسجد قوة الإسلام(٧٥) المعروف بمسجد قطب منار بدلهى ٥٨٩ ـ ٥٩٤هـ/ ١١٩٣ ـ ١١٩٧م ، ومسجد بيجمبورى قرب دلهى ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م ، ومسجد خيركى شمال دلهى ٧٥٣هـ/ ١٣٥٢م ويتميز هذا المسجد باشتماله على أربعة صحون ، ومثله فى ذلك مسجد كالان بحى نظام الدين شمال دلهى ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م .

ومنها مسجد كالان بمدينة شاه چهان آباد ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م(٧٦) .

ومنها مسجد شامبانير الجامع ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م ولا سيما مقدم المسجد (شكلا ٢٢٣ ـ ٢٢٣مكرر)، ومسجد موتى (أو مسجد اللؤلؤة) فى أجرا ١٠٥٦ ـ ١٠٦٦هـ/ ١٦٤٨ ـ ١٦٥٥م ولا سيما مقدم المسجد(٧٧) .

ومنها المسجد الجامع فى بيجابور(٧٨) ويؤرخ بمنتصف القرن ١١هـ/ ١٧م وهو من

---

(٧٤) الريحاوى ، العمارة فى الحضارة ، ص١٥٠ ؛ جوادى ، مساجد ايران ، جـ١ ، ص٨٦ ـ ٩٤ ؛ قباديان ، بررسى ، ص٢٥٠ ، شكل ٩/٣٤ .

Pope, Asurvey, vol 3, PP. 934 - 939 , Fig 315 .

(٧٥) الريحاوى ، العمارة فى الحضارة ، ص٥٦٤ ـ ٥٦٦ ؛ رجب ، تاريخ وعمارة المساجد الأثرية فى الهند ، ص٣٢ ـ ٤٢ ؛

Havel , E. B., Indian Architecture, London (1927), PP. 47 - 52 .

(٧٦) رجب ، تاريخ وعمارة ، ص٥٤ ـ ٦١ ، ٦٤ ؛ الحليبة ، سعد بن زيد بن محمد ، مساجد مدينة دهلى (دلهي) فى الهند ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية الآداب ـ قسم الآثار والمتاحف ـ جامعة الملك سعود بالرياض (١٩٩٦م) ، ص٨٢ ـ ١٨٤ .

(٧٧) رجب ، تاريخ وعمارة ، ص٩٤ ـ ٩٦ ، ١٩٩ ـ ٢٠٨ ؛ الريحاوى ، العمارة فى الحضارة ، ص٥٧٩ ـ ٥٨٠ ؛

Havel, Indian, P. 135 - 142 .

(78) Havel, Indian, PP. 190 - 193 .

النماذج المتميزة التى تتسم بشخصية مستقلة قائمة بذاتها وطابع مميز خاص به وبصفة خاصة مقدم المسجد والقبة الكبرى التى تتوسطه ، فضلا عن قباب المجنبتين إذ أن هذا المسجد لا يشتمل على مؤخر . (شكل ٢٢٧) .

ومن النماذج المتميزة لهذا النمط مسجد Adina الذى أمر بإنشائه اسكندر شاه عام ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م فى عاصمة البنغال القديمة (فيروز آباد) بجانب الطريق الرئيسى المؤدى إلى شمال البنغال ، وهو عبارة عن صحن أوسط مكشوف ومقدم ومؤخر ومجنبتان ، واللافت للنظر أنه يقطع أروقة المقدم رواق أوسط (بلاطة وسطي) عمودى على جدار القبلة هو المعروف خطأ بالمجاز القاطع ، ويعتمد التسقيف هنا على الأقبية البرميلية وليس القباب وهى النمط الشائع والسائد للتسقيف فى شبه القارة الهندية(٧٩). (شكل ٢٢٨) .

رابعًا : النمط الرابع :

لم يخرج هذا النمط فى تخطيطه العام عن الطراز العربى التقليدى فى صورته النهائية وجوهرها يتمثل فى الصحن الأوسط المكشوف والمقدم والمؤخر والمجنبتين ، إلا أنه صمم بطريقة جديدة غير مألوفة ؛ وبصفة خاصة فى تصميم مقدم المسجد إذ لم يسبق أن شاهدناها فى الأنماط الثلاثة السابقة ، وقد أضفى هذا التصميم الجديد على مساجد ذلك النمط شخصية جديدة قائمة بذاتها وطابعا مميزاً خاصًا بها .

هذا وقد إقتصر ظهور هذا النمط بملامحه المميزة وسماته الخاصة على مساجد شبه القارة الهندية ، ومنها مسجد فتح يورسكرى ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م ، ومسجد دلهى الجامع ١٠٤٥هـ/ ١٦٤١م ، ومسجد فتحبورى بيجم (بمدينة شاه چهان آباد شمال دلهي) ١٠٥٤هـ/ ١٦٥٠م ، ومسجد باديشاهى فى لاهور (باكستان) ١٠٨٤هـ/ ١٦٧٤م(٨٠).

وأول ما يلاحظ فى تصميم هذه المساجد أنها اتخذت شكلاً مستطيلاً يمتد من

---

(79) Michel, G., The Islamic Heritage of Bengal , Unesco (1994), PP.

(٨٠) الريحاوى ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، ص٥٦٨ - ٥٧٥ ، ٥٧٩ ؛ رجب ، تاريخ وعمارة ، ص١٢٦ - ١٣٤ ، ١٥٨ - ١٧٤ ؛

Havel, Indian, PP. 170 - 173 .

الشرق إلى الغرب ، وأن مساحة الصحن كبيرة جداً وهو نفس التصميم الذى يميز غالبية المساجد الهندية بصفة عامة .

أما الملمح الجديد هنا فيتمثل فى أن مقدم المسجد لا يشغل الضلع الغربى (جهة القبلة) بكامله من جهة ، وفى تصميمه من جهة ثانية ، أما عن هذا التصميم فهو عبارة عن قلب وجناحين ويتكون القلب من الإيوان والكنبدخانة بصدرها المحراب الرئيسى للمسجد ، أما الجناحين فكل جناح منهما يشتمل على أروقة يتوسطها تجاه المحراب مربعة مغطاة بقبة أصغر من قبة الكنبدخانة ، وعلى ذلك فإن هذا التصميم الجديد إنما كان نتيجة لتأثره بالمساجد الإيرانية التى صممت وفق الطراز المعروف بالطراز الجامع بين الإيوانات والأروقة والذى ظهر لأول مرة فى العمارة الإسلامية فى إيران خلال العصر السلجوقى كما سنشير فيما بعد .

أما المؤخر والمجنبتين فبكل منها رواق (بلاطة) واحد موازى لجدار القبلة فى المؤخر وعمودى فى المجنبتين ، وتوجد خلف الأروقة (البلاطات) الثلاثة حجرات للتدريس أو للصوفية وهو الطابع المميز لغالبية المساجد الهندية أيضًا . ومن السمات التى يتميز بها هذا المسجد أيضًا المداخل التذكارية الثلاثة ومن أهمها وأشهرها المدخل الجنوبى المعروف بـ « بولاند دروازه ». (شكل ٢٢٦) ، (لوحة ١٦٣) .

واتبع مسجد دلهى الجامع نفس النمط فى تصميم مقدمه ، ولكن جناحى المقدم هنا قد صمما بطريقة مغايرة عن جناحى مسجد فتح بورسكرى ، ويشغل ركنى الجناحين المطلين على الصحن مئذنتين عاليتين بواقع مئذنة بكل ركن .

وهنا أيضًا نشاهد المداخل التذكارية الثلاثة البارزة والأروقة (البلاطات) الثلاثة بالمؤخر والمجنبتين وخلفها حجرات للتدريس .

أما باديشاهى مسجد فى لاهور فمن الواضح أن مقدمه متأثر بطريقة مباشرة بمسجد دلهى الجامع الا أن أركانه الأربعة قد زودت بالشادروانات المميزة لعمارة المساجد الهندية بصفة عامة ، والمؤخر يشتمل على عدد من الحجرات للتدريس ، وبكل من المجنبتين رواق مسقوف مقسم بطريقة غير مألوفة فى المساجد بصفة عامة ، وزود هذا المسجد بأربعة مآذن عالية فى أركانه الأربعة ، ولا يوجد به سوى مدخل تذكارى بارز

واحد يتوسط الضلع الشرقى على محور المحراب بالضلع الغربى . (لوحة ١٦٤) .

أما مسجد فتحبورى بيجم فقد صمم مقدمه بطريقة مغايرة لما شاهدناه فى المساجد الثلاثة السابقة ، فالقلب هنا يقتصر فقط على الكنبدخانة (المربعة المغطاة بقبة ويصدرها المحراب الرئيسي) دون وجود الإيوان المطل على الصحن ، كذلك جناحى القلب فكل جناح منهما يشتمل على ثلاث بائكات موازية لجدار القبلة تحصر فيما بينها أربعة أروقة (بلاطات)، ويصدر كل جناح ثلاثة محاريب ، ويوجد بكل من ركنى الجناحين المطلين على الصحن مئذنتين عاليتين ، بواقع مئذنة بكل ركن ، كذلك يلاحظ أن بائكتى الجناحان الأولى والثانية ، مما يلى جدار القبلة ، تمتدان إلى الخارج (أى عن يمين ويسار الجناحين) لتتصلان برواقى مجنبتى الصحن العموديان على جدار القبلة ، والمؤخر يشتمل كذلك على رواق واحد (بلاطة) موازى لجدار القبلة ، إلا أنه لا يوجد خلف الأروقة الثلاثة فى هذا المسجد حجرات للتدريس كما هو الحال فى المساجد السابقة .

٢ ـ الطراز الثانى : ويعرف بالطراز السنى أو الطراز الايوانى أو طراز الايوانات حول صحن أو درقاعة ، أما عن تسميته بالطراز السُنى فترجع إلى أن هذا الطراز قد إرتبط عند نشأته بالمدارس التى أنشئت لتدريس ودعم المذاهب السنية الأربعة فى مقابل هدم وتقويض دعائم المذهب الشيعى على حد قول فريد شافعى[(٨١)] .

ولكن أثبتت الدراسات التالية أن هذا الطراز قد إستخدم فى تصميم المساجد قبل ظهوره وإنتشاره فى المدارس كما هو الحال فى مسجد نيريز[(٨٢)] فى فارس ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فإن هذا الطراز كان معروفا فى عمارة الدور والقصور الإسلامية فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة النبوية الشريفة كا سنشير فيما بعد.

ومهما يكن من أمر فإن هذا الطراز قد استخدم فى تصميم العديد من العمائر الدينية فى العمارة الإسلامية ومنها المساجد والمدارس والخوانق والزوايا والأربطة فى مرحلتها الثانية .

---

(٨١) شافعى ، العمارة العربية الإسلامية ، ص٨١ ـ ٨٢ ؛ العمارة العربية فى مصر ، ص٢٤٨ .
(82) Pope, Asurvey, vol 2, P. 939. Godard, A., L'art de L'iran, Paris (1962), PP. 344 - 345 .

وجوهر التخطيط العام فى عمائر هذا الطراز هو أنه يتكون من صحن أوسط مكشوف تحيط به الإيوانات سواء إيوان واحد فقط أو ايوانين فقط أو ثلاثة ايوانات فقط أو أربعة إيوانات ، وهى الصورة النهائية لتخطيط عمائر هذا الطراز وقد إصطلح على تسميتها بالطراز الصليبى (The Cruciform Plan) ونفضل نحن استبدال هذا المصطلح المغرض بمصطلح طراز الايوانات المتقابلة .

كذلك ينبغى أن نشير إلى أن الصحن فى هذا النمط قد يكون كبيراً أو صغيراً وقد يكون مكشوفًا أو مغطى أو يكون مجرد ممر أو مجاز أرضى أو استطراق ، ولا سيما فى النماذج المتأخرة وبصفة خاصة فى المساجد المصرية خلال العصرين المملوكى والعثمانى .

وحسبنا أن نشير هنا إلى النماذج الباقية من المساجد التى صممت وفق هذا الطراز أما نماذج العمائر الدينية الأخرى فسوف نشير إليها ونحن نتحدث عن كل نوع منها.

ويعد مسجد نيريز قرب مدينة سروستان فى اقليم فارس ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م هو أقدم النماذج الباقية المعروفة فى العمارة الإسلامية حتى الأن ، لمسجد صمم وفق الطراز الإيوانى وهو عبارة عن صحن وإيوان واحد (وقد جرت عليه إضافات لاحقة ليس هنا مجال للحديث عنها) . ولحسن الحظ تحتفظ العمارة المصرية الإسلامية بالنصيب الأوفى من العمائر الدينية التى صممت وفق هذا الطراز بصفة عامة والمساجد بصفة خاصة .

ونستطيع أن نحصر تخطيطات المساجد التى صممت وفق هذا الطراز فى مصر فى الأنماط التالية :

١ - **النمط الأول :** وهو عبارة عن صحن أو درقاعة يشغل الضلع القبلى له إيوان رئيسى واحد هو إيوان القبلة كما هو الحال فى مسجد فرج بن برقوق المعروف بزاوية الدهيشة (تجاه باب زويلة أو بوابة المتولى بشارع تحت الربع أو أحمد ماهر حاليا) ٨١١هـ/ ١٤٠٨م ، ومسجد داود باشا (بسويقة اللالا) ٩٥٥ - ٩٦١هـ/ ١٥٤٨ - ١٥٥٤م ، ومسجد البردينى (بالداودية) ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م وغير ذلك .

النمط الثانى : وهو عبارة عن صحن أو درقاعة وإيوانين رئيسيين هما إيوان القبلة (الجنوبى الشرقي) والمقابل له (الشمالى الغربى أو الإيوان البحري) كما هو الحال فى مسجد السنبغا البوبكرى (بحارة درب سعادة) ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م ، ومسجد المحمودية (بميدان صلاح الدين بحى القلعة) ٩٧٥هـ/ ١٥٦٧م ، ومسجد عبد اللطيف

القرافى (بالخرنفش) ٩٩٥هـ/ ١٥٨٦م ، ومسجد تغرى بردى (بالمقاصيص) ١٠٤٤هـ/ ١٦٣٤م ، بالقاهرة وغير ذلك .

٣ ـ **النمط الثالث** : وهو عبارة عن صحن وثلاثة إيوانات ونشاهد ذلك في انموذج فريد فى تخطيط المساجد المصرية بالقاهرة ، وهو مسجد الدشطوطى (بباب الشعرية) ٩٢٤هـ/ ١٥١٨م ، وهو فى ذلك يذكرنا بتخطيط مدرسة تتر الحجازية (بالجمالية) ٧٦١هـ/ ١٣٥٩م، وهى نموذج فريد بالنسبة للمدارس كما سنشير فيما بعد.

٤ ـ **النموذج الرابع** : وهو عبارة عن صحن أو درقاعة يحيط به أربعة إيوانات كما هو الحال في مسجد آل ملك الجواكندار ٧١٩هـ/ ١٣١٩م ، ومسجد أحمد المهمندار ٧٢٥هـ/ ١٣٢٤م ، ومسجد أصلم السلحدار ٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م ، والمسجد بقلعة قايتباى بالاسكندرية ٨٨٢ ـ ٨٨٤هـ/ ١٤٧٧ ـ ١٤٧٩م ، وغير ذلك . أو يحيط بالصحن إيوانان رئيسيان كبيران (الإيوان القبلى والإيوان البحري) وسدلتان (إيوانان صغيران) جانبيان كما هو الحال فى مسجد جانى بك الأشرفى ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م ، ومسجد القاضى يحيي زين الدين (بالموسكي) ٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م ، ومسجد قراقجا الحسنى (بدرب الجماميز) ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م ، ومسجد قجماس الإسحاقى (أبو حريبة) بالدرب الأحمر ٨٨٥ ـ ٨٨٦هـ/ ١٤٨٠ ـ ١٤٨١م بالقاهرة .

ومن العصر العثمانى جامع محب الدين أبو الطيب (بالخرنفش) ٩٣٤ ـ ٩٣٦هـ/ ١٥٢٧ ـ ١٥٢٩م وجامع يوسف الحين (بباب الخلق قرب متحف الفن الإسلامى ومديرية أمن القاهرة) ١٠٣٥هـ/ ١٦٢٥م(٨٣) .

ورغم أن المساجد السابقة تكاد تتفق مع بعضها فى التخطيط العام ، إلا أنها تختلف فيما بينها من حيث بعض المفردات والعناصر والتفاصيل فلكل مسجد منها شخصيته المستقلة وطابعه المميز ، ولا تفوتنا الإشارة إلى أن غالبية المساجد السابقة لم تكن مجرد مساجد أو مساجد جامعة فحسب ، وانما تعددت بها الوظائف على النحو الذى تميزت به عمائر القاهرة الدينية خلال العصر المملوكى .

---

(٨٣) الحداد ، بحوث ودراسات ، (الكتاب الأول)، ص٢١٤ ـ ٢١٨ ، ٢٨٢ ـ ٢٨٦ ، موسوعة العمارة الإسلامية فى مصر (الكتاب الأول) المدخل ، القاهرة (١٩٩٨م)، ص٨٧ ـ ٩٢ .

٣ـ الطراز الثالث : وهو الطراز الذى يجمع بين الايوانات والأروقة ، ومن الملاحظ أن هذا الطراز قد اقتصر ظهوره وإنتشاره على العمارة الإسلامية فى المشرق[٨٤] (إيران وأسيا الوسطى والهند) ، كما أسهم هذا الطراز فى ظهور نمط جديد من أنماط الطراز العربى التقليدى وهو النمط الرابع الذى إقتصر على شبه القارة الهندية، كما سبق القول .

ويتمثل جوهر التخطيط العام لهذا الطراز فى أنه عبارة عن صحن أوسط مكشوف يتوسط أضلاعه أربعة إيوانات (بواقع إيوان بكل ضلع) ، وقد شغلت المساحات المحصورة بين الضلعين الجانبيين لكلاإيوان من الايوانات الأربعة بعدد من الأروقة (البلاطات) يختلف من مسجد لآخر ، وتنتمى غالبية هذه الأروقة (البلاطات) إلى النمط المعروف بالأروقة المتقاطعة (أى التى تسير عقود بائكاتها موازية لجدار القبلة وعمودية عليه فى ذات الوقت) أما بقية الأروقة فتنتمى إلى الأنماط التقليدية المعروفة، وهى اما أن تكون موازية لجدار القبلة فحسب ، أو عمودية على ذلك الجدار فحسب .

ولا يقف الأمر عند ذلك فحسب ، وانما أضاف المعمار خلف إيوان القبلة كنبدخانة (قاعة القبة التى كانت بمثابة مقصورة للسلطان) وبصدرها المحراب الرئيسى للمسجد .

وكانت بداية ظهور هذا الطراز خلال العصر السلجوقى ، ثم استمر خلال العصر الإيلخانى والتيمورى فالصفوى والقاجارى فى إيران واسيا الوسطى والمغولى الهندى فى شبه القارة الهندية .

وحسبنا أن نشير إلى أهم وأشهر المساجد التى تنتمى إلى هذا الطراز ويأتى على رأسها المسجد الكبير فى أصفهان ٤٦٥ ـ ٤٨٥هـ/ ١٠٧٢ ـ ١٠٩٢م ، ومسجد گلبايگان ٤٩٩ ـ ٥٠٢هـ/ ١١٠٥ ـ ١١٠٨م ، ومسجد زواره ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م ، ومسجد اردستان ٥٥٣ ـ ٥٥٥هـ/ ١١٥٨ ـ ١١٦٠م ، ومسجد ملك فى كرمان وغير ذلك[٨٥] (أشكال ٢٩٧ ـ ٢٩٩) . وإذا كانت المساجد السابقة يجمع تخطيطها فى جهة

---

(٨٤) شافعى ، العمارة العربية الإسلامية ، ص٨٢ .

(٨٥) الريحاوى ، العمارة فى الحضارة ، ص١٦٦ ـ ١٧١ ؛ شافعى ، العمارة العربية الإسلامية ، ص٨٢ ـ ٨٣ ؛ جوادى ، مساجد إيران ، جـ١ ، ص١١٢ ـ ٢١٩ ، ٣٤٣ ـ ٣٤٦ ، ٢٧١ ـ ٢٧٣ ؛ آصلان آبا ، فنون الترك ، ص٣٢ ـ ٣٦ ؛
Pope, Asurvey , vol 2, PP. 949 - 963 , 1004 - 1024 , Godard, L'art de L'iran, PP. 350 - 355., Hillenbrand, Islamic, P.

القبلة بين الإيوان والكنبدخانة ، فإن هناك من مساجد هذا الطراز ما يقتصر على الإيوان جهة القبلة دون الكنبدخانة كما هو الحال فى مسجد كرمان .

ومن العصر الإيلخانى حسبنا أن نشير إلى مسجد فرامين ٧٢٦هـ/ ١٣٢٥م(٨٦).

ومن العصر التيمورى كل من مسجد بيبى خانم بسمرقند (بجمهورية أوزبكستان الإسلامية) ٨٠١ ـ ٨٠٨هـ/ ١٣٩٨ ـ ١٤٠٥م ، ومسجد جوهر شاد ضمن مجمعها بمشهد ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م (لوحة ١٣٣) ومسجد كالان ببخارى ٨٣٤ ـ ٩٢٠هـ/ ١٤٣٠ ـ ١٥١٤م (أشكال ٣٠٠ ـ ٣٠٢) ، والمسجد الجامع بهرات ٩٠٣ ـ ٩٠٥هـ/ ١٤٩٧ ـ ١٤٩٩م(٨٧) .

وقد بلغ هذا الطراز غايته معماريا وفنيا فى مساجد العصر الصفوى(٨٨) ، ومن بينها مسجد الشاه (الإمام) بأصفهان ١٠٢٠ ـ ١٠٣٨هـ/ ١٦١١ ـ ١٦٢٨م ، ومن بين ملامح التطوير والتجديد فى تخطيط هذا المسجد أنه يوجد خلف كل إيوان من الإيوانين

---

(٨٦) الريحاوى ، العمارة فى الحضارة ، ص٥٢٦ ـ ٥٢٧ ؛

Wilber, D., The Architecture of Islamic Iran, The Il-Khanid Period, Princeton, (1955), PP.

(87) Hillenbrand, Islamic, PP.

Golombek, L., and Wilber, D., The Timurid Architecture of Iran and Turan, vol. I, Princeton, (1988), PP. Paugachenkova, G. A., The Architectural of central Asia at the Time of the Timurids, Afghanistan (1970), pp.

(٨٨) عن أهمية المساجد الصفوية المعمارية والفنية انظر على سبيل المثال ؛

Pope, Asurvey , vol 2, PP. 1185 - 1191 ., Hillenbrand.,.Islamic, PP.

هنرفر ، لطف الله ، كنجينه آثار تاريخى أصفهان ، چاب دوم ، أصفهان ، (مهرماه ١٣٥٠ ش/ ١٩٧٤م) فصل هفتم ، ص٤٠١ ـ ٤١٥ ، ٤٢٧ ـ ٤٦٤ ، ٤٦٧ ـ ٤٧٠ ، ٤٧٥ ٤٧٨ ، ٥٠١ ـ ٥٠٥ ، ٥٤٧ ـ ٥٥٢ ، ٥٨٥ ـ ٥٨٧ ، ٦١٢ ـ ٦٢٠ ؛ مهر آبادى ، أبى القاسم رفيعى ، آثار ملى أصفهان ، (تهران ١٣٥٢ ش/ ١٩٧٦م) ، ص٥١٠ ـ ٥١٤ ، ٦٠٤ ـ ٦١٠ ، ٦٣٣ ـ ٧١٠ ؛ كنجنامه ، فرهنگ آثار معمارى إسلامى إيران ، دفتر دوم ، مساجد أصفهان ، (صيف ١٩٩٦م) ، (١٧٣ صفحة) ؛ قباديان ، وحيد ، بررسى اقليمى أبنية سنتى إيران ، تهران (١٩٩٤م) ، ص ؛ الريحاوى ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، ص٥٤٥ ـ ٥٤٨ ؛ الجميعى ، غادة عبد المنعم ، مساجد أصفهان فى العصر الصفوى عهد الشاه عباس الأول والشاه عباس الثانى ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية الآثار ـ جامعة القاهرة (٢٠٠٣م) ، (٥٦١ صفحة فضلا عن الأشكال واللوحات) .

الجانبيين فى الصحن كنبد خانة مثل إيوان القبلة وغير ذلك من الخصائص والسمات التى سنشير إليها فى كتابنا المفصّل ؛ فضلا عن كتابنا الموسوم بـ « العمارة فى المشرق الإسلامى ، المجلد الثانى بمشيئة الله تعالى . (شكل ٣٠٣) ، (لوحات ١٤٠ ـ ١٤٧) .

ومن العصر القاجارى حسبنا أن نشير الى مسجد امام بتهران[(٨٩)] ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م (شكلا ٣٠٤ ـ ٣٠٥) .

ومن العصر المغولى الهندى حسبنا أن نشير إلى مسجد شاه چهان فى تهتا (باكستان) ١٠٥٤هـ/ ١٦٤٤م[(٩٠)]. (شكل ٣٠٦) .

٤ ـ **الطراز الرابع** : ويعرف بالطراز العربى غير التقليدى ، أو طراز الأروقة دون الصحن الأوسط .

ويتمثل جوهر التخطيط فى هذا الطراز فى خلوه من الصحن الأوسط ؛ ومن ثم أصبح يتكون من مساحة مستطيلة أو مربعة تقسم إلى أروقة بواسطة عدد من البائكات يختلف من مسجد لآحر ، وتتكون هذه البائكات من صفوف من الأعمدة (حجرية أو رخامية وأحيانا من الجرانيت أو الخشب) أو الدعامات تعلوها عقود غالبا ، اما أن تتجه موازية لجدار القبلة فحسب ، أو تتجه عمودية على جدار القبلة فحسب ، وإما أن تكون متقاطعة (أى تتجه عقود البائكات عمودية على جدار القبلة وموازية له فى ذات الوقت ولا سيما فى المساجد التى تغطى بالقباب أو الأقبية أو الاثنين معًا) ، وأحيانا كان لا يعلو الأعمدة أو الدعامات عقود ، وفى هذه الحالة كان السقف الخشبى للمسجد يرتكز على كمرات أو عوارض خشبية فوق الأعمدة أو الدعامات مباشرة .

وقد أثبتت دراساتنا السابقة أن هذا الطراز من التخطيط يمثل النظام التخطيطى الثانى الذى صممت على أساسه المساجد فى العمارة الإسلامية ـ بل وغيرها من أنواع العمائر الأخرى الدينية وغير الدينية ـ منذ الفترة المبكرة جنبا إلى جنب مع الطراز العربى التقليدى الذى تحدثنا عنه من قبل .

---

(٨٩) گنجنامة ، دفتر سوم ، بناهاى مذهبى تهران ، تهران (١٩٩٨م) ، ص١٢ ـ ٢٠ ؛ بلاغى نائينى ، سيد عبد الحجة ، مساجد تهران ، قم (١٣٥٠هـ ش / ١٣٩٤ هـ ق (١٩٧٤م) ، ص ؛ مصطفوى ، محمد تقى ، آثار تاريخى طهران ، تهران ١٣٦١هـ. ش/ ١٤٠٥ هـ. ق/ ١٩٨٤م) ، ص .

(٩٠) الريحاوى ، العمارة فى الحضارة ، ص٥٧٥ ـ ٥٧٩ .

ونستطيع فى ضوء الأدلة الآثارية المتوافرة أن نحصر تخطيطات المساجد التى صممت وفق هذا الطراز فى ثلاثة أنماط رئيسية[٩١] وهى :

١ ـ **النمط الأول :** وفيه تسير عقود البائكات موازية لجدار القبلة ، ويتراوح عدد هذه البائكات بين بائكة واحدة وست بائكات ، وبالتالى فإن عدد الأروقة (البلاطات) فى هذا النمط يتراوح بين رواقين وبين سبعة أروقة .

وحسبنا أن نشير إلى بعض النماذج التى صممت وفق هذا النمط فى العمارة الإسلامية ، فمن المساجد التى تشتمل على بائكة واحدة تحصر فيما بينها رواقين موازيين لجدار القبلة كل من المسجد الملحق بقصر جبل سيس ٨٦ ـ ٩٦هـ/ ٧٠٥ ـ ٧١٥م (شكل ٦٩) ، وبالقاهرة كل من : مسجد سيدى عقبة بن عامر ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٥م ، ومسجد ذو الفقار بك ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م ، ومسجد عبد الرحمن كتخدا المعروف بجامع الشوازلية (بالموسكي) ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م ، وهذه المساجد تشتمل على بائكة واحدة تحصر فيما بينها رواقين موازيين لجدار القبلة .

ومن المساجد التى تشتمل على بائكتين تحصران فيما بينها ثلاثة أروقة (بلاطات) كل من مسجد قصر الحلابات بالأردن ٩٦ ـ ١٠٥هـ/ ٧١٥ ـ ٧٢٣م (شكل ٧١) . ومسجد محمد بن خيرون المعافرى المعروف بمسجد الأبواب الثلاثة بالقيروان بتونس ٢٥٢هـ/ ٨٦٦م (شكل ١٩٧) ، ومسجد تيثد باليمن أوائل ق٧هـ/ ١٣م (شكل ٢٦)، ومسجد بارسيما فى سيواس ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م ، ومسجد سارى على بقيصرية بالأناضول (أسيا الصغرى أو تركيا) (شكلا ٢٣٧ ـ ٢٣٨) ، ومسجد مراد باشا بالموسكى بالقاهرة ٩٧٦ ـ ٩٧٩هـ/ ١٥٦٨ ـ ١٥٧١م (شكل ١١٣) وغير ذلك .

ومن المساجد التى تشتمل على ثلاث بائكات ، وبالتالى أربعة أروقة (بلاطات) كل من مسجد قصر الوليد بن عبد الملك المعروف بقصر المنيه ٨٦ ـ ٩٦هـ/ ٧٠٥ ـ

---

(٩١) عن هذا الطراز وأنماطه وأمثلتها انظر دراساتنا السابقة ومنها ، بحوث ودراسات فى العمارة الإسلامية (الكتاب الأول) ، (الفصل الرابع والفصل السادس وما ورد بهوامشهما من مراجع عديدة عربية وتركية وأجنبية) ؛ موسوعة العمارة الإسلامية فى مصر ، المدخل ، ص٨٠ ـ ٨٧ ، ١١٣ ـ ١١٨ ، وكتابنا الموسوم بـ « العمارة الإسلامية فى أوروبا العثمانية ، المجلد الأول ، الكويت (٢٠٠٢م)، ص٢٠٠ ـ ٢٠٦ .

٧١٥م (شكل ٧٠) ، ومسجد تمور باليمن ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م (شكل ٢٥) ، ومسجد محرم أفندى المعروف بجامع الكردى (بسويقة اللالا بالسيدة زينب) ١١٣٦هـ/ ١٧٢٣م، ومسجد الشيخ العريان (بباب البحر) ١١٧١ - ١١٧٣هـ/ ١٧٥٧ - ١٧٥٩م ، وغير ذلك من النماذج فى الوجهين القبلى والبحرى على السواء .

ومن المساجد التى تشتمل على أربع بائكات ، وبالتالى خمسة أروقة (بلاطات) كل من مسجد إبراهيم تربانه بالإسكندرية ١٠٩٧هـ/ ١٦٨٥م ، ومسجد عبد الباقى جوربجى بالإسكندرية أيضًا ١١٧١هـ/ ١٧٥٨م، ومسجد نصر الله بفوه ١١١٥هـ/ ١٧٠١م ، ومسجد أبو المكارم بفوه أيضًا وغير ذلك .

ومن المساجد التى تشتمل على خمس بائكات ، وبالتالى ستة أروقة (بلاطات) كل من مسجد إسماعيل بك ايواظ بقرية جناج (مركز بسيون ـ محافظة الغربية) ١١٣٤هـ/ ١٧٢١م ومسجد سيدى جلال بجرجا بصعيد مصر ١١٨٩هـ/ ١١٧٥م .

ومن المساجد التى تشتمل على ست بائكات ، وبالتالى سبعة أروقة (بلاطات) مسجد الأمير حسن بأخميم بصعيد مصر ١١١٦هـ/ ١٧٠٤م .

٢ ـ النمط الثانى : وفيه تسير عقود البائكات عمودية على جدار القبلة ، وتعد النماذج الباقية لهذا النمط قليلة ، إذا ما قورنت بنماذج النمطين الأول والثالث ، ومنها مسجد فنيانه بالأندلس ، ويؤرخ بأواخر العصر الموحدى وأوائل عصر بنى نصر أو بنى الأحمر (شكل ١٩٩) ، ومسجد بيرجى الجامع بالأناضول ٧١٢هـ/ ١٣١٢م ، وهو يشتمل على أربع بائكات عمودية على جدار القبلة ، تحصر فيما بينها خمسة أروقة (بلاطات) إلا أن مربعة المحراب بالرواق الأوسط (الثالث) تعلوها قبة صغيرة ، كما يتميز هذا المسجد بأنه يتقدمه سقيفة أو رواق خارجى ، ومسجد آلتى برمق (بسويقة المسيب من شارع سوق السلاح بالقاهرة قبل ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م ، وهو من النماذج الفريدة إذ يسقف كل من الرواقين الجانبيين أقبية متقاطعة بواقع أربعة أقبية بكل رواق ، أما الرواق الأوسط فيسقف المساحة التى تتقدم المحراب قبوة مدببة ، أما بقية المساحة فيسقفها سقف خشبى ذى زخارف نباتية ملونة ومذهبة إلا أنها بحالة سيئة . (شكل ١١٤) .

٣ ـ النمط الثالث : وفيه تسير عقود البائكات فى الاتجاهين العمودى والموازى

(الطولى والعرضي) لجدار القبلة فى ذات الوقت ، وتسقف مساجد هذا النمط بالأقبية أو القباب أو الاثنين معًا .

ويعد هذا النمط أكثر أنماط هذا الطراز ذيوعا وانتشاراً فى العمارة الإسلامية ، فضلا عن أنه قد استخدم فى تصميم العديد من أنواع العمائر الدينية والجنائزية والمدنية فى الأقطار العربية والاسلامية على السواء .

وحسبنا أن نستشهد بعدد من النماذج الباقية فى العمارة الإسلامية ومنها صهريج الرملة بفلسطين ١٧٢هـ/ ٧٨٨م ، وتسقفه الأقبية البرميلية (شكل ٧٢) .

ومسجد بوفتاته فى سوسه بتونس ٢٢٣ ـ ٢٢٦هـ/ ٨٣٨ ـ ٨٤١م (٣ أروقة (بلاطات) متقاطعة تسقفها ٩ أقبية برميلية ، ويتميز بأنه يتقدمه سقيفة) (شكل ١٩٦) . ومسجد السيدة بالمنستير بتونس ٤١٢هـ/ ١٠٢١م (وتسقفه ٦ أقبية متقاطعة ويقع أسفل احداها مقبرة السيدة أم ملال عمة الأمير المعز بن باديس (شكل ١٩٨) ، وفى مصر مشهد آل طباطبا بعين الصيرة بالقاهرة حوالى ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م (العصر الاخشيدي) (وهو عبارة عن ٣ أروقة (بلاطات) متقاطعة تسقفها ٩ قباب متساوية ، ويتميز بأن دعاماته متقاطعة ـ صليبية الشكل ـ) (شكلا ١٢٠ ـ ١٢١) .

ومنها مشهد السبع وسبعين ولى ويؤرخ بالنصف الثانى من ق٥ هـ/ ١١م ، والمشهد القبلى بأسوان ويؤرخ بأواخر ق٥هـ/ ١١م ، أو أوائل ق٦هـ/ ١٢م ، جنوب مصر (شكلا ١٢٢ ـ ١٢٣) .

ومنها مسجد عابدى بك بمصر القديمة ١٠٧١هـ/ ١٦٦٠م ومسجد مصطفى بك بن بنت غزال المعروف بمسجد أبو على بحى الجمرك بالإسكندرية ١١١٧ ـ ١١٢١هـ/ ١٧٠٥ ـ ١٧٠٩م (شكلا ١٢٤ ـ ١٢٥) ، ومنها مسجد سيدى محمد المشيد بالنور برشيد ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م .

وفى الأندلس مسجد الباب المردوم المعروف حاليا بكنيسة الكريستو دى لالوث ٣٩٠هـ/ ٩٩٩م ويتميز بقبابه التى تمثل أولى مراحل تطور القباب ذات الضلوع البارزة المتقاطعة . (شكل ٢٠١)، (لوحتا ١١٢ ـ ١١٣) . ومنها مسجد المدجنين بطليطلة ويؤرخ بالنصف الثانى من القرن ٦هـ/ ١٢م. (شكل ٢٠٢) .

وفى ليبيا مسجد مراد أغا فى تاجوراء ٩٥٩ ـ ٩٦٤هـ/ ١٥٥١ ـ ١٥٥٦م

(وتسقفه الأقبية البرميلية ويمكن مقارنته بصهريج الرملة بفلسطين ١٧٢هـ/ ٧٧٨م (شكل ٧٢) مما يؤكد مدى صلاحية التخطيط لتأدية عدة وظائف دينية ومدنية بل وحربية أيضًا) (شكل ٢٠٠) . ومنها جامع الخروبة ق٩هـ/ ١٥م ، وجامع شائب العين محمد باشا ١١١٠هـ/ ١٦٩٨م ، وجامع أحمد باشا القره مانللي ١١٥٠ - ١١٥١هـ/ ١٧٣٧ - ١٧٣٨م وجامع مصطفى قورجي ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م بطرابلس الغرب بليبيا (أشكال ٢٠٣ - ٢٠٥ ، ٢١٠ - ٢١١) ، وفى بغداد مسجد الخفافين ٩٩٩هـ/ ١٥٩١م ومسجد العاقولى ١١١٧هـ/ ١٧٠٥م ، ومسجد قمرية ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م ، وترجع كلها إلى أعمال إعادة بناء وتجديد ولكن على الطراز الأصلى الذى كان سائدا فى بغداد منذ النصف الثانى من ق٦هـ/ ١٢م .

وفى أسيا الوسطى مسجد بلخ ويؤرخ بالربع الثانى من القرن ٣هـ/ ٩م (٣ أروقة (بلاطات) متقاطعة تعلوها ٩ قباب متساوية) (شكل ٢٤١)، ومنها مسجد ترمز ومسجد الشيخ خراسان فى أزربيجان (شكلا ٢٤٢ ، ٢٥٠) والأول ٩ قباب والثانى ٦ قباب .

وفى شبه القارة الهندية تقابلنا نماذج كثيرة ، ولا سيما فى البنغال (بنجلاديش) ومنها مسجد ظفر خان غازى ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م ، ومسجد بابا آدم فى رامبال ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م (شكل ٢٤٧)، ومسجد چهانيان ٩٤١هـ/ ١٥٣٥م (٦ قباب)، ومسجد قطب شاهى ٩٩٠هـ/ ١٥٨٣م (١٠قباب)، ومنها مسجد Saith gumbad ويؤرخ بمنتصف ق٩هـ/ ١٥م (١١ رواق عمودى تتقاطع مع ٧ أروقة موازية يغطيها ٧٠ قبة والرواق الأوسط العمودى (الرواق السادس) مغطى بأقبية) (شكل ٢٤٨) ، ومسجد Gunmant فى غور (غرب البنغال) ويؤرخ بأواخر ق٩هـ/ ١٥م وأوائل ق١٠هـ/ ١٦م ، (ويتميز بوجود رواق أوسط عمودى (بلاطة وسطي) يقطع صفوف الأروقة (البلاطات) المتقاطعة وهو المعروف خطأ بالمجاز القاطع ويغطى المسجد ٢٤ قبة ١٢ عن يمين الرواق الأوسط ومثلها عن يساره) (شكل ٢٢٩)، ومسجد باراسونا ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م (١١ رواق عمودى تتقاطع مع ٤ أروقة موازية ويغطى المسجد ٤٤ قبة) (شكل ٢٤٩) وغير ذلك(٩٢) .

---

(92) Michell, G., The Islamic Hertiage of Bengal, Unesco (1984), PP. 10 - 190 .

ومن أشهر المساجد الهندية مسجذ گلبرجا[٩٣] الجامع ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م (عصر سلاطين بهمن) وهو ذو تصميم فريد ويأخذ شكل مستطيل يمتد من الشرق إلى الغرب ، وقد قسم إلى ثلاثة أقسام أوسطها أوسعها وأهمها حيث يشتمل على عدد من الأروقة المتقاطعة (البلاطات المتقاطعة) بواقع ٧ أروقة عمودية يتقاطع معها ١٢ رواق موازى، ويغطى هذه الأروقة ٧٥ قبة صغيرة متساوية فضلا عن قبة مربعة المحراب الكبيرة والتى حلت محل ٩ قباب صغيرة من قباب الأروقة (البلاطات) الأولى مما يلى جدار القبلة ؛ وهى الأروقة العمودية رقم ٣ ـ ٤ ـ ٥ والتى تتقاطع معها الأروقة الموازية رقم ١ ـ ٢ ـ ٣ مما يلى جدار القبلة ، أما القسمان الجانبيان فيتصلان بالقسم الأوسط بواسطة عقود موازية لجدار القبلة ، وبأركان هذين القسمين ٤ قباب متساوية ، بواقع قبتين بكل ركن، وبذلك يصبح المجموع الكلى لقباب المسجد ٨٠ قبة (شكل ٢٤٣) .

وإذا ما انتقلنا إلى تركيا تقابلنا نماذج كثيرة ، ومنها مسجد القلعة فى أرضروم ويؤرخ بأواخر ق٦هـ/ ١٢م ، وأوائل ق٧هـ/ ١٣م (عصر السلطقيين)[٩٤]. (شكل ٢٣٩) . ومنها مسجد علاء الدين فى نيگده [٩٥] ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م (٥ أروقة موازية تقطعها ٣ أروقة عمودية ، وتغطيها الأقبية والقباب) ، ويستثنى من ذلك سقف المساحة الوسطى من الرواق الأوسط (وهو الرواق الثالث الموازى الذى يتقاطع مع الرواق الثانى العمودي) حيث حل محل القبو منور سماوى للإضاءة والتهوية) (شكل ٢٤٠) .

ومن أشهر النماذج التركية المسجد الكبير (اولو جامع) فى بروسه (أو بورصة) ٧٩٩ ـ ٨٠٣هـ/ ١٣٩٦ ـ ١٤٠٠م (٥ أروقة عمودية تقطعها ٤ أروقة موازية ، ويغطى جميع الأروقة ٢٠ قبة صغيرة متساوية) ، والمسجد القديم أو العتيق فى أدرنة (اسكى جامع) ٨٠٦ ـ ٨١٧هـ/ ١٤٠٣ ـ ١٤١٤م (٣ أروقة (بلاطات) متقاطعة تغطيها ٩ قباب متساوية) ، ومسجد عتيق على باشا فى ذنجرلى قويو باستانبول ٩٠٣هـ/ ١٤٩٧م ، ومسجد بيالى باشا باستانبول أيضًا ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م (أشكال ٢٤٤ ـ ٢٤٦) (لوحة ١٩٧) .

---

(٩٣) الريحاوى ، العمارة فى الحضارة ، ص٥٦٦ ـ ٥٦٧؛ رجب ، تاريخ وعمارة ، ص٦٢ ـ ٦٣؛
Havel, Indian Architecture, PP. 60 - 63 .

(٩٤) آصلان آبا ، فنون الترك ، ص٧١ ، تخطيط ٩ .

(٩٥) آصلان آبا ، فنون الترك ، ص٨١ ـ ٨٢ ، تخطيط ١٣ .

٥ـ الطراز الخامس[٩٦] : وهو طراز المسجد على هيئة حرف T المقلوب (The Reverse T) ، ويعرف أيضًا بطراز بورصة (أو بروسه) الثالث أو طراز المسجد ذى الوظائف المتعددة أو طراز المسجد الزاوية على اعتبار أن الحجرات الجانبية كانت تستخدم نزلاً للدراويش أو طراز المسجد ذى المساحات الجانبية أو طراز المسجد ذى التخطيط المحورى الصليبى أو المتقاطع (Cross - Axial Masque).

ويرى العلماء أن هذا التخطيط قد اشتق أساسا من تخطيط المدارس السلجوقية ذات القباب المرتبة على هيئة حرف T المقلوب مثل مدرسة كل من قره طاى وانجه مناره لى بقونية وسنشير إليهما عند الحديث عن المدارس .

والحق ان هذا الطراز ينتمى إلى الطراز الايوانى السابق الإشارة إليه ، على اعتبار أن جوهر التخطيط فى هذا الطراز هو المساحة الوسطى المربعة وايوان واحد جهة القبلة ، ويغطى المساحة الوسطى قبة غالبا ، بينما يغطى الإيوان قبة أو نصف قبة أو قبو ، وفى أحيان قليلة بل ونادرة يغطى الإيوان نصف قبة يتقدمها قبو ، أما المساحات التى تكتنف المساحة الوسطى المربعة من جانبيها فهى تشغل نفس امتداد تلك المساحة الوسطى من جانبيها (أى المحور العرضي) ومن هنا يظهر إيوان القبلة بارزاً عن سمت جدارى جهة القبلة لتلك المساحات الجانبية ، وبسبب ذلك اتخذ المسجد شكله المميز على هيئة حرف T ، وهذه المساحات الجانبية غالبا ما تكون على هيئة حجرتين ، بواقع حجرة بكل جانب ، قد تفتح على المساحة الوسطى بكامل اتساعها أو بفتحة باب ، وأحيانا تضاف حجرتان ، وبذلك تصبح الحجرات أربع بواقع حجرتان بكل جانب ، وفى أحيان ثالثة تكون هذه المساحات الجانبية على هيئة إيوانين صريحين ، بواقع إيوان بكل جانب، وفى هذه الحالة يصبح المسجد ذا ثلاثة إيوانات حول المساحة الوسطى، وهنا أيضًا يشغل كل من الإيوانين نفس إمتداد تلك المساحة الوسطى (أى المحور العرضي) ؛ وبالتالى يظهر إيوان القبلة بارزاً (أى على هيئة حرف T) ، وتوجد غالبية النماذج الباقية لهذا الطراز فى الأناضول والبلقان ومنها مسجد اورخان فى ازنيق ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م أو

---

(٩٦) عن هذا الطراز وأمثلته الباقية انظر دراساتنا المنشورة وما بها من مراجع عديدة ومنها بحوث ودراسات (الكتاب الأول)، ص٢٨٩ ـ ٢٩٢ ؛ موسوعة العمارة ، المدخل ، ص٩٣ ـ ٩٦ ، العمارة الإسلامية فى أوروبا العثمانية ، المجلد الأول ، ص١٩٤ ـ ١٩٩ .

٧٣٥هـ/ ١٣٣٤م ، ومسجد أورخان بك فى بورصة ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م ، والجامع الأخضر فى بورصة (يشيل جامع) ٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م، ومسجد يخشى بك فى تيره ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م، ومسجد حمزة بك فى بورصة ويؤرخ بالنصف الثانى من ق٩هـ/ ١٥م ، ومسجد إسحاق باشا فى آينة گول ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م. (أشكال ٢٨٧ ـ ٢٩٠ ، ٢٩٥) .

ومن النماذج الباقية فى أوروبا العثمانية (البلقان) ، مسجد شهاب الدين باشا فى فيليه (بلوفديف ببلغاريا) ٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م ، ومسجد عيسى بك فى أسكوب ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م ، ومسجد غازى خسرو بك فى سراييفو (بوسنه سراي) ٩٣٨هـ/ ١٥٣١م ، ومن المطاعم الخيرية (عمارت) التى صممت وفق هذا الطراز حسبنا أن نشير إلى عمارت غازى أورنوس فى كوموتينى (كومولجينه) باليونان ٧٧٧ ـ ٧٨٢هـ/ ١٣٧٥ ـ ١٣٨٠م وعمارت ميخال اوغلو محمد بك فى اهتمان ببلغاريا ٧٩٣ ـ ٧٩٨هـ/ ١٣٩٠ ـ ١٣٩٥م، وعمارت نيلوفر خاتون المعروفة بزاوية نيلوفر خاتون بازنيق ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م، وعمارت يعقوب چلبى فى أزنيق أيضًا قبل ٧٩٢هـ/ ١٣٨٩م. وغير ذلك . (أشكال ٢٩١ ـ ٢٩٤) .

ومن النماذج المتميزة لهذا الطراز الجامع الأزرق فى تبريز ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م (عصر القره قيونلو) (شكلا ٢٩٦ ـ ٢٩٧) (لوحتا ١٣١ ـ ١٣٢) .

وتحتفظ مصر كذلك بنموذج فريد لمسجد صمم وفق هذا الطراز ، وهو مسجد سليمان باشا المعروف بجامع سارية الجبل أو سيدى سارية بالقلعة ٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م ، ويكفى لبيان أهمية هذا المسجد القول بأنه هو النموذج الوحيد المعروف حتى الآن لمسجد صمم على هيئة حرف T (الجزء المغطي) ويتقدمه الحرم (الجزء المكشوف) حيث أن غالبية النماذج المعروفة فى تركيا والبلقان يتقدمها سقيفة أو رواق خارجى ، كما يتميز أيضًا بأن الجزء المغطى فيه تغطيه قبة مركزية فى الوسط وثلاثة أنصاف قباب بواقع نصف قبة بكل إيوان من الإيوانات الثلاثة التى تحيط بدرقاعة الجزء المغطى (شكل ١٥٦) .

كذلك تحتفظ ليبيا بنموذج فريد لمسجد صمم على هيئة حرف T ومغطى باثنتين وثلاثين قبة وهو مسجد درغوت باشا بطرابلس الغرب ٩٦٤ ـ ٩٧١هـ/ ١٥٥٦ ـ ١٥٦٣م وهو المسجد الوحيد المعروف حتى الآن الذى صمم على هذا الطراز وغطى بهذا العدد الكبير من القباب . (شكل ٢٠٦) .

٦ـ الطراز السادس : طراز المسجد القبة :

من المعروف أن القبة لم تكن شيئا مستحدثا فى العمارة الاسلامية فقد كان استخدامها شائعا ومعروفا قبل العصر الاسلامى بقرون عديدة ، سواء كانت من الآجر أو الحجر[٩٧] أو من الآدم وهذا النوع الأخير كان يعرف بقبة المبناة وكان شائعا عند العرب قبل ظهور الاسلام ، وكانت هذه القباب تخصص للسادات الأشراف والأغنياء أو لأصحاب الجاه وسادات القبائل الكبار ممن كانوا يفدون على ملوك الحيرة (المناذرة أو اللخميين) مما يعنى أن هذا النوع من القباب كان يعد من امارات التعظيم والتفخيم والجاه عند الملوك[٩٨] ؛ كما كانت تطلق على نوع من الهوادج المستخدمة فى السفر عند المسلمين فى العصور الوسطى[٩٩].

على أن إستخدام القباب فى تصميم مساجد قائمة بذاتها فضلا عن بعض أنواع العمائر الدينية الأخرى كالزوايا والخوانق يعد بلا شك من الإضافات التى إستحدثها المعمار المسلم ؛ بل وقام بتطويرها وابتكار أنماط جديدة منها لم يسبق إليها .

ومهما يكن من أمر فان هذا الطراز يتكون فى جوهره من مساحة مربعة ، تختلف من مسجد لآخر ، يتوسط صدرها المحراب ، وتغطى هذه المساحة قبة يختلف قطرها وارتفاعها من مسجد لآخر أيضًا ، وتقوم هذه القبة على منطقة انتقال من الحنايا الركنية أو المثلثات الكروية أو المثلثات التركية أو المقرنصات ، وكانت هذه المساجد ، فى حالة إستخدامها كمساجد جامعة ، تزود بالمنابر ، رخامية كانت أم خشبية ، هذا ويتقدم

---

(٩٧) شكرى ، محمد أنور ، العمارة فى مصر القديمة ، القاهرة (١٩٧٠م)، ص٣٦٨ ؛ الحدينى ، عطا ، وآخرين ، القباب المخروطية فى العراق ، بغداد (١٩٧٤م) ، ص١٠ ـ ١٢ ؛ لمعى ، صالح ، القباب ، أشكالها ، مصادرها ، تطورها ، بيروت (١٩٧٧م)، ص٣ ـ ٦ ؛ فخرى ، أحمد ، الصحراء المصرية جبانة البجوث فى الواحة الخارجة ، ترجمة عبد الرحمن عبد التواب ، القاهرة (١٩٨٩م)، ص٤٥ ـ ٤٨ ؛ بدوى ، اسكندر ، تاريخ العمارة المصرية القديمة ، جـ١ ، ترجمة محمود عبد الرازق وصلاح رمضان ، القاهرة (١٩٩١م) ، ص١٠٢ ، ٣٧١ ؛ Badawy, A., Brick vaults and Domes in the Giza Necropolis, Cairo, (1953), PP. 129 - 143, Pope, A. U., Asurvey of Persian Art, volI, London and New York, (1938), P. 501 - 503; Smith, B., the Dome, Astudy in the History of ideas, Princeton, New Jersey (1950), P. 3 - 44 .

(٩٨) على ، جواد ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ، مج٥ ، بيروت (١٩٧٠م) ، ص٥ ـ ٧ ، ١٧٣ .

(٩٩) ياسين ، عبد الناصر ، وسائل السفر عند المسلمين ، تاريخها وآثارها ، دراسة عن الهودج وشاكلاته فى ضوء المصادر المكتوبة والآثرية ، القسم الأول ، (القاهرة ٢٠٠٥م) ص ٢٧٩ ـ ٣٠١ .

غالبية تلك المساجد رواق خارجي (سقيفة Portico) تغطى بالقباب أو الأقبية أو الاثنين معاً ، وفي أحيان قليلة كانت تغطى بأسقف خشبية مسطحة كما هو الحال في بعض مساجد البلقان (جنوب شرقى أوروبا)، أما النماذج التى تخلو من وجود مثل هذا الرواق الخارجى فتعد قليلة بل واستثناءً لتلك القاعدة التى لازمت مساجد هذا الطراز خلال مراحل تطوره المختلفة .

كذلك تشتمل غالبية تلك المساجد على مئذنة وأحيانا على مئذنتين . هذا وقد مر ذلك الطراز بعدة مراحل من التطور كان الهدف الرئيسى منها هو توسعة المسجد ليستوعب عدداً أكبر من المصلين ، وهو نفس الهدف الذى تحقق فى كثير من طرز المساجد الاسلامية الأخرى السابق الإشارة إليها ، عن طريق ما اصطلح على تسميته بالزيادة أو التوسعة أو الاضافة سواء من داخل المسجد نفسه أو من خارجه .

وعلى ضوء ذلك نستطيع أن نحصر نماذج هذا الطراز بمراحل تطوره المختلفة فى العمارة الاسلامية فى عدة أنماط[١٠٠] وذلك على النحو التالى :

أ ـ النمط الأول : وهو يمثل النمط البسيط من أنماط طراز المسجد القبة والذى ينحصر تخطيطه فى جوهره فى مساحة مربعة تعلوها القبة ويتقدم هذه المساحة المربعة رواق خارجى أو سقيفة غالبا وأحيانا تخلو هذه المساجد من مثل هذا الرواق الخارجى أو السقيفة كما سبق القول .

هذا ويستدل من خلال الإشارات التاريخية المتناثرة فى المصادر المختلفة أن بعض مساجد القبائل العربية فى خطط مدينة الفسطاط كانت مصممة وفق هذا النمط البسيط، ومنه اما كان يتقدمه رواق خارجى أو سقيفة[١٠١].

---

(١٠٠) عن هذه الأنماط ونماذجها الباقية انظر دراساتنا المنشورة وما بها من مراجع متعددة ومنها : بحوث ودراسات (الكتاب الأول)، (الفصل الثاني والثالث والرابع والسادس)؛ موسوعة العمارة ، المدخل ، ص١٠٣ ـ ١١٢ ؛ العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية ، المجلد الأول ، ص١٦٨ ـ ١٩٤ ، ١٩٩ ـ ٢٠٠ ، طراز المسجد القبة في المدينة المنورة والهفوف (الكتاب الأول) ، القاهرة (٢٠٠٤م)، ص١١ ـ ٥٨.

(١٠١) ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن ، ت٢٥٧هـ/ ٨٧٠م ، فتوح مصر وأخبارها ، تقديم وتحقيق محمد صبيح، القاهرة (١٩٧٤م)، ص ٨٦ ـ ٨٧ ؛ ابن دقماق ، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى ، ت٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م ، الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، ق١ ، بيروت ، د. ت ، ص٣٤ ، ٤٩ .

إلا أنه لسوء الحظ قد إندرست هذه المساجد المبكرة ؛ ومع ذلك فهى تمثل الارهاصات الأولى لهذا النمط البسيط خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة النبوية الشريفة .

أما عن أقدم النماذج الباقية فتوجد فى مدن المشرق الاسلامى ومنها كل من : مسجد يزدى ـ كاشت ، ومسجد أبرقوه ، ومسجد بيرون ، ومسجد قرفه فى بلاد فارس[١٠٢].

ومنذ القرن ٥هـ/ ١١م فصاعداً إنتشر هذا النمط فى غالبية الأقطار العربية والاسلامية وحسبنا أن نشير إلى بعض النماذج التى تؤكد مثل هذا الذيوع وذلك الإنتشار ومنها كل من :

المسجد الملحق بقصر الجعفرية بسرقسطة (اسبانيا) ٤٣٨ ـ ٤٧٤هـ/ ١٠٤٦ ـ ١٠٨١م ، وهو مربع الشكل طول ضلعه ٤٦ر٥م ، أما قبته المثمنة فهى تمثل مرحلة جديدة من مراحل تطور القباب ذات الضلوع وهى المرحلة التى إستهدفت الناحية الزخرفية الخالصة على النحو الذى سنشاهده بعد ذلك فى قبة المحراب بمسجد تلمسان ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م، ويكفى لبيان الأهمية الزخرفية أن نشير إلى ما ذكره أحد مؤرخى الفن الاسبان بقوله من أن هذا المسجد ليس بيتا للصلاة وإنما هو « بيت للفن يضم اروع ما أبدعه الفن الأندلسى »[١٠٣]. (شكل ٢٠٧) ، (لوحة ١١٧) .

ومنها مسجد الحيدرية بقزوين (شكل ٢٥١) .

وكل من : مسجد طاش ٦١٢هـ/ ١٢١٥م ومسجد صرجالى ويؤرخ بالنصف الثانى من القرن ٧هـ/ ١٣م بقونية (عصر سلاجقة الروم بأسيا الصغرى أو الاناضول) . (شكلا٢٥٢ ـ ٢٥٣) .

وكل من : مسجد حاجى اوزبك فى ازنيق ٧٣٤هـ/ ١٣٣٣م ، ومسجد علاء الدين بك فى بورصة (أو بروسة) ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م ، ومسجد بايزيد يلدريم فى مودورنو

---

(١٠٢) Ferrier, R. W., The Arts of Persia, Yale University Press, New Havan and London, (1989), P. 810 .

(١٠٣) الحداد ، بحوث ودراسات ، (الكتاب الأول) ، ص١٩٤ ـ ١٩٨ ، (وما بها من مراجع بالهوامش) .

٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م ، ومسجد حاجى شهاب الدين باشا فى أدرنه ٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م ، ومسجد قاسم باشا فى أدرنه ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م، ومسجد فيروز أغا فى استانبول ٨٩٦هـ/ ١٤٩١م ، وغير ذلك . (أشكال ٢٥٤ ـ ٢٥٩) .

وفى بلغاريا كل من اسكى جامع (المسجد القديم أو العتيق أو مسجد حمزة بك) فى اسكى زغرا (شتارا زاجور حاليا) ٨١١هـ/ ١٤٠٩م ، ومسجد الفاتح فى كستنديل قبل ٨٦٨هـ/ ١٤٦٣م ، وغير ذلك . (شكلا ٢٦٢ ـ ٢٦٣) .

وفى المجر مسجد ياكوفالى حسن باشا فى Pécs ويؤرخ بالنصف الثانى من ق٠١هـ/ ١٦م ، ومسجد على باشا فى Szigwtvar ٩٩٧ ـ ٩٩٨هـ/ ١٥٨٨ ـ ١٥٨٩م، وغير ذلك . (شكلا ٢٦٤ ـ ٢٦٥) .

وفى اليونان ينى جامع (المسجد الجديد) فى كوموتينى ١٠١٧ ـ ١٠١٨هـ/ ١٦٠٨ ـ ١٦٠٩م ، وغير ذلك . (شكل ٢٦٦) .

وفى دول الاتحاد اليوغسلافى السابق نماذج عديدة منها مسجد نيش ٩٢٨ ـ ٩٣٠هـ/ ١٥٢١ ـ ١٥٢٣م ، ومسجد قرا گوز محمد باشا فى موستار ٩٦٥هـ/ ١٥٥٧م ، ومسجد Hadun فى ياكوفكا (Djakovica) ١٠٠٣هـ/ ١٥٩٤م ، وغير ذلك . (شكلا ٢٦٧ ـ ٢٦٨) .

وفى شبه القارة الهندية نماذج عديدة أغلبها فى بنجالاديش (البنغال) ومنها مسجد خيزرخان بحى نظام الدين بدهلى ٧٢١هـ/ ١٣٢١م .

ومسجد القبة (Gopol gami) ٨٦٥هـ/ ١٤٦٠م ، ومسجد بارى ٨٧٠هـ/ ١٤٦٥م ، ومسجد شامكاتى (Chamkati) ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م ، ومسجد لاتان (Lattan) أواخر ق٩هـ/ ١٥م ، وأوائل ق٠١هـ/ ١٦م ، ومسجد جولدى (Goaldi) ٩٢٥هـ/ ١٥١٩م ومسجد سورا (Sura) ق ١٠هـ/ ١٦م ، ومسجد عطية ١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م ، وغير ذلك .

وفى سوريا كل من مسجد خسرو باشا ضمن مجمعه بحلب ٩٤٣ ـ ٩٤٤هـ/ ١٥٣٦ ـ ١٥٣٧م ، ومسجد عثمان باشا ضمن مجمعه بحلب أيضًا ١١٤٠هـ/ ١٧٣٠م، وكذلك المسجد الملحق بكل من التكية السليمانية ٩٦٢ ـ ٩٦٧هـ/ ١٥٥٤ ـ ١٥٥٩م، والمدرسة السليمانية المجاورة لها ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م ، بدمشق . وفى اليمن مسجد

المرادية ٩٨٤هـ/ ١٥٧٦م فى صنعاء ، ومسجد حاجى محمد باشا فى يريم ١٠٣٠هـ/ ١٦٢٠م ، ومسجد قبة دادية بمدينة ذمار القديمة ويؤرخ بالنصف الأول من ق١١هـ/ ١٧م، ومسجد طلحة ١٠٢٩هـ/ ١٦١٩م بصنعاء ، والملاحظ أن الرواق أو السقيفة التى تتقدم هذا المسجد الأخير لا تقع على محور المحراب كما هو العادة وإنما تقع إلى الغرب من المسجد وتشرف على الفناء الغربى ببائكة ذات عقدين ، ويغطى هذه السقيفة أربع قباب صغيرة ، ومنها أيضًا البكيرية بصنعاء والتى تختلف فى بعض التفاصيل من جهة ومن جهة ثانية فان الرواق الذى يتقدمها يشرف على الفناء (الصوح أو الصرحة حسب الاصطلاح اليمني) المكشوف . (شكلا ٢٧ ـ ٢٨) .

وفى المدينة المنورة كل من مسجد أبى بكر الصديق (رضى الله عنه) ١٢٤٥هـ/ ١٨٣٨م ، ومسجد عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م ، ومسجد الحميدية المعروف بمسجد العنبرية ١٣٢٥ ـ ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٧ ـ ١٩٠٨م .

وفى ليبيا المسجد الملحق بزاوية (مدرسة) عمورة بجنزور ١١٣٤هـ/ ١٧٢١م ، ومسجد مدرسة الكاتب بطرابلس الغرب ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م ، ومسجد الباش بمدينة الخمس ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧م.

وفى ايران يقابلنا مسجد الشيخ لطف الله باصفهان(١٠٤) ١٠١١ ـ ١٠٢٨هـ/ ١٦٠٢ ـ ١٦١٨م وهو من أبدع وأروع النماذج الباقية المصممة وفق طراز المسجد القبة ولا سيما الطابقين الأول والثانى (الأوسط والأعلى) حيث أن الطابق الأرضى (البدروم) يمثل الشبستان (وهو مصلى للصلوات الخمس ومصلى شتوى صمم وفق طراز الأروقة المتقاطعة المغطاة بالأقبية المتقاطعة) ، أما الطابقين الأول والثانى فكل منهما عبارة عن مساحة مربعة مغطاة بقبة ضخمة ذات نقوش زخرفية بديعة ، ويحيط بمربع القبة من جانبين فقط رواقين بواقع رواق بكل جانب مغطى بالقباب الصغيرة .

وقد خصص الطابق الأول (الأوسط) لاقامة حلقات الدرس بينما خصص الطابق الثانى (العلوي) لاقامة الشيوخ والمدرسين (أشكال ٢٦٩ ـ ٢٧١)، (لوحات ١٣٤ ـ ١٤٠) .

---

(١٠٤) الريحاوى ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، ص٥٤٧ ـ ٥٤٨ ؛ الجميعى ، مساجد أصفهان ، ص١٠٣ ـ ١٣٣ ؛ قباديان ، بررسى اقليمى ، ص٢٠٥ ؛ كنجنامه ، مساجد أصفهان ، ص١٢٣ ـ ١٣٥ .

وفى مصر زاوية الأحمدية الرفاعية المعروفة بقبة معبد الرفاعى قرب منتصف ق٩هـ/ ١٥م، وزاوية الدمرداش بالعباسية أواخر ق ٩هـ/ ١٥م . (شكلا ١١٥ ـ ١١٦).

وإذا كانت المساجد السابقة تكاد تتفق مع بعضها فى التخطيط العام وفى المميزات الرئيسية ؛ إلا أنها تختلف فيما بينها فى التفاصيل والمفردات وبعض العناصر، فضلا عن طبيعة الطراز المعمارى والفنى السائد خلال الفترة التى صمم فيها كل مسجد من تلك المساجد ، أو بمعنى آخر فإن لكل مسجد منها شخصية مستقلة وطابع خاص مميز له .

ب ـ النمط الثانى : وهو يمثل حلقة من حلقات تطور طراز المسجد القبة فى العمارة الاسلامية ، وفى هذا النمط لم يعد التخطيط ينحصر فى المساحة المربعة المغطاة بقبة وتتقدمها من الخارج السقيفة (الرواق الخارجي) أم لا فحسب وإنما قام المعمار بزيادة مساحة المسجد الداخلية وذلك عن طريق إضافة رواق (بلاطة) داخلى يلى باب الدخول للمسجد مباشرة ويتقدم القبة ، ويغطى هذا الرواق غالبا ثلاث قباب صغيرة أو أقبية أو الاثنين معًا ، وتعد النماذج الباقية لمساجد هذا النمط قليلة بصفة عامة ومنها المسجد الأخضر فى ازنيق ٧٨٠ ـ ٧٩٥هـ/ ١٣٧٨ ـ ١٣٩٢م .

ومسجد شاه ملك فى ادرنة ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م ، ومسجد دار الحديث فى أدرنه أيضًا ٨٣٨هـ/ ١٤٣٤م ، (شكلا ٢٦٠ ـ ٢٦١) .

جـ ـ النمط الثالث : وهو يمثل حلقة أخرى من حلقات تطور طراز المسجد القبة فى العمارة الاسلامية حيث قام المعمار بزيادة مساحة المسجد الداخلية من الجانبين (المحور العرضي) عن طريق إضافة رواقين غالبا أو ايوانين أحيانا عموديين على جدار القبلة ، ويشرفان على المساحة الوسطى ـ أى القبة ـ ويغطى كل منهما القباب أو الأقبية أو الاثنين معا وفى أحيان قليلة استخدمت الأسقف المسطحة ، وبهذه الاضافة ظهر نمط جديد فى العمارة الاسلامية أطلقت عليه الوثائق المختلفة مصطلح « القلب والجناحين »، ومن الملاحظ أنه يغلب على تصميم المساجد وغيرها من العمائر التى صممت وفق ذلك النمط الاتجاه الطولى (العمودى على جدار القبلة) غالبا بينما توجد بعض النماذج الأخرى التى يغلب عليها الاتجاه العرضى (أى الموازى لجدار القبلة) أحيانا .

وحسبنا أن نشير إلى بعض النماذج الباقية ومن أقدمها مسجد طلختان بابا (الذى يقع على بعد ٣٠كم من مدينة مرو القديمة) ويؤرخ بأواخر ق٥هـ/ ١١م أو أوائل ق٦هـ/ ١٢م (عصر القره خانيين بأسيا الوسطي) . (شكل ٢٧٦) .

ومنها مسجد رستم چلبی (كودوك منار) فی توقات بالاناضول ويؤرخ بالنصف الأول من ق ٩هـ/ ١٥م . (شكل ٢٧٧) .

وقد استخدم فی تصميم بعض المساجد الملحقة بالمدارس ومنها المسجد الملحق بالمدرسة المرجانية ببغداد ٧٢٨هـ/ ١٣٥٦م (شكلا ٤٤ ـ ٤٥) ، والمسجد الملحق بالمدرسة الأشرفية الكبرى بتعز اليمنية ٨٠٠ ـ ٨٠٣هـ/ ١٣٩٨ ـ ١٤٠٠م (عصر الدولة الرسولية) (شكل ٢٩) .

وترجع غالبية المساجد اليمنية الأخرى إلى عصرى الدولة الرسولية والدولة الطاهرية باليمن (٦٢٦ ـ ٩٢٣هـ/ ١٢٢٩ ـ ١٥١٧م) ومنها مسجد الموفی الأعلى ومسجد المدرسة (الباقونية) فی مدينة حيس اليمنية وغير ذلك . ومنها المساجد الملحقة ببعض مدارس حلب بسوريا مثل مدرسة أبو الفوارس فی معرة النعمان ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م ، والمدرسة السلطانية ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م ، والمدرسة الشرفية ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م ، والمدرسة الكاملية وتؤرخ بالنصف الأول من ق٧هـ/ ١٣م .

ومن المساجد الأخرى الجامع المجاهدی فی الموصل ٥٧٢ ـ ٥٧٦هـ/ ١١٧٦ ـ ١١٨٠م ، وجامع الخاتونية فی مغنيسة (مانسيا) ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م ، وجامع مصطفى بك فی سيريز (باليونان) ٩٢٥هـ/ ١٥١٩م وغير ذلك .

وفی بغداد مسجد الأحمدية ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م ، ومسجد الحيدرخانة ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٦م ، (شكلا ٤٠ ـ ٤١) ومن المساجد الباقية بالمدينة المنورة مسجد الجمعة ٩٣٩ ـ ٩٤٨هـ/ ١٥٣٢ ـ ١٥٤٢م ، ومسجد على بن أبى طالب (رضى الله عنه) ضمن مساجد الفتح (غربى جبل سلع بالمدينة المنورة فی الساحة المعروفة الآن باسم المساجد السبعة) ١٢٦٨ ـ ١٢٦٩هـ/ ١٨٥١ ـ ١٨٥٢م .

وفی دراسة سابقة أثبتنا أن هذا النمط من التخطيط قد عرف فی العمارة الجنائزية الاسلامية المبكرة كما هو الحال فی مقابر الطراز الثالث بأنماطه الثلاثة بجبانة أسوان التی يرجّح إنها ترجع إلى عصر الولاة بمصر قبل ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م، ثم استمر هذا التخطيط خلال العصر الفاطمی وبصفة خاصة فی تصميم المشاهد ومنها المشهد بأسوان جنوب مصر ٤٩٤ ـ ٥٠٤هـ/ ١١٠٠ ـ ١١١٠م (شكلا ١٦١ ـ ١٦١مكرر) ومشهد خضرة الشريفةبالقرافة الكبرى (عزبة خير الله الجديدة بعين الصيرة جنوب القاهرة)

٥٠١هـ/ ١١٠٧م ، ومشهد السيدة رقية (بشارع الأشرف قرب السيدة نفيسة) ٥٢٧هـ/ ١١٣٢م. (شكل ١٦٣) .

د ـ **النمط الرابع** : وهو يمثل حلقة أخرى من حلقات تطور طراز المسجد القبة فى العمارة الإسلامية ، حيث لم يقتصر التطور على مجرد توسيع المساحة الداخلية للمسجد من الجانبين (المحور العرضي) فحسب وإنما امتد التطور فشمل أيضًا ، علاوة على ذلك، توسيع هذه المساحة من العمق (المحور الطولي)، ويمكن أن نميز بين أربعة نماذج فى هذا النمط وهى :

١ ـ **النموذج الأول** : وفيه قام المعمار بزيادة عمق المسجد (المحور الطولي) من جهة القبلة (الجنوب) وذلك باضافة نصف قبة تتقدم القبة الوسطى المركزية ويكتنفها من جانبيها (المحور العرضي) قبتان صغيرتان بواقع قبة بكل جانب ، وبذلك صار قلب المسجد فى هذا النموذج يشتمل على قبة مركزية كبرى تتقدمها جهة القبلة نصف قبة ، أما الجناحين فيغطى كل منهما ست قباب بواقع ثلاث قباب بكل جناح ومن أمثلة ذلك مسجد تترخان بكوزلوه بالقرم (روسيا) ٩٦٠هـ/ ١٥٥٢م ، ومسجد السليمية بقونية ٩٧٤ ـ ٩٨٢هـ/ ١٥٦٦ ـ ١٥٧٤م، ويتقدم كل من هذين المسجدين رواق خارجى (أو سقيفة) مغطاه بخمس قباب صغيرة فى المسجد الأول وبسبع قباب فى المسجد الثانى .

ومن النماذج المتميزة لهذا النموذج مسجد محرمه سلطان فى اسكدار باستانبول ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م، وفيه يشتمل القلب على قبة مركزية وسطى يتقدمها جهة القبلة نصف قبة ، أما الجناحين فيشتملان على نصف قبتين على جانبى القبة المركزية وقبتين صغيرتين (جهة القبلة) على جانبى نصف القبة التى تتقدم القبة المركزية جهة القبلة بواقع نصف قبة ، وقبة صغيرة بكل جناح ويتقدم هذا المسجد رواق خارجى (سقيفة) مغطى بخمس قباب صغيرة .

٢ ـ **النموذج الثانى** : وهو يشبه النموذج الأول من حيث أن زيادة عمق المسجد (المحور الطولى) كانت من جهة القبلة أيضًا إلا أنه يختلف عنه من حيث أن الزيادة لم تستوعب داخل كيان المساحة الداخلية للمسجد وبصفة خاصة جدار القبلة ، وإنما قام المعمار فى هذا النموذج باضافة ايوان بارز عن سمت جدار القبلة يتوسط صدره المحراب، ويغطى هذا الايوان قبة أو نصف قبة وأحيانا قبو ، وبهذه الاضافة صار تخطيط المسجد على هيئة حرف T .

وبذلك صار قلب المسجد فى هذا النموذج يشتمل إما على قبة مركزية كبرى تتقدمها جهة القبلة نصف قبة وفى الجناحين أربع قباب بواقع قبتان بكل جناح ، كما هو الحال فى مسجد عتيق على باشا فى استانبول ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م .

أو قبتين طوليتين فى القلب وست قباب فى الجناحين بواقع ثلاث قباب بكل جناح كما هو الحال فى مسجد السلطان بايزيد فى أماسيا ٨٩١هـ/ ١٤٨٦م .

أو قبتين طوليتين فى القلب ونصفى قبتين فى الجناحين بواقع نصف قبة بكل جناح وذلك على جانبى القبة الصغرى كما هو الحال فى مسجد أحمد بك أورنوس فى يانيس فردار باليونان ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م .

أما مسجد المرادية فى مغنيسة (مانيسا) ٩٩١ ـ ٩٩٤هـ/ ١٥٨٣ ـ ١٥٨٥م ، فهو من النماذج القليلة الباقية التى يشتمل قلب المسجد فيها على قبة مركزية وسطى يتقدمها قبو جهة القبلة وفى الجناحين قبوات بواقع قبو بكل جناح . ويتقدم هذا المسجد رواق خارجى (سقيفة) مغطى بخمس قباب صغيرة متساوية .

٣ ـ **النموذج الثالث :** وهو يشبه النموذج الأول ، إلا أن الاضافة لم تقتصر على زيادة عمق المسجد من جهة القبلة (الجنوب) (كما هو الحال فى النموذج الأول) فحسب ، وإنما شملت أيضًا الجهة المقابلة (الشمال) وذلك باضافة نصف قبة ثانية تتقدم القبة الوسطى المركزية من هذه الجهة (الشمال) وعلى جانبيها قبتان صغيرتان ، بواقع قبة بكل جانب ، وبذلك صار قلب المسجد فى هذا النموذج يشتمل على قبة مركزية وسطى يحيط بها من الجنوب والشمال (المحور الطولي) نصفى قبتين ، أما الجناحين فبهما ثمان قباب بواقع أربع قباب بكل جناح ، كما هو الحال فى مسجد السلطان بايزيد باستانبول ٩١١هـ/ ١٥٠٥م ، أو عشر قباب بواقع خمس قباب بكل جناح كما هو الحال فى مسجد السليمانية باستانبول ٩٥٧ ـ ٩٦٥هـ/ ١٥٥٠ ـ ١٥٥٧م ، ومن الملاحظ أن هذه القباب العشر قد رتبت بالتبادل وذلك بواقع قبة كبيرة تليها قبة صغيرة ، وهكذا وهو اسلوب جذاب غير مألوف فى قباب رواقى الجناحين قبل عهد المعمار سنان (شكل ٢٨٢) (لوحتا ١٨٩ ـ ١٩٠) .

ويتقدم كل من مسجدى السلطان بايزيد والسليمانية حرم .

ومن النماذج المتميزة مسجد قليج على باشا باستانبول ٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م ،

ويشتمل القلب على القبة ونصفى القبتين ، أما الجناحين فيغطى كل منهما أقبية متقاطعة بواقع أربعة أقبية بكل جناح ، ويتقدم هذا المسجد رواق خارجي (سقيفة) وغير ذلك من السمات التى سنعرض لها فى كتابنا المفصّل بمشيئة الله تعالى .

٤ ـ **النموذج الرابع :** وهو يشبه النموذج الثالث إلا أنه يختلف عنه فى اسلوب التغطية حيث أصبحت عبارة عن قبة مركزية وسطى تحيط بها أربعة أنصاف قباب غالبا أو أربعة أقبية أحيانا ، فضلا عن وجود أربع قباب صغيرة فى الأركان (بواقع قبة بكل ركن) غالبا أو أربع أقبية أحيانا . ومن أقدم الأمثلة الباقية فى العمارة الاسلامية مسجد خزار قرب بخارى ويؤرخ بالقرن ٥هـ/ ١١م (عصر القره خانيين باسيا الوسطي) وهو عبارة عن قبة مركزية وسطى تحيط بها أربعة أقبية فضلا عن أربع قباب صغيرة بالأركان .

ومنها مسجد محمد چلبى فى ديموتيقا باليونان ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م ، ومسجد الفاتحية الصغيرة فى اثينا باليونان ٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م ، والمسجد الكبير (اولو جامع) فى البستان جنوب الأناضول ويؤرخ بأواخر ق ٩هـ/ ١٥م أو أوائل ق.١٠هـ/ ١٦م ، ومسجد فاتح باشا بديار بكر ٩٢٢ ـ ٩٢٧هـ/ ١٥١٦ ـ ١٥٢٠م .

ويتقدم الأمثلة السابقة باستثناء ، مسجد خزار قرب بخارى ، رواق خارجي (سقيفة) مغطى بثلاث قباب فى مسجد محمد چلبى وخمس قباب فى مسجد الفاتحية الصغير وسبع قباب فى مسجد فاتح باشا وثلاثة أقبية متقاطعة فى مسجد البستان .

ومن النماذج الأخرى مسجد لاله مصطفى باشا بارضروم ٩٧٠ ـ ٩٧١هـ/ ١٥٦٢ ـ ١٥٦٣م ، وهو عبارة عن قبة مركزية تحيط بها أربعة أقبية فضلا عن أربع قباب صغيرة فى الأركان والرواق الخارجي (السقيفة) المغطى بخمس قباب صغيرة متماثلة .

ومسجد نصوح باشا بديار بكر ١٠١٥ ـ ١٠٢٠هـ/ ١٦٠٦ ـ ١٦١١م ، وهو عبارة عن قبة مركزية وسطى تحيط بها أربعة أقبية متقاطعة فضلا عن أربعة أقبية متقاطعة أخرى فى الأركان الأربعة ويخلو هذا المسجد من وجود الرواق الخارجي (السقيفة) .

وكذالك صممت مكتبة راغب باشا باستانبول ١١٧٦هـ/ ١٧٦٢م، وفق هذا النموذج ، وهى عبارة عن قبة مركزية وسطى تحيط بها أربعة أقبية فضلا عن أربع قباب صغيرة فى الأركان الأربعة والرواق الخارجى (السقيفة) المغطى بقبتين صغيرتين جانبيتين يتوسطهما قبو .

هـ ـ النمط الخامس :ـ وهو يمثل حلقة أخرى من حلقات تطور طراز المسجد القبة فى العمارة الاسلامية ، حيث تم توسيع أو زيادة المساحة الداخلية للمسجد عن طريق اضافة أربعة ايوانات أو دخلات صغيرة غير عميقة فى أغلب الأحيان ـ ولكنها أكثر امتداداً ـ تحيط بمربع القبة من جهاته الأربع ، وفى هذه الحالة تشرف هذه الايوانات أو تلك الدخلات الصغيرة على المساحة الوسطى من خلال أربعة عقود (أقواس) تحصر فيما بينها ـ أى فى كوشاتها ـ منطقة الانتقال التى تقوم فوقها قبة المسجد (وهى لا تخرج بطبيعة الحال عن أى من مناطق الانتقال المشار إليها من قبل) .

وتعد النماذج الباقية لهذا النمط قليلة للغاية ومنها مسجد اورخان غازى فى بيلاچك ٧٥٧ ـ ٧٧٦هـ/ ١٣٥٦ـ ١٣٧٤م ، ومسجد خوجه Hoca Yadigar فى اينونو Inönü ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م ، والمسجد العتيق أو القديم (اسكى جامع) فى يامبول ببلغاريا ، وقد رجحنا تأريخه بالربع الأخير من ق٨هـ/ ١٤م ، أو العقد الأول من ق٩هـ/ ١٥م .

ومسجد أحمد كتخدا العزب خلف باب العزب بقلعة القاهرة ١١٠٩هـ/ ١٦٩٧م ، (شكل ١١٩) ، ومسجد خان Han Cami فى طلاس بالأناضول ١٣١٦هـ/ ١٨٩٩م. (شكل ٢٧٢) .

وقد أثبتنا فى دراسة سابقة أن هذا النمط من التخطيط قد عرف كذلك فى العمائر الجنائزية ، كما هو الحال فى تصميم القبة الملحقة بمدرسة الأمير صرغتمش (بجوار جامع أحمد بن طولون بشارع الصليبة بالقاهرة) ، ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م (شكلا ١٣٨ ، ١٦٨)، والقبة الملحقة بمدرسة الأمير اينال اليوسفى (بالخيامية بالقاهرة) ٧٩٤ ـ ٧٩٥هـ/ ١٣٩١ ـ ١٣٩٢م ، وقبة الشيخ على الروبى بالفيوم ١١٢٠هـ/ ١٧١٧م .

وهو الأمر الذى يضيف قرينة جديدة على مدى ملاءمة التخطيط فى العمارة الاسلامية لتأدية أكثر من وظيفة كما سبق القول .

و ـ النمط السادس : وهو يمثل حلقة أخرى من حلقات تطور طراز المسجد القبة فى العمارة الاسلامية ، وفيه تمت الاضافة خارج كيان المساحة الداخلية للمسجد عن طريق زيادة عبارة عن ثلاثة أروقة (بلاطات) تحيط بمربع القبة من ثلاث جهات عدا جهة القبلة .

ويغطى هذه الأروقة قباب صغيرة ، ومن الملاحظ أنه يتوسط صدر كل رواق من الرواقين الجانبيين لهذه الزيادة محراب صغير غالبا .

وتعد النماذج الباقية لهذا النمط قليلة للغاية ومنها مسجد لارى چلبى بادرنه (تركيا) ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م ، وجامع سنان باشا ببولاق بالقاهرة ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م، ومسجد ومدرسة على باشا بالهفوف (الاحساء) بالمملكة العربية السعودية ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م، والجامع الخزفى فى اسكدار باستانبول ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م، وجامع محمد بك أبو الدهب (تجاه الأزهر بالقاهرة) ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م . (أشكال ١١٧ ـ ١١٨ ، ٢٧٣) (لوحة ٤٥) .

أما المسجد الملحق بمشهد الشيخ عبد القادر الجيلانى ببغداد ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م ، فهو ينتمى إلى طراز المسجد القبة بنمطة البسيط ، ولكن أضيفت له فى عام ١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م زيادة بأمر الوزير حسين باشا السلحدار ، وتحيط هذه الزيادة بالمسجد من ثلاث جهات عدا جهة القبلة ، وتتكون هذه الزيادة من رواقين بكل جهة وليس رواق واحد كما هو الحال فى النماذج المشار إليها سابقا . (شكل ٣٩) .

وقد أثبتنا فى دراسة سابقة أن هذا النمط قد عرف هو الآخر فى تصميم العمائر الجنائزية فى العمارة الاسلامية خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، ومن أمثلة ذلك نموذج المقبرة رقم ٤٢ من مقابر جبانة أسوان جنوب مصر وتؤرخ بعصر الولاة قبل ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م ، ثم استمر ذلك النمط خلال العصر الفاطمى ولا سيما فى تصميم المشاهد ، ومنها مشهد كلثوم (كلثم) ٥١٦هـ/ ١١٢٢ ، ومشهد القاسم الطيب ويؤرخ بمنتصف ق٦هـ/ ١٢م ، ومشهد يحيي الشبيه حوالى ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م ، بالقرافة جنوب الامام الشافعى بالقاهرة .

وهو الأمر الذى يضيف قرينة جديدة على مدى ملاءمة التخطيط فى العمارة الاسلامية لتأدية أكثر من وظيفة كما سبق القول .

٧ ـ الطراز السابع(١٠٥) : ويعرف بالطراز التركى أو العثمانى ، ونفضل نحن

---

(١٠٥) عن هذا الطراز بنماذجه المختلفة انظر دراساتنا المنشورة وما بها من مراجع متعددة ومنها ، بحوث ودراسات (الكتاب الأول) ، ص١٤٩ ـ ١٦٢ ؛ موسوعة ، المدخل ، ص٩٣ ـ ١٠٣ ، العمارة الإسلامية فى أوروبا العثمانية ، المجلد الأول ، ص٢٠٧ ـ ٢٢٠ .

تسميته بالطراز التقليدى (أو الكلاسيكي) التركى ويشتمل جوهر التخطيط العام فى هذا الطراز فى أن المسجد أو الجامع صار يتكون من قسمين رئيسيين أحدهما مغطى ويمثل المسجد نفسه (وهو ما يعرف خطأ فى الدراسات الأجنبية والمعرّبة والعربية باسم بيت الصلاة) والآخر مكشوف (وهو ما يعرف فى الاصطلاح باسم الحرم Avlu, Harim كما سبق القول) .

والحق فإن هذا الطراز لا يقتصر فقط على النموذج المثالى له وهو النموذج الذى يشتمل على القبة المركزية وأنصاف القباب الأربع والقباب الأربعة الصغيرة فى الأركان (كما هو شائع فى غالبية الدراسات المنشورة) فحسب ، وإنما يندرج تحت هذا الطراز كل النماذج التى أضيف إليها حرم (بدلا من الرواق الخارجى أو السقيفة) سواء أكانت تتبع طراز المسجد القبة بنمطه البسيط أو بأنماطه المتطورة السابق الاشارة إليها ، أو طراز المسجد على هيئة حرف T .

وعلى ذلك نستطيع أن نحصر هذا الطراز فى النماذج التالية :

١ ـ **النموذج الأول :** وهو عبارة عن النمط البسيط الأول (مسجد قبة) ولكن يتقدمه حرم ومن أمثلة ذلك مسجد الخنكار فى سراييفو (بوسنه سراى) ٨٦٦هـ/ ١٤٦٣م ، ومسجد بايزيد ضمن مجمعه بادرنه ٨٨٩ ـ ٨٩٤هـ/ ١٤٨٤ ـ ١٤٨٨م ، (شكلا ٢٧٤ ـ ٢٧٤ مكرر) ، ومسجد السليمية (سليم الأول) باستانبول ٩٢٩هـ/ ١٥٢٢م .

٢ ـ **النموذج الثانى :** وهو عبارة عن النمط الثالث (النمط المعروف بالقلب والجناحين) يتقدمه حرم ، ومن أمثلة ذلك مسجد أوچ شرفلى بأدرنه ٨٤١ ـ ٨٥١هـ/ ١٤٣٧ ـ ١٤٤٧م ، ومسجد جوزليج حسن بك فى خير ابولو ٩٠٥هـ/ ١٥٩٩م (أشكال ٢٧٨ ـ ٢٨٠). (شكل ٣٠) ، والمدرسة السكندرية فى زبيد باليمن قبل ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م (شكل ٣٠) . ومنها مسجد السليمية (سليم الثانى) فى أدرنة ٩٧٦هـ ـ ٩٨٣هـ/ ١٥٦٩ ـ ١٥٧٤م ، ويمثل آخر ابداعات وتجليات المعمار العظيم قوجه سنان . (شكل ٢٧٥) (لوحة ١٩٢) ، ومسجد الوالدة الجديد فى اسكدار باستانبول ١١٢٠ ـ ١١٢٢هـ/ ١٧٠٨ ـ ١٧١٠م .

ومنها مسجد الدرويشية بدمشق ٩٨٢هـ/ ١٥٧٤م (شكل ٧٦) ، ومسجد سنان

باشا بدمشق ٩٩٥ ـ ٩٩٩هـ/ ١٥٨٦ ـ ١٥٩٠م ، (شكل ٧٥) ، ومن الملاحظ فى هذه المساجد الأربعة الأخيرة اختلاف تصميم الجناحين أو الرواقين الجانبيين عن النماذج السابقة ؛ فضلا عن بعض السمات والخصائص الأخرى التى ينفرد بها كل مسجد وهو ما سنشير إليه فى كتابنا المفصّل بمشيئة الله تعالى .

٣ ـ **النموذج الثالث** : وهو عبارة عن النموذج الثانى من النمط الرابع ، ولكن يتقدمه حرم ، ومن أمثلة ذلك مسجد الملكة صفية بالداودية بالقاهرة ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م، (شكل ١٥٧) .

٤ ـ **النموذج الرابع** : وهو عبارة عن النموذج الأول من النمط الرابع ، ولكن يتقدمه حرم ، ومن أمثلة ذلك مسجد الفاتح القديم (قبل تجديده عام ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م) ٨٦٧ ـ ٨٧٥هـ/ ١٤٦٢ ـ ١٤٧٠م (شكل ٢٨١).

٥ ـ **النموذج الخامس** : وهو عبارة عن النموذج الثالث من النمط الرابع ، ولكن يتقدمه حرم ، ومن أمثلة ذلك مسجد بايزيد باستانبول ٩١١هـ/ ١٥٠٥م ، ومسجد السليمانية باستانبول ٩٥٧ ـ ٩٦٥هـ/ ١٥٥٠ ـ ١٥٥٧م ، (شكل ٢٨٢ ، لوحتا ١٨٩ ـ ١٩٠) .

٦ ـ **النموذج السادس** : وهو عبارة عن النموذج الرابع من النمط الرابع ، ولكن يتقدمه حرم ، ويمثل هذا النموذج النموذج المثالى للطراز التقليدى (أو الكلاسيكي) فى العمارة الاسلامية خلال العصر العثمانى ، ويحلو للبعض تسميته بالطراز الامبراطورى، ومن أمثلته جامع شاهزاده باستانبول ٩٥١ ـ ٩٥٥هـ/ ١٥٤٤ ـ ١٥٤٨م ، وجامع السلطان أحمد الأول المعروف بالجامع الأزرق باستانبول ١٠١٨ ـ ١٠٢٧هـ/ ١٦٠٩ ـ ١٦١٧م ، (لوحة ١٩١) ، وجامع الوالدة الجديد (ينى جامع) باستانبول ١٠٢٣ ـ ١٠٧٤م ، ١٦١٤ ـ ١٦٦٣م ، وجامع السلطان محمد الفاتح باستانبول بعد تجديده عام ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م (أشكال ٢٨٣ ـ ٢٨٦) ، وجامع محمد على بقلعة القاهرة ١٢٤٦ ـ ١٢٦٥هـ/ ١٨٣٠ ـ ١٨٤٨م. (شكل ١٥٨) (لوحتا ٤٦ ـ ٤٧) .

٧ ـ **النموذج السابع** : وهو عبارة عن طراز المسجد على هيئة حرف T ولكن يتقدمه الحرم (بدلا من الرواق الخارجى أو السقيفة) والمعروف منه حتى الآن ـ فيما أعلم ـ انموذج وحيد باق بالقاهرة ، وهو مسجد سليمان باشا المعروف بجامع سيدى سارية بقلعة القاهرة ٩٣٥هـ/ ١٥٢٨م (شكل ١٥٦) .

المبحث الثاني: المدارس: -

دارت مناقشات عديدة بين العلماء والباحثين حول أصل المدرسة ونشأتها في الحضارة الاسلامية بصفة عامة من جهة ، وحول العوامل التي كانت وراء ظهورها وانتشارها في العمارة الإسلامية بصفة خاصة من جهة ثانية ؛ بل وحول نظم تخطيطها ومصادرها واصوله من جهة ثالثة .

ولما كان المقام لا يتسع لدراسة كل الآراء والنظريات التي إنتهى إليها العلماء والباحثين(١٠٦) ، ولذلك سوف نؤجل مثل هذه الدراسة المطولة إلى كتابنا المفصّل بمشيئة الله تعالى .

ولكن حسبنا أن نشير هنا إلى أن المدرسة من حيث كونها كيان معماري مستقل تعد طرزاً مستحدثا ، بعد المساجد ، في العمارة الدينية الاسلامية ؛ فلم يكن يعرف قبل القرن ٢هـ/ ٨م ؛ ثم لم تلبث أن إنتشرت في مدن المشرق الاسلامي خلال القرن ٤هـ/ ١٠م ، فها هو المقدسي الذي كتب كتابه الموسوم بـ « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » عام ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م ، يذكر في مقدمته أنه قد أمم في المساجد واختلف إلى المدارس وأكل مع أهل الخانقاوات الثرائد(١٠٧) ، وفي بعض المصادر التاريخية الأخرى

---

(١٠٦) حسبنا أن نحيل القارئ والمتخصص إلى بعض الدراسات التي دارت حول هذه الموضوعات ومنها : فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ٢ ، العصر الأيوبي ، القاهرة (١٩٦٩م)، ص٩٩ - ١٩٢ ؛ سعد الدين ، محمد منير ، المدرسة الإسلامية في العصور الوسطى ، بيروت - صيدا (١٩٩٥م) ؛ الديوه جي ، سعيد ، التربية والتعليم في الإسلام ، الموصل (١٩٨٢م)؛ معروف ، ناجي ، نشأة المدارس المستقلة في الإسلام ، بغداد (١٩٦٦م) ؛ حيدر ، كامل ، العمارة العربية الإسلامية ، نشوء المدارس الإسلامية وخصائصها في العصر العباسي ، بيروت (١٩٩٥م)، رؤوف ، عماد عبد السلام ، مدارس بغداد في العصر العباسي ، بغداد (١٩٦٦م)؛ المقدسي ، جورج ، نشأة الكليات ، معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب ، ترجمة محمود سيد محمد ، مراجعة وتعليق محمد علي حبشي وعبد الوهاب أبو سليمان ، جدة (١٩٩٤م) ؛ الجاسر ، لمياء ، مدارس حلب الأثرية تاريخها وعمارتها ، حلب (٢٠٠٠م)، ص٢٤ - ٧٦ .

(١٠٧) المقدسي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل (١٩٠٦م)، ص٤٤ .

أسماء لعدد من المدارس التى أنشئت فى المشرق خلال القرن ٤هـ/ ١٠م(١٠٨) .

واستمر ذلك الانتشار خلال القرن ٥هـ/ ١١م ، إلا أن التطور المهم فى ذلك الوقت يتمثل فى أن المدارس أصبحت مؤسسات سياسية تخضع للإشراف الرسمى للدولة ، وكان وراء هذا التطور الوزير نظام الملك الطوسى (ت٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م) الذى أمر بإنشاء عدة مدارس عرفت كلها بالنظامية نسبة إلى لقبه وكانت أقدمها وأولها نظامية بغداد ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م ، وتلتها مدارس نظامية أخرى فى البصرة والموصل وأصبهان وآمل وطبرستان ومرو ونيسابور وبلخ(١٠٩) .

وبعد ذلك انتشرت المدارس فى دار الاسلام انتشاراً كبيراً وهو ما يستدل عليه من خلال ما ورد فى المصادر التاريخية المختلفة ؛ فضلاً عن الأدلة المادية الآثارية الباقية .

ومهما يكن من أمر ، فإن إنشاء المدارس كان بداية عهد جديد فى تطور العمارة الاسلامية ـ وبخاصة العمائر الدينية ـ من جهة وفى ازدهار الحركة العلمية فى أقطار العالم الاسلامى من جهة ثانية (وهو ما قمنا بتسليط الضوء عليه فى الفصل الرابع من الباب الأول فى هذا الكتاب .

وفيما يلى نتحدث عن أهم وأشهر الطرز التى صممت على أساسها عمارة المدارس فى الأقطار الاسلامية المختلفة .

١ ـ مصر :

من المعروف أن المدارس قد وجدت طريقها إلى مصر فى أواخر العصر الفاطمى فى الاسكندرية أولاً ثم فى القاهرة ثانيا(١١٠)، وخلال العصر الأيوبى أنشئت بمصر ٢٥

---

(١٠٨) انظر الدراسات المذكورة فى الحاشية رقم ١٠٦ ، وانظر أيضًا ، معروف ، ناجى ، مدارس قبل النظامية. مجلة المجمع العلمى العراقى ، المجلد ٢٢ ، بغداد (١٩٧٣م)، ص١١١ ـ ١٥٥ (وفية احصاء لعدد ٣٣ مدرسة بنيت قبل النظامية).

(١٠٩) السبكى ، أبو نصر عبد الوهاب ، ت٧٧١هـ/ ١٣٧٠م، طبقات الشافعية الكبرى ، جـ٤ ، القاهرة (١٩٠٦م)، ص٣١٣ ـ ٣١٤ ؛ أبو شامة ، شهاب الدين عبد الرحمن ، كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، جـ١ ، تحقيق محمد حلمى محمد أحمد ، القاهرة (١٩٥٦م)، ص٦٢ ـ ٦٣ .

(١١٠) سيد ، أيمن فؤاد ، المدارس فى مصر قبل العصر الأيوبى ، ضمن كتاب تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية ، القاهرة ، ط٢ (٢٠٠٠م)، ص١١٤ ـ ١٢٦ .

مدرسة منها ٢٢ مدرسة بالقاهرة و ٢ مدرسة بالفيوم ومدرسة واحدة بالاسكندرية ولم يتبق منها جميعا سوى بقايا مدرستين وهما دار الحديث الكاملية (بشارع النحاسين) ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م ، والمدارس الصالحية النجمية (بذات الشارع) ٦٣٩ ـ ٦٤١هـ/ ١٢٤١ ـ ١٢٤٣م[١١١] .

وفى العصر المملوكى بنى بمصر من المدارس ما لا يحيط به أحد لكثرتها على حد قول الرحالة ابن بطوطة[١١٢] ، وقد بنى منها بالقاهرة وحدها « ما ملأ الأخطاط (الأحياء) وشحنها » على حد قول القلقشندى[١١٣] . إلا أنه لم يتبق من كل ذلك سوى ٤٨ مدرسة بالقاهرة ؛ ولو أضفنا إليها المدارس الأربع الفرعية الملحقة بمدرسة السلطان حسن يصير العدد الكلى للمدارس الباقية ٥٢ مدرسة مملوكية[١١٤] . ونستطيع أن نحصر تخطيطات هذه المدارس الباقية فى ثلاثة أنواع رئيسية وهى :

أ ـ التخطيط ذو الايوانات حول صحن أو درقاعة[١١٥] :

يعد هذا النوع من التخطيط أكثر أنواع التخطيطات شيوعا وانتشاراً حيث يبلغ عدد المدارس المصممة وفق ذلك النوع ٤٤ مدرسة مملوكية فضلا عن بقايا المدرستين الأيوبيتين المشار إليهما .

ويمكن أن نحصر تخطيطات هذا النوع فى خمسة نماذج رئيسية وذلك على النحو التالى :

---

(١١١) فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ٢ ، ص٤٩ ـ ٧٥ ؛ صبرة ، عفاف سيد ، المدارس فى العصر الأيوبى ، ضمن كتاب تاريخ المدارس المشار إليه ، ص١٤٣ ـ ٢٠٤ ؛ الحداد ، محمد حمزة ، بحوث ودراسات (الكتاب الأول)، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .

(١١٢) ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله ، ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م، تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المسماه برحلة ابن بطوطة ، بيروت ، ط٢ ، د ت ، ص٣٣ .

(١١٣) القلقشندى ، أبو العباس أحمد بن على ، ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م ، صبح الأعشى فى صناعة الإنشا ، جـ٣ ، ص٣٦٨ .

(١١٤) الحداد ، محمد حمزة ، بحوث ودراسات (الكتاب الأول)، ص٢١٢ حاشية ١ .

(١١٥) عن هذا النوع من التخطيط بنماذجه الخمسة الرئيسية التى ترجع إلى العصر المملوكى انظر دراستنا المطولة الموسومة بـ « العلاقة بين النقش التأسيسى والوظيفة والتخطيط المعمارى لمدارس القاهرة فى العصر المملوكى »، ضمن كتابنا بحوث ودراسات المشار إليه ، ص٢٢٢ ـ ٢٢٥ .

ـ **النموذج الأول** : وهو عبارة عن صحن (أو درقاعة) أوسط مكشوف تحيط به أربعة ايوانات أكبرها وأعمقها ايوان القبلة غالبا ومن أمثلته الباقية كل من : مدرسة الناصر محمد (بالنحاسين) ٧٠٣م/ ١٣٠٣م ، ومدرسة صرغتمش (بجوار جامع ابن طولون) ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م ، ومدرسة السلطان حسن ٧٥٧ ـ ٧٦٤هـ/ ١٣٥٦ ـ ١٣٦٢م، ومدرسة خوند بركة (أم السلطان شعبان (بالتبانة) ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م ، ومدرسة اولجاى اليوسفى (بشارع سوق السلاح) ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م ، ومدرسة الظاهر برقوق (بالنحاسين) ٧٨٦ ـ ٧٨٨هـ/ ١٣٨٤ ـ ١٣٨٦م، ومدرسة جمال الدين يوسف الأستادار (بالجمالية) ٨١١هـ/ ١٤٠٨م ، ومدرسة الأشرف برسباى (بالصاغة) ٨٢٦ ـ ٨٢٩هـ/ ١٤٢٢ ـ ١٤٢٥م، ومدرسة عبد الغنى الفخرى (جامع البنات) بشارع بور سعيد ٨٢١هـ/ ١٤١٨م ، ومدرسة القاضى عبد الباسط (بالخرنفش) ٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م . (أشكال ١٣٨ ـ ١٤٣) (لوحات ٥٣ ـ ٥٤ ، ٥٩ ـ ٦٣ ، ٦٥) .

ـ **النموذج الثانى** : وهو عبارة عن صحن (أو درقاعة) أوسط مكشوف أو مغطى يحيط به إيوانان رئيسيان هما الإيوان القبلى (الجنوبى الشرقى) والإيوان البحرى (الشمالى الغربى) وسدلتان جانبيتان (أى ايوانان صغيران هما الجنوبى الغربى والشمالى الشرقي) ومن أمثلته الباقية كل من : مدرسة قلاوون (قبل تغيير معالمها) ٦٨٣ ـ ٦٨٤هـ/ ١٢٨٤ ـ ١٢٨٥م ، كما يستدل من الوثيقة ، ومدرسة مثقال (بدرب قرمز) ٧٦٣هـ/ ١٣٦١م ، ومدرسة جوهر اللالا (بدرب اللبان) ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م ، والمدرسة الجوهرية الملحقة بالأزهر قبل ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م ، ومدرسة تغرى بردى بالصليبة ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م ، ومدرسة جقمق (بدرب سعادة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م ، ومدرسة السلطان إينال (بقرافة الغفير) ٨٦٠هـ/ ١٤٥٥م، ومدارس السلطان قايتباى الثلاث : (بالقرافة) ٨٧٧ ـ ٨٧٩هـ/ ١٤٧٢ ـ ١٤٧٤م، والثانية (بقلعة الكبش) ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م، والثالثة (بالمنيل) ٨٨٦ ـ ٨٩٦هـ/ ١٤٨١ ـ ١٤٩٠م ، ومدرسة أبو بكر مزهر (بحارة برجوان) ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م ، ومدرسة أزبك اليوسفى (ببركة الفيل) ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م ، ومدرسة قانى باى أمير آخور (بدرب اللبان) ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م ، ومدرسته الأخرى (بالناصرية) ٩١١هـ/ ١٥٠٥م ، ومدرسة الغورى (بالغورية) ٩٠٩ ـ ٩١٠هـ/ ١٥٠٣ ـ ١٥٠٤م ، ومدرسة قرقماس أمير كبير (بقرافة الغفير) ٩١١ ـ ٩١٣هـ/ ١٥٠٥ ـ ١٥٠٧م ، ومدرسة بيبرس الخياط (بالجودرية) ٩٢١هـ/ ١٥١٥م . (أشكال ١٠٨ مكرر، ١٣٧ ـ ١٣٧ مكرر ، ١٤٤ ـ ١٤٩) (لوحات ٥٢ ، ٦٩ ـ ٧٥ ، ٧٨) .

- **النموذج الثالث :** وهو عبارة عن صحن (أو درقاعة) أوسط مغطى غالبا ومكشوف أحيانا يحيط به ايوانان رئيسيان هما ايوان القبلة (الجنوبى الشرقي) والايوان البحرى (الشمالى الغربي) المقابل له ، ومن أمثلة المدارس ذات الصحون المكشوفة كل من : مدرسة دار الحديث الكاملية ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م ، إلا أن الايوان القبلى قد حل محله مسجد فى العصر العثمانى على يدى الأمير حسن كتخدا مستحفظان ١١٦٦هـ/ ١٧٥٢م، (وهو الذى تطل واجهته على شارع المعز الآن) وقد أثبتت الحفائر الأثارية أنه كان يتقدم الحجرات فى الضلعين الجانبيين للصحن رواق بكل جانب[١١٦] .

والمدرسة الشمالية وهى الجزء المتبقى من المدارس الصالحية ٦٣٩ - ٦٤١هـ/ ١٢٤١ - ١٢٤٣م ، فضلا عن الواجهة الغربية لكلا المدرستين الجنوبية والشمالية ويتوسطها كتلة المدخل الرئيسى وتعلوه المئذنة ، وكانت هذه المدارس الصالحية هى أول المدارس التى خصصت لتدريس المذاهب السنية الأربعة فى مصر بواقع مذهبين فى المدرسة الجنوبية الدارسة (وهما المذهب الحنفى والمذهب الحنبلى) ومذهبين فى المدرسة الشمالية التى لا تزال بقاياها قائمة (وهما المذهب الشافعى والمذهب المالكى)، وثانى المدارس فى دار الاسلام بعد المدرسة المستنصرية فى بغداد ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م ، كما سنشير فيما بعد. وكان يتقدم حجرات الضلعين الجانبيين للصحن رواق بكل جانب كما أثبتت الحفائر الأثارية .

هذا وقد حل محل قاعة شيخ المالكية بالمدرسة الشمالية ضريح للسلطان الأيوبى الصالح نجم الدين أيوب أمرت بانشائه له زوجته شجر الدر عقب وفاته فى المنصورة (أثناء الحملة الصليبية السابعة بقيادة لويس التاسع) فى منتصف شعبان ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م[١١٧] . (شكل ١٣١) (لوحة ٤٨) .

---

(١١٦) فكرى ، مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ٢ ، العصر الأيوبى ، ص٥٥ - ٥٩ ؛ نويصر ، العمارة الإسلامية فى مصر عصر الأيوبيين والمماليك ، ص٦٨ - ٧٥ ؛ العمرى ، العمارة فى مصر الإسلامية (العصرين الفاطمى والأيوبي)، ص١١٨ - ١٢٢ ؛ يحيي ، سوسن سليمان ، منشآت السيف والقلم فى الجهاد الإسلامى ، العمارة الأيوبية ، القاهرة (١٩٩٤م)، ص ٩٨ - ١٠٥ ؛ موسى ، رفعت ، معلومات جديدة عن نشأة المدرسة الكاملية ووظيفتها فى العصر العثمانى بمدينة القاهرة فى القرن ١١هـ/ ١٧م، مجلة كلية الآداب - جامعة حلوان ، العدد السابع (يناير ٢٠٠٠م)، ص٥٦٧ - ٦٢٠ .

(١١٧) فكرى ، مساجد ، جـ٢ ، ص٤١ ، ٦٠ - ٧٥ ؛ نويصر ، العمارة الإسلامية ، ٧٦ - ٩٥ ؛ العمرى ، العمارة فى مصر ، ص١٢٣ - ١٣١ ، ١٧٠ ؛ يحيي ، منشآت ، ص١٠٦ - ١١٩ ، ١٤٤ ؛ Abouseif, Islamic Architecture in Cairo, PP. 87 - 91 .

أما المدارس المملوكية التى صممت وفق ذلك النموذج فكلها ذات صحون مغطاة ، ومن أمثلتها كل من : مدرسة اينال اليوسفس ٧٩٤ ـ ٧٩٥هـ/ ١٣٩١ ـ ١٣٩٢م ، ومدرسة جمال الدين محمود الاستادار (بالخيامية) ٧٩٧هـ/ ١٣٩٥م، ومدرسة قانى باى المحمدى (بالصليبة) ٨١٦هـ/ ١٤١٣م، ومدرسة السويدى (بمصر القديمة) ٨٢٩هـ/ ١٤٢٦م، ومدرسة الجمالى يوسف (بالحمزاوي) ٨٥٠هـ/ ١٤٤٦م، ومدرسة جانم البهلوان (بالسروجية) ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م ، ومدرسة خاير بك (بباب الوزير) ٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م . (أشكال ١٣٢ ـ ١٣٤ ، ١٥٤ ـ ١٥٤ مكرر) ، (لوحة ٧٧) .

النموذج الرابع : وهو عبارة عن صحن (أو درقاعة) مكشوف أو مغطى يشغل ضلعه القبلي ايوان رئيس واحد هو ايوان القبلة ومن أمثلة ذلك المدارس الأربع الفرعية الملحقة بمدرسة السلطان حسن ٧٥٧ ـ ٧٦٤هـ/ ١٣٥٦ ـ ١٣٦٢م ، والمدرسة البشيرية ٧٦١هـ/ ١٣٥٩م ، ومدرسة أيتمش البجاسي ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م ، ومدرسة فيروز الساقى ٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م، أما مدرسة قطلوبغا الذهبى ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م ، فإن ايوانها الرئيسى يشغل الضلع الشمالى الغربى للصحن أو للدرقاعة ، أما صدر الصحن أو الدرقاعة فيتوسطه المحراب (وهو من الأمثلة النادرة لهذا الوضع) (أشكال ١٢٦ ـ ١٢٨، ١٣٩ ـ ١٤٠) .

ـ **النموذج الخامس :** وهو عبارة عن صحن أوسط مكشوف تحيط به ثلاثة ايوانات كما هو الحال فى مدرسة تتر الحجازية (شكل ١٣٦) (بحبس الرحبة بالجمالية ٧٦١هـ/ ١٣٥٩م ، وهى انموذج فريد فى عمارة المدارس المصرية الاسلامية . وإذا كانت المدارس المشار إليها سابقا تكاد تتفق مع بعضها البعض فى المميزات العامة والتخطيط العام (حسب النموذج الذى تنتمى إليه كل مدرسة) إلا إنها تختلف فيما بينها من حيث بعض العناصر والمفردات والتفاصيل والملحقات ؛ فضلا عن الخلاوى والطباقات وغير ذلك؛ أو بمعنى آخر فإن لكل مدرسة منها شخصية مستقلة قائمة بذاتها وطابع خاص مميز لها خاص بها .

وأعظم هذه المدارس هى مدرسة السلطان حسن الشهيرة (٧٥٧ ـ ٧٦٤هـ/ ١٣٥٦ ـ ١٣١٢م) ، وليس فى مصر وحدها بل فى عمارة المدارس الاسلامية عامة ، وصدق فيها قول القائل :

فى جامع السلطان قم يا من أتى مصرا

وطـــف سعيــا بذيــاك الحـــرم

وانظر بناءً ينجلى للناس فـى ثـــوب

الشبـاب واطـــرح ذكـــر الهـــرم

ب ـ التخطيط المتأثر بالتخطيط العربى التقليدى للمساجد الإسلامية[118]:

وهو عبارة عن صحن (أو درقاعة) مكشوف أو مغطى ، ومقدم ومؤخر ومجنبتان ، ومن أمثلته المدرسة الأقبغاوية (الملحقة بالأزهر) ٧٤٠هـ/ ١٣٣٩م، ومدرسة قانى باى الجركسى ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م. والمدرسة الأولى عبارة عن درقاعة وسطى مغطاة تحيط بها أربعة أروقة (بلاطات) بواقع رواق واحد بكل من المقدم والمؤخر والمجنبتين ، وتشرف هذه الأروقة (البلاطات) الأربعة على الدرقاعة ببائكة ذات ثلاثة عقود (أقواس) أوسطها أوسعها . (شكل ١٠٨ مكرر) ، أما المدرسة الثانية فهى تشبه المدرسة الأولى إلا أن الدرقاعة مكشوفة فضلا عن أن المجنبتين تشرفان عليها ببائكة ذات عقدين فقط وليس ثلاثة كما هو الحال فى الأقبغاوية ، أما بائكتى المقدم والمجنبتين فمتماثلتين فى كلا المدرستين من حيث الاشراف على الدرقاعة بثلاثة عقود .

جـ ـ التخطيط المتأثر بالتخطيط العربى غير التقليدى للمساجد الاسلامية[119] :

وهو التخطيط الذى اصطلحنا على تسميته بالتخطيط ذو الأروقة دون الصحن الأوسط أو الدرقاعة ، ومن أمثلة ذلك المدرسة البندقدارية (بالسيوفية) وتعرف بزاوية الآبار ٦٨٣هـ/ ١٢٨٤م ، والمدرسة الطيبرسية (الملحقة بالأزهر) ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م (شكلا ١٠٨ مكرر ، ١١٢) .

(١١٨) الحداد ، العلاقة ، ص٢٢٥ ـ ٢٢٦ .

(١١٩) الحداد ، العلاقة ، ص٢٢٦ .

أما عن تقرير أى درس من الدروس ، بل وأى وظيفة من الوظائف فى المدارس السابقة ، فكان يتوقف أولاً وأخيراً على رغبة الواقف وامكانياته ، فهو وحده الذى كان يقرر الدروس والوظائف فى منشآته أيا كان نوع التخطيط الذى صممت على أساسه من الأنواع الثلاثة السابقة ، وفى ضوء ذلك فإنه لا يصح مطلقا الربط بين عدد الايوانات فى المدرسة وبين عدد المذاهب التى كانت تدرس بها كما هو شائع فى العديد من الدراسات ويؤيد ذلك الحقائق التالية :

أ ـ لم يقتصر تدريس المذهب الواحد على المدارس ذات الايوان الواحد مثل البقرية وأيتمش بل درس أيضًا فى المدارس ذات الايوانين مثل مدرسة السويدى وذات الأربعة ايوانات مثل مدرسة صرغتمش ، بل وفى مدارس صممت وفق التخطيط العربى غير التقليدى للمساجد الاسلامية ، مثل المدرسة الطيبرسية بالأزهر الشريف .

ب ـ لم يقتصر تدريس المذهبين على المدارس ذات الايوانين مثل مدرسة قانى باى المحمدى بل درس فى مدارس ذات ثلاثة ايوانات مثل مدرسة تتر الحجازية ، ومدارس رباعية الايوانات مثل أم السلطان شعبان واولجاى اليوسفى بل وفى مدارس صممت وفق التخطيط العربى التقليدى للمساجد الاسلامية مثل المدرسة الأقبغاوية بالأزهر الشريف .

ومهما يكن من أمر فإنه يمكن القول أنه قد حدث خلال العصر المملوكى فى مصر نوعا من التشابه والتقارب المعمارى بين العمائر الدينية الثلاث الرئيسية (المساجد ـ المدارس ـ الخوانق) فلم يعد هناك ثمة فرق كبير بينها سواء فى التخطيط المعمارى أو فى الوحدات والعناصر والمفردات والملحقات ، وهو الأمر الذى كان له أثره الكبير فى ايجاد ما يمكن أن يطلق عليه تجاوزاً مصطلح التقارب الوظيفى فأصبح المبنى الواحد بتخطيطه (سواء ذى الايوانات أو ذى الاروقة حول صحن أو دون الصحن) ملائما وصالحا للقيام بالوظيفة أو الوظائف التى تقرر فيه والتى كانت تتوقف أولاً وأخيراً على رغبة الواقف وإمكانياته[١٢٠] ، كما سبق القول .

---

(١٢٠) عن هذا الموضوع بالتفصيل انظر دراستنا الموسومة بـ « العلاقة » المشار إليها ، ص٢٢٧ ـ ٢٦٨ .

٢ـ العـراق :

من المعـروف أن المدارس انتشرت فى العراق بدرجة كبيرة فها هو الرحالة ابن جبير الذى زار بغـداد فى أواخر ق ٦هـ/ ١٢م ، يذكـر أن المدارس بهـا « نحـو الثـلاثين وهى كلها بالشرقية ... وما منها مدرسة إلا (وهى) يقصر القصر البديع عنها وأعظمها شأنا وأشهرها النظامية »[١٢١].

إلا أنه لم يتبق من هذه المدارس سوى القليل وحسبنا أن نشير إلى أهمها وهى المدرسة الشرابية المعروفة بالقصر العباسى ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م ، (وتقع فى الزاوية الجنوبية الشرقية من وزارة الدفاع الحالية ، ويفصل بينها وبين الوزارة جامع القلعة)[١٢٢]، والمدرسة المستنصرية ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م ، وتقع بوسط بغداد الحالية على الضفة الشرقية لنهر دجلة قريبا من راس الجسر الشمالى المسمى بجسر الشهداء من جهته السفلي) (العصر العباسي)[١٢٣]، والمدرسة المرجانية ٧٥٨هـ/ ١٣٥٦م (العصر الجلائري)[١٢٤].

ويرى بعض العلماء أن المشهد المعروف بمزار الأربعين فى تكريت إنما هو مدرسة يرجح أنها أنشئت فى أواخر ٥هـ/ ١١م[١٢٥]، أو الربع الأخير من ق ٦هـ/ ١٢م[١٢٦]. ورغم ذلك فإنه يمكن فى ضوء تلك النماذج القليلة الباقية أن نحدد الخصائص العامة والسمات الرئيسية التى تميز طراز عمارة المدارس العراقية ، وذلك على النحو التالى :

---

(١٢١) ابن جبير ، الرحلة ، ص٢٨٣ .

(١٢٢) حيدر ، العمارة العربية الإسلامية ، ص٥٠ ـ ٦٣ ؛ معروف ، ناجى ، المدارس الشرابية ببغداد وواسط ومكة ، بغداد ، ط٢ ، (١٩٧٧م)، ص١٤٤٩ ـ ١٩٧ ؛ وعن القول بأن هذا المبنى هو القصر العباسى وليس المدرسة الشرابية انظر عبد الرسول ، سليمة ، القصر العباسى فى بغداد ، بغداد (١٩٨١م)، (٩٠ صفحة) ؛ رجب ، غازى ، العمارة العربية ، ص١٤٩ ـ ٢٥٧ .

(١٢٣) حيدر ، العمارة ، ص٧٤ ـ ١٠٠ ؛ الأعظمى ، خالد خليل ، المدرسة المستنصرية فى بغداد ، بغداد (١٩٨١م)، (٤٦ صفحة) ؛ أمين ، حسين ، المدرسة المستنصرية ببغداد ، بغداد (١٩٦٠م)؛ ص١٠٤ ـ ١١٦ ، معروف ، ناجى ، تاريخ علماء المستنصرية ، جزءان ، القاهرة ، ط٣ (١٩٧٦م)؛ رجب ، غازى ، العمارة العربية ، ص٢٦١ ـ ٢٧٧ .

(١٢٤) رجب ، غازى ، العمارة العربية ، ص٣٦٩ ـ ٣٨١ ؛ النقشبندى ، ناصر ، المدرسة المرجانية ، سومر ، جـ١ ، المجلد الثانى ، كانون الثانى (١٩٤٦م)، ص٣٣ ـ ١٢٦ .

(١٢٥) حميد ، عبد العزيز ، عمارة الأربعين فى تكريت ، مجلة سومر ، المجلد ٢١ ، الجزء ١ ـ ٢ ، بغداد (١٩٦٥م)، ص١٢٣ ـ ١٥٦ ؛ فكرى ، مساجد ، جـ٢ ، ص١٠١ ـ ١٠٣ .

(١٢٦) حيدر ، العمارة العربية ، ص٣٥ ـ ٤٩ .

ويمكن القول ، بادئ ذى بدء ، أن المدارس الثلاث الباقية فى بغداد تكاد تتشابه فيما بينها من حيث الشكل العام والتخطيط العام من طابقين وما يشتمل عليه من المساجد والايوانات والأروقة والقاعات الكبرى والحجرات والغرف والمجازات والدهاليز والمداخل والسلالم الصاعدة إلى الطابق العلوى ؛ فضلا عن الأسقف والعقود والمقرنصات والنقوش الكتابية والزخرفية ، ومع ذلك نستطيع أن نميز بين نمطين فى عمارة هذه المدارس وهما :

١ ـ **النمط المربع** : ويتمثل فى كل من المدرسة الشرابية والمدرسة المرجانية ببغداد (شكلا ٤٤ ـ ٤٥) فضلا عن مشهد الأربعين فى تكريت الذى يرجّح أنه كان مدرسة كما سبق القول .

ويشتمل هذا النمط على صحن مكشوف يشغل ضلعه القبلى مسجد المدرسة ويقابله ايوان رئيسى واحد يرتفع إلى ما يوازى ارتفاع الطابقين فى الشرابية والمرجانية ، أما فى الأربعين فى تكريت فلا نجد هذا الايوان المقابل للمسجد ، بل نجد ايوانين صغيرين متقابلين فى الضلعين الآخرين للصحن (وهما الايوان الشرقى والايوان الغربى) .

وفى المدرسة الشرابية رواق يحيط بالصحن من ثلاث جهات عدا جهة القبلة (مسجد المدرسة) وتوجد خلف هذا الرواق حجرات الطلبة وتعلوها غرف فى الطابق الأول ويناهز عدد هذه وتلك الأربعين حجرة وغرفة .

والمسجد فى هذه المدارس الثلاث متشابه إلى حد كبير فهو عبارة عن مساحة مستطيلة تطل على الصحن بثلاثة أبواب أو فتحات ويسقف هذه المساحة قبة فى الوسط وقبوان جانبيان أو ثلاث قباب أوسطها أكبرها وأكثرها ارتفاعا ، وهو نفس الطراز الذى شاع فى غالبية مدارس حلب كما سنشير فيما بعد .

كذلك يتميز هذا النمط بوجود مدافن ذات قباب ملحقة بالمدارس ، كما هو الحال فى الأربعين بتكريت والمرجانية ببغداد ، أما الشرابية ببغداد فتفتقر إلى مثل هذه القباب المدافن . وتنفرد المدرسة المرجانية ببغداد بوجود مئذنتين على جانبى كتلة المدخل الرئيسى وهو ما لا نجده فى الأربعين بتكريت أو الشرابية ببغداد أو حتى المستنصرية ببغداد .

٢ـ **النمط المستطيل :** ويتمثل فى المدرسة المستنصرية ببغداد ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م (لوحة ٦) وهى عبارة عن مساحة مستطيلة تمتد من الشرق إلى الغرب (المحور العرضي) وتشتمل هذه المساحة فى ضلعها القبلى على مسجد المدرسة وهو يشبه مساجد المدارس الثلاث السابقة ويقابل المسجد إيوان المدخل وهو ما لا نجده فى المدارس السابقة، أما الضلعين القصيرين للصحن فيشتملان على ايوانين صغيرين (هما الإيوان الشرقى والايوان الغربي) يشبهان ايوان مدرسة الاربعين فى تكريت من حيث موضعهما، وتشغل حجرات المدرسة المساحات المحصورة بين الايوانات والمسجد وتعلوها غرف فى الطابق الأول ، ومن الملاحظ أن حجرات الطابق الأرضى تفتح على الصحن مباشرة بينما يتقدم غرف الطابق الأول رواق مسقوف . ويبلغ عدد الحجرات والغرف فى المستنصرية نحو المائة . هذا وتنفرد المستنصرية عن المدارس المشار إليها باشتمالها على دار للقرآن، ودار للحديث ودار الشفاء (بيمارستان)، فضلا عن كونها أول مدرسة خصصت لتدريس المذاهب السنية الأربعة فى الحضارة الاسلامية ، وكان يبلغ عدد طلاب هذه المذاهب ٢٤٨ طالبا بواقع ٦٢ لكل مذهب ، بالاضافة إلى ٣٠ طالبا فى دار القرآن و ١٠ طلاب فى دار الحديث و ١٠ طلاب فى دار الشفاء (البيمارستان) فضلا عن المدرسين والشيوخ والمعيدين والطبيب وغيرهم من أرباب الوظائف بالمدرسة(١٢٧) .

والحق فإن المدرسة المستنصرية كانت من أعظم المدارس فى الحضارة الاسلامية عامة وفى العراق خاصة وقد بلغت شهرتها وعظمتها درجة كبيرة حتى قيل عنها إنها «أعظم من أن توصف وشهرتها تغنى عن وصفها» وقال آخر « لم يعمر فى الدنيا مثلها فعمرت على أعظم وصف فى صورتها وألاتها واتساعها وزخرفتها وكثرة فقهائها وأوقافها »(١٢٨).

مما سبق يمكن القول أنه إذا كانت المدارس العراقية قد صممت وفق الطراز الايوانى (سواء ايوان واحد أو ايوانين أو ثلاثة ايوانات) إلا أنها قد عولجت بطريقة محلية مما أكسبها شخصية مستقلة وطابعا مميزا لها .

---

(١٢٧) لمزيد عن هذه المدارس انظر دراسات كل من : حيدر (العمارة العربية) ناجى (المدارس الشرابية) رجب ، غازى ، (العمارة العربية) ، الأعظمى (المدرسة المستنصرية) المذكورة فى هوامش الصفحات السابقة .

(١٢٨) ابن العبرى ، مختصر تاريخ الدول ، بيروت (١٩٢٧م) ، ص٤٢٥ .

٣ ـ سوريا :

من المعروف أن المدارس قد انتشرت كذلك فى سوريا انتشاراً كبيراً وبخاصة فى مدينتى دمشق وحلب ، فها هو الرحالة ابن جبير الذى زار دمشق فى أواخر القرن ٦هـ/ ١٢م ، يذكر ٢٠ مدرسة بدمشق ، وقد أحصى النعيمي عام ٩٢٧هـ/ ١٥٢٨م ، بدمشق: ٦٠ مدرسة شافعية و ٥٢ مدرسة حنفية و ٤ مدارس مالكية و ١٠ مدارس حنابلة و ٣ مدارس للطب و ٧ دور للقرآن و ١٦ داراً للحديث و ٣ دور للحديث والقرآن معا ويعود أغلبها إلى القرن ٧هـ/ ١٣م ، وفى حلب بلغ عدد المدارس فى عهد أولاد صلاح الدين الأيوبى نحو ٤٤ مدرسة[١٢٩] .

وأقدم مدرسة باقية فى سوريا هى مدرسة كومشتكين (جامع مبرك الناقة) فى بصرى ٥٣٠هـ/ ١١٣٦م (شكل ٧٧) ، وكانت مخصصة للمذهب الحنفي ، وهى عبارة عن صحن أوسط مربع مغطى بقبة ، وعلى ذلك فهى تعد أقدم مدرسة معروفة حتى الآن ذات صحن مغطى بقبة فى العمارة الاسلامية على الاطلاق[١٣٠]، وكان لهذه المدرسة أثرها على عمارة المدارس السلجوقية فى الأناضول كما سنشير فيما بعد .

ويحيط بهذا الصحن المغطى أربعة ايوانات أكبرها وأعمقها الايوان القبلى وبصدره المحراب وعلى جانبيه أربع حجرات بواقع حجرتان بكل جانب يتوصل إليها من أربعة أبواب بالضلعين الجانبيين للايوان بواقع بابان بكل ضلع ، ويطل الايوان على الصحن ببائكة ذات ثلاثة عقود (أقواس) أوسطها أوسعها وإذا كان الايوان القبلي يغلب عليه الاتجاه العمودى (المحور الطولي) فإن الايوان المقابل له يغلب عليه الاتجاه الموازى لجدار

---

(١٢٩) الجاسر ، مدارس حلب ، ص٢٥ ـ ٢٦ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن حركة إنشاء المدارس فى سوريا خلال العصرين الزنكى والأيوبى ، انظر ، الجاسر ، مدارس حلب ، ص١٠٠ ـ ٢٥٨ ؛ شميسانى ، حسن ، مدارس دمشق فى العصر الأيوبى ، بيروت (١٩٨٣م) ، (٢٨٤ صفحة) ؛ مرسى ، محمود مرسى ، العمارة الإسلامية بسورية ، الجزء الأول ، دور الحديث والمدارس الباقية بمدينة دمشق من العصرين الزنكى والأيوبى ، القاهرة (٢٠٠٥م) ، (١٥٠ صفحة فضلا عن الأشكال واللوحات) .

(١٣٠) الريحاوى ، العمارة فى الحضارة ، ص١٩٧ ـ ١٩٨ ؛ الجاسر ، مدارس حلب ، ص٢٩ ـ ٣٠ ؛ حيدر ، العمارة ، ص١٠١ ؛ فكرى ، مساجد القاهرة ، جـ٢ ، ص١٠٠ ـ ١٠١ ؛ آصلان آبا ، فنون الترك وعمائرهم ، ص٥١ ؛

Creswell, The Muslim Architecture of Egypt, vol 2, Oxford, (1959), P. 108 .

القبلة (المحور العرضى) ويطل هذا الايوان هو الآخر على الصحن المغطى ببائكة ذات ثلاثة عقود (أقواس) أوسطها أوسعها ، وبالضلعين الجانبيين للايوان بابين ، باب بكل ضلع ، يؤديان لمدخلى المدرسة عبر دركاة مربعة ، أما الايوانين الآخرين للمدرسة فيطل كل ايوان منهما على الصحن بعقد . (شكل ٧٧) .

والحق أنه لا يوجد فى سوريا إنموذج آخر صمم على غرار هذه المدرسة .

أما المدارس السورية الأخرى التى ترجع إلى العصرين الزنكى والأيوبى فتكاد تتشابه فى الشكل العام والتخطيط العام مع المدارس العراقية المشار إليها من حيث اشتمالها على الصحن الأوسط المكشوف والايوانات ومسجد المدرسة وقبة الدفن إلا أنها هنا قد عولجت أيضًا بطريقة محلية مما اكسبها شخصية مستقلة وطابع مميز خاص بها ، وحسبنا أن نشير إلى بعض هذه المدارس ومنها المدرسة النورية(١٣١) بدمشق ٥٦٧هـ/ ١١٧٢م وكانت مخصصة لفقهاء المذهب الحنفى ، ويتكون تخطيطها العام من صحن مكشوف تتوسطه بحرة ، ويشغل الضلع القبلى مسجد المدرسة وهو عبارة عن مساحة مستطيلة يتوسط صدرها المحراب وتطل هذه المساحة على الصحن من خلال ثلاثة أبواب أوسطها أكبرها ، ويقابل المسجد (الضلع الشمالى) إيوان ، فضلا عن ايوانين متقابلين بالضلعين الجانبين للصحن بواقع إيوان يتوسط كل ضلع وتوجد على جانبيه حجرات تعلوها غرف فى الطابق الأول ، وملحق بالمدرسة بالركن الجنوبى الشرقى تربة تعلوها قبة مقرنصة وهى من طراز القباب المقرنصة، كما سنشير فيما بعد . (شكل ٧٨) .

وتشبه المدرسة العادلية الكبرى بدمشق ٦١٢هـ/ ١٢١٥م وكملت ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م (وهى الآن مقر المجمع العلمى العربى بدمشق) المدرسة النورية مع الاختلاف فى بعض المفردات والتفاصيل(١٣٢) . (شكل ٨٣) .

---

(١٣١) حيدر ، العمارة ، ص١٠٣ ـ ١٠٤ ؛ آصلان آبا ، فنون الترك ، ص٥٢ ، الجاسر ، مدارس حلب ، ص٣٠ ، مرسى ، العمارة الإسلامية ، ص٦٢ ـ ٦٧ ؛ الريحاوى ، العمارة فى الحضارة ، ص١٩١ ـ ١٩٢ ؛ سوفاجيه ، جان ، الآثار التاريخية فى دمشق ، ترجمة أكرم حسن العلبى ، دمشق (١٩٩١م)، ص٧٠ ـ ٧١ ؛ عبو ، عادل نجم ، المدرسة فى العمارة الأيوبية فى سوريا ، الحوليات الأثرية العربية السورية ، المجلد ٢٤ ، الجزءان ١ ـ ٢ ، دمشق (١٩٧٤م)، ص٨٠ ـ ٨١ .

(١٣٢) حيدر ، العمارة ، ص١٠٥ ـ ١٠٦ ؛ الريحاوى ، العمارة فى الحضارة ، ص٢٦٢ ؛ العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها فى سورية ، ص١٤٩ ـ ١٥٤ ؛ مرسى ، العمارة الإسلامية بسورية ، ص٩٤ ـ ١٠١ ؛ سوفاجيه ، الآثار التاريخية ، ص٧٩ ـ ٨١ ؛ عبو ، المدرسة ، ص٨٦ ـ ٨٧ .

وكانت هذه المدرسة مخصصة لفقهاء الشافعية ، أما المدرسة الصاحبية في الصالحية بدمشق قبل ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م ، فهي عبارة عن صحن وأربعة ايوانات متقابلة، وغير ذلك من المفردات والتفاصيل التى اكسبتها طابعا خاصا مغايرا للمدارس الدمشقية السابقة[(١٣٣)] .

أما مدارس حلب فمنها مدرسة شاد بخت[(١٣٤)] (الجوانية وتعرف أيضًا بجامع الشيخ معروف) ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م وهي عبارة عن صحن أوسط مكشوف مستطيل المساحة يشغل ضلعه القبلي المسجد ، وهو عبارة عن مساحة مستطيلة يتوسط صدرها المحراب وتطل هذه المساحة على الصحن بثلاثة عقود أوسطها أوسعها ويسقف المسجد قبة في الوسط وقبوان جانبيان ، ويقابل المسجد ايوان مقبي ، وفي الضلعين الجانبيين للصحن حجرات وممرات ومنافع عامة ، وكانت هذه المدرسة مخصصة لفقهاء المذهب الحنفي . (شكل ٧٩) .

ومنها المدرسة السلطانية[(١٣٥)] (الظاهرية الجوانية) ٦٢٠هـ/ ١٢٢٤م ، وكانت مخصصة لفقهاء الشافعية والحنفية ، وهي عبارة عن صحن مكشوف ومسجد يشغل الضلع القبلي ، يتوسط صدره المحراب ، ويطل على الصحن بثلاثة عقود أوسطها أكبرها ، ويغطى المسجد قبة كبيرة في الوسط ، وقبوان جانبيان ، ويقابل العقد الأوسط للمسجد ايوان المدخل ، وبالضلعين الجانبيين للصحن حجرات ، وملحق بالمدرسة تربة تعلوها قبة أيضًا . (شكل ٨٢) ، أما مدرسة الفردوس[(١٣٦)] بحلب فتعد من أبدع وأروع المدارس الاسلامية عامة ، وفي سوريا خاصة ، وهي عبارة عن صحن مكشوف تتوسطه بركة ماء ، ويشغل الضلع القبلي للصحن مسجد مغطى بثلاث قباب أكبرها

---

(١٣٣) الريحاوي ، العمارة في الحضارة ، ص٢٦٢ ، شكل ١٨٢ .

(١٣٤) الجاسر ، مدارس حلب ، ص١٦٤ - ١٧١ ؛ عبو ، المدرسة ، ص٨١ - ٨٢ ؛ لوفري ، ج ، المدرسة السلطانية في حلب ، دراسة عن عمارتها ، الحوليات الأثرية السورية ، المجلد ٣ ، الجزءان ١ - ٢ ، دمشق (١٩٥٣م)، ص١٠٩ - ١١٣ .

(١٣٥) الجاسر ، مدارس حلب ، ص١٩٠ - ٢٠١ ؛ عبو ، المدرسة ، ص٧٧ - ٨٨ .

(١٣٦) الجاسر ، مدارس حلب ، ص٢٠٩ - ٢٢١ ؛ الريحاوي ، العمارة في الحضارة ، ص٢٧٩ - ٢٨٤ ؛ العمارة العربية الإسلامية ، ص١٣٨ - ١٣٩ ؛؛ عبو ، عادل نجم ، الرباط في العمارة الأيوبية في سوريا ، مجلة كلية الآثار - عدد خاص ، جـ٢ ، القاهرة (١٩٧٨م)، ص٤٠ - ٤٢ .

أوسطها ، وفى الركنين الجانبين حجرتان مربعتان تتصلان بالمسجد من جهة ، وبالحجرات الجانبية للصحن من جهة ثانية ، ويغطى كل حجرة منهما أيضًا قبة ، ويتقدم واجهة المسجد رواق يطل على الصحن ببائكة ثلاثية العقد ، كما يوجد على جانبى الصحن رواقات آخران بواقع رواق بكل جانب يطل على الصحن ببائكة ذات أربعة عقود ، ويوجد خلف كل رواق ثلاث حجرات مغطاة بقباب متماثلة .

أما الجانب المقابل للمسجد فيشغله ايوان المدرسة (الايوان الشمالي) المقبى ، كذلك يحتل الركنين الشماليين للمدرسة جناحين مستقلين ربما كان خاصين بالدراسة والاقامة على غرار ما عرف بعد ذلك فى المدارس المملوكية بالمدارس الفرعية ، كما هو الحال فى مدرسة السلطان حسن بالقاهرة ، ولكن مع الاختلاف فى بعض التفاصيل والمفردات ، كذلك فإن محراب مسجد هذه المدرسة يعد من أروع وأبدع المحاريب فى العمارة الاسلامية بصفة عامة ، كما سنشير فيما بعد . (شكلا ٨٠ ـ ٨١) ، (لوحتا ١٧ ـ ١٨) . وفى ضوء ما تقدم يمكن القول أن الطراز الايوانى فى المدارس السورية قد عولج بطريقة محلية مما أكسبها شخصية مستقلة وطابع مميز خاص بها ، على أن أهم ما يميز المدارس الحلبية عن الدمشقية هو أن مساجد الأولى مغطاه بقبة فى الوسط وقبوين جانبيين غالبا ، أو ثلاث قباب ، أكبرها أوسطها ، أما مساجد المدارس الدمشقية فالغالب عليها الأسقف المسطحة وأحيانا أقبية ، كذلك فإن غالبية المدارس السورية لا تشتمل على مئذنة وإن وجدت فيها فإنها لا ترجع إلى عصر الانشاء وإنما إلى عهود لاحقة[١٣٧] .

٤ ـ الأناضول (أسيا الصغرى) :ـ

أ ـ مدارس المرحلة الأولى :

من المعروف أن المدارس قد انتشرت بدرجة كبيرة فى الأناضول (أسيا الصغري) على يدى الدول الاسلامية هناك ، ومنها الدانشمنديين والارتقيين والسلاجقة والايلخانيين وملوك الطوائف أو البكوات (بگلربگى) وقد حصر بعض العلماء عدد

---

(١٣٧) الجاسر ، مدارس حلب ، ص٣١ .

المدارس الباقية فى الأناضول خلال الفترة من منتصف ق٦هـ/ ١٢م ، إلى أواخر ق٩هـ/ ١٥م بنحو ٦٧ مدرسة(١٣٨) .

ويغلب على تصميم هذه المدارس الطراز الايوانى أيضًا إلا أنها عولجت بطريقة محلية مما أكسبها شخصية مستقلة قائمة بذاتها وطابعا خاصا مميزا لها ، ونستطيع أن نحصر نماذج هذا الطراز فى نمطين رئيسيين ، وذلك على النحو التالى :

ـ **النمط الأول :** وتمثله المدارس الايوانية ذات الصحن المغطى بقبة ، وإذا كانت جذور هذا النمط فى مدرسة كومشتكين فى بصرى ٥٣٠هـ/ ١١٣٦م ، (شكل ٧٧) كما سبق القول .

إلا أن نظرة واحدة إلى النماذج الأناضولية الباقية تؤكد مدى اختلاف أسلوب المعالجة والتصميم مما اكسبها طابعا مغايراً ذو سمة أناضولية محلية خاصة(١٣٩) ، ومن أمثلة ذلك كل من : مدرسة ياغى باسان فى توقات ٥٤٦ ـ ٥٥٢هـ/ ١١٥١ ـ ١١٥٧م، ومدرسته الأخرى فى نيكسار ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م ، وكل منهما عبارة عن صحن مربع مغطى بقبة قطرها فى الأولى ١٤م ، وفى الثانية ١١م ، ويحيط به ايوانين مقبين ولكنهما ليسا متقابلين فضلا عن عدد من الحجرات المقبية (شكل ٣٠٧) .

ومنها مدرسة قرة طاى فى قونية ٦٤٩هـ/ ١٢٥١م ، وهى عبارة عن صحن مغطى بقبة وايوان رئيسى واحد توجد على جانبيه حجرتان مربعتان بواقع حجرة بكل جانب تغطيها قبة (شكلا ٣٠٨ ـ ٣١٠)، (لوحتا ١٧٢ ـ ١٧٣) .

ومثلها فى ذلك مدرسة انجه مناره لى فى قونية ٦٥٩هـ/ ١٢٦١م . إلا إنها تتميز بانه ملحق بها مسجد قبة ذو رواق خارجى (سقيفة) فضلا عن المئذنة (شكلا ٣٠٩ ـ ٣١٠ أسفل) ، (لوحتا ١٧٤ ـ ١٧٥) .

---

(١٣٨) آصلان آبا ، فنون الترك ، ص٩٥ .

(١٣٩) لمزيد من التفاصيل عن مدارس هذا النمط ومفرداتها وخصائصها المعمارية والفنية انظر ، آصلان آبا ، فنون الترك ، ص٩٥ ـ ١٠١ ؛ الريحاوى ، العمارة فى الحضارة ، ص٢٠٨ ـ ٢١٣ ؛ الشعبان ، طلال محمد ، المدارس الباقية فى قونية والقاهرة خلال عصر سلاجقة الروم والمماليك البحرية ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية الآثار ـ جامعة القاهرة (١٩٩٥م)، ص ؛
Kuran, A., Anadolu Medreseleri , I. Cilt, Ankara (1969), PP. 15 - 18, 44 - 59 .

ومنها مدرسة يوسف بن يعقوب فى چاى بولاية افيون ٦٨٠هـ/ ١٢٧٨م؛ ومدرسة ارتكوش فى اتاباى (عطابك) قرب اسبارطه ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م ، ولكن قبة الصحن مقامة على أربعة أعمدة تتوسط الصحن ، والمدرسة ذات ايوان واحد على جانبيه الحجرتان المقببتان .

أما مدرسة جاجا بك فى قير شهر ٦٧١هـ/١٢٧٣م ، فقد بنيت فى الأصل لتكون مرصداً فلكيا ، وتتميز بأنه يحيط بالقبة المركزية ثلاثة ايوانات صغيرة مقبية وغير ذلك من السمات التى تنفرد بها عن المدارس السابقة ، وهو ما سنعود إليه فى كتابنا المفصّل بمشيئة الله تعالى .

ـ **النمط الثانى** (١٤٠): ـ وتمثله المدارس الايوانية ذات الصحن المكشوف ومنها مدارس مفردة وأخرى ملحقة بالمسجد أو المجمعات ، ومنها مدارس توأم (چفته مدرسة) .

ومن أمثلة ذلك المدرسة المسعودية الملحقة بمسجد ديار بكر الجامع ٥٩٥ ـ ٦٢٠هـ/ ١١٩٨ ـ ١٢٢٣م (شكل ٢٣٢) وچفته مدرسة (المدرسة التوأم أو المزدوجة) فى قيصرية ٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م. (شكل ٣١١) .

والمدرسة بمجمع خواندخاتون فى قيصرية ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م (شكلا ٣١٢ ـ ٣١٣)، ومدرسة صرچالى بقونية ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م (لوحة ١٧١) ، ومن العصر الايلخانى المدرسة الخاتونية (چفته مناره أى المنارة المزدوجة أو التوأم) فى أرضروم ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م ، (شكل ٣١٣)، ومن عصر البكوات (أو ملوك الطوائف) المدرسة الملحقة بالجامع الكبير فى مغنيسه (مانيسا) ٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م (عصر بنى صاروخان). (شكل ٢٣٦).

ب ـ مدارس المرحلة الثانية : وتمثلها المدارس التى أنشئت خلال العصر العثمانى سواء كانت مدارس مفردة أو ملحقة بالمساجد أو ضمن المجمعات المعمارية (الكليات) .

---

(١٤٠) لمزيد من التفاصيل عن مدارس هذا النمط ومفرداتها وخصائصها المعمارية والفنية انظر ، آصلان آبا ، فنون الترك ، ص١٠١ ـ ١٠٧ ، ١٥٣ ـ ١٥٤ ، ١٥٩ ؛ الريحاوى ، العمارة فى الحضارة ، ص٢١٣ ـ ٢١٧ ؛ الشعبان ، المدارس الباقية فى قونية ، ص ؛
Kuran, Anadolu, PP. 63 - 113, 116 - 124 , 128 - 130 .

وإذا كانت غالبية مدارس هذه المرحلة تعد إستمراراً لمدارس النمط الثانى من المرحلة الأولى فى مدارس الأناضول (أسيا الصغري) وهى المدارس التى صممت وفق الطراز الايوانى ذو الصحن المكشوف والمشار إليها سابقا ، إلا أنها قد عولجت خلال العصر العثمانى بطريقة خاصة وأسلوب متميز مما اكسبها شخصية مستقلة قائمة بذاتها وطابعا جديداً لا يختلف عليه اثنان فى نسبته إلى معمارى العصر العثمانى ، ومن جهة ثانية فإنه ظهرت خلال ذلك العصر أنظمة معمارية جديدة للمدارس لم يسبق إليها فى عمارة المدارس الاسلامية .

وحسبنا أن نتحدث فى هذه العجالة عن بعض أنماط المدارس(١٤١) الباقية من العصر العثمانى ، وذلك على النحو التالى :

النمط الأول : وهو عبارة عن صحن أوسط مكشوف تحيط به ثلاثة أروقة (بلاطات) مغطاه بقباب أو أقبية بواقع رواق بكل جانب يشرف على الصحن من خلال بائكة ، وتشغل الأضلاع الداخلية لهذه الأروقة خلاوى وهى عبارة عن حجرات مربعة مغطاة بقباب غالبا أو حجرات مستطيلة مغطاة بأقبية أحيانا ، وتشغل هذه الخلاوى ثلاثة أضلاع فقط ، ويحوى هذا النمط قاعة الدرس (درس خانه) وهى اما أن تكون على هيئة حجرة مربعة مغطاة بقبة أو على هيئة ايوان صريح مغطى بقبة أيضًا ، وغالبا ما يكون الايوان أو الحجرة بارزاً عن سمت الجدار ، وهناك نموذجان رئيسيان لهذا النمط: الأول وفيه يظهر تخطيط المدرسة على هيئة حرف U ـ أى أن المدرسة يقتصر تخطيطها على ثلاثة أضلاع فحسب ـ وهو انموذج جديد لم يسبق إليه وتعد أمثلته الباقية قليلة ، ومنها مدرسة سليمان باشا فى ازنيق ٧٣٧هـ/ ١٣٣٦م ، ومدرسة اسحاق باشا فى اينه گول ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م (شكلا ٣١٧ ـ ٣١٨) وغير ذلك .

أما النموذج الثانى فيتميز بوجود أربعة أضلاع للمدرسة ؛ إلا أن الضلع الرابع للصحن يقتصر على الدرس خانة (قاعة الدرس) فحسب ، وغالبا ما تكون على هيئة إيوان صريح مغطى بقبة أو حجرة مغطاة بقبة أحيانا ، وهذا يعنى أن ذلك النموذج يخلو

---

(١٤١) لمزيد من التفاصيل عن مدارس كل من النمطين الأول والثانى انظر الحداد ، محمد حمزة ، بحوث ودراسات (الكتاب الأول)، ص٣١٠ ـ ٣١٥ ؛ موسوعة العمارة الإسلامية ،، المدخل ، ص١٢٨ ـ ١٣١؛ العمارة الإسلامية فى أوروبا العثمانية ، ص٢٢٠ ـ ٢٢٤ .

من وجود الرواق الرابع وخلاوى الطلبة فى هذه الجهة كما هو الحال فى مدرسة بايزيد الأول ضمن مجمعه فى بروسة (أو بورصة) ٧٩٣ ـ ٧٩٨هـ/ ١٣٩٠ ـ ١٣٩٥م ، والمدرسة الخضراء فى بروسه ٨٢٥هـ/١٤٢١م ، ومدرسة السلطان بايزيد الثانى فى استانبول وغير ذلك (شكال ٣١٤ ـ ٣١٦) .

ـ **النمط الثانى** : وهو عبارة عن صحن وأربعة أروقة (بلاطات) بواقع رواق بكل جانب يشرف على الصحن من خلال بائكة ، وتشغل خلاوى الطلبة الأضلاع الداخلية لهذه الأروقة الأربعة ، ويتوسط أحد هذه الاروقة والخلاوى درس خانة ، سواء على هيئة حجرة مربعة مغطاة بقبة أو على هيئة ايوان صريح مغطى بقبة أيضًا ، ومن أمثلة ذلك مدرسة السلطان بايزيد الثانى ضمن مجمعه بادرنه ٨٨٩ ـ ٨٩٤هـ/ ١٤٨٤ ـ ١٤٨٨م (شكل ٢٧٤ رقم 4 شكل ٢٧٤ مكرر) وبعض مدارس السلطان سليمان القانونى ضمن مجمعه باستانبول ٩٥٧ ـ ٩٦٥هـ/ ١٥٥٠ ـ ١١٥٧م ، إلا أن الأروقة مغطاه بأقبية متقاطعة (شكل ٢٨٢ ، المدرستان رقم 6 - 5).

هذا وقد كان لطراز المدارس العثمانية أثره فى الأقطار العربية التى خضعت للحكم العثمانى بدءاً من عام ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م ، وحسبنا أن نشير إلى بعضها ومنها فى مصر المدرسة السليمانية (بالسروجية) ٩٥٠هـ/ ١٥٤٣م ، والمدرسة المحمودية (بشارع بور سعيد) ١١٦٤هـ/ ١٧٥٠م ، وفى المدرسة الأولى ايوان واحد حل محله فى المدرسة الثانية مسجد .

ورغم وضوح التأثير العثمانى فى هاتين المدرستين إلا أن هذا لا يعنى عدم وجود صيغة مصرية محلية فى كليهما[١٤٢]. (شكلا ١٥٩ ـ ١٦٠) . وفى سوريا تقابلنا التكية والمدرسة السليمانيتان بدمشق[١٤٣] ، وقد أنشئت التكية ٩٦٢ ـ ٩٦٧هـ/ ١٥٥٤ ـ ١٥٥٩م، والمدرسة المجاورة لها ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م، ويذكرنا تخطيط التكية

---

(١٤٢) الحداد ، محمد حمزة ، عمائر القاهرة الدينية فى العصر العثمانى ، ضمن كتابنا بحوث ودراسات المشار إليه ، ص٣١٠ ـ ٣١١ .

(١٤٣) الريحاوى ، عبد القادر ، الأبنية الأثرية بدمشق ١ : التكية والمدرستان السليمانيتان بدمشق ، الحوليات الأثرية السورية ، مج ٧ ، جـ١ ـ ٢ ، دمشق (١٩٥٧م)، ص١٢٦ ـ ١٢٨ ؛ العمارة فى الحضارة ، ص٤٩٦ ـ ٤٩٩ ؛ سوفاجيه ، الآثار التاريخية فى دمشق ، ص٩٩ ـ ١٠٢ .

بنموذج المدارس على هيئة حرف U ، ورغم وضوح التأثير العثمانى فى المنشأتين إلا أن هذا لا يعنى عدم وجود صيغة سورية محلية فى كليهما . (شكل ٨٥) .

أما مدرسة عبد الله باشا العظم بدمشق[١٤٤] ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م ، فتعيد إلى ذاكرتنا نمط المدارس ذات الايوان الواحد ، والصحن المكشوف الذى إنتشر فى الأناضول (أسيا الصغري) خلال العصر السلجوقى وما تلاه ، وفى العصر العثمانى ، ولكن على نطاق أصغر فضلا عن أن الايوان يتميز بطابع خاص بين ايوانات المدارس المصممة وفق هذا النمط (وهو ما سوف نعود إليه فى دراسة لاحقة بمشيئة الله تعالي). (شكل ٨٦) .

وفى ليبيا مدرسة عثمان باشا الساقزلى بطرابلس الغرب ١٠٦٤هـ/ ١٦٥٣م ، وزاوية (مدرسة) عمورة بجنزور ١١٣٤هـ/ ١٧٢١م، ومدرسة أحمد باشا القره مانللى ١١٥٠ ـ ١١٥١هـ/ ١٧٣٧ ـ ١٧٣٨م ، ومدرسة قورجى ١٢٤٩ ـ ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٣ ـ ١٨٣٤م ، بطرابلس الغرب أيضًا[١٤٥] .

وإذا كانت هذه المدارس تكاد تتفق مع بعضها فى التخطيط العام إلا أنها تختلف فيما بينها من حيث بعض العناصر والمفردات والتفاصيل (وهو ما سوف نعود إليه فى دراسة لاحقة بمشيئة الله تعالي) . (أشكال ٢٠٥ ، ٢١٠ ـ ٢١٢) .

ـ النمط الثالث : ـ وهو نمط نادر فى عمارة المدارس الاسلامية عامة والعثمانية خاصة ولدينا منه انموذجان : الأول : هو المدرسة المثمنة التخطيط ، والثانى : هو المدرسة التى يجمع تخطيطها بين الشكل المربع من الخارج والمثمن من الداخل ، ولم يتبق من مدارس هذا النمط سوى مدرستين : الأولى : تتبع النموذج الأول وهى مدرسة قابى آغاسى فى أماسيا (الأناضول أو أسيا الصغري) ٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م ، (شكل ٣١٩) ،

---

(١٤٤) الريحاوى ، العمارة العربية الإسلامية ، ص٢٢٩ .

(١٤٥) شقلوف ، مسعود رمضان ، موسوعة الآثار الإسلامية فى ليبيا ، جـ١ ، ص٨١ ـ ٨٢ ، ٩٨ ـ ١٠٧ ؛ البهنسى ، صلاح ، العمارة الدينية فى طرابلس فى العصر العثمانى الأول ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية الآثار ـ جامعة القاهرة (١٩٩٤م)، ص١٤٨ ـ ١٤٩ ؛ نجيب ، محمد مصطفى ، مدرستان مستقلتان بطرابلس الغرب (الساقزلى والكاتب)، مجلة كلية الآثار ، المجلد الخامس ، مطبعة جامعة القاهرة (١٩٩٦م)، ص١٤٥ ـ ١٦٠ ؛ ميسانا ، غاسبرى ، العمارة الإسلامية فى ليبيا، ترجمة على الصادق حسنين ، بيروت ، طرابلس الغرب (١٩٩٨م)، ص٩٨ ـ ١٠٧ .

(لوحة ١٧٥مكرر) ، وكانت هذه المدرسة مصدر الوحى المباشر والرئيسى لابتكار النموذج الثانى وتمثله مدرسة رستم باشا باستانبول لعبقرى العمارة الاسلامية عامة والعثمانية خاصة قوجه معمار سنان عام ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م[١٤٦] ، (شكل ٣٢٠) .

٥ـ أسيا الوسطى :

ترجع أهم المدارس الباقية فى أسيا الوسطى إلى العصرين التيمورى والشيبانى ، ومن المدارس التيمورية المدرسة الملحقة بمجمع گوراميرر بسمرقند ٨٠٧ ـ ٨٠٨هـ/ ١٤٠٤ـ ـ ١٤٠٥م ، ومدرسة اولوغ بك فى بخارى ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م ، ومدرسته الأخرى فى سمرقند ٨٢٠ ـ ٨٢٣هـ/ ١٤١٧ ـ ١٤٢٠م، والمدرسة الغياثية فى خرجرد (باقليم خراسان شرقى ايران) ٨٤٦هـ/ ١٤٤٢م ، وتتكون هذه المدارس من طابقين غالبا[١٤٧] .

ورغم أن هذه المدارس قد صممت وفق الطراز الايوانى الغالب على عمارة المدارس الاسلامية بصفة عامة إلا أنها قد عولجت بطريقة محلية خاصة مما اكسبها طابعا معماريا وفنيا متميزاً ليس فقط فى أسيا الوسطى وايران ، بل وفى عمارة المدارس الاسلامية على الاطلاق ، ويتمثل جوهر التخطيط العام فى هذه المدارس فى وجود الصحن الأوسط المكشوف وتحيط به أربعة ايوانات متماثلة بواقع ايوان يتوسط كل ضلع من الأضلاع الأربعة للصحن ، وفى الفراغات المحصورة بين الايوانات تتوزع الحجرات والغرف فى طابقين ، وإذا كانت المدرسة الغياثية تخلو من وجود المسجد (شكل ٣٢٢) فإن مدرسة أولوغ بك فى سمرقند تشتمل على مسجد خلف الايوان القبلى وهو يجمع

---

(١٤٦) آصلان آبا ، فنون الترك ، ص٢٠٥ ؛ الحداد ، محمد حمزة ، العمارة الإسلامية فى أوروبا العثمانية ، ص٢٢٤ ـ ٢٢٦ ؛ بدر ، متى محمد ، المدارس التركية العثمانية ذات التخطيط المثمن بالتطبيق على مدرستى قابى أغاسى ورستم باشا باستانبول ، ضمن كتاب ندوة الآثار الإسلامية فى شرق العالم الإسلامى ، كلية الآثار (١٩٩٨م)، ص٢٩٤ ـ ٢٩٨ ؛

Goodwin, A History, P. 151 - 152 .

(١٤٧) الريحاوى ، العمارة فى الحضارة ، ص٥٣٤ ـ ٥٣٥ ، ٥٣٧ ـ ٥٣٨ ، ٥٤٣ ـ ٥٤٤ .

Hillenbrand, Islamic, PP. 226 - 228 ., Galombek, L., and Wilber, D., The Timurid Architecture of Iran and Turan, vol I, Princeton - New Jersey (1988), PP. 47 - 48, 73 - 78 .

فى تسقيفه بين الأقبية والقباب وأكبرها الوسطى (شكل ٣٢١) .

كذلك تتميز هذه المدارس باشتمالها على أربع قاعات متماثلة للدراسة فى الأركان الأربعة للمدرسة ، بواقع قاعة بكل ركن منها ، وقد صممت هذه القاعات وفق الطراز الايوانى أيضًا فكل منها عبارة عن مساحة وسطى (صحن أو درقاعة) مربعة مغطاه بقبة ، وتحيط بهذه المساحة الوسطى أربعة ايوانات صغيرة متقابلة ، ومن السمات الأخرى المآذن ، وقد تزود المدرسة بمئذنتين فى ركنى الواجهة الرئيسية كما هو الحال فى المدرسة الغياثية (شكل ٣٢٢) أو أربعة مآذن فى الأركان الأربعة للمدرسة ، كما هو الحال فى اولوغ بك بسمرقند (شكل ٣٢١) .

وقد استمرت المدارس خلال عصر الشيبانيين وما تلاه على نفس النمط الايوانى ، ولكن مع اختلاف المعالجة وبعض العناصر والتفاصيل والمفردات (وهو ما سوف نعود إليه فى دراسة لاحقة بمشيئة الله تعالي(ومهما يكن من أمر فإن عدد الايوانات فى هذه المدارس يتراوح بين ايوان واحد وأربعة ايوانات ، فضلا عن بناء المدارس المتقابلة التى أخذت فى الظهور سواء فى بخارى أو سمرقند وتعرف فى المصطلح (قوش مدرسة) ، وحسبنا أن نشير إلى بعض هذه المدارس ومنها مدرسة براق خان (نوروز أحمد خان المتوفى ٩٦٣هـ/ ١٥٥٥م) فى طشقند (وهى اليوم مقر الإدارة الدينية لمسلمى أسيا الوسطى وكازاخستان) ومدرسة كوكلتاش بطشقند أيضًا ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م . ومدرسة مير عرب فى بخارى ٩٤٢هـ/ ١٩٣٥م ، ومدرسة مادرخان ٩٧٤هـ/ ١٥٦٧م ، ومدرسة عبد الله خان ٩٩٦ ـ ٩٩٨هـ/ ١٥٨٨ ـ ١٥٩٠م ، ومدرسة عبد العزيز خان ١٠٦٢هـ/ ٦٥٢م ، تجاه مدرسة اولوغ بك فى بخارى (شكلا ٣٢٣ ـ ٣٢٤) ، (لوحة ١٥٧) . وفى ريجستان سمرقند أقيمت أمام مدرسة اولوغ بك مدرستان ، الأولى : مدرسة شيردار ١٠٢٩ ـ ١٠٤٦هـ/ ١٦١٩ ـ ١٦٣٦م ، (لوحة ١٥٨) والثانية مدرسة طلا كارى (المزينة بالذهب) ١٠٥٦ ـ ١٠٧١هـ/ ١٦٤٦ ـ ١٦٦٠م(١٤٨) .

---

(١٤٨) الإدارة الدينية لمسلمى أسيا الوسطى ، آثار الإسلام التاريخية فى الاتحاد السوفيتى ، طشقند (١٩٦٢م)، ص٩ ـ ١٢ ؛ عبيد ، شبل إبراهيم ، دراسة أثرية معمارية لمدرسة براق خان بمدينة طشقند، ضمن كتاب ندوة الآثار الإسلامية فى شرق العالم الإسلامى المشار إليه سابقا ، ص١٦٨ ـ ١٧٥ ؛ دراسة أثرية معمارية لمجمع زنكى أتا بقرية زنكى أتا من أعمال طشقند ، مجلة كلية الآداب ـ جامعة حلوان ، العدد السابع ، (يناير ٢٠٠٠م)، ص٦٤٤ ؛
Hillenbrand , Islamic, PP. 228 ' 234 .

أما المدرسة الملحقة بمجمع رنكي أتا بقرية رنكي أتا من أعمال طشقند ١٢٨٦هـ/ ١٨٣٢م فتنفرد بتخطيطها بين مدارس أسيا الوسطي الباقية(١٤٩) المشار إليها سابقا وغيرها وهو ما سوف نعود إلي مناقشته تفصيلا سواء في كتابنا المفصل أو في كتابنا العمارة الإسلامية في المشرق بمشيئة الله تعالي .

٦ـ ايـران :ـ

من المعروف أن ايران كانت من أوائل الأقطار الاسلامية التى ظهرت فيها عمارة المدارس قبل القرن ٤هـ/ ١٠م ، كما يستدل من الإشارات التاريخية فى المصادر المختلفة، وبخاصة كتب البلدانيين والرحالة .

ومنذ العصر السلجوقى وما تلاه انتشرت المدارس فى ايران انتشاراً كبيراً ، وحسبنا فى هذه العجالة أن نشير إلى الخصائص العامة والسمات الرئيسية للمدارس التى أقيمت فى ايران خلال العصرين الصفوى والقاجارى .

ويحسن بنا أن نشير ، بادئ ذى بدء ، إلى أن المساجد الصفوية قامت أيضًا بوظيفة المدرسة سواء كان تخطيطها يتبع طراز المسجد القبة مثل مسجد الشيخ لطف الله بأصفهان أو كان يتبع طراز التخطيط الذى يجمع بين الايوانات والأروقة السابق الإشارة إليها ، ومنها مسجد الشاه (الإمام) ومسجد سرخي ومسجد آقانور ومسجد مصرى ومسجد حكيم بأصفهان وغير ذلك(١٥٠) .

أما المدارس فقد بنيت إما مفردة أو ملحقة بالمساجد أو المنشآت التجارية ، ومن أمثلة هذه وتلك كل من المدرسة السليمانية والمدرسة الناصرية بمسجد الشاه باصفهان ومسجد ومدرسة على أكبر باردبيل ، ومدرسة نجفي الملحقة بمسجد ساروتقي بأصفهان ، ومسجد ومدرسة اقابرزك بقاشان وكروان سراى ، ومدرسة مادر شاه (چهار مدرسة) بأصفهان ، ومدرسة معز الدولة بتهران ، ومدرسة خان بشيراز وغير ذلك(١٥١) .

---

(١٤٩) عبيد ، دراسة أثرية معمارية لمجمع زنكى أتا ، ص٦٣٥ ـ ٦٣٧ ، ٦٤٥ .

(١٥٠) الجميعى ، مساجد أصفهان ، ص١٠٩ ـ ١١٣ ، ١٤٦ ـ ١٤٧ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ـ ١٦٨ ، ٢١٤ ـ ٢١٦ ، ٢٣٥ ، ٢٥٣ ، ٢٧٢ ، ٢٨٦ ـ ٢٨٧ ، ٥٣٢ .

(١٥١) الجميعى ، مساجد أصفهان ، ص١٧٦ ، ٢٠٥ ـ ٢٠٦ ، ٢١٠ ، ٢٤٠ ؛
Hillenbrand, Islamic , PP. 234 - 235 .,
قباديان ، بررسى اقليمى أبنية سنتى ايران، ص٢٤١ ـ ٢٥٧؛ هنرفر ، كنجينه آثار تاريخى أصفهان =

وعن التخطيط العام لهذه المدارس فانه من الملاحظ أن غالبيتها قد صممت وفق الطراز الايواني إلا أنها قد عولجت بطريقة محلية خاصة ، مما أضفي عليها شخصية مستقلة قائمة بذاتها وطابع خاص بها مميز لها فضلا عن الخصائص المعمارية والسمات الفنية التي يتميز بها الطراز الايراني خلال العصرين الصفوى والقاجارى ، وبصفة خاصة المداخل والعقود والقباب والايوانات والمحاريب والنقوش الزخرفية والكتابية وغير ذلك مما سنشير إليه اجمالاً فى هذا الكتاب وتفصيلاً سواء فى كتابنا المفصل فى تاريخ الحضارة الإسلامية أو العمارة الإسلامية فى المشرق بمشيئة الله تعالى .

وبعض هذه المدارس عبارة عن صحن اوسط مكشوف (حياط وفق الاصطلاح الفارسى) تحيط به أربعة ايوانات ويوجد خلف ايوان القبلة غالبا الكنبدخانة كما هو الحال فى مدرسة مادرشاه (چهارباغ) ١١١٨هـ/ ١٧٠٦م ، بأصفهان (شكل ٣٥٥) ومدرسة شهيد مطهرى ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م ، وتتوزع بيوت الطلاب فيما بين الايوانات إلا أن هناك بطبيعة الحال بعض الاختلاف فى التفاصيل والمفردات والعناصر والمعالجة ، ومن ابرزها تصميم الكنبد خانه فى كل من المدرستين المشار إليهما فضلا عن الملحقات الأخرى .

ومن المدارس التى تشتمل فقط على الصحن والايوانات الأربعة دون وجود الكنبدخانة مدرسة خان فى شيراز ، كما أن القباب الأربع بأركان المدرسة قد صممت بطريقة مغايرة لمثيلتها فى مدرسة مادر شاه .

وتتميز مدرسة خان بشيراز بوجود مئذنتين بطرفي الواجهة الرئيسية وهي فى ذلك مثل مدرسة مادر شاه بأصفهان إلا أن المئذنتين بهذه المدرسة الأخيرة توجدان على جانبى ايوان القبلة .

وهناك مدارس عبارة عن صحن (حياط) مكشوف ، وبيوت الطلبة وكتابخانة (الكتاب) ومنها مدرسة ميرزا على اكبر فى أردبيل ق١٣هـ/ ١٩م ، أو تشتمل على صحن (حياط) مكشوف وبيوت الطلبة ودرس خانه (قاعة الدرس) ومنها مدرسة نجفى الملحقة بمسجد ساروتقي بأصفهان ؛ ومدرسة أقا بزرك بقاشان ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧م .

= ص ٤٧٠ ـ ٤٧٥ ، ٥٥٣ ـ ٥٥٦ ، ٥٨٩ ـ ٥٩٢ ، ٦١٠ ، ٦٤٩ ـ ٦٥٠ ، ٦٦٠ ـ ٦٦٧ ، ٦٨٥ ـ ٧٢٢ ؛ مهر آبادى ، آثار ملى أصفهان ، ص٤٣١ ـ ٥٠٩ ؛ گنجنامه ، دفتر سوم ، بناهاى مذهبى تهران (١٩٩٨م)، ص ٤٠ ـ ١٣٩ .

أما عن بقية المدارس والأنماط الأخرى للتخطيط فضلا عن خصائصها المعمارية وسماتها الفنية فسوف نتطرق إليها على النحو السابق الإشارة إليه .

٧ـ الغرب الاسلامى :

من الثابت تاريخيا أن المدارس قد وجدت طريقها إلى أقطار الغرب الاسلامى خلال عصر الدولة الموحدية ٥٢٤ ـ ٦٦٨هـ/ ١١٣٠ ـ ١٢٦٩م ، وبدأت أول ما بدأت على يد أول خلفائهم عبد المؤمن بن على ٥٢٤ ـ ٥٥٨هـ/ ١١٣٠ ـ ١١٦٣م ، فى المغرب الأقصى ، وهو ما يستدل عليه من خلال الإشارات التاريخية ومشاهدات الرحالة ، ومنهم الحسن بن محمد الوزان الفاسى المعروف بليون الافريقي ، ومارمول كرفچال ، فضلا عن بعض النصوص الوقفية (الحبسية حسب الاصطلاح المغربي) ، إلا أن هذه المدارس للأسف قد اندرست ولم يتبق منها أى آثر . وخلال العصر المرينى انتشرت المدارس فى المغرب الأقصى انتشاراً كبيراً ، وبذلك أضحى المرينيون أعظم بناة المدارس فى الغرب الاسلامى عامة والمغرب الأقصى خاصة[١٥٢] ، وقد شيدت المدارس المرينية الباقية فيما بين ٦٧٤ ـ ٧٥٦هـ/ ١٢٧٥ ـ ١٣٥٥م [١٥٣]، وفى تونس يرجع الفضل إلى الحفصيين (ورثة الموحدين في تونس) فى إنشاء المدارس بها ، منها المدرسة الشماعية التى أنشأها أبو زكريا يحيي الأول فى حدود عام ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م ، حسب رواية ابن الشماع[١٥٤] ، وقد قام بتجديدها الداى أحمد خوجه (١٠٥٠ ـ ١٠٥٧هـ/ ١٦٤٠ ـ ١٦٥٧م ، وما زالت قائمة حتى الآن ، ومنها المدرسة التوفيقية قبل ٦٥٧هـ/ ١٢٦١م ، والمدرسة المعرضية والعصفورية والمغربية والمرجانية والعنقية وغيرها ، إلا أن أشهر

---

(١٥٢) عن الأراء المختلفة التى أثيرت حول موضوع نشأة المدارس فى الغرب الإسلامى وفيما إذا كانت قد عرفت قبل العصر المرينى من عدمه انظر ، الكحلاوى ، المدارس المغربية ، مجلة العصور ، المجلد ٦ ، جـ١ ، جمادى الثانى ١٤١١هـ/ يناير ١٩٩١م)، ص   ؛ أبو رحاب ، محمد السيد ، مدارس المغرب الأقصى فى عصر بنى مرين ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية الآداب بسوهاج ، جامعة جنوب الوادى (١٩٩٩م)، ص٨٢ ـ ٨٣ ، ٩٢ ـ ١٠١ ؛ مراد ، حسين سيد عبد الله ، الأوقاف مصدراً لدراسة مجتمع فاس فى العصر المرينى ، القاهرة (٢٠٠٢م)، ص٧٧ ـ ٨١ .

(١٥٣) أبو رحاب ، مدارس المغرب ، ص١٠٩ .

(١٥٤) ابن الشماع ، أبو عبد الله محمد بن أحمد ، الأدلة البينة النورانية فى مفاخر الدولة الحفصية ، تحقيق وتقديم الطاهر محمد المعمورى ، الدار العربية للكتاب (١٩٨٤م)، ص٥٦ .

المدارس الحفصية هى المدرسة المنتصرية (نسبة إلى الخليفة أبى عبد الله محمد المنتصر (٨٢٧ ـ ٨٣٩هـ/ ١٤٣٤ ـ ١٤٣٥م) وأكملها ابنه الخليفة أبى عمرو عثمان (٨٣٩ ـ ٨٩٣هـ/ ١٤٣٥ ـ ١٤٨٨م من بعده) فيما بين ٨٣٨ ـ ٨٤٠هـ/ ١٤٣٤ ـ ١٤٣٦م ، وهى عبارة عن صحن أوسط تحيط به أربعة ايوانات(١٥٥) .

أما عن طراز المدارس الحفصية الأخرى وغيرها من المدارس التى أنشئت فى العصر العثمانى ، فقد أفردنا لها دراسة مفردة سوف تنشر فى القريب بمشيئة الله تعالى .

أما الأندلس فإنه رغم ما شهدته من ازدهار الحركة العلمية والفكرية فيها بشكل منقطع النظير كما هو ثابت ومعروف ؛ إلا أن المدارس لم تعرف طريقها إليها إلا فى عصر دولة بنى نصر أو بنى الأحمر فى غرناطة ـ وهى آخر القواعد الأندلسية الكبرى وبسقوطها ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م ، انتهت دولة الاسلام بالأندلس) ، وكان ذلك على يد حاجب السلطان أبو الحجاج يوسف ، وهو الحاجب أبى النعيم رضوان النصرى ، فهو الذى أحدث المدرسة بغرناطة ولم تكن بها بعد على حد قول صاحب الإحاطة ، وقد عرفت هذه المدرسة بالمدرسة النصرية أو المدرسة اليوسفية وكان انشاؤها عام ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م(١٥٦).

أما عن المدارس المرينية(١٥٧) الباقية بالمغرب الأقصى فيمكن أن نحصرها فى نمطين رئيسيين وهما :

أ ـ النمط الأول : وهو المدرسة المسجد ، ويقصد به تلك المدارس التى وقفت للدراسة والتعليم وخصصت كمسجد للصلوات الخمس فحسب (ومما له دلالته أن هذا المكان الذى خصص للصلاة فى المدارس المغربية قد عرف باسم القبة ، وهو ما تؤكده النقوش الكتابية المسجلة على لوحات الحبوس (الأوقاف) ومنها نقوش المدرسة

---

(١٥٥) المعمورى ، الطاهر ، جامع الزيتونة ومدارس العلم فى العهدين الحفصى والتركى ، الدار العربية للكتاب (١٩٨٠م)، ص٨١ ـ ٩٠ .

(١٥٦) ابن الخطيب ، لسان الدين أبو عبد الله محمد (ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) ، الإحاطة فى أخبار غرناطة ، المجلد الأول ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، القاهرة (١٩٧٣م)، ص٥٠٨ ؛ شبانة ، محمد كمال ، يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة ، القاهرة (١٩٦٩م)، ص٩٨ ـ ٩٩ .

(١٥٧) لمزيد من التفاصيل عن الدراسة الوصفية والتحليلية للمدارس المرينية بالمغرب الأقصى انظر ، الكحلاوى ، المدارس المغربية ، ص٧١ ـ ١١١ ؛ أبو رحاب ، مدارس المغرب الأقصى ، ص١٥٤ ـ ٣٥٣ ؛ Hillenbrand, Islamic, PP. 242 - 251 .

المصباحية بفاس القديمة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م)[١٥٨]، ومن ثم كان لا يسمح لأحد ـ غير طلبتها ـ من الدخول إليها والانتفاع بمرافقها ومنافعها كالمسجد والميضأة ، وقد صرح بذلك بعض الفقهاء المغاربة فمنهم من قال أن بناء مسجد فى المدرسة كان لتمييزها عن الفنادق أو الخانقاوات ، ومنهم من أضاف قائلا أن مسجد المدرسة ليس فى الحكم كغيره من المساجد المباحة لعموم المسلمين ، ولهذا قيل فى الآذان فيها ما قيل[١٥٩] .

ومن الملاحظ أن هذا النمط كان هو الغالب والسائد خلال العصر المرينى ، ولذلك لم تزود كل المدارس بمنبر أو مئذنة باستثناء مدرسة الصفارين ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م ، فهى المدرسة الوحيدة التى زودت بمئذنة تعلو كتلة المدخل الرئيسى بالواجهة الشمالية للمدرسة[١٦٠] .

هذا وتتميز مدارس هذا النمط بصغر مساحتها وبساطة تخطيطها فهى عبارة عن صحن أوسط مكشوف يشغل ضلعه الجنوبى غالبا القبة (مسجد المدرسة) وتخطيطها قد يكون مجرد مساحة مستطيلة مسقوفة لا تحوى سوى المحراب مثل مدرسة الشهود أو القاضى بمكناس ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م ، ومدرسة الصهريج بفاس القديمة ٧٢١ ـ ٧٢٣هـ/ ١٣٢١ ـ ١٧٢٣م ، ومدرسة أبى الحسن بمكناس ٧٣٦ ـ ٧٤٢هـ/ ١٣٣٦ ـ ١٣٤١م .

وقد تكون مساحة مربعة تحوى محرابا مثل مدرسة الصفارين بفاس القديمة ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م ، أو مساحة مربعة لا تحوى محرابا ، كما هو الحال فى المدرسة المصباحية بفاس القديمة ٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م ، وقد كان ذلك راجعا إلى أن القبة وضعت بالجهة الشمالية للصحن ، ومن ثم فإن جدار القبلة (الجنوبي) أصبح هو الذى يطل على الصحن ، ولذلك إستبدل المحراب بفتحة باب الدخول التى تصل القبة بالصحن .

وقد تكون القبة (مسجد المدرسة) عبارة عن مساحة مستطيلة تقسم إلى بلاطتين (رواقين) غير متساويتين غالبا بواسطة بائكة ترتكز عقودها على الأعمدة أو الدعامات أو كليهما كما هو الحال فى مدرسة دار المخزن ـ أى القصر الملكى ـ بفاس الجديدة ٧٢٠ ـ ٧٢١هـ/ ١٣٢٠ ـ ١٣٢١م ، والبائكة ذات خمسة عقود حدوة الفرس ، ومدرسة

---

(١٥٨) عن : أبو رحاب ، مدارس المغرب ، ص٢٥١ ، ٢٥٥ .

(١٥٩) عن : أبو رحاب ، مدارس المغرب ، ص٢٩٥ ـ ٢٩٦ .

(١٦٠) الكحلاوى ، المدارس ، ص ؛ أبو رحاب ، مدارس المغرب ، ص٣٠٠ .

العطارين بفاس القديمة ٧٢٣ ـ ٧٢٥هـ/ ١٣٢٣ ـ ١٣٢٥م ، والبائكة ذات ثلاثة عقود حدوة الفرس (ومن الملاحظ أن قبة مدرسة العطارين (أى مسجد المدرسة) تشغل الجهة الشرقية للصحن ويتوسط المحراب جدارها الجنوبي) .

وفى بعض النماذج تقسم قبة المدرسة (مسجد المدرسة) إلى ثلاثة بلاطات (أروقة) أوسطها أوسعها وذلك بواسطة بائكتين عموديتين على جدار القبلة ويرتكز عقدى البائكتين على دعامتين مستطيلتين مدمجتين فى كل من الجدارين الشمالى والجنوبى ، كما هو الحال فى مدرسة أبى الحسن فى سلا ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م .

ومن الملاحظ فى جميع الحالات السابقة أن واجهة قبة المدرسة (مسجد المدرسة) قد حجبت بالكامل عن الصحن باستثناء فتحات الدخول ، سواء كانت فتحة واحدة أو ثلاث فتحات ، أكبرها أوسطها ويغلق عليها حجاب من خشب الخرط ، كذلك فإن واجهة قبة المدرسة المطلة على الصحن كانت ترتفع إلى ما يوازى ارتفاع بيوت الطلبة سواء كانت من طابقين أو ثلاثة طوابق كما سنشير فيما بعد .

أما عن الأضلاع الثلاثة الأخرى للصحن فكانت تشغلها بطبيعة الحال أروقة تتقدم بيوت الطلبة غالبا ، وهى إما أن تكون عبارة عن رواقين فى الضلعين الجانبيين للصحن (وهما الضلع الغربى والضلع الشرقي) غالبا بواقع رواق بكل ضلع ، كما هو الحال فى كل من مدرسة الشهود أو القاضى بمكناس ومدرسة الصفارين بفاس القديمة ومدرسة الصهريج بفاس القديمة ومدرسة دار المخزن بفاس الجديدة ، وتتقدم هذه الأروقة بيوت الطلبة فى هذه المدارس ، وهى تتكون من طابقين أو ثلاثة طوابق . ويستثنى من ذلك مدرسة العطارين بفاس القديمة ، حيث يوجد الرواقان فى الضلعين الشمالى والجنوبى للصحن ، بواقع رواق بكل ضلع ، لأن قبة المدرسة (مسجد المدرسة) تشغل الجهة الشرقية للصحن، كما سبق القول .

ولا يوجد بهذه المدرسة بيوت للطلبة فى طابقها الأرضى ، وبالتالى فإن هذان الرواقان لا يتقدمان بيوتا للطلبة ، كما هو الشائع ، وهى فى ذلك مثل مدرسة أبى الحسن بسلا حيث تتوزع بيوت الطلبة على الطابقين الأول والثانى .

وفى بعض النماذج الأخرى تشغل الأروقة الأضلاع الثلاثة للصحن (الشمالى

والشرقي والغربي) ، كما هو الحال في مدرسة أبي الحسن في مكناس ٧٣٦ ـ ٧٤٢هـ/ ١٣٣٦ ـ ١٣٤١م ، بواقع رواق بكل ضلع يتقدم بيوت الطلبة وهي من طابقين (أرضي وأول) .

وفي انموذج آخر توجد في الأضلاع الأربعة للصحن أربعة أروقة بواقع رواق بكل ضلع ، وهذا يعني أن قبة المدرسة (مسجد المدرسة) يتقدمها رواق كما هو الحال في مدرسة أبي الحسن في سلا وعلى ذلك فهي تعد النموذج الوحيد الذي يشتمل على رواق يتقدم قبة المدرسة (المسجد)، ومن جهة ثانية فإن الطابق الأرضي لا يشتمل على بيوت للطلبة ، ولذلك فقد وزعت البيوت في الطابقين الأول والثاني من ثلاث جهات : الشرقية والغربية والشمالية (١٦١).

ب ـ النمط الثاني : وهو المدرسة الجامع ، ويقصد به تلك المدارس التي خصصت للدراسة والتعليم ووقفت مسجداً جامعًا مباحًا لعموم المسلمين ، ومن ثم زودت بمنبر ومئذنة ومصلى جنائزي وميضأة خارجية بخلاف الميضأة الداخلية ، ولا توجد سوى مدرسة واحدة تتبع هذا النمط وهي المدرسة البوعنانية (أو الفارسية أو المتوكلية) بفاس القديمة ٧٥١ ـ ٧٥٦هـ/ ١٣٥٠ ـ ١٣٥٥م .

وقد امتازت هذه المدرسة بكبر حجمها وبعظمتها وفخامة واثراء نقوشها الزخرفية ، وقد زارها الرحالة ابن بطوطة ووصفها بقوله « ... لا نظير لها في المعمور اتساعا وحسنا وابداعا وكثرة ماء وحسن وضع ، ولم أر في مدارس الشام ومصر والعراق وخراسان ما يشبهها »(١٦٢) .

وهذه المدرسة تعد من أعظم المدارس الاسلامية عامة وفي الغرب الاسلامي والمغرب خاصة وتخطيطها بصفة عامة عبارة عن صحن أوسط مكشوف يشغل ضلعه الجنوبي قبة المدرسة (المسجد الجامع بالمدرسة) وهي عبارة عن مساحة مستطيلة قسمت بواسطة بائكة واحدة ذات خمسة عقود حدوة الفرس موازية لجدار القبلة إلى بلاطتين (رواقين) موازيين لجدار القبلة وهما غير متساويتين من حيث المساحة ويسقفهما سقف خشبي منشوري الشكل ويطل المسجد على الصحن ببائكة ذات خمسة عقود حدوة الفرس العقدان الأول

---

(١٦١) الكحلاوي ، المدارس ، ص ؛ أبو رحاب ، مدارس المغرب ، ص٢٨٦ ـ ٢٩٩ ، ٣٠٤ ـ ٣٣٠ .
(١٦٢) ابن بطوطة الرحلة ، ص٦٦٢ .

والأخير يتوجان المدخلين الموصلين لداخل المسجد . وتشغل الأضلاع الثلاثة الأخرى للصحن (الشرقي والغربي والشمالي) ثلاثة أروقة ، بواقع رواق بكل ضلع ، ويتميز الرواقان الشرقي والغربي بأنه يتوسطهما قاعتان شبه مربعتين للدراسة بواقع قاعة بكل جهة ، وهاتان القاعتان متماثلتان ومتناظرتان ، ويغطي كل قاعة منهما قبة خشبية ذات ضلوع مشعة ، وبكل قاعة فتحة باب تطل على الصحن يغلق عليها باب خشبي من مصراعين ، هذا وتتقدم أروقة الصحن الثلاثة بيوت الطلبة وهي من طابقين : الأرضي يشتمل على ١٤ بيتًا والطابق الأول يشتمل على ٣٥ بيتًا[١٦٣] . (شكلا ٢٠٩ ـ ٢٠٩ مكرر) .

أما عن مدارس عصر الأشراف السعديين فحسبنا أن نشير إلى مدرسة ابن يوسف بمراكش (المدرسة الغالبية) التي أمر بانشائها السلطان السعدي الغالب بالله عام ٩٧٢هـ/ ١٥٦٤م ، وتعد هي الأخرى من المدارس الرائعة المتميزة ، وهي عبارة عن صحن أوسط مكشوف يشغل ضلعه الجنوبي قبة المدرسة (مسجد المدرسة) وهي عبارة عن مساحة مستطيلة قسمت إلى ثلاثة بلاطات (أروقة) أوسطها أوسعها ، وذلك عن طريق بائكتين تتكون كل بائكة منهما من ثلاثة عقود حدوة الفرس عمودية على جدار القبلة ، ويشغل الضلعان الجانبيان للصحن (الشرقي والغربي) رواقان بواقع رواق بكل ضلع يطل على الصحن ببائكة ذات خمسة عقود ، وبيوت الطلبة من طابقين وقد وزعت في الطابق الأرضي على ضلعي المدرسة الغربي والشرقي منفصلة تماما عن صحنها الأوسط ، ومن ثم صار كل عدد من البيوت يطل على صحن داخلي مستقل ، وبذلك وصل عدد الصحون الصغيرة بالمدرسة إلى ستة صحون ، ثلاثة بالضلع الغربي ومثلها بالضلع الشرقي . (شكل ٢٠٨) .

ويبلغ عدد بيوت الطابق الأرضي ٥٤ بيتا والطابق الأول ٨٦ بيتا في ثلاث جهات، الشمالية والشرقية والغربية[١٦٤] . أما عن السمات المعمارية والفنية للعناصر المعمارية

---

(١٦٣) الكحلاوي ، المدارس ، ص ؛ أبو رحاب ، مدارس المغرب ، ص٢٥٨ ـ ٢٨٥ ؛ الريحاوي ، العمارة في الحضارة ، ص٣٨٤ ـ ٣٨٧ .

(١٦٤) أبو رحاب ، مدارس المغرب ، ص٤٢٤ ـ ٤٣٥ ؛ العمارة الدينية والجنائزية الباقية للإشراف السعديين بالمغرب الأقصى ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية الآداب بسوهاج ، جامعة جنوب الوادي (٢٠٠٥م)، ص٣٢٠ ـ ٣٤٥ ؛ خصيف ، محمد ، مدرسة ابن يوسف أكبر مدرسة عتيقة بالمغرب العربي ، مجلة المتحف العربي ، السنة الثالثة ، العدد الثالث (جمادى الأولى ـ رجب ١٤٠٨هـ/ يناير ـ مارس ١٩٨٨م)، ص٥٢ ـ ٥٧ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن المدارس السعدية الأخرى ، انظر ، أبو رحاب ، العمارة الدينية ، ص٣٤٦ ـ ٣٥٦ .

والنقوش الكتابية والزخرفية المنفذة على كافة المواد فسوف نشير إليها اجمالاً فى كتابنا هذا فيما بعد ، وتفصيلا فى كتابنا المفصّل بمشيئة الله تعالى .

٨ ـ اليمن :ـ

من الثابت والمعروف تاريخيا أن المدارس قد وجدت طريقها إلى اليمن فى أواخر العصر الأيوبى ٥٦٩ ـ ٦٢٦هـ/ ١١٧٣ ـ ١٢٢٩) حينما أنشئت للملك المعز إسماعيل بن طغتكين مدرستين احداهما فى تعز وسماها المدرسة السيفية نسبة إلى ابيه سيف الاسلام طغتكين المتوفى ٥٩٣هـ/ ١١٩٧م ، والأخرى فى زبيد عام ٥٩٤هـ/ ١١٩٨م ، وقد عرفت بالمدرسة المعزية نسبة إليه ثم عرفت فيما بعد بمدرسة الميلين[١٦٥] .

وفى العصر الرسولى (٦٢٦ ـ ٨٥٨هـ/ ١٢٢٠ ـ ١٤٥٤م) انتشرت المدارس انتشاراً كبيراً فى تعز والجند وذى جبلة وزبيد وعدن ونواحيها وامتدت إلى ظفار الحبوضى شرقا وإلى مكة المكرمة شمالاً ؛ وعلى ذلك كانت المدارس الرسولية سمة من سمات دولتهم ومظهراً بارزاً من مظاهر الحضارة الاسلامية فى عصرهم .

واستمر انشاء المدارس بعد بنى رسول فى عهد الدولة الطاهرية فبنيت مدارس فى جبن ورداع وتعز وزبيد والمقرانة ، وظل الحال على ذلك خلال العصر العثمانى حيث بنيت مدارس فى صنعاء وزبيد[١٦٦] .

ويمكن تقسيم المدارس اليمنية الباقية إلى مجموعتين[١٦٧] متميزتين : الأولى :

---

(١٦٥) الأكوع ، القاضى إسماعيل بن على ، المدارس الإسلامية فى اليمن ، بيروت ـ صنعاء ، ط٢ (١٩٨٦م)، ص٥م ـ ٦م ؛ شيحة ، مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية فى الجمهورية اليمنية ، ص٨٥ .

(١٦٦) لمزيد من التفاصيل عن انتشار المدارس الإسلامية فى اليمن من العصر الرسولى إلى العصر العثمانى انظر ، الأكوع ، المدارس الإسلامية فى اليمن ، (٤٥٣ صفحة فضلاً عن الفهارس والمصادر والمراجع) .

(١٦٧) عن الدراسة الوصفية والتحليلية للمدارس اليمنية بمجموعتيها انظر ، شيحة ، مدخل ، ص٨٦ ـ ١٠٧ ؛ دراسة مقارنة بين المدرسة المصرية والمدرسة اليمنية ، ضمن كتاب تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية المشار إليه سابقا ، ص٤٣٨ ـ ٤٦٧ ؛ أبو الفتوح ، محمد سيف النصر ، نظرة عامة إلى المدارس اليمنية تخطيطاتها وعناصرها المعمارية ، مجلة الأكليل ، السنة ٣ ، العدد ١ ، صنعاء (١٩٨٥م) ، ص ؛ المدرسة الدعاسية بمدينة زبيد باليمن ، مجلة كلية الآداب بقنا ـ العدد ٢، جامعة أسيوط، (١٩٩٢م) ، ص٨٤ ـ ١٢٦ ؛ الراشد ، عبد الله ، المنشآت المعمارية الرسولية فى اليمن ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الملك سعود بالرياض (١٩٩٢م)؛ المصرى ، آمال =

المدارس الكبرى ، والثانية : المدارس الصغرى ، ومن المدارس التى تنتمى إلى المجموعة الأولى : المدرسة المعتبية بتعز قبل ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م ، والمدرسة الأشرفية الكبرى بتعز ٨٠٠ ـ ٨٠٣هـ/ ١٣٩٧ ـ ١٤٠٠م ، والمدرسة الظاهرية بتعز قبل ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م ، والمدرسة المنصورية فى جبن ٨٨٧هـ/ ١٤٨٢م، والمدرسة العامرية فى رداع ٨٩٤هـ/ ١٤٨٩م .

ومن المدارس التى تنتمى إلى المجموعة الثانية المدرسة المنصورية العليا والمدرسة المنصورية السفلى بزبيد قبل ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م، والمدرسة الدعاسية بزبيد قبل ٦٦٧هـ/ ١٢٦٩م، والمدرسة الجبرتية بزبيد قبل ٨٠٦هـ/ ١٤٠٣ ، والمدرسة النظارية فى اب ٩٢١هـ/ ١٥١٥م ، والمدرسة الوهابية فى زبيد ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م .

ومن مدارس العصر العثمانى المدرسة الكمالية ٩٢٧ ـ ٩٣٠هـ/ ١٥٢٠ ـ ١٥٢٣م، والمدرسة السكندرية قبل ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م ، فى زبيد والمدرسة البكيرية ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦م ، فى صنعاء . أما عن تخطيط هذه المدارس فيمكن القول أن المدارس الكبرى تكاد تتفق فيما بينها من حيث السمات العامة والتخطيط العام مع الاختلاف فى بعض العناصر والمفردات والتفاصيل ، حيث يوجد صحن أوسط مكشوف (الصوح أو الصرحة أو الشماسى أو الشمسية حسب الاصطلاح اليمني) ، تحيط به الأروقة من ثلاث جهات كما فى المدرسة المعتبية فى تعز أو أربع جهات كما فى المدرسة العامرية فى رداع .

ويشغل صدر المدرسة (الضلع الشمالى للصحن وهو الضلع القبلى بالنسبة لليمن) مسجد المدرسة (البنية وفق الاصطلاح اليمني) أو مجلس قبلى على ضوء ما ورد فى الوقفية الغسانية ، ويتبع تخطيطه إما الطراز الذى اصطلحنا على تسميته بطراز القلب والجناحين ، أو على حد قول الوقفية الغسانية مجلس قبلى وجناحان شرقى وغربى ،

= حامد ، مدارس مدينة تعز باليمن فى عصر بنى رسول ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة (١٩٩٨م) ؛ الحداد ، عبد الله عبد السلام ، مدينة حيس اليمنية ، تاريخها وآثارها الدينية ، القاهرة (١٩٩٩م)؛ مقدمة فى الآثار الإسلامية ، ص٣٤ ـ ٣٦ ؛ وبطبيعة الحال فإنه لا يمكن الاستغناء عن كتاب المدارس الإسلامية فى اليمن للقاضى الأكوع فهو عصب دراسة المدارس اليمنية لا سيما وأنه قد اعتمد على الوقفية الغسانية وهى من أهم المصادر لدراسة المدارس اليمنية كما لا يخفى.

وتعلو المجلس القبلى قبة كبيرة فيها المحراب ـ أى بصدر المجلس القبلى ـ محمولة على أربعة عقود ، أما الجناحان فبكل جناح أربع قباب كما هو الحال فى المدرسة الأشرفية الكبرى بتعز (شكل ٢٩) .

والمدرسة الظاهرية قبل ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م ، بتعز أيضًا . واستمر نفس هذا الطراز فى العصر العثمانى ، ولكن على مقياس أصغر كما هو الحال فى المدرسة الكمالية والمدرسة السكندرية بزبيد ، فالقلب تعلوه قبة كبرى بينما يشتمل كل جناح على قبتين متماثلتين ، ومن الملاحظ أيضًا فى هاتين المدرستين وجود الصحن المكشوف والأروقة الأربعة حوله . (شكل ٣٠) .

ويتبع التخطيط الآخر لمساجد المدارس اليمنية الكبرى الطراز الذى اصطلحنا على تسميته بطراز الأروقة (البلاطات) المتقاطعة حيث توجد بائكة ذات ثلاثة عقود موازية لجدار القبلة تقطعها بائكتان عموديتان على جدار القبلة وهو الأمر الذى نتج عنه رواقين موازيين يتقاطع معهما ثلاثة أروقة عمودية ، ويغطى المسجد ست قباب متماثلة غالبا كما هو الحال فى المدرسة المعتبية فى تعز والمدرسة العامرية فى رداع .

ومن مفردات التخطيط فى هذه المدارس أيضًا الايوانات والدهاليز والخانقاة والحمامات والمطاهير وفى بعضها كالأشرفية الترب وغير ذلك من المنافع والمرافق والملحقات وهو الأمر الذى اكسب المدارس اليمنية طابعا محليا متميزاً وشخصية مستقلة قائمة بذاتها وهو ما سوف نعود إليه لابرازه فى دراسة لاحقة مفصّلة بمشيئة الله تعالى .

أما فى المدارس الصغرى فالمسجد فيها إما أن يكون على هيئة مساحة مستطيلة يتوسط صدرها المحراب ، كما هو الحال فى المدرسة المنصورية العليا فى زبيد أو تقسم هذه المساحة إلى رواقين (بلاطتين) بواسطة بائكة واحدة ذات خمسة عقود كما هو الحال فى المدرسة الياقوتية فى زبيد والتغطية غالبا ما تكون الأقبية ، وهناك بعض النماذج التى غطيت بقبة مركزية كما فى المدرسة الدعاسية والمدرسة الوهابية فى زبيد ، وإن كانت هذه المدرسة الأخيرة تتميز بوجود ايوانين جانبيين صغيرين (شرقى وغربى) يطل كل ايوان منهما على المساحة الوسطى بعقد ليساعدا مع العقدين الأخرين (الشمالى والجنوبي) فى إقامة القبة الوسطى المركزية .

أما المدرسة البكيرية بصنعاء فتتميز بأنه يتقدم مسجدها المغطى بقبة كبرى رواق خارجي (سقيفة) مغطى بثلاث قباب صغيرة متماثلة يشرف على الفناء (الصوح أو الصرحة) المكشوف[١٦٨] ، كما سبق القول . (شكل ٢٧) .

---

(١٦٨) الحداد ، محمد حمزة ، بحوث ودراسات (الكتاب الأول)، ص١١٨ ، ١٥١ ؛ خليفة ، ربيع حامد ، البكيرية المسجد والمدرسة ، الأكليل ، السنة ٥ ، العدد ١ ، صنعاء (صيف ١٩٨٧م)، ص١٣٤ - ١٤٤ ؛ (فضلا عن المراجع المشار إليها سابقا وبصفة خاصة الأكوع وشيحة وأبو الفتوح) .

ثالثًا : العمارة المدنية :-

تحتل العمارة المدنية مكانة هامة فى دراسة العمارة الإسلامية بصفة عامة ، وعلى الرغم من كثرة أنواع العمائر المدنية التى تفيض بذكرها المصادر التاريخية والوثائق المختلفة ، إلا أن نماذجها الباقية قليلة ، ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى أن العمائر المدنية بأنواعها المختلفة كانت كالكلأ المباح يستحله لنفسه من يشاء من ذوى القوة والسيطرة والجاه والنفوذ ، ومن ثم كان عرضة للهدم والاندثار والاحلال والتغيير سواء فى العصور الوسطى ذاتها أو فى عصرنا الحديث المكتظ بالطرز المعمارية العديدة التى تسربت إلينا فافسدت علينا طرازنا الإسلامى الموروث ، وهو الطراز الذى كان وما يزال وسيظل صالحًا وملائمًا ومناسبًا لبيئتنا من جهة ولعاداتنا وتقاليدنا الإسلامية والشرقية من جهة ثانية .

ومهما يكن من أمر فإنه من خلال دراسة هذه النماذج الباقية نستطيع التعرف على أنواع العمائر المدنية المختلفة وطرزها وتخطيطها ووحداتها ومفرداتها وعناصرها المعمارية والزخرفية ، وهو الأمر الذى يمكن فى ضوئه معرفة نشأة كل نوع من هذه الأنواع ومراحل تطوره والتأثيرات المختلفة التى اثرت عليه من جهة ، والنشاطات المختلفة التى كانت تمارس فى كل نوع من جهة ثانية .

وفيما يلى نتناول أنواع العمائر المدنية السابق الإشارة إليها وذلك على النحو التالى :

١ - العمائر الخيرية :

يقصد بتلك العمائر تلك الأبنية التى أنشئت رغبة فى التقرب إلى الله سبحانه وتعالى وأملا فى ثواب الآخرة ، وذلك بفعل الخير ومن ثم سبّلها أصحابها أي وقفوها في سبيل الله تعالى أى بغير أجرة ، وهذا يعنى أن تلك الأبنية كانت لا تدر دخلا للواقف يتصرف فيه كيف يشاء ، ومن أشهر أنواع هذه العمائر أو الأبنية الخيرية أسبلة الماء أو الأسبلة كما هو معروف وشائع .

وقبل أن نحدد أنواع هذه العمائر أو الأبنية الخيرية ينبغى أن نشير أولاً إلى قضية هامة ألا وهى : قضية إختلاف الآراء حول تفسير مدلول لفظة السبيل وأصل إشتقاقها

من جهة ، وارتباطها بنوع خاص معروف وشائع ـ وهو أسبلة الماء ـ من جهة ثانية .

أما من حيث مدلول اللفظة وأصل إشتقاقها فيرى البعض أنها مشتقة من أسبل الماء بمعنى صبه وأسبل المطر بمعنى هطل(١٦٩) ، بينما يرى البعض الآخر أن هذه الأسبلة إشتقت تسميتها من ابن السبيل أى الطريق(١٧٠) .

وعلى ضوء هذا التفسير إنحصرت لفظة السبيل وصارت إصطلاحًا على نوع خاص من المنشآت المائية ، هو المعروف والشائع باسم السبيل أو السقاية ـ وهذه التسمية الأخيرة شائعة فى الغرب الإسلامى ـ ولم يقف الأمر عند ذلك الحد فحسب ، بل وصل الأمر إلى القول أن تسمية الكتاب بمكتب السبيل إنما ترجع إلى بنائه أعلى السبيل أو لارتباطه بهذا الموضع(١٧١) .

والحق أن لفظة السبيل لم يكن يقصد بها ، خلال العصور الوسطى الإسلامية ، ذلك المبنى المخصص لشرب الماء فحسب ، كما هو شائع ومعروف ، ومن جهة ثانية فإن هناك نماذج كثيرة من الكتاتيب لا تعلو أسبلة ، ومع ذلك عرفت فى وثائق الوقف المختلفة ، فضلاً عن المصادر التاريخية ، وبصفة خاصة كتب التاريخ المحلى والخطط والرحالة ، بمكتب السبيل(١٧٢) .

وفى ضوء ذلك يمكن القول أن لفظة السبيل كانت إصطلاحًا مرتبطًا بالعديد من

---

(١٦٩) الباشا ، مدخل إلى الآثار الإسلامية ، ص١٦٣ ؛ الكحلاوى ، محمد محمد مرسى ، السقايات المغربية بمدينتى فاس ومراكش ، دراسة أثرية مقارنة مع الأسبلة المملوكية بالقاهرة ، مجلة كلية الآداب بقنا ، جامعة جنوب الوادى ، العدد الرابع (١٩٩٥م)، ص٣١٩ ؛

Mostafa, S. L., The Cairene Sabil, Muqarnas, vol 6, Leiden, Brill, E. J, (1989), P. 34 .

(١٧٠) عثمان ، محمد عبد الستار ، أسبلة القاهرة المملوكية ، مجلة المتحف العربى ، السنة ٢ ، العدد ٣ ، الكويت (جمادى الأولى ـ رجب ١٤٠٧هـ/ يناير ـ مارس ١٩٨٧م) ص٨٦ .

(١٧١) أمين ، محمد محمد ، الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر عصر سلاطين المماليك ، القاهرة (١٩٨٠م)، ص٢٦٢ ـ ٢٦٣ ؛ عثمان ، محمد عبد الستار ، نظرية الوظيفية بالعمائر الدينية المملوكية الباقية بمدينة القاهرة ، الإسكندرية (٢٠٠٠م)، ص٣٤٧ ؛ أبو رحاب ، مدارس المغرب الأقصى فى عصر بنى مرين ، ص٣٧٤ .

(١٧٢) الحداد ، محمد حمزة ، الطراز المصرى لعمائر القاهرة الدينية خلال العصر ا لعثمانى ، رسالة دكتوراه، غير منشورة ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة (١٩٩٠م)، ص٥٤ ـ ٥٥ .

الأبنية التي وقفت سبيلاً لله تعالى ، وذلك رغبة في التقرب إليه عز وجل ، وأملاً في ثواب الآخرة ، ومن هذه الأبنية ما خصص لتوفير المياه كل يوم وعلى مدار العام كله للإنسان والحيوان كالسقايات والأسبلة وأحواض السبيل ، ومنها ما خصص لتعليم الأيتام والفقراء وغيرهم كمكاتب السبيل (الكتاب) ، ومنها ما خصص لإقامة الغرباء والفقراء كخانات السبيل ، ومنها ما خصص لطحن الغلال كطاحون السبيل وغير ذلك .

هذا ولم ترتبط هذه اللفظة بتلك الأبنية فحسب ، وإنما إرتبطت أيضًا بالعديد من أوجه الأنشطة الخيرية الأخرى ، ومن بينها ، على سبيل المثال وليس الحصر ، المصاحف المسبلة والتوابيت المسبلة ، والسواقي المسبلة والترب والمدافن المسبلة ، وغير ذلك مما ورد في وثائق الوقف والمصادر التاريخية المختلفة[(١٧٣)] .

ونضيف على ما تقدم فنذكر أن لفظة السبيل عرف بها الماء أيضًا فقيل له « الماء المسبل أي المجعول في سبيل الله[(١٧٤)] » ، كذلك هناك المال المسبل ـ أي الموقوف في سبيل الله تعالى ـ وغير ذلك[(١٧٥)] .

ومما له دلالته في هذا الصدد أن هذه الأبنية التي وقفت وخصصت لتوفير المياه العذبة لينتفع بها في سقي الناس كل يوم وعلى مدار العام كله ، تعد الأبنية الخيرية الوحيدة التي ظل لفظ السبيل ملتصقًا بها حتى طغى على ما عداه من مصطلحات أخرى ، ولا سيما خلال العصر المملوكي ، ويؤكد ذلك الفاسي بقوله : « بمكة وحرمها عدة سقايات وتسمى أيضًا السبل بسين مهملة وباء موحدة مضمومتين جمع سبيل وشهرتها عند الناس بالسبل أكثر وهي كثيرة ، إلا أن بعضها صار لا يعرف لخرابه وبعضها معروف مع الخراب[(١٧٦)] » ونضيف على ذلك فنذكر أن هذه اللفظة لا تزال

---

(١٧٣) الحداد ، عمائر القاهرة الخيرية في العصر العثماني ضمن أعمال ندوة أندريه ريمون ، القاهرة (ابريل ٢٠٠٥م) ، قيد النشر .

(١٧٤) مبارك ، علي باشا ، ت١٣١١هـ/ ١٨٩٣م ، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة ، جـ٦ ، القاهرة ، ط٢ (١٩٨٧م) ، ص١٦٦ .

(١٧٥) ابن أحمد الفراهيدي ، أبي عبد الرحمن الخليل ، ت١٧٥هـ/ ٧٩١م ، كتاب العين ، جـ٧ ، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي ، بيروت (١٩٨٨م) ، ص٢٦٣ .

(١٧٦) الفاسي ، تقي الدين محمد بن علي ، ت٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م ، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، جـ١ ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، بيروت (١٩٨٥م) ، ص٥٣٨ ـ ٥٣٩ .

عالقة فى أذهان الناس ، خاصتهم وعامتهم إلى اليوم ، ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى إستمرار هذا النوع من الأنشطة الاجتماعية فى القيام بوظيفته الخيرية خير قيام ، وهو الأمر الذى كان من نتيجته ابتكار أشكال وأنماط من هذه الأسبلة بما يتناسب مع التقنيات الحديثة والمعاصرة ، وهو ما نشاهده فى الأقطار العربية المختلفة مثل مصر والسعودية والكويت والإمارات وغيرها .

أما ما عداها من الأبنية أو المنشآت الخيرية الأخرى ، السابق الإشارة إليها ، فلم يعد الناس ـ بما فيهم من بعض المتخصصين ـ يذكرونها سوى باسمها المجرد المرتبط بوظيفتها فحسب ، لا بدلالتها الخيرية التى كانت تعرف بها حتى أوائل القرن ١٤هـ/ ٢٠م ، مثل المكتب أو الكتاب بدلاً من مكتب السبيل أو كتاب السبيل ، والطاحونة بدلاً من طاحونة السبيل ، وحوض الدواب أو حوض سقى الدواب بدلاً من حوض السبيل والخان بدلاً من خان السبيل وغير ذلك .

ومهما يكن من أمر فإن هذه العمائر أو المنشآت الخيرية قد نهضت بدور بارز جليل الشأن فى خدمة المجتمعات الإسلامية المختلفة خلال العصور المتعاقبة وحتى أوائل القرن ١٤هـ/ ٢٠م .

غير أن ما يعنينا من هذه العمائر الخيرية فى هذا المقام ، هو أسبلة الماء ، وهى التى كانت تعرف بالسقايات خلال القرون الخمسة الأولى بعد الهجرة ، ثم إنتشرت واشتهرت باسم الأسبلة منذ أواخر القرن ٥هـ/ ١١م ولا سيما فى الشام ومصر والجزيرة العربية ، وفي ايران باسم سقاخانه وفي الأناضول اسيا الصغرى باسم چشمة ؛ أما أقطار الغرب الإسلامى فقد ساد وإنتشر فيها مصطلح السقاية وصار علمًا ـ أى ذلك المصطلح ـ على ذلك النوع من الأبنية أو المنشآت الخيرية هناك .

ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل ظهرت بضعة مترادفات أخرى ، ولا سيما فى الجزيرة العربية والشام ومصر ، ومنها المحسنة والمعروف ، والأول منها انتشر فى اليمن خاصة(١٧٧) ، بينما عرف المصطلح الآخر فى الشام والحجاز ومصر ، ورغم أن هذه

---

(١٧٧) انظر على سبيل المثال ، الحجرى ، الحاج محمد بن أحمد ، مساجد صنعاء عامرها وموفيها ، بيروت، ط٢ ، (١٩٧٧م)، ص٣٠ ـ ٣١ .

المترادفات تؤكد الدلالة الخيرية وتتطابق معها فى ذات الوقت ، إلا أنها لم تلق من الذيوع والانتشار ما لقيه مصطلح السبيل فى هذه الأقطار العربية الإسلامية الثلاثة ، ومن ثم إقتصر وورد هذان المصطلحان وغيرهما على المصادر التاريخية ، فضلاً عن بعض النقوش الإنشائية التى لا تزال باقية حتى الآن(١٧٨) .

هذا وقد حظيت أسبلة الماء بالعناية الفائقة سواء من حيث إختيار موقعها ، أو من حيث عمارتها ، أو من حيث حليتها وكسوتها ، أو من حيث الأوقاف الكثيرة المغلة التى أوقفت عليها كى يصرف من ريعها المبرور على أوجه الصرف المختلفة لإستمرار منفعتها ودوامها .

وكان يتولى تسبيل الماء وتوزيعه على الناس موظف خاص يعرف بالمزملاتى ، وقد اشترطت فيه ، كما ورد فى كثير من الوثائق المملوكية ، شروطًا خلقية وخُلقية كأن يكون سالمًا من العاهات والأمراض ، وأن يسهل الشرب على الناس ، ويعاملهم بالحسنى والرفق ، ليكون أبلغ فى إدخال الراحة على الواردين ، كما كان يتعهد الرخام والدهاليز فى السبيل بالكنس والمسح وتبخير الأوانى ، وعليه أن يفتح السبيل فى المواعيد المقررة، حيث كان السبيل يجب أن يظل مفتوحًا طوال النهار من شروق الشمس حتى غروبها ، وأحيانًا من بعد الغروب إلى أن تمضى حصه من الليل ، عندما يأوى الناس إلى مساكنهم ، وتنقطع الرجل عن الطرقات ، أما فى شهر رمضان فكان تسبيل الماء يستمر من وقت الغروب إلى ما بعد صلاة التراويح ، ثم من وقت التسبيح إلى الفجر .

وكانت أسبلة الماء تزود بالعديد من الأدوات لتقوم بوظيفتها خير قيام ، ومنها سلب الليف أو الكتان والإسفنج والبخور والمكانس والأدلية الجلد والبكر وأنية الشرب والكيزان والأباريق والقلل الفخار والطشوت والأسطال النحاس وغير ذلك مما ورد فى وثائق الوقف المختلفة(١٧٩) .

وارتبطت أسبلة الماء بالبيئة التى تقام فيها فمنها ما أقيم فوق آبار تجمع فيها مياه

---

(١٧٨) ومن أهمها النقش الإنشائى للسبيل الملحق بخانقاة وقبة السلطان الأشرف قانصوه الغورى على رأس شارع الغورية عند تقاطعه مع شارع الأزهر بالقاهرة ٩٠٩ ـ ٩١٠هـ/ ١٥٠٣ ـ ١٥٠٤م .

(١٧٩) أمين ، الأوقاف والحياة الاجتماعية ، ص١٥١ ـ ١٥٤ ؛ عثمان ، نظرية الوظيفية ، ص١٥١ ـ ١٥٢ ؛ الحسينى ، محمود حامد ، الأسبلة العثمانية بمدينة القاهرة ١٥١٧ ـ ١٧٩٨م ، القاهرة (١٩٨٨م)، ص٣٠٣ ـ ٣٠٧ ، ٣٥٤ .

الأمطار ، كما كان عليه الحال فى الحجاز والقدس[(١٨٠)] ، ومنها ما أقيم فوق صهاريج مبنية فى تخوم الأرض تنقل إليها مياه الأنهار العذبة كما كان عليه الحال فى أسبلة القاهرة حيث كانت تنقل إليها من نهر النيل ، وفى مدن أخرى كان يسقى ماء الجمد مسبلاً كما كان عليه الحال فى سمرقند (جمهورية أوزبكستان بآسيا الوسطي) حيث كان فى المدينة وحيطانها فيما يشتمل عليه السور الخارج زيادة على ألفى مكان يسقى فيها ماء الجمد مسبلاً ما بين سقاية مبنية وحباب نحاس منصوبة وقلال خزف مثبتة فى الحيطان[(١٨١)] .

أما من حيث طرز الأسبلة فلدينا منها طرز بسيطة فى العمارة والزخرفة ، ومنها طرز مركبة جمعت بين روعة التخطيط والمهارة فى الإبداع والتأنق الزخرفى والجمالى .

وحسبنا فى هذه العجالة أن نشير إلى بضعة نماذج من هذه وتلك .

ومن ذلك طراز الچشمة وتوجد منه أنماط بسيطة ترجع إلى العصر السلجوقى فى الأناضول (سلاجقة الروم) وما تلاه (لوحتا ١٧٨ ـ ١٧٩) وأنماط متطورة تعد تحفًا معمارية وفنية ترجع إلى العصر العثمانى ، وبصفة خاصة فى تركيا والبلقان ، سواء كانت مفردة فى القصور والحدائق (لوحة ١٩٦) أو مدمجة مع السبيل ذى الشبابيك فى مبنى واحد بحيث تتوسط الچشمات المبنى ، بينما توضع الشبابيك فى الأركان[(١٨٢)] (لوحة ١٩٥) .

كذلك فإن بعض الچشمات الباقية فى قبرص (چشمة غازي باشا في ليماسول) تعيد إلى الأذهان ما يعرف بطراز التربة المفتوحة فى العمارة الإسلامية[(١٨٣)] .

ومن نماذج هذا الطراز فى المدن العربية الأسبلة السليمانية فى القدس الشريف[(١٨٤)] (لوحة ٢٩) .

---

(١٨٠) انظر دراساتنا عن الأسبلة فى الحجاز والقدس الشريف ومنها الأسبلة فى العمارة الإسلامية بمكة المكرمة والمدينة المنورة ، القاهرة (٢٠٠٤م)، (٧٦ صفحة فضلاً عن الأشكال واللوحات)؛ الأسبلة السليمانية الباقية بالقدس الشريف ، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، الرسالة ١٩٩، الحولية ٢٣ ، مجلس النشر العلمى ، جامعة الكويت (١٤٢٣ ـ ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢ ـ ٢٠٠٣م)، (١٤٤ صفحة) .

(١٨١) ابن حوقل ، أبى القاسم ، كتاب صورة الأرض ، القاهرة ، د ت ، ص٣٨٦ ؛ الاصطخرى ، أبى اسحق إبراهيم ، المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر الحينى ، القاهرة ، ط٢ (٢٠٠٤م)، ص١٦٣ .

(١٨٢) الحداد ، محمد حمزة ، العمارة الإسلامية فى أوروبا العثمانية ، ص٢٤٢ ـ ٢٤٩ .

(١٨٣) الحداد ، العمارة الإسلامية ، ص٢٤٤ .

(١٨٤) الحداد ، الأسبلة السليمانية ، المشار إليها فى الحاشية رقم ١٨٠ .

وبالقدس نماذج فريدة للأسبلة ومنها السبيل المعروف بالكأس(١٨٥)، ومنها سبيل السلطان قايتباى وهو يعيد إلى الأذهان صورة القباب الجنائزية فى أواخر عصر المماليك الچراكسة أو كما يقال طراز مصرى غرس فى أرض شامية(١٨٦) .

أما أسبلة القاهرة فمنها الأسبلة ذات الشاذروانات أو السلسبيل (لوحات ٧٤ ـ ٧٥ ، ٨٠) ومنها الأسبلة دون الشاذروانات أو السلسبيل (لوحتا ٦٩ ، ٨١)، وتحتوى هذه وتلك على عدد من شبابيك التسبيل يتراوح ما بين شباك واحد وثلاثة شبابيك ، بأرضية كل منها ـ من الداخل حوض المياه ، كذلك عرفت القاهرة فى العصر العثمانى الأسبلة ذات الواجهة المقوسة أو نصف الدائرية (لوحة ٨٢) .

هذا وتبنى أسبلة القاهرة اما منفردة أو مستقلة ومن أشهرها سبيل قايتباى بالصليبة أو ملحقة بغيرها من العمائر الدينية والمدنية والجنائزية الأخرى مثل المساجد والمدارس والخوانق والدور والقصور والترب والقباب ، وقد يبنى فوق حجرة السبيل مكتب للسبيل (كتاب) غالبًا وأحيانًا يحل محل المكتب مفردات ووحدات أخرى لا مجال للحديث عنها هنا .

وتميزت أسبلة القاهرة بحلياتها الزخرفية سواء فى الواجهات عامة والمداخل خاصة ، أو فى داخل حجرة التسبيل من الأرضيات والجدران والأسقف ودخلة الشاذروان وقبلة الشاذروان ـ وذلك فى الأسبلة التى تشتمل على هذا العنصر ـ والشبابيك من النقوش الكتابية والزخرفية ، كالأشرطة الكتابية والرنوك (الدروع والخراطيش)، (لوحة ٧٦) والجفوت والكرندازات ، والدوائر والجامات الزخرفية والزخارف النباتية والهندسية المنفذة على كافة المواد الحجرية والرخامية والخشبية ، فضلاً عن الخزف (البلاطات الخزفية أو الزليج فى الغرب الإسلامي) .

---

(١٨٥) العسلى ، كامل جميل العسلى ، من آثارنا فى بيت المقدس ، عمان (١٩٨٢م)، ص٢٢٩ ـ ٢٣٠ ؛ عبد الدايم ، عبد العزيز ، بيت المقدس فى العصر الأيوبى ، القاهرة (١٩٨٩م)، ص١٩٦ ـ ١٩٧ .

(١٨٦) العسلى ، من آثارنا ، ص٢٤٨ ـ ٢٥٥ ؛
Kessler, C., The Fountaine of Sultan Qaytbay in the Sacred Precinct of Jerusalem, in Archaeology in the levant, England, (1978), PP. 213 - 257 .
نجيب ، محمد مصطفى ، دراسة جديدة على سبيل السلطان اينال المندثر والسبيل الحالى للسلطان قايتباى بالحرم الشريف بالقدس ، القاهرة (١٩٨٨م)، ص٧ ـ ٤٥ ؛ الحداد ، محمد حمزة ، القدس وأندر الآثار الإسلامية ، الهلال ، فبراير (١٩٩٦م) ، ص١٠٣ ـ ١٠٧ .

ولا ننسى السقايات المغربية بشخصيتها المستقلة وطابعها المعمارى والزخرفى المتميز ، ومن بينها سقاية سيدى فرج بفاس ٨٤٠هـ/ ١٤٣٩م، من العصر المرينى ، وسقاية جامع المواسين بمراكش ٩٧٠ ـ ٩٨٠هـ/ ١٥٦٢ ـ ١٥٧٢م ، وسقايتان بجامع القرويين بفاس : السقاية الشرقية ٩٨٦هـ/ ١٠١٢م ، والسقاية الغربية ١٠٢٢ ـ ١٠٣٤هـ/ ١٦٠٣ ـ ١٦٢٤م ، من عصر الأشراف السعديين .

وسقايتان بمدرسة الشراطين ١٠٨١هـ/ ١٦٦٩م ، من عهد الأشراف العلويين أو الفلاليين وغير ذلك(١٨٧) .

ومن بين الآيات القرآنية الكريمة التى نقشت على الأسبلة ﴿ عيناً فيها تسمى سلسبيلاً ﴾ ﴿ ويسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ ﴿إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا ﴾ ﴿وسقاهم ربهم شرابهم طهورا ﴾ .

ومن بين الأشعار :

ياوارد الماء الزلال الصافى   اشرب هنيئا صحة وعوافى

ومن التراث الغنائى : عطشان يا صبايا دلونى على السبيل .

وهكذا كانت أسبلة الماء من بين العمائر أو المنشآت التى قامت بدور بارز فى تحقيق الرعاية الاجتماعية فى الحضارة الإسلامية : ذلك الدور الذى يعبر عن روح الإسلام وقيمه ومثله، والتى لولا نظام الوقف ما نجحت فى تحقيق ذلك الدور واستمرار المنفعة ودوامها، وهو الأمر الذى نتمنى أن يعود وينتشر من جديد بعون الله سبحانه وتعالى وبتوفيقه .

---

(١٨٧) الكحلاوى ، السقايات المغربية ، ص٣٣٠ ـ ٣٥٧ .

٢ ـ عمائر المنافع العامة :

أ ـ مقياس النيل بالقاهرة :

كان الهدف من إنشاء المقاييس هو قياس مناسيب المياه فى نهر النيل ، لمعرفة مقدار ارتفاعها من عدمه (الزيادة أو النقصان) نظراً لعلاقتها الوثيقة بمواسم الزراعة ؛ وبالتالى رى الأراضى الزراعية وما يرتبط بذلك من رخاء البلاد أو قحطها ، ومن ثم كان يتوقف على مقدار هذه الزيادة تقدير الخراج (ضريبة الأراضي) ، فإذا بلغت الزيادة ١٦ ذراعًا كان ذلك عام وفاء النيل ، وتقام الاحتفالات بوفاء النيل ويتم تخليق المقياس (بالزعفران والمسك) ويكسر الخليج[١٨٨] ـ أى يحفر السد حتى يجرى الماء فى الخليج (وهو خليج أمير المؤمنين الذى ردم فى أواخر القرن ١٩م ، ويعرف موضعه بشارع الخليج المصرى وحاليا بشارع بور سعيد) وشارع السد بالسيدة زينب لا يزال يحمل اسمه حتى الآن ـ ويعم الفرح والسرور جميع طبقات الشعب حكاما ومحكومين خاصتهم وعامتهم على السواء كما أشرنا عند دراسة مظاهر الحياة الاجتماعية فى الحضارة الإسلامية فى الباب الأول من هذا الكتاب .

أما إذا لم يوف النيل فيصيب الناس القلق والفزع ويزيد الغلاء وترتفع الأسعار ؛ بل ويذبح المسكين بغير سكين على حد قول ابن إياس .

ومهما يكن من أمر فإن مقياس النيل الحالى هو أقدم آثر باق على حالته الأصلية فى مصر الإسلامية من عصر الولاة (٢١ ـ ٢٥٤هـ/ ٦٤١ ـ ٨٦٨م) .

ـ الموقع :ـ

يقع هذا المقياس فى الطرف الجنوبى الشرقى من جزيرة الروضة بحى المنيل بالقاهرة.

---

(١٨٨) سليم ، محمود رزق ، النيل فى عصر المماليك ، القاهرة (١٩٦٥م) ، ص٤٥ ـ ٦٧ ؛ المناوى ، محمد حمدى ، نهر النيل فى المكتبة العربية ، القاهرة (١٩٦٦م) ، ص١٤٧ ـ ١٥٤ ، ١٥٨ ـ ١٦٥ ؛ قاسم، قاسم عبده ، النيل والمجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، القاهرة (١٩٧٨م) ، ص١٦ ـ ١٨ ، ٤٠ ، ٤٣ ـ ٤٦ .

ـ المنشئ :ـ

أمر بانشاء هذا المقياس الخليفة العباسى المتوكل على الله عام ٢٤٧هـ/ ٨٦١م ، على يدى أحمد بن محمد الحاسب مهندس المقياس ؛ وقد توالت عليه أعمال الاصلاح والتجديد والترميم والاضافة وتنظيف البئر ورفع ما كان يتراكم بقاعه من الطمى وغير ذلك ، ومن ذلك فى حدث فى عام ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م ، على يد أحمد بن طولون ، وعام ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م ، على يد بدر الجمالى فى عهد الخليفة الفاطمى المستنصر بالله (ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) وبنى إلى جواره جامعًا عرف بجامع المقياس (مندرس الآن) .

وفى العصر المملوكى البحرى أقيمت قبة لهذا المقياس فى عهد السلطان الظاهر بيبرس ، وفى عهد السلطان الچركسى الأشرف قايتباى تم ترميمه واصلاحه ، واستمر ذلك خلال العصر العثمانى على يدى على بك الكبير وحمزة باشا ، ثم فى فترة الاحتلال الفرنسى لمصر (١٧٩٨ ـ ١٨٠٠م) ثم فى عهد أسرة محمد على ، على يدى وزارة الأشغال (نظارة الأشغال) المصرية ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م و١٣١١هـ/ ١٨٩٣م ، ومصلحة المبانى وتفتيش رى الجيزة ولجنة حفظ الآثار العربية ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م ، وفى عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م ، أقيمت القبة الحالية للمقياس وهى قبة خشبية مخروطية الشكل تزدان بنقوش زخرفية ملونة ومذهبة[(١٨٩)] .

ثم قام المجلس الأعلى للآثار المصرية بترميم المقياس والأبنية المجاورة له .

ولهذا المقياس أهمية أثارية سواء من حيث تخطيطه العام أو من حيث عناصره المعمارية ونقوشه الكتابية والزخرفية .

ـ **التخطيط :ـ** يعد هذا المقياس من أجل الأعمال المعمارية الهندسية ، فهو عبارة عن بئر عميقة يصل عمقها إلى نحو ١٢م وعرض فوهتها المربعة (الطابق الثالث)

---

(١٨٩) نوار ، سامى محمد ، المنشآت المائية بمصر منذ الفتح الإسلامى وحتى نهاية العصر المملوكى ، الإسكندرية (١٩٩٩م)، ص١٨ ـ ٢٣ ؛ عبد الرازق ، العمارة الإسلامية فى العصرين العباسى والفاطمى ، القاهرة (١٩٩٩م) ، ص٨٤ ـ ٨٩ ؛ تاريخ مصر وآثارها الإسلامية ، القاهرة (١٩٩٣م)، ص٧٨ ـ ٨٢ .

نحو ٦م ، وقد شيدت جدرانها على طبلية من جذوع الأشجاع الضخمة ، وقد حملت هذه الطبلية أحجار البناء المتقنة النحت وهى من نوع الأحجار المبوصة . وصممت هذه البئر على ثلاثة طوابق الأول ـ وهو السفلى ـ دائرى والثانى ـ وهو الأوسط ـ مربع طول ضلعه أكبر من قطر الدائرة والثالث ـ وهو العلوى ويمثل فى ذات الوقت فوهة البئر ـ مربع ولكن ضلعه أكبر من ضلع الطابق الثانى (الأوسط)، ويدل هذا التدرج فى سمك الجدران على دراية ومعرفة بالنظرية الهندسية الخاصة بازدياد الضغط الأفقى للأتربة على الجدران ، كلما ازداد عمقها ، ولهذا السبب بنيت جدران البئر بحيث يزيد سمكها قلما ازداد عمقها فى الأرض .

كذلك فإن المونة التى استخدمت فى لصق أحجار البناء المتقنة النحت ظلت تقاوم التحلل بفعل الماء فترة تزيد على أحد عشر قرنا من الزمان . ويجرى حول جدران البئر من الداخل درج يصل إلى القاع ، ويتصل البئر بالنيل بواسطة ثلاثة أنفاق يصب ماؤها فى البئر من خلال ثلاث فتحات فى الجانب الشرقى بعضها فوق بعض حتى يظل الماء ساكنا فى البئر ، وقد صممت واجهاتها على هيئة دخلات غائرة فى الجدران ، متوجة بعقود مدببة ذات مركز ترتكز على أعمدة مندمجة فى الجدران ذات تيجان وقواعد ناقوسية أو كأسية الشكل .

هذا وقد وضع فى محور البئر وفوق الطبلية (القاعدة) الخشبية عمود رخامى مرتفع بارتفاع البئر حيث يصل ارتفاعه إلى نحو عشرة أمتار ونصف المتر ، وعلى ذلك يمكن القول بأن الطبلية الخشبية التى شيدت كاساس ارتفعت فوقه جدران البناء كما سبق القول ، قد استخدمت فى نفس الوقت كقاعدة يرتكز عليها العمود الأوسط بحيث لا يتعرض للهبوط أو الزحزحة من مكانه إذا كان له أساس منفصل . مما يدل على العبقرية الهندسية فى ذلك الوقت .

كذلك فقد ثبت العمود من أعلى بكمرة أو رباط خشبى ثبت طرفاها بجدران فوهة (الطابق الأعلى) ، وعمود المقياس ذو قطاع متعدد الأضلاع وقد حفرت عليه علامات تمثل الأذرع والقراريط التى تعين ارتفاع منسوب الماء فى البئر وبالتالى منسوبه فى النيل الذى يتصل بالبئر من خلال الأنفاق الثلاثة المشار إليها .

ومن الواضح أن أعمال البناء فى المقياس قد إستغرقت ما يقرب من ستة أشهر

وهى الفترة ما بين هبوط النيل إلى الحد الذى يكاد يجف فيه تماما فرع النيل بين الروضة والفسطاط وبين فيضانه مرة أخرى(١٩٠) .

ـ العناصر المعمارية والنقوش :ـ

تتجلى أهمية المقياس من هذه الناحية فى النقاط التالية :

١ ـ يشتمل المقياس على أقدم مثل مؤرخ للعقد المدبب ذو المركزين فى مصر ، وهو يتوج الدخلات الأربع المشار إليها سابقا .

٢ ـ قاعدة الأعمدة الركنية المندمجة التى اتخذت الهيئة الكأسية أو الناقوسية الشكل تعد أقدم انموذج باق لها فى مصر .

أما عن أقدم انموذج لها فى العمارة الإسلامية فيوجد فى سامرا ، ولدينا بعد ذلك نماذج لاحقة كثيرة سواء لقواعد الأعمدة أو لتيجانها .

٣ ـ يشتمل هذا المقياس على أقدم النقوش الكتابية التسجيلية المحفورة والمسجلة على العمائر الإسلامية فى مصر ومنها نقوش الجانبين الشمالى والشرقى ، وترجع إلى المتوكل العباسى ٢٤٧هـ/ ٨٦١م ، ونقوش الجانبين الجنوبى والغربى وترجع إلى أحمد بن طولون ٢٥٩هـ/ ٨٧٣م(١٩١).

---

(١٩٠) شافعى ، العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، ص٣٩١ ـ ٣٩٣ ؛ العمارة العربية الإسلامية ، ص٣٣ ـ ٣٤ ؛ عبد الرازق ، العمارة الإسلامية ، ص٨٥ ـ ٨٦ ؛ تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، ص٨٠ ـ ٨١.

(١٩١) انظر : شافعى ، العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، ص٣٩٣ ؛ جمعة ، إبراهيم ، دراسة فى تطور الكتابات الكوفية على الأحجار فى مصر فى القرون الخمسة الأولى للهجرة ، القاهرة (١٩٦٩م) ، ص١٩٢ ـ ١٩٦ .

الفصل الثانى

الفنون الزخرفية الاسلامية

مقدمة :

الفن هو لسان الحياة والدليل الناطق عليها فأينما وجد الانسان على سطح الأرض وجد الفن معه ، فمثلا كان الرجل البدائى فى عصور ما قبل التاريخ يزين جدران كهوفه وسطوح أوانيه وأدوات حياته اليومية رغم شظف العيش وخشونة الحياة بزخارف تتكون من خطوط محفورة أو مرسومة بالألوان المختلفة ، وهكذا نشأت الفنون منذ أقدم العصور وكأن تلك الأعمال التى تبدو لنا بدائية فى مظهرها كانت نبراسا صارت عليه الأجيال فما من شعب وما من أرض إلا ونبت فيها فن بشكل من الأشكال ، والفن فى أى مكان وليد البيئة ربيب الطبيعة وما من فن إلا وقد استوحى مقوماته من عادات الشعوب وتقاليدها واستلهم خصائصه من ظواهر البلد الطبيعية والجغرافية واستمد أصوله من ظروف الحياة ولونها وتشكلت مميزاته تبعا لموقع دياره وتراثها الموروث وللفنون صنوف ولها مظاهر متنوعة وكما رأينا فقد ت بدأت أول الأمر لتسد حاجة الإنسان فى حياته المعيشية ، ثم تطورت لتؤدى دورها فى تربية الذوق السليم وإشاعة البهجة فى النفوس إلى أن أصبحت ضروبا من التعبير الروحي والوجدانى والعقلى لتنظيم العلاقة بين الناس بما يكفل الكمال والانسجام بينهم .

وإذا كان الأمر كذلك فما هو الفن إذن ؟

والواقع أن كل ما كتب فى تعريف الفن يعتمد أكثر ما يعتمد على الإنشاء وبلاغة التعبير ، ولذلك اختلف تعريف الفن باختلاف المعرِّف له وكثر الكلام عن معناه لكثرة الزوايا التى يتناولها منه المؤرخون والنقاد والكتاب ، لكثرة الزوايا التى يتناولها منه كل منهم ، وبذلك تعددت المحاولات فى التعبير عن معناه .

ومن الأيسر أن نبدأ بتعريف الملموس من الأشياء لنتدرج منها إلى تعريف المطلق الذى تدل عليه ولذلك نبدأ المحاولة بتعريف الفنان ، ثم العمل الفنى لننتهى إلى تعريف الفن ذاته .

فمن هو الفنان إذن ؟

فى الواقع ان الفنان هو ذلك الإنسان الذى يمكنه التعبير عن مشاعره وأفكاره بالنسبة إلى المشاعر والأفكار المنبعثة عن المجتمع الذى يعيش فيه على مستوى عالٍ أو

بمعنى آخر : هو ذلك الإنسان الذى يجيد التعبير عن حياته المتفاعلة مع حياة من حوله من الناس وما حوله من مظاهر الطبيعة فالحياة بالنسبة لانتاجه المنبع والمصب .

وما هو العمل الفنى إذن ؟

العمل الفنى هو ما يحمل معنى من معانى الحياة ، يتصل اتصالاً عميقا مباشراً أو غير مباشر بحياة المجتمع الذى يصدر عنه بوجه عام وبحياة الفنان الذى أخرجه والمتذوق له بنوع خاص مضافا إلى ذلك المعنى مقدرة ذلك الفنان على إخراج ذلك العمل اخراجًا مناسبًا . فالفن إذن بمعناه المطلق لا يخرج عن كونه حياة الفنان والمتذوق والمجتمع الذى يشملهما فى أحسن أحوالهما .

والعمل الفنى هو تلك الثمرة التى تنمو على شجرة هذه الحياة الشاملة يسعى إلى تذوقها كل منا عن طريق حواسه .

ونحن فى الواقع نحتفى بكل ما يحمل إلينا من معانى الحياة التى نقدسها ونعتز بها بما يوقظ فينا الحواس النائمة وما العمل الفنى إلا صورة لتلك المعانى مترجمة بلغة نستسيغها ونفهمها ، وفى هذا الصدد يذكر بعض العلماء « أن فى لغة الفن ما يشبع حاسة الجمال فى الإنسان آنى وجد ولذلك كانت هى اللغة العالمية الوحيدة التى استطاعت البشرية أن تصل إليها ».

ومن ناحية أخرى فإننا جميعا نمارس الفن على مستويات مختلفة فى كل ما نقوم به من أفعال طوال حياتنا فإن كل ما نؤديه من حركات أو نتفوه به من كلام ، وكذلك نوع معا ملاتنا تجاه من نحب ومن نكره ومجرد انتقاء ملابسنا أو اختيار من نعاشرهم من الناس ، كل ذلك يحمل نزعة فنية أو نوعا من ممارسة الفن بشكل يستحيل معه أن نفصل الحياة عن الفن .

وأخيراً فإن الفنان هو ذلك الواعظ الذى يقف على أسرار الحياة عن طريق الحس فيشعر بالعيب فينا ، ويحاول اصلاحه ويدفعنا إلى ما فيه الخير لنا وللمجتمع الذى نعيش فيه عن طريق التذوق الفنى (سعد المنصورى ، ١٩٦٠م) .

وعلى ذلك يمكن القول أن الفن بالنسبة للحضارة هو بمثابة روحها وقلبها الخفاق ،

وليس فى وسعنا أن ندرك ثقافات الشعوب المختلفة من قراءة الكتب بقدر ما نستطيع أن نلمسها من تأمل ما خلفته هذه الشعوب من آيات الفن ؛ كما أن الفن مصدر نشوة للنفوس تسمو بها فوق هموم حياتنا اليومية واكدارها وخيال الانسان لا يقل عن جسمة حاجة إلى الغذاء والفن هو الينبوع الفياض الذى يستمد منه خيالنا هذا الغذاء .

ونضيف على ذلك فنقول إن من أهم العوامل المؤثرة فى فنون الحضارات المختلفة الدين الذى تتبعه ومدى تغلغله فى طبقات الشعب المختلفة ، ومدى إيمانهم به فالدين هو الذى يحدد المعاملات والأصول والتقاليد وما يجب وما لا يجب وبالتالى فإن المؤثرات الحضارية كالفنون وغيرها تتأثر تلقائيًا بالدين فمثلا ما شاع عن كراهية التصوير فى الإسلام كان له أثره فى الفن الإسلامى سلبا وإيجابا كما سنشير عند الحديث عن مميزات الفن الإسلامى وخصائصه فيما يستقبلنا من صفحات وإذا كانت الغاية الأساسية من العناية بالفنون على اختلاف ضروبها هى تهذيب الذوق وارهاف الحس مما يكون له أثره فى تربية حاسة الجمال فينا ، وذلك على النحو الذى أشرنا إليه من قبل ، فإن الدين الإسلامى قد رسم لنا هذه الغاية وصور لنا الطريق إليها وفتح الأذهان إلى أهمية الفن الجميل ، فى العديد من الآيات القرآنية الشريفة ، فى صورة تبارك والأنفال والنبأ ، وغيرها من السور الشريفة .

ولكن إذا أردنا أن نتفهم الفن الإسلامى علينا أن نحدد أولاً الغاية الأساسية للحضارة الاسلامية التى بزغ فيها نجم هذا الفن ، وبعد ذلك نستطيع أن نفهم كيف استطاعت تلك الفنون أن تقف شامخة عملاقة عبر العصور الزاهرة للحضارة الاسلامية ، ولا زالت تلك الفنون تشد أنظار العالم إليها حتى الآن .

ولما كان الانسان هو محور كل حضارة باعتباره أداتها بعقله وفكره ويديه ، كما أنه هدفها وغايتها لأن مقومات أية حضارة ووسائلها مسخرة كلها لخدمته وتطوير حياته نحو الأفضل لذلك حظى الانسان فى الإسلام بمكانة خاصة وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن الغاية الأساسية للحضارة الإسلامية تتمثل فى الغاية التى وضعها الإسلام للإنسان (على اعتبار أنه محور كل حضارة كما بينا) وهى الله جماع كل القيم والمثل العليا ، والقرآن الكريم ملئ بالآيات الشريفة التى تحث الإنسان على التدبر والتأمل فى خلق الله وفى الكون والنظر إلى مكوناته وأجزائه ، وفى السماء وما فيها من كواكب ونجوم

وأجرام ، وفى الأرض وما يدب فوقها من كائنات وما تنبت من ذرع ونبات وأشجار وثمار ، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد ، بل دعاه الخالق عز وجل ليستفيد من كل ما حوله من خلق الله ونعمه ويطوعها لفائدته ويسخرها لتطوير حياته ، كما أنه سبحانه وتعالى حبا الإنسان بجمال الخلقة وحسن الهيئة ، وعلاوة على ذلك دعاه عز وجل للنظر إلى نفسه وإلى خلقه وإلى نشأته ، وهكذا نرى أن الدين الإسلامى حث الإنسان على التأمل فى مظاهر الكون المختلفة ثم دعاه للنظر إلى نفسه ، وذلك لتكون العظة أقرب إلى فهمه وأكبر تأثيراً فى عقله .

والحق ان التأمل فى مظاهر الجمال ، فضلا عن كونه يشحذ فى الانسان قوة الملاحظة وقوة التفكير وقوة التدبر وهذه من العمد الأساسية التى يقوم عليها الفن ، فإنه من شأنه أن يصفى الذوق ويرهف النفس ويزكى فى النفس حب الجمال ومن المعروف أن حب الزينة والجمال هما الباب الفن (مرزوق : الإسلام والفن ـ الإسلام والفنون الجميلة). ولما كانت الغاية الأساسية للحضارة الإسلامية تتمثل فى الغاية التى وضعها الإسلام للإنسان وهى الله سبحانه وتعالى جماع كل القيم والمثل العليا ، كما سبق القول .

وهذا يعنى أن الإنسان فى الحضارة الإسلامية لا يمثل محور الدائرة أو محور ارتكازها إلا بقدر ما هو خليفة لله فى الأرض حمل الأمانة التى أشفقت من حملها السموات والأرض والجبال وكلفه الله باستعمار الأرض وسخر له الطبيعة وهيأ له السبل لتسخير كل طاقاته فى تمهيد ما خلقه الله عز وجل لخدمة الإنسانية ، وهذا كله مرتبط أشد الارتباط بالغاية النهائية التى لا غاية بعدها وهى الله سبحانه وتعالى جماع كل القيم والمثل العليا .

وعلى هذا الأساس كان الإنسان المسلم الذى شيد حضارة عظمى شاخصا ببصره فى كل نشاطاته إلى السماء يحقق خلافته لله على هذه الأرض ، ولذلك كانت حضارة إنسانية الهيئة لا عنصرية متعصبة تسع الإنسان أينما كان ، فهى حضارة تشع عليها قيم السماء .

وإذا كان من خصائص الإنسان الأساسية أن الفكرة تدفعه وتفعل فعل السحر فى تحويل طاقاته فإن الإسلام كان بالنسبة للإنسان المسلم هو الفكرة والعقيدة التى حركت كل طاقاته ودفعته إلى البناء والتعمير وتذوق القيم الجمالية أينما كانت .

ومن هنا نرى أن الفنان المسلم كان يمارس ابداعه الفنى فى روحانية واخلاص وتجرد وكأنه يمارس العبادة نفسها ، كما أن القيود الدينية التى فرضتها السنة النبوية الشريفة فى تحريم المجسمات والصور الأدمية جعلت طاقة الفنان مركزة فى اتقان تخصصات محددة ليس أمامه إلا إجادتها والتفوق فيها .

وهناك العامل الحاسم فى الإبداع الفنى وهو التشجيع فنرى الفنان المسلم لا يتجه للفنون الترفيهية ، ولكنه ينتج فنونا تطبيقية أو صناعية نافعة ، وبذلك استطاع أن يوزع لمساته الساحرة على الحياة اليومية بكل متطلباتها وأدواتها ، أى أن انتاجه ليس مرغوبا فقط ، ولكنه ضرورى كأحد العوامل الأساسية للحياة .

وإذا أضفنا إلى هذه العوامل عاملاً نفسيا هاما وهو الأمان وضمان الحياة الكريمة تحت مظلة الإسلام متمثلة فى نقابات الحرف (الأصناف أو الطوائف) وجدنا أن الإبداع يشع من منطلق نورانى وبصيرة وضاءة مطمئنة .

إن رسالة الفن الجميل فى الحياة هى أن يخفف عنا بعض متاعبها فيكون لنا مهربا نلجأ إليه ونلوذ بحماه حتى ينقلنا بأنغامه وألوانه وزخارفه وأشكاله إلى عالم السحر والجمال ، وإلى عالم نستمتع فيه بالهدوء والنشوة وبالإنشراح والغبطة ، وتلك هى الرسالة التى أمن بها أخيراً الفنان الغربى بعد أن بشر بها الإسلام من خمسة عشر قرنا من الزمان .

ومن ثم كان حرص الفنان المسلم على أن يضفى على كل ما أخرجته يداه جمالاً زخرفيا يشيع الغبطة فى النفس ويشهد لمبدعه بحسن الذوق ودليلنا على ذلك أنه كما عنى بزخرفة السلع والمنتوجات الغالية النفيسة حرص كذلك على زخرفة السلع الرخيصة كشبابيك القلل التى تدلنا نماذجها الجميلة المتقنة على أن الفنان المسلم أحب الفن للفن[1] .

---

(١) مرزوق ، محمد عبد العزيز ، الإسلام والفن ، المجلة ، العدد ٤٦ ، أكتوبر (١٩٦٠م)؛ ص٢٠ - ٢٥ ؛ الفنون الزخرفية الإسلامية فى مصر قبل الفاطميين ، القاهرة (١٩٧٤م)، ص٦ - ٩ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن الإسلام والفن انظر ، مرزوق ، الإسلام والفنون الجميلة ، القاهرة (١٩٤٤م)، (٢٦ صفحة فضلا عن اللوحات ووصفها وعددها ١٥ لوحة)؛ الفاروقى ، إسماعيل ، الإسلام والفن ، ترجمة وفاء إبراهيم ، القاهرة (١٩٩٩م)، (١٠٢ صفحة) . =

وإذا كان الأمر كذلك فما هو إذن الفن الإسلامى ؟ وما هى خصائصه ومميزاته العامة الرئيسية ؟

والحق إن الفن الإسلامى هو ذلك الفن الذى نشأ وظهر وازدهر وتطور ونضج وبلغ الغاية فى دار الإسلام فيما بين القرنين ١ ـ ١٢هـ/ ٧ ـ ١٨م ، ولذلك فإننا إذا استثنينا الفن الصينى فإن الفن الإسلامى يعد من أوسع الفنون العالمية إنتشاراً وأطولها عمراً ، حيث أشرق نور ميلاده فى الحجاز خلال خلافة عثمان بن عفان (رضى الله عنه (٢٣ ـ ٣٥هـ) ثم تجاوز مرحلة الميلاد وبدأ فى بلاد الشام خلال العصر الأموى (٤١ ـ ١٣٢هـ) يحبو على أربع ، ثم سرعان ما لبث أن ودع مرحلة الطفولة ليبدأ مرحلة الشباب فى العراق فى ظل الخلافة العباسية ، وتجلت رجولته ونضجه فى مواطن ثلاثة : مصر خلال العصر الفاطمى فالأيوبى ، والمغرب والأندلس خلال عصور الخلافة وملوك الطوائف بالأندلس والمرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس ، والمشرق الإسلامى خلال العصر السلجوقى وعهود الأتابكة والايلخانيين والبكوات .

وواصل الفن الإسلامى مرحلة النضج حتى بلغ الغاية فيما بين القرنين ٨ ـ ١٢هـ/ ١٤ ـ ١٨م ، وذلك خلال : العصر المملوكى فى مصر والشام وعصر دولة بنى نصر فى غرناطة بالأندلس ، والتيموريين فى أسيا الوسطى والصفويين فى إيران والعثمانيين فى الأناضول والبلقان والعصر المغولى الهندى فى شبه القارة الهندية .

ومنذ القرن ١٢هـ/ ١٨م ، اصاب الفن الإسلامى الضعف والوهن وركبت الناس حمى التفرنج أى السير على نهج الغرب الأوروبى حيث اشتد التأثير بالفنون الأوروبية ، ومن هنا بلغ الفن الإسلامى شيخوخته[2] .

هذا وقد اختلف العلماء حول تسمية هذا الفن التى انتشر فى ظل الحضارة الإسلامية واتسع باتساع رقعتها شرقا وغربا وشمالاً وجنوباً ، فمنهم من أطلق عليه اسم

= وعن شبابيك القلل انظر ، على سبيل المثال ، عبد الرازق ، شبابيك القلل الفخارية فى دار الآثار الإسلامية ، الكويت (١٩٨٨م)، (١٢١ صفحة بما فى ذلك الأشكال واللوحات) .

(٢) مرزوق ، قصة الفن الإسلامى ، القاهرة (١٩٨٠م)، وفيه ابراز موجز لهذه المراحل المتعاقبة ، (٢٢١ صفحة) .

الفن العـربى ، ومنهم من أسـماه الفـن الشرقى ، أو الفن الغـربى ، وهاتين التـسـميـتين الأخيرتـين ناقـصتين لأنهـا تفـصل بين جناحى الحضـارة الإسلامـيـة وهمـا الجناح الشرقى والجناح الغـربى من جـهـة ، ومن جـهـة ثانيـة فـإن هذيـن الجناحين لا يمثـلان دار الإسـلام بكاملها .

كما أن التسمية الأولى وهى الفن العربى من شأنها أن تبخس اسهامات شعوب الأقطار المفتوحة فى تطور وازدهار الفن الإسلامى ، وحسبنا للرد على هذه التسمية القول بأنه لو جاز لنا القول الدين العربى لحق لنا أن نقول الفن العربى .

ومنهم من أطلق عليه اسم الفن المحمدى ، على غرار تسمية الفن المسيحى ، نسبة إلى السيد المسيح (عليه السلام) ، ومن ثم فإن هذه التسمية ، فضلا عن كونها غير مستحبة ، لا يجوز أن تطلق على هذا الفن(٣) .

وخلاصة الأمر أن هذه الأسماء كلها قاصرة وليست جامعة من جهة وبعضها مستهجنة وغير مستحبة كتسمية الفن المحمدى من جهة ثانية ، ولذلك فإن أصح هذه الأسماء جميعا هى تسمية ذلك الفن بالفن الإسلامى ، لأن الإسلام كان حلقة الوصل التى ربطت بين أقطار دار الإسلام ، وهو الذى جمع شتاتها وجعلها وحدة واحدة على الرغم من تباين بيئاتها واختلاف أصولها .

خصائص الفن الإسلامى ومميزاته العامة الرئيسية :ـ

ـ يمتاز بكونه فنا زخرفيًا إستمد عناصره النباتية والهندسية والأدمية والحيوانية وجعلها محورة عن الطبيعة وذين بها الجدران وصفحات المخطوطات والتحف التطبيقية، هذا إلى جانب خلوه من وجود تماثيل أو لوحات مستقلة نظراً لما شاع عن كراهية تصوير الكائنات الحية فى الإسلام .

ـ ويمتاز أيضًا بكراهية الفراغ أو الخوف منه ومعناها أن الفنان المسلم كان يشغل كل المساحات التى أمامه بالزخرفة دون أن يترك منها أى جزء بدون زخرفة مما دفعه إلى التكرار سواء بالنسبة للوحدة الزخرفية أو الموضوع الزخرفى .

---

(٣) حسن ، زكى محمد ، فنون الإسلام ، القاهرة ، ط٢ ، د ت ، ص ٣ ـ ٥ .

- الزخارف المسطحة وهذا يرجع إلى إنصراف الفنانين المسلمين عن التجسيم وإن كان هذا لا يمنع وجود زخارف بارزة ومجسمة .

- البعد عن الطبيعة وهذا يعنى أن الزخارف مستوحاة من واقع الخيال ، خوفًا من تقليد خلق الله تعالى ، وأدى هذا إلى الاهتمام بالكائنات الخرافية والمحورة حتى يتجنب رسم الحيوانات الطبيعية .

- استخدام الكتابة العربية كعنصر زخرفى رئيسى سواء كانت بالخط الكوفى أو النسخى ، أو غير ذلك ، ولولا وجود الكتابة العربية على التحف الإسلامية المبكرة لصعبت نسبتها إلى تلك الفترة المبكرة لصلتها الوثيقة بفنون ما قبل الإسلام .

- الفن الإسلامى فن ملكى ، فازدهاره ونضوجه يقوى فى ظل رعاية الحكام والأمراء للفنانين ، بينما يضعف ويقل إزدهاره فى حالة قلة تشجيع الحكام والأمراء للفنانين وعدم تعضيدهم لهم .

- الفن الإسلامى فن إبتكارى أصيل فمن المعروف أن العقيدة الإسلامية تميل إلى البساطة وعدم الإسراف والمبالغة وإتضح ذلك فى عصر الخلفاء الراشدين ، أما فى العصور التالية حيث ازداد الثراء وكثر الرخاء فكان لا بد من وجود حلول ابتكارية تتناسب مع تلك الحالة التى وصل إليها المسلمون لا سيما الخلفاء والحكام .

وفى نفس الوقت تتفق مع المبادئ السامية للعقيدة الإسلامية ومن هذه الابتكارات البريق المعدنى كبديل عن استعمال الأوانى الذهبية والفضية .

كذلك لم يصنع المحراب مع ما له من أهمية خاصة فى المسجد من الذهب أو يرصع بالأحجار الكريمة ، بل صنع من الخشب أو الحجر أو الرخام ، ومع بساطة هذه الخامات إلا أن الفنان المسلم أضفى عليها مسحة جمالية فنية جذابة بنقوشها الزخرفية الدقيقة وألوانها الجميلة .

طرز الفن الإسلامى(٤) :

لما كان المقياس الحقيقى فى أى فن من الفنون هو الطراز لأنه أبرز صورة لأفكار

---

(٤) حسن ، فنون الإسلام ، ص ١٢ ـ ٢٠ ؛ عبد الرازق ، أحمد ، الفنون الإسلامية حتى نهاية العصر الفاطمى ، جامعة عين شمس (٢٠٠١م)، ص٤١ ـ ٤٥ .

الفنان وأفصح مظهر لطابع حضارته فإن ما حدث من إمتزاج العناصر السابقة التى كانت موجودة قبل الإسلام لا ينهض دليلا على سيطرة وغلبة تلك العناصر على الفن الإسلامى، وإنما كان إختلاط هذه العناصر فى تلك الفترة المبكرة نتيجة طبيعية لاجتماع العرب المسلمون وأهل البلاد المفتوحة فى بيئة واحدة ، وكذلك لقدرة الفنان على أن يكيف نفسه حسب الظروف التى يعيش فى كنفها فأخذ الفنان (وهو من أهل البلاد المفتوحة) من العناصر الموروثة ما لاءم طبيعة الفاتحين الجدد وإتفق مع دينهم الجديد الذى يتبعونه ويسيرون على نهجه .

وهكذا يمكن القول بأن الطراز الفنى فى تلك الفترة المبكرة كانت سداته وطمته غير إسلامية ، أما روحه فكانت إسلامية حيث أضيفت الكتابات العربية إلى جميع الفنون المنتجة فى تلك الفترة والتى لو لم توجد لأصبحت نسبة هذه الفنون إلى العصر الإسلامى من الصعوبة بمكان .

أولاً : الطراز الأموى فى الفن الإسلامى :

يعد هذا الطراز أول الطرز الفنية الإسلامية حيث كان العرب المسلمون فى صدر الإسلام وفى عهد الخلفاء الراشدين فى دور من أدوار حياتهم لا يمكن أن يترك للعناية بالفنون مكانة تستحق الذكر فقد كان أمامهم مهمات أخرى جليلة هى نصرة الدين الجديد ونشره وتأسيس دولتهم الواسعة الأرجاء ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن بساطة الدين الإسلامى وحياة الجهاد وروح التقشف وتجنب الرفاهية ساعدت على تدعيم وتقوية الجانب الحربى فى نفوس المسلمين فى تلك الفترة .

وهكذا نرى أن العرب كان لهم الفضل فى قيام الامبراطورية الإسلامية ونشر الدين الإسلامى ، ولكن نصيبهم فى بداية الأمر فيما يتعلق بالفنون كان محدوداً ، وروحيا فحسب كما أن المبانى التى شيدت فى تلك الفترة كانت بسيطة جداً وتتلاءم مع طبيعة الفترة التى شيدت فيها مثل مسجد الرسول فى المدينة ، ومسجدى البصرة والكوفة فى العراق ، ومسجد عمرو بن العاص فى فسطاط مصر .

وما لبث أن تخطى العرب عهد البساطة وتوسعوا فى البناء وأنتجوا فى الفنون أيام خلافة الأمويين ، فكان الطراز الأموى الذى ينسب إليهم أول الطراز أو المدارس الفنية فى العصر الإسلامى كما سبق القول .

إزدهر هذا الطراز فى القرن الأول وحتى العشرينات من القرن الثانى الهجرى وهى الفترة التى شملها حكم الأمويين لأقاليم العالم الإسلامى ، حيث إمتد حكمهم فيما بين ٤١ ـ ١٣٢هـ. وانتشر هذا الطراز فى جميع الأقاليم التى دانت لحكم الخلافة الأموية فى دمشق ومن بينها مصر بطبيعة الحال .

وكان هذا الطراز طراز إنتقال من الفنون والعمارة السابقة على الإسلام ـ التى كانت منتشرة فى الأقاليم التى خضعت للإسلام وللخلافة الأموية ـ إلى الطراز العباسى الذى ساد فى الفترة العباسية بعد ذلك(٥) .

فمن المعروف أنه عندما استتب الأمر لبنى أمية واتخذوا الشام مقراً لخلافتهم وجدوا من حولهم ومن بين أيديهم حضارة ناضجة كان لها مركز هام فى تلك البلاد هى الحضارة الهيلنستية ـ أو الاغريقية الممتزجة بالحضارة الشرقية ـ وكانت سائدة منذ عصور سابقة فى كثير من البلاد التى فتحها المسلمون وتكونت فيها امبراطوريتهم والتى كانت قبل ذلك ضمن مستعمرات الاسكندر المقدونى ، وتوغلت فيها الحضارة الإغريقية التى نشرها الاسكندر وأتباعه وخلفاؤه هناك ، فأخذ المسلمون فى تلك المرحلة ما احتاجوا إليه منها لبناء أساس حضارتهم الإسلامية الناشئة .

والحق ان الفن الإسلامى فى بدايته كان عدد كبير من عناصره وأساليبه منقولاً بأمانة من بقايا عريقة من فن هيلنستى هو أحد المظاهر الهامة لتلك الحضارة الإغريقية التى تشرها الاسكندر ، وامتزجت بتلك العناصر والأساليب تقاليد وعناصر أخرى من مدارس فنية تفرعت من الفن الهلينستى أو امتزجت به أو تأثرت به وهى المدرسة الرومانية التى انتشرت فى بلاد حوض البحر الأبيض المتوسط وزحفت حتى مست فارس. ثم المدرسة البيزنطية فى بيزنطة ومستعمراتها ـ الشام ومصر وشمال افريقيا ـ والمدرسة الساسانية فى العراق وفارس والمدرسة القوطية الغربية فى أسبانيا .

وما كان الفن الإسلامى فى هذه المرحلة إذن إلا مزيجًا من تقاليد وعناصر وأساليب المدارس الفنية فى البلاد التى دخلت فى نطاق الإمبراطورية الإسلامية ولم ينشأ عن هذا المزج تغيير كبير لا فى التقاليد ولا فى ملامح العصر إذ كانت صلة القرابة بين بعضها وبين المنبع الذى جاءت منه وهو الفن الهيلنستى قوية وكان التغير الوحيد الذى حدث هو إضافة الكتابات العربية كما سبق القول .

---

(٥) حسن ، فنون ، ص١٢ ؛ عبد الرازق ، الفنون ، ص٤٢ .

ويتضح كل هذا جيداً فى التحف الفنية والآثار التى وصلتنا من الطراز الأموى إذ نراها محتفظة بالأساليب المحلية المعروفة فى كل قطر من الأقطار الإسلامية والتى كان أغلبها مكونًا من رواسب هيلنستية ممتزجة ببعض تأثيرات وعناصر بيزنطية وساسانية تتراوح درجة ظهورها بين الوضوح والغموض .

والآن قبل أن نتحدث عن التحف المختلفة التى تمثل هذا الطراز ينبغى علينا أن نحدد أولاً ـ فيما يخص الفنون بالذات ـ أهم العناصر الزخرفية التى استمرت منتشرة فى ذلك الطراز سواء فى الزخارف الهندسية أو النباتية وزخارف الكائنات الحية .

أ ـ الزخارف الهندسية : نلاحظ أنه لم ينتقل من الطرز السابقة إلى الطراز الأموى منها سوى عدد قليل مثل الصليب المعكوف الاغريقى والذى إنتقل إلى الطراز الرومانى وإلى الطراز الساسانى وتظهر أمثلة منه فى العصر الإسلامى المبكر فى قطع جصية عثر عليها فى الفسطاط وتسمى بالمفروكة فى الاصطلاح الدارج .

وأيضًا زخرفة الجدائل وهى معروفة منذ العصور القديمة فى العراق وفى مصر الفرعونية ولعلها هى مصدر الايحاء للجدائل الإغريقية ، وكذلك عناصر المشبكات البيزنطية إلى جانب الزخارف الهندسية المنتظمة مثل الدوائر المتشابكة والأشكال المضلعة والمفصصة ونرى أمثلتها فى العصر الإسلامى فى الشمسيات الرخامية فى المسجد الأموى بدمشق .

ب ـ زخارف الكائنات الحية : ـ وهى التى تشتمل على العناصر الأدمية أو الحيوانات أو الطيور أو الأسماك أو أجزاء منها على هيئتها الطبيعية أو محورة عنها أو العناصر المركبة التى تمتزج فيها أعضاء من أنواع مختلفة تتخذ فيها أوضاعًا زخرفية أو تشترك مع عناصر هندسية أو نباتية لإخراج موضوع زخرفى ولا يسمى أى منها بزخرف إذا كان القصد منه تصويريا يوضح قصة أو أسطورة أو موضوعًا .

وتحوى واجهة قصر المشتى الموجودة فى متحف برلين على بعض ما ذكرناه من عناصر الكائنات الحية ، ولا يكاد مثلث من مثلثات تلك الواجهة يخلو من أكثر من عنصر منها وسط الزخارف النباتية التى تغطى مساحة كبيرة من تلك الواجهة . (لوحة ٢٠)

ويعد إسلوب توزيع هذه الكائنات وسط التكوينات الزخرفية وأسلوب نحتها كذلك من أروع ما انتجته قريحة الفنانين فى تلك الفترة ، وذلك على الرغم من تعدد المصادر

التى جاءت منها فمنها عناصر ساسانية خالصة مثل العنقاء ، وهو عنصر مركب من أعضاء من طيور أو حيوانات ، فله وجه نسر وأجنحة مع جسم حيوان أو العكس ومنها حيوانات وطيور طبيعية يمكن معرفة نوعها أو حورت لدرجة يصعب معرفة نوعها ويغلب عليها الطابع البيزنطى .

ونشاهد أمثلة للكائنات الحية أيضًا فى زخارف فسيفساء خربة المفجر الذى يرجع إلى الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك (١٠٥ ـ ١٢٥هـ) ، ومهما يكن من أمر فإن هذا النوع من الزخارف لم ينقطع إستخدام عناصره من آدميين وحيوانات وطيور طوال عصور الفن الإسلامى ، غير أن بعض تلك العناصر قد نالها تحوير كبير عن إصولها وبعضها بقى محتفظًا بها ويتجلى استخدام هذا العنصر بشكل مفرط فى شرق العالم الإسلامى خاصة .

٣ ـ الزخارف النباتية :ـ

يمكن القول بأن عناصر كثيرة منها قد دخلت فى الثوب الخارجى للفن الإسلامى فى هذه المرحلة المبكرة منها عنصر الأكانتس الذى كانت له الصدارة فى العصر الأموى سواء فى الفسيفساء أو النحوت على الحجر أو الجص وسواء كانت هيئاتها مقتبسة من الطراز البيزنطى أو الطراز الساسانى .

ومن تلك العناصر أيضًا المراوح النخيلية ، وأوراق العنب التى انتقلت من الفن الهيلنستى إلى الرومانى والبيزنطى والساسانى وأخيراً الإسلامى ، غير أن ما دخل على العناصر الثلاثة السابقة من تحوير وتجريد قد جعلها فى بعض الأحيان تتخذ هيئات متشابهة يختلط الأمر فيها فلا يمكن تحديد أصل هذه الهيئة أو تلك ، فمثلاً فى زخارف واجهة المشتى توجد أشكال صريحة من الأكانتس والمراوح النخيلية وأوراق العنب البسيطة والمركبة وإلى جانبها توجد أشكال أخرى تمت بصلة لكل هذه العناصر مجتمعة هنا إلى جانب زهرة اللوتس ، كا فى واجهة المشتى والطوبة ، وكذلك فى زخارف قبة الصخرة والتى تشبه نماذج لها ساسانية فى قلعة كُهنه فى فارس وفى طاق يستان .

ونشاهد كذلك بين زخارف الفسيفساء فى قبة الصخرة عناصر كثيرة من الثمار مثل التمر والرمان والعنب وعناصر تشبه الكمثرى واللوز والبندق وكيزان الصنوبر ، وقد

اختفى أكثرها بعد ذلك ، ولم يظهر فى زخارف الفن الإسلامى ، بينما ظهرت عناصر أخرى فى العصر العثمانى وبخاصة فى الشام وأسيا الصغرى مثل القشده والخشخاش وغيرها [٦] .

ثانيًا : الطراز العباسى فى الفن الإسلامى :

هو ثانى الطرز الفنية التى انتشرت وإزدهرت فى أقاليم العالم الإسلامى ، وينتسب هذا الطراز إلى بنى العباس بن عبد المطلب الذين إنتزعوا الخلافة من بنى أمية فى عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م ، واعتبروها حقًا مكتسبًا لأنفسهم بدلاً من أبناء عمومتهم من نسل على بن أبى طالب على الرغم من أن الفرعين العباسى والعلوى قد إعتبروا الأمويين مغتصبين للخلافة ، ومن ثم وجد نوع من الاتحاد والترابط بين الفرعين فى سبيل إنتزاع الخلافة من الأمويين وجعلها تعود إلى أصحابها الشرعيين من آل بيت النبوة ، وكان شعارهم الذين يدعون به ويؤلبون الناس ضد بنى أمية هو (للرضا من آل محمد) ولكن ما لبث العباسيين أن قوضوا دعائم الأمويين وظفروا بالخلافة لأنفسهم ولم يقفوا عند هذا الحد بل إضطهدوا أبناء عمومتهم من العلويين ونكلوا بهم أشد التنكيل مما جعلهم يدعون لأنفسهم فى السر ولا سيما فى المناطق البعيدة عن نفوذ العباسيين كاليمن وشمال افريقيا ، ويطلق على هذا الدور اسم (دور التقية) ثم جاء دور العلانية والظهور بعد ذلك ، حتى استطاع الفرع العلوى أن يؤسس دولته فى شمال افريقيا أولا ثم مصر ، ومن ثم نشأت الخلافة الفاطمية التى ناوئت العباسيين واستطاعت أن تفرض نفوذها على الشام وغيرها من مناطق الخلافة العباسية ، بل استطاع أحد وزرائها هو البساسيرى أن يدخل بغداد ويذكر اسم الخليفة الفاطمى على منابرها إلى أن استطاع السلاجقة إنهاء النفوذ الفاطمى من هناك بعد ذلك وهذه الأحداث لا مجال لسردها هنا الآن .

وإتخذ العباسيون من مدينة بغداد مقراً لخلافتهم ، وكان هذا شيئا طبيعيًا حيث يوجد أنصار بنى العباس من الفرس فى هذه المنطقة ، ومن ثم تغلغت التأثيرات

---

(٦) شافعى ، العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، ص٢١٧ ـ ٢٢٣ .

الفارسية فى المجتمع العباسى واتضحت مظاهرها بصورة كبرى ، كذلك فى الفنون التى أنتجت فى تلك الفترة ، وإذا كانت التأثيرات الساسانية قد ظهرت جنبا إلى جنب التأثيرات الهيلنستية فى الطراز الأموى إلا أنها كانت قليلة جداً إذا قورنت بمثيلتها الأخرى وأعنى بها التأثيرات الهيلنستية التى كانت سمة غالبة على معظم منتجات هذا العصر الأموى ، ومقر خلافته فى دمشق التى كانت قبل الإسلام من أعظم مراكز الحضارة البيزنطية المتأثرة بالطراز الهيلنستى والرومانى .

بعض مظاهر الطراز العباسى فى الفنون والتى كان لها صدى فى العالم الإسلامى بأسره :

١ ـ طراز سامرا :ـ

تتميز سامرا بين سائر المدن التى نشأت فى العصر الإسلامى بعدة ظواهر هامة قل إن وجدت فى أى مدينة إسلامية أخرى ، فقد سار العمران فيها بخطوات سريعة متلاحقة وصار تخطيط المدينة أبعد ما يكون عن الاقتصاد فى التوسع ، فقد ترامت رقعتها فى مساحة هائلة إلا أنها لم تعمر طويلاً إذ كانت السرعة فى خرابها وهجرانها تتناسب مع السرعة الجبارة فى نموها فالفترة بين البداية والنهاية تكاد لا تتجاوز نصف القرن إلا قليلا ، (٢٢١ ـ ٢٧٩هـ)وهى فترة إن كانت قصيرة الزمن فهى طويلة الأثر ، إذ تم فيها على قصرها تطور ليس بالمألوف فى تاريخ الفنون والزخارف وأكثر معالم هذا التطور وضوحًا كان فى الزخارف النباتية بوجه خاص ، سواء المحفورة منها أو المرسومة ، مما اتفق على تسميتها بطرز سامرا فى الفن الإسلامى .

ويتمثل فى طرز سامرا ـ وخاصة الثانى والثالث منها ـ مظهر جديد بحق لزخارف الفن الإسلامى ، بل ويتضح فيهما طابع مميز للفن كله بوجه عام والزخارف النباتية بوجه خاص ، إذ تحررت شخصيته من قيود الفنون السابقة التى كان يعتمد عليها كل الاعتماد منذ نشأته .

وبادئ ذى بدء نقول ان الأساليب الزخرفية التى حدثت فى سامرا قد تدرجت فى مراحل متتالية من التطور وهى التى إصطلح على تسميتها بالطراز الأول والثانى والثالث ، ولكل من هذه الطرز مميزات خاصة به .

فالطراز الأول هو فى حقيقته استمرار للطراز الزخرفى الذى كان يسود العالم الإسلامى ـ بما فيه العراق ـ قبل إنشاء سامرا وهو يمتاز بقرب زخارفه من الطبيعة ولا سيما أوراق العنب وعناقيده ، وغير ذلك من العناصر التى لازالت تحتفظ بإصولها الهيلنستية إذ لم يتطرق إليها إلا التطور المنتظم المعتاد فى الفنون .

ويمتاز كذلك برسم زخارفه داخل أشكال هندسية وبوضوح خلفية الرسم وضوحًا قويًا ، ونفذت هذه الزخارف بالحفر العميق .

أما الطراز الثانى فقد تضاءلت فيه الأرضيات أو الخلفيات إلى أن صارت قنوات ضيقة تفصل ما بين العناصر التى كادت أن تفقد ما ألفناه من إتصال بعضها ببعض بواسطة عروق ، كما كان الحال فى الطراز الأول ، فتطورت العناصر إلى وحدات كبيرة منبسطة لا تجسيم فيها وتتمم بعضها البعض بحيث لا تترك أرضية أو فراغًا بينها ونتج عن ذلك تصرف كبير فى أشكال كثيرة منها مما كان تمهيداً لما حدث بعد ذلك فى الطراز الثالث .

وفى الطراز الثالث ازداد ابتعاد الفنان عن الطبيعة تمامًا وأصبح يرسم خطوطًا منحنية وحلزونية ، قد يصعب على المشاهد إدراك الصلة بينها وبين العناصر الزخرفية التى لاحظناها فى الطرازين السابقين ، كما لم تعد هناك خلفية ، فالسطح أصبح يزدان بخطوط متصلة بعضها ببعض دون أن يكون هناك فاصل بين عنصر وعنصر ، ونفذت زخارف هذا الطراز بطريقة جديدة لم تكن معروفة من قبل وهى طريقة الحفر المائل أو المشطوف Slant Cut بدلاً من طريقة الحفر العميق Deep Cut التى كانت شائعة وقد اهتدى إلى هذه الطريقة نتيجة إستعمال القوالب Moulds فى عمل الزخرفة حتى يستطيع أن ينجز أعماله فى أسرع وقت ممكن ، وبأقل النفقات .

وليس فى استعمال القوالب فى الزخرفة جديد حيث عرفها الفرس من قبل ، وطبيعى أن يكون من المعماريين فى سامرا بنائين من الفرس والدولة العباسية ، كما نعلم قامت على أكتاف الفرس وهم من غير شك أصاب الفضل فى نقل الخلافة إليهم من الأمويين .

ويرى البعض أن مراحل التطور السابقة التى تمت فى فترة وجيزة كانت نتيجة

للحاجة الشديدة إلى الاقتصاد فى الوقت الذى يتطلبه عمل الزخارف وتغطية أوجه الجدران بها ، فالعمران كان سائراً بخطى سريعة جداً وكان على الصناع أن يلبوا مطالب أصحاب العمائر من حيث البناء والزخرفة فلجأ المزخرفون إلى التبسيط من الطراز الأول الذى كان يتطلب مجهوداً فنيا خاصًا من حيث التأنق فى العناصر وتفاصيلها الدقيقة وحفر الأرضيات حولها ، ومن ثم كان الطراز الثانى الذى يتميز بالعناصر المسطحة التى تتمم بعضها البعض فتكاد تتلاصق ، فلا يفصلها عن بعضها إلا قنوات ضيقة وإختفت بذلك تلك الأرضيات التى كانت تحيط بالعناصر فى الطراز الأول ، ثم تطور الطراز الثانى إلى الثالث وتلاصقت فيه العناصر تمامًا وأصبح قطاعها محدبًا يعطى لها ظلالا متدرجة تختلف عن تلك الظلال الحادة الحالكة التى كانت تلقيها العناصر على الأرضيات الغائرة حولها فى الطرازين الأول والثانى .

وهكذا انتشر طراز سامرا فى جميع أرجاء العالم الإسلامى وعندما جاء أحمد بن طولون إلى مصر جاءت معه تلك التقاليد فى العمارة والفنون فاستوطنت مصر وترعرعت فيها وطغت هذه الأساليب الجديدة على الأساليب المحلية التى كانت موجودة، كما أنها لم تنته بإنتهاء عصر الطولونيين ، بل استمرت فترة تؤدى دورها فى بداية العصر الفاطمى[(٧)] .

---

(٧) شافعى ، العمارة العربية فى مصر الإسلامية ، ص٤١٧ ـ ٤٢٢ ؛ زخارف وطرز سامرا ، مجلة كلية الآداب ـ المجلد الثالث عشر ، الجزء الثانى ، جامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليًا) ، ديسمبر (١٩٥١م)، ص١ ـ ٣٩ ؛ مميزات الأخشاب فى الطرازين العباسى والفاطمى فى مصر ، مجلة كلية الآداب ، المجلد ١٦ ، جـ١ ، جامعة القاهرة (١٩٥٤م)، ص٥٧ ـ ٦٦ ؛ مرزوق ، الفنون الزخرفية ، ص١٤٧ ـ ١٦٠ ؛ العراق مهد الفن الإسلامى ، بغداد (١٩٧١م)، ص٢١ ـ ٢٧ ؛ عبد الرازق ، الفنون الإسلامية ، ص٦٠ ـ ٦٦ ؛ حميد ، عبد العزيز ، وآخرين ، الفنون الزخرفية العربية الإسلامية ، بغداد (١٩٨٢م)، ص٧٤ ـ ٧٦ ؛ ياسين ، عبد الناصر ، الفنون الزخرفية الإسلامية فى مصر ، منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية العصر الفاطمى ، جـ١ ، الاسكندرية (٢٠٠٢م)، ص٤٩٢ ؛ هرتسفلد ، ارنست ، تنقيبات سامرا ، جـ١، حلية جدران المبانى فى سامرا وفن زخرفتها ، ترجمة على يحيى منصور ، بغداد (١٩٨٥م)، (٢٤٤ صفحة فضلاً عن الأشكال واللوحات) ومما له دلالته أن ترتيب طرز سامرا لدى هرتسفلد يختلف عن الترتيب الذى أجمع عليه علماء الآثار والفنون الإسلامية والذى اتبعناه فى كتابنا هذا .

٢ـ الخزف ذى البريق المعدنى Luster Pottery :

يعد الخزف ذى البريق المعدنى ابتكار إسلامى خالص غير مسبوق لم تعرفه الحضارات السابقة على الإسلام ، ولم يهتد إليه الصينيون رغم علو شأنهم فى ميدان الخزف والبورسلين ، ولم يفلح صناع الخزف الغربيين فى تقليده إلا فى ق ١٨م ، وقد انتشرت صناعته فى أنحاء العالم الإسلامى إذ عثر على تحف منه فى ايران والعراق ومصر وأسبانيا ، وقد أدى هذا الإنتشار إلى إنقسام علماء الآثار فيما بينهم حول مهد هذه الصناعة ، فبينما يقرر فريق أن مهد هذا الأسلوب كان العراق ، نجد فريقا أخر يرى أن ايران كانت هى صاحبة الفضل فى هذا الابتكار ، ويذهب فريق ثالث إلى أن مصر هى مهد هذا الابتكار(٨) .

ونحن نعلم أن مصر عرفت البريق المعدنى واستخدمته قبل غيرها من أقطار العالم الإسلامى إلا أن ذلك كان على الزجاج وليس على الخزف ، كما حدث فى ق ٣هـ/ ٩م ، كما فى قاع إناء من الزجاج المزخرف بالبريق المعدنى عليه شريط كتابى نصه (مما عمل فى طراز الفيلة بمصر سنة ١٦٣هـ/ ٧٧٩م) والتاريخ مكتوب بالأرقام القبطية و(طراز الفيلة بمصر) يعنى أن هذا الإناء عمل حسب طراز مصنع الفيلة بمدينة مصر أى الفسطاط. (عبد الرؤوف يوسف ـ القاهرة) .

كذلك يوجد كأس من الزجاج بالمتحف الإسلامى عليه زخرفة بالبريق المعدنى واسم الأمير عبد الصمد بن على حوالى ١٥٥هـ/ ٧٧٢م .

ونص الكتابة الكوفية (الأمير عبد الصمد بن على أصلحه الله وأعز نصره) وكان هذا الأمير واليا على مصر من قبل أبو جعفر المنصور العباسى سنة ١٥٥هـ/ ٧٧٢ ـ ٧٧٣م(٩) .

---

(٨) حسن ، فنون الإسلام ، ص٢٥٩ ـ ٢٦٠ ؛ ماهر ، سعاد ، الفنون الإسلامية ، القاهرة (١٩٨٦م)، ص٢٧ ـ ٢٨ ؛ عبد الرازق ، الفنون الإسلامية ، ص١٤٥ ـ ١٤٦ ؛ حسين ، محمود إبراهيم ، الخزف الإسلامى فى مصر ، القاهرة (١٩٨٤م)، ص٢٢ ـ ٣٧ ؛ ياسين ، الفنون الزخرفية ، ص٤٠٩ ـ ٤١٥ .

(٩) يوسف ، عبد الرؤوف على ، الزجاج ، ضمن كتاب القاهرة تريخها فنونها آثارها ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة (١٩٧٠م)، ص٣٣٢ ـ ٣٣٣ ؛ دراسة فى الزجاج المصرى ، ضمن أعمال الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، مارس ـ ابريل (١٩٦٩م)، جـ٢ ، القاهرة (١٩٧١م)، ص٨ ؛ حميد ، الفنون الزخرفية ، ص١٥٠ ـ ١٥١ .

ويرى (Lane) فى كتابه الخرف الإسلامى المبكر أن العامل الأساسى فى هذا الابتكار هو تقدم صناعة الخزف فى العراق فى العصر العباسى وإدراك الصناع أنه من الممكن أن يخلق من الخزف تحفا فنية تستحق التقدير ، ثم وجود الأوانى الخزفية الجميلة التى كانت تستورد من الشرق الأقصى والتى كانت تغمر أسواق بغداد وقد استمد منها الخزاف العراقى الوحى فى ابتكاره هذا(١٠) .

ولا يوافق الدكتور مرزوق على الرأى السابق الذى طرحه (مستر لين) وإنما يرى أن هناك عاملان رئيسيان لعبا دوراً هامًا فى هذا الابتكار ، هما موقف الدين الإسلامى من إستعمال الأوانى الذهبية والفضية ، ثم رغبة الخزاف فى إيجاد بديل لهذه الأوانى الذهبية التى كان يحوم الشك حول استعمالها ، ويرى أن العراق كان موطن هذه الصناعة ومنها انتشرت فى بقية أقاليم العالم الإسلامى(١١) .

وخلاصة القول أنه إذا كانت مصر قد عرفت استخدام مادة البريق المعدنى على التحف الزجاجية منذ النصف الثانى من ق٢هـ/ ٨م ـ فقد عرفتها أيضًا العراق والشام كما يستدل من الاكتشافات الآثارية ـ إلا أن هذه المادة لم تظهر على الخزف إلا فى ق ٣هـ/ ٩م (سواء كان موطن هذه الصناعة مصر أو العراق أو ايران) والمهم أن الخزف ذو البريق المعدنى إبتكار إسلامى غير مسبوق ، فلم تعرفه الصين ذات الباع الطويل فى هذا المضمار ، ولم تعرفه أوروبا إلا فى ق ١٢هـ/ ١٨م .

---

(10) Lane, A., Early Islamic Pottery, London, (1953); P. 10 .

(١١) مرزوق ، الفنون الزخرفية ، ص١٧٧ ـ ١٨٠ ؛ العراق معهد الفن الإسلامى ، ص٦٥ ـ ٦٧ .

مختارات من الفنون الزخرفية تمثل طرز الفن الإسلامي المختلفة[١٢] :

أولاً : الفخار والخزف :

١ ـ الفخار هو كل ما صنع من طينة طبيعية محلية ـ أي خاصة بكل قطر من الأقطار ـ تصنع منها الأواني مباشرة وهي إذا احترقت في درجة حرارة معينة في أفران خاصة اكتسبت شيئا من الصلابة.

وقد وصلنا نوعين من الفخار الإسلامي : فخار غير مطلي أي غير مزجج وفخار مطلي أي مزجج أو مطلي بطبقة من الزجاج الزائب[١٣] .

ومن النماذج التي تم اختيارها قارورة نفط من الفخار الفخار غير المطلي علي هيئة رمانية الشكل ذات زخارف محزوزة (الطراز الفاطمي ـ مصر ـ ق ٤ ـ ٥هـ/ ١٠ ـ ١١م)[١٤] . (لوحة ٢٥٦) .

رمن أبدع أمثلة هذا النوع من الفخار غير المطلي شبابيك القلل (وتعرف أيضًا

---

(١٢) مما له دلالته في هذا الصدد أننا قد اعتمدنا في اختيار هذه الابداعات والروائع التي تمثل طرز الفن الإسلامي المختلفة في الفنون الزخرفية علي العديد من الكتب المنشورة ومنها :

Grube, E, The World of Islam, New York (1967),
Atil, Renaissance of Islam, Art of the Mamluks, Washington, (1981)., Carswell, J, Iznik Pottery, London (1998), Porter, V., Islamic Tiles, London, (1995). Ward, R., Islamic Metal Work, London, (1993).,

آصلان آبا ، أوقطاي ، فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة أحمد محمد عيسي ، استانبول (١٩٨٧م)؛ جنكينز ، مارلين ، الفن الإسلامي في متحف الكويت الوطني ، مجموعة الصباح، لندن (١٩٨٣م)؛ كنوز الفن الإسلامي ، ترجمة حصة صباح السالم (وآخرين) مراجعة أحمد عبد الرازق ، الكويت (١٩٨٥م)؛

Varity in Unity , Kuwait, (1987)., Zebrowski, M., Gold, Silver and Bronze from Mughal india, London, (1997)., Golombek, L., and Wilber, D., The Timurid Architecture of Iran and Turan, 2 vols, Princetton, (1988) .

(١٣) عبد الرازق ، الفنون الإسلامية حتي نهاية العصر الفاطمي .

(١٤) Varity in Unity, Kuwit, (1987), P. 50 .

باسم مرشح القلة أو حجاب القلة)[١٥] . (لوحتا ٢٥٤ - ٢٥٥) .

أما النوع الثاني ، وهو الفخار المطلي[١٦] فقد تم اختيار كسرة منه قوام زخرفتها رنك وظيفي هو رنك الهدف (وتمثل الطراز المملوكي - مصر - ق٨هـ/ ١٤م) (لوحة ٢٥٧) .

٢- الخـــزف :-

هو ما صنع من طينة غير طبيعيـة ، أي صناعيـة ، كـانت تختلف من اقليم إلي آخر، الجيدة منها تتألف من ثلاث مواد : مرنة وخشنة وصاهرة ولا توجد في الطبيعة طينة صالحة للاستعمال أي تشتمل علي المواد الثلاث السابقة[١٧] .

وقد تم اختيار عدة نماذج تمثل أشهر أنواع الغضار الإسلامي ومنها :

أ - الخزف ذو البريق المعدني : (الفخار المذهب) :

١ - الطراز العباسي في العراق (لوحات ٢٠٩ - ٢١١) .

٢ - الطراز الفاطمي في مصر (لوحات ٢١٣ - ٢١٦) .

٣ - الطراز السلجـوقي والمغـولي في ايران (لوحـات ٢١٧ - ٢١٩) . أواني وبلاطات نجمية الشكل (ايران) .

٤ - الطراز الأيوبي في الشام (لوحة ٢٢٠) .

٥ - طراز بني الأحمر أو بني نصر في الأندلس (لوحة ٢٢١) .

ب - خزف مينائي (لوحتا ٢٢٢ ، ٢٢٤) (ايران)

جـ - خزف الفيوم (لوحة ٢٢٣) (مصر) .

---

(١٥) مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية في مصر قبل الفاطميين ، ص٥٣ - ٥٤ ؛ عبد الرازق ، الفنون الإسلاميـة حتي نهاية العصر الفاطمي ، ص١٥٥ - ١٥٨ ؛ شبابيك القلل الفخارية في دار الآثار الإسلامية ، الكويت (١٩٨٨م)، (١٢١ صفحة) .

(١٦) انظر عنه : عبد الرازق ، الفنون الإسلامية في العصرين الأيوبي والمملوكي ، ص٢٠٣ - ٢٠٨ .

(١٧) عبد الرازق ، الفنون الإسلامية حتي نهاية العصر الفاطمي ، ص١٣٥ .

د ـ خزف سلطان آباد (لوحة ٢٢٥) (ايران) .

هـ ـ الخزف المرسوم تحت الطلاء باللونين الأزرق والأسود علي أرضية بيضاء (الطراز المملوكي ـ مصر ، ق٨هـ/ ١٤م) لوحات ٢٢٦ ـ ٢٢٨ .

و ـ خزف ازنيق الشهير (أواني وبلاطات) (لوحات (٢٢٩ ـ ٢٥١ تركيا .

ز ـ الفسيفساء الخزفية وفق الأسلوب المعروف بالعراق (كاشيكاري معرق) ـ الطراز التيموري في أسيا الوسطي (لوحة ٢٥٢) .

٣ـ الزجاج :

أ ـ وقع اختيارنا علي أشهر أنواع الزجاج الإسلامي وهو الزجاج المموه بالمينا المتعددة الألوان (لوحات ٢٥٨ ـ ٢٦٣) وتمثل الطراز المملوكي .

ب ـ زجاج بوهيميا الشهيروكان هذا النوع من الزجاج الفاخر يصدر إلي العديد من البلدان أو يصنع برسم بعض سلاطين الدولة العثمانية ومحمد علي باشا وأسرته بمصر (لوحة ٢٦٤) .

٤ ـ المعادن :

أ ـ ابريق من البرونز يعرف بابريق مروان بن محمد (الطراز الأموي) (لوحة ٢٦٥).

ب ـ التماثيل المجوفة والمصمتة وتمثل الطراز الفاطمي في مصر (لوحتا ٢٦٦ ـ ٢٦٧) .

جـ ـ ابريق من الذهب يمثل الطراز البويهي في العراق أو إيران (ق٤هـ/ ١٠م) (لوحة ٢٦٨) .

د ـ شمعدان من البرونز يمثل الطراز السلجوقي في شرق ايران . ق٧هـ/ ١٣م . (لوحة ٢٦٩) .

هـ ـ شماعد وثريات وتنانير ومناضد (هي المعروفة بكراسي العشاء) ومقلمات وطسوت وقماقم ومشكاوات ومباخر من النحاس المكفت بالذهب والفضة أو

الفضة فحسب وتمثل الطراز المملوكي أصدق تمثيل ؛ بل وتعد من ابداعات وروائع الفن الإسلامي بصفة عامة ـ (لوحات ٢٧٠ ـ ٢٨٤) .

و ـ ابريق من الفضة مطلي بالذهب يمثل الطراز التركي العثماني ق١٠هـ/ ١٦م. (لوحة ٢٨٦) .

ز ـ مجموعة مختارة تمثل ابداعات الفن الإسلامي في الهند المغولية من تحف المجوهرات المختلفة علب وأختام ودلايات وخناجر وسيوف وصحن من الذهب بأسلوب Kundan (لوحات ٢٨٧ ـ ٣٠٠) .

ح ـ قلادة (أعلى) وقرط (أسفل إلي اليمين) من أواخر العصر الأيوبي أو أوائل العصر المملوكي ، وقلادة ونيشان من عهد الأسرة العلوية (محمد علي وأسرته بمصر) (لوحة ٣٠١) .

ط ـ أدوات فلكية من اسطرلابات وربعية ودائرة معدل تمثل الطراز العباسي والصفوي والتركي العثماني والمغرب في القرن ١٣هـ/ ١٩م (لوحات ٣٠٢ ـ ٣٠٥) .

٥ ـ الخشب والعاج :

أ ـ منبر جامع القيروان من خشب الساج ٢٤٨هـ/ ٨٦٢م (الطراز العباسي ـ عصر الأغالبة في افريقية (تونس) .

ب ـ مقلمة مبكرة عثر عليها في حفائر الربذة بالمملكة العربية السعودية (العصر العباسي الأولي ١٣٢ ـ ٢٣٢هـ) . (لوحة ٣٠٧) .

جـ ـ ألواح بيمارستان قلاوون (وهي في الأصل من القصر الغربي الفاطمي الصغير) وتمثل المرحلة الثانية من مراحل تطور الأخشاب في الطراز الفاطمي بمصر (لوحة ٣٠٨) .

د ـ السقف الخشبي الذي يغطي الكابلا بلاتينا في بالرمو بصقلية وتزينه رسوم متنوعة منفذة بطريقة الفرسكو (ويمثل استمرار الطراز الفاطمي خلال عصر النورمان بصقلية) لوحة ٣٠٩) .

هـ ـ بوق صيد من العاج ق٦هـ/ ١٢م يمثل الطراز الفاطمي مصر أو صقلية (لوحة ٣١١) .

(و) علبة عاجية اسطوانية الشكل مؤرخة ٣٥٧هـ/ ٩٦٨م تمثل طراز الخلافة الأموية بالأندلس (لوحة ٣١٠) .

ز ـ مناضد من الخشب المطعم بالعاج والأبنوس (وهي المعروفة بكراسي العشاء) تمثل الطراز المملوكي في مصر (لوحتا ٣١٢ ـ ٣١٣) .

ح ـ صندوق مصحف من الخشب المصفح بالنحاس المكفت بالفضة والذهب ، يمثل الطراز المملوكي في مصر (لوحة ٣١٤) .

ط ـ سقف تربة السلطان العثماني مراد الثاني في بورصة أو بروسة ويمثل الطراز العثماني المبكر . (لوحة ٣١٥) .

٦ـ النسيج :

أ ـ مجموعة من قطع المنسوجات الحريرية والكتانية تمثل الطراز المملوكي في مصر (لوحات ٣١٦ ـ ٣١٩) .

ب ـ قطعة من نسيج الحرير تزينها مناظر تصويرية تمثل الطراز الصفوي في ايران ق١٠هـ/ ١٦م . (لوحة ٣٢٠) .

٧ـ السجاد :

أ ـ نماذج تمثل طراز السجاد المملوكي في مصر (لوحتا ٣٢١ ـ ٣٢٢) .

ب ـ سجادة تجمع بين خصائص الطرازين المملوكي والعثماني في أوائل ق١٠هـ/ ١٦م (لوحة ٣٢٣) .

جـ ـ السجاد التركي العثماني من النوع المعروف بسجاجيد عشاق ذات النجوم أو الجامات (أعلي) وسجاجيد هولباين (أسفل) (لوحة ٣٢٤) .

د ـ نماذج تمثل السجاد الايراني من طراز الجامة ذي المناظر التصويرية وطراز الحدائق وسجادة ثالثة تنسب إلي هراة (أفغانستان) (ق١٠هـ/ ١٦م) (لوحات ٣٢٥ ـ ٣٢٧) .

هـ ـ سجادة هندية تمثل الطراز المغولي الهندي أواخر ق١٠هـ/ ١٦م. (لوحة ٣٢٨).

الفصل الثالث

التصوير الاسلامى وفنون الكتاب

يعد التصوير الإسلامي وفنون الكتاب من المجالات الفنية التي أبدع فيها الفنان المسلم أيما أبداع ؛ وهو ما يستدل عليه من تلك الثروة المادية التي لا تزال باقية من المخطوطات المزوقة بالتصاوير والمصاحف وجلود الكتب في العديد من المتاحف ودور الكتب والمكتبات والمجموعات الفنية المحلية والاقليمية والدولية من جهة ، ودراسات العديد من المستشرقين والعلماء والباحثين في الفنون الإسلامية عامة ، وفنون التصوير والكتاب خاصة .

المبحث الأول : التصوير الإسلامي :

يكاد يكون من المتعذر أن نعين فنا من الفنون الإسلامية لم يعتمد على التصوير في تحلية منتوجاته : ففي التحف من الخزف والنسيج والخشب والمعدن والجص والفسيفساء وغيرها لعب التصوير دوراً على جانب كبير من الأهمية ، وإن الزائر لمتاحف الفنون الإسلامية ليعجب لما يراه من كثرة التحف التي تدين بجمالها لما يزخرفها من صور بديعة .

ولم تقف زخرفة التحف الإسلامية بالصور عند حد الأجزاء الظاهرة منها ، بل ان بعض التصوير قد أسهم في تجميل كثير من الأجزاء التي قلما تظهر للعيان ، ومن الأمثلة الدالة على ذلك شبابيك القلل الفخارية التي حرص الفنان على زخرفتها بأنواع مختلفة من الصور. ويحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة بمجموعة من شبيابيك القلل بعضها يزينه صور آدميين جالسين القرفصاء منهم من له انف طويل هزلي (أرقام سجل ١٨٧٢٦ و ٦٥٢٩/٣) ومنهم من يمسك بيده كأسا يقربه إلى فمه (أرقام سجل ٦٥٢٩/٣ و٦٤٤٧/٤ و ٨٥٧٧/١١٢) ومن أجمل هذه التحف شباك قلة تزخرفه صورة طاووس جميل قد نشر ذيله ورفع رأسه في زهو وخيلاء (رقم السجل ٨٥٧٦)[١].

---

(١) الباشا ، حسن ، التصوير الإسلامي في العصور الوسطى ، القاهرة ، ط٢ (١٩٧٨م)، ص٥ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن هذه الشبابيك وتصاويرها الآدمية والحيوانية انظر ، عبد الرازق ، شبابيك القلل ، ص٢٧ - ٣١ ، لوحات ٤٠ - ٤٦ .

Olmer, R., Les Filteres de gargoulettes, Catalogue Génerale du Musée Arabe du Caire, Le Caire, (1932) .

وعلى الرغم من التأثير المتبادل بين الصور المنقوشة على التحف المصنوعة فى الأقطار الإسلامية خلال العصور التاريخية المتعاقبة فقد جرت العادة أن تدرس هذه الصور ضمن الفنون التطبيقية التى استخدمتها : أى أن ندرس مثلا الصور المرسومة على الخزف ضمن دراسة الخزف أو أن ندرس الصورة المحفورة فى الخشب ضمن دراسة الخشب وهكذا والسر فى ذلك هو أن الصور نفسها تعتبر عنصراً من العناصر الأساسية فى هذه الفنون من جهة ، وأن طريقة الصناعة تتحكم فى اسلوب الصور المنقوشة عليها من جهة أخرى .

وقد سبق أن تحدثنا عن بعض هذه الصور فى الفصل الثانى من هذا الباب وهو الفصل المتعلق بالفنون الزخرفية الإسلامية .

أما هذا المبحث فسوف تعنى فيه فقط بالتصوير الصرف كما يتمثل فى الصور الجدارية والمخطوطات المزوقة بالتصاوير : ذلك أن دراسة هذين الفرعين من فروع التصوير إنما تبحث فى التصوير لذاته[٢].

والحق ان دراسة التصوير الإسلامى ، ولا سيما فى ضوء المخطوطات المزوقة بالتصاوير ، تعد على جانب كبير من الأهمية حيث أن هذه التصاوير تعد بمثابة وثائق مادية مهمة تكشف ملامح وسمات الحياة فى الفترة التى ترجع إليها ؛ ومن ثم فهى مرآة عاكسة لظروف العصر وطبيعته ووقائعه المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفنية .

وعلى ذلك فإن أهمية دراسة التصوير الإسلامى لا تقف عند حد الجانب الفنى بأبعاده وزواياه المختلفة فحسب ؛ وإنما تمتد فتشمل كذلك الجوانب التاريخية والحضارية المختلفة ، ولو إستطعنا تحقيق التكامل فى المنهج العلمى بين هذه الجوانب كلها لخرجنا بنتائج جديدة غير تقليدية فى التاريخ والحضارة والآثار الإسلامية على السواء وهو الأمر الذى يجب أن تتوفر عليه الدراسات المستقبلية .

هذا ولن نتطرق فى هذه العجالة لموضوع حكم التصوير فى الإسلام وأثر ذلك على

(٢) الباشا ، التصوير ، ص٦ .

طبيعة الفن الإسلامى بصفة عامة ، والتصوير الإسلامى بصفة خاصة ؛ فمن جهة سبق وأن تناولت هذا الموضوع العديد من الدراسات العربية وغير العربية على السواء[٣]، ومن جهة أخرى فإن مناقشة هذا الموضوع تحتاج إلى تفاصيل كثيرة وتحليل عميق ؛ وهو الأمر الذى أفردنا له دراسة مطولة لاحقة سوف تنشر فى القريب (بمشيئة الله تعالى) .

أولاً : التصوير الجدارى :

استخدم المسلمون فى تزيين الجدران بالصور طريقتين هما الفسيفساء والفرسكو .

١ - الفسيفساء :

ويقصد بها الزخرفة عن طريق لصق عدد من القطع الصغيرة والفصوص ذات الألوان المختلفة بعضها إلى جانب بعض على طبقة من الجص أو الملاط بحيث تؤلف زخارف وصوراً ، وقد تكون هذه القطع من الأحجار أو الرخام أو الصدف أو الزجاج أو الذهب أو الفضة ، وقد تكون على هيئة مكعبات دقيقة وقد تكون غير منتظمة الشكل[٤].

---

(٣) حسبنا أن نشير إلى عدد من هذه الدراسات ومنها : كريزول ، الآثار الإسلامية الأولى، ص١٣٦ - ١٣٨؛ اتنجهاوزن ، ريتشارد ، فن التصوير عند العرب ، ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتى ، بغداد (١٩٧٤م)، ص١٢ - ١٤ ؛ الباشا ، التصوير الإسلامى ، ص٩ - ٢٠ ؛ فنون التصوير الإسلامى فى مصر، القاهرة ، ط٢ (١٩٧٣م)، ص٩ - ١٦؛ مدخل إلى الآثار الإسلامية ، القاهرة ، ط٢ (١٩٩٠م)، ص١٩٦ - ١٩٩ ؛ محرز ، جمال محمد ، التصوير الإسلامى ومدارسه ، القاهرة (١٩٦٢م)، ص٥ - ١٢؛ بهنسى ، عفيف ، جمالية الفن العربى ، الكويت (١٩٧٩م)، ص١٩ - ٢٢ ، ٨٤ - ٩٠ ؛ عكاشة ، ثروت ، التصوير الإسلامى الدينى والعربى ، بيروت (١٩٧٧م)، ص١٠ - ٢٧ ، ٤٤ - ٧٩ ؛ حسين ، محمود إبراهيم ، أعلام المصورين المسلمين وأشهر أعمالهم الفنية ، القاهرة (١٩٨٢م)، ص٣ - ١٩ ؛ فرغلى ، أبو الحمد محمود ، التصوير الإسلامى ، نشأته وموقف الإسلام منه وأصوله ومدارسه ، القاهرة (١٩٩١م)، ص٢١ - ٢٧ ؛ إبراهيم ، وفاء ، فلسفة فن التصوير الإسلامى ، القاهرة (١٩٩٦م)، ص١٦ - ٢٢ ، عبده ، مصطفى ، النحت والتصوير بين الإباحة والتجريم ، القاهرة (١٩٩٩م)، ص١١ - ٧٤ ؛ وعن أحدث الأراء الدينية انظر ، مرزوق ، عبد الصبور ، القرآن والرسول ومقولات ظالمة ، القسم الثانى، القاهرة (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م)، ص٧٠ - ٧٢ ؛ زقزوق ، محمود حمدى ، حقائق إسلامية فى مواجهة حملات التشكيك ، القاهرة ، ط٥ (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، ص٩٠ - ٩١ .

(٤) الباشا ، التصوير ، ص٢٧ .

وترجع أقدم العمائر الباقية المزخرفة بهذه الطريقة إلى العصر الأموى كما هو الحال فى قبة الصخرة ٩٢هـ/ ٦٩١م بالقدس الشريف والجامع الأموى ٨٦ ـ ٩٦هـ/ ٧٠٥ ـ ٧١٥م ، بدمشق من العمائر التذكارية والدينية (لوحات ٣٣٨ ـ ٣٤١) والحمام الملحق بقصر هشام بن عبد الملك (١٠٥ ـ ١٢٥هـ/ ٧٢٤ ـ ٧٤٣م) المعروف بقصر خربة المفجر (أريحا) بفلسطين (لوحتا ٣٤٢ ـ ٣٤٣) وإذا كانت تصاوير الفسيفساء فى قبة الصخرة والجامع الأموى تخلو من صور الكائنات الحية ، فإن تصاوير حمام قصر خربة المفجر تتضمن صوراً لكائنات حية كما سنشير فيما بعد . وبالنسبة لتصاوير قبة الصخرة والجامع الأموى فهى عبارة عن مناظر طبيعية بحتة تتمثل فى قبة الصخرة على هيئة أشجار كاملة بأوراقها وثمارها كالنخيل والزيتون أو تشكيلات زخرفية نباتية متنوعة تمتزج بأوانى الزهور والقواقع وقرون الرخاء وأنواع الفواكه المختلفة كالعنب والرمان والبلح والتفاح والكمثرى ، فضلا عن تصاوير النجوم والأهلة والمجوهرات (كالأصداف والأحجار الكريمة) وأوراق الاكانتس (نبات شوكة اليهود) أو الأوراق الثلاثية الفصوص وغير ذلك، ويغلب على الألوان اللوم الأخضر بدرجاته المختلفة والذهبى ، وتوجد درجات من اللون الأبيض والأسود والبنفسجى والأحمر والفضى والرمادى الداكن[٥]. (لوحتا ٣٣٨ ـ ٣٣٩) .

وليست أدل على أهمية هذه الفسيفساء من الإشارة إلى ما ذكره العلامة ايتنجهاوزن بقوله « ليس هناك شك فى أن هذه الفسيفساء انجاز فنى كبير وأن تأثيرها بالغ الأهمية أيضًا وكانت هذه النقوش أكثر من مجرد زخرفة ، أما مهمة هذه الفسيفساء الأولى فكانت اشباع الرغبات الدينية والجمالية للخليفة ، واستهواء العرب وغيرهم من المهتدين الجدد »؛ ثم يضيف فيقول « ويبدو الغرض الأساسى من هذه الزخارف وكأنه ليس ابهار المشاهد فحسب بل هو أكثر من ذلك ؛ انه الاعلان عن انتصار آخر الأديان السماوية ومن المحتمل تبيان سيادته العالمية أيضًا »[٦].

---

(٥) الباشا ، التصوير ، ص٢٤ ـ ٣٠ ؛ فرغلى ، التصوير ، ص٤٧ ـ ٤٩ ؛ عكاشة ، التصوير الإسلامى الدينى والعربى ، ص٢٦٣ ـ ٢٦٧ .

(٦) اتنجهاوزن ، ريتشارد ، فن التصوير عند العرب ، ص٢٠ ـ ٢٢ ؛ بهنسى ، الفن العربى الإسلامى فى بداية تكونه ، بيروت ، دمشق (١٩٨٣م)، ص٦٢ .

وإذا كان البعض يرى فى زخارف قبة الصخرة أيضًا أنها ما هى إلا مجرد عناصر مجردة تمثل براءة الطبيعة ونقاء العقيدة وصفاء النفس وأنها لا تعكس بأية حالة إشارة أو رمزاً يدل على غير ذلك[٧] ، فإن هناك من يرى أن لهذه الزخارف صلة بالجنة وأنها تعكس دلالة رمزية وفق الجو العقائدى الذى كان سائداً آنذاك وهو ما تؤكده العناصر الزخرفية المستخدمة فأكثرها يمت بصله وثيقة إلى الفكر الإسلامى (كأشجار وثمار النخيل والزيتون والكرمة والرمان واللؤلؤ والجواهر) ولها معانيها الباطنة المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة[٨].

أما المناظر الطبيعية فى زخارف فسيفساء الجامع الأموى فبعضها يمثل زخارف نباتية وبعضها الآخر يمثل أشجاراً أى على غرار مناظر قبة الصخرة ، غير أن أهم هذه المناظر تلك التى تقع فى داخل الجامع علي مقربة من مدخله الرئيسى وهى المعروفة باسم مصورة نهر بردى ويتألف التصميم العام لهذه المصورة من نهر يجرى من اليسار إلى اليمين ، وتظهر فى جانبه الأيسر فى أعلاه قصور وعمائر ذات عدة طوابق ومن طرز مختلفة ويحف بهذه المبانى حدائق مزدهرة مثمرة وجبال وتلال[٩]. (لوحتا ٣٤٠ - ٣٤١) .

وقد لفتت هذه الزخارف أنظار البلدانيين والرحالة فها هو المقدسى يذكر أنها تمثل «صور أشجار وأمصار وقل شجرة أو بلد مذكور إلا وقد مثل على تلك الحيطان»[١٠].

أما القزوينى فيذكر أن من عجائب هذا الجامع « ... لو أن أحداً عاش مائة سنة وكان يتأمله كل يوم لرأى فى كل يوم ما لم يره من حسن الصنعة ومبالغة التنميق»[١١].

---

(٧) التل ، صفوان ، مبادئ الفن الإسلامى ، ضمن أعمال الندوة الدولية المنعقدة باستانبول فى ابريل ١٩٨٣م، وموضوعها « المبادئ والأشكال والمضامين المشتركة »، دمشق (١٩٨٩م)، ص٦٥ .

(٨) ياسين ، عبد الناصر ، الرمزية الدينية فى الزخرفة الاسلامية ، دراسة فى ميتافيزيقا الفن الإسلامى ، مجلة كلية الآداب بسوهاج جامعة جنوب الوادى ، العدد ٢٣ ، جـ٢ ، اصدار خاص : دراسات آثارية ، أكتوبر (٢٠٠٠م)، ص٣٠ - ٣٧ .

(٩) الباشا ، التصوير الإسلامى ، ص٣١ - ٤٣ ؛ فرغلى ، التصوير الإسلامى ص٥١ - ٥٣ ؛ اتنجهاوزن ، فن التصوير ، ص٢٢ - ٢٩ ؛ عكاشة ، التصوير الإسلامى الدينى والعربى ، ص٢٦٨ - ٢٧٣ .

(١٠) المقدسى ، أحسن التقاسيم ، ص١٥٧ .

(١١) القزوينى ، آثار البلاد ، ص١٨٩ - ١٩٠ .

هذا وقد اختلفت الأراء حول تفسير مغزى هذه المصورة فمن قائل أنها ترمز إلى مدينة دمشق ونهر بردى الذى يخترقها والتى تدين له بخصبها العجيب وبحدائقها الغناء وبغوطتها البهيجة وبمناظرها الطبيعية الجميلة(١٢).

ومن قائل أنها تمثل مدينة الله وفى قول ثالث أنها تعبير عن قوة الإسلام وشموله أكبر رقعة من العالم وأن تعاليم الإسلام أدت إلى ظهور العصر الذهبى والفردوس على الأرض(١٣).

ورأى رابع أنها ترمز إلى الجنة التى وعد الله بها المؤمنين الاتقياء والتى تهفوا لها قلوب العرب الظامئة إلى فردوس الحياة أى أنها وضعت كنوع من أنواع الحوافز لهؤلاء المؤمنين(١٤).

والحق أن هناك علاقة واضحة بين هذه المصورة وما ورد عن أوصاف الجنة فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وهو الأمر الذى يؤكد صلة هذه الزخارف الوثيقة بالفكر الإسلامى وليس الفكر المسيحي(١٥).

وإذا انتقلنا إلى تصاوير حمام قصر خربة المفجر (أريحا) نجد أنها عبارة عن شجرة تفاح (وقيل نارنج أو رمان) ضخمة ينبثق حولها بعض النباتات ، وإلى جانبها الأيسر غزالتان تمرحان بين بعض النباتات ، وإلى جانبها الأيمن أسد ينقض على غزال يحاول الأفلات منه(١٦). (لوحتا ٣٤٢ ـ ٣٤٣) يغلب على هذه التصويرة الأسلوب الواقعى فى

---

(١٢) الباشا ، التصوير ، ص٣٢ .

(١٣) اتنجهاوزن ، فن التصوير عند العرب ، ص٢٨ ـ ٢٩ ؛ بهنسى ، جمالية الفن العربى ، ص٥٢ ؛ ومما له دلالته أن بهنسى فى دراسة تالية له ذكر أن هذه المصورة ترمز لمدن مجمعة أو دول ؛ وأن بعض القصور إنما يعبر عن العواصم التى أصبحت تحت سيطرة الخليفة وهيمنته .
الفن العربى الإسلامى فى بداية تكونه ، ص٤٦ ؛ الجامع الأموى الكبير ، دمشق (١٩٨٨م)، ص١٤٠ .

(١٤) Grabar, O., the Formation of Islamic Art, Yale, (1973), P.
حسين ، محمود إبراهيم ، الأنا الفاعلة فى الفن والعمارة الإسلامية ، ضمن كتاب الأرابيسك ، الكويت (١٩٩٦م)، ص٢٢٧ .

(١٥) ياسين ، الرمزية الدينية فى الزخرفة الإسلامية ، ص٣٩ ـ ٤٧

(١٦) الباشا ، التصوير ، ص٤٧ ، فرغلى ، التصوير ، ص٥٥ ؛ رايس ، الفن الإسلامى ، ص٢١ ـ ٢٢ ؛ ؛ اتنجهاوزن ، فن التصوير ، ص٣٦ ـ ٤٠ ؛ عكاشة ، التصوير الإسلامى الدينى والعربى ، ص٢٧٩ ـ ٢٨٢ .

صورة الشجرة ، كما تفنن انقاش فى التعبير عن المنظور الهوائى فبدت الأوراق ذات أبعاد فى الفراغ تجلت بتأثير حسن ترتيب الألوان وتركيز تضادها (الظل والنور) ، ويبدو التحجم دقيقا فى تكوين الأسد والغزلان الثلاثة فى أسفل الشجرة فقد كان التظليل شديد الوضوح مفيداً فى التعبير عن التشريح والحركات[١٧].

أما عن منظر الأسد وهو ينقض على فريسته فيعد رمزاً يعبر عن قوة الخلافة التى لا تقاوم[١٨]، وتعكس الآدلة الأثارية الباقية استمرار هذه الدلالة الرمزية لعدة قرون فى الفن الإسلامي[١٩].

٢ـ الفرسكو : Fresco

ويقصد به الرسم بالألوان المائية على الجدران وطريقة اعداد الصور بها هى أن يكسى الجدار بطبقة من الجص ثم يطلى فوقها بالألوان الأرضية المذابة فى الماء ويراعى أن يوضع الطلاء قبل أن يتم جفاف الجص حتى يتشرب الجص اللون فى أثناء جفافه وبذلك يتفادى تساقط الطلاء[٢٠].

ومن الملاحظ أن الرسم بهذه الطريقة يبدو أسهل تناولاً ولقد استعيض به عن الفسيفساء لقلة تكاليفه وسرعة انجازه[٢١].

هذا وتمثل التصاوير الباقية فى قصير عمرة بالأردن (يقع على بعد خمسين ميلا شرقى عمان) أقدم الصور المائية المعروفة حتى الآن ؛ بل وتمثل أضخم مجموعة من هذه الصور عثر عليها فى مبنى دنيوى (مدنى) قبل العصر الرومانسكي[٢٢].

---

(١٧) بهنسى ، جمالية الفن العربى ، ص٥٣ ـ ٥٤ .

(١٨) ايتنجهاوزن ، فن التصوير عند العرب ، ص٣٨ ـ ٣٩ .

(١٩) Hartner, W., and Ettinghausen , R., The Conquering Lion, the life cycle of asymbol, Oriens, vol, 17, (1964), pp. 161 - 171 .

(٢٠) الباشا ، التصوير ، ص٤٩ .

(٢١) بهنسى ، جمالية الفن العربى ، ص٥٤ .

(٢٢) كريزول ، الآثار الإسلامية الأولى ، ص١٢٣ .

ويرجع غالبية العلماء والباحثين تاريخ بناء هذا المبنى إلى الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك (٨٦ ـ ٩٦هـ/ ٧٠٥ ـ ٧١٥م) وبالتحديد إلى الفترة الواقعة فيما بين ٩٢ ـ ٩٦هـ/ ٧١١ ـ ٧١٥م ؛ وذلك إعتماداً على دراسة ترتيب الرسوم الأدمية فى الصورة المعروفة بصورة أعداد الإسلام أو ملوك الأرض[٢٣] ، ونحن نفضل تسميتها بصورة انتشار الإسلام حيث أن الفتوح الإسلامية قد أدركت أقصى مداها شرقا وغربا قبيل وفاة الخليفة الوليد بن عبد الملك ٩٦هـ/ ٧١٥م .

هذا وتنحصر الألوان المستخدمة فى صور قصير عمرة المائية فى اللون الأزرق واللون البنى الداكن والبنى الفاتح واللون الأصفر الداكن واللون الأخضر المشوب بزرقة .

وتمثل هذه الصور موضوعات مدنية شتى منها مناظر صيد ورقص وتدريبات رياضية وحرف صناعية متنوعة ورسوم نساء عاريات وشبه عاريات وكيوبيد ومراحل العمر المختلفة (لوحة ٣٤٥) بالإضافة إلى صور سافرة وأشكال رمزية ورسوم حيوان وطير وزخارف هندسية ونباتية .

غير أن أهم الصور المرسومة بالمبنى تتمثل فى ثلاث صور :

الأولى هى : الصورة المعروفة بصورة أعداء الإسلام أو ملوك الأرض والتى فضلنا تسميتها بصورة انتشار الإسلام ، وتوجد عند الطرف الجنوبى للحائط الغربى بقاعة الاستقبال ، وتمثل هذه الصورة ستة رجال يلبسون ثيابا حسنة يصطف ثلاثة منهم فى الأمام وقد مدوا أيديهم ويقف الثلاثة الباقون خلفهم ، وقد بقيت أسماء أربعة فوق رؤوسهم : وهم من اليسار إلى اليمين قيصر وكسرى فى الصف الأمامى ولذريق (ملك

---

(٢٣) كريزول ، الآثار الإسلامية الأولى ، ص١٢٧ ـ ١٣٠ ؛ الباشا ، التصوير ، ص٥١ ـ ٥٢ ؛ الريحاوى ، العمارة فى الحضارة الإسلامية ، ص٨٥ ؛ سامح ، العمارة فى صدر الإسلام ، ص٣٩ ـ ٤٠ ؛ يحيي ، آثارنا الإسلامية ، العمارة فى صدر الإسلام والعصر العباسى الأول ، ص٩١ ـ ٩٥ .

وهناك من يرى أن أعمال البناء بدأت فى عهد الوليد واستمرت زخرفته وزياداته حتى عهد هشام بن عبد الملك (ت١٢٥هـ/ ٧٤٣م) وذلك استدلالاً من كتابة عثر عليها موجهة إلى أحد أفراد الأسرة الحاكمة .

رايس ، الفن الإسلامى ، ص٢٧ ؛ فرغلى ، التصوير الإسلامى ، ص٦١ ؛ بهنسى ، الفن العربى الإسلامى فى بداية تكونه ، ص١٠٧ ؛ اتنجهاوزن ، فن التصوير ، ص٣٣ .

القوط الغربيين فى أسبانيا) والنجاشى .

والصورة الثانية : فى قاعة الاستقبال أيضًا وهى مرسومة فى حنية مستطيلة الشكل فى الحائط الجنوبى وتمثل حاكما جالسا على عرشه وفوق رأسه مظلة ترتكز على عمودين حلزونيين وعلى جانبى العرش وقف شخصان : أحدهما إلى اليمين يحمل مذبة (لوحة ٣٤٤) .

ومن المرّجح أن هذه الصورة إنما ترمز إلى الخليفة الأموى ، ويقال إنه كانت هناك كتابه تشير إلى اسمه تلفت فى عهد الوا موزيل مكتشف القصر ١٨٩٨م دون أن يتمكن أحد من قراءتها .

ويعتقد ايتنجهاوزن أن مواضيع هذه الصور وهى صورة الخليفة المتوج الذى يشبه سيد الكون وصور الملوك الستة (صورة انتشار الإسلام) إنما تدل على الفكرة القائلة من أن الخليفة كان يحكم الأرض التى كان يظن أنها محاطة بالمحيط ، تدل عليه الوحوش البحرية وتغطيه السماء التى رمز إليها بالطيور .

أما الصورة الثالثة فهى تلك الصورة التى تزين باطن قبة الحجرة الثالثة بالحمام (الجوانى وفق المصطلح الشامى وبيت الحرارة وفق المصطلح المصري) وهى تمثل السماء بما فيها من بروج ومجموعة شمسية (Zodiac) ولهذه الصورة قيمة علمية فى الدراسات الفلكية ، فضلاً عن قيمتها الفنية(٢٤).

ومن الصور المائية التى ترجع إلى العصر الأموى أيضًا تصويرتان من قصر الحير الغربى فى تدمر ـ بالميرا) الذى يرجع إلى عهد الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك (١٠٥ ـ ١٢٥هـ/ ٧٢٤ ـ ٧٤٣م) وبالتحديد عام ١٠٩هـ/ ٧٢٨م وهى محفوظتان فى المتحف الوطنى بدمشق ، والصورة الأولى (لوحة ٣٤٦) تنقسم رأسيا إلى ثلاثة أقسام ، ويشمل القسم الأعلى صورة عقدين متصلين ، ويقف تحت العقد الأيمن رجل ينفخ فى

---

(٢٤) عن الدراسة الوصفية والتحليلية لهذه الصور انظر ، كريزول ، الآثار الإسلامية ، ص١٢٢ ـ ١٣٦ ؛ الباشا ، التصوير الإسلامى ، ص ٥٥ ـ ٦٧ ؛ فرغلى ، التصوير الإسلامى ، ص٥٧ ـ ٦١ ؛ بهنسى ، الفن العربى الإسلامى ، ص١٠٧ ـ ١١٣ ؛ اتنجهاوزن ، فن التصوير عند العرب ، ص٢٩ ـ ٣٣ ؛ عكاشة ، التصوير الإسلامى والدينى والعربى ، ص٢٧٤ ـ ٢٧٧ .

مزمار وأمامه أربع زهرات ، ويقف تحت العقد الأيسر امرأة تعزف على قيثارة ، وفى القسم الأوسط يشاهد صورة فارس قد امتطى صهوة جواده الراكض وشرع يرمى غزالاً بسهم (ومن المرّجح أنها تمثل القسم الأول من قصة بهرام گور ومحظيته فتنه أو أزده) (لوحة ٣٤٦) أما القسم الأسفل - وهو أكبر الأقسام - فيتضمن صوراً آدمية وحيوانية ربما كانت تمثل مناظر صيد وفلاحا يسوق مواشيه أو صياداً ومعه صيده .

أما الصورة الثانية (لوحة ٣٤٧) فيتوسطها رسم جامة دائرية الشكل بها صورة نصفية لسيدة فى وضع مواجه ، وقد أمسكت بيديها منديلاً مملوءاً بالفاكهة ، ويزين إطار الجامة حبات اللؤلؤ الساسانية ، وكذلك يزين عنق السيدة عقد من حبات اللؤلؤ أيضًا وتحته يلتف ثعبان ، ويشاهد فوق الجامة كائنان بحريان خرافيان متقابلان على أرضية ذات زخارف نباتية ، ويمسك كل منهما فى يده عصا ، ويتألف كل من الكائنين من النصف العلوى لإنسان والنصف السفلى لسمكة ، وربما تمثل هذه الصورة الثانية الهة الأرض المسماه جيا[٢٥].

واستمرت زخرفة الجدران بهذه الطريقة بعد العصر الأموى وهو ما يستدل عليه من المصادر التاريخية المختلفة ؛ فضلا عن الأدلة المادية الآثارية الباقية ومن بينها تصاوير قصر الجوسق الخاقاني[٢٦] بمدينة سامرا (٢٢١ - ٢٧٦هـ/ ٨٣٦ - ٨٨٩م) بالعراق (لوحتا ٣٤٨ - ٣٤٩) ؛ وتصاوير الحمام المعروف بالحمام الفاطمي[٢٧] المحفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة وربما ترجع إلى القرن ٤هـ/ ١٠م أو القرن ٥هـ/ ١١م (لوحة

---

(٢٥) عن الدراسة الوصفية والتحليلية لكل من هاتين الصورتين انظر ، الباشا ، التصوير الإسلامى ، ص٦١- ٦٤ ، فرغلى ، التصوير الإسلامى ، ص٦٢ - ٦٣ ؛ بهنسى ، الفن العربى الإسلامى ، ص١٣٦ - ١٣٧ ؛ اتنجهاوزن ، فن التصوير عند العرب ، ص ٣٣ - ٣٦ ؛ حسين ، محمود إبراهيم ، المرأة فى انتاج المصور المسلم ، القاهرة ، (١٩٨٣م)، ص ٤ - ٥ ؛ عكاشة ، التصوير الإسلامى الدينى والعربى ، ص٢٧٨ - ٢٧٩ .

(٢٦) الباشا ، التصوير الإسلامى ، ص٦٩ - ٧٦ ؛ فرغلى ، التصوير الإسلامى ، ص٦٤ - ٦٨ ؛ حسين ، المرأة فى انتاج المصور المسلم ، ص٥ - ٧ ؛ اتنجهاوزن ، فن التصوير ، ص٤٢ - ٤٤ ؛ عكاشة ، التصوير الإسلامى الدينى والعربى ، ص٢٨٤ - ٢٨٦ .

(٢٧) الباشا ، التصوير الإسلامى ، ص٧٧ - ٨١ ؛ فنون التصوير الإسلامى فى مصر ، ص٥٦ - ٥٩ ؛ ٦٥ - ٧١ ؛ فرغلى ، التصوير الإسلامى ، ص٧١ - ٧٣ ؛ حسين ، محمود إبراهيم ، الفنون الإسلامية فى العصر الفاطمى ، القاهرة (١٩٩٩م) ، ص٦٥ - ٧٤ ؛ عكاشة ، التصوير الإسلامى الدينى والعربى ، ص٢٨٦ - ٢٩٠ .

٣٥٠)؛ وتصاوير سقف الكابلاتينا فى بالرمو بجزيرة صقلية[٢٨] (الوحات ٣٥١ ـ ٣٥٣).

ومنها بعض التصاوير المكتشفة بمدينة الزهراء عام ١٩١٢م .

وتصاوير البرطل بقصر الحمراء فى غرناطة المكتشفة عام ١٩٠٨م وترجع إلى الربع الأول من القرن ٨هـ/ ١٤م .

ومن الملاحظ أن تصاوير الزهراء قد رسمت بالفرسكو، بينما رسمت تصاوير البرطل بطريقة التمبل Temple وقوام هذه الطريقة هو أن تذاب الألوان فى محلول صمغى أو فى زلال البيض وترسم الموضوعات بهذا المحلول على السطح الجاف ، وقد حددت الرسوم أولاً بالقلم الأسود أو الأحمر ثم لونت بعد ذلك المساحات المحصورة بين هذه الحدود ، أما الألوان فهى الأبيض والأحمر والبنفسجى والأخضر والأصفر والأسود والأزرق والذهبى . وقد وزعت الموضوعات على أربعة أشرطة يحدها من أعلى اطار مزين بأوراق نباتية ومن أسفل اطار به رسوم هندسية وأخر به كتابات كوفية منها اليمن الدائم ـ العز القائم ـ البركة ، وتمثل الموضوعات جنوداً ممتطين صهوات الجياد وأسرى ورجال داخل خيام وسيدات فى هوادج على جمال ومناظر طرب وخيولا وجمالاً وبغالاً وقطعانا من البقر مع حراسها[٢٩].

والحق أن أهمية دراسة التصوير الجدارى تكمن فى كونها تمثل البدايات الأولى والمراحل المبكرة التى قطعها التصوير الإسلامى قبل القرن ٦هـ/ ١٢م وهو القرن الذى ترجع إليه أقدم المخطوطات الباقية المزوقة بالتصاوير وفق أسلوب المدرسة العربية ، ومن ثم يمكن أن يقاس تطور التصوير فى المخطوطات منذ بدايته إلى نهاية ق٦هـ/ ١٢م

---

(٢٨) الباشا ، التصوير الإسلامى ، ص٨٢ ـ ٨٨ ؛ فنون التصوير ، ص٨٤ ـ ٨٩ ؛ فرغلى ، التصوير الإسلامى ، ص٧٣ ـ ٧٥ ؛ حسين ، الفنون الإسلامية ، ص٧٥ ـ ٩٥ ؛ المرأة فى انتاج المصور المسلم ، ص١٠ ـ ١١ ؛ رسلان ، عبد المنعم ، الحضارة الإسلامية فى صقلية وجنوب ايطاليا ، ص١١١ ـ ١٣٠ ؛ اتنجهاوزن ، فن التصوير ، ص٤٤ ـ ٥٠ ؛ عكاشة ، التصوير الإسلامى الدينى والعربى، ص٢٨٦ ـ ٢٩٠ .

(٢٩) الباشا ، التصوير الإسلامى ، ص٩٠ ـ ٩١ ؛ محرز ، جمال ، الرسوم الجدارية الإسلامية فى البرطل بالحمراء ، مدريد (١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م) ،، ص١٥ ـ ٥١ ، لوحات ١ ـ ٣٠ ؛ التصوير الإسلامى فى الأندلس ، المجلة التاريخية المصرية ، المجلدان التاسع والعاشر ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة (٦٠ ـ ١٩٦٢م)، ص٣٤ ـ ٣٨ ، أشكال ١ ، ٣ ـ ٨) ؛ عكاشة ، التصوير الإسلامى الدينى والعربى ، ص ٤١٣ ـ ٤١٦ .

بتطوره فى الرسوم الجدارية المنفذة بالفرسكو والتمبل فى الفترة نفسها[٣٠].

ثانيًا : المخطوطات المزوقة بالتصاوير :-

من المتفق عليه أن دراسة التصوير الإسلامى تقوم بصفة أساسية على التصاوير التى تزوق صفحات المخطوطات أو توضح نصوصها ، ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى ندرة ما استطاع علماء الآثار والفنون كشفه من الصور التى كانت تزين جدران العمائر المختلفة دينية كانت أم مدينة أم حربية .

هذا وتنقسم التصاوير فى المخطوطات الإسلامية إلى نوعين أساسيين : النوع الأول يشمل التصاوير التى توضح نصوص الكتب العلمية والنوع الثانى يشمل التصاوير التى تزوق الكتب الأدبية . وسوف نشير إلى عدد من النماذج التى تنتمى إلى كلا النوعين فيما يستقبلنا من صفحات .

ولما كانت تصاوير المخطوطات الباقية ليست ذات أساليب ومميزات فنية واحدة ؛ إذ تختلف فيما بينها من عصر لآخر ؛ ولذلك اصطلح على تقسيم التصوير الإسلامى إلى عدة طرز أو مدارس حتى يمكن تتبع نشأة التصوير الإسلامى ومراحل تطوره خلال العصور التاريخية المتعاقبة ، مع ابراز خصائص كل مرحلة والتيارات الفنية السائدة ؛ فضلا عن سمات المراكز الفنية وشخصيتها ومصوريها .

ومن المعروف أن التصوير الإسلامى حتى أواخر القرن ٩هـ/ ١٥م لا يدرس إلا فى ضوء الإنتاج دون العناية بالمصورين أنفسهم ـ وذلك بحكم ندرة المعروف عنهم ـ أما منذ أواخر القرن ٩هـ/ ١٥م وما تلاه فيدرس التصوير الإسلامى على أساس دراسة المصورين أنفسهم ؛ اذ تنسب الصور فى كثير من الأحيان إلى مصورين يتميز كل منهم بشخصية مستقلة وأسلوب خاص[٣١] .

ومن هذه المدارس المدرسة العربية والمدرسة المغولية والمدرسة المظفرية والمدرسة الجلائرية والمدرسة التيمورية والمدرسة الصفوية (الأولى والثانية) والمدرسة التركية العثمانية والمدرسة المغولية الهندية .

ولما كان المقام لا يتسع لدراسة كل هذه المدارس بالتفصيل ، ولذلك حسبنا أن نركز

---

(٣٠) الباشا ، التصوير ، ص١٢٦ .

(٣١) الباشا ، التصوير ، ص٦ ـ ٧ ، ٩٠ ـ ٩٣ ، ١٢٣ ـ ١٢٤ .

فقط على الخصائص العامة والسمات الفنية الرئيسية ، وأهم المراكز الفنية وأشهر المخطوطات والمصورين بكل مدرسة من هذه المدارس .

١ـ المدرسة العربية :ـ

تعتبر أولى مدارس تصوير المخطوطات فى التصوير الإسلامى ، وقد انتشرت هذه المدرسة تقريبا فى جميع أنحاء العالم الإسلامى (فإلى جانب العراق ازدهرت فى مصر وسوريا واليمن وامتدت إلى المغرب والأندلس كما عاشت فترة طويلة فى ايران) فيما بين القرنين ٧ ـ ٩ هـ/ ١٣ ـ ١٥م ؛ بل واستمرت فى بعض الأقطار المذكورة بعد ذلك .

الخصائص العامة للمدرسة العربية :

- غلبة الطابع العربى ويتمثل فى سحنة الرسوم الأدمية والملابس والعناية برسوم الابل والخيل .
- البساطة وعدم التعقيد وتتمثل فى عدم تحديد التصاوير بإطار فى أغلب الأحيان وفى أن الأرضية على هيئة خط مستقيم تخرج منه أوراق نباتية مدمجة محورة أو شجرة صغيرة محورة كما تخلو الخلفية من أية رسوم وان وجدت رسوم عمائر مثلا فإنها ترسم بطريقة اصطلاحية تخطيطية مبسطة .
- البعد عن التمثيل الواقعى ويتمثل فى اهمال تصوير المناظر الطبيعية وعدم التعبير عن التكتل أو العمق ورسم النبات رسما محوراً ورسم الأدميين رسما اصطلاحيا وتركيز العناية بالرسوم الآدمية دون سائر عناصر البيئة ودون مراعاة أى تناسب بينها والاهتمام بالشخص الرئيسى فقط سواء فى كبر حجمه تمييزاً له عن الآخرين أو فى زخرفة ثوبه بزخارف مختلفة عن الأخرين ، ويتجلى كذلك فى رسم الهالات حول رؤوس الأشخاص وأحيانا حول رؤوس الطير بل وحول الأزهار كما فى تصاوير مخطوطة الترياق لجالينوس المحفوظة بالمكتبة الأهلية فى فيينا .
- الميل الزخرفى ويتمثل فى استخدام الألوان البراقة الزاهية والخلفية المذهبة ورسم السيقان والمياه بطريقة زخرفية تشبه تجمع الديدان أو الأمواج المتكسرة ، كما

يتجلى أيضاف أسلوب رسم طيات الثياب (على هيئة خطوط هندسية أو أزهار أو حيوان أو أهلة وبروج أو زخرفة عربية مورقة ـ على هيئة خطوط منسابة تشع من مركز تجمع واحد ـ أو على هيئة زخرفة عقدية على هيئة الأمواج المتكسرة أو تجمع الديدان)(٣٢).

ـ المراكز الفنية للمدرسة العربية :

من الملاحظ أن كل مركز كان يتميز ببعض السمات الفنية والملامح الخاصة به بالإضافة إلى الخصائص الرئيسية التى تميز المدرسة العربية بصفة عامة والسابق الإشارة إليها .

أ ـ بغداد : ومن المخطوطات التى تنسب إليها :

أ ـ كتاب البيطرة المحفوظ بدار الكتب المصرية والذى نسخه على بن حسن بن هبة الله فى آخر رمضان ٦٠٥هـ/ مارس ١٢٠٩م .

ونسخة أخرى من نفس المخطوط مؤرخة ٦٠٦هـ/ ١٢١٠م وهى محفوظة بمكتبة طوبقابى سراى (أحمد الثالث رقم ٢١١٥) باستانبول (لوحة ٣٥٤).

ب ـ بعض تصاوير من كتاب خواص العقاقير لديسقوريدس موزعة بين بعض المتاحف والمجموعات الفنية وترجع إلى عام ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م (لوحة ٣٥٥) .

جـ ـ نسخة أخرى من خواص العقاقير لديسقوريدس مؤرخة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م ومحفوظة بمتحف طوبقابى سراى باستانبول (لوحات ٣٥٦ ـ ٣٥٨)(٣٣).

د ـ نسخة من مقامات الحريرى محفوظة فى المكتبة الأهلية فى باريس (تحت رقم arabe 5847) وتعرف بحريرى شيفر وقد كتبها وزوقها يحيي بن محمود بن يحيي بن محمود بن يحيي الواسطى عام ٦٣٤هـ/ ١٢٣٧م ، وتمثل

---

(٣٢) الباشا ، التصوير ، ص١٢٥ ـ ١٢٩ ؛ فرغلى ، التصوير ، ص٨٣ ـ ٨٦ .

(٣٣) الباشا ، التصوير الإسلامى ، ص١٢٩ ـ ١٣٤ ؛ فرغلى ، التصوير ، ص٨٦ ـ ٩٢ ؛ الجادر ، خالد ، المخطوطات العراقية المرسومة فى العصر العباسى ، بغداد (١٩٧٢م)، ص٥٩ ـ ٦٠ ، ٦٥ ـ ٦٧ ؛ اتنجهاوزن ، فن التصوير عند العرب ، ص ١٠٤ ـ ١٢٤ ؛ عكاشة ، التصوير الإسلامى الدينى والعربى ، ص٣٩١ ـ ٤٠٥ .

تصاويرها أروع ما أنتجته مدرسة بغداد ، وتعكس تصاوير هذه النسخة مظاهر الحياة اليومية والريفية كما أن ألوانها كثيرة وغنية ورسومها الأدمية تمتاز بتنوع الشخصيات واختلاف الملامح ووضوح التعبير عن العواطف المختلفة . (لوحات ٣٥٩ ـ ٣٦٣)(٣٤).

هـ ـ مخطوطة رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا بمكتبة جامع السليمانية فى استانبول وهى مؤرخة بعام ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧م (لوحتا ٣٦٤ ـ ٣٦٥) وهى تمثل ازدهار مدرسة بغداد حتى بعد سقوط الخلافة العباسية على أيدى المغول فى عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م(٣٥).

ب ـ بلاد الجزيرة (الموصل وديار بكر) :

ومن المخطوطات التى تنسب إليها :

- كتاب الترياق لجالينوس بالمكتبة الأهلية فى باريس تحت رقم (arabe 2964) وهو مؤرخ بعام ٥٩٥هـ/ ١١٩٩م. (لوحتا ٣٦٦ ـ ٣٦٧)، وينسب إلى مدينة الموصل .

- كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى بمكتبة فيض الله الأهلية باستانبول ومؤرخ بعام ٦١٤هـ/ ١٢١٧م ، ومن أهم تصاويره تصويرة غرة الجزء التاسع عشر

---

(٣٤) الباشا ، التصوير ، ص١٣٤ ـ ١٣٧ ؛ فرغلى ، التصوير ، ص٩٣ ـ ٩٦ ؛ الجادر ، المخطوطات العراقية ، ص٢٣ ـ ٢٨ ؛ حسين ، أعلام المصورين ، ص٤٤ ـ ٤٦ ؛ السلمان ، عيسى ، الواسطى ، يحيي بن محمود بن يحيي رسام وخطاط ومذهب ومزخرف ، بغداد (١٩٧٢م)، (٦١ صفحة)؛ عواد ، ميخائيل ، يحيي الواسطى شيخ المصورين فى العراق ، بغداد (١٩٧٢م)؛ النعيمى ، ناهدة عبد الفتاح ، المرأة فى رسوم الواسطى ، بغداد (١٩٧٢م)؛ آل سعيد ، شاكر حسن ، الخصائص الفنية والاجتماعية لرسوم الواسطى ، بغداد (١٩٧٢م)؛ عكاشة ، ثروت ، فن الواسطى من خلال مقامات الحريرى ، أثر إسلامى مصور ، القاهرة (١٩٧٤م)، (١٠٣ صفحة) .

(٣٥) اتنجهاوزن ، فن التصوير ، ص١٠٠ ـ ١٠٣؛ فرغلى ، التصوير ، ص٩٦ ؛ عكاشة ، التصوير الإسلامى الدينى والعربى ، ص٤٠٦ ـ ٤٠٨ ، حسن ، زكى محمد ، التصوير فى الإسلام عند الفرس ، ط١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦م ، ص٢٤ ـ ٣٠ ؛ مدرسة بغداد فى التصوير الإسلامى ، مجلة سومر ، الجزء الأول ، المجلد الحادى عشر ، ١٩٥٥م . ص١٥ ـ ٤٦ ، لوحات ١ ـ ١٦.

وتمثل الأتابك بدر الدين لؤلؤ (لوحتا ٣٦٨ ـ ٣٦٩) أتابك الموصل فيما بين عامى ٦٣١ ـ ٦٥٧هـ/١٢٣٣ ـ ١٢٥٨م ، مما يدل على أن إضافة هذه الصورة قد تمت بعد نسخ المخطوط وكتابته بفترة طويلة .

- كتاب كليلة ودمنة بالمكتبة الأهلية بباريس (تحت رقم arabe 3465) ويرجع إلى حوالى ٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م ترجيحا . (ديار بكر) .
- نسخة من كتابات مقامات الحريرى بالمكتبة الأهلية بباريس (تحت رقم arabe 6094) مؤرخ بعام ٦١٩هـ/ ١٢٢٣م . (ديار بكر)[٣٦] .

جـ. مصر وسوريا :

ومن المخطوطات التى تنسب إلى مصر وسوريا فى العصر المملوكى :

- رسالة دعوة الأطباء للمختار بن الحسن بن بطلان البغدادى نسخها محمد بن قيصر الاسكندرى ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م وهى محفوظة فى مكتبة الامبروزيانا فى ميلان بايطاليا (تحت رقم A. 125 inf) (لوحة ٣٧٣) .
- نسخة من مقامات الحريرى محفوظة بالمكتبة الأهلية فى فيينا (تحت رقم A. F. 9) انتهى من نسخها أبو الفضل بن إسحاق فى شهر رجب ٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م وهى تعد من أبدع نماذج المخطوطات المصورة التى ترجع إلى العصر المملوكى . (لوحات ٣٨٩ ـ ٣٩٢).
- نسخة مؤرخة من كتاب كليلة ودمنة محفوظة فى المكتبة البودلية باوكسفورد فى انجلترا (تحت رقم Pocockee 400) أتمها محمد بن أحمد عام ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م (لوحة ٣٧٢) .
- نسخة غير مؤرخة من كتاب كليلة ودمنة محفوظة بالمكتبة الأهلية فى باريس (تحت رقم arabe 3467) .

واعتماداً على الدراسة المقارنة بينها وبين النسخة المؤرخة من نفس الكتاب والمحفوظة بالمكتبة البودلية فى اوكسفورد فإنه من المرّجح أنها ترجع إلى الربع الثانى من القرن ٨هـ/ ١٤م . (لوحة ٣٧١) .

---

(٣٦) الباشا ، التصوير ، ص١٤٠ ـ ١٥٨ ؛ فرغلى ، التصوير ، ص٩٦ ـ ١٠٤ ؛ اتنجهاوزن ، فن التصوير عند العرب ، ص٦١ ـ ٦٦ .

- نسخة من كتاب الحيوان للجاحظ محفوظة فى مكتبة الامبروزيانا فى ميلان (تحت رقم A. R. A. F. D. 140 inf) وتنسب إلى حوالى منتصف القرن ٨هـ/ ١٤م (لوحة ٣٩٣) .

- وينسب أيضًا إلى العصر المملوكى مجموعة من نسخ كتاب الحيل الجامع بين العلم والعمل لابن الرزاز الجزرى وأقدم هذه النسخ المعروفة حتى الآن والتى ترجع إلى العصر المملوكى مؤرخة بعام ٧١٥هـ/ ١٣١٥م وتصاويرها موزعة بين مجموعة كيفوركيان ومتحف فرير فى واشنطن ومتحف المتروبوليتان ودار الآثار الإسلامية بالكويت . (لوحات ٣٧٥ - ٣٨٨) .

ولا تفوتنا الإشارة أيضًا إلى بعض المخطوطات المتعلقة بتعليم فنون القتال والفروسية ومنها مخطوط يرجع إلى أواخر العصر المملوكى الچركسى .

واستمر أسلوب المدرسة العربية خلال العصر العثمانى فى مصر ، ومن النماذج الدالة على ذلك مخطوطة مزوقة من كتاب قانون الدنيا وعجائبها للشيخ أحمد المصرى مؤرخة بعام ٩٧٠هـ/ ١٥٦٣م ومحفوظة بمكتبة طوبقابى سراى فى استانبول (تحت رقم Revan 1638) (لوحة ٣٩٤) .

ومنها أيضًا نسخة من كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزوينى محفوظة بالمكتبة الأهلية فى ميونخ (تحت رقم C. Arab 463) وربما ترجع هذه المخطوطات إلى القرن ١٢هـ/ ١٨م ويتضح فى تصاويرها ميل واضح نحو الفن الشعبى كما أن بعض تصاويرها تذكرنا بمسوخات الفن الحديث[٣٧] . (لوحة ٣٩٥) .

---

(٣٧) اتنجهاوزن ، فن التصوير ، ص١٤٣ - ١٦٠؛ الباشا ، التصوير ، ص١٦٥ - ١٧٧ ؛ فنون التصوير الإسلامى فى مصر ، ص١٠٦ - ١٣٠ ؛ ١٤٥ - ١٤٩ ؛ فرغلى ، التصوير ، ص١٤٦ - ١٥١ ؛ مصطفى محمد ، مخطوط مصور فى تعليم فنون القتال والفروسية من أواخر عصر المماليك الچراكسة ، مجلة المجمع العلمى المصرى ، المجلد ٥١ ، القاهرة (١٩٦٩ - ١٩٧٠م)، ص١ - ١٤ . (وهو منشور بنفس العدد باللغة الإنجليزية أيضًا ، ص ١ - ١٣ فضلاً عن ٢٠ لوحة) ؛ عكاشة ، التصوير الإسلامى الدينى والعربى ، ص٤٢٥ - ٤٥١ .

Atil, E., Renaissance of islam, Art of the Mamlukes, Washimgton, (1981), PP. 250 - 265 .

ولمزيد من التفصيل انظر ،

Haldane, D, Mamluk Painting. England, 1978 . Atil, E., Mamluk Painting in the late Fifteenth Century, Muqaras, vol. 2, 1984. P. 159 - 171 . Atasoy, N., un Manuscrit Mamluk illustré du Sahnama, Revue des études islamiques - XXXVII, Paris, 1969. P. 151 - 158, Planche 1 - XIV.

د ـ اليمن :ـ

لحسن الحظ تم اكتشاف نسخة من مقامات الحريرى مزوقة بالتصاوير بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير فى صنعاء وقد بدأ نسخها أحمد بن دغيش ثم ابنه محمداً وكان تاريخ الفراغ من نسخها وتزويقها عام ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م .

وعلى ذلك فإن اكتشاف هذه المخطوطة الفريدة فى اليمن يضيف مركزاً فنيًا جديداً من مراكز المدرسة العربية ، وهو اليمن ، وتشتمل هذه النسخة على خمسين مقامة أولها المقامة الصنعانية وآخرها المقامة البصرية ، وتجمع تصاوير هذه المخطوطة بين خصائص المدرسة العربية التى شاعت فى مصر وسوريا خلال العصر المملوكى ؛ بل واستمرت خلال العصر العثمانى من جهة والأساليب العثمانية من جهة ثانية ؛ فضلاً عن وضوح الطابع اليمنى وبعض الملامح الهندية من جهة ثالثة(٣٨) .

هـ ـ المغرب والأندلس :

ومن المخطوطات التى تنسب إلى أسلوب المدرسة العربية فى المغرب والأندلس :

- مخطوطة من الكواكب الثابتة للصوفى محفوظة بمكتبة الفاتيكان (تحت رقم روس ١٠٣٣) ومن المرّجح أنها أنجزت فى سبته عام ٦٢١هـ/ ١٢٢٤م (اللوحة ٣٩٦) (المغرب) .

- مخطوطة من قصة بياض ورياض محفوظة بالفاتيكان تحت رقم (٣٦٨ عربى) وتنسب إلى الأندلس فى القرن ٨هـ/ ١٤م) ، وتحتوى هذه المخطوطة على ١٤ صورة تمثل حوادث قصة الحب التى نشأت بين بياض (من دمشق) وبين رياض، والمراسلات التى دارت بينهما والمؤامرات التى دبرت لجمعهما أو للتفريق بينهما ، ويغلب على العمائر الطابع الأندلسى ، فضلاً عن اختلاف سحن الأشخاص عن مثيلتها المعاصرة فى المشرق(٣٩) . (لوحات ٣٩٧ ـ ٣٩٩) .

---

(٣٨) خليفة ، الفنون الزخرفية اليمنية فى العصر الإسلامى ، ص٢٤٥ ـ ٢٥١ ؛ العريقى ، سمير مقبل أحمد، المدرسة اليمنية فى فن تزويق المخطوطات الإسلامية ، الرياض (١٩٩٧ ـ ١٩٩٨م)، ص٣٤٣ ـ ٣٦٤ .

(٣٩) محرز ، التصوير الإسلامى فى الأندلس ، ص٣٨ ـ ٣٩ ؛ الباشا ، التصوير الإسلامى ، ص١٨٠ ـ ١٨١؛ فرغلى ، التصوير الإسلامى ، ص١٥٣ ـ ١٥٦ ؛ اتنجهاوزن ، فن التصوير عند العرب ، ص١٢٥ ـ ١٣٢ ؛ عكاشة ، التصوير الإسلامى الدينى والعربى ، ص٤٠٨ ـ ٤١٠ . .

و- ايــران :

إزدهرت المدرسة العربية فى ايران ؛ بل إنه من المحتمل أن هذا القطر خاصة قد لعب أهم الأدوار فى نشأة هذه المدرسة ، ولقد عاشت هذه المدرسة فى ايران إلى ما بعد الغزو المغولى وعاصرت المدرسة المغولية الجديدة نفسها :

ومن أهم المخطوطات :

- نسخة من منافع الحيوان لابن بختيشوع محفوظة فى مكتبة مورجان بنيويورك ، وقد تم نسخها فى مراغة بأمر السلطان الايلخانى غازان خان فيما بين ٦٩٤ - ٦٩٩هـ/ ١٢٩٤ - ١٢٩٩م (لوحة ٤٠٠) .
- بعض مخطوطات فارسية من كتاب كليلة ودمنة .
- نسخة من شاهنامة الفردوسى تنسب إلى القرن ٨هـ/ ١٤م موزعة بين بعض المتاحف والمجموعات الفنية .
- نسخة من شاهنامة الفردوسى مؤرخة ٧٣١هـ/ ١٣٣٠م محفوظة فى طوبقابى سراى باستانبول [٤٠].

٢- المدرسة المغولية :

لم يمنع بقاء المدرسة العربية فى ايران من ظهور مدرسة جديدة ذات طابع صينى مغولى واضح هى التى اصطلح على تسميتها بالمدرسة المغولية ، وقد انتشرت تقاليد هذه المدرسة فى المراكز المغولية بصفة خاصة ومن أهمها مدينة تبريز .

ويمكن أن نجمل خصائص هذه المدرسة فى النقاط التالية :

- تغير الطابع العام للتصويرة بفضل التأثيرات الصينية حيث أصبحت التصاوير تشتمل على مقدمة ومؤخرة تمثلان الأرض والسماء على التعاقب ومن ثم صار هناك تعبيراً عن العمق أو البعد الثالث كما ظهر ميل نحو التجسيم وأصبحت الأرضية متعددة المستويات ، كما أنه ليس هناك اتصال بين المقدمة أو المؤخرة أو بمعنى آخر ليس هناك تعبير عن المساحة الوسطى .
- وضوح الملامح الصينية فى السحن والثياب والأدوات المنزلية ورسم المناظر الطبيعية بروح صينية قريبة من الواقع .

---

(٤٠) الباشا ، التصوير ، ص١٨٣ - ٢٠٦ ؛ فرغلى ، التصوير ، ص١٥٧ - ١٦٦ .

- رسم بعض الحيوانات المغولية كالحصان والهجين والعناية بالتعبير عن أعضاء الحيوان بمهارة ومراعاة التناسب بعض الشئ بين العناصر المختلفة فى الصورة.
- رسم بعض الحيوانات الخرافية الصينية كالتنين ، ورسم السحب الصينية (تشى).
- التركيز على الرسوم الآدمية والحيوانية التى أضحت تمثل العناصر الرئيسية فى الصورة ؛ ومن ثم ترسم بمقياس كبير ، فضلاً عن تنوع أغطية الرؤوس وتمييز أغطية الرجال عن النساء .
- العناية برسم الموضوعات الحزينة التى تمثل الصراع والحرب .

ومن أهم المخطوطات :

- نسخة من كتاب منافع الحيوان السابق الإشارة إليها عند الحديث عن المدرسة العربية فى ايران حيث رسمت بعض تصاويرها حسب أسلوب المدرسة المغولية (لوحة ٤٠١) وتتميز تصاويرها بالجمع بين الطابعين الواقعى والزخرفى جمعًا موفقًا .
- نسخة من كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيرونى محفوظة بمكتبة جامعة ادنبرة وقد نسخها ابن القطبى ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م، وبهذا المخطوط أيضًا تصاوير وفق المدرسة العربية وأخرى وفق المدرسة المغولية ومن هذه الأخيرة صورة المباهلة وصورة البشارة وصورة تعميد المسيح (عليه السلام) .
- نسخة من كتاب جامع التواريخ لرشيد الدين محفوظة بمكتبة جامعة أدنبرة ومؤرخة بعام ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م .
- شاهنامة ديموت يرجح أنها نسخت بالقرب من تبريز فى النصف الأول من القرن ٨هـ/ ١٤م ؛ ومن صورها الحرب بين اردشير واردوان واعدام اردوان[٤١] .

---

(٤١) الباشا ، التصوير الإسلامى ، ص٢٠٨ - ٢٤٤ ، فرغلى ، التصوير الإسلامى ، ص١٧٠ - ١٨٩ ؛ عكاشة ، التصوير الفارسى والتركى ، ص٢٨ - ٤٠ ؛ حسن ، التصوير في الإسلام ، ص٣١ - ٣٧ .

٣ ـ ارهاصات المدرسة التيمورية :ـ

ظهرت فى بعض المخطوطات الإيرانية المزوقة بالتصاوير خلال القرن ٨هـ/ ١٤م ارهاصات فنية تنبئ بقرب ظهور أسلوب وطنى جديد يستمد مميزاته وخصائصه من تقاليد ايران ومجتمعها وثقافتها وروحها ؛ وذلك فى ظل رعاية وتشجيع حكام بعض الدويلات المستقلة فى تلك الفترة ؛ ومنها الدولة المظفرية ٧١٨ ـ ٧٩٥هـ/ ١٣١٨ ـ ١٣٩٣م (وكانت فى فارس وكرمان وعاصمتها شيراز) والدولة الجلائرية ٧٤٠ ـ ٨٣٥هـ/ ١٣٣٩ ـ ١٤٣١م (وكانت فى العراق وأزربيجان وعاصمتها بغداد ثم تبريز) التى ازدهرت فى عصريهما الكثير من المظاهر الحضارية ومن بينها التصوير ، أما الدويلات الأخرى فى تلك الفترة مثل دولة آل كورت (فى هراة شرقى خراسان) ٦٤٣ ـ ٧٨٤هـ/ ١٢٤٥ ـ ١٣٨٢م ؛ والدولة السربدارية (وكانت فى خراسان أيضًا حيث اقتسموها مع آل كورت) ٧٣٧ ـ ٧٨٣ / ١٣٣٧ ـ ١٣٨١م[٤٢].

فلم تسلط الأضواء على المظاهر الحضارية المختلفة ـ بما فى ذلك التصوير ـ فى عصريهما بعد .

هذا وتتجلى هذه الارهاصات فى العديد من المخطوطات المزوقة بالتصاوير فى عهد كل من الدولة المظفرية والدولة الجلائرية ، بحيث صارت التصاوير تختلف اختلافا تاما عن التصاوير فى المدرسة المغولية السابقة . وبصفة عامة يمكن أن نلاحظ وجود مرحلتين متميزتين خلال تلك الفترة : وهما المرحلة المبكرة والمرحلة المتطورة وذلك على النحو التالى :

ومن المخطوطات التى تمثل المرحلة المبكرة للمدرسة الجلائرية فى تبريز نسخة من

---

(٤٢) عن تاريخ هذه الدويلات انظر ، رضوان ، الدولة الجلائرية (١٩٥ صفحة)؛ طرطور ، الدولة الجلائرية (١٧٤ صفحة)؛ العانى ، نورى عبد الحميد ، العراق فى العهد الجلائرى ٧٣٨ ـ ٨١٤هـ/ ١٣٣٧ ـ ١٤١١م ، دراسة فى أوضاعه الإدارية والاقتصادية ، ط١ ، بغداد ، ١٩٨٦م (٣٩٩ صفحة) أشتيانى ، تاريخ ايران ص٥٠٧ ـ ٥٦٨ ؛ سليمان ، تاريخ الدول ، جـ٢ ، ص٥٢٢ ـ ٥٣٤ ؛ شبولر ، برتولد ، العالم الإسلامى فى العصر المغولى ، ترجمة خالد أسعد عيسى ، مراجعة وتقديم سهيل زكار ، دمشق (١٩٨٢م)، ص٨١ ـ ٨٣ ؛ وعن الأوضاع السياسية التى مهدت لقيام تلك الدويلات انظر ، فهمى ، عبد السلام عبد العزيز ، تاريخ الدولة المغولية فى ايران ، القاهرة (١٩٨١م)، ص٢٢٠ ـ ٢٤٩ .

الشاهنامة هى المعروفة بشاهنامة ديموت وتمثل بعض تصاويرها المدرسة المغولية ، فى حين تمثل بعض تصاويرها الأخرى ارهاصات التطور ؛ وعلى ذلك فان هذه النسخة تمثل أساليب فنية مختلفة مما يشير إلى اشتراك عدد من المصورين فى تزويقها ونسبتها إلى فترات مختلفة ؛ إلا أنه من المرجح أنها زوقت فى تبريز فى منتصف القرن ٨هـ/ ١٤م أو خلال عقد الستينات من نفس القرن ، ومن خصائصها اتساع المقدمة حتى طغت على المؤخرة وبالتالى فقدت التصويره معنى العمق الذى تتميز به التصويرة المغولية ومنها زيادة عدد الرسوم الأدمية ، وبالتالى صغر حجمها ، مما هيأ الفرصة للمصور للعناية بعناصر البيئة الأخرى سواء أكانت وحدات طبيعية أو معمارية ورسم الوحدات المستعارة من الفن الصينى بأسلوب وطنى ايرانى وبروح زخرفية والتمييز بين الشخصيات المختلفة واظهار التعبير عن الوجوه واستخدام الألوان القوية وتذهيب الخلفية وتمثيل موضوعات البطولة بمهارة وفخامة وحيوية . ومن التصاوير التى تظهر بها تلك الخصائص بهرام گور يقتل التنين ، وجنازة اسفنديار ومحاولة بنت اردوان قتل زوجها الملك اردشير[٤٣] .

ومن المخطوطات التى تمثل مرحلة أحدث من شاهنامة ديموت نسخة من كتاب كليلة ودمنة فى البوم (مرقعة) باسم الشاه طهماسب الصفوى محفوظة فى مكتبة الجامعة باستانبول (وكانت من قبل فى مكتبة قصر يلدز) وهى تنسب إلى النصف الثانى من القرن ٨هـ/ ١٤م ومن خصائصها أن المصور يجمع داخل الإطار الواحد أكثر من تصويرة واحدة كل منها فى اطارها الفرعى ، كما أن التصويرة الواحدة قد تشغل أكثر من إطار واحد بعضها داخل بعض ، ومنها اتساع المقدمة وطغيانها على المؤخرة واستخدام الخطوط القوية التى تضفى على التصويرة الحركة والحيوية والبراعة فى رسم الحيوان والتعبير عن حركته ، والتأنق فى رسم العمائر والأثاث ، والعناية برسم المناظر الطبيعية التى لا تمت للفن الصينى بصلة ، وتعد فى نفس الوقت مسرحا ملائما لقصص كليلة ودمنة ، فضلا عن الطريقة الزخرفية فى تمثيل المياه وفى رسم أوراق الشجر وفى زخرفة العمائر والأثاث ، ومن تصاوير هذه النسخة تصويرة تمثل كيف خدع رب البيت اللص

---

(٤٣) ديماند ، الفنون الإسلامية ، ص٤٩ ـ ٥٠ ؛ حسن ، التصوير ، ص٣٥ ـ ٣٦ ؛ الفنون الايرانية ، ص٦٤ ـ ٩٥ ؛ الباشا ، التصوير ، ص٢٤٧ ـ ٢٥٥ ؛ فرغلى ، التصوير ، ص٢٢٧ ؛ عكاشة ، التصوير الفارسى ، ص٤١ ـ ٤٩ .

حتى سقط من فوق سطح داره (وهى تصويرة داخلية) (لوحة ٤٠٢). (المدرسة الجلائرية - تبريز - النصف الثانى من القرن ٨هـ/ ١٤م)[٤٤].

ومن المخطوطات التى تمثل المرحلة المبكرة فى عصر آل جلائر وتجمع فى ذات الوقت بين خصائص المدرسة المغولية والارهاصات الفنية الجديدة نسخة فارسية من عجائب المخلوقات للقزوينى محفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس ومؤرخة بعام ٧٩٠هـ/ ١٣٨٨م وتنسب إلى تبريز ، ومنها جامع التواريخ لرشيد الدين فى المكتبة الأهلية بباريس وتنسب إلى تبريز فى نفس الفترة التى يرجع إليها المخطوط السابق أو بعدها بقليل وغير ذلك[٤٥].

أما المخطوطات التى تمثل المرحلة المبكرة للمدرسة المظفرية فى شيراز فمنها نسخة من الشاهنامة مؤرخة ٧٧٢هـ/ ١٣٧١م ومحفوظة فى طوبقابى سراى باستانبول (تحت رقم ١٥١١ حزين) ومن خصائصها اتساع المقدمة وطغيانها على المؤخرة ، والاهتمام بالعناصر الأساسية وعدم الاهتمام بالتفاصيل وعدم تزويد التصويرة بالوحدات الكثيرة المتأنقة والاقتصار على رسم الشخصية الرئيسية فى الصورة بحجم كبير نسبيا ، ولكنه أقل من مثيله فى المدرسة المغولية وتلوين الخلفية باللون الأزرق وغير ذلك .

وتتجلى هذه الخصائص أيضًا فى نسخة من الشاهنامة مؤرخة بعام ٧٩٦هـ/ ١٣٩٣م ومحفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة ، غير أن بعض التصاوير فى هذا المخطوط الأخير تزدان بخصائص هى من قبيل الارهاصات للأسلوب الوطنى الجديد ومنها تعدد مستويات الأرضية بواسطة خطوط متعرجة تمتد بانحراف بين جانبى الصورة، ورسم الأفق على هيئة قوس ورسم الصخور باسلوب محور اسفنجى وتشكيل بعضها على هيئة الحيوان[٤٦].

---

(٤٤) الباشا ، التصوير ، ص٢٥٦ - ٢٦٢ ؛ فرغلى ، التصوير ، ص٢٢٧ - ٢٣١ ؛ عكاشة ، التصوير الفارسى ، ص٥١ - ٥٦ ؛ أما زكى حسن فيرى أنه من المحتمل نسبته إلى هراة فى منتصف القرن ٨هـ/ ١٤م (عصر أسرة آل كورت) ؛ حسن ، التصوير ، ص٢٩ ؛ الفنون الايرانية ، ص٩٦ .

(٤٥) الباشا ، التصوير ، ص٢٧٥ - ٢٨٣ ؛ عكاشة ، التصوير الفارسى ، ص٦٥ - ٧٢ .

(٤٦) الباشا ، التصوير ، ص٣١٦ - ٣١٩ ؛ فرغلى ، التصوير ، ص١٩٩ - ٢١٥ ؛ عكاشة ، التصوير الفارسى ، ص٧٥ - ٧٧ .

وإذا ما انتقلنا إلى المرحلة الثانية ، وهى المرحلة المتطورة لوجدنا الخصائص التالية:

- المدرسة الجلائرية :-

- بلغ المصورون مستوى رفيعا من حيث الصنعة والالمام باصول تزويق المخطوطات .
- البراعة فى استخدام الألوان وتوزيعها توزيعا جميلاً واستعمال درجات اللون الواحد .
- العناية برسوم العمائر وكسوتها بالزخارف الجميلة الدقيقة المتأنقة التى تعبر عن الثراء والإبداع .
- الشغف الشديد بمظاهر الطبيعة بتصوير عناصرها ، كل على حدة ، بهيئة زخرفية جميلة مع الاعتناء بالتعبير عن أحاسيس المصور تجاهها .
- التعبير عن المشاعر والخلجات والاحاسيس الشاعرية .
- القدرة الفائقة على التحكم فى الخطوط المتعرجة والمنسابة الرشيقة وتوزيعها فى الوقت نفسه توزيعا زخرفيا .
- العناية برسم العناصر الأدمية والكائنات الحية وتشخيصها ؛ مع التركيز على العناصر الرئيسية ، والايحاء إلى باقى العناصر برسم بعض أجزائها .
- التعبير عن العمق بتعدد مستويات سطح التصويرة .
- تشكيل بعض الصخور (فى بعض المخطوطات) عند الأفق على هيئة رؤوس الطير والحيوان .
- تنفرد بعض المخطوطات بوجود حاشية من خط النستعليق داخل إطار يتألف أسفله من خط منكسر ، وبذلك جمعت التصويرة بين موضوع الصورة وجزء من النص (مثل مخطوط خسرو وشيرين).

ومن أهم المخطوطات التى تمثل هذه المرحلة المتطورة مخطوطة تشتمل على ثلاث منظومات من خمسة خواجوكرمانى قام بنسخها الخطاط المشهور مير على التبريزى فى بغداد عام ٧٩٨هـ/ ١٣٩٦م ، كما قام بتزويقها بالصور جنيد نقاش السلطانى وهذه المخطوطة محفوظة بالمكتبة البريطانية فى لندن .

ومن تصاويرها : هماى يبارز همايون قبل أن يتعرف عليها - احتفال هماى

وهمايون فى حديقة الياسمين ـ هماى عند مدخل قصر همايون التى تطل عليه من شرفة فى أعلى القصر(٤٧).

ومن المخطوطات الشهيرة التى تنسب إلى تبريز مخطوطة من منظومة خسرو وشيرين لنظامى محفوظة فى Freer gallery بواشنطن وناسخها هو على بن حسن السلطانى فى دار السلطنة تبريز ، ولكنها غير مؤرخة ، ولكن نظراً لأن تصاويرها الخمسة قريبة الشبه من تصاوير خواجوكرمانى المؤرخة ٧٩٨هـ/ ١٣٩٦م إلا أنها تمثل مرحلة أكثر تطوراً عنها ؛ ولذلك فمن المرجّح أنها ترجع إلى أوائل ق٩هـ/ ١٥م . ومن تصاويرها تصويرة تمثل شابور يقدم فرهاد إلى شيرين(٤٨).

وعلى ضوء ما تقدم يمكن القول أن ما أصاب فن التصوير من تطور وازدهار خلال عصر الدولة المظفرية والدولة الجلائرية فى شيراز وبغداد وتبريز كان بمثابة الارهاصات الفنية القوية التى غيرت وجه التصوير الإسلامى فى ايران من حيث الموضوعات والأساليب والخصائص الفنية . مما كان ايذانا ببذوغ الاسلوب الوطنى الجديد فى ايران خلال عصر الدولة التيمورية ٧٧١ ـ ٩٠٦هـ/ ١٣٦٩ ـ ١٥٠٠م .

٤ـ المدرسة التيمورية :ـ

على الرغم من نجاح تيمورلنك فى تأسيس دولة قوية مترامية الأطراف مرهوبة الجانب فى ايران وأسيا الوسطى ؛ إلا أن خلفائه من بعده لم يستطيعوا الاحتفاظ بهذا الملك العريض طويلاً(٤٩).

غير أن ما يعنينا فى هذا المقام هو ما يتعلق بفن التصوير خلال العصر التيمورى فى ايران واسيا الوسطى على السواء .

---

(٤٧) حسن ، الفنون الايرانية ، ص٩٨ ؛ التصوير ، ص٣٩ ؛ الباشا ، التصوير ، ص٢٨٣ ـ ٢٨٨ ؛ فرغلى ، التصوير ، ص٢٢٣ ـ ٢٢٦ .

(٤٨) الباشا ، التصوير ، ص٢٩٥ ـ ٣٠٧ ؛ فرغلى ، التصوير ، ص٢٣٣ ـ ٢٣٥ .

(٤٩) عن هذه الدولة وتأسيسها وأهم أحداثها الداخلية والخارجية انظر على سبيل المثال ، أشتبانى ، تاريخ ايران ، ص٥٨٩ ـ ٦٢٧؛ سليمان ، تاريخ الدول الإسلامية ، جـ٢ ، ص٥٥٩ ـ ٥٦٢ ؛ شبولر ، العالم الإسلامى فى العصر المغولى ، ص١٢١ ـ ١٢٨ ؛ عمر ، فاروق ، النقيب ، مرتضى حسن ، تاريخ ايران ، دراسة فى التاريخ السياسى لبلاد فارس خلال العصور الإسلامية الوسيطة ، بغداد (١٩٨٩م)، ص٢١٥ ـ ٢٢٦ ؛ فامبرى ، ارمينيوس ، تاريخ بخارى ، ترجمة أحمد محمود الساداتى ، مراجعة وتقديم يحيى الخشاب ، القاهرة (١٩٦٥م)، ص٢٠٥ ـ ٢٩٤ .

ويمكن القول ، بادئ ذى بدء ، أن مدرسة التصوير قد ازدهرت فى هذا العصر أيما ازدهار ، وقد ساعد على ذلك عناية تيمور وأفراد أسرته من بعده بالفنون وحبهم لها وتقديرهم لأربابها وعطفهم عليهم ، فها هو تيمور يحرص على استدعاء الفنانين من مختلف البلدان إلى سمرقند ، ومن بعده تم انشاء مجامع لفن الكتاب منها مجمع هراة الذى أسسه شاه رخ وقد جمع فيه الخطاطين والمذهبين والمصورين والمجلدين ، وقام بايسنقر بجمع أربعين فنانا في استراباد لنسخ المخطوطات وتصويرها باشراف شيخ المذهبين آنذاك (وهو مولانا جعفر) .

ولما كانت الدولة مقسمة إلى ولايات فقد أثيرت المنافسات بين كل أمير وآخر على تجميل بلاطه بوسائل منها الحصول على الصور القيمة والاستحواز على الفنانين وجلبهم إلى البلاط ليزينوا المخطوطات بالتصاوير .

وهذا أمر لا يخفى أثره على المصورين أنفسهم فهو ولا شك باعث لهم على الاجادة والاتقان فى عملهم ليحوزوا رضاء الأمير .

ومن الأمور التى ساعدت على التقدم الفنى أيضًا تبادل البعثات الدبلوماسية مع الصين ، ذلك أن بعض هذه البعثات كان يصحبها بعض المصورين فأتيحت بذلك الفرصة لأمثال هؤلاء للاطلاع على روائع الآثار والفنون الصينية ومشاهدة ما لم يتيسر نقله إلى ايران وأسيا الوسطى ، وقد ذكر أن المصور غياث الدين خليل قد صاحب بعثة شاه رخ التى أوفدها إلى الصين عام ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م .

ومما لا شك فيه أن مثل هذه البعثات والزيارات قد ساعدت المصورين الذين أتيحت لهم هذه الفرصة على التعرف على كثير من أسرار هذا الفن ليستفيدوا منها فى انتاجهم خاصة وأن الصور الصينية كانت تقدر تقديراً عظيمًا فى ذلك الوقت ولم يكن يعادلها شئ آخر(٥٠).

وصفوة القول أن المدرسة التيمورية فى التصوير إذا كانت تمثل إستمراراً لما بلغه فن التصوير من تطور وازدهار خلال عصر الدولة المظفرية والدولة الجلائرية فى تبريز وبغداد وشيراز وليس أدل على ذلك من استقدام تيمور لبعض المصورين الذين كانوا يعملون فى البلاط الجلائرى ومنهم جنيد نقاش السلطانى والأستاذ عبد الحى الى حاضرته سمرقند

---

(٥٠) محرز ، التصوير الإسلامى ومدارسه ، ص٥١ ـ ٥٣ .

إلا أنها من جهة ثانية تمثل الخطوة الأخيرة نحو التهذيب والروعة والاتقان والكمال وبصفة خاصة على يد المصور الأشهر كمال الدين بهزاد وتلامذته الذين حملوا لواء هذا الفن فى صدر الدولة الصفوية ، كما سنشير فيما بعد .

ومن أهم المراكز الفنية فى تلك الفترة شيراز وسمرقند وهراة ومن أهم رعاة الفن شاه رخ وبايسنقر وسلطان حسين ميرزا بايقرا .

ومن الخصائص الفنية الميل نحو تمثيل مسرات الحياة ومجالس الطرب والمناظر الغرامية والاحاسيس الوجدانية والاغراق فى الخيال ومحاسن الطبيعة ومناظر القصور ومجالس الأمراء بما فى ذلك المتع الروحية كمجالس الدراويش والمتصوفة ومساجلات العلماء ودروس الوعاظ ، وحتى حينما تمثل موضوعات بعض التصاوير مناظر الحروب أو سفك الدماء أو ما يشابه ذلك من موضوعات القسوة والألم فإنها ترسم بروح بعيدة عن الحزن والألم والقسوة ؛ بل وتبدو أحيانا كأنها حركات استعراضية .

كذلك اهتم المصورون بالبيئة والمناظر الطبيعية ورسم الجبال والمرتفعات على هيئة الاسفنج والعناية برسوم العمائر ونقوشها وزخرفتها والنجاح فى حفظ النسبة بينها وبين الأشخاص الظاهرين بجوارها أو بداخلها ، وكذلك استخدام الألوان الساطعة الزاهية والتوفيق فى الجمع بينها جمعًا لا ينفر منه الزوق بالرغم مما قد يوجد بينها من تنافر . وغير ذلك من الخصائص والسمات الفنية(٥١).

ولما كان المقام لا يتسع لدراسة تفصيلية للمخطوطات المزوقة بالتصاوير فى هذه المدرسة ومراكزها الفنية ولذلك حسبنا أن نشير إلى بعضها ؛ على أن نعود إليها تفصيلا واسهابا وتحليلا فى كتابنا المفصّل بمشيئة الله تعالى ، ومن المخطوطات التى تنسب إلى شيراز مخطوطة تشتمل على مجموعة من الأشعار الفارسية مؤرخة بعام

---

(٥١) محرز ، التصوير الإسلامى ، ص٥٣ ـ ٥٥ ؛ حسن ، الفنون الايرانية ، ص١٠٠ ـ ١٠٧ ؛ فرغلى ، التصوير ، ص٢٤٢ ـ ٢٤٤ ؛ الباشا ، التصوير ، ص٣٥٦ ، ٤١٠ ـ ٤١١ ؛ البهنسى ، صلاح أحمد ، مناظر الطرب فى التصوير الايرانى فى العصرين التيمورى والصفوى، القاهرة (١٩٩٠م)، ص٤١ ـ ٥٢.
ولمزيد من التفصيل عن المدرسة التيمورية راجع :
Gray, B. (editor), The Arts of the Book in Central Asia 14 th - 16 th Centuries, Unesco, 1979. P. 147 - 214 .
Soudavar, A., Art of the Persian Courts, Selections From the Art and History Trust Collection, New York, 1992 . P. 57 - 125 .

٨٠١هـ/ ١٣٩٩م وهى محفوظة بمتحف الفن الإسلامى والتركى باستانبول (تحت رقم ١٩٥٠) ومن بين تصاويره تصويرة تمثل منظر طبيعى بحت خال من الرسوم الأدمية[٥٢]. (لوحة ٤٠٣) .

ومن أهم المخطوطات التيمورية المزوقة بالتصاوير نسخة من مخطوطة البستان لسعدى الشيرازى نسخها الخطاط المشهور سلطان على ٨٩٣هـ/ ١٤٨٨م وقام بتذهيبها يارى المذهب كذلك قام المصور الأشهر بهزاد (ت٩٤٠ ـ ٩٤٤هـ/ ١٥٣٣ ـ ١٥٣٧م) بعمل الصور الست الأولى من تصاوير هذا المخطوط ، وهذه النسخة تعد من أنفس كنوز دار الكتب المصرية بالقاهرة ، وتنسب هذه النسخة إلى مدينة هراة تحت رعاية السلطان سلطان حسين ميرزا بايقرا[٥٣].

والحق ان بهزاد يعد أستاذاً مجدداً فى ميدان التصوير الإسلامى ، فقد استطاع أن يخلق اسلوبًا جديداً فى فن التصوير يمتاز برقة الأداء والعناية برسوم الأشخاص والواقعية الواضحة فى الأعمال والحركات واندماج شخصيات صوره ، فرادى ، أو جماعات ، اندماجا صادقا فى أعمالهم ، وتبدو تصاويره كأنها لوحة من الفسيفساء تتألف أجزاؤها من مناظر مختلفة ، ويمتار رسم كل جماعة بطابع خاص يعبر عن اتجاهات الفنان العاطفية ، فضلا عن أنه تناول موضوعات لم تكن مألوفة فى أيامه وأفاض عليها من عبقريته فى استخدام الألوان مما جعلها من الروائع النادرة ، واستخدم عدة درجات للون الواحد فى توافق وانسجام ، ومما الفه بهزاد رسم شخص زنجى بين أشخاص صوره وربما كان مرجعه فى ذلك رغبته فى أن يلفت النظر إلى شئ بعينه فى الصورة أو ربما كان مرجعه فى هذا هو ما فطر عليه من حب الألوان المتباينة (وبضدها تتميز الأشياء) وغير ذلك من الخصائص والسمات التى جعلت منه أستاذاً ذائع الصيت سارع إلى تقليده عدد كبير من المصورين ؛ بل وعمدوا كذلك إلى تقليد توقيعه رغبة فى الحصول على كسب مادى كبير لأعمالهم الفنية ؛ فضلاً عن تلاميذه الذين ساروا وفق منهجه الفنى واقتفوا أثر أسلوبه الواقعى[٥٤].

---

(٥٢) الباشا ، التصوير الإسلامى ، ص٣٢٠ ـ ٣٢٢ ؛ فرغلى ، التصوير ، ص٢٤٨ ـ ٢٤٩ ؛ عكاشة ، التصوير الفارسى ، ص٩٠ ـ ٩٨ .

Rice, D. T., Islamic Painting , Asurvey, Edinburgh, 1971 . P. 104, pl. 43.

(٥٣) فرغلى ، التصوير ، ص٢٧٧ .

(٥٤) مصطفى ، محمد ، صور من مدرسة بهزاد فى المجموعات الفنية بالقاهرة ، سلسلة الينبوع الفضى (العدد ٣٨) ، الناشر ڤولدمار كلاين ، ص٧ ـ ٩ ؛ عكاشة ، التصوير الفارسى ، ص١٦٥ ـ ١٦٧ .

Roxburgh, D. J., Kamal Al-Din Bihzad and authorship in Persianate Painting, Muqarnas, vol. 17, Leiden - Brill, 2000. P. 119 - 146 .

ومن تصاوير بهزاد فى هذه المخطوطة والتى تعكس بوضوح خصائص مدرسته وأسلوبه الفنى تصويرة عبارة عن صفحتين متقابلتين (فاتحة المخطوط) اليسرى تمثل السلطان سلطان حسين ميرزا يسمر فى قصره (لوحة ٤٠٤) واليمنى تمثل مجلس طرب وموسيقى بين يدى السلطان سلطان حسين ميرزا (ويلاحظ أنه حدث خطأ فى الطباعة فتم قلب الصفحات فصارت اليمنى يسرى والعكس)(لوحة ٤٠٥) . ومنها تصويرة تمثل الملك دارا وراعى خيوله (لوحة ٤٠٦) وأخرى تمثل مناظر فى مسجد (لوحة ٤٠٧) وتصويرة تمثل فقهاء يتدارسون العلم فى المسجد (لوحة ٤٠٨) ، وتصويرة تمثل قصة يوسف وزليخا(٥٥). (لوحة ٤٠٩) .

ومن بين التصاوير الأخرى التى تنسب إلى أحد تلاميذ بهزاد (ولا علاقة لها بمخطوط البستان) تصويرة تمثل عفريتا من الجن يحمل عاشقين فى سريرهما فى حضرة الملك سليمان (لوحة ٤١٠) .

وبمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة لوحة مفردة من ديوان أشعار فارسية من المرجّح أنها ترجع إلى حوالى ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م . ويشاهد بها حفل استقبال رسمى ، وهى تمثل أسلوب بهزاد ولكن وفق منهج مدرسة تبريز ؛ (لوحة ٤١٣) ومثلها فى ذلك تصويرة تمثل زليخا وصويحباتها من مخطوطة يوسف وزليخا للشاعر جامى بدار الكتب المصرية والمؤرخة بعام ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م. (لوحة ٤١٤) .

ومن بين أعمال تلامذة بهزاد نسخة من مخطوطة المنظومات الخمس للشاعر نظامى مؤرخة ٩١٧هـ/ ١٥١١م ومن تصاويرها صفحتان متقابلتان اليمنى تمثل دعوة إلى مأدبة ملكية (لوحة ٤١١) واليسرى تمثل حفل فى حديقة (لوحة ٤١٢) وهما من عمل المصور بهرام قلى تلميذ بهزاد(٥٦). (هذا وسوف نقوم بمناقشة هذه الصور الثلاث الأخيرة التى نسبها الدكتور محمد مصطفى إلى اسلوب بهزاد أو أحد تلامذته للتحقق من صحة هذه النسبة من عدمه في كتابنا المفصّل بمشيئة الله تعالى).

---

(٥٥) مصطفى ، صور من مدرسة بهزاد ، ص١٠ - ١٦ ، لوحات ١ - ٦ ؛ عكاشة ، التصوير الفارسى ، ص١٦٧ - ١٧٠ ؛ الطرايز ، نصر الله مبشر ، الفهرس الوصفى للمخطوطات الفارسية المزينة بالصور المحفوظة بدار الكتب ، تقديم ثروت عكاشة ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٨م . ص٢١ - ٢٧ .
Grabar, O., Mostly Miniatures, An introduction to Persian Painting, Princeton and Oxford, 2000 . Fig. 29, 60, 65 - 66 .

(٥٦) مصطفى ، صور من مدرسة بهزاد ، ص١٧ - ٢٢ ، لوحات ٧ - ١٢ .

٥ـ المدرسة الصفوية :ـ

بلغ فن التصوير خلال عصر هذه الدولة درجة عظيمة من الإبداع والاتقان ولا غرو فان استيلاء الشاه إسماعيل على هراة ٩١٦هـ/ ١٥١٠م وهجرة بعض الفنانين إلى تبريز ثم تعيين كمال الدين بهزاد رئيسا لمجامع الفنون عام ٩٢٨هـ/ ١٥٢٢م كان باعثا على ازدهار فن التصوير وبلوغه الذروة .

هذا ولا نستطيع أن نغفل فى هذا الصدد أهمية المدرسة التركمانية التى كانت سائدة فى تبريز وشيراز قبل العصر الصفوى وما حدث من مزج موفق للغاية بين هذا التيار الفنى المستمر وبين التيار الفنى الوافد من هراة فى ما أصاب المدرسة الصفوية من تطور وازدهار .

وقد قسم العلماء التصوير الصفوى إلى مدرستين هما :

المدرسة الصفوية الأولى : وتعتبر هذه المدرسة نتاج عملية المزج الموفق بين تقاليد المدرسة التيمورية عامة وبهزاد وتلامذته خاصة وبين تقاليد المدرسة التركمانية فى تبريز وشيراز كما سبق القول . ومن مميزات هذه المدرسة كثرة الانتاج الفنى بسبب الاقبال المتزايد من قبل الشاهات والأمراء على اقتناء المخطوطات المزوقة بالتصاوير ، وتعكس التصاوير عظمة ذلك العصر بقصوره الفخمة ، وحدائقه الغناء فضلاً عن الحياة الاجتماعية الصاخبة لرجال البلاط والطبقة المترفة ، ويغلب على أشكال الأشخاص الرشاقة والتأنق ، والألوان زاهية وشديدة التنوع ؛ فضلاً عن العناية بدقة الرسم وأناقة الزخرف والبراعة فى التأليف وتوزيع الأشخاص والتصميم بصفة عامة ، ويتميز غطاء الرأس بأنه عبارة عن عمامة مخروطية الشكل تتألف من قلنسوة داخلية ذات عصى حمراء فى بادي الأمر ثم تعددت الوانها بعد ذلك ويلتف حول القلنسوة شال من اثنتى عشرة لفة أوطية وكانت ترمز إلى الأئمة الاثنى عشر والتى يرجع أصلها إلى الجيش التركمانى الذى كونه الشيخ حيدر والد الشاه إسماعيل الصفوى وميزه بالقلنسوة الحمراء ذات الاثنتى عشرة طية وسموا لذلك بالقزلباش أى ذو الرؤوس الحمراء .

ومن أهم المصورين فى العصر الصفوى الأول بعد بهزاد أقاميرك ومما ينسب إليه خمس تصاوير فى مخطوطة كتاب المنظومات الخمس لنظامى المؤرخة ٩٤٦ـ ٩٤٩هـ/ ١٥٣٩ ـ ١٥٤٣م ، والمحفوظة بالمكتبة البريطانية (تحت رقم ٢٢٦٥ شرقى) ومنها تصويرة تمثل كسرى انوشروان ووزيره يصغيان إلى البومتين اللتين تنعقان على أنقاض قصر خرب (لوحة ٤١٥)، وثانية تمثل خسرو على العرش (لوحة ٤١٦) وثالثة تمثل مجنون ليلى فى الصحراء بين الوحوش (لوحة ٤١٧) ورابعة تمثل خسرو وشيرين على

العرش (لوحة ٤١٨) وإن كان هناك من ينسب هذه التصويرة الأخيرة إلى المصور سلمان محمد .

هذا ويمتاز اسلوب أقاميرك بزخرفة الملابس بالزخارف الجميلة المختلفة ولكن يلاحظ قصوره عما وصل إليه استاذه فى تنويع السحن بالنسبة للأشخاص والتمييز بينها واكساب التصويرة شيئا من الحركة وقوة التعبير ، كما اشتهر أيضًا بالصور الشخصية . ومنهم سلطان محمد الذى برع فى مزج الألوان واتقانها اتقانا ليس بعده اتقان ، كما برع فى رسم الجموع والوجوه الأدمية ورسم الحيوانات ولا سيما الخيل وفى توزيع الأشخاص واكسابها شيئا من التمييز والتنويع فى السحن ، كذلك عنى بمناظر الطرب والمرح والمناظر الطبيعية فضلا عن رسمه للصور الشخصية ومن تصاويره فى مخطوطة المنظومات الخمس لنظامى المحفوظة بالمكتبة البريطانية والسابق الإشارة إليها تصويرة تمثل بهرام گور يصطاد الأسد المنقض على الحمار الوحشى (لوحة ٤٢٢)، وثانية تمثل عجوزاً تشكو للسلطان سنجر (لوحة ٤٢٣) وثالثة تمثل خسرو يفاجئ شيرين وهى تستحم (لوحة ٤٢٤) .

وهناك تصويرة من ديوان حافظ تمثل عاشقين فى مجلس طرب فى الهواء الطلق تنسب إلى سلطان محمد (لوحة ٤٢٦) وإن كان هناك من ينسبها إلى أقاميرك .

ومن المصورين الآخرين ميرزا على ومن تصاويره فى مخطوطة المنظومات الخمس بالمكتبة البريطانية السابق الإشارة إليها تصويرة تمثل خسرو يستمع إلى المغنى باريد (لوحة ٤٢٠) وثانية تمثل شابور يعرض صورة خسرو على شيرين (لوحة ٤١٩) .

ومنهم المصور مظفر على وينسب إليه فى مخطوطة المنظومات الخمس لنظامى بالمكتبة البريطانية تصويرة تمثل عالمان يتناظران (لوحة ٤٢١) ويتشابه اسلوبه إلى حد كبير مع اسلوب ميرزا على ، ومنهم المصور صادقى وشيخ محمد ومحمدى .

ومنهم المصور ميرسيد على الذى كان له دور كبير هو وعبد الصمد الشيرازى فى نشأة المدرسة المغولية الهندية (كما سنشير فيما بعد) ، ومما ينسب للمصور ميرسيد على فى مخطوطة المنظومات الخمس لنظامى بالمكتبة البريطانية تصويرة تمثل عجوزاً تقود المجنون إلى خيمة ليلي[٥٧] (لوحة ٤٢٥) .

---

(٥٧) عن المدرسة الصفوية الأولى ومميزاتها ومراكزها الفنية ومصوريها وأعمالهم الفنية من الناحيتين الوصفية والتحليلية انظر ، حسن ، الفنون الايرانية ، ص١١٧ ـ ١٢٩؛ فرغلى ، التصوير ، ص٣٠٣ ـ ٣١٨ ؛ البهنسى ، مناظر الطرب ، ص٧٧ ـ ٩٠ ؛ عكاشة ، التصوير الفارسى والتركى ، ص٢٢١ ـ ٢٦٤ ؛ حسن ، التصوير فى الإسلام ، ص٥٧ ـ ٦٤ . =

ـ المدرسة الصفوية الثانية[٥٨]:

ومن أشهر مصورى هذه المدرسة رضا عباسى ثم معين مصور وحيدر نقاش ومحمد قاسم التبريزى ومحمد يوسف ومحمد على التبريزى وحبيب الله ومحمد زمان وسوف نتطرق إلى دراسة مميزات هذه المدرسة والتيارات الفنية السائدة وأعمال مصوريها وخصائص اسلوبهم الفنىَ فى كتابنا المفصّل (بمشيئة الله تعالى) .

ولا تفوتنا الإشارة فى هذا المقام إلى مدرسة بخارى وأهميتها فى التصوير الإسلامى ولا سيما خلال القرن ١٠هـ/ ١٦م باسلوبها المبكر والانتقالى والأصيل ومن مصوريها شيخ زاده ومحمود مذهب وعبد الله مصور[٥٩] (وهو ما سوف نعود إليه فى كتابنا المفصّل بمشيئة الله تعالى) .

٦ـ المدرسة التركية العثمانية :

تكتسب مدرسة التصوير التركية العثمانية أهمية خاصة بين مدارس التصوير الإسلامى نظراً لطول الفترة الزمنية التى عاشتها والتى إمتدت من القرن ٩هـ/ ١٥م إلى أواخر القرن ١٣هـ/ ١٩م)، فضلا عن كثرة المخطوطات المزوقة بالتصاوير واختلاف

=

Hillenbrand, R. (editor), Persian Painting From the Mongols to the Qajars, Studies in Honour of Basil W. Robinson, London & New York, 2000. P. 19 - 38, 319 - 323 .
Rice, Islamic Painting , P. 139 - 151 .
Canby, S. R., Persian Painting, London, 1993, P. 76 - 86 .

(٥٨) عن هذه المدرسة انظر ، على سبيل المثال ، حسن ، الفنون الايرانية ، ص١٢٩ ـ ١٣٦ ؛ محرز ، التصوير الإسلامى ، ص٦٣ ـ ٦٦ ؛ فرغلى ، التصوير ، ص٣١٩ ـ ٣٣٠ ؛ صدى الاتجاهات الدينية فى أعمال رضا عباسى ، ضمن أعمال ندوة الآثار الإسلامية فى شرق العالم الإسلامى ، ص٥٩٩ ـ ٦٣٠ ؛ البهنسى ، مناظر الطرب ، ص٩٦ ـ ١٠٩ ؛ عبد الوهاب ، محمد عباس ، رضا عباسى ، مجلة المجلة ، العدد ١٦ ، السنة الثانية ، ابريل ١٩٥٨م، ص٢٥ ـ ٣٢ ؛ حسن ، التصوير فى الإسلام ، ص٦٥ ـ ٧٣ .
Hillenbrand, Persian Painting, P. 283 - 299 .
Gandjei, T., Notes on the Life and Work of Sadiqi : A Poet and Painter of Safavid Times, Der Islam, Band 52, Haft 1, 1975. P. 112 - 118 .
Canby, Persian Painting, P. 90 - 116 .
Canby, S. R., The Rebellious Reformer, the Drawings and Paintings of Riza - Yi Abbasi of Isfahan , London, 1996 .

(٥٩) عن هذه المدرسة بالتفصيل انظر الدراسة المهمة للباحث مصطفى جابر محمد مصطفى وموضوعها « مدرسة بخارى فى التصوير الإسلامى خلال القرن العاشر الهجرى / ١٦م »، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ـ جامعة القاهرة (٢٠٠٥م)، (٥٤٢ صفحة و٣١٧ لوحة و ٩٤ شكلا) ؛ عكاشة ، التصوير الفارسى ، ص٢٠٦ ـ ٢١٠ .

موضوعاتها ما بين مخطوطات أدبية ومخطوطات علمية ؛ بالإضافة إلى عشرات الألبومات التى تشتمل على صور متنوعة .

ورغم أن هذه المدرسة قد تأثرت بالتأثيرات الايرانية والأوروبية إلا أنها إستطاعت أن تحقق لنفسها شخصية مستقلة ذات سمات فنية متميزة ، كما حظى رسم الصور الشخصية بتشجيع ورعاية السلاطين العثمانيين حتى أصبح يمثل أبرز جوانب النشاط الفنى فى المرسم السلطانى [٦٠].

وحسبنا أن نشير فى هذه العجالة إلى بعض المظاهر الفنية لهذه المدرسة ؛ على أن نعود لدراستها تفصيلاً واسهابا وتحليلا فى كتابنا المفصّل بمشيئة الله تعالى .

ومن أبرز هذه المظاهر الصور الشخصية ومن أهمها صورة شخصية للسلطان محمد الفاتح بمتحف طوبقابى سراى في استانبول (فى البوم الفاتح خزانة رقم ٢١٤٣ صفحة رقم ١٠ ومقاسها ٢٧ × ٣٩) وقد رسمها المصور التركى سنان بك ، ويشاهد السلطان الفاتح وهو يجلس الجلسة الشرقية ويرتدى عمامة كبيرة تتكون من شال أبيض وطاقية حمراء وقفطان أصفر اللون له حاشية حمراء حول الرقبة والصدر وعند أطراف الاردان فوقه جبة قصيرة الاردان زرقاء اللون بينما ينسدل على كتفيه عباءة بيضاء اللون .

ومن الملاحظ أن السلطان قد رسم وجهه فى وضعة ثلاثية الارباع وقد أمسك فى احدى يديه بمجموعة من أزهار الورد يتنسم عبيرها وفى اليد الأخرى منديلا [٦١](لوحة ٤٢٧)

وبمتحف طوبقابى سراى أيضًا صورة شخصية للسلطان سليمان القانونى أو المعظم بعد أن تقدمت به السن وهى من رسم المصور حيدر ريس المعروف بـ (نجارى) (ت٩٨١هـ/ ١٥٧٣م).

ويشاهد فى هذه الصورة السلطان سليمان وهو يتريض فى حديقة قصره وخلفه اثنان من الانكشارية ، ومن الملاحظ أن نجارى رسم وجه السلطان من الجانب فى حين أنه رسم الجسم فى وضعة ثلاثية الأرباع ، ويرتدى السلطان عمامة كبيرة لها شال أبيض اللون

---

(٦٠) خليفة ، ربيع حامد ، فن الصور الشخصية فى مدرسة التصوير العثمانى ، القاهرة (٢٠٠٣م)، (تصدير الكتاب) .

(٦١) خليفة ، فن الصور الشخصية ، ص٦٣ ـ ٦٦ .

وطاقية حمراء اللون مضلعة وبها إستطالة وتزدان من الجانب بريشة ، وجبة ذات لون أزرق فاتح مبطنة بالفراء الأبيض اللون أسفلها قفطان ضيق الأكمام ذو لون رمادى ، ويتمنطق بحزام أحمر اللون وينتعل حذاءً بنيا ، ويظهر السلطان وقد بسط يده اليسرى إلى الأمام فى حين يقبض فى يده اليمنى على منديل مطرز .

ويغلب عى اسلوب رسم الصورة الأساليب الفنية الشرقية من حيث التسطيح وعدم استخدام الظلال أو التدرج فى الألوان واستخدام الرمزية إذ يظهر فى الركن الأيمن السفلى للصورة فرع نباتى يرمز إلى الحديقة .

وقد نجح نجارى فى تمثيل ملامح السلطان أصدق تمثيل من خلال رسم الوجه النحيف واللحية الرمادية اللون والرقبة النحيلة المجعدة التى تدل على تقدم السلطان فى السن(٦٢) .

أما عن المخطوطات المزوقة بالتصاوير فمن أهمها مخطوطة كتاب المهرجان (سورنامه Surname) المحفوظة بمكتبة متحف طوبقابى سراى باستانبول والمؤرخة بعام ٩٩١هـ/ ١٥٨٣م، ويعد هذا المخطوط فريداً فى نوعه بين المخطوطات الإسلامية عامة حيث أنه يدور حول وصف الاحتفالات التى عقدت بمناسبة ختان ابن السلطان مراد الثالث فى ميدان السلطان أحمد ؛ وما قامت به طوائف الحرفيين المختلفة من استعراض لحرفهم وصناعتهم . ومن بين تصاوير هذه المخطوطة الفريدة تصويرة تمثل الفرن الذى يصهر فيه الزجاج وحوله الصناع كل واحد يؤدى عمله (لوحة ٤٢٩) ، وتصويرة أخرى تمثل صناع النوافذ الجصية المفرغة والمعشقة بالزجاج الملون (القمريات المدورة والمطاولة) ونشاهد أربع من هذه القمريات قد تم صنعها (لوحة ٤٣٠) ، وتنسب هذه الصور إلى المصور عثمان(٦٣) .

ومن الاسهامات المتميزة لمدرسة التصوير العثمانية ما يمكن أن نطلق عليه مصطلح

---

(٦٢) خليفة ، فن الصور الشخصية ، ص٩١ ـ ٩٢ ؛ مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية فى العصر العثمانى، القاهرة ، ط٢ (١٩٨٧م)، ص١٩٨ ـ ١٩٩ .

(٦٣) مرزوق ، الفنون الزخرفية ، ص٢٠٣ ـ ٢٠٦ ؛ آصلان أبا ، فنون الترك ، ص٣٠٣ ؛ عكاشة ، التصوير الفارسى والتركى ، ص٣٢٣ ـ ٣٣٠ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن المدرسة التركية العثمانية انظر ، عكاشة، التصوير الفارسى والتركى ، ص٣٠٦ ـ ٣٦١ ؛ الشيسيتى ، نعيمة ، التصوير الإسلامى التركى ، مجلة عالم الفكر ، المجلد السادس عشر ، العدد الثالث ١٩٨٥م ، ص٢٣٧ ـ ٢٧٢ .

« التصوير الطوبوغرافى » للمصور نصوح المطراقجى الذى شارك فى عدة حروب فى عهد السلطان سليمان القانونى فسجل أحداثها ورسم المدن والموانى التى فتحها العثمانيون ، ومن أشهر تصاويره الطوبوغرافية مدينة استانبول فى كتابه الموسوم بـ «بيان منازل سفر عراقين» المحفوظ بمكتبة جامعة استانبول (تحت رقم T. 5964 - ورقة ٨ ب و ٩ أ) وهذه التصويرة مرسومة على صفحتين ويشاهد بها معالم المدينة البارزة مثل حى غلطة وبرجها الشهير فى اليسار ، وسراى طوبقابى وأيا صوفيا وميدان الخيل (أت ميدانى) والسوق المغطاة والسراى القديم ومجمع السلطان محمد الثانى فى اليمين ، أما القرن الذهبى الذى يفصل بين غلطة واستانبول فهو يمتد رأسيا فى وسط الصورة تمامًا ؛ وعلى ذلك تعد هذه الصورة وثيقة طوبوغرافية مهمة للغاية لمدينة استانبول فى الثلاثينات من القرن ١٦م[٦٤].

ومن المخطوطات المهمة أيضًا مخطوطة شاهنشا هنامه المحفوظة بمكتبة جامعة استانبول (تحت رقم Ty. 6605) ومن تصاويرها الهامة تصويرة تمثل مرصد استانبول الذى أقامه تقى الدين الراصد فى عهد السلطان مراد الثالث (٩٨٢ - ١٠٠٢هـ/ ١٥٧٤ - ١٥٩٥م) (لوحة ٤٣١) وتصويرة ثانية تمثل ذات الحلق الموجودة فى مرصد استانبول الذى أقامه تقى الدين الراصد[٦٥]. (لوحة ٤٣٢) .

٧- المدرسة المغولية الهندية :

تعد المدرسة المغولية الهندية من المدارس الفنية المتميزة فى الفنون الإسلامية بصفة عامة وفن التصوير بصفة خاصة ، وقد نمت هذه المدرسة وازدهرت بفضل رعاية وتشجيع أباطرتها ، ولذلك فانه يلاحظ أن تاريخ هذه المدرسة وتطورها بمعنى أوضح يرتبط ارتباطا وثيقا بعهود هؤلاء الأباطرة فلكل عهد من تلك العهود صفاته الخاصة به .

والمعروف أن هذه المدرسة كانت متأثرة فى أول عهدها بالأساليب الايرانية فقد ذكر أن بابر أحضر معه إلى الهند أحسن النماذج التى أمكنه جمعها من مكتبات أجداده التيموريين ، كما أحضر ابنه وخليفته همايون عقب رجوعه من منفاه بايران كلا من

---

(٦٤) أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج٢ ، ص٧٠٧ ، لوحة ١٩٤ ؛ ولمزيد من التفصيل عن نصوح ورحلته انظر : مطراقى زاده ، نصوح السلاحى ، (ت بعد ٩٥٨هـ)، رحلة مطراقى زاده ، ترجمة صبحى ناظم توفيق ، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف ، أبو ظبى - الإمارات العربية المتحدة ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م (١٩٤ صفحة) .

(٦٥) عن هذا المرصد انظر ، أوغلى ، الدولة العثمانية ، مج٢ ، ص٤٩٣ - ٤٩٥ .

المصورين الشهيرين ميرسيد على وعبد الصمد الشيرازى ، وعهد إليهما الاشراف على المصورين الهنود البالغ عددهم خمسين مصوراً والذين عكفوا على توضيح قصة الأمير حمزة بالصور ؛ فضلا عن اشتراكهم بأنفسهم فى رسم بعض موضوعاتها .

وكذلك فعل أكبر الذى يعتبر المؤسس الحقيقى لهذه المدرسة فقد كان راعيا للفنون يشرف بنفسه على شئون الفنانين والمصورين ويبدى لهم ملاحظاته ويزودهم بارشاداته ، وكانت تعرض عليه اسبوعيا أعمالهم ، ويقرر المكافأة للمجد المحسن منهم فى عمله أو يزيد فى راتبه ، وهذا بخلاف المرتب الشهرى الذى كان يدفعه لجميع المصورين .

وقد جمع أكبر فى مكتبته أجمل النماذج وأبدعها من انتاج المصورين الايرانيين مثل بهزاد وأقاميرك ، وزين جدران قصره بالرسوم والنقوش الايرانية ، وأسس مجمعا لفنون الكتاب ضم إليه حوالى سبعين فنانا من الهنود يعملون تحت اشراف المصورين الايرانيين ؛ ومنهم عبد الصمد الشيرازى الذى وصل فى عهد أكبر إلى مرتبة رفيعة إذ قلده رئاسة دار الضرب (سك النقود) فى مدينة فتح بورسكرى (عاصمته الجديدة) وأطلق عليه شيرين قلم (أى القلم الجميل) ومنهم أيضًا ميرسيد على وفروخ بيك وخسرو قلى وغيرهم .

وبالإضافة إلى التقاليد الايرانية ظلت التقاليد الهندية المحلية قائمة بل قدر لهذه الأخيرة أن تتغلب على التقاليد الايرانية فى أواخر القرن ١٠هـ/ ١٦م .

وفى عهد جيهانجير يتخلص التصوير الهندى من التأثيرات الايرانية وتصبح له صفاته المميزة الواضحة ومن أهمها الملابس الهندية الطراز ولا سيما لباس الرأس وتفضيل رسم الوجه جانبيا مع اكسابه شيئا من التجسيم والحيوية ، كذلك العمائر الهندية الطراز والتى يتفق رسمها فى كثير من الأحيان مع قواعد المنظور التى احترمها المصور الهندى احتراما أكثر من باقى المصورين المسلمين لها ، ولم يقتصر اتباعه لها على رسم العمائر التى تبدو فى الأجزاء البعيدة من خلفية الصورة بل وفى التكوين العام للصورة أيضًا .

ومما يميز الصور الهندية أيضًا ألوانها الهادئة الداكنة فلا نجد لها ذلك البريق واللمعان اللذين نشاهدهما فى التصوير الايرانى أو التباين والشذوذ الموجودين فى ألوانه .

كذلك تميز التصوير الهندى برسوم الأشخاص والطير والحيوان والنبات فقد فاق فيهما غيره من مدارس التصوير الإسلامى ويرجع الفضل فى ذلك إلى كل من

الامبراطور أكبر الذى أمر بعمل مرقعة تحتوى على صور كبار رجال الدولة ، وإلى الامبراطور جيهانجير الذى كان مغرما بالمناظر الطبيعية الجميلة وتسجيل رسوم الحيوان والطير والنبات بدقة ، وكان يكلف المصورين بعمل هذه الرسوم ، كما كان يكلفهم بتسجيل الأحداث فى حياته اليومية أينما ذهب ، ولذلك كان يستصحب معه عدداً من المصورين .

ومن مميزات التصوير الهندى أيضًا أنه قد يشترك أكثر من مصور فى عمل صورة واحدة كما هو الحال فى مخطوطة تيمور نامة ومخطوطة رازنامة ، أو أن يعهد إلى كل واحد برسم ما يجيده ويتقنه كما هو الحال فى مخطوطة أكبر نامة .

أما عن التأثيرات الأوروبية فقد أخذت تشق طريقها إلى التصوير الهندى منذ عهد أكبر وقد تم ذلك بالنقل عن الصور التى كان يجلبها المبشرون الجزويت معهم أو الهدايا التى كان يجلبها معهم السفراء لعقد المعاهدات التجارية ومنهم السير توماس رولم وسفير الملك جيمس الأول إلى الهند ، وكان الأباطرة يأمرون المصورين بتقليد هذه الصور الأوروبية ، ويقال أن السير توماس لم يستطع التمييز بين الأصل الذى أحضره والصورة المقلدة كذلك تميزت المدرسة الهندية برسم الصور الشخصية ورسوم النساك والزهاد .

ومن المصورين بشنداس وفروخ بيك ومنصور (نادر العصر) وأبو الحسن (نادر الزمان) ومراد ومنوهر ومحمود نادر السمرقندى ومحمود مراد[٦٦].

هذا فضلاً عن المدارس المحلية وهو ما سوف نعود إليه فى كتابنا المفصّل بمشيئة الله تعالى .

---

(٦٦) محرز ، التصوير الإسلامى ، ص٦٧ ـ ٧٤ ؛ ولمزيد من التفاصيل انظر ، فرغلى ، التصوير الإسلامى ، ص٣٦٦ ـ ٣٧٤ ؛ عكاشة ، ثروت ، التصوير الإسلامى المغولى فى الهند ، القاهرة (١٩٩٥م)، ص٥٧ ـ ١٦٨ ؛ حسين ، محمود إبراهيم ، دراسة للصور الشخصية فى المدرسة المغولية الهندية من خلال مجموعة من الصور تنشر لأول مرة ، مجلة دراسات أثارية إسلامية ، المجلد الرابع ، المجلس الأعلى للآثار (١٩٩١م)؛ على ، منى سيد ، التصوير الإسلامى فى الهند (الصور الشخصية فى المدرسة المغولية الهندية) ، القاهرة (٢٠٠٢م) ؛ التصوير الإسلامى فى الهند (تسليات البلاط وحياة الشعوب فى التصوير المغولى الهندى ، القاهرة (٢٠٠٣م)؛ فنانون فى مراسم أباطرة المغول فى الهند ، مراجعة وتقديم محمود إبراهيم حسين ، القاهرة (٢٠٠٥م) .
Okada, A., Imperial Mughal Painters , Indian Miniatures From the Sixteenth and Seventeenth Centuries, Paris, 1992 .

المبحث الثاني :

مختارات من فنون الكتاب :

أ ـ مصاحف شريفة تمثل الطراز المملوكي في مصر (لوحات ٣٢٩ ـ ٣٣٤) .

ب ـ فاتحة مصحف شريف كامل مخطوط محفوظ بدار الآثار الإسلامية بالكويت ، وتعد صفحتا فاتحة هذا المصحف المذهبتين انعكاسًا صادقا لخاتمته . (شمال الهند ق١٢هـ/ ١٨م)

جـ ـ نماذج من الأغلفة (الجلود) تمثل الطراز الصفوي في ايران (ق١٠هـ/ ١٦م) والطراز التركي العثماني في تركيا (ق١٠ ـ ١١هـ/ ١٦ ـ ١٧م) . (لوحتا ٣٣٦ ـ ٣٣٧) .

---

(٦٧)- Atil, Renaissance of islam, PP. 24 - 48 ., Varity in Unity , PP. 39, 42 - 43 .

الفصل الرابع

السكـــة الإســلاميـــة

المبحث الأول : تعريف المصطلحات(*) :ـ

١ـ السكـة :

يعبر لفظ السكة عن معانى متعددة تدور كلها حول النقود المتعامل بها بين الناس فها هو الماوردى يذكر « والسكة هى الحديدة التى يطبع عليها الدراهم ولذلك سميت الدراهم المضروبة سكة ... »[١].

أما ابن خلدون فيزودنا بتفاصيل أكثر فيقول أن السكة « وهى الختم على الدنانير والدراهم المتعامل بها بين الناس بطابع حديد ينقش فيه صور أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار أو الدرهم فتخرج رسوم تلك النقوش عليها ظاهرة مستقيمة ، بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس فى خلوصه بالسبك مرة بعد أخرى ، وبعد تقدير أشخاص الدراهم والدنانير بوزن معين صحيح يصطلح عليه فيكون التعامل بها عدداً وان لم تقدر أشخاصها يكون التعامل بها وزنا[٢].

ويضيف ابن خلدون فيذكر أن لفظ السكة « كان اسما للطابع وهى الحديدة المتخذة لذلك ثم نقل إلى أثرها وهى النقوش الماثلة على الدنانير والدراهم ثم نقل إلى القيام على ذلك والنظر فى استيفاء حاجاته وشروطه وهى الوظيفة فصار علما عليها فى عرف الدول ، وهى وظيفة ضرورية للملك إذ بها يتميز الخالص من المغشوش بين الناس فى النقود عند المعاملات ويتقون فى سلامتها الغش بختم السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة ... »[٣].

مما تقدم يتضح أن لفظ السكة يقصد به تلك النقوش التى تزدان بها النقود على اختلاف أنواعها ، ويعنى أيضًا قوالب السك التى يختم بها على النقود المتداولة كما يطلق أيضًا على الوظيفة التى تقوم على سك العملة تحت اشراف الدولة ؛ غير أن المعني

(*) نظراً لضيق الوقت وقرب الامتحانات للفصل الدراسى الأول لطلبة السنة الأولي المقرر عليهم هذا الكتاب، إقتصرنا فى هذه الطبعة على تعريف بعض المصطلحات المتعلقة بالسكة وتعريب السكة في عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ، أما الطبعة الثانية من هذا الكتاب المجمل فسوف نتناول فيها كل ما يتعلق بدراسة السكة وفق الخطة الموضوعة لهذا الكتاب المجمل .

(١) الماوردى ، الأحكام السلطانية ، ص١٩٧ .

(٢) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، المجلد الأول ، ص٢٧٦ ؛ الكرملى ، ، أنستاس ، النقود العربية والإسلامية وعلم النميات ، القاهرة ، ط٢ (١٩٨٧م)، ص١١٣ .

(٣) ابن خلدون ، مقدمة ، مج ١ ، ص٢٧٧ ؛ الكرملى ، النقود ، ص١١٣ ـ ١١٤ .

الشائع هو اطلاق كلمة السكة على النقود التى تضرب فى دور الضرب أو السك والتى أصبحت وسيلة التعامل الرئيسية فى العصور الوسطى بين مختلف شعوب العالم ، تشهد بذلك تلك المجموعات الضخمة من النقود الإسلامية التى عثر عليها فى روسيا وبولندا وفنلنده والمانيا وقد عاش لفظ السكة فى أوروبا غريبا عن وطنه وأمعن فى الاغتراب حتى تبنته الفرنسية باسم Sequin واشتقت منه الايطالية لفظ Zecchino[(٤)] .

ـ **الدينار** : هو العملة الذهبية الإسلامية فى العصور الوسطى ولفظة دينار مشتقة من اسم عملة ذهبية بيزنطية كانت تعرف باسم Denarius وكان يقال لها أيضًا Aureus وأحيانا أخرى Denarius Aureus ، واستخدم العرب قبل الإسلام الديناريوس وعربت اللفظة إلى دينار وورد ذكره فى القرآن الكريم ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ آل عمران آية ٧٥ .

وعيار الدينار ـ أى الوزن الشرعى له ـ منذ تعريبه على يد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ٤ر٢٥ جراما (أى ٦٦ حبة) .

وبالاضافة إلى الدينار استخدمت مضاعفاته وأجزاؤه ومنها الثلث ووزنه ١ر٤٠ جرام (٢٢ حبة) والربع ووزنه تقريبا جرام (١٥ر٥ حبة) والنصف .

ـ **الدرهم** : عملة فضية عرفها العرب من الساسانيين وكانت تسمى بالفارسية درم، وتعرف عند اليونانيين باسم دراخما ، وورد ذكر الدرهم فى القرآن الكريم ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴾ سورة يوسف آية ٢٠ .

وكان الوزن الشرعى للدرهم الإسلامى ٢ر٩٧ جرام على اعتبار أن الدرهم يمثل $\frac{٧}{١٠}$ الدينار وكان للدرهم أيضًا مضاعفات كما كانت له أجزاء لتسهيل العمليات التجارية .

ـ **الفلس : (والجمع فلوس)** : عملة نحاسية واللفظة مستمدة من كلمة يونانية وهذه مأخوذة بدورها من الكلمة اللاتينية Follis ، وفوليس هو اسم العملة النحاسية

---

(٤) فهمى ، النقود العربية ، ص ٦ ـ ٧ .

البيزنطية التى تعادل ٤٠ نوميا Nummia ومن ثم كان الفوليس البيزنطى تحمل على ظهرها العلامة التى تدل على قيمته ، وهى حرف M وترمز إلى ٤٠ نوميا وكان وزن الفوليس فى الأصل أوقية (حوالى ٣٠ جراما) ، وكانت النسبة الشرعية بين الفلوس والدرهم $\frac{١}{٤٨}$ ولو أن النسبة بين العملتين كانت مجال اختلاف مستمر .

ومن المعروف أن الأصل فى ضرب هذا النوع من النقود النحاسية أن تكون عملة تساعد على إجراء العمليات التجارية البسيطة ، ولكن رغم ذلك كان هناك اهتمام بنقوشها وأوزانها وصنعت لضبط أوزانها وتحديدها صنجا زجاجية خاصة مقدرة بالقراريط والخراريب (مفردها الخروبة)(٥).

ـ صنج السكة :

الصنجة بالصاد أو السنجة بالسين كلاهما بالفتح من الفارسية سنكة وتعنى الحجر والوزن ويراد بها العيار Poids وتحمل جميع الصنج الزجاجية الخاصة بالسكة الإسلامية ما يعبر عن هذا العيار أو الوزن بلفظ مثقال أو ميزان ، ولا شك أن المقصود بلفظ ميزان هنا هو مقدار ثقل الصنجة التى تعير عليها قطعة العملة ، ويشير ورود لفظ المثقال على الصنج إلى معنى العيار أو الميزان مثل « أمر ... بمثقال دينر أو فلس » وهكذا يكون لفظ المثقال على الصنج يعنى ما يوزن به وهو من الثقل وذلك اسم لكل سنج ، وقد صنعت صنجا زجاجية لا تستحيل إلى زيادة أو نقصان لتقدير أوزان السكة على وجه التحديد(٦).

هذا وتعد دراسة السكة الإسلامية على جانب كبير من الأهمية فى الدراسات التاريخية والحضارية والأثارية على السواء حيث أنها تعتبر وثائق رسمية صحيحة لا يسهل الطعن فى قيمتها أو التشكك فى أصالتها ومن ثم يمكن الاعتماد عليها فى

---

(٥) فهمى ، النقود العربية ، ص٧ ـ ١٠ ؛ الباشا ، حسن ، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية ، المجلد الثانى ، بيروت (١٩٩٩م)، ص٢٤١ ـ ٢٤٢ ؛ النقشبندى ، ناصر السيد محمد ، الدرهم الإسلامى جـ١ ، الدرهم الإسلامى المضروب على الطراز الساسانى ، بغداد (١٩٦٩م)، ص١ ، ٨ ؛ النقشبندي ، ناصر ، والبكرى ، مهاب درويش ، الدرهم الأموى المعرب ، بغداد (١٩٧٤م)، ص٩ ، ١٥ ـ ١٦ .

(٦) فهمى ، صنج السكة فى فجر الإسلام ، القاهرة (١٩٥٧م)، ص١ ـ ٢ ؛ النبراوى ، رأفت (وآخرين)، الصنج الزجاجية للسكة الفاطمية المحفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، القاهرة (١٩٩٧م) .

تصحيح الكثير من الأخطاء التاريخية من جهة واضافة حقائق تاريخية جديدة مستمدة منها ولم ترد فى المصادر التاريخية المعاصرة من جهة أخرى :

ونستطيع أن نجمل أهمية دراسة السكة فى النقاط التالية :

- يمكن من خلال دراسة النقود الإسلامية ملاحظة التطور فى تكون الدولة الإسلامية وتوسعها .
- إذا صنفنا النقود نحصل على قوائم الأسر الحاكمة فى العالم الإسلامى وضبط تواريخ حكمها بكثير من الدقة .
- أكثر النقود تحمل مكان الضرب ، كما أن أسماء المدن التى ضربت بها النقود تحدد امتداد نفوذ كل دولة وكل حاكم ، وهى تمدنا بمعلومات جغرافية واسعة ، ومن حسن الحظ أن كتب البلدانيين والجغرافيين والرحالة يمكن أن تعطينا وصفا لكل مدينة وتحدد موقعها وتبين أهميتها الاقتصادية والسياسية ، ولكن الكثير من هذه المدن قد اندثر الآن ، ومن ثم فان النقود تحفظ لنا ذكراها .
- جميع النقود تحمل بالاضافة إلى التاريخ الهجرى اسم الخليفة أو الملك أو السلطان أو الأمير أو الوالى وأحيانا اسم المشرف على الضرب والوزير ، ويفيدنا ظهور أسماء بعض الثوار والمغتصبين للحكم فى استنباط الكثير من الحقائق التاريخية .
- نستطيع من خلال فحص هذه النقود أن نتعرف على نقاء المعدن الذى سكت منه النقود أو على الخلائط المعدنية كما نتعرف على طريقة السك ودقة صنعه .
- تعد النقود مجالاً مهما للغاية فى تتبع تطور الخط العربى ومراحل تطوره عبر العصور المتلاحقة .
- تفيدنا أيضًا فى دراسة أنواع الزخارف النباتية والهندسية والكائنات الحية(٧).

---

(٧) العش ، محمد أبو الفرج ، النقود العربية الإسلامية المحفوظة فى متحف قطر الوطنى ، جـ١ ، الدوحة (١٩٨٤م)، ص١٠ ـ ١٣ ؛ فهمى ، النقود ، ص٤ ـ ٦ ؛ النبراوى ، النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع الهجرى ، القاهرة (٢٠٠٠م)، ص ٥ ـ ٣١ ؛ رمضان ، عاطف منصور، موسوعة النقود فى العالم الإسلامى ، جـ١ ، ص١٧ ـ ٢١ ؛ الشرعان ، نايف ، نقود الدولة العيونية فى بلاد البحرين ، الرياض (٢٠٠٢م)، ص ٧ ـ ١٢ .
وانظر أيضًا دراستنا الموسومة بـ « النقوش الآثارية مصدراً للتاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية »، المجلد الأول ، القاهرة (٢٠٠٢م) وفيه دراسة حول حسم الخلاف بين المؤرخين وتصحيح الأخطاء التاريخية الشائعة اعتماداً على نقوش السكة وغيرها من النقوش الآثارية ، أما المجلد الثانى (قيد النشر) ففيه اضافة لحقائق تاريخية من خلال نقوش السكة وغيرها ـ لم ترد أصلاً فى المصادر التاريخية المعاصرة .

المبحث الثاني : تعريب السكة (الاصلاح النقدي) :

أ ـ قبل التعريب : من الثابت أن العرب قبل الإسلام قد عرفوا الدراهم الساسانية والدنانير البيزنطية وقد ورد ذكرها في أخبارهم وأشعارهم ، وقيل أنهم كانوا يتبايعون بالدنانير علي أنها تبر ويطلقون عليها العين ، كما يطلقون علي الدراهم الفضية «الورق»[(٨)] .

فلما جاء الإسلام أقر الرسول (ﷺ) النقود على ما كانت عليه ، وتعامل الرسول نفسه بهذه النقود وزوج عليا (رضى الله عنه) ابنته فاطمة علي ٤٨٠ درهما وزن ستة دوانيق[(٩)] .

وكذلك فرض الرسول (ﷺ) زكاة الأموال بهذه النقود السائدة فجعل في كل خمس أوقيات من الفضة خمسة دراهم كما جعل في كل عشرين ديناراً نصف دينار .

ولما أقرّ الرسول (ﷺ) هذه النقود عمل خليفته أبو بكر (رضي الله عنه) بسنته في تبني النقود الجارية بين المسلمين ولم يغير منها شيئًا .

ولما استخلف عمر بن الخطاب (١٣ ـ ٢٣هـ/ ٦٣٤ ـ ٦٤٤م) (رضي الله عنه) وفتح الله علي المسلمين بلاد الفرس أمَرّ النقود الساسانية في ايران والعراق كما هي بلغتها وحروفها البهلوية ، وكذلك بشاراتها وشعائرها غير الإسلامية ، كما حافظ علي أسماء دور السك وتاريخ الضرب باللغة البهلوية كذلك .

ويذكر المقريزي أن عمر بن الخطاب في عام ١٨هـ/ ٦٣٩م ضرب الدراهم علي نقش الكسروية وشكلها وأعيانها (صورها) ولكنه زاد عليها عبارة (الحمد لله) وفي بعضها (محمد رسول الله) ، وفي البعض الآخر (لا اله الا الله وحده) .

ولما استخلف عثمان (٢٣ ـ ٣٥هـ / ٦٤٤ ـ ٦٥٦م) (رضي الله عنه) ضرب دراهم في خلافته ونقش عليها عبارة التكبير (الله أكبر)[(١٠)] .

ومن العبارات التي نقشت علي الدراهم التي ضربت في عهد عثمان (رضي الله عنه) كلمة (جيد) وكلمة (بركة) وهو ما يستدل عليه من الدراهم الآثارية الباقية المؤرخة سنة ٢٠ يزدجردي / أي ٣١هـ/ ٦٥١م و ٣٢هـ/ ٦٥٢م .

---

(٨) فهمى النقود العربية ، ص٢١ .
(٩) ابن سلام ، الأموال ، ص٦٣١ .
(١٠) المقريزي ، شذور العقود ، ص١٠٣ ، ١٠٥ .

واستمرت الدراهم تضرب في خلافة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ٣٥ - ٤٠هـ/ ٦٥٦ - ٦٦١م وكان ينقش عليها عبارة (بسم الله) وعبارة (بسم الله ربي) كما نقش اسم (محمد) بالخط الكوفي علي بعض الدراهم المؤرخة بعام ٣٩هـ/ ٦٥٩م(١١).

واستمرت النقود تضرب في عصر الدولة الأموية حتي خلافة عبد الملك بن مروان ٦٥ - ٨٦هـ/ ٦٨٤ - ٧٠٥م دونما احداث تغيرات جوهرية كما كان عليه الحال في عصر الخلفاء الراشدين ، فالدراهم ظلت تضرب علي الطراز الساساني مع اضافة الكتابات العربية عليها ، وكان التاريخ يسجل عليها أحيانا وفقًا للتقويم الفارسي (اليزدجردى) أو التقويم الهجري ، كما سجلت أسماء بعض الخلفاء الأمويين وألقابهم باللغة البهلوية ، ومن ذلك (معاوية أمير و رشينكان أي معاوية أمير المؤمنين) علي دراهم مؤرخة بـ ٤١هـ و ٤٣هـ .

كما سجل أمراء الاقاليم الشرقية أسماءهم علي الدراهم المضروبة علي الطراز الساساني باللغة البهلوية ، ويستثني من هؤلاء الحجاج بن يوسف الثقفي الذي كان أول من سجل اسمه علي هذه الدراهم بالحروف العربية (في ضوء الدراهم الآثارية الباقية والمعروفة حتي الآن)؛ كما يعد الحجاج أيضًا هو أول من أضاف إلي الدراهم شهادة التوحيد والرسالة المحمدية .

وهناك نوع من الدراهم اصطلح علي تسميتها بالدراهم العربية الساسانية المغفلة أي التي تخلو من أسماء الخلفاء وأمراء الاقاليم وقد استمر ضربها حتي عام ٦٤ هـ/ ٦٨٤م (في ضوء ما هو معروف منها حتي الآن)(١٢).

ب - تعريب السكة في عهد عبد الملك بن مروان(١٣) ٦٥ - ٨٦هـ/ ٦٨٤ - ٧٠٥م : مرّ الاصلاح النقدي في عهد عبد الملك بن مروان ببضعة مراحل حتي تم التعريب الكامل للنقود .

---

(١١) رمضان ، موسوعة النقود ، جـ١ ، ص٥٧ - ٥٨ .

(١٢) رمضان ، موسوعة ، جـ١ ، ص٦٣ - ٧٩ ؛ القيسي ، موسوعة ، ص٢٨ - ٢٩ ؛ النقود في العراق ، ص٤١ - ٤٨ ؛ العش ، النقود العربية الإسلامية ، جـ١ ، ص٢٤ - ٢٨ ؛ النقشبندي ، الدرهم الإسلامي ، جـ١ ، الدرهم الإسلامي المضروب علي الطراز الساساني ، بغداد (١٩٦٩م)؛ النقشبندي ، والبكري ، الدرهم الأموي المعرب ، ص٩ - ١٠ .

(١٣) رمضان ، موسوعة ، جـ١ ، ص٨٠ - ١٠٦ ؛ العش ، النقود العربية الإسلامية ، جـ١ ، ص١٦ - ٢٣ ؛ القيسي ، موسوعة ، ص٢٩ - ٣٢ ؛ النقود في العراق ، ص٤٩ - ٥٦ ؛ النقشبندي والبكري ، الدرهم الأموي المعرب ، ص١٠ ، ٢٢ - ٢٦ ؛ فهمي ، النقود العربية ، ص٢٩ - ٣٨ .

ويمكن في ضوء الأدلة الآثارية المعروفة والمتوفرة حتي الآن ان نقسم هذه المراحل إلي ثلاث :

ـ المرحلة الأولي : مرحلة الصور الامبراطورية ٧٢ ـ ٧٤هـ/ ٦٩٢ ـ ٦٩٤م .

ـ المرحلة الثانية : مرحلة الصور العربية ٧٤ ـ ٧٧هـ/ ٦٩٤ ـ ٦٩٧م .

ـ المرحلة الثالثة : مرحلة التعريب النهائي وظهور الطراز الإسلامي الخالص .

أما عن المرحلة الأولي فتتميز بنقش صورة الأباطرة البيزنطيين علي النقود الذهبية والنحاسية أو صورة كسري الفرس علي الدراهم الفضية فضلا عن بعض المظاهر الأخري ومنها العمود القائم علي مدرجات علي الدنانير وحرف M الكبير و m الصغير علي الفلوس أو رسم معبد النار الزرادشتي علي الدراهم الساسانية ، وكذلك ظهور بعض الكتابات والحروف اللاتينية علي الدنانير والفلوس والكتابات البهلوية علي الدراهم .

أما المرحلة الثانية فتتميز بظهور صورة بمركز وجه الدينار تمثل الخليفة عبد الملك واقفا بملابسه العربية تعلو رأسه كوفية ويضع يده اليمني علي مقبض سيفه يهم باستلاله، وفي الهامش نقش بالخط الكوفي البسيط نصه (بسم الله لا اله الا الله وحده محمد رسول الله) أما الظهر فيوجد به عمود قائم علي مدرجات أربعة ينتهي في أعلاه بكرة ، بينما نقش بالهامش بالخط الكوفي البسيط نصا يتعلق بتاريخ الضرب بصيغة «بسم الله ضرب هذا الدينر سنة ... ٧٤ أو ٧٥ أو ٧٦ أو ٧٧هـ .

أما الدراهم التي تنتمي إلي هذه المرحلة فتتميز بأن صورة كسري قد اختلفت في بعض تفاصيلها ، كما حذفت الكتابة البهلوية وحلت محلها الكتابة العربية ، كذلك حذف معبد النار ونقشت بدلا منه صورة الخليفة عبد الملك مماثلة لما هو منقوش بالدنانير، وعلي جانبي صورة الخليفة نقشت ألقابه بصيغة (خليفة الله ـ أمير المؤمنين) .

وهناك اصدارات أخري من الدراهم سوف نتطرق إليها في كتابنا المفصل (بمشيئة الله تعالي) .

كذلك فإن النقود النحاسية والبرونزية في هذه المرحلة تتميز بأنها تحمل صورة الخليفة عبد الملك تحيط بها أحيانا نفس العبارات (بسم الله لا اله الا الله وحده محمد رسول الله) أو بدون عبارة (بسم الله) أو تنقش عليها عبارة (العبد الله عبد الملك أمير المؤمنين) أو (خلفة الله أمير المؤمنين)، أما الظهر فيوجد العمود القائم علي مدرجات يعلوه كره ونقش مدينة الضرب عن يمينه أو يساره ، وأحيانا تنقش كلمة (واف) ، وأحيانا يضاف هامش كتابي يشتمل علي شهادة التوحيد والرسالة المحمدية .

أما المرحلة الثالثة والأخيرة فتخلو تماما من كافة التأثيرات الفارسية والبيزنطية التي سبق أن شاهدناها في المرحلتين السابقتين ، ومن ثم فهي تتميز بظهور الطراز الإسلامي الخالص حيث حلت الكتابات الإسلامية محل الصور وذلك علي النحو التالي :

ـ الدنانير الذهبية

الوجه	الظهر
مركز : لا اله الا	مركز : الله أحد الله
الله وحده	الصمد لم يلد
لا شريك له	ولم يولد
هامش : محمد رسول الله ارسله بالهدي	هامش : بسم الله ضرب هذا
ودين الحق ليظهره علي الدين كله	الدينر[فى] سنة سبع
	وسبعين

ـ الدراهم الفضية :وأقدم المعروف منها حتي الآن مؤرخ بـ ٧٨هـ

الوجه	الظهر
مركز : لا اله الا	مركز : الله احد الله
الله وحده	الصمد لم يلد و
لا شريك له	لم يولد ولم يكن
	له كفوا أحد
هامش : محمد رسول الله ارسله بالهدي	هامش : ضرب هذا الدرهم + مدينة
ودين الحق ليظهره علي الدين كله ولو	الضرب وتاريخه
كره المشركون	

وهناك اصدار آخر نقوشه

الوجه	الظهر
مركر : لا اله الا	مركز: الله أحد الله
الله وحده	الصمد لم يلد
لا شريك له	ولم يولد ولم يكن
	له كفوا أحد
هامش : بسم الله ضرب هذا الدرهم	هامش : محمد رسول الله ارسله بالهدي
+ مدينة الضرب وتاريخه	ودين الحق ليظهره علي الدين كله ولو
	كره المشركون

- الفلوس :

الوجه	الظهر
مركز : لا اله	مركز : محمد
الا الله	رسول
وحده	الله
هامش : أمر به عبد الله الوليد	هامش : بسم الله ضرب هذا بدمشق
امير المؤمنين	سنة سبع وثمنين

وهناك فلوس أخري عديدة تحمل أسماء الخلفاء والولاة وتحمل اسم مدينة الضرب وتاريخ الضرب .

هذا وقد كانت وراء تعريب السكة عدة دوافع دينية وسياسية واقتصادية وقومية[١٤]، (وهو ما سوف نتطرق إلي مناقشته وتحليله تفصيلا واسهابا في كتابنا المفصل بمشيئة الله تعالي .

وكذلك سوف نتناول في هذا الكتاب المفصّل كل ما يتعلق بالسكة الإسلامية في العصور المتعاقبة وسكة الثوار والخارجين وتقليد الصليبيين للنقود الإسلامية في الشام ومصر وغير ذلك من الموضوعات والمفردات المرتبطة بدراسة السكة الإسلامية (بمشيئة الله تعالى) .

---

(١٤) عن الآراء المختلفة التي ذكرت في المصادر التاريخية فضلا عن دراسات العلماء والباحثين انظر ، البيهقي ، المحاسن والمساوئ ، ص٤٦٧ - ٤٧٠ ؛ الدميري ، حياة الحيوان الكبري ، جـ١ ، ص٦٢ - ٦٤، المناوي ، النقود والموازين والمكاييل ، ص٦٢ - ٦٣ ؛ المقريزي ، شذور العقود ، ص١٠٧ ، ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، مج٢ ، ص٢٨٨ ؛ فهمي ، النقود العربية ، ٢٩ - ٣٩ ؛ تعريب النقود ومدلوله الحضاري ، المنهل ، العدد ٤٥٤ السنة ٥٣ ، المجلد ٤٨ ، جده (١٩٨٧م)، ص٣٨٢ - ٣٩٣ ؛ الرمضاني، عبد الواحد ، البعد القومي لتعريب النقود ، مجلة آداب الرافدين ، العدد ١٤ ، (١٩٦١م)، ص٤٧ - ٨٧ ؛ اليوزبكي ، توفيق ، التعريب في العصرين الأموي والعباسي ، مجلة آداب الرافدين ، العدد ٧ ، (١٩٧٦م)، ص ٤٥ - ٦٩ ؛ رمضان ، موسوعة ، جـ١ ، ص١٠٩ - ١٢٦ ؛ الكبيسي ، حمدان، أصول النظام النقدي في الدولة العربية الإسلامية ، بغداد (١٩٨٨م)، ص٢٢ - ٢٧ .

الفصل الخامس

آثر الآثار الإسلامية فى أوروبا

مقدمـــة :-

ألمعنا في الفصل الخامس من الباب الأول إلى المعابر الرئيسية التي إنتقلت من خلالها التأثيرات الحضارية الإسلامية إلى أوروبا ، ثم تحدثنا عن أهم مظاهر هذا التأثير في النواحي الحضارية ، غير أن ما يعنينا في هذا المقام هو أن نستكمل بعض جوانب هذا الموضوع المهم بدراسة أثر الآثار الإسلامية في أوروبا .

وينبغي قبل أن نتحدث عن مظاهر هذه التأثيرات الآثارية الإسلامية في أوروبا أن نشير إلى أن الرواد من المستشرقين والعلماء والباحثين الغربيين كان لهم فضل السبق في ابراز الجوانب المختلفة لهذا الموضوع[١] ، ثم لم يلبث أن سار على نهجهم واقتفى أثرهم الرواد الأوائل من العلماء المصريين منذ بداية الثلاثينيات من القرن العشرين المنصرم[٢] .

وقد استطاع هؤلاء العلماء أن يثبتوا كيف أن الفن الإسلامي قد ترك بصماته الواضحة في فنون أوروبا ، وكان وراء ذلك عدة عوامل منها ما يتعلق بالقيمة الجمالية الواضحة للمنتوجات الفنية الإسلامية التي تتمثل في تناسقها وفخامتها وما تحفل به في كثير من الأحيان من غنى في الألوان ؛ فضلا عن الدرجة العالية من الاتقان الفني الواضح في صناعتها وهي درجة تفوق بمراحل أي شئ كان من الممكن أن ينتجه الغرب في تلك العصور ، ناهيك عن طرافتها الغريبة ، ويضاف إلى ذلك شئ هام زاد من قدر

---

(١) حسبنا أن نشير هنا إلى تلك القائمة من الدراسات التي أوردها البروفسور كريزول عن آثر العمارة والفنون الإسلامية في الغرب ، ص١٢٩٧ ـ ١٣٢٦ ؛

Creswell, K. A. C., Abibliography of the Architecture, Arts and Crafts of islam to 1 st jan, 1960, A. U. C. (1961), PP. 1297 - 1326 .

(٢) الهواري ، حسن محمد ، أثر الفن الإسلامي في الحضارة العالمية ، الهلال ، السنة ٤٢ ، جـ٦ ، ١٧ ذي الحجة ١٣٥٢هـ/ أول ابريل ١٩٣٤م ، ص٦٧٣ ـ ٦٨٠ ؛ حسن ، زكي محمد ، أثر الفنون الإسلامية في بولندة ، الثقافة ، السنة الأولى ، العدد ٤١ ، ٢٦ شعبان ١٣٥٨هـ/ ١٠ أكتوبر ١٩٣٩م، ص ٢٠٠٩ ـ ٢٠١٣ ؛ تراث الفنون الإسلامية في البلقان وأوروبا الوسطى ، الكتاب ، أغسطس ١٩٤٦م ، ص٥٤٥ ـ ٥٥٣ ؛ فكري ، أحمد ، ما شاء الله ، الكاتب المصري ، مجلد ١ ، العدد ٤ ، يناير (١٩٤٦م)، ص٥٦٩ ـ ٥٧٦ ؛

Fikry, A., L'Art Roman du Puy et les Influences Islamiques, Paris, (1934), PP. 341, With 61 plates and 118 figs .

تلك المنتوجات الفنية وهو ارتباطها الصحيح أو المفترض بالأرض المقدسة (بيت المقدس) وبشخصيات دينية معينة[٣].

وهنا لا تفوتنا الإشارة إلى آثر الحج إلى الأراضى المقدسة وما كان يحمله هؤلاء الحجاج عند عودتهم إلى أوطانهم من المنتوجات الفنية فى تأكيد نظرة التقدير والاعجاب الممزوج بالتقديس لهذه التحف الفنية وليس أدل على ذلك من أن بعض هذه التحف كانت تحفظ فيها أعز المخلفات الدينية فى الكنائس ، كما كانت تستخدم فى المراسم الدينية مثل التعميد بل أن بعضها كانوا يتبركون بها وكانت النساء منهن يعتقدن أنها تساعد العواقر منهن على أن يحملن[٤].

ويضيف اتنجهاوزن عاملاً آخر وهو أنه لم يوجد فن تصوير إسلامى خاص أو فن تشيع فيه رموز دينية خاصة يمكن أن تجرح احساس العقلية المسيحية فالأشكال الرقيقة البريئة التى اتخذها التصوير الإسلامى فى هيئة حيوانات وطيور وتوريقات مع بعض تصاوير آدمية بين الحين والحين جعلت الأشياء التى تحمل هذه التصاوير مقبولة تماما حتى عند استخدامها فى تدثير بقايا قديس أو فرشها على درج مذبح كنيسة ، ولم يستثن من ذلك شئ حتى الكتابات العربية التى كانت تستعمل على نطاق واسع والتى نجدها فى الهالة التى تحيط برأس المادونا (أى صورة السيدة مريم العذراء) كما نجدها على أطراف الأثواب التى يلبسها القديسون فى التصاوير وعلى أبواب الكاتدرائيات وعلى كل سطح آخر يمكن الرسم عليه ... »[٥].

وهكذا نجد أن اعجاب الغرب بالفنون الإسلامية لم يقتصر على مجرد قبول تلك الفنون بطريقة سلبية بل تجلى فى ادخال ما تيسر له من هذه الفنون فى أكثر منشأته احتراما وجلالاً سواء أكانت تلك المنشآت دينية أو دنيوية ، كما يظهر ذلك الاعجاب أيضًا فى اقتباس الغرب فنون الشرق بصورة أو بأخرى .

هذا ولم يكن ذلك التأثير مقصوراً على الأقاليم التى ينتظر أن يكون فيها مجال

---

(٣) اتنجهاوزن ، ريتشارد ، أثر فنون الزخرفة والتصوير عند المسلمين على الفنون الأوروبية ، ضمن تراث الإسلام ، جـ٢ ، ط٢ ، الكويت (١٩٨٨م)، ص٤٤٣ .

(٤) مرزوق ، قصة الفن الإسلامى ، ص١٧٩ - ١٨٠ .

(٥) اتنجهاوزن ، أثر فنون ، ص٤٤١ - ٤٤٢ .

للالتقاء الروحى العميق بين الجانبين ، والتى حدث فيها بالفعل التقاء كهذا ، ففى أقاليم الحدود نجد ذلك الأثر متمثلا فى التصاوير المستعربية وأعمال الحفر الايطالية على العاج ، بالإضافة إلى العملة ذات اللغتين التى نجدها فى اسبانيا وامالفى وسالرنو . وقد وجدت فى بلاد شمال أوروبا ٥٢ ألف قطعة من العملات الإسلامية ما بين كاملة وناقصة وبعضها صنعت منه حُلى وترجع هذه العملات إلى الفترة الواقعة بين أواخر القرن الثانى وأوائل القرن الخامس الهجرى / ٨ - ١١م وهى تظهر أنه كانت لهذه الأقاليم علاقات تجارية طويلة المدى مع العالم الإسلامى .

كذلك اكتشف فى جزيرة جوتلاند (Gotland) السويدية وحدها أكثر من ٣٠ ألف قطعة من العملات الإسلامية التى ترجع إلى عصر الدولة السامانية فى شرق إيران وبلاد ما وراء النهر ، كما وجدت قطع أخرى كثيرة من العملات الإسلامية فى جزر أخرى وعلى طول شواطئ بحر البلطيق(٦) .

وهنا لا تفوتنا الإشارة إلى بولندة التى يمكن أن نعتبرها حلقة من حلقات الاتصال بين الغرب والشرق ولا سيما فى القرنين ٨ - ٩هـ/ ١٤ - ١٥م حين إمتدت أملاكها إلى حدود البلقان الشمالية ومن ثم تأثرت بالفنون الإسلامية فى تركيا وايران .

على أن اتصال بولندة بالشرق لم يكن فى البداية اتصالاً شخصيًا ومباشراً ، وإنما كانت المدن الواقعة جنوب شرق بولندة ولا سيما كامينيس بودولسكى Camieniec Podolski ولوفوف (أولمبرج) Lwow تحصل على تحف شرقية كثيرة من مستعمرات جمهورية جنوه الايطالية على البحر الأسود ، وأعظم هذه المستعمرات شأنا ثغر كافا Kaffa فى شبه جزيرة القرم (ويعرف باسم ثيودوسيا)؛ وفضلا عن ذلك فقد كان فى مدن بولندة - وعلى الأخص لوفوف - مها جرون من الأرمن واليونان نزحوا إلى تلك البلاد منذ القرن ٧هـ/ ١٣م ولكنهم لم يقطعوا أسباب الاتصال بأوطانهم الأولى فكانوا يستوردون منها البضائع والتحف الشرقية ، كما كانوا يشيدون الكنائس والعمائر فى

---

(٦) اتنجهاوزن ، آثر فنون ، ص٤٣٨ - ٤٤٠ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن هذه العملات انظر ،
Stenberger, M., Die schatzfunde Gotlands der wikingerzeit, stockhol;, (1958), Miles, G. C., Bomone de Barcelone, vol 2, Paris, (1962), PP. 683 - 693, the coinage of the Umayyads of Spain, New York, (1950), PP. 539 - 540 .

مهجرهم على الأساليب الفنية التى ألفوها فى بلادهم ، والمعروف أن هذه الأساليب الفنية كانت قد أصبحت ذات صلة وثيقة بالفنون الإسلامية منذ أن استولى المسلمون على ارمينيا وامتد نفوذهم الفنى إلى البلقان .

وخير دليل على ذلك الزخارف المحفورة فى الحجر بالكنيسة الأرمنية فى مدينة لوفوف وترجع إلى النصف الثانى من القرن ٨هـ/ ١٤م والتى تمت بصلة وثيقة إلى الطراز السلجوقى .

وزاد اتصال بولندة بالشرق فى القرنين ١٠ ـ ١١هـ/ ١٦ ـ ١٧م بعد أن امتد نفوذ الأتراك العثمانيين فى البلقان إلى حدود بولندة ، وبعد أن صار ثغر كافا Kaffa فى قبضة يدهم منذ عام ١٤٧٥م فعظم نشاط التجار من الأرمن والترك واليونان وأصبحت بولندة من أهم الأسواق لتصريف البضائع والتحف التركية والايرانية التى كان التجار يجلبونها من الشرق ، وقد كان الأرمن يقومون بالرحلات إلى وطنهم الأول لانشاء العلاقات التجارية واختيار التحف بل أن بعض ملوك بولندة كانوا يوفدون عملاءهم من اولئك التجار إلى قاشان أو اصفهان لشراء السجاجيد الثمينة والمنسوجات النفيسة والأسلحة الغالية ، وقد ورد ذكر التحف الشرقية فى كثير من الوثائق البولندية فى القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين .

هذا ولم يقف دور بولندة عند حد المتاجرة فى التحف الشرقية فحسب وإنما قامت فى بعض مدنها حركة صناعية كبيرة استطاعت تقليد التحف الشرقية من المنسوجات والسجاجيد والجلود والمعادن ولقد أصابوا توفيقا عظيما فى هذا التقليد حتى القرن ١٣هـ/ ١٩م حين حلت الزخارف الأوروبية محل الزخارف الإسلامية(٧) .

أما عن مظاهر التأثيرات الإسلامية فى فنون أوروبا فيمكن أن نتناولها اجمالاً (على أن نعود إليها تفصيلاً واسهابًا وتحليلاً فى كتابنا المفصّل بمشيئة الله تعالى) فى النقاط التالية :

---

(٧) حسن ، أثر الفنون الإسلامية ، ص٢٠٠٩ ـ ٢٠١٣ ؛ تراث الفنون الإسلامية ، ص٥٤٦ ـ ٥٤٨ ؛ فنون الإسلام ، ص٦٥٥ ـ ٦٥٧ ؛

Mankowski, T., Influence of Islamic Art in Poland, Ars Islamica, vol II, (1935) PP. 93 - 117., with 29 illus and 17 Plates .

١ ـ العمارة : تأثرت العمارة الأوروبية فى العصور الوسطى تأثيراً بالغا بالتقاليد المعمارية الإسلامية ، وكانت أولى المناطق التى ظهرت فيها قوة هذا التأثير هى شمال اسبانيا منذ أواخر القرن ٣هـ/ ٩م وأوائل القرن ٤هـ/ ١٠م فى مقاطعات ليون وقشتالة وجليقية من جهة وبلاد قطالونيا من جهة أخرى ويتجلى ذلك بوضوح فى كنائس المستعربين التى أقاموها فى تلك المناطق ومن بينها كنيسة سان ميجل دى اسكالادا وسانتياجودى بنيالبا (فى ليون) وكنيسة سان ميان دى لاكوجيا وكنيسة سان ثبريان دى ماثوتى وكنيسة سان باوديل دى برلانجا وكنيسة سان ميجل دى فلوجيا وكنيسة شنت ياقب (سنتياجو) وهى التى كانت كعبة الحجاج من فرنسا واسبانيا وغيرهما من البلاد المسيحية وكان طريق الحج هذا مكتظا بالكنائس والأديرة المستعربة فى اراغون ونبره وقشتالة وليون ، وبالرغم من أن المستعربين قد حاولوا التخلص فى عمارتهم من التقاليد الإسلامية إلا أنهم لم يستطيعوا اتمام أعمالهم بدونها؛ إذ كانت هذه التقاليد من القوة بحيث فرضت عناصرها على عناصر العمارة المسيحية ، وكان من أهم مظاهرها تلك العناصر المعمارية والزخرفية ومنها العقود المنفوخة المتجاوزة لنصف الدائرة والعقود الثلاثية الفتحات (العقد المدائنى) والعقود المفصصة أو المقصوصة والعقود الصماء ومنها النوافذ المزدوجة (التوأمية) والشرفات أو الكوابيل والقبوات والقباب ذات الضلوع البارزة والمتقاطعة ومنها الأبراج والزخارف المعمارية .

وامتدت هذه التأثيرات إلى الكنائس الفرنسية والايطالية والانجليزية ، فالعقود المنفوخة نراها فى العديد من هذه الكنائس ومنها سان ميشيل دى بوى وسوياك فى فرنسا وفيرونا وسنيولى فى ايطاليا ، والعقود الثلاثية فى كنائس سان فيدال وفى كاتدرائية كاهور ومارينى والعقود المفصصة أو المقصوصة نراها فى كنائس لاندو ومواساك وشانتول وشارترروريو وكاتدرائية كليرمونت ودير كلونى ، وكنيسة كلاى Clay ونورفولك Norfolk فى انجلترا ؛ فضلا عن عشرات الأمثلة الأخرى سواء فى الأبواب أو النوافذ أو الأبراج أو القباب أو المذابح .

والعقود الصماء نراها فى كاتدرائية درم وكاتدرائية نورويش فى انجلترا، والعقود المنفرجة انتقلت إلى انجلترا أيضًا وعرفت هناك بالعقد التيودورى Tudor Arch .

كذلك كان للقباب والقبوات آثرها فى تطور العمارة الأوروبية وهو ما يتجلى فى

القبوات الوترية القوطية كما هو الحال فى قبة مصلى مستشفى سان بليز فى فرنسا وكاتدرائية درم فى انجلترا والعديد من الكنائس الاسبانية .

كذلك فإن أبراج الكنائس فى اسبانيا وايطاليا تبدو وكأنها صور مطابقة لمآذن المغرب والأندلس ومنها أبراج كنائس طليطلة وسرقسطة فى اسبانيا وإحدى كنائس فيرونا وكنيسة دومو سوليتو فى ايطاليا وبرج سانت مارى لوباو فى لندن الذى أقيم فى أواخر القرن ١٧م(٨).

ولعل من أكثر الآثار الأوروبية عجبا وتعبيراً عن التأثيرات الإسلامية فى العمارة والزخرفة المعمارية تلك المجموعة من الكنائس التى بنيت فى مدينة البوى فى وسط فرنسا فى الربع الأول من القرن ٦هـ/ ١٢م حيث نشاهد فيها جملة من العناصر الإسلامية لم يجتمع مثلها فى أى أثر من الآثار الأوروبية مثل العقود المنفوخة والعقود الثلاثية الفتحات والعقود المفصصة وأشكال التيجان والقباب وتناوب الألوان (الأبلق) ، ونجد فوق هذا كله خاتم العروبة والإسلام مطبوعا على احدى بوابات كاتدرائية البوى وهو « الملك لله » وتتكرر هذه الجملة العربية المقروءة الواضحة المعنى حول اطار باب العذراء وحول كل مصراع من مصراعى الباب(٩).

ومن العناصر الأخرى المداخل المنكسرة (الباشورة) Bent Entrances كما هو الحال فى أسوار مدينة Carcassonne ومدينة Ranparte d'avignons nons بفرنسا والأولى من القرن ١٢م والثانية من القرن ١٤م .

---

(٨) فكرى ، فى العمارة والتحف الفنية ، ضمن كتاب أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوروبية ، ص٣٧٨ ـ ٣٩٦ ؛ سالم ، بحوث إسلامية فى التاريخ والحضارة والآثار ، القسم الثانى ، ص٢٢٢ ـ ٢٣٧ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن القباب والقبوات الإسلامية فى المغرب والأندلس وتأثيرها فى القبوات القوطية انظر ، Lambert, E., L'Architecture Musulmane du X^{e} Siecle, Acordoue et Atolède, Gazette des Beaux Arts, 67^{e} Année, tome Douzieme, (1925), PP. 141 - 161., Les Voutes Nervées Hispano - Musulmanes du xie siècle et leur Influence Possiple sur L'Art chretien, Hespéris, Tome VIII, (1928), PP. 147 - 175., les Origins de la croisée d'ogives, offices des instituts d'Archéologie et d'histoire d'art, No. 8 - 9, Novembre, 1936 - Mars 1937, PP.

(٩) فكرى ، فى العمارة ، ص٣٩٨ ـ ٤٠١ ؛ ما شاء الله ، ص٥٧٤ ـ ٥٧٥ .

ومنها الأبواب المنزلقة Portcullis ومن أمثلتها قلعة Harléch فى انجلترا وتؤرخ بين عامى ١٢٨٥ - ١٢٩٠م ومنها السقاطات Machicoulis لالقاء المواد الملتهبة كالزيت والماء المغلى وغيرها على رؤوس الاعداء خارج الأسوار ومن أمثلتها قصر شاتيون Chattillon ١١٨٦م بفرنسا وغيره من القصور مثل شاتو جايار رونورويتشى ووينشيستر وغير ذلك من القصور فى فرنسا وانجلترا(١٠).

ولا تفوتنا الإشارة إيضًا إلى أن العمائر التى أنشئت بصقلية خلال العصر النورمانى ومنها كنيسة الكابلا بلاتينا ١١٣٢م وكنيسة المرتورانا ١١٣٦م وقصر العزيزة (La Ziza) ١١٥٤م وقصر القبة (La Cuba) ١١٨٠م فى بالرمو تزخر بالعديد من الظواهر المعمارية الإسلامية البحتة ، تلك الظواهر التى توجد أيضًا فى ايطاليا نفسها بمدينتى امالفى وسالرنو . وتنتشر فى المدن الإيطالية الأخرى مثل بيزا وفلورنسا وجنوه ومسينا ظاهرة تتابع طبقات أفقية من أحجار قاتمة اللون وأخرى من أحجار زاهية اللون وهى من التأثيرات المملوكية التى انتقلت إلى هناك(١١).

الخط العربى :

كان الخط العربى من أهم الفنون الإسلامية التى استرعت أنظار الأوروبيين وذلك لطابعه الأصيل وميزاته الجمالية والزخرفية ولما يكتنفه من غموض وابهام بالنسبة لغالبية الأوروبيين الذين يجهلون قراءته . وربما ضاعف من اعجاب الأوروبيين بهذا الخط صلته الوثيقة بالأماكن المقدسة فى بيت المقدس ، ولقد تيسر انتقال أثر الخط العربى إلى أوروبا بوسائل عدة منها حركة ترجمة العديد من الكتب العلمية والأدبية من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية وغيرها من اللغات الأوروبية الأخرى ، ومنها العملات

---

(١٠) بريجز ، مارتن ، فن العمارة ، ضمن تراث الإسلام ، جـ٢ ، ترجمة زكى محمد حسن ، القاهرة ، ط٢ (١٩٨٣م)، ص١٣٨ - ١٤٠ ؛ حسن ، فنون الإسلام ، ص٦٦١ ؛ الجلالى ، أحمد عبد المعطى ، التأثيرات الإسلامية فى عمارة الغرب خلال العصور الوسطى ، عاديات حلب ، الكتاب الأول (١٩٧٥م)، ص٢٢٦ - ٢٣٣ ؛ العبيدى ، صلاح حسين ، الآثار العربية الإسلامية وأثرها فى الفنون الأوروبية فى عصر النهضة ، مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد العدد ٢٣ (١٩٧٨م)، ص٥٠٩ - ٥١٠ .

(١١) بريجز ، فن العمارة ، ص١٤١ - ٤٣١ ؛ حسن ، فنون الإسلام ، ص٦٦١ - ٦٦٢ ؛ رسلان ، الحضارة الإسلامية فى صقلية وجنوب ايطاليا ، ص٩١ - ٩٤ .

الإسلامية بفضل العلاقات الاقتصادية من جهة والوجود الصليبى فى بلاد الشام من جهة ثانية ، ولقد عثر على الألاف من قطع العملة فى أجزاء مختلفة من أوروبا كما سبق القول .

وربما لعبت تحف الفنون التطبيقية والآلات العلمية والفلكية دوراً أهم فى نقل الخط العربى إلى أوروبا وذلك لما يتميز به الخط على هذه التحف فى جميع الأحيان تقريبا من طابع زخرفى يلفت الأنظار . ولقد استخدم الأوروبيون مختلف التحف الإسلامية من نسيج وسجاد وعاج وزجاج ومعادن وبلور صخرى وأخشاب وغير ذلك . وازدهرت التجارة فى هذه المنتوجات الفنية الإسلامية التى أقبل على شرائها واستعمالها أثرياء الأوروبيين لجودتها واتخذوها مظهراً لغناهم وثرائهم ، ودليلاً على تمتعهم بالذوق الحسن. ومن الطريف أن بعض هذه التحف ارتبط فى اذهان الأوروبيين بشئ من القداسة واعتبر تراثا دينيا مقدسا . ومن أمثلة ذلك معمدانية القديس لويس وعباءة القديسة حنه وبعض أباريق البلور الصخرى وأوانى الاكوامانيل ولا تزال بعض الكنائس والأديرة تحتفظ ببعض التحف الإسلامية كتراث مقدس . ودخل الخط العربى أوروبا أيضًا عن طريق الصناعات التى تفوق فيها العرب وأخذها عنهم الأوروبيون إذ استتبع ذلك فى كثير من الأحيان انتقال أساليب الصناعة نفسها والزخارف المستخدمة فيها بما فى ذلك الزخرفة بالخط العربى .

ويرجع تأثير الخط العربى فى أوروبا إلى عصر مبكر اذ حرص بعض الملوك الأوروبيين على الكتابة بالخط العربى على عملاتهم فى القرن ٨م ، كما يتضح من العملة الذهبية التى سكها الملك أوفا ملك مرسيه ويلاحظ أن هذه العملة تشتمل على كتابة نصها « لا اله الا الله وحده لا شريك له » على أحد الوجهين و « محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » على الوجه الآخر ، وذلك بالاضافة إلى تاريخ ١٥٧هـ/ ٧٧٣م ، ويستدل من صيغة هذه الكتابات الإسلامية الصرفة أنها منقولة دون وعى من دينار إسلامى كان هو نفسه النموذج الذى سكت منه العملة المسيحية .

غير أن الخط العربى وجد عن وعى على عملات مسيحية أخرى ترجع إلى عصر النورمان بصقلية ومن أمثلة ذلك ربع دينار باسم الملك غليالم ملك صقلية (٥٤٨ - ٥٦١هـ/ ١١٥٤ - ١١٦٦م) جاء على وجهة كتابه بالخط الكوفى نصها « الملك غليالم المستعين بالله » .

وهناك نماذج كثيرة من عملات نورمان صقلية صنعت تقليداً للعملات الإسلامية . والحق ان العملة الإسلامية وبخاصة الدينار كان يجد رواجا فى أوروبا كعملة لها قيمتها واحترامها(١٢).

وقام الصليبيون بتقليد السكة الفاطمية ثم الأيوبية فى مصر والشام(١٣)، بل إن البنادقة قاموا بسك نقوداً ذهبية نقشت عليها كتابات وآيات قرآنية بالخط العربى فضلا عن التاريخ الهجرى وقد أطلقوا عليها اسم النقود البيزنطية العربية Byzantini Saracenati(١٤) .

ولقد امتد تأثير الخط العربى إلى توقيعات بعض ملوك أوروبا وعلاماتهم واشتملت بعض المخطوطات الأوروبية على وحدات زخرفية مستوحاة من حروف عربية فضلا عن بعض الصلبان ومنها صليب من ايرلندة محفوظ بالمتحف البريطانى بلندن يزخرف وسطه كتابة بالخط الكوفى نصها « باسم الله ».

والحق ان القيمة الزخرفية والجمالية للخط العربى كانت من أهم العوامل التى دفعت الفنانين الأوروبيين إلى ادخال هذا الخط فى مصنوعاتهم ومنتوجاتهم ؛ ولقد كان هذا الخط فى معظم الحالات مجرد حروف عربية نسخية أو كوفية لا مغزى لها .

هذا وقد انتشرت الزخارف المستوحاة من الخط الكوفى فى منتوجات الفنون التطبيقية من مختلف المواد من أخشاب ومعادن وزجاج ورخام ونسيج وغير ذلك .

ومن أشهر المنسوجات المزخرفة بالخط العربى عباءة تتويج روجر الثانى ملك صقلية

---

(١٢) الباشا ، أثر الخط العربى فى الفنون الأوروبية ، ضمن كتاب حلقة بحث الخط العربى ، القاهرة (١٩٦٨م)، ص١٠٩ ـ ١١٤ ؛ موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية ، مج٣ ، ص٢٢٢ ـ ٢٢٦ .

(١٣) النبراوى ، رأفت محمد ، النقود الصليبية فى الشام ومصر ، القاهرة (١٩٩٦م)، (٢٩٤ صفحة فضلاً عن اللوحات) ؛ فهمى ، النقود الصليبية تحت تأثير النقود الإسلامية فى الشرق العربى ، مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، السنة السادسة ، العدد السادس (١٤٠٢/ ١٤٠٣هـ) ، ص٢٧٧ ـ ٢٩٨ .

(١٤) فهمى ، النقود العربية ، ٦٨ ؛ أثر التراث الإسلامى فى الحضارة الأوروبية ، مجلة مرآة العلوم الاجتماعية ، السنة ٦ ، العدد ٢ ، القاهرة (١٩٦٦م)، ص٢٢ .

١١٣٠ ـ ١١٥٤م المؤرخة بعام ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م ومن العمائر التى تزدان بزخارف من الخط العربى سقف كنيسة الكابلا بلاتينا فى بالرمو بصقلية ، ومنها إحدى بوابات كاتدرائية البوى بوسط فرنسا وتتكرر فيها عبارة « الملك لله » كما سبق القول ؛ ومنها الباب الشهير بكنيسة القديس بطرس بالفاتيكان والذى يحتشد بالكتابات العربية على مصراعيه .

كذلك ظهر أثر الخط العربى فى الفنون التشكيلية الأوروبية خلال عصر النهضة فقد حرص العديد من الفنانين والمصورين على استخدام الخط العربى (الكوفى أو النسخى) فى أعمالهم ومن بينهم بيزانلو وجنتيلى دافبريانو ، وجيوتو وفيليببوليبى ، أما فيروكيو فقد استخدم الخط العربى فى تمثاله البرونزى داود المحفوظ فى البارجيلو فى فلورنسا وذلك على هيئة أشرطة من الخط النسخ المملوكى تزخرف حواف الثوب الذى يرتديه داود .

كذلك ظهرت السجاجيد الإسلامية من طراز معين فى لوحات بعض المصورين كما هو الحال فى لوحات المصور المشهور هانس هولباين الأصغر (١٤٧٩ ـ ١٥٤٣م) وقد أطلق على هذا الطراز من السجاجيد اسم سجاجيد هولباين[(١٥)]. (كما سنشير فيما بعد) (لوحة ٣٢٤) .

الفنون الزخرفية :

ـ النسيج :

كانت قطع النسيج الإسلامي تستخدم لحفظ مخلفات القديسين المسيحيين في العصور الوسطي ، وكان ينظر إليها في بعض الأحيان نظرة تبجيل ، كما كانت تربط أحيانا بطريقة خاطئة بأشخاص ينتمون إلي عصور تاريخية سابقة ، ومن أمثلة ذلك نقاب القديسة آن (Anne) المحفوظة في زجاجة من البندقية يرجع تاريخها إلي القرن ٩هـ// ١٥م) ضمن مقتنيات كنيسة ابت(Apt) في بلدة فوكلوز (Vaucluse)

---

(١٥) الباشا ، أثر الخط ، ص١١٣ ـ ١٢٠ ؛ السامرائى ، عبد الجبار محمود ، أثر الخط العربى فى الفن الأوروبى ، المورد ، المجلد ١٥ ، العدد الرابع ، بغداد (١٩٨٦م)، ص١٠٤ ـ ١١١ ؛ العبيدى ، الآثار العربية ، ص٤٧٦ ـ ٤٨٦ .

بفرنسا ، وفي هذه الحالة نتبين استحالة صحة التاريخ الذي يزعمون أن هذه القطعة المنسوجة قد صنعت فيه ؛ لأنها تتضمن طرازاً باسم الخليفة الفاطمي المستعلي (٤٨٧ ـ ٤٩٥هـ/ ١٠٩٤ ـ ١١٠١م) ووزيره الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي ويتضمن أيضًا أنها نسجت في طراز الخاصة بدمياط سنة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م[١٦].

ومن هذه القطع أيضًا ما يعرف بنقاب السيدة العذراء المحفوظ الآن في كنيسة شارتر قرب باريس وهو في الأصل قطعة نسيج مبكرة عليها رسم لطائر واستخدمت غطاء لهذا النقاب[١٧].

ومن أجمل القطع التي تعكس التأثير الإسلامي عباءة التتويج الخاصة بالملك روجر (رجار) الثاني المحفوظة بمتحف كنوز الدولة بفينا والمؤرخة بعام ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م (كما سبق القول) وهي منسوجة من الكتان المطرز بالحرير المذهب واللآلي علي أرضية حمراء وتأخذ هيئة نصف دائرية تقريبا تتضمن نقشًا زخرفيا مكرراً قوامه أسد يفترس جملاً ويتوسط النقش نخلة مثمرة ؛ وهذا النقش ما هو إلا تعبير رمزي لاستيلاء النورمان علي جزيرة صقلية من المسلمين ، وعلي الحافة نقش كتابي نفذ بالخط الكوفي يتضمن بنهايته تاريخ ومكان النسج وهو مدينة صقلية عام ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م[١٨].

وليس أدل علي أهمية هذه العباءة من أنها صارت عباءة التتويج لأباطرة الامبراطورية الرومانية المقدسة حتي عام ١٨٠٦م ، ومما له دلالته أن هذه العباءة تظهر في لوحة رسمها البريخت ديورر تمثل شارلمان متدثراً بها[١٩].

وهناك قطع كثيرة تثبت أن النسيج الإسلامي قد أصبح نموذجا ينسج علي منواله

---

(١٦) اتنجهاوزن ، أثر فنون ، ص٤٤٨ ـ ٤٤٩ ؛ ولمزيد من التفاصيل عن هذه القطعة انظر ، حسن ، فنون ، ص٣٥٣ ، ٣٥٦ ؛ عبد الرازق ، الفنون الإسلامية حتي نهاية العصر الفاطمي ، ص١٩١ ـ ١٩٢ ؛

Guest, R., Veil of Saint Anne, The Burlington Magazine, vol 68, (1936), PP. 140 - 145 .

(١٧) اتنجهاوزن ، الفن والآثار الإسلامية ، ص١٨ شكل ٤ .

(١٨) حسن ، فنون الإسلام ، ص٣٦٠ ؛ ديماند ، الفنون الإسلامية ، ص٢٧٤ ؛ رسلان ، الحضارة الإسلامية في صقلية ، ص٨٩ ـ ٩١ ؛ عبد الرازق ، الفنون الإسلامية حتي نهاية العصر الفاطمي ، ص١٩٧ .

(١٩) اتنجهاوزن ، أثر ، ص٤٥٠ ـ ٤٥١ .

مع التصرف وان كان ذلك التصرف محدوداً ، ويتمثل ذلك في أشكال الجامات الدائرية وبداخلها زوجين من الحيوان وفي الأشكال البيضاوية وغير ذلك ، وخلال العصر العثماني حدث نوع من التأثير المتبادل بين النساجين الأتراك والإيطاليين ، ولا تفوتنا الإشارة كذلك إلي الأحزمة البولندية ، وهناك تأثير متأخر للنسيج الإسلامي ظهر في النصف الثاني من القرن ١٩م في تصميمات وليم موريس (+ ١٨٩٦م)(١٩).

وصفوة القول أن المنسوجات الإسلامية قد لعبت دوراً هامًا في أوروبا ، وليس آدل علي ذلك من تلك الألفاظ التيتطلق علي تلك المنسوجات في اللغات الأوروبية ومنها فستيان Fustian (نسبة إلي مدينة الفسطاط أولي عواصم مصر الإسلامية) والدمكس Damasks (نسبة إلي مدينة دمشق) وموسولينا Mussolina أو مسلين Muslin (نسبة إلي مدينة الموصل) و Baldacco (نسبة إلي بغداد وكان اللفظ يطلق علي المنسوجات الحريرية الفاخرة) و Baldacchino (نسبة إلي بغداد أيضًا وكان اللفظ يطلق علي المظلة الحريرية التي كانت تعلق علي المذبح في كثير من الكنائس) و Grenadines (نسبة إلي غرناطة) و Tabis أو Taby (نسبة إلي حي العتابية Atabiyah ببغداد وقد اشتهر بنسج الحرير العتابي وكان هذا الحرير يتميز بتموجات غير منتظمة ، ولا يزال هذا الاسم يطلق علي نوع من القطط التي يشبه لونها لون الحرير العتابي أو لأن فيه خطوط وتوشيم مثل الحرير العتابي ، ومن ثم يطلق عليها Tabby Cat) ومنها ديميتي Dimiti (نسبة إلي مدينة دمياط علي نحو ما تري ديفونشير)(٢١).

---

(٢٠) اتنجهاوزن ، أثر ، ص٤٥١ ـ ٤٥٣ ؛ كريستي ، الفنون الإسلامية الفرعية وتأثيرها في الفنون الأوروبية ، ضمن تراث الإسلام ، ترجمة زكي محمد حسن ، دمشق ، طرابلس (١٩٨٤م) ص٦٦ ـ ٦٧ ، ٦٩ ـ ٧٢ ؛ (فضلاً عن المراجع والأبحاث المذكورة من قبل عن أثر الفن الإسلامي في بولندا لكل من مانكوفسكي وزكي محمد حسن) .

(٢١) كريستي ، الفنون الإسلامية الفرعية ، ص٦١ ـ ٦٤ ؛ المختار ، فريال داود ، المنسوجات العراقية الإسلامية ، ص١٢٦ ـ ١٢٧ ، ١٧٨ ؛ Devonshire, R., Quelques influences Islamiques sur les Arts de Europe, le Caire (1935), P.

جودي ، محمد حسين ، ابتكارات العرب في الفنون وأثرها في الفن الأوروبي في القرون الوسطي ، عمان (١٩٩٦م)، ص٤٥ ؛ العبيدي ، الآثار العربية الإسلامية ، ص٤٨٨ ـ ٤٩٢ .

أما نسيج القباطي (Tapestry) الشهير فقد أخذت أوروبا تنتجه تحت أسماء أخري مستعارة هي : جوبلان وهو اسم لمصانع فرنسية اشتهرت بنسيج القباطي كان قد أنشأها أول الأمر جيل وجين جوبلان في باريس عام ١٤٥٠م كمصانع للصباغة ثم استعملت بعد ذلك في نسج القباطي في القرن السابع عشر وبالتحديد عام ١٦٦٢م عندما اشتري تلك المصانع Colbert لحساب الحكومة، وأصبحت تنتج منسوجات القباطي ذات المناظر التصويرية .

والاسم هو الأبيسون Aubisson نسبة إلي مدينة ابيسون احدي ضواحي باريس والتي اشتهرت بنسيج القباطي ذي المناظر التصويرية منذ القرن ١٥م (٢٢).

ـ السجاد :ـ

وصلت إلي أوروبا عن طريق التجار الكثير من السجاجيد الشرقية من تركيا ومصر وايران والقوقاز والهند ، وظهرت في العديد من التصاوير الأوروبية الايطالية والألمانية اما مفروشة تحت عرش السيدة العذراء داخل الأماكن التي كانت تقام فيها الطقوس والصلوات ، واما نراها متدلية من النوافذ كزينة زاهية تعرض علي الناس في أيام الأعياد ، ثم لم تلبث أن أصبحت هذه السجاجيد تؤدي وظيفة جديدة كما يستدل من اللوحات المرسومة أيضًا إذ استخدمت كمفارش للموائد وأطلق عليها في الوثائق الايطالية سجادة المائدة (Tepedi da Tavola) أو سجادة الأكل (Tapedi da De-sco) ، وليس أدل علي أهمية هذا النوع من السجاجيد من أنها كانت تقدم كنوع من أنواع الهدايا الدبلوماسية .

ومن هذه السجاجيد التي صنعت في مصر العثمانية وأرسلت إلي أوروبا ما كان منها علي هيئة مربعة أو مدورة أو علي هيئة صليب ؛ وربما كان ذلك بناءً علي طلب خاص تلبيه لرغبات أوروبية محددة ولا سيما لهذا النوع الذي يستخدم مفارش للموائد

---

(٢٢) ماهر ، النسيج الإسلامي ، ص١٠٢ ؛ ومما تجب الإشارة إليه أن الدكتور مرزوق يطلق علي نسيج التابستري مصطلح الزخرفة المنسوجة (وهو ما سنعود إلي مناقشته في كتابنا المفصّل بمشيئة الله تعالى)

ولقد ظهرت علي السجاجيد الرنوك - أي شعارات الأسر النبيلة - ومن هذه السجاجيد ما صنع في قاشان (ايران) وعشاق (تركيا) والقاهرة والهند ، وكان وضع هذه الرنوك يتم في أغلب الاحيان بناءاً علي طلب خاص ويؤيد ذلك تلك السجادة التي صنعت في قاشان عام ١٠١١هـ/ ١٦٠٢م يطلب من الملك سيجسموند الثالث ملك بولندا .

وأنشئت في أوروبا في بولندا وايطاليا واسبانيا بل وفي بروسيا الشرقية مصانع لتقليد السجاجيد الشرقية ؛ وفي بعض الأحيان كان التقليد يتم بأمانة تامة ، ولا ننسي أيضًا تصميمات وليم موريس في النصف الثاني من القرن ١٩م التي اعتمدت علي الأصول الشرقية بصورة مقصودة(٢٣) .

- المعادن :-

هناك دلائل علي وجود قطع من المعادن الإسلامية في أوروبا وعلي ما خلفته من أثر ومنها جريفين بيزا المعروف بعقاب بيزا أو العنقاء نسبة إلي مدينة بيزا بايطاليا وينسب إلي مصر في القرن ٥هـ/ ١١م ، وهو يعد من أقدم النماذج التي وصلت إلي أوروبا وأشهرها(٢٤) .

ومنها معمدانية القديس لويس وهي من القطع الشهيرة أيضًا ، وقد ظلت هذه القطعة مجرد تحفة عجيبة علي الرغم من ظهور أسطورة قرب نهاية ق١٨م تربط القديس لويس الذي اشتهر في الحروب الصليبية بهذا الطست الكبير المطعم الذي كان قد صنع أصلا في مصر أو الشام حوالي سنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م(٢٥) .

ومنها طست السلطان الصالح نجم الدين أيوب المحفوظ الآن في قاعة فرير للفن بواشنطن(٢٦) .

مرزوق ، الزخرفة المنسوجة في الأقمشة الفاطمية ، القاهرة (١٩٤٢م)، ص٧٣ - ٧٤ .

(٢٣) اتنجهاوزن ، أثر فنون ، ص٤٥٣ - ٤٥٧ ؛ كريستي ، الفنون الإسلامية الفرعية ، ص٧٢ - ٧٤ ، ٧٦.

(٢٤) عن هذا الكائن الخرافي الذي استخدم كعنصر زخرفي في الفن الإسلامي انظر ، رمضان ، حسين مصطفي ، جريفين (Griffin) في الفن الإسلامي ؛ « سيمرغ » العنقاء في الفن الإسلامي ، مجلة كلية الآثار - جامعة القاهرة ، العدد السادس (١٩٩٥م) ، ص٢٤٨ - ٢٥٠ .

(٢٥) اتنجهاوزن ، أثر فنون ، ص٤٥٨ .

(٢٦) عن هذا الطست انظر ، سالم ، عبد العزيز صلاح ، الفنون الإسلامية في العصر الأيوبي ، جـ١ ، التحف المعدنية ، القاهرة (١٩٩٩م)، ص١٥٨ - ١٦٢ .

هذا ونستطيع أن نجمل أثر المعادن الإسلامية في أوروبا في النقاط التالية :

١ ـ تقليد الاسطرلابات الإسلامية تقليداً دقيًا .

٢ ـ تقليد التحف المعدنية المكفته في البندقية من أواخر ق ٩هـ/ ١٥م إلي النصف الأول من القرن ١٠هـ/ ١٦م وتمثل ذلك في ظهور عدد من الطسوت والقصاع والأطباق الكبيرة والأباريق والشماعد ، ويحتمل أيضًا أن بعض المدن الإيطالية الأخري قد قامت بتقليد هذه التحف المعدنية الإسلامية المكفتة ، وازدانت هذه التحف بالرنوك أيضًا ومنها رنك أسرة أوكي دكاني (Occhi di Cani) من فيرونا ، وعلي بعض التحف وجد توقيع لأحد الصناع الايرانيين وهو محمود الكردي(٢٧).

ـ الاكوامانيل :ـ

علي الرغم من صغر حجم هذه القطع المعدنية ، وأنها لم تكن في شهرة القطع الكبيرة السابق الإشارة إليها ، إلا أنه كان لها تأثير محدد ؛ بل إنه في بعض الأحيان نجد أن النموذج الأصلي لهذه القطع غير معروف ، إلا عن طريق القطع التي صنعت علي منواله، وكانت هذه القطع تستخدم لصب الماء(٢٨).

ـ الخزف :

ترك الخزف الإسلامي هو الآخر آثره في أوروبا وبصفة خاصة الخزف الأندلسي ذي البريق المعدني والذي صار في القرن ٨هـ/ ١٤م موضع تقدير كبير ليس في أوروبا وحدها ، وإنما في الأقطار الإسلامية أيضًا ، وهو ما تؤكده الدلالة الآثارية الباقية وكانت مدينة بلنسية تصنع العديد من التحف تلبية لطلب أصحاب الحياة المترفة والذوق الرفيع

---

(٢٧) كريستي ، الفنون الإسلامية الفرعية ، ص٣٢ ـ ٣٥ ؛ اتنجهاوزن ، أثر فنون ، ص٤٦١ ـ ٤٦٢ ؛ جودي ، ابتكارات العرب ، ص٨٥ ـ ٨٧ .

(٢٨) اتنجهاوزن ، أثر فنون ، ص٤٥٩ ـ ٤٦٠ ؛ كريستي ، الفنون الإسلامية الفرعية ، ص٢٥ ؛ ولمزيد من التفاصيل انظر ، آلان ، جيمس ، تأثير المشغولات المعدنية في منطقة البحر المتوسط العربية علي مثيلاتها في أوروبا العصور الوسطي ، ضمن كتاب التأثير العربي في أوروبا العصور الوسطي ، ص٦٣ ـ ٩٢ .

سواء اسبانيا نفسها أو في أوروبا ومن بين هؤلاء في أوروبا أسرة المديتشي في فلورنسا وملوك نابولي وأدواق بيرغنديا بل والبابا ليو العاشر ، ومن ثم كانت هذه التحف تزين برنوك هؤلاء ، وبعد ذلك انتقلت هذه الصناعة إلي ايطاليا وتم اتقانها بدرجة كبيرة .

ولا ننسي أيضًا تلك الأواني المعروفة عند الايطاليين باسم الباريلو (Albarello) وقد يكون هذا الاسم مشتقا من اللفظ العربي البرنية بمعني وعاء لحفظ الأدوية وهو يدل علي الغرض الذي استعملت من أجله هذه الأواني في الشرق والتي ظلت تستعمل من أجله في ايطاليا ، وكانت تشاهد في ايطاليا خلال القرن ١٥م في الصيدليات كثير من هذه الأواني مملوءة بالأدوية والمحفوظات المستوردة من الشرق .

ثم لم تلبث أن تطورت هذه الأواني واكتسبت طابعا ايطاليا مغايراً لطابعها الشرقي السابق ، كما هو الحال في منتجات مدينة فاينزا (Faenza) ، كذلك فان بعض المنتوجات الخزفية الشرقية كانت تستخدم للمخلفات المقدسة وبعضها الآخر يشغل مكان الصدارة في الكنائس الايطالية أما في الواجهة الرئيسية للكنيسة أو في برج الأجراس ومن أمثلة ذلك تلك الأواني المعروفة بطراز البتشيني Bacini والراجح أنها تنتمي إلي الخزف المصري ، ومن القطع الشهيرة أيضًا تلك القطعة (كانت محفوظة في كنيسة سان جيرولامو وكانت في الأصل في كنيسة القديسة اناستاسيا وهي الآن في المتحف المقدس في الفاتيكان) المعروفة بكأس القربان (Chalice)[٢٩].

ـ الزجـاج :ـ

كانت التحف الزجاجية الإسلامية تصل إلي أوروبا وتستقر في الكنائس والكاتدرائيات والأديرة ، وتحظي بتقدير كبير إذ كان يظن أنها هدايا من الصليبيين أو من شارلمان نفسه زيادة في التعظيم ، ومن أشهر هذه الزخائر الإسلامية في الكنائس الأوروبية قارورة زجاجية مموهة بالمينا ترجع إلي حوالي ٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م وهي في كنيسة القديس اصطفان في فينا ، ومنها أيضًا التحفة المعروفة بـ حظ ادينهول (Luck of Edenhall) كما أن التحف المصنوعة من البلور الصخري ، رغم أنها صنعت أصلا

---

(٢٩) كريشتي ، الفنون الإسلامية الفرعية ، ص٤٦ ـ ٤٩ ؛ اتنجهاوزن ، أثر فنون ، ص٤٦٦ ـ ٤٦٨ ؛ جودي ، ابتكارات العرب ، ص٧٣ ـ ٧٥ .

للأغراض المدنية ، الا أنها أصبحت في أوروبا تستخدم لحفظ المخلفات المقدسة كما هو الحال في التحف المحفوظة في ذخائر كنيسة القديس مرقص والقديس لورنزو في فلورنسا حيث نجد واحدة منها تحتوي علي أثر ديني يعادل في مكانته الدم المقدس ، كما أن قطع البللور الصخري نظراً لصلابتها ونفاذ الضوء فيها غدت ترمز إلي سر ولادة العذراء .

ونجح صناع البندقية في تقليد التحف الزجاجية الإسلامية المموهة بالمينا ؛ حتي أن هذا الفن لم يعد حكراً علي الصناع المسلمين بدليل أن البندقية كانت تصدر مثل هذا الزجاج إلي الشرق ؛ إلا أن هذا لا يعني عدم وجود نماذج مقلدة غير متقنة ومن هذه الأخيرة مشكاة باسم السلطان قايتباي محفوظة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة(٣٠).

ـ التجليد :ـ

يتمثل أثر التجليد الإسلامي في أوروبا في النقاط التالية :

- احلال الورق المقوي محل الخشب مادة داخلية لجلد الكتاب .
- استعمال الغلاف الذي يصنع علي هيئة الصندوق ، فضلا عن اسلوب الزخرفة وعناصرها .
- طريقة ملء الزخارف الغائرة الناتجة عن الضغط بماء الذهب ، ثم لم تلبث أن حلت محلها طريقة أخري في أواخر ق ٩هـ/ ١٥م وهي التذهيب بصفائح رقيقة من الذهب تلصق علي الجلدة بآلة ساخنة .
- اللسان المستعمل في كافة أغلفة الكتب(٣١). وذلك لحماية الأطراف الأمامية من الكتاب .

---

(٣٠) كريستي ، الفنون الإسلامية الفرعية ، ص٥٣ ـ ٥٦ ؛ اتنجهاوزن ، أثر فنون ، ص٤٦٨ ـ ٤٧٢ ؛ العبيدي ، الآثار العربية ، ص٤٩٦ ـ ٤٩٨ ؛ جودي ، ابتكارات العرب ، ص٧٩ ـ ٨١ .

(٣١) كريستي ، الفنون الإسلامية العربية ، ص٨٧ ـ ٩٢ لوحة رقم ٢٠ ؛ اتنجهاوزن ، أثر فنون ، ص٤٧٢ ـ ٤٧٣ ؛ القصيري ، اعتماد يوسف ، فن التجليد عند المسلمين ، بغداد (١٩٧٩م)، ص٨٧ ـ ٩٠ ؛ Ettinghausen, Near Eastern Book Covers and their influence on European Bindings, Ars Orientalis, vol 3, (1959), PP. 121 - 130 .

ـ التصوير الأوروبي :ـ

يتمثل أثر الفن الإسلامي في التصوير الأوروبي في النقاط التالية :

- استعارة الموضوعات الشرقية في أعمال الزخرفة ، كما هو الحال في مدرسة التصوير الايطالية في سيينا (Siena) وزاد وضوحا في الفن التوسكاني فظهرت الصور المعممة والوجوه ذات السحنة الشرقية في الصور الايطالية منذ النصف الثاني من القرن ١٤م .

- رسوم السجاجيد ورسم المنسوجات والملابس الشرقية علي الأشخاص حتي علي الذين يلعبون منهم دوراً رئيسيا في الصورة ، كما يبدو هذا التأثر أيضًا في ادخال الحيوانات غير المعروفة في الغرب كالفهد والقردة والببغاوات ، وتري كذلك في رسم المناظر الطبيعية تفصيلات أشجار وأوراق نباتية يظهر أنها تقليد مقصود لرسوم شرقية .

- استعمال الحروف العربية في أغراض الزخرفة في فن التصوير ، وقد ظهر ذلك في التصوير الايطالي منذ أيام جيوتو ، وتبعه غيره مثل فرانجيليكو وفرا ليبوليبي .

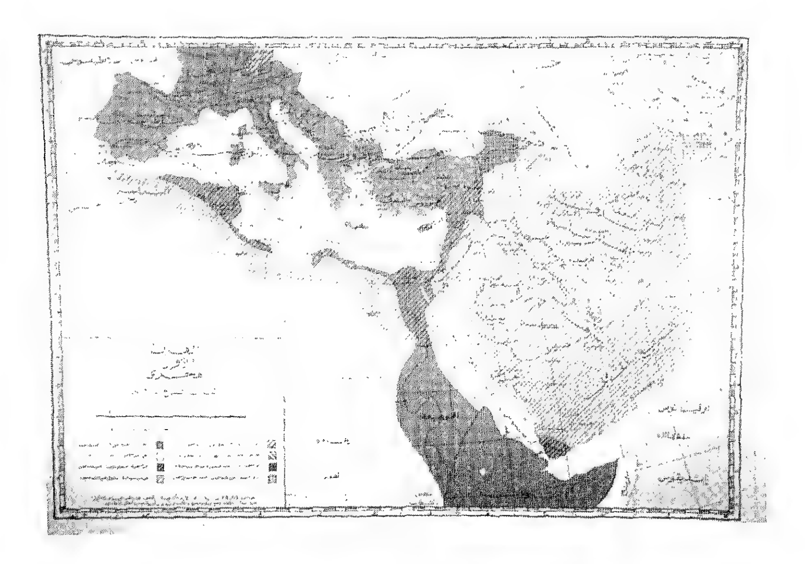
ومن الفنانين الذين كان لهم دور في هذا المجال جنتيلي بليني وهانس هولباين الأصغر ورمبرانت وديلاكروا وباول كاليه وماتيس وبيكاسو وغيرهم[٣٢] .

ولا تفوتنا الإشارة ايضًا إلي الرنوك الإسلامية وأثرها في أوروبا ؛ فضلاً عن كتب النماذج والتي مكنت الأوروبيين من دراسة أساليب الزخرفة والصناعة الإسلامية دراسة دقيقة ، مما يسرت لهم معرفة قوانين الزخرفة عند المسلمين وتطبيقها في منتوجاتهم وفنونهم كما هو الحال عند الفنان ليوناردو دافنشي ، وهو ما سوف نعود إليه ولغيره تفصيلا واسهابا وتحليلاً في كتابنا المفصل بمشيئة الله تعالى .

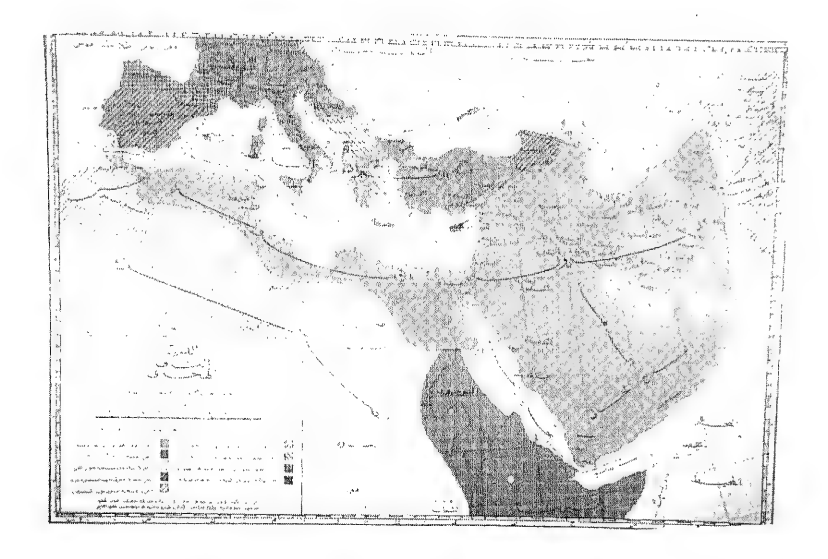
---

(٣٢) أرنولد ، توماس ، الفن الإسلامي وتأثيره في التصوير في أوروبا ، ضمن كتاب تراث الإسلام ، ترجمة زكي محمد حسن ، ص١٠٣ ـ ١٠٨ ؛ اتنجهاوزن ، أثر فنون الزخرفة ، ص٤٧٣ ـ ٤٧٥ ؛ الباشا ، دراسات في فن النهضة وتأثره بالفنون الإسلامية ، القاهرة (١٩٩٠م)، ص٤٠ ـ ٤٥ ؛ موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية ، مج٣ ، ص١١٥ ـ ١٢٠ ؛ كليسه ، بريجيته ، زخارف إسلامية في اللوحات الايطالية ، فكر وفن ، العدد ١٠ ، (١٩٦٧م)، ص١٨ ـ ٢٩؛ انعكاسات الفنون الإسلامية علي الفن الألماني ، فكر وفن ، العدد ١٩ ، (١٩٧٢م)، ص٤ ـ ١٥ ؛ البهنسي ، أثر الفن العربي الإسلامي علي الفن الغربي ، فكر وفن ، العدد ٣٥ (١٩٨١م)، ص٤٠ ـ ٥١ .
Soulier G, Les Caracteres coufiquees dans La Peinture Toscane, Gazette des Beaux Arts, 66 Année Paris (1924). PP. 347 - 358., Jairazbhoy, R. A., Oriental Influences in Western Art, india, (1965), PP. 68 - 79 .

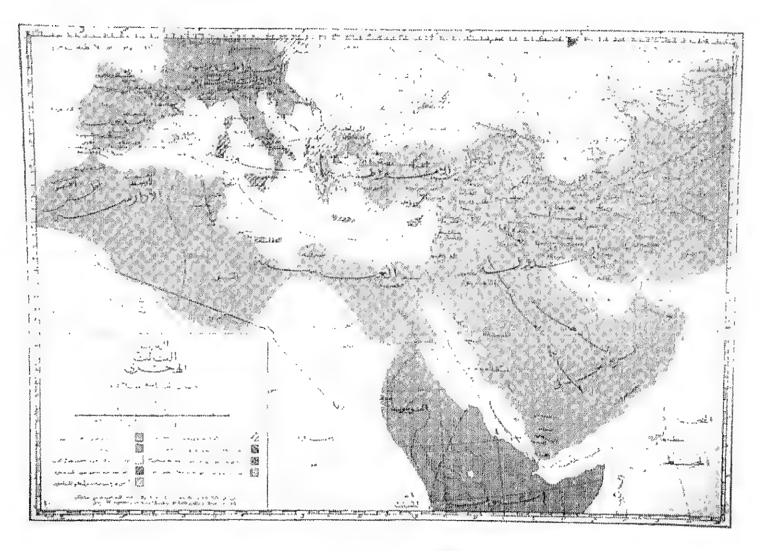
الأشكال واللوحات



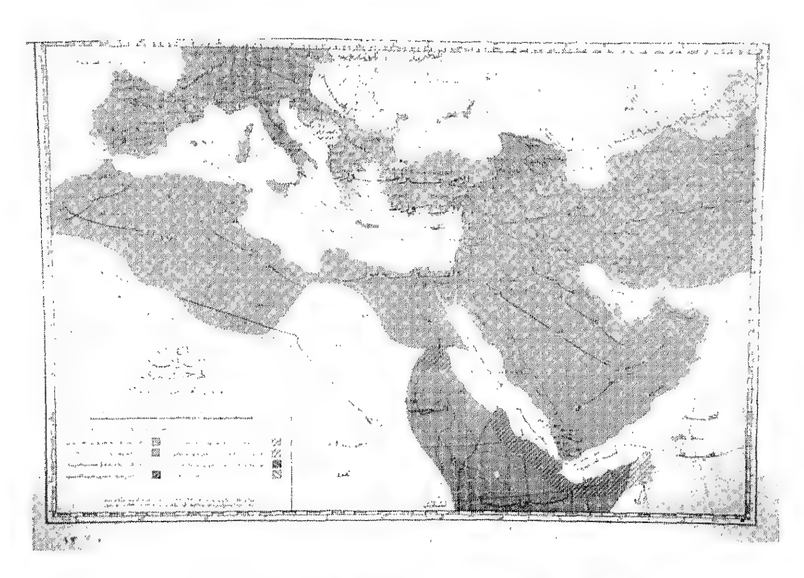
(شكل ١) خريطة القرن الأول الهجرى / السابع الميلادى
(عن : سميلى وكوك) .



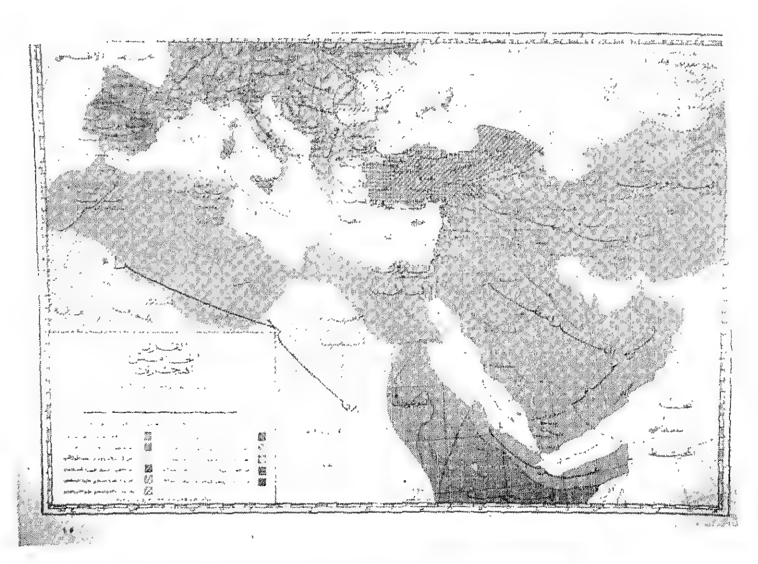
(شكل ٢) خريطة القرن الثانى الهجري /الثامن الميلادي
(عن : سميلي وكوك) .



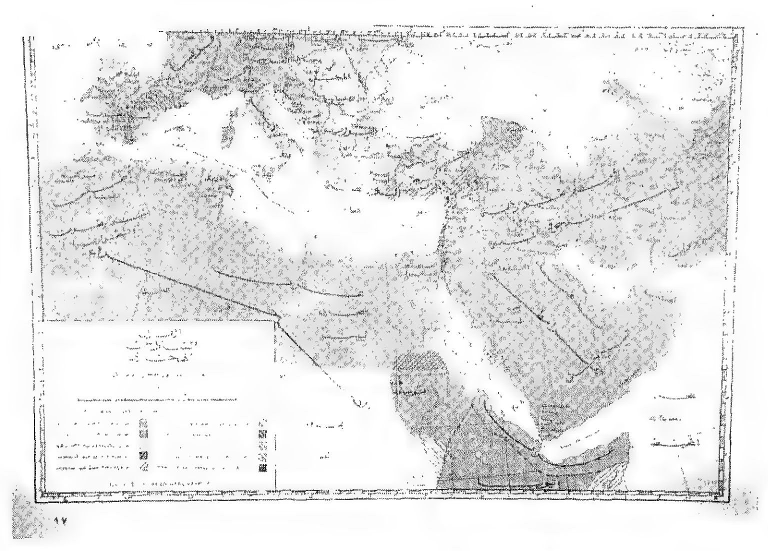
(شكل ٣) خريطة القرن الثالث الهجري/السابع الميلادي
(عن : سميلي وكوك) .



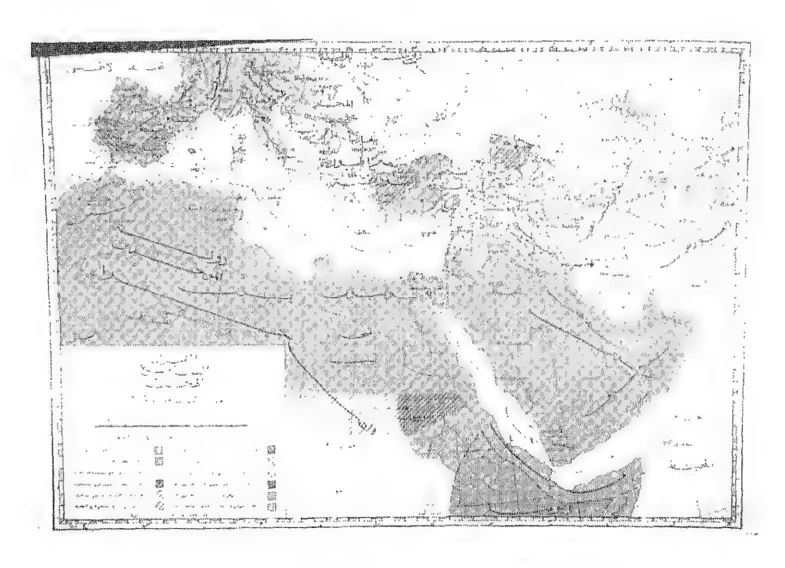
(شكل ٤) خريطة القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي
(عن: سميلي وكوك).



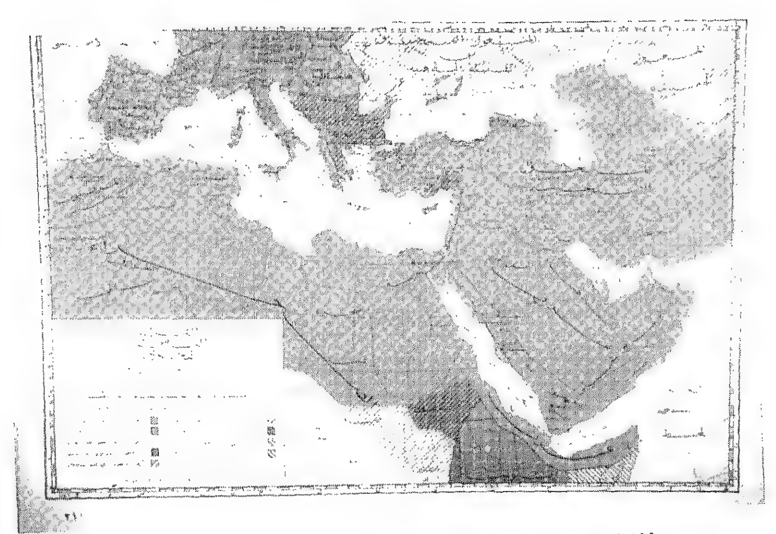
(شكل ٥) خريطة القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي
(عن : سميلي وكوك) .



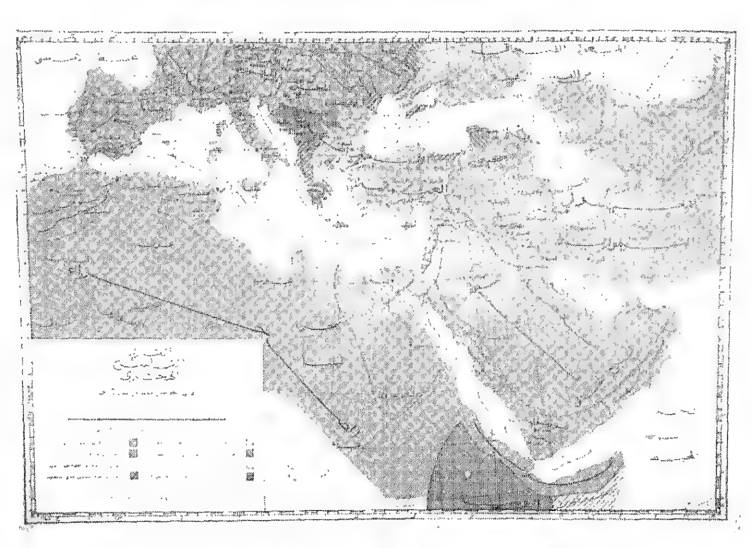
(شكل ٦) خريطة القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي
(عن : سميلي وكوك)



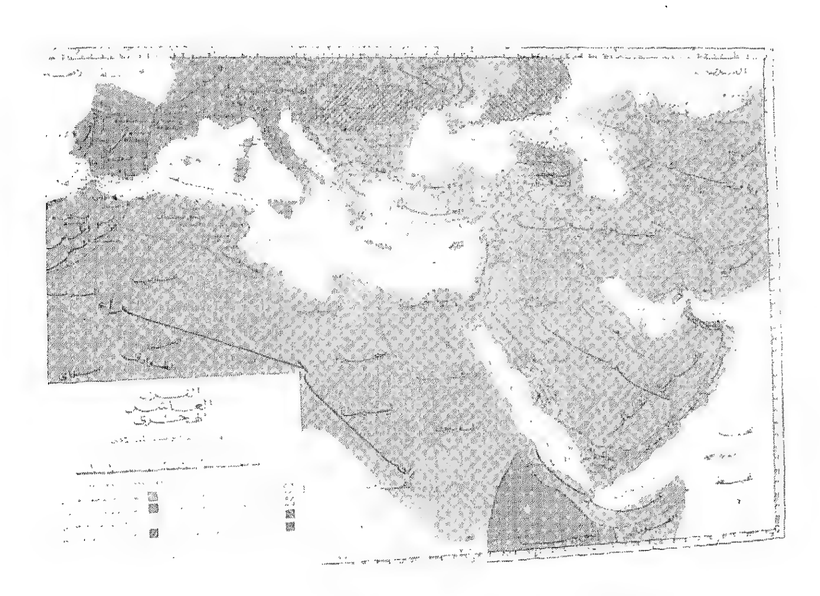
(شكل ٧) خريطة القرن السابع الهجري /الثالث عشر الميلادي
(عن : سميلي وكوك) .



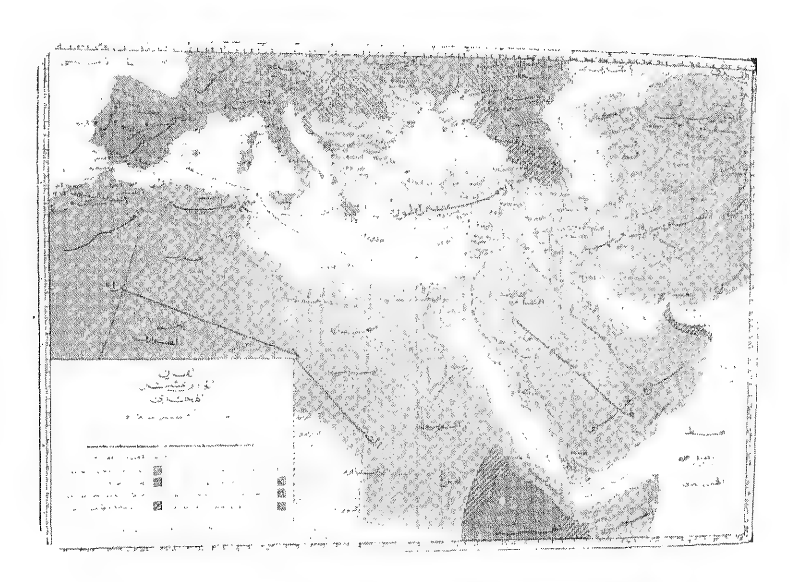
(شكل ٨) خريطة القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي
(عن : سميلي وكوك) .



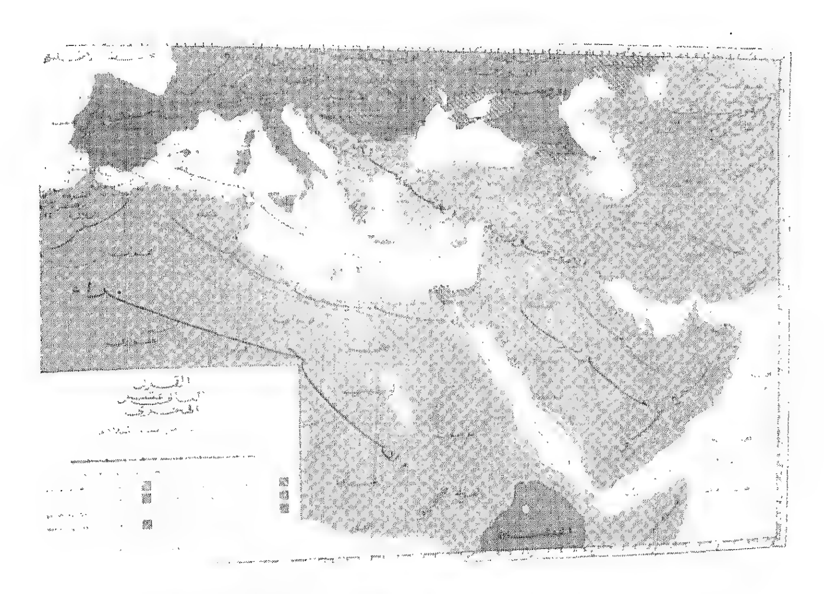
(شكل ٩) خريطة القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي
(عن : سميلي وكوك) .



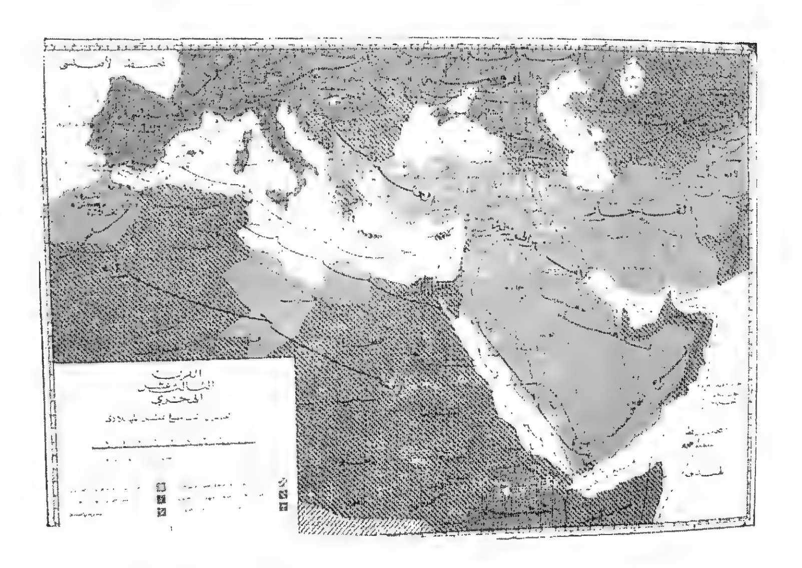
(شكل ١٠) خريطة القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي
(عن : سميلي وكوك) .



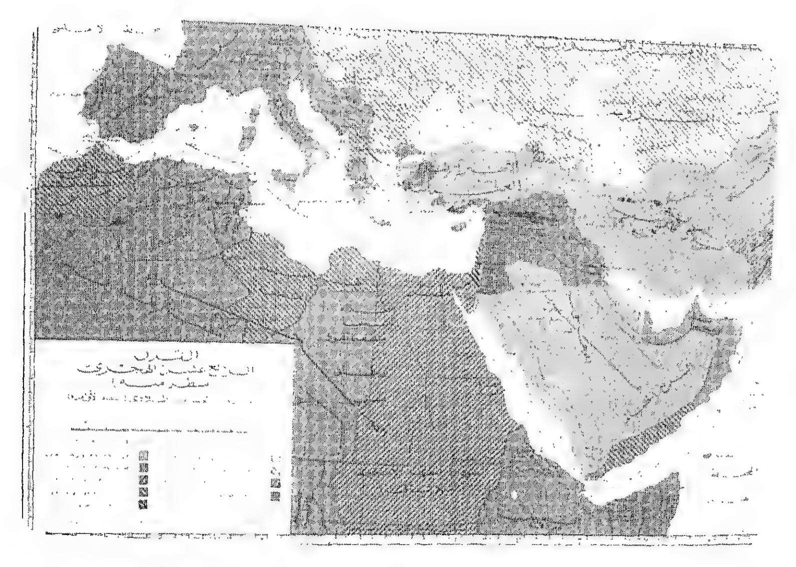
(شكل ١١) خريطة القرن الحادي عشر الهجري /السابع عشر الميلادي (عن : سميلي وكوك) .



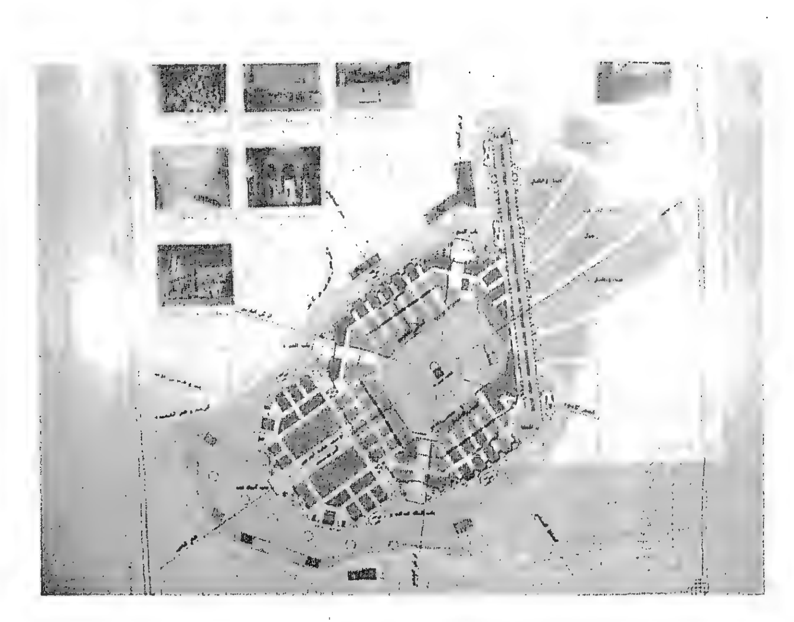
(شكل ١٢) خريطة القرن الثاني عشر الهجري /الثامن عشر الميلادي
(عن : سميلي وكوك) .



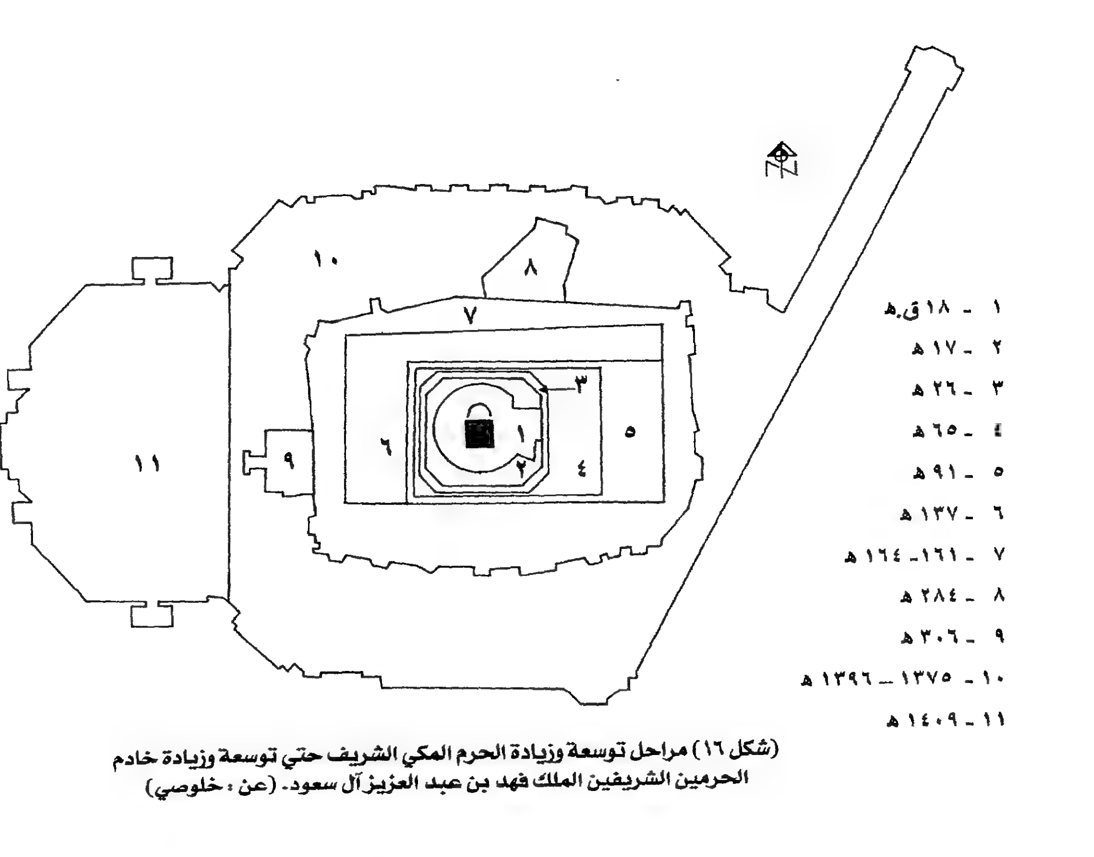
(شكل ١٣) خريطة القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي
(عن: سميلي وكوك).



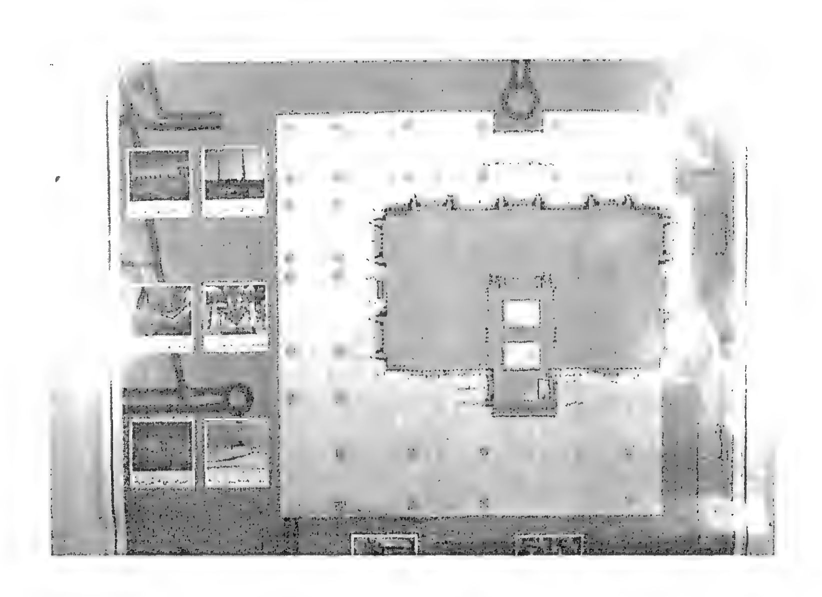
(شكل ١٤) خريطة القرن الرابع عشر الهجري (شطر منه)/القرن العشرون الميلادي (النصف الأول منه) (عن : سميلي وكوك) .



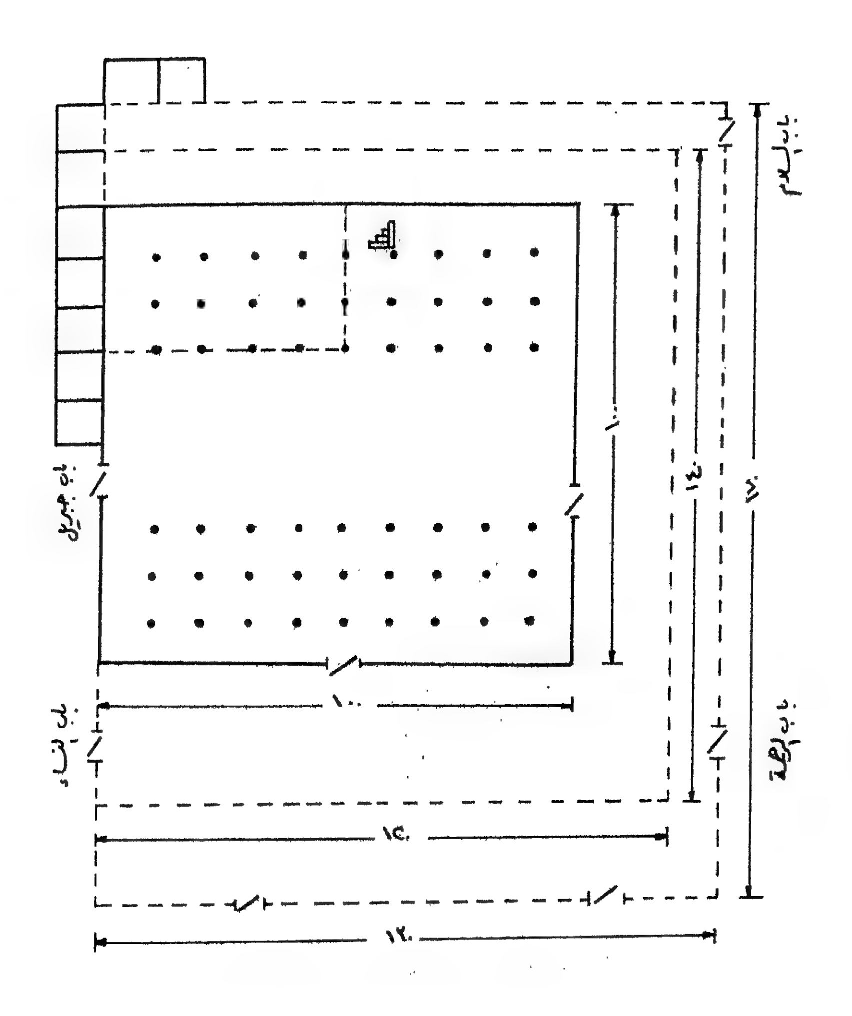
(شكل ١٥) الحرم المكي الشريف .



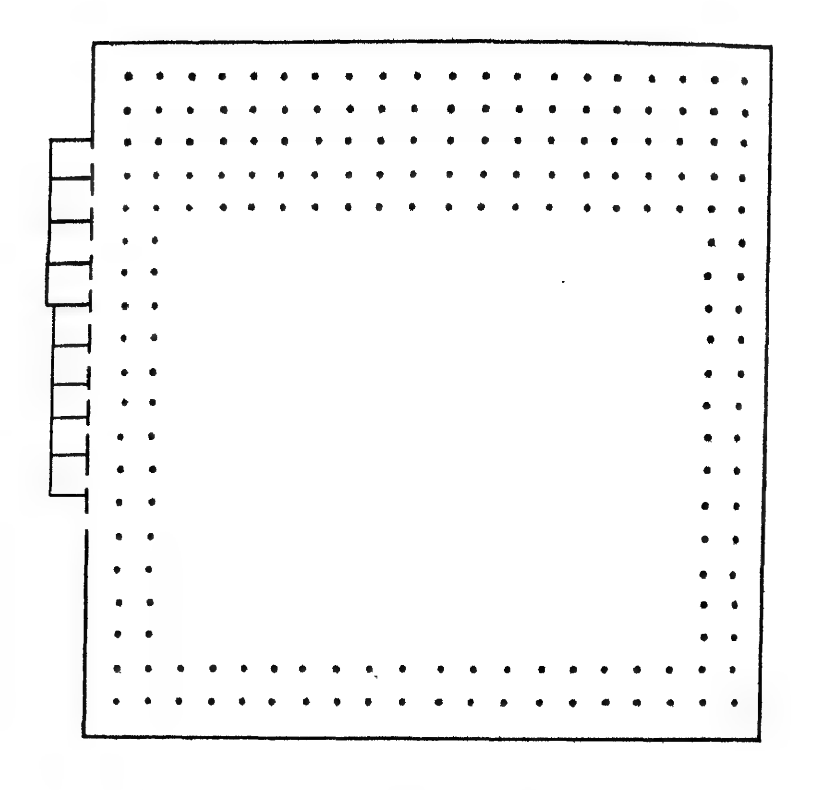
(شكل ١٦) مراحل توسعة وزيادة الحرم المكي الشريف حتي توسعة وزيادة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود. (عن : خلوصي)



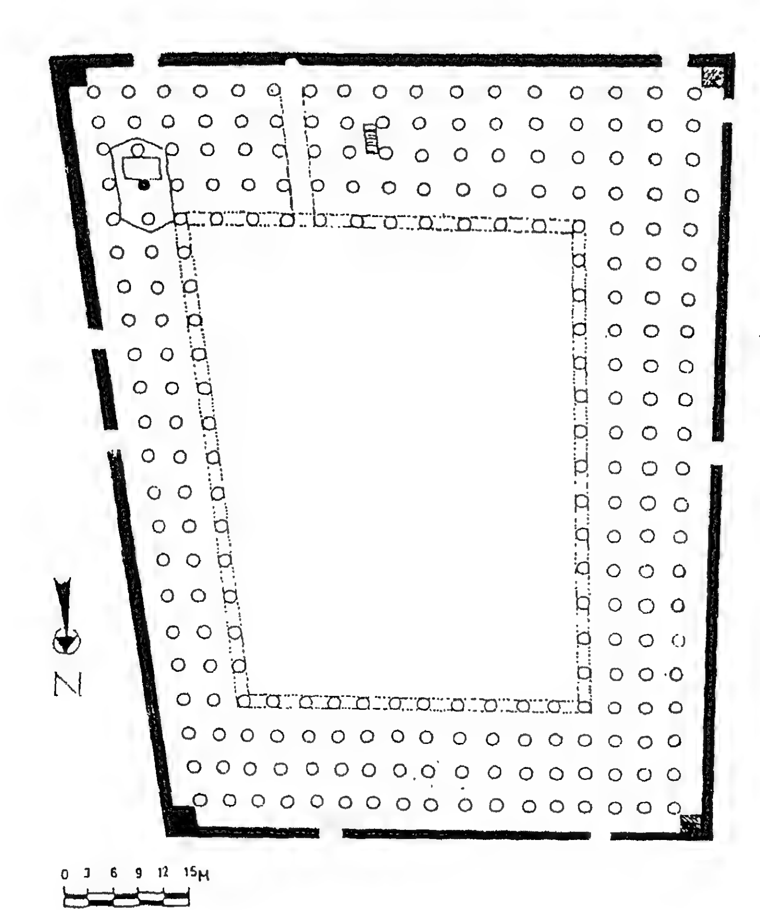
(شكل ١٧) الحرم النبوي الشريف .



(شكل ١٨) تصور لتخطيط المسجد النبوي الشريف في عهد الرسول (صلي الله عليه وسلم) وزيادة الخليفتين عمرو عثمان (رضي الله عنهما) (عن : الشهري) .

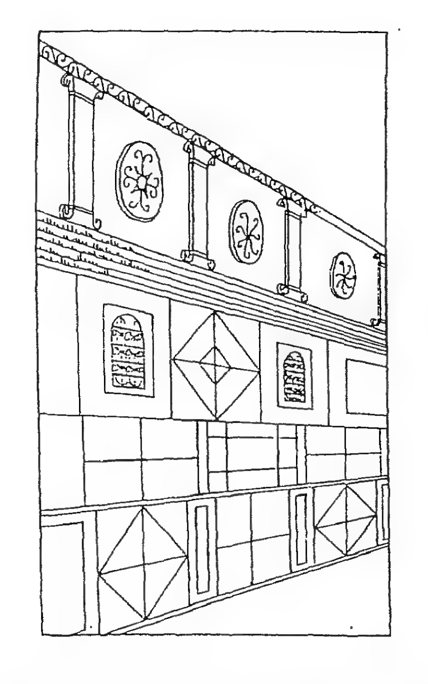


(شكل ١٩) تصور لتخطيط المسجد النبوي الشريف عقب زيادة
الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) كما رجح فريد شافعي .
(عن : فريد شافعي) .

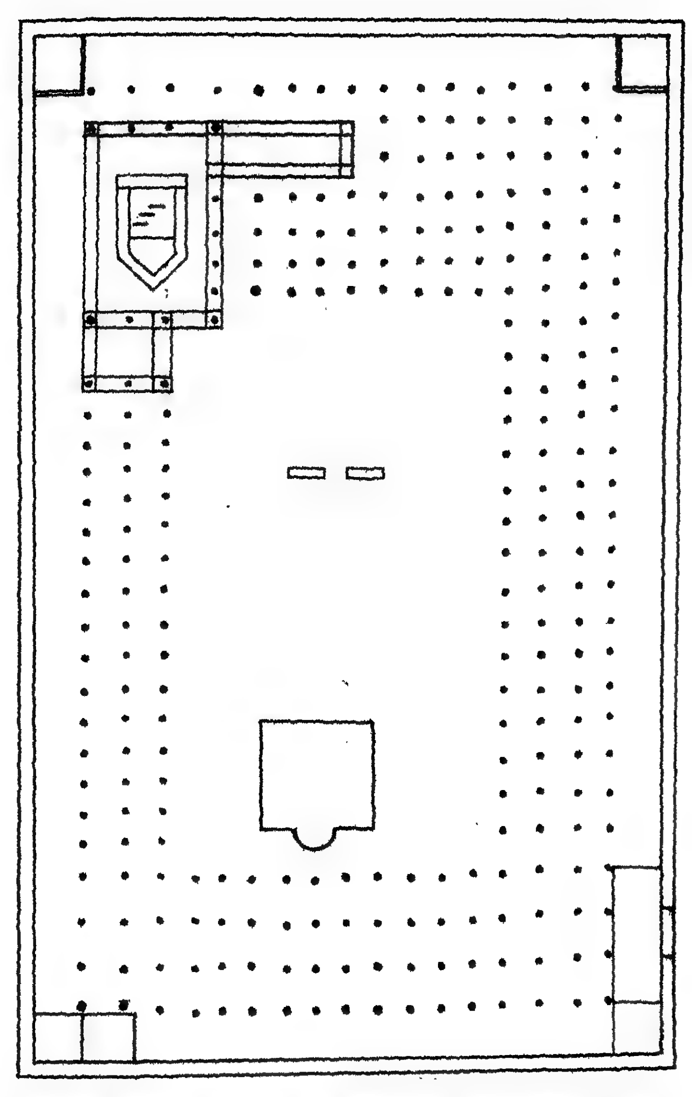


(شكل٢٠) مسقط أفقي للمسجد النبوي الشريف عقب عمارة الوليد بن عبد الملك
(عن: محمد حمزة الحداد) .

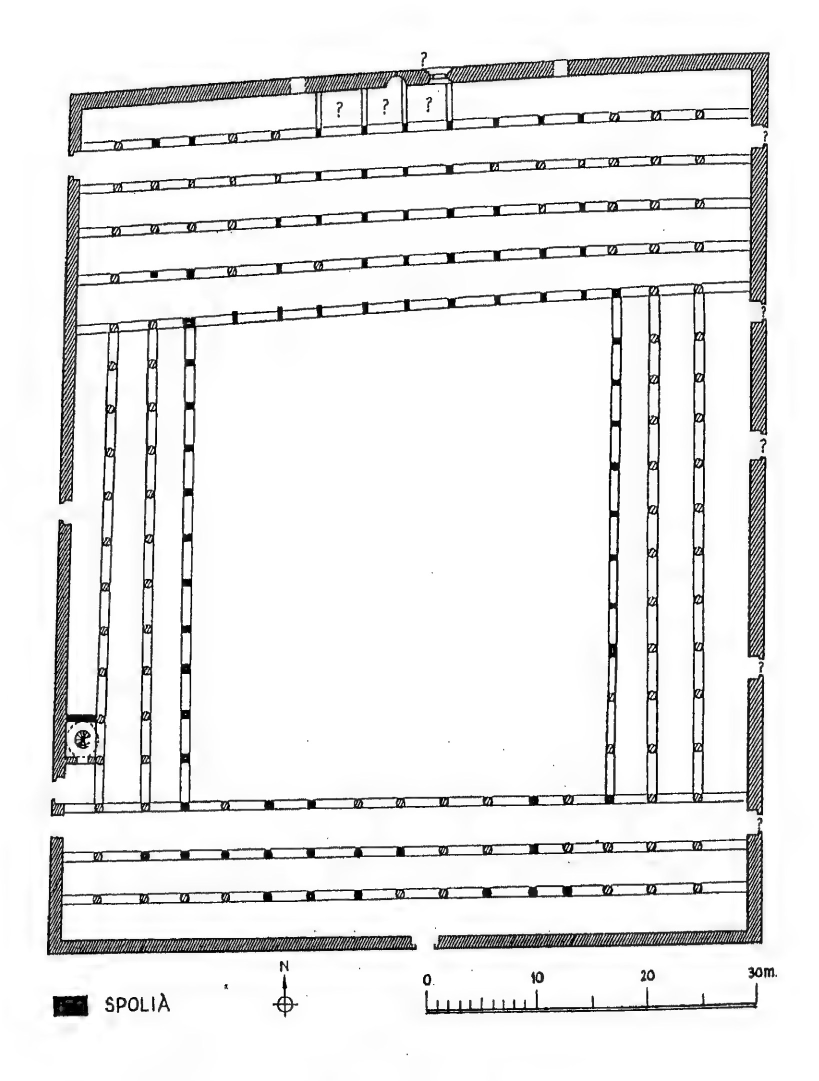
(شكل٢١) مسقط أفقي للمسجد النبوي الشريف عقب عمارة المهدي العباسي
(عن: محمد حمزة الحداد) .



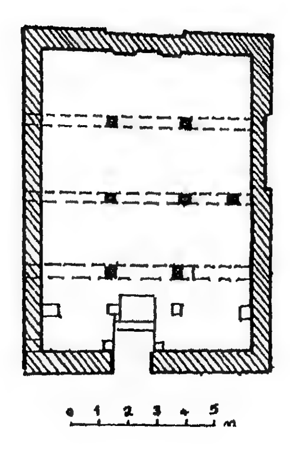
(شكل ٢٢) الكسوات الزخرفية بجدار القبلة كما تصورها
سوفاجيه .



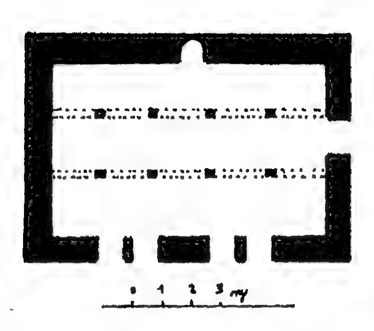
(شكل٢٣) المسجد النبوي الشريف عقب عمارة السلطان المملوكي الجركسي الأشرف قايتباي (العمارة الثانية) ومابه من حواصل لمؤلف مجهول لمخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس (رقم ٦٥٦٥ غربي) . (عن سوفاجيه) .



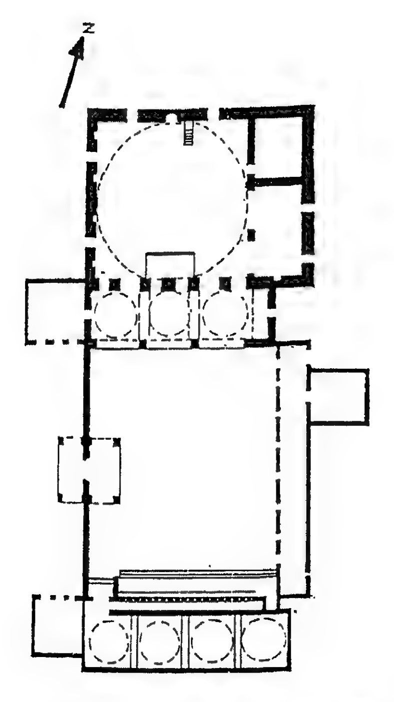
(شكل ٢٤) مسقط أفقي للجامع الكبير بصنعاء اليمن (عن : كريزول) .



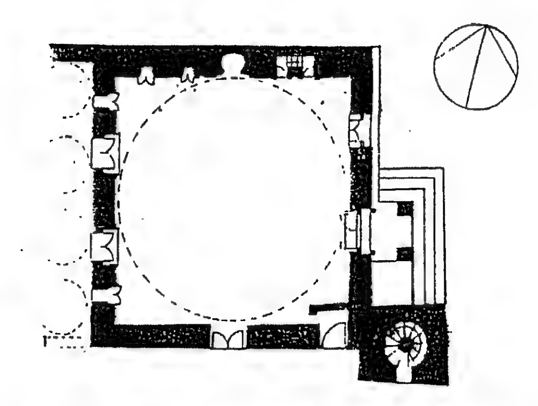
(شكل ٢٥) مسقط أفقي لمسجد تمور باليمن .(عن : فنستر) .



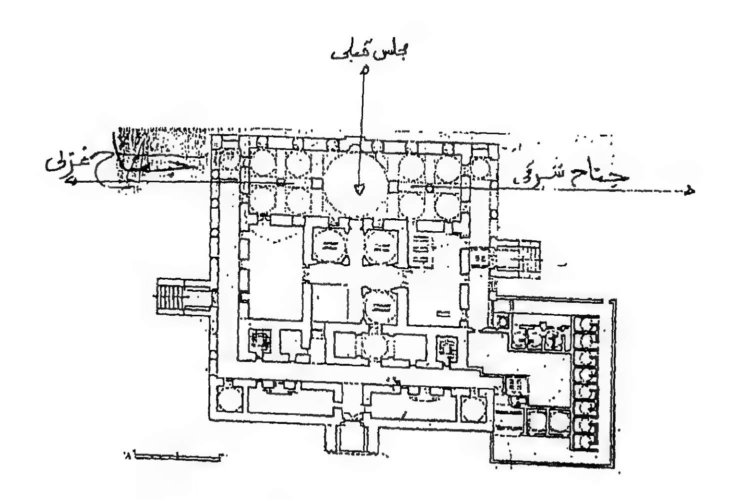
(شكل ٢٦) مسقط أفقي لمسجد تيثد باليمن (عن : فنستر) .



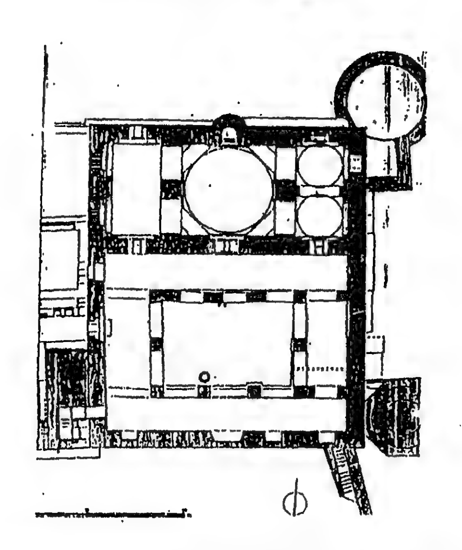
(شكل ٢٧) مسقط أفقي للبكيرية بصنعاء اليمن . (عن : سرجنت) .



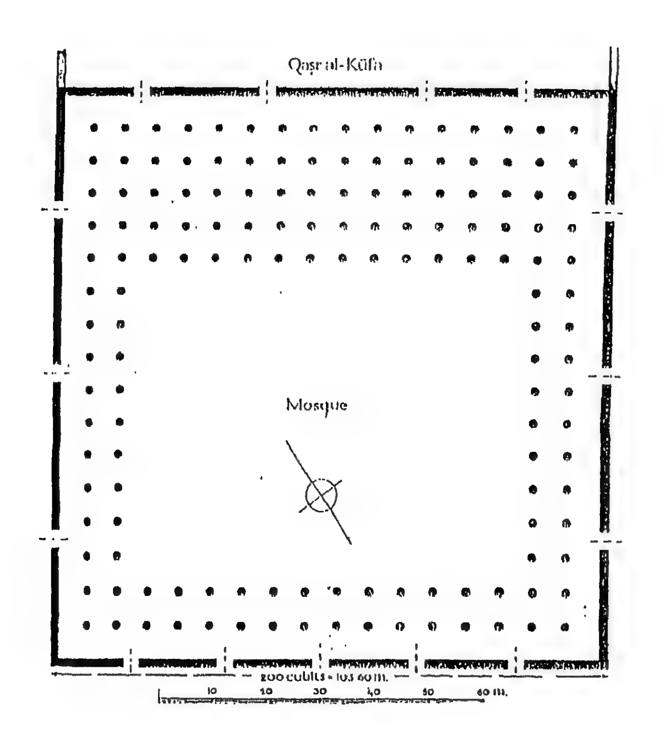
(شكل ٢٨) مسقط أفقي لمسجد طلحة بصنعاء اليمن . (عن : سرجنت) .



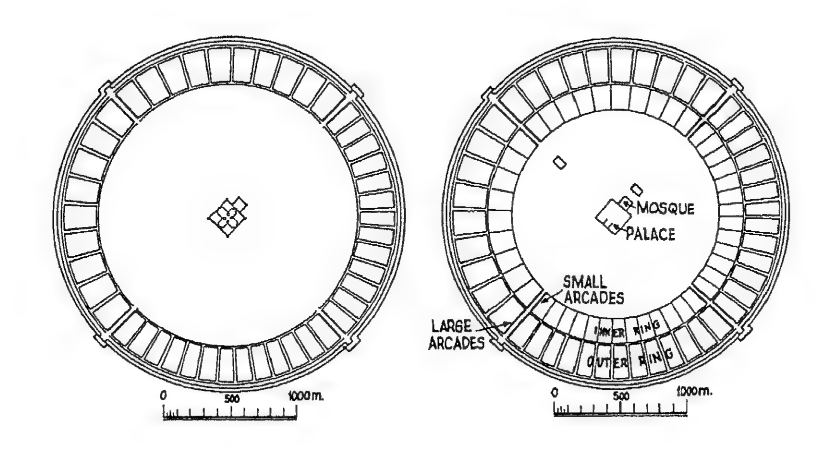
(شكل ٢٩) مسقط أفقي للمدرسة الاشرفية الكبرى بتعز باليمن
(عن هيئة الاثار اليمنية) .



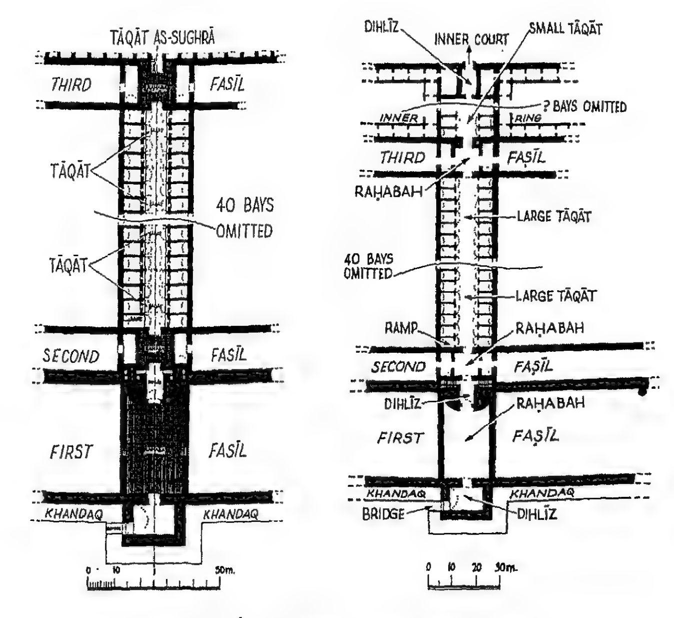
(شكل ٣٠) مسقط أفقي للمدرسة السكندرية او الاسكندرية بزبيد في اليمن
(عن هيئة الاثار اليمنية) .



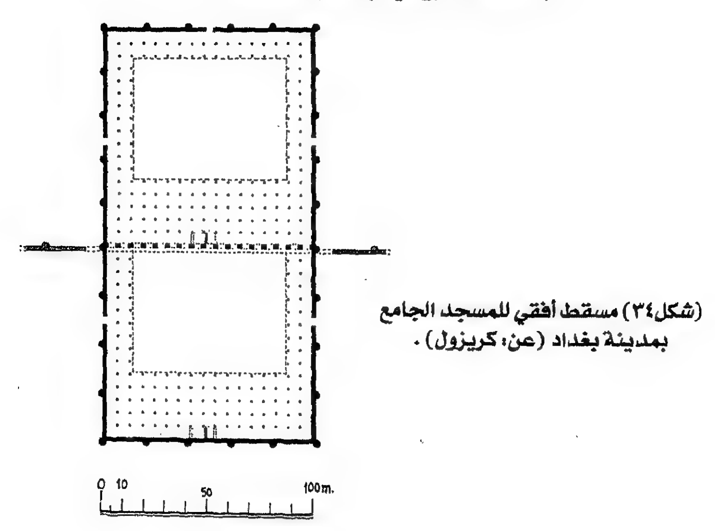
(شكل ٣١) مسقط أفقي لجامع الكوفة عقب عمارة زياد بن أبية
(عن : كريزول) .



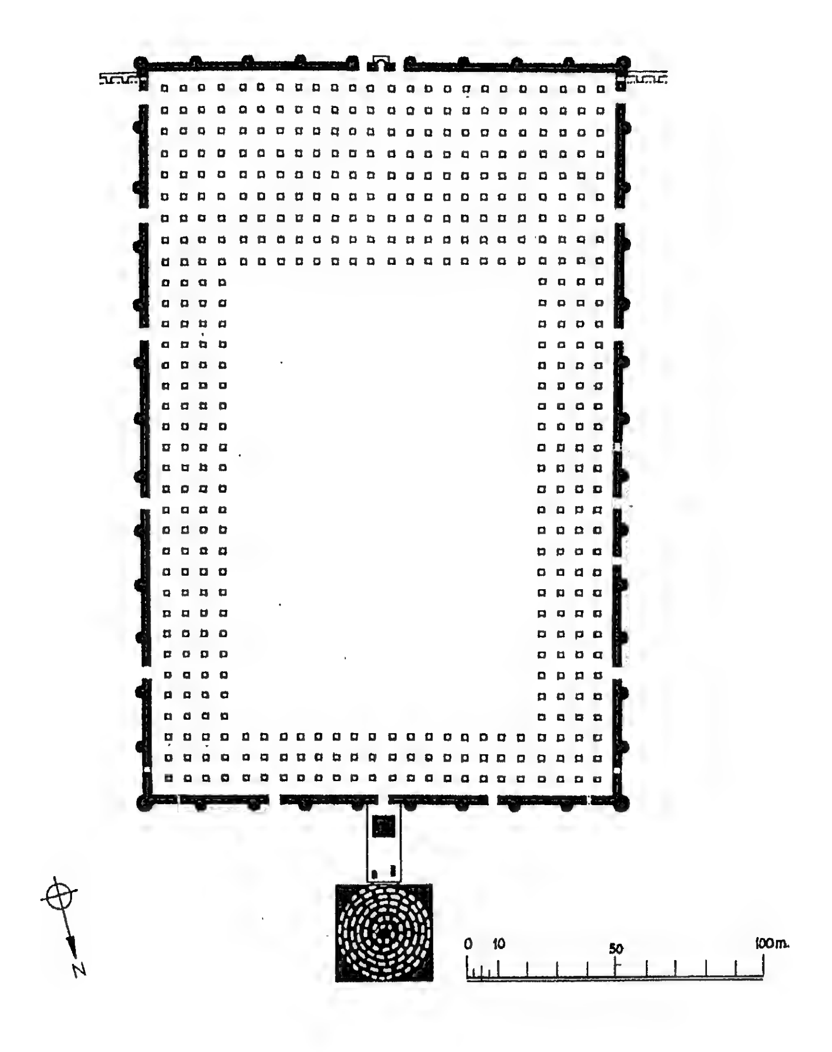
(شكل٣٢) بغداد مدينة المنصورة المدورة (الأيمن) تصور
(Lassner) ، (والأيسر) تصور (Creswell) .



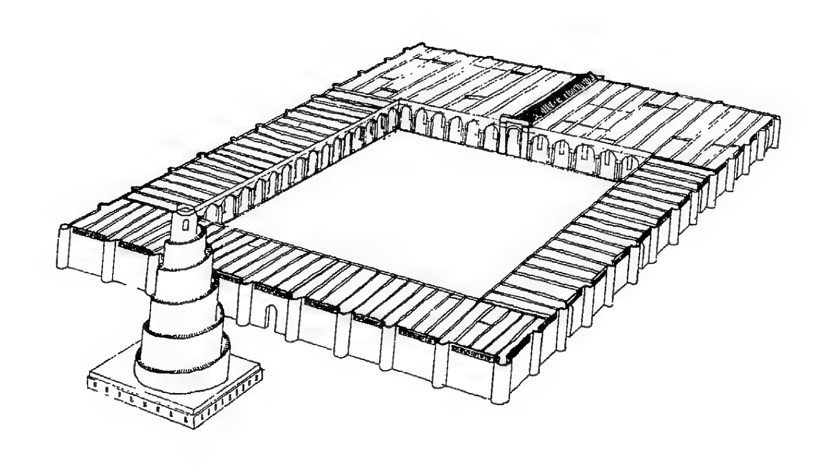
(شكل٣٣) مدينة بغداد : الطاقات (الأيمن) تصور (Lassner) ، (والأيسر) تصور (Creswell) .



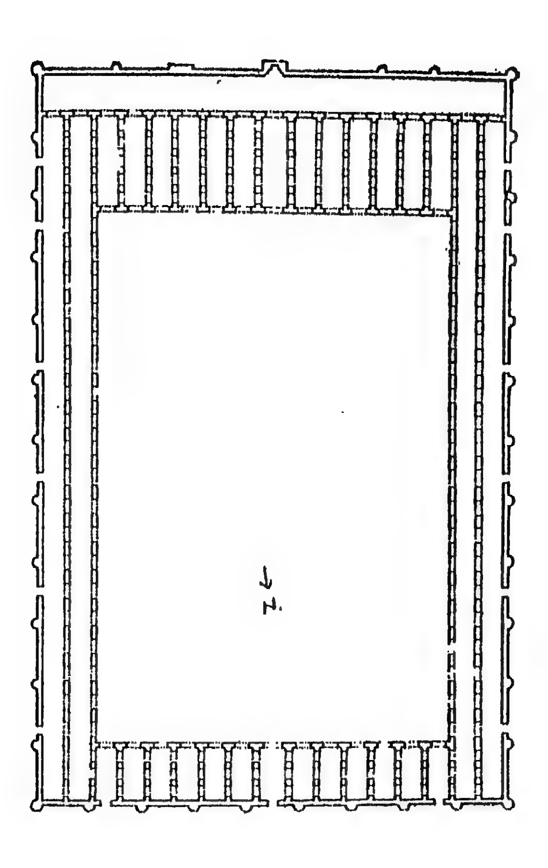
(شكل٣٤) مسقط أفقي للمسجد الجامع بمدينة بغداد (عن: كريزول) .



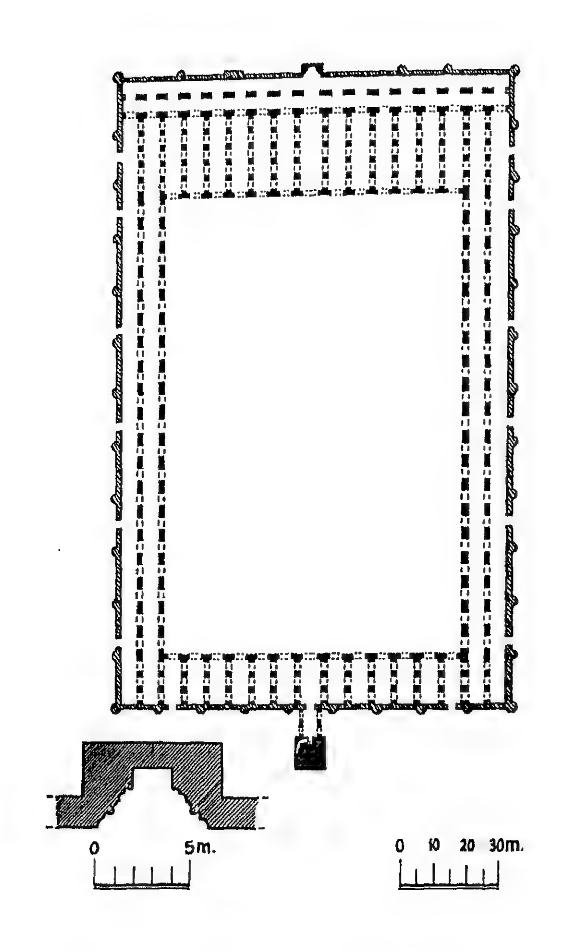
(شكل ٣٥) مسقط أفقي لجامع سامرا الكبير. (عن : كريزول) .



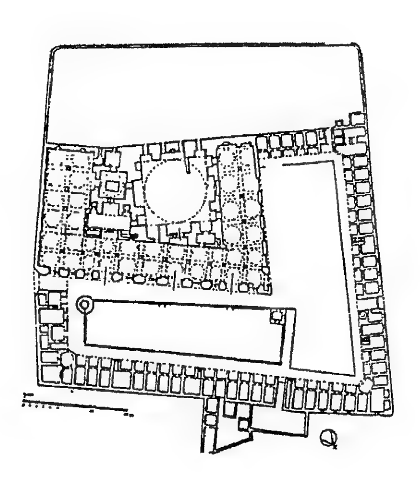
(شكل ٣٦) جامع سامرا الكبير (عن : هيلنبراند) .



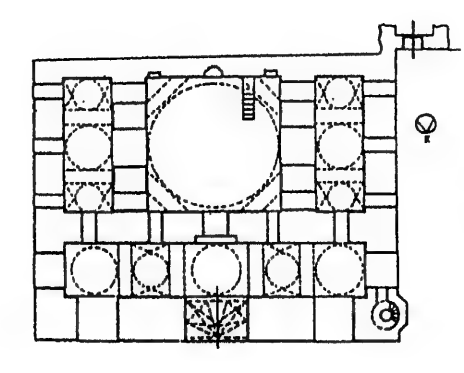
(شكل ٣٧) مسقط أفقي لجامع أبي دلف بسامرا . (عن : هرتزفلد) .



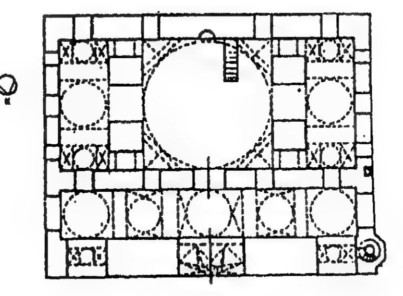
(شكل ٣٨) مسقط أفقي لجامع أبي دلف بسامرا - (عن : كريزول) .



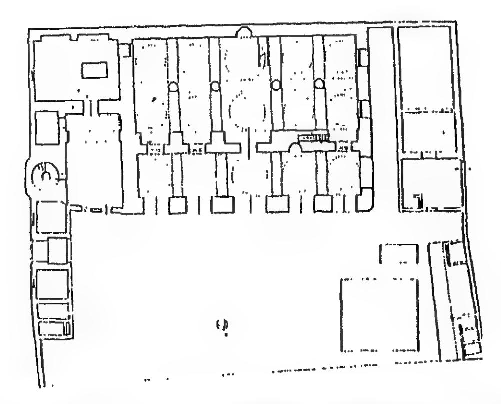
(شكل ٣٩) مسقط أفقي لجامع
عبد القادر الجيلاني ببغداد
(عن Ulucam) .



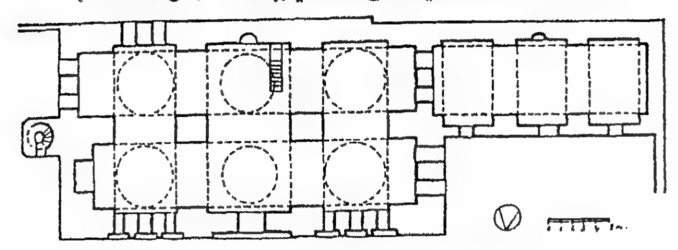
(شكل ٤٠) مسقط أفقي
لجامع الأحمدية ببغداد
(عن Ulucam) .



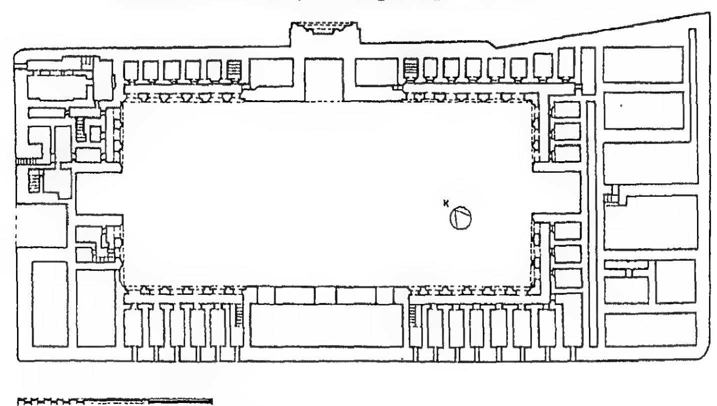
(شكل ٤١) مسقط أفقي
لجامع الحيدرخانه ببغداد
(عن : كوبان) .



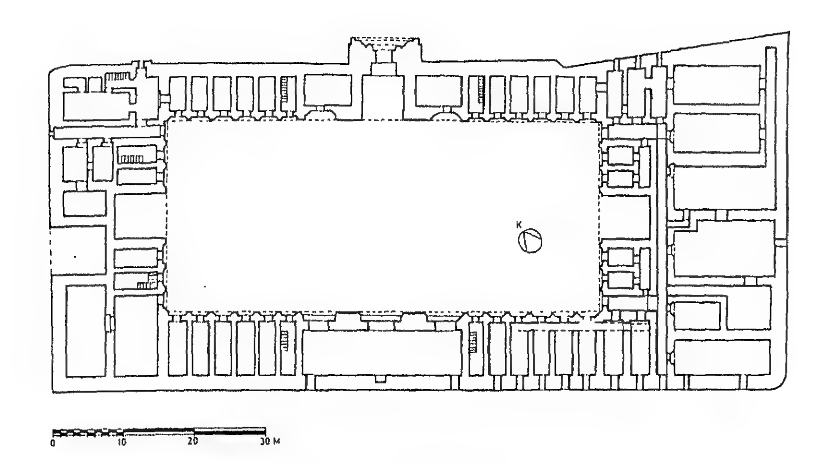
(شكل ٤٢) مسقط أفقي لجامع العاقولي ببغداد. . (عن : Ulucam) .



(شكل٤٣) مسقط أفقي لجامع قمرية ببغداد . (عن : Ulucam) .

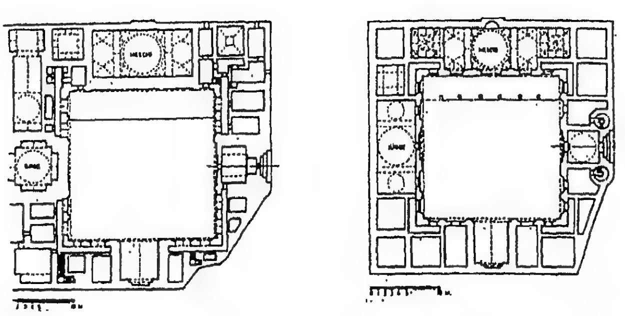


(شكل ٤٤) المدرسة المستنصرية ببغداد : مسقط أفقي للطابق الأرضي .



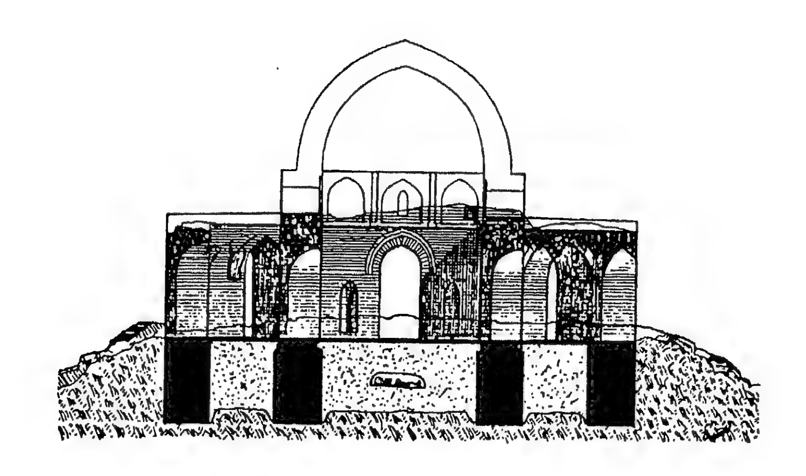
(شكل ٤٤ مكرر) المدرسة المستنصرية ببغداد : مسقط أفقي للطابق الأول .

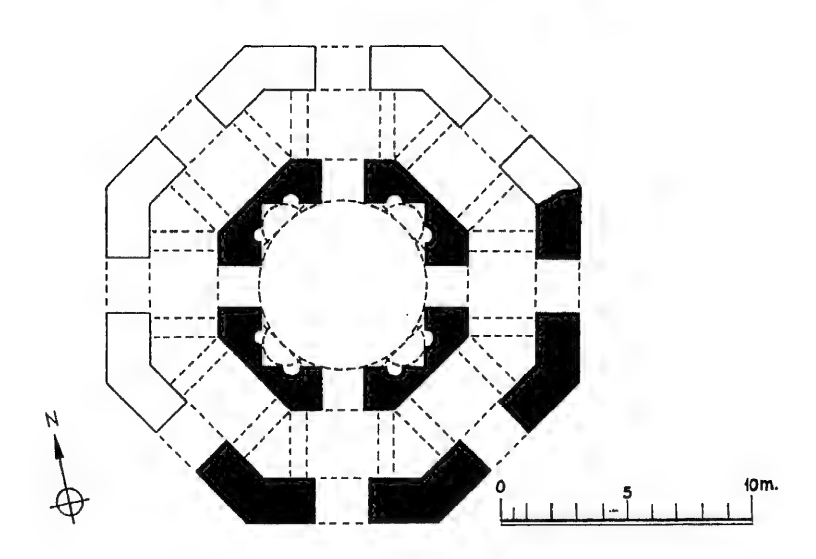
(شكل ٤٥) المدرسة المستنصرية ببغداد: (عن : هيلنبراند) .



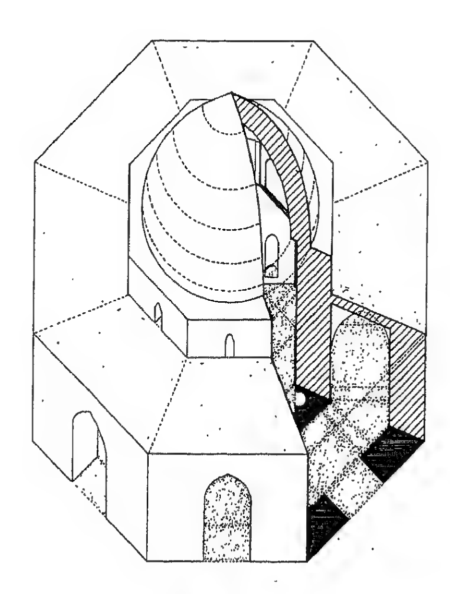
(شكل ٤٥ مكرر) مسقط أفقي للمدرسة المرجانية ببغداد - الطابق الارضي (الأيمن) والطابق الاول (الايسر) (عن : Ulucam) .

(شكل ٤٦) المدرسة المرجانية ببغداد (عن : هيلنبراند) .

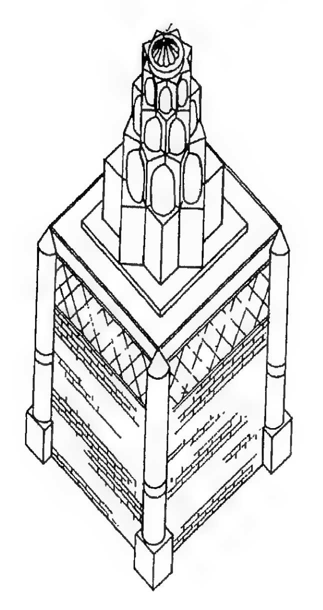




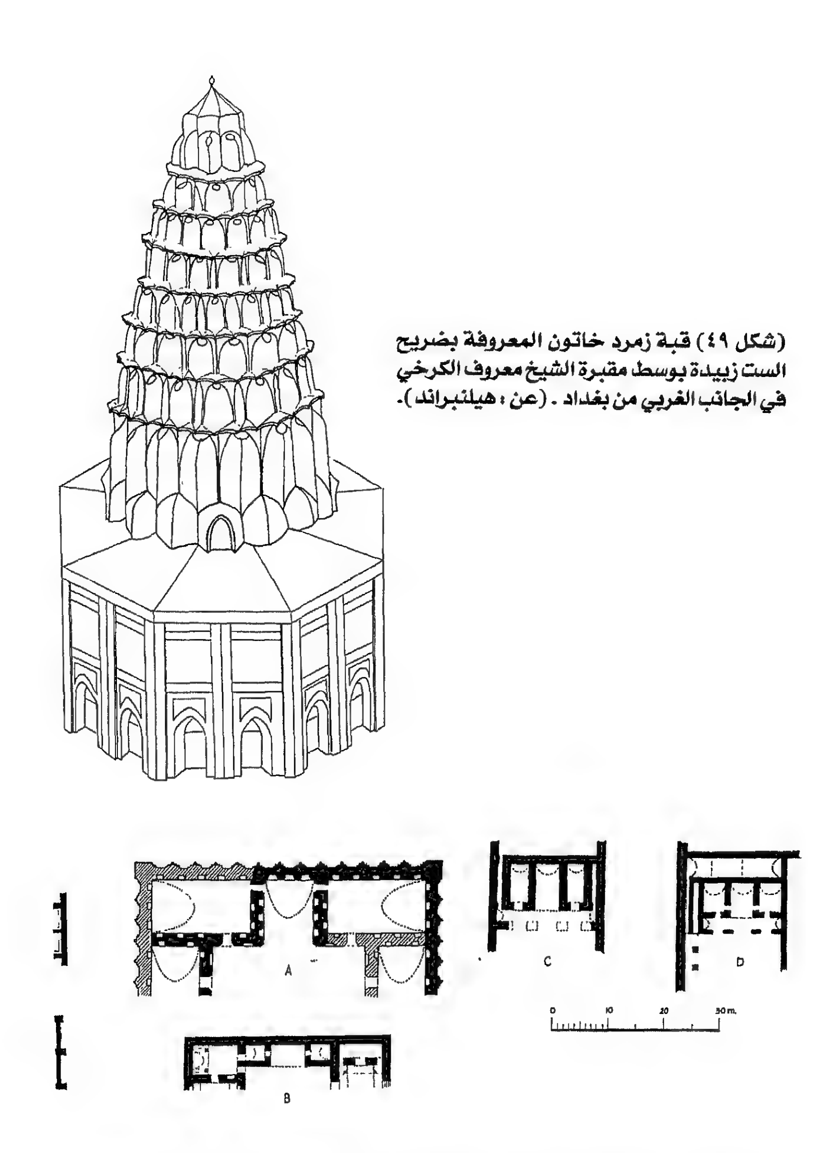
(شكل ٤٦ مكرر) قبة الصليبية في سامرا بالعراق
(مسقط وقطاع) (عن : كريزول) .



(شكل٤٧) قبة الصليبية في سامرا
(عن : هيلنبراند) .

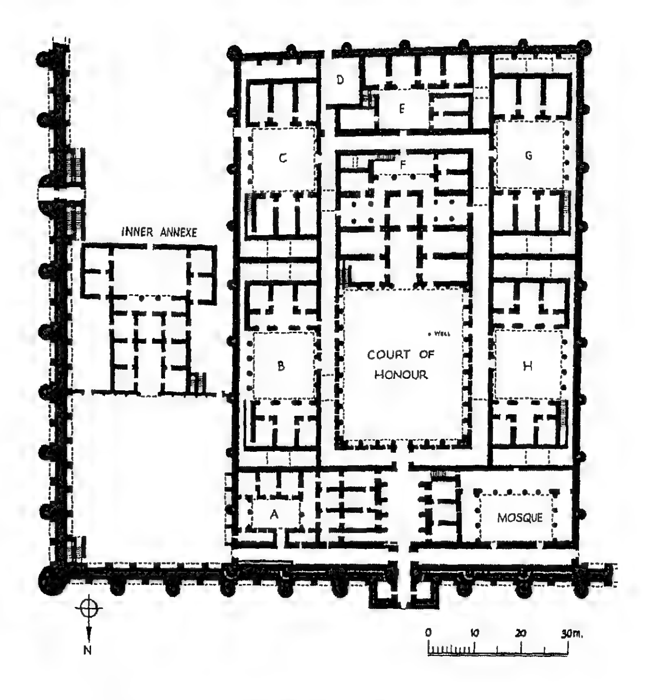


(شكل ٤٨) قبة الامام الدور (محمد الدري)
بمدينة الدور شمال سامرا بحوالي ٣٠كم
(عن : هيلنبراند) .

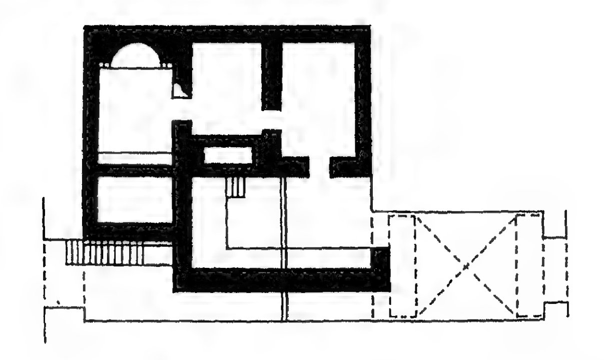


(شكل ٤٩) قبة زمرد خاتون المعروفة بضريح الست زبيدة بوسط مقبرة الشيخ معروف الكرخي في الجانب الغربي من بغداد . (عن : هيلنبراند).

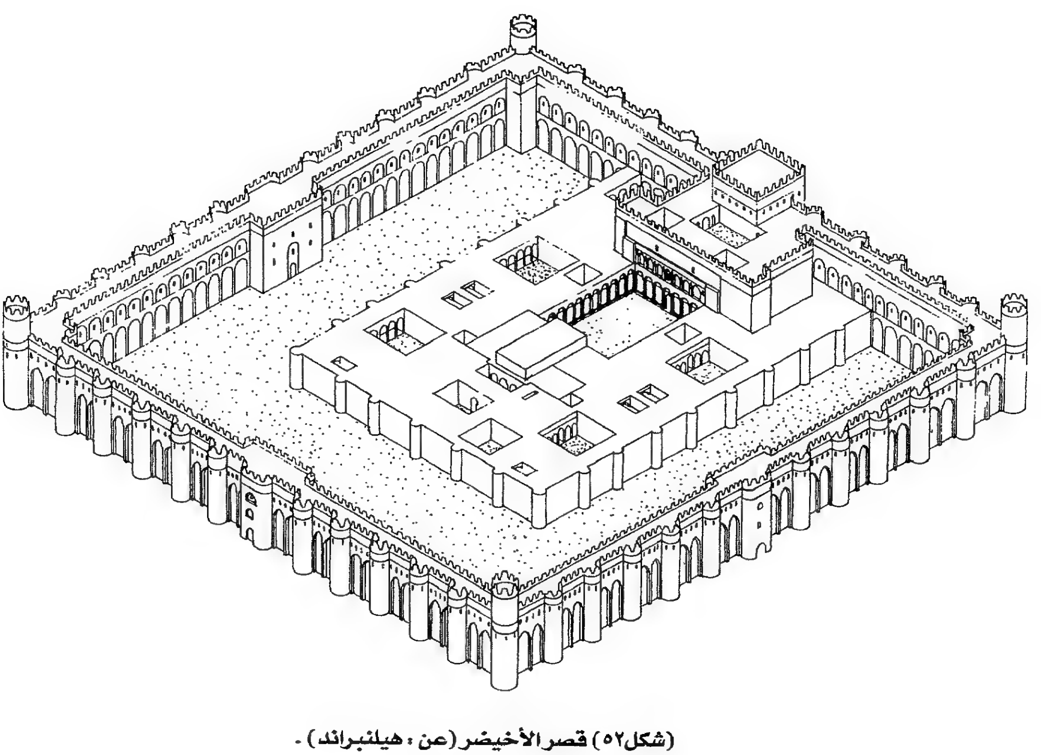
(شكل٥٠) أنماط البيوت الفارسية : A فيروز آباد، B سرفستان، C قصر شيرين، D قصر الأخيضر (عن كريزول) .



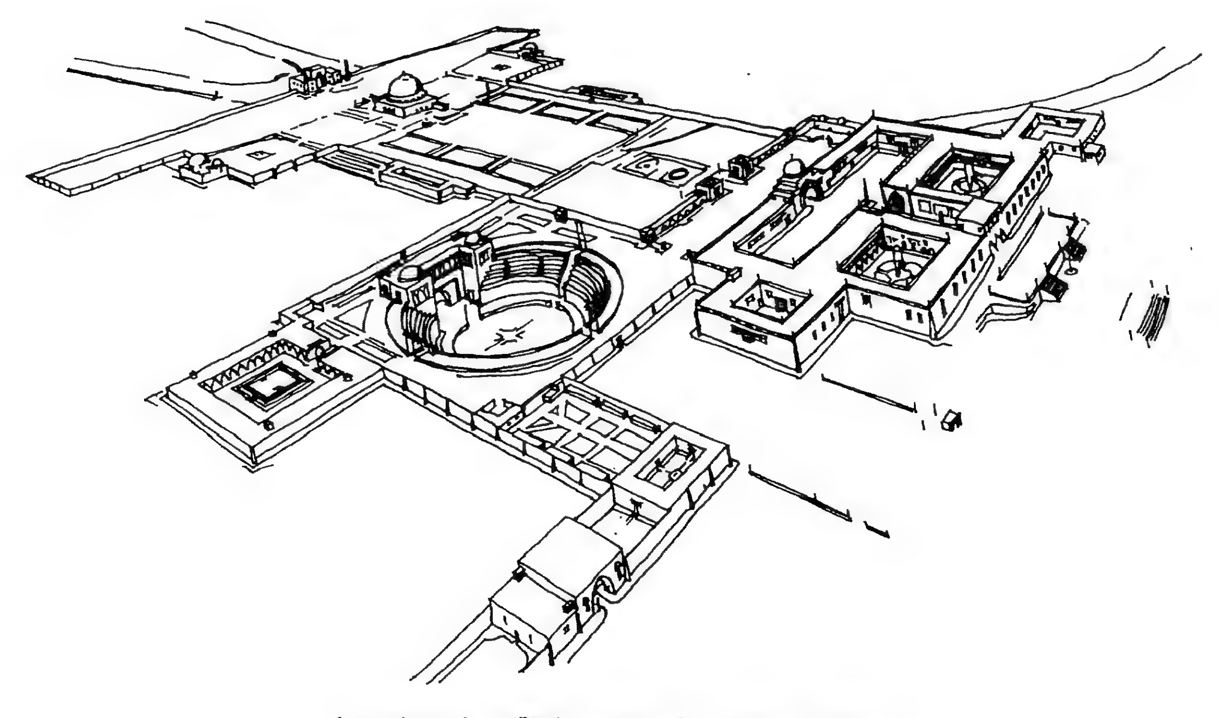
(شكل ٥١) مسقط أفقي لقصر الأخيضر (عن : كريزول) .



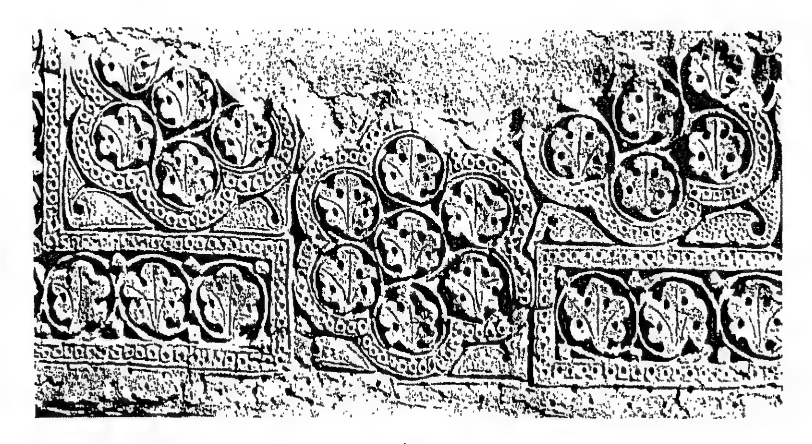
(شكل ٥١ مكرر) قصر الأخيضر : مسقط أفقي للحمام . (عن : كريزول) .



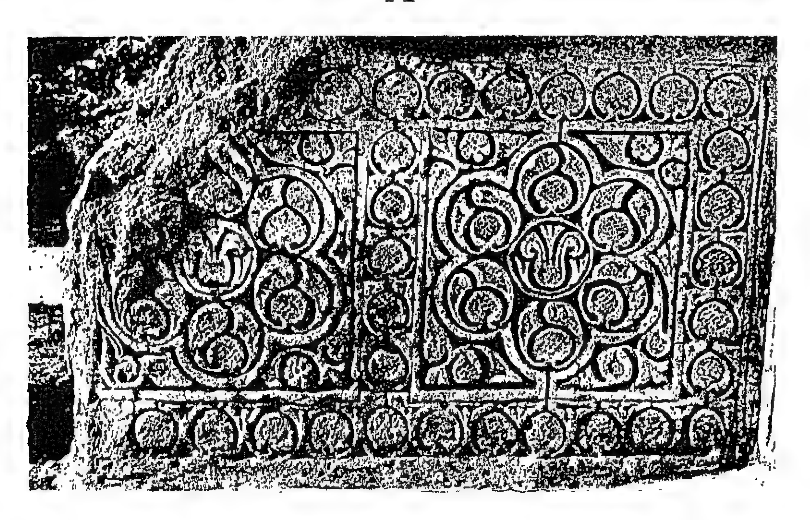
(شكل٥٢) قصر الأخيضر (عن : هيلنبراند).



(شكل٥٣) مدينة سامرا : قصر الجوسق الخاقاني . (عن:هيلنبراند) .

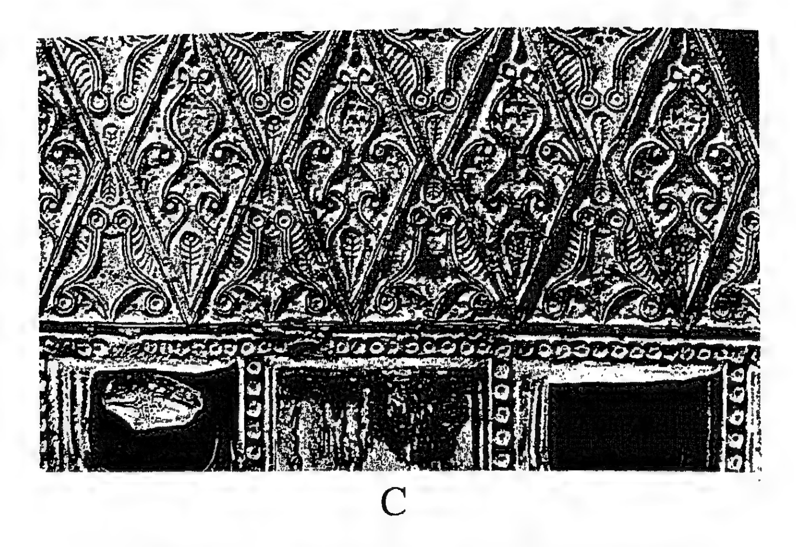


A

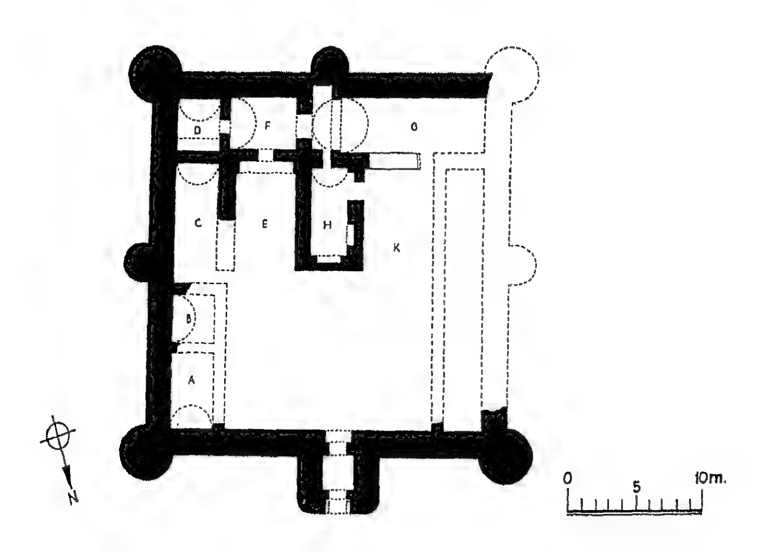


B

(شكل ٥٤) مدينة سامرا : طرز سامرا الزخرفية علي الجص
(الطرازان الأول والثانى A-B) (عن : كريزول).

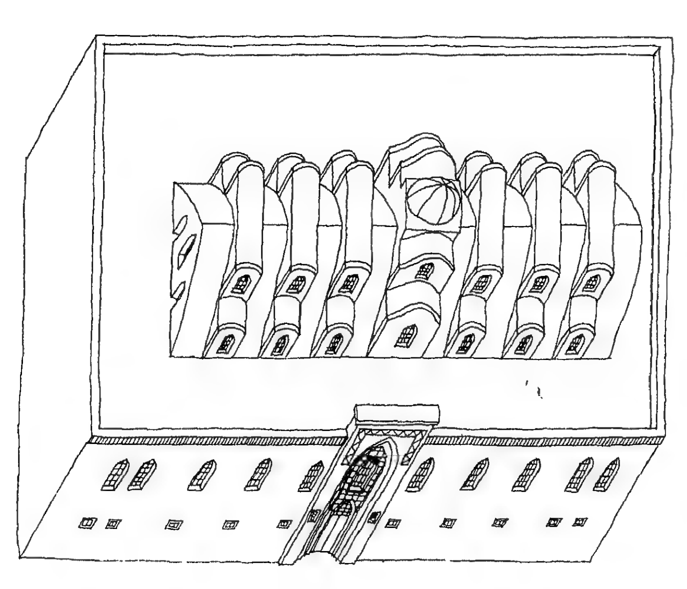


(شكل٥٥) مدينة سامرا : طراز سامرا الثالث علي الجصر (C) (عن: كريزول).

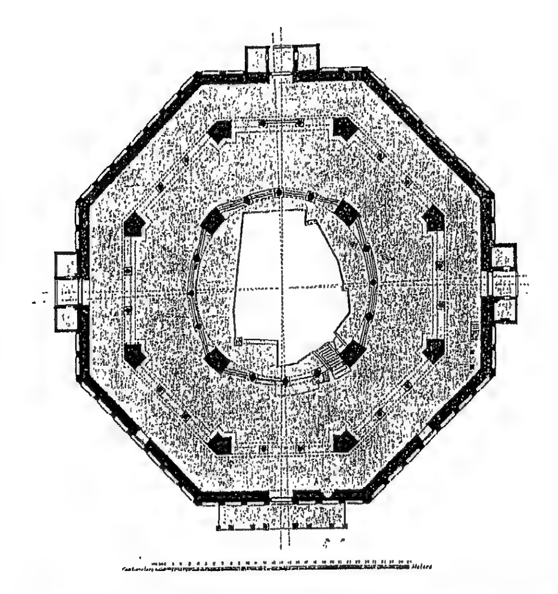


(شكل ٥٦) خان عطشان (عن : كريزول).

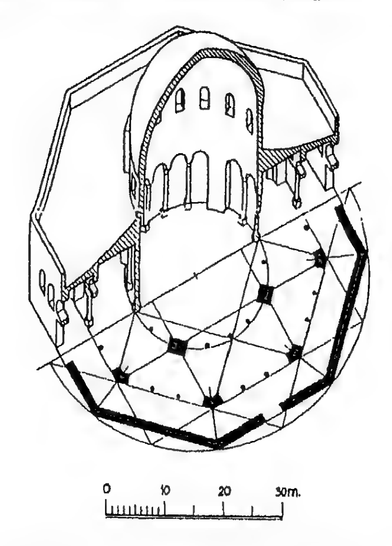
(شكل ٥٧) خان عطشان .
(عن : هيلنبراند) .



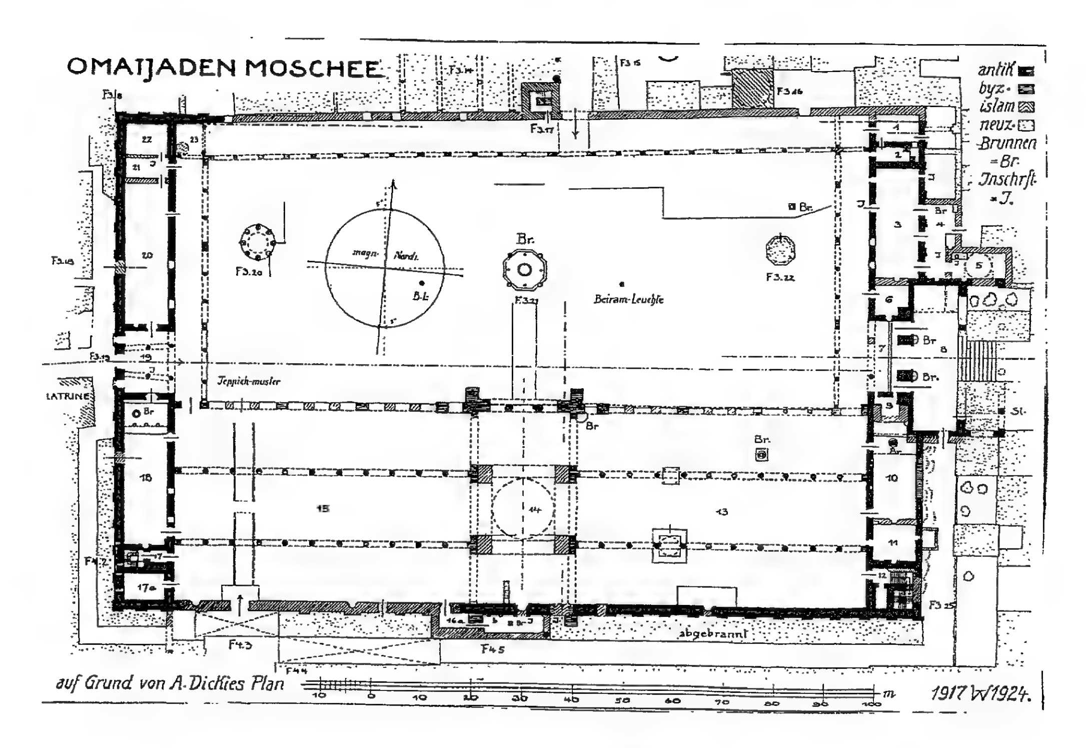
(شكل ٥٨) خان مرجان في بغداد (عن : هيلنبراند) .



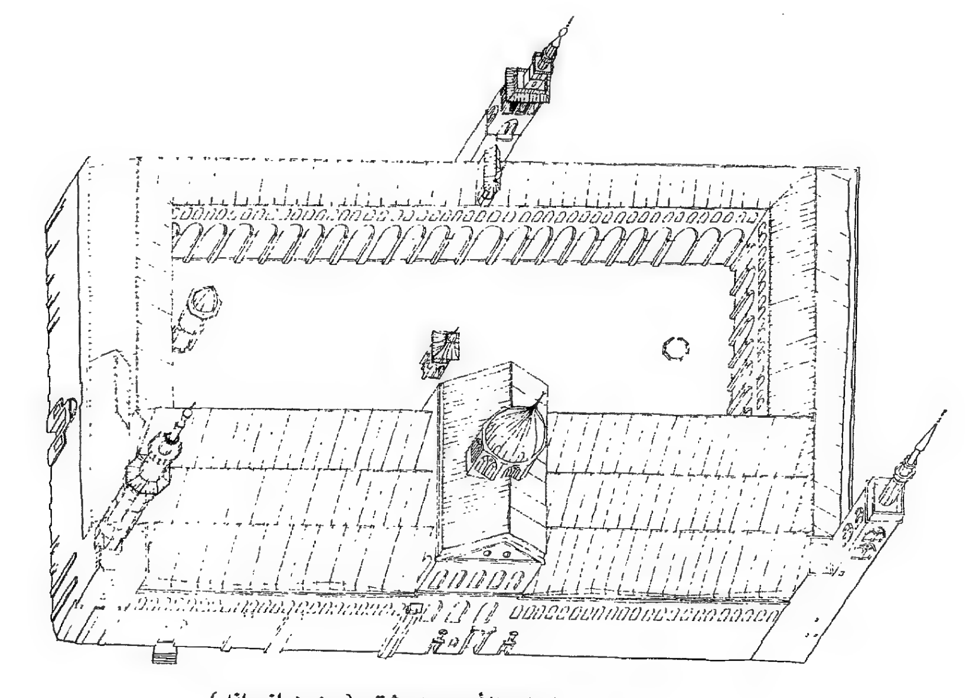
(شكل ٥٩) مسقط أفقي لقبة الصخرة بالقدس الشريف (عن : ريشموند) .



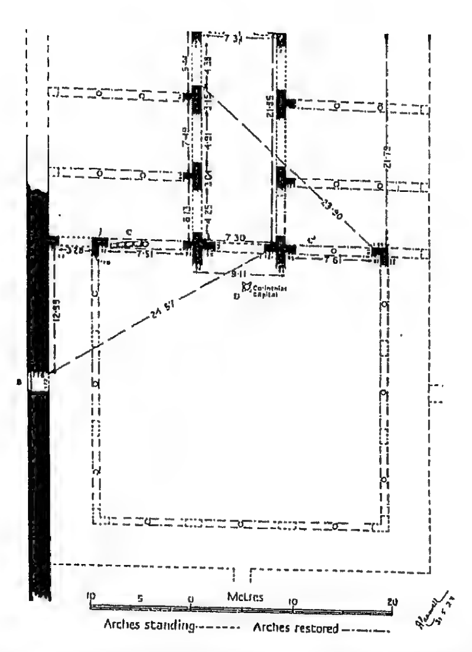
(شكل ٦٠) قطاع رأسي لقبة الصخرة (عن : كريزول) .



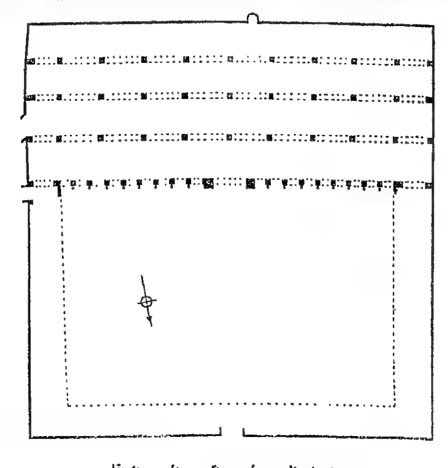
(شكل ٦١) مسقط افقي للجامع الأموي بدمشق . (عن : فلزنجروفتزنجر) .



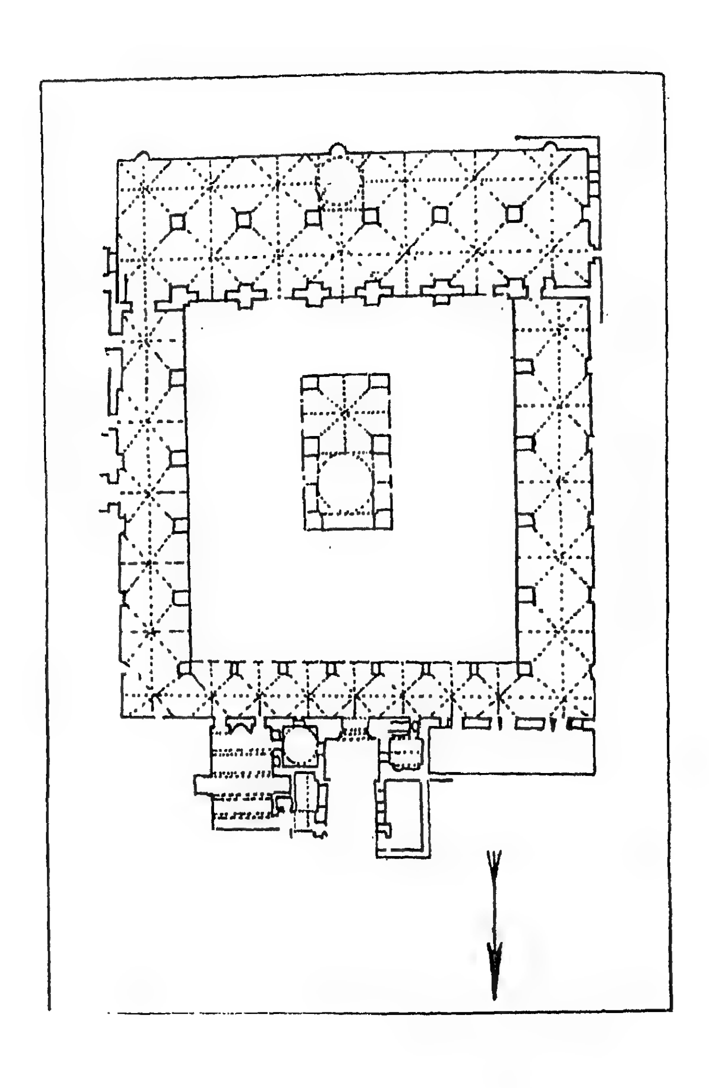
(شكل٦٢) الجامع الأموي بدمشق - (عن: هيلنبراند) .



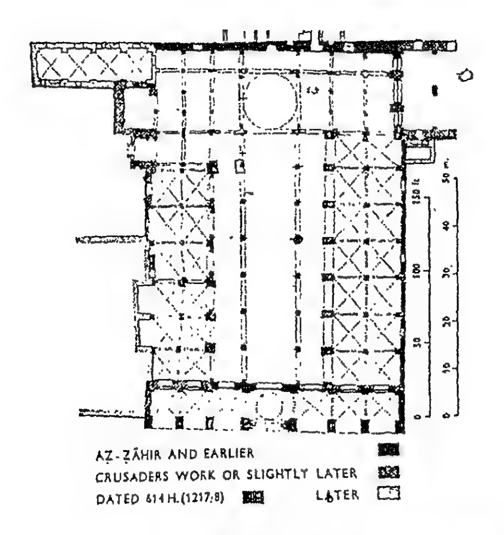
(شكل٦٣) مسقط أفقي للمسجد الملحق بقصر الحير الشرقي . (عن : كريزول) .



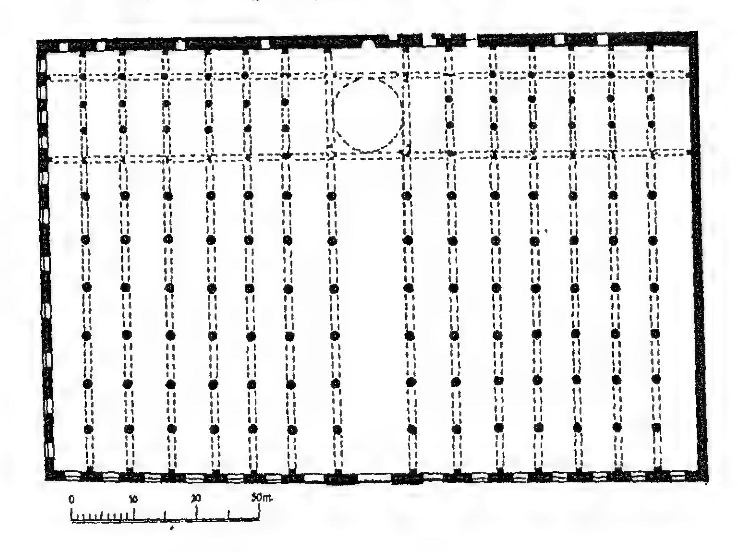
(شكل٦٤) مسقط أفقي لجامع حران . (عن : أحمد فكرى) .



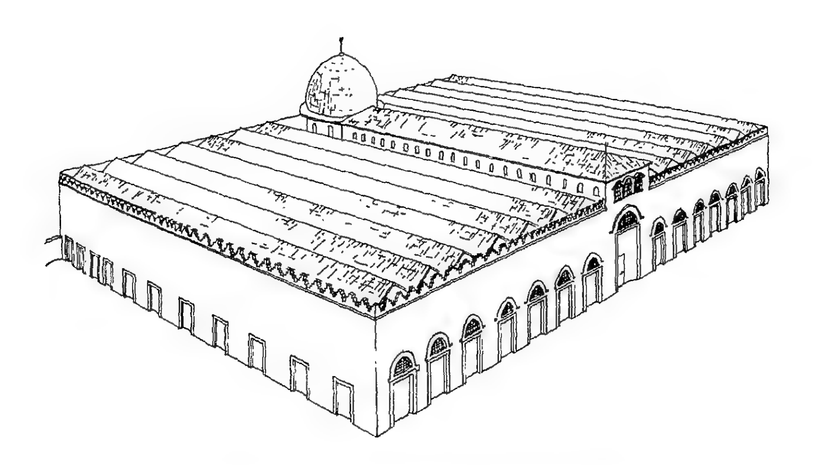
(شكل ٦٥) مسقط أفقي للجامع المنصوري الكبير بطرابلس الشام بلبنان
(عن : Liebich) .



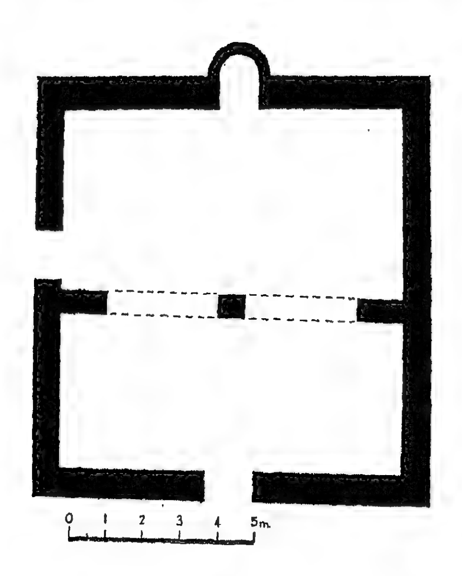
(شكل ٦٦) مسقط أفقي للجامع الأقصي الحالي . (عن : كريزول) .



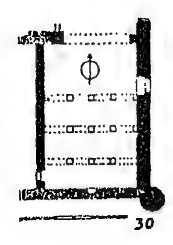
(شكل ٦٧) مسقط أفقي للجامع الأقصي في عهد الخليفة العباسي المهدي (عن : كريـزول) .



(شكل ٦٨) منظور للجامع الأقصى في عهد الخليفة العباسي المهدي. (عن : هيلنبراند) .

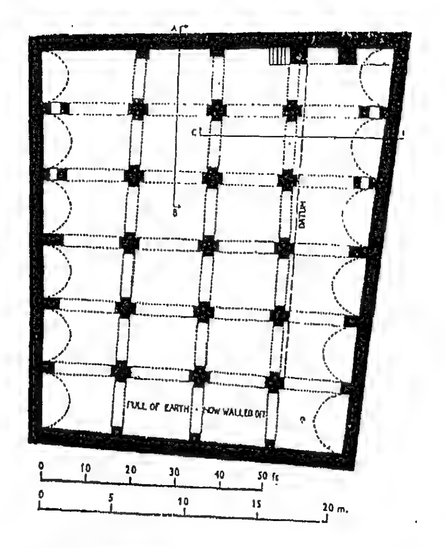


(شكل ٦٩) مسقط أفقي لمسجد قصر جبل سيس . (عن : كريزول) .

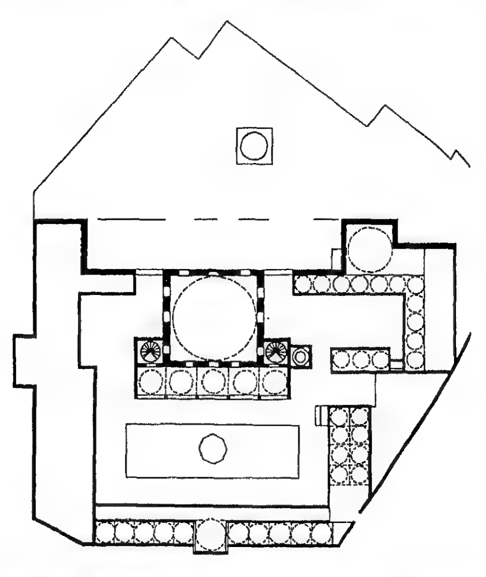


(شكل٧٠) مسقط أفقي لمسجد قصر الوليد (قصر المنية) . (عن كونل) .

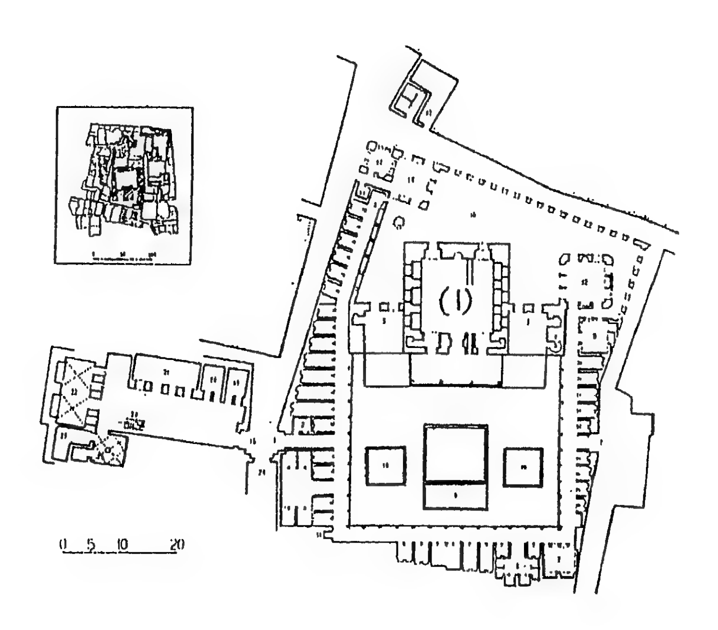
(شكل٧١) مسقط أفقي لمسجد قصر الحلابات . (عن : كريزول) .



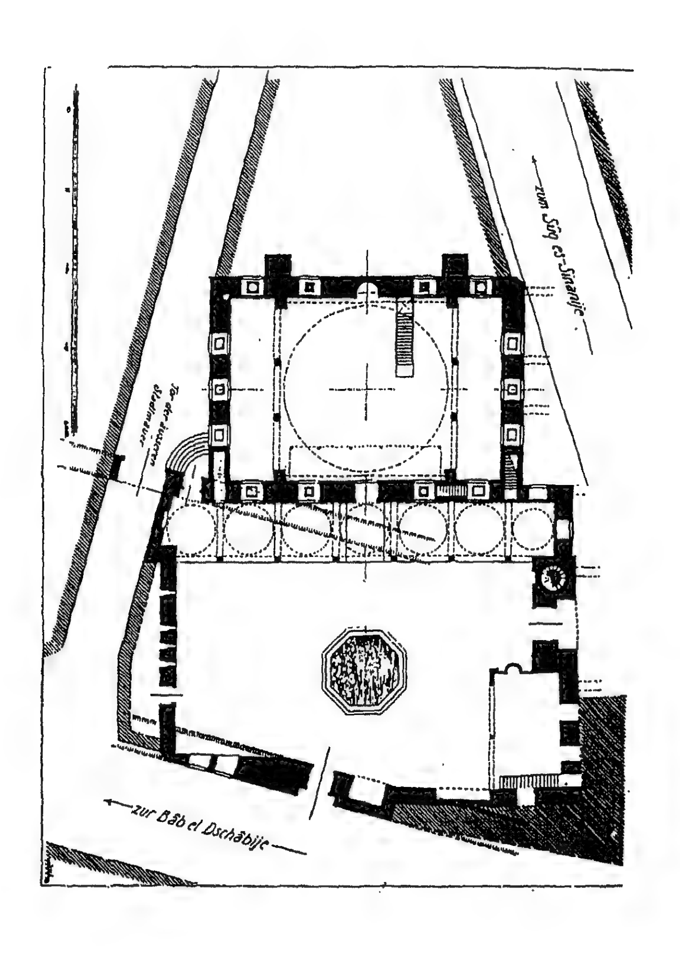
(شكل ٧٢) مسقط أفقي لصهريج الرملة بفلسطين . (عن : كريزول) .



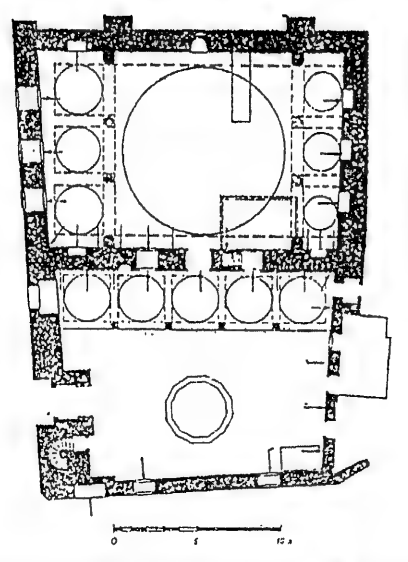
(شكل٧٣) مسقط أفقي لجامع خسروباشا ضمن مجمعه بحلب (عن : جودوين) .



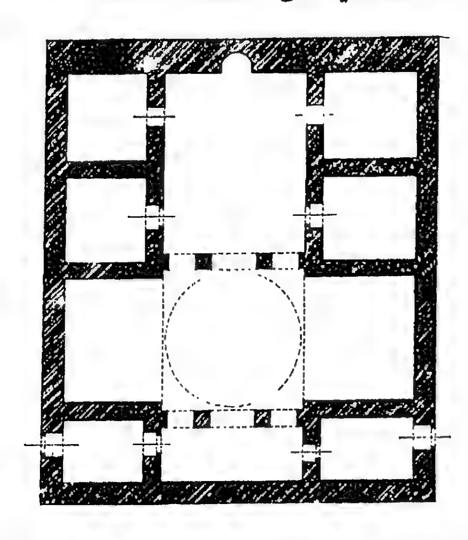
(شكل ٧٤) مسقط أفقي لجامع عثمان باشا (١) ضمن مجمعة بحلب
(عن : سوفاجيه) .



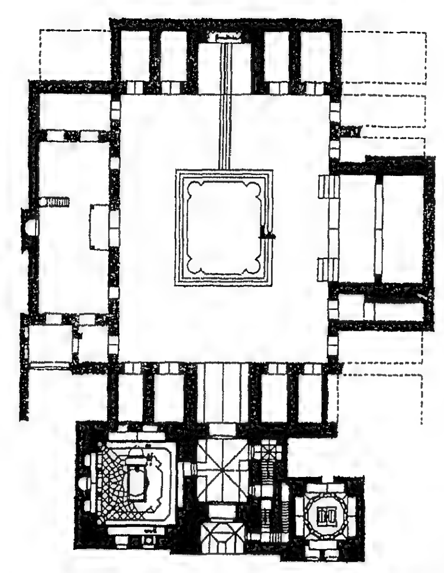
(شكل ٧٥) مسقط أفقي لجامع السنانية بدمشق
(عن : فلزنجروفتزنجر) .



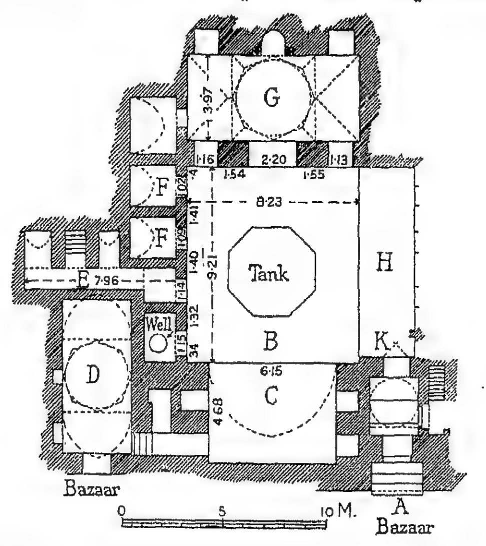
(شكل ٧٦) مسقط أفقي لجامع الدرويشية بدمشق (عن : سوفاجيه) .



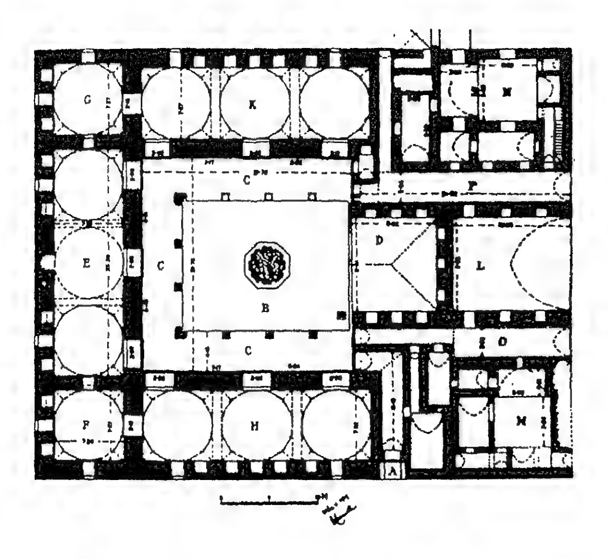
(شكل ٧٧) مسقط أفقي لمدرسة كومشتكين في بصري (عن : آصلان آبا).



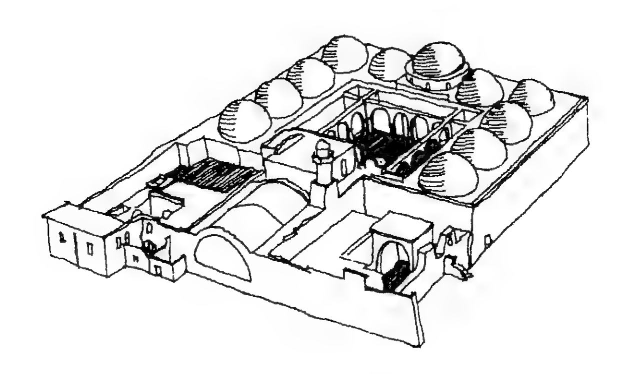
(شكل ٧٨) مسقط أفقي للمدرسة النورية في دمشق ٥٦٧هـ/١١٧٢م. (عن: الريحاوي).



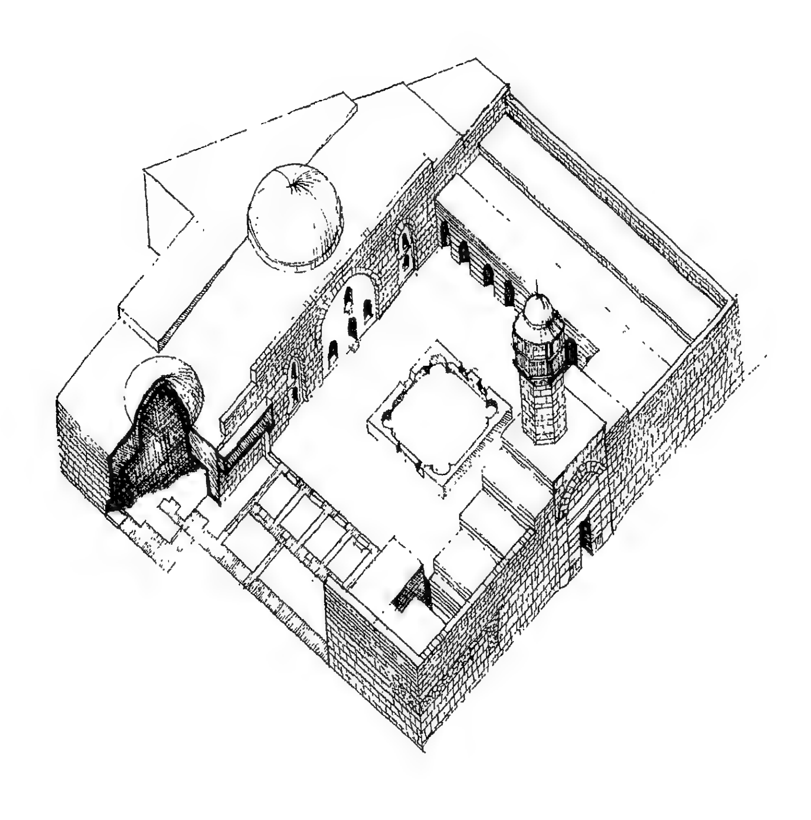
(شكل ٧٩) مسقط أفقي لمدرسة شادبخت في حلب ٥٨٩هـ/١١٩٣م (عن: كريزول).



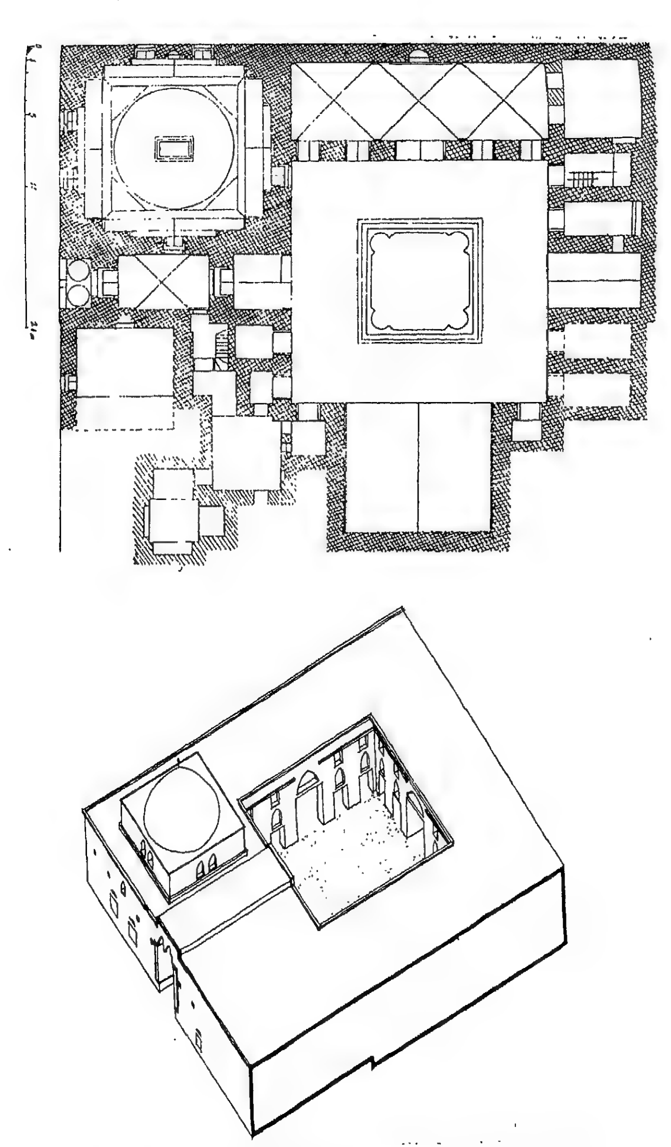
(شكل ٨٠) مسقط أفقي لمدرسة الفردوس في حلب (عن : كريزول) .



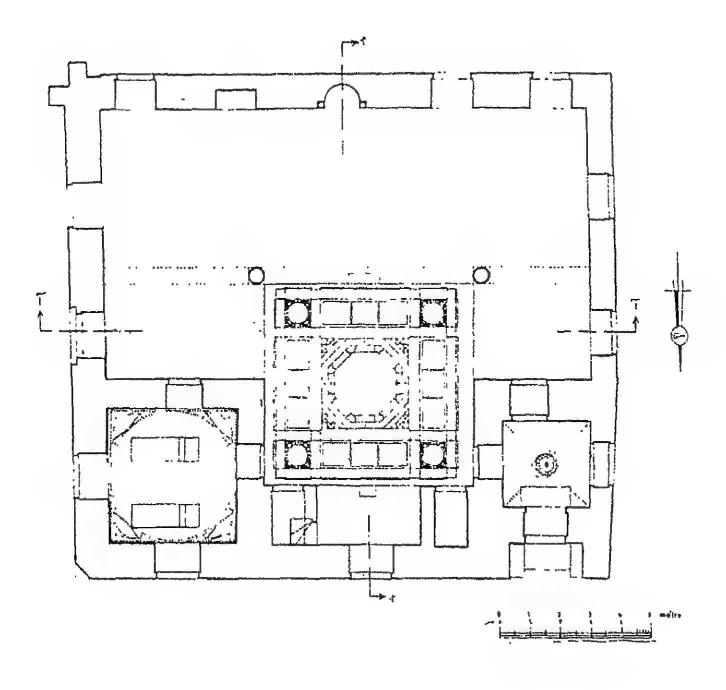
(شكل ٨١) مدرسة الفردوس في حلب . (عن : هيلنبراند) .



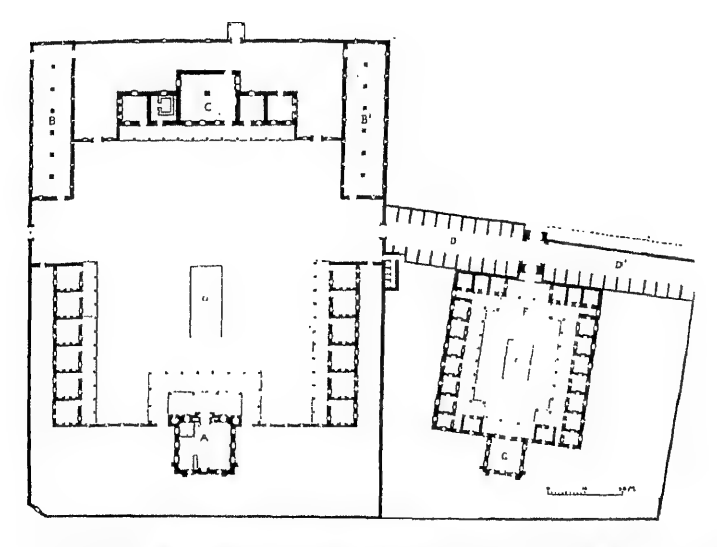
(شكل ٨٢) المدرسة السلطانية في حلب (عن : هيلنبراند) .



(شكل ٨٣) المدرسة العادلية في دمشق (اعلي) (عن : الريحاوي)
(أسفل) (عن:هيلنبراند) .

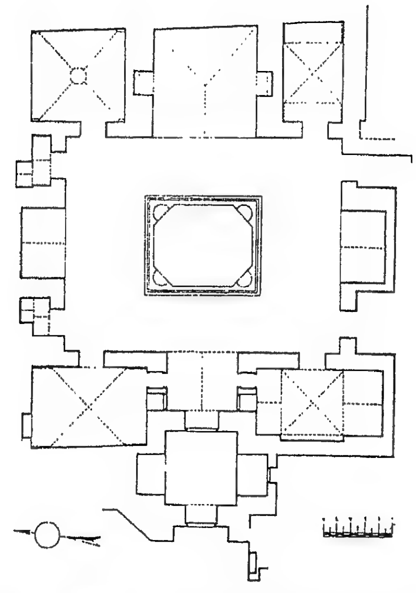


(شكل ٨٤) مسقط أفقي للخانقاة والتربة المعروفة بالمدرسة الجقمقية في دمشق (عن : الريحاوي) .

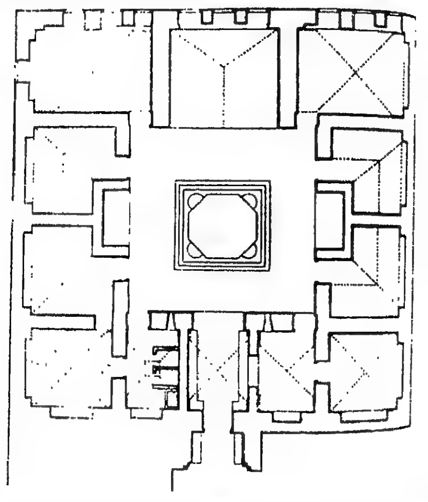


(شكل٨٥) مسقط أفقي للتكية والمدرسة السليمانيتان بدمشق (عن : فلزنجروفتزنجر) .

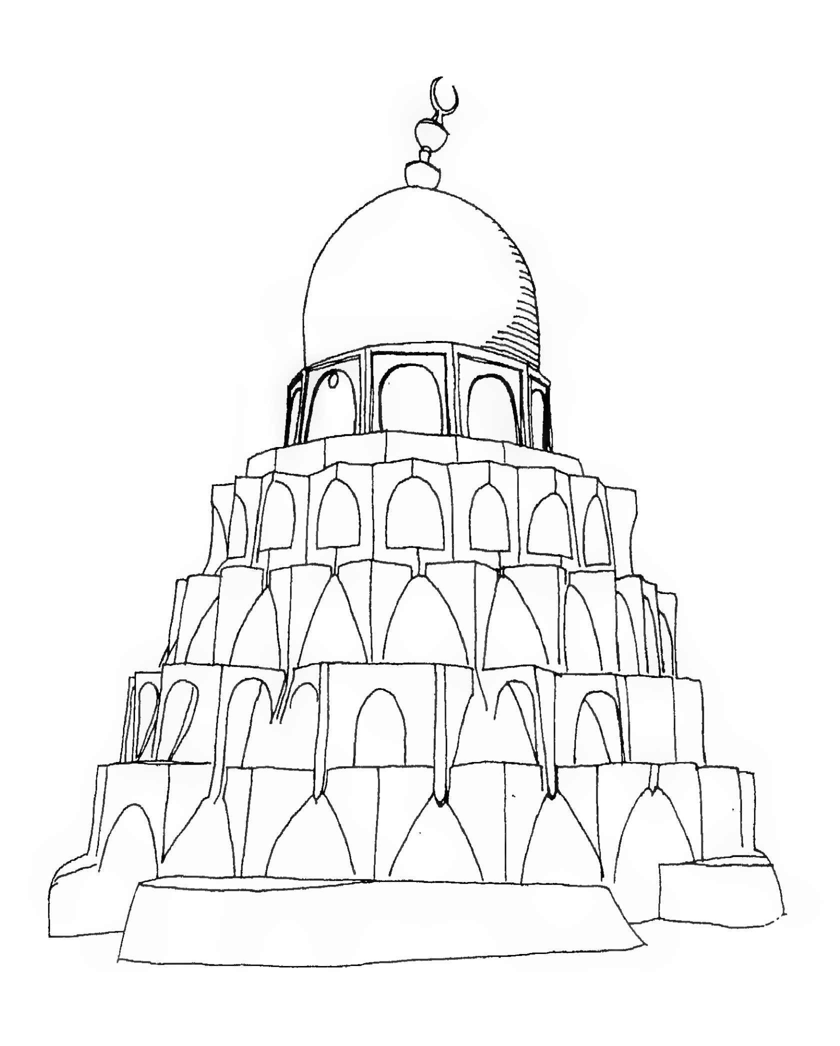
(شكل٨٦) مسقط أفقي لمدرسة عبد الله باشا العظم (في الطريق بين المدرسة النورية وقصر العظم) بدمشق ١١٩٣هـ/١٧٧٩م .



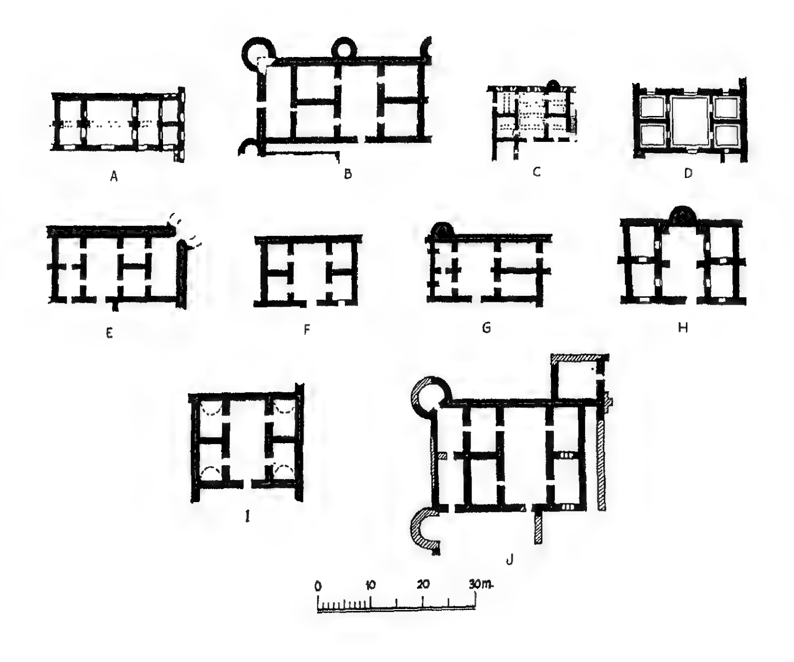
(شكل٨٧) مسقط أفقي للبيمارستان النوري في دمشق (عن : الريحاوي) .



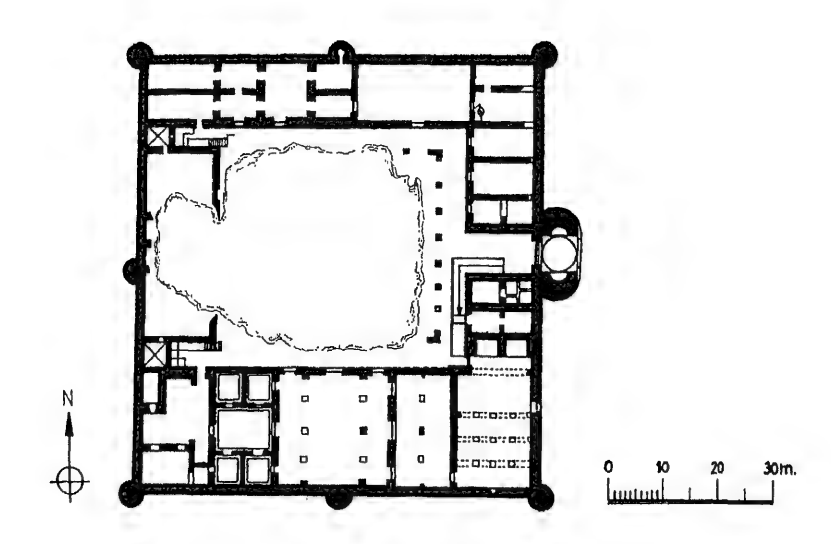
(شكل ٨٨) مسقط أفقي للبيمارستان القيمري في دمشق (عن: الريحاوي) .



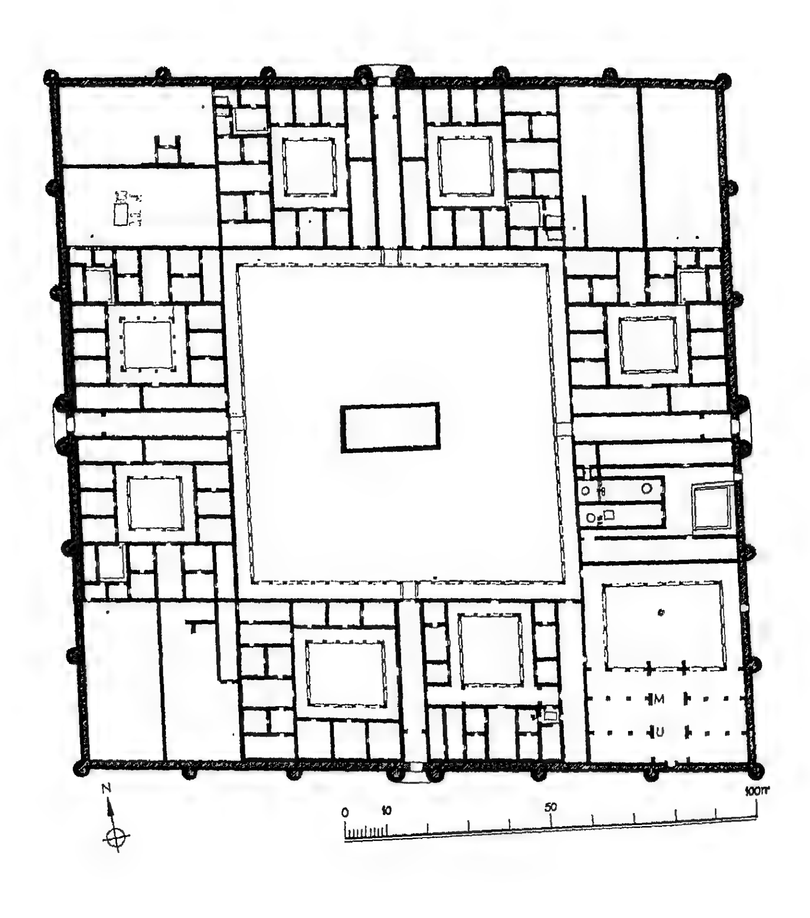
(شكل ٨٩) القبة النورية في دمشق (القبة المقرنصة)
(عن : هيلنبراند)



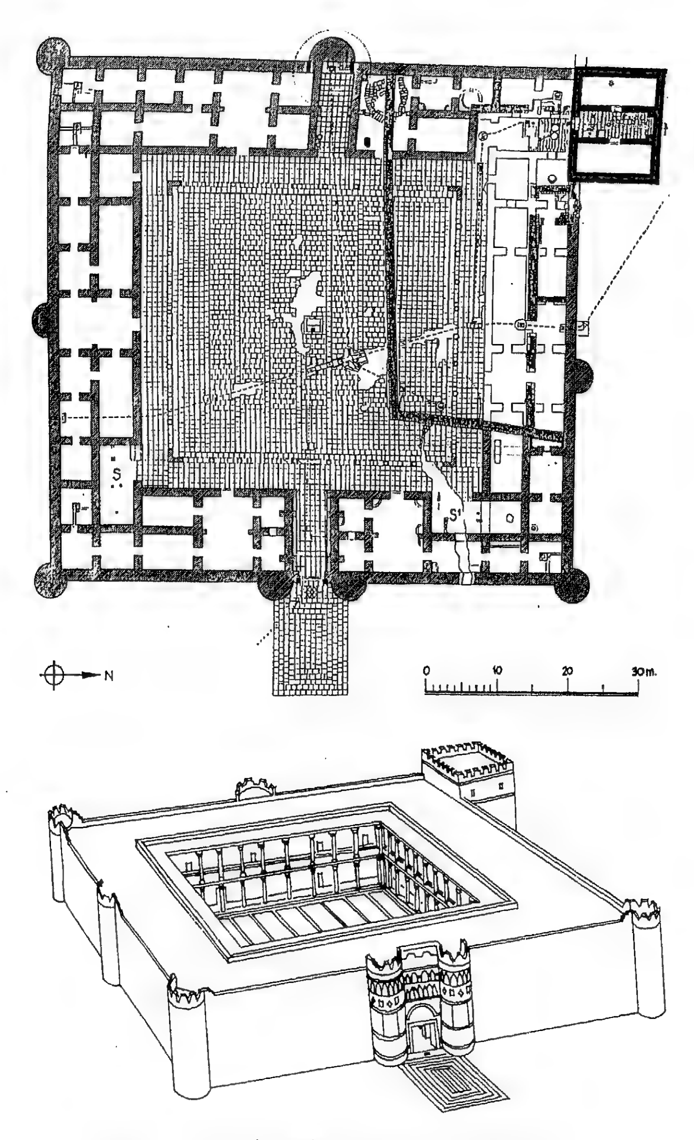
(شكل٩٠) أنماط البيوت الشامية : A بصري ، B القسطل، C حرانة ، D المنية ، E جبل سيس ، F عنجر (عين الجار) ، G قصر الحير الغربي ، H خربة المفجر، I المشتي، J قصر الطوبة (عن : كريزول) .



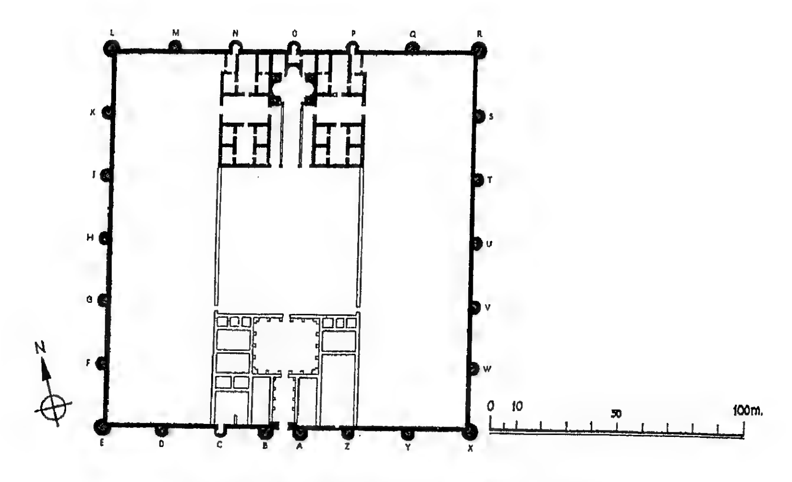
(شكل٩١) مسقط أفقي لقصر الوليد بن عبد الملك المعروف
بقصر المنيه (عن : كريزول) .



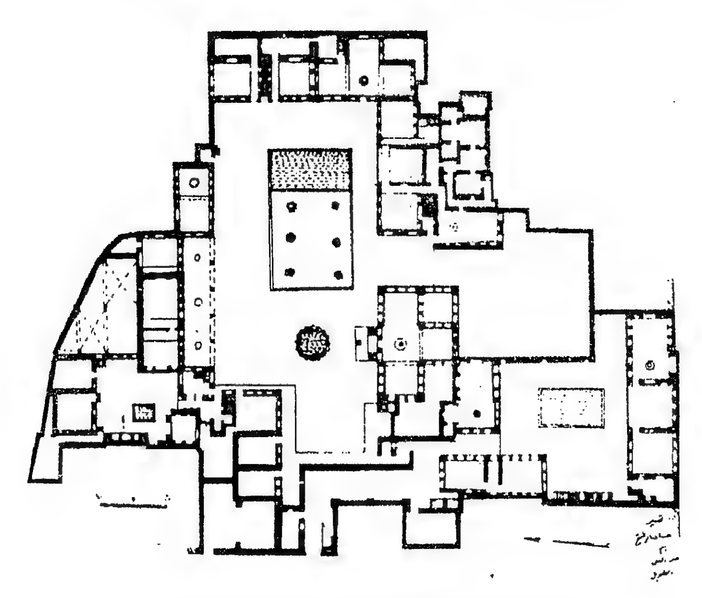
(شكل٩٢) مسقط أفقي لقصر الحير الشرقي :تصور جرابار
(عن : كريزول) .



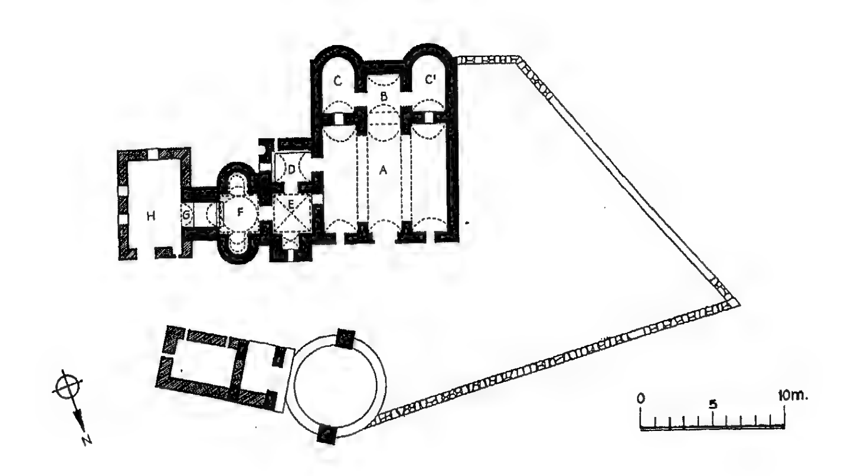
(شكل٩٣) قصر الحير الغربي : مسقط أفقي (أعلي) (عن : كريزول)
(واسفل) (عن : هيلنبراند) .



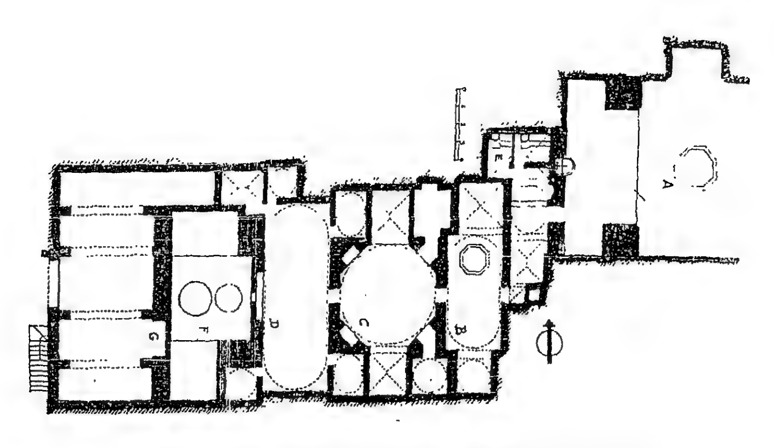
(شكل٩٤) مسقط أفقي لقصر المشتي .(عن :كريزول).



(شكل٩٥) مسقط أفقي لقصر العظم في دمشق .
(الطابق الأرضي) (عن : الريحاوي) .

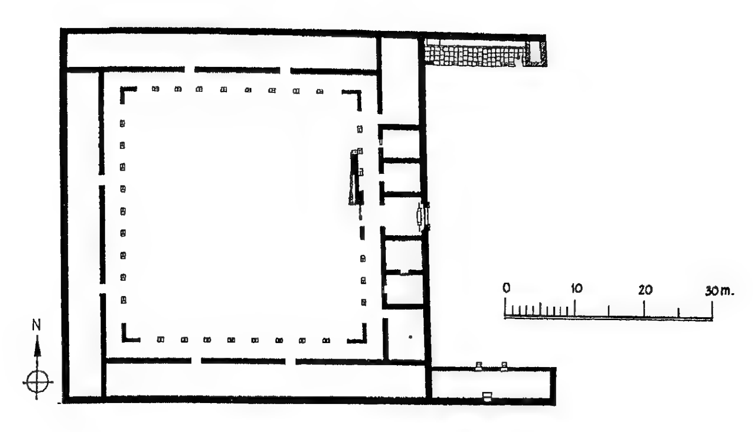


(شكل٩٦) مسقط أفقي لحمام قصير عمره . (عن : كريزول) .

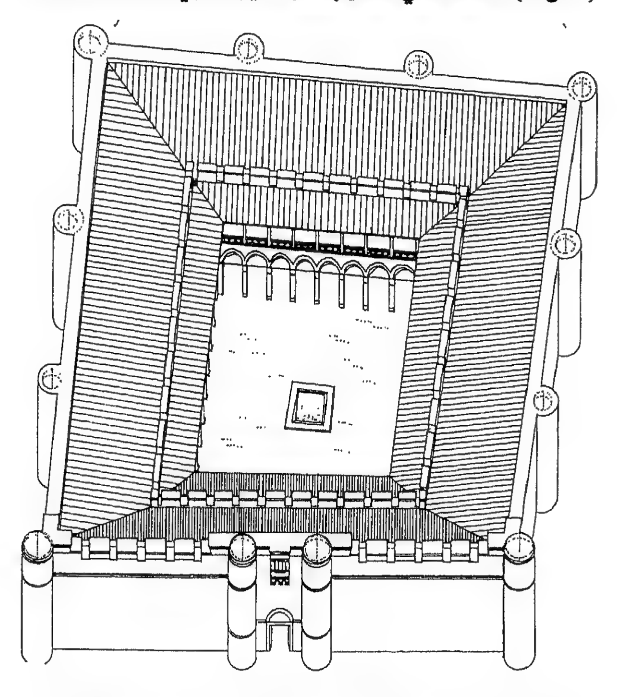


(شكل ٩٧) مسقط أفقي لحمام الملك بدمشق . (عن : ايكوشار) .

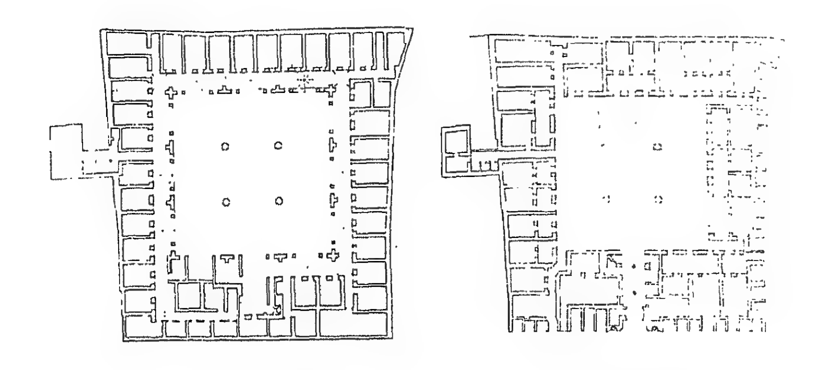
(شكل ٩٨) مسقط أفقي لحمام السنانية بدمشق . (عن : ايكوشار) .



(شكل٩٩) مسقط أفقي للخان بقصر الحير الغربي . (عن : كريزول) .

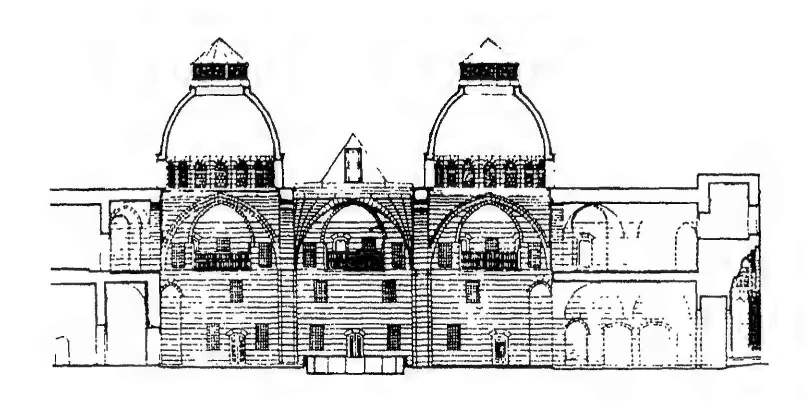


(شكل ٩٩مكرر) قصر الحير الشرقي : الخان . (عن : هيلنبراند) .



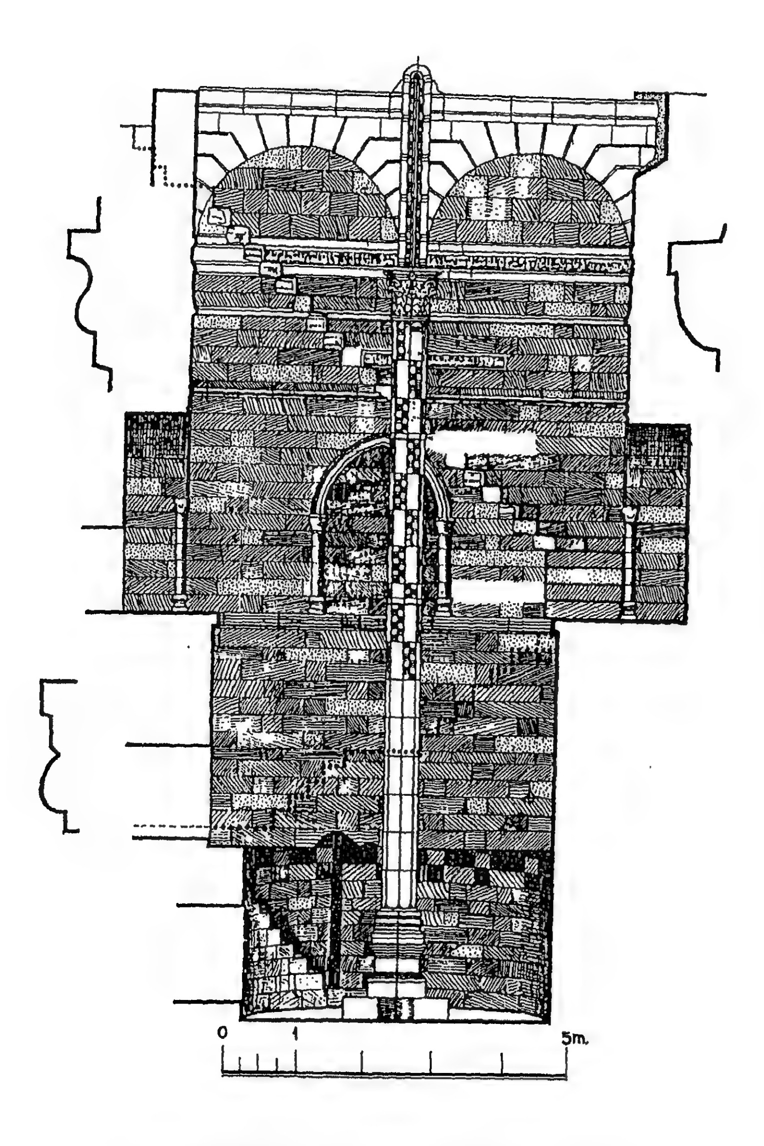
مسقط الطابق الارضي

مسقط الطابق الاول

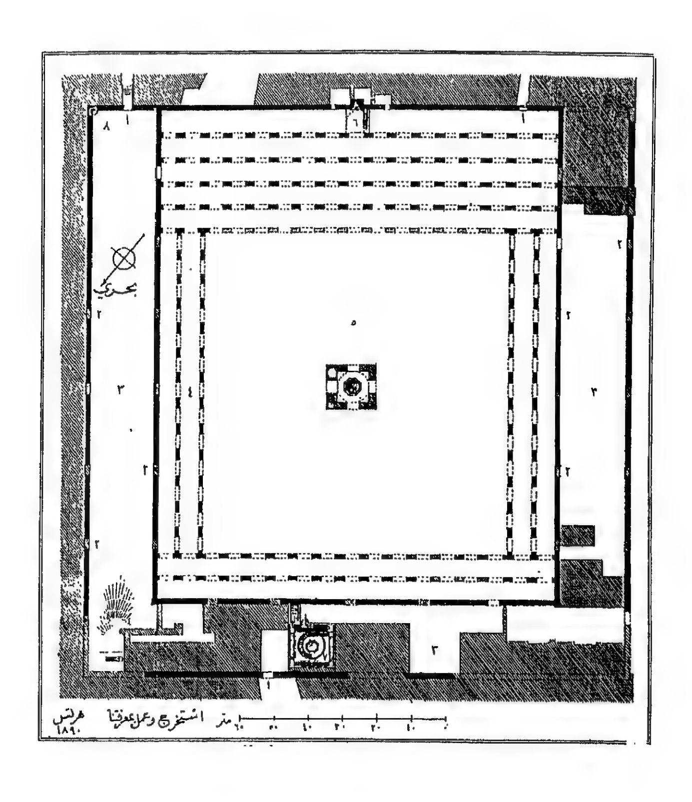


قطاع

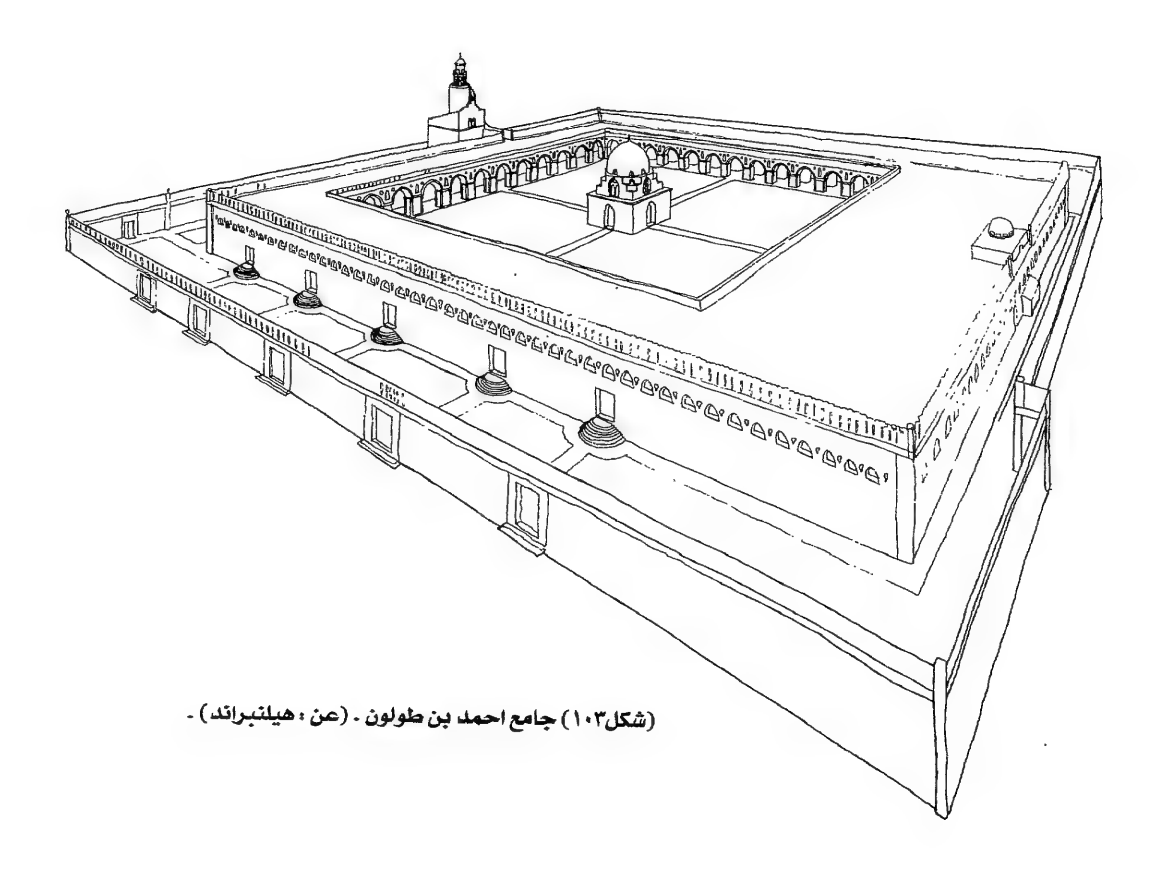
قطاع (شكل١٠٠) خان اسعد باشا العظم في دمشق . (عن: الريحاوي) .



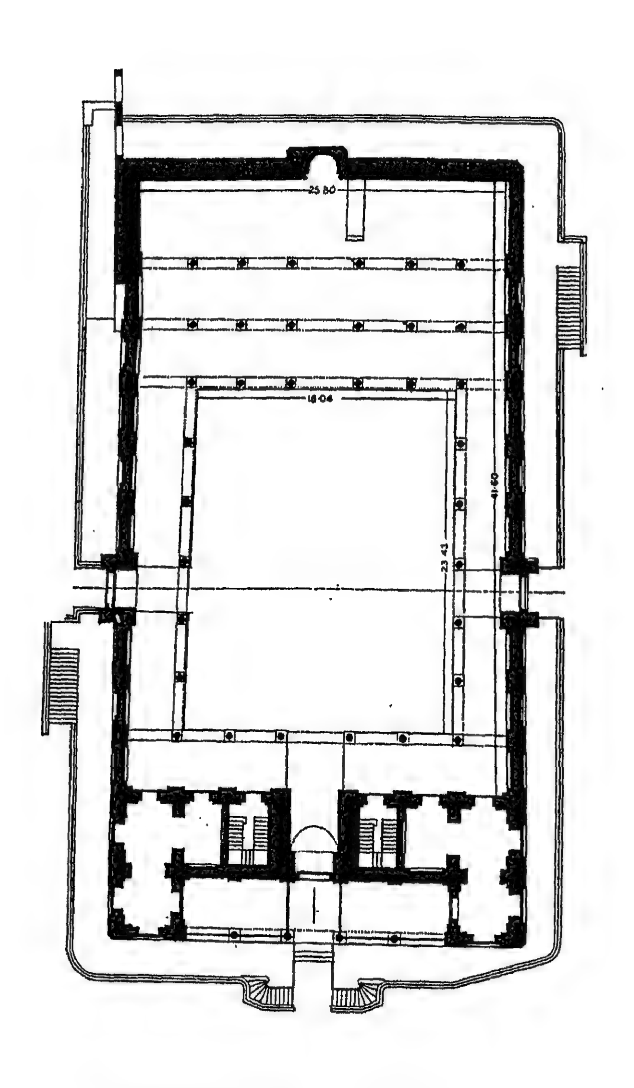
(شكل ١٠١) مقياس النيل بجزيرة الروضة بالقاهرة : قطاع .
(عن : كريزول) .



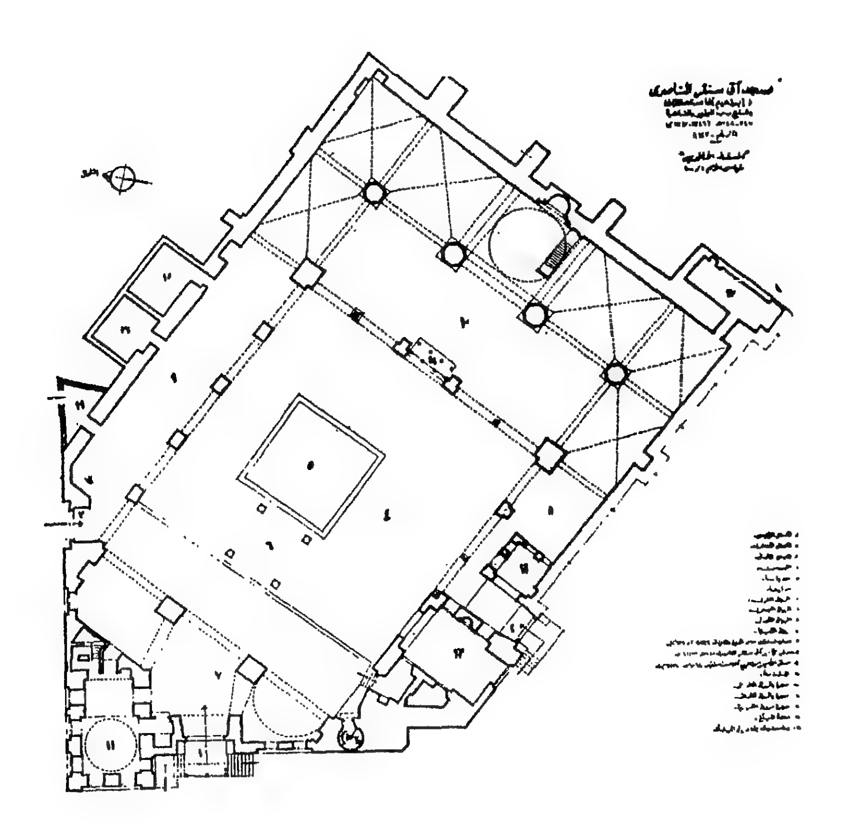
(شكل ١٠٢) مسقط أفقي لجامع أحمد بن طولون بالقاهرة
(عن لجنة حفظ الآثار العربية) .



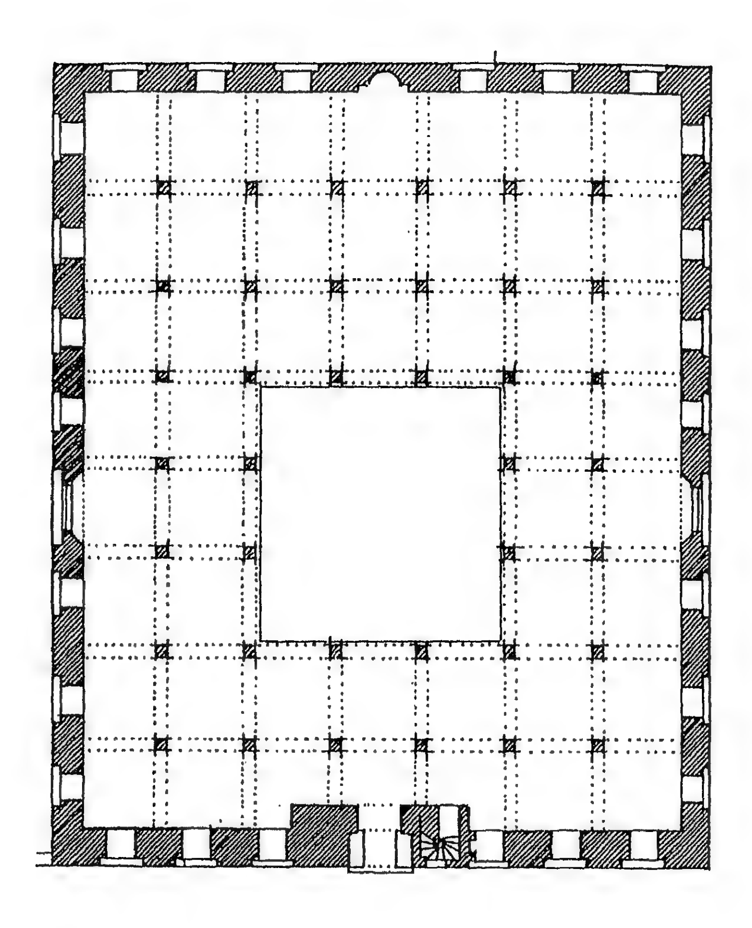
(شكل١٠٣) جامع احمد بن طولون . (عن : هيلنبراند) .



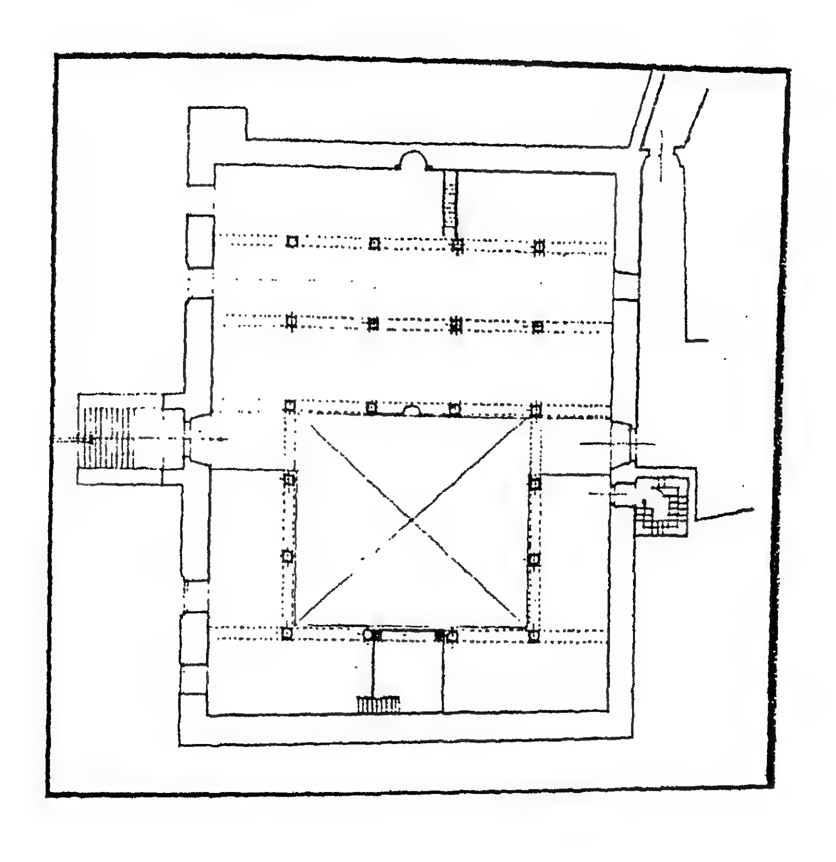
(شكل ١٠٤) مسقط أفقي لمسجد الصالح طلائع بالقاهرة .
(عن : لمسجد براندنبرج) .



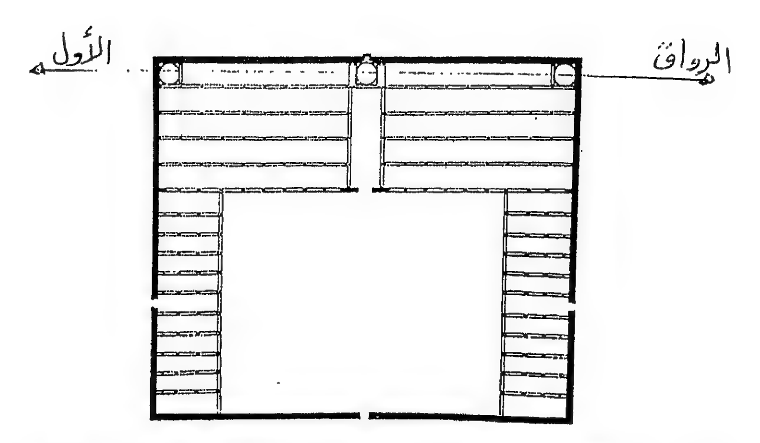
(شكل ١٠٥) مسقط أفقي لمسجد آق سنقر المعروف بالجامع الأزرق بالقاهرة.
(عن سامي عبد الحليم).



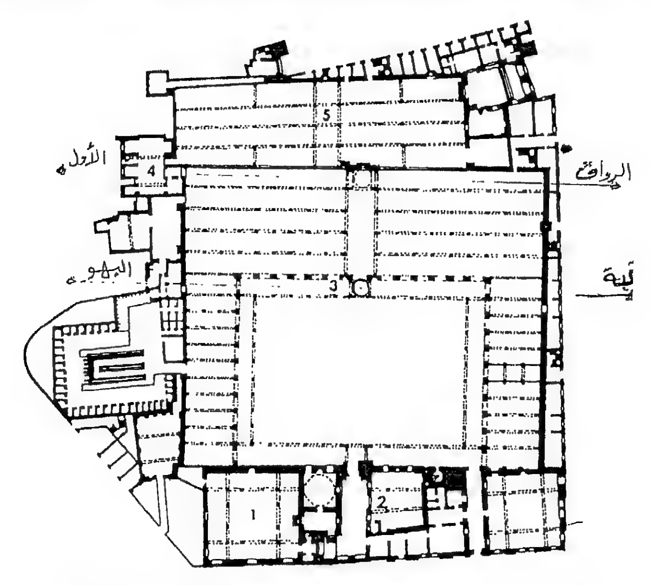
(شكل ١٠٦) مسقط أفقي لمسجد القاضي يحيي زين الدين ببولاق بالقاهرة
(عن : هوتكيروفييت) .



(شكل ١٠٧) مسقط أفقي لجامع عثمان كتخدا (الكخيا) بالقاهرة .
(عن حسن عبد الوهاب) .

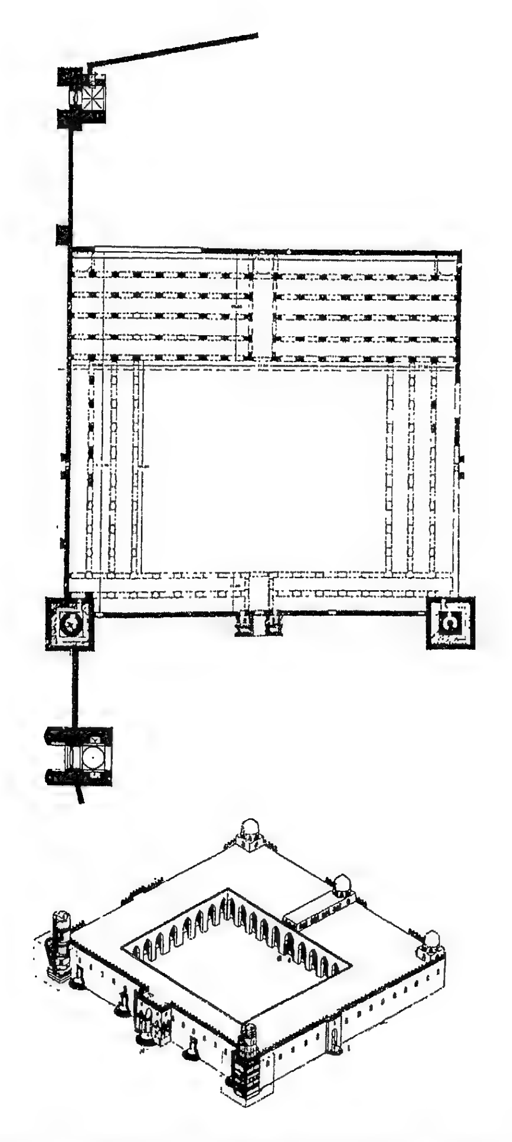


(شكل ١٠٨) مسقط أفقي للجامع الأزهر في مرحلة إنشائه الاولي بالقاهرة (عن : هوج) .

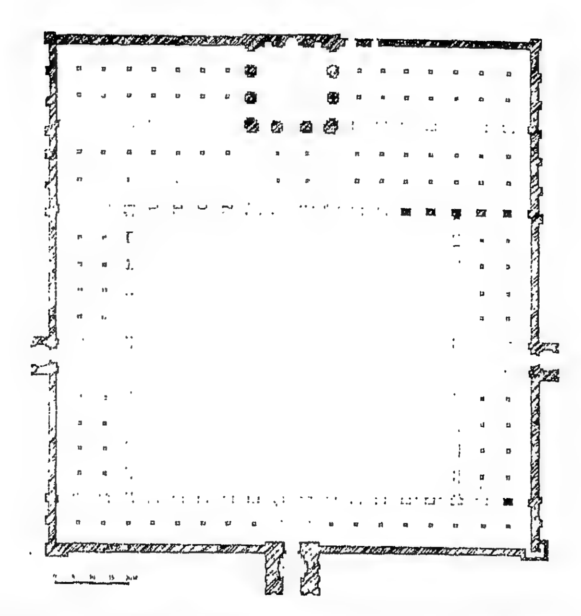


(شكل ١٠٨ مكرر) مسقط أفقي للجامع الأزهر الحالي . (عن : كريزول) .

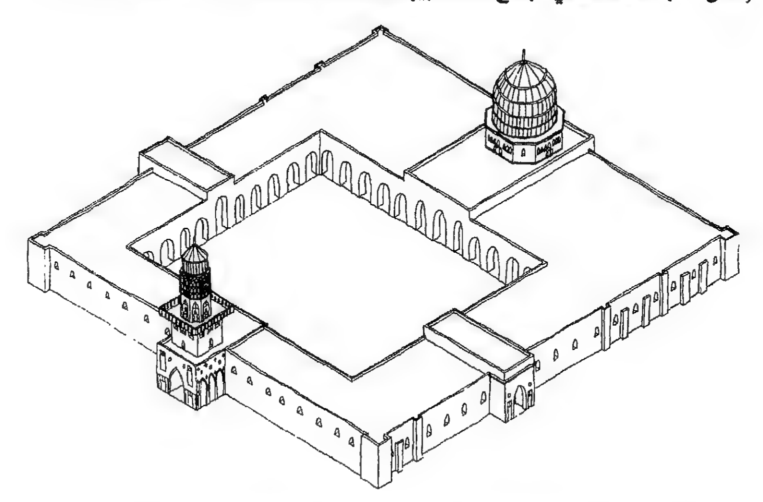
١ - المدرسة الاقبغاوية .
٢ - المدرسة الطيبرسية .
٣ - زيادة الخليفة الحافظ لدين الله .
٤ - المدرسة الجوهرية .
٥ - زيادة عبد الرحمن كتخدا .



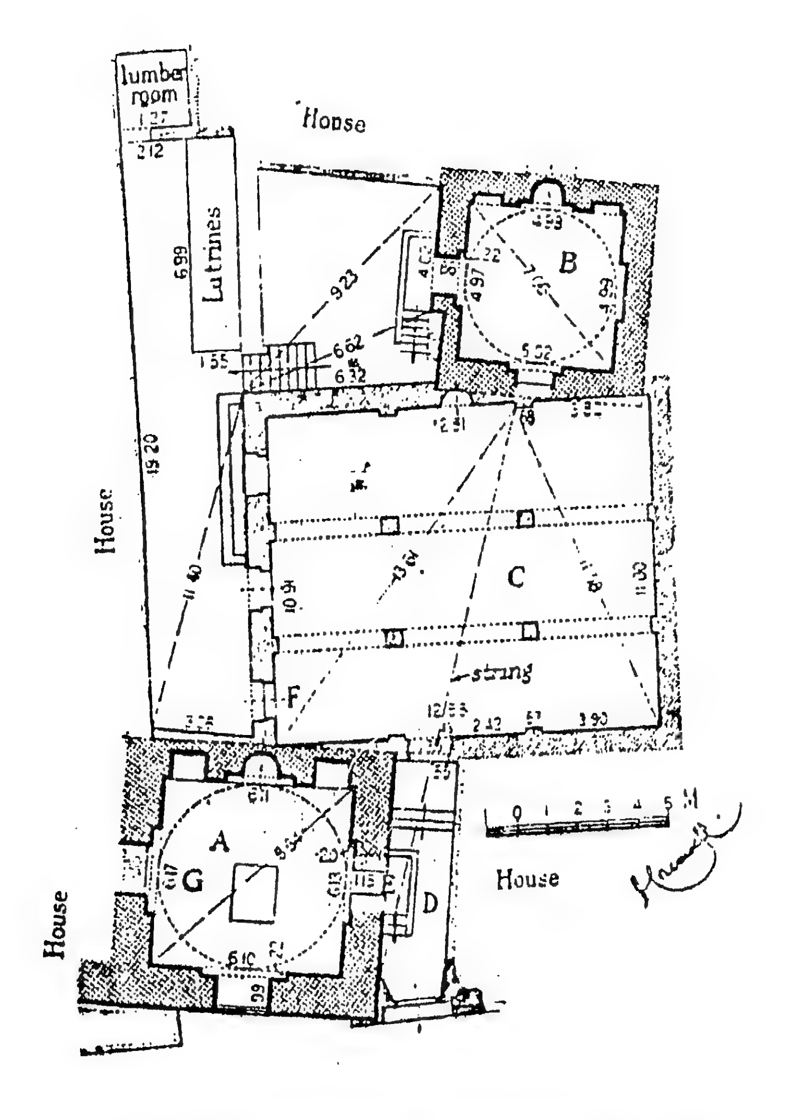
(شكل ١٠٩) مسقط أفقي ومنظور لجامع الحاكم بأمر الله الفاطمي . (عن : صالح لمعي) .



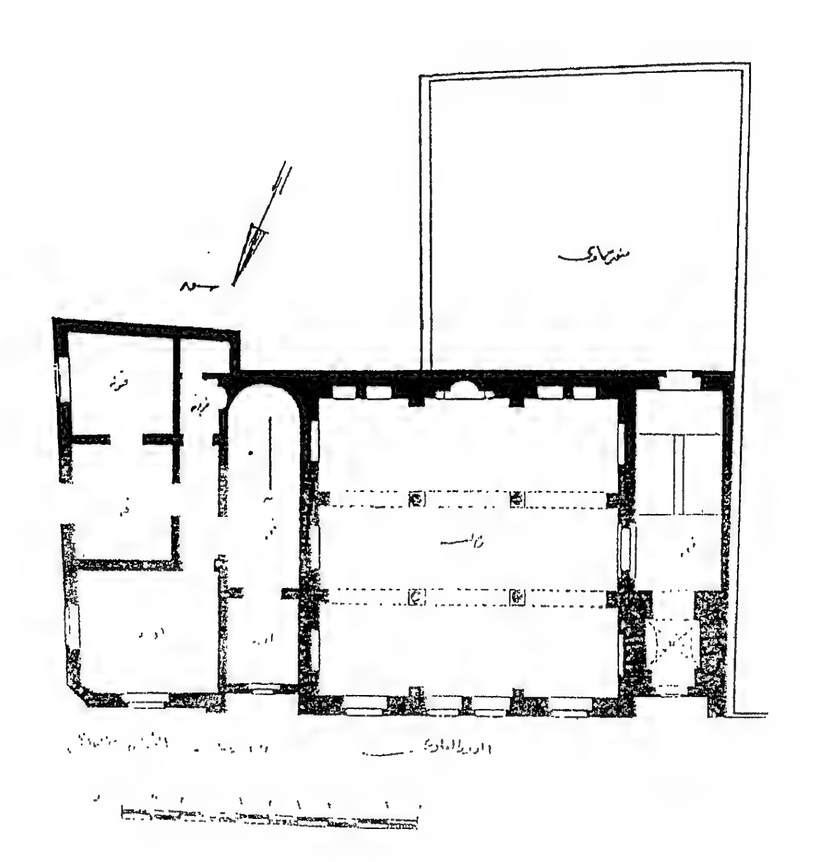
(شكل١١٠) مسقط أفقي لجامع الظاهر بيبرس بحى الظاهر بالقاهرة . (عن : آصلان آبا) .



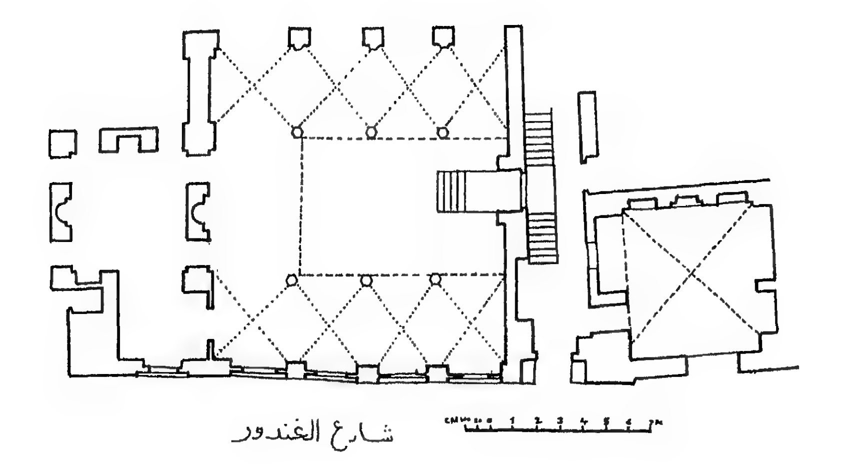
(شكل١١١) جامع الظاهر بيبرس بحي الظاهر بالقاهرة .(عن : هيلنبراند) .



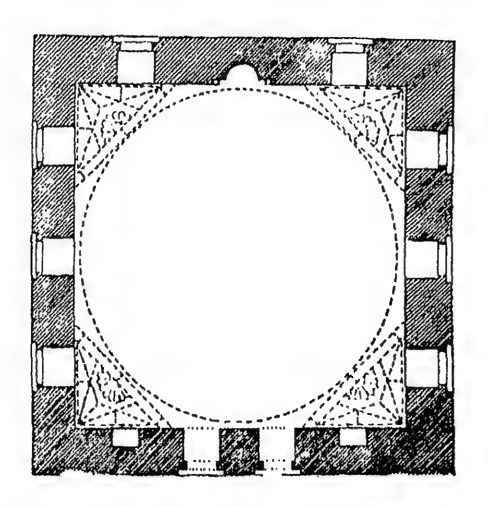
(شكل١١٢) مسقط أفقي للمدرسة البندقدارية بالقاهرة . (عن : كريزول) .



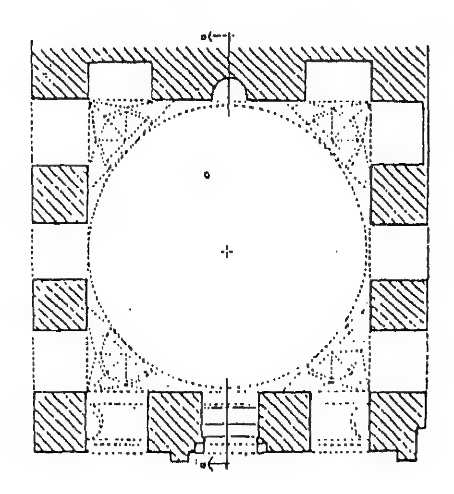
(شكل١١٣) مسقط أفقي لجامع مراد باشا بالقاهرة .



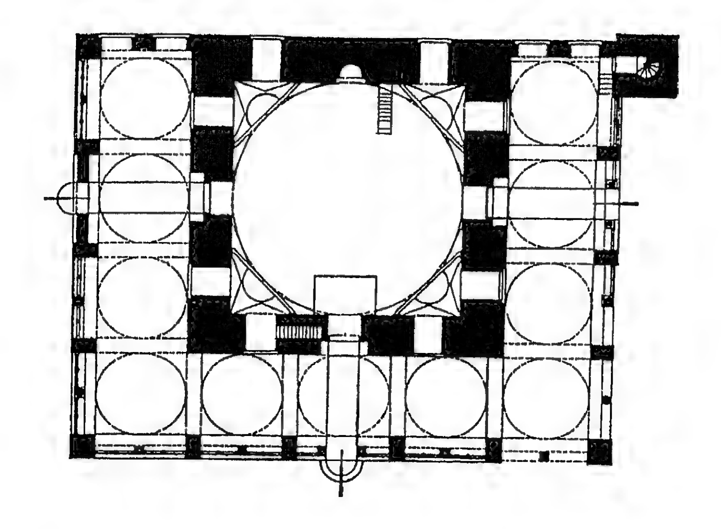
(شكل ١١٤) مسقط أفقي لجامع التي برمق بالقاهرة .



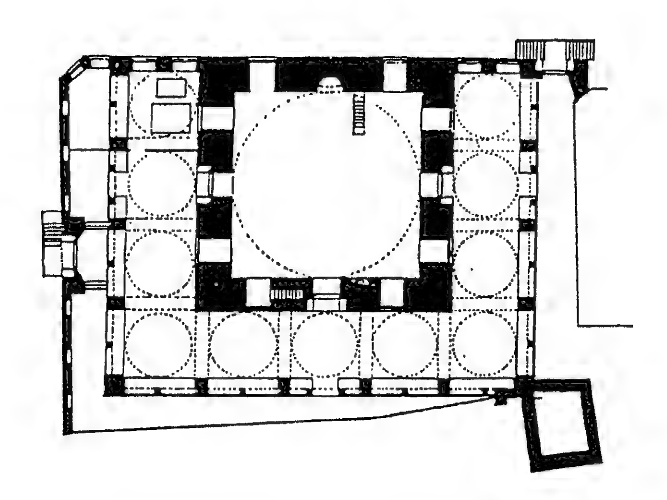
(شكل ١١٥) مسقط أفقي لزاوية الاحمدية الرفاعية المعروفة بقبة معبد الرفاعي (بقرافة صحراء المماليك بالقاهرة) .



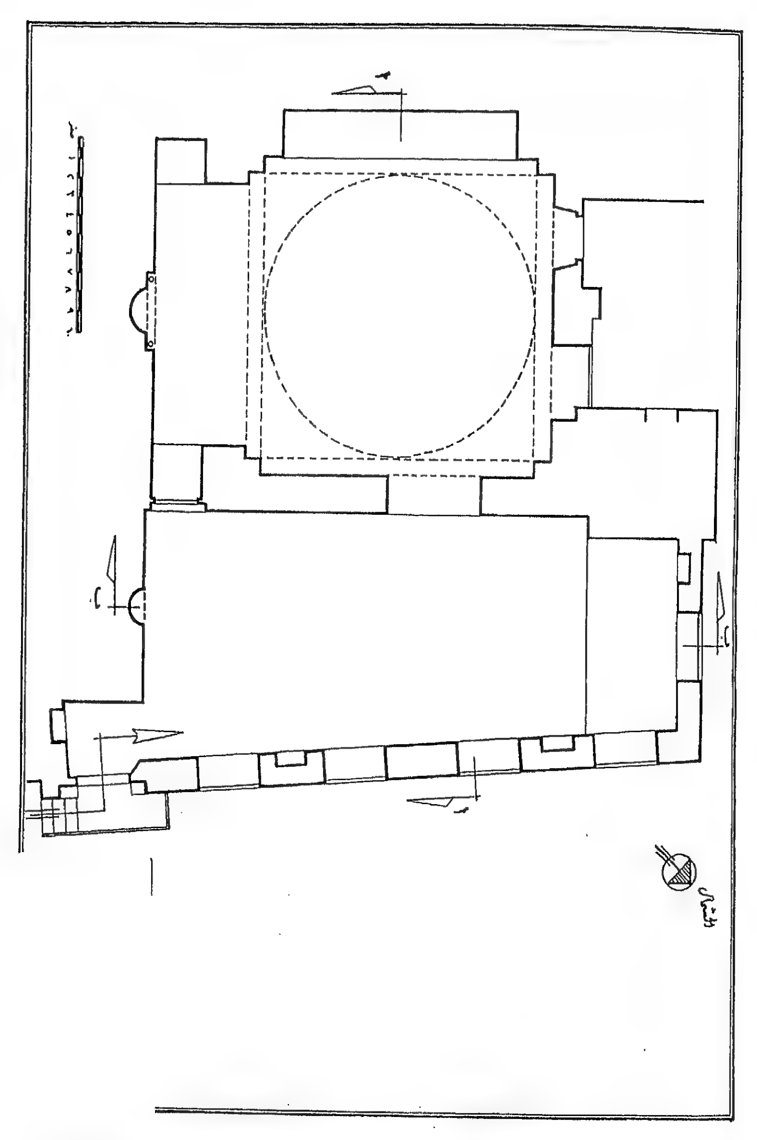
(شكل ١١٦) مسقط أفقي لزاوية الدمرداش بالعباسية (عن : درويس أبو سيف) .



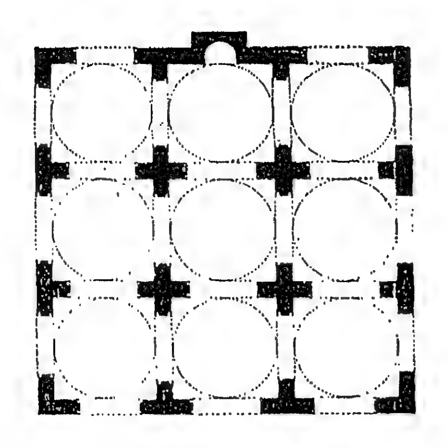
(شكل ١١٧) مسقط أفقي لجامع السنانية ببولاق بالقاهرة (عن : Brandenburg) .



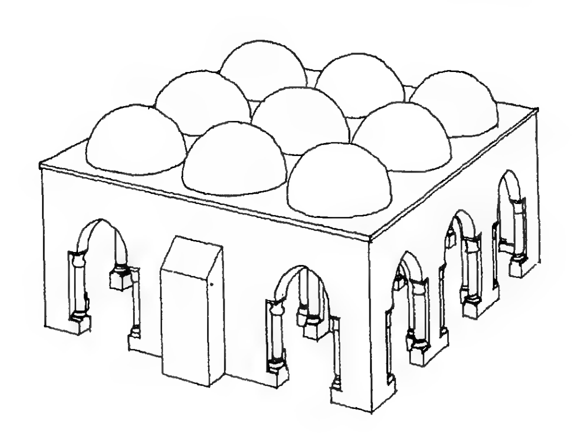
(شكل ١١٨) مسقط أفقي لجامع أبو الدهب تجاه الأزهر بالقاهرة
(عن لجنة حفظ الآثار بالقاهرة) .



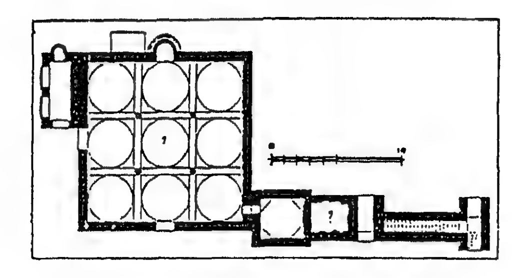
(شكل ١١٩) مسقط أفقي لجامع أحمد كتخدا العزب خلف باب العزب بقلعة القاهرة .



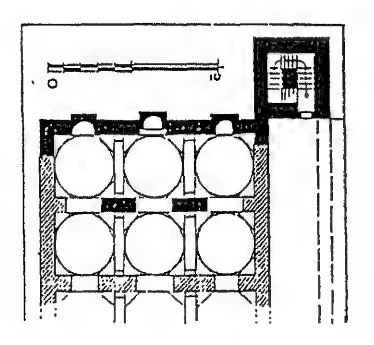
(شكل ١٢٠) مسقط أفقي لمشهد آل طباطبا بعين الصيرة جنوب القاهرة
(عن : Creswell) .



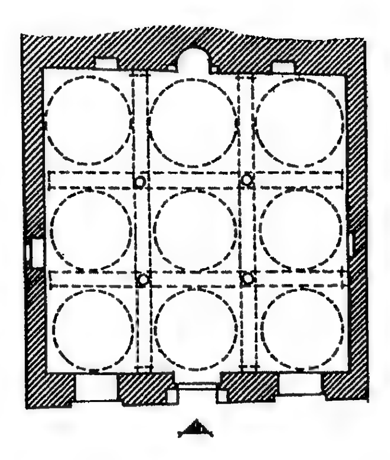
(شكل ١٢١) مشهد آل طباطبا :
(عن:هيلنبراند) .



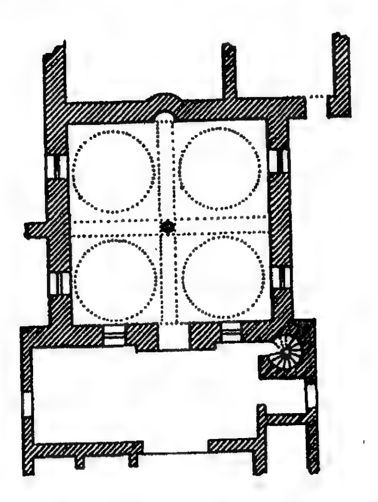
(شكل ١٢٢) مسقط أفقي لمشهد السبع وسبعين ولي باسوان جنوب مصر (عن : Villard) .



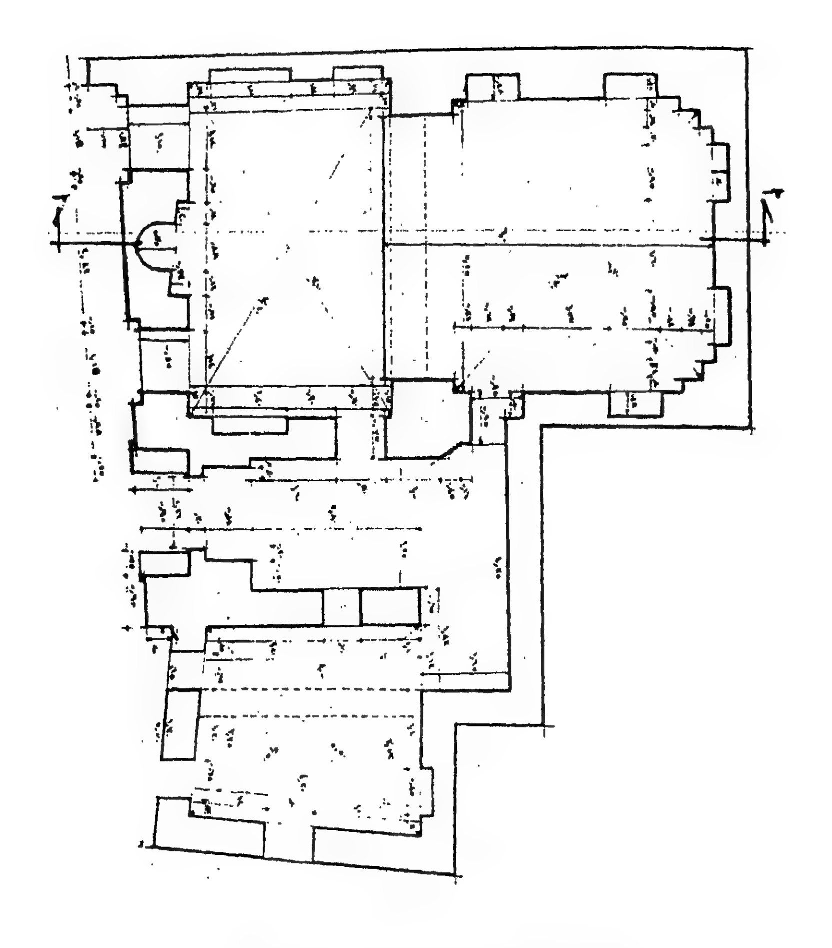
(شكل ١٢٣) مسقط أفقي للمشهد القبلي باسوان (عن : Villard) .



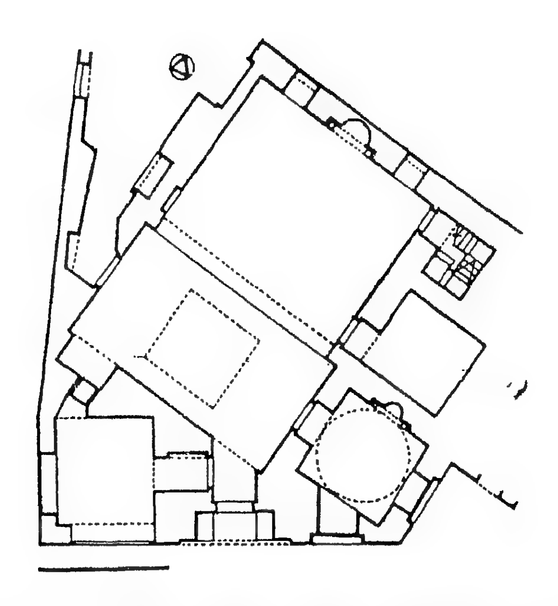
(شكل ١٢٤) مسقط أفقي لجامع عابدي بك بمصر القديمة جنوب القاهرة . (عن : Herz pascha) .



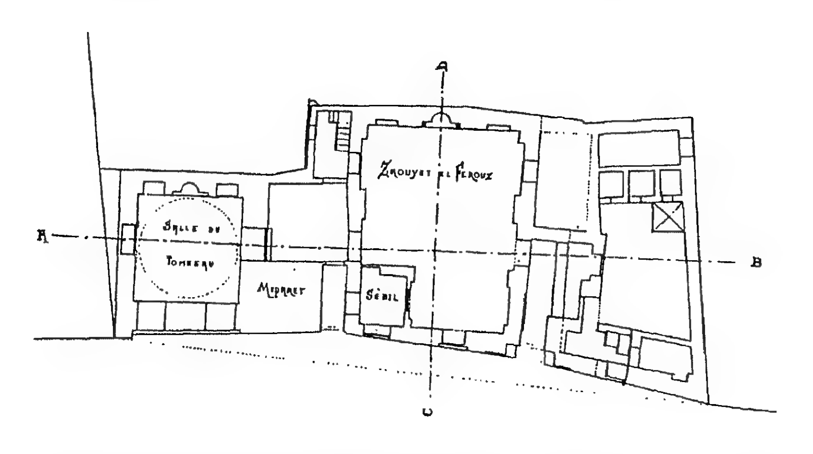
(شكل ١٢٥) مسقط أفقي لمسجد مصطفي بك بن بنت غزال المعروف بمسجد أبو علي بحي الجمرك بالأسكندرية (عن : Herz pascha) .



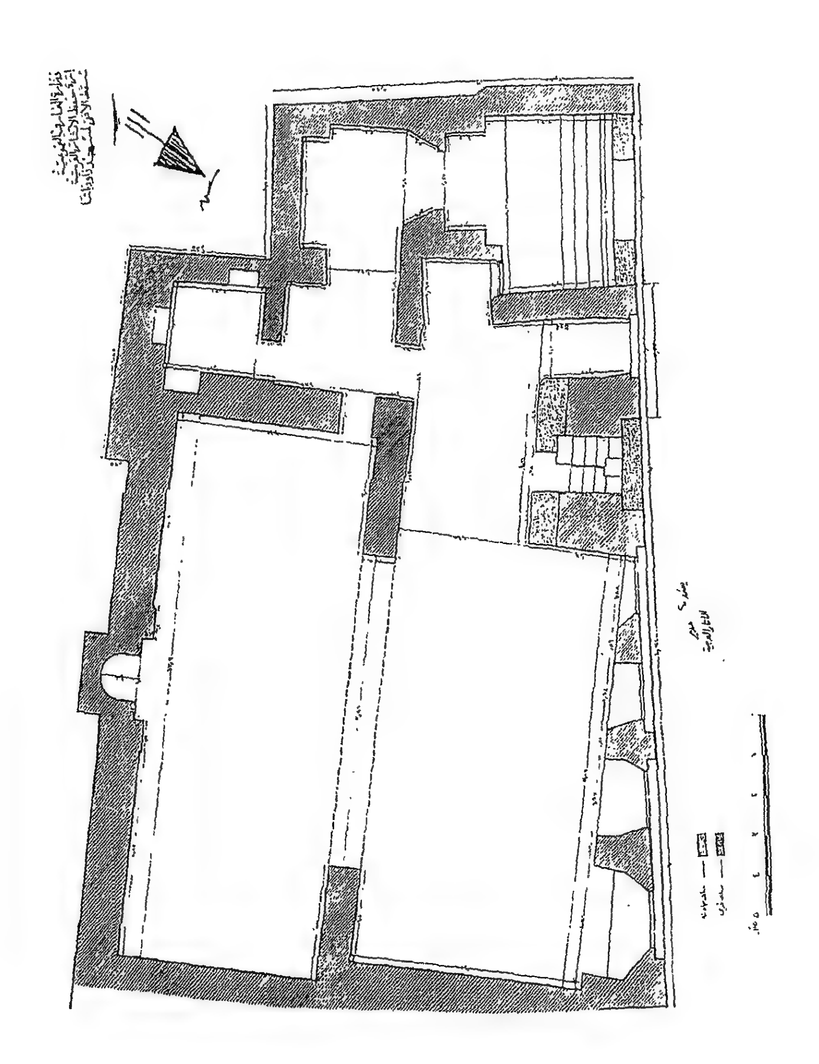
(شكل ١٢٦) مسقط أفقي لمدرسة قطلوبغا الذهبي بالقاهرة (عن أمال العمري) .



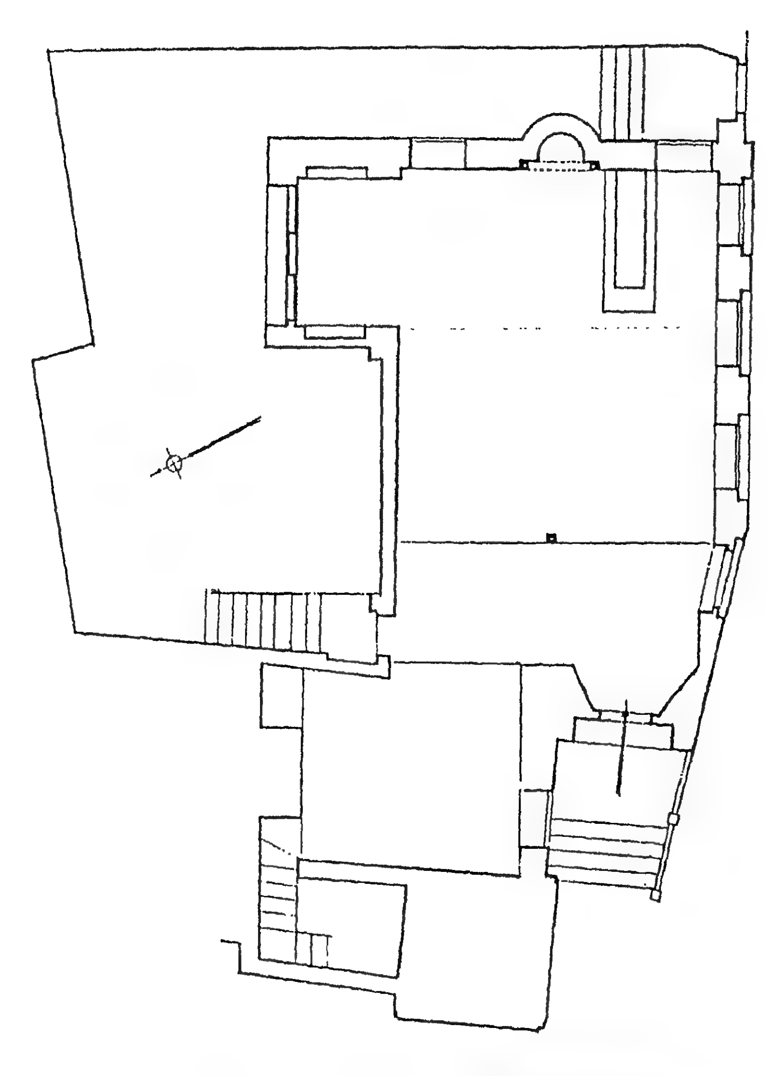
(شكل ١٢٧) مسقط أفقي لمدرسة أيتمش البجاسي بالقاهرة . (عن صالح لمعي) .



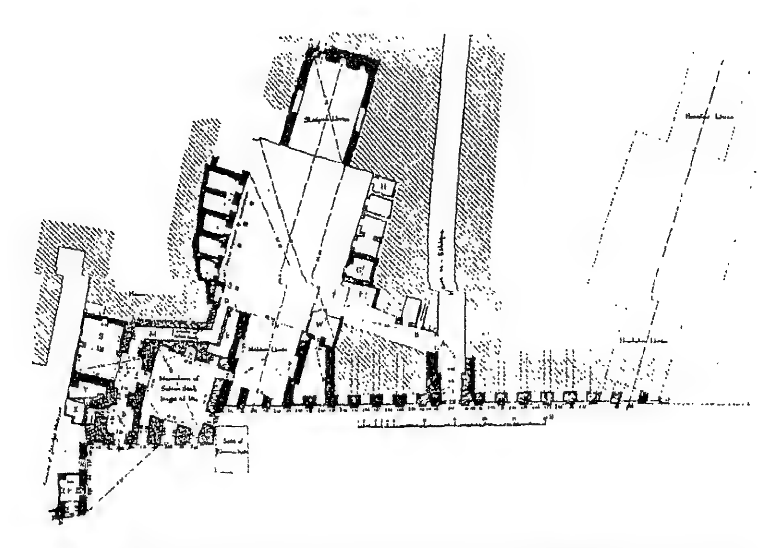
(شكل ١٢٨) مسقط أفقي لمدرسة فيروز الساقي بالقاهرة (عن المجلس الأعلي للآثار) .



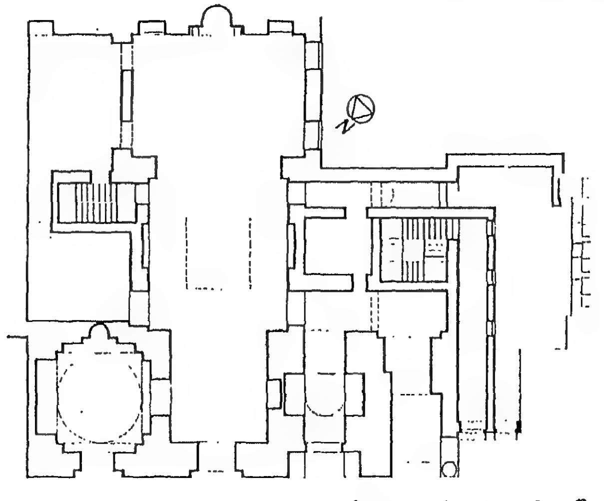
(شكل ١٢٩) مسقط أفقي لجامع داود باشا بالقاهرة .



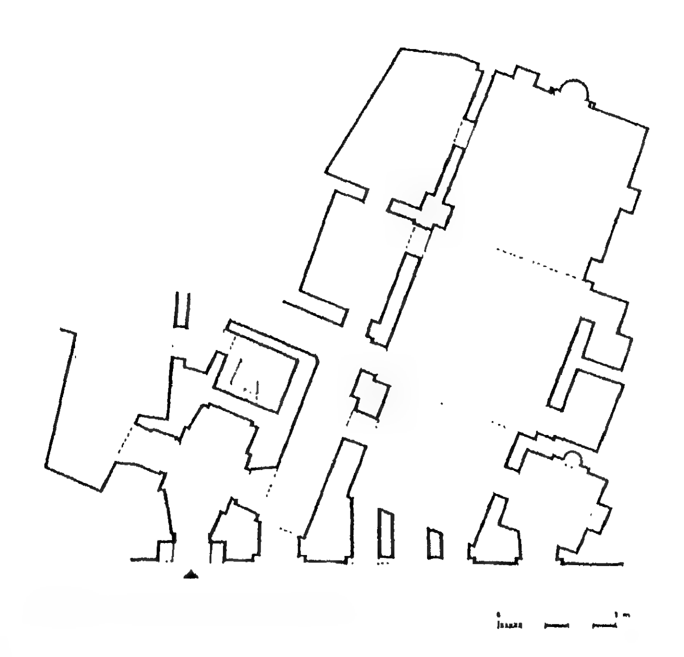
(شكل ١٣٠) مسقط أفقي لجامع البرديني بالقاهرة .



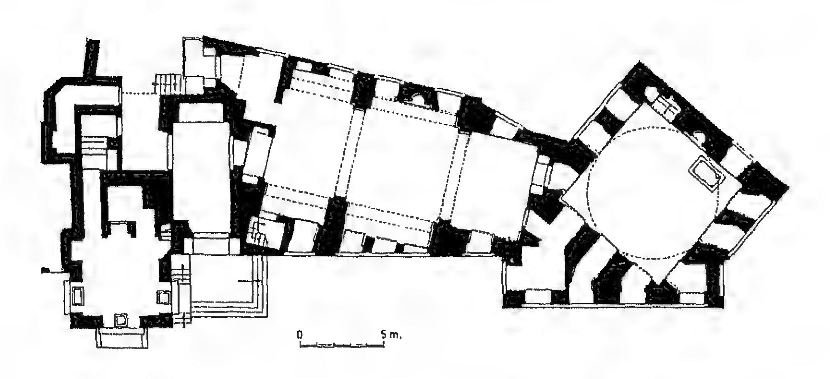
(شكل ١٣١) مسقط أفقي لبقايا مدرسة (المدرسة الشمالية) الصالح نجم الدين ايوب بالقاهرة . (عن : Creswell) .



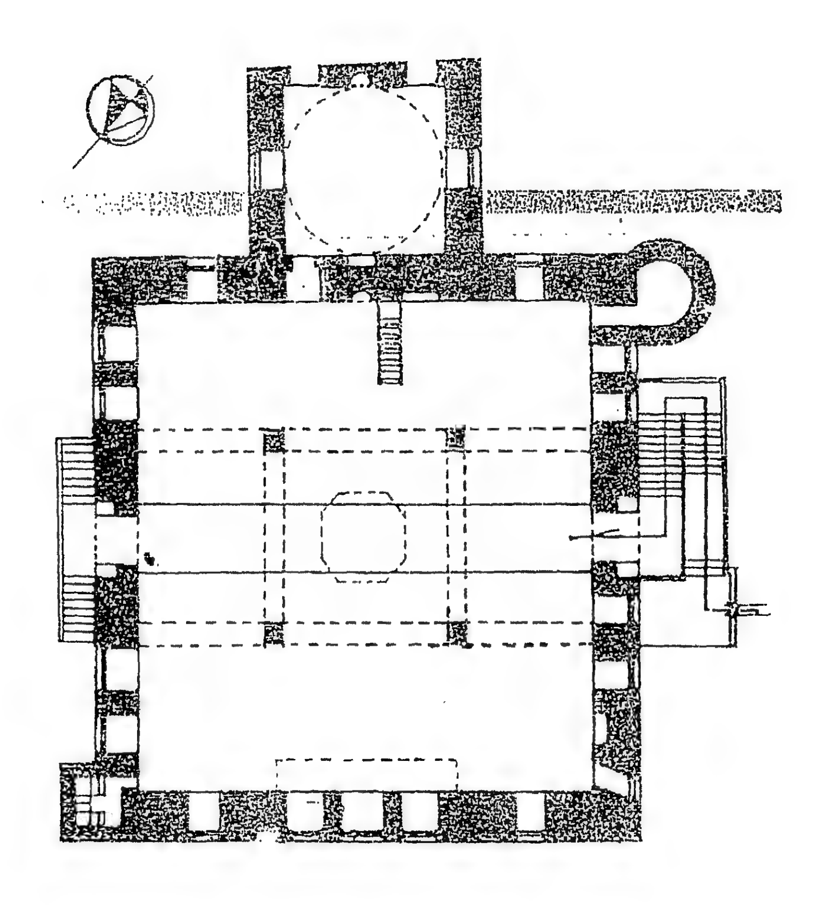
(شكل ١٣٢) مسقط أفقي لمدرسة اينال اليوسفي بالقاهرة (عن صالح لمعي) .



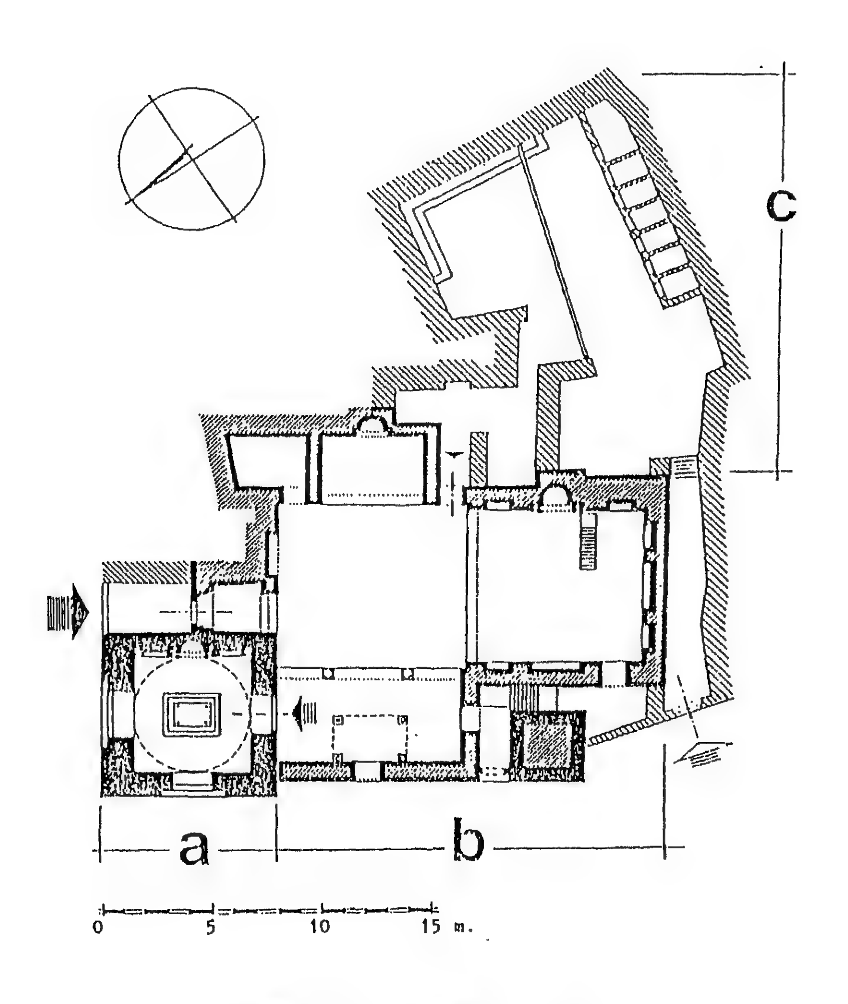
(شكل ١٣٣) مسقط أفقي لمدرسة الأمير جمال الدين محمود الاستادار المعروفة بجامع الكردي بالقاهرة . (عن صالح لمعي) .



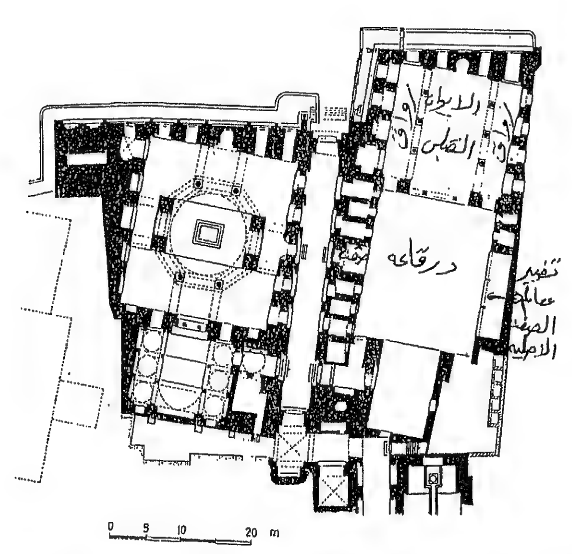
(شكل ١٣٤) مسقط أفقي لمدرسة الأمير خاير بك بباب الوزير بالقاهرة .
(عن : Abouseif) .



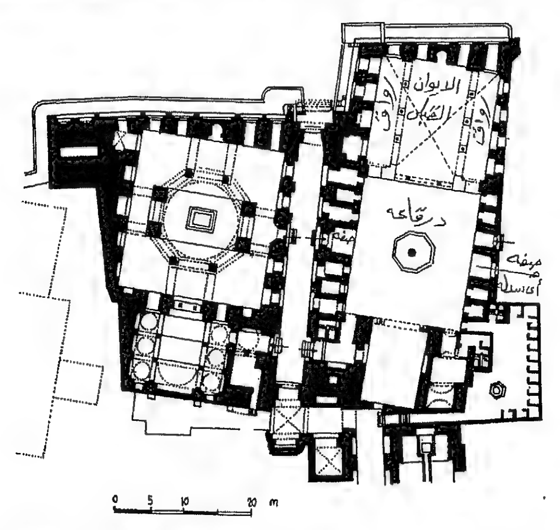
(شكل ١٣٥) مسقط أفقي لجامع المحمودية بالقاهرة
. (عن المجلس الاعلي للآثار) .



(شكل ١٣٦) مسقط أفقي لمدرسة تتر الحجازية
بالقاهرة . (عن المجلس الاعلي للآثار) .

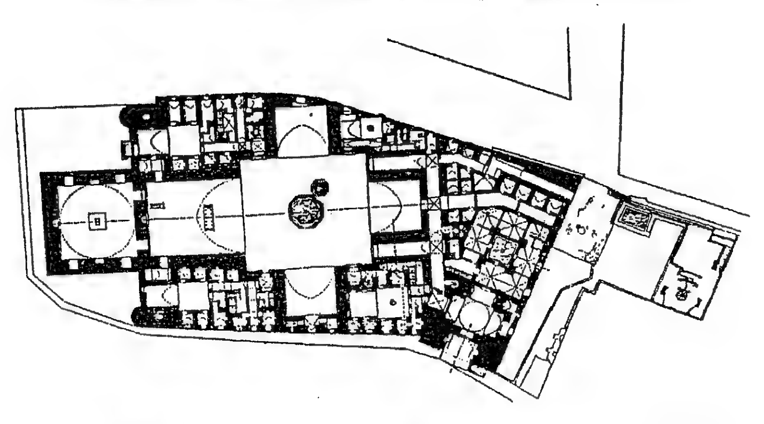


(شكل ١٣٧) مسقط أفقي لمجمع السلطان قلاوون بالقاهرة . (عن : Creswell) .

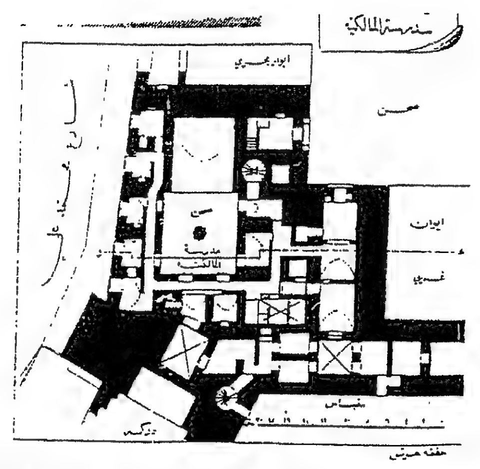


(شكل ١٣٧ مكرر) مسقط أفقي لمدرسة السلطان قلاوون إلى اليمين (المدرسة المنصورية، وقت إنشائها .

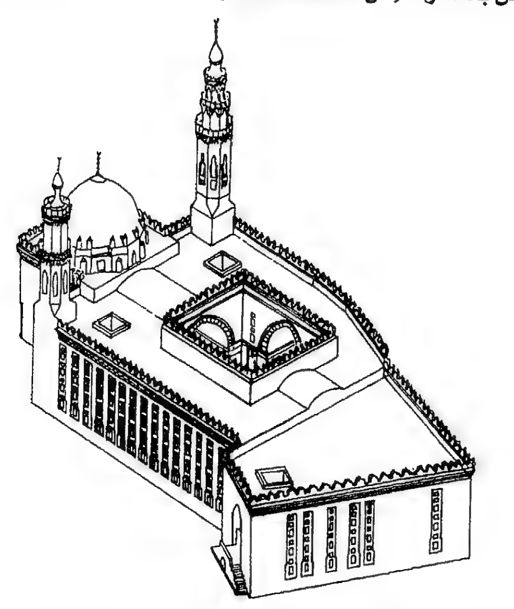
(شكل ١٣٨) مسقط أفقي لمدرسة صرغمتش بالقاهرة (عن Kessler) .



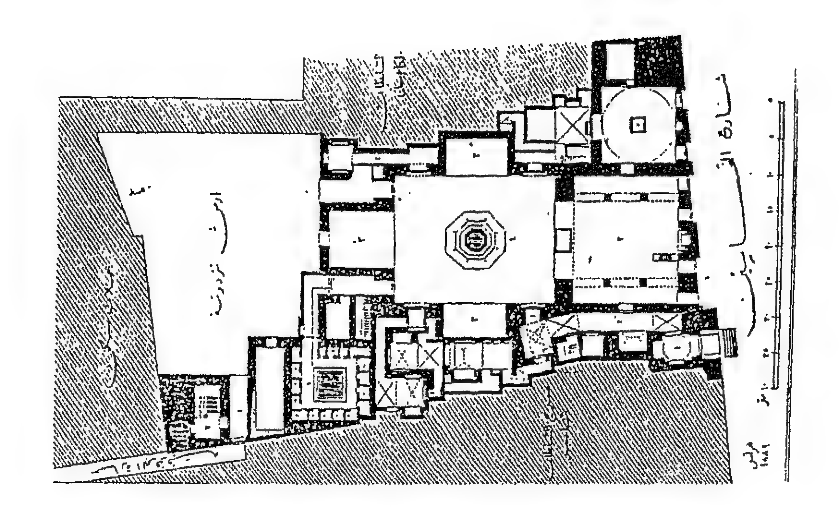
(شكل ١٣٩) مسقط أفقي لمدرسة السلطان حسن بالقاهرة . (عن : Herz Pascha) .



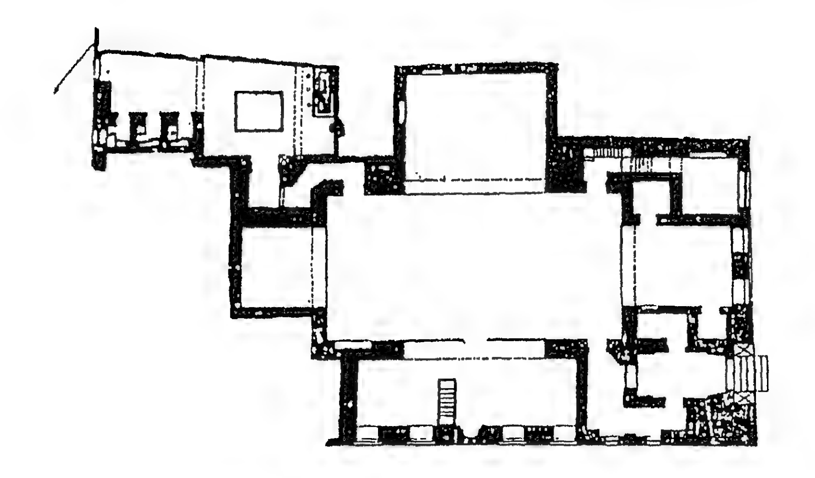
(شكل ١٤٠) مسقط أفقي للمدرسة المالكية الملحقة بمدرسة السلطان حسن بالقاهرة . (عن : Herz Pascha) .



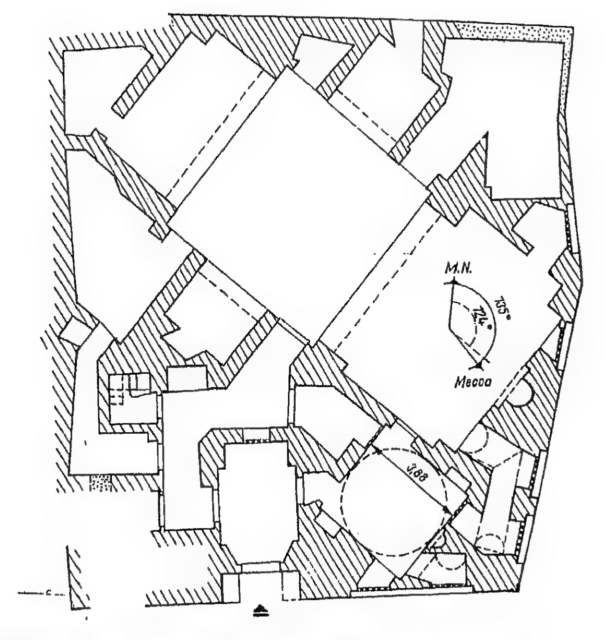
(شكل ١٤١) مدرسة السلطان حسن بالقاهرة. (عن : هيلنبراند) .



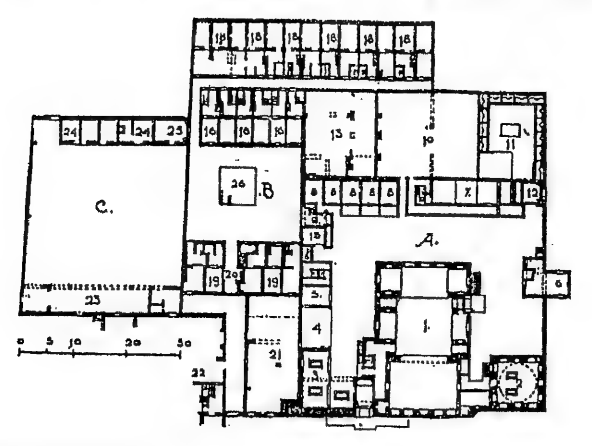
(شكل ١٤٢) مسقط أفقي لمدرسة وخانقاة الظاهر برقوق بالنحاسين بالقاهرة .
(عن لجنة حفظ الآثار العربية) .



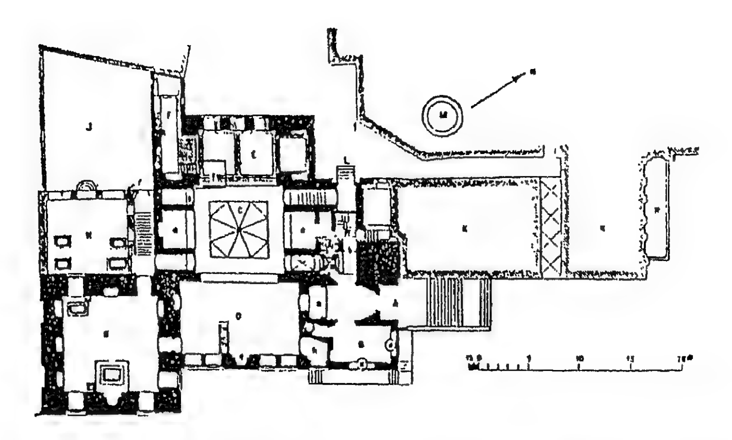
(شكل١٤٣) مسقط أفقي لمدرسة جمال الدين يوسف الاستادار بالقاهرة .
(عن المجلس الأعلي للآثار).



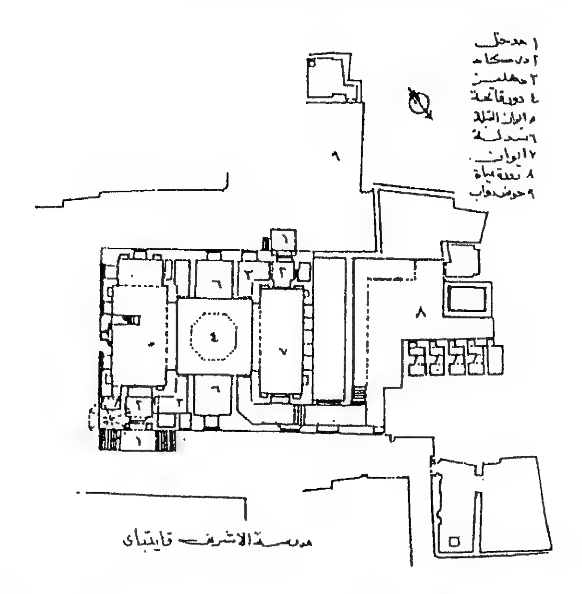
(شكل ١٤٤) مسقط أفقي لمدرسة تغري بردي بالقاهرة. (عن : Kessler) .



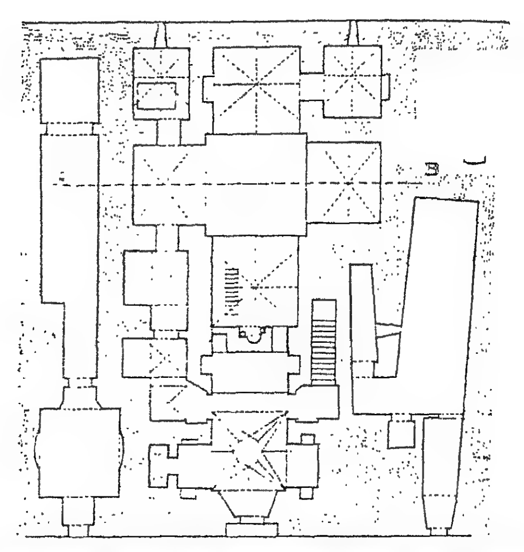
(شكل ١٤٥) مسقط أفقي لمجمع السلطان اينال بقرافة صحراء المماليك (الغفير) بالقاهرة (عن لجنة حفظ الآثار العربية) .



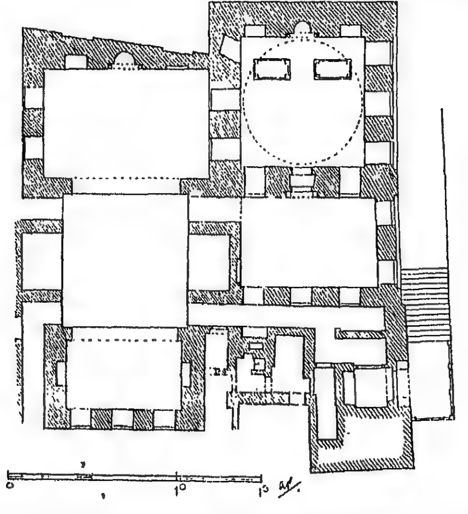
(شكل ١٤٦) مسقط أفقي لمدرسة السلطان قايتباي بقرافة صحراء المماليك بالقاهرة .
(عن : Franz Pascha) .



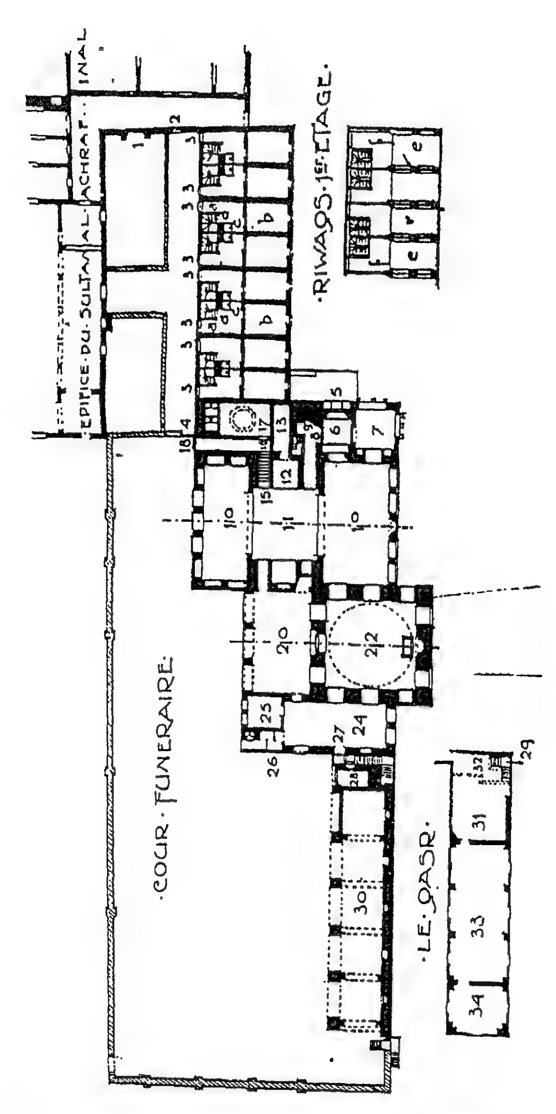
(شكل ١٤٧) مسقط أفقي لمدرسة السلطان قايتباي بقلعة الكبش بالقاهرة .
(عن المجلس الأعلي للآثار) .



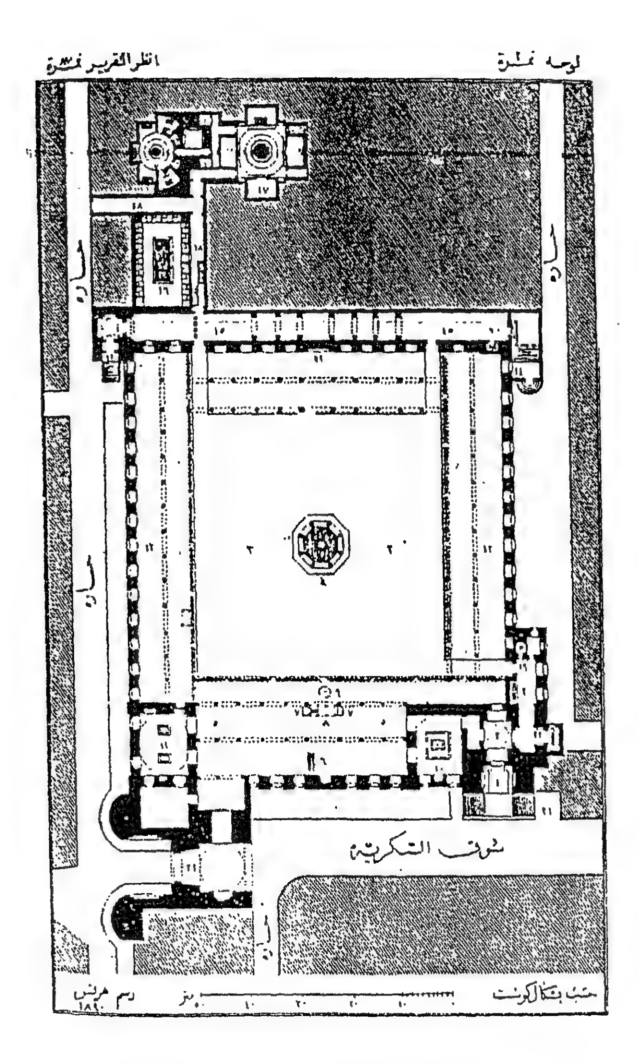
(شكل ١٤٧ مكرر) مسقط أفقي للمسجد بقلعة قايتباي بالاسكندرية (عن لجنة حفظ الآثار العربية) .



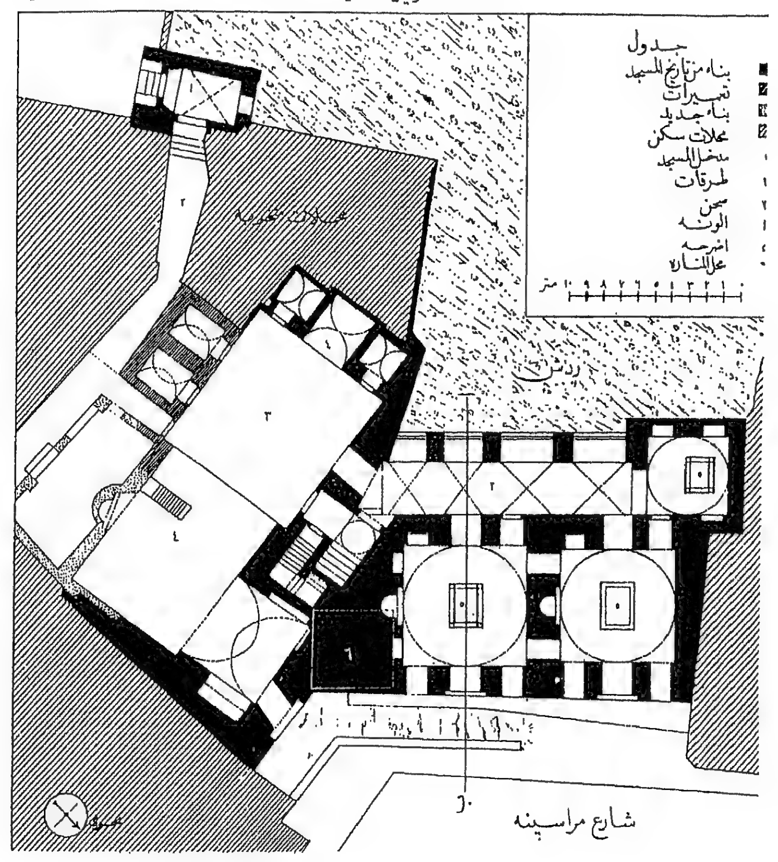
(شكل ١٤٨) مسقط أفقي لمدرسة قاني باي أميراخور بميدان القلعة بالقاهرة (عن لجنة حفظ الآثار العربية) .



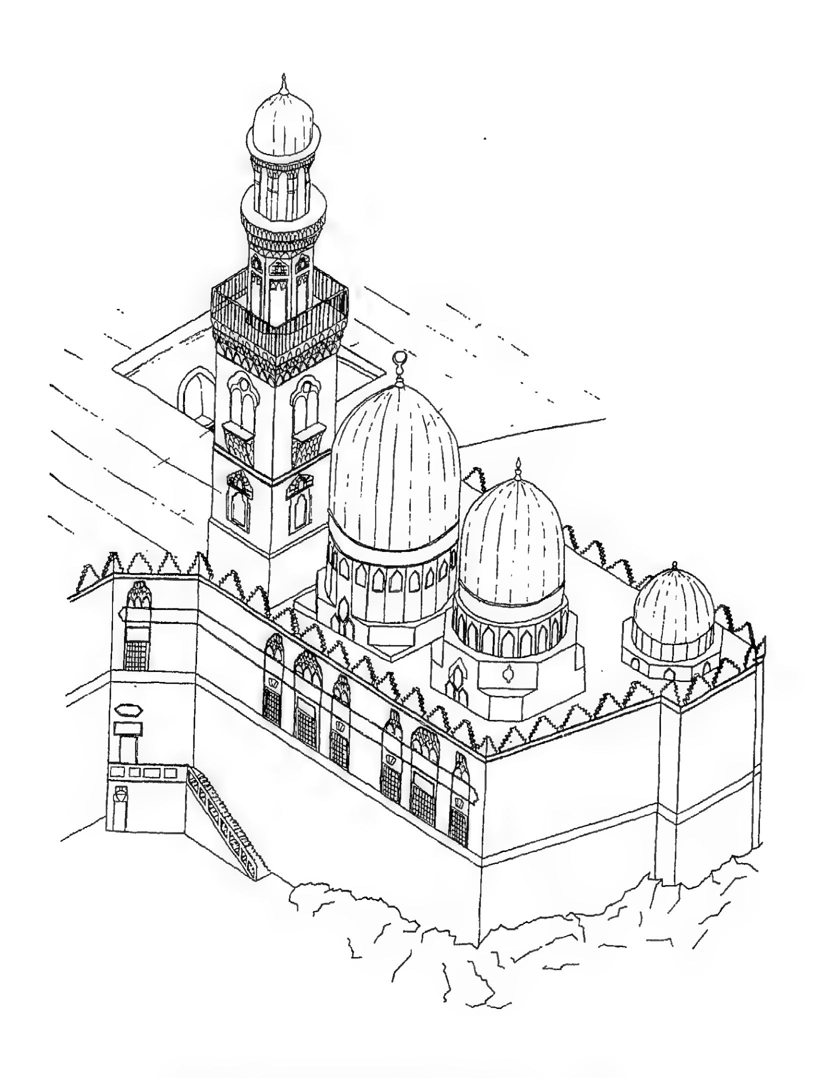
(شكل ١٤٩) مسقط أفقي لمجمع قرقماس أمير كبير بقرافة صحراء المماليك بالقاهرة . (عن لجنة حفظ الآثار العربية) .



(شكل ١٥٠) مسقط أفقي لجامع المؤيد شيخ لبسكال كوست قام برسمه هرتس باشا ١٨٩٠م (عن لجنة حفظ الآثار العربية) .

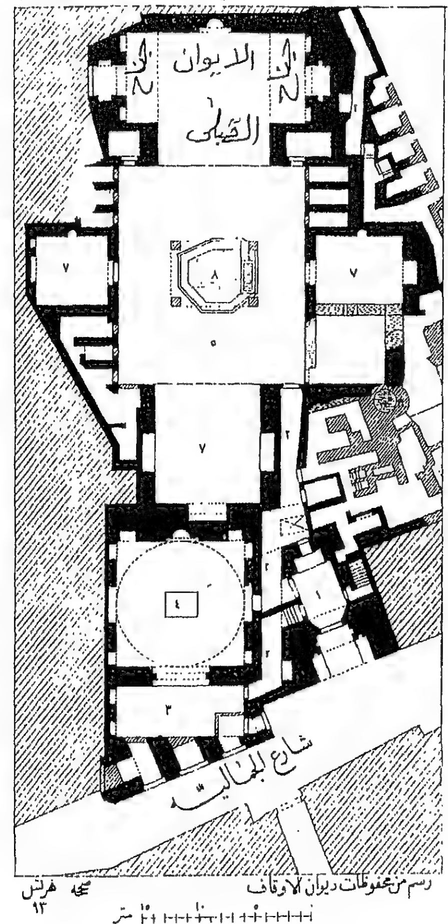


(شكل ١٥١) مسقط أفقي لخانقاة سلار و سنجر الجاولي بالقاهرة (عن لجنة حفظ الآثار العربية).

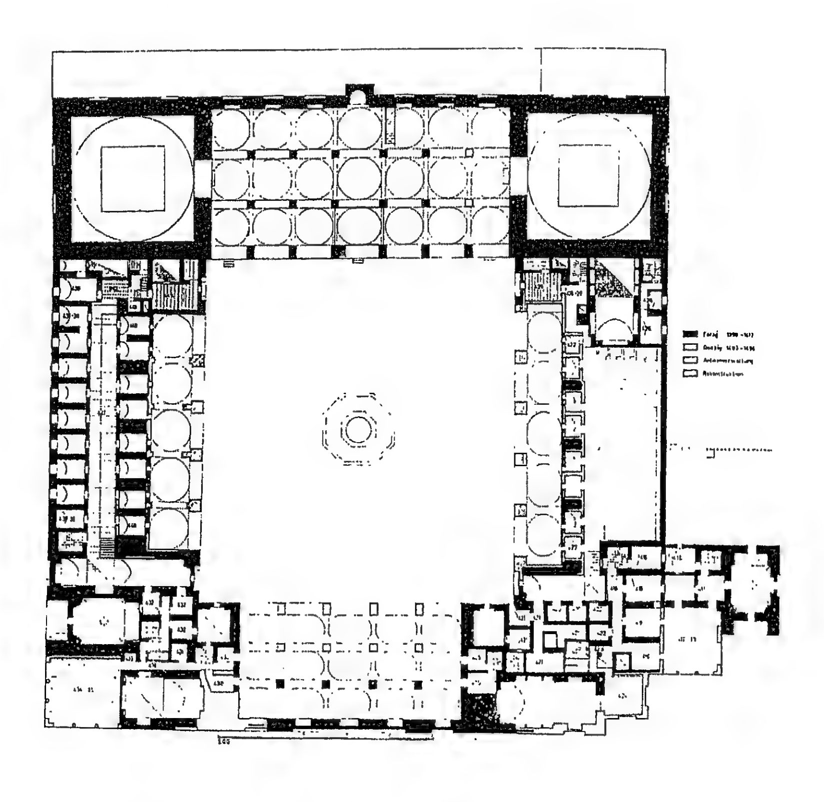


(شكل ١٥١مكرر) خانقاة سلار وسنجر الجاولي بالقاهرة

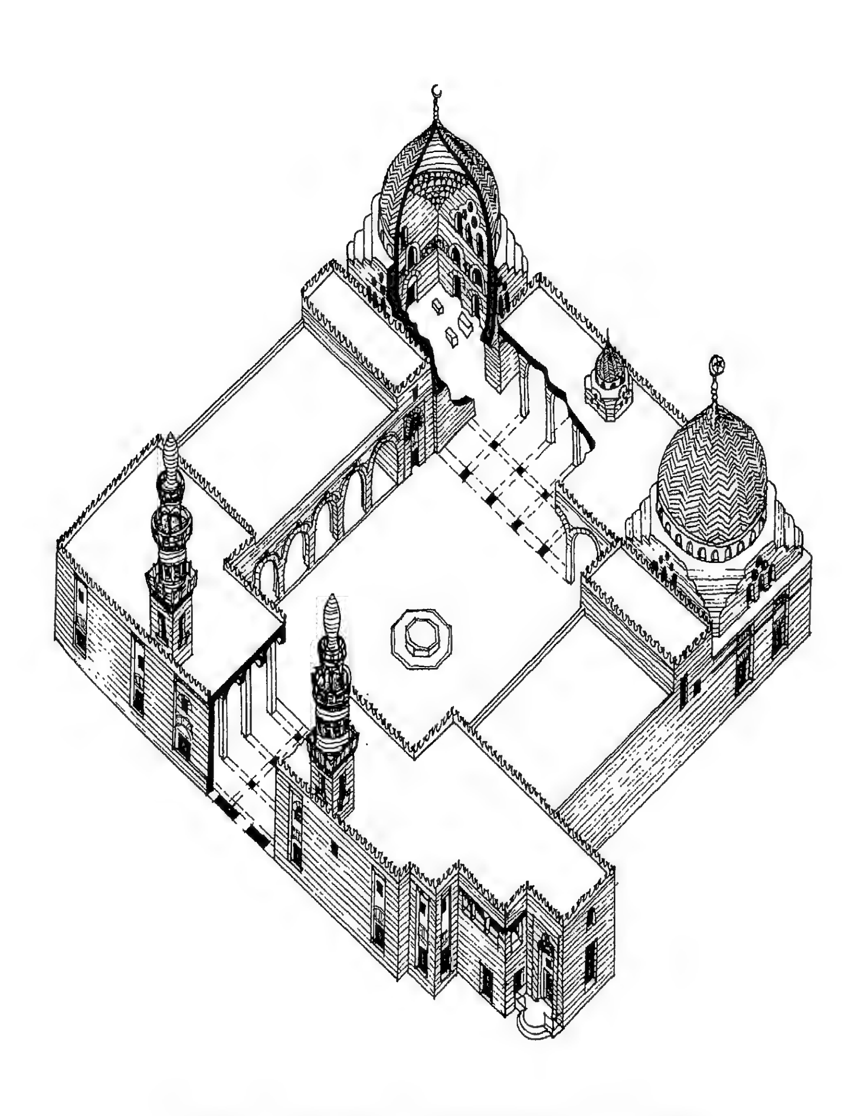
. (عن : هيلنبراند) .



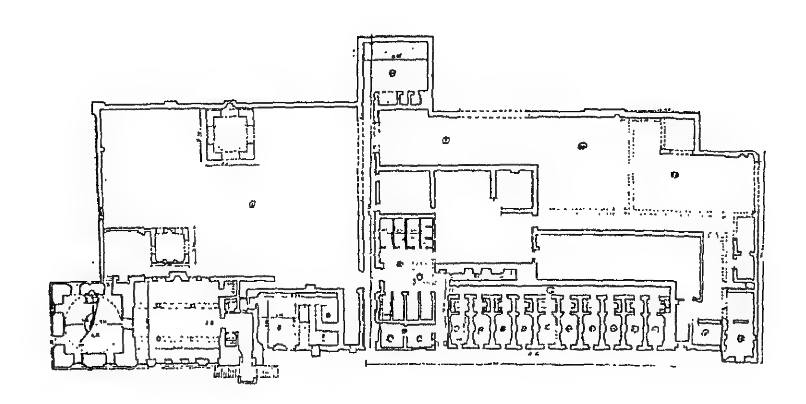
(شكل ١٥٢) مسقط أفقي لخانقاة بيبرس الجاشنكير بالقاهرة.
(عن لجنة حفظ الآثار العربية).



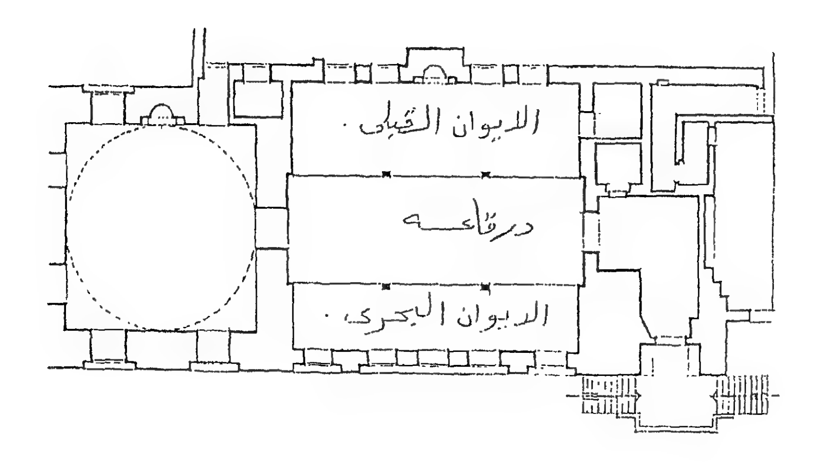
(شكل ١٥٣) مسقط أفقي لخانقاة الناصر فرج بن برقوق بقرافة صحراء المماليك بالقاهرة . (عن صالح لمعي) .



(شكل١٥٣مكرر) خانقاة الناصر فرج بن برقوق (عن : هيلنبراند) .

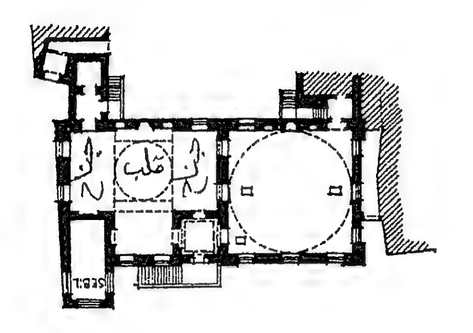


(شكل ١٥٤) مسقط أفقي لمجمع السلطان برسباي بقرافة صحراء المماليك بالقاهرة . (عن : Fernands)

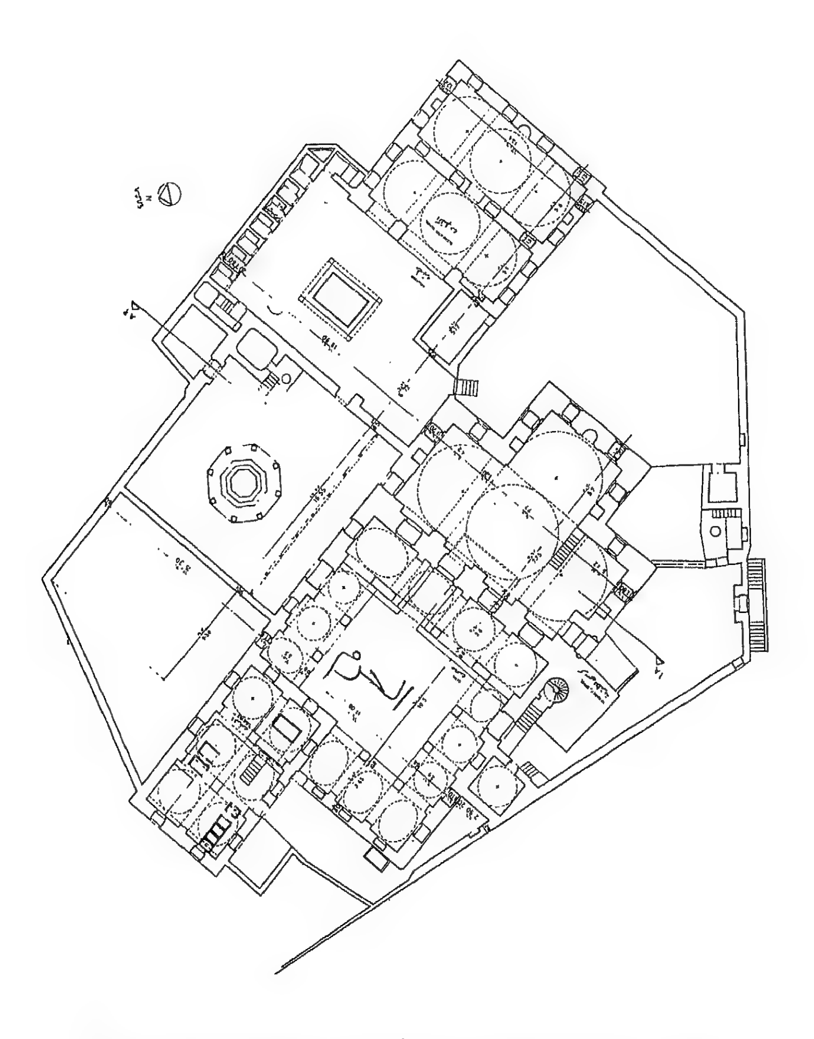


(شكل ١٥٤ مكرر) مسقط أفقي لخانقاة السلطان برسباي ضمن مجمعه بقرافة صحراء المماليك بالقاهرة .

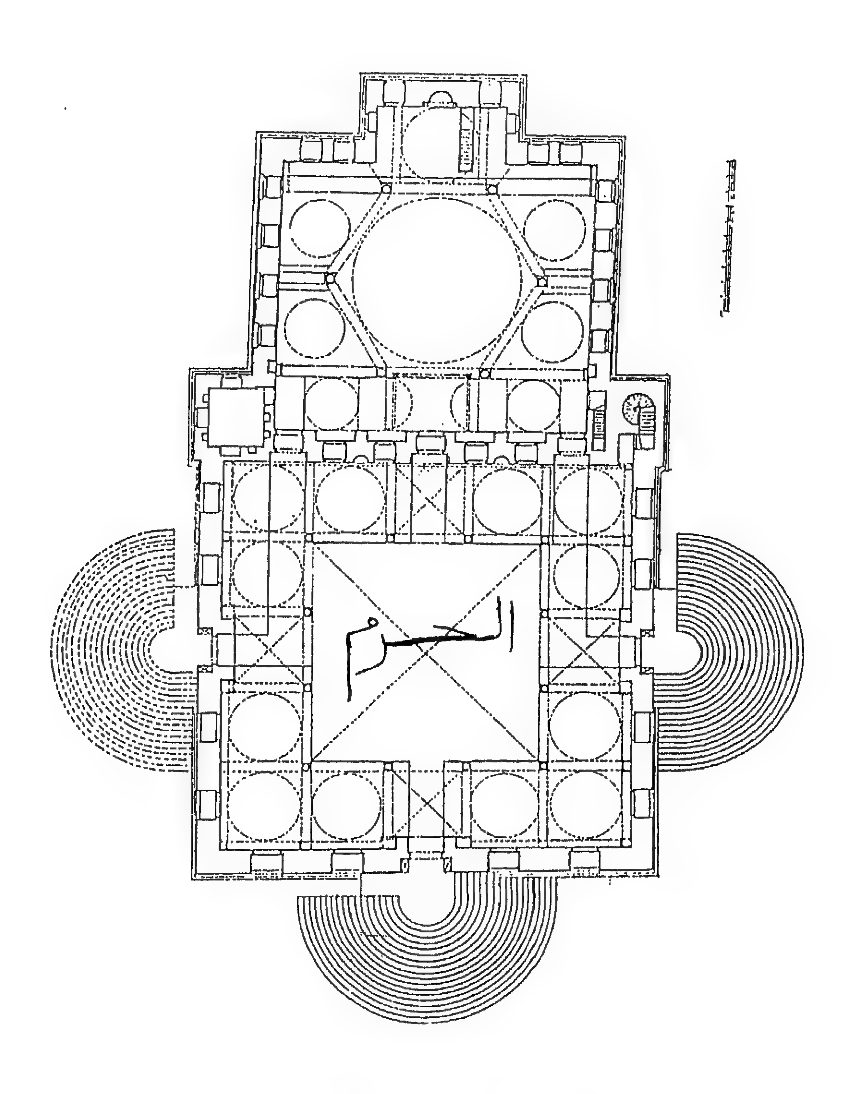
(شكل ١٥٥) مسقط أفقي لقبة وخانقاة الغوري بالغورية بالقاهرة .
(عن المجلس الأعلي للآثار) .



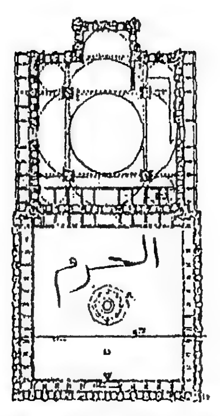
(شكل ١٥٥ مكرر) مسقط أفقي لقبة وخانقاة الغوري بالغورية بالقاهرة . (عن : Brandenburg) .



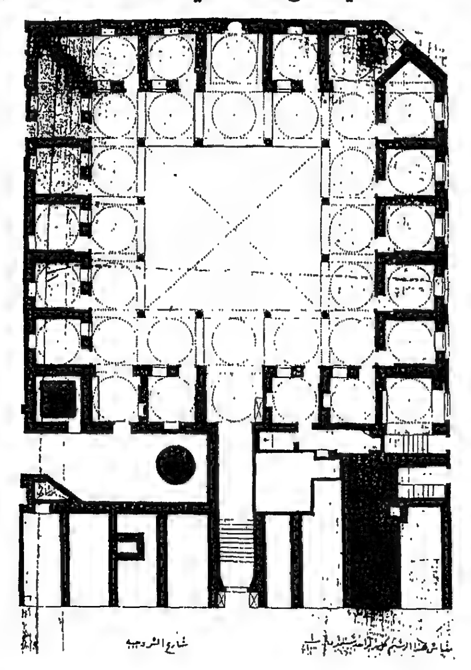
(شكل ١٥٦) مسقط أفقي لجامع سليمان باشا المعروف بجامع سيدي سارية الجبل بالقلعة بالقاهرة . (عن موسوعة القاهرة لمنظمة العواصم الاسلامية) .



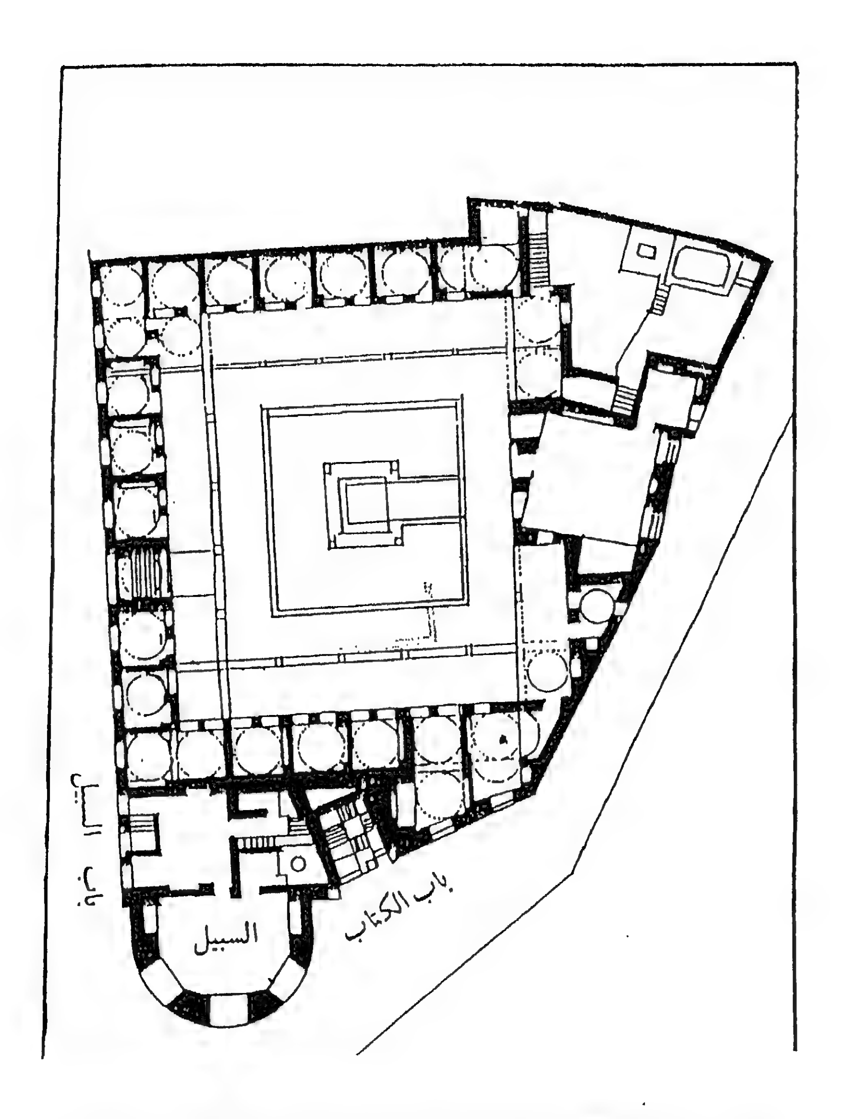
(شكل ١٥٧) مسقط أفقي لجامع الملكة صفية بالقاهرة .
(عن المجلس الأعلي للآثار) .



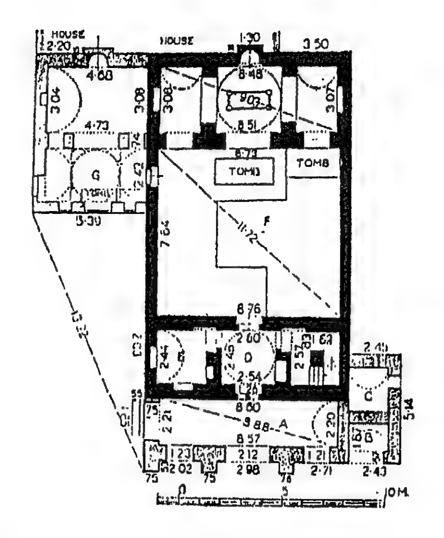
(شكل ١٥٨) مسقط أفقي لجامع محمد علي بالقاهرة . (عن : هوتكيروفييت) .



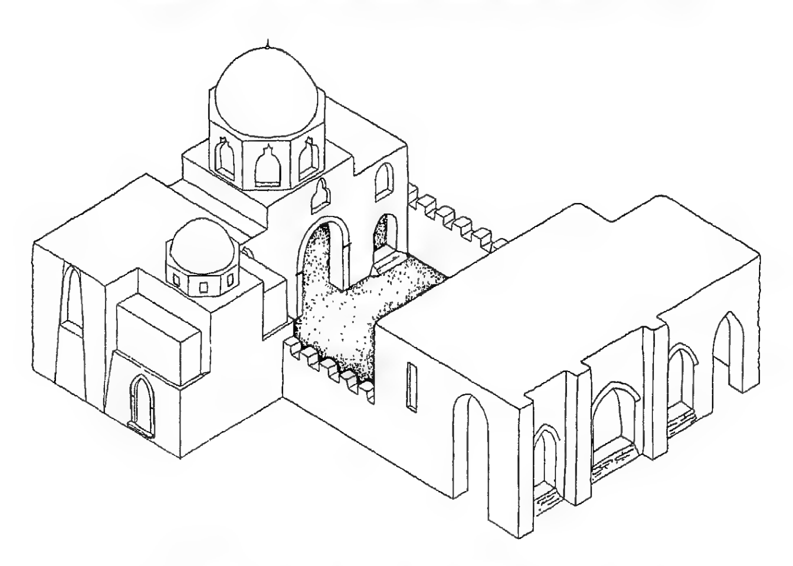
(شكل ١٥٩) مسقط أفقي للمدرسة السليمانية بالسروجية بالقاهرة . (عن المجلس الأعلي للآثار) .



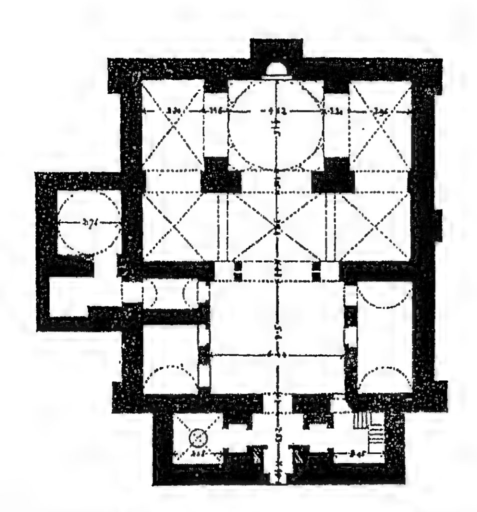
(شكل ١٦٠) مسقط أفقي للمدرسة المحمودية بالحبانية (شارع بورسعيد) بالقاهرة.
(عن: محمود الحسيني).



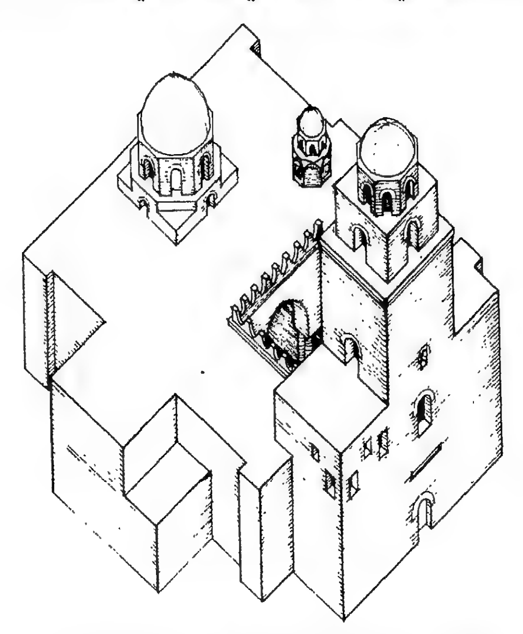
(شكل ١٦١) مسقط أفقي للمشهد باسون جنوب مصر (عن : Cresewll) .



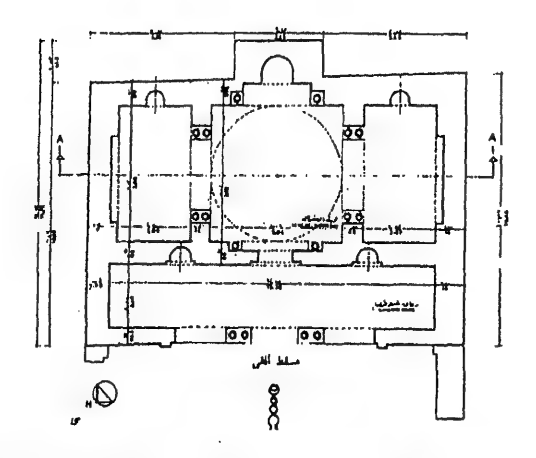
(شكل ١٦١مكرر) المشهد بأسوان جنوب مصر. (عن : هيلنبراند) .



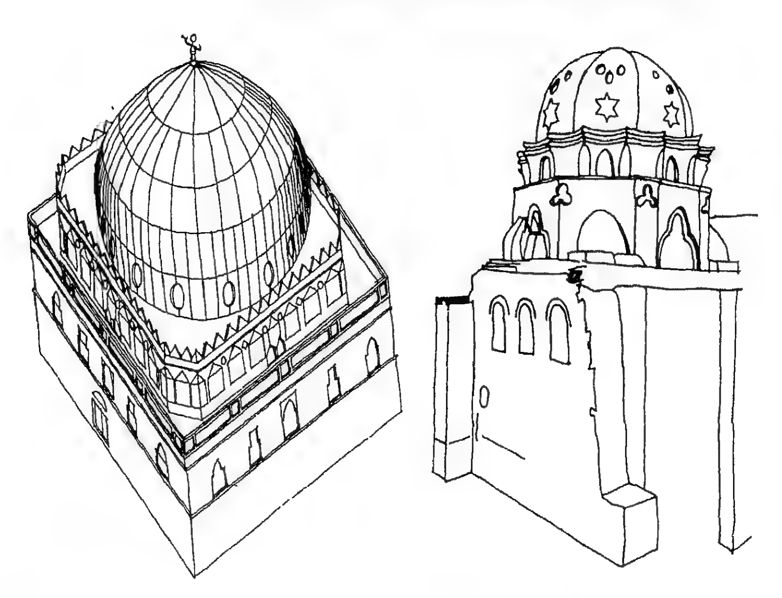
(شكل ١٦٢) مسقط أفقي لمشهد الجيوشي بالمقطم في القاهرة (عن: كريزول) .



(شكل ١٦٢مكرر) مشهد الجيوشي . (عن : هيلنبراند) .

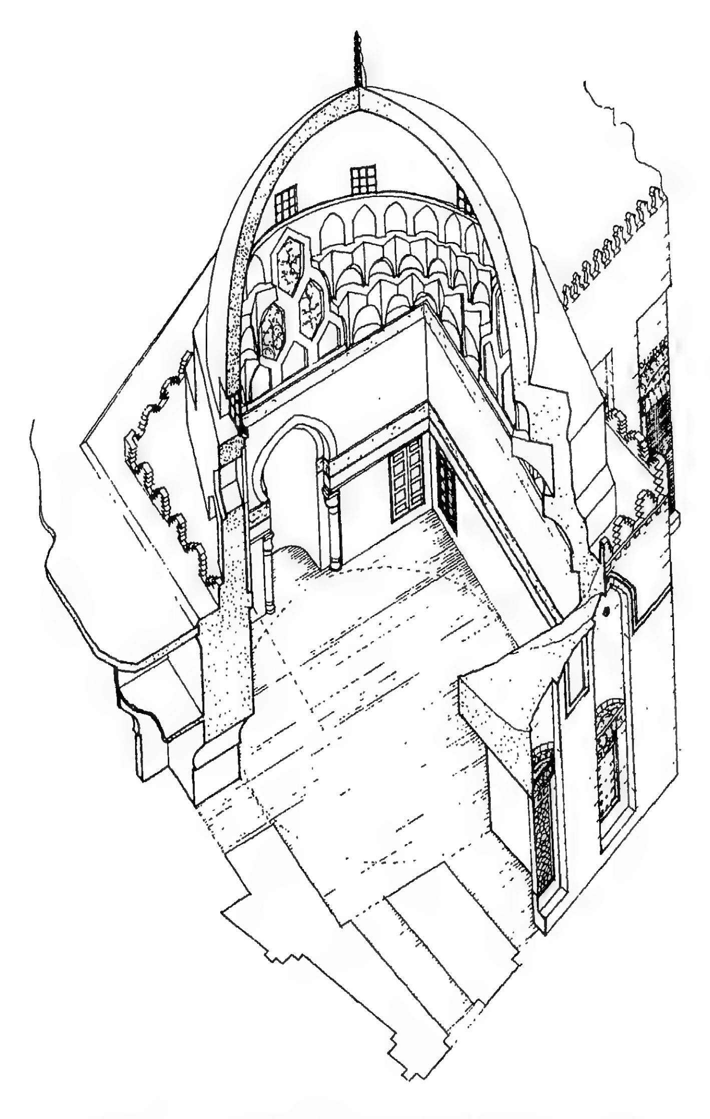


(شكل ١٦٣) مسقط أفقي لمشهد السيدة رقية بشارع الاشرف بحي الخليفة بالقاهرة (عن موسوعة مدينة القاهرة لمنظمة العواصم الاسلامية) .

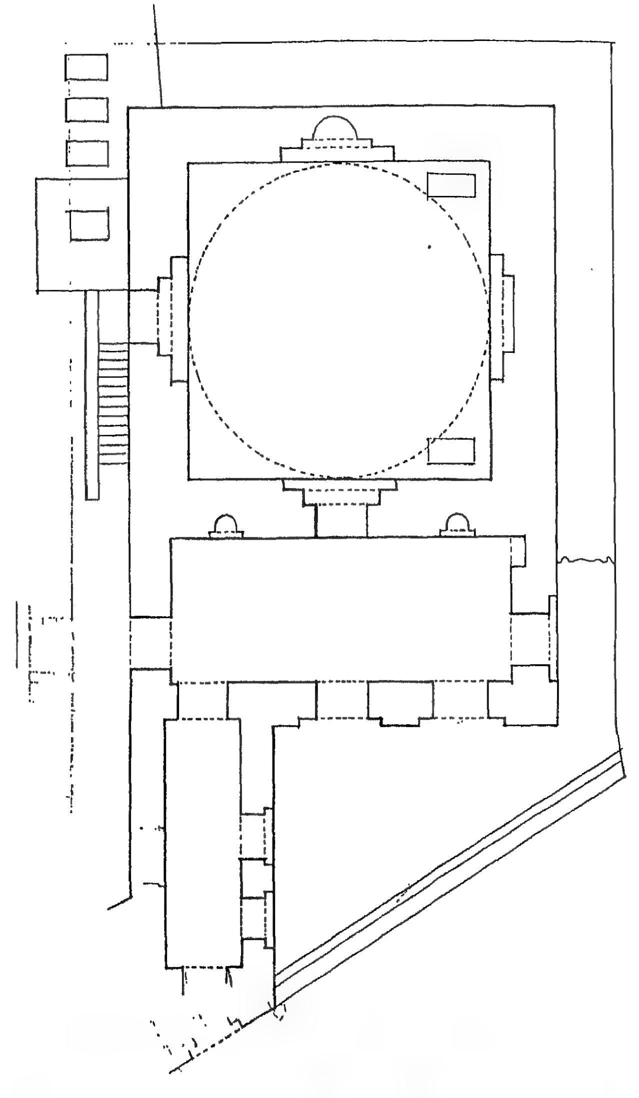


(شكل ١٦٤) القبة الملحقة بجامع قوص بصعيد مصر . (عن : هيلنبراند) .

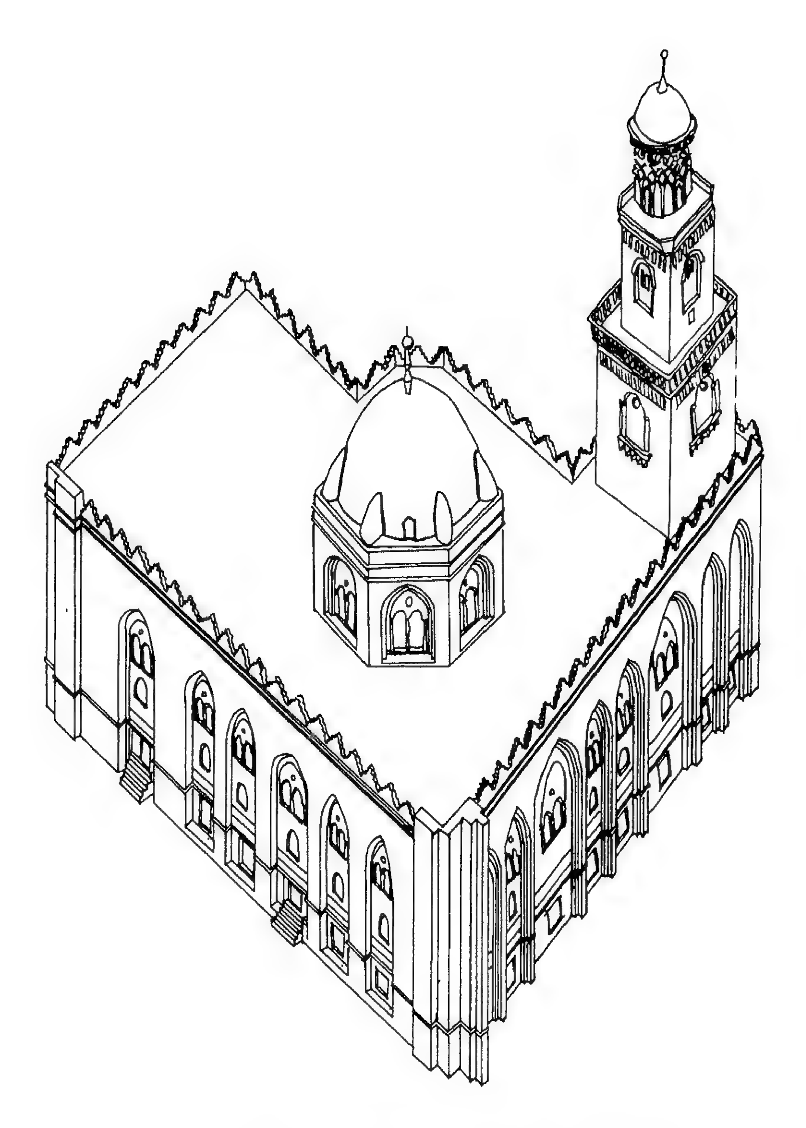
(شكل ١٦٥) قبة الامام الشافعي بالقاهرة . (عن : هيلنبراند) .



(شكل ١٦٦) قبة الصالح نجم الدين أيوب الملحقة بمدرسته بالقاهرة . (عن : هيلنبراند) .

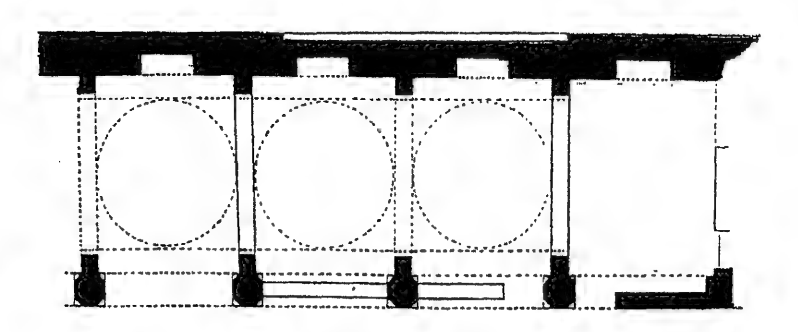


(شكل ١٦٧) مسقط أفقي لقبة فاطمة خاتون (ام الصالح) بالقاهرة .
(عن المجلس الأعلي للآثار) .

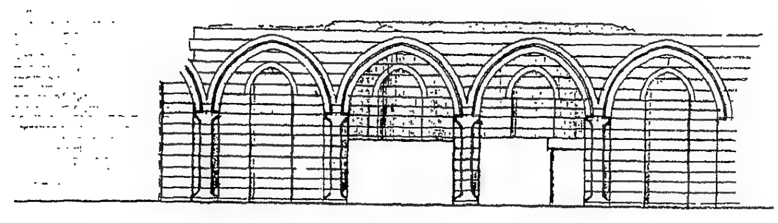


(شكل ١٦٧ مكرر) القبة المنصورية قلاوون (بشارع المعز لدين الله) والمئذنة بطرف الواجهة الرئيسية . (عن : هيلنبراند) .

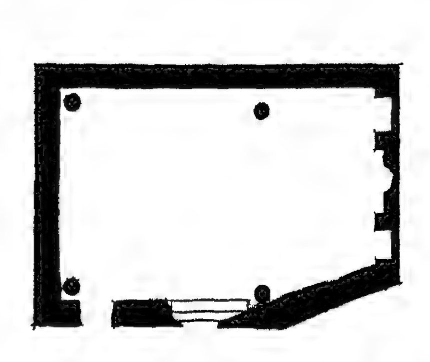
(شكل ١٦٨) مسقط أفقي لقبة صرغتمش الملحقة بمدرسته بالقاهرة .
(عن المجلس الأعلي للآثار) .



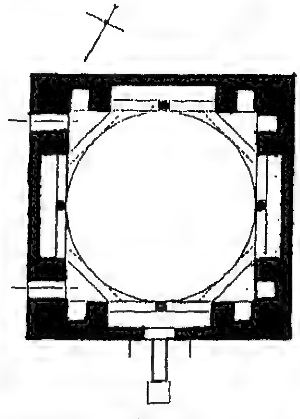
(شكل ١٦٩) مسقط أفقي لمقصورة الأمير نوروز المعروفة بإيوان ريحان
(بقرافة السيوطي بالقاهرة) .



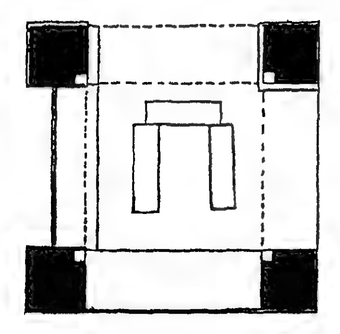
(شكل ١٦٩مكرر) قطاع لمقصورة الأمير نوروز.



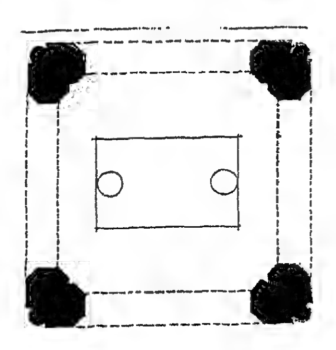
(شكل ١٧١) مسقط أفقي لقبة الشيخ سنان بدرب قرمز بالقاهرة (عن حمزة عبد العزيز).



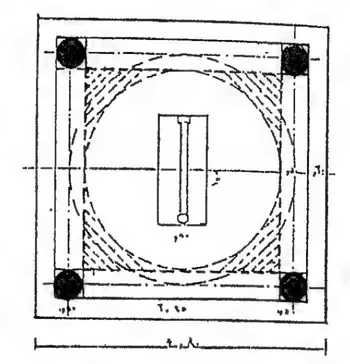
(شكل ١٧٠) مسقط أفقي لقبة الشيخ الروبي بالفيوم (عن إبراهيم عامر).



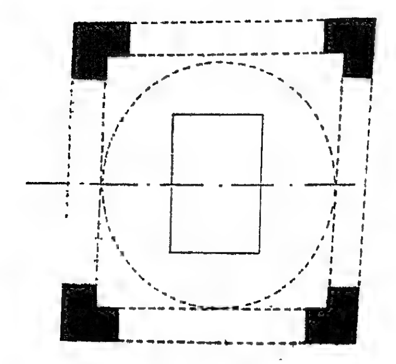
(شكل ١٧٢مكرر) مسقط أفقي لمدفن مصطفي أغا جالق (بقرافة السيوطي بالقاهرة).



(شكل ١٧٢) مسقط أفقي لقبة المزني (عن : حمزة عبد العزيز).

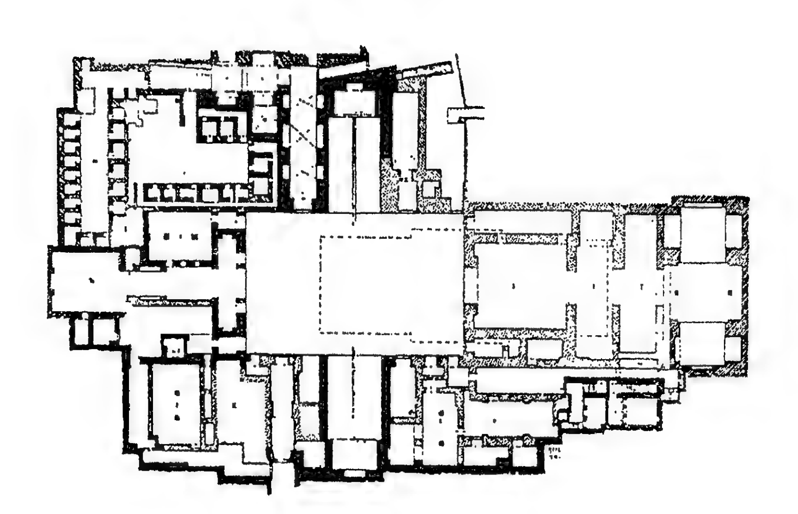


(شكل ١٧٣) مسقط أفقي لقبة رقية دودو (عن سوسن سليمان) .

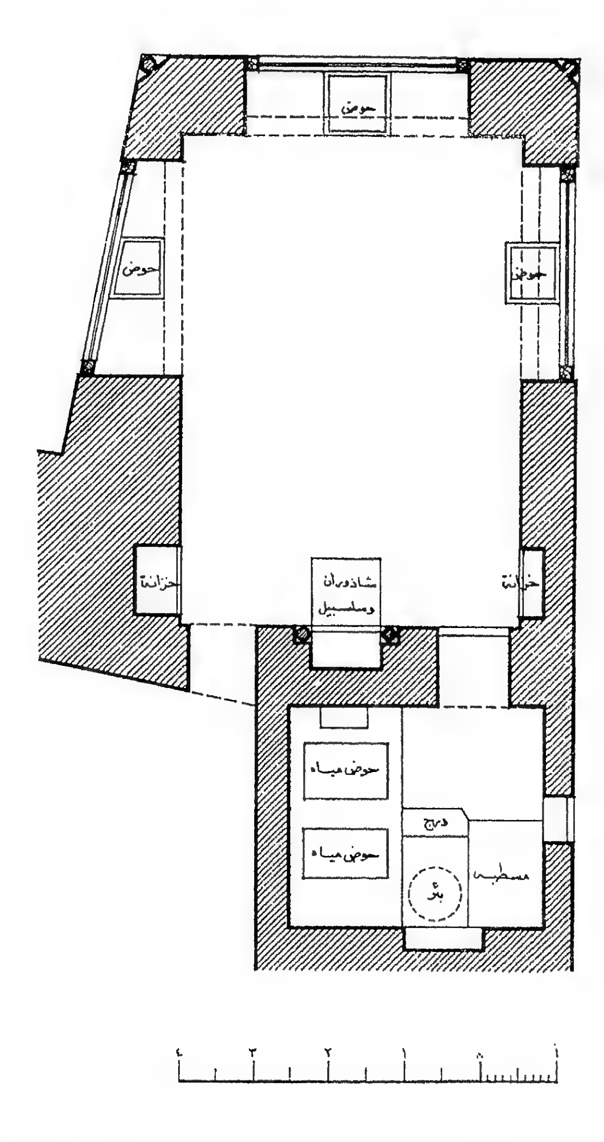


(شكل ١٧٣مكرر) مسقط أفقي لقبة أبوتراب بالعباسية .



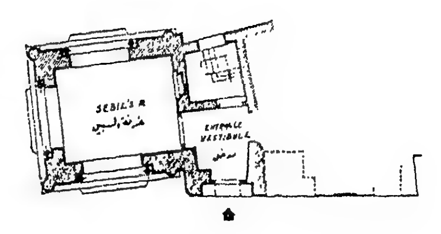


(شكل ١٧٤) مسقط أفقي للبيمارستان المنصوري بالقاهرة .
(عن : هرتزباشا) .

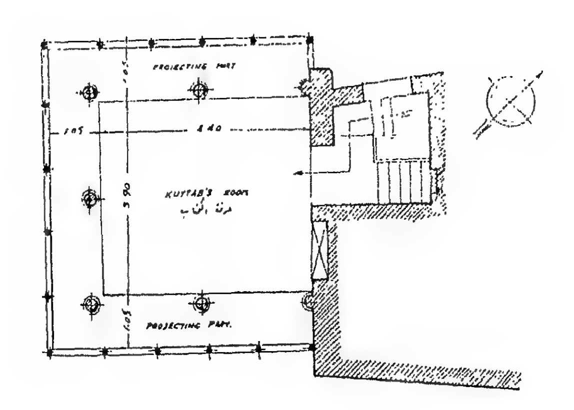


(شكل ١٧٥) مسقط أفقي لسبيل السلطان الغوري الملحق بقبتة وخانقاته بالغورية (عن: لمعي).





السبيل



مكتب السبيل

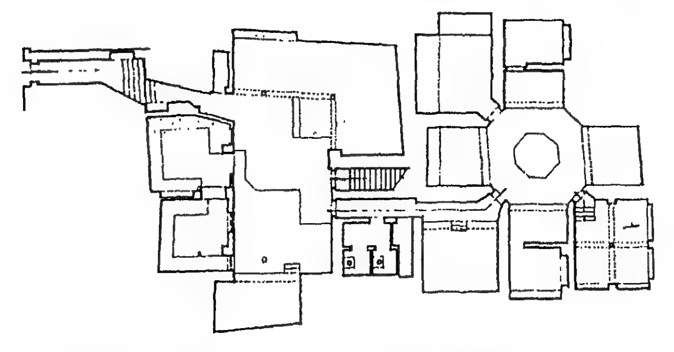
(شكل ١٧٦) مسقط أفقي لسبيل ومكتب سبيل الأمير عبد الرحمن كتخدا المعروف بسبيل بين القصرين بالقاهرة . (عن : كمال الدين سامح) .

كتلة الدخول

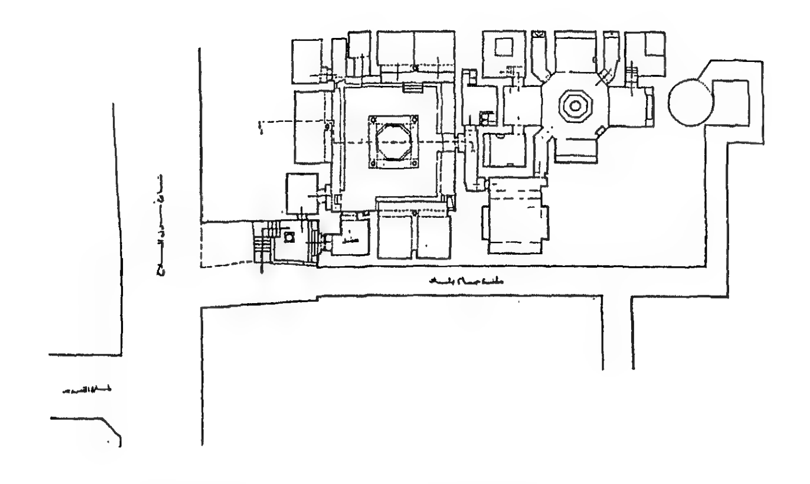
كتلة
الحجر
المصاص

السبيل

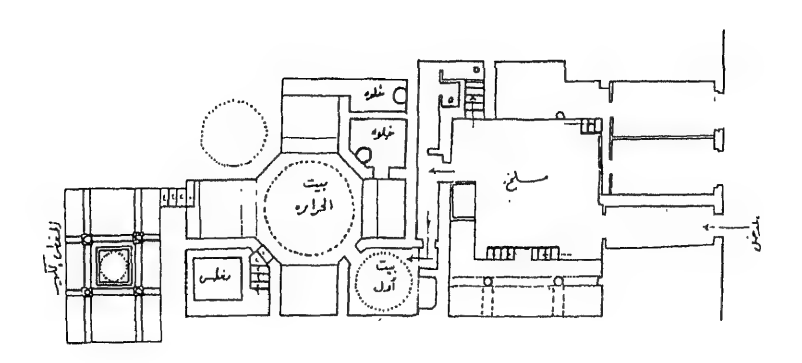
(شكل ١٧٧) مسقط أفقي لسبيل جنبلاط . (عن : محمود الحسيني) .



(شكل ١٧٨) مسقط أفقي لحمام السكرية بالقاهرة . (عن سعاد حسن) .

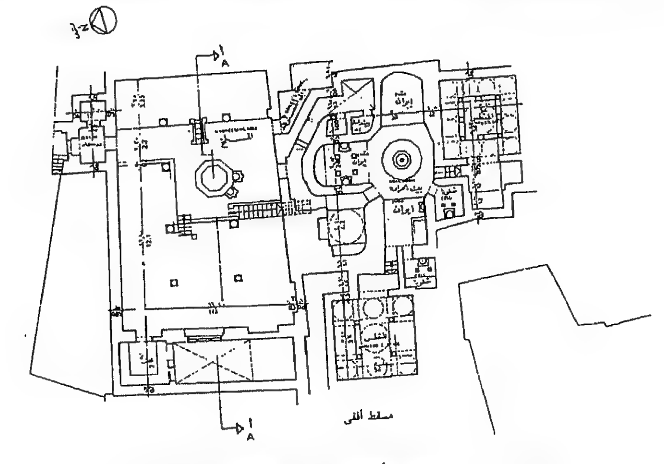


(شكل ۱۷۹) مسقط أفقي لحمام يشتاك بالقاهرة. (عن المجلس الأعلي للآثار) .

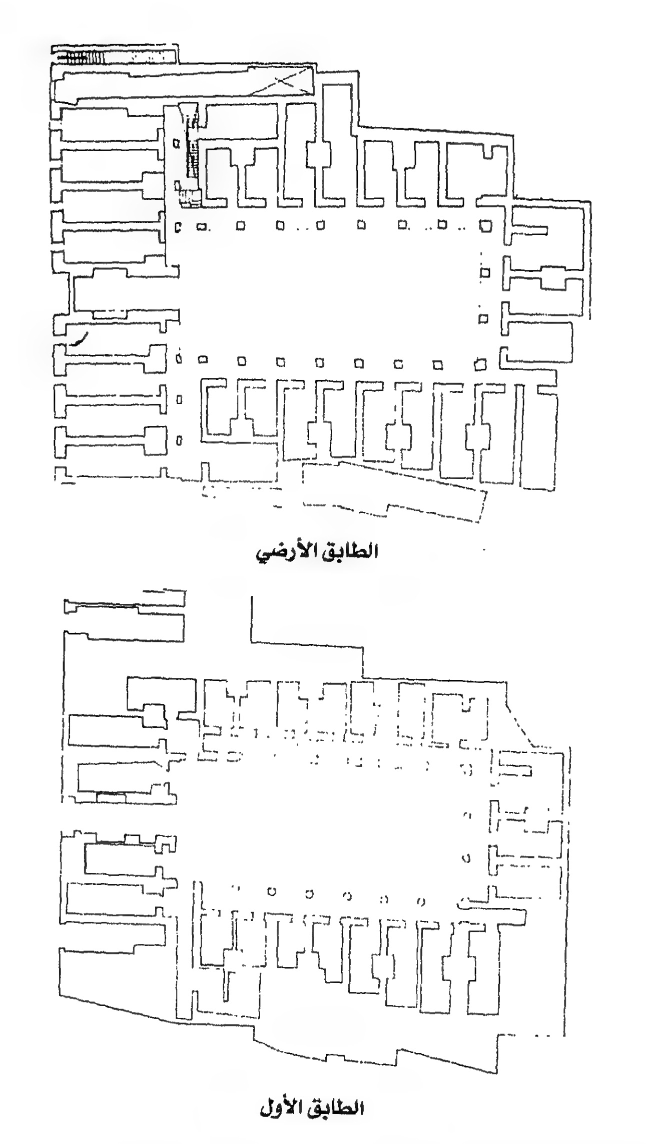


(شكل ۱۸۰) مسقط أفقي لحمام الملاطيلي بالقاهرة . (عن : Pauty) .

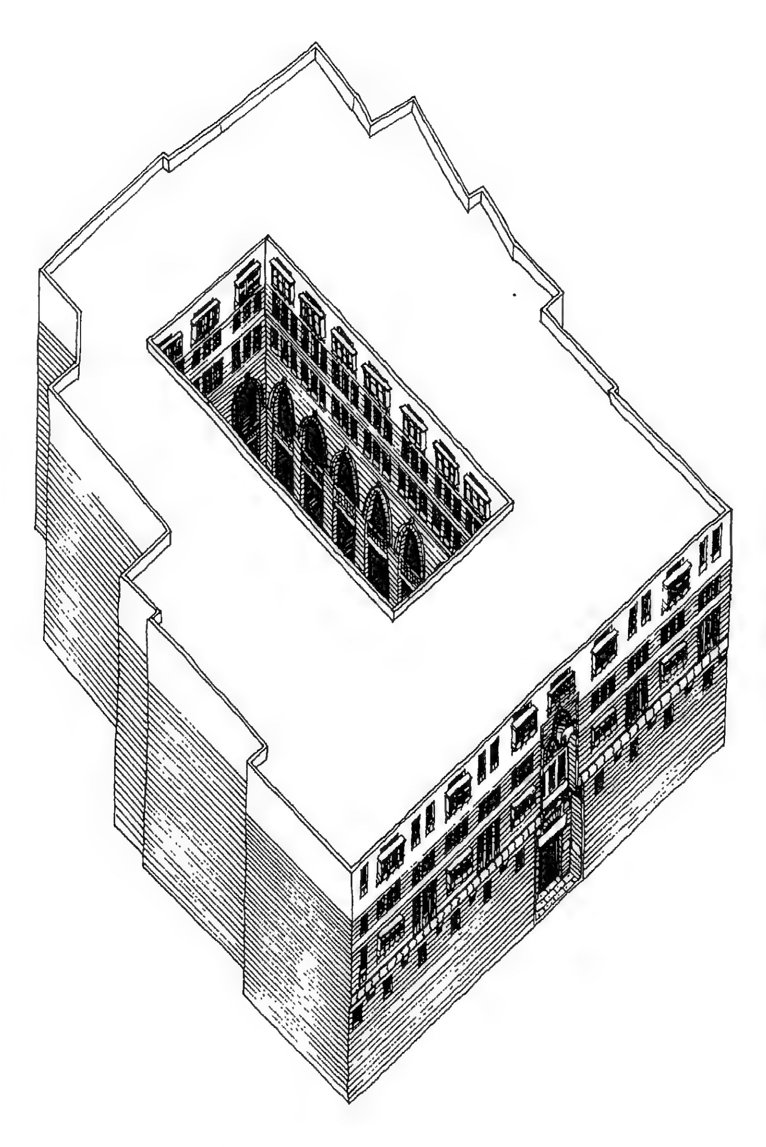
(شكل ١٨١) مسقط أفقي لحمام السنانية ببولاق بالقاهرة . (عن المجلس الأعلي للأثار) .



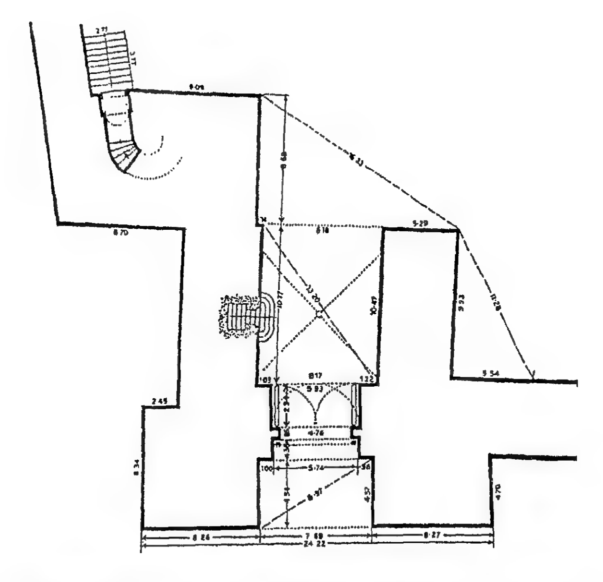
(شكل ١٨٢) مسقط أفقي لحمام الطنبلي بالقاهرة .
(عن موسوعة القاهرة لمنظمة العواصم الاسلامية) .



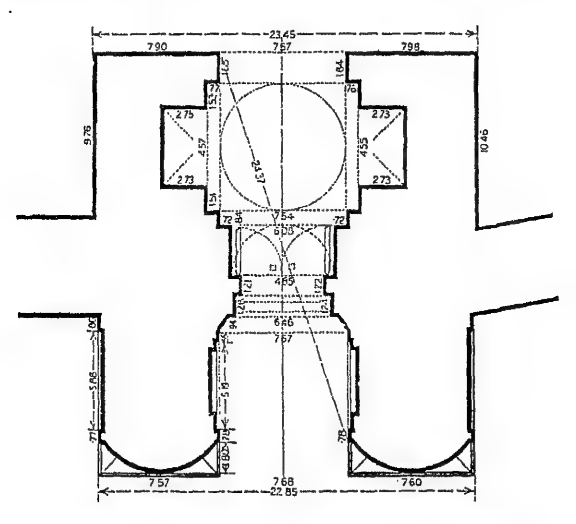
(شكل ١٨٣) مسقط أفقي لوكالة الغوري بالقاهرة . (الطابقان الأرضي والأول)
(عن : لمعي) .



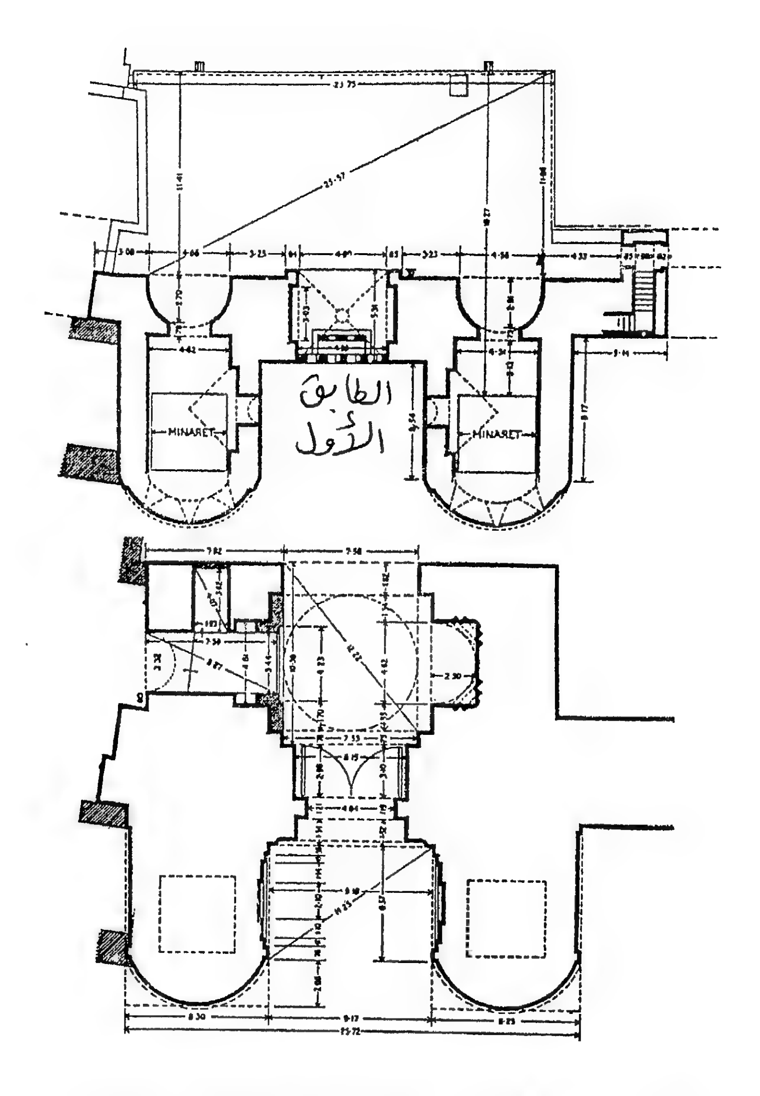
(شكل ١٨٣ مكرر) وكالة الغوري بالقاهرة . (عن : هيلتبراند) .



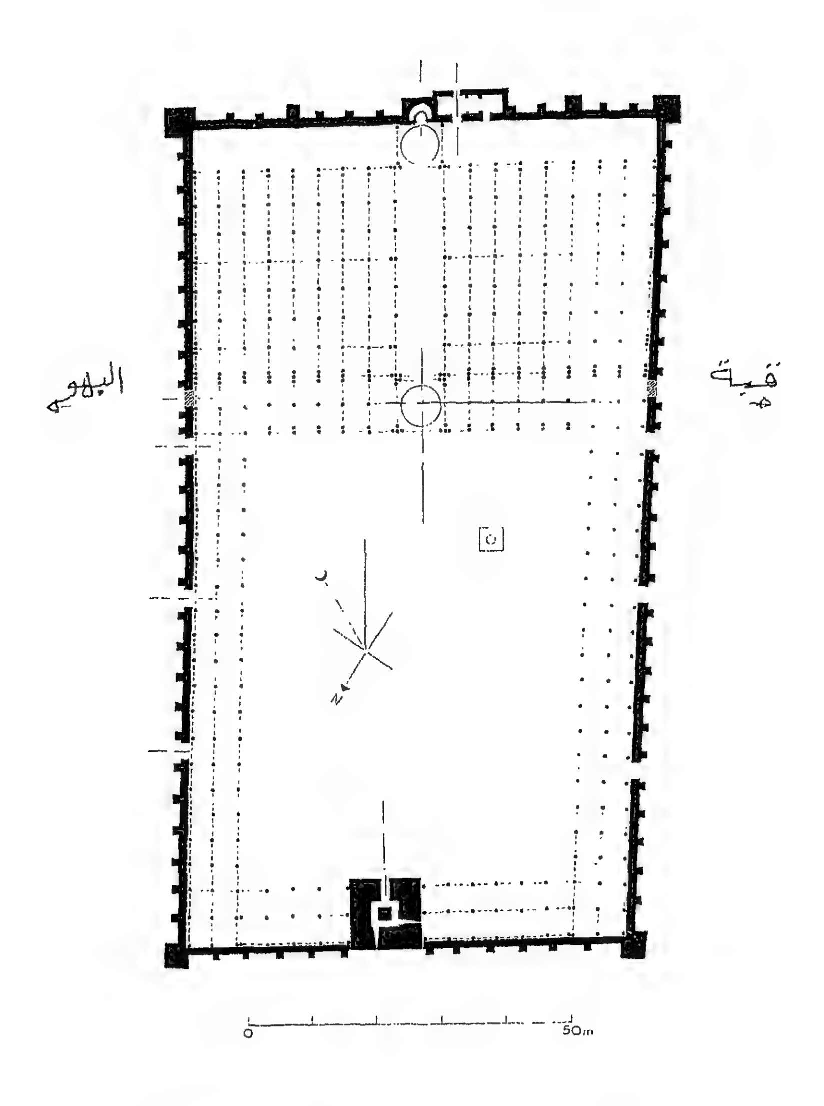
(شكل ١٨٤) مسقط أفقي لباب النصر ٤٨٠هـ/١٠٨٧م . (عن : كريزول) .



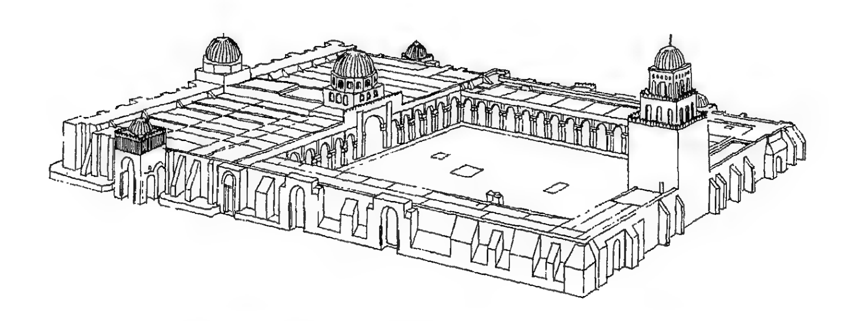
(شكل ١٨٤مكرر) مسقط أفقي لباب الفتوح ٤٨٠هـ/١٠٨٧م (عن : كريزول) .



(شكل ١٨٥) مسقط أفقي لباب زويلة المعروف ببوابة المتولي ٤٨٥هـ/١٠٩٢م .
(الطابقان الأرضي والأول) . (عن : كريزول) .

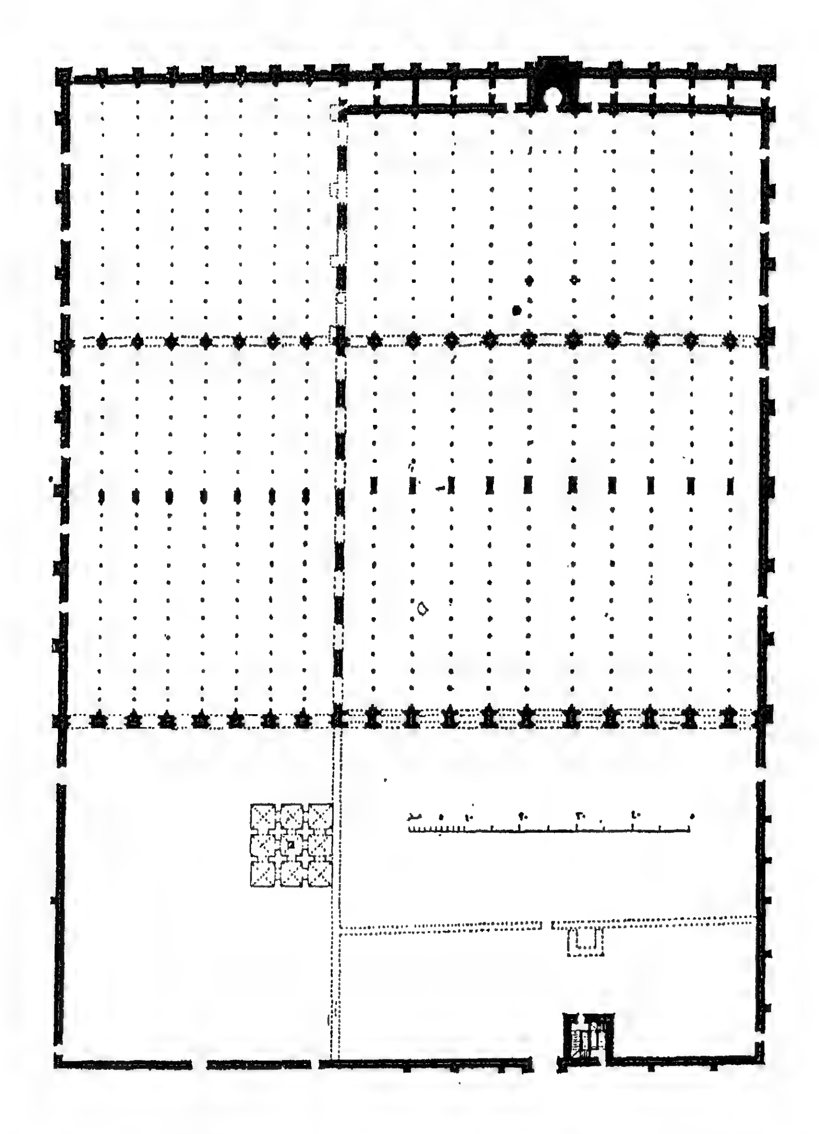


(شكل ١٨٦) مسقط أفقي لجامع القيروان بتونس (عن : Lezine) .

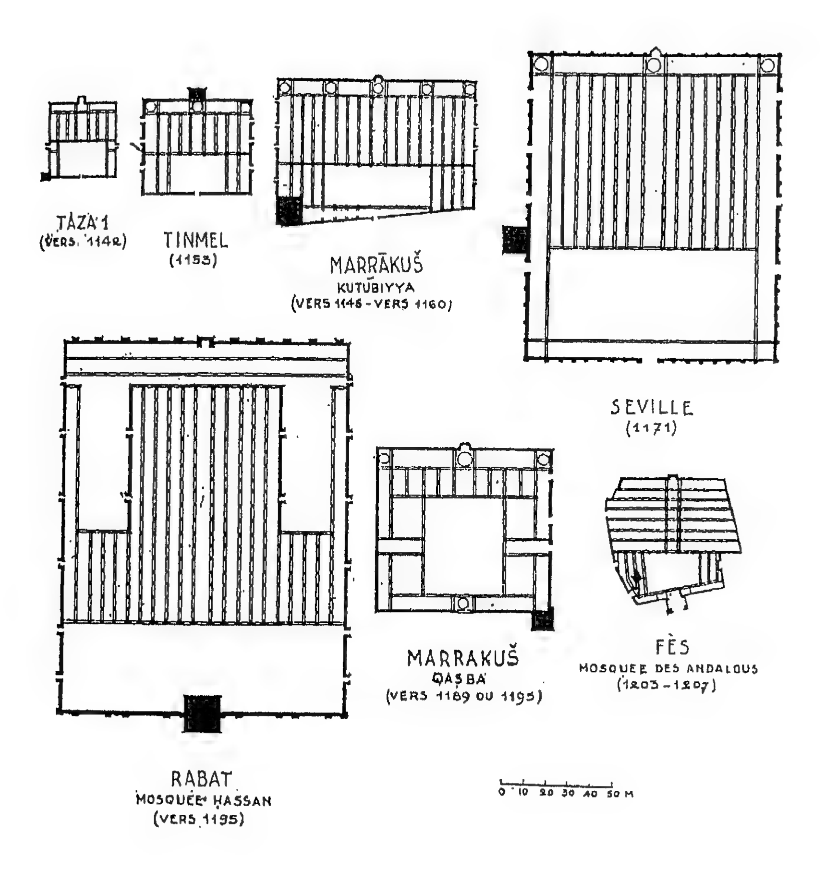


(شكل ١٨٦مكرر) جامع القيروان بتونس . (عن : هيلنبراند) .

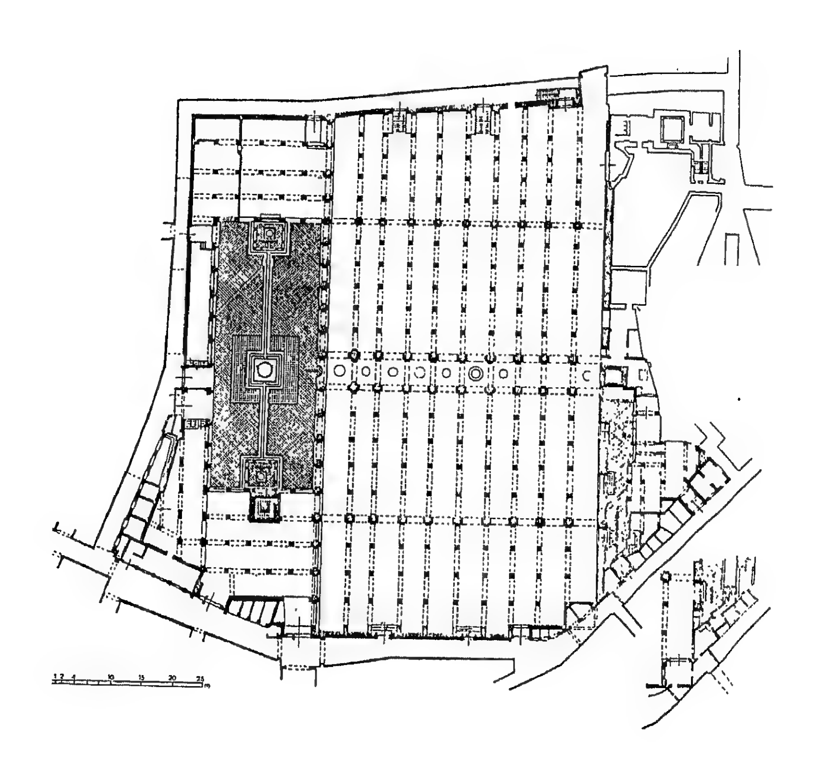
(شكل ١٨٧) جامع المهدية بتونس . (عن : هيلنبراند) .



(شكل ١٨٨) مسقط أفقي لجامع قرطبة . (عن : Moreno) .

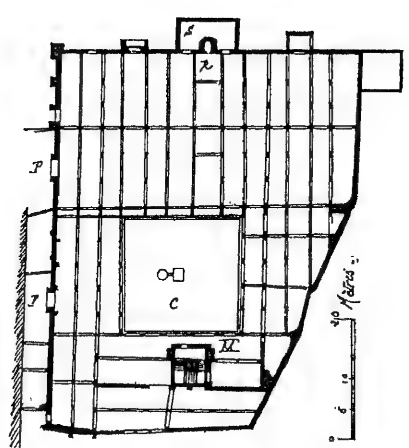


(شكل ١٨٩) مسقط أفقي لبعض الجوامع التي صممت على غرار جامع قرطبة والمتطورة عنه في إشبيليه والمغرب الأقصى . (عن : Lambert) .

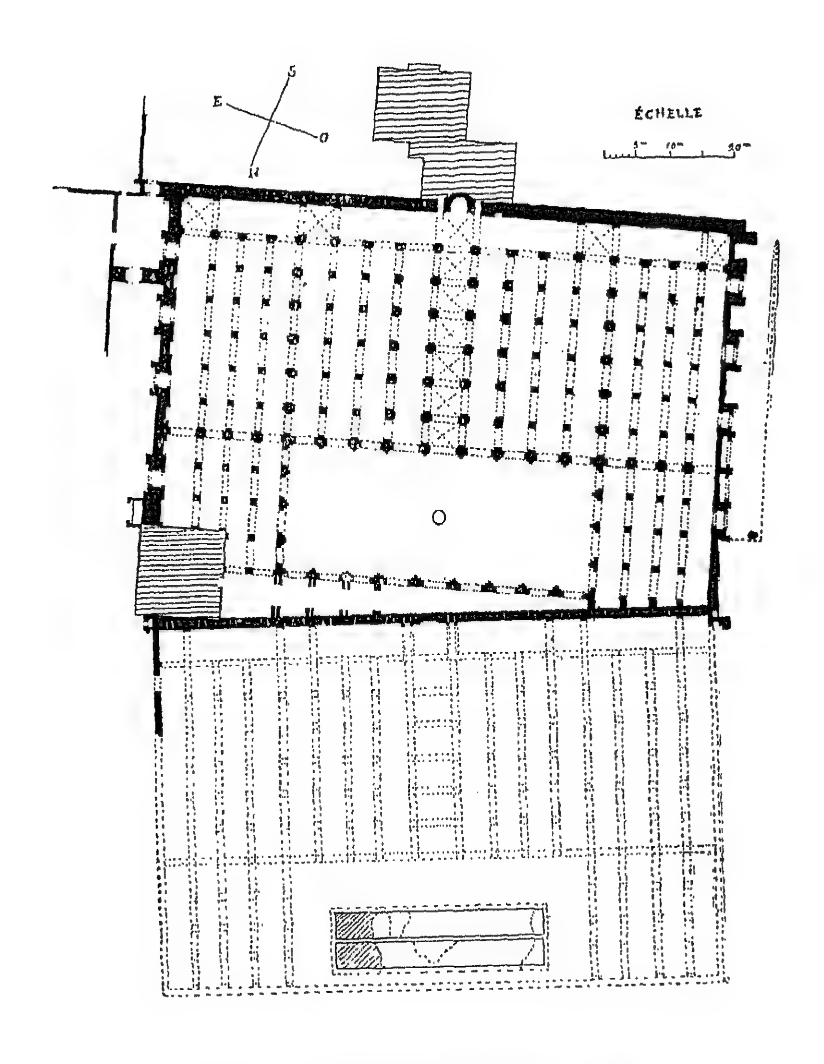


(شكل ١٩٠) مسقط أفقي لجامع القرويين بفاس
(المغرب الأقصى) . (عن : هوج) .

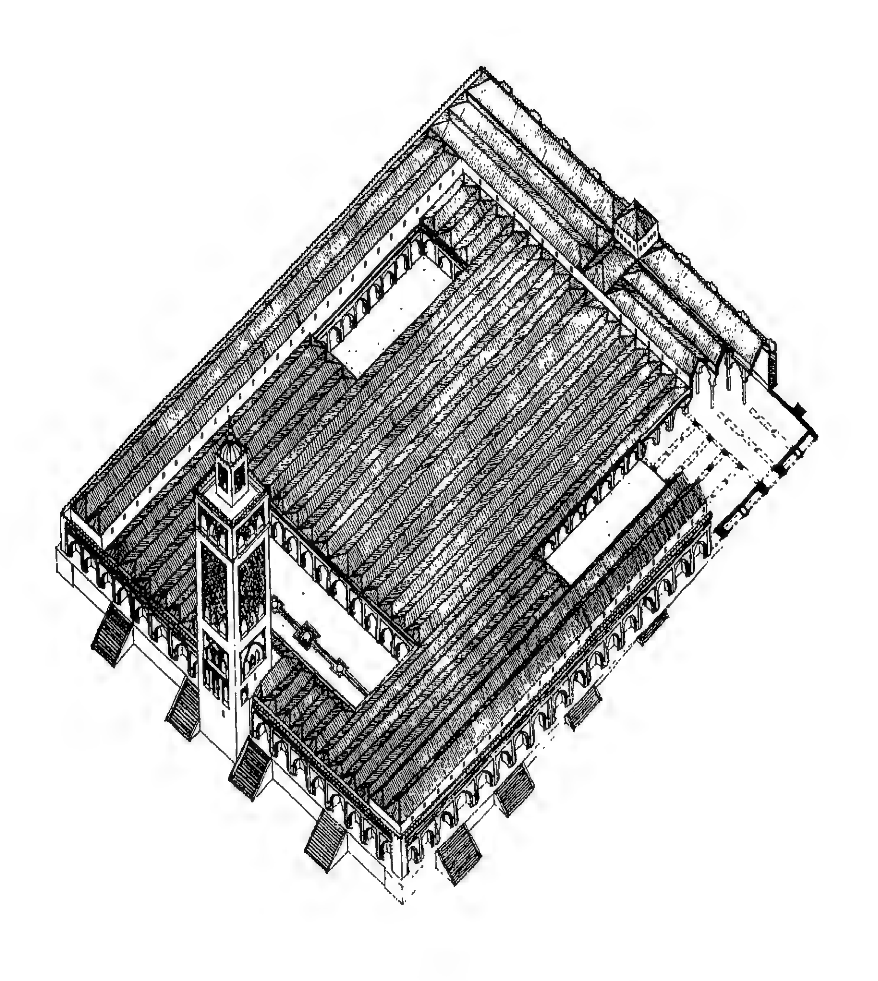
(شكل ١٩١) جامع القرويين بفاس .
(عن : هيلنبراند) .



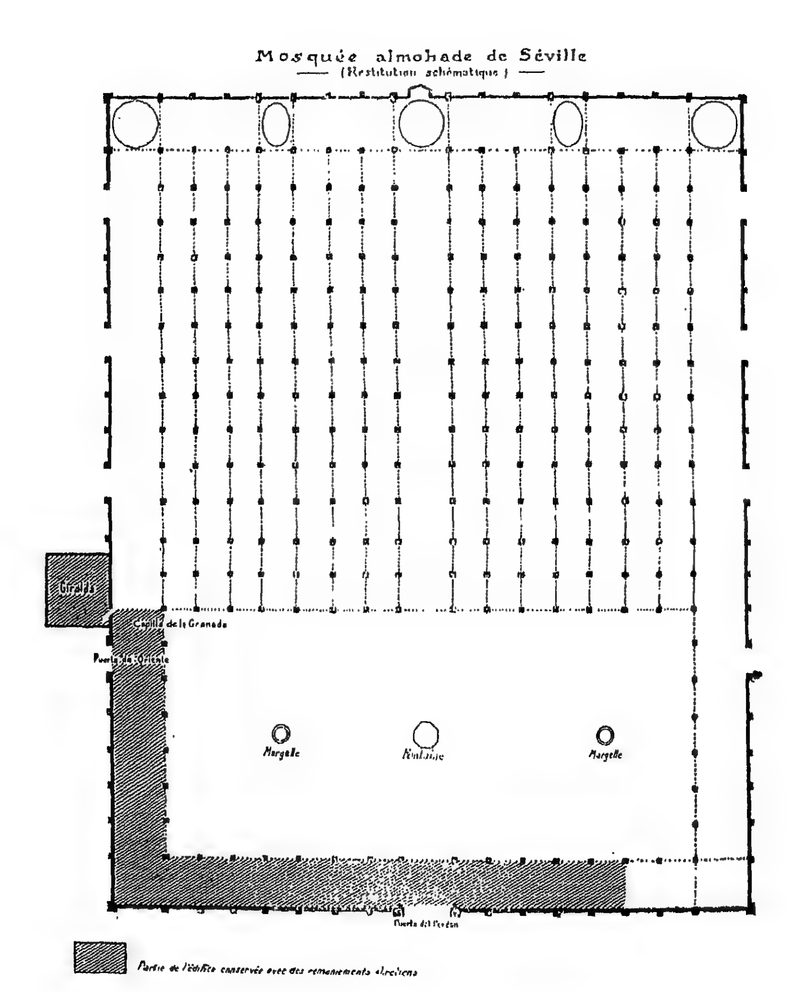
(شكل ١٩٢) مسقط أفقي لجامع تلمسان بالجزائر . (عن : تيراس) .



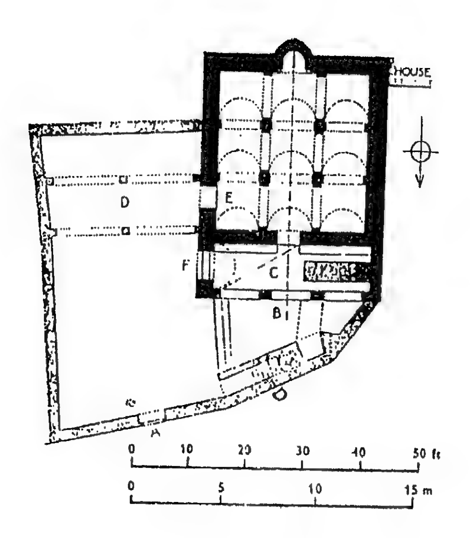
(شكل ١٩٣) مسقط أفقي لجامع الكتبية. (عن: تيراس).



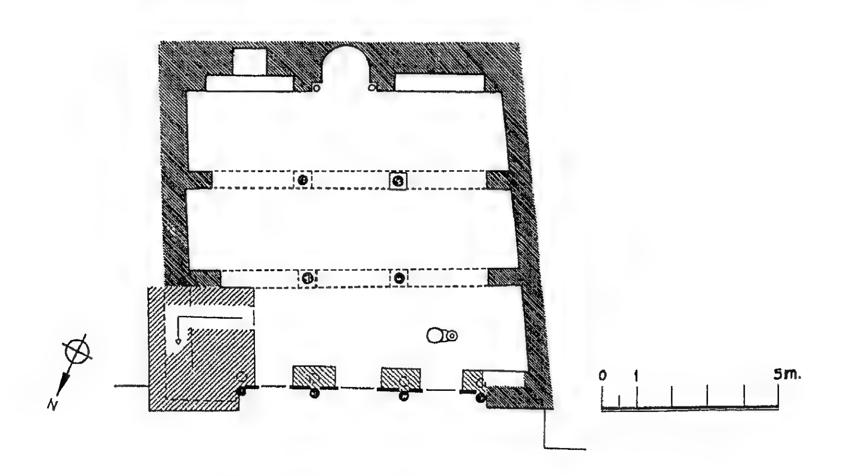
(شكل ١٩٤) جامع حسان بالرباط (المغرب الأقصي) .
(عن : هيلنبراند) .



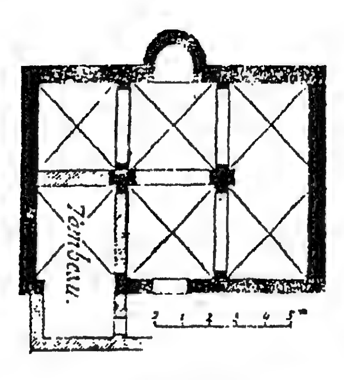
(شكل ١٩٥) مسقط أفقي لجامع اشبيليه الموحدى . (عن : تيراس) .



(شكل ١٩٦) مسقط أفقي لمسجد بوفتاته في سوسه بتونس . (عن : Creswell) .

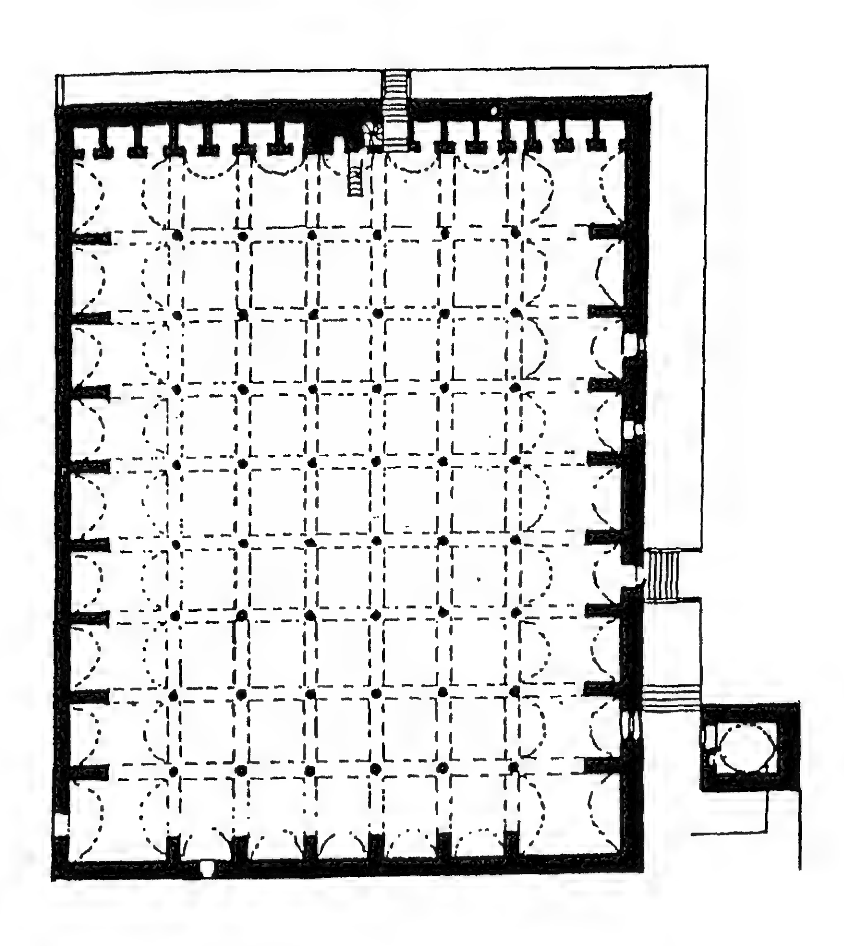


(شكل ١٩٧) مسقط أفقي لمسجد محمد بن خيرون المعافري المعروف
بمسجد الأبواب الثلاثة بالقيروان بتونس . (عن : Creswell).

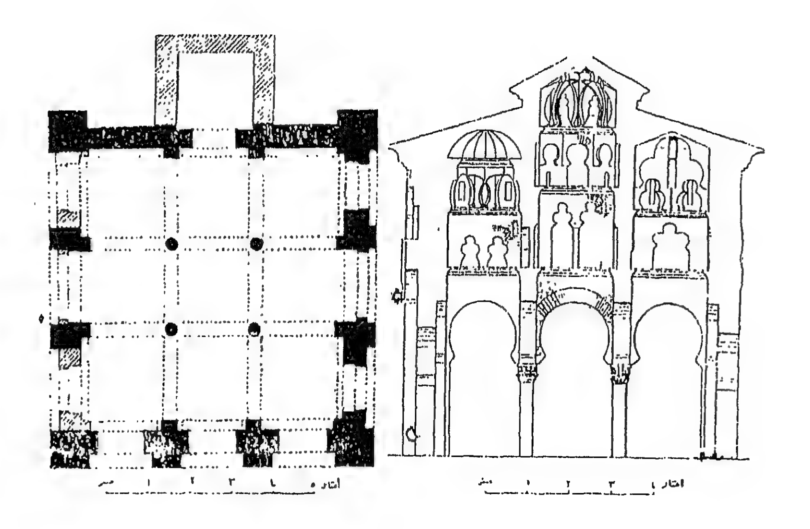


(شكل ١٩٨) مسقط أفقي لمسجد السيدة بالمنستير بتونس . (عن : Marcais) .

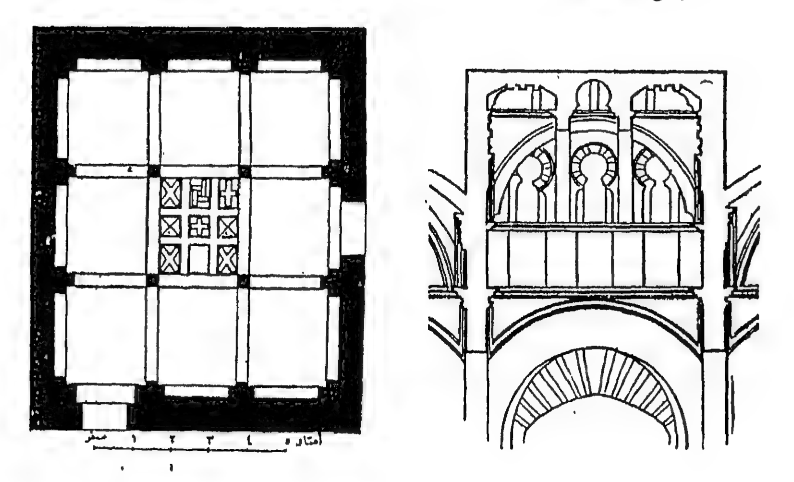
(شكل ١٩٩) مسقط أفقي لمسجد فنيانه بالأندلس . (عن:كمال عناني اسماعيل) .



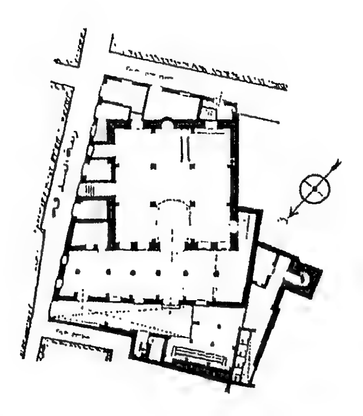
(شكل ٢٠٠) مسقط أفقي لجامع مراد أغا في تاجوراء بليبيا . (عن : El-Mahmudi) .



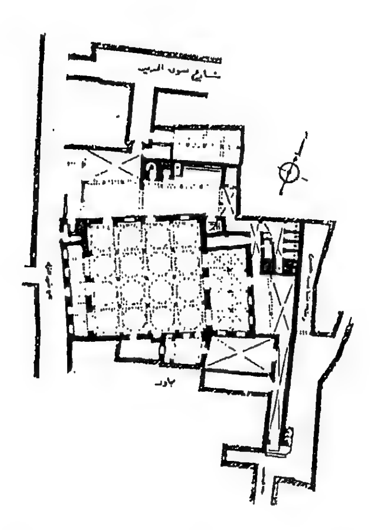
(شكل ٢٠١) مسقط أفقي وقطاع رأسي لمسجد الباب المردوم بطليطله .
(عن : Moreno) .



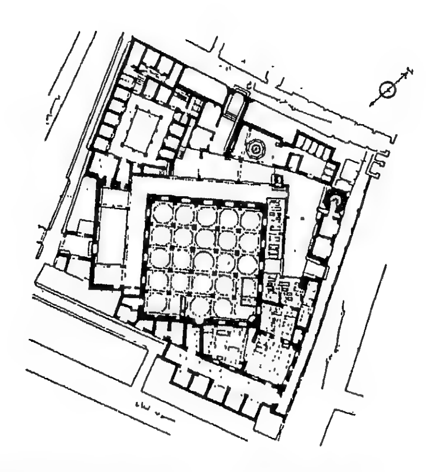
(شكل ٢٠٢) مسقط أفقي لمسجد المدجنين بطليطله . (عن : Moreno) .



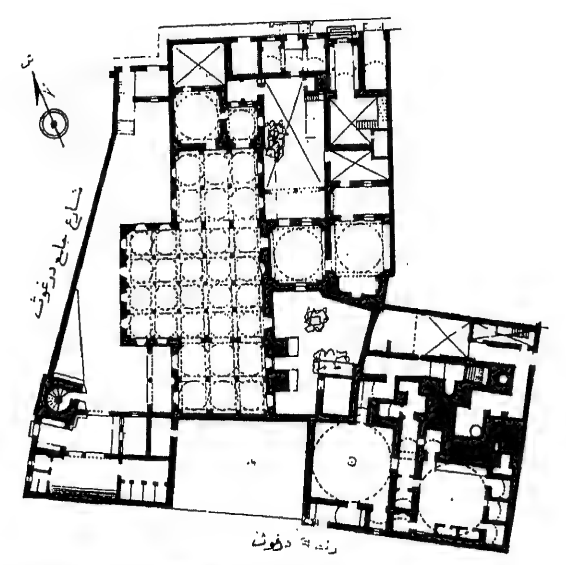
(شكل ٢٠٣) مسقط أفقي لجامع الخروبة بطرابلس الغرب في ليبيا.
(عن موسوعة الآثار الاسلامية في ليبيا - ج١) .



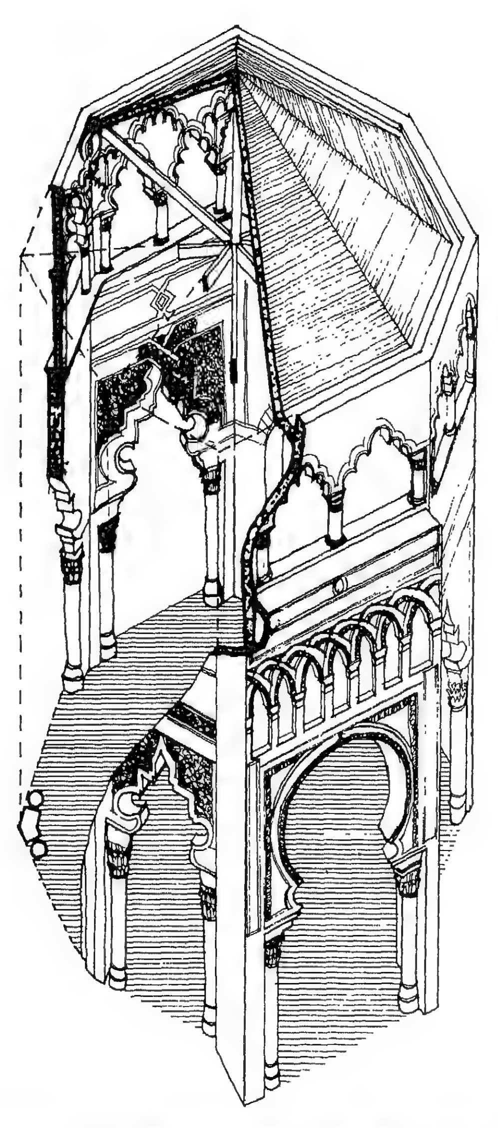
(شكل ٢٠٤) مسقط أفقي لجامع شائب العين محمد باشا بطرابلس الغرب.
(عن موسوعة الآثار الإسلامية في ليبيا - ج١) .



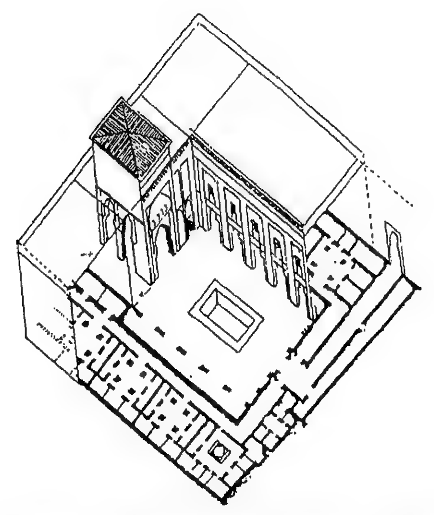
(شكل ٢٠٥) مسقط أفقي لجامع أحمد باشا القره مانللي بطرابلس الغرب.
(عن موسوعة الاثار الاسلامية المشار اليها).



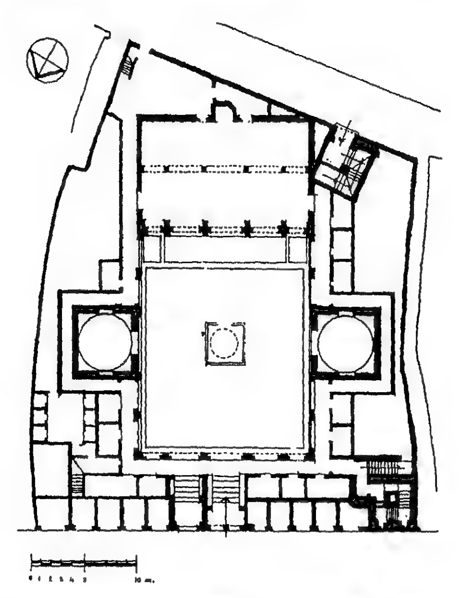
(شكل ٢٠٦) مسقط أفقي لجامع درغوت باشا بطرابلس الغرب بليبيا
(عن موسوعة الآثار الاسلامية في ليبيا - ج١).



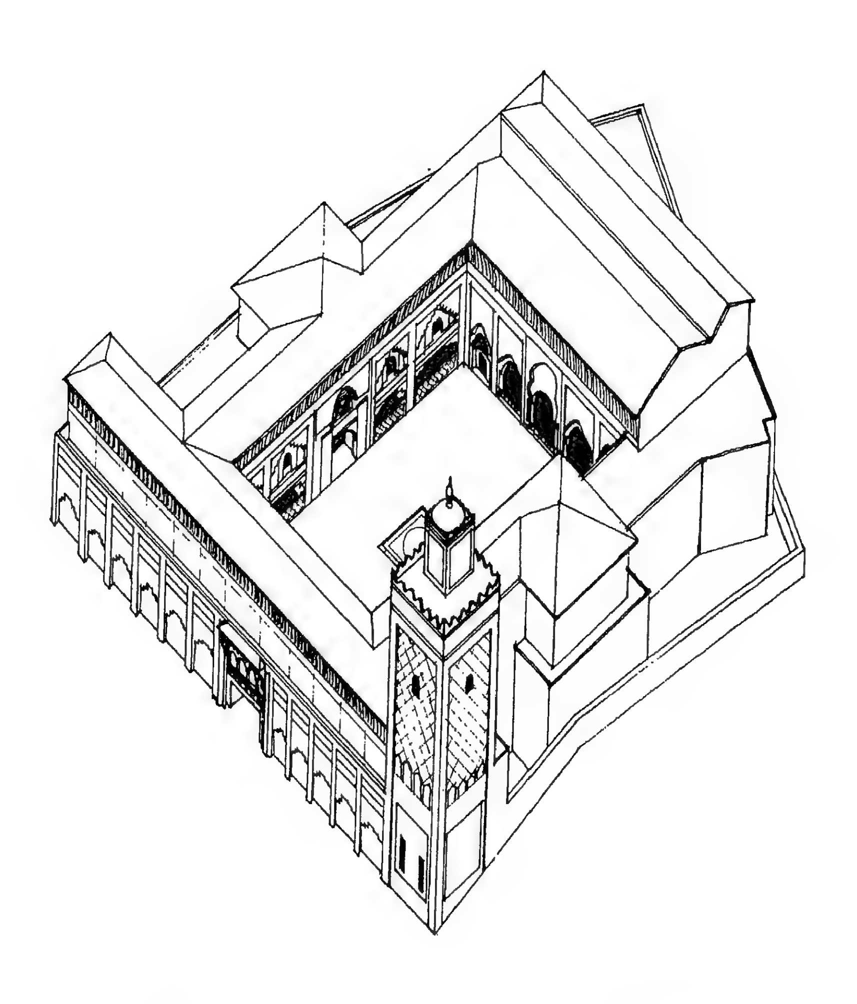
(شكل ٢٠٧) المسجد الملحق بقصر الجعفرية بسرقسطة . (الثغر الأعلي بالأندلس)
(طراز المسجد القبة)(عن : هيلنبراند) .



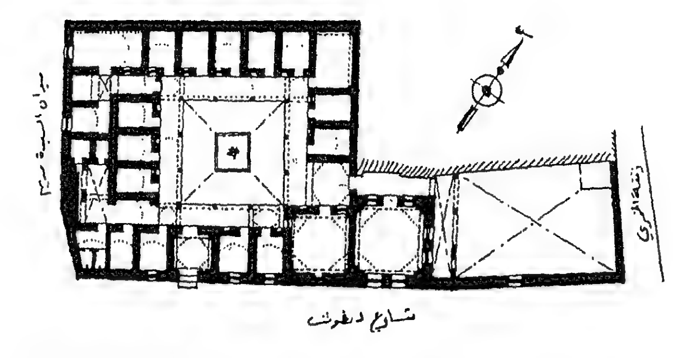
(شكل ٢٠٨) مدرسة ابن يوسف بمراكش (عن : الكحلاوى) .



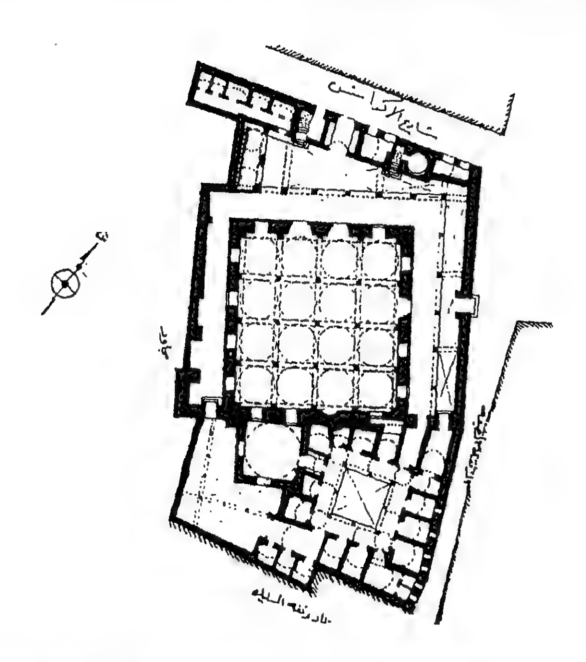
(شكل ٢٠٩) مسقط أفقي للمدرسة البوعنانية بفاس. (عن : الكحلاوي) .



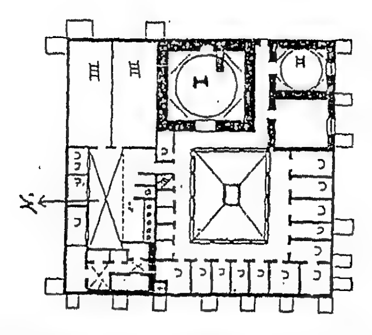
(شكل ٢٠٩مكرر) المدرسة البوعنانية بفاس . (عن : هيلنبراند) .



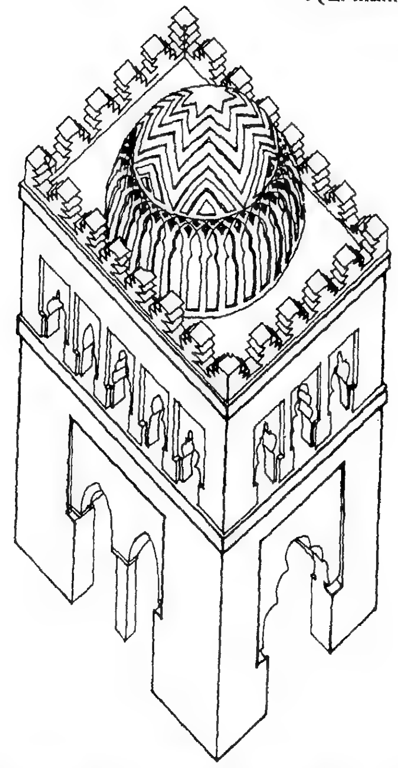
(شكل ٢١٠) مسقط أفقي لمدرسة عثمان باشا الساقزلي بطرابلس الغرب بليبيا
(عن موسوعة الآثار الاسلامية في ليبيا) .



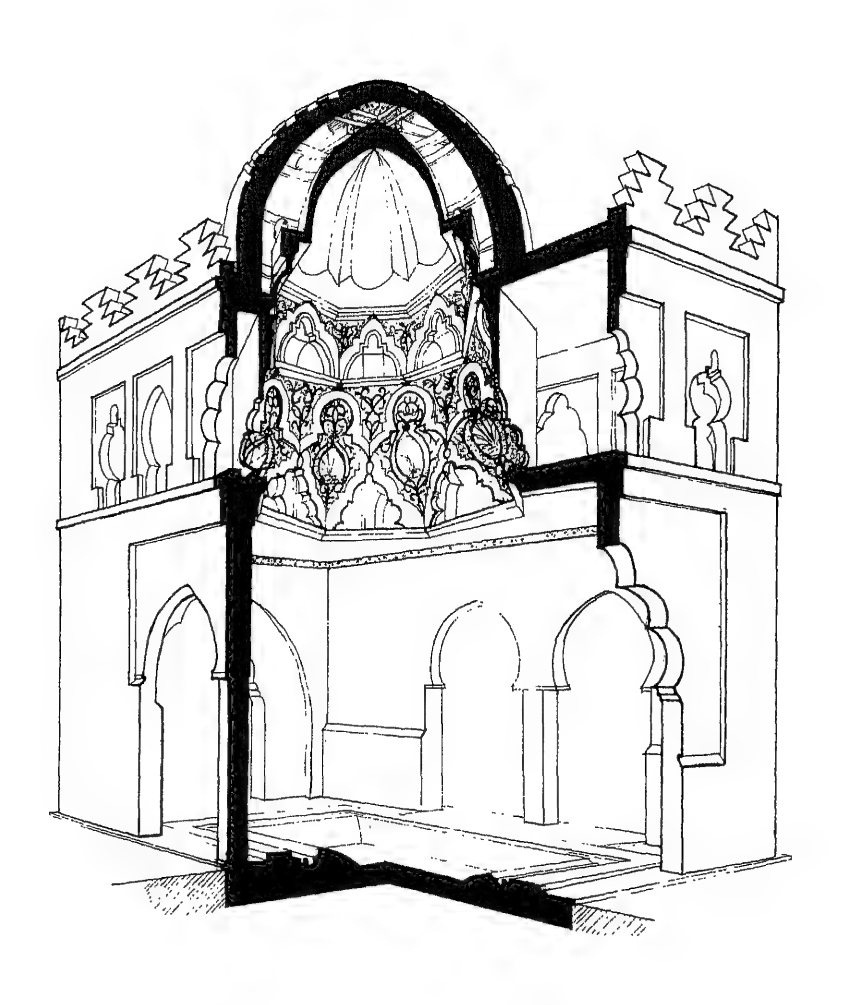
(شكل ٢١١) مسقط أفقي لمدرسة وجامع مصطفى قورجي بطرابلس الغرب بليبيا
(عن موسوعة الآثار الاسلامية في ليبيا) .



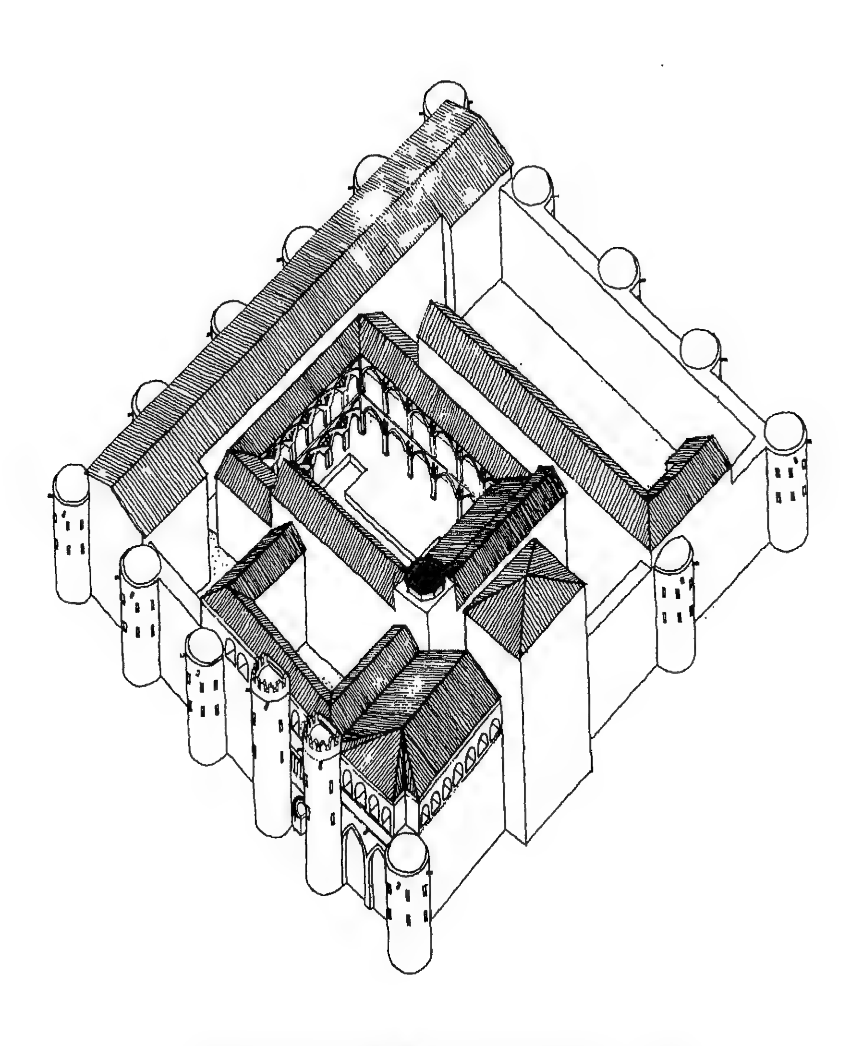
(شكل ٢١٢) مسقط أفقي لزاوية (مدرسة) عموره بجنزور في ليبيا .
(عن : El-Mahmudi) .



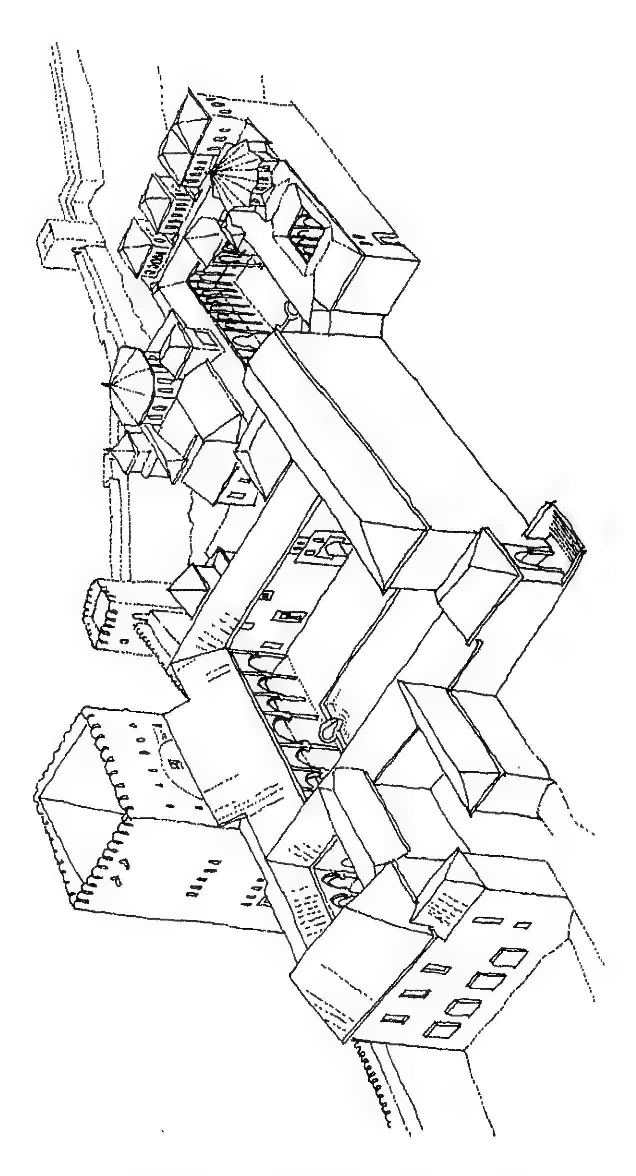
(شكل ٢١٣) قبة البروديين بمراكش . (عن : هيلنبراند) .



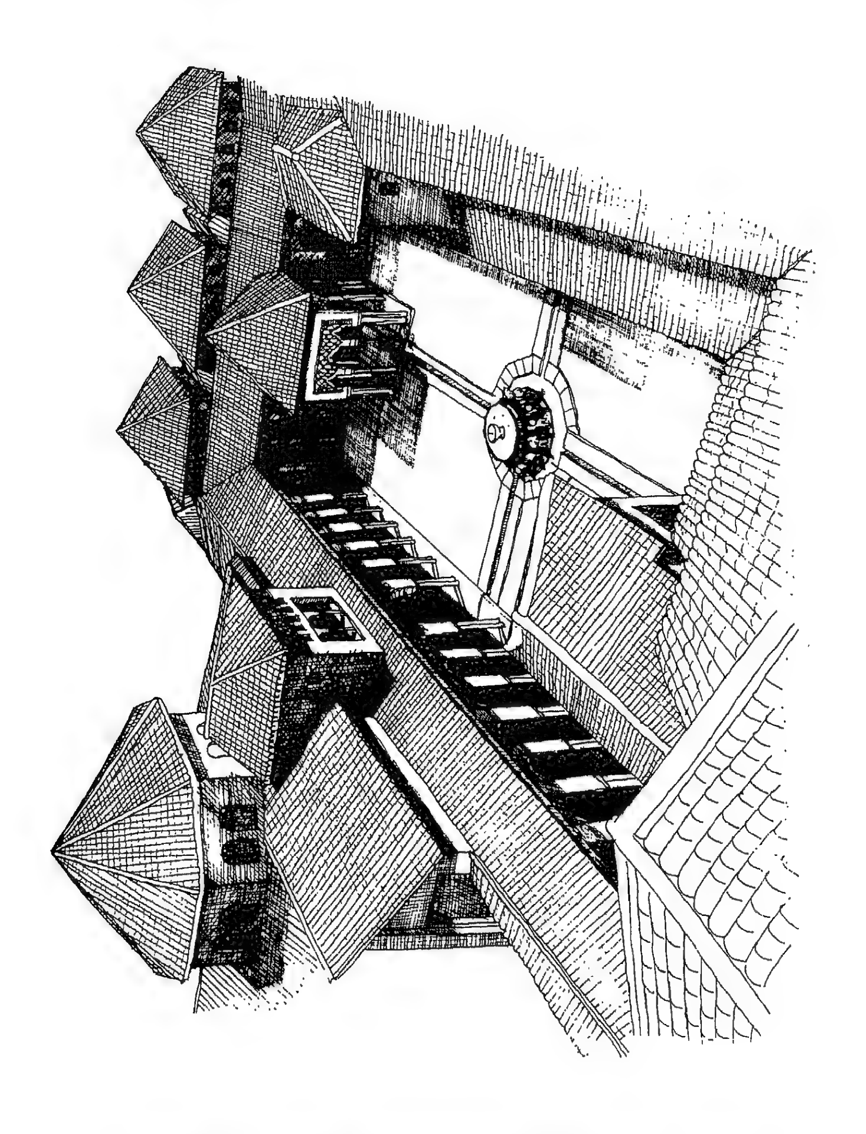
(شكل ٢١٣مكرر) قبة البروديين بمراكش . (عن : هيلتبراند) .



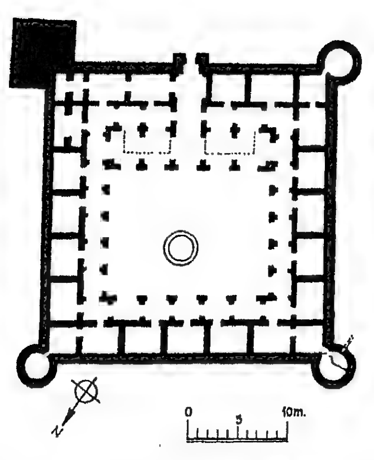
(شكل ٢١٤) قصر الجعفرية بسرقسطة . (عن : هيلنبراند) .



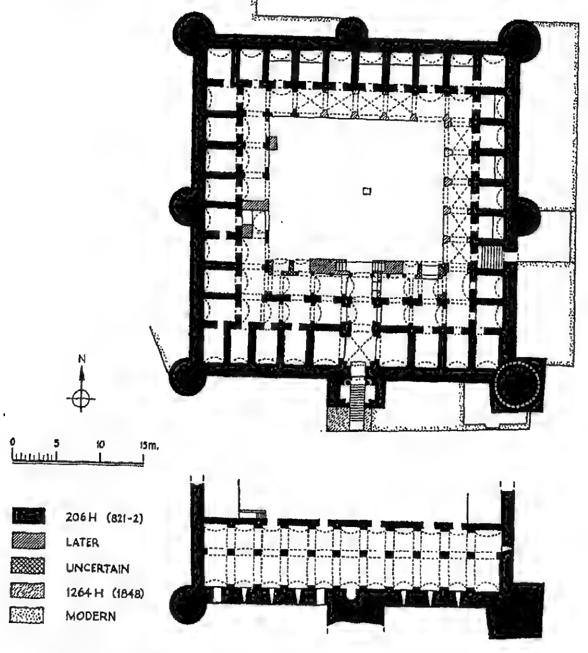
(شكل ٢١٥) قصر الحمراء بغرناطه . (عن : هيلنبراند) .



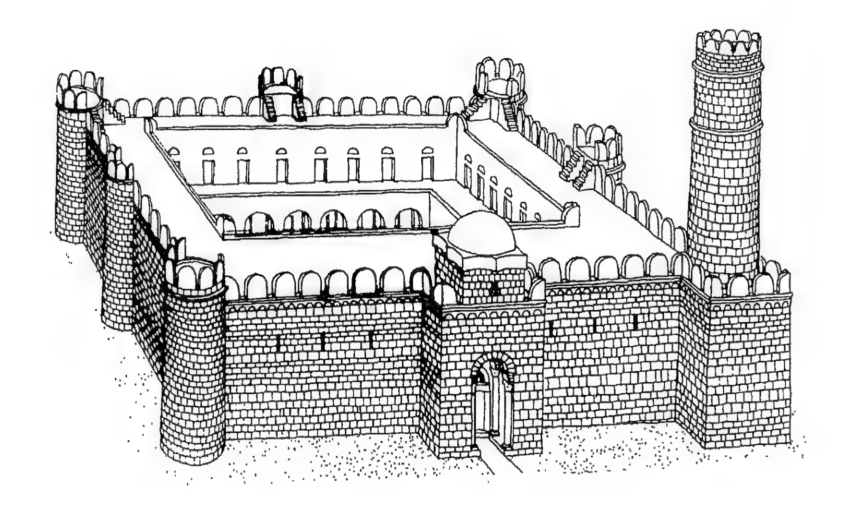
(شكل ٢١٦) بهو السباع أو الاسود بقصر الحمراء بغرناطه . (عن : هيلنبراند) .



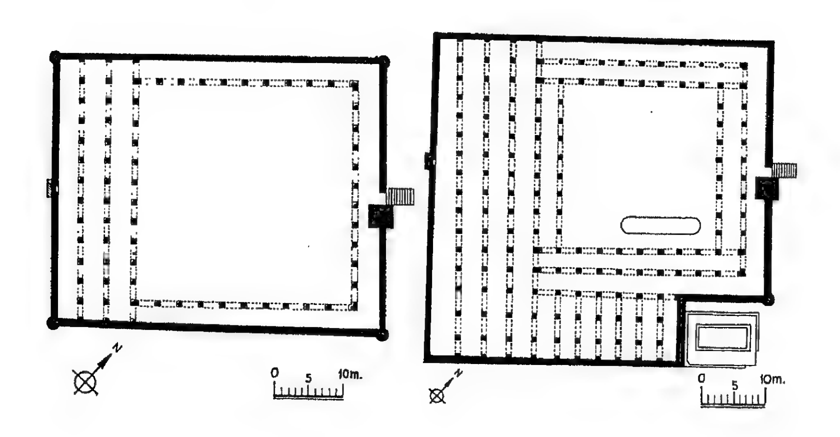
(شكل ٢١٧) مسقط أفقي لرباط المنستير بتونس . (عن : ليزين) .



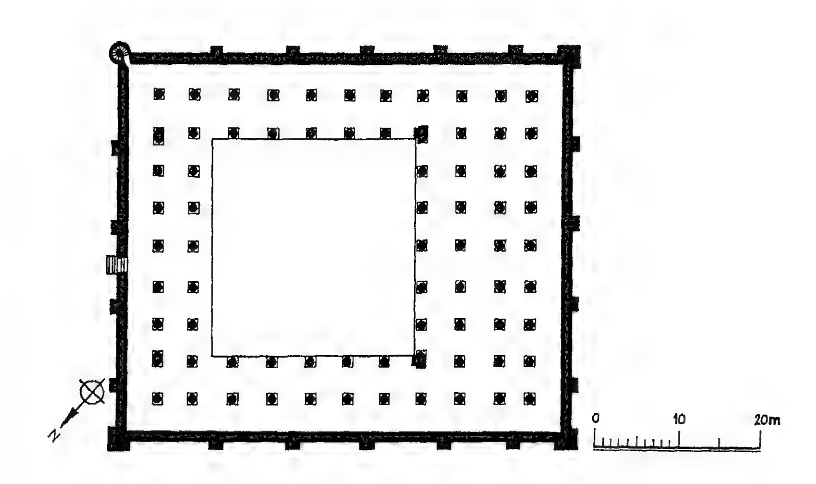
(شكل ٢١٨) مسقط أفقي لرباط سوسه بتونس . (عن : كريزول) .



(شكل ٢١٩) رباط سوسه بتونس . (عن : هيلنبراند) .



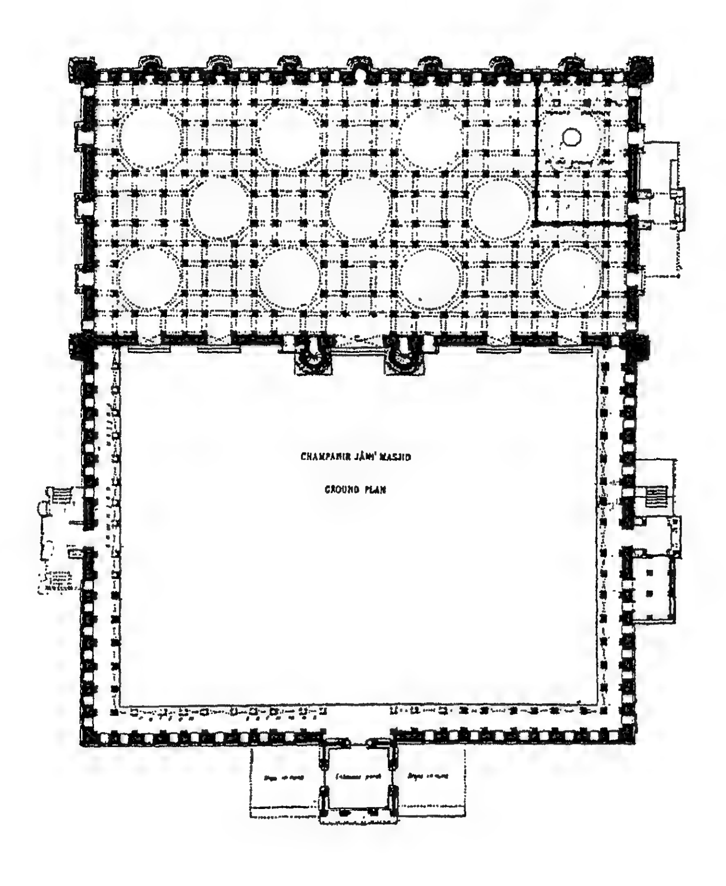
(شكل ٢٢٠) مسقط أفقي لجامع سيراف (الأيسر) المرحلة الأولي ، (الأيمن) المرحلة الثانية . (عن : كريزول) .



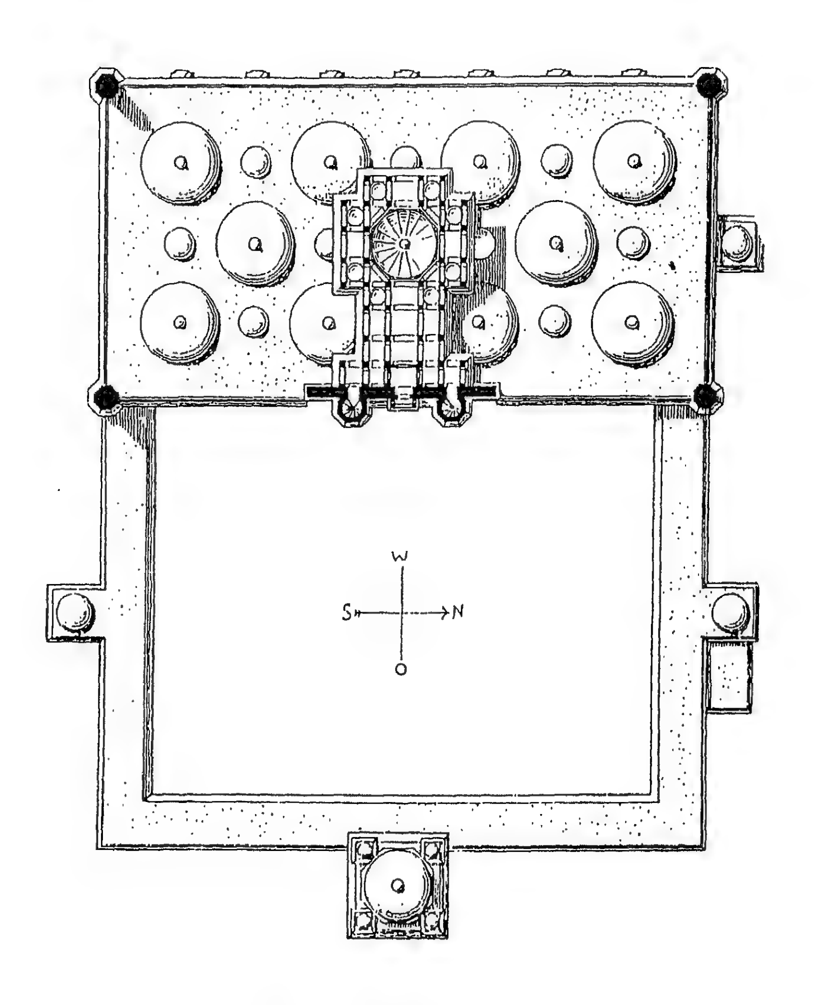
(شكل ٢٢١) مسقط أفقي لجامع سوسه (خوزستان) . (عن : كريزول) .

Drawn by Eric Schroeder.

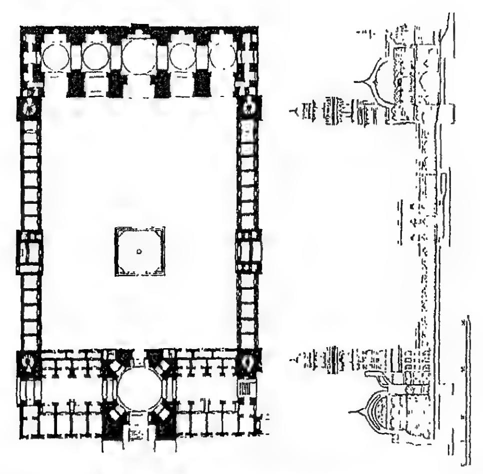
(شكل ٢٢٢) مسقط أفقي لجامع نايين . (عن:بوب) .



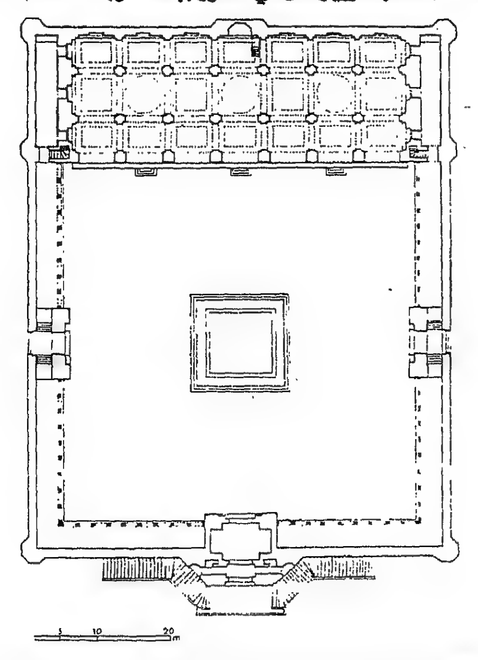
(شكل ٢٢٣) المسجد الجامع في شامبانير (مسقط) ٩٠٦هـ/١٥٠٠م (عن : براون).



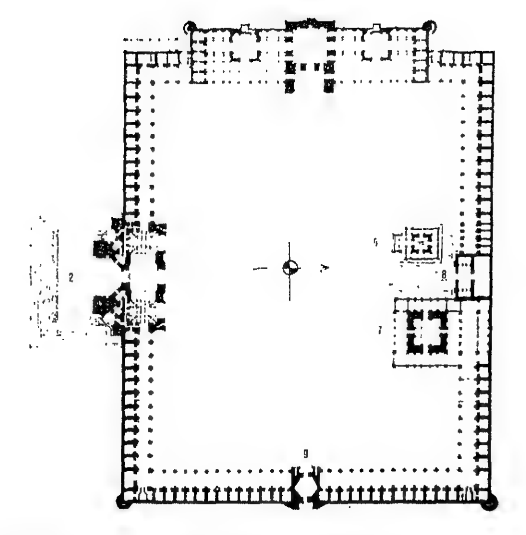
(شكل ٢٢٣مكرر) المسجد الجامع في شامبانير
٩٠٦هـ/١٥٠٠م.



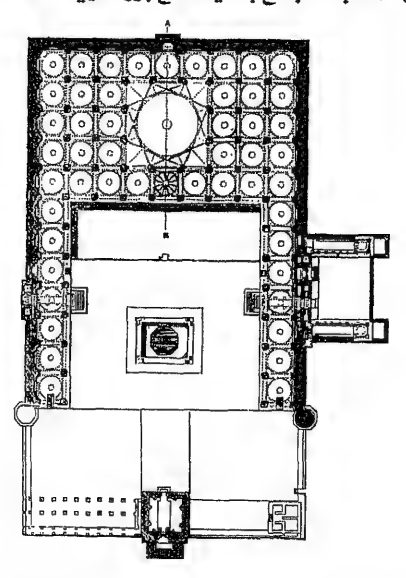
(شكل ٢٢٤) مسجد وزيرخان في لاهور (باكستان) ١٠٥٣هـ/١٦٤٣م.



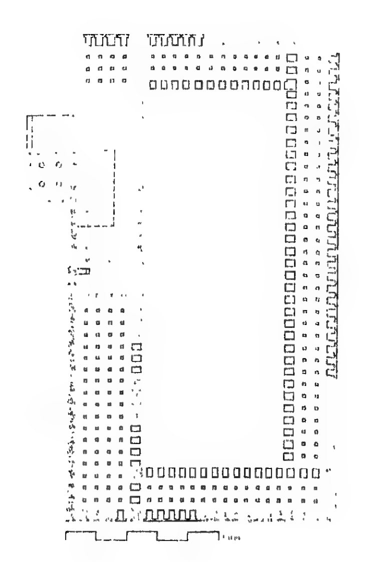
(شكل ٢٢٥) مسجد موتي (أومسجد اللؤلؤة) في آجرا ١٠٥٦ - ١٠٦٦هـ/١٦٤٨ - ١٦٥٥م.



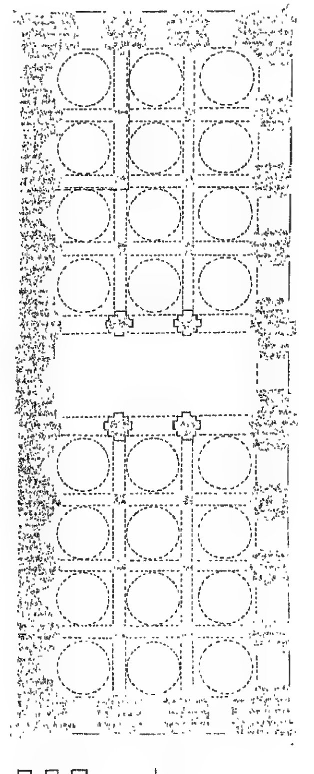
(شكل ٢٢٦) المسجد الجامع بمدينة فتح بورسكري ٩٧٩هـ/١٥٧١م (مسقط) .



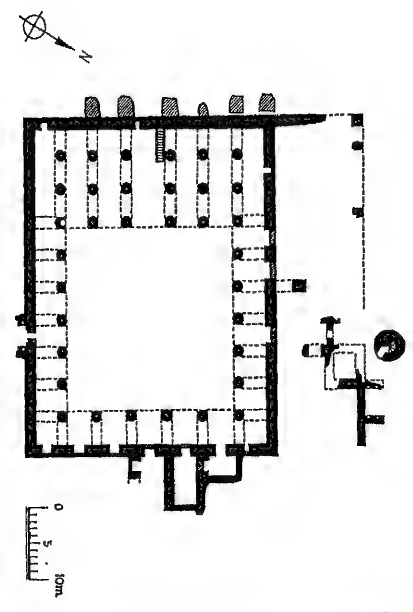
(شكل ٢٢٧) المسجد الجامع في بيجابور منتصف ق١١هـ/١٧م) . (عن : فرجسون) .



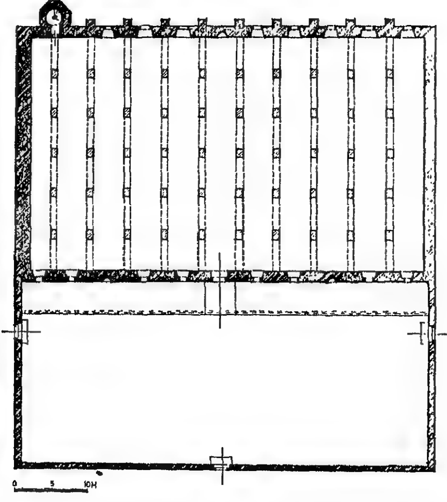
(شكل ٢٢٨ مسقط أفقي لمسجد Adina ٧٧٦هـ/١٣٧٤م في باندوا (غرب البنغال) (عن : جورج ميشيل) .



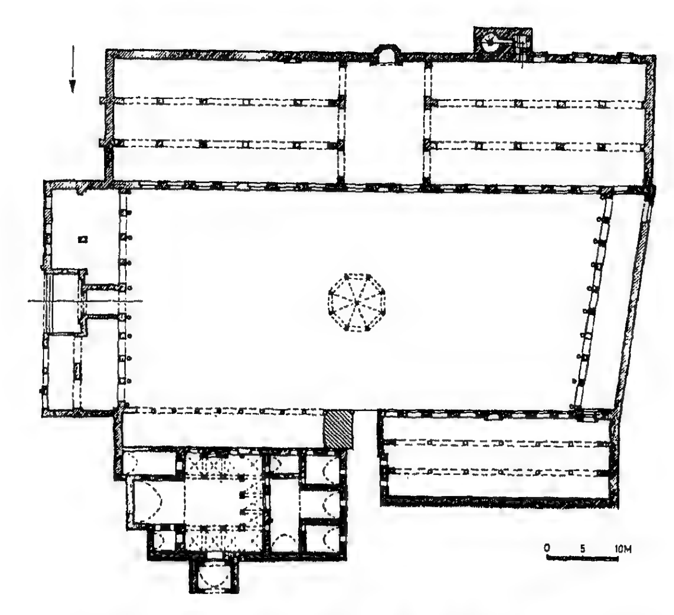
(شكل ٢٢٩) مسقط أفقي لمسجد Gunmant في Gaur (غرب البنغال) . (عن : جورج ميشيل) .



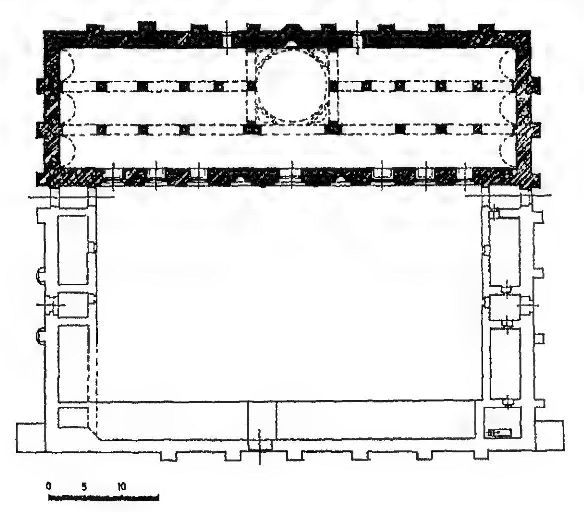
(شكل ٢٣٠) مسقط أفقي لجامع تاريخانه (طارق خانه) بدمغان . (عن : Creswell) .



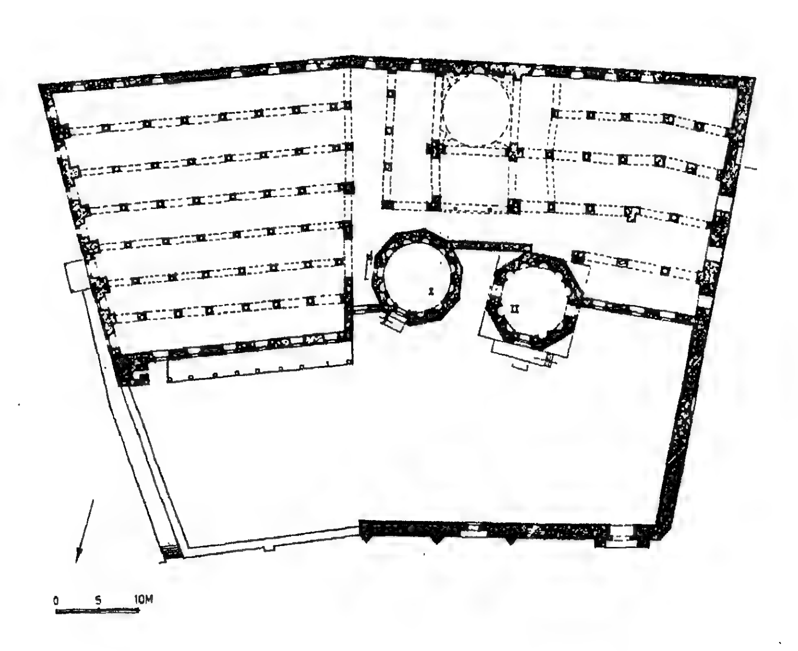
(شكل ٢٣١) مسقط أفقي للجامع الكبير (اولو جامع) في سيواس (عن : Aslanapa) .



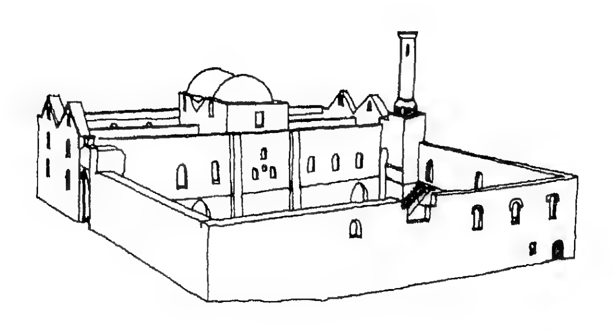
(شكل ٢٣٢) مسقط أفقي للجامع الكبير بديار بكر. (عن : آصلان آبا).

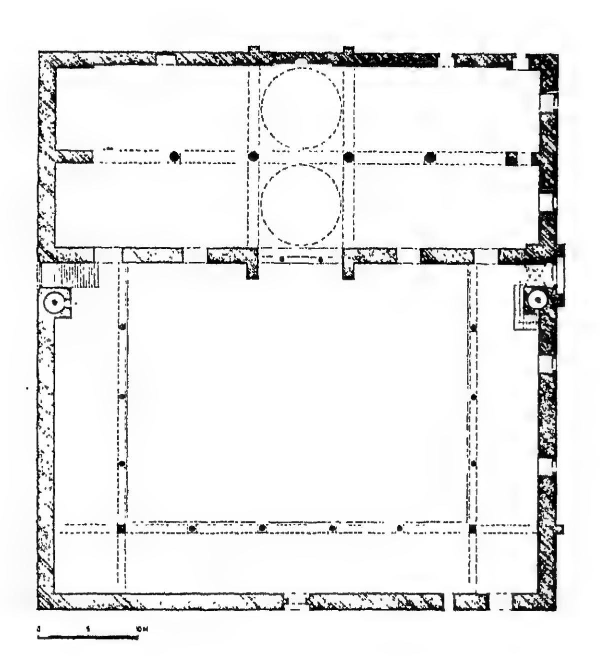


(شكل ٢٣٣) مسقط أفقي للجامع الكبير في دنيصر (قزيل تبه) (عن : آصلان آبا).

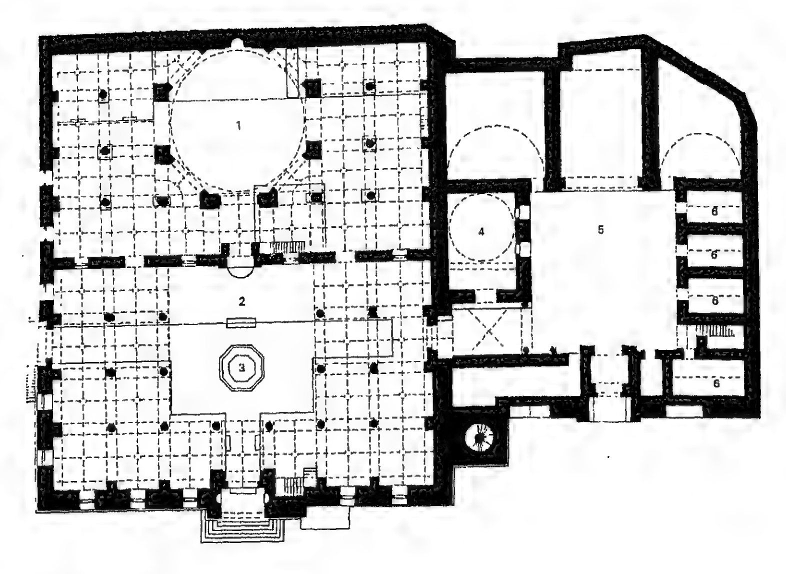


(شكل ٢٣٤) مسقط أفقي لمسجد علاء الدين في قونيه . (عن : آصلان آبا) .



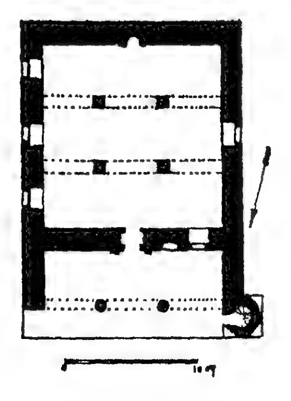


(شكل ٢٣٥) مسجد عيسي بك في سلجوق قرب افسوس (عصر بني آيدين) ٧٧٦هـ/١٣٧٤م (أعلي) عن : هيلنبراند (أسفل) عن (آصلان آبا) .

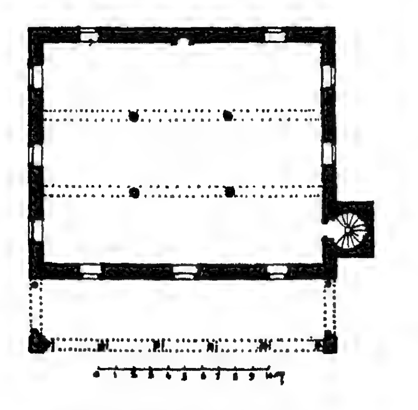


(شكل ٢٣٦) الجامع الكبير (أولو جامع) والمدرسة الملحقة به في مغنيسة (مانيسا) ٧٧٨هـ/١٣٧٦م (عصر بني صاروخان) (عن : جود وين) .

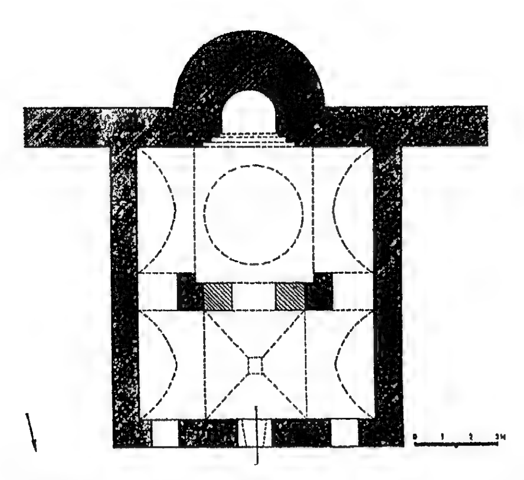
١ - الجامع ٢ - الحرم ٣ - الشادروان ٤ - التربه ٥ - صحن المدرسة ٦ - الخلاوي .



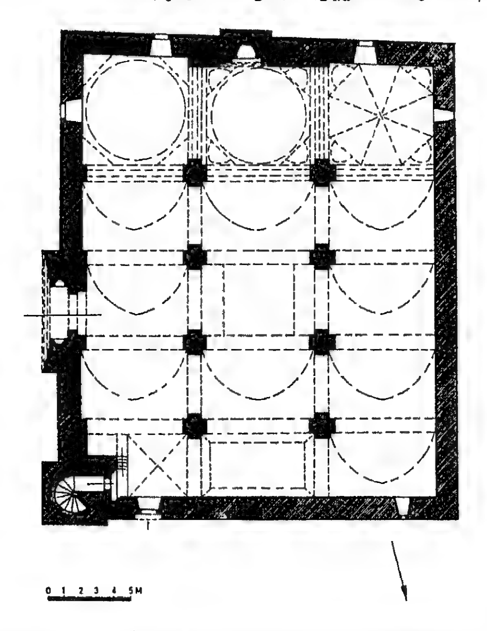
(شكل ٢٣٧) مسقط أفقي لمسجد بارسيما . (عن : Gabriel) .



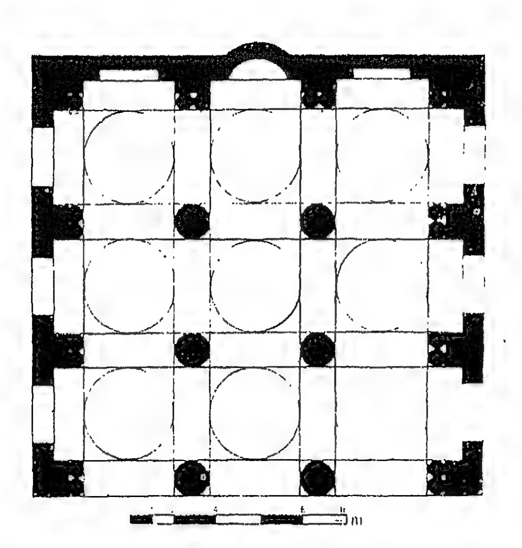
(شكل ٢٣٨) مسقط أفقي لمسجد ساري علي . (عن : Gabriel) .



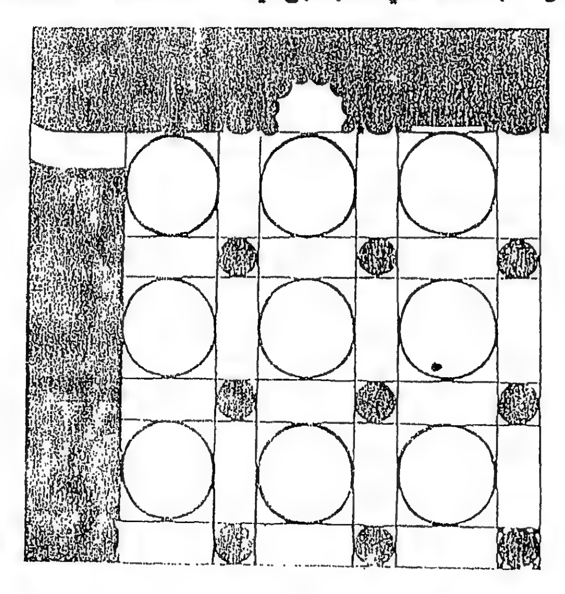
(شكل ٢٣٩) مسقط أفقي لمسجد القلعة بأرضروم أواخر ق ٦هـ/١٢م وأوائل ق٧هـ/١٣م (عصر السلطقيين) . (عن : آصلان آبا).



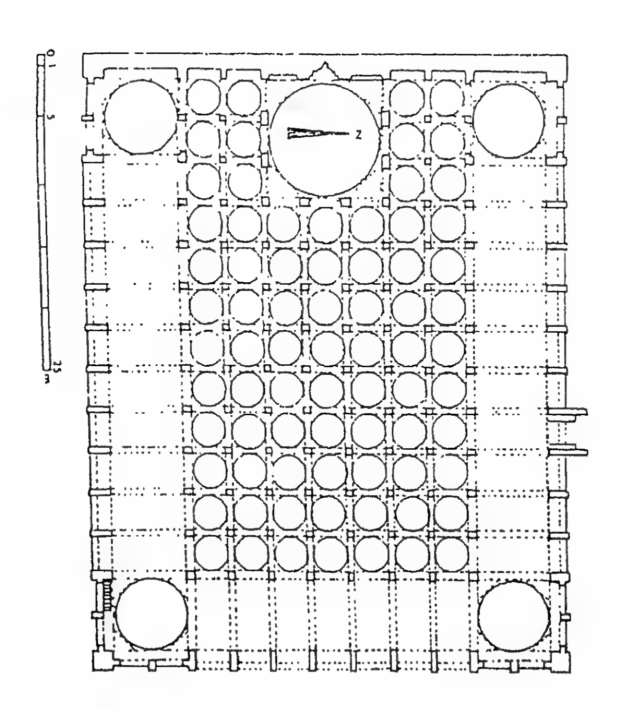
(شكل ٢٤٠) مسقط أفقى لمسجد علاء الدين فى نيكَده . (عن : آصلان آبا) .



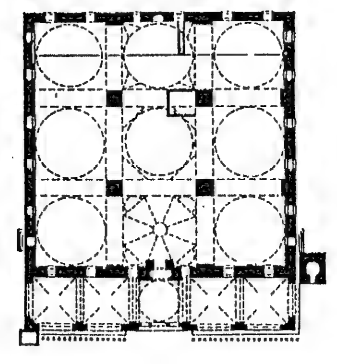
(شكل ٢٤١) مسقط أفقي لمسجد بلخ في أفغانستان . (عن : Golombek) .



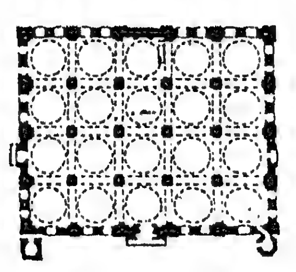
(شكل ٢٤٢) مسقط أفقي لمسجد ترمذ . (عن : Hillenbrand) .



(شكل ٢٤٣) مسجد كلبرجا الجامع ٧٦٩هـ/١٣٦٧م (سلاطين بهمن) : مسقط أفقي .

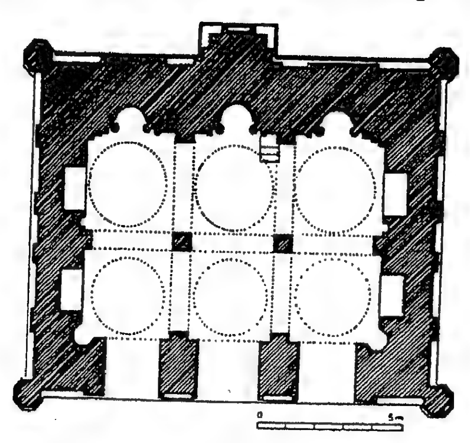


(شكل ٢٤٥) مسقط أفقي للجامع العتيق أو القديم في ادرنه .

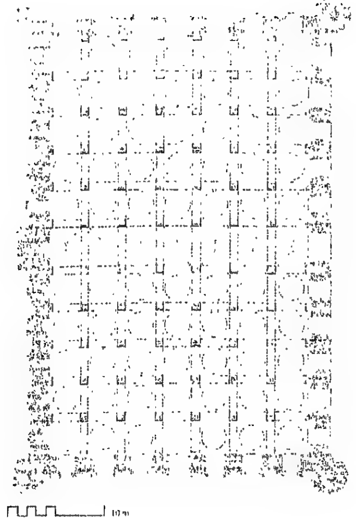


(شكل ٢٤٤) مسقط أفقي للجامع الكبير في بروسه (بورصة) . (عن : Goodwin) .

(شكل ٢٤٦) الجامع الكبير (أولو جامع) في بروسه (أو بورصة) (عن : هيلنبراند) .



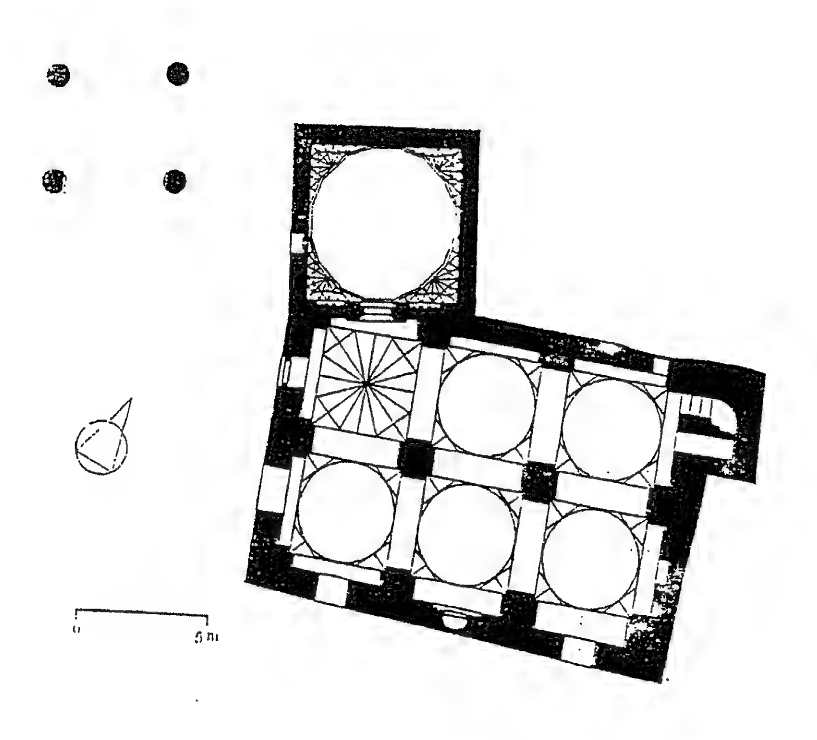
(شكل ٢٤٧) مسقط أفقي لجامع بابا آدم في رامبال بالبنغال . (عن : Michell) .



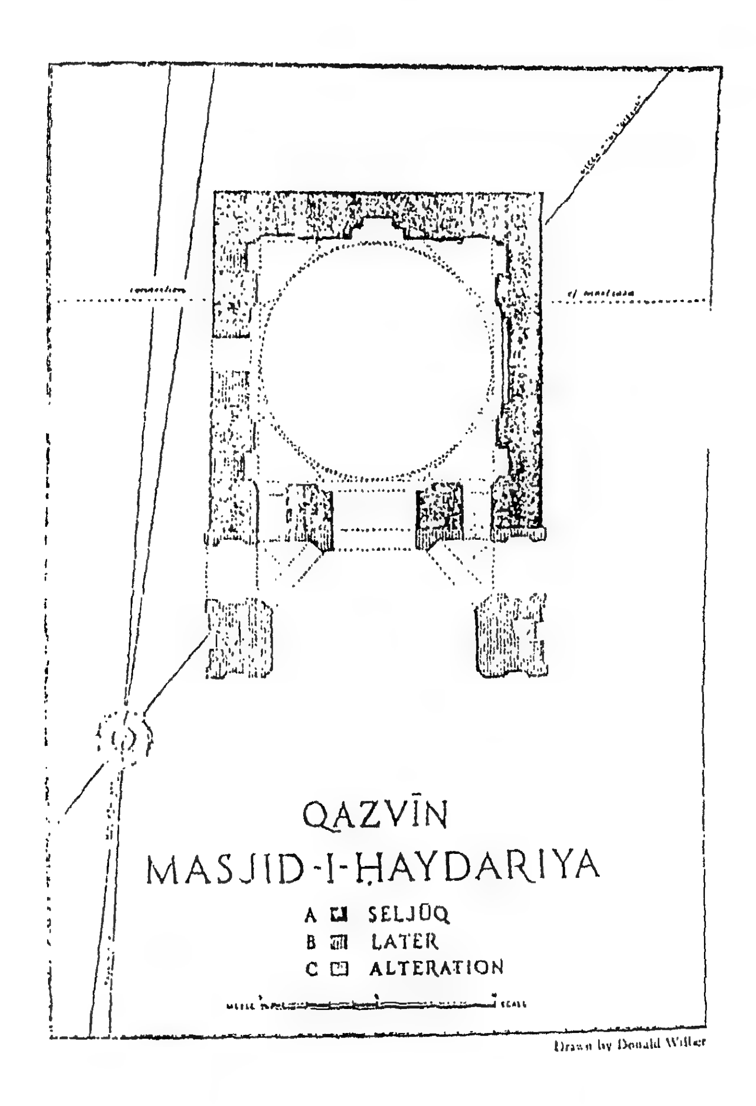
(شكل ٢٤٨) مسقط أفقي لمسجد Saithgumbad فى بنجلاديش . (عن : جورج ميشيل) .

(شكل ٢٤٩) مسقط أفقي لمسجد باراسونا في بنجلاديش ٩٣٢هـ/١٥٢٦م (عن : جورج ميشيل) .

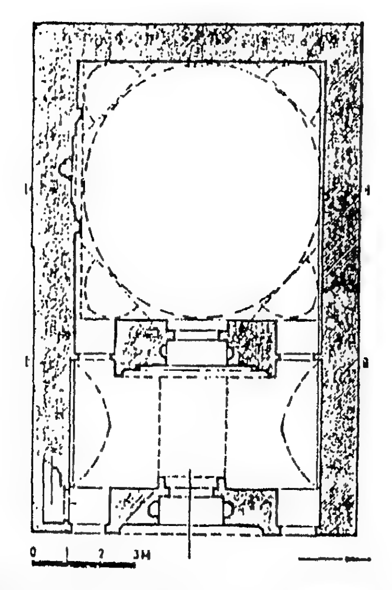
10 m



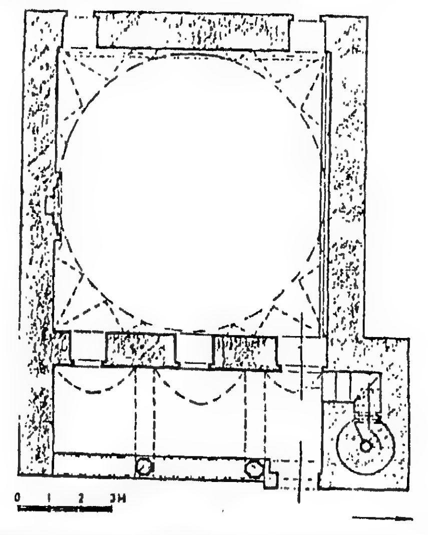
(شكل ٢٥٠) مسقط أفقي لجامع وقبة الشيخ خراسان في ازربيجان .
(عن : Bretanizki) .



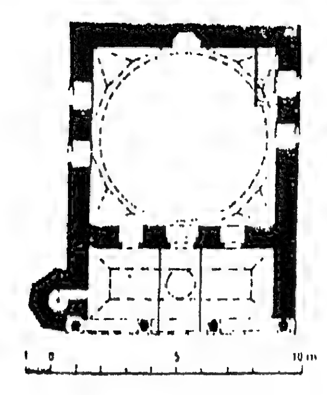
(شكل ٢٥١) مسقط أفقي لمسجد الحيدرية بقزوين . (عن : بوب) .



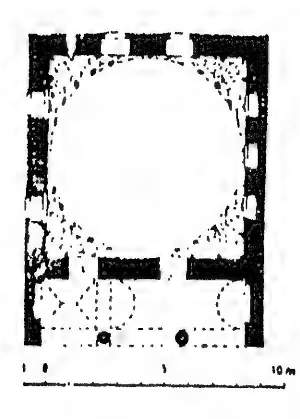
(شكل ٢٥٢) مسقط أفقي لمسجد طاش بقونية (عن : Aslanapa) .



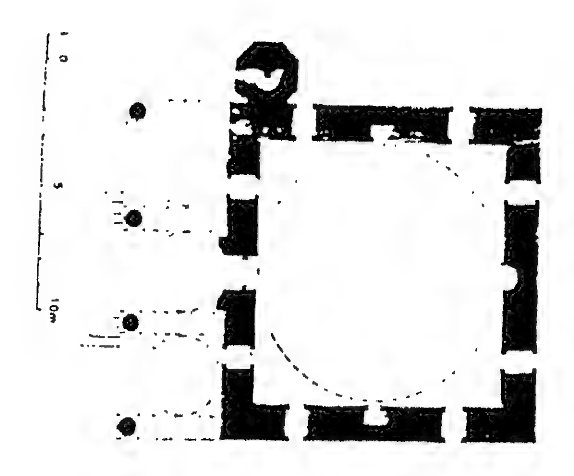
(شكل ٢٥٣) مسقط أفقي لمسجد صرجالي بقونية (عن : Aslanapa) .



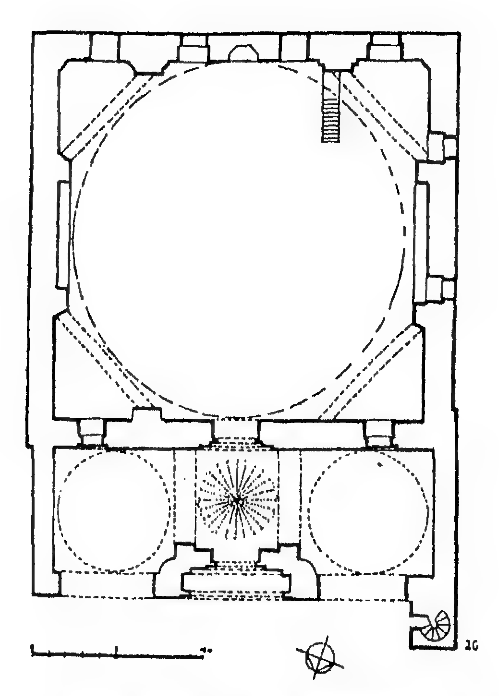
(شكل ٢٥٤) مسقط أفقي
لجامع حاجي اوزبك في ازنيق.
(عن : Goodwin) .



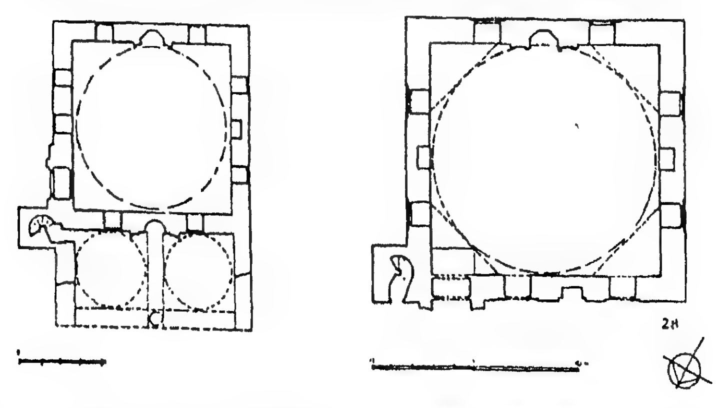
(شكل ٢٥٥) مسقط أفقي لمسجد
علاء الدين بك في بروسه (اوبورصه)
(عن : Goodwin) .



(شكل ٢٥٦) مسقط أفقي لجامع فيروز أغا
في استانبول . (عن : Goodwin) .

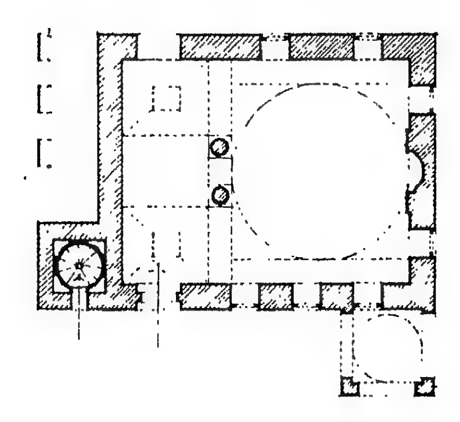


(شكل ٢٥٧) مسقط أفقي لجامع بايزيد يلدريم في مودورنو . (عن : Kuran) .

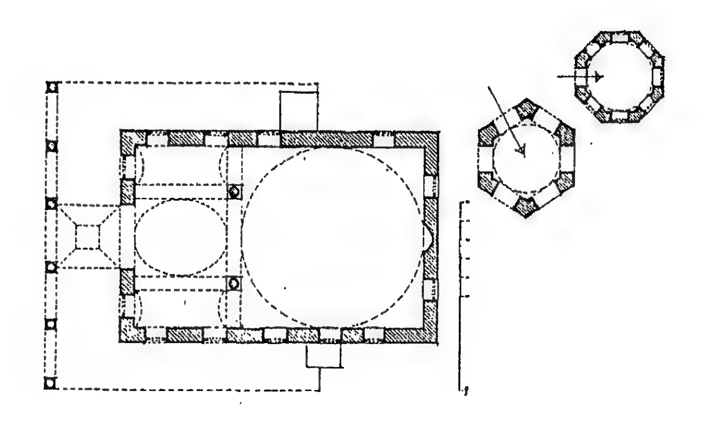


(شكل ٢٥٨) مسقط أفقي لمسجد قاسم باشا في ادرنه . (عن : Kuran).

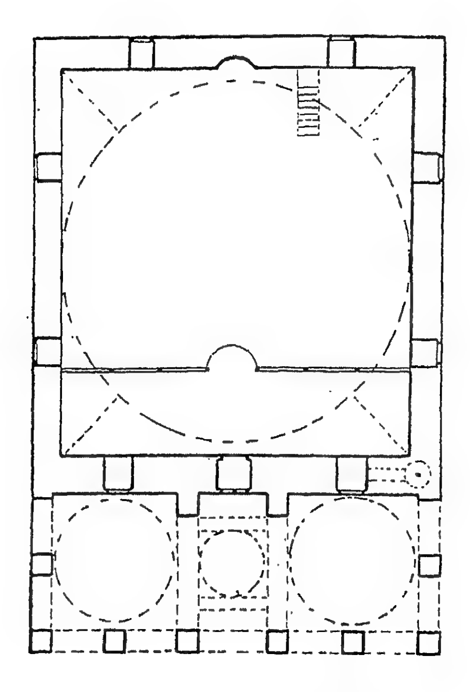
(شكل ٢٥٩) مسقط أفقي لمسجد حاجي شهاب الدين باشا في ادرنه . (عن : Kuran).



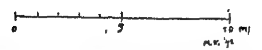
(شكل ٢٦٠) مسقط أفقي لمسجد شاه ملك في ادرنه (عن أصلان أبا) .



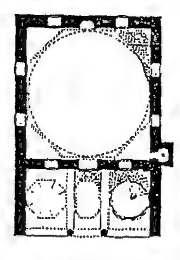
(شكل ٢٦١) مسقط أفقي لدار الحديث في أدرنه (عن : أصلان ابا) .



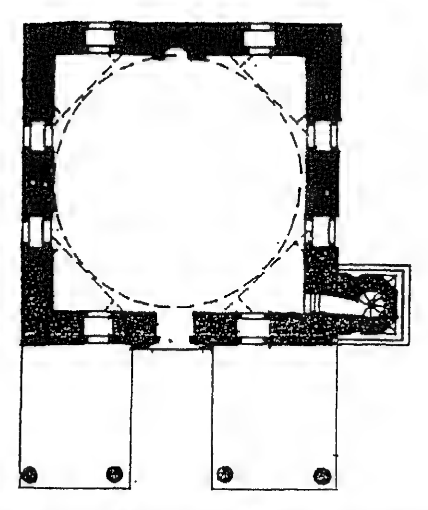
Stara Zagora Hamza Bey Mosque



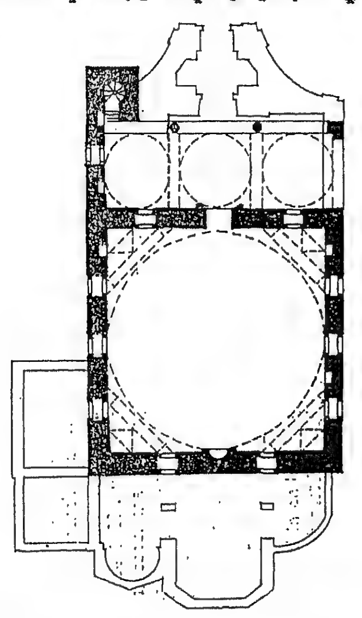
(شكل ٢٦٢) مسقط أفقي للمسجد القديم (اسكي جامع) في اسكي زغرا في بلغاريا (عن : كيل) .



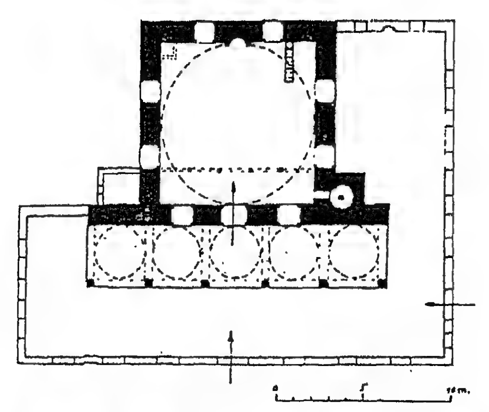
(شكل ٢٦٣) مسقط أفقي لمسجد الفاتح في كستنديل (عن : ايفردي) .



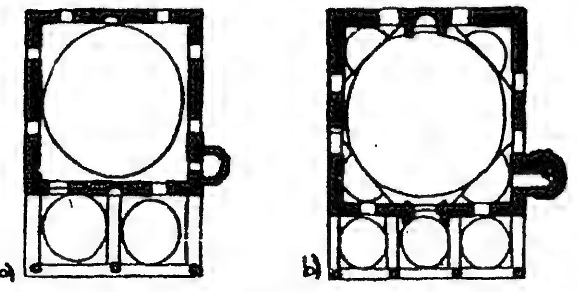
(شكل ٢٦٤) مسقط أفقي لمسجد ياكوفالي حسن باشا في Pécs المجرية (عن : جيرو) .



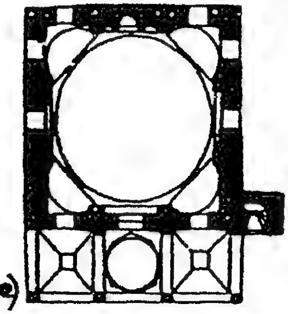
(شكل ٢٦٥) مسقط أفقي لمسجد علي باشا في Szigetvar المجرية (عن : جيرو) .



(شكل ٢٦٦) مسقط أفقي للمسجد الجديد (يني جامع) في كوموتيني باليونان (عن : كيل) .



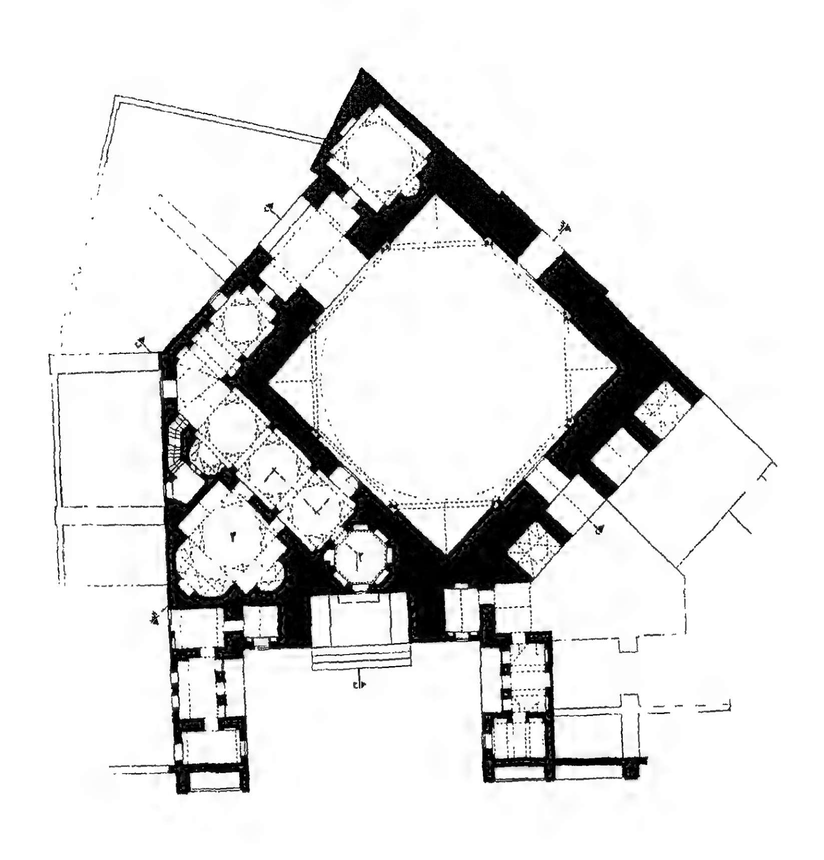
(شكل ٢٦٧) مسقط أفقي لمسجد نيش A ومسجد قراكوز محمد باشا B في موستار (عن : Pašić) .



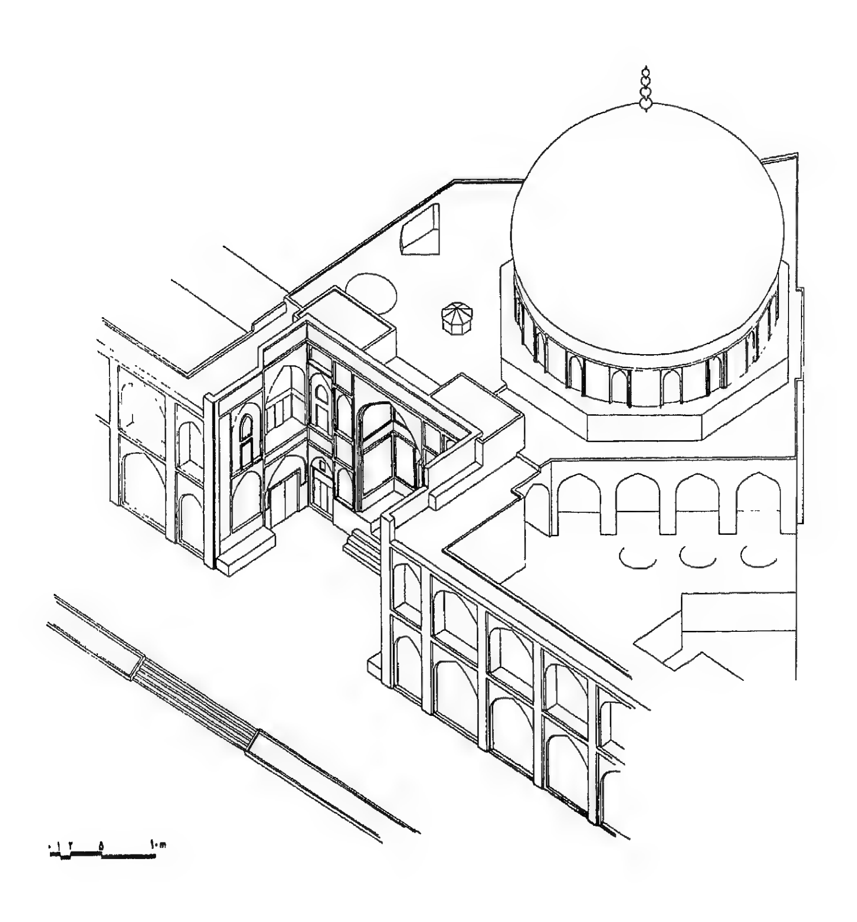
(شكل ٢٦٨) مسقط أفقي لمسجد Hadun في ياكوفكا (عن : Pašić) .



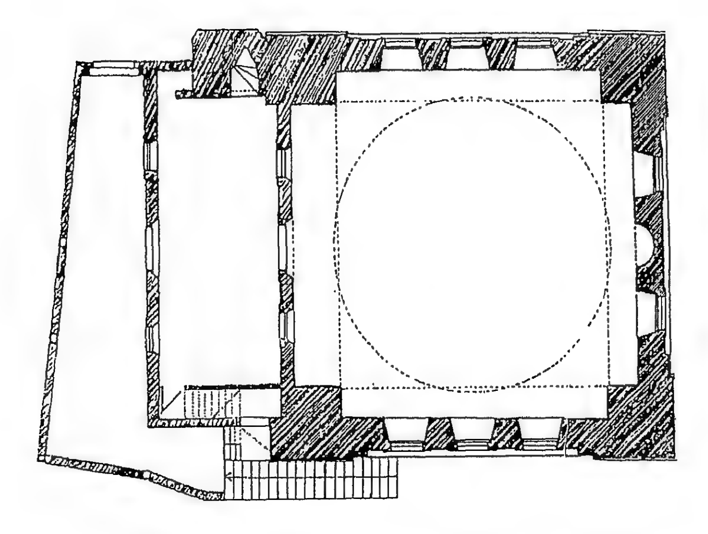
(شكل ٢٦٩) مسقط أفقي لمسجد الشيخ لطف الله في أصفهان (الطابق الأول) عن : كنجنا) .



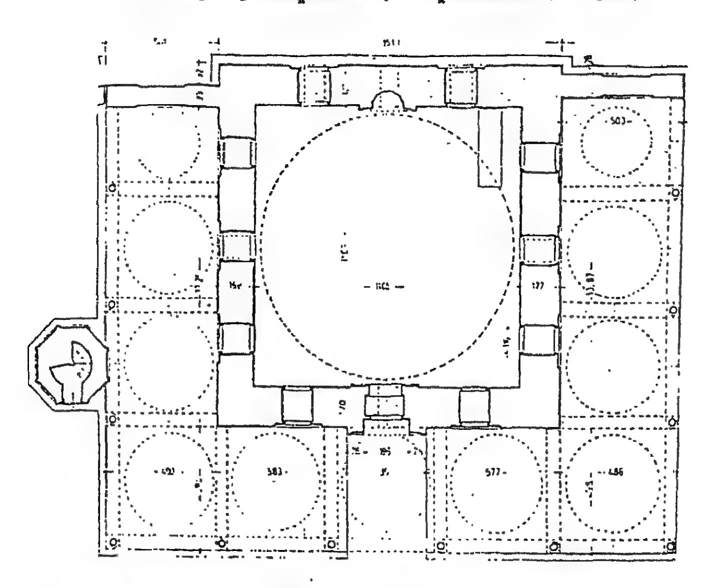
(شكل ٢٧٠) مسقط أفقي لمسجد الشيخ لطف الله (الطابق الثاني) (عن : كنجنامه) .



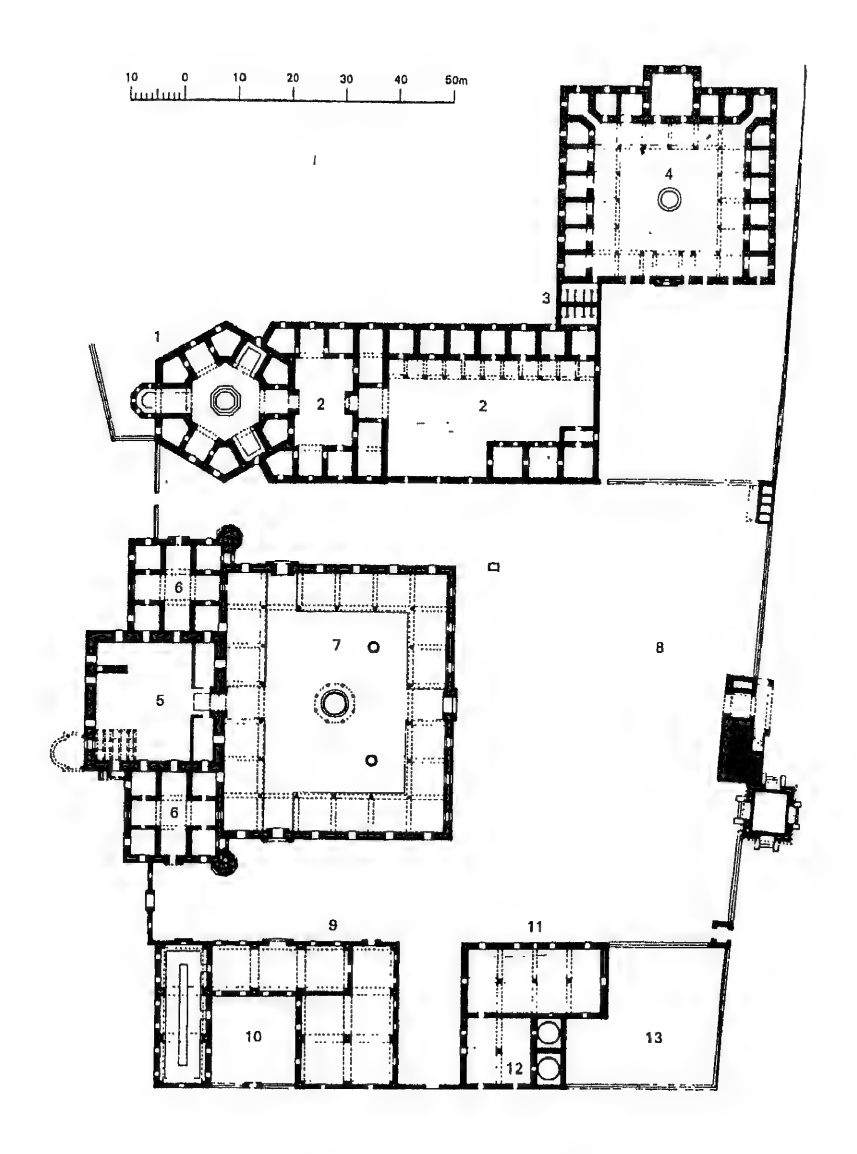
(شكل ٢٧١) مسجد الشيخ لطف الله . (عن : كنجنامه) .



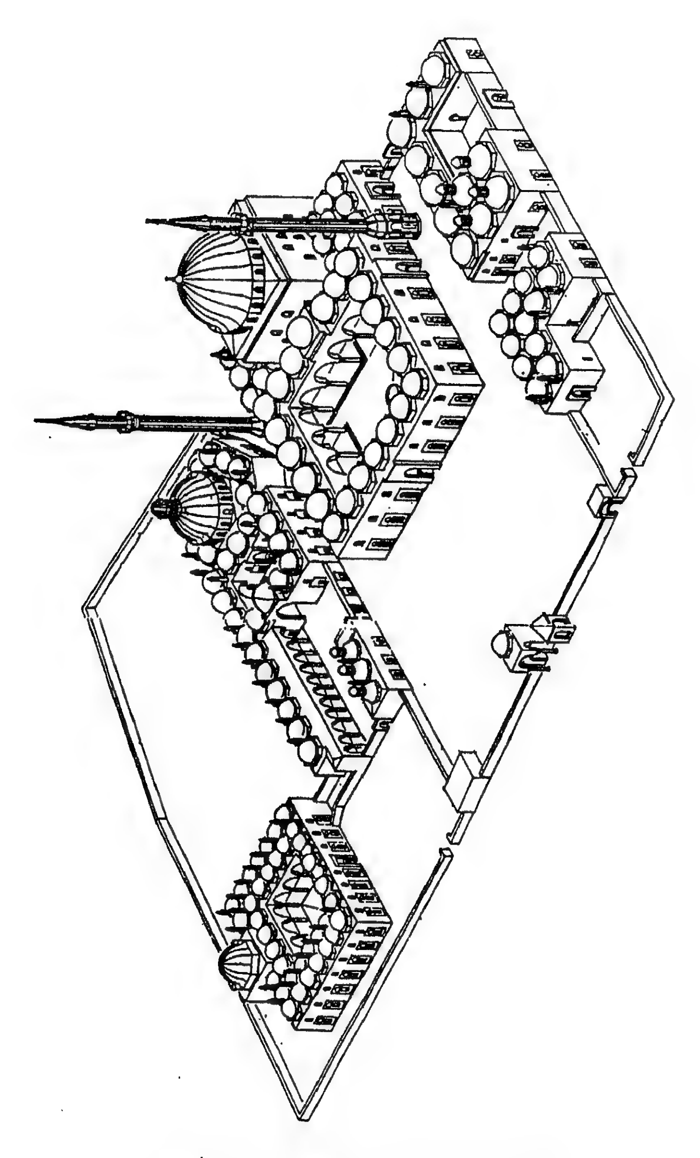
(شكل ٢٧٢) مسقط أفقي لمسجد خان في طلاس (عن : Türkmen) .



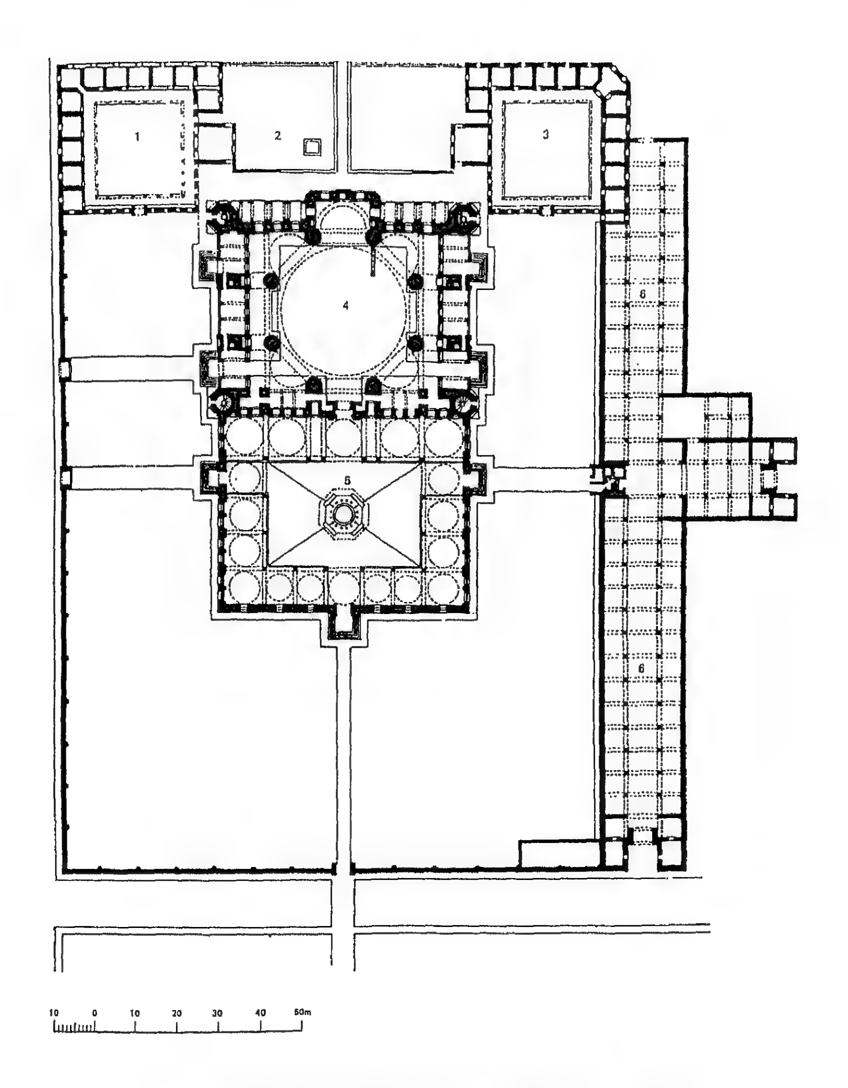
(شكل ٢٧٣) مسقط أفقي لمسجد لاري چلبي في أدرنة (عن : Tüksel) .



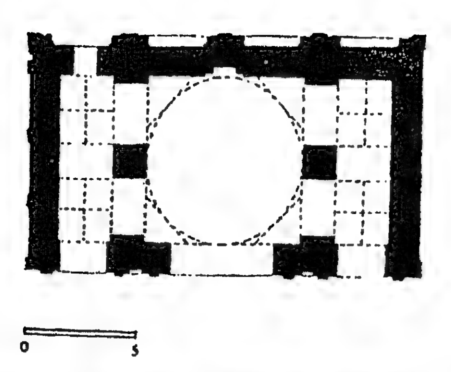
(شكل ٢٧٤) مسقط أفقي لمجمع (كلية) السلطان بايزيد بأدرنه (عن : Goodwin) .



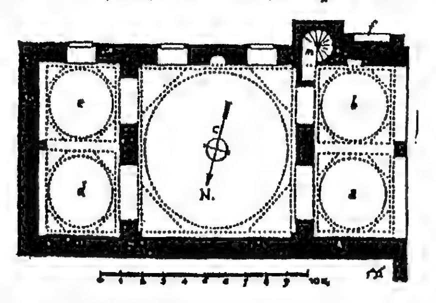
(شكل ٢٧٤مكرر) مجمع السلطان بايزيد بأدرنه .



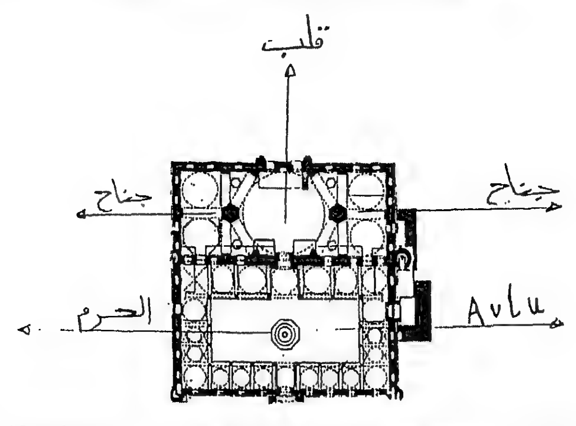
(شكل ٢٧٥) مسقط أفقي لمجمع (كلية) السلطان سليم الثاني بادرنه (عن : Goodwin) .



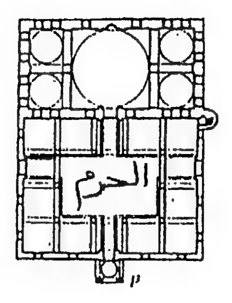
(شكل ٢٧٦) مسقط أفقي لمسجد طلختان بابا قرب مرو .) (عن : Kuban) .



(شكل ٢٧٧) مسقط أفقي لمسجد رستم جلبي (كودوك منار) في توقات (عن : Gabriel) .

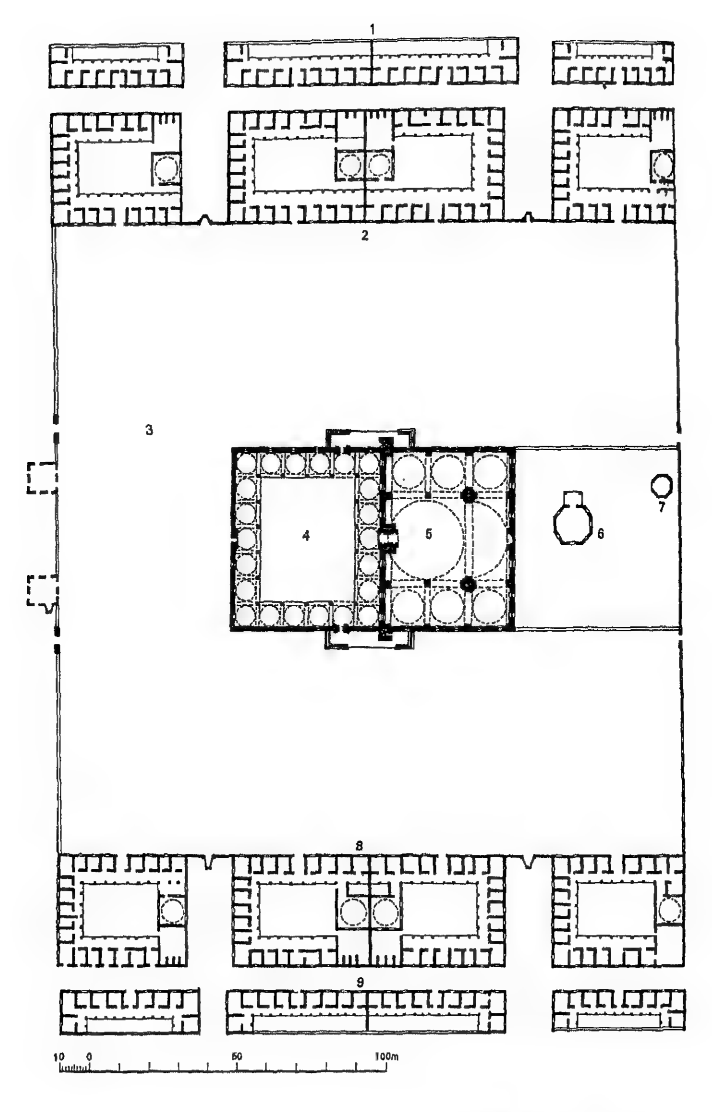


(شكل ٢٧٨) مسقط أفقي لجامع اوج شرفلي في ادرنه (عن : Goodwin) .

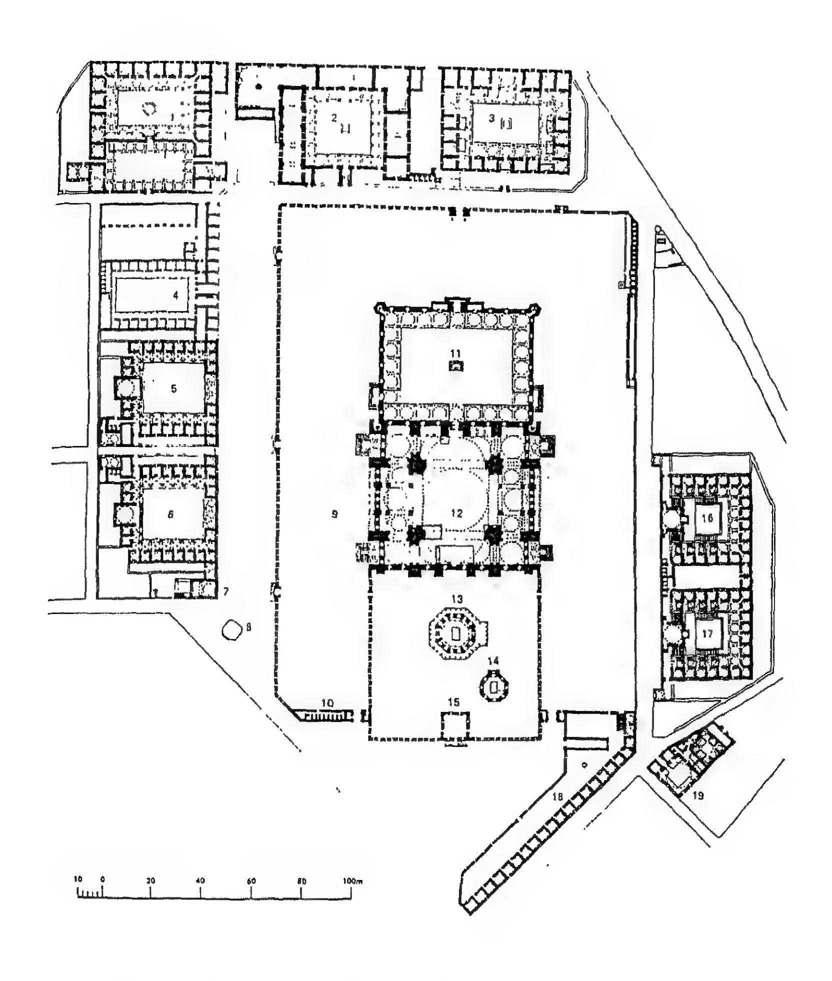


(شكل ٢٧٩) مسقط أفقي لجامع حسن بك في خير ابولو (عن : Kuran) .

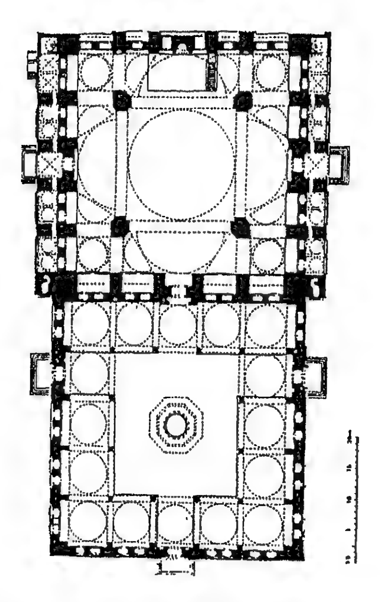
(شكل ٢٨٠) منظور لمسجد أوج شرفلي في ادرنه (عن : هيلنبراند) .



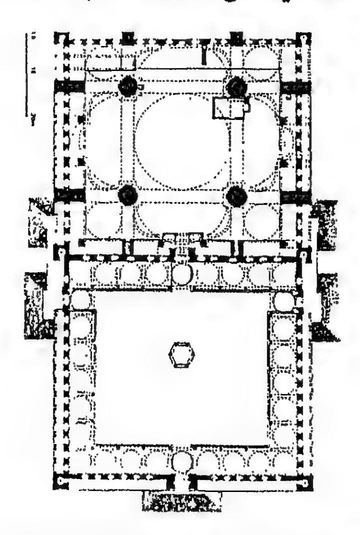
(شكل ٢٨١) مسقط أفقي لمجمع (كلية) السلطان محمد الفاتح باستانبول .
(عن ، Goodwin) .



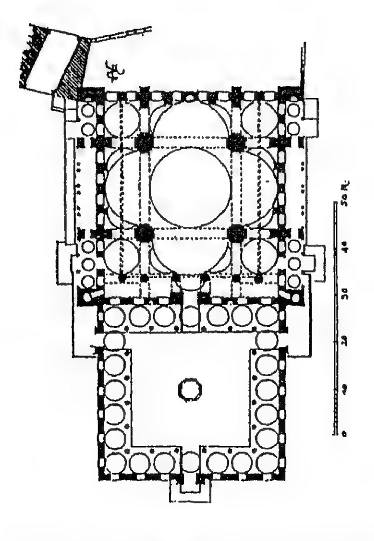
(شكل ٢٨٢) مسقط أفقي لمجمع (كلية) السلطان سليمان القانوني باستانبول .
(عن : Goodwin) .



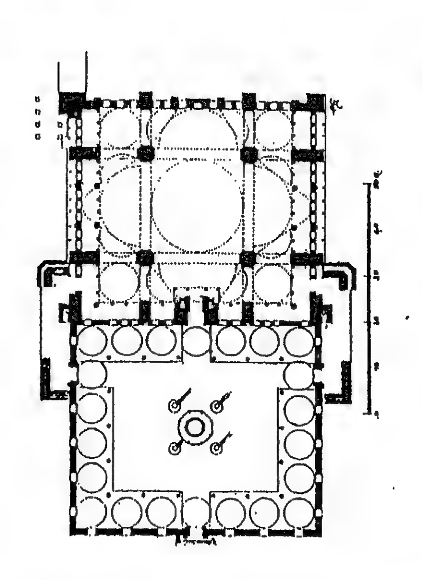
(شكل ٢٨٣) مسقط أفقي لجامع شاهزاده باستانبول . (عن : Goodwin) .



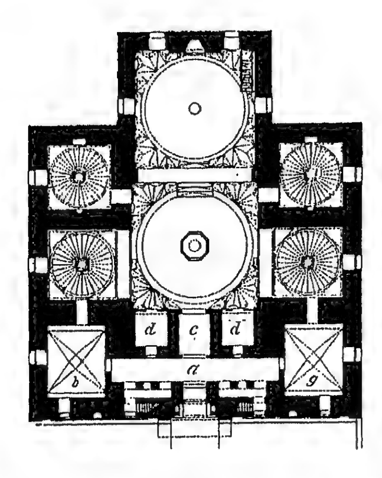
(شكل ٢٨٤) مسقط أفقي لجامع السلطان أحمد الاول باستانبول (عن : Goodwin) .



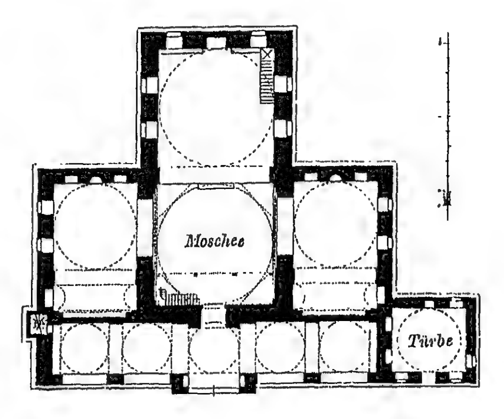
(شكل ٢٨٥) مسقط أفقي لجامع الوالدة الجديد باستانبول (عن : Gabriel) .



(شكل ٢٨٦) مسقط أفقي لجامع الفاتح الجديد باستانبول (عن : Gabriel) .

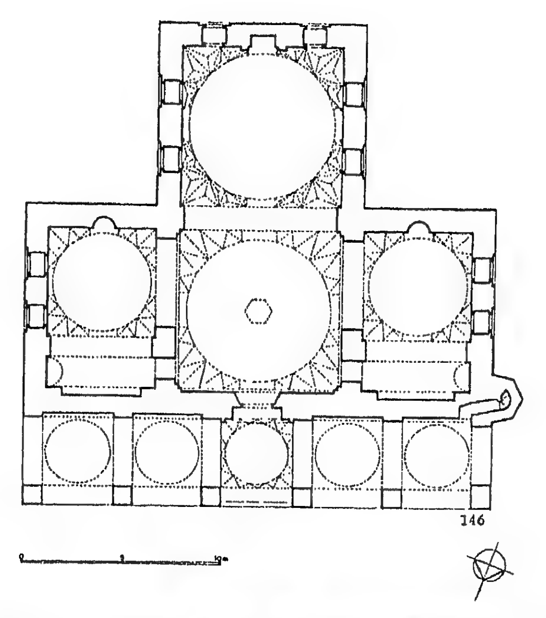


(شكل ٢٨٧) مسقط أفقي للجامع الاخضر (يشيل جامع) في بورصة) (او بروسه) .
(عن : Wilde) .

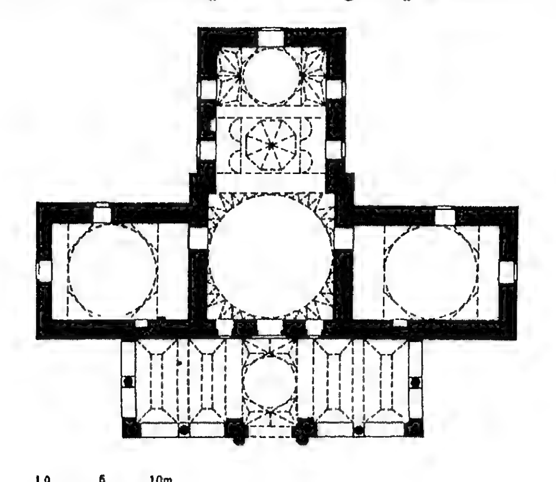


(شكل ٢٨٨) مسقط أفقي لجامع حمزة بك في بورصة (اوبروسه) (عن : Wilde) .

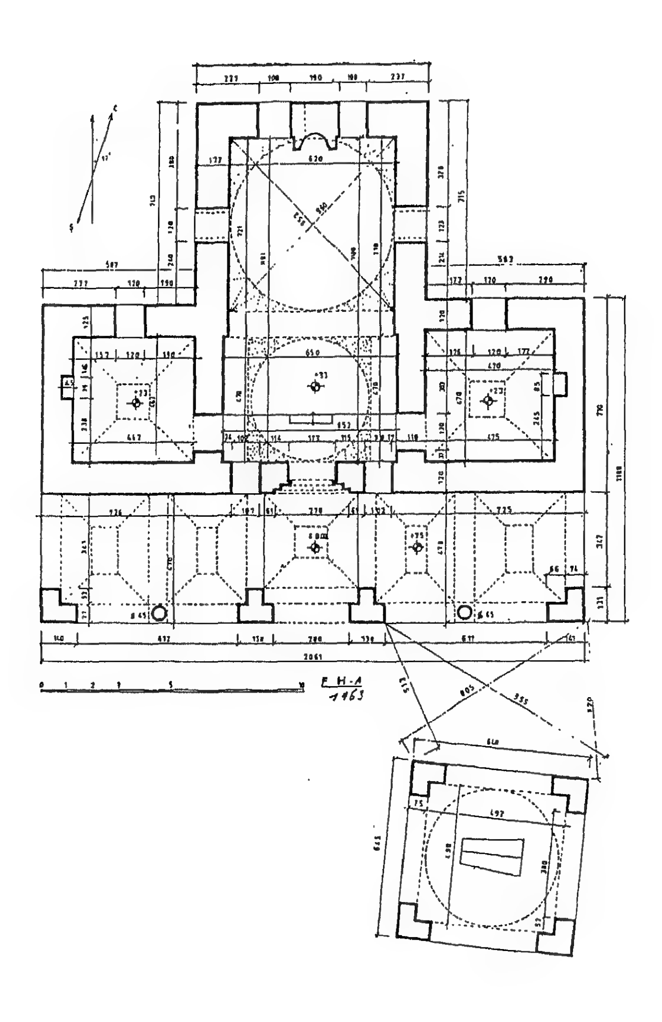
(شكل ٢٨٩) الجامع الاخضر (يشيل جامع) في بورصة (اوبروسه). (عن : هيلنبراند) .



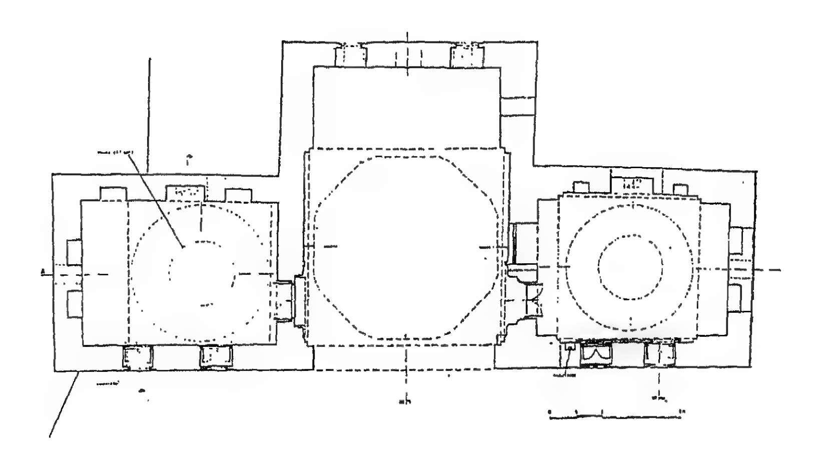
(شكل ٢٩٠) مسقط أفقي لجامع اسحاق باشا في إينه كول . (عن : Kuran).

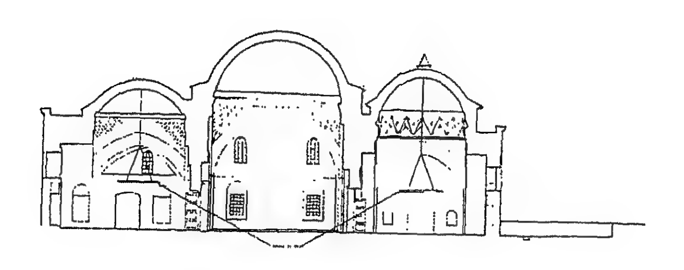


(شكل ٢٩١) مسقط أفقي لزاوية نيلوفر خاتون في ازنيق . (عن : Kuran) .

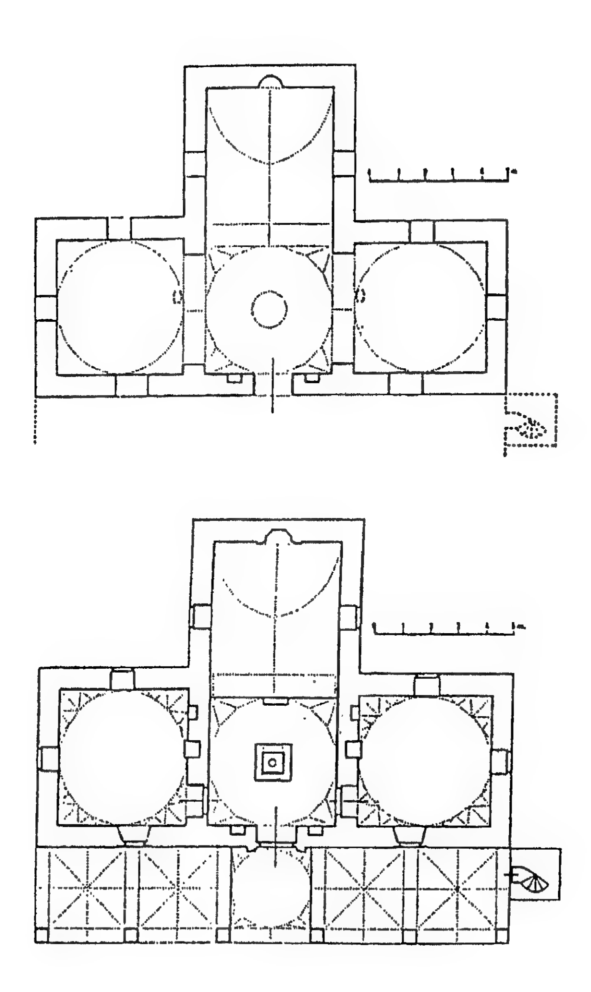


(شكل ٢٩٢) مسقط أفقي لعمارت وتربة يعقوب جلبي بازنيق (عن : إيفردي).

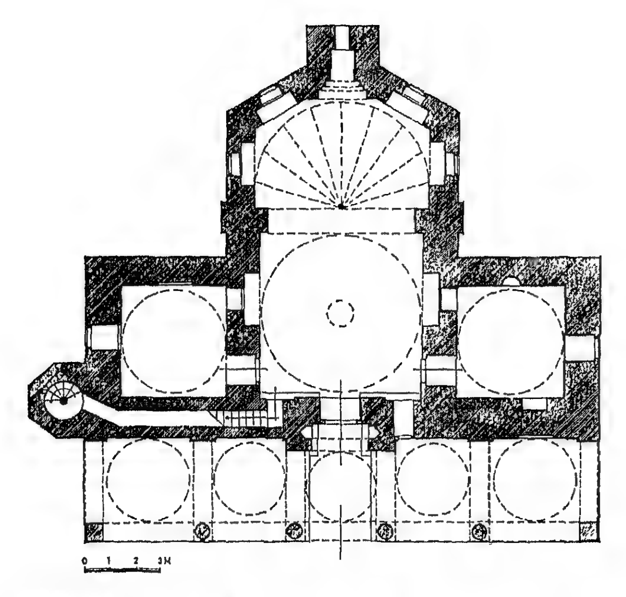




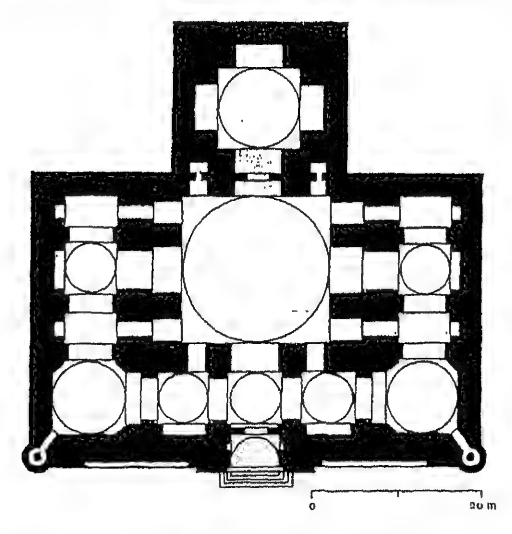
(شكل ٢٩٣) مسقط أفقي وقطاع لعمارت غازي أورنوس بك في كوموتيني باليونان) (عن : Bakirtzis etxydas) .



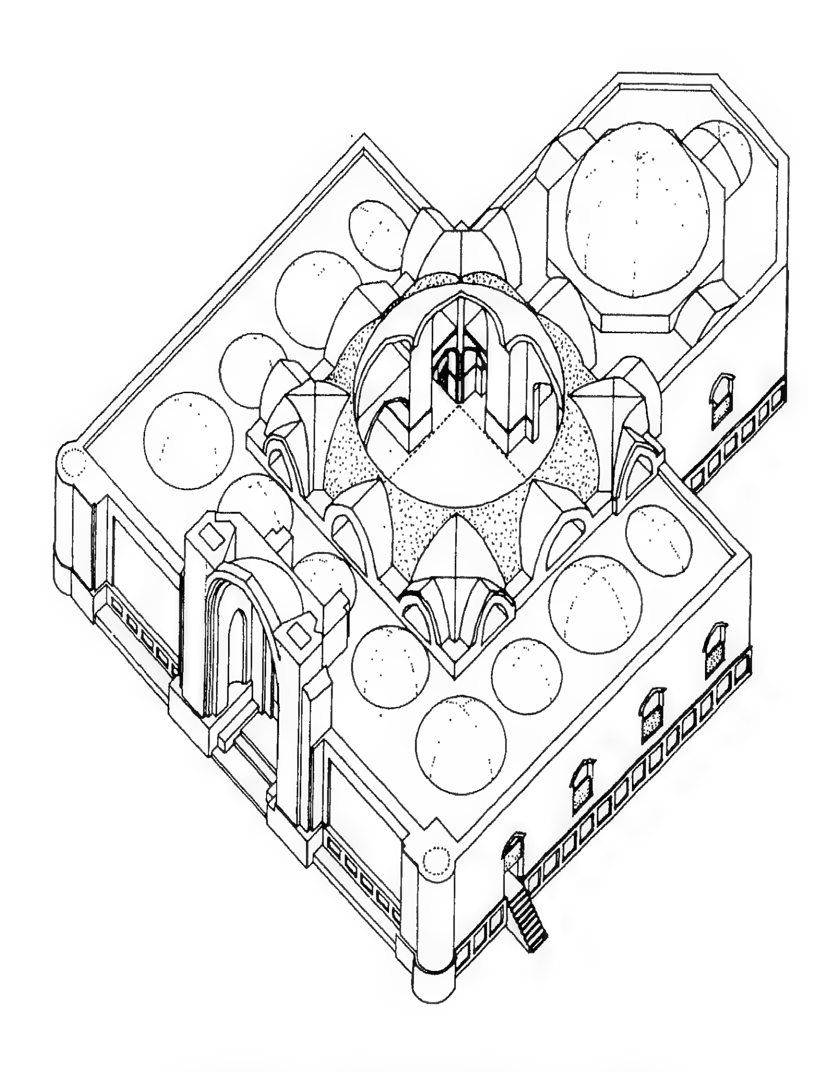
(شكل ٢٩٤) مسقط أفقي لعمارت ميخال أو غلو محمد بك
في اهتمان ببلغاريا (عن : كيل) .



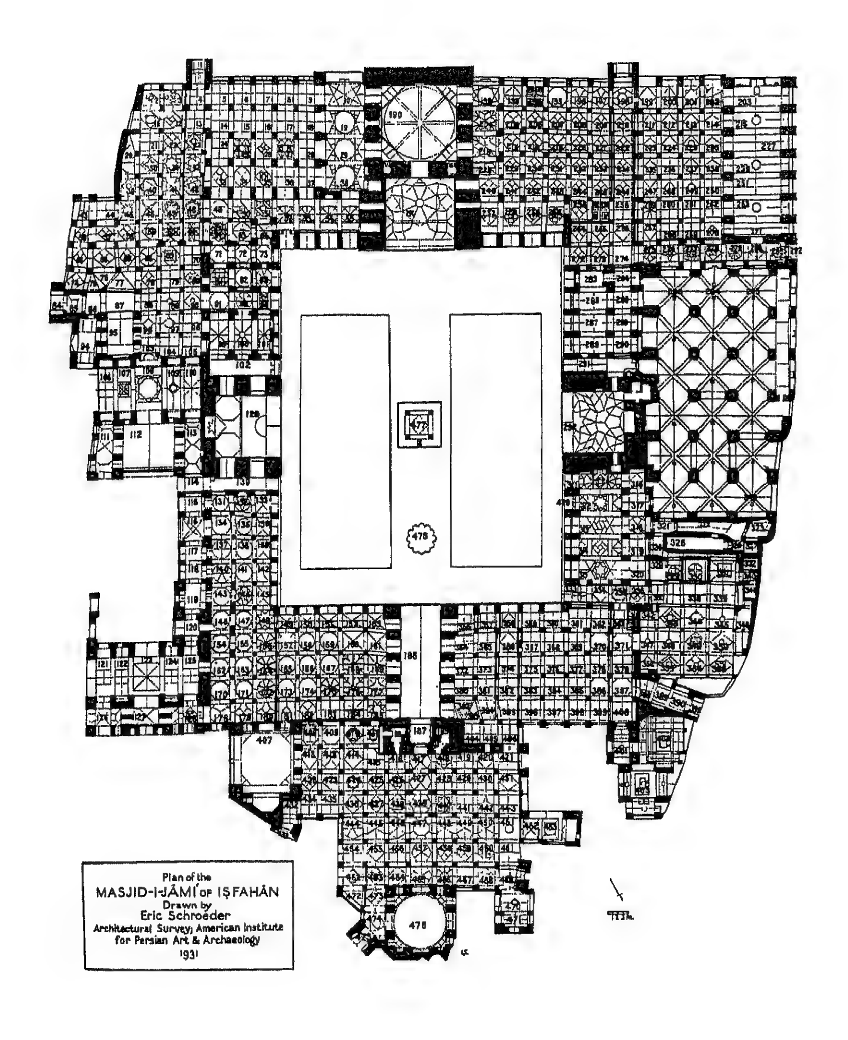
(شكل٢٩٥) مسقط أفقي لمسجد يخشي بك في تيره .(عن : Aslanapa) .



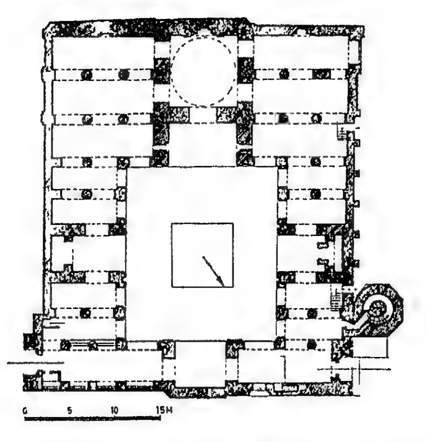
(شكل ٢٩٦) مسقط أفقي للجامع الأزرق في تبريز . (عن : Pope) .



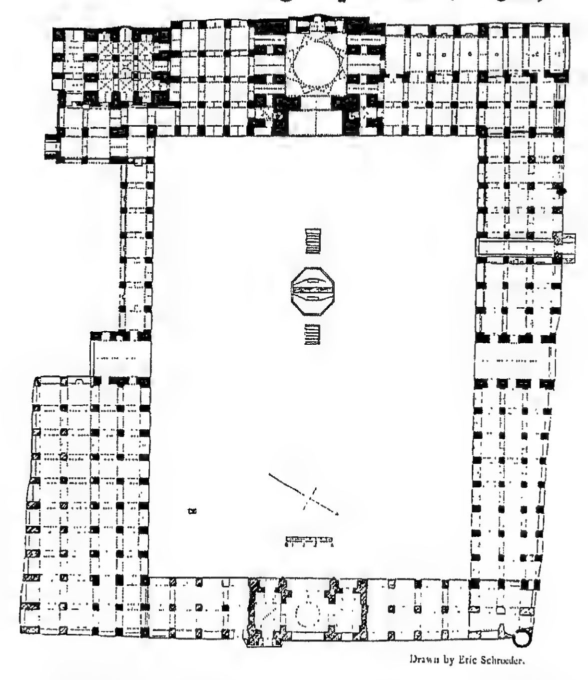
(شكل ٢٩٦ مكرر) الجامع الازرق في تبريز . (عن : هيلنبراند) .



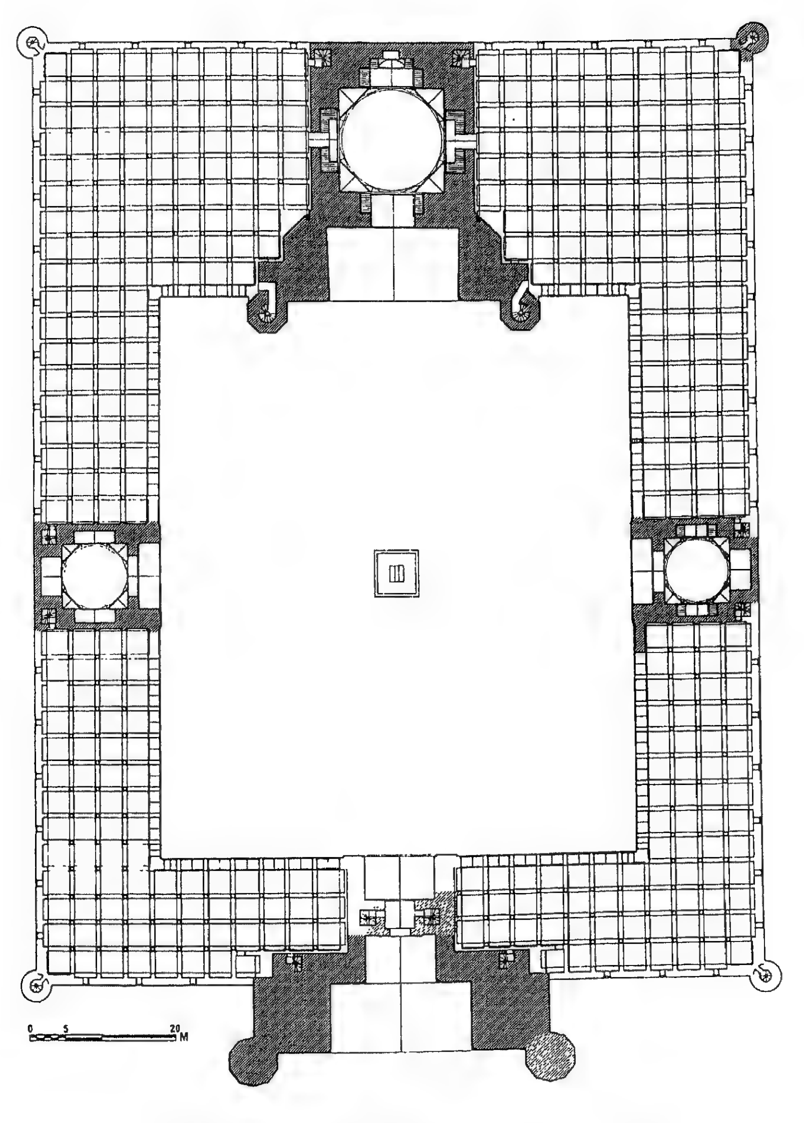
(شكل ٢٩٧) مسقط أفقي للجامع الكبير بأصفهان . (عن : بوب) .



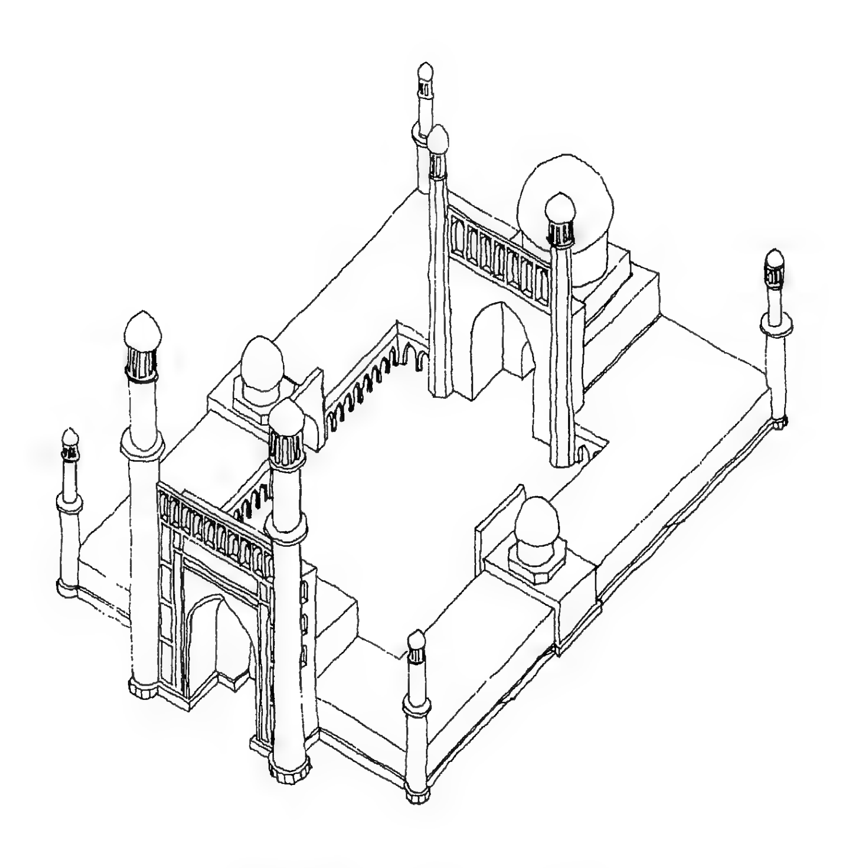
(شكل ٢٩٨) مسقط أفقي لجامع زواره . (عن : آصلان آبا) .



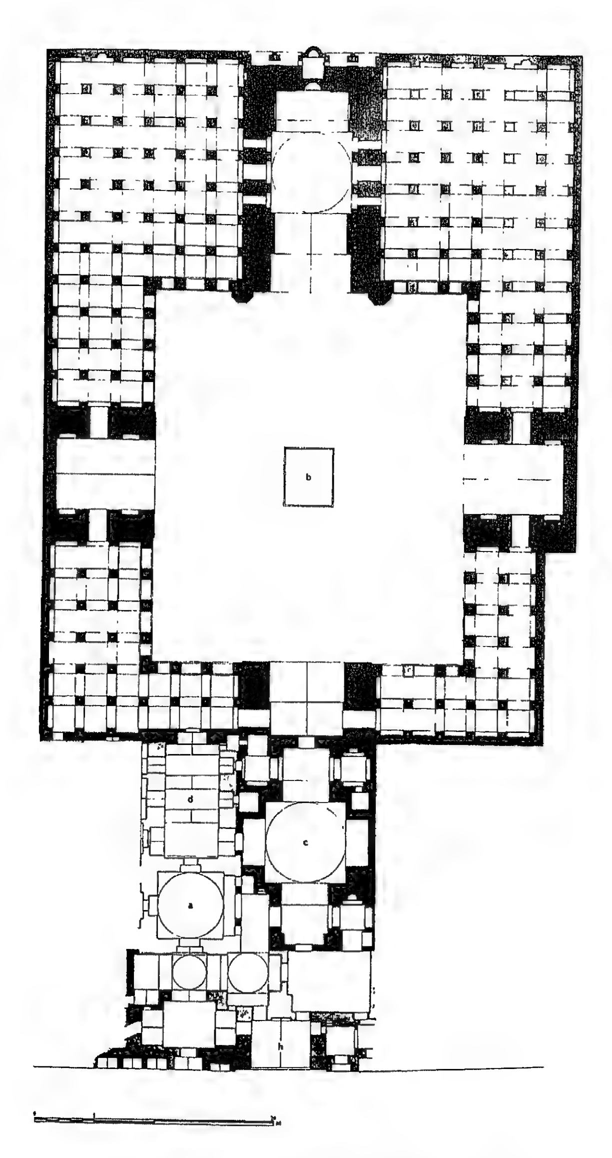
(شكل ٢٩٩) مسقط أفقي لمسجدملك في كرمان . (عن : بوب) .



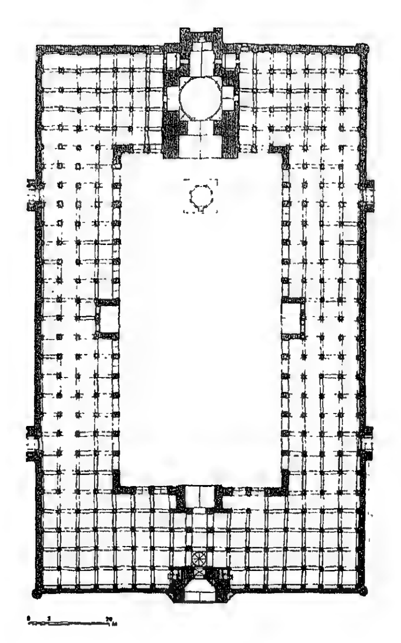
(شكل ٣٠٠) مسقط أفقي لمسجد بيبي خانم في سمرقند .
(عن ليزا جلومبك ودونالد ولبر) .

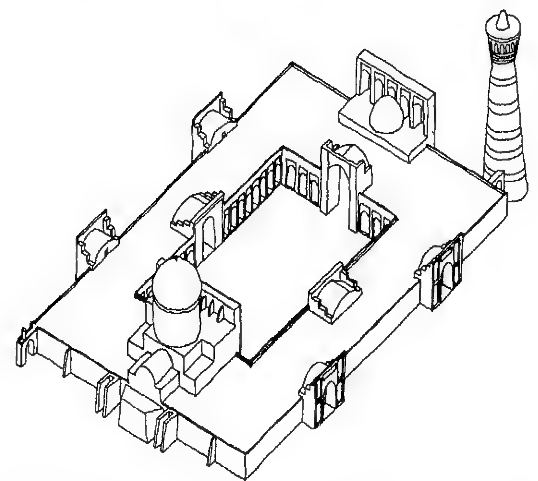


(شكل ٣٠٠ مكرر) مسجد بيبي خانم بسمرقند
. (عن : هيلنبراند) .

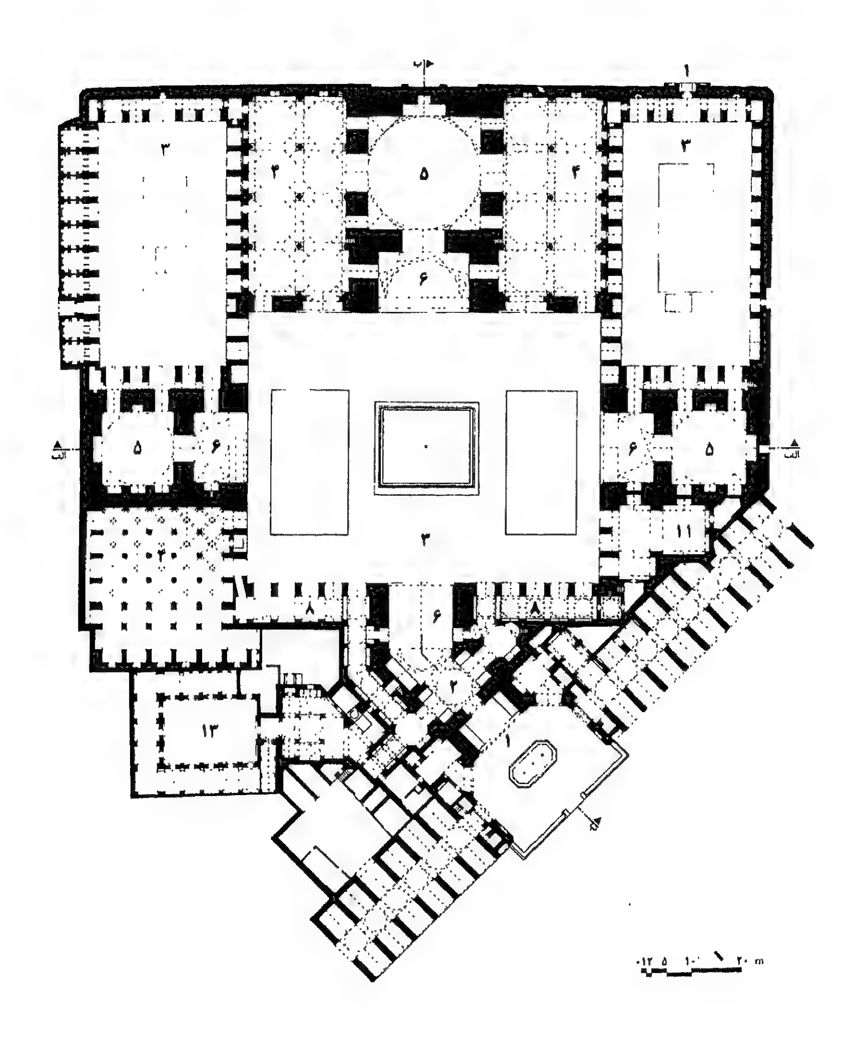


(شكل ٣٠١) مسقط أفقي لمسجد جوهر شاد بمشهد .
(عن : ليزا جلومبك ودونالد ولبر) .

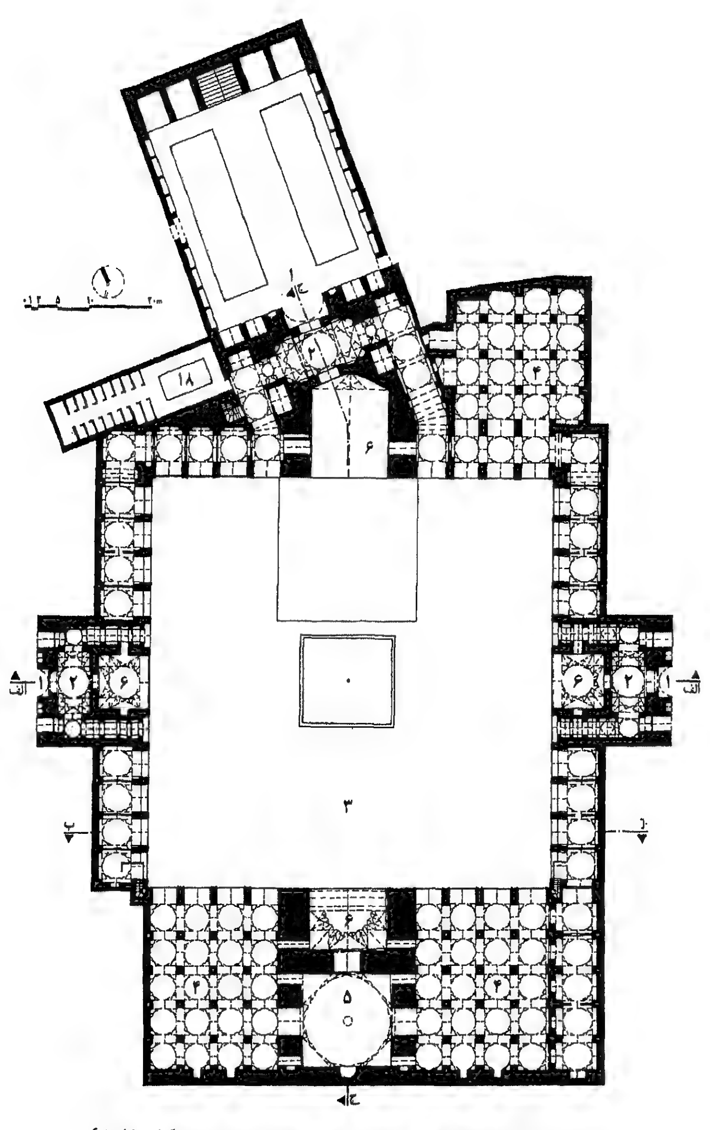




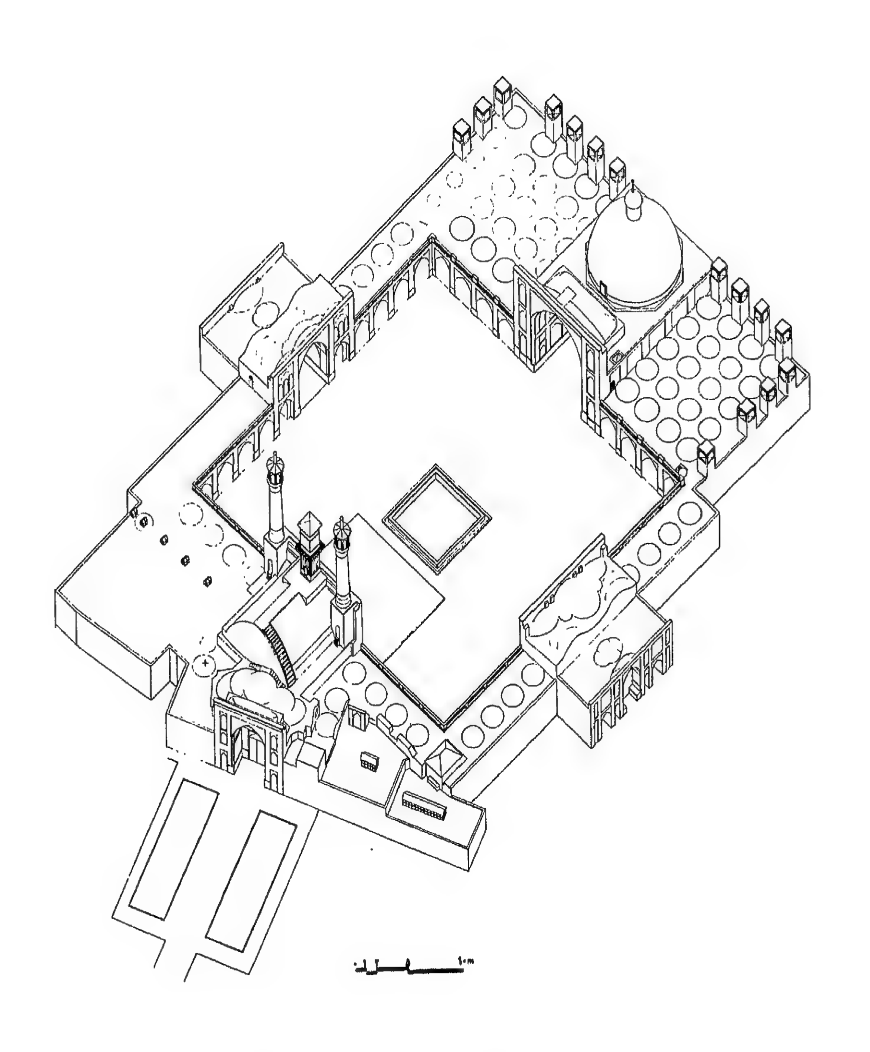
(شكل ٣٠٢) مسجد كالان الجامع ببخاري . (اعلي) عن : ليزا جلومبك ودونالد ولبر، (أسفل) عن : هيلنبراند .



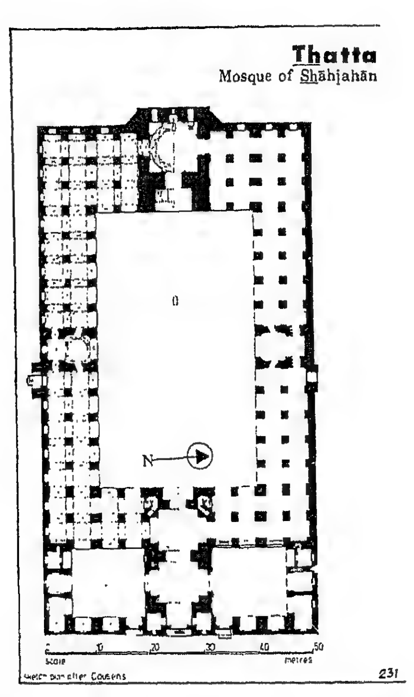
(شكل ٣٠٣) مسقط أفقي لمسجد الشاه (الإمام) بأصفهان ؛ (عن : كنجنامه) .



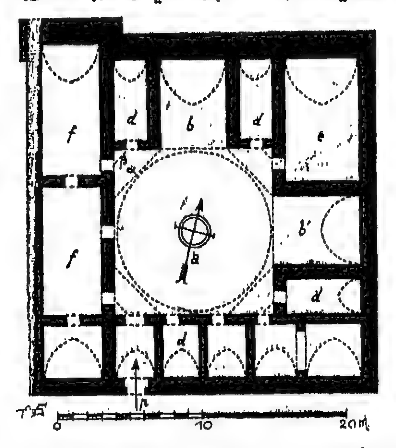
(شكل ٣٠٤) مسقط أفقي لمسجد امام بتهران . (عن : كنجنامه) .



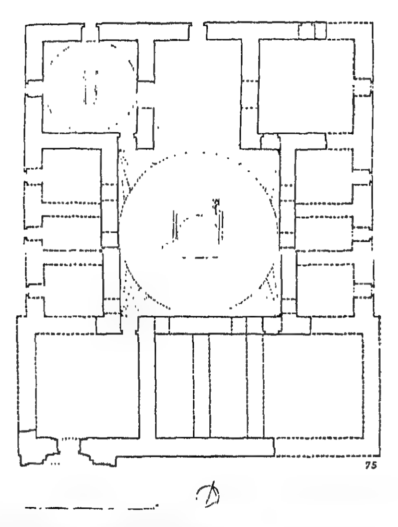
(شكل ٣٠٥) مسجد امام بتهران (عن : كنجنامه) .



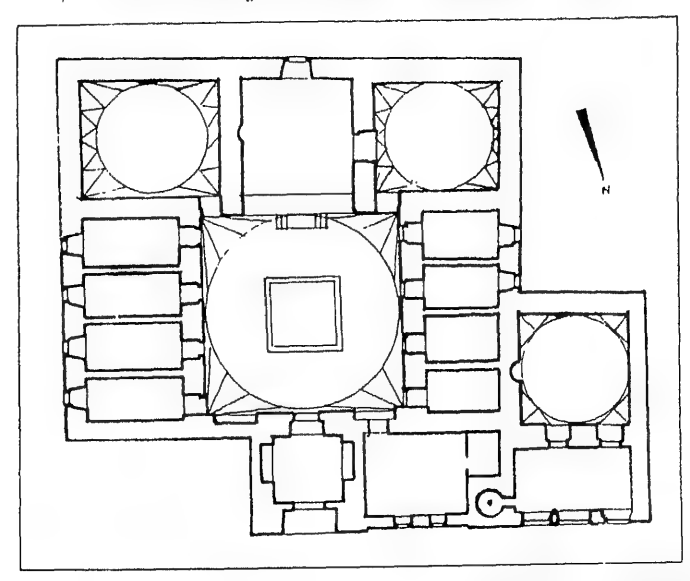
(شكل ٣٠٦) مسقط أفقي لمسجد شاه چهان في تهتا (باكستان) ١٠٥٤هـ/١٦٤٤م .



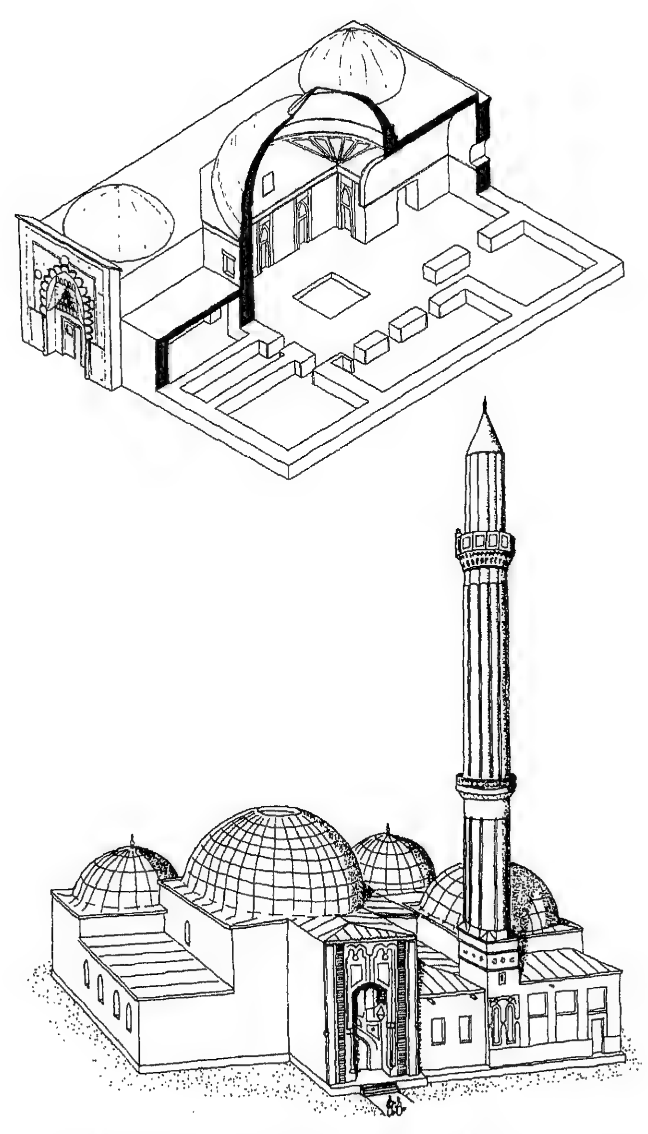
(شكل ٣٠٧) مسقط أفقي لمدرسة ياغي باسان في نكسار . (عن : جابرييل) .



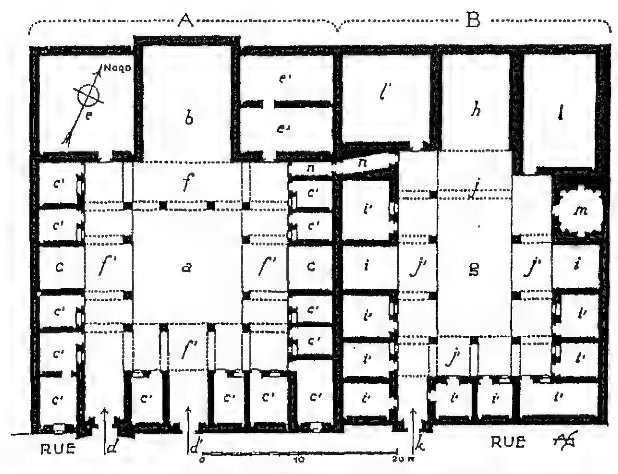
(شكل ٣٠٨) مسقط أفقي لمدرسة قره طاى في قونية ٦٤٩هـ/١٢٥١م.



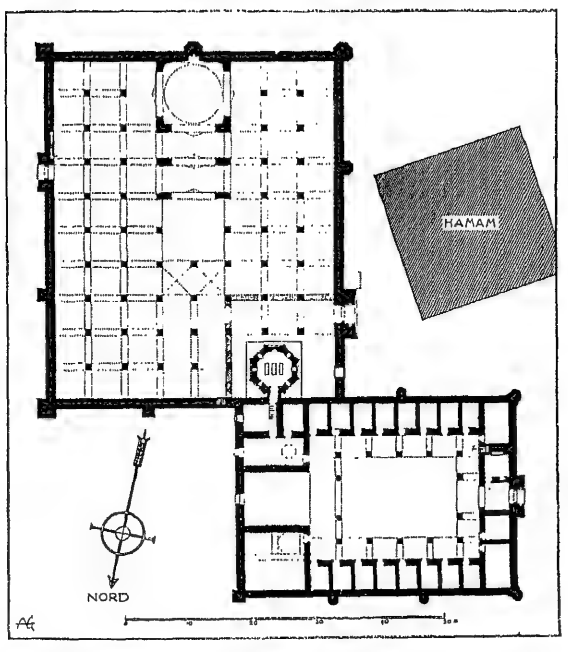
(شكل ٣٠٩) مسقط أفقي لمدرسة انجه مناره لي في قونية (الوزير صاحب عطا) ٦٥٩هـ/١٢٦١م : مسقط أفقي.



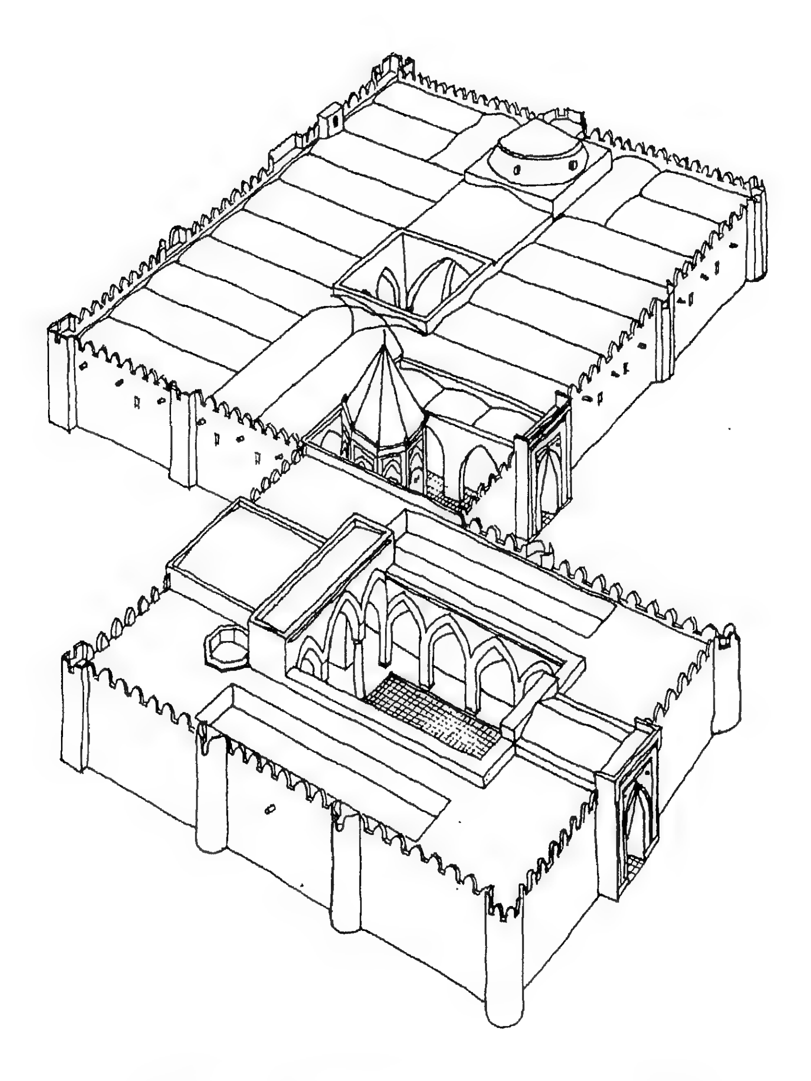
(شكل ٣١٠) مدرسة قره طاي (أعلي) وانجه مناره لي (اسفل) في قونية .
(عن : هيلنبراند) .



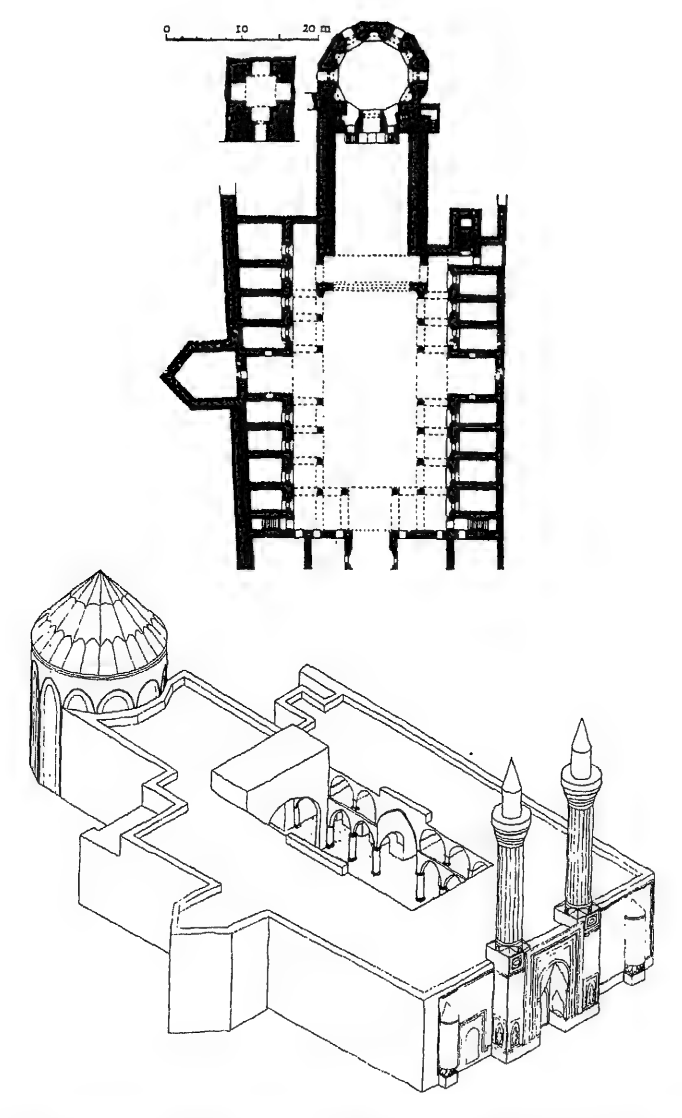
(شكل ٣١١) مسقط أفقي لمدرسة جفته في قيصرية ٦٠٢هـ/١٢٠٥م.



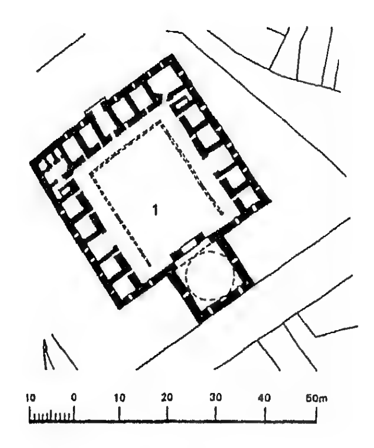
(شكل ٣١٢) مسقط أفقي لمجمع (كلية) خواند خاتون في قيصرية ٦٣٥هـ/١٢٣٧م.



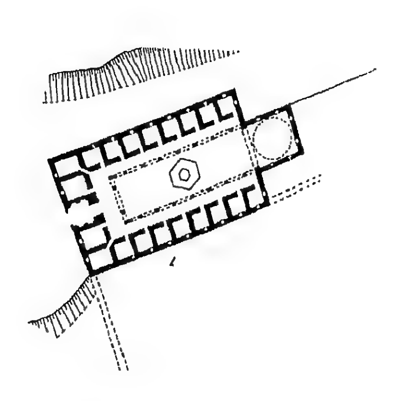
(شكل ٣١٢ مكرر) مجمع خواندخاتون في قيصرية . (عن : هيلنبراند) .



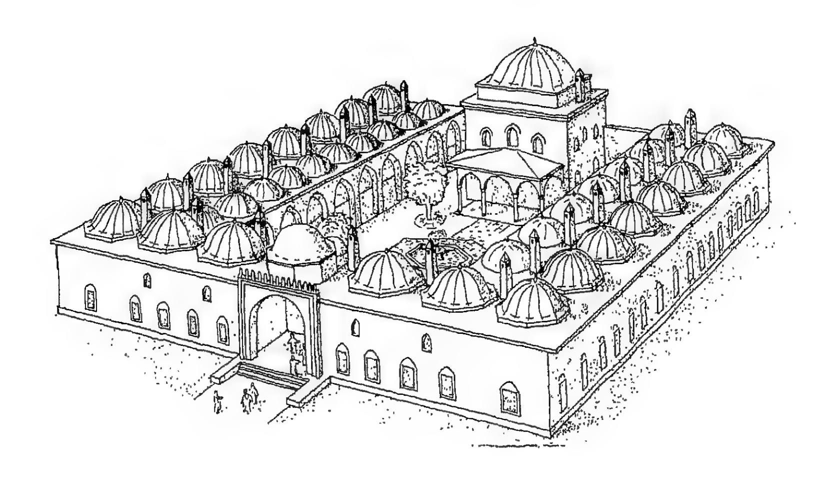
(شكل ٣١٣) المدرسة الخاتونية (جفتة مناره) بأرضروم (اعلي) مسقط أفقي (اسفل) (عن : هيلنبراند) .



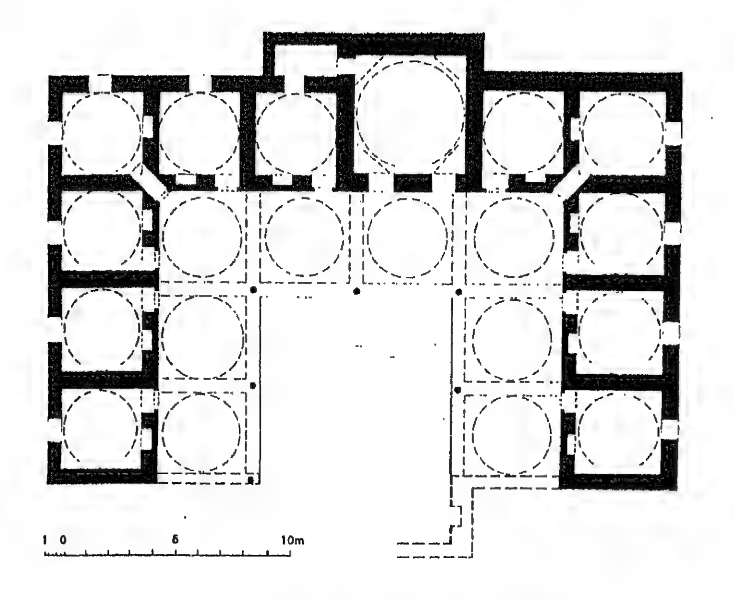
(شكل ٣١٤) مسقط أفقي للمدرسة ضمن المجموعة الخضراء في بورصة (أو بروسة) (عن Goodwin) .



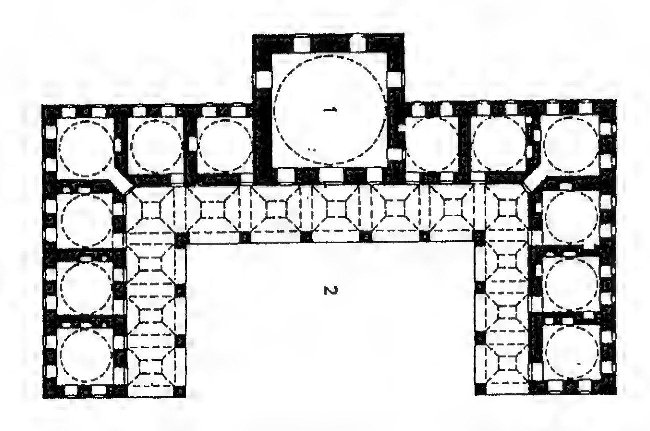
(شكل ٣١٥) مسقط أفقي لمدرسة بايزيد يلدريم ضمن مجمعه في بورصة (أو بروسة) (عن Goodwin) .



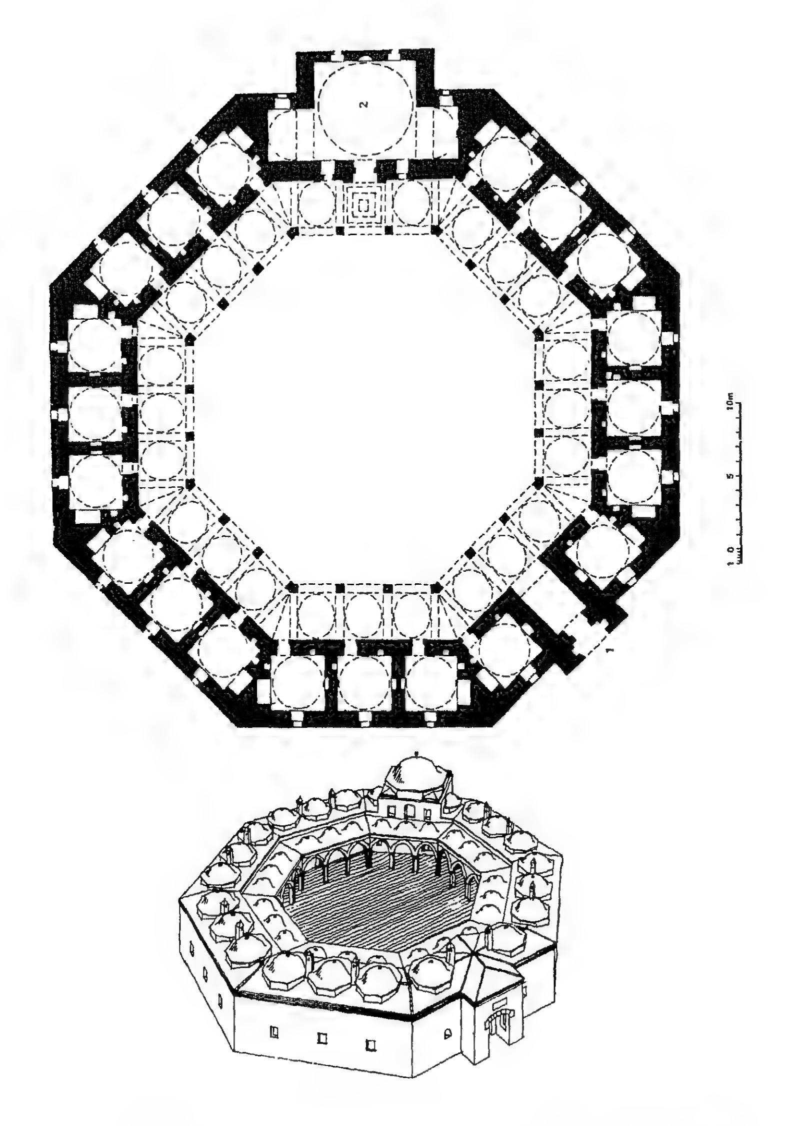
(شكل ٣١٦) مدرسة السلطان بايزيد الثاني باستانبول (عن : هيلنبراند) .



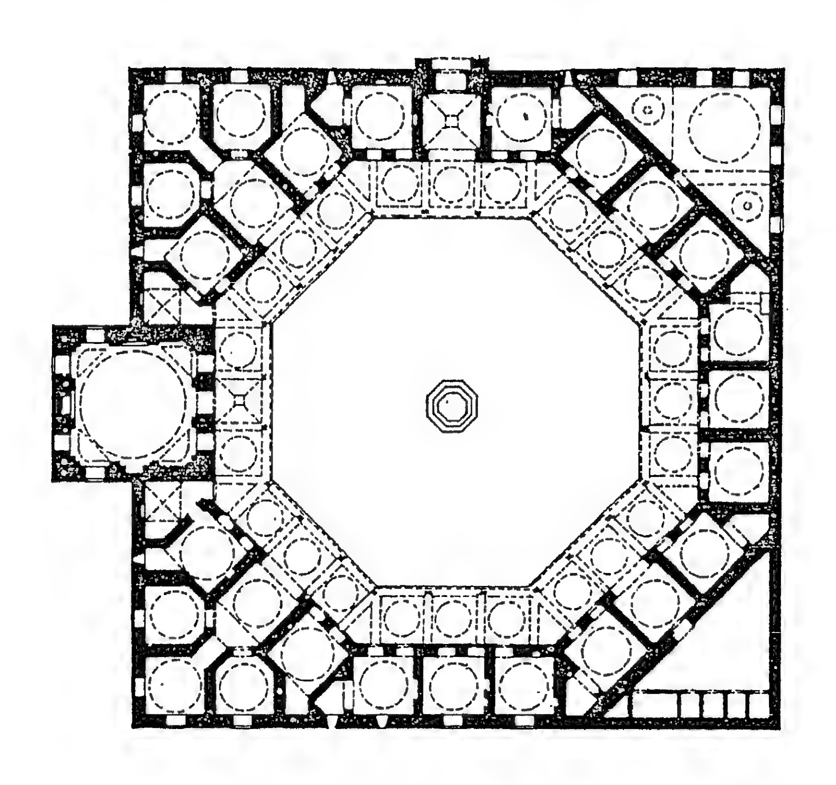
(شكل ٣١٧) مسقط أفقي لمدرسة سليمان باشا في أزنيق . (عن : Goodwin) .



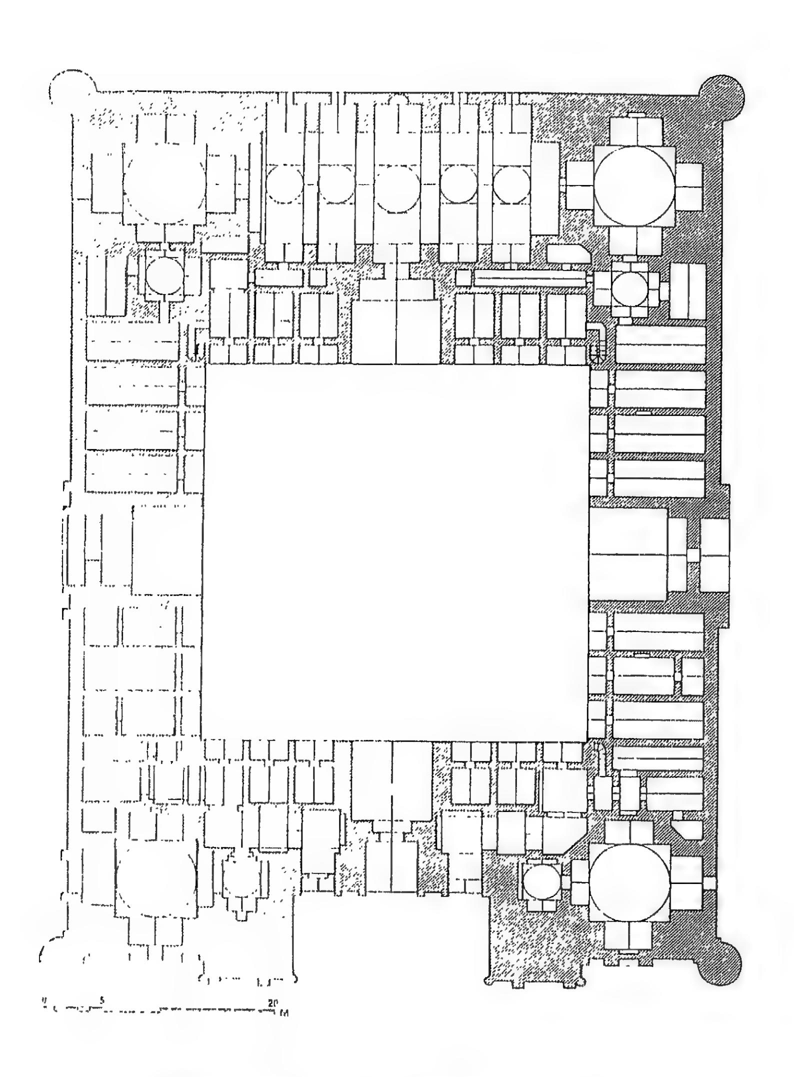
(شكل ٣١٨) مسقط أفقي لمدرسة اسحاق باشا في اينه كول (عن Goodwin) .



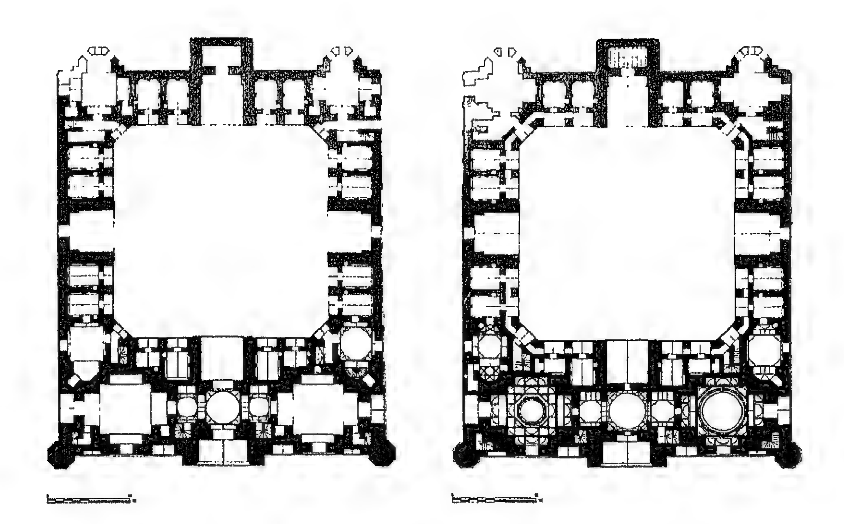
شكل (٣١٩) قابى آغاسى مدرسة فى اماسيا أعلى (عن : جابرييل)، وأسفل (عن : هيلنبراند) .



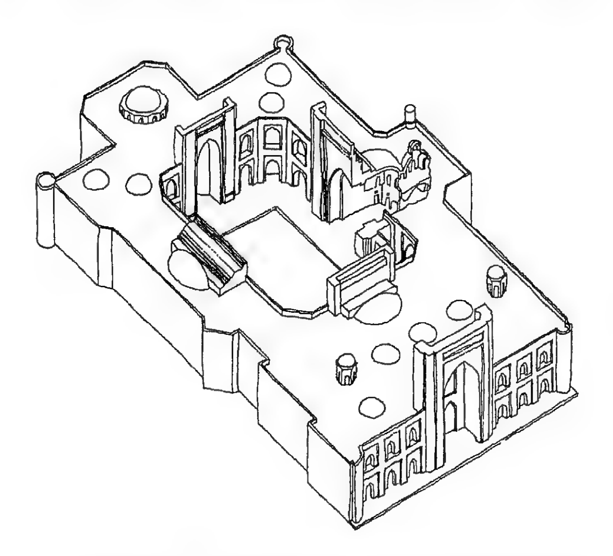
شكل (٣٢٠) مسقط أفقى لمدرسة رستم باشا فى استانبول (عن : كوران) .



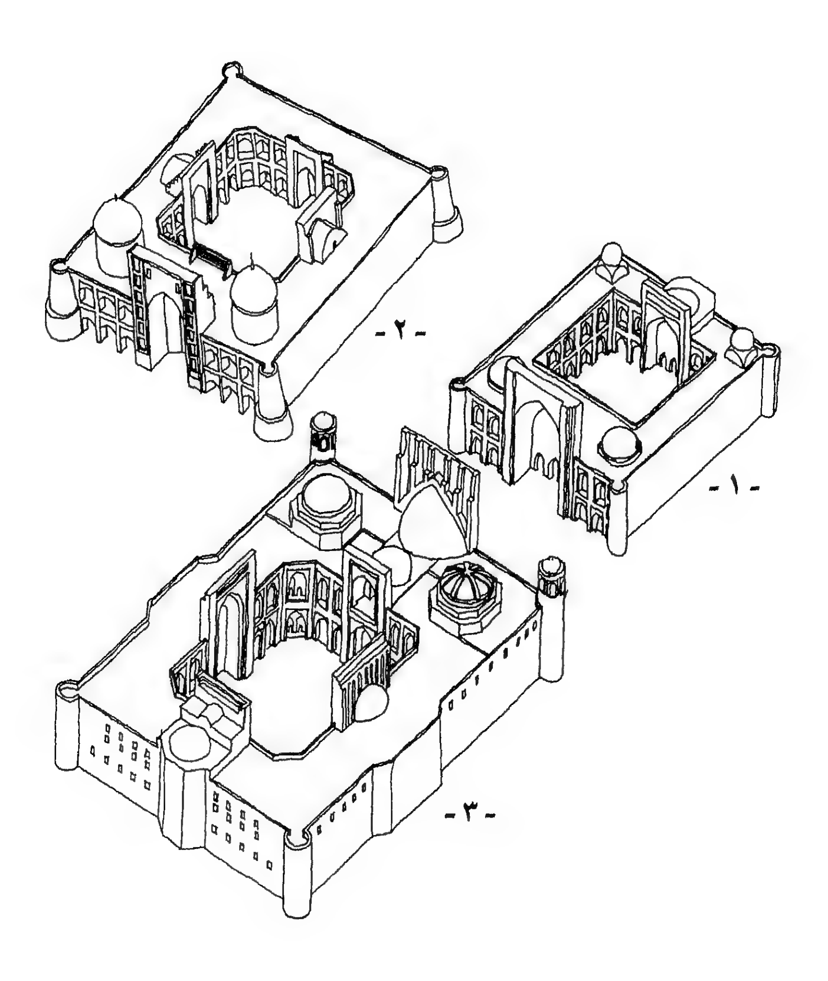
شكل (٣٢١) مسقط أفقي لمدرسة أولوغ بك في سمرقند
(عن : ليزا جلومبك ودونالدولبر) .



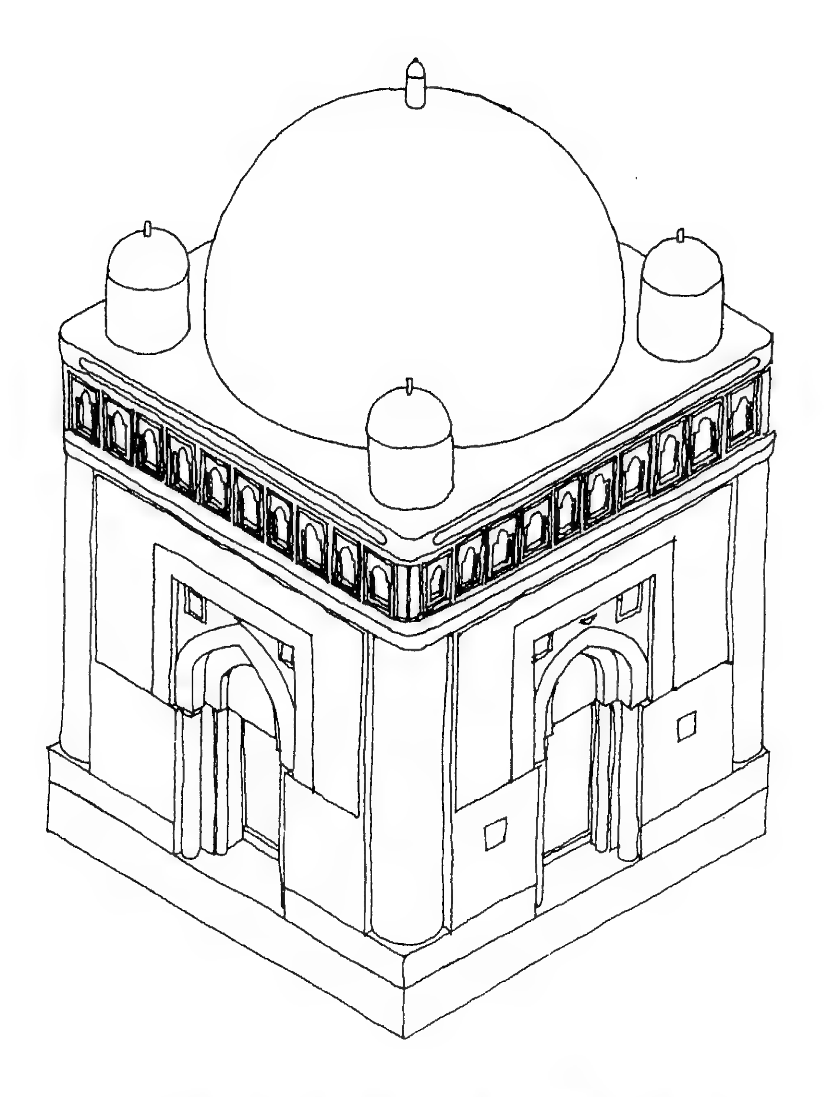
شكل (٣٢٢) مسقط أفقى للمدرسة الغياثية فى خرجرد : الايسر (الطابق الأرضى) و(الايمن) الطابق الأول (عن : ليزا جلومبك ودونالدولبر) .



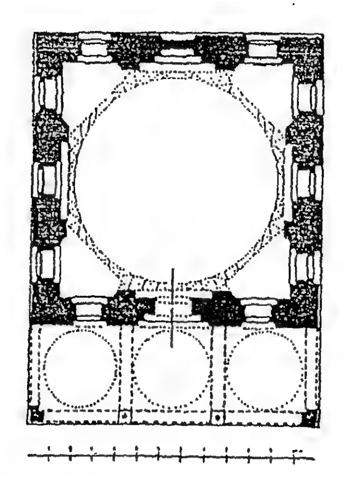
شكل (٣٢٣) مدرسة عبدالله خان فى بخارى (عن : هيلنبراند) .



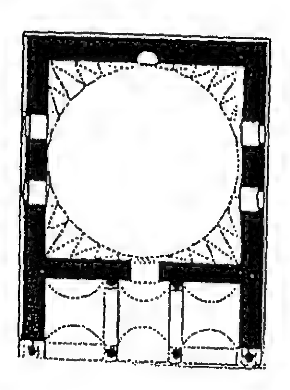
شكل (٣٢٤) مدارس بخارى فى العصرين التيمورى والشيبانى
١- مدرسة أولوغ بك .
٢- مدرسة مير عرب .
٣- مدرسة عبد العزيز خان (عن : هيلنبراند) .



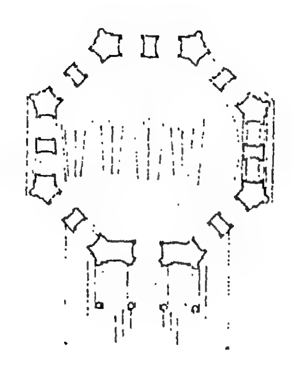
شكل (٣٢٥) قبة اسماعيل السامانى فى بخارى (عن : هيلنبراند) .



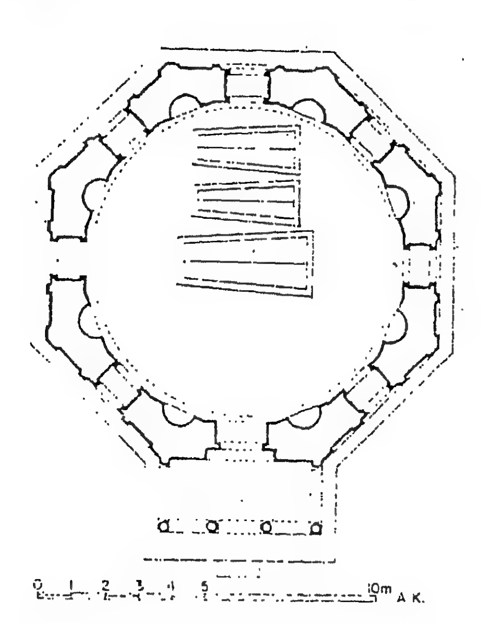
شكل (٣٢٦) مسقط أفقى لتربة بايزيد يلدريم فى بورصة (أوبروسه) (عن : Wilde) .



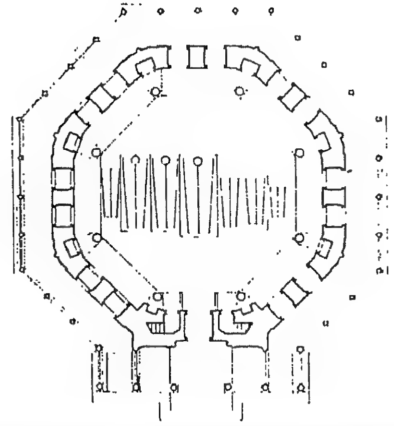
شكل (٣٢٧) مسقط آفقى لتربة حاجى سلطان فى بورصة (عن : Wilde) .



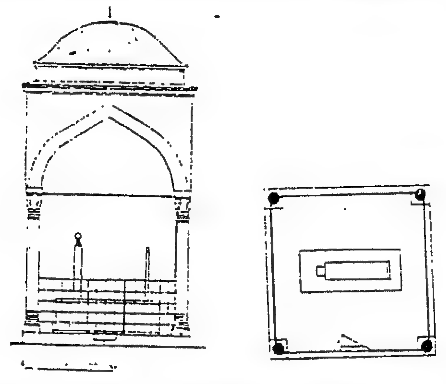
شكل (٣٢٨) مسقط أفقى لتربة شاهزاده محمد باستانبول (عن : اصلان ابا) .



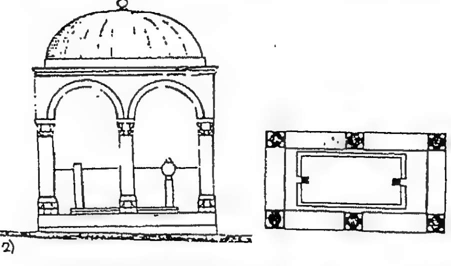
شكل (٣٢٩) مسقط أفقى لتربة خاصكى حرم بمجمع السليمانية باستانبول
(عن : اصلان ابا)



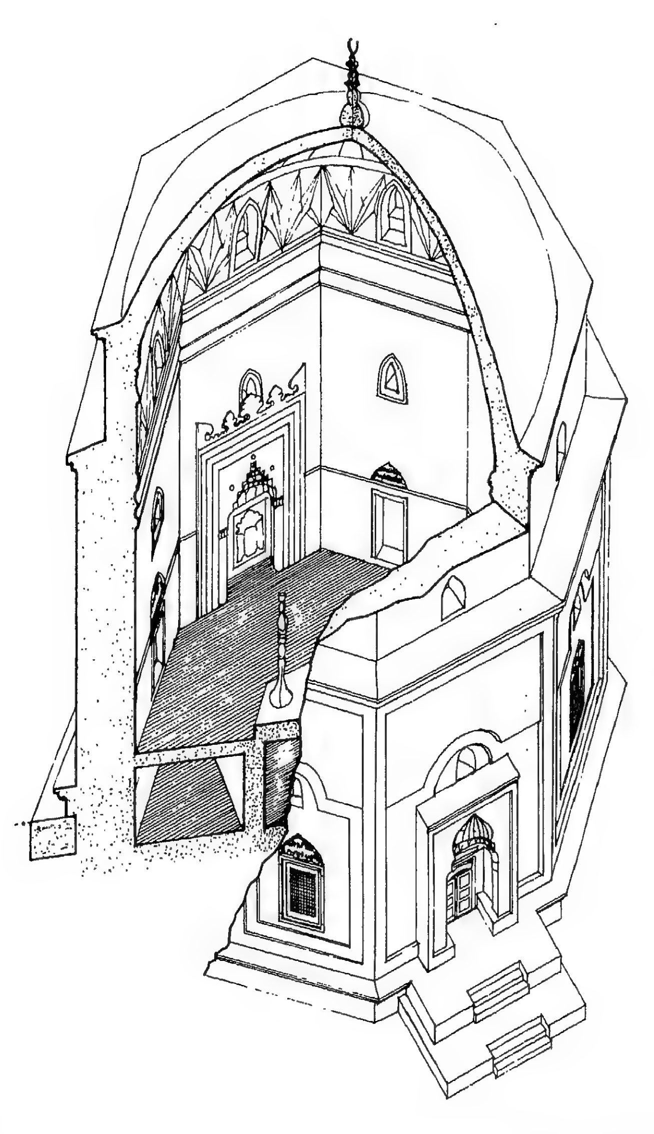
شكل (٣٣٠) مسقط أفقى لتربة السليمانية باستانبول (عن : اصلان ابا)



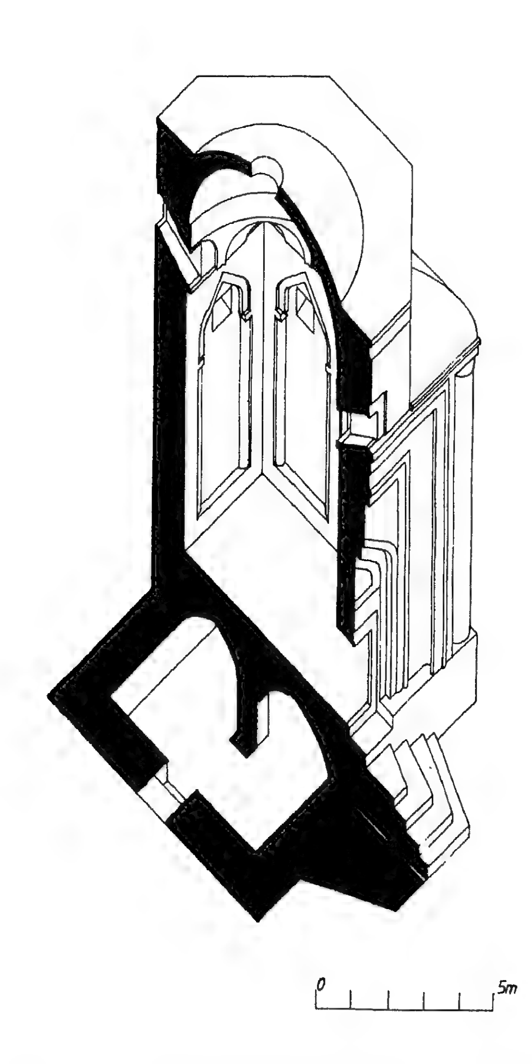
شكل (٣٣١) مسقط أفقى لتربة إبراهيم باشا فى فوتچا (عن : Pašić) .



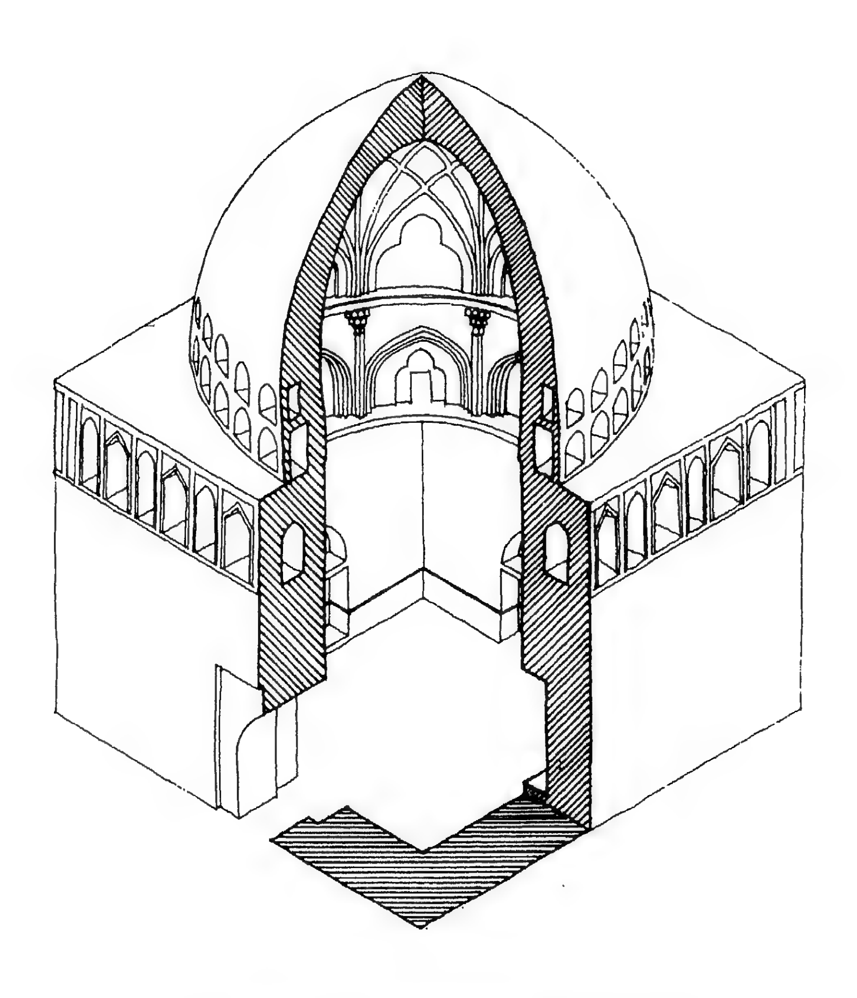
شكل (٣٣٢) مسقط أفقى لتربة الشيخ Jujino فى موستار (عن : Pašić) .



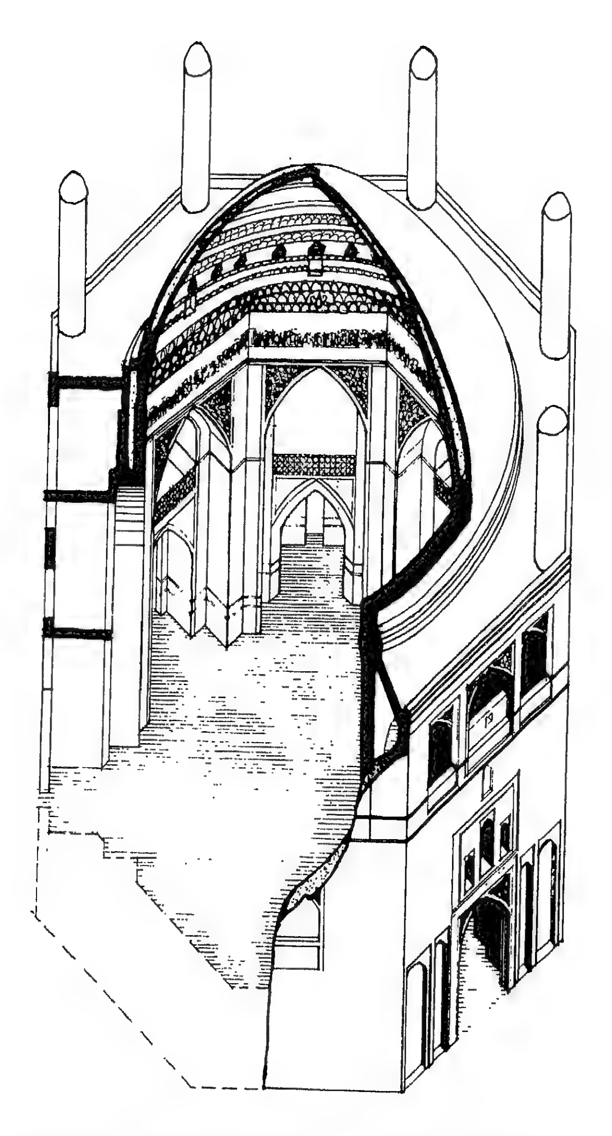
شكل (٣٣٣) التربة الخضراء (يشيل تربة) فى بورصة (أوبروسة) (عن : هيلنبراند) .



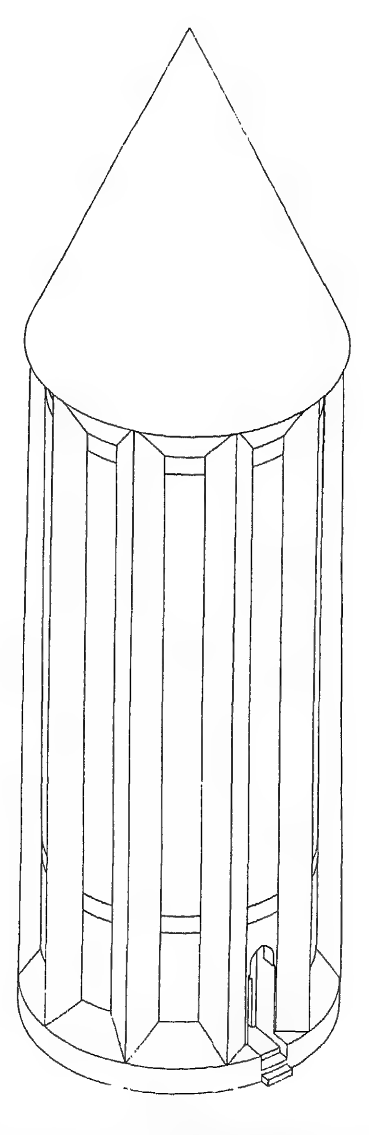
شكل (٣٣٤) كنبد سرخ (القبة القرمزية) فى مراغه بازربيجان (عن : هيلنبراند) .



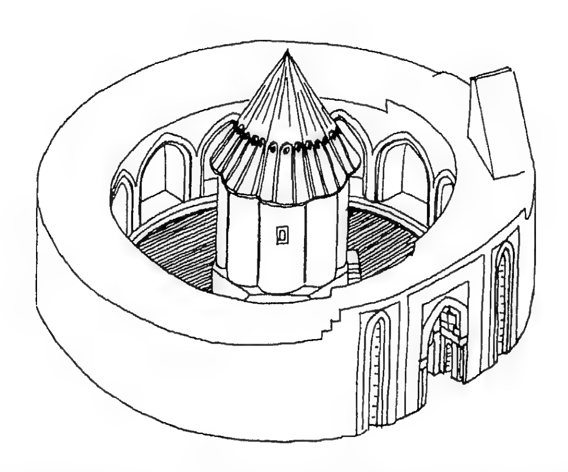
شكل (٣٣٥) قبة السلطان سنجر فى مرو (عن : هيلنبراند) .



شكل (٣٣٦) تربة الجايتو خدابنده فى سلطانية (عن : هيلنبراند) .

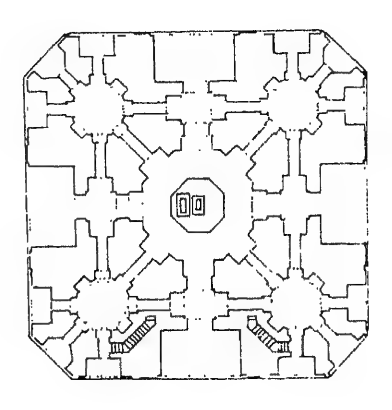


شكل (٣٣٧) كنبد قابوس فى جرجان ٣٩٧هـ / ١٠٠٦م (عن : هيلنبراند) .

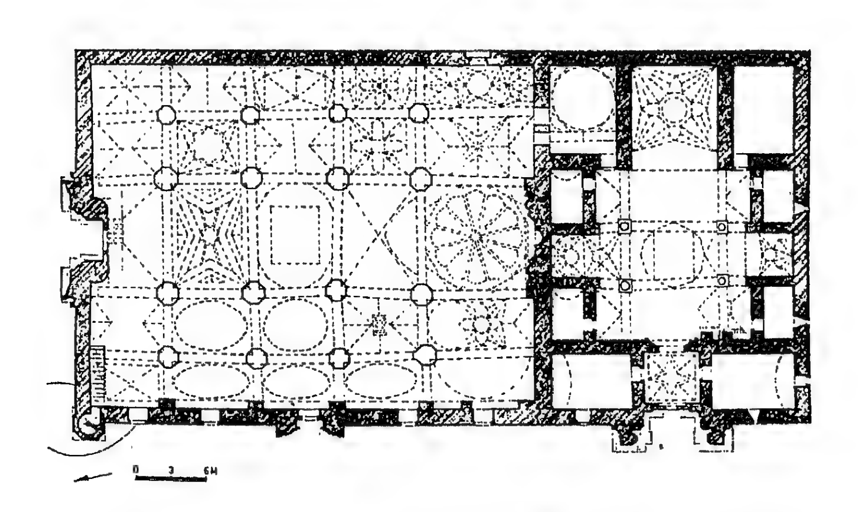


شكل (٣٣٨) تربة ماما خاتون فى تركان ٥٩٦هـ / ١٢٠٠م (عن : هيلنبراند) .

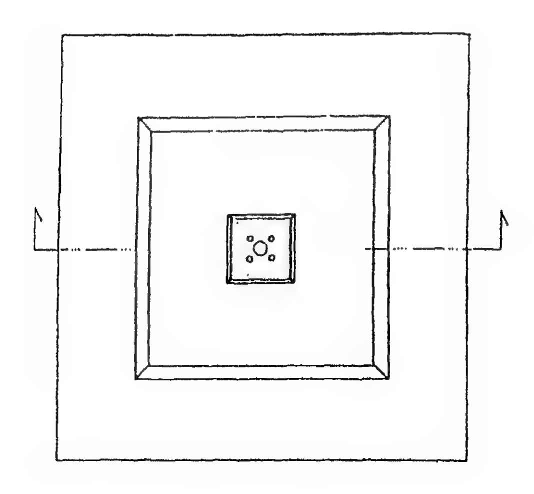
شكل (٣٣٩) كور أمير (تيمورلنك) فى سمرقند (عن : هيلنبراند) .

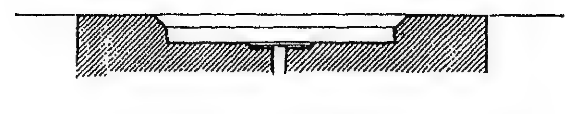


شكل (٣٤٠) تاج محل فى اجرا (مسقط) (عن : الريحاوى) .

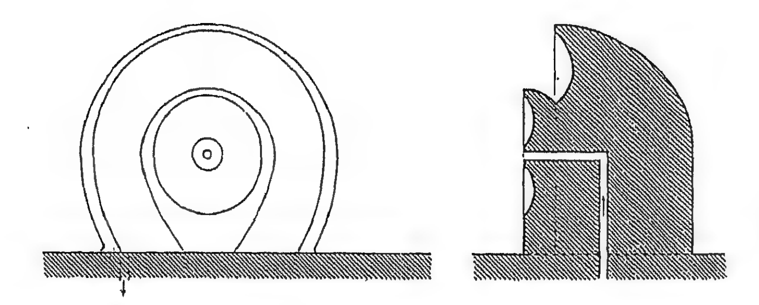


شكل (٣٤١) مسقط أفقى للبيمارستان الملحق بالجامع الكبير فى ديوريكى (ديفرجى) ٦٢٦هـ/١٢٢٨م (عن : آصلان آبا) .

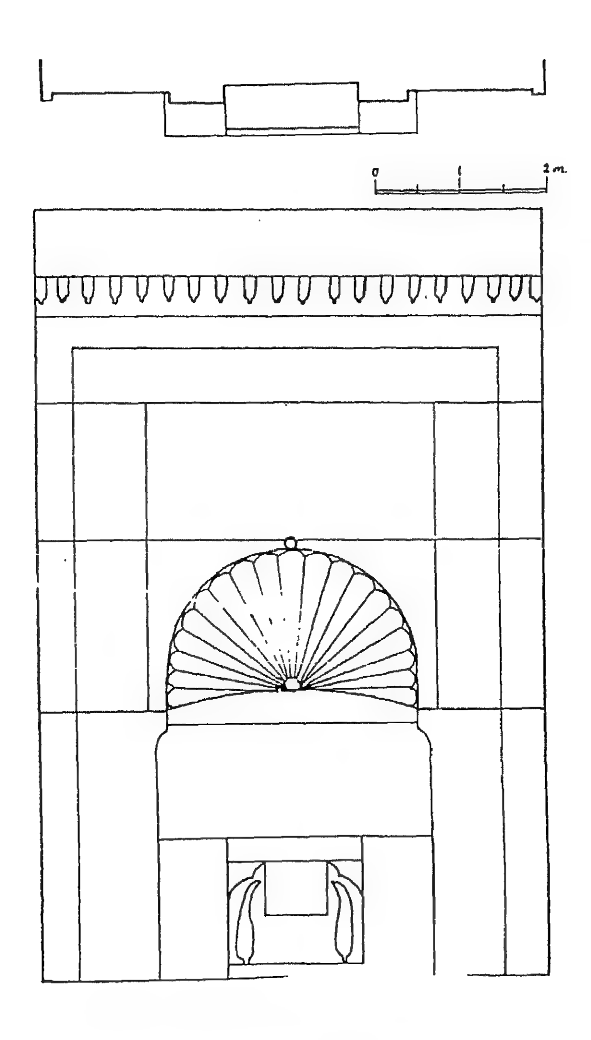




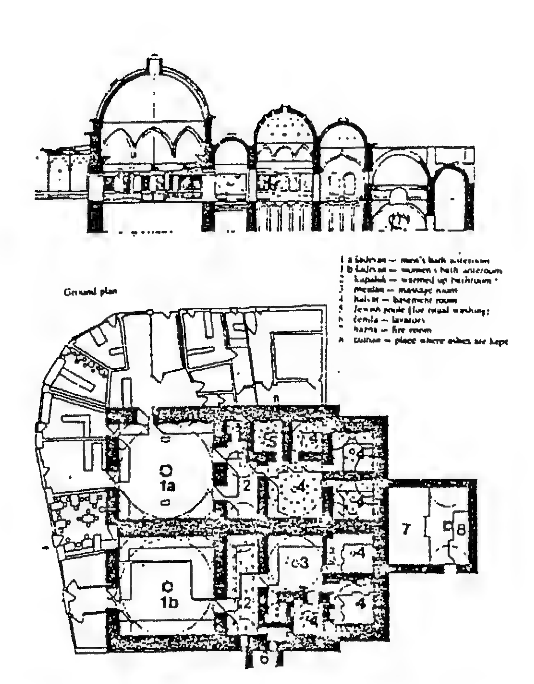
شكل (٣٤٢) مسقط أفقي للچشمة ضمن الجامع الأخضر (يشيل جامع) في بروسة (أو بورصة) (عن : ÖNGE) .



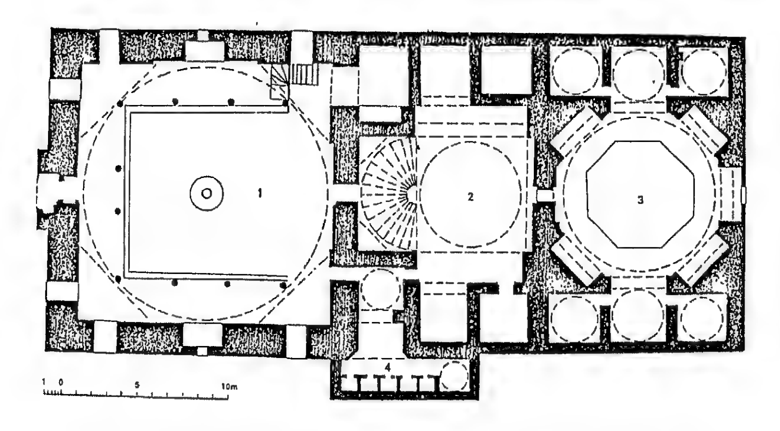
شكل (٣٤٣) مسقط أفقى لچشمة قره مصطفى باشا فى أدرنة (عن : ÖNGE) .



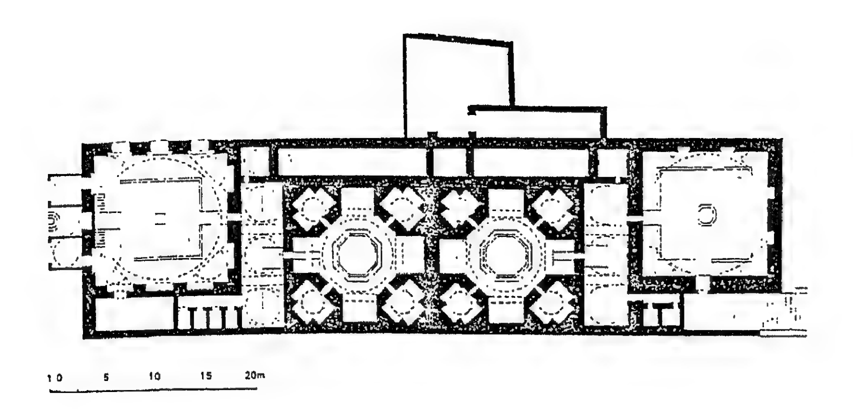
شكل (٣٤٤) مسقط أفقى وواجهة چشمة إسماعيل أغا باستانبول (عن : بارشتا) .



شكل (٣٤٥) مسقط أفقى وقطاع لحمام غازي خسرو بك فى سراييفو (عن : Pašić) .



شكل (٣٤٦) مسقط أفقى لحمام محمود باشا باستانبول (عن : جودوين) .



شكل (٣٤٧) مسقط أفقى لحمام خاصكى حرم باستانبول (عن : جودوين) .

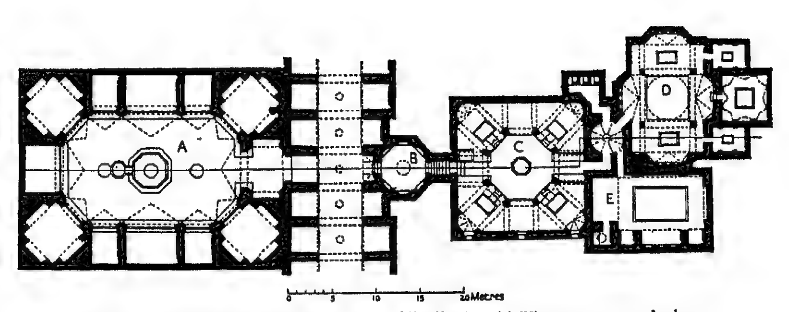
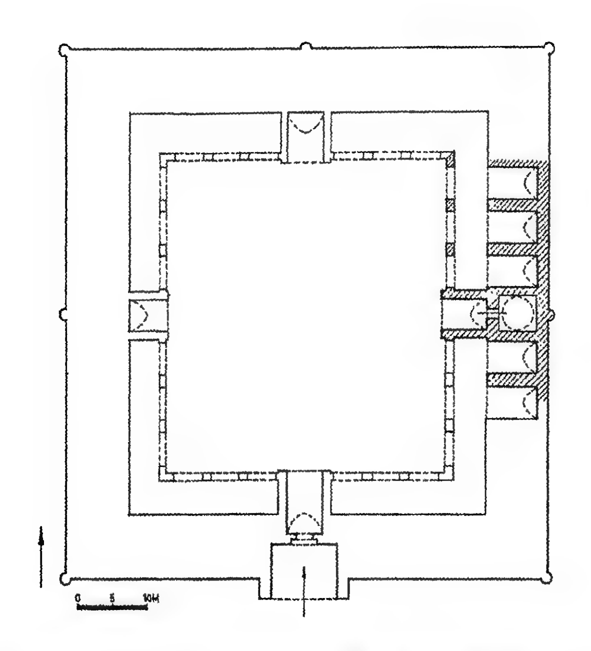
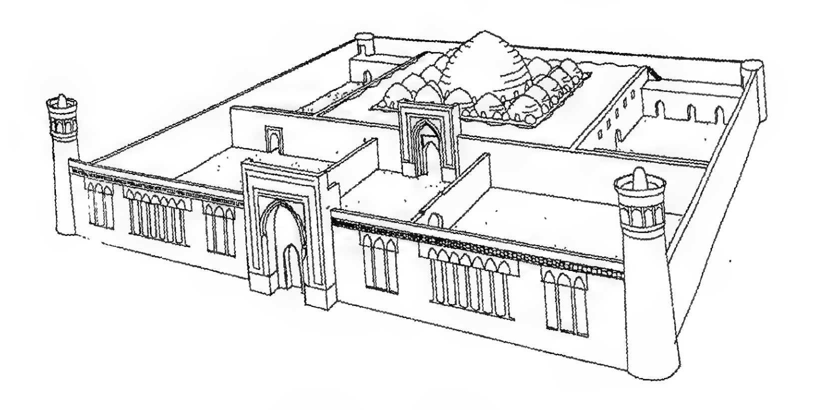


FIG. 427. Kāshān, bazaar and bath of Ḥājjī Sayyid Ḥusayn: ground plan.
A. Bazaar. B. Vestibule to bath. C. Main room of bath. D. Hot room.
E. Summer pool.

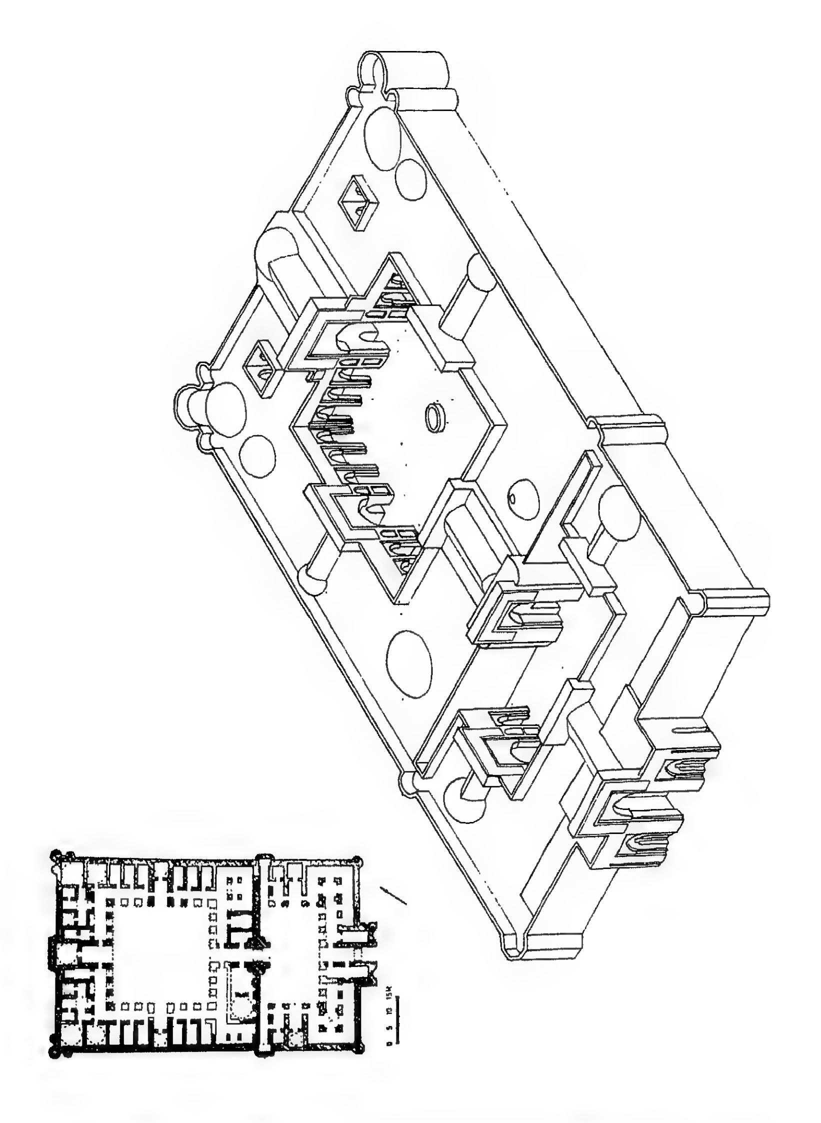
شكل (٣٤٨) مسقط أفقى لحمام (إلى اليمين) حاجى سيد حسين فى قاشان .



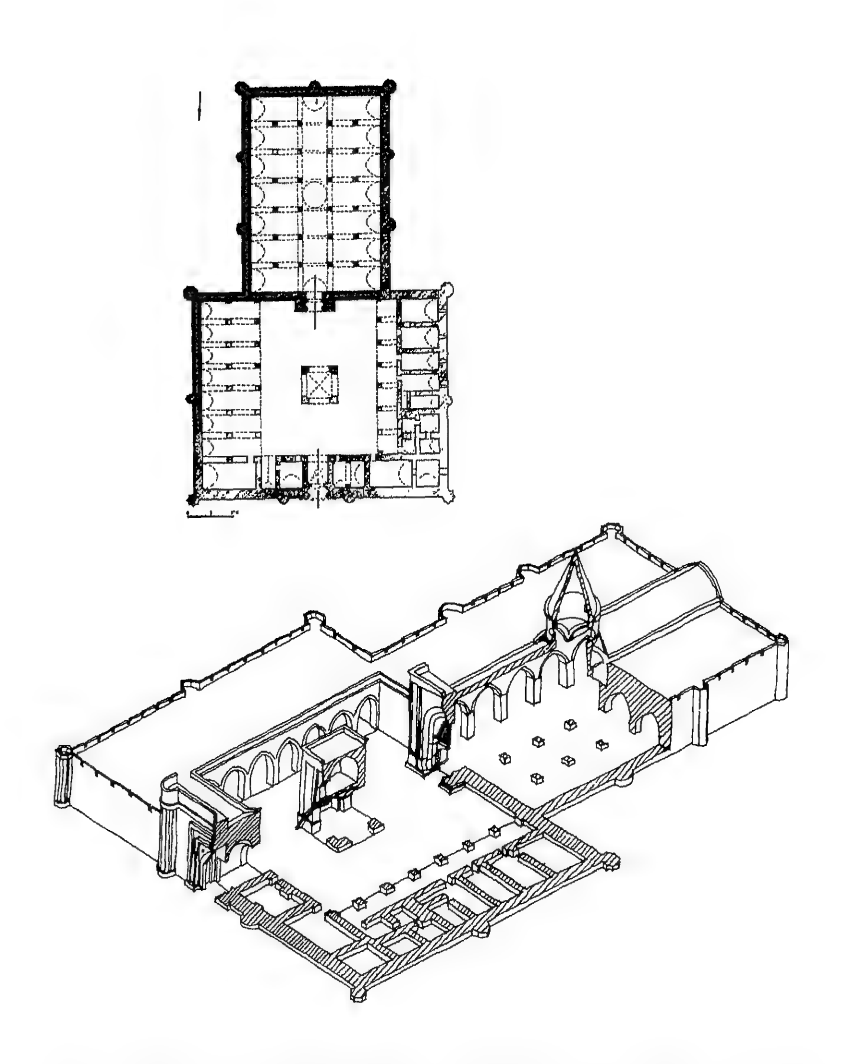
شكل (٣٤٩) مسقط أفقي لرباط ماهي (طريق مشهد سرخس) (عن : آصلان آبا) .



شكل (٣٥٠) رباط ملك (عن : هيلنبراند) .



شكل (٣٥١) رباط شرف (طريق نيسابور - مرو) عن : (آصلان آبا) و(هيلنبراند) .



شكل (٣٥٢) سلطان خان قرب قيصرية (علي طريق قيصرية - سيواس عند قرية بالاس)
(عن : آصلان آبا (أعلى) وهيلنبراند (أسفل) .

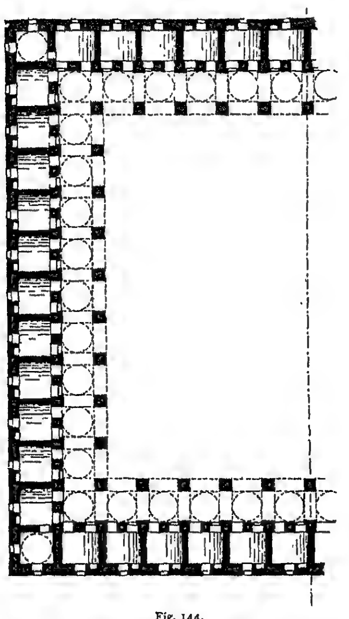


Fig. 144.
Mahmud-Pascha-Han.

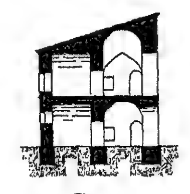
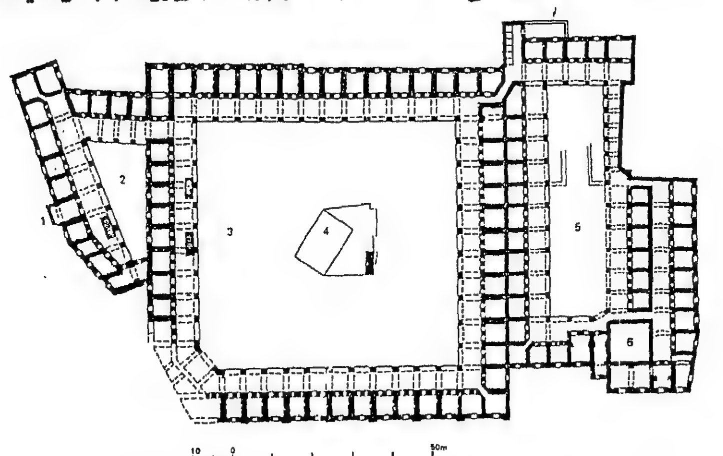
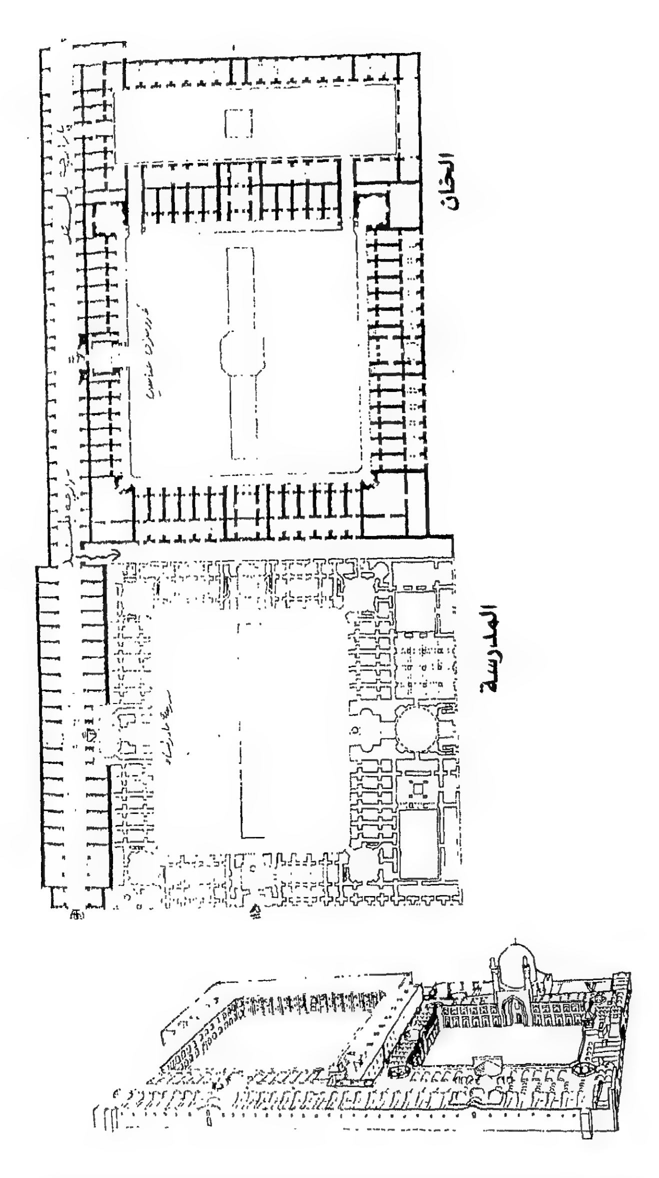


Fig. 145.
Schnitt durch den Mahmud-Pascha-Han.

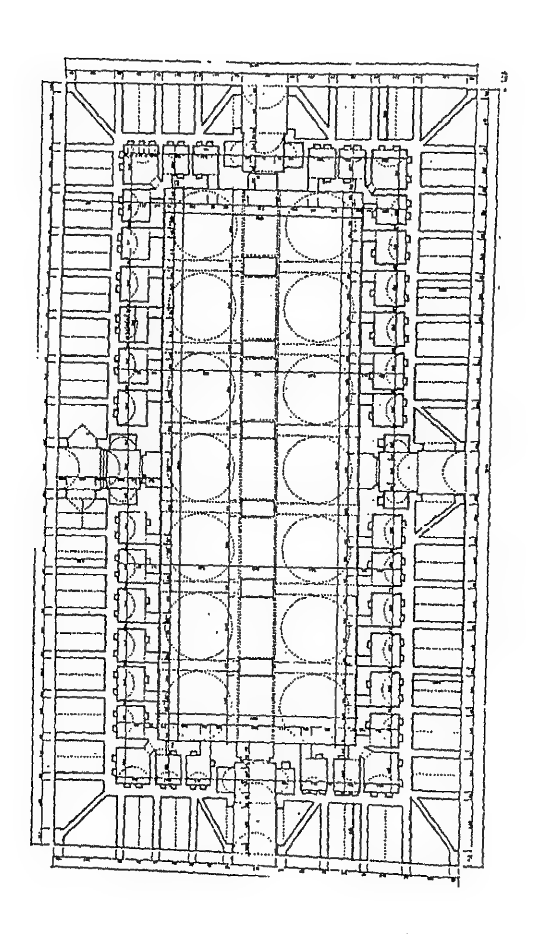
شكل (٣٥٣) مسقط أفقى وقطاع لخان محمود باشا فى بورصة (أويروسه) (عن : فيلد) .



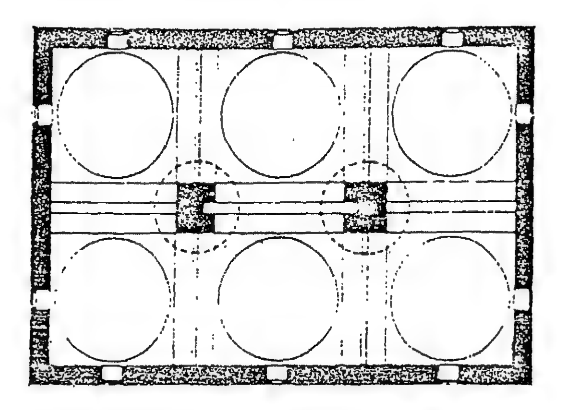
شكل (٣٥٤) مسقط أفقى لوالده خان فى استانبول (عن : جودوين) .



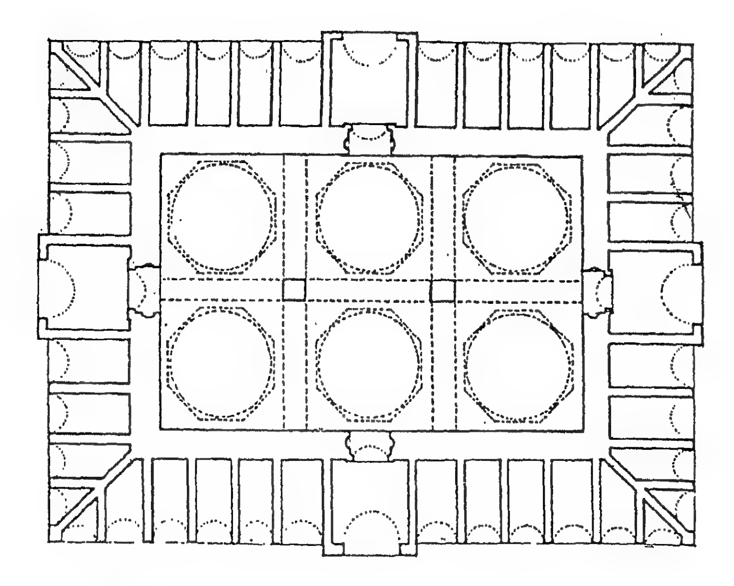
شكل (٣٥٥) كرفان سراى عباسى (خان) ومدرسة مادرشاه فى أصفهان .



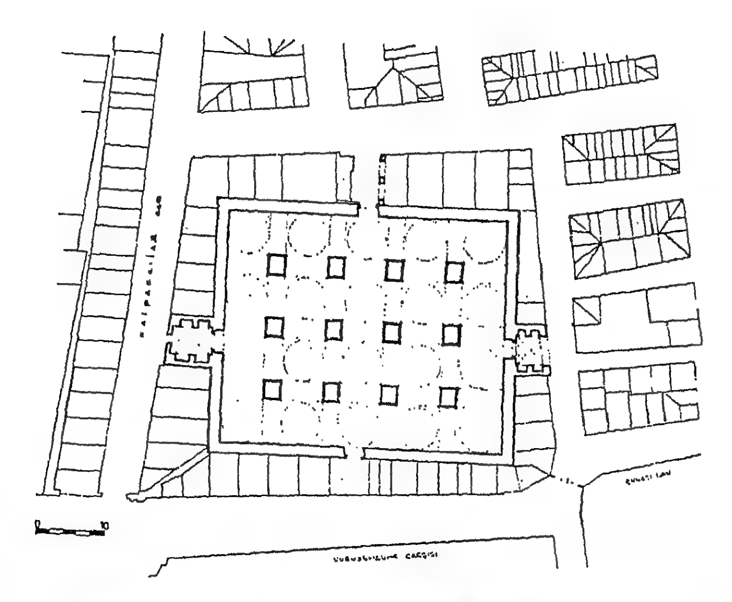
شكل (٣٥٦) مسقط أفقى لبادستان أدرنه (عن : Cezar) .



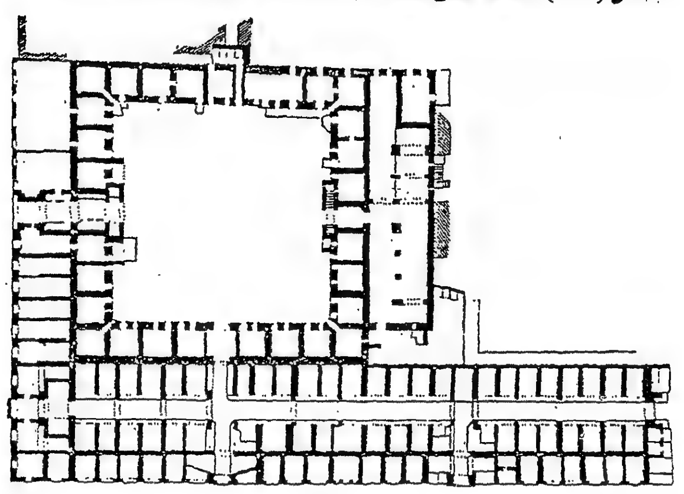
شكل (٣٥٧) مسقط أفقى لبادستان رستم باشا المعروف ببادستان بورصة فى سراييفو (عن : Pašić) .



شكل (٣٥٨) مسقط أفقى لبادستان سيريز باليونان (عن : Cezar) .

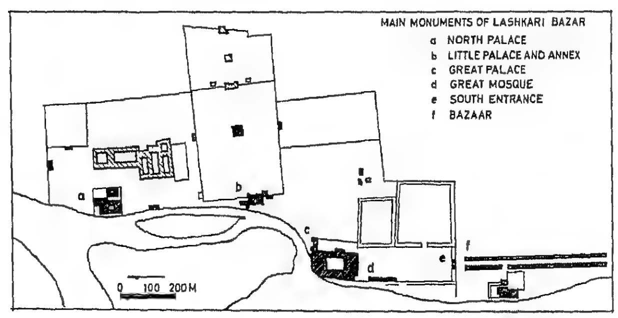


شكل (٣٥٩) مسقط أفقى لصندل بادستان باستانبول (عن : Cezar) .

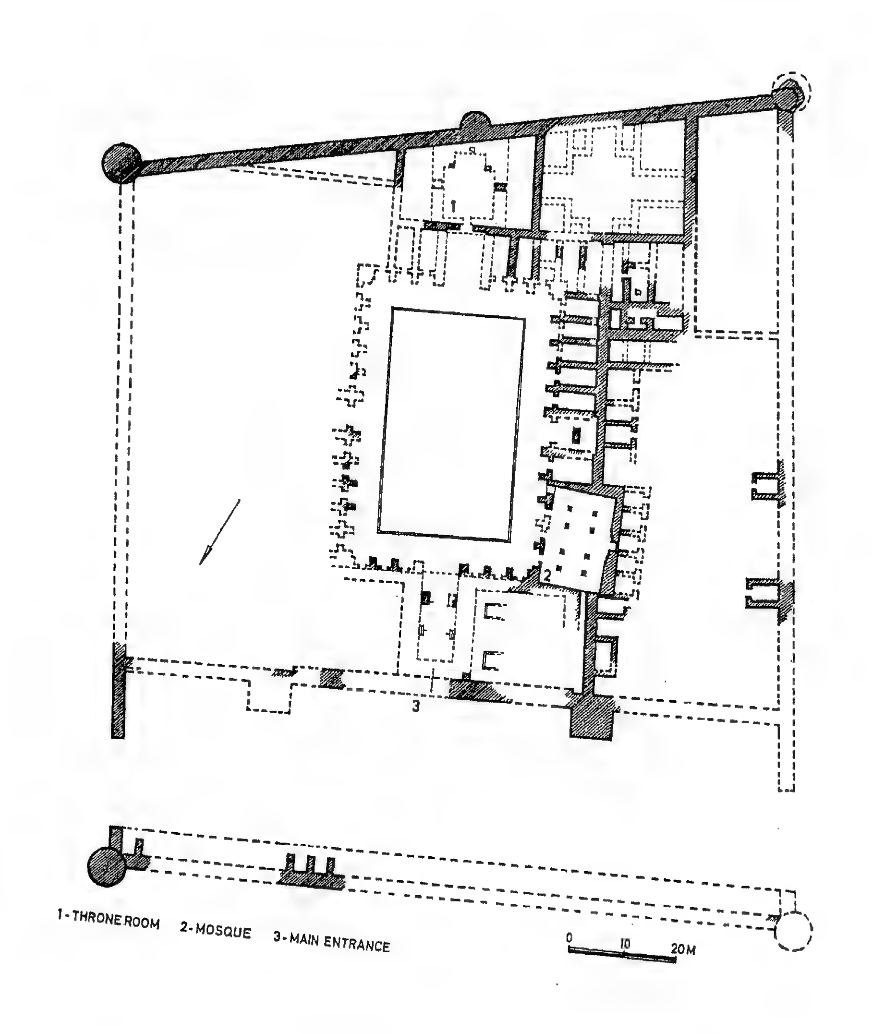


شكل (٣٦٠) مسقط أفقى لاراستا غازى خسرو بك الملحقة
بخان Taşli فى سراييفو (عن : Cezar) .

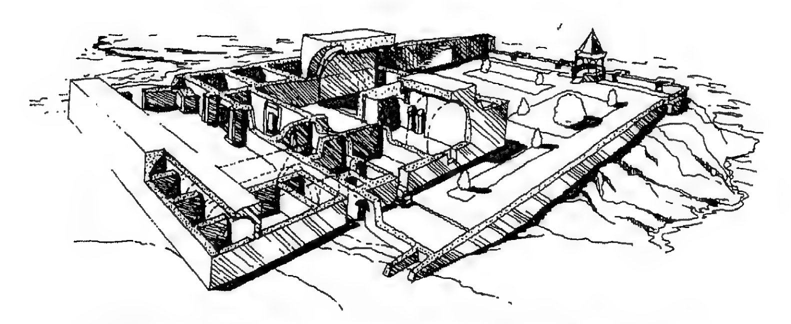
0 10 20 30M



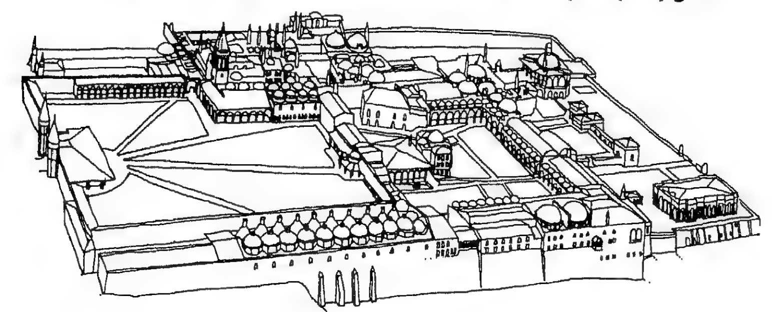
شكل (٣٦١) مسقط أفقى لقصر لشكرى بازار (عن : آصلان آبا) .



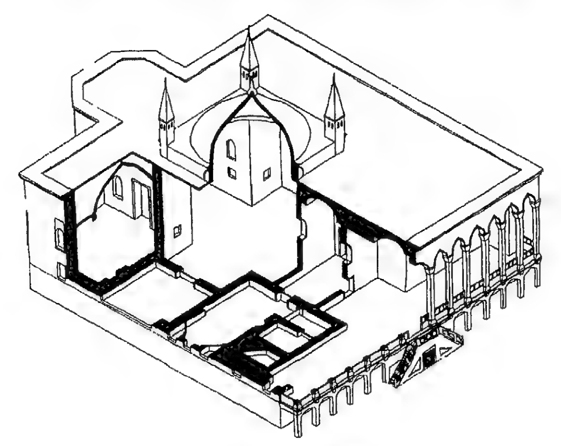
شكل (٣٦٢) مسقط آفقى لقصر السلطان مسعود الثالث فى غزنه (عن :اصلان ابا) .



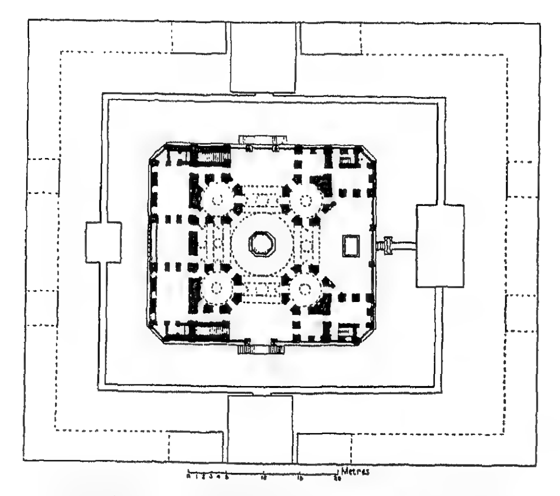
شكل (٣٦٣) قصر السلطان السلجوقى علاء الدين كيقباد (عن : هيلنبراند) .



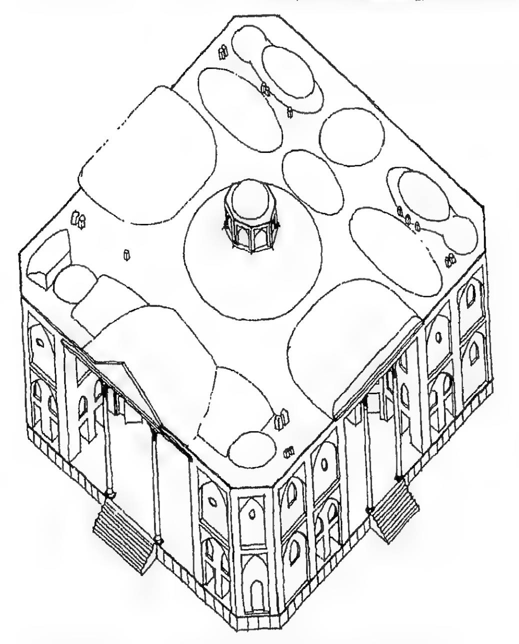
شكل (٣٦٤) طوبقابى سراى باستانبول (عن : هيلنبراند) .



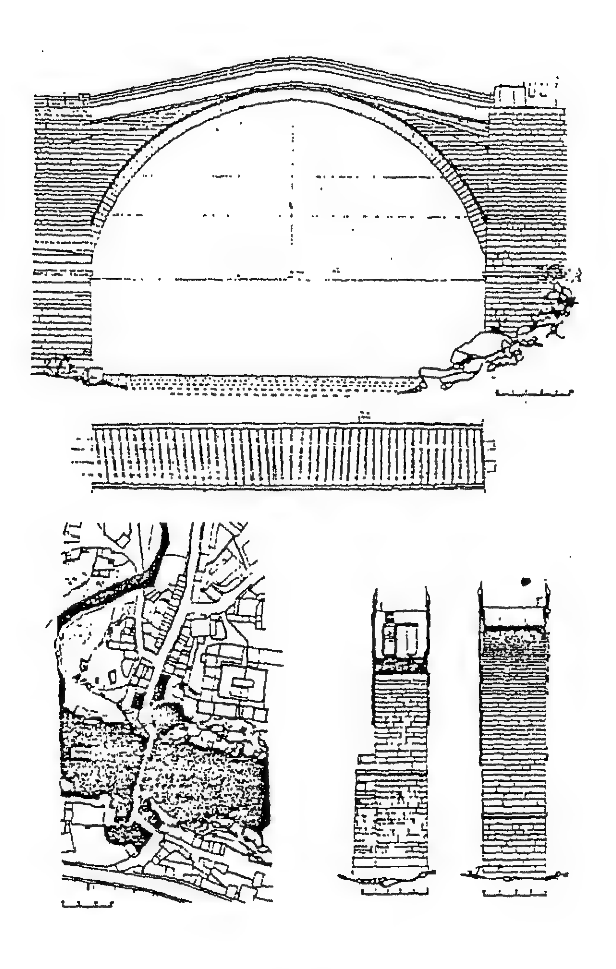
شكل (٣٦٥) چينيلى كوچك بطوبقابى سراى فى استانبول (عن : هيلنبراند) .



شكل(٣٦٦) مسقط افقى لقصر هشت بهشت الجنات الثمان فى آصفهان (عن : بوب) .



شكل (٣٦٧)قصر هشت بهشت بأصفهان (عن : هيلنبراند) .



شكل (٣٦٨) الجسر القديم (the stari Most) فى موستار (عن : Pašić) .

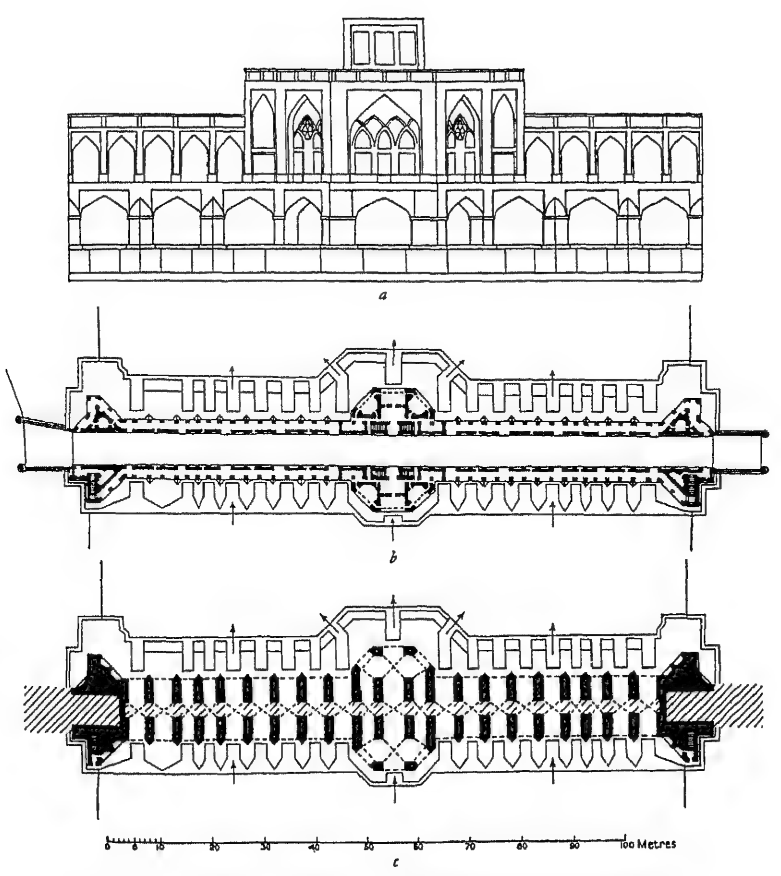
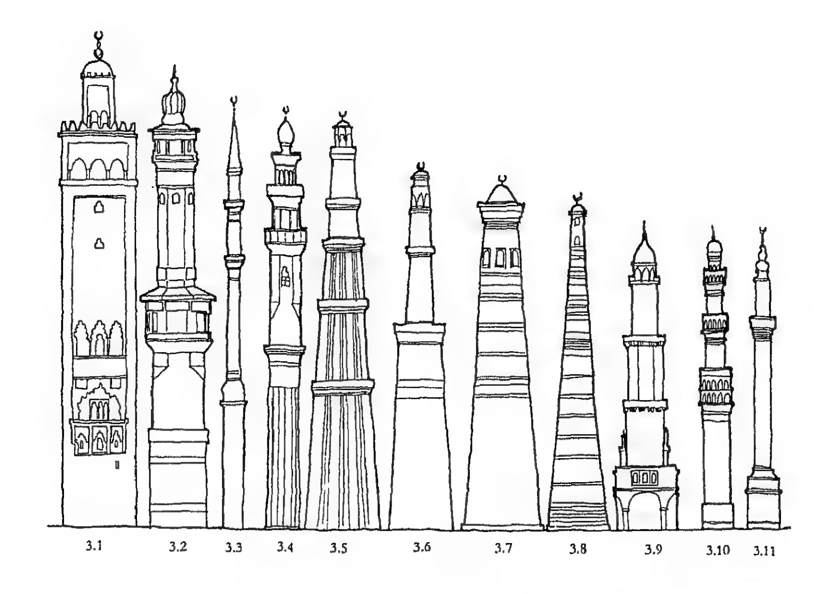


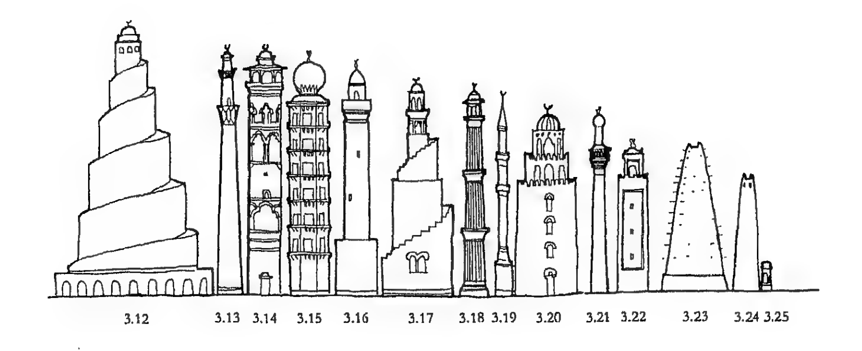
Fig. 439 *a–c*. Iṣfahān, Pul-i-Khājū. *a*. Longitudinal section. *b*. Plan of upper story. *c*. Plan of lower story.

شكل (٣٦٩) بول خاجو فى اصفهان (عن : بوب) .



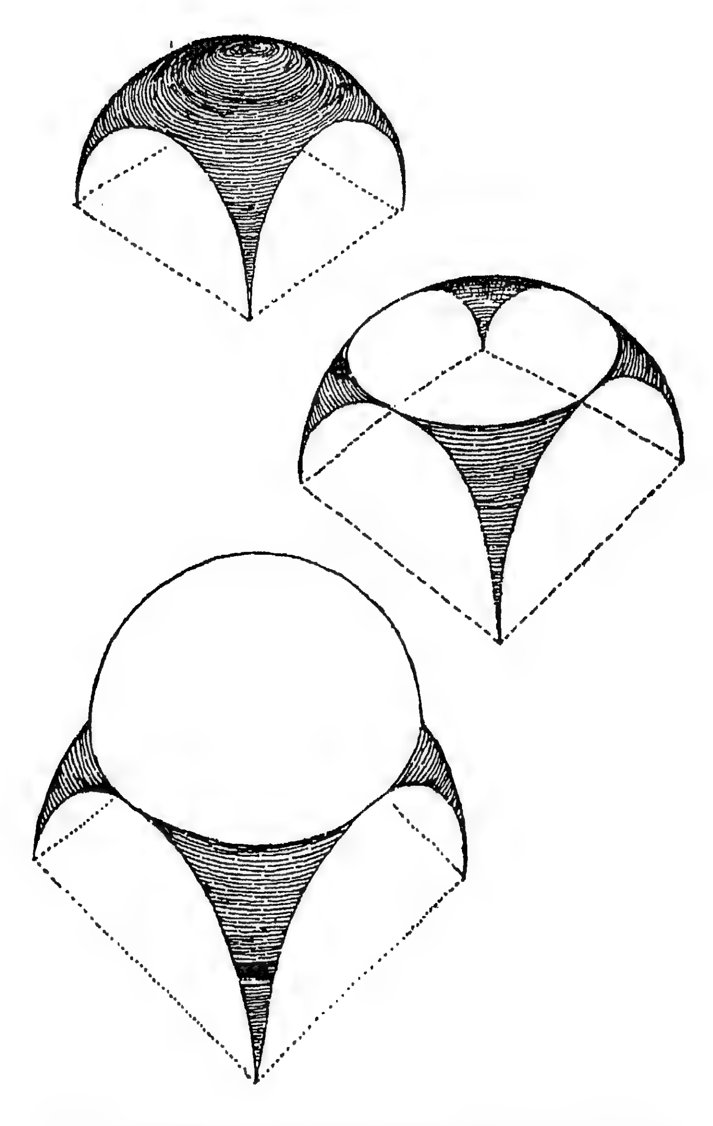
شكل (٣٧٠) طراز المآذن فى العمارة الاسلامية (عن : هيلنبراند)

١- مئذنة حسان بالرباط (المغرب) .
٢- مئذنة بالحرم المكى الشريف .
٣- مئذنة جامع محمد على بقلعة القاهرة .
٤- مئذنة مدرسة السلطان حسن بالقاهرة .
٥- قطب منار بدلهى (الهند) .
٦- مئذنة جامع (أفغانستان) .
٧- مئذنة المسجد الجامع فى خيوه (أسيا الوسطي) .
٨- مئذنة المسجد الجامع فى أوركنج .
٩- مئذنة Lednice فى جمهورية Czech .
١٠- جهار منار فى حيدر آباد (الدكن بالهند) .
١١- مئذنة الجامع الكبير (اولو جامع فى بورصة (أوبروسة)تركيا .

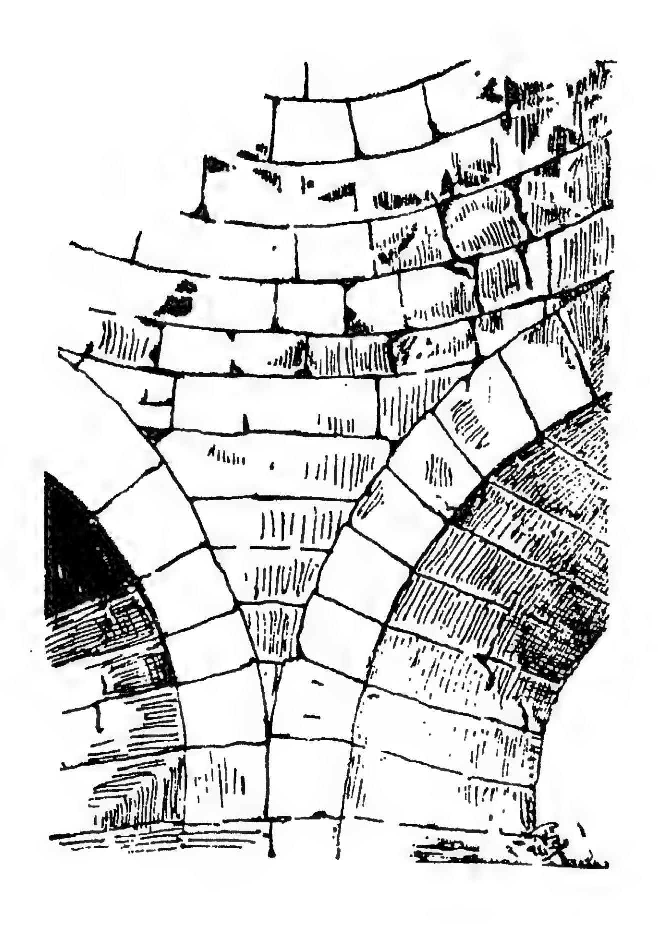


(شكل ٣٧١) طرز المآذن في العمارة الاسلامية (بقية) :

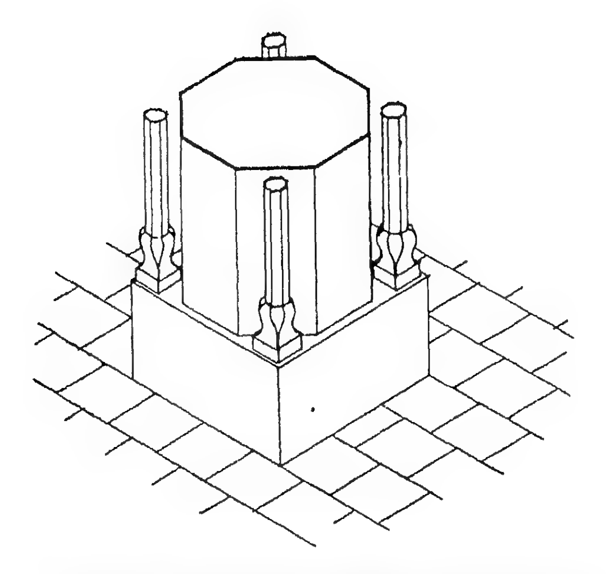
١٢- ملوية سامرا (العراق) .
١٣- منارة Saraban في أصفهان (ايران) .
١٤- مئذنة الجامع الكبير بحلب (سوريا) .
١٥- مئذنة مسجد الجمعة في بيجابور (الهند) .
١٦- مئذنة الجامع النوري في الموصل (العراق) .
١٧- مئذنة ابن طولون بالقاهرة (مصر) .
١٨- مئذنة مسجد الجمعة في دلهي (الهند) .
١٩- مئذنة مسجد مراد الاول في بورصة (أوبروسة) (تركيا).
٢٠- مئذنة جامع القيروان بتونس .
٢١- مئذنة المشهد الحسيني في كربلاء (العراق) .
٢٢- مئذنة جامع السماك في الجزائر.
٢٣- مئذنة مسجد Agadez في النيجر.
٢٤- مئذنة جامع Ghardaya .
٢٥- مئذنة جامع الجند (اليمن) (عن : هيلنبراند) .



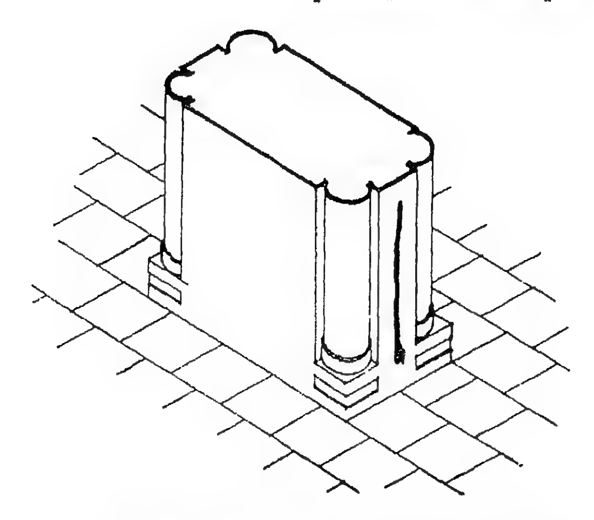
(شكل ٣٧٢) القباب الضحلة (غير العميقة) المقامة على منطقة انتقال من المثلثات الكروية . (عن : فريد شافعي) .



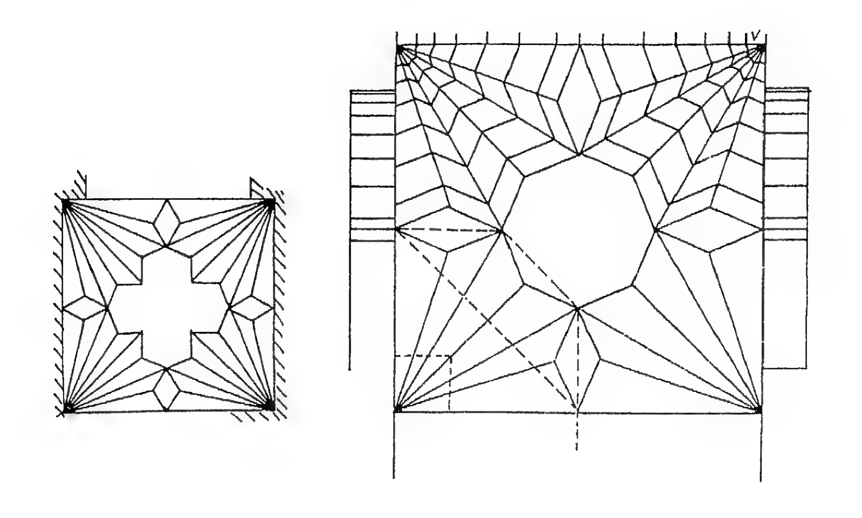
(شكل ٣٧٣) مثلث كروي كمنطقة إنتقال لقبة قصر النويجس في عمان (الاردن).(عن: فريد شافعي) .



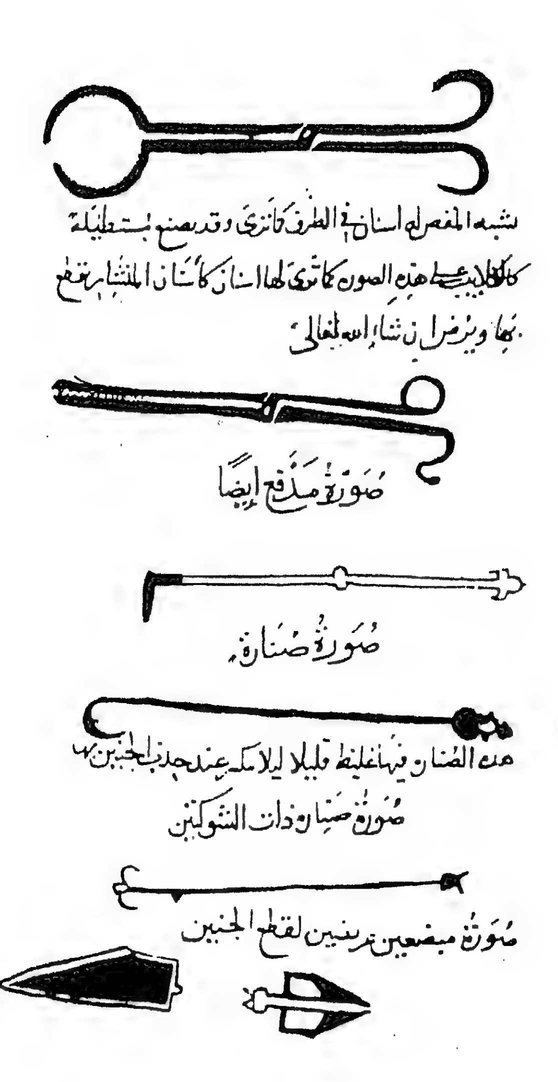
(شكل ٣٧٤) الدعامات وبأركانها الاعمدة المدمجة بجامع سامرا الكبير (في العراق) (عن : فريد شافعي) .



(شكل ٣٧٥) الدعامات وبأركانها الاعمدة المدمجة بجامع أبي دلف بسامرا في العراق.(عن:فريد شافعي)

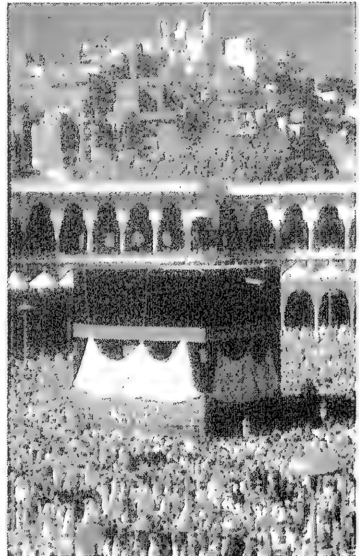


(شكل ٣٧٦) أقبية مروحية مركبة يتوسطها مثمن (الايمن) أوشكل متقاطع (الايسر) . (عن : صالح لمعي) .



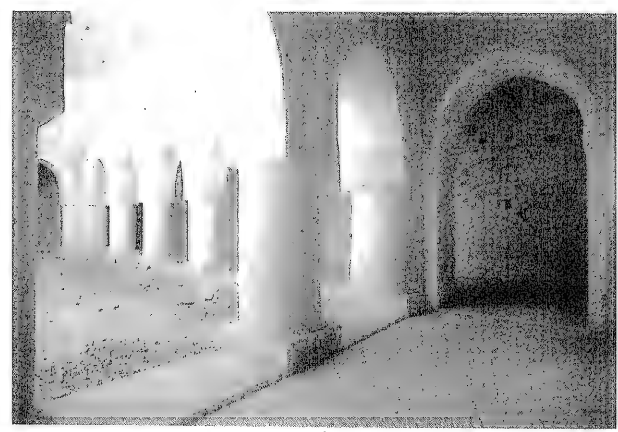
(شكل ٣٧٧) بعض آلات الجراحة كما وردت في كتاب الزهراوي (التصريف لمن عجز عن التأليف).

١ - الجزيرة العربية



لوحة (١) المسجد الحرام بمكة المكرمة وتتوسطه الكعبة المشرفة قبلة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، (وكان الخليفة الراشدى عثمان بن عفان (رضى الله عنه) هو أول من عمل للمسجد الحرام الأروقة ٢٦هـ /٩٤٦م).

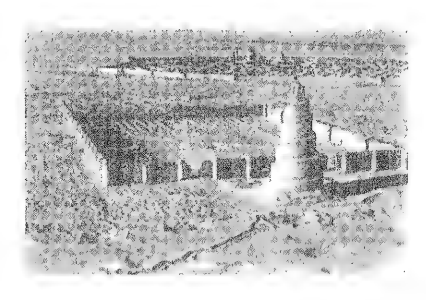
٢ - العراق



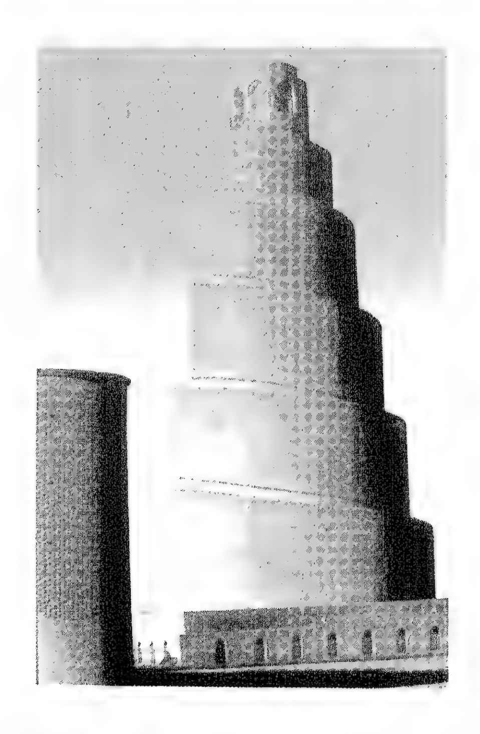
لوحة (٢) المسجد الملحق بقصر الأخيضر بالعراق حوالى ١٦١هـ/ ٧٧٧م (العصر العباسى الأول) .



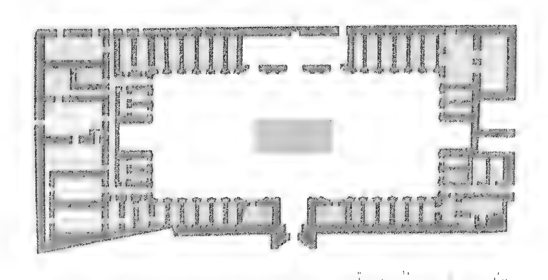
لوحة (٣) المسجد الملحق بقصر الأخيضر، تفصيل (القبو البرميلى بنقوشة الزخرفية الجصية) .

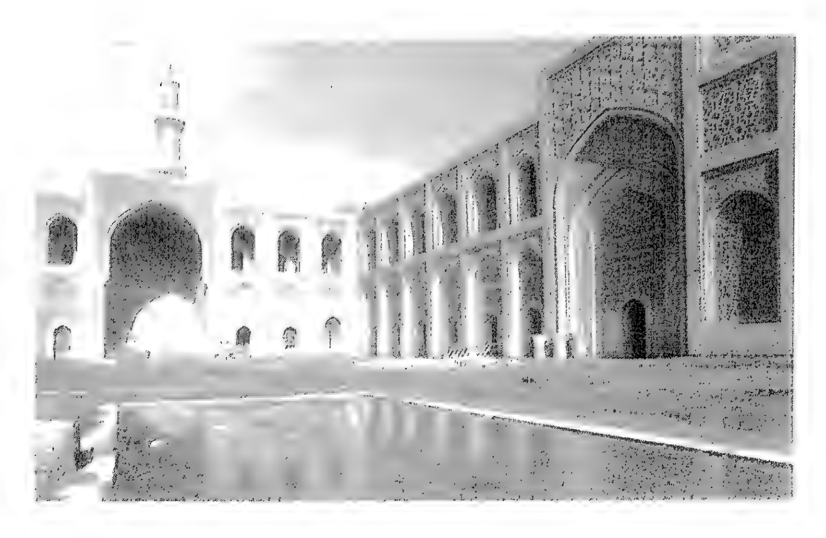



لوحة (٤) مدينة سامرا ٢٢١-٢٧٩هـ / ٨٣٦-٨٩٢م (شمال بغداد) ومسجدها الجامع ٢٣٤-٢٣٧هـ/٨٤٩-٨٥٢م (العصر العباسى الثانى)

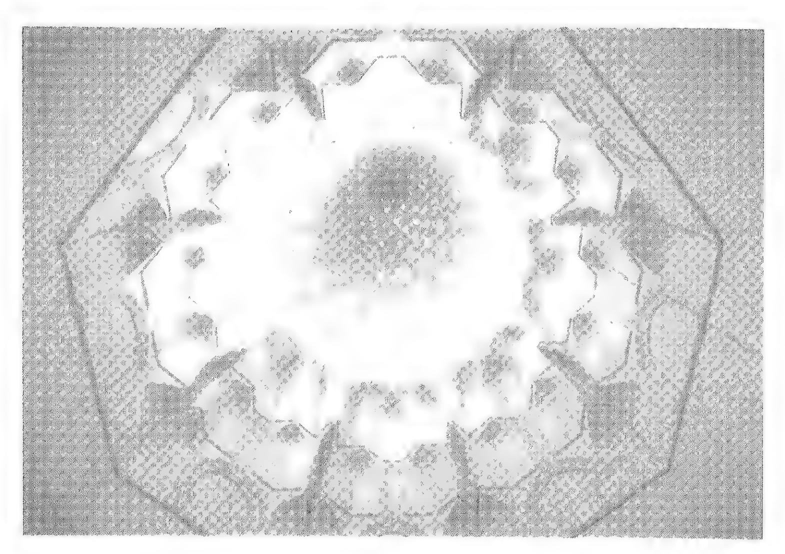


لوحة (٥) مئذنة المسجد الجامع بسامرا المعروفة بالملوية .





لوحة (٦) المدرسة المستنصرية فى بغداد (أول مدرسة للمذاهب الأربعة ٦٣١هـ / ١٢٣٣م) (العصر العباسى الرابع) .





لوحة (٧) تربة زمرد خاتون المعروفة بضريح الست زبيدة فى وسط مقبرة الشيخ معروف الكرخى فى الجانب الغربى من بغداد (طراز القباب المخروطية أو الميل) .



لوحة (٨) تربة الشيخ عمر السهروردى المتوفى ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م فى بغداد (طراز القباب المخروطية أو الميل) .



٣- الشام



لوحة (٩) قبة الصخرة بالحرم القدسى الشريف ٧٢هـ /٦٩١م من الخارج (العصر الأموى) .



لوحة (١٠) قبة الصخرة بالحرم القدسى الشريف : منظر داخلى للدائرة المقامة فوقها القبة والقمريات وباطن القبة .



لوحة (١١) قبة الصخرة بالحرم القدسى الشريف : تفصيل للنقوش الزخرفية والكتابية بباطن القبة ويظهر فى النقش الكتابى اسم السلطان المملوكى الناصر محمد بن قلاوون(٧٤١هـ / ١٣٤٠م) .



لوحة (١٢) المسجد الأقصى المبارك (القبلة الأولى للمسلمين حتى منتصف شعبان ٢هـ /٦٢٣م) ، منظر عام من الخارج . (وهو يمثل أصل النمط الثانى للطراز التقليدى الذى ساد وإنتشر فى المغرب والأندلس بصفة خاصة) .



لوحة (١٣) المسجد الأموى بدمشق ٨٦-٩٦هـ /٧٠٥-٧١٥م ، منظور عين الطائر (الطراز التقليدى لعمارة المساجد الاسلامية وهو يمثل النمط الأول لمساجد ذلك الطراز الذى إنتشر فى مصر والشام والجزيرة العربية والمشرق الاسلامى ولكن مع إستثناء يتمثل فى وجود الرواق الأوسط العمودى من عدمه) .





لوحة (١٤) المسجد الأموى بدمشق : واجهة الرواق الأوسط (البلاطة الوسطى) العمودى الذى يخترق أروقة المقدم الموازية لجدار القبلة وهو يمتد من الصحن الى جدار القبلة ويعلو أوسطة القبة المعروفة بقبة النسر.



لوحة (١٥) المسجد الأموى بدمشق : مؤخر المسجد ومئذنة باب الفردوس .



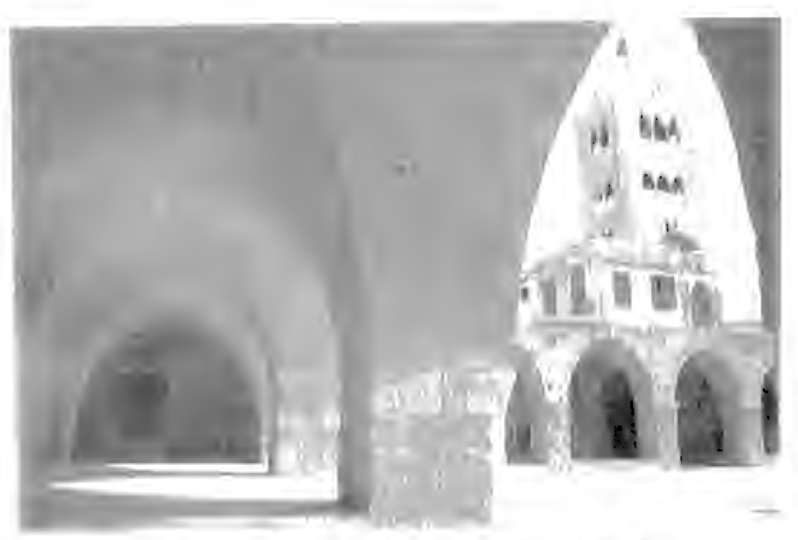
لوحة (١٦) المسجد الأموى بدمشق : قبة بيت المال بصحن المسجد : وتتميز بنقوشها الزخرفية المنفذة بالفسيفساء .



لوحة (١٧) مدرسة الفردوس بحلب ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م منظر عام من الخارج (العصر الأيوبى) .



لوحة (١٨) مدرسة الفردوس بحلب : المحراب .



لوحة (١٩) الجامع المنصوري الكبير بطرابلس الشام ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م
(العصر المملوكي البحري) .



(لوحة ٢٠) النقوش الزخرفية بواجهة قصر المشتى (عن ، كريزول) .
(العصر الأموي) .



لوحة (٢١) نماذج لبعض مداخل المدارس المملوكية بطرابلس الشام، مدرسة الشيخ الهندى (الى اليمن) ق ٨هـ / ١٤م ومدرسة الأمير قرطاى (الى اليسار) حوالى ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م، ويشاهد طراز الطاقية (الطاسة) المقامة على حطات مقرنصة ذات دلايات.



لوحة (٢٢) قصير عمره على بعد ٥٠ ميلاً جنوب شرق عمان ويؤرخ بحوالى ٩٢-٩٦هـ / ٧١٠-٧١٥م، منظر عام من الخارج (أعلى) ومسقط أفقى (أسفل الى اليسار) (العصر الأموى).



لوحة (٢٣) قصير عمره ، الحجرتان الثانية والثالثة (الدافئة والساخنة) من حجرات الحمام الثلاثة من الخارج .



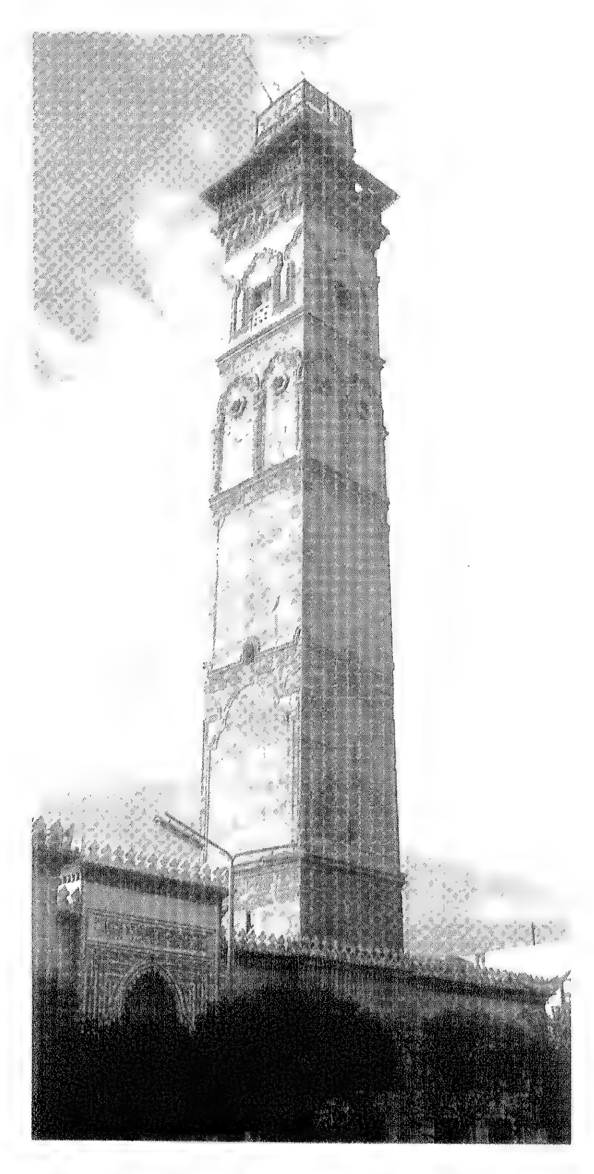
لوحة (٢٤) قلعة حلب .



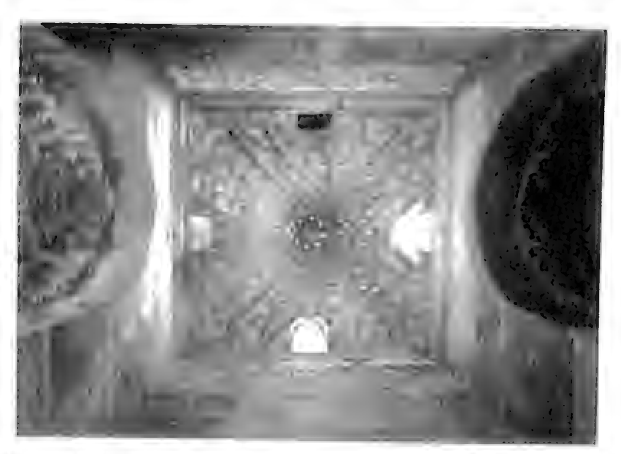
لوحة (٢٥) قلعة حلب .



لوحة (٢٦) قصر العظم فى حماه .



لوحة (٢٧) مئذنة المسجد الكبير فى حلب ٤٨٢هـ / ١٠٨٩م .

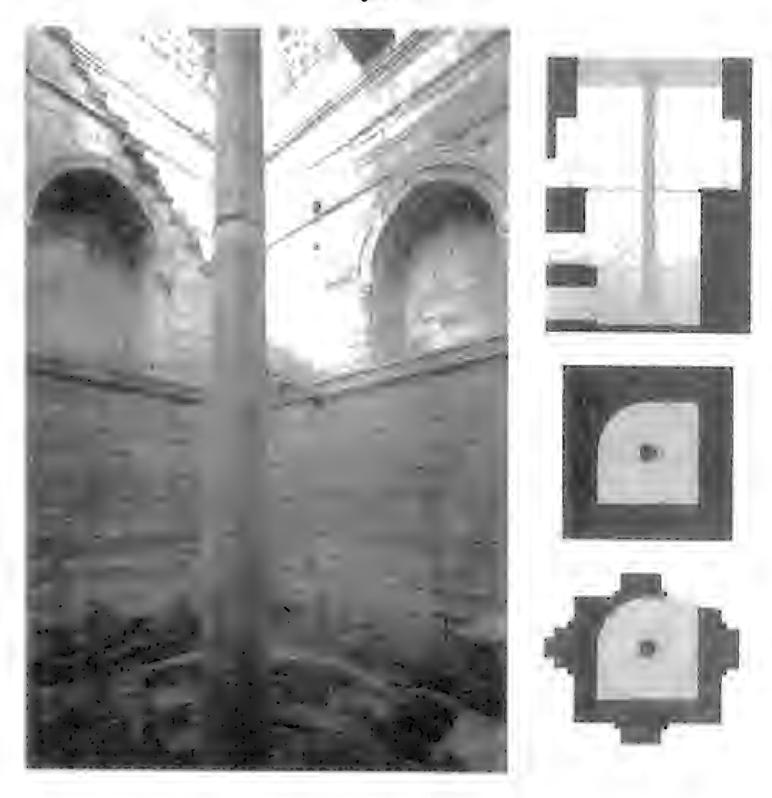


لوحة (٢٨) البيمارستان النورى فى دمشق ٥٤٩هـ / ١١٥٤م ، القبة المقرنصة التى تغطى دركاة المدخل (العصر الزنكى) .



لوحة (٢٩) سبيل السلطان العثمانى سليمان القانونى أو المعظم بالقدس الشريف المعروف بسبيل باب السلسلة ٢٢رجب ٩٤٣هـ / ١٥٣٦م (طراز السبيل الجشمة) (العصر العثمانى) .

4 - مصر



لوحة (٣٠) مقياس النيل بجزيرة الروضة بالقاهرة ٢٤٧هـ / ٨٦١م : منظر داخلى ومسقط وقطاع (العصر العباسى الثانى).





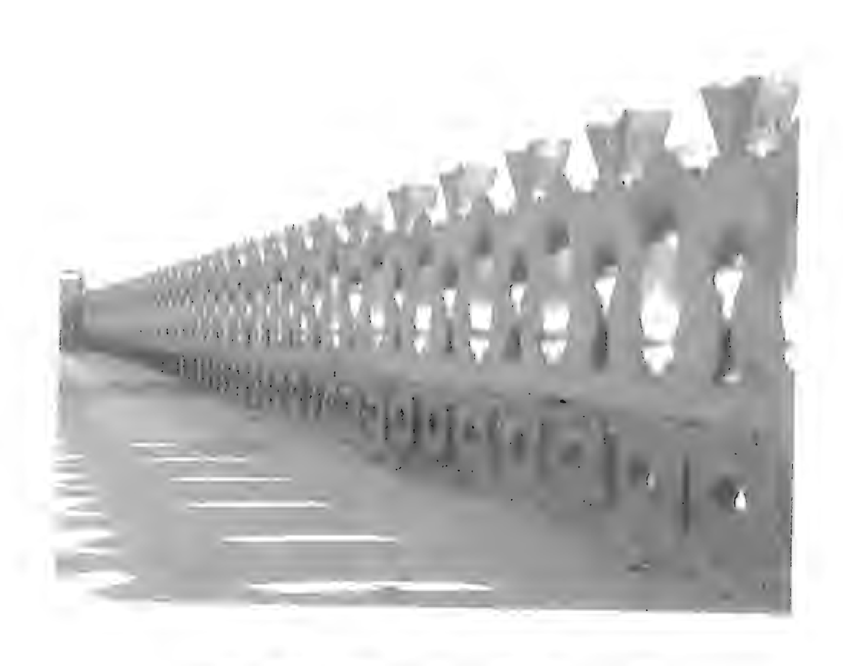
لوحة (٣١) مقياس النيل بجزيرة الروضة بالقاهرة ، منظر داخلى فى أوائل القرن ١٩م للرحالة لويس ماير (فى اعلى) ، وصورة حديثة في أسفل .



لوحة (٣٢) مسجد أحمد بن طولون بالقاهرة ٢٦٣- ٢٦٥هـ / ٨٧٦-٨٧٨م (الطراز التقليدى لعمارة المساجد الاسلامية وهو يمثل النمط الأول الذى يتكون من صحن ومقدم ومؤخر ومجنبتان ، وأروقة المقدم والمؤخر بائكاتها موازية لجدار القبلة ولا يخترقها الرواق الاوسط العمودى (البلاطة الوسطى) المعروف خطأ بالمجاز القاطع) ومئذنتة المعروفة بالملوية (العصر العباسى الثانى - الدولة الطولونية فى مصر) .



لوحة (٣٢) مسجد أحمد بن طولون بالقاهرة : المحراب والمنبر.



لوحة (٣٤) مسجد أحمد بن طولون بالقاهرة : الشرافات الفريدة التى تتوج واجهات المسجد .

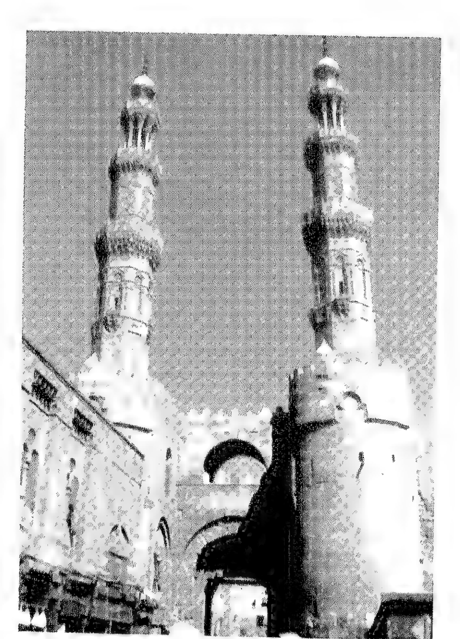




لوحة(٣٥) السور الشمالى للقاهرة الفاطمية وفى أعلى باب النصر ٤٨٠هـ / ١٠٨٧م (العصر الفاطمى) .



لوحة (٣٦) باب الفتوح في السور الشمالى للقاهرة الفاطمية ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م (العصر الفاطمى) .

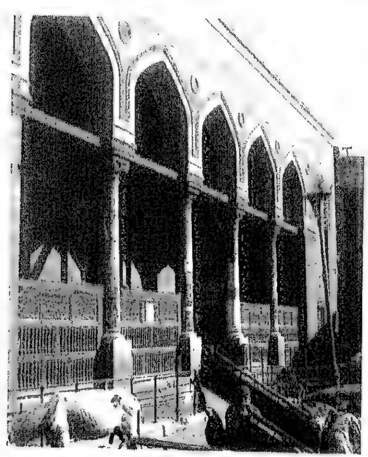


لوحة (٣٧) باب زويلة المعروف ببوابة المتولى فى السور الجنوبى للقاهرة الفاطمية ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م (العصر الفاطمى) ، (والمئذنتان من العصر المملوكى الجركسى - عهد السلطان المؤيد شيخ) .

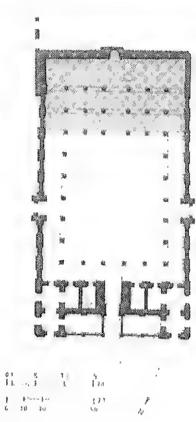


لوحة (٣٨) الجامع الأزهر الشريف بالقاهرة الفاطمية : صحن المسجد والمؤخر (العصر الفاطمي) (والقبة والمئذنتين من العصر المملوكي البحرى و الجركسى) .





لوحة(٣٩) مسجد الأقمر بشارع المعز ٥١٩هـ / ١١٢٥م(فى اعلى) الواجهة ، ومسجد الصالح طلائع خارج باب زويلة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م (فى أسفل) : واجهة الرواق الخارجى (السقيفة) (العصر الفاطمى) .



لوحة (٤٠) مسجد الصالح طلائع خارج باب زويلة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م : داخل المسجد ومسقط أفقى للمسجد (العصر الفاطمى) .

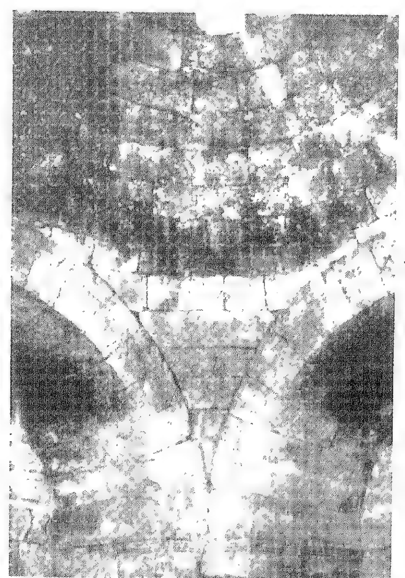


لوحة (٤١) مسجد الصالح طلائع خارج باب زويلة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م تفصيل للأجزاء التى تعلو تيجان الأعمدة ، فضلا عن الأربطة الخشبية التى تمتد فيما بين أرجل العقود والنقوش الزخرفية والكتابية (العصر الفاطمى) .

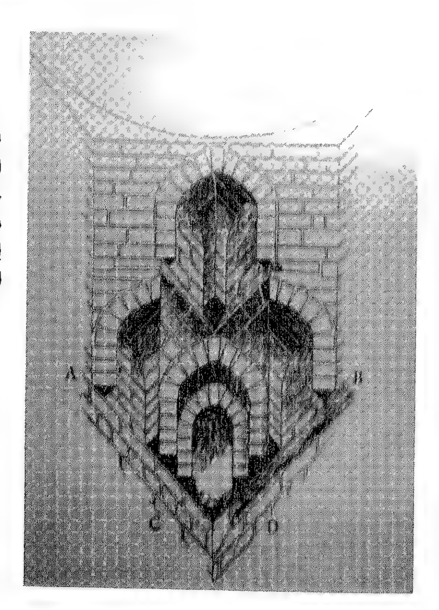




لوحة (٤٢) بعض المقابر الأثارية الباقية بجبانة أسوان جنوب مصر .



لوحة (٤٣) نموذج للمثلثات الكروية المستخدمة كمناطق انتقال للقباب الضحلة (غير العميقة) وهذا النوع كان معروفا قبل العصر الاسلامي وظل مستخدما فى العمارة الاسلامية (منطقة إنتقال قبة قصر النويجس فى عمان ق ٢م) .



لوحة (٤٤) نموذج لمناطق انتقال القباب الفاطمية المتطورة والتى تتكون من حطتين : الأولى من ثلاث حنايا والثانية من حنية واحدة (العصر الفاطمى - منطقة إنتقال القبة الفاطمية تجاه خانقاة بيبرس الجاشنكير بالجمالية) .



لوحة (٤٥) جامع محمد بك أبو الدهب تجاه الجامع الأزهر (وهو يمثل طراز المسجد القبة الذى تحيط به زيادة من ثلاث جهات عدا جهة القبلة) (العصر العثمانى فى مصر) .



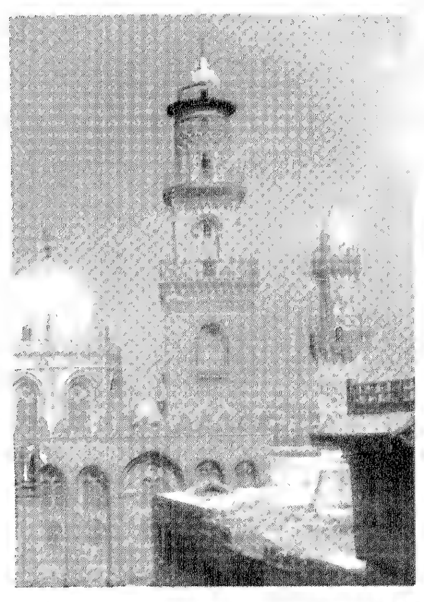
لوحة (٤٦) ميدان صلاح الدين (الرميلة) بحى الخليفة جنوب القاهرة ويشاهد : جامع المحمودية (الى اليسار) وباب العزب وخلفه مسجد أحمد كتخدا العزب وفى أعلى جامع محمد على الشهير (جامع الألباستر) (العصر العثمانى - عهد محمد على باشا) .



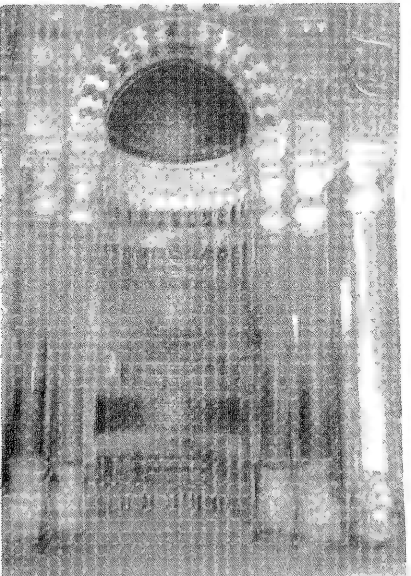
لوحة (٤٧) جامع محمد على بالقلعة : الحرم ويتوسطه الشادروان وبرج الساعة .



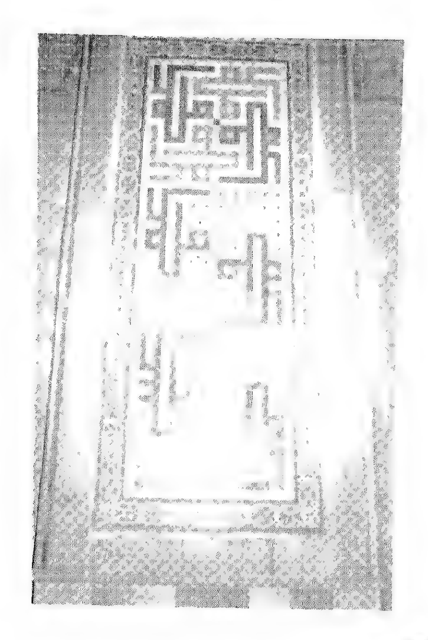
لوحة (٤٨) المدرسة الصالحية النجمية بشارع المعز (وهى أول مدرسة للمذاهب الأربعة فى مصر وثانى مدرسة فى العالم الأسلامى بعد المستنصرية ببغداد) ٦٣٩-٦٤١هـ / ١٢٤١- ١٢٤٣م المدخل الرئيسى والمئذنة التى تعلوه (العصر الأيوبى) .



لوحة (٤٩) مجمع السلطان المنصور قلاوون بشارع المعز ٦٨٣-٦٨٤هـ / ١٢٨٤-١٢٨٥م : واجهة القبة المنصورية والمئذنة .

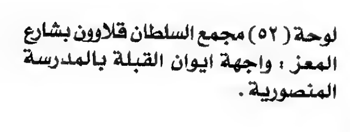


لوحة(٥٠) مجمع السلطان قلاوون بشارع المعز : محراب القبة المنصورية (وهو من أبدع المحاريب فى العمارة الاسلامية عامة وفى مصر خاصة) .

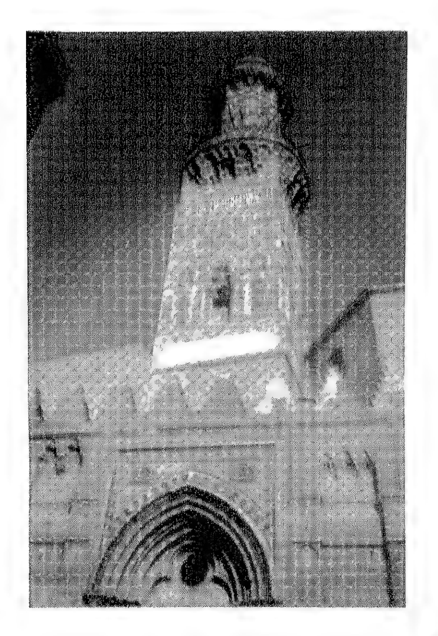


لوحة (٥١) مجمع السلطان قلاوون بشارع المعز : نموذج للخط الكوفى الهندسى فى القبة المنصورية (اسم الرسول ﷺ مكرراً ١٢مرة).

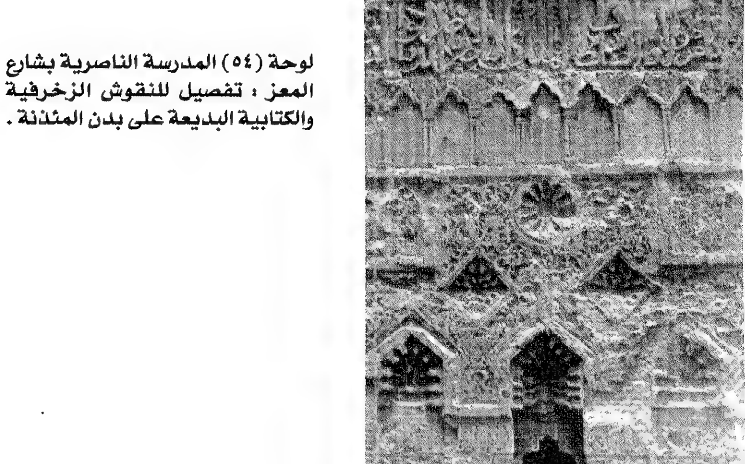




لوحة (٥٢) مجمع السلطان قلاوون بشارع المعز : واجهة ايوان القبلة بالمدرسة المنصورية .

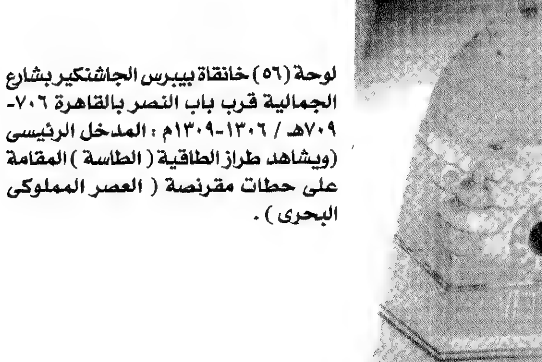


لوحة (٥٣) المدرسة الناصرية بشارع المعز ٦٩٨-٧٠٣هـ/ ١٢٩٨-١٣٠٣م : كتلة المدخل والمئذنة التى تعلوها (العصر المملوكى البحرى) .

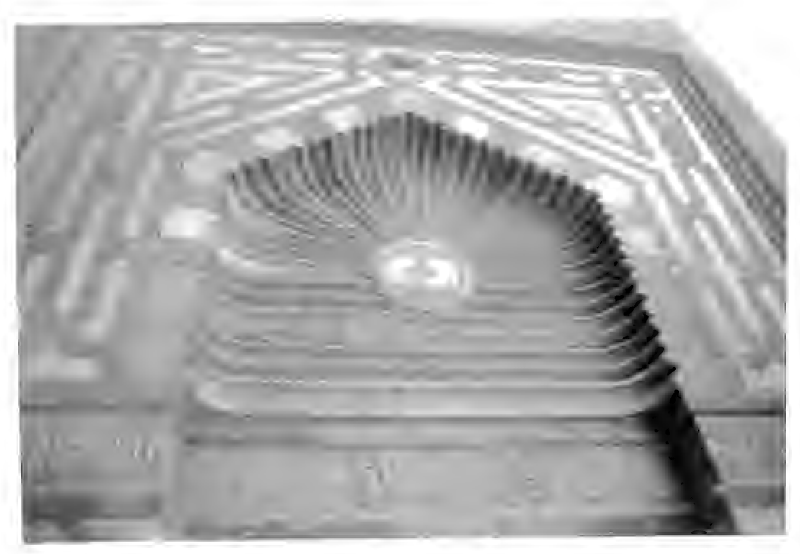


لوحة (٥٤) المدرسة الناصرية بشارع المعز : تفصيل للنقوش الزخرفية والكتابية البديعة على بدن المئذنة .

لوحة (٥٥) خانقاة سلاروسنجر الجاولى بشارع مراسينا بحى السيدة زينب جنوب القاهرة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م : الواجهة الرئيسية على الشارع والقبتين والمئذنة (العصر المملوكى البحرى) .



لوحة (٥٦) خانقاة بيبرس الجاشنكير بشارع الجمالية قرب باب النصر بالقاهرة ٧٠٦-٧٠٩هـ / ١٣٠٦-١٣٠٩م : المدخل الرئيسى (ويشاهد طراز الطاقية (الطاسة) المقامة على حطات مقرنصة (العصر المملوكى البحرى) .



لوحة (٥٧) حمام بشتاك قبل ٧٤٢هـ / ١٣٤١م : المدخل الرئيسى (العصر المملوكى البحرى) .



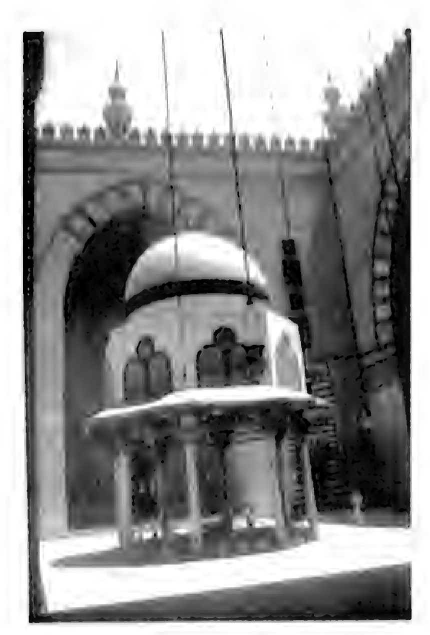
لوحة (٥٨) جامع الناصر محمد بن قلاوون بالقلعة ٧٣٥هـ / ١٣٣٤م : مقدم الجامع والمجنبة الغربية (اليمنى) (العصر المملوكى البحرى) .



لوحة (٥٩) مدرسة السلطان حسن وجامع الرفاعى (وهما يشكلان منظراً من أروع المناظر الأثارية عامة وفى مصر خاصة) وتجاه جامع الرفاعى يوجد جامع المحمودية (الى اليسار) ومدرسة قانى باى الرماح أمير آخور (الى اليمين) .



لوحة (٦٠) مدرسة السلطان حسن ، كتلة المدخل الرئيسى ٧٥٧-٧٦٤هـ / ١٣٥٦-١٣٦٢م (العصر المملوكى البحرى) .



لوحة (٦١) مدرسة السلطان حسن من الداخل .



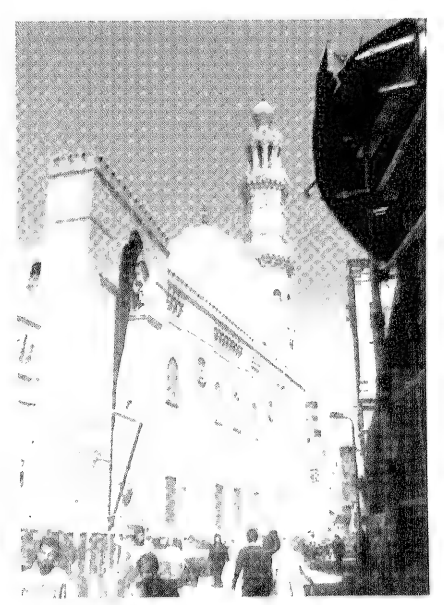
لوحة (٦٢) مدرسة السلطان حسن ، ايوان القبلة وبمقدمتة توجد دكة المبلغ الرخامية .



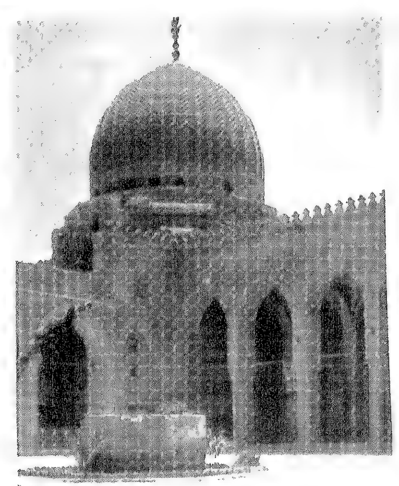
لوحة (٦٣) مدرسة السلطان حسن ، صدر إيوان القبلة حيث يشاهد المحراب والمنبر .



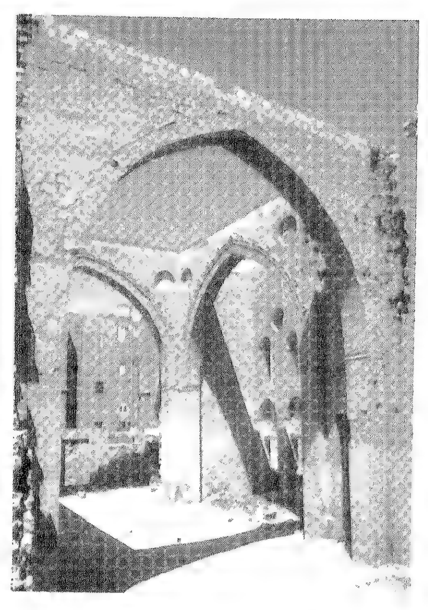
لوحة (٦٤) بقايا الخانقاة المعروفة بالتربة السلطانية بقرافة سيدى جلال (بمنطقة السيدة عائشة) ، الربع الثالث من ق ٨هـ / ١٤م (والقباب تتبع الطراز المعروف بطراز القباب السمرقندية) (العصر المملوكى البحرى) .



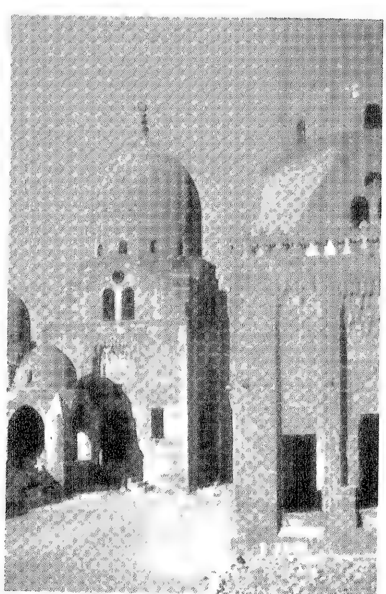
لوحة (٦٥) مدرسة وخانقاة السلطان الظاهر برقوق بشارع المعز ٧٨٦- ٧٨٨هـ / ١٣٨٤-١٣٨٦م (ويقع تجاهها سبيل محمد على باشا بالنحاسين وهو يتبع الطراز العثمانى ذو الواجهة المقوسة وقد تحول مؤخراً الى متحف للمنسوجات (العصر المملوكى الچركسى) .



لوحة (٦٦) خانقاة السلطان الناصر فرج بن برقوق ٨٠١-٨١٣هـ / ١٣٩٨- ١٤١٠م : الصحن وبقايا الفسقية وجانب من واجهة ايوان القبلة وقبة الرجال (القبة الشرقية أو اليسرى) (العصر المملوكى الچركسى) .



لوحة (٦٧) بقايا البيمارستان المؤيدى ٨٢١-٨٢٣ هـ/ ١٤١٨-١٤٢٠م (العصر المملوكى الچركسى) .



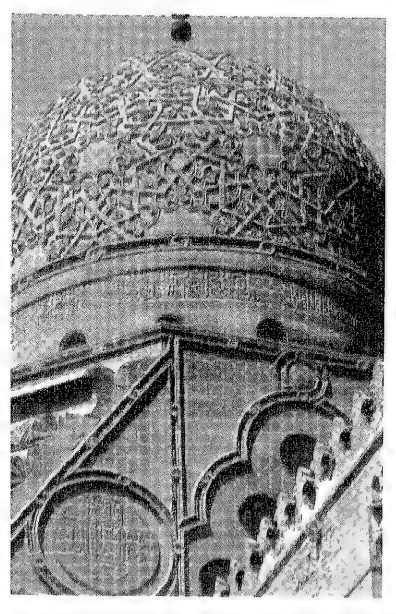
لوحة (٦٨) خانقاة الأمير برسباى البجاسى حوالى ٨٦٠هـ / ١٤٥٦م بقرافة صحراء المماليك ويحوشها قبة الأمير سليمان أغا ٩٥١هـ / ١٥٤٤م وتجاه مدخلها تربة تتبع طراز التربة المفتوحة وتاريخها ٩١٩هـ / ١٥١٣م (العصر المملوكى الچركسى وأوائل العصر العثمانى فى مصر)



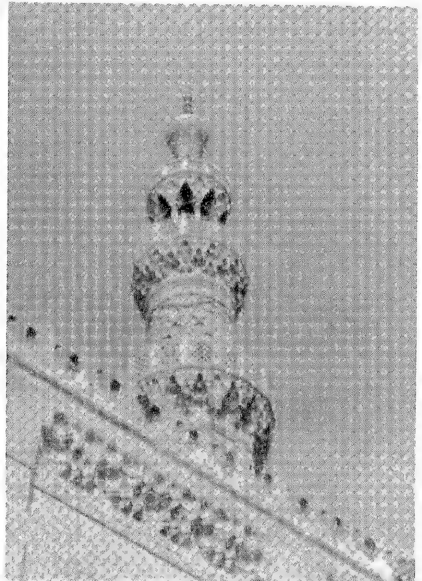
لوحة (٦٩) مجمع السلطان الأشرف قايتباى ٨٧٧-٨٧٩هـ / ١٤٧٢- ١٤٧٤م : كتلة المدخل الرئيسى والسبيل ومكتب السبيل (العصر المملوكى الجركسى) .

لوحة (٧٠) مجمع السلطان الأشرف قايتباى : واجهة ايوان القبلة والقبة الملحقة بالمدرسة .





لوحة (٧١) مجمع السلطان الأشرف قايتباى : تفصيل للقبة ونقوشها الزخرفية والكتابية (وهى من أبدع القباب الآثارية على الاطلاق) .



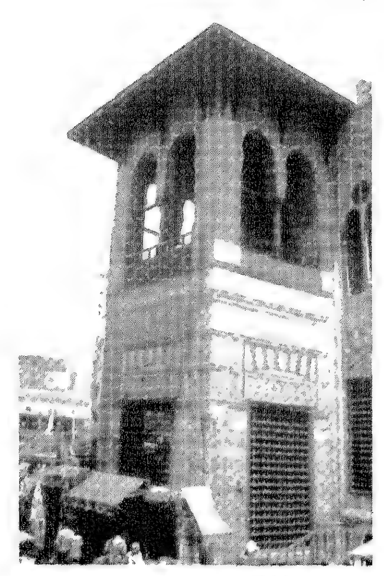
لوحة (٧٢) مجمع السلطان الأشرف قايتباى : المئذنة (وتعد هي الأخرى من أروع المآذن الآثارية علي الاطلاق) .



لوحة (٧٣) الغورية ، سوق الحرير للرحالة ديفيد روبرت ١٨٤٩م .



لوحة (٧٤) مجمع السلطان الأشرف قانصوه الغورى بالغورية ٩٠٩-٩١٠هـ / ١٥٠٣-١٥٠٤م :
المدرسة والمئذنة (الى اليمين) والخانقاة والقبة والسبيل ومكتب السبيل (الى اليسار)
(العصر المملوكى الچركسى)



لوحة (٧٥) سبيل السلطان الأشرف قانصوه الغورى الملحق بقبته وخانقاته ضمن مجمعه بالغورية
(وهو يتبع طراز الأسبلة المصرية ذات السلسبيل أو الشادروان) ويعلوها مكتبا للسبيل .



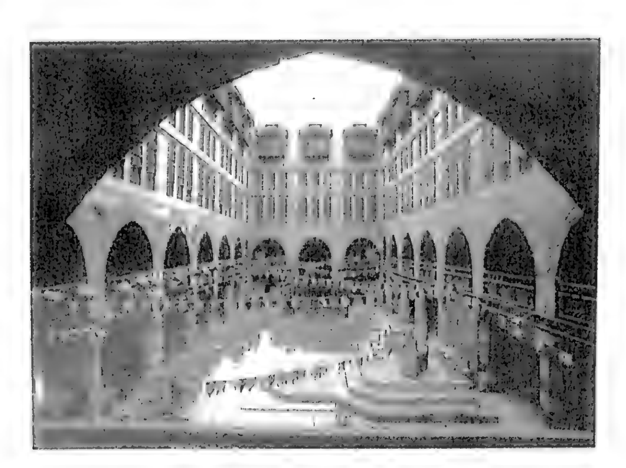
لوحة (٧٦) رنك كتابى (درع أو خرطوش) باسم السلطان الغورى وألقابه والدعاء له .
القسم الأوسط (الشطب) : عز لمولانا السلطان الملك الأشرف .
القسم الأعلى : قانصوه الغوري .
القسم الأسفل : عز نصره .



لوحة (٧٧) مدرسة الأمير خاير بك بشارع باب الوزير ٩٠٨هـ / ١٥٠٢ : المئذنة والقبة (العصر المملوكي الچركسي) .



لوحة (٧٨) مجموعة من المآذن والقباب بميدان صلاح الدين (الرميلة) ودرب اللبان بمنطقة القلعة بالقاهرة : السلطان حسن والرفاعي وقبة ومئذنة قاني باي الرماح أمير آخور (المئذنة ذات الرأسين) .



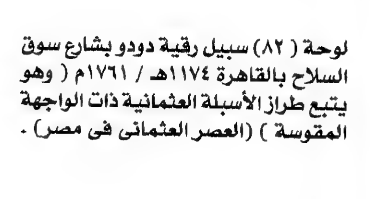
لوحة (٧٩) وكالة السلطان الأشرف قانصوة الغورى ٩٠٩-٩١٠هـ / ١٥٠٣- ١٥٠٤م (العصر المملوكى الجركسى) .



لوحة (٨٠) سبيل خسرو باشا بشارع المعز ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م (وهو يتبع طراز الأسبلة المصرية ذات السلسبيل أو الشادروان) (العصر العثمانى فى مصر) .



لوحة(٨١) سبيل الأمير عبد الرحمن كتخدا (بشارع المعز) المعروف بسبيل بين القصرين ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م (العصر العثمانى فى مصر) .



لوحة (٨٢) سبيل رقية دودو بشارع سوق السلاح بالقاهرة ١١٧٤هـ / ١٧٦١م (وهو يتبع طراز الأسبلة العثمانية ذات الواجهة المقوسة) (العصر العثمانى فى مصر) .





لوحة (٨٣) مقصورة الأمير نوروز المعرفة بايوان ريحان (بقرافة سيدى جلال بمنطقة السيدة عائشة بالقاهرة) ٩٤١هـ / ١٥٣٤م (العصر العثمانى فى مصر) .



لوحة (٨٤) نموذج يوضح طراز المدافن المعروفة بطراز التربة المفتوحة أو المقابر الكانوبية (العصر العثمانى فى مصر) .



لوحة (٨٥) تركيبة قبر محمد على باشا بمدفنه الملحق بجامعة الشهير بالقلعة (العصر العثمانى - عهد محمد على وأسرتة) .



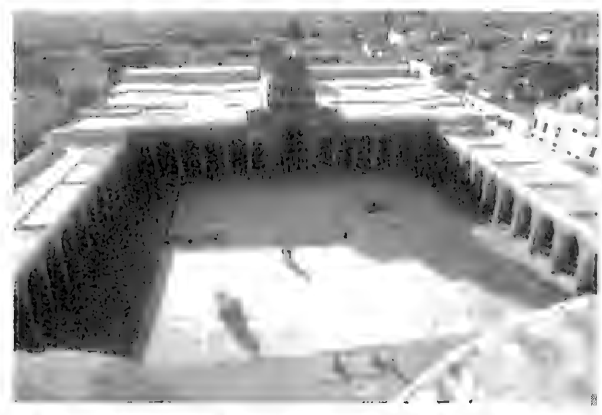
لوحة (٨٦) قصر المنتزة الشهير بالأسكندرية (الخديوى عباس حلمى الثانى ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م) (العصر العثماني فى مصر - عهد الأسرة العلوية) .



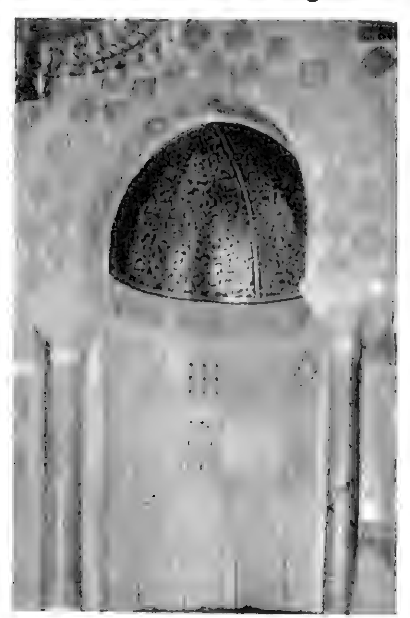
لوحة (٨٧) قصر المنتزة الشهير بالأسكندرية .

الجناح الغربي لدار الاسلام

أ - المغرب



لوحة (٨٨) جامع القيروان الشهير بتونس : منظر عام (وهو يمثل النمط الثانى للطراز التقليدى لعمارة المساجد الاسلامية : وفيه تسير عقود البلاطات (الأروقة) عمودية على جدار القبلة والبلاطة الوسطى (الرواق الأوسط) أكثرها اتساعا وارتفاعا ، وهذا النمط يعد سمة رئيسية لعمارة المساجد فى المغرب والأندلس مع وجود بعض الاستثناءات بطبيعة الحال) (عصر الأغالبة) .



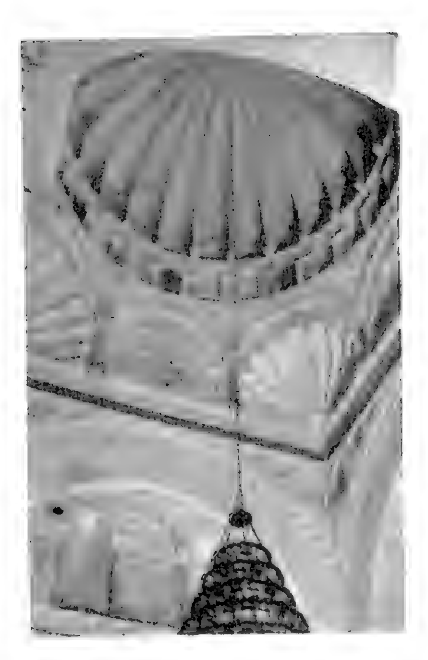
لوحة (٨٩) جامع القيروان : المحراب



لوحة (٩٠) جامع القيروان : المئذنة (وهى تتبع طراز الأبراج أو الصوامع) وترجع الى عهد الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك .



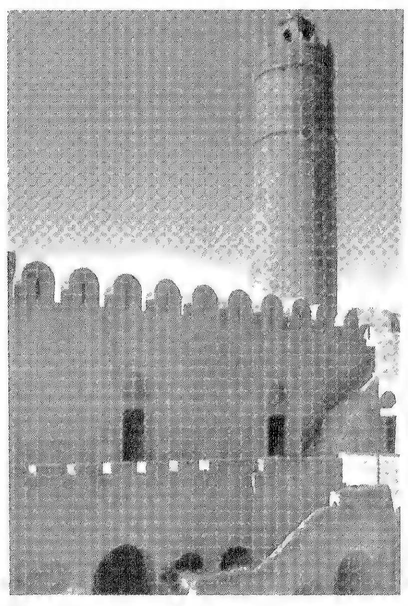
لوحة (٩١) جامع القيروان : القبة التى تغطى مربعة المحراب .



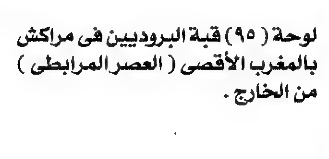
لوحة (٩٢) جامع القيروان : منطقة انتقال القبة التى تغطى مربعة المحراب وهى عبارة عن أربعة حنايا ركنية (سكونشات) بواقع حنية محارية الشكل بكل ركن من الأركان .



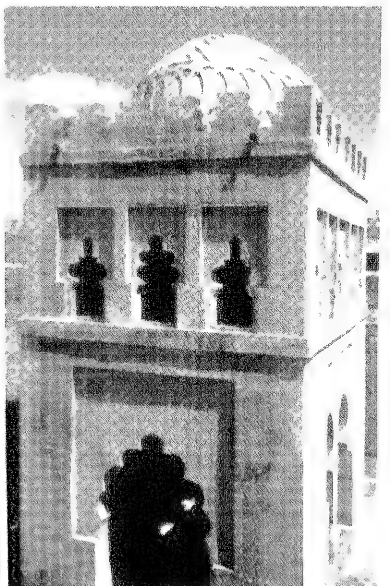
لوحة (٩٣) جامع سوسه بتونس ٢٣٦هـ / ٨٥٠م (عصر الأغالبة) .

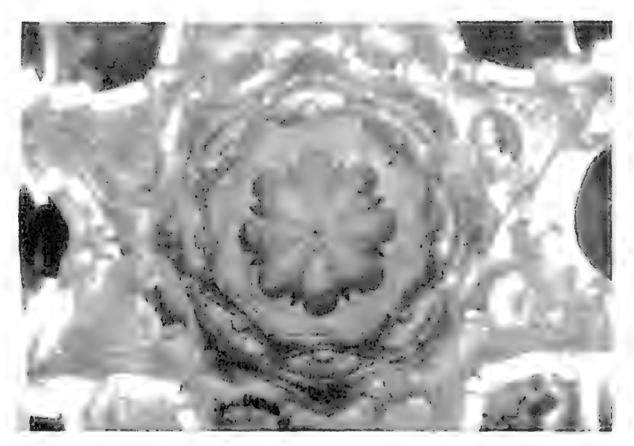


لوحة (٩٤) رباط سوسة بتونس
٢٠٦هـ / ٨٢١م (عصر الأغالبة) .



لوحة (٩٥) قبة البروديين فى مراكش
بالمغرب الأقصى (العصر المرابطى)
من الخارج .





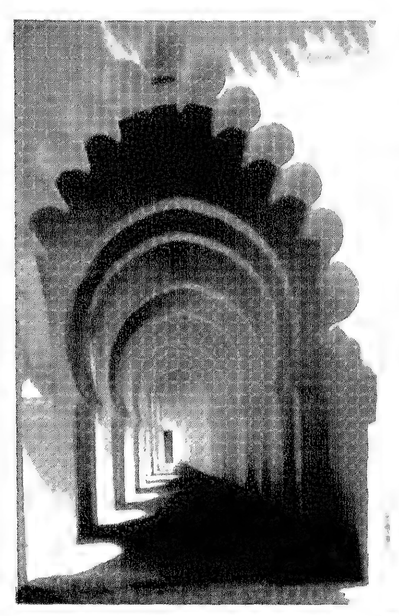
لوحة (٩٦) قبة البروديين فى مراكش من الداخل (وهى من أبدع وأروع نماذج القباب المقرنصة فى العمارة الاسلامية على الاطلاق).



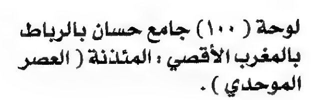
لوحة (٩٧) مسجد القرويين بفاس بالمغرب الأقصى من الداخل (المرحلة الأخيرة تمت فى العصر المرابطى ٥٢٨-٥٣١هـ / ١١٣٣-١١٣٦م) .



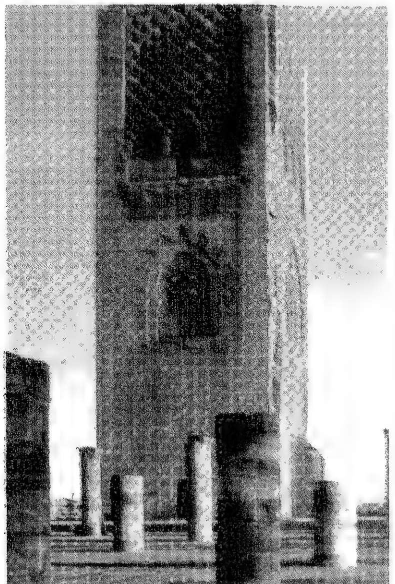
لوحة (٩٨) مسجد تينمل الجامع فى المغرب الأقصى
(العصر الموحدى) ٥٤٨هـ / ١١٥٣م .



لوحة (٩٩) مسجد الكتبية فى مراكش بالمغرب الأقصى ٥٥٣هـ / ١١٥٨م (العصر الموحدى) .



لوحة (١٠٠) جامع حسان بالرباط بالمغرب الأقصي : المئذنة (العصر الموحدي) .





لوحة (١٠١) المدرسة البوعنانية بفاس بالمغرب الأقصى ٧٥١-٧٥٦هـ / ١٣٥٠-١٣٥٥م (العصر المرينى) .

ب - الأندلس



لوحة (١٠٢) المسجد الجامع بقرطبة (اسبانيا) وعلى مقربة منه القنطرة العتيقة المقامة على نهر الوادى الكبير (العصر الأموى فى الأندلس) .



لوحة (١٠٣) المسجد الجامع بقرطبة : باب سان استيبان .



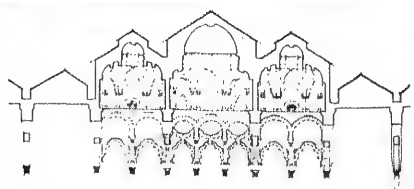
لوحة (١٠٤) المسجد الجامع بقرطبة : العقود بمقدم الجامع .



لوحة (١٠٥) المسجد الجامع بقرطبة : العقود بمقدم الجامع .



لوحة (١٠٦) المسجد الجامع بقرطبة : مقصورة الخليفة الأموى الحكم المستنصر ويصدرها المحراب.

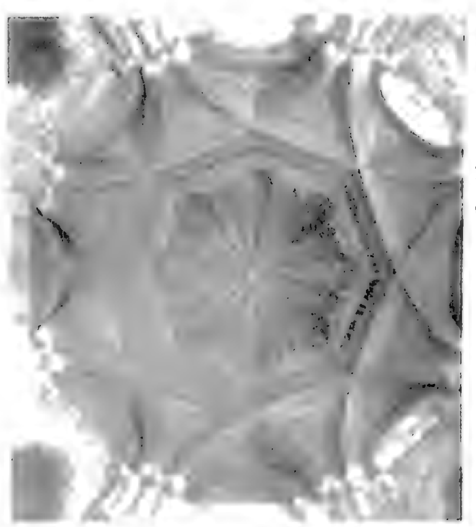




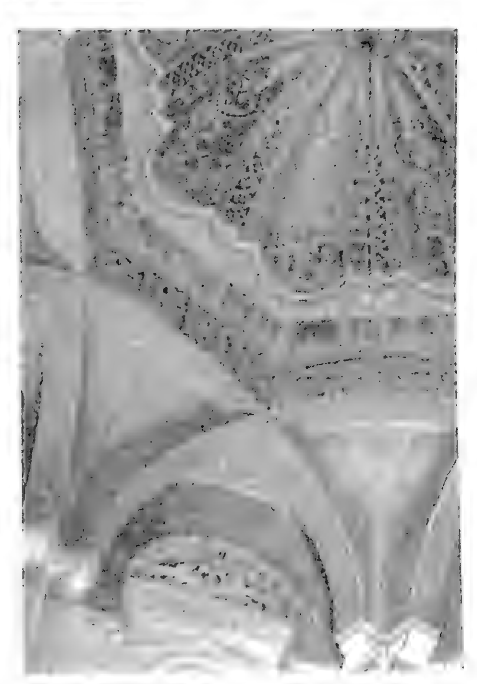
لوحة (١٠٧) المسجد الجامع بقرطبة ، تفصيل لمقصورة الخليفة الحكم المستنصر .



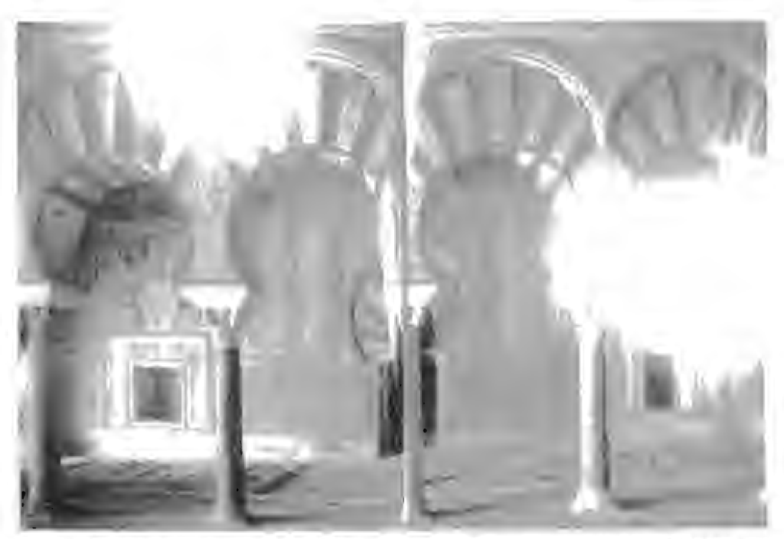
لوحة (١٠٨) المسجد الجامع بقرطبة ، محراب الخليفة الحكم المستنصر .



لوحة (١٠٩) المسجد الجامع بقرطبة : القبة التى تغطى مربعة المحراب بزيادة الخليفة الحكم المستنصر ٣٥٤هـ / ٩٦٥م .



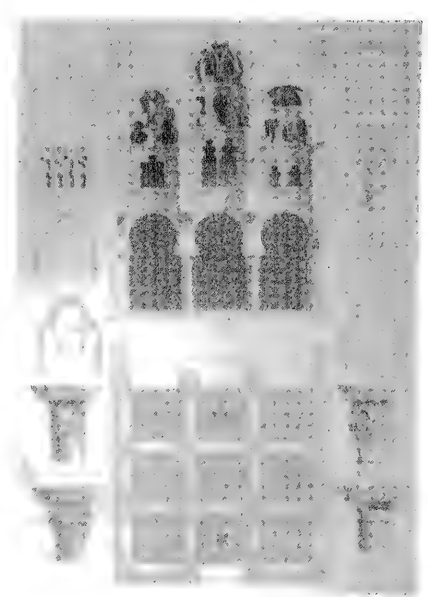
لوحة (١١٠) المسجد الجامع بقرطبة : تفصيل للقبة التى تغطى مربعة المحراب بزيادة الحكم المستنصر.



لوحة (١١١) مدينة الزهراء مجلس الخليفة عبد الرحمن الناصر (المجلس الثرى أو الفخم) ويرجع بناء المدينة وعمائرها فيما بين ٣٢٥-٣٤٦هـ / ٩٣٦- ٩٥٧م (العصر الأموى فى الأندلس) .



لوحة (١١٢) مسجد الباب المردوم بطليطلة (اسبانيا) ٣٩٠هـ / ٩٩٩م (كنيسة الكريستودى لالوث) من الخارج (العصر الأموى فى الأندلس) .



لوحة (١١٣) مسجد الباب المردوم بطليطلة : قطاع وواجهة وتفصيل لقباب المسجد التسع .



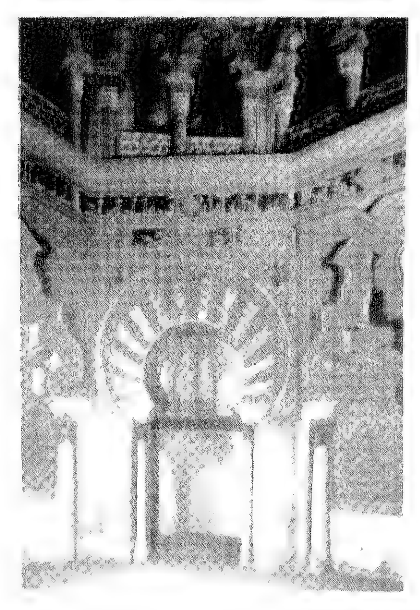
لوحة (١١٤) حمام الجوز بحى البيازين بغرناطة البانويلو (عصر ملوك الطوائف - المظفر باديس بن حبوس بن زيرى ٤٢٨-٤٦٥هـ/ ١٠٣٧- ١٠٧٣م)؛ بيت أول أو البيت البارد .



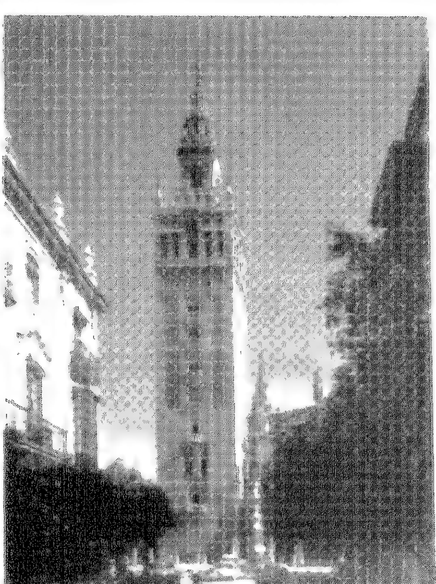
لوحة (١١٥) قصر الجعفرية بسرقسطة (٤٣٨-٤٧٤هـ / ١٠٤٦-١٠٨١م) (اسبانيا)
البلاطة (الرواق) المؤدى الى مدخل المسجد القبة فى الجزء الشمالى من القصر
(عصر ملوك الطوائف) .



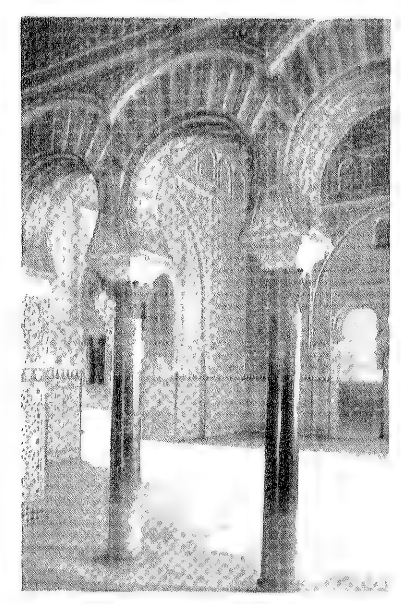
لوحة (١١٦) قصر الجعفرية بسرقسطة : قاعة استقبال تشرف على بركة (بحيرة) .



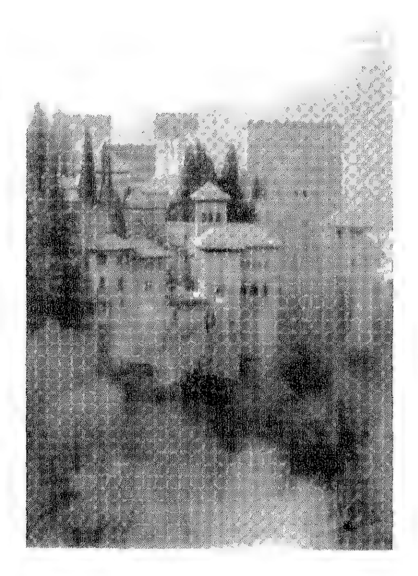
لوحة (١١٧) قصر الجعفرية بسرقسطة : المسجد الملحق بالقصر (وهو يتبع طراز المسجد القبة) .



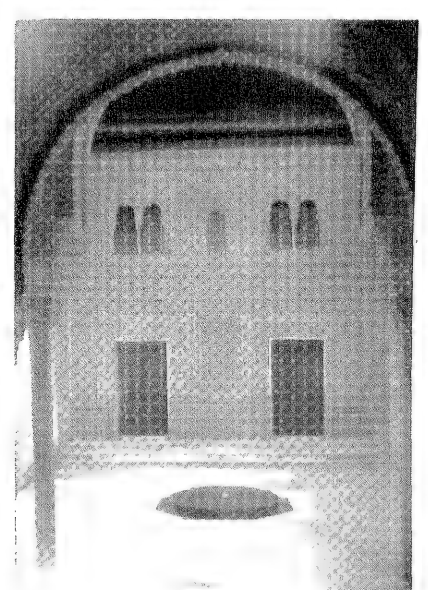
لوحة (١١٨) مئذنة جامع اشبيلية الموحدى ٥٦٧-٥٧٧هـ / ١١٧٢-١١٨٢م المعروفة بالخيرالدا (الدوارة) (العصر الموحدى فى الأندلس) .



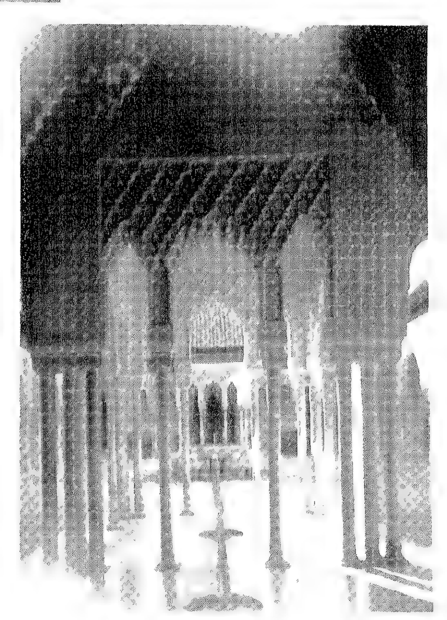
لوحة (١١٩) صالة السفراء بقصر اشبيلية (الكازار) (العصر الموحدى فى الأندلس والمراحل التالية تمت فى عهد الملك بدرو القاسى فى الربع الثالث من ق ١٤م والصناع كانوا من غرناطة بنى نصر أو بنى الأحمر) .



لوحة (١٢٠) قصر الحمراء بغرناطة : منظر عام (عصر دولة بنى نصر أو بنى الأحمر) .



لوحة (١٢١) قصر الحمراء بغرناطة : دار الذهب : الجدار الجنوبي لقصر قمارش (عهد السلطان محمد الخامس الغنى بالله .



لوحة (١٢٢) قصر الحمراء بغرناطة : بهو الأسود أو السباع (السلطان محمد الخامس الغنى باللة) .



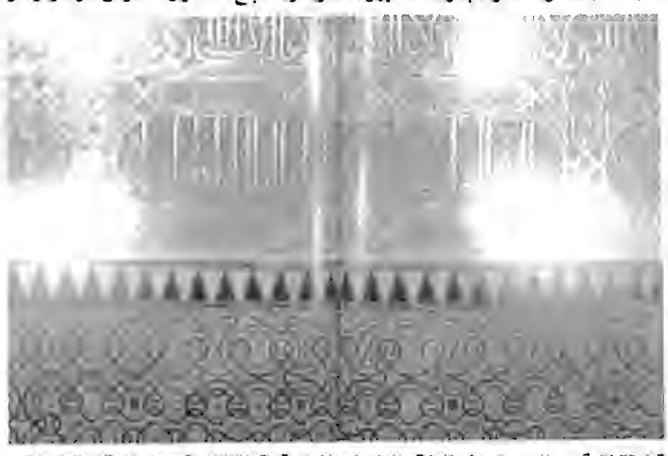
لوحة (١٢٣) قصر الحمراء بغرناطة ، نافورة الأسود أو السباع وهى على شكل قصعة مستديرة يحملها اثنى عشر أسداً تمج المياة من أفواهها .



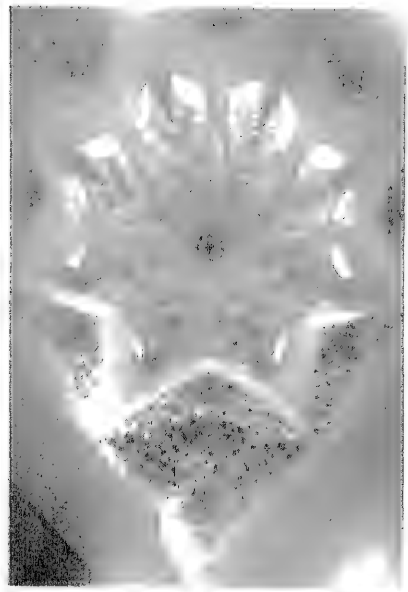
لوحة (١٢٤) قصر الحمراء بغرناطة ، بهو الأسود أو السباع تفاصيل النقوش الزخرفية والكتابية.



لوحة (١٢٥) قصر الحمراء بغرناطة ، بهو الأسود أو السباع تفاصيل النقوش الزخرفية والكتابية.



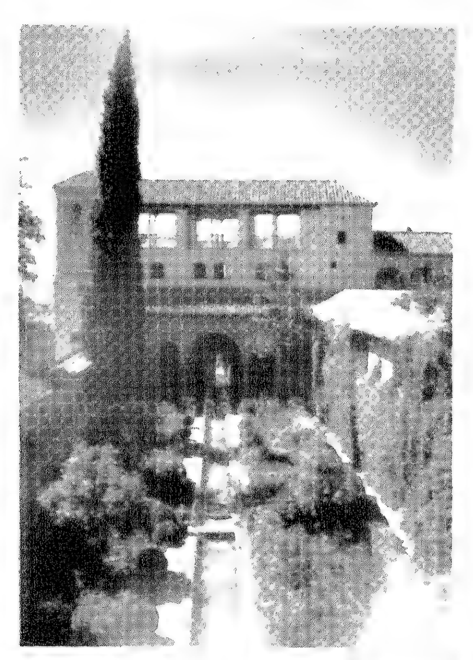
لوحة (١٢٦) قصر الحمراء بغرناطة ، النقوش الزخرفية والكتابية بجدران قاعة الاختين ، النقش الكتابى يتضمن النقش الكتابى (فى اعلى) شعار دولة بنى نصر أوبنى الاحمر وهو (لا غالب إلا الله)، والنقش الذى يلية يتضمن ثلاثة أبيات من ديوان الشاعر ابن زمرك ، اثنان فى الدائرتين الجانبيتين المفصصتين والثالث فى الشريط الأوسط المستعرض وهو الأخر ينتهى من جانبية بهيئة مفصصة.



لوحة(١٢٧) قصر الحمراء بغرناطة : القبة المقرنصة (المقربصة) فى قاعة بنى سراج .



لوحة (١٢٨) قصر الحمراء بغرناطة : قاعة الملوك أوقاعة العدل وتقع فى النهاية الشرقية لبهو الأسود أو السباع ويشاهد مجموعة العقود المقربصة (المقرنصة) المتتالية ذات المظهر الأخاذ الخارق للعادة فضلاعن قوة الاحساس بالعمق .



لوحة (١٢٩) قصر جنة العريف بغرناطة (السلطان محمد الثالث واستكمل فى عهد أبو الوليد اسماعيل ٧١٣-٧٢٥هـ / ١٣١٣-١٣٢٤م) .

الجناح الشرقي لدار الاسلام

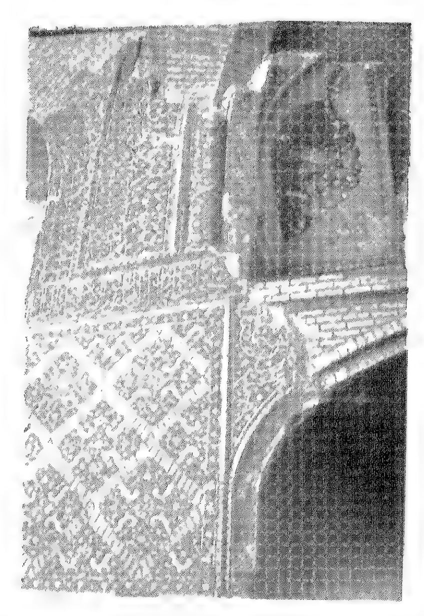
أ - إيران

لوحة (١٣٠) تربة أو لجايتو خدابنده (المتوفى ٧١٦هـ / ١٣١٦م) فى مدينة سلطانية (العصر الايلخانى) .

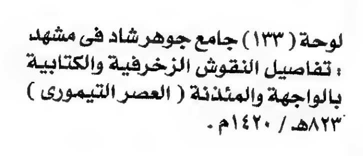




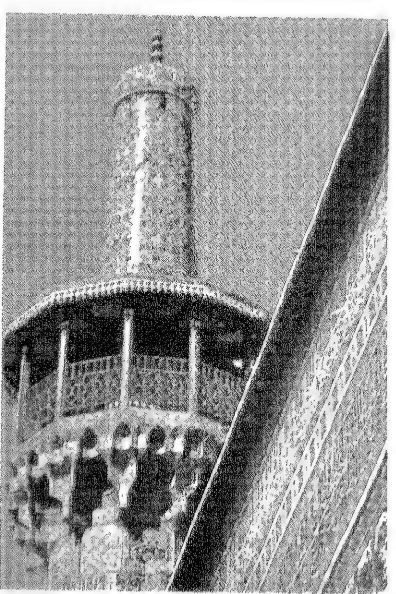
لوحة (١٣١) الجامع الأزرق فى تبريز ٨٧٠هـ / ١٤٦٥م
(عصر القره قيونلو - أصحاب الشاة أو الخراف السوداء) .



لوحة (١٣٢) الجامع الأزرق فى تبريز : تفاصيل النقوش الزخرفية والكتابية .



لوحة (١٣٣) جامع جوهرشاد فى مشهد : تفاصيل النقوش الزخرفية والكتابية بالواجهة والمئذنة (العصر التيمورى) ٨٢٣هـ / ١٤٢٠م .

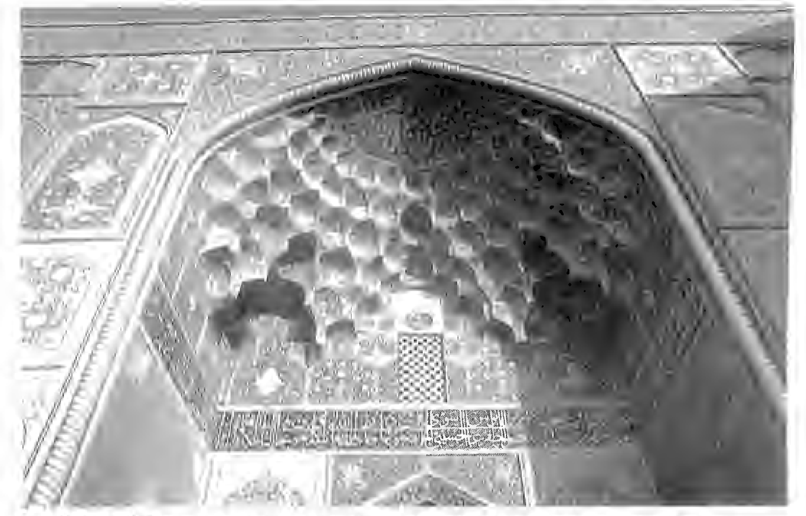




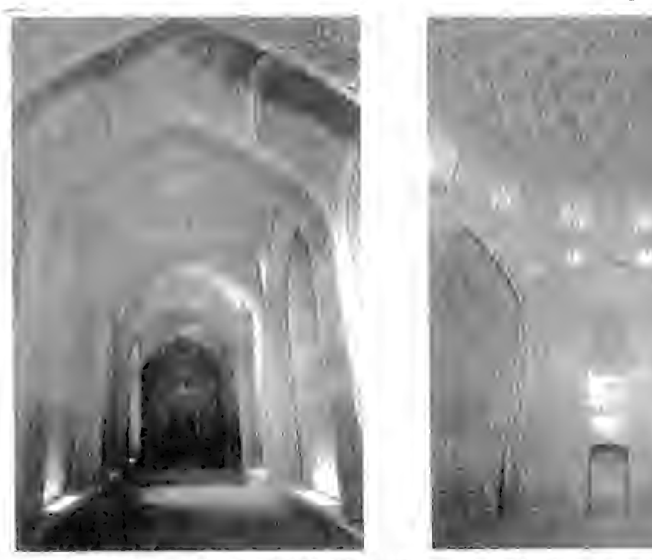
لوحة (١٣٤) جامع الشيخ لطف الله فى الضلع الشرقى من ميدان نقش جهان بأصفهان ١٠١١-١٠٢٨هـ / ١٦٠٢-١٦١٨م ، الواجهة الرئيسية المطلة على الميدان (العصر الصفوى) .



لوحة (١٣٥) جامع الشيخ لطف الله ، المدخل الرئيسى المطل على الميدان .



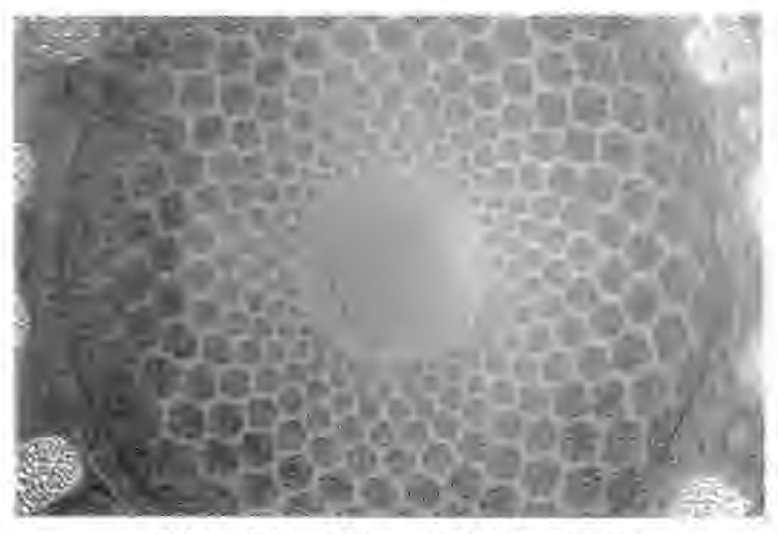
لوحة (١٣٦) جامع الشيخ لطف الله ، تفصيل للمدخل الرئيسي بنقوشة الزخرفية والكتابية والمقرنصات .



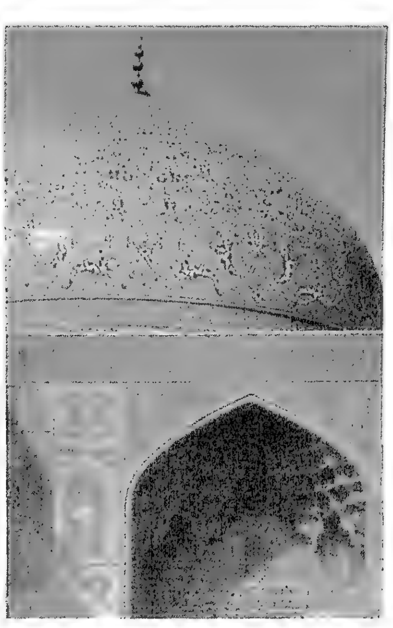
لوحة (١٣٧) جامع الشيخ لطف الله ، الكنبد خانه (الى اليمين) الرواق (الى اليسار) .



لوحة (١٣٨) جامع الشيخ لطف الله : الكنبد خانه : وبالصدر المحراب .



لوحة (١٣٩) جامع الشيخ لطف الله ، النقوش الزخرفية بباطن القبة .



لوحة (١٤٠) جامع الشيخ لطف الله : النقوش الزخرفية بظاهر القبة .



لوحة (١٤١) جامع الشاه عباس الأول (الكبير) فى منتصف الضلع الجنوبى من ميدان نقش جهان ويعرف بجامع الامام ١٠٢٠-١٠٣٨هـ / ١٦١١-١٦٢٨م : واجهة الجامع المطلة على الميدان(العصر الصفوى) .

لوحة (١٤٢) جامع الشاه عباس : الصحن (حياط) من الجهة الشمالية ومدخل المئذنتين .



لوحة (١٤٣) جامع الشاه عباس : الصحن (حياط) من الجهة الشرقية .



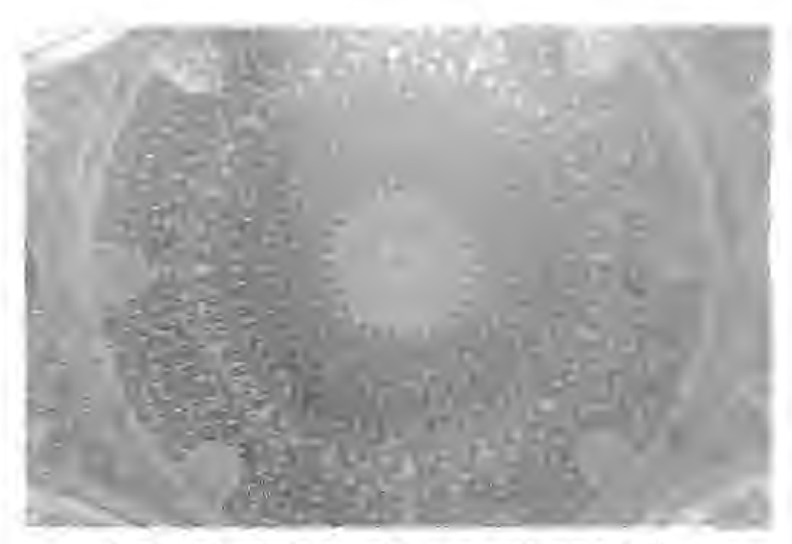


لوحة (١٤٤) جامع الشاه عباس : كتلة المدخل (الى اليمين) الايوان الشمالى (الى اليسار) .





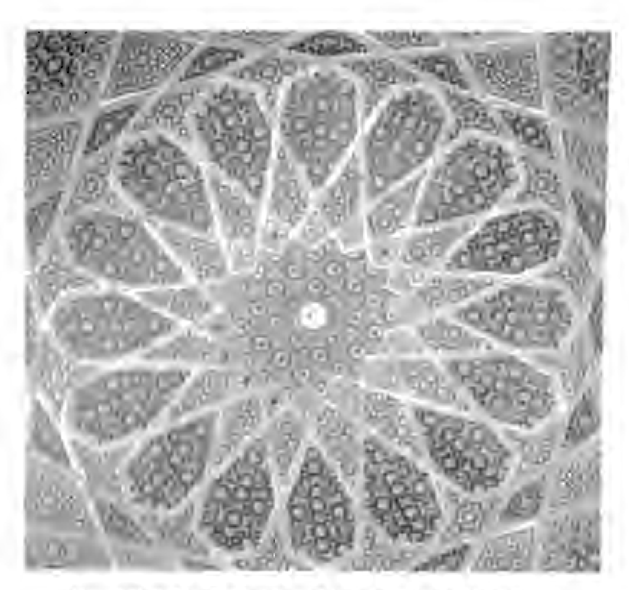
لوحة (١٤٥) جامع الشاه عباس : الكتبد خانه الرئيسى (الجنوبى) (الى اليمين) ، والايوان الشرقى (الى اليسار) .



لوحة (١٤٦) جامع الشاه عباس : النقوش الزخرفية بباطن القبة الرئيسية (الجنوبية) .



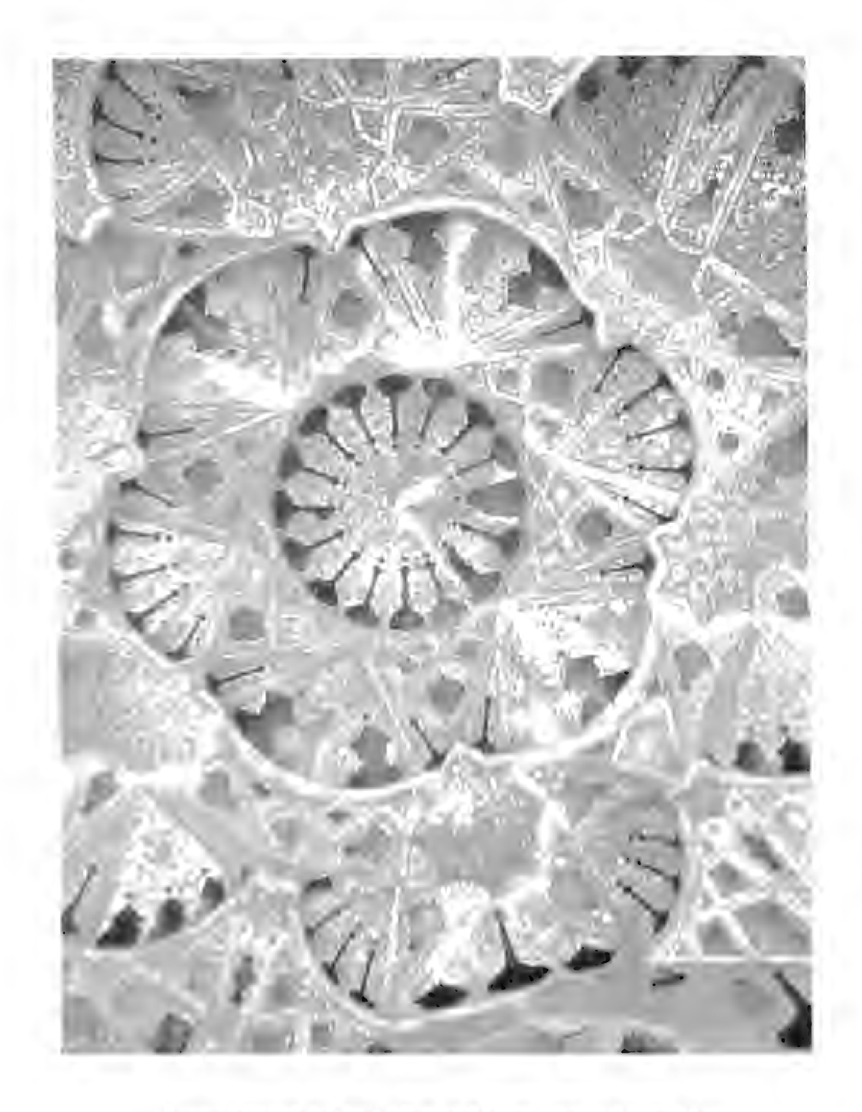
لوحة (١٤٧) جامع الشاه عباس : الشبستان (المصلى) المجاور للكنبد خانه الرئيسى (الجنوبى) .



لوحة(١٤٨) النقوش الزخرفية بسقف تربة حافظ فى شيراز
(طبق نجمى ١٦كندة) .



لوحة (١٤٩) جسر الشاه عباس الثاني المعروف بجسر بولى خاجوفى أصفهان
(العصر الصفوي) .



لوحة (١٥٠) قصر عالي قابى (الباب العالى) في أصفهان ، سقف حجرة الموسيقى (وهو من أبدع الأسقف على الاطلاق) (العصر الصفوى) .

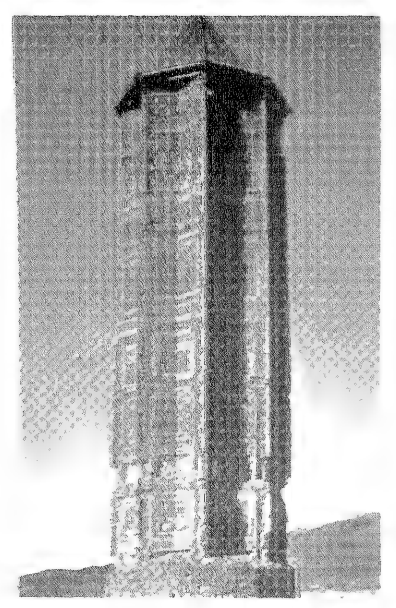
ب - آسيا الوسطى



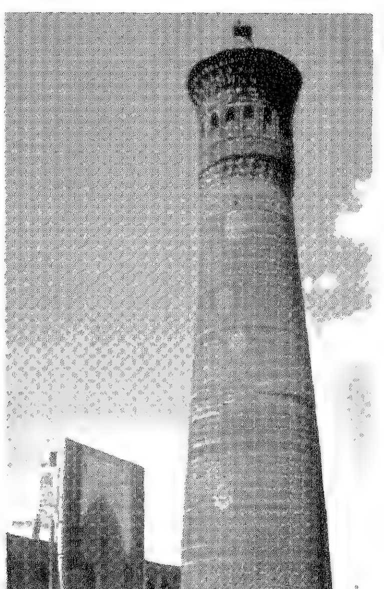
لوحة (١٥١) قبة اسماعيل الساماني في بخارى (عصر الدولة السامانية) .

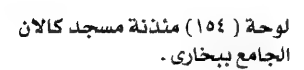


لوحة (١٥٢) منطقة إنتقال قبة اسماعيل الساماني في بخارى .

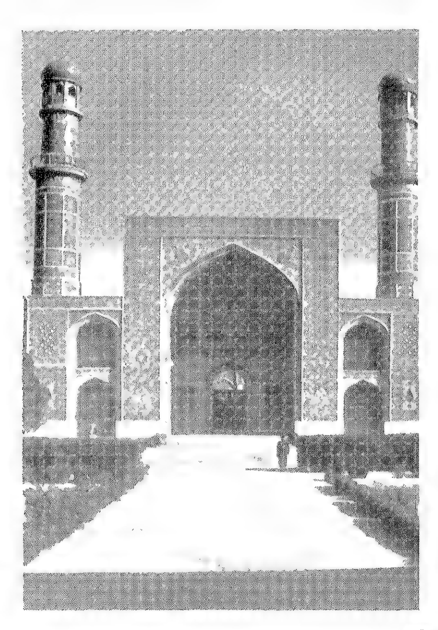


لوحة (١٥٣) برج مسعود الثالث بغزنة فى افغانستان (عصر الدولة الغزنوية) .

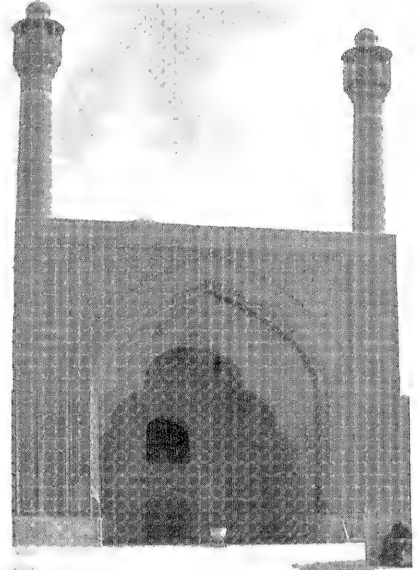




لوحة (١٥٤) مئذنة مسجد كالان الجامع ببخارى .



لوحة (١٥٥) مسجد الجمعة فى
هراة (أفغانستان).



لوحة (١٥٦) مسجد الجمعة
باصفهان (ايران) .



لوحة (١٥٧) مدرسة أولوغ بك فى بخارى .



لوحة (١٥٨) مدرسة شردار بسمرقند .



لوحة (١٥٩) مدرسة مادرشاه فى اصفهان (ايران).



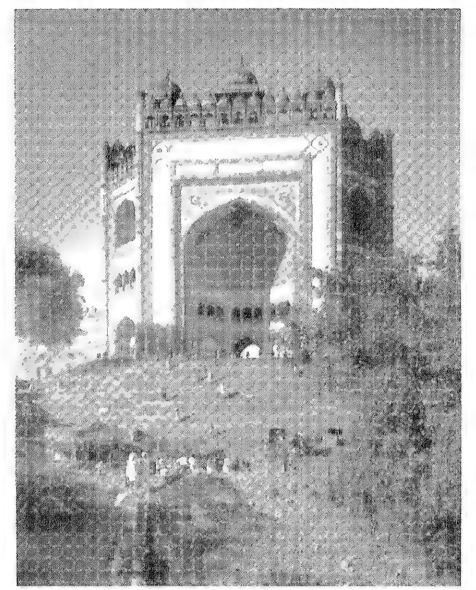
لوحة (١٦٠) كَور أمير بسمرقند .



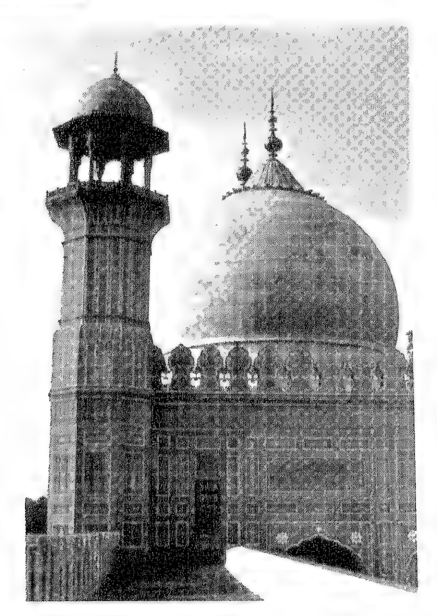
لوحة (١٦١) جبانة شاه زنده بسمرقند : منظر عام من الجهة الغربية.



لوحة (١٦٢) تركيبة قبر قثم بن عباس فى تربتة بجبانة شاه زنده بسمرقند (العصر التيمورى).



لوحة (١٦٣) مسجد فتح بورسكرى ٩٧٩هـ / ١٥٧١م ؛ بولاند دروازه (كتلة المدخل فى الضلع الجنوبى للمسجد) (العصر المغولى الهندى).



لوحة (١٦٤) باديشاهى مسجد فى لاهور (باكستان) ١٠٨٤هـ / ١٦٧٤م (العصر المغولى الهندى) .



لوحة (١٦٥) قبة همايون خارج دلهى (الهند) .



لوحة (١٦٦) قبة همايون خارج دلهى (الهند) .



لوحة (١٦٧) تاج محل فى أجرا (الهند) .



لوحة (١٦٨) ديوان خاص فى لال قلعة (القلعة الحمراء) بدلهى (العصر المغولى الهندى) .

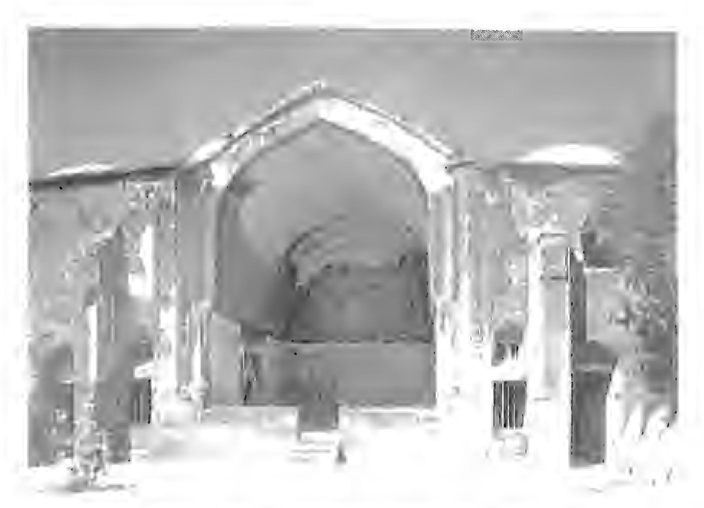


لوحة (١٦٩) هارون منار قرب لاهور (باكستان) .

د - آسيا الصغرى وأوروبا العثمانية



لوحة (١٧٠) مسجد علاء الدين فى قونية .



لوحة (١٧١) صرجالى مدرسة بقونية ، الايوان الرئيسى .



لوحة (١٧٢) مدرسة قره طاى بقونية ، كتلة المدخل الرئيسى .

لوحة (١٧٣) مدرسة قره طاى بقونية من الداخل .



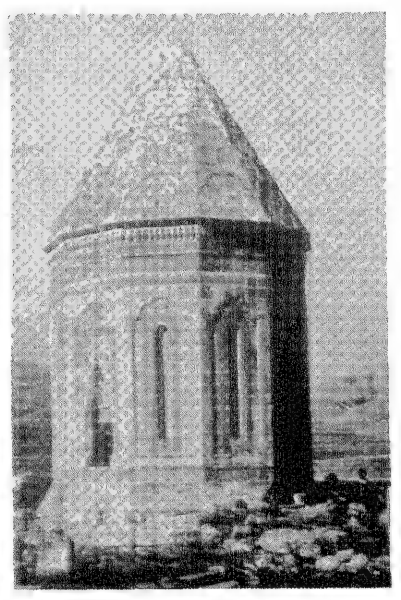
لوحة (١٧٤) انجه مناره لى مدرسة بقونية : منظر عام .



لوحة (١٧٥) انجه مناره لى مدرسة بقونية ، كتلة المدخل الرئيسى .



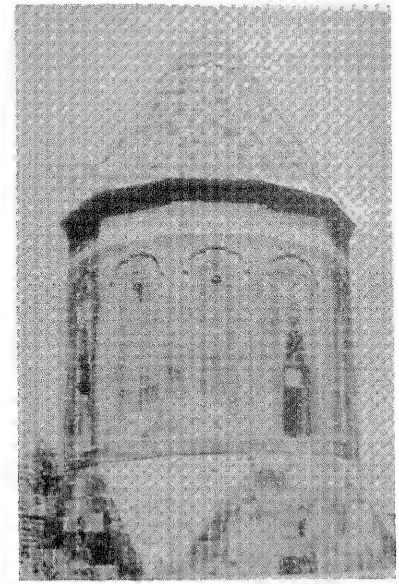
لوحة (١٧٥ مكرر) قابى اغا سى مدرسة بأماسيا .

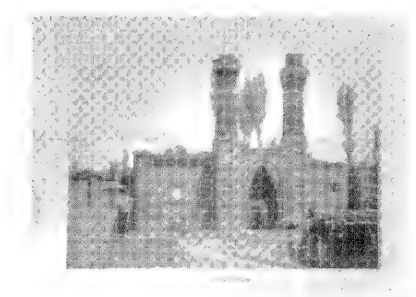


لوحة (١٧٦) تربة حليمة خاتون فى كواش .

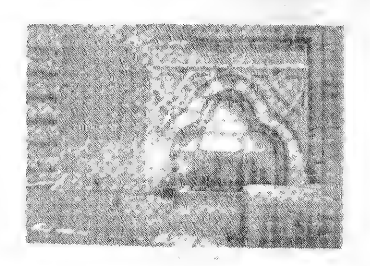


لوحة (١٧٧) تربة أرزن خاتون فى أخلاط .

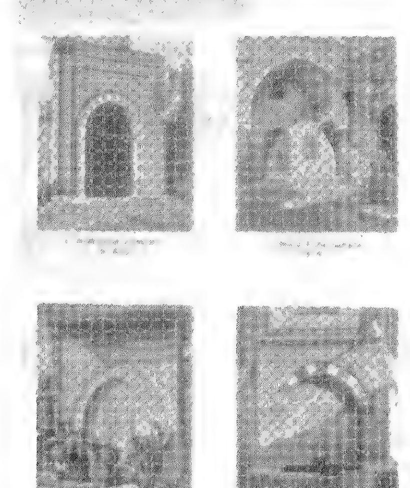




لوحة (١٧٨) كوك مدرسة فى سيواس : أعلى (الواجهة الرئيسية) وأسفل (الجشمة) .



لوحة (١٧٩) مدرسة چلبى سلطان فى مرزيفون بأماسيا : أعلى الى اليسار (المدخل) والى اليمين (الفناء) أسفل : چشمتان .





لوحة (١٨٠) سلطان خان على طريق قونية - آقسراى .



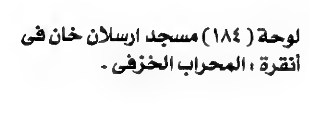
لوحة (١٨١) سلطان خان قرب قيصرية (على طريق قيصرية- سيواس عند قرية بالاس) منظور.



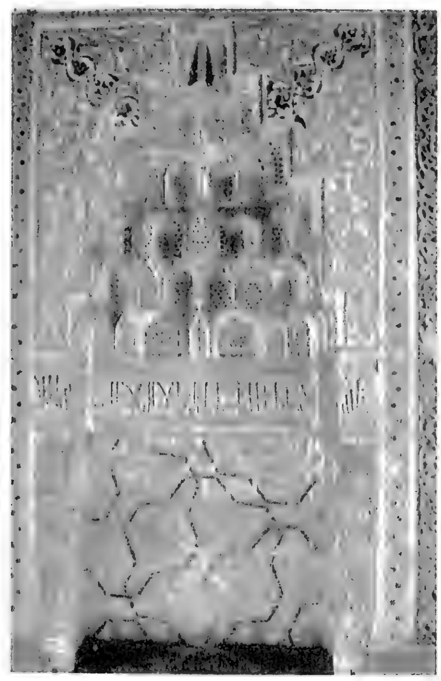
لوحة (١٨٢) الجامع الأخضر (يشيل جامع) فى بورصة (أو بروسه) : المدخل .

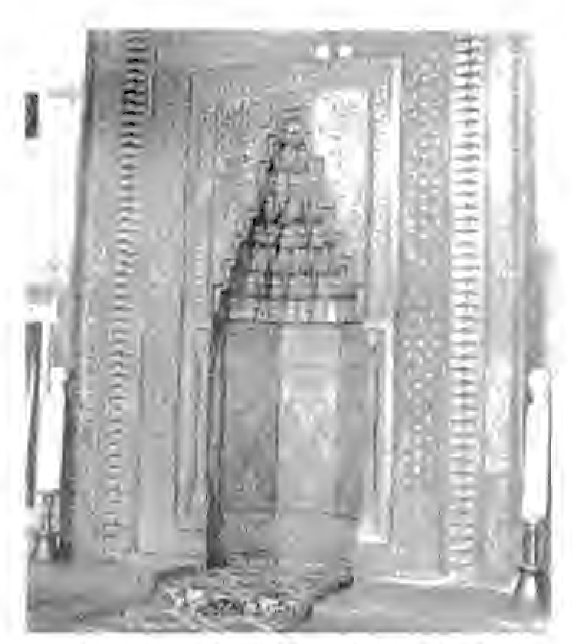


لوحة (١٨٣) الجامع الأخضر (يشيل جامع) فى أزنيق .



لوحة (١٨٤) مسجد ارسلان خان فى أنقرة ، المحراب الخزفى .





لوحة (١٨٥) جامع المرادية فى أدرنة، المحراب الخزفى .



لوحة (١٨٦) مدينة استانبول : منظر جوى .



لوحة (١٨٧) متحف آياصوفيا باستانبول ، منظر جوى .



لوحة (١٨٨) متحف آياصوفيا باستانبول .



لوحة (١٨٩) مجمع (كلية) السليمانية باستانبول ، منظر جوى .

لوحة (١٩٠) جامع السليمانية باستانبول .



لوحة (١٩١) جامع السلطان أحمد (الجامع الأزرق) باستانبول .



لوحة (١٩٢) جامع السليمية بادرنه (تركيا) .



لوحة (١٩٢مكرر) مسجد ايواز (عوض) افندى باستانبول ، بلاطات ازنيق الخزفية وتبين مدى النجاح فى تقليد أعمال الرخام .



لوحة (١٩٣) التربة الخضراء (يشيل تربة) فى بورصة (أوبروسة) .



لوحة (١٩٤) التربة الخضراء فى بورصة (أوبروسة) المحراب الخزفى ، وتركيبة قبر چلبى سلطان محمد .



لوحة (١٩٥) سبيل السلطان أحمد الثالث أمام طوبقابى سراى باستانبول (الطراز الجامع بين السبيل العثمانى التقليدى والچشمة) .



لوحة (١٩٦) چشمة السلطان عبد الحميد (حميدية چشمة سى) .



لوحة (١٩٧) محلة البازار فى أدرنة ، الى اليسار الجامع القديم (اسكى جامع) ، الى اليمين فى المقدمة ، البادستان وخلف البادستان يوجد (الى اليمين كرفان (خان) رستم باشا .



لوحة (١٩٨) طوبقابى سراى باستانبول : منظر جوى .

لوحة (١٩٩) طوبقابى سراى باستانبول : منظر جوى .



لوحة (٢٠٠) جينيلى كوشك (الكشك الخزفى) بطوبقابى سراى باستانبول : الواجهة الرئيسية.



لوحة (٢٠١) ضولما باغچه سراى باستانبول ، منظر عام لامتداد السراى على ضفة البوسفور .



لوحة (٢٠٢) ضولما باغچه سراى فى استانبول ، الواجهة المطلة على البوسفور .



لوحة (٢٠٣) ضولما باغچه سراى باستانبول : واجهة السلاملك المطلة على الحديقة الرئيسية للسراى .



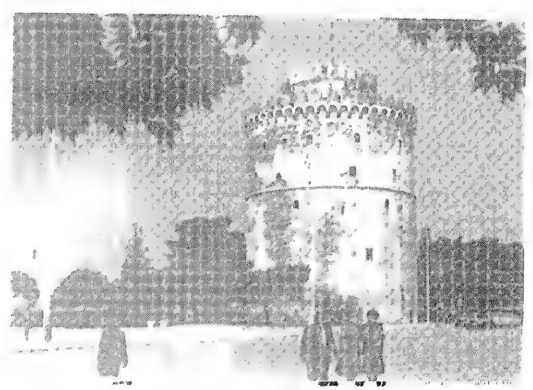
لوحة (٢٠٤) جسر موستار القديم : منظر عام .



لوحة (٢٠٥) جسر سوكللو محمد باشا فى فيشجراد (صورة من قرب) .

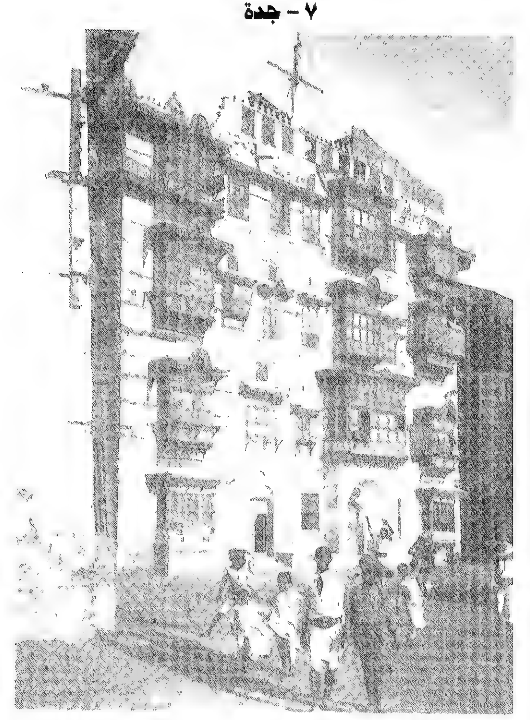


لوحة (٢٠٦) روميلى حصار (قلعة الجانب الأوروبى المطلة على البوسفور) .

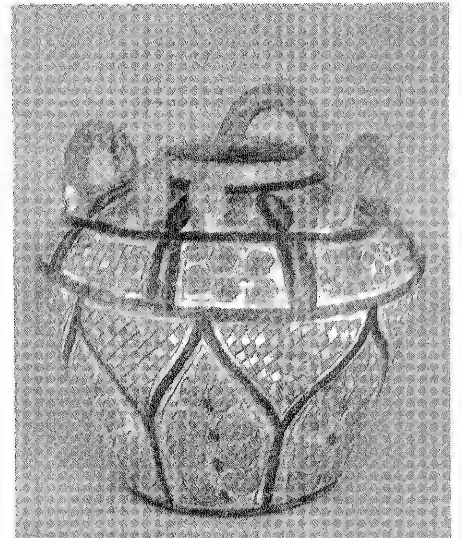


لوحة (٢٠٧) البرج الابيض فى سالونيك باليونان .

٧ - جدة



لوحة (٢٠٨) بيوت جدة القديمة فى عام ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م .



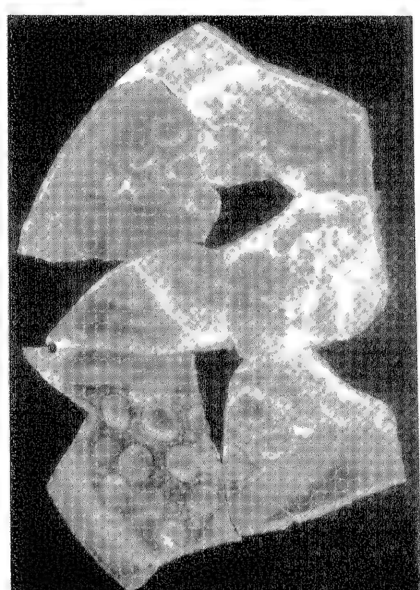
لوحة (٢٠٩) قدر من الخزف ذى البريق المعدنى محفوظ فى معهد الفن بشيكاغو - العراق (الطراز العباسى) منتصف ق ٣هـ / ٩م (عن : Grube) .



لوحة (٢١٠) صحن من الخزف ذى البريق المعدنى - العراق (الطراز العباسى) - النصف الثانى من القرن ٣هـ / ٩م (عن : معرض دار الآثار الاسلامية بالكويت) .



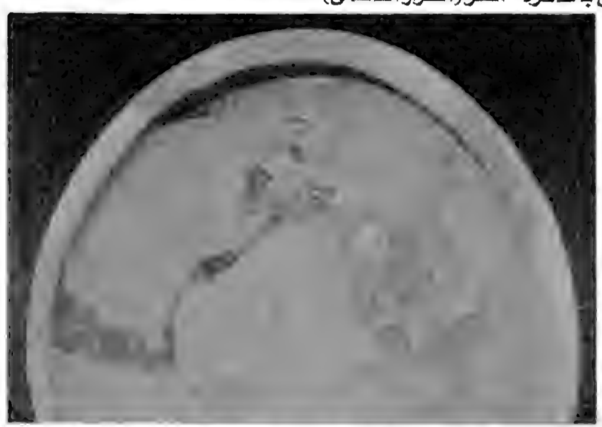
لوحة (٢١١) صحن من الخزف ذى البريق المعدنى - العراق (الطراز العباسى) القرن ٤هـ / ١٠م (عن معرض دار الأثار الاسلامية بالكويت).



لوحة (٢١٢) بقايا صحن من الخزف ذى البريق المعدنى عثر علية فى الريذه (الطراز العباسى) . (بالمملكة العربية السعودية) .



لوحة (٢١٣) قدر من الخزف ذى البريق المعدنى (منظر طردوحش) - محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة - مصر (الطراز الفاطمى) .



لوحة (٢١٤) جزء من صحن من الخزف ذى البريق المعدنى (منظر مصارعة بين اثنين) مصر (الطراز الفاطمى) .



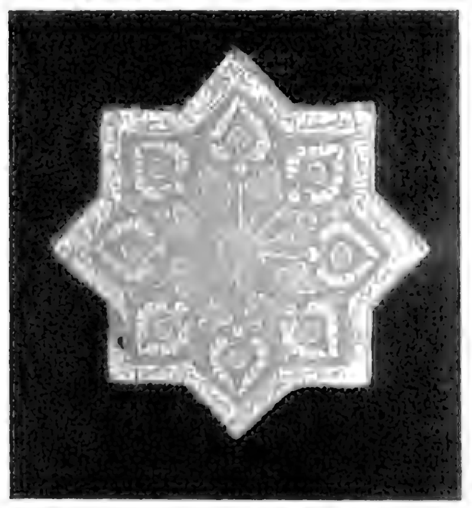
لوحة (٢١٥) صحن من الخزف ذى البريق المعدنى محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة -مصر (الطراز الفاطمى) .



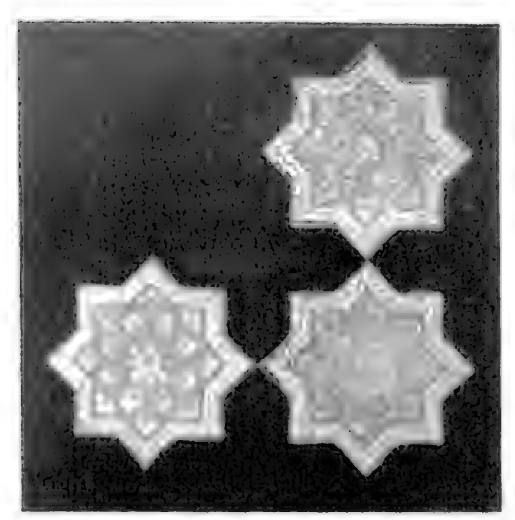
لوحة (٢١٦) صحن من الخزف ذى البريق المعدنى محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة- مصر (الطراز الفاطمى) - ق ٥هـ / ١١م .



لوحة (٢١٧) صحن من الخزف ذى البريق المعدنى (صناعة قاشان ومؤرخ فى جمادى الأخر ٦٠٧هـ / نوفمبر ١٢١٠م) علية توقيع صانعه (السيد شمس الدين الحسنى) محفوظ فى قاعة فرير للفن فى واشنجتون (منظر يمثل خسرو يفاجئ شيرين وهى تستحم) (عن : Grube).



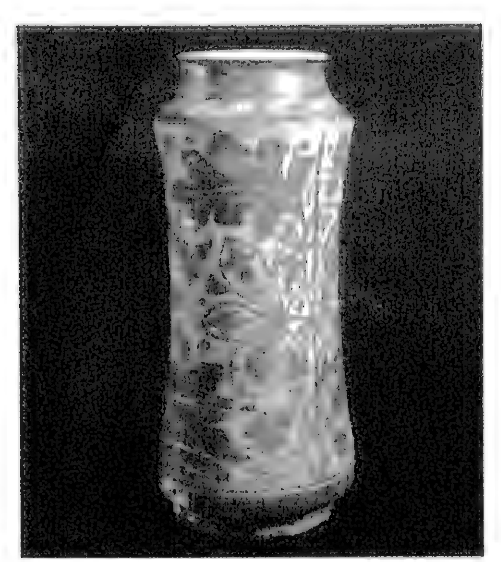
لوحة (٢١٨) بلاطة نجمية الشكل من الخزف ذى البريق المعدنى - ايران - أواخر ق ٧هـ / ١٣م أوائل ق ٨هـ / ١٤م (على الحافة سورة الشمس حتى الأية رقم ١٣) - عن معرض دار الأثار الاسلامية بالكويت .



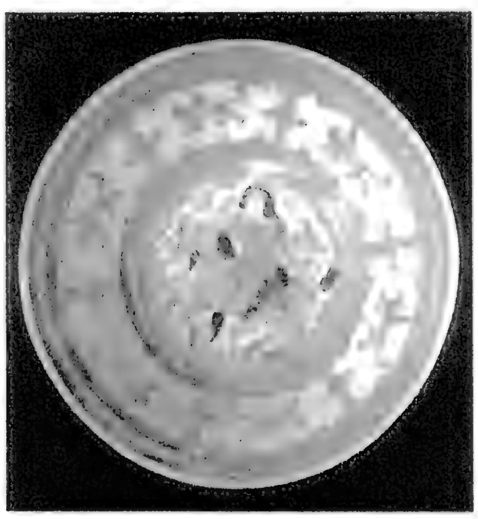
لوحة (٢١٩) بلاطات نجمية الشكل من الخزف ذى البريق المعدنى (وعلى الحافة آيات قرانية شريفة من سورتى الكهف والانعام) - ايران - أواخر ق ٧هـ / ١٣م أو أوائل ق ٨هـ / ١٤م (عن : معرض دار الآثار الاسلامية بالكويت) .



لوحة (٢٢٠) قدر من الخزف ذى البريق المعدنى - سوريا أواخر ق ٧هـ / ١٣م (العصر الايوبى) (عن : Grube) .



لوحة (٢٢١) برنية (جرة أدوية) من الخزف ذى البريق المعدنى يغلب على زخارفها اللون الأزرق الكوبالتى - الأندلس ق ٩هـ / ١٥م (عن : معرض دار الآثار الاسلامية بالكويت) .



لوحة (٢٢٢) صحن من الخزف المعروف بخزف مينائى - ايران - أواخر ق ٦هـ / ١٢م - أوائل ق ٧هـ / ١٣م - (عن : معرض دار الآثار الاسلامية بالكويت) .



لوحة (٢٢٣) قدر من الخزف المعروف بخزف الفيوم محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة - مصر (العصر الفاطمى) - ق٥هـ/١١م .



لوحة (٢٢٤) صحن من الخزف المعروف بخزف مينائى - ايران - أواخر ق ٦هـ / ١٢م - أوائل ق ٧هـ / ١٣م (عن : معرض دار الآثار الاسلامية بالكويت) .



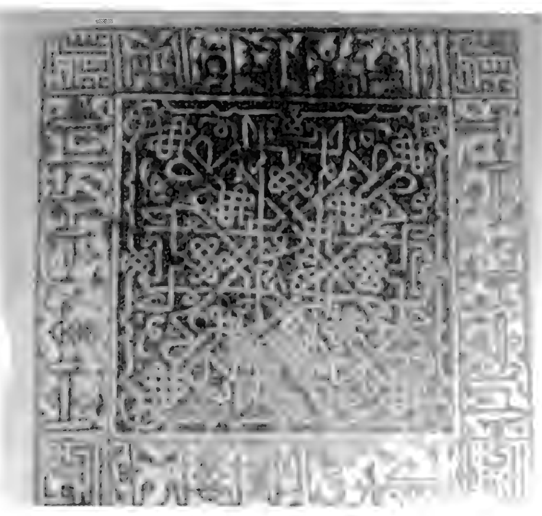
لوحة (٢٢٥) صحن من الخزف المعروف بخزف سلطان أباد محفوظ فى مجموعة Lehmann بنيويورك - ايران ق٨هـ / ١٤م (عن : Grube) .



لوحة (٢٢٦) سلطانية من الخزف المرسوم تحت الطلاء باللونين الأزرق والأسود على أرضية بيضاء محفوظة فى نيويورك (مجموعة المدينة C23) مصر ق ٨هـ / ١٤م (العصر المملوكى) (عن : اسن اتيل) .



لوحة (٢٢٧) قدر (جرة كبيرة) من الخزف المرسوم تحت الطلاء باللونين الأزرق والأسود على أرضية بيضاء محفوظ بمتحف فكتوريا والبرت بلندن - مصر ق٨هـ/ ١٤م (العصر المملوكي) (عن : اسن اتيل) .



لوحة(٢٢٨) بلاطة مربعة من الخزف المرسوم تحت الطلاء محفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة تحمل توقيع صانعها (عمل بن غيبى التوريزى) .

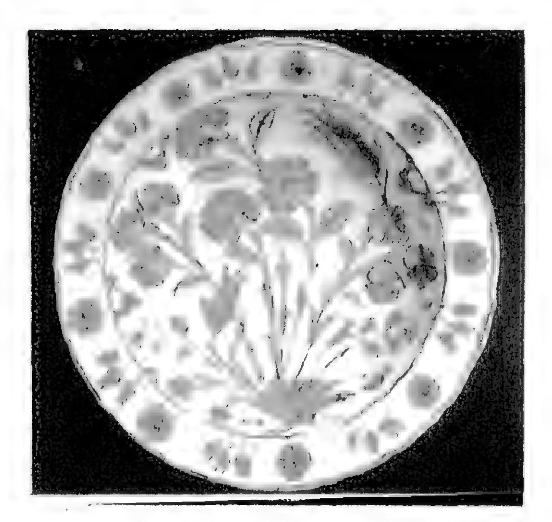


لوحة (٢٢٩) صحنان من خزف ازنيق - منتصف ق ١٠هـ / ١٦م (عن : معرض دار الآثار الاسلامية بالكويت) .

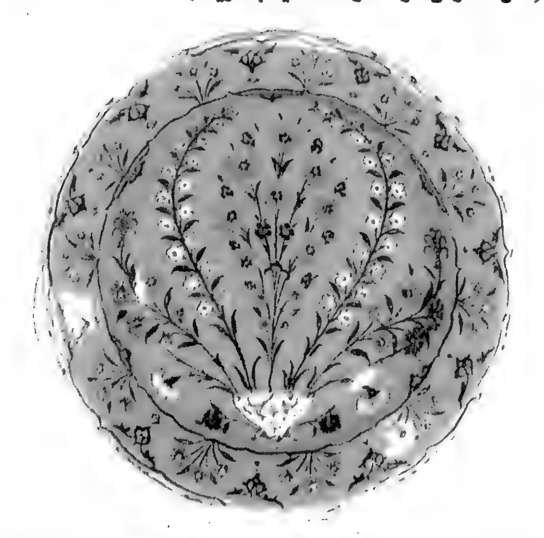




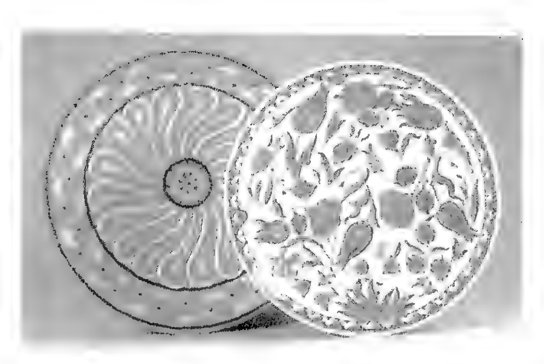
لوحة (٢٣٠) صحنان من خزف أزنيق - منتصف ق١٠هـ / ١٦م
(عن : Carswell) .



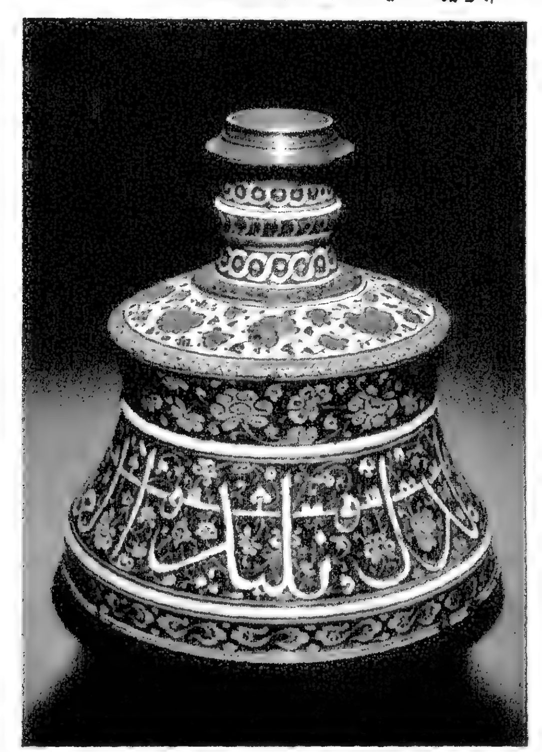
لوحة (٢٣١) صحن من خزف أزنيق - النصف الثانى من ق ١٠هـ / ١٦م
(عن : معرض دار الآثار الاسلامية بالكويت) .



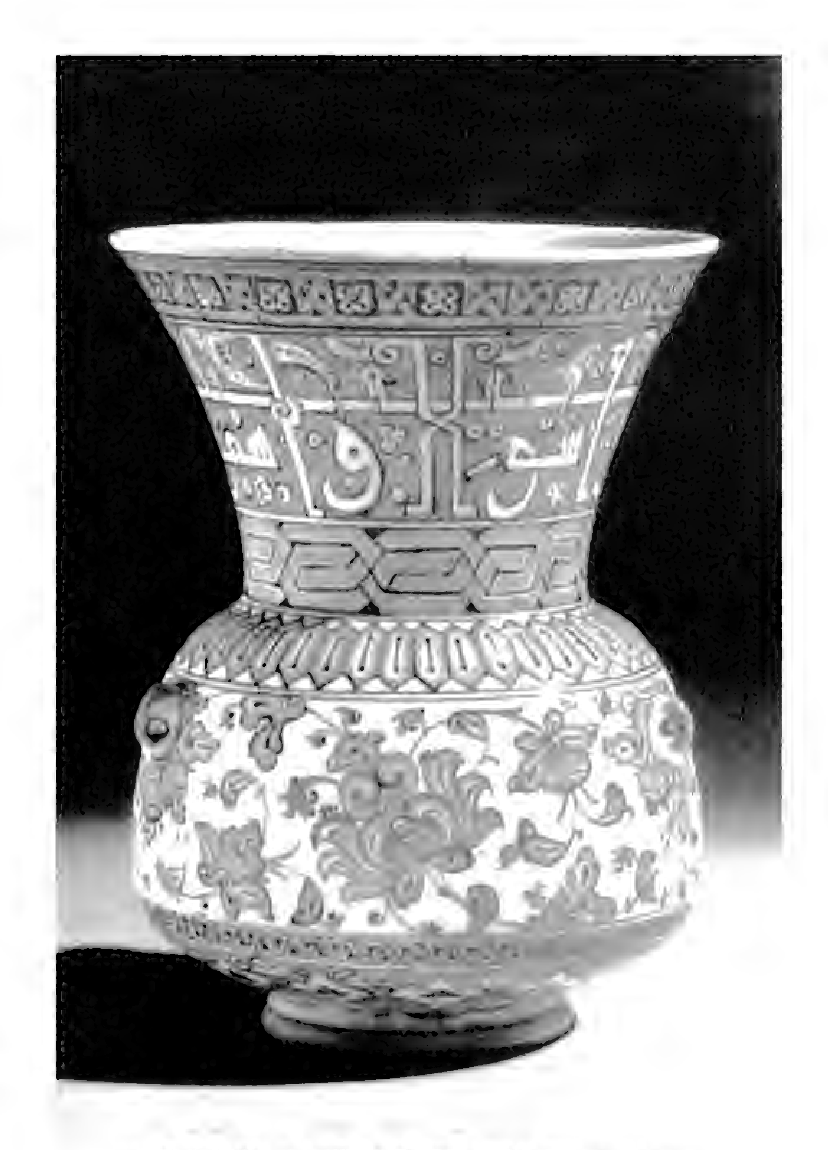
لوحة (٢٣٢) صحن من خزف ازنيق ذى الزخارف المرسومة باللون الأسود والأبيض والأحمر على أرضية زرقاء - حوالى ١٥٦٠م (وهناك من يعتقد أن هذه المجموعه من الأوانى من انتاج كوتاهية) (عن : Carswell) .



لوحة (٢٣٣) صحنان من انتاج مدينة كوتاهية فى أواخر القرن العشرين المنصرم (١٩٩٠ - ١٩٩٢م) وفيهما احياء لخزف أزنيق الشهير (عن : Carswell) .



لوحة (٢٣٤) شمعدان من خزف ازنيق - حوالى ١٤٨٠م (عن : Carswell) .



لوحة (٢٣٥) مشكاة خزفية من خزف أزنيق (كانت فى تربة السلطان بايزيد الثانى المتوفى ١٥١٢م) (عن : Carswell) .





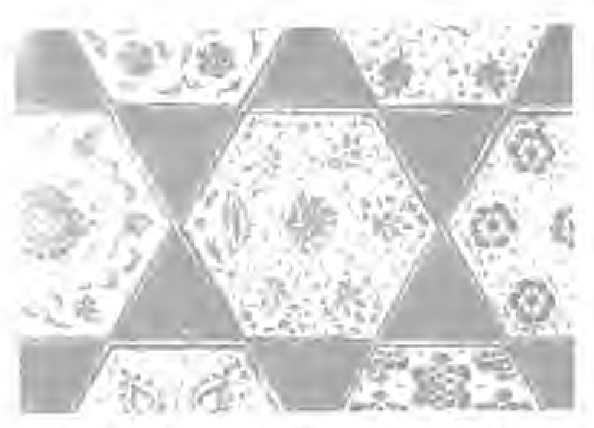
لوحة (٢٣٦) مشكاة خزفية من خزف أزنيق مؤرخة فى شهر جمادى الأول ٩٥٦هـ / ١٥٤٩م وتحمل فى قاعدتها توقيع النقاش (مصلى Musli) (عن : Carswell) .



لوحة (٢٣٧) ابريق من خزف ازنيق حوالى ١٥٨٥م (عن : Carswell) .



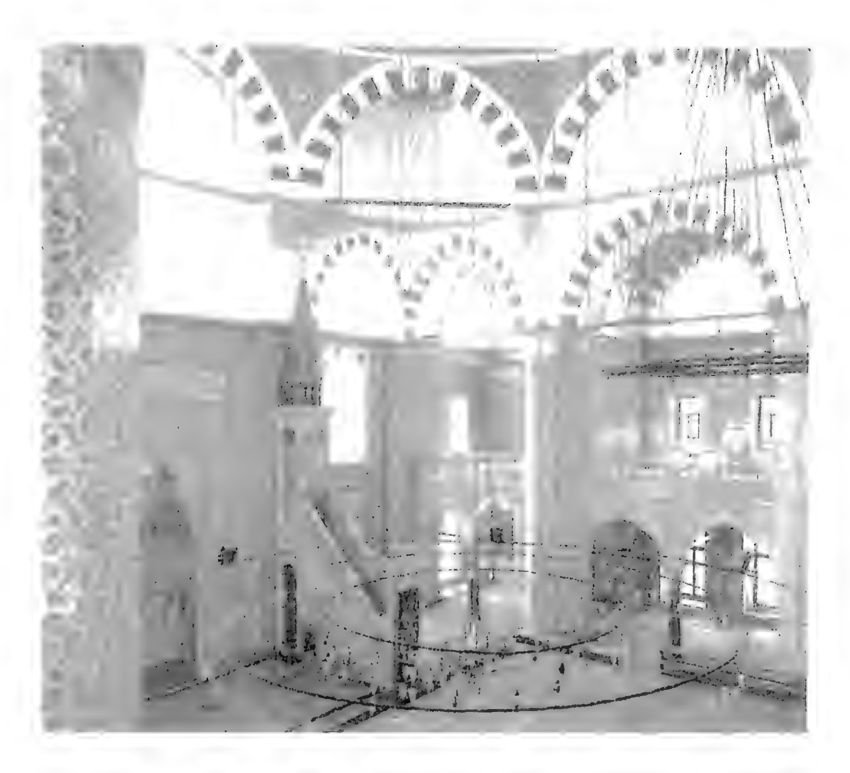
لوحة (٢٣٨) البلاطات الخزفية المسدسة الشكل بمسجد المرادية فى أدرنة (عن : Carswell) .



لوحة (٢٣٩) تفصيل لزخارف بعض البلاطات الخزفية المسدسة الشكل بمسجد المرادية فى أدرنة (عن : أرسيكا) .



لوحة (٢٤٠) بلاطات خزفية من خزف أزنيق ق ١٠هـ / ١٦م .



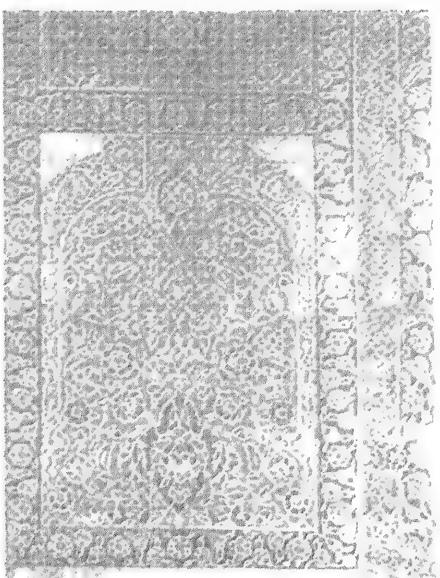
لوحة (٢٤١) البلاطات الخزفية التى تكسو مسجد رستم باشا باستانبول
من الداخل ٩٦٧هـ/١٥٥٩م (عن : Carswell) .



لوحة (٢٤٢) تفصيل لبعض زخارف البلاطات الخزفية بمسجد رستم باشا بأستانبول .



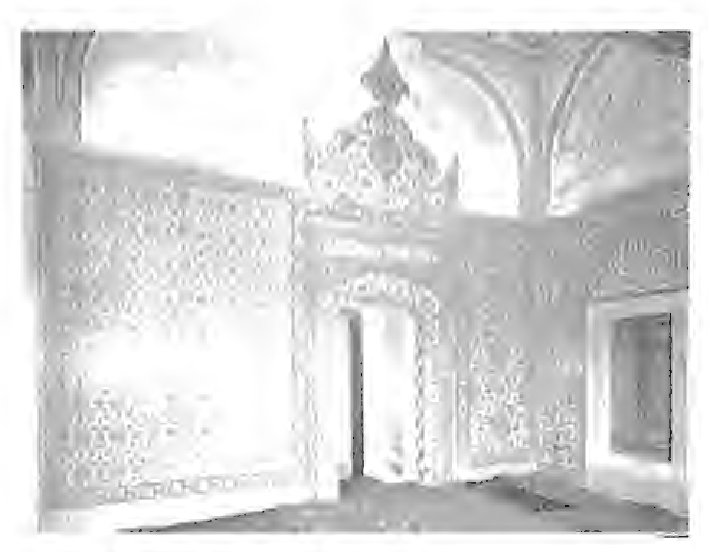
لوحة (٢٤٣) تفصيل لبعض النقوش الكتابية والزخرفية بالبلاطات الخزفية التى تكسو جامع سوكللو محمد باشا بقا درجه في استانبول (بلاطات الجانب الأيمن للمحراب - الجانب الأيسر للواقف تجاه المحراب)



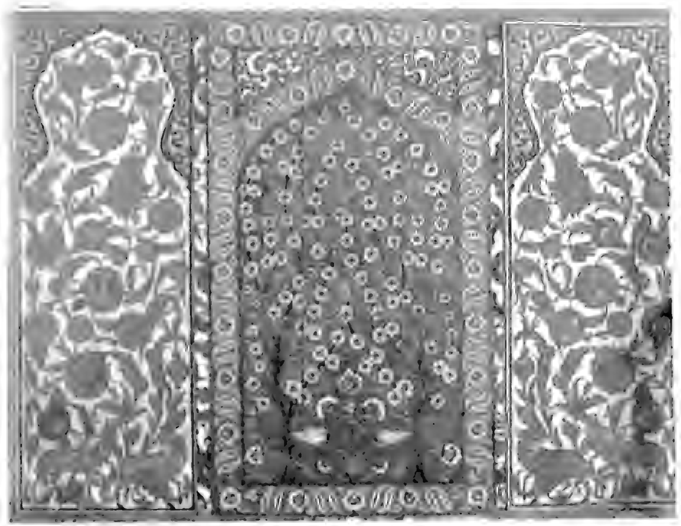
لوحة (٢٤٤) البلاطات الخزفية بتربة شاهزاده محمد باستانبول (عن : أصلان آبا) .



لوحة (٢٤٥) انموذج للبلاطات الخزفية التى تكسو مسجد السليمية بأدرنة
(عن ، آصلان آبا) .



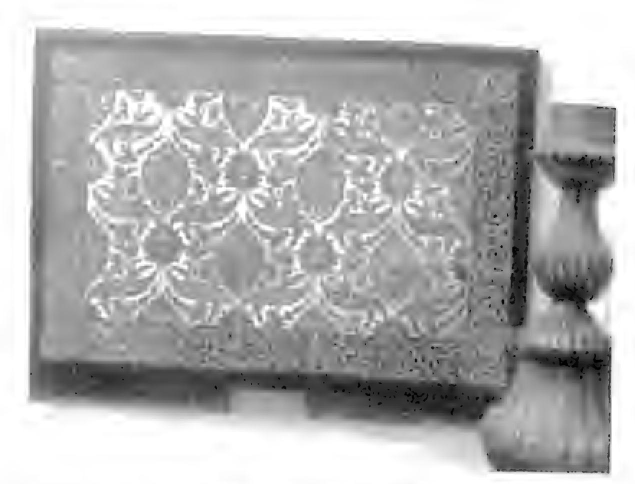
لوحة (٢٤٦) انموذج آخر للبلاطات الخزفية التى تكسو جدران الاستراحة السلطانية بمسجد السليمية بادرنة (عن : آصلان آبا)



لوحة (٢٤٧) انموذج للبلاطات الخزفية التى تكسو قاعة الختان (سنت أوده سى) بطوبقابى سراى فى استانبول (عن : آصلان آبا) .



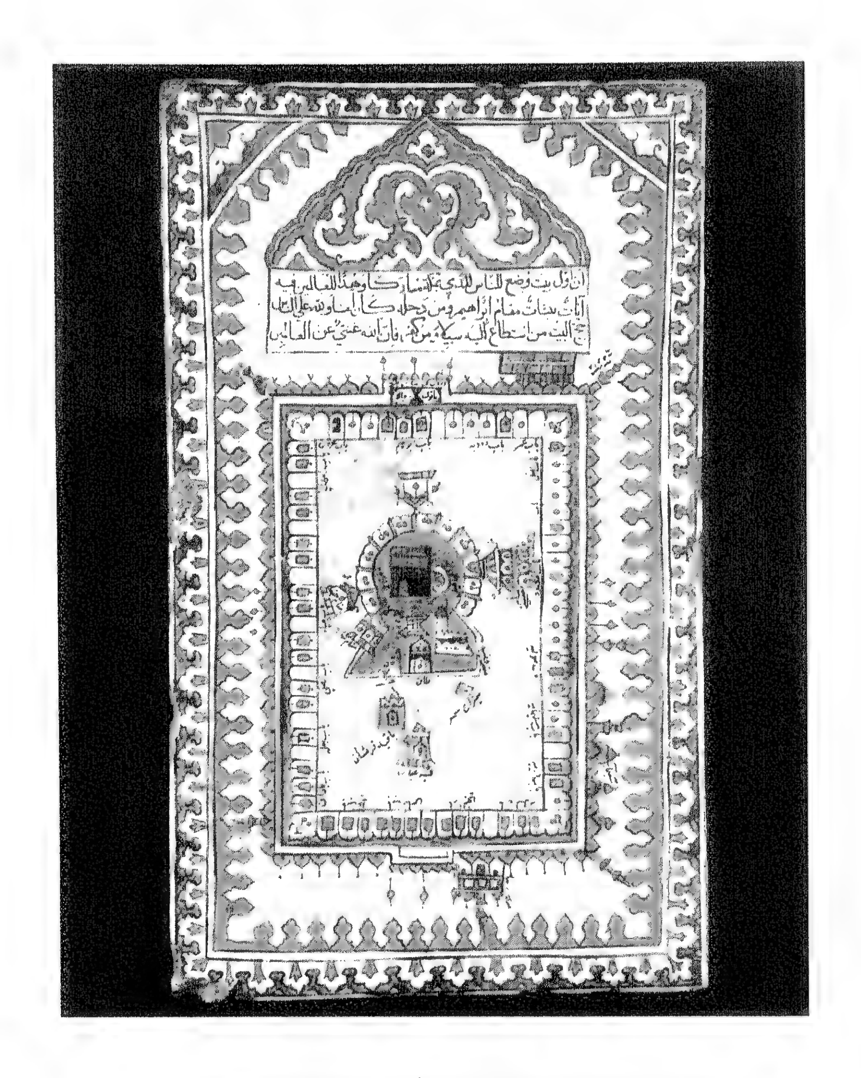
لوحة (٢٤٨) تفصيل لزخارف الحشوة الوسطى فى اللوحة السابقة (٢٤٧).



لوحة (٢٤٩) بلاطات خزفية من خزف ازنيق محفوظة بمتحف الفن الاسلامى (ق ١١هـ / ١٧م) .



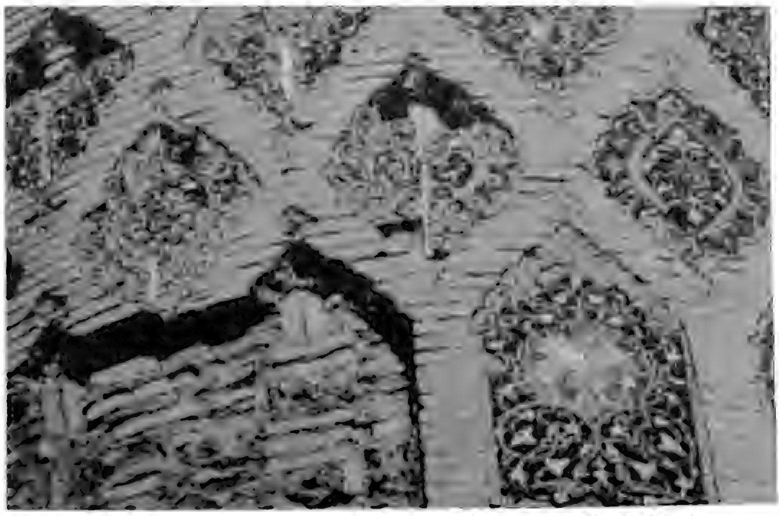
لوحة (٢٥٠) بلاطات خزفية من خزف أزنيق محفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة (ق١١هـ / ١٧م)



لوحة (٢٥١) بلاطة خزفية من خزف أزنيق تشتمل على مخطط للمسجد الحرام (ق ١١هـ / ١٧م) (عن : معرض دار الآثار الاسلامية بالكويت) .



لوحة [٢٥٢] الفسيفساء الخزفية التى تكسو مشهد الخواجا أبو النصر البارسى فى بلخ (أفغانستان) وفق الاسلوب المعروف بالمعرق (كاشيكارى معرق) [عن : ليزا جلومبك ودونالد ولبر) .



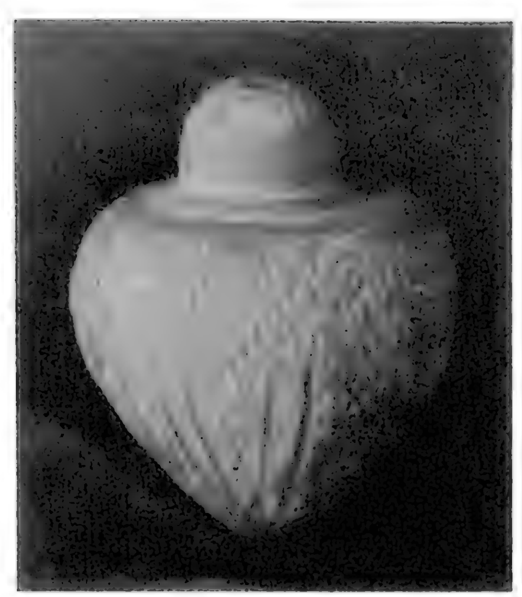
لوحة (٢٥٣) بعض النقوش الزخرفية بمنارة مجمع جوهر شاد بهراة (أفغانستان) (عن: ليزاجلومبك ودونالدولبر) .



لوحة (٢٥٤) شباك قلة (حجاب) من الفخار تزينة زخارف هندسية مفرغة باستثناء الجزء الاوسط الذى يتوسطة نتوء بارز حلزونى الشكل - مصر القرنان ٤-٥هـ / ١٠-١١م .



لوحة (٢٥٥) شباك قلة (حجاب) من الفخار يحمل توقيع صانعه (عمل عابد) مصر .



لوحة (٢٥٦) قارورة نفط من الفخار غير المطلى على هيئة رمانية الشكل ذات زخارف محزوزة - مصر ق ٤-٥هـ / ١٠-١١م (العصر الفاطمى) (عن : معرض دار الآثار الاسلامية بالكويت) .



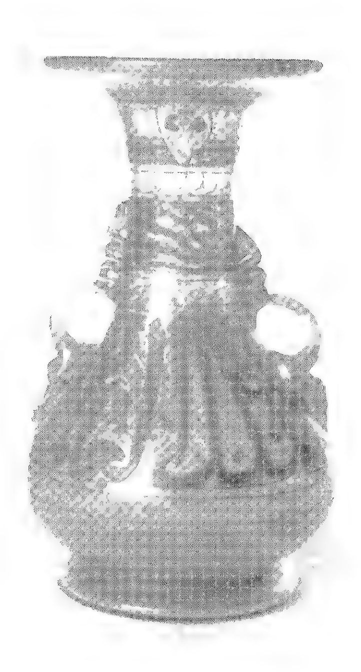
لوحة (٢٥٧) كسرة من الفخار المطلى يزين داخلها رنك الهدف - مصر (القرن ٨هـ / ١٤م) .



لوحة (٢٥٨) كأس من الزجاج المموه بالمينا المتعددة الألوان فى قاعة والترز للفن فى بالتيمور حوالى ١٢٦٠م (الطراز المملوكى) (عن : أسن اتيل) .



لوحة (٢٥٩) قارورة من الزجاج المموه بالمينا المتعددة الألوان صنعت برسم السلطان الرسولى داود بن يوسف (٦٩٦-٧٢١هـ / ١٢٩٦-١٣٢١م) (الطراز المملوكى) (عن : اسن اتيل) .



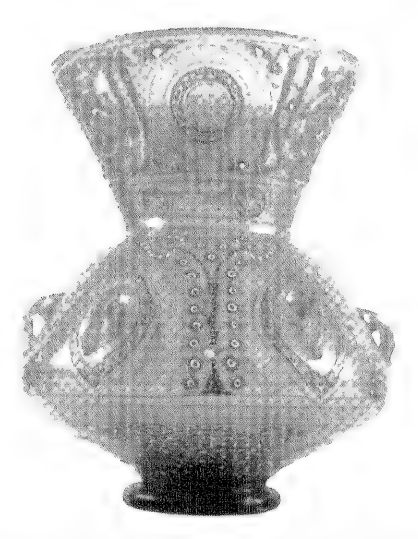
لوحة (٢٦٠) مزهرية من الزجاج المموه بالمينا المتعددة الألوان مصر (القرن ٨هـ / ١٤م) (عن : معرض دار الآثار الاسلامية بالكويت)



لوحة (٢٦١) مشكاه من الزجاج المموه بالمينا المتعددة الألوان محفوظة بمتحف الفنون الجميلة فى بوسطن وقد صنعت برسم رباط كريم الدين بالقرافة الصغرى الربع الأول من ق٨ هـ / ١٤م (عن : اسن اتيل) .



لوحة (٢٦٢) ثلاث مشكاوات من الزجاج المموه بالمينا المتعددة الألوان محفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة (وقد صنعت برسم مدرسة السلطان حسن ٧٥٧-٧٦٤هـ / ١٣٥٦-١٣٦٢م) مصر (الطراز المملوكى) .



لوحة (٢٦٣) مشكاة من الزجاج المموة بالمينا المتعددة الألوان محفوظة بمتحف الفن الأسلامى بالقاهرة وهى الأخرى برسم مدرسة السلطان حسن (عن : اسن اتيل) .

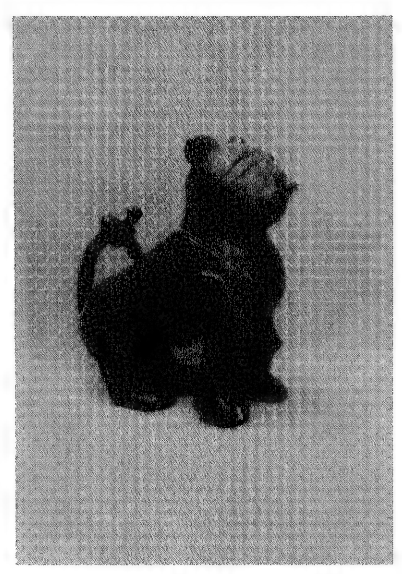


لوحة (٢٦٤) نماذج من زجاج بوهيميا الشهير المحفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة (وكان هذا النوع من الزجاج الفاخر يصدر الى العديد من البلدان أو يصنع برسم بعض سلاطين الدولة العثمانية ومحمد على باشا وأسرتة) .

١١ - المعادن



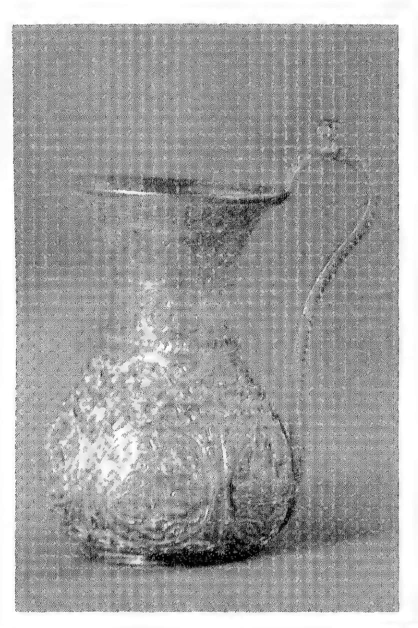
لوحة (٢٦٥) ابريق من البرونز يعرف بابريق مروان بن محمد (أخر الخلفاء الامويين ١٢٧-١٣٢هـ) محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة .



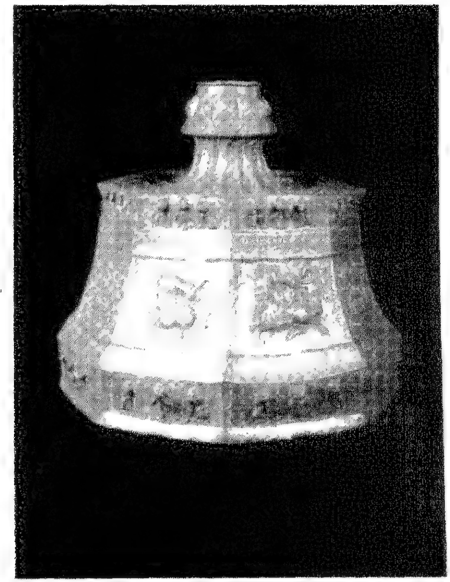
لوحة (٢٦٦) تمثال مجوف من البرونز على هيئة أسد رابض محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة - مصر (الطراز الفاطمى) .



لوحة (٢٦٧) تمثال مصمت من البرونز يمثل عازفة الدف محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة - مصر (الطراز الفاطمى) .



لوحة (٢٦٨) ابريق من الذهب محفوظ فى قاعة فرير للفن فى واشنجتون - العراق أوايران - القرن ٤هـ / ١٠م (العصر البويهى) (عن : Grube) .



لوحة (٢٦٩) شمعدان من البرونز تزينة زخارف محفورة وبارزة بواسطة الطرق من الخلف ومكفتة بالنحاس الأحمر والفضة قوامها نقوش كتابية ورسوم نباتية وحيوانية أبرزها فى البدن مناظر طردوحش . خراسان - ق ٧هـ / ١٣م (عن : معرض : دار الآثار الاسلامية بالكويت).



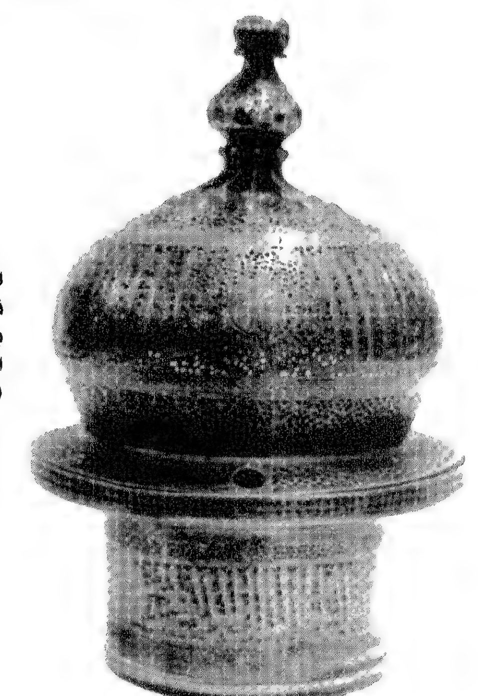
لوحة (٢٧٠) شمعدان من النحاس المكفت بالفضة والذهب محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة يتضمن توقيع النقاش (محمد بن حسن الموصلى - عمل بمصر ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م) (عن : اسن اتيل) .



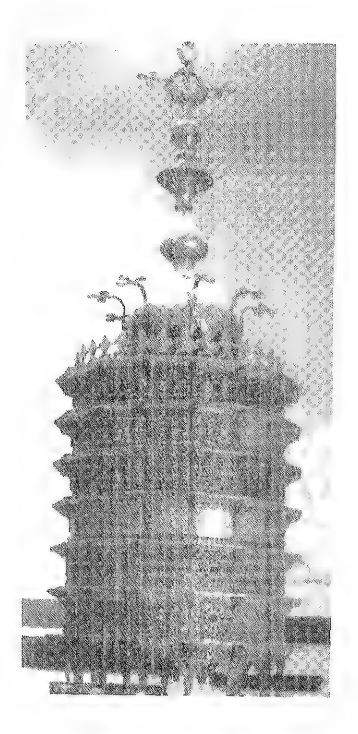
لوحة (٢٧١) رقبة شمعدان(من النحاس المكفت بالفضة والذهب صنع برسم زين الدين كتبغا المنصورى الأشرفى) محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة -مصر (العصر المملوكى البحرى - أواخر القرن ٧هـ / ١٣م) (عن : اسن اتيل) .



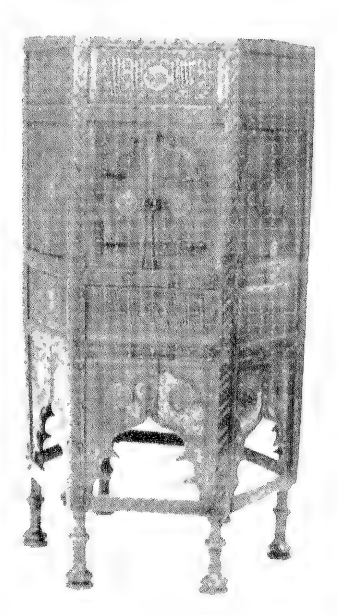
لوحة (٢٧٢) بدن شمعدان زين الدين كتبغا (المشار الى رقبتة فى اللوحة السابقة) وهو محفوظ فى قاعة والتزر للفن فى بالتيمور (عن : اسن اتيل) .

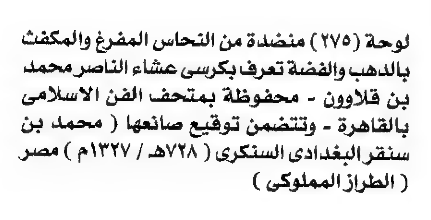


لوحة(٢٧٣) ثريا من البرونز على هيئة قبة ذات نقوش مفرغة وقد صنعت برسم السلطان المملوكى البحرى الصالح اسماعيل (٧٤٣-٧٤٦هـ) مصر (الطراز المملوكى) .



لوحة (٢٧٤) تنور السلطان المملوكى الچركسى الأشرف قانصوه الغورى محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة مصر (الطراز المملوكى) .

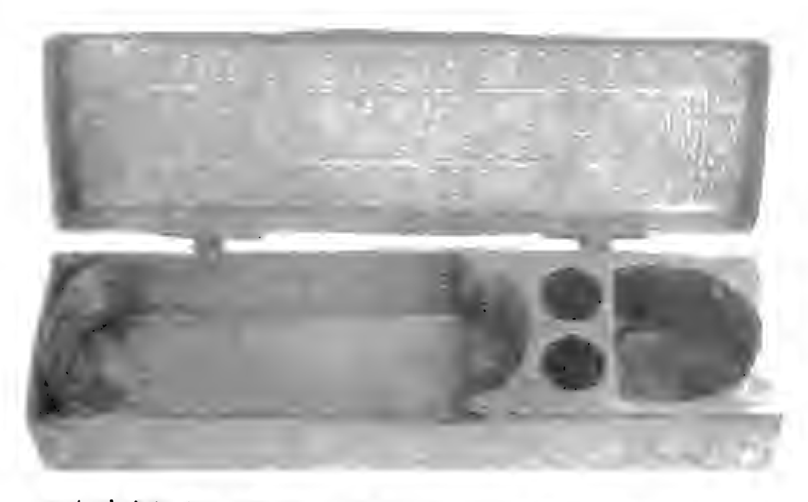




لوحة (٢٧٥) منضدة من النحاس المفرغ والمكفت بالذهب والفضة تعرف بكرسى عشاء الناصر محمد بن قلاوون - محفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة - وتتضمن توقيع صانعها (محمد بن سنقر البغدادى السنكرى (٧٢٨هـ / ١٣٢٧م) مصر (الطراز المملوكى)



لوحة (٢٧٦) مقلمة من النحاس المكفت بالفضة والذهب والنيلو محفوظة بالمتحف البريطانى فى لندن وتتضمن توقيع صانعها (محمود بن سنقر - ٦٨٠هـ / ١٢٨١م) - مصر (الطراز المملوكى) (عن : اسن اتيل) .



لوحة (٢٧٧) مقلمة من النحاس المكفت بالفضة والذهب محفوظة بمتحف اللوفر فى باريس مؤرخة عام ٧٠٤هـ / ١٣٠٤م مصر (الطراز المملوكى) (عن : اسن اتيل) .



لوحة (٢٧٨) مقلمة من النحاس المكفت بالفضة والذهب محفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة وتتضمن اسم السلطان المملوكى البحرى المنصور محمد (٧٦٢- ٧٦٤هـ) والقابه . مصر (الطراز المملوكى) .



لوحة (٢٧٩) طست من النحاس المكفت بالفضة والذهب محفوظ بمتحف اللوفر فى باريس يتضمن توقيع صانعه (المعلم محمد بن الزين) مصر - حوالى ١٢٩٠-١٣١٠م (الطراز المملوكى) (عن : اسن اتيل) .



لوحة (٢٨٠) طست من النحاس المكفت بالفضة والذهب محفوظ بمتحف فكتوريا والبرت فى لندن - مصر النصف الاول من ق٨هـ / ١٤م (الطراز المملوكى) (عن : اسن اتيل) .



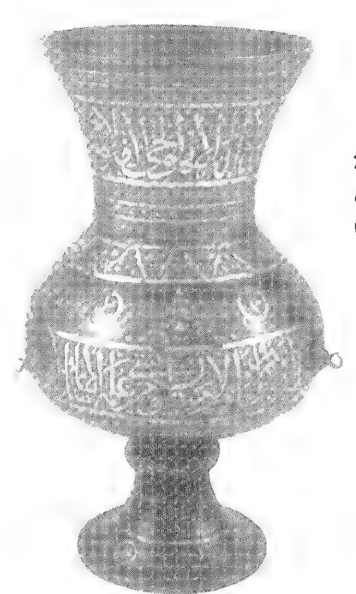
لوحة (٢٨١) طست من النحاس المكفت بالفضة والذهب محفوظ بالمتحف البريطانى فى لندن صنع برسم السلطان محمد بن قلاوون المتوفى ٧٤١هـ / ١٣٤٠م - مصر (الطراز المملوكى) (عن : اسن اتيل) .



لوحة (٢٨٢) طست من النحاس المكفت بالفضة محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، صنع برسم الأمير السيفي طبطق الملكى الأشرفى - مصر - منتصف ق٨هـ / ١٤م(الطراز المملوكى) (عن : اسن اتيل) .

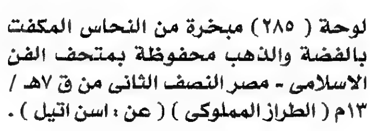


لوحة (٢٨٣) قمقم من النحاس المكفت بالفضة والذهب محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة صنع برسم السلطان حسن . مصر ٧٥٥-٧٦٢هـ - (الطراز المملوكي) (عن : اسن اتيل).



لوحة (٢٨٤) مشكاه من النحاس المكفت بالفضة والذهب محفوظة بمتحف الفن الاسلامي فى القاهرة - مصر - النصف الثانى من ق ٨هـ / ١٤م (الطراز المملوكى) (عن : اسن اتيل) .

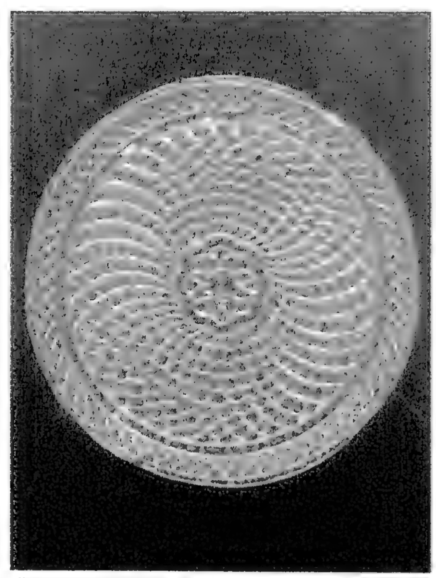




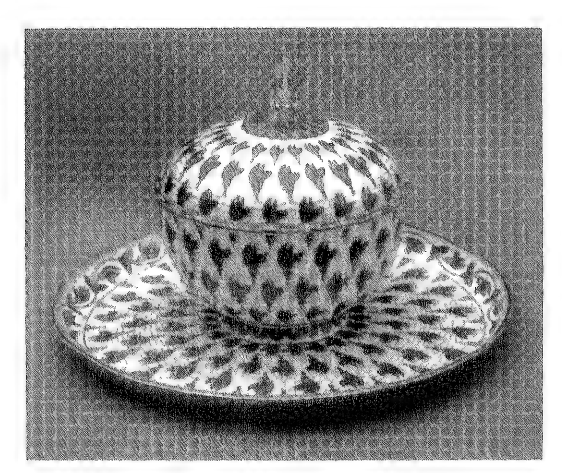
لوحة (٢٨٥) مبخرة من النحاس المكفت بالفضة والذهب محفوظة بمتحف الفن الاسلامى - مصر النصف الثانى من ق ٧هـ / ١٣م (الطراز المملوكى) (عن : اسن اتيل) .



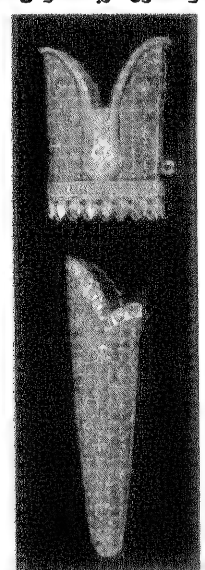
لوحة (٢٨٦) ابريق من الفضة مطلى بالذهب محفوظ بمتحف فكتوريا والبرت في لندن - تركيا - الربع الثانى من ق١٠هـ / ١٦م (عن ؛ أرسيكا) .



لوحة (٢٨٧) صحن من الذهب (اسلوب Kundan) - الهند المغولية - حوالى الربع الأول من ق ١١هـ / ١٧م (عن ؛ دار الآثار الاسلامية بالكويت) .

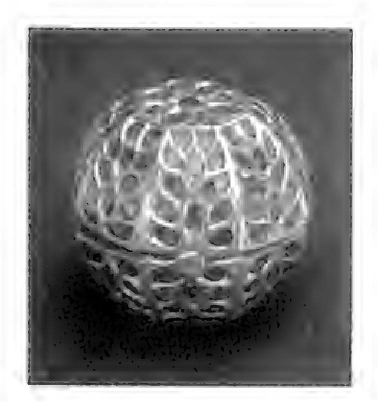


لوحة (٢٨٨) أ: الدكن أو المغول - ريما حوالى منتصف ق ١١هـ /١٧م .



ب : الربع الثالث من ق ١١هـ /١٧م .

(اللوحات من ٢٨٨ الى ٣٠٠) تمثل مجموعة منتقاة لابداعات الفن الاسلامى فى الهند المغولية من تحف المجوهرات المختلفة (علب وأختام ودلايات وخناجر وسيوف) وهى محفوظة بدار الآثار الاسلامية بالكويت .



أ : المغول أو الدكن - النصف الأول من القرن ١١هـ /١٧م .

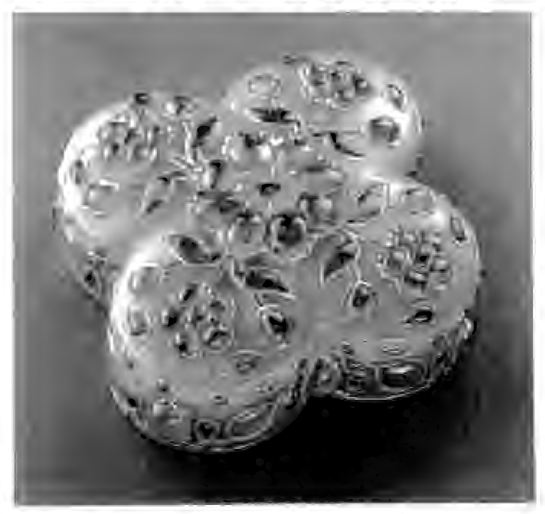


ب : ربما الدكن ق ١٢-١٣هـ / ١٨-١٩م

لوحة (٢٨٩)

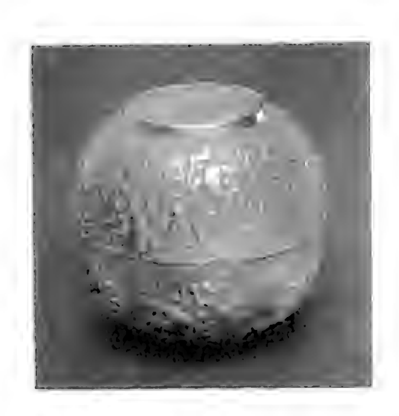


أ : الدكن أو المغول - أواخر ق ١٠هـ/ ١٦م أوائل ق ١١هـ / ١٧م



ب : من المحتمل الدكن حوالى منتصف ق ١١هـ / ١٧م .

لوحة (٢٩٠)

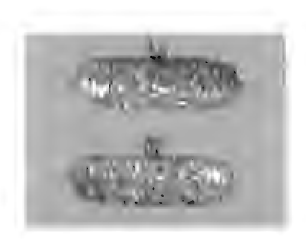


أ، الدكن أو المغول أواخر ق١٠هـ / ١٦م أوائل ق ١١هـ / ١٧م .



ب ، من المحتمل الدكن أوغرب الهند أواخر ق١٠هـ / ١٦م أوائل ق١١هـ / ١٧م .

لوحة (٢٩١)



أ : من المحتمل الدكن أو غرب الهند أواخر ق ١٠هـ / ١٦م أوائل ق١١هـ / ١٧م .



ب : الدكن أو المغول أواخر ق ١٠هـ / ١٦م أوائل ق ١١هـ / ١٧م .



ج : من المحتمل الدكن أو غرب الهند أواخر ق١٠هـ / ١٦م أوائل ق ١١هـ / ١٧م .

لوحة (٢٩٢)



أ : المغول أو الدكن أواخر ق ١٠هـ / ١٦م أو النصف الأول من ق ١١هـ / ١٧م

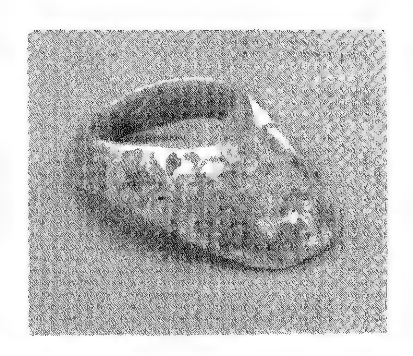


ب : الدكن ومن المحتمل حيدر آباد الثلث الأول من ق ١١هـ / ١٧م .



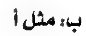
ج : من المحتمل المغول - الربع الثانى من ق ١١هـ / ١٧م .

لوحة (٢٩٣)



أ: الدكن ومن المحتمل حيدر آباد الثلث الأول من ق١١هـ / ١٧م

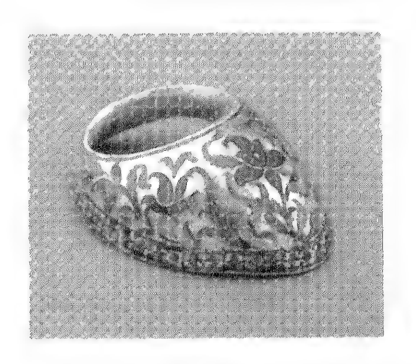




ب: مثل أ

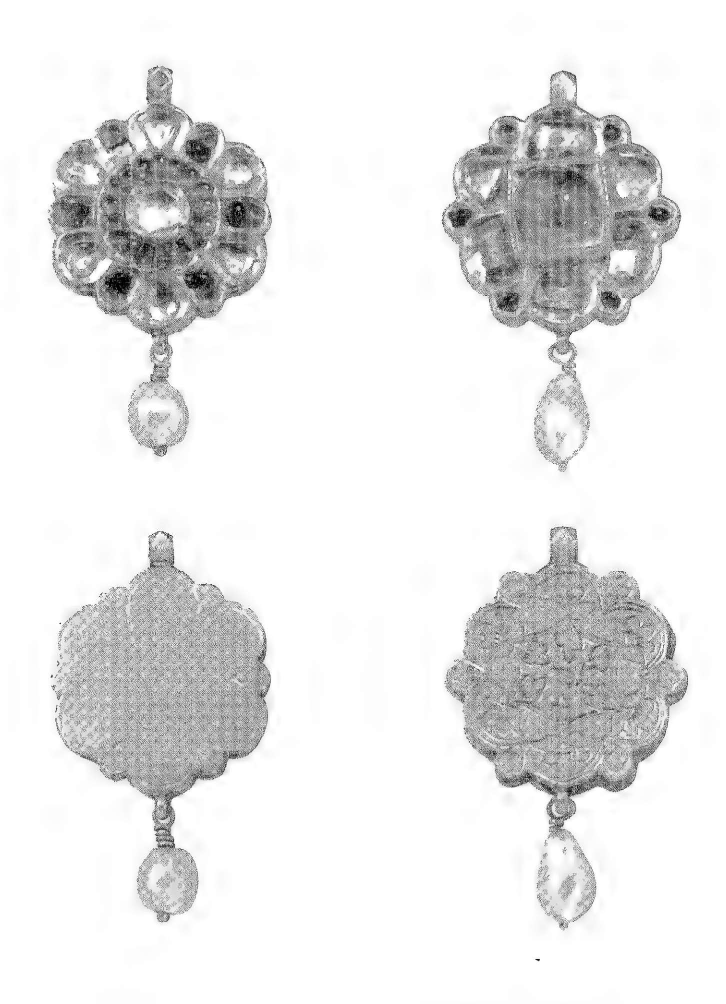


مثل أ



مثل أ

لوحة (٢٩٤)



أ : المغول أو الدكن - النصف الأول من ق١١هـ / ١٧م .

ب : مثل أ .

لوحة (٢٩٥)

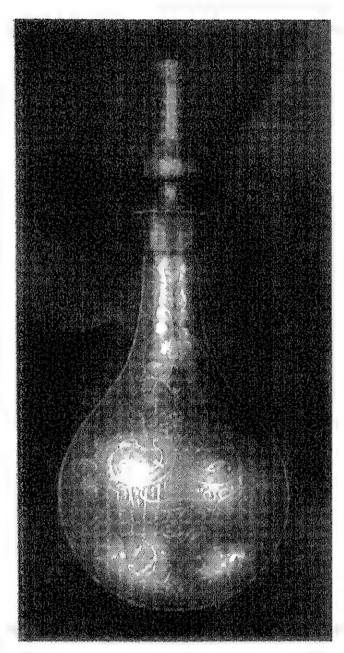




لوحة (٢٩٦) المغول أوالدكن - النصف الأول من ق ١١هـ / ١٧م .

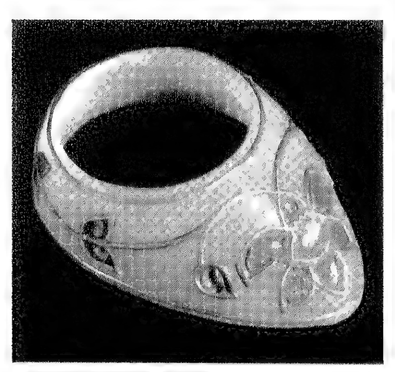


أ : رأسان لرمحين - الهند المغولية - ق ١٢هـ / ١٨م (عن : دار الآثار الاسلامية بالكويت)

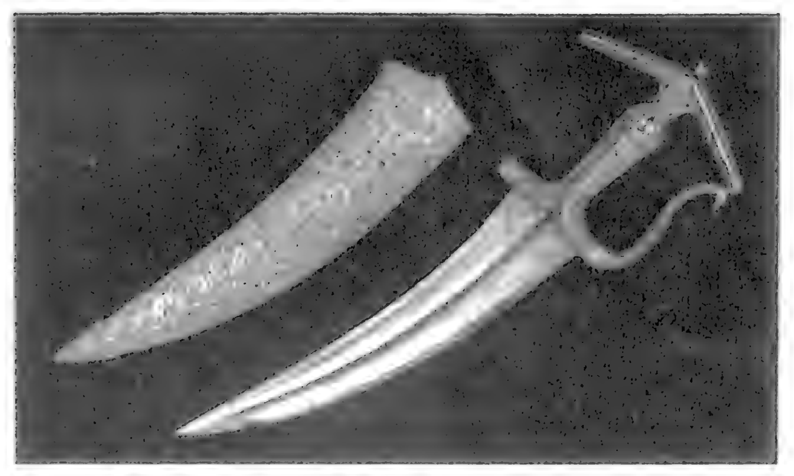


ب: قارورة بارود - الهند المغولية ربما ق ١١هـ / ١٧م (عن : دار الأثار الاسلامية بالكويت)

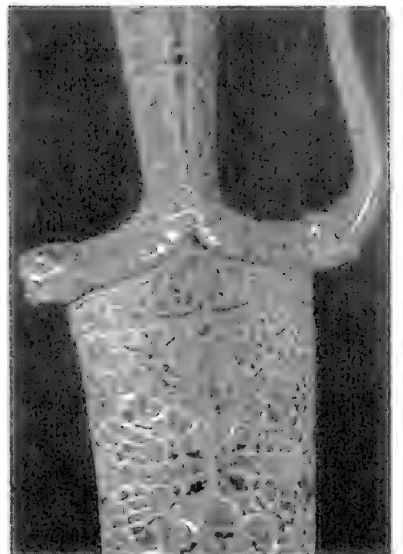
لوحة (٢٩٧)



لوحة (٢٩٨) : خاتم ابهام للرماية (خيتعة) - الهند المغولية - ق١٢هـ / ١٨م (عن : دار الآثار الاسلامية بالكويت)



أ : خنجر - الهند المغولية - الربع الاول من ق ١١هـ / ١٧م



ب: تفصيل من أ

لوحة (٢٩٩)



لوحة (٣٠٠) سيف ، الدكن أوالمغول - النصف الثانى من ق ١١هـ /١٧م .



(لوحة ٣٠١) قلادة (أعلى) وقرط(أسفل الي اليمين) من أواخر العصر الأيوبي أو أوائل العصر المملوكي ، وقلادة ودلاية ونيشان من عهد الأسرة العلوية بمصر بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة.



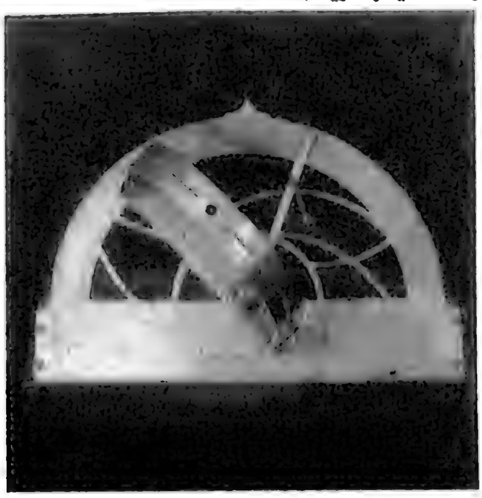
(لوحة ٣٠٢) اسطرلاب مسطح (ذو الصفائح) من النحاس الأصفر - العراق - ربما بغداد ويتضمن توقيع صانعه (نسطولسن أويسطولس) وتاريخ الصنع ٣١٥هـ/٩٢٧م (عن : دار الآثار الاسلامية بالكويت) .



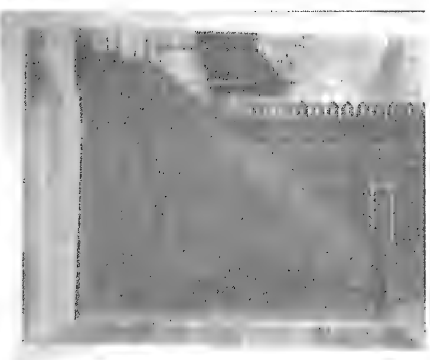
(لوحة ٣٠٣) اسطرلاب مسطح (ذو الصفائح) من النحاس الأصفر - ايران - ربما منتصف ق ١١هـ/١٧م - مستهل ق ١٢هـ/١٨م . (العصر الصفوى) . (عن : دار الآثار الاسلامية بالكويت).

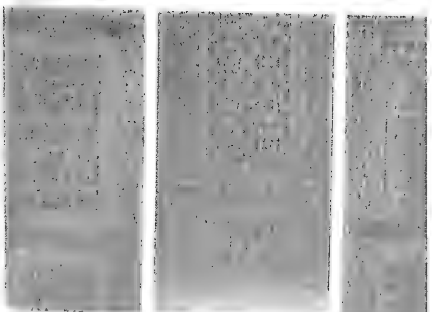


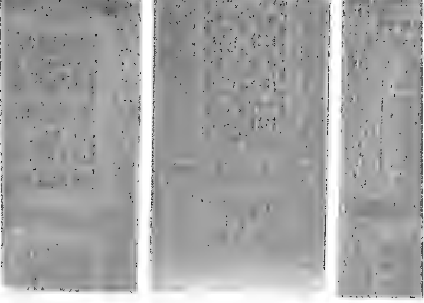
(لوحة ٣٠٤) ربعية من النحاس الاصفر (صفيحة واحدة مشكلة بالطرق ومزينه بالحفر) - المغرب) تتضمن توقيع صانها (محمد بن المفضل ابن خيران (أو حيران) ١٢٦٤هـ) (عن : دار الآثار الاسلامية بالكويت) .



(لوحة ٣٠٥) دائرة معدل (المؤقت والصفيحة من النحاس الأصفر بعض أجزاؤه مطروق ومقطوع والبعض الآخر مصبوب) - تركيا (عهد السلطان العثماني سليم الثالث عام ١٢٠٤هـ ولكنه نقش خطأ ١٢٤٠هـ) (عن : دار الآثار الاسلامية بالكويت).







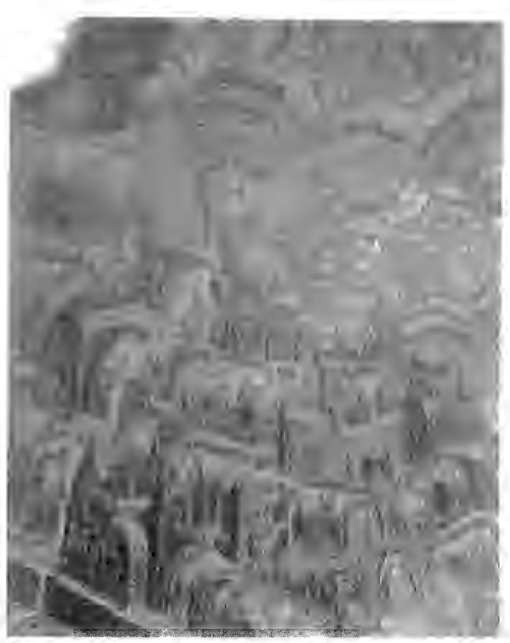
(لوحة ٣٠٦) منبر جامع القيروان من خشب الساج ٢٤٨هـ/٨٦٢م . (الطراز العباسي) .



(لوحة ٣٠٧) مقلمة مبكرة عثر عليها في حفائر الربذة بالمملكة العربية السعودية (بها مكان محبرتين ومكان لوضع القلم الخشبي) - العصر العباسي الأول - (عن : قسم الآثار والمتاحف بكلية الآداب جامعة - الملك سعود بالرياض).



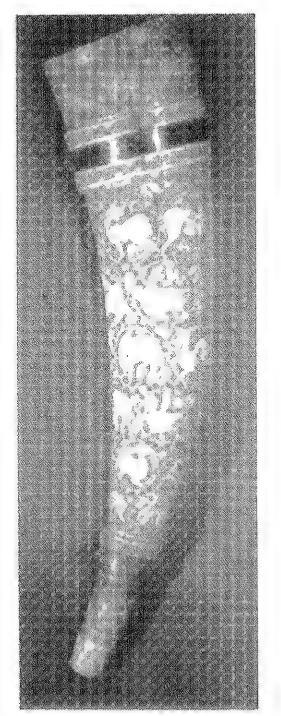
(لوحة٣٠٨) ألواح خشبية من القصر الفاطمي الغربي (الصغير) عثر عليها في بيمارستان المنصور قلاوون بشارع المعز (خط بين القصرين) محفوظة بمتحف الفن الاسلامي في القاهرة - مصر (الطراز الفاطمي).



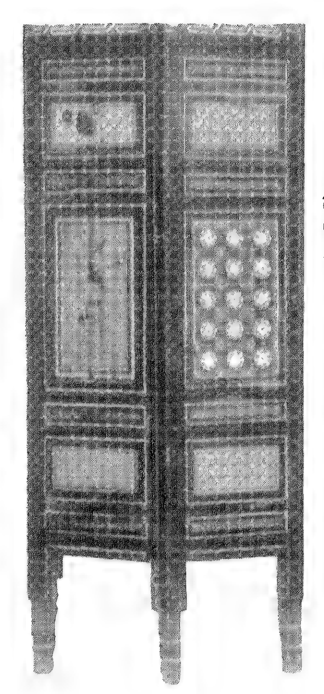
(لوحة ٣٠٩) السقف الخشبي الذي يغطي الكابلا بالاتينا في بالرمو بصقلية وتزينه زخارف متنوعة مرسومة بالفرسكو - ق ٦هـ/١٢م (الطراز الفاطمي) (عن: Grube).



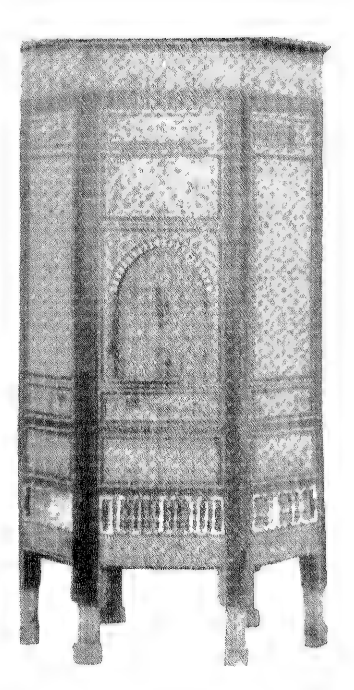
(شكل٣١٠) علبة عاجية اسطوانية الشكل محفوظة بمتحف اللوفر في باريس وهي ذات غطاء نصف كروي مقبب وتتضمن نقشا كوفيا باسم المغيرة بن امير المؤمنين وتاريخ ٣٥٧هـ/٩٦٨م .



(لوحة٣١١) بوق صيد من العاج - ق ٦هـ/١٢م .
(الطراز الفاطمي) .



(لوحة ٣١٢) منضدة من الخشب المطعم بالعاج والأبنوس (وتعرف بكرس عشاء) محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة - مصر - ق ٨هـ/١٤م . (الطراز المملوكي) .



(لوحة ٣١٣) منضدة من الخشب المطعم بالعاج والأبنوس (وتعرف بكرسي عشاء) محفوظة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة - مصر النصف الثاني من ق ٨هـ/١٤م . (الطراز المملوكي) .

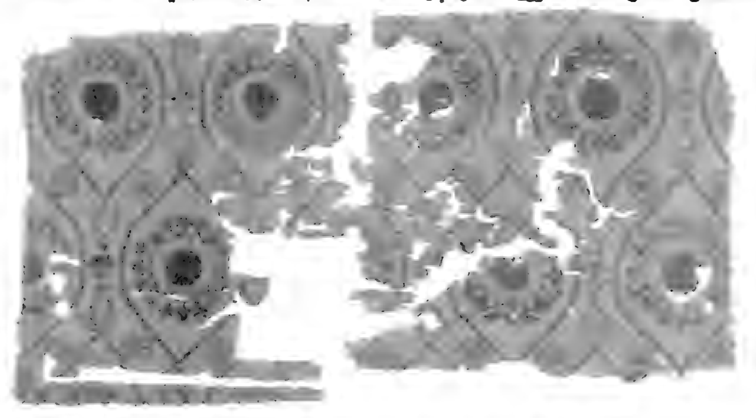


(لوحة ٣١٤) صندوق مصحف من الخشب المصفح بالنحاس المكفت بالفضة والذهب محفوظ بمتحف الفن اللاسلامي بالقاهرة - مصر - حوالي ١٣٣٠م (الطراز المملوكي) (عن : اسن اتيل).

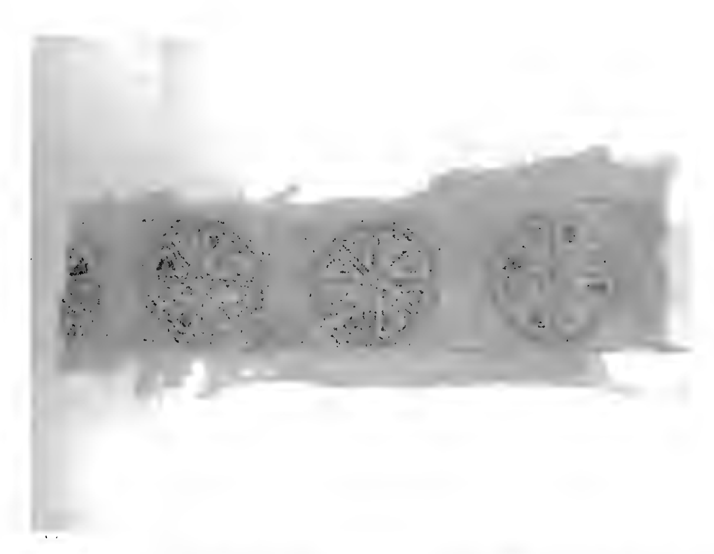


(لوحة ٣١٥) سقف تربة السلطان العثماني مراد الثاني في بورصة (أو بروسه) . (عن : اكرم حقي ايفردي) .

(لوحة ٣١٦) قطعة نسيج من الحرير محفوظة بمتحف الفن الاسلامي في القاهرة صنعت برسم السلطان الناصر محمد قلاوون - مصر قبل ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م (الطراز المملوكي) . (عن : اسن اتيل).



(لوحة ٣١٧) قطعة من نسيج الحرير محفوظة بمتحف اونتاريو الملكي في تورنتو تزينها أشكال بيضاوية (جامات) متكررة بداخلها زخارف نباتية والخونجه رنك الجاشنكير - مصر ق ٨ هـ/١٤م (الطراز المملوكي) (عن : اسن اتيل) .



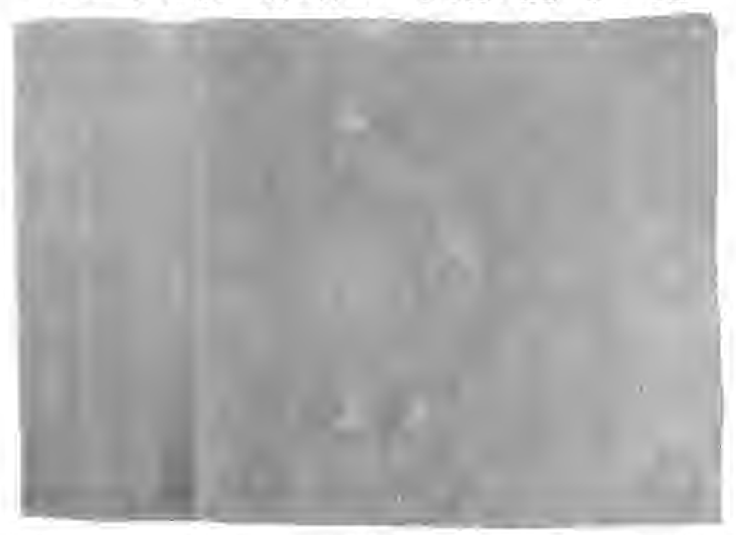
(لوحة ٣١٨) قطعة من نسيج الحرير المطرز محفوظة بمتحف الفن الاسلامي في القاهرة تزينها زخارف هندسية عبارة عن وحدات من الطبق النجمي (الكندات) - مصر ق ٩هـ/١٥م (الطراز المملوكي) . (عن : اسن اتيل) .



(لوحة ٣١٩) قطعة من نسيج الكتان محفوظة بمتحف المتروبوليتان في نيويورك تزينها زخارف مضافة بقطع من القماش الملون قوامها رنكا وظيفيا مركبا - مصر - أواخر ٩هـ/١٥م . (الطراز المملوكي) (عن : اسن اتيل) .



(لوحة ٣٢٠) قطعة من نسيج الحرير محفوظة بمتحف المتروبوليتان في نيويورك تزينها مناظر تصويرية - إيران - ق ١٠هـ/١٦م (الطراز الصفوي) . (عن : Grube) .



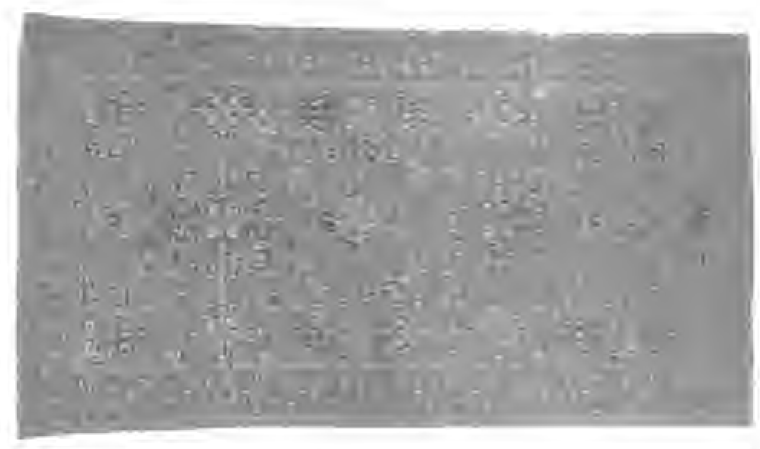
(لوحة ٣٢١) سجادة مملوكية محفوظة بمتحف النسيج في واشنجتون - مصر - حوالي ١٥٠٠م -(الطراز المملوكي)(عن : اسن اتيل) .

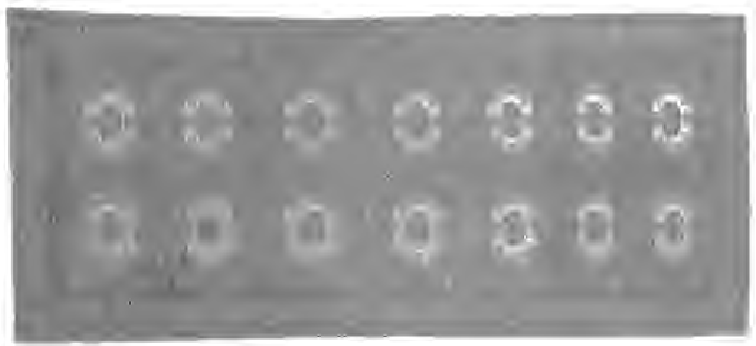


(لوحة٣٢٢) سجادة مملوكية محفوظة بمتحف النسيج في واشنجتون مصر الربع الاول من ق ١٠هـ/١٦م . (الطراز المملوكي) (عن : اسن اتيل) .



(لوحة ٣٢٣) سجادة محفوظة بمتحف المترو بوليتان في نيويورك تجمع بين خصائص الطرازين المملوكي والعثماني في اوائل ق ١٠هـ/١٦م (عن : Grube) .





(لوحة ٣٢٤) سجاد تركي عثماني محفوظ بمتحف المتروبوليتان في نيويورك، أعلى (النوع المعروف بسجاد عشاق ذات النجوم أو الجامة) وأسفل (النوع المعروف بسجاد هولباين) ويؤرخ حوالي ١٦٠٠م. (عن: Grube).



(لوحة ٣٢٥) سجادة ايرانية من النوع المعروف بطراز الجامه وتزينها مناظر تصويرية - ايران - قزوين - النصف الثاني من ١٠هـ/١٦م . (عن : Grube) .



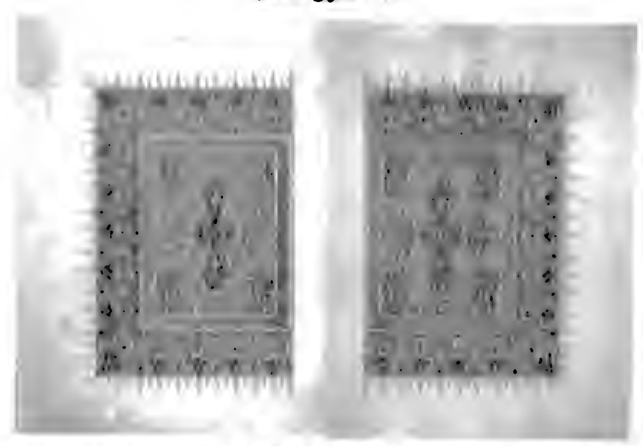
(لوحة ٣٢٦) سجادة ايرانية من النوع المعروف بطراز الحدائق - شمال غرب ايران - حوالي ١٧٠٠م . (عن : Grube) .



(لوحة ٣٢٧) سجاد تنسب إلى هراة (أفغانستان) ق ١٠هـ/١٦م (عن Grubc ، Grube) .



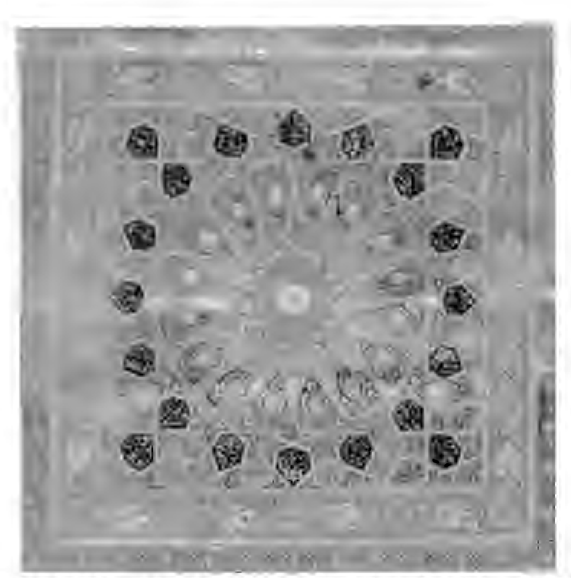
(لوحة ٣٢٨) سجادة هندية محفوظة بمتحف الفنون الجميلة في بوسطن - (العصر المغولي الهندي) أواخر ق١٠هـ١٦م (عن : Grube).



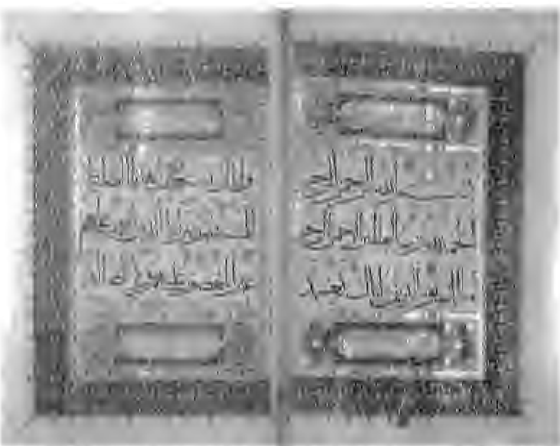
(لوحة ٣٢٩) غرة مصحف شريف محفوظة بمكتبة شستربيتي بدبلن - مصر - الربع الأول من ق ٨هـ/١٤م . (الطراز المملوكي) . (عن : اسن اتيل) .



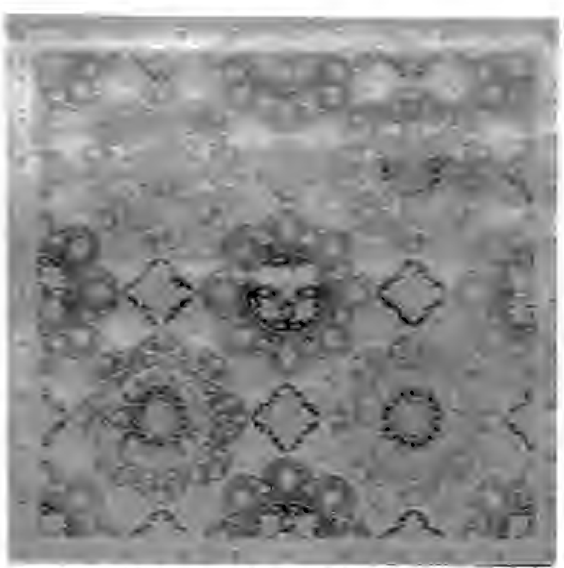
(لوحة ٣٣٠) مصحف أرغون شاه الملكي الاشرفي المحفوظ بدار الكتب المصرية - مصر حوالي ١٣٧٠م (الطراز المملوكي) واللوحة المنشورة تمثل الصفحة اليسرى من غرة المصحف الشريف.



(لوحة ٣٣١) تفصيل للنقوش الزخرفية المذهبة بساحة غرة مصحف ارغون شاه المشار اليه في اللوحة السابقة (٣٣٠) (عن : اسن اتيل) .



(لوحة ٣٣٢) فاتحة مصحف شريف كامل مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية وقد عمل برسم السلطان المملوكي البحري الأشرف شعبان ووقفه بمدرسته بخط الصوة أسفل القلعة (حل محلها البيمارستان المؤيدي) ويتضمن توقيع ناسخة ومذهبة - مصر ٧٧٤هـ/١٣٧٢م - (الطراز المملوكي) . (عن : اسن اتيل) .



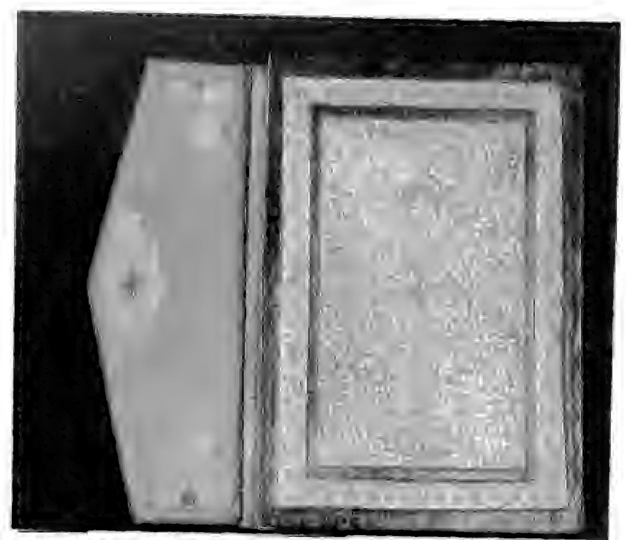
(لوحة ٣٣٣) مصحف شريف كامل مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية وقد عمل برسم السلطان المملوكي البحري الاشرف شعبان ووقفه بمدرسة والدته بخط التبانه (شارع باب الوزير) ٧٧١هـ/١٣٦٩م ، ويشاهد في اللوحة تفصيل للنقوش الزخرفية باحدي صفحتي غرة المصحف الشريف - مصر (الطراز المملوكي) (عن : اسن اتيل) .



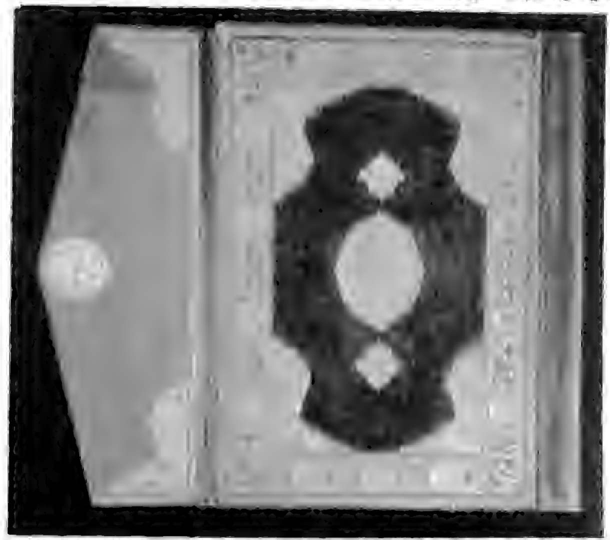
(لوحة ٣٣٤) خاتمة مصحف شريف كامل مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية وقد عمل برسم السلطان المملوكي الجركسي الاشرف برسباي ووقفه بمدرسته بالعنبر يين (بشارع المعز) ٨٢٦هـ/١٤٢٥م . مصر (الطراز المملوكي) (عن : اسن اتيل) .



(لوحة ٣٣٥) فاتحة مصحف شريف كامل مخطوط محفوظ بدار الآثار الاسلامية بالكويت ، وتعد صفحتا فاتحة هذا المصحف المذهبتين انعكاسا صادقا لخاتمته شمال الهند - ق ١٢هـ/١٨م . (عن : دار الاثار الاسلامية بالكويت) .



(لوحة ٣٣٦) غلاف مذهب لجزء من مصحف كريم مخطوط محفوظ بدار الاثار الاسلامية بالكويت - ايران - القرن ١٠هـ/١٦م . (عن : دار الاثار الاسلامية بالكويت) .



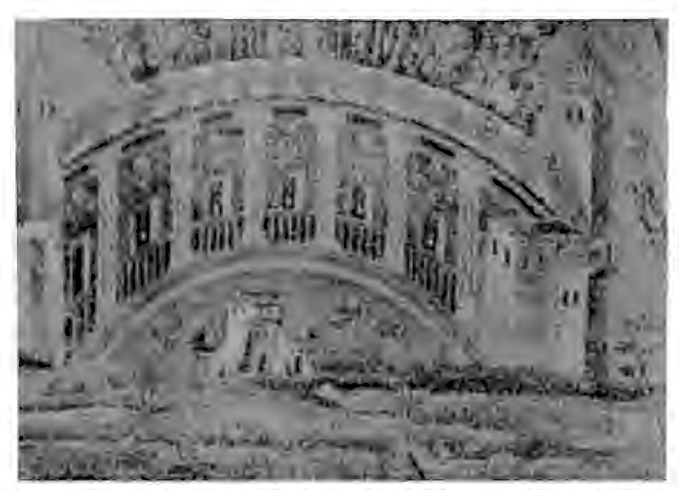
(لوحة ٣٣٧) غلاف جلد ذي زخارف مضغوطة ومختومة ومذهبة محفوظ بدار الاثار الاسلامية بالكويت) - تركيا - القرن ١٠ - ١١هـ/١٦-١٧م . (عن : دار الاثار الاسلامية بالكويت).



(لوحة ٣٣٨) قبة الصخرة ٧٢هـ/٦٩٢م : فسيفساء في أحدكوشات عقود المثمن الداخلي .



(لوحة ٣٣٩) قبة الصخرة: فسيفساء في أحدكوشات عقود المثمن الداخلي .



(لوحة٣٤٠) الجامع الاموي بدمشق ٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م ، فسيفساء (مصورة نهر بردي) .



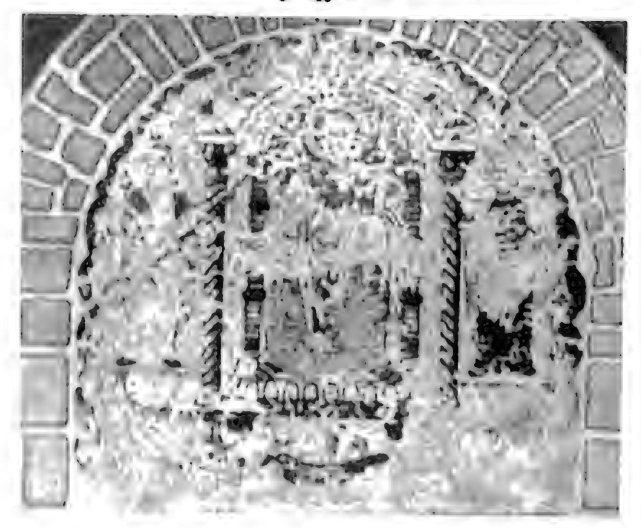
(لوحة٣٤١) الجامع الاموي فسيفساء (مصورة نهر بردي) .

(لوحة ٣٤٢) قصر الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/٧٢٤-٧٤٣م) في أريحا المعروف بقصر خربة المفجر: فسيفساء في ارضية الحمام الملحق بالقصر.

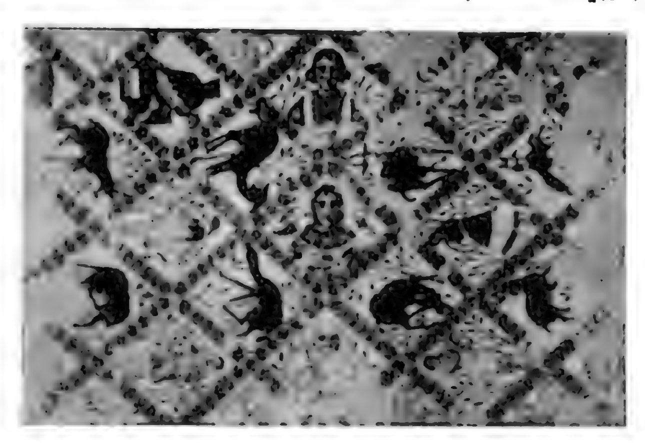


(لوحة ٣٤٣) قصر الخليفة الاموي هشام بن الملك في أريحا المعروف بقصر خربة المفجر: تفصيل لفسيفساء الجانب الايمن (منظر طردوحش).

١٦ - الفريسكو



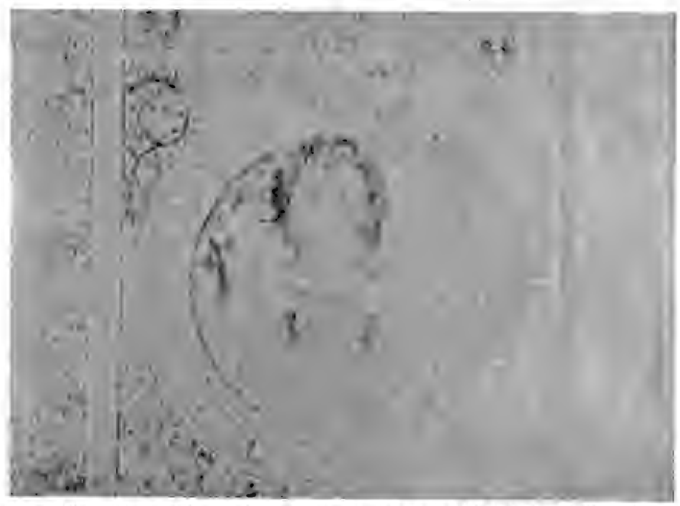
(لوحة ٣٤٤) قصير عمره بالاردن ينسب للخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك فيما بين ٩٢-٩٦هـ/٧١١-٧١٥م ، صورة مائية (فرسكو) مرسومة في الحائط الجنوبي لقاعة الاستقبال .



(لوحة ٣٤٥) قصير عمره صورة مائية (فرسكو) مرسومة في باطن القبو البرميلي للحجرة الأولى في الحمام (الحجرة الباردة) وتمثل مراحل العمر المختلفة ورسوم حيوانات وطيور وغير ذلك .



(لوحة ٣٤٦) قصر الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك في تدمر (بالميرا) سوريا المعروف بقصر الحير الغربي صورة (فرسكو) محفوظة حاليا بالمتحف الوطني بدمشق تمثل موسيقيين في القسم الاعلي وفارسا قد إمتطي صهوة جواده الراكض وشرع يرمي غزالا بسهم (وربما تمثل النصف الاول من القصة بهرام كورومحظيته فتنه أوأزده) .



(لوحة ٣٤٧) قصر الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك المعروف بقصر الحير الغربي : صورة مائية (فرسكو) محفوظة حاليا بالمتحف الوطني بدمشق ، ويشاهد بها رسم جامه دائرية بها صورة نصفية لسيدة في وضع مواجه وقد أمسكت بيديها منديلا مملوء بالفاكهة .



(لوحة ٣٤٨) قصر الجوسق الخاقاني في سامرا بالعراق صورة مائية (فرسكو) كانت تزين قاعة القبة بجناح الحريم بالقصر وتمثل راقصتين في وضع متماثل وبينهما طبق مملوء بالفاكهة .



(لوحة ٣٤٩) قصر الجوسق الخاقاني في سامرا بالعراق ؛ صورة مائية (فرسكو) موسومة على نصف اسطوانة من الفخار مطلية بماء الجير تمثل رجلا أو امرأة تحمل فوق كتفيها حيوانا ومن المرجح انها اما أنها تمثل النصف الثاني من القصة بهرام كورومحظيته فتنة أو أزدة وفي هذه الحالة تكون الصورة لسيدة واما تمثل قصة الراعي الصالح التي شاع تمثيلها في الفن المسيحي وفي هذه الحالة تكون الصورة لرجل) .



(لوحة ٣٥٠) الحمام المكتشف بجوار ابي السعود بحي مصر القديمة (جهة عين الصيرة) المعروف بالحمام الفاطمي ، صورة مائية (فرسكو) محفوظة حاليا بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة وتمثل شابا جالسا يمسك بيده كاسا . (منظر شراب) .



(لوحة٣٥١) شقف الكابلا بلاتينا في بالرمو بجزيرة صقلية . صورة مائية (فرسكو) تمثل انسانا جالسا وبيده اليمني كأسا . (منظر شراب) .



(لوحة ٣٥٢) سقف الكابلا بالرمو بجزيرة صقلية صورة مائية (فرسكو) تمثل عازفان حول نافورة تصب مياهها من راس اسد ، وينزل الماء بالتدريج علي درج ينتهي علي فسقية .



(لوحة ٣٥٣) سقف الكابلا بلا تينا في بالرمو بجزيرة صقلية صورة مائية (فرسكو) تمثل رجلان احدهما في جانب يقوم بسحب الحبل المربوط في الجرة ، بينما نجد في الجانب الاخر رجلا يرفع من جانبه هذه الجرة ويفرغ ما فيها من ماء في دورق .



(لوحة ٣٥٤) تصويرة تمثل اثنان علي ظهور الجياد من مخطوطة كتاب البيطرة المحفوظة حاليا بمكتبة طوبقابي سراي (أحمد الثالث رقم ٢١١٥) باستانبول ٦٠٦هـ/١٢١٠م (المدرسة العربية : بغداد) .



(لوحة٣٥٥) مخطوطة كتاب خواص العقاقير لديسقوريدس مؤرخة ٦٢١هـ/١٢٢٤م ، تصويرة تمثل صيدلية . (المدرسة العربية : بغداد) .



(لوحة٣٥٦) مخطوطة خواص العقاقير لديسقوريدس مؤرخة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م . ومحفوظة بمتحف طوبقابى سراي في استانبول . تصويرة تمثل ديسقوريدس مع أحد تلامذته . (المدرسة العربية : بغداد) .



(لوحة ٣٥٧) مخطوطة خواص العقاقير لديسقوريدس ٦٢٦هـ/١٢٢٨م تصويرة تمثل نبات العنب . (المدرسة العربية : بغداد) .



(لوحة ٣٥٨) مخطوطة خواص العقاقير لديسقوريدس ٦٢٦هـ/١٢٢٨م تصويرة تمثل شجرة العدس . (المدرسة العربية ، بغداد) .



(لوحة ٣٥٩) مخطوطة مقامات الحريري مؤرخة ٦٣٤هـ/١٢٣٧م ، محفوظة في المكتبة الاهلية بباريس (تحت رقم ٥٨٤٧ عربي) وتعرف بحريري شيفر ، والخطاط والمصور هو يحيى بن محمود الواسطي .
تصويرة تمثل المقامة السابعة (البرقعيدية) ، الاحتفال والابتهاج برؤية هلال شهر شوال (المدرسة العربية ، بغداد) .



(لوحة ٣٦٠) مخطوطة مقامات الحريري للواسطي : تصويرة تمثل المقامة العاشرة (الرحبية) السروجي وابنه بين يدي والي الرحبة .(المدرسة العربية ،بغداد) .



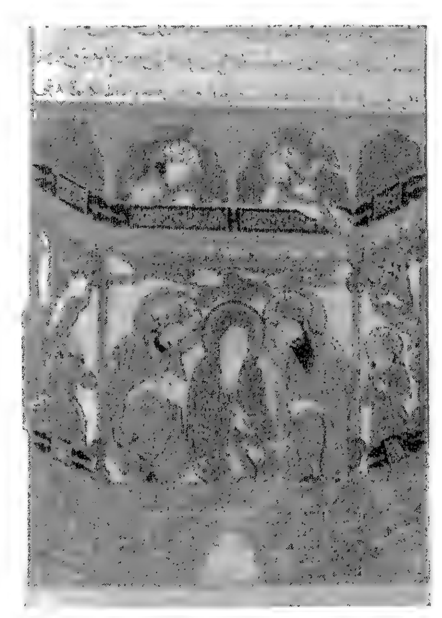
(لوحة ٣٦١) مخطوطة مقامات الحريري للواسطي : تصويرة تمثل المقامة الواحدة والثلاثين (الرملية) ويشاهد فيها الاحتفال بقافلة الحج (المحمل) . (المدرسة العربية ،بغداد) .



(لوحة ٣٦٢) مخطوطة مقامات الحريري للواسطي ، تصويرة تمثل المقامة الثانية والثلاثين حين سئل عما يجب في عشر خناجر (نوق) . (المدرسة العربية ، بغداد) .

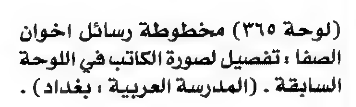


(لوحة ٣٦٣) مخطوطة مقامات الحريري للواسطي ، تصويرة تمثل المقامة الثالثة والأربعين (الشتوية) ، ويشاهد فيها منظر قرية والحارث والسروجي يسألان غلاما عن أحوالها (المدرسة العربية ، بغداد) .



(لوحة ٣٦٤) مخطوطة رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا مؤرخة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م . تصويرة تمثل حلقة علم .
المدرسة العربية : بغداد) .





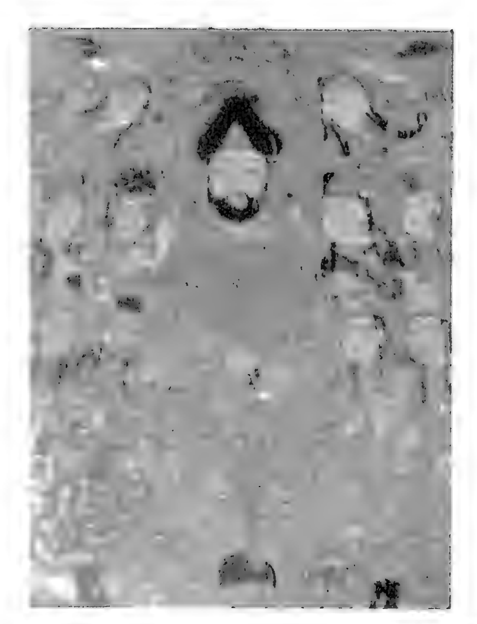
(لوحة ٣٦٥) مخطوطة رسائل اخوان الصفا : تفصيل لصورة الكاتب في اللوحة السابقة . (المدرسة العربية : بغداد) .



(لوحة ٣٦٦) مخطوطة كتاب الترياق لجالينوس مؤرخة ٥٩٥هـ/١١٩٩م ومحفوظة في المكتبة الاهلية بباريس (رقم ٢٩٦٤ عربي) . تصويرة تمثل أميرا في اعلي وبيده اليمني كأس وعن يمينه ويساره النسوة ، وأربعة رجال يقومون بأعمالهم في أسفل . (المدرسة العربية ، الموصل (بلاد الجزيرة) شمال العراق) .



(لوحة ٣٦٧)مخطوطة كتاب الترياق لجالينوس ٥٩٥هـ/١١٩٩م ، تصويرة تمثل بعض الاعمال الحقلية وفي اعلاها كتب (هذا كلام اندروما خسن بلفظه) (المدرسة العربية ، الموصل) .



(لوحة ٣٦٨) مخطوطة كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني مؤرخة ٦١٤هـ/١٢١٧م محفوظة في مكتبة فيض الله الاهلية باستانبول
تصويرة غرة الجزء التاسع عشر تمثل الاتابك بدر الدين لولو جالسا وحوله عدد من اتباعه (المدرسة العربية : الموصل) .



(لوحة ٣٦٩) مخطوطة كتاب الاغاني ٦١٤هـ/١٢١٧م تفصيل لصورة الاتابك بدر الدين لولو عبد الله . (المدرسة العربية : الموصل) .



(لوحة ٣٧٠) مخطوطة كتاب كليلة ودمنة محفوظة في المكتبة الاهلية بباريس (رقم٣٤٦٥ عربي) ومن المرجح أنها تعود الى حوالي ٦٢٢هـ/١٢٢٥م تصويرة تمثل الأسد ملك الغابة والثعلب دمنه يتودد له ويتقرب اليه (المدرسة العربية ؛بلاد الجزيرة).



(لوحة ٣٧١) مخطوطة كليلة ودمنة محفوظة في المكتبة الاهلية بباريس (رقم ٣٤٦٧ عربي)، من المرجح أنها تعود الى حوالي الربع الثاني من ق ٨هـ/١٤م ؛ تصويرة تمثل الحرب بين البوم والغربان . (المدرسة العربية ؛مصر وسوريا) .



(لوحة ٣٧٢) مخطوطة كتاب كليلة ودمنة مؤرخة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م ومحفوظة بالمكتبة البودلية باوكسفورد رقم Pococke 400). تصويرة تمثل قصة الفيل والارنب عند عين القمر (المدرسة العربية : مصر وسوريا) .



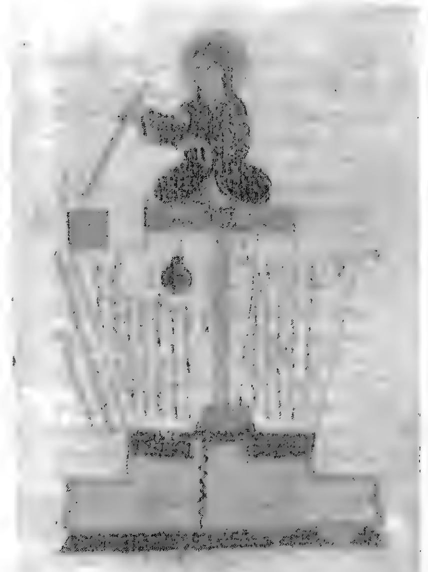
(لوحة ٣٧٣) مخطوطة رسالة دعوة الاطباء لابن بطلان البغدادي ٦٧٢هـ/١٢٧٣م محفوظة في مكتبة الامبروزيانا في ميلان (رقم A.125 Inf.) تصويرة تمثل وليمة في دار احد الاطباء (الودرسة العربية : مصر) .



(لوحة ٣٧٤) مخطوطة كتاب الحيل الجامع بين العلم والعمل لابن الرزاز الجزري مؤرخة ٧١٥هـ/١٣١٥م ومحفوظة في دار الآثار الاسلامية بالكويت ، لوحة مجمعة لاثنتي عشرة تصويرة من المخطوط .



(لوحة ٣٧٥) مخطوط كتاب الحيل للجزري ، تصويرة تمثل تنين يرتدي حذاء عالي الساق وسلسلة متصلة يساعدان على الحركة الآلية في عملية الغطس والطفو للسوائل .



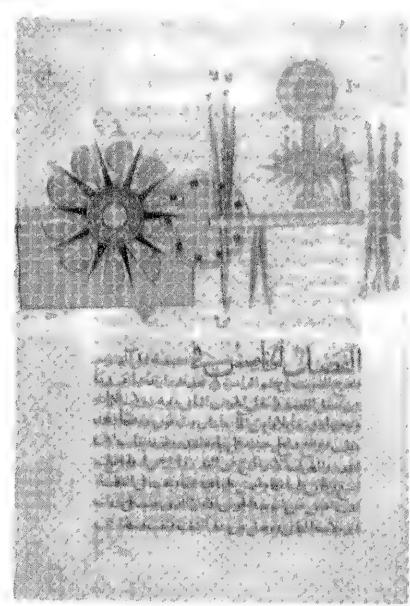
(لوحة ٣٧٦) مخطوطة كتاب الحيل للجزري، تصويرة تمثل ساعة مائية علي هيئة رجل جالس حاملا قلم يحدد به الوقت بتحرك ناقل الحركة الصادرة عن حركة الماء .



(لوحة ٣٧٧) مخطوطة كتاب الحيل للجزري : تصويرة تمثل حوض ماء مزود بساقية (دولاب) تتحرك بتدفق السوائل لتنقل الحركة لاعلي الآلة .



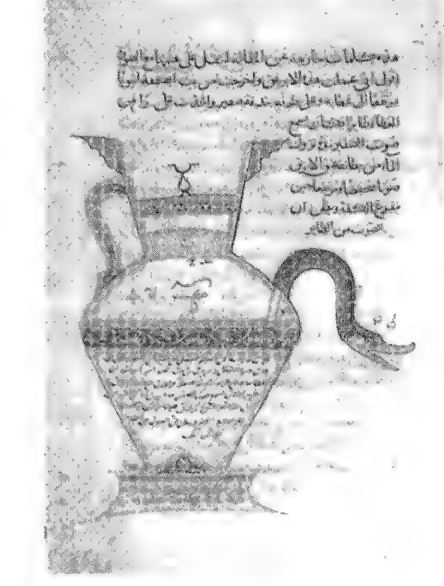
(لوحة ٣٧٨) مخطوطة كتاب الحيل للجزري : تصويرة تمثل ساعة شمعية تعتمد في احصاء ساعات الليل علي مستوي ذوبان الشمعة المشتعلة) يساهم في ذلك حركة رجل وقرد وصقر وبكرة ناقلة للحركة .



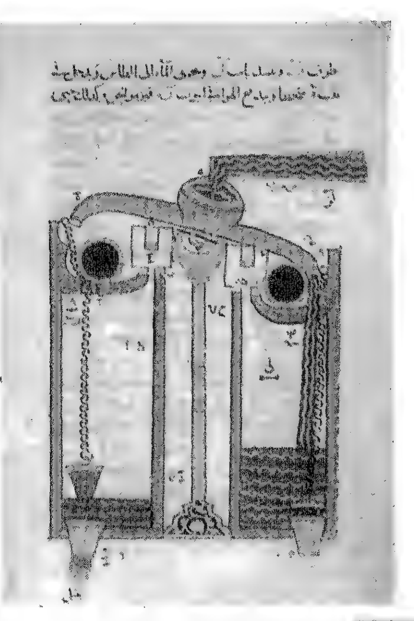
(لوحة ٣٧٩) مخطوطة كتاب الحيل للجزري : تصويرة تمثل حيلة ميكانيكية تحول حركة ساقية (دولاب) مائية الي آلة زامرة .



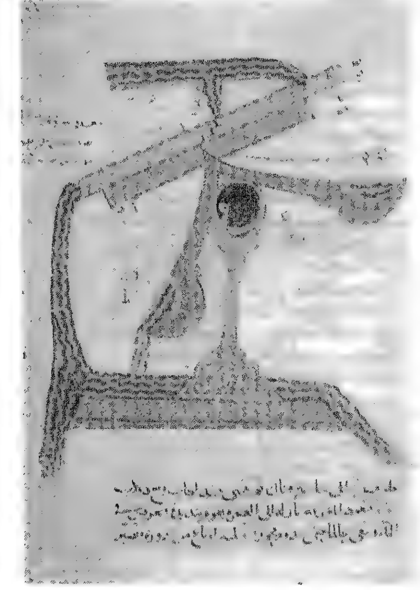
(لوحة ٣٨٠) مخطوطة كتاب الحيل للجزري : تصويرة تمثل حيلة ميكانيكية تعتمد علي حركة مصدرها تدفق الشراب ثم نقلها الي جارية لتقدم الشراب الي الملك .



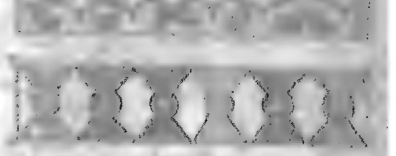
(لوحة ٣٨١) مخطوطة كتاب الحيل للجزري تصويرة تمثل ابريق ذو صنبور علي شكل راس اوزه في عنقها بندقة تحدث صوتا عند خروج الشراب منها .



(لوحة ٣٨٢) مخطوطة كتاب الحيل للجزري، تصويرة تمثل حيلة هندسية علي هيئة قضيب (ميزان) فوق وعاء مائي عندما يمتلئ يندفع الهواء فتزمر الآلة .



(لوحة ٣٨٣) مخطوطة كتاب الحيل للجزري ، تصويرة تمثل حيلة هندسية مكونة من ذراع متأرجح وتؤدي قوة دفع الماء الي تكرار الحركة لذراع آخر .



(لوحة ٣٨٤) مخطوطة كتاب الحيل للجزري؛ تصويرة تمثل تصميم اطار (عتب) لبوابة قصر.

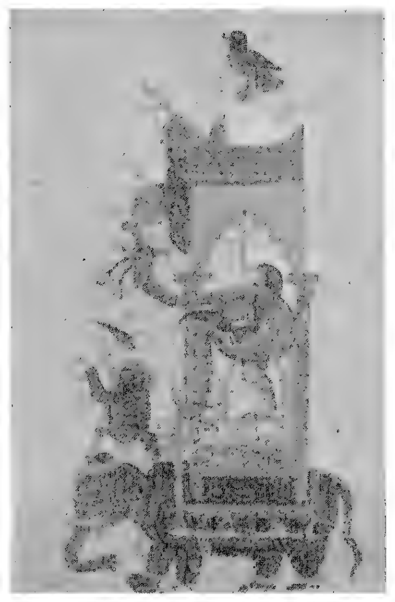
(لوحة ٣٨٥) مخطوطة كتاب الحيل للجزري : تصويرة تمثل قارعة (مطرقة) لبوابة قصر علي هيئة ثعبانين متقابلين عندما يطبقان علي رأس أسد فى الوسط يحدثا قرعا.



(لوحة ٣٨٦) مخطوطة كتاب الحيل للجزري : تصويرة تمثل ساعة منبه علي شكل بحار متوج عندما يغوص في الماء يندفع هواء محبوس داخل تجويف قميصه ليصعد الي الرأس ، وعندما يخرج الهواء يحدث صفيراً منبها .



(لوحة ٣٨٧) مخطوطة كتاب الحيل للجزري مؤرخة ب ٧١٥هـ/١٣١٥م ، محفوظة في صالة فرير للفن في واشنجتون (رقم 42.10b) : تصويرة تمثل ساعة الطبالين التي تعمل بالماء .



(لوحة ٣٨٨) مخطوطة كتاب الحيل للجزري مؤرخة ٧١٥هـ/١٣١٥م ومحفوظة في متحف المتروبوليتان بنيويورك : تصويرة تمثل الساعة الفيلية .



(لوحة ٣٨٩) مخطوطة كتاب مقامات الحريري مؤرخة ٧٣٤هـ/١٣٣٤م ومحفوظة في المكتبة الأهلية في فيينا (رقم A.F.9) : تصويرة غرة المخطوطة تمثل أميرا في مجلس شراب وتسلية . (المدرسة العربية : مصر) .



(لوحة ٣٩٠) مخطوطة كتاب مقامات الحريري في فيينا ٧٣٤هـ/١٣٣٤م : تصويرة تمثل ابو زيد السروجي يتوسل الي قاضي المعرة (المقامة الثامنة) (المدرسة العربية : مصر) .



(لوحة ٣٩١) مخطوطة كتاب مقامات الحريري في فيينا ٧٣٤هـ/١٣٣٤م : تصويرة تمثل الحارث يتحدث الي ابي زيد السروجي في خيمته (المقامة السادسة والعشرين) (المدرسة العربية : مصر) .



(لوحة ٣٩٢) مخطوطة كتاب مقامات الحريري في فيينا ٧٣٤هـ/١٣٣٤م ، تصويرة تمثل ابو زيد السروجي يساعد الحارث على إستعادة جملة (المقامة السابعة والعشرين) . (المدرسة العربية : مصر) .



(لوحة ٣٩٣) مخطوطة كتاب الحيوان للجاحظ محفوظة في مكتبة الامبروزيانا في ميلان (رقم : A.R.A.F.D.140 inf) ، ومن المرجح أنها تعود الي حوالي منتصف ق ٨هـ/١٤م . تصويرة تمثل نعامة تجلس علي بيضها. (المدرسة العربية ، مصر) .



(لوحة ٣٩٤) مخطوطة كتاب قانون الدنيا وعجائبها للشيخ احمد المصري مؤرخة ٩٧٠هـ/١٥٦٣م ومحفوظة في متحف طوبقابي سراي بأستانبول (رقم Revan.1638) ، تصوير تمثل يأجوج ومأجوج . (المدرسة العربية : مصر - العصر العثماني) .



(لوحة ٣٩٥) مخطوطة كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني محفوظة في المكتبة الاهلية في ميونخ (رقم C.Arab 463) ومن المرجح أنها تعود الى ق ١٢هـ/١٨م : تصويرة تمثل برج الثور (المدرسة العربية: مصر - العصر العثماني) .



(لوحة ٣٩٦) مخطوطة كتاب الكواكب الثابتة للصوفي محفوظة في مكتبة الفاتيكان (رقم روس ١٠٣٣) ، ومن المرجح أنها انجزت في سبته ٦٢١هـ/١٢٢٤م ؛ تصويرة تمثل الراقص هرقل . (المدرسة العربية - المغرب) .



(لوحة ٣٩٧) مخطوطة كتاب بياض ورياض محفوظة في مكتبة الفاتيكان (رقم ٣٦٨ عربي) ، ومن المرجح أنها أنجزت في الأندلس في ق ٨هـ/١٤م ؛ تصويرة تمثل بياض نائما بإزاء بستان على شاطئ نهر الثرثار . (المدرسة العربية ؛ الأندلس) .



(لوحة ٣٩٨) مخطوطة كتاب بياض ورياض في الفاتيكان ، تصويرة تمثل شمول تكلم بياضا وهو بقرب النهر وتسلمه رسالة رياض . (المدرسة العربية ، الأندلس) .



(لوحة ٣٩٩) مخطوطة كتاب بياض ورياض في الفاتيكان ، تصويرة تمثل بياضا يعزف علي العود ويتغني بحبه أمام سيدة تجلس علي أريكة في أقصي اليسار (ربما كانت رياض) وعدد من النساء جالسات حاسرات رؤوسهن . (المدرسة العربية ، الأندلس) .



(لوحة٤٠٠) مخطوطة كتاب منافع الحيوان لابن بختيشوع محفوظة في مكتبة مورجان بنيويورك ، وقد نسخت في مراغة بأمر السلطان الايلخاني غازان خان قيمالبير ٦٩٤-٦٩٩هـ/١٢٩٤-١٢٩٩م؛ تصويرة تمثل زوجا من الأسد في حالة مداعبة . (المدرسة العربية : ايران) .



(لوحة ٤٠١) مخطوطة كتاب منافع الحيوان لابن بختيشوع في مكتبة مورجان : تصويرة تمثل انثى وذكراً من الخيل ولا يظهر من ذكر الخيل سوى رأسه فى اقصى اليمين . (المدرسه المغولية) .



(لوحه ٤٠٢) مخطوطه كتاب كليله ودمنه في البوم (مرقعة) باسم الشاه طهماسب الصفوي محفوظه فى مكتبة الجامعة باستانبول (كانت من قبل فى مكتبة يلدز)؛ تصويرة تمثل كيف خدع رب البيت اللص حتي سقط من فوق سطح داره .(مدرسة آل جلائر - تبريز - النصف الثاني من ق ٨هـ/١٤م) .



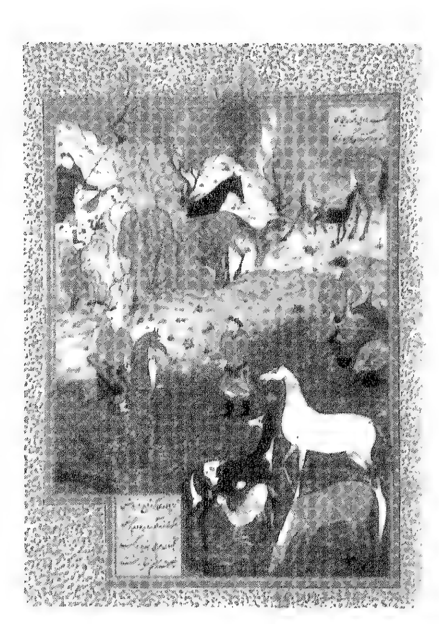
(لوحة ٤٠٣) مخطوطة كتاب (في الاشعار الفارسية) محفوظة في متحف الفن الاسلامي والتركي باستانبول (رقم ١٩٥٠) مؤرخة ٨٠١ هـ/١٣٩٨م ؛ منظر طبيعي . (المدرسة التيمورية ؛ شيراز)



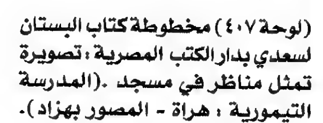
(لوحة ٤٠٤) مخطوطة كتاب البستان لسعدي الشيرازي محفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة مؤرخة ٨٩٣ هـ/١٤٨٨م؛ تصويرة تمثل السلطان حسين ميرزايسمر في قصره (الصفحة اليمني) المدرسة التيمورية : هراة - المصور بهزاد).



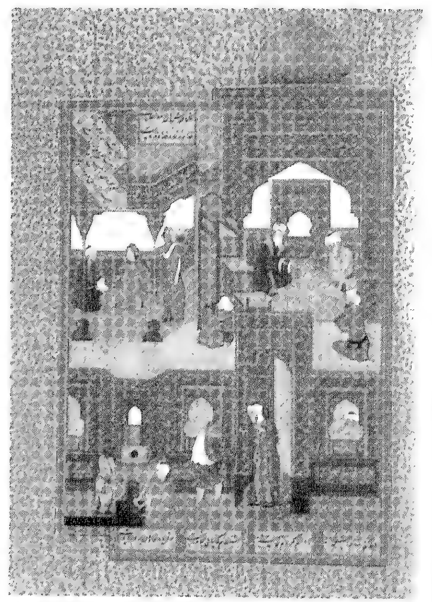
(لوحة ٤٠٥) مخطوطة كتاب البستان لسعدي بدار الكتب المصرية : تصويرة تمثل مجلس طرب وموسيقي بين يدي السلطان حسين ميرزا (الصفحة اليسري المقابلة للصفحة اليمني السابقة) . (المدرسة التيمورية : هراة - المصور بهزاد)



(لوحة ٤٠٦) مخطوطة كتاب البستان لسعدي بدار الكتب المصرية : تصويرة تمثل الملك دارا وراعي خيوله . (المدرسة التيمورية : هراة - المصور بهزاد).

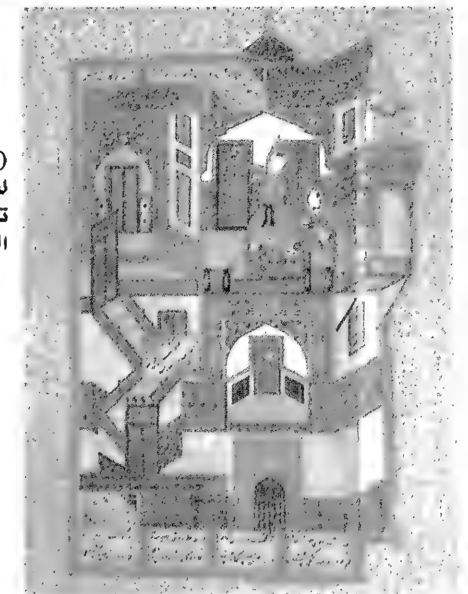


(لوحة ٤٠٧) مخطوطة كتاب البستان لسعدي بدار الكتب المصرية : تصويرة تمثل مناظر في مسجد .(المدرسة التيمورية : هراة - المصور بهزاد).





(لوحة ٤٠٨) مخطوطة كتاب البستان لسعدي بدار الكتب المصرية : تصويرة تمثل فقهاء يتدارسون العلم في المسجد . (المدرسة التيمورية : هراة - المصور بهزاد).

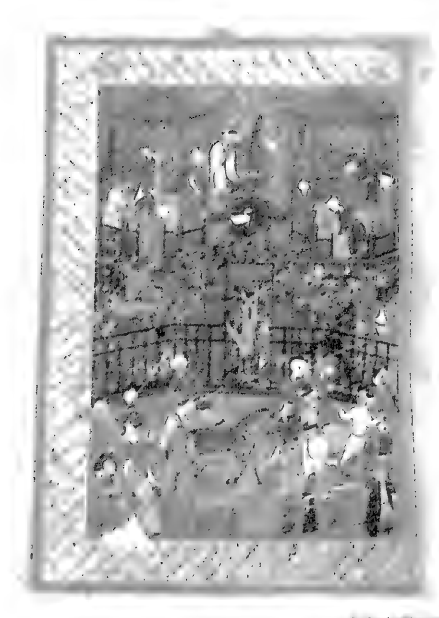


(لوحة ٤٠٩) مخطوطة كتاب البستان لسعدي بدار الكتب المصرية : تصويرة تمثل قصة يوسف وزليجا .(المدرسة التيمورية:هراة - المصور بهزاد)

(لوحة ٤١٠) مخطوطة كتاب البستان لسعدي بدار الكتب المصرية : تصويرة تمثل عفريت من الجن يحمل عاشقين في سريرهما في حضرة الملك سليمان. (المدرسة التيمورية : هراة - المصور تمراز تلميذ بهزاد)



(لوحة ٤١١) مخطوطة كتاب المنظومات الخمس للشاعر نظامي مؤرخه ٩١٧هـ/١٥١١م : تصويرة تمثل دعوة الي مأدبة ملكية (الصورة اليمني). (المدرسة التيمورية : هراة -المصور بهرام قلي تلميذ بهزاد) .



(لوحة ٤١٢) مخطوطة كتاب المنظومات الخمس لنظامي ٩١٧هـ/١٥١١م : تصويرة تمثل حفل في حديقة (الصفحة اليسري المقابلة للصفحة اليمني في اللوحة السابقة). المدرسة التيمورية : هراة - المصور بهرام قلي تلميذ بهزاد) .



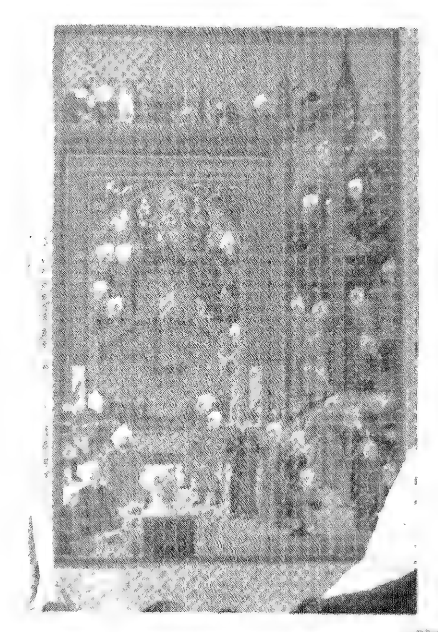
(لوحة ٤١٣) لوحة مفردة من ديوان اشعار فارسية محفوظ بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة من المرجح أنها تعود الي حوالي ٩٣٢هـ/١٥٢٥م : تصويرة تمثل حفل استقبال رسمي . اسلوب المصور بهزاد وفق منهج مدرسة تبريز.



(لوحة ٤١٤) قصة يوسف وزليخا للشاعر جامي بدار الكتب المصرية والمخطوطة مؤرخة ٩٤٠هـ/١٥٣٣م : تصويرة تمثل زليخا وصويحباتها . (اسلوب المصور بهزاد وفق منهج مدرسة تبريز) .



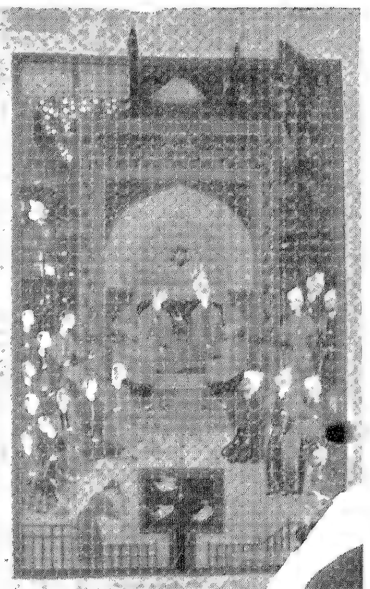
(لوحة ٤١٥) مخطوطة كتاب المنظومات الخمس لنظامي مؤرخة ٩٤٦ - ٩٤٩هـ/١٥٣٩ - ١٥٤٣م : محفوظة بالمتحف البريطاني (رقم ٢٢٦٥شرقي) : تصويرة تمثل كسري أنوشروان ووزيره يصغيان الي البومتين اللتين تنعقان علي أنقاض قصر خرب . (المدرسة الصفوية الاولي - تبريز - عهد الشاه طهماسب - المصور أقاميرك تلميذ بهزاد) .



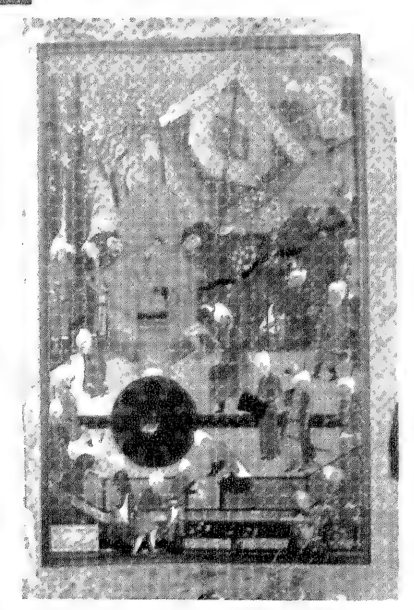
(لوحة٤١٦) مخطوطة كتاب المنظومات الخمس لنظامي بالمتحف البريطاني ؛ تصويرة تمثل خسرو علي العرش . (المدرسة الصفوية الأولي - تبريز - المصور آقاميرك) .

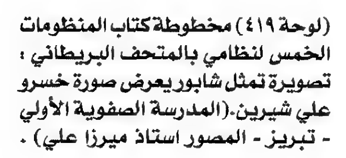


(لوحة ٤١٧) مخطوطة كتاب المنظومات الخمس لتظامي بالمتحف البريطاني ؛ تصويرة تمثل مجنون ليلي في الصحراء بين الوحوش . (المدرسة الصفوية ؛ تبريز - المصور آقاميرك).

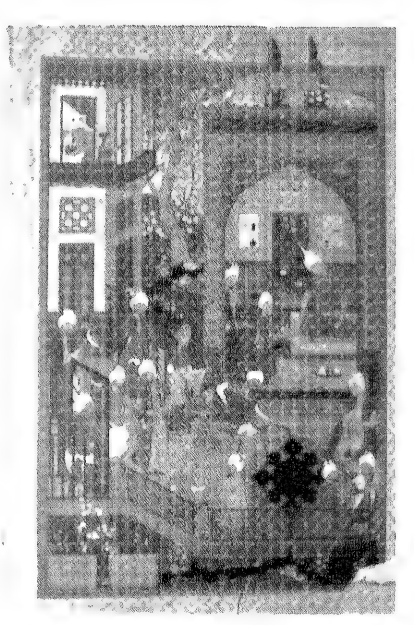


(لوحة ٤١٨) مخطوطة كتاب المنظومات الخمس لنظامي بالمتحف البريطاني : تصويرة تمثل خسرو شيرين علي العرش . (المدرسة الصفوية الأولي - تبريز المصور آقاميرك أو المصور سلطان محمد).

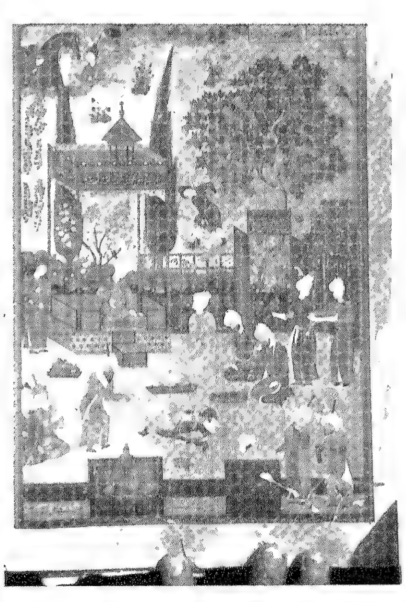




(لوحة ٤١٩) مخطوطة كتاب المنظومات الخمس لنظامي بالمتحف البريطاني : تصويرة تمثل شابور يعرض صورة خسرو علي شيرين.(المدرسة الصفوية الأولي - تبريز - المصور استاذ ميرزا علي) .



(لوحة ٤٢٠) مخطوطة كتاب المنظومات الخمس لنظامي بالمتحف البريطاني : تصويرة تمثل خسرو يستمع الي المغني باربد .(المدرسة الصفوية الاولي - تبريز - المصور ميرزا علي) .



(لوحة ٤٢١) مخطوطة كتاب المنظومات الخمس لنظامي بالمتحف البريطاني : تصويرة تمثل عالمان يتناظران . (المدرسة الصفوية الأولي : تبريز - اسلوب المصور مظفر علي وهو يتشابه الي حد كبير مع اسلوب فيرزا غلي) .



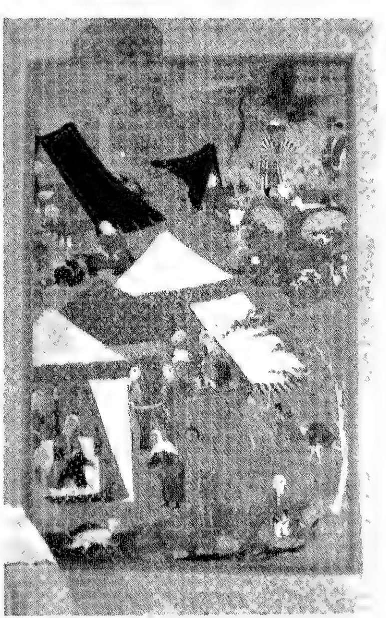
(لوحة ٤٢٢) مخطوطة كتاب المنظومات الخمس لنظامي بالمتحف البريطاني؛ تصويرة تمثل بهرام كور يصطاد الأسد والحمار الوحشي . (المدرسة الصفوية الأولي : تبريز - المصور أستاذ سلطان محمد).



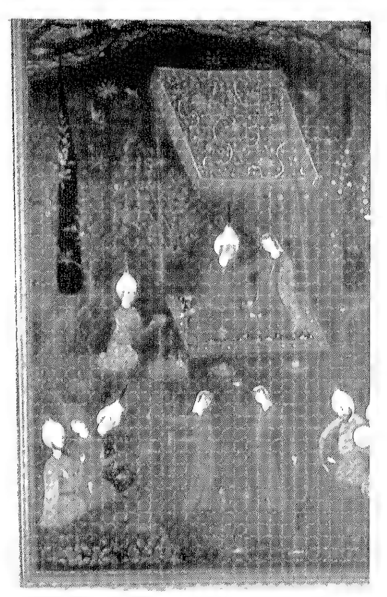
(لوحة ٤٢٣) مخطوطة كتاب المنظومات الخمس لنظامي بالمتحف البريطاني : تصويرة تمثل عجوزا تشكو للسلطان سنجر. (المدرسة الصفوية الأولي تبريز- المصور أستاذ سلطان محمد)



(لوحة ٤٢٤) مخطوطة كتاب المنظومات الخمس لنظامي بالمتحف البريطاني : تصويرة تمثل خسرو يفاجئ شيرين وهي تستحم - (المدرسة الصفوية الأولى تبريز - المصور أستاذ سلطان محمد).



(لوحة ٤٢٥) مخطوطة كتاب المنظومات الخمس لنظامي بالمتحف البريطاني : تصويرة تمثل عجوزا تقود المجنون الي خيمة ليلي. (المدرسة الصفوية الأولي : تبريز - المصور ميرسيد علي).



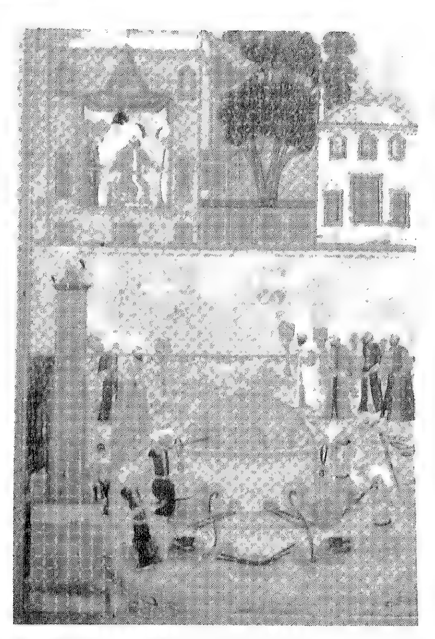
(لوحة ٤٢٦) تصويرة من ديوان حافظ تمثل عاشقين في مجلس طرب في الهواء الطلق .(المدرسة الصفوية الأولي؛ تبريز - المصور سلطان محمد أوأقاميرك)



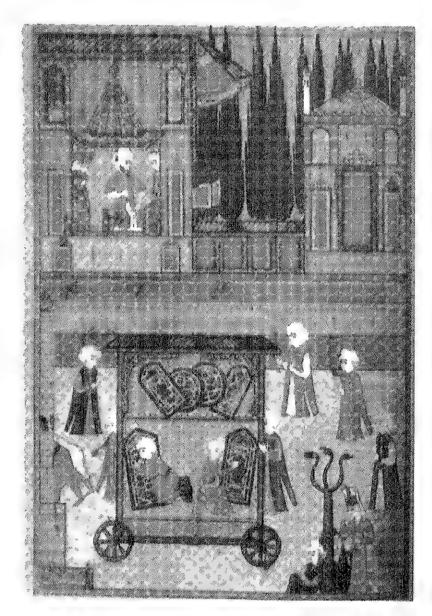
(لوحة ٤٢٧) صورة شخصية للسلطان العثماني محمد الفاتح بمتحف طوبقابي سراي باستانبول - رسم المصور التركي سنان بك .



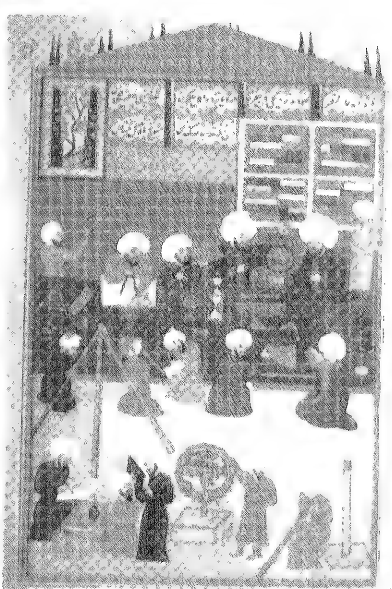
(لوحة ٤٢٨) صورة شخصية للسلطان العثماني سليمان القانوني أوالمعظم بعد أن تقدمت به السن بمتحف طوبقابي سراي باستانبول - رسم المصور حيدر ريس المعروف ب(نجاري) .

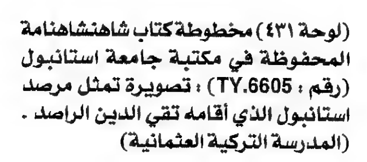


(لوحة ٤٢٩) مخطوطة كتاب المهرجان (سورنامه) مؤرخه ٩٩١هـ/١٥٨٣م ؛ ومحفوظة بمكتبة متحف طوبقابي سراي باستانبول ؛ تصويرة تمثل الفرن الذي يصهر فيه الزجاج وحوله الصناع ؛ كل واحد يؤدي عمله . (المدرسة التركية العثمانية).



(لوحة ٤٣٠) مخطوطة كتاب المهرجان (سورنامه) بمتحف طوبقابي سراي ٩٩١هـ/١٥٨٣م : تصويرة تمثل صناع النوافذ الجصية المفرغة والمعشقة بالزجاج الملون(القمريات المدورة والمطاولة (المدرسة التركية العثمانية) .





(لوحة ٤٣١) مخطوطة كتاب شاهنشاهنامة المحفوظة في مكتبة جامعة استانبول (رقم : TY.6605) : تصويرة تمثل مرصد استانبول الذي أقامه تقي الدين الراصد . (المدرسة التركية العثمانية)

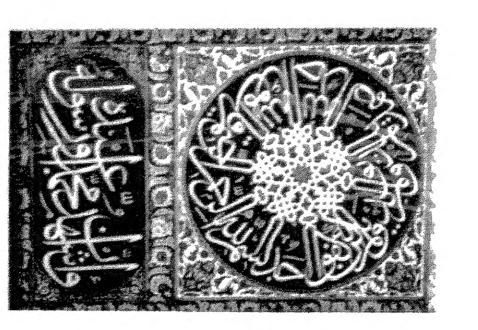


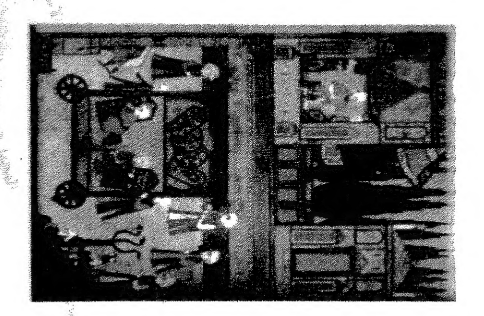
(لوحة ٤٣٢) مخطوطة كتاب شاهنشاهنامه المحفوظة في مكتبة جامعة استانبول (رقم F.1404) : تصويرة تمثل ذات الحلق الموجودة في مرصد استانبول الذي أقامه تقي الدين الراصد (المدرسة التركية العثمانية).

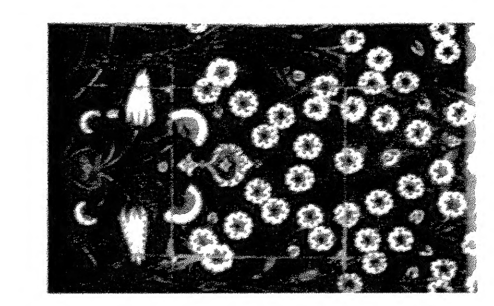
مطبعة العمرانية للأوفست
الجيزة : ٧٧٧٩٣٩٨

المجمل في الآثار والحضارة الإسلامية

كلاسيك







١١٦ شارع محمد فريد